

دراسات تراثية

في البلدان والتراجم وأدب الرحلات

الجزء الأول

د. عماد عبد السلام رؤوف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

هذه مجموعة من الدراسات اخترتها مما كتبت في خلال حقبة امتدت خلال نحو أربعة عقود من السنين، نشر أغلبها في دوريات علمية وثقافية مختلفة، منها في العراق مجلات المجمع العلمي العراقي، والحكمة، ودراسات تاريخية، والأستاذ، والمشكاة، والاكاديمية الكردية، والمورد، والمكتبة العربية، وميزوو الكردية، وريدا كدايا (المثقف الكلداني) الكلدانية، وبين النهرين، وأفاق عربية، والسبب، والبلاغ، ومنها أيضاً الأديب البيروتية، والمجلة التاريخية المغربية، ومواقع إلكترونية مختلفة، ومواطن أخرى، بل منها ما لم يُنشر أصلاً، وبات الوصول الى بعضها اليوم متعسراً تماماً، وقد رأيت أن جمعها بين دفتي كتاب واحد في مجلدين سييسر على الباحثين، وعامة القراء الاطلاع عليها.

ونظراً لطول هذه الحقبة فمن الطبيعي أن لا يكون ثمة إطار واحد يُعِين موضوعات ما كُتب خلالها، فهذه الموضوعات تتراعى على عصور زمنية مختلفة، وتتبنى جوانب متعددة من التاريخ والتراث، في العراق وأنحاء من الوطن العربي، ومن هنا فلم نجد عنواناً واحداً ينتظمها، إلا أن يكون عنواناً عاماً، وهذا ما اخترناه بالفعل.

على أنه إذا كان التنوع هو سمة هذه الدراسات، فإن المشترك بينها إتباعها منهجاً واحداً تقريباً، هو منهج البحث التاريخي، الذي يميل الى استخدام الوثائق غير المنشورة، ونصوص المخطوطات، كما يعتمد على نقد هذه المواد وتحليل معطياتها بحسب طبيعة كل موضوع. وأكثر الدراسات ذو جانب خططي واجتماعي وثقافي، وأقلها ذو جانب سياسي، وليس ذلك لقلّة أهمية هذا الجانب الأخير، ولكن لتصورنا بأن التاريخ غير السياسي لما يزل في حاجة الى مزيد من البحث المتأنّي قياساً الى ما يحظى به التاريخ السياسي من اهتمام.

ومع كل التنوع الذي يبدو على هذه المجموعة من الدراسات، فقد أمكننا أن نقسمها الى عددٍ من المحاور الرئيسية، فعدا المحور الأول الذي يضم ثلاث دراسات

عن كتابة التاريخ وتحقيق التراث العلمي، فثمة محور تال تدور دراساته حول المدن والنواحي والمعاليم الخططية، منها دراسة عن اكتشاف بقايا لقصر عباسي يرقى الى القرن الثاني للهجرة نعتقد انه قصر المنصور العباسي حيث المركز الاول لمدينة السلام بغداد، بينما تتناول الدراسة الثانية الباب الوسطاني، وهو الباب الوحيد المتبقي من ابواب سور بغداد العباسية، فضلا عما كان يحيط به من معالم ترقى الى ذلك العصر ثم دثرت، أو تبدلت وظائفها في العصور التالية، بل نُسيت أسماؤها نفسها. وتتناول الدراسة التالية تاريخ دير قديم في جتوب بغداد، لا يُعرف أصله، ووردت أخباره في عصر سبق الإسلام، وازدهر في العصور التالية، حتى نمت حوله مدينة عامرة، واشتهر بأنه المكان الذي صُرع في مشارفه الشاعر المتنبّي، ومع كل هذه الشهرة، فإن الدير دثر في العصور التالية، وصار أثراً يعد عين، وقد عثرنا على وثيقة في المحكمة الشرعية ببغداد، تشير إليه بعد دثوره وعدد كبير من المواضع حوله، فأمكن بذلك تعيين موقعه اليوم. وثمة دراسة ثالثة تناولت مئذنة قديمة قرب مدينة اليوسفية جنوب بغداد أيضاً، ترقى الى العصر العباسي، وهي تومئ الى وجود مدينة مهمة كانت تحيط بها، ولكنها اليوم تخفي تحت أكوام من الأتربة. وتتناول الدراستان التاليتان قرى ديالى ونواحيها، فأولاهما تبحث في الأصول اللغوية والإجتماعية والجغرافية لتسميات المئات من القرى في نواحي ديالى، أما الأخرى فتتناول هذه القرى نفسها في القرون المتأخرة في ضوء الوثائق الوقفية، وهي منجم يضم معلومات مهمة عن مثل هذه الشؤون. وتعرّج الدراسة السادسة الى تاريخ بلدة سامراء في العصر العثماني، من حيث تكويتها الإجتماعي، ونشاطها الاقتصادي والثقافي وعمرانها بوجه عام، بينما تتناول الدراسة التالية مدينة تكريت، لاسيما أحوالها الاقتصادية في ذلك العصر، وبالطبع فقد اعتمدت هاتان الدراستان على كتب الرحلات بوجه خاص، فضلا عما توفر لدينا من وثائق ومصادر أخرى. وتناولت الدراسة الثامنة في هذا المحور مدينة كربلاء إبان القرنين السادس عشر والسابع عشر، بحسب وثائق المجموعة المعنونة (دفاتر مهمة) المحفوظة في الأرشيف العثماني باستانبول، أما الدراسة التالية في هذا المحور فتتناول النشاط الزراعي والتكوين الاجتماعي لقرية عنكاوا القريبة من اربيل في ضوء البيانات التي يقدمها (دفتر مفصل) الخاص بولاية أربيل في القرن السادس عشر. بينما تتناول الدراسة الاخيرة في المحور رؤية

المؤرخين العراقيين لمصر في العصر العثماني وما أصابها من تغيرات في ضوء ما كتبوه من مؤلفات خطية نشرنا بعضها في العقود الماضية.

وتناول المحور الثالث نماذج لسير عدد من العلماء الذين برزوا في الوطن العربي إبان العصور الإسلامية، في محاولة لتقديم الأوجه غير المعروفة من تلك السير، بالإعتماد على وثائق ومخطوطات جديدة. وأول دراسة في هذا المحور تناولت شخصية مهمة طالما اكتتفها الغموض، هو أبا هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب (ع) الذي برز دوره في المرحلة الحرجة من تاريخ الدعوة العباسية، واكتتفت سيرته مجموعة من الروايات المتناقضة، فحاولت الدراسة أن تحلل هذه الروايات لتنفذ الى الدور الحقيقي لصاحبها، وما ارتبط به من صلوات بشخصيات ذلك العصر، لا سيما مسألة تنازله عن الإمامة إلى محمد بن علي بن عبد الله العباسي، لتبدأ من بعده الدعوة الصريحة لإقامة دولة بني العباس.

وتتناول الدراسة التالية فكرة (التوارث الدولي) كما تبنت في كتابات ابن نجيم المصري الحنفي، الذي ناقش التدايعات الفقهية للفتح العثماني لمصر ونهاية استقلال بلاده.

بينما تنتقل الدراسات الآتية في هذا المحور إلى تناول عدة نماذج لشخصيات مهمة برزت في العراق في العصر العثماني، وكان لها أدوار سياسية مهمة لم يتناولها مترجموهم المعاصرون، وذلك من خلال وثائق ونصوص غير منشورة. وتتعقب تلك الدراسة سيرة لعالم بغدادي كبير متنوع الاهتمامات، هو محمد أمين السويدي، الذي وقف داره مدرسة على طلبة العلم، وشاء قدره أن يتوفي في بريدة من نواحي نجد وهو في طريقه عائداً من رحلة حجه. تليها دراسة عن مثقف بغدادي، هو خليل ونّة، غادر بلاده في رحلة طويلة بلغ بها الأناضول شمالاً وبلاد الجزائر غرباً، وسجل وقائع حياته وخلاصة تجاربه في مخطوطات عثرنا عليها مصادفة في بيت حفيد له في بغداد، تلى ذلك دراسة عن مؤرخ موصلي رائد هو سليمان الصائغ من خلال كتابه (تاريخ الموصل)، مع اهتمام خاص ببيان منهجه في كتابة التاريخ. وتتناول الدراسة التالية السيرة الأدبية والعلمية لأديب شاعر طبيب، هو محمد أمين بك آل ياسين المفتي، معتمدين على معطيات ديوانه المخطوط، وكتاب مهم ألفه في الطب، وهو مخطوط أيضاً. وتخرج الدراسات

الأخيرتان في هذا المحور عن نطاق العراق الى بلاد الشام، فتناولت أولاهما التكوين الاجتماعي والاتجاهات العلمية لعلماء بيت المقدس في القرن السابع عشر في ضوء تحليل سيرهم ومؤلفاتهم، بينما بحث آخرهما في سيرة راهب شاعر، من خلال إعادة ترتيب قصائد ديوانه على الطريقة الحولية، ونعتقد أنه يمكن اعتماد هذه الطريقة في الكشف عن مكنونات سير الشعراء بل وتصحيح ما أورده معاصروهم الى حد كبير.

ويختص المحور الرابع بأدب الرحلات، من خلال سبع دراسات مختلفة الموضوعات، فالأولى تناولت رحلة قام بها رحالة تركي، عرف بمطراقي زاده، كان في حملة السلطان سليمان القانوني على العراق سنة 1534، وتتمثل أهمية هذه الرحلة في أنها احتوت على عدد من الرسوم الملونة الدقيقة للمعالم التي مر بها هذا الرحالة الفنان، منها صورتان لجانبين مدينة بغداد، فعمدت الدراسة الى تحليل هاتين الصورتين تحليلاً خطياً يفيد في تقديم معلومات غير معروفة عن معالم المدينة في ذلك العصر الذي عزت فيه المصادر. وتناولت الدراسة الثانية رحلة قام بها أحد قضاة الموصل وعلماؤها الى ديار بكر، وهي رحلة لما تزل حبيسة مخطوطة غير معروفة للباحثين، وهكذا الامر في الدراسة التالية فإنها تناولت رحلة مخطوطة قام بها عالم بغدادي الى القسطنطينية في اواخر القرن التاسع عشر، ووصف في خلالها ما مرَّ به من المدن والنواحي، وتتجلى أهمية هذه الرحلة في تسجيلها التحولات التي جرت على الطرق المؤدية من بغداد الى العاصمة العثمانية. واستعرضت الدراسة التالية، وهي الرابعة في هذا المحور، رحلة قام بها مسؤول عثماني، هو عالي بك، الى بغداد مقدماً صورة مهمة عن أحوالها العمرانية والاجتماعية في أواخر ذلك القرن أيضاً، وذلك من خلال ترجمة مخطوطة لم تُعرف. وتناولت الدراسة الخامسة رحلتين شيقتين قام بها رحالة دمشقي نابه هو فضل الله المحبي، قصد في أولاهما بلاد الاناضول وصولاً الى القسطنطينية حيث وصف مراحل الطريق إليها وصفاً جميلاً ينم عن دقة في الملاحظة، وقصد في الثانية مصر، فنزل القاهرة ليسجل مشاهداته عن هذه المدينة، وليترجم لمن التقى به من علمائها. وتناولت الدراسة التالية رحلة قام بها مثقف مقدسي غير معروف، هو عبد القادر آل أبي السعود، من نابلس الى القسطنطينية سنة 1841 وصف

فيها مراحل الطريق فضلاً عن مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في العاصمة العثمانية مما سجله في رحلته بدقة ملحوظة وعبارة موضحة. وتأتي الدراسة السابعة لتتناول أهمية كتب الرحلات العربية بحسبانها مصدرها أساسياً للبحث في العمارة العثمانية في بلاد الشام إبان العصر العثماني، من المساجد والمدارس والمشاهد والخانات والحمامات والقلاع وغير ذلك. أما الدراسة الثامنة فاختصت برحلة أول شرقي، هو الياس الموصللي، إلى القارة الأمريكية سنة 1668، وذلك من خلال تحليل ألفاظ هذه الرحلة وما ورد فيها من مصطلحات دخيلة وعامية انفردت بها. ومثلها الدراسة الأخيرة، فإنها تناولت رحلة أخرى قام بها موصللي نابه، هو خدر الكلداني، إلى روما سنة 1724، وأقام فيها حتى وفاته سنة 1751، وقد ورد في رحلته العديد من تلك الألفاظ والمصطلحات، وبعضها فريد ومبتكر، مما كان موضوعاً للدرس والتحليل.

أما المحاور الثلاثة المتبقية فقد أجلنا نشرها إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب.

والله تعالى من وراء القصد.

عماد عبد السلام رؤوف

11 تشرين الثاني 2016

من هو المؤرخ؟

1- بذل المؤرخون وفلاسفة التاريخ، منذ أن عرف الإنسان كتابة التاريخ، جهوداً جمة في مجال تعريف (التاريخ) وتوضيح حدوده، و تعيين هويته ووظيفته، ومع ذلك فإن جهداً مماثلاً لم يبذل في تعريف (المؤرخ) نفسه، وهو الكاتب للتاريخ. من هو، ما صفاته، ما تميزه، ما هي الاستعدادات الواجب توفرها فيه قبل أن يكون مؤرخاً. مع أن التاريخ بوصفه علماً هو نتاج عمل المؤرخ، وثمره جهده. ومما زاد هذه الإشكالية إشكالاً أن مصطلح (المؤرخ) أي رجل التاريخ ينصرف إلى معنيين لا معنى واحد، أولهما أنه من يقوم بتسجيل الحدث ساعة وقوعه، والثاني من يكتب التاريخ مستنداً إلى شهادات أولئك (المُسجّلين). ولا يتسع تعريف المؤرخ للمعنيين معاً. فالمؤرخ بمعنى (المُسجّل للتاريخ) هو شاهد عيان لا أقل ولا أكثر، يكتب شهادته عما رآه أو سمع به ويمضي، والمؤرخ بالمعنى الآخر هو باحث في شهادات غيره، لا يحق له أن تكون له شهادته بين الشهود، فهو قاض يقضي مستنداً إلى ما بين يديه من شهادات، ولا يحق له أن يترك منصبه فيفقد حيده حين يدلي بشهادته مثل سائر الشهود، ولو فعل لما أصبح قاض أصلاً، أو بمعنى آخر لا يصبح مؤرخاً بذلك المعنى الذي ذكرنا.

2- إن اتساع مصطلح المؤرخ ليشمل نوعين من المؤرخين يختلف دور كل منهما عن الآخر، من شأنه أن يخلط بين الدورين خلطاً عجيباً، من ذلك أن جميع من كتب عن علم التاريخ حدد مواصفات المؤرخ (الشاهد) على نحو لا يمكن أن ينطبق إلا على المؤرخ (الباحث)، دون غيره، فهم يطلبون منه أن يكون محايداً حيدة مطلقاً تجاه الحدث الذي جرى تسجيله، نزيهاً عن الغرض، سليماً في حواسه وفي ميوله، ودقيقاً في وصفه، متحلياً بخلق عال قد لا يوجد إلا في الأنبياء والندرة النادرة من أهل التقى والصلاح، وهذه الأوصاف لا يمكن أن تنطبق على الشاهد ولا ينبغي أن تنطبق عليه، لأنهم يتناسون أنه قبل أن يكون شاهداً هو مجرد إنسان انفعلي يحدث يعنيه فسجله، ولو لم ينفعل به لما سجله أصلاً، والانفعال يعني ضمناً التحيز لطرف أو لأطراف فاعلة للحدث، وأن يتأثر بها وبموقفها، بل أن يكون

مشاركاً في صنع الحدث نفسه، فالتاريخ علم الإنسان، أو علم ماضي الإنسان، وكل منهما نتاج لانعكاس صورة الآخر عليه، فلا يمكن أن يكون الشاهد قاضياً محايداً بأية حال ولا يكون خارج إطار إنسانيته وهو مُحال.

3- أما المؤرخ الباحث في التاريخ، فهو قاضٍ يقف خارج الحدث بمسافة زمنية تقيه من مَغَبَّة التحيز إلى أي من أطراف الحدث، وهو كالقاضي عليه أن يترجّل عن منصة القضاء إن وجد نفسه، أو وجده الناس، متحيزاً غير مُنَزَّه في متابعة القضية المطروحة أمامه، وعلى خلاف ما أبيض للشاهد، فإن القاضي، أو الباحث هنا، باحث عن الحقيقة، فهو الذي عليه أن يُطالب بالحيدة والنزاهة والصدق إلى غير ذلك من صفات القضاة الحميدة. إنه يستقصي شهادات الشهود، أصحاب الروايات المعروضة أمامه، يقارن بينها، ويتأمل جزئياتها ببرودة أعصاب، ليتوصل إلى الحقيقة، فلا يختلف عمله هنا عن عمل القاضي إلا بفارق واحد، وهو أنه يتعامل مع شهادات مات أصحابها، فلم يعد ممكناً مراجعتهم فيما شهدوا به، ولكنه مع ذلك قادر على أن يتفحصها ويتعرف على ما هو صحيح أو أقرب إلى الصحة منها، أو نبذها أحياناً، إن اتبع في ذلك قواعد علم التاريخ، أو ما سُمِّي منهج البحث التاريخي. وهو مثل القاضي يستطيع أن يفتح ملف أي قضية تاريخية إذا توفرت له من الوثائق والمصادر الجديدة ما من شأنه أن يغير نتائج الأحكام، أو القناعات السابقة.

4- الباحث في التاريخ، بعد رحيل الشهود، هو ما نحتاج إلى التعرف على هويته، وخصائصه، وملكاته الموهوبة، أو استعداداته الفطرية، لأنه هو الذي يقرر الأحكام، وحين يقال: أن فلانا أو فلانا هو في ذمة التاريخ، فالمقصود أنه في ذمة القضية التي ينظرها المؤرخون بعد حين لا نعرفه، فيستتقون الشهادات، ويقارنون بينها، ويستعينون بقواعد العلم علَّهم أن يصلوا إلى ما يقرب من حقيقة ما حدث فعلاً. ومن المؤكد أن رجلاً يتولى هذه المهمة لا بد أن تجتمع فيه من الخصائص والمواهب والاستعدادات ما يستحق البحث، وهو ما نعتقد أنه ما زال في حاجة إلى مزيد من الجهد، يساوي الجهد الذي بذل في درس التاريخ نفسه.

5- من هو هذا المؤرخ إذن، انه في نظرنا ليس رجلاً درس التاريخ، أو حتى قضى عمره في دراسته، وكفى، إنما هو رجل ملك من الاستعدادات النفسية ما

جعله مؤهلاً للكشف عن خفاياه، وتقرير أحكامه. إن المؤرخ هنا (تكوين خاص) لا يشبهه فيه أحد من أولي الاختصاصات الأخرى، وإن هذا التكوين في أساسه فطري، موجود فيه قبل أن يتجه إلى درس التاريخ على أي مستوى من مستويات الدرس. وأتذكر أن أحدهم سأل استاذَه: ماذا أفعل لأكون مؤرخاً، فقال له ذلك الأستاذ: عليك بقراءة كذا وكذا من كتب المؤرخين، مع أننا نعلم أن السائل لو فعل ذلك، وقرأ كل كتب المؤرخين السالفين ما صنع ذلك منه مؤرخاً بأي حال، وكان الأولى بالأستاذ أن يسأله قبل كل شيء: وهل تملك استعداداً فطرياً لكي تكون مؤرخاً؟ هذا حتى يجنبه تضييع وقته وتبديد جهده في قراءة الأسفار المطولة دون جدوى.

6- إن أول هذه الاستعدادات أو المواهب أن يكون الباحث في التاريخ ذا رؤية أو بصيرة نافذة، قادرة على النفاذ إلى الماضي، فالتاريخ ليس إلا علم دراسة الماضي، ومن يعجز عن تحقيق ذلك النفاذ لن يكون مؤرخاً مهماً فعل، انه يستطيع أن يجمع الروايات التاريخية، أو شهادات الشهود، في بحث أو كتاب لكنه لن يتجاوز ذلك الجمع إلى فهم ما وراءه، ومن ثم لا يستطيع التوصل إلى أي قناعة أو تقرير أي حكم. وبالطبع فإن المؤرخ، كسائر البشر، محدود بزمانه، فتجاوزه حدود زمانه إلى زمان مضى، ليتصوره ويتخيله، لا بد له من قدرات فائقة لا تتوفر لدى غيره من الناس.

7- ربما كانت كلمة (الماضي) توحى بمضي الحادثة الماضية (والحادثة هي الوحدة الصغرى في التاريخ) فمضي الشيء ذهابه وزواله، ولكن الماضي من الحوادث لا يذهب ولا يزول، مهما باعدت المسافة الزمنية بيننا وبينه، إنما هو يتوارى وراء الواقع من الحوادث الحاضرة، والتي تتراكم عليه لحظة بلحظة حتى لا يعود يُرى، والماضي لا يمضي وإنما يبقى حاضراً من خلال ما يعقبه من حوادث، بمعنى أنه يعطينا شكلنا وسلوكنا بل ويحدد اتجاهات مستقبلنا، ذلك أنه كامنٌ فينا، بل كامنٌ في كل شيء حولنا، لا تحجبه عنا إلا قشرة رقيقة من (الحاضر) فالحاضر لا يكون حاضراً لو لم يستند إلى ماضٍ، وهذا الحاضر نفسه سيكون (ماضياً) في كل لحظة تمر بنا، ومهمة المؤرخ هي إزالة هذه (القشرة) لينفذ بنظره إلى ما تستند إليه من ماضٍ كامن.

8- ليس من فرق إذن بين الماضي والحاضر سوى (لحظة) من زمن، وحتى هذه اللحظة ليست متولدة من داخل التاريخ، أي ليست نتاجاً له، وإنما هي نتيجة الساعة الخارجية للزمن، فالتاريخ بماضيه وحاضره ومستقبله أيضاً، تجربة واحدة لا تنقسم ولا تتجزأ، وهو موجود فاعل مؤثر، حتى لو لم يعد الناس يرونه .

9- يستطيع المؤرخ إذاً أن يرى ما لا يراه الآخرون، لأن أي قشرة من الحاضر لا تعجزه عن إنفاذ بصيرته إلى ما وراءها، قُرب ما وراءها عنه أو بُعد. وربما قال بعضهم أن أي انسان يستطيع أن يفعل ذلك إذا أحاط علماً جيداً بالماضي، عن طريق استقصاء (شهادات) الماضين ودراستها على وفق منهج البحث التاريخي، ونقول أن جزءاً من هذا القول صحيح فعلاً، إذ لا بد للمؤرخ أن يبدأ عمله متبعاً قواعد هذا المنهج، بل لا طريق له سواه، فهذا المنهج قد استقر عبر تجارب المثاب من المؤرخين، ولكن سلوك الطريق لا يؤدي إلى غايته، إلا إذا توفر شيء يختص به المؤرخ ويوجد فيه وحده الاستعداد له.

10- وأول هذه الاستعدادات أن يكون ذا خيالٍ واسع، وقد تصدم هذه الكلمة القارئ، لتصوره أن انضباط المؤرخ بالنص، أي شهادات الشهود التي بين يديه، يتقاطع مع انطلاقة الخيال، ولكنه هنا خيال منضبط تماماً، خيال مختلف عن الخيال السائب، لأنه لا ينطلق إلا بعد استنفاد منهج البحث قواعده، من درس دقيق لكل تفاصيل الحدث، فينطلق ليرى الحياة قد دبّت في الصورة الجامدة للماضي مما توصل إليه عبر ذلك المنهج، وإن لم ير مؤرخ الحياة وهي تتحرك في شخوص الماضي، لن يستطيع أن يرى الماضي وهو يتحرك، ومن ثم يبقى ما جمعه مجرد معلومات، حتى لو كانت صحيحة في ذواتها، لكنها تفتقر إلى اللُحمة، أو العلاقات، التي تصل بينها وبين بعضها لتكون صورة مُفعمّة بالحياة قابلة لوصفها وتسجيلها. الحياة إذن هي الغاية التي يسعى المؤرخ لإدراكها في الصورة التي يتوصل إليها من خلال اتباعه المنهج، ولكن هذا المُدرَك يبقى بعيداً لأن هذه (الحياة) أمر لا يمكن أن يُدرَك إلا بقوة خيال نافذ ينطلق إلى نص لا حس فيه فتتمثل شخوصه أحياء يتحابون ويكرهون، يتعاونون ويتباغضون، وتحركهم سائر النوازع الإنسانية، فيفهم حين ذاك مبررات أفعالهم وردود أفعالهم، بل وسلوكهم كله، فيؤدي به هذا إلى فهم حركة التاريخ، أو إن شئت: روح التاريخ لا قشرته. وإذا

كان الخيال ضرب من (الخلق) كما قال بعض الصوفية المسلمين، فإن المؤرخ بتخيله للماضي يقوم بإعادة (خلق) شخصه، وظروفه، وعلاقاته، لأنه لو لم يفعل، لايمكنه أن يرى، وأن يصف ما يراه. وكلما تمتع مؤرخ بخيال أكثر قوة وتركيزاً، أصبح أكثر قدرة على رؤية موضوع درسه، فيكتب عنه وكأنه حاضر أمامه، وبذا يستطيع أن ينقل صورته إلى قرائه، وإن لم يفعل تلاشت هذه الصورة، أو بدت باهتة في أحسن تقدير، لأنها ستكون مفتقرة إلى الحياة نفسها، وبتعبير آخر لا روح فيها. وإذا كانت الطائرات لا تقلع إلا بعد أن تستنفذ آخر متر في (مدرجاتها) ثم تنطلق محلقة بعده، فكذلك هو المؤرخ، إنه يستنفذ قواعد المنهج كله حتى آخر قاعدة فيه، فيجمع ويقارن وينقد ويحلل ويجتهد ويستنتج ويصوغ، ثم يجلس ليتأمل بهدوء ما فعله، فإذا ما حلق عالياً، انقشعت أمام بصيرته حُجب الزمن، فيرى ما درسه وهو مائل أمامه، ولا يكون ذلك إلا بقدرة هائلة على البصر، وذلك ما يتمتع المؤرخ به دون الناس جميعاً.

11- فإذا ما تراءى له الماضي حياً متحركاً أمامه، أمكنه أن يتجاوز مجرد (الرؤية) إلى (الإحساس) بهذا المرئي. وهذا بدوره موهبة، أو استعداد آخر يختص به، إذ كيف يمكن لإنسان حاضر أن (يَحس) بماضٍ يبدو أنه قضى، ما لم تتوضح صورته أمامه حتى تبدو وكأنها تتنفس الحياة. فالمؤرخ له قدرة على الاحساس بالأموات وكأنهم أحياء أمامه، لسبب بسيط، هو أنه تجاوز موتهم إلى حياتهم، فالفرق بين الحياة والموت عنده فارق ضئيل لا يكاد يُحس، وهو حين يدرس شخصية قائد أو عالم أو مجرم أو انسان عادي، مات منذ عشرات، أو مئات السنين، فإن صورة هذا الإنسان تنهض (حية) أمامه وكأنه قد عاش معه، أو كأنه لم يفارق الحياة إلا قبل دقائق أو ساعات، وبمعنى آخر تلاشت أمامه حُجب الزمن ليرى ما وراءها من حياة دافقة، وحينئذ فقط يستطيع أن يفهم ذلك الإنسان على نحو قريب من حقيقته، وما اتصل به من حوادث على نحو أقرب إلى ما جرى. فنحن لا نتصور أن يفهم مؤرخ إنساناً أو حدثاً ما لم يكن قد حقق نوعاً من الرؤية له، تصل أحياناً إلى حد (الحس) به، فإذا كتب عن الحياة في مدينة بغداد مثلاً في العصر العباسي، توضحت له، بعد درس دقيق وتأمل نافذ، دروبها وقصورها ومساجدها ومدارسها، وأحس بحركة الناس يسعون بين معالمها، وسمع أصوات

الخلفاء في قصورهم ومحافلهم، والعلماء في مدارسهم ومجالسهم، بل والباعة في اسواقهم، وإذا كتب عن القاهرة في عهد المماليك، توضحت له هذه المدينة بخططها وحراراتها وأبوابها وأسواقها، وتجلى أمام ناظره المماليك وهم يمتطون شامخين صهوات جيادهم، وتلامعت أمامه زينات أزيائهم الفخمة، ووصل إلى سمعه أصوات سنابك الخيل وهي تضرب على أديم المدينة، وتراءت له في الوقت نفسه فئات من طبقات السكان الأخرى، تجاراً وعلماء وصناعاً وشحاذين، يتحدثون ويتجولون ويمارسون حياتهم العادية، فر (يتجلى) أو (يتمثل) شيء مما أحس به من هذا كله في بحثه، وإلا سيكون ما يكتبه اثباتاً لنصوص جامدة لا حياة فيها، ومن ثم تبقى ناقصة لأنها تفتقر للحياة.

12- وإذا كان للمؤرخ قدرة على الاقتراب من الصورة التاريخية إلى هذا الحد، فإن له قدرة عجيبة على أن يبقى بعيداً عن تلك الصورة لئلا يصل به القرب إلى حد الاندماج بها، فيكون طرفاً فيها، وهذا ما يمكن أن يتحقق لدى القارئ العادي، فالخيال قد يؤدي بهذا القاري، الخالي من الاستعداد الفطري للمؤرخ، إلى أن يسقط عصباً رآه بخياله وحسّه على العصر الحاضر الذي يعيش فيه، عاداً نفسه أحد الموجودين في ذلك العصر، تاركاً لنفسه أن تتشرب قيمه ومفاهيمه وربما شكله ومظهره، فتراه يتحمس لما انحاز إليه تحمساً هائلاً، ويعادي من لم يجد نفسه منحازاً إليه، نظير ما صوره لنا الأديب الإسباني سرفانتس في رائعته (دون كيخوته)، وهذا ما نسميه (إسقاطاً)، وهو ليس إلا سوء فهم قبيح للماضي، حتى لو حقق شيئاً من الاقتراب منه. أما المؤرخ فهو وإن كان قادراً على النفاذ إلى ذلك العصر والاقتراب منه والإحساس به كما مر بنا من قبل، لكنه، وهذا استعداد آخر فيه، قادر على ضبط المسافة بينه وبين موضوع درسه، أي أن لا يصبح جزءاً من الصورة التاريخية. إنه يرى الصورة بوضوح، ويحس بها مفعمة بالحياة، لكنه لا يستطيع أن يكون مجرد جزء منها، أو طرف فيها، لسبب واحد، هو أنه لو أصبح جزءاً منها لما استطاع أن يرى إلا ما أمامه من جزء، ولانحاز إلى هذا الطرف أو ذاك، فيفقد قدرته على الإحاطة بالعلاقات التي تصل بين سائر أجزائها، ومن ثم رؤية الصورة رؤية شاملة محيطية بخطوطها وكتلتها وألوانها كما يقول التشكيليون، انه سيرى لوناً دون سائر الألوان، وخطاً بعيداً عما يشترك به

من خطوط، وكتلة لا صلة بها بما يتداخل معها من كتل، وسيُحرم -من ثم- من فهم الصورة كلها او جزءاً منها .

13- وإذا كانت المسألة تبدو معقدة، وربما مستحيلة، لدى الناس العاديين، فإنها ليست كذلك لدى المؤرخ، لأنه كالقاضي يستطيع أن يحقق اقتراباً متفهماً من كل من يمثل أمام منصفته من المتهمين والشهود، وفي الوقت ذاته في وسعه أن يحتفظ بنفسه بعيداً عن الانحياز إلى أي طرف مائل أمامه. على ان المؤرخ فوق هذا قادر على أن يfokus في الصورة التاريخية فتعيش فيه ويعيش هو فيها في نوع من اتحاد صوفي، وفي الوقت نفسه، تجده يخلق فوقها بارتفاع يمكنه من الاحتفاظ برؤية واضحة ومستوعبة للصورة بكل أبعادها، انه يختزل هنا المسافة بين القرب والبعد، ولا يشبهه في ذلك إلا الفنان التشكيلي، فهو حين يرسم لوحة تجده يعيش في تفاصيلها يكاد يلتصق بها، وتعيش هي في وجدانه قريبة من أعماقه، أو مُعبّرة عنها، وهو في الوقت نفسه تجده يقف بين حين وآخر بعيداً عنها ليتأمل ملامحها وليكتشف العلاقة بين مكوناتها من خط وكتلة ولون، وإذا كان ثمة فرق بين صنيع التشكيلي والمؤرخ، فهو أن المؤرخ لا يحتاج إلى أن يغادر موقعه بين حين وآخر، قريباً وبعيداً، وإنما هو يعيش اللحظتين معاً، فهو قريب ، وهو بعيد، في آن واحد . وعلى سبيل المثال فإنه لو كان يبحث في تاريخ الأحزاب في بلد ما، ووجد نفسه ميالاً إلى أحد هذه الأحزاب، فَقَدْ حيدته، لأنه لم يعد يرى إلا هذا الحزب الذي انتمى إليه في وجدانه. وللمؤرخ استعداد لأن يختزل المسافة بين الذات والموضوع، فهو يمكن أن يكون ذاتياً وموضوعياً في آن واحد، ذاتياً في قدرته على استبطان الموضوع من داخله، ليكون أقرب فهماً له، وموضوعياً في قدرته على رؤية الذات من خارجها ليتبين علاقاتها مع الذوات الأخرى، وبحسب قدرة المؤرخين على اختزال المسافة بين الأمرين، تتباين مُكنتهم في كتابة التاريخ جودة وضعفاً .

14- ولا يمكن للمؤرخ إلا أن يكون هادئاً بطبعه، بعيداً عن الإنفعال، وهذا الهدوء هو في حقيقته استعداد آخر في شخصيته لدرس التاريخ، وفي اتخاذ أحكامه، وفي فهمه للجزئيات التي تتجمع أمامه، فالتاريخ علم انساني، ومجرد فهمه يعني أن على المؤرخ أن يكون قريباً من تجربة الناس الذين يكتب عنهم، فهذا القرب شرط لاحترامه إياهم، والاحترام بدوره شرط لتفهم سلوكهم في الماضي،

ومن ثم كتابة تاريخهم. وكما أن القضاة يتفهمون السلوك الذي أدى بالمدنب ليرتكب ما ارتكبه، فإن المؤرخ يتفهم ببسر ملحوظ سلوك شعب في لحظة من تاريخه بما أدى به إلى نصر محقق أو هزيمة منكرة. فلو كتب مؤرخ تاريخ الصين مثلا كان عليه أن يدرس البوذية والكونفوشيوسية لأنه دون فهم هاتين الديانتين لا يمكن أن يحقق اقترابا من سلوكيات الإنسان الصيني في الماضي، وهكذا الحال إذا درس اي شعب في العالم. على أن استعداده كمؤرخ يأبى عليه أن يكون طرفاً، ضد أو مع، هاتين الديانتين، فاقترابه هذا لا يعني أن يكون له موقف شخصي من أتباع هذه الديانة، وذلك الشعب، وإنما مجرد فهم أعمق لسلوك كل منهما. ولذلك كان المؤرخ بطبيعته بعيداً عن التحيز، والتطرف، وهو أميل إلى الهدوء في اتخاذ الأحكام، والالتزان في تكوين القناعات، وقد ينسحب هذا الهدوء والالتزان على سلوكه في حياته كما ذكرنا. ربما كان الإعلاميون والسياسيون أكثر الناس انفعالا في أحكامهم، لأنهم يعيشون في الحاضر وحده، بأزماته وحروبه وصراعاته ومشاكله، إلا أن المؤرخين هم أهدأهم، وأبعدهم عن التعصب، فهم لا يبحثون في الحدث وقت حدوثه، ومن ثم لا ينفعلون، ولا يتأثرون، وإنما يصبرون عليه حتى إذا ما برد تماماً، ولم يعد له تأثير على حاضرهم، تناولوه بالبحث بأيدٍ هادئة، وتدبروه على وفق منهج علمي محدد، ثم مضوا في تأمله بهدوء أيضا للتنفاذ إلى حقيقة ما حدث لا أكثر ولا أقل. فالإنسان العصابي أو الانفعالي لا يمكن أن يكون مؤرخا بأي حال.

15- وعلى الرغم من الهدوء الذي يتحلى به المؤرخ، إلا أنه ميال إلى الشك فطرة فيما يقرأ ويسمع، فهو بخلاف كثيرين لا يميل إلى تصديق كل رواية، والأخذ بكل نص. والشك بوجه عام يسعده، لأنه سبيله إلى احساسه بذاته أولاً، فنقته بذاته لا تتحقق إلا بنقص ثقته بما يرويهِ الآخرون، مما يشكل دافعا اساسيا لنقده مصادره، فهو لا يتورع عن اتهام شاهد بالكذب، أو التزوير، أو الجهل، وهذا ما سماه المعنيون بمنهج البحث بالنقد التاريخي، وصحيح أن مصطلح النقد ظهر في الدراسات التاريخية قبل قرنين، ووصل إلى بلادنا في مطلع القرن الماضي فقط، إلا أن النقد نفسه كان موجودا منذ أن بدأت كتابة التاريخ، أخذ به المؤرخون عمليا في كتاباتهم في كل العصور، ودليلنا على ذلك أن اقتصارهم على تسجيل روايات

بذاتها كان لثقتهم برواتها، ويعني هذا أنهم تركوا غيرها مما لم يثقوا به وبرواته، فلا يكون المؤرخ مؤرخاً ما لم يكن يملك من الجرأة ما يدفعه إلى طرح رواية لشكه بقائلها، أو أن ينتخب منها ما يراه صدقاً ويلقي ما عداه لقلّة ثقته بذلك. ونعتقد أن النقد يمثل أحد الاستعدادات الفطرية لدى المؤرخ، فما أن تروي رواية إلا فاجأك بسؤال يعلن فيه عن شكه، مثل: ومن قال لك ذلك؟ وكيف لك أن تعرف ذلك، فالشك مجبول في طبيعته، وهو يمارسه في عمله طالما أن عمله سينتهي إلى اصدار أحكام، وتوصل إلى قناعات.

16- ونظراً لأن المؤرخ يميل إلى الهدوء والحيدة في أحكامه، فهو كالصوفي لا يفرحه ولا يحزنه ما جرى أمامه من حوادث الماضي، ولا تهمة النتائج إلا بوصفها مقدمات لنتائج أخرى تبني عليها. إنما تكمن سعادته بتتبعه حركة التاريخ بحد ذاتها، وربما اعتراه وهو يتابع هذه الحركة، اقتراباً تارة، وبعداً وتحليفاً تارة أخرى، تسارعاً مرة وتباطؤاً مرة غيرها، ما يشبه حالة من الوجد الصوفي، حالة استغراق ممتع، يقطعها عما حوله من حاضر. وهو في ذلك يشبه المتابع لفيلم يشاهده، يستهويه ويبهره، بغض النظر عما في الفيلم من مشاهد تدعو إلى الفرح أو إلى الألم. إنها نشوة نادرة ربما لا يحسها إلا المؤرخ وحده، وهذه النشوة هي المكافأة السخية التي يحصل عليها لما يبذله من جهد مضمّن في مجال عمله الذهني.

17- والمؤرخ لا يكتفي بأن (يرى) الماضي المختبئ وراء قشرة الحاضر فحسب، وإنما هو يسعى- سعيداً- إلى إشراك قارئه بهذه الرؤية، بتقديم ما رآه على هيئة (صورة) يمكن أن يراها أي قارئ، ولهذا فهو هنا يمتلك استعداداً خاصاً لأن يكون (تشكيلياً)، بغض النظر عن طبيعة ما يشكله، فهو قادر على أن يعيد تشكيل شخوص الماضي، بل الماضي نفسه، دون أن يتعارض هذا مع تقييده بمنهج البحث التاريخي، بل ينسجم معه إلى حد بعيد، لأننا ما دمنا كنا نتحدث عن صورة تاريخية، فإن هذه الصورة لا تتكون إلا بإعادة تشكيل الشخوص المكونة لها، والفارق الوحيد بين عمل الفنان التشكيلي وعمل المؤرخ، أن الأول يرتب ألوانه على لوحة خاصة بيده ويشعر بمزج الألوان على النحو الذي يريد أن تظهر فيها الصورة الفنية التي يرسم، أما المؤرخ فإنه يمزج بين الحقائق التي دله عليها منهج البحث، أي يكتشف العلاقات بينها، ليشكل منها الصورة التاريخية التي يكتب.

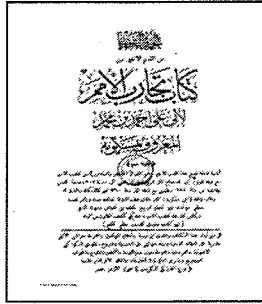
فهذا المؤرخ لا يملك استعداداً فطرياً لأن يكتشف العلاقات المركبة بين مكونات الماضي، فحسب، لكنه يمتلك استعداداً آخر ليعيد تشكيل هذه المكونات بجرأة الفنان وهو يضرب بفرشاته على قماش لوحته متوخياً إن تأتي الصورة على وفق رؤيته للواقع الذي يراه، بأي صورة من صور الرؤية. فالجرأة في (التشكيل) تمثل واحداً من أهم استعدادات المؤرخ الفطرية، ومن دونها لا يستطيع أن يشرك الآخرين، وهم قراؤه، في رؤية ما يراه هو، وما يحسه. ومن هنا فإنه يمتلك استعداداً كامناً لتصوير أكثر من بداية للحدث، وأكثر من نهاية، وأكثر من مسار واحد، وبذا فإنه يمتلك قدرة على إعادة تشكيل الصورة التاريخية الواحدة غير مرة، وهو هنا يقرب من أن يكون كاتب سيناريوهات عدة لقصة واحدة، وهو يقدم في النهاية لقرائه السيناريو الأكثر اقناعاً بأنه القريب مما حدث فعلاً.

18- وبالطبع، ليس كل انسان له استعدادات مما ذكرنا، هو بالضرورة مؤرخ، ولكن بدونها لا يصبح الإنسان مؤرخاً، ولا يتفاضل المؤرخون إلا بها. وعلى الإنسان أولاً أن يكتشفها في نفسه قبل أن يفكر بأن يكون مختصاً بهذا النوع من الدراسة.

رؤية في كتابة التاريخ تحضير التجربة التاريخية!

فرض التاريخ نفسه في العصر الحديث علماً بما له من مناهج وطرائق بحث وشروط محدودة استقامت بعد جهود وافرة بذلها علماءؤه ونظريات استنبطها مؤرخون وفلاسفة إبان القرنين الأخيرين بخاصة، أي أنه استوى علماً بما له من وسائل في تقصي أحداثه وتفسيرها، دون أن يكافئ ذلك تفسير للنشاط العقلي للمؤرخ الذي يتولى عملية تفسير الأحداث نفسها.

ونتيجة لضعف تحليل ذلك النشاط او (العملية الذهنية) التي يقوم بها المؤرخ، عدّ مؤرخون وباحثون عديدون التاريخ ضرباً من الأدب، او الفن، أو مجرد (معرفة) لا علوم منضبطة بقواعد وحدود، مستندين الى استحالة (تجريب) الحدث التاريخي، لاختلاف العوامل الناجم عن تطور المجتمع الانساني الدائم، وحتى الذين عدّوه (علماً) استندوا في ذلك الى ما له من مناهج مستقرة نسبياً في التواصل الى الحقيقة، مع علمهم باستحالة التجربة في التاريخ أيضاً.



ومع ان استخدام لفظة (التجربة) في التاريخ القديم، سبق اليه ابن مسكويه في القرن الرابع الهجري، إلا أن اللفظ ظل تعبيراً مجازياً أو اخلاقياً في أقصى حد، فالتجربة هي من مصطلحات العلوم البحتة، وهي تفاعل بين أشياء لها خصائصها النوعية، سواء أكانت عناصر كيميائية، أم أرقاماً رياضية، وهي لذلك ممكنة في كل زمان ومكان، فإمكان حدوثها (مطلق)، أما التاريخ فلا يبدو كذلك لأن التجربة فيه، اي اعادة تشكيل احداثه، مستحيلة بسبب أن عوامل تلك الأحداث تتغير بسرعة هائلة، فلا يمكن استخدامها في (تحضير) التجربة نفسها، فالحدث

التاريخي - كما يبدو- محدود بزمان ومكان معينين، أي أنه نسبي خلافاً لما هو الحال في التجربة الكيميائية والعملية الرياضية مثلاً.

إن إثبات مطلقية الحدث شرط أساس لإمكان التجربة التاريخية، وبديهي أن ذلك يعني تجاوزه حدود زمانه ومكانه، فإذا قلنا بأن هذه الورقة محدودة مكاناً، فلا يعنيها أن نبحث عنها خارج حدودها المكانية، وكذا إذا كانت محددة زماناً فلا يعنيها أن نبحث عن وجودها قبل تاريخ صنعها أو بعد إتلافها مثلاً، فهل ينطبق هذا على الحادث التاريخي؟ أي هل يعطينا علمنا بأن حادثاً ما حدث في سنة محددة، من أن نبحث في عوامل هذا الحادث قبل ذلك التاريخ بمدة أو مدد قصيرة أو بعيدة؟ الجواب: لا طبعاً، لأنه يستحيل على الساعي لفهم حدث ما، أن يضع خطأً زمنياً بداية لبحثه في عوامل ذلك الحدث، والأفأين هو الخط الزمني الذي نبدأ منه البحث في عوامل حدث معين، كاحتلال المغول بغداد سنة 656 هـ .

وإذا تركنا جانباً الطريقة الآلية المدرسية في حصر العوامل وتعدادها، فهل يكفي، لفهمنا، أن نبتديء في بحثنا من الخمسين سنة الأخيرة التي سبقت الاحتلال؟، أليس الحادث إلا لحظة في سياق تدهور مستمر معقد شمل جميع مرافق الدولة والمجتمع منذ عهود بعيدة، أدى الخلفاء والسلاجقة والبيهيون والترك والفرس وغيرهم (بسياق تراجع) أدواراً مختلفة أدت إليه؟ وربما بدأت بذوره خفية منذ عهد القوة والأزدهار؟. ومن ناحية أخرى، هل انتهت آثار هذا الحادث؟ ومتى انتهت، ألم يكن هو نفسه لحظة من سياق تدهور تلام، وأدى المغول والصفويون والعثمانيون والبريطانيون ادواراً مختلفة نتجت عنه؟. ومن حيث المكان، هل قفز المغول ليحتلوا بغداد سنة 656 هـ، أم أن هذا الحادث جاء استمراراً لتداعٍ مكاني (كتساقط قطع الدومينو إن وضعت الواحدة تلو الأخرى، ودُفعت) شمل مساحات شاسعة من الأرض، وربما كان مركز دفعها أواسط اسيا أو الصين وامتد ليشمل مناطق المشرق الاسلامي كله ليمر في لحظة زمنية بالعراق، مسقطاً بغداد بيد المغول في ذلك التاريخ؟.

وإذا قيل أن هذه عوامل، وليست الحدث نفسه، فهل يستطيع المؤرخ ان يفصل بين الحدث (النتيجة) وعوامله (الأسباب) اذا ما توخى فهمه والاقتراب منه . إن العوامل جزءٌ مندمج بالحدث نفسه، وليس الاخير الا مظهر لها، ولقد أفسد اهل المنطق التاريخ حينما صوروه مجرد متوالية من الأسباب والنتائج، فقد أوجدوا فاصلاً

بين طرفي العملية الذهنية للمؤرخ، فهذا سبب وذاك نتيجة له، وقد يكون هذا الفصل صحيحاً في علوم أخرى، لكنه في التاريخ خطأ فادح، إذ ليس في هذا العلم أسباب منفصلة عن نتائج، بل ليس ثم تصنيف لهما، وإنما هناك حركة دائبة هادرة قوامها الانسانية كلها، قد تدق جزئياتها عن العين الفاحصة، فتسميها عوامل أو أسباب، وتخضعها للبحث والتحليل، وقد تظهر بارزة واضحة، فتدعوها احداثاً أو نتائج، وتخصها بالوصف والتحديد. مع ان الجميع يشكل كلا متحركا واحداً، لا يمكن، إن ضربنا صفحاً عن المقاييس المستمدة من العلوم الاخرى، أن نصنف أجزاءها أو نميزها.

التاريخ.. والحادث المطلق

احتلال بغداد اذن لا ينفصل عن عوامله، لأنهما يمثلان كلا واحداً. وعليه فان هذا الاحتلال لم يحدث سنة 656 وحدها، وإنما هو (أخذ يحدث) منذ قرون عديدة لايعرف مبدؤها، و (سيستمر بالحدوث) قروناً اخرى لايعرف منتهاها، فهو اذن حادث (مطلق) لا يحده زمان او مكان محددان.

إن اتخاذ المؤرخ مرحلة، او حادثة، من الماضي لدرسها وتحليلها، لا يعني بحال انها بدأت في تاريخ محدد وانتهت بمثله، وإنما يشبه عمله عمل عالم الطبيعة الذي يفحص جزءاً صغيراً من شجرة ضخمة في مجهره، لا لشيء إلا لأن المجهر لا يسع حجم الشجرة كلها، اي انه (يحدد) الحقبه، لا لأنها نسبية لها حدود. (فالعملية الذهنية) التي يقوم بها لا تتسع للماضي كله، فلا بد له اذن من انتزاع جزء منه واخضاعه لعمليات الدرس والتحليل.

بيد انه مثلما كان فهم عالم الحياة للجزء الخاضع لبحثه، لا قيمة له إلا بإدراكه موقعه من الكل الذي انتزعه منه، فان تحليل المؤرخ الجزء موضوع الدرس لا قيمة له، بل هو مستحيل تماماً، اذا لم يدرك المؤرخ موقعه من السياق العام للتاريخ كله، وكلما ازداد ادراكاً لذلك وتحسساً له، اقترب من حقيقته، الى الحد الذي يصبح فيه جزءاً منه، يعيش في ذهنه، ويصبح المؤرخ نفسه جزءاً منه، يتمثله، ويعيشه ويلتحم به، في نوع من الاتحاد. فتصبح جزئيات المرحلة والحادث مطلقة لانها تجاوزت حاجر الزمن، فاتحدت به، رغم زمانها السحيق، وتعدت حاجر المكان، فاتصلت به رغم مكانها القصي، فاذا ما تم ذلك، اصبحت استعادة الماضي ممكنة على نحو يماثل ما يقوم به الكيميائي حينما يعيد تحضير (التجربة) الكيميائية، والفرق الوحيد ان المؤرخ (يُحضّر) التجربة في ذهنه، بينما يُحضّر الكيميائي تجربته على طاولة مختبره.

تحقيق المخطوطات العلمية

إن الكتب المؤلفة في علم تحقيق المخطوطات استمدت قواعدها، في الغالب، من تجارب مؤلفيها في عالم التحقيق، فإذا كانت هذه التجارب تختص بالمخطوطات الأدبية، جاءت تلك القواعد لتعالج طرق تحقيق هذا النوع من المخطوطات، وهكذا الحال فيممل يتعلق بالمخطوطات الباحثة في حقول المعرفة الأخرى.

صحيح أن ثمة قواعد ثابتة تعد قواسم مشتركة للتحقيق، على اختلاف ضروب الكتب المحققة، من قبيل جمع النسخ المخطوطة، وتحديد النسخة الأم من بينها، ومقابلتها على غيرها، وما إلى ذلك، إلا أن تطبيقات تلك القواعد تختلف - إلى حد ليس بالقليل - بين ضرب وأخر. ومن الملاحظ أن جميع ما أُلّف في قواعد التحقيق، جاء - إلى حد الآن - ليلبي حاجة المحققين في العلوم الأدبية، واللغوية، والتاريخية، والفقهية، وما هو داخل في نطاقها بوجه عام، بيد أن ثمة ضروباً من العلم لما تنزل بحاجة إلى قواعد تراعى خصوصيتها، وتستجيب للاختلافات، وإن كانت يسيرة أحياناً، بينها وبين غيرها من العلوم، وبخاصة العلوم البحتة، مثل الكيمياء، والطبيعة، والحساب، والهندسة، والفلك، والطب، والصيدلة، وعلم الأرض، والحيل (الميكانيك)، والعلوم العسكرية وغيرها. وتبتدئ هذه الاختلافات من مرحلة انتقاء المخطوط، مشروع التحقيق، وحتى آخر مراحل إخراجها للقراء.

وسنحاول فيما يلي أن نأتي - بسرعة - على بيان بعض ما يختص به عمل المحقق لمثل هذه العلوم، وذلك على النحو الآتي:

1- اختيار المخطوط:

ثمة مخطوطات كثيرة جداً في كل مجال من مجالات العلم، فلا بد من تحديد معيار واضح يجري على أسسه اختيار المخطوط الذي سيعنى به المحقق، فإن لم يجد مثل هذا التحديد، ضاعت جهود كبرى في أعمال ضئيلة القيمة، وتبدد وقت طويل فيما لا طائل تحته، ونعتقد أن أسس هذا المعيار في الاختيار هي:

أ- أن يقدم المخطوط إضافة جديدة للمعرفة، كأن يتضمن فكرة أو أفكاراً لم يسبق أن تناولها مؤلف من قبل، أو ألمح إليها عالم في المجال الذي تبحث فيه.

ولا يعنى هذا أن تكون كل أفكار الكتاب جديدة، أو رائدة في بابها، فأمر كهذا بعيد عن التصور، ولا يتوفر إلا في النادر من الكتب، ولكن قد يضم الكتاب فكرة واحدة تستحق، لجدتها، أن يُبذل الجهد في تحقيقه كله، فكتاب (شرح تشريح القانون) لابن النفيس (المتوفى سنة 687هـ/ 1288م) يتألف من خمسة بحوث، لم تلق من اهتمام الأطباء المسلمين ما لقيته مؤلفات طبية أخرى، إلا أن بضعة نصوص منه اثار اهتمام الاطباء المُحدثين إلى الحد الذي جعل اسم ابن النفيس يفرض نفسه على أوساط العلماء في كل مكان، وهذه النصوص هي التي وصفت فيها الدورة الدموية في الرئة، وتقريره بأن عضلات القلب تتغذى من الأوعية المبتوثة في داخلها لا من الدم الموجود في أجوافه، فهذه النصوص على قصرها النسبي جعلت من الكتاب واحداً من أبرز المؤلفات الطبية في العالم.

وكتاب (منافع الأحجار) لعطار الحاسب البغدادي (المتوفى سنة 243هـ/ 857م) أكثر فيه مؤلفه «من العزائم والرقي فاسترذل» على حد تعبير البيروني (الجماهر ص 217) ولكنه مع هذا انفرد بسببين عالميين، هما اكتشافه لخاصية الدسامة Oilness في الحجر، وخاصية الصلادة Hardness فيه، فهذان الاكتشافان يكفيان في تقديرنا أن يكونا مبرراً لتحقيق الكتاب ونشره على الرغم مما اعتور الكتاب من هنات كما تقدم. وكثيرة هي كتب الكيمياء التي خصصت معظم فصولها لوصف طرق موهومة لتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب أو فضة، وليس في هذا جدّة بالطبع، إلا أن المهم فيها يكمن في جوانب، أو ربما فقرات متناثرة، تناولت موضوعات كيميائية علمية حقيقية، لم يقصد مؤلفو تلك الكتب أن تكون من غايتهم.

ب- أن يؤكد الكتاب على فكرة علمية صحيحة قال بها بعض العلماء في عصر مضى، ولكنها نُسيَت، أو تَوُسِّيت، في العصور التالية لأسباب مختلفة. من ذلك مثلاً أن ظاهرة انفجار النجوم الضخمة وتحويلها إلى شظايا مادية وإشعاعات وغازات تندفع بعيدا عن مركزها، كانت على الدوام من الظواهر التي أهتم بها الأقدمون بوصفها تجلب النحس للإنسان، إلا أن نصا واحدا في وصف هذه الظاهرة، أورده على بن رضوان (المتوفى سنة 460هـ/ 1067م) في كتابه (شرح المقالات الاربعة في القضايا بالنجوم لبطليموس) جعل من هذا الكتاب مهماً، ليس بوصفه كتاب طب فحسب، ولكن بصفته يحتوي على معلومات دقيقة، وان لم تكن جديدة، لإحدى أهم الظواهر الفلكية في الكون.

ومثل هذا أن فكرة دَوْران الأرض حول الشمس كانت معروفة في بعض الأوساط العلمية في بلاد الإغريق القديمة، لكنها توسيت في العصور الوسطى بتأثير الكنيسة، وشاعت بدلها فكرة معاكسة تماماً، تقول بثبات الأرض ودوران الشمس حولها، فإذا وجدنا مخطوطاً عربياً أكد، ولو في فقرة واحدة تلك الفكرة الصحيحة، فإن أهمية هذه الفقرة، ورغم عدم جدتها، تكمن في أنها أثبتت ميزة الحضارة الإسلامية في أنها رَعَت هذه الفكرة في عهد التخلف لتصل بها إلى العصر الحديث، وتلك ميزة كبرى تستحق أن تكون سبباً في تحقيق المخطوط كله، حتى لو كانت معلوماته الأخرى عادية تماماً.

ج - وربما لم يحو مخطوط شيئاً من ذلك كله، لكنه ازدان بصُور أو أشكال هندسية أو جداول رياضية، وضَعَتْ ما أراد المؤلف أن يقدمه للقارئ، فمثل هذه الوسائل يمكن أن يكون سبباً رئيسياً لجعل المخطوط يغدو مهماً، فقد تساعد هذه الأشكال والصور والجداول على فهم فكرة ما، بما تقدمه من بيانات دقيقة، أو أنها تصلح أن تكون، لوحدها، موضوعاً لدراسة مستقلة. مثال ذلك أن مخطوطة (منافع الأحجار) لعطارد الحاسب (نسخة باريس) احتوت على نحو خمسين صورة لبشر وحيوان في أشكال وأزياء مختلفة، وسبب وجودها في المخطوط هو ما اعتقد مؤلفه أنها تملك تأثير سحرياً إذا ما نقشت على بعض الأحجار الكريمة، والفكرة في حد ذاتها لا تقوم على أساس علمي مفهوم، ولكن الصور نفسها ذات قيمة فنية عالية، تصلح أن تكون موضوعاً لدراسة فنية قيمة.

ومثل هذا ما رأينا في مخطوطة (خواص الأحجار) لحنين بن اسحق، فالمخطوط (نسخة باريس) يكاد يكون نسخة منقولة عن نص عطارد، فلا أهمية تذكر فيه، إلا أن الصُور التي حواها اختلفت في تفاصيلها عن الصور سابقتها، وإن اتفقت معها من حيث الموضوعات، وفي دراسة تلك التفاصيل مادة مهمة، كانت موضوعاً لدراسة (الأزياء) في القرن الثالث للهجرة، بالمقارنة بين المخطوطين المذكورين. وهنا لا بد أن يلاحظ المحقق ما إذا كانت هذه الصور والأشكال من أصل نص المؤلف أم أُضيفت إليه في وقت تال للتوضيح.

د - ومن مبررات اختيار مخطوط لتحقيقه، ما يتضمنه من مصطلحات علمية تساعد على فهم معانٍ غامضة، أو تجارب مختبرية قصر دون فهمها الجهل بتلك

المصطلحات، وقد يكون قد أُلف أصلاً لتيسير الوقوف على هذا الجانب المهم، مثل كتب الخوارزمي في (مفاتيح العلوم) وحسين بن نوح القمري في (التوير في المصطلحات الطبية)، والقرطبي في (شرح أسماء العقار)، وابن الأكفاني في (إرشاد القاصد)، والسيد الجرحاني في (التعريفات)، ومحمد بن يوسف الهروي في (جواهر اللغة) في المصطلحات الطبية (ويلكم بلندن) وغير ذلك، أو ان يكون الكتاب مما تكثر فيها المصطلحات المشروحة، أو الموضحة، فيفيد منها محقق المخطوطات التي تتناول حقولاً معرفية لا تفهم مضامينها إلا بها.

هـ- ومن تلك المبررات أيضاً، أن يكون المخطوط شرحاً، أو حاشية، على كتاب علمي مهم، فتأتي شروحه وتعاليقه موضحة للأصل، مبيّنة لمراميّه، وهو أمر متوقع من شارح قريب زمنياً من عهد مؤلف الأصل، ومن ثمّ هو أقدر على فهم لغته ومصطلحاته وأفكاره من باحثين متأخرين عليه بمُدّد متطاولة، وعلى سبيل المثال فإن كتاب (تقدّمة المعرفة) لأبقراط الذي نقله حنين بن إسحاق إلى العربية، توجد منه مخطوطتان، أولاهما بشرح ابن أبي صادق النيسابوري (باريس)، وأخرى بشرح الدخوار دمشقي (أيا صوفيا وبودليانا).

وبالمقابل فإن بعض المخطوطات تكتسب أهميتها من أن مؤلفها ضمّنها ردوداً علمية على كتب لمؤلفين سابقين، فبينوا بذلك شخصياتهم العلمية، ومدى استقلال تفكيرهم، وما أصاب الفكر العلمي من تطور بعد أن وضع السابقون مؤلفاتهم. مثال ذلك ما فعله ابن النفيس في شرحه لكتاب التشريح من كتاب القانون لابن سينا، وقد ألعنا إلى ما أضافه إلى هذا الشرح من ملاحظات مهمة، وشرح محمد بن فخر الدين الأقسرائي لكتاب (الموجز في الطب) لابن النفيس (ويلكم بلندن) والمركز الوطني للمخطوطات ببغداد، وشرح عز الدين السويدي (المتوفى سنة 692هـ/ 1292م) للكتاب نفسه (دار الكتب المصرية، وويلكم بلندن)، وهما مخطوطتان لم تطبعا لحد الآن، فمثل هذه الشروح تقرب الأصل إلى إفهام أهل هذا الجيل إلى حد كبير.

و- وربما خلا مؤلف المخطوط العلمي من أهمية في ذاته، ولكن كتابه يبقى - مع ذلك - جديراً بالتحقيق، نظراً لأنه نقل نصوصاً من كتب ضائعة حوت زيادة في بعض حقول المعرفة العلمية، أو أنه أشار إلى ترجمات مبكرة لكتب علمية ما كنا

نعلم بها، أو بترجمتها، في تلك العهود أصلاً. وكتاب (تذكرة أولى الألباب) لداود الإنطاكي (المتوفى سنة 1008هـ / 1599م)، يستمد جانباً من أهميته من نقوله المطوّلة من كتب عديدة لم تصلنا، ومثله كتاب تلميذه ابن عَوْض المغربي (القرن 11 هـ/ 17م) المسمى (قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار) (القادرية ببغداد، وحققته بروين بدرى توفيق، بغداد 1990) فإنه اعتمد فيه على كتب عديدة، بالعربية وغيرها، لم يحفظها لنا الزمان، بل لم تصلنا عنواناتها.

فمثل هذه الكتب، وإن لم يُظهر مؤلفوها باعاً في التجريب والملاحظة، لكن نقولهم هذه تجعل مؤلفاتهم، إن كانت مخطوطة، جديرة بالتحقيق. وفي كل الأحوال يجب على المحقق أن يوضح، في مقدمة التحقيق وجه الأهمية العلمية في المخطوط الذي يقدمه لقرائه، كأن يكون في جدّة اكتشافاته، أو طبيعة مصطلحاته، أو شرحه لنص علمي سابق عليه، أو قدّم تأليفه في موضوعه، أو منهج مؤلفه في البحث والتجربة والملاحظة، وغير ذلك من شؤون.

2- الخلفية العلمية للمحقق:

هل يكفي لمن يتصدى لمخطوط علمي، أن يقف في علمه عند ضبط النص كما وضعه مؤلفه متذرعاً بتعريف مهمة التحقيق بأنها الإتيان بلفظ المؤلف كما نص على ذلك المشتغلون في هذا العلم، أم أن يتجاوز هذه المهمة إلى مهام أخرى لا تقل أهمية، من شرح للفظ، وتقريب لمعنى، وتفسير لمصطلح، وما إلى ذلك؟. وأقول: إن أسباباً قوية تجعلنا نرى أن من واجب المحقق أن يمضي في عمله، بعد ضبطه للناس، ليتناوله بالتوضيح الضروري لفهمه، إذ لا يكفي أن تزدحم أرفف خزائن الكتب بكتب يتعسر على أغلب الباحثين والقراء فهمها على نحو سليم.

إن تحقيق التراث رسالة حضارة يُقصد بها خلق وعي علمي، أو إنمائه، قبل أن تكون حرفة لمُحترف، وإذا كان بعض المحققين، من الأوروبيين غالباً، قد اكتفوا من النص بضبطه على نسخ عدة، فذلك لأنهم ما كانوا يخاطبون بصنيعهم هذا إلا عدداً من المختصين أمثالهم، وفي دوائر استشراقية ضيقة، ولم تكن مهمتهم، بأي حال، تتجاوز ذلك إلى خلق وعي عام لدى أجيال من الناس بقيمة تراث أمتهم، ودورها الحضاري الذي ينبغي لها أن تستعيد.

وهنا تواجه محقق المخطوط العلمي مشكلة فنية قد لا يواجه مثلها من يتصدى لتحقيق المخطوطات الأدبية والتاريخية وغيرها، فهذه الكتب لا تحتاج إلا إلى متخصص بالتراث، متدرب على فن التحقيق، مُراع لقواعده المستقرة، أما المخطوط الطبى مثلاً فهو يتطلب من محققه أن تكون له ثقافة طبية خاصة إلى جانب ثقافته التراثية العامة، وهكذا الحال بالنسبة للمخطوطات الرياضية والفلكية وغيرها. ومكمن هذه الحاجة أن التراثى له القدرة على إنجاز الخطوات الأولى في تحقيق المخطوط، من مقابلة، وفهرسة، وتقديم، وما إلى ذلك، لكنه غير قادر على فهم مواطن الجودة في المادة العلمية نفسها، فضلاً عن تقدير أهمية المخطوط نفسه من النواحي التي ألمعنا إليها. وبالمقابل، فإن طبيباً واسع العلم في حقل اختصاصه، لا يقدر على تحقيق مخطوط طبي، ذلك لأنه غير مطلع على منهج التحقيق، ولا درية له على التعاون مع نص تراثى قديم، فضلاً عن ضعف تقديره للتراث الطبى كله، لأنه ربما وجد فيه شيئاً بالياً تجاوزه علمه منذ عهد بعيد، فلم يعد فيه ما ينفع الناس عملياً.

وفي تقديرنا فإن حل هذه المشكلة يمكن أن يكون بأحد أمرين:

أ- ان يقوم تعاون بنّاء بين مختصين، أحدهما بالتحقيق بوصفه علماً قائماً بذاته من علوم التاريخ، والآخر بالموضوع العلمى الذى يتناوله المخطوط نفسه، فيتولى الأول تحقيق النص العلمى من جوانبه الفنية، فيستقصى نسخته المتوفرة، ويحدد العلاقات بينها وصولاً إلى أقدمها وأكثرها إتقاناً، ويقابل بين هذه النسخة وغيرها بدقة، فيثبت أوجه الاختلاف في الهوامش، وهو عمل يقوم به المحقق لأي كتاب تراثى، مهما كان موضوعه ومجاله. ويتولى الآخر تقدير أهمية هذا النص، مستخرجاً مكامن الجودة فيه، ومُعلقاً على الجوانب العلمية البحتة بما يقربها إلى أذهان القراء المعاصرين، فيضفى على المخطوط المُحَقَّق قيمته العلمية، فضلاً عن قيمته التراثية. وتيسيراً لمثل هذه المهمة، صار من واجب المراكز العلمية التراثية في الجامعات ان تتولى تحقيق هذه التعاون بما تملكه من علاقات مع أوساط علمية مختلفة، وما توفره من أجواء تعاون بناء بين مختلف الإختصاصات العلمية والأدبية.

وحيث لا يتوفر هذا التعاون، لا بد للمحقق إن كان تراثياً أن يُوسِّع من مداركه في العلم الذى يتولى تحقيق نص تراثى فيه، وأن ينمّي ثقافته العامة بتاريخ ذلك العلم، بل

أن يسعى لأن يجعل منه شاغله الأساس، حتى يتمكن من أن يُوَفِّيَ بمتطلبات التعليق النافع على المادة العلمية التي يضمنها ذلك المخطوط، مثال ذلك تحقيق الأب أنستاس ماري الكرملّي لكتاب (نخب الذخائر في معرفة الجواهر) لابن الأكَفاني السنجاري (بغداد، 1939)، والدكتور صالح أحمد العلي لكتاب (ما يحتاج اليه الصانع من علم الهندسة) للبُوزجاني (بغداد 1979)، وكاتب هذه السطور لكتاب (الجواهر وصفاتها) لِيحْيى بن ماسويّه (القاهرة دار الكتب 1977، وأبو ظبي 2001)، وغيرهم. أما إذا كان المحقق مختصاً بالموضوع نفسه كأن يكون طبيباً أو رياضياً أو مهندساً، فلا بد له من الدُرْبَةِ على قراءة المخطوطات التراثية، والقدرة على فهم ألفاظها، ثم المعرفة التامة بقواعد التحقيق نفسه، والمُكْنَةُ على تطبيقها. وقد وجدنا أن من هؤلاء المختصين من ضاهى التراثيين أنفسهم في القدرة على تحقيق النصوص التراثية القديمة، وفهمها، أمثال الدكتور كمال السامرائي والدكتور داود سلمان علي في تحقيقهما لكتاب (أدب الطبيب) لإسحاق الرَّهَوي (بغداد 1992)، والسامرائي نفسه في تحقيقه (النافع في كيفية تعليم صناعة الطب) لابن رضوان (بغداد 1997)، والدكتور سلمان قطاية في تحقيقه (كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها) لابن الجزّار القيرواني (بغداد 1980)، والدكتور حازم البكري والدكتور مصطفى شريف العاني في تحقيقهما (نهاية الأفكار ونزهة الأبصار) لابن قاسم الإشبيلي الحريري (بغداد 1979)، والبكري أيضا في تحقيقه لكتاب (تدبير الحُبالي والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم) لابن البَلدي (بغداد 1980)، وكتاب (من لا يحضره الطبيب) للرازي (بغداد 1991)، ومقالة يحيى بن ماسوية في الجنين، والدكتور رزوق فرج رزوق في تحقيقه (حقائق الاستشهاد في الكيمياء) للطغرائي (بغداد 1982). وغير هؤلاء ممن يضيق المجال عن ذكرهم. ولن تتوفر لهؤلاء القدرة على تحقيق تلك النصوص العسرة غالبا، إلا لأنهم عُنوا بالتاريخ عامة، وبتاريخ العلوم التي اقتصوا بها، فألفوا فيها دراسات معمقة من قبل أن يتجهوا نحو تحقيق نصوصها.

3- المصطلحات العلمية:

تحتل المصطلحات العلمية أهمية خاصة لدى محقق النصوص العلمية البحتة حتى تكاد تكون إحدى أهم المشاكل التي يواجهها في أثناء عمله، وربما لا يعاني

محقق النصوص الأدبية والتراثية عامة من مثل هذه المشكلة، فالألفاظ في كتب العلوم تحمل معاني اصطلاحية خاصة لا يفتن اليها إلا المحقق الماهر، والقاعدة القائلة بأن على المحقق أن يشرح معاني الألفاظ بالرجوع إلى المعاجم الرئيسية المعتمدة، مثل القاموس واللسان والتاج ونحوها، لا تصح - البتة - عند تحقيق النصوص العلمية، بل أن الرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم في هذا المجال من شأنه أن يفقد العمل قيمته، أو يفسده تماما. لنتصور أن محققاً وقف، عند تحقيقه كتاباً في الكيمياء، على ألفاظ مثل (الأرواح) و (الأجساد)، ففسرها في ضوء معطيات اللغة بمعانيها المعروفة، فماذا ستكون النتيجة، إنه سيفسد النص تماما، وسيضل القارئ عن غير قصد منه، فالأرواح هنا هي غازات محددة، والأجساد هي سبعة من المعادن حصراً.

وإذا وقف محقق لكتاب في الرياضيات على ألفاظ مثل (السطح) و (الميزان) و (الوقف)، ولم يعلم معانيها الاصطلاحية بدقة، بأن السطح هو العدد المركب، والحاصل من ضرب عدد بعدد، وأن الميزان هو تحقيق صحة الحل، وأن الوقف هو أكبر عدد ينقسم عليه عدنان، ضلَّ عن فهم النص ضلالاً بعيداً. وهكذا الأمر في جميع العلوم، ومن هنا باتت المعاجم، على ضخامة موادها، غير موفية بمتطلبات محقق عقد العزم على فهم نص علمي ليكشف عن مكامن الإبداع فيه، وصار واجباً عليه الرجوع إلى مناجم معلومات أخرى علَّه يستعين بمعطياتها في حل هذه المشكلة.

وعلى وفق قاعدة تفسير القرآن بالقرآن نفسه، فإن على المحقق أن يستعين على فهم معنى مصطلح وارد في النص مشروع التحقيق بمعانيه الأخرى في النص نفسه، فإن لم يجد مَبْتِغاه، فإن عليه أن يجد ضالته في الكتب المعاصرة لذلك النص، مما أُلِّف في العلم نفسه، ثم بما يلي ذلك زمناً من المؤلفات.

وكنا قد أشرنا إلى أهمية الشروح والحواشي العلمية في تقريب الأذهان من فحوى نص علمي معين، ونقول أن مكن هذه الأهمية يتمثل، في أحد جوانبه، بتقريبه معاني المصطلحات التي استخدمها مؤلف الأصل. إن الإدراك الصحيح لمعنى مصطلح ما ربما يكون سبباً في اكتشاف حقيقة مغيبة، أو العثور على سبق خطير في ذلك العلم موضوع التحقيق، وبالمقابل، فإن إدراكاً سيئاً لما يعنيه مصطلح

مُعِين، من شأنه أن يضيع على القارئ فرصة التعرف على فكرة مهمة من أفكار النص المحقق، أو على تجربة رائدة من تجارب مؤلفه العلمية.

إن المصطلحات إذن تشبه هنا أن تكون مفاتيح العلم، فمن واجب المحقق أن يولى هذا الجانب ما يستحقه من عناية واهتمام، والألبت المخطوط الذي حققه مغلقاً في وجه القراء والباحثين والمحققين التاليين الذين يسعون من خلال فهمهم لهذا النص فهم نصوص أخرى يتولون تحقيقها. وكم يكون مفيداً إذا ما ألحق المحقق بتعريفه معنى مصطلح ما ما يقابله من المصطلحات الحديثة المستعملة في مجال العلم موضوع النص المذكور، إنه، إن فعل، سيكون قد وفر على الباحثين فرصة فهم النص فهماً عصرياً.

4- أسماء المواد الداخلة في نطاق العلم:

وبالإضافة إلى مشكلة المصطلح العلمي، فإن على المحقق أن يجهد نفسه في حل مشكلة أخرى تتصل بها، لا تقل عنها صعوبة، وهي ضبط المئات بل الآلاف من أسماء المواد الداخلة في نطاق العلم الذي يحقق مخطوطة فيه، ويزيد الأمر صعوبة أن عدداً كبيراً من تلك الأسماء من أصول لغوية غير عربية، كاليونانية واللاتينية والفارسية والهندية وسواها من اللغات السائدة في العصور الماضية، ومثل تلك الأسماء يصعب ضبطه إلا بجهد جهيد، لأن نُسَاح المخطوطات يجهلون بالطبع طريقة تلفظها، فيصَحِّفون حروفها تصحيفاً بيئياً يصعب اكتشاف حقيقته إلا بالرجوع إلى أصل اللغة التي أخذ منها المصطلح نفسه، وقد فعل بعض المحققين ذلك فتوصلوا إلى نتائج مهمة، منهم الأب أنستاس الكرملى في تحقيقه (نُحْب الذخائر)، إذ أعانته معرفته بالعديد من اللغات القديمة على تحديد معاني بعض أسماء الأحجار الكريمة والتمينية، وعلى ضبطها ضبطاً محكماً. ومنهم أيضاً الدكتور أدوار القش في تحقيقه لكتاب (القانون) لابن سينا (طبعة بيروت 1987)، فإنه أورد أسماء الأدوية المأخوذة عن الإغريقية بصورتها التي عليها بهذه اللغة، فحلَّ بذلك ما أوجده النُساخ من إشكال.

وهكذا، فعلى المحقق أن لا يركن في ضبطه للفظ معين، إلى صورته في بعض ما يقع تحت يديه من كتب، وإن اشتهرت بين الناس، لأنه يجوز أن يكون الطابع، أو

الناشر، قد اعتمد نسخة كتبها ناسخ غير مختص، وهو في الغالب كذلك، فتسلل الخطأ إلى هذه الطبعة، وربما مُسخت الأسماء مسخاً فلم يُعد ممكناً التوصل إلى حقيقتها إلا بجهد جهيد، ومراجعات كثيرة. وهنا أرى مناسبا الإشارة إلى أننا حينما شرعنا بتحقيق الجزء الخاص بالأحجار والنبات من موسوعة ابن فضل الله العمري المعنونة (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) هالنا ما لاحظنا من نقل المؤلف جميع مادة كتابه تقريبا من كتاب (الجامع لقوى الأدوية المفردة) لابن البيطار، ولكننا لما أخذنا بمقابلة المخطوط على النسخة المطبوعة من (الجامع)، وجدنا ثمة اختلافات غير قليلة بين أسماء الأحجار والنبات الوارد في (المسالك)، وبين ما يماثلها في كتاب ابن البيطار، ولم نتوصل إلى صحة أي من اللفظين إلا بعد إن استعنا بكتب تراثية أخرى، فضلا عن مقابله على لفظه غير العربي الوارد في كتب أخرى، مثل (معجم أسماء النبات) للدكتور أحمد عيسى وغيره.

ومن المفيد جدا إن يُرفق المحقق الاسم القديم بما يقابله من الأسماء الحديثة، وبخاصة منها الاسم العلمي الذي هو في الغالب مأخوذ من اللاتينية، لأن في هذا الإرفاق ما يُسهل على القارئ، إن كان باحثا، تحديد مكونات ذلك المسمى، سواء أكان حجرا، أو نباتا، أو ظاهرة. الخ، من ثم يسهل عليه فهم مضمون النص المحقق فهما علميا معاصرا.

ولسائل أن يسأل: أين يضع المحقق مثل هذه الشروح لمئات من الألفاظ التي قد يتضمنها المخطوط العلمي الذي يقوم بتحقيقه؟ ونقول: إذا كانت عادة المحققين قد استقرت في الوقت الحاضر على وضع شروحهم عند ورود الألفاظ المُبهمة في المتون مباشرة، فإن محققى المخطوطات العلمية لم يتفقوا بعد على طريقة واحدة في وضع مثل تلك الشروح، ومكان وضعها، فهم في هذا الأمر على رأيين رئيسيين، هما:

أ- أن توضع شروح الألفاظ والمصطلحات العلمية عند ورودها لأول مرة، أسوة بعمل المحقق للكتب الأدبية والتاريخية، وذلك ليسهل على القارئ أن يدرك منذ الوهلة الأولى معانيها، فييسر له ذلك فهم النص العلمي أينما ورد من بعد. ومن الأمثلة على هذه الطريقة ما فعله محقق الطبعة البيروتية الجديدة لكتاب

القانون لابن سينا، فانه حرص على شرح كل لفظ في الهامش عند وروده في المتن. وما قام به الحكيم محمد سعيد والدكتور وانا احسان الهى الباكستانيان حينما فضلا تزويد كتاب (الصيدنة) للبيروني (باكستان 1969) بهوامش عديدة تضمنت كتابة أعلام اليونانيين بالحروف اللاتينية، وكتبه الأسماء بالأدوية باللغات الأوربية الحديثة. ومن ذلك أيضا كتاب (النافع في كيفية تعليم صناعة الطب) لابن رضوان، فإن محققه الدكتور كمال السامرائي، فضل أن يشرح غوامضه من الألفاظ العلمية في هوامش مناسبة تناثرت في صفحات الكتاب.

ب- أن تجمع هذه الشروح وترتب على هيئة معجم هجائي يوضع بصفة ملحق بالكتاب المحقق، وذلك ليرجع إليه القارئ كلما مرَّ عليه هذا اللفظ، إذ يصعب عليه، حتى لو كان متخصصا، أن يتذكر مضمونه عند وروده بعد صفحات عديدة من الكتاب، وحتى يفيد منه الباحثون، وبضمنهم المحققون، عند البحث عن معنى اللفظ متى ما ورد في كتاب آخر، فلا يتطلب الأمر حين ذاك غير مراجعة هذا المعجم، دون قراءة الكتاب كله، والبحث عن ضالتهم في ثناياه. ولعل مافعله الدكتور حازم البكري في تحقيقه لكتاب المنصوري في الطب يأتي نموذجا جيدا على هذه الطريقة من العمل، فهو أضاف إلى الكتاب سبعة ملاحق، سماها فهارس وليست كذلك، لأنها - في الحقيقة - معاجم متكاملة بالألفاظ النادرة وأسماء الأدوية والأمراض والحيوان والأطعمة والأدوية المركبة والأوزان والمكاييل الواردة في تضاعيف الكتاب مع شروح إضافية لها، وقد تضمنت هذه الشروح وصف كل مادة وأعراضها إذا كانت مرضا، أو أطوارها إذا كانت كائناً حيا، ووجه الفائدة الطبية منها، ولكنه لم يذكر الأسماء العلمية لهذه المواد من نبات وحيوان إلا عرضا.

وتوسط فريق من المحققين بين الطريقتين، فوضع شروحه في هوامش المتن، حيثما ورد اللفظ العلمي، ولكنه رتب معجما بهذه الالفاظ اقتصر على ما يقابلها من الالفاظ العلمية العصرية، منهم الدكتور البكري نفسه والدكتور مصطفى شريف العاني في تحقيقهما لكتاب (نهاية الأفكار ونزهة الأبصار) للاشيبلى وقد تقدمت الإشارة إليه، والدكتور سلمان قطاية في تحقيقه كتاب (في المعدة) لابن الجزار، فإنه اكتفى بصنع معجم بالألفاظ العلمية وما يقابلها من لفظ علمي عصري، دون شرح

أصلاً، وهي طريقته في تحقيقه لكتاب (الكفاية في الطب) المنسوب لابن رضوان فإنه وضع معاجم بأسماء الأدوية النباتية المفردة، وآخر بأنواع الأدوية المركبة، وثالث بأنواع الأوزان والمكاييل الصيدلانية، وزاد فوضع مقابلات كل لفظ عربي باللاتينية والفرنسية والإنكليزية. ونظير هذا ما صنعه حسين الحموي في تحقيقه كتاب (منافع الأغذية ودفع مضارها) لأبي بكر الرازي (دمشق 1984) فإنه أضاف شروحاً لمعظم الكلمات الواردة في هوامش المتن، حتى فاقت هذه الشروح مادة الكتاب مرات عدة، ومع ذلك فإنه ألحق بالكتاب ملحقا كبيراً تحدّث فيه عن قيمة كثير من المواد الغذائية الواردة فيه، وما لم يرد فيه أيضا لعدم معرفة الناس به في عصر تأليفه، مثل الشاي والقهوة، وربما كان في هذه المعلومات شيء من تطويل، لكن لا مشاحة في أنها تفيد في فهم هذا النص العلمي المهم.

5- الصور والأشكال التوضيحية:

أشرنا - فيما تقدم - إلى أن من المخطوطات العلمية ما يستمد أهميته مما يحتاجه من رسوم ومخططات وجداول، فعلى محقق هذا الضرب من النصوص أن يولي هذا الأمر جانبا كبيرا من عنايته، وذلك بأن يحرص على نشر جميع الرسوم الملونة بألوانها التي رُسمت بها ما أمكنه ذلك، لأن من شأن نشرها مجردة من تلك الألوان أن يفقدها جانبا من أهميتها العلمية، فضلا عن أهميتها الفنية، فإن هذه الرسوم تمثل -غالبا- نبات طبي، أو حيوان، ونشرها بصورتها الأصل يضمن -في أقل تقدير- إمكان التعرف عليها، ومعرفة خصائصها التي من أجلها وضعها المؤلف في كتابه.

أما الأشكال التوضيحية، وغالبا ما تكون في مجال الهندسة والفلك، ففى وسع المحقق أن يعيد رسمها بدقة توفرها له وسائل الرسم الحديثة، على أن لا يخرج على ما أرادته المؤلف من شكل. مثال ذلك ما فعله رامزي رايت عند ترجمته لكتاب (التفهيم لاوائل صناعة التنجيم) للبيروني (لندن 1933)، فإنه أعاد رسم جميع الأشكال الهندسية بوسائل وقياسات أكثر اتقاناً، فحقق بذلك ما أرادته المؤلف وقصرت دونه وسائله المتاحة له في عصره. وما قام به الدكتور أحمد السعيد دمرداش في تحقيقه كتاب (إستخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني عليها) للبيروني أيضا

(القاهرة) فقد أعاد رسم جميع الأشكال الهندسية المثبتة في الأصل رسماً جديداً متقناً، مما وضَّح النص وأبان عن أفكار المؤلف على نحو أكثر دقة، وهذا ما فعله الدكتور أحمد يوسف الحسن عند نشره نموذجاً من تحقيقه (كتاب الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل) لابن الجَزْري (مجلة تاريخ العلوم العربية، حلب مج 1، عدد 1، 1977) فإنه بعد أن نشر صور الكتاب من نسخته المخطوطة، بألوانها الأصلية، أعاد رسم الآلات الميكانيكية الواردة فيها رسماً هندسياً دقيقاً، ملتزماً بالأصول الخطية التي أوردت صور تلك الآلات.

وربما رأى محققٌ أن يضيف أشكالاً من عنده لتوضيح المعنى الهندسي للمسألة، فهذا أمرٌ حسنٌ في ذاته، على أن يصرح بجلاء تحت هذا الرسم أنه من (رسم المحقق)، وخير مثال ذلك ما فعله الدكتور علي إسحق عبد اللطيف حينما حقق رسالة (مساحة الأكر بالأكر) للسَّجْزي (مجلة المورد، مج 16، عدد 2، 1987) فإنه أضاف رسوماً مجسمة إلى النص ليوضح ما أراد أن يُبيِّنهُ المؤلف بصورة أفضل، لكنه ذكر أن هذه الإضافة هي له، وبيَّن سببها. وكان أكثر المؤلفين العرب يميلون إلى كتابه قيام الأعداد في أشكالهم وجداولهم بطريقة الحروف لا الأرقام، ونرى أنه في وسع المحقق أيضاً أن يعيد كتابة هذه الأرقام رقماً لتغدو مفهومة من القارئ، على أن يُنبِّه إلى ذلك في مقدمة التحقيق.

6- الاستعانة بالترجمات القديمة:

الترجمة التي يقوم بها مترجم لنص علمي تُعبِّر عن فهمه له، لفظاً ومعنى، فإذا ما وجد محقق للنص الذي يتولى تحقيقه ترجمة قديمة قام بها مترجم إلى لغة أخرى، كان لابد له من الاستعانة بهذه الترجمة في فهم مضمون النص المذكور، وفي تحديد معاني ألفاظه ومصطلحاته أيضاً. ومن المعلوم أن كثيراً من الكتب اليونانية ترجمها العرب إلى العربية وإلى السريانية معاً، فوجود إحدى الترجمتين يفيد في تحقيق الترجمة الأخرى، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها كتب جالينوس وأبقراط في الطب، فكتاب جوامع مقالات جالينوس في التدبير المُلطَّف (مخطوط في آيا صوفيا) هو في حقيقته مقالة واحدة ترجمها حنين بن إسحاق إلى اللغتين معاً، ومثله (كتاب الصناعة) لجالينوس، و(ثمار تفسير جالينوس لكتاب

قاطيطريون) لأبقراط، و(كتاب طبيعة الإنسان) لأبقراط أيضاً الذي ترجمه حنين الى السريانية وترجمه عيسى بن يحيى الى العربية، والرسالة الطبية المعروفة بكنّاش أهرن التي ألفها الطبيب أهرن بن أعين للسريانية، ترجمها ماسرجوية البصري في العهد الأموي، ثم ترجمها فيما بعد ابن ماسويه وحنين معاً، وكتاب (تقدّمة المعرفة) لأبقراط فسّره جالينوس، فترجم حنين النص اليوناني لأبقراط الى العربية (طبع النجف بتحقيق صادق كمونه). أما تفسير جالينوس فترجمه عيسى بن يحيى (باريس وآيا صوفيا وشتاينشتايدر وبلدية الإسكندرية). والأمثلة على هذا النوع من الكتب لا مجال لذكرها هنا لكثرتها، فأى كتاب له ترجمة إلى غير لغته تكون تلك الترجمة مفيدة في تحقيق الكتاب المعنى إلى حد كبير.

ومن ناحية أخرى فإن جملة وافرة من الكتب العربية تُرجمت في عصر الترجمة الأوربية إلى اللاتينية والقشتالية وغيرها، فهذه الترجمات تفيد أيضاً تحقيق النص العربي إذا لم تتوفر نسخ مضبوطة يطمئن المحقق إليها، أو أنه يستعين بها لتحقيق فهم أفضل للنص المذكور. وعلى سبيل المثال فإن كتاب (تقدّمة المعرفة) المشار إليه هنا قد ترجم من العربية الى اللاتينية على يد قسطنطين الأفريقي في القرن الحادي عشر للميلاد، كما ترجمت كتب طبية أخرى على يد هذا المترجم، وترجمات حنين لكتب جالينوس ترجمها الى اللاتينية ماركوس الطليطلى، كما ترجم إسطفيان السرقسطى (اقرباذين ابن الجزار) إلى اللاتينية أيضاً، وغير ذلك كثير.

7- الملاحق:

يسعى محقق المخطوطة العلمية الى كل ما من شأنه خدمة النص بما يوضحه للقارئ بالشرح والتوضيح، فإذا ما وجد أن المادة العلمية تستوجب مزيداً من الجهد لتوضيح أمر ما، وأن هوامش المتن تضيق بمثل تلك الجهود، لجأ الى اصطناع الملاحق الضرورية لتحقيق هدفه، وتختلف أغراض هذه الملاحق بحسب طبيعة المخطوط نفسه، وجدة الموضوعات التي يتناولها، من ذلك أننا وجدنا مناسباً أن نلحق (كتاب الجواهر وصفاتها) لابن ماسويه، بملحق يتضمن معجماً موسعاً بأسماء الأحجار، وبضمنها التي ذكرها ابن ماسويه، وبعض المعلومات الضرورية عنها: ألوانها، وصلادتها، وموطنها، وتركيبها الجزيئي، وبعض خصائصها الأخرى.

ووضع محققا كتاب (الحاوي في الحساب) لابن الهائم (بغداد 1988)، وهما الدكتور رشيد الصالحى وخضير المنشداوي، ملحقا مهما تضمن مقارنة بين طريقة ابن الهائم في حل بعض العمليات الرياضية وطرق حديثة أخرى في حلها، وهو ما يشبه صنيع الدكتور على اسحق عبد اللطيف في تحقيقه (مساحة الاكر بالاكر) للسجزي، فإنه أضاف شروحا مهمة تضمنت إعادة حديثه لحل مسائل الرسالة الهندسية، مبينا ما أصاب به مؤلفه، وما أخطأ فيه. وأضاف الدكتور محمد يوسف حسن والدكتور محمود بسيونى خفاجى لتحقيقهما كتاب (أزهار الأفكار في خواص الأحجار) للتيماشى (القاهرة 1977)، ملاحق عديدة، تضمنت دراسات عن الأوزان التى أوردتها المؤلف المذكور، وأقيام الجواهر وثمنه، ومدلول الإصطلاحات الاقتصادية الواردة في الكتاب، والموزونات، وجداول مقارنة بين العملات المستعملة، ومواد كاملة في تاريخ كل حجر وصّفه التيفاشى وخصائصه، وجداول جيولوجية في الأحجار كما وردت لدى بعض الباحثين المحدثين. وفي هذه الملاحق من الجدة ما زاد في قيمة الكتاب لأنه كشف عن جوانب الإبداع والابتكار لدى العلماء المسلمين في هذا المجال الدقيق من مجالات العلم.

ووضع محققا (أدب الطبيب) ملحقا ببعض المصطلحات الطبية الواردة في الكتاب، بينما أضاف الدكتور رزوق فرج رزوق ثبثاً إلى كتاب (حقائق الإستشهاد في الكيمياء) للطغرائى، ضمّنه الألفاظ والرموز والمصطلحات الكيماوية التى وردت في الرسالة، كما أضاف ملحقين لرسالة (ذات الفوائد) للطغرائى أيضا (المورد، مج3، عدد3، 1974) تضمن أولهما تعريفاً جيداً بالحكماء والعلماء الذين ورد ذكرهم في الرسالة، من العرب والهنود واليونانيين وغيرهم، وتضمن الآخر الألفاظ والرموز الكيماوية الواردة في الرسالة المذكورة. ومثل هذه الألفاظ والرموز يفيد في فكّ معانٍ مبهمة في هذا العلم بخاصة، فإن مؤلفى كتب الكيمياء تعمدوا إخفاء أسرار صنعتهم وراء كلمات لا يعرفها إلا أهلها، ولا يمكن فهم هذه الكلمات إلا استنتاجا من وصف عدد من العمليات الكيماوية.

8- الفهارس:

إن إضافة فهارس تفصيلية هجائية إلى كتب التراث المحققة من مكمّلات عمل المحقق أياً كان موضوع النص الذي يقوم بنشره، ولكن في الكتب العلمية

يأخذ بعداً أكثر خطورة، لان من شأن النص العلمي أن يتضمن أسماء لمواد نباتية ومعدينية وحيوانية وكيميائية وأدوية مُفردة ومُرَكَّبة وغيرها، ومصطلحات ذات معان خاصة، وأوزان مستعملة في العمليات المختبرية، وعنوانات لكتب اعتمدها مؤلف النص المذكور، وأسماء مؤلفين من العلماء الذي سبقوه في موضوعه، وما إلى ذلك من شؤون. ومن دون فهارس تشمل كل هذه المواد وغيرها يصبح من الصعب على القارئ والباحث الإفادة من النص المحقق. وربما أفرد محققون مجلداً خاصاً بهذه الفهارس، حينما يكون الكتاب المحقق على جانب من الضخامة والأهمية، كفعل الدكتور أدور القش، إذ صنع فهارس عدة لكتاب القانون لابن سينا اشتملت على الأطباء، والأدوية المفردة، والأدوية المركبة، والأوزان والمكييل، والنباتات والحيوانات، والكلمات الفارسية الأصل والكلمات اليونانية.

خاتمة:

إن مصاعب من النوع الذي أشرنا إليه يجب أن لا تكون مثبطا لهمم المشتغلين في تحقيق التراث العلمي، بل الأمر على الضد من ذلك تماماً، فإن تحقيق نص علمي فيه كشف جديد، من شأنه أن يخلد اسم محققه، فليس كالعلم شيئاً تدين البشرية له بما بلغته من تقدم، ووصلت إليه من آفاق. وإذا كان جانبا مهما من إسهامات المسلمين العلمية قد بُخس حقه في دراسات الباحثين المحدثين، فليس ذلك إلا لعزوف المحققين عن تحقيق نصوص التراث العلمي بسبب ما ألمنا إليه في هذا البحث من صعوبات قد لا يلقاها من يُعنى بتحقيق نصوص في علوم ومعارف أخرى، وقد آن الأوان لتصحيح هذا المسار، وتبديد تلك الفكرة القائلة بتقصير المسلمين في البحث العلمي، فعلم الطب والرياضيات والهندسة والفلك والأرض والكيمياء والطبيعة وغيرها كانت جميعاً تمثل مجالات اهتماماتهم وبحوثهم وتجاربهم وتأليفهم، وهو ما تدين له البشرية بكل ما أنجزت من تقدم في العصور التالية. وإن خزائن المخطوطات العديدة في أرجاء الخافقين لما تزل بانتظار المحققين الجادّين، ينفضون غبار القرون عن مكنوناتها من تراثنا العلمي الزاهر، ويكشفون بصبرهم في البحث عما أضافت هذه الأمة، إلى الانسانية، من جليل المآثر.

معالم ومدن

اكتشاف مركز المدينة المدورة

دعوت غير مرة، فيما حضرت وكتبت، الى أن تقوم الجهات الأثرية بجهد خاص لاكتشاف موقع مدينة المنصور، أو المدينة المدورة كما صارت تسمى من بعد، من ذلك مثلاً أنى كتبت في جريدة الاتحاد، التي يصدرها اتحاد الصناعات العراقية، سنة 1998، مقالا عن هذا الموضوع بعنوان (أين مدينة المنصور؟) أكدت فيه هذه الدعوة، وقلت "لقد شاءت العناية الإلهية أن تبقى على مساحة كبيرة من الأرض التي كانت تقوم عليها مدينة المنصور خالية من البناء حتى اليوم، ومن ثم ليس مستحيلاً في عراق لم يعرف المستحيل قط، أن توظف الجهود العلمية، وتوفر الإمكانيات الفنية، للقيام بحملة مكثفة، وطويلة النفس، للبحث عن أسس المدينة المدورة، أو عن أي من مرافقها التليدة، وإننا على يقين بأن الأجيال المقبلة ستذكر لأبناء هذا الجيل، بكل فخر، أنه هو الذي نفض التراب عن مدينة الأجداد عبر القرون، وأنقد رمز بغداد الخالدة من مطاوي النسيان، وأكد، مرة أخرى، على نبل إحساسه بالماضي، ووفائه لبناء حضارته رواد العالم في تلك العصور". وكان مما قلته أيضاً "إذا ما علمنا أن المدينة بأسوارها الدائرية، ومركزها المتوسط، تتخذ شكلاً هندسياً منتظماً، فإنه يصبح ممكناً إذا تم العثور على أي جزء منها، رسم سائر حدودها، ومعرفة شكلها على نحو يطابق ما كانت عليه، أو قريباً منه في الأقل، واعتقد أن اكتشافاً كهذا سيكون له شأن، وأي شأن، في العالم كله".

ولم تكن (الجهات المعنية) المعنية بالأمر، فلم تحرك ساكناً، ولكن الصدفة، والصدفة وحدها، كانت وراء اكتشاف ما أخفته القرون تحت أديم هذه الأرض من أسرار، وما اختبأ بين عروق نخيلها، وشاطئها، وصخورها، من عجائب الماضي وغرائب التي طواها النسيان.

بدأت أمانة بغداد بمشروعها بتكسية شواطئ بغداد بالحجر، سنة 1999-2000 وكانت ثمة بعثة أثرية مكلفة بإجراء مسوحات أثرية سريعة عند ضفاف دجلة قبل إكسائه بتلك المادة، علها تجد قبل أن تجثم الصخور على صدر تلك الضفاف، ما يعنى به الباحثون عادة من آثار قديمة أياً كان عصرها ونوعها، وفجأة تصايح أعضاء البعثة متعجبين حينما لاحظوا أن الجرافات العملاقة التي

كانت تعمل في هذا المكان، قد اصطدمت بشيء صلب قد استقرت أسسه في أسفل الشاطئ، إنها أسس بناء إذن، وهو بناء بالغ القدم لأنه يقبع في أعماق الأرض. ولأن هذا البناء كان يختفي وراء أكوام من الأتربة والطمى والأنقاض التي تخلفت عن العصور المتعاقبة التالية، فقد جرى رفع ذلك الركاب بالجرافات ذاتها، وأخذ ملامح الأعماق تتجلى رويداً رويداً، وإذا بالأنظار تشخص إلى جدار أثري مغمور بالماء دل على وجود استيطان أثرى قديم، فما كان من رئيسة البعثة الأثرية، إلا أن اتصلت بالهيئة العامة للآثار مخبرة إياها بالمعلومات المهمة التي تكشفت لها، وقد وافقت الهيئة على العمل فوراً في هذه النقطة من أعمال التكسية، فباشرت البعثة في أعمالها، بعد أن أوقفت الشركة التي كانت تقوم بأعمال التكسية عن العمل، وتم تخصيص مبلغ من المال لكي تجري البعثة التنقيب في المنطقة.

وما أن باشرت البعثة بالعمل، حتى أخذت الأرض تُحدث أسرارها، وتكشف عن خفايا ما استقر في رحمها، فقد عُثر- وقد وصل الحفر إلى عمق نحو ستة أمتار- على لقى أثرية مُتحفية جميلة جداً من القوارير المصنوعة على وفق تقنية عالية راقية، وهى من الزجاج الرقيق المُمَوَّه بالمينا، وبعضها صغير جداً كانت تُحفظ فيها العطور النفيسة لتوضع في طيات عمائم الطبقات المترفة، وهو ما عُرف عن الخلفاء العباسيين خاصة.

وعثر أيضاً على أوان مطلية بطلاء أصفر اللون، تبين للمعنيين أنه الزُعفران، كما عُثر على نماذج كثيرة من الكسر الفخارية المزخرفة بالزخارف المُحرَّزة، وجرار متنوعة لكنها ذات طينة جيدة جداً، ورقيقة جداً، وبعضها مُزخرف بزخارف نباتية وهندسية تتم عن الذوق الرفيع لصانعيها، ولمن قُدِّمت إليه من أهل الدولة والسلطان عهد ذلك. وربما كان أجمل ما تم العثور عليه قنينة عطر من الزجاج الرقيق جداً، ارتفاعها سانتيمتران، ملونة بألوان زاهية، وعلى بدنها زخارف هندسية جميلة، وبعض هذه الزخارف يصعب رؤيته بالعين المجردة.

ودلت الكميات الكبيرة والمتنوعة الأشكال من المقابض الفخارية التي رسمت عليها زخارف نباتية بالغة الجمال، على المستوى المترف لسكنة هذا الموقع، فهذه المقابض كان ولا شك لجرار، وأوان كثيرة، حوت، فيما حوت، أنواعاً من النفائس والنوادر التي تليق برقي مستوى ساكنيه.

ومع مضي أعمال التنقيب تكتشفت أسرار أخرى، ففي بعض زوايا المكان تم العثور على مجموعة من المسكوكات، منها العملة التي كانت تعرف بالدوانيق، والتي اشتهر بها الخليفة المنصور، مؤسس بغداد، حتى عرف بالدوانيقى، وقيل أنه كان يتخذها وسيلة لدفع أجور العمال الذين عملوا في بناء مدينته. كما وجدت نقود معدنية أخرى ترقى إلى عهود سابقة على تأسيس المدينة، إي إلى الحقبة المبكرة من التاريخ الإسلامي، من بينها مسكوكة تعود إلى زمن الخليفة هشام بن عبد الملك، وهي واحدة من العملات التي كانت تستخدم في الدولة الإسلامية قبل تأسيس الدولة العباسية وقيامها بضرب النقود باسمها.

وكانت مفاجأة سارة فعلاً، حينما عثر المنقبون على مسكوكة نادرة مؤرخة في سنة 157، وعليها كتابة تشير إلى أنها ضربت في مدينة السلام، وتحمل اسم الخليفة التي ضربت في عهده، واسمه (عبد الله بن محمد) وهما الإسمان الأولان للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، كما جرى العثور على قطعة من الفخار دائرية الشكل حفرت عليها مجموعة من الأشكال الهندسية عددها (15) شكلاً بيضوياً ومربعاً ومستطيلاً ودائرياً، وفي داخل كل شكل هندسي عبارة مكتوبة بخط دقيق جداً لا يرى بالعين المجردة، وبالخط الكوفي البسيط الذي كان شائع الإستعمال في القرنين الأولين للإسلام، يتضمن اسم (عبد الله بن محمد) وهو اسم الخليفة المنصور كما ذكرنا، ويوجد داخل كل شكل هندسي عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) و(بسم الله الرحمن الرحيم) ، و(الله أكبر)، وهذا القرص الدائري جمعت فيه أختام الخليفة المنصور كلها وربما رسائله الخاصة، ومن الراجح أنها جمعت لكي يصعب تزوير أختام الخليفة.

إذن فنحن أمام أقدم بناء يُعثر عليه في بغداد يحمل في طياته أثر الخلافة العباسية، فمن المعروف أن الخليفة المنصور، تولى الخلافة من سنة 136، وتوفي سنة 158 هجرية، واتخذ في السنين الأولى من حكمه مدينة الهاشمية الواقعة في جوار الكوفة عاصمة له، إلا أن ثورة الراوندية عليه في سنة 140 هجرية، وأسباب أخرى، جعلته ينفر من الهاشمية فاختر موطعاً كان قريباً من سوق محلية صغيرة عند جانب دجلة الغربي، كان يعرف بسوق بغداد، ليؤسس في مكان غير بعيد عنه

مدينة جديدة ستكون عاصمة الدنيا الإسلامية خلال وقت قصير، وتلبث قبة للإسلام، ومنازة مشعة للحضارة يعم خيرها العالم كله لعدة قرون. وكان واضحاً أن المكان ظل مأهولاً حتى ما بعد عصر هذا الخليفة فقد وجدت فيه مسكوكات أخرى، في الموضوع نفسه، تعود إلى فترة تالية، قريبة من عصر المنصور، منها مسكوكة مؤرخة في سنة 166 للهجرة، ضربت في خلافة الخليفة المهدي بن المنصور.

وحيثما مضت أعمال الحفر ورفع الأنقاض عن أسس البناء القريبة من النهر، تكشف للبعثة الأسس الضخمة لجزء من البناء، فإذا به بقايا قاعة كبيرة، مزيّنة بلون ذهبي، وتشبه أن تكون قاعة عرش في قصر بالغ الروعة وال ضخامة.

نحن إذن هنا أمام قصر فخم شيد في عهد المنصور، أي في عهد تأسيس بغداد نفسها، ولكن يبقى السؤال المحير، الذي أثار نقاشاً علمياً في حينه، أي قصر هو من بين قصور المنصور التي أنشأها في داخل مدينته المدورة وفي ضواحيها؟ والسؤال يكتسب أهميته من الناحية الخططية من حيث أن تعيين حقيقة القصر سيؤدي إلى تعيين كثير من المواقع المندثرة التي وردت أوصافها في كتب التاريخ ونجهل اليوم معالمها بسبب عدم وجود إحدائيات خططية تعين الباحث على تعيين مواقعها في أرض تبدلت وظائفها وطبيعتها مرات عدة.

وجاءت الحفريات، على العجالة التي جرت بها، لتقدم الدليل الواضح، الذي لا يقبل الشك، على أن هذا القصر ليس إلا قصر المنصور الرئيسي، ومقر حكمه الرسمي، الذي كان يتوسط المدينة المدورة، مدينة السلام، تماماً، وهو القصر الذي عرف في التاريخ العباسي بقصر باب الذهب، ذلك أنه عثر تحت القصر على قناة تحت الأرض معقودة من الداخل بالطابوق الأحمر، وكذلك الجدران، أما الأرضية فكانت مبلطة بالطابوق الفرشي ذي القياس $25 \times 25 \times 4$ سم، وبطابوق ذي القياس $33 \times 33 \times 7$ سم، والجص والرماد والنورة، تتجه نحو جهة الشمال الغربي، أي باتجاه ضواحي الكاظمية الغربية، لمسافة ما لم تعرف بسبب توقف الحفريات نفسها. وكانت هذه القناة، تتصل بين مسافة وأخرى بآبار، لها فتحات خارجية، فهذه القناة العجيبة هي التي أنشأها الخليفة المنصور تحت قصره، في خبر أورده

المؤرخون، لتصل بين قصره وبين مجري نهر كرخايا، الآخذ من نهر الفرات، في الشمال الغربي من المدينة المدورة، والتي قَدَّر المنصور نفسه طولها بنحو فرسخين⁽¹⁾. وكانت هذه القناة المعقودة قد اتخذها المنصور لغرضين، أحدهما دفاعي، وهو إيجاد مخرج للمحصورين في المدينة المدورة إذا ما حاصرها عدو، وأحاطوا بأسوارها العالية، فلم يُمكنوا أحداً من مغادرتها لأي سبب، وثانيهما إروائي، وهو اتخاذ القناة سبيلاً لتزويد المدينة بالماء المتدفقة من نهر كرخايا، الآخذ من الفرات كما ذكرنا⁽²⁾. إذن فقد طبقت المعطيات الأثرية النصوص التاريخية الخاصة بقصر باب الذهب تطابقاً تاماً لم يعد فيه مجال لاجتهاد أو رأي، وهكذا أنهى هذا الاكتشاف جدلاً طويلاً بين المعنيين بخطط بغداد منذ نحو قرن كامل حول مكان المدينة المدورة.

ولا تنحصر أهمية هذا الاكتشاف في معرفة واقع القصر كونه المقر الرسمي الوحيد للخلافة العباسية في عهدها الأولى، وإنما لأن بواسطته يمكن تحديد مواقع المؤسسات الرئيسية لمدينة السلام في تلك العهود والعهود التالية أيضاً، ذلك لأننا نعلم أن هذه المدينة كانت تتخذ شكلاً دائرياً كامل الاستدارة، ويقع قصر باب الذهب في نقطة مركزية على قُطْرَيْهَا المتعامدين، فمعرفة هذه النقطة من شأنها معرفة مكان حدود المدينة نفسها، ويمكن تحديد موقع سورها وأبوابها الأربعة، باب خراسان، وباب الشام، وباب الكوفة، وباب البصرة، كما يمكن تحديد عقودها وطبقاتها وأسواقها ومؤسساتها الأخرى، وهي التي يفصلها عن القصر أرض خالية من البناء كانت تسمى (الرحبة).

وإذ صرح المؤرخون بأن البناء الوحيد الذي كان يجاور القصر هو جامع المدينة عهد ذلك، وهو المسمى بجامع القبة الخضراء، فإن معرفة حدود القصر تفيد أيضاً في معرفة موقع هذا المسجد الجامع الذي كان أول مسجد شيد ببغداد، وكان رمزاً لعزّها ومجدها لعدة قرون. لقد أفاض المؤرخون في وصف قصر المنصور هذا، وقالوا أن في وسطه القبة الخضراء التي كانت ترى من أطراف

(1) ابن الساعي: مناقب بغداد، تحقيق د. محمد عبدالله القدحات، عمان دار الفاروق 2008 ص43.

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج1 ص79.

بغداد، وكان على رأس القبة تمثال على صورة فارس في يده رمح، وكان تحت القبة مجلس بمستوى الأرض مساحته عشرون ذراعاً في مثلها، ويرتفع عقده من الأرض بنحو عشرين ذراعاً، وعليه مجلس أقيمت عليه القبة الخضراء التي يبلغ ارتفاعها ثمانين ذراعاً وارتفاع قوس الإيوان عن الأرض ثلاثون ذراعاً، فهذا المجلس عرضه عشرون ذراعاً وارتفاع قوس الإيوان عن الأرض ثلاثون ذراعاً، فهذا المجلس إذن هو ذاته ما جرى العثور على أسسه الضخمة عند أسفل شاطئ دجلة على عمق أكثر من ستة أمتار من مستوى سطح الأرض، وهو ما سمته البعثة الآثارية، عن حق، بقاعة العرش، فهذه هي نفسها وظيفة القاعة كما نص عليها المؤرخون السابقون⁽¹⁾.

والعجيب الذي سكتت عنه كتب التاريخ كلها، وكشفت عنه الحفريات، أن القصر كان يقع فوق آثار مقبرة تعود إلى ما يسمى بالعصر الفرثي، أي إلى المدة الممتدة منذ ثلاثة قرون قبل الميلاد إلى ثلاثة قرون بعده، فقد عُثر، على عمق يناهز الاثني عشر متراً، على بعض القبور المنشأة على وفق النوع السائد في تلك القرون، ويمكن وصفه بأنه يشبه آنية طولية من الفخار، تغطي فوهتها، حيث رأس الميت، بغطاء من الفخار أيضاً.

لقد شهد هذا القصر المدهش فصلاً حافلة من تاريخ بغداد، فإنه كان المقر الرسمي للمنصور وللخلفاء الأوائل الذين تولوا الحكم بعده، ومع أن الرشيد لم يبق فيه، فقد عاد ابنه الأمين فاتخذه بلاطاً له، وأضاف إليه قسماً جديداً، وكان الأمين قد احتفى بهذا القصر في أثناء محاصرة جيوش أخيه المأمون له في سنة 198 هجرية (814 ميلادية) وتحصن رجاله بأسوار المدينة المدورة، وكان من جرأ ذلك أن أصاب القصر كثير من التدمير بالمجانيق التي نصبها طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون في أرياض المدينة. أما القبة الخضراء التي كانت تعلو قاعة عرشه فقد ظلت قائمة حتى سقط رأسها في سنة 329 هجرية (941م) وكان في أثناء سقوطها مطر عظيم ورعد هائل وبرق شديد، ومع ذلك فقد بقيت جدران القبة قائمة إلى أواخر أيام الدولة العباسية، وسقطت نهائياً في سنة 653 هجرية

(1) لا بد ان اذكر هنا السيدة رئيسة فريق التنقيب التي تعاطفت مع دعوتي الى اتمام عمليات التنقيب وقدمت لي - مشكورة- الصور المرفقة بهذا البحث.

(1255م) أي قبل ثلاث سنوات فقط من احتلال المغول بغداد وزوال الخلافة نفسها .

إن العثور على قصر المنصور هذا من شأنه أن يُصحح تصورات سابقة حول موقع المدينة المدورة، فهي بموجب هذا الاكتشاف كانت أعلى من الموقع الذي سبق أن حدده باحثون من قبل معتمدين على المعطيات الأدبية والتاريخية وحدها، وأن موقعها الجديد يأتي منسجماً مع موقع الرصافة، وهي الأعظمية حصراً في ذلك العهد، التي أنشأها الخليفة المهدي العباسي في وقت قريب من عهد إنشاء المنصور مدينته، حيث كان الجسر يربط بين الجانبين في خط مستقيم يصل باب خراسان، أحد أبواب المدينة، بباب خراسان الكائن في سور الرصافة من الجانب الشرقي .

إن قصر المنصور، بموقعه الذي جرى كشفه عند شاطئ دجلة، في منطقة العظيفية الحالية، يكشف، بجلاء ووضوح، مقدار إزوارار نهر دجلة الذي استمر في القرون التالية حتى جرف نصف المدينة تقريباً، فنصف هذه المدينة يقبع الآن في قاع دجلة، في المنطقة التي تفصل بين العظيفية والأعظمية، ومن الراجح أن جزءاً من الأعظمية، حيث كورنيش الأعظمية الحالي، كان يؤلف جزءاً من الجانب الغربي، يوم كانت المدينة المدورة تترامى على أرض واسعة لم تكن مياه دجلة قد جرفت شيئاً منها بعد . أن وجود القصر على نهر دجلة، وقصر المنصور كان يقع في وسط المدينة المدورة بالضبط، فهذا لأن دجلة جرف نصف المدينة المدورة تدريجياً فلم يبق الا نصفها الغربي، أما النصف الشرقي فما زال يقبع في قعر دجلة، وقد استعنت لاثبات هذا التغيير في مجرى دجلة بدلائل عدة، أهمها صور (التحسس النائي) التي التقطتها الأقمار الصناعية لمجرى النهر، وحصلت على دلائلها من خلال عون مشكور قدمه في حينه الدكتور جعفر ضياء جعفر

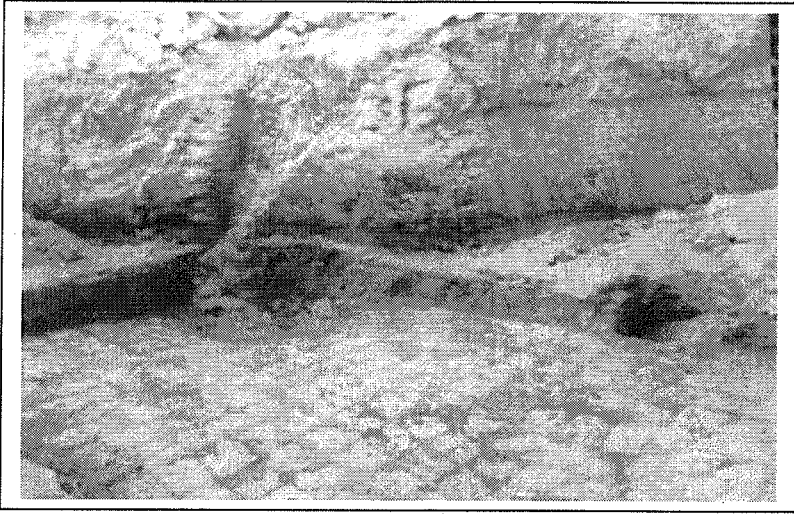
لقد كان يمكن لهذا الاكتشاف أن يكون اكتشاف القرن، ليس على مستوى العراق فحسب، وإنما على مستوى الإنسانية كلها، فليس قليلاً على الإطلاق أن يجري اكتشاف اللبنة الأولى في مدينة اقترن اسمها بالحضارة والثقافة والنظم والإدارة لخمسة قرون عاشتها يوم كانت بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ولقرون ثمانية قرون تالية، تقلبت فيها بغداد بين مختلف الظروف، وتحدثت فيها كل أنواع

الكوارث البشرية والطبيعية، لتثبت للعالم، وبجدارة، على أنها الأقدر على مواجهة أقسى التحديات وأعتها .

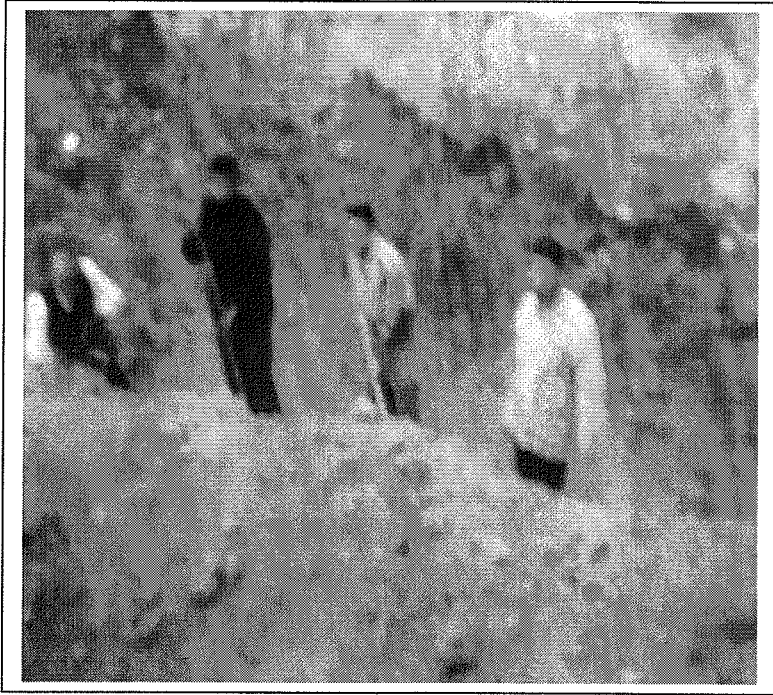
وكان مؤملاً، في تقدير الباحثين والخططين أن تستمر دائرة الآثار بالعمل من أجل إتمام ما بدأت بعثتها التنقيبية من كشوف مذهلة، إلا أن مفاجأة غريبة خيبت الظنون وأحبطت الآمال، فقد أوقف المعنيون في هذه الدائرة أعمال البعثة على نحو مفاجئ مثير للريبة، وجرى لوم بعض أعضائها ممن صرّح للصحافة بما جرى الكشف عنه، وحينما أخذ خبر الإكتشاف بالذئوع في الأوساط العلمية، وارتفع معه صوتها بالتساؤل المشروع عن الأسباب الكامنة وراء إيقاف العمل، ومبررات إحاطة الاكتشاف بكل هذا الصمت، اضطر المعنيون في دائرة الآثار في يومها الى تحريك (شَفلاتهم) ليس من أجل المضي في الحفر هذه المرة، ولكن من أجل إهالة أطنان الأتربة على ما جرى اكتشافه، وهكذا تم دفن ما قدر الله ظهوره، وتوقف المعنيون عن الإدلاء بأي تصريح عن سبب ذلك التصرف العجيب الذي يخالف قانون الآثار الذي يدعو إلى التنقيب عن الآثار وإبرازها والعناية بها والمحافظة عليها بمختلف الوسائل العلمية والفنية. وحينما نشرت إحدى المجلات الأسبوعية⁽¹⁾ مقالاً تساءل فيه صاحبه عن أسباب دفن القصر ذي الأهمية التاريخية والإنسانية الفريدة، كان رد الدائرة المعنية، ويا للغرابة، بأن ذلك التصرف هو من حقها، وأن دفن الحُفر الناجمة عن التنقيب، يحمي المنطقة من خطر تكاثر البعوض والذباب، فما أعجبه من سبب لدفن ما سماه الباحثون باكتشاف القرن الواحد والعشرين!. وبالطبع فإن السبب المعلن لم يقنع أحداً على الإطلاق، بل دفع آخرين بالتهامس عن حقائق أكثر إقناعاً مما قيل⁽²⁾.

(1) الصحفي سلام الشماع في مجلة ألف باء

(2) حينما راجع سلام الشماع دائرة الآثار لم ير إلا وجوها عوابس، وتهديدات مبطنه باغلاق الموضوع وعدم طرحه في الصحافة. وحينما أبلغت الأمر الى وزير الثقافة والأعلام لم يكن رد فعله بأفضل من رد فعل دائرة الآثار، وأشيع في حينه أن موقع القصر كان قريباً من أرض كانت تستحوذ عليها امرأة ذات نفوذ وحظوة، ولم يكن مرغوباً أن تجري أعمال تنقيب قريبة من أرضها والله اعلم



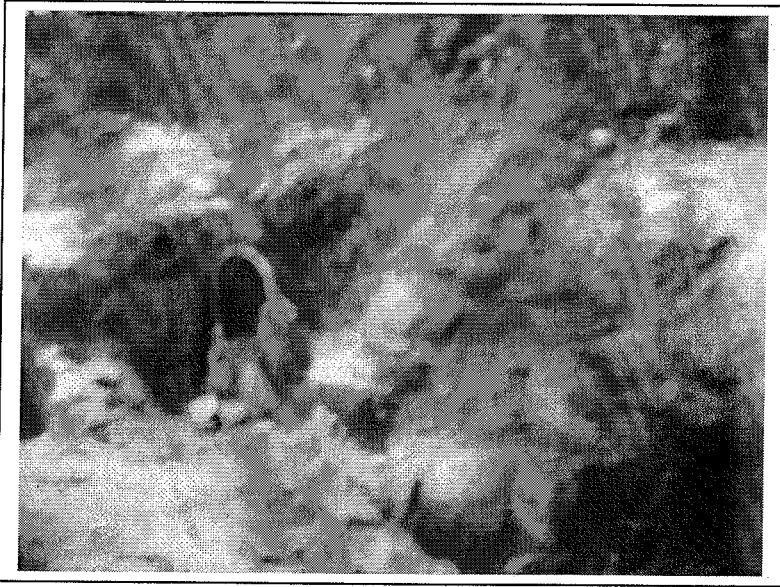
جانب من قاعة العرش مبلطة بالأجر الكبير



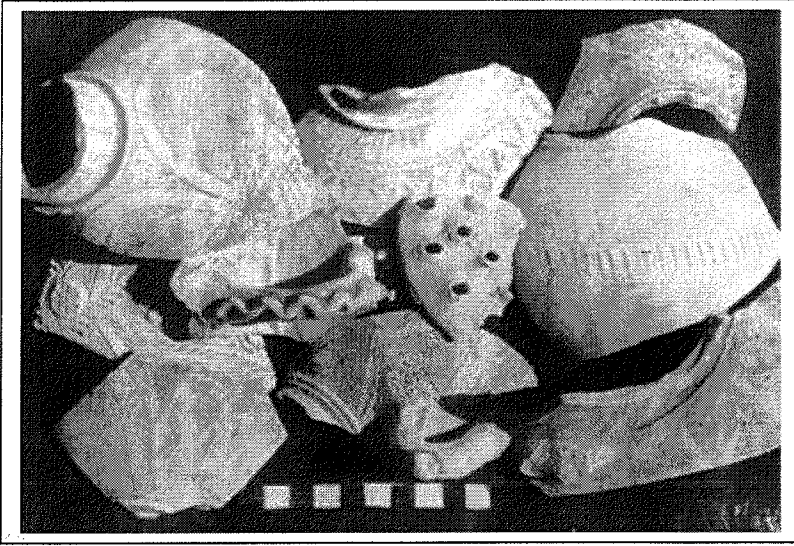
من اعمال رفع الاتربة والانقاض في الموقع



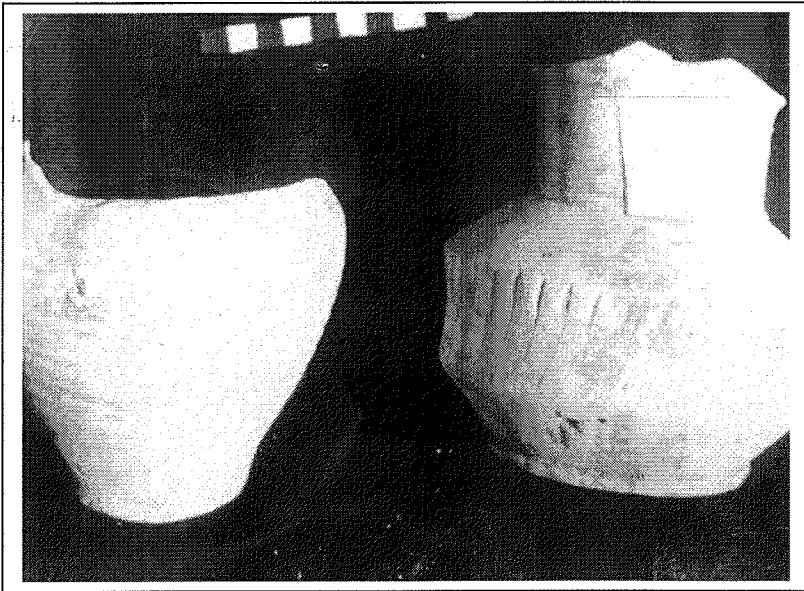
تنظيف احد الابار في القناة المؤدية الى القصر



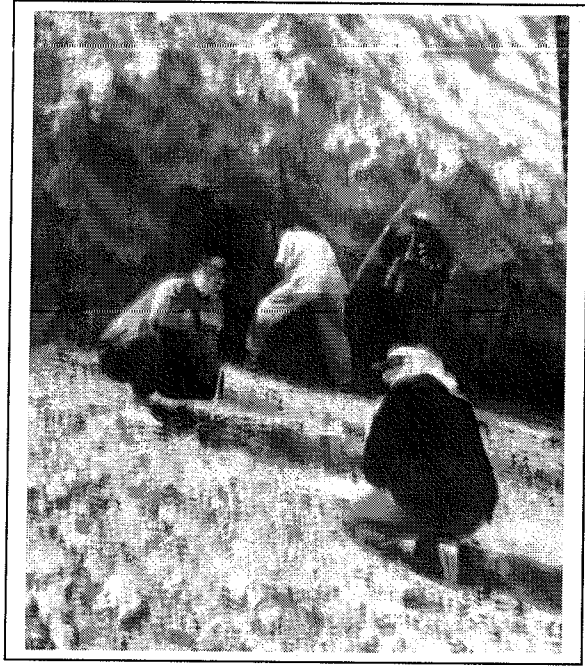
من بقايا القصر



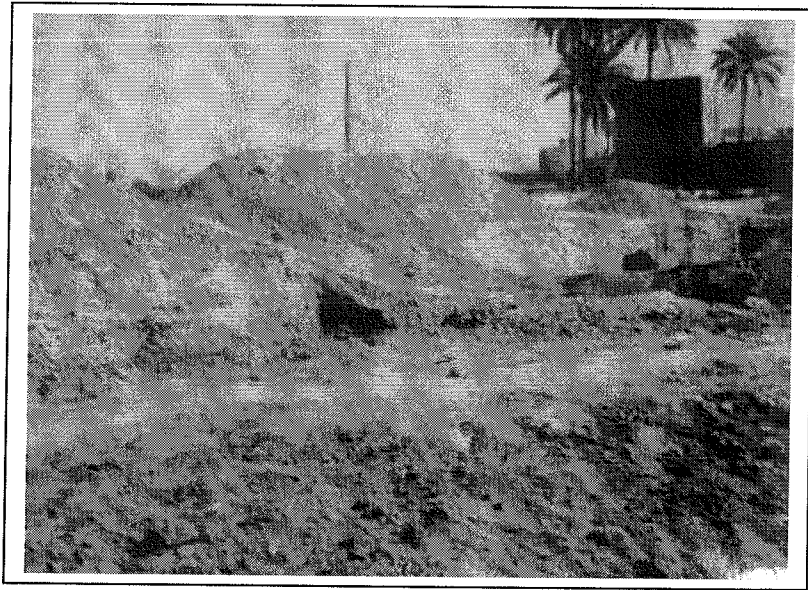
كسر من فخار يعود الى عهود اسلامية مبكرة



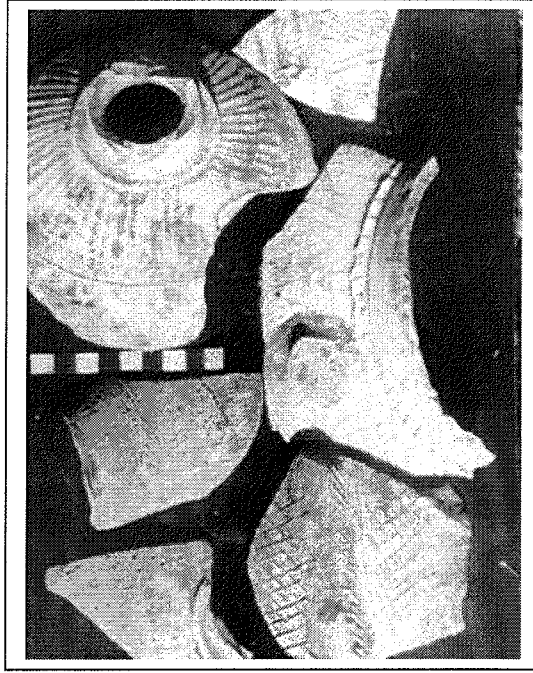
جرار من الفخار عليها زخارف



تنظيف احدى الكوات في جدار القناة المؤدية الى القصر



مشهد عام لموقع القصر قبل البدء بعملية التنقيب



كسر لأوان من الفخار عثر عليها في الموقع



ازاحة التراب عن بقايا القصر

الباب الوسطاني وما حوله

أسوار بغداد وأبوابها الأولى:

«لابد للباحث في تطور المداخل المحصنة لمدينة بغداد أن يجعل من أسوار مدينة السلام، ونعني بها مدينة المنصور تحديداً، منطلقاً له، فهذه المدينة التي أسسها الخليفة المنصور في منتصف القرن الثاني للهجرة، كانت تمثل، فيما يظهر، خلاصة خبرات العرب في مجال بناء المدن في عهود قبل الإسلام، وما بعده، إضافة إلى خبراتهم المستمدة من واقع ما شاهدوه من مدن حصينة أخرى قُدر لهم فتحها. وفي الواقع فإن هذه المدينة وتحصيناتها، ظلت تمثل أنموذجاً حياً للعمارة العباسية في بغداد إبان القرون التالية، ويعود سبب ذلك في تقديرنا إلى أن طبيعة البيئة فرضت استخدام مواد متماثلة تقريباً، كما أن الموقع نفسه فرض أنواعاً متشابهة من الحلول لمشكلة الدفاع عن الذات على رغم تعاقب العصور.

أسس المنصور مدينة السلام في الجانب الغربي من بغداد الحالية، في منطقة العظيفية تقريباً، عند قرية ترقى إلى عهد سحيقة عرفت باسم بغداد، وأحاطها بسورين، يحاذي أولهما (من الخارج) مسناة وخذق، ويبلغ عرض السور من أسفل 50 ذراعاً [1] (والرقم مبالغ فيه إلا إذا أضيف إليه عرض الخندق)، ومن أعلاه 20 ذراعاً، وقدر ارتفاعه بين 24 و28 ذراعاً، وللسور دعامات تزيده قوة. وله أربعة أبواب كبيرة متعامدة، متناظرة، ينفذ كل منها على نحو منحرف (زاوية قائمة) إلى دهليز طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً، وكل هذا الانحراف، أو الازورار يقصد به إمكان السيطرة على المداخل من قبل المدافعين، أو الحيلولة دون استخدام المهاجمين آلات لغرض كسر الأبواب، وهو أسلوب شاع استخدامه فيما بعد في المنشآت العربية وغيرها، والراجح أن العرب كانوا أول من ابتكره.

وتم سور داخلي ينفذ إليه هذا الدهليز، سمي بالسور الأعظم، وهو أكثر ارتفاعاً من سابقه، وقد اختلف المؤرخون في ارتفاعه والراجح أنه 35 ذراعاً، وكان ثمة 28 برجاً حصيناً، كل منها على هيئة نصف اسطوانة، بين كل باب وآخر من أبواب المدينة الأربعة: باب خراسان وباب الشام وباب الكوفة وباب البصرة، فيما عدا ما بين بابي البصرة والكوفة، فقد كان بينهما، بسبب غير معلوم لنا، 29

برجاً، وتقدر المسافة بين كل برج وآخر بنحو 136 ذراعاً. وبين السورين الأول والأعظم، فضاء (فصيل) يمكن استخدامه لأغراض الدفاع. وينفذ من كل باب إلى دهليز آخر طوله 20 ذراعاً، وعرضه 12 ذراعاً، في آخره رحبة مربعة طول ضلعها 20 ذراعاً، تعلوها قبة عالية، ويتصل بضلعي الرحبة الجانبيتين بابان، أما الباب الرئيس فيفضي إلى رحبة المدينة نفسها[2]. ويشبه هذا الأسلوب في بناء المداخل المحصنة ما وجد في حصن الاخضر، فتم مدخل يؤدي إلى رحبة، وعلى جانبيها حجرتان مستطيلتان للحرس، وتفضي الرحبة إلى دهليز (بطول 13 متراً)، ومنه إلى الرحبة تعلوها قبة، تخرج منها ثلاثة عقود، الشرقي والغربي يؤديان إلى مجاز كبير سقفه قبو، والجنوبي يفضي إلى البهو، إلا أن مدخل الأخضر يتميز بأن له باب حديدي ينزلق رأسياً ويرفع بواسطة الحبال[3]، بينما لم نعلم أن لمداخل مدينة السلام مثل هذا النوع من الأبواب.

اقتضت الضرورات الدفاعية، فضلاً عن مقتضيات التوسع المدني، تأسيس مدن أخرى، بعضها في جوار المدينة المدورة، وبعضها على مبعدة منها، حملت جميعاً، رسمياً، اسم مدينة السلام، وعرفت على المستويات الأخرى باسم بغداد، تلك القرية الصغيرة الواقعة إلى الجنوب من مدينة المنصور.

وكانت أولى تلك المدن، الرصافة، التي أسسها المهدي العباسي بأمر من أبيه المنصور في الجانب الشرقي من دجلة، إزاء المدينة المدورة، وتحتل أرضها حالياً محلات الاعظمية، بامتداد جنوبي لا يتجاوز محلة رأس الحواش. ومن المؤسف أن المؤرخين سكتوا عن أوصاف أسوار هذه المدينة الجديدة، وأبوابها، والذي نرجحه أنهم ما فعلوا ذلك إلا لأنهم لم يجدوا فيها ما يختلف عن المدينة السابقة بشيء، ومعنى هذا إن تحصينات الرصافة، بخندقها، وأسوارها، وأبوابها، حذت حذو النموذج الأول الذي وصفناه، فلم يجر فيه من التغيير ما استدعى لفت انتباه المؤرخين، وهم الذين يسجلون عادة ما يلفت انتباههم، لا كل ما هو موجود فعلاً. وفي الواقع فإن المتغير الوحيد في هذه المرحلة هو ما فرضه الموقع الجديد، فالرصافة، كانت -خلافاً لمدينة السلام- تقع على شاطئ دجلة مباشرة، وهذا يعني أن سورها الشاطئي كان يستند إلى مسناة ضخمة عالية تختلف عن المسنات التي تقع عند الخنادق الصناعية، ولكن أحداً لم يزد هذه الناحية تفصيلاً.

وكان توسع السكن في بغداد جنوباً، لا سيما في جانبها الشرقي، قد فرض على الخلفاء التاليين تشييد أسوار جديدة تحمي التجمعات السكنية الآخذة بالنمو المطرد، حتى باتت تؤلف مدناً بذاتها، وان لم تسمى بذلك. ففي سنة 251هـ/ 865م أنشأ الخليفة المستعين بالله سورين ضمّاً معظم التجمعات السكنية في الجانبين الشرقي والغربي في عهده، فكان السور الأول يضم محلات الشماسية والرصافة والمُخْرَم، وهذا يعني أن السور بلغ من الطول ما يحيط بمنطقة تمتد من أعلى الصليخ إلى الصرافية والعلوازية حالياً، أما في الجانب الغربي فقد أحاط سور المستعين بجميع المحلات التي نشأت حوالي المدينة المدورة، وهي تمتد اليوم من انعطاف دجلة بأعلى العظيفية شمالاً، وحتى جامع قُمريّة في الكرخ جنوباً. وتمدنا مصادر ذلك العصر بأسماء عدد من الأبواب التي كانت على هذين السورين، إلا أنها تسكت عن وصف تلك الأبواب وتحصيناتها الدفاعية، والراجح عندنا أن طول هذه الأسوار، وكثرة أبوابها، إزاء السرعة التي أنجز بها بناؤها، ثم اندثارها السريع نسبياً، يدل على أنها لم تكن بالمستوى الذي لاحظناه من إتقان البناء، وضخامة الأسس، وروعة التصميم. والراجح أنها لم تخرج في تصميمها العام، وهيئتها، عن الأنموذج العباسي الأول الذي تجلّى في مدينة المنصور قبل قرن واحد من تاريخ إنشائها، إلا أنه لا يستبعد ظهور تطورات محددة في تصميم البوابات، دليلنا إلى ذلك أن أسوار المستعين كانت تفصل بين مساحات مسكونة سكباً طبيعياً، أو فضاءات لم تسكن بعد، فهي تالية لها، بينما كانت أسوار المدينة المدورة جزءاً أساسياً من المدينة نفسها، أنشأت معها، وعدت جزءاً هاماً من تكوينها العماري، فلا نتوقع أبواب سور المستعين إلا أن تكون جزءاً ظاهراً في السور، كهيئة برج مربع أو مستدير، تعلوه قبة الباب. ولنا أن نلاحظ إن هذا التصميم هو الذي سيجري اتخاذه، وإن بأشكال مختلفة، في المرحلة التالية. ويفهم مما ساقه المؤرخون أنه كان لبعض هذه الأبواب شدّات بعرض الطريق، فيها العوارض والألواح والمسامير الطوال الظاهرة، ولبعضها الآخر باب معلق بمقدار الباب ثخين، قد ألبس بصفائح الحديد، وشدّ بالحبال كي إن وافى أحد ذلك الباب أرسل عليه الباب المعلق، وقتل من تحته، وجعل على الباب عرّادة، وعلى الباب الخارج خمسة مجانيق كبار وانه جعل لكل باب دهليزاً بسقائف تسعمائة. فارس

ومائة رجل»[4] وواضح أن اتخاذ سقائف على كل دهليز، يدل على أن هذا الدهليز كان مكشوفاً، وهو بهذا يشبه أن يكون ممراً محصناً بجدارين عاليين، ربما زوداً بفتحات لغرض رمي السهام، ومواد أخرى، وسنرى أن هذا التصميم للمداخل سيجد تطبيقاً في القناطر المكشوفة التي لبعض أبواب سور بغداد الشرقية، ومنها باب الظفرية (الباب الوسطاني).

أسوار بغداد الشرقية وأبوابها:

إن ظاهرة تصوير الأحياء والمحلات في بغداد، كانت ملازمة لحالات الفوضى التي تتعرض إليها بين حين وآخر، ومن الطبيعي أن تكون المحلات التي تنشأ فيها قصور الفئة العليا في المجتمع، أو مؤسسات الدولة الرئيسية، أكثر مدعاة للتسوير والتحصين. وكان قصر اتخذه المأمون منتزهاً له على شاطئ دجلة، في جنوب المخرم، قد أصبح بمرور الوقت المقر الرسمي للخلفاء المتأخرين، ثم عُرف بقصر التاج نسبة لهيئة أواوينه التي يقف بعضها فوق بعض كهيئة التاج (ويقدر موقعه اليوم في منتصف شارع النهر على دجلة)، وسرعان ما أنشأ الخلفاء والأمراء وأفراد من البيت العباسي قصورهم حوله، واقتضى وجود الخليفة وكبار موظفيه في هذا المكان أن تنتقل مؤسسات الدولة المهمة إليه كالوزارة والمخزن وبيت المال وغيرها، فأصبحت هذه المنطقة -التي عرفت بدار الخلافة- مركز ثقل الدولة كلها، وفيه تجمعت ثروات الخلفاء الشخصية وثروة الدولة على حد سواء، فافتضى الأمر تسويرها بسور عالٍ حماية لها من أي احتمال طارئ، بينما تجمعت حوالي هذا السور محلات ناشئة، كانت يوماً بساتين وحقول، ضمت التجمعات التجارية والسكنية، وتخللتها دروب وأسواق وطرفقات، وهكذا نما السكن في الجانب الشرقي مما كوّن، إبان القرنين الخامس والسادس للهجرة، محلات كثيفة متكاملة الوظائف، حتى وصفت كل محلة منها -على حد تعبير ياقوت- بأنها تقرب أن تكون مدينة كاملة[5]. ومن الثابت أنه كانت بين دار الخلافة وما حولها أبواب محصنة تفتح يومياً لمختلف الأغراض، وتغلق ليلاً، ومن المؤسف أننا لا نملك وصفاً دقيقاً لأي منها، إلا أننا نستطيع من تحديد وظائف كل باب منها أن نتصور تصوراً عاماً، شكلها. فباب الغربية، وهو أول أبواب دار الخلافة من أعلاها (شريعة شارع

أسامة ابن زيد) وصف بأنه شاهق البناء، وباب بدر (ساحة مرجان) كان في أعلاه منظر (مجلس في شرفة عالية)، وكان لباب العامة أبواب من حديد ضخمة، وباب البستان كان عليه، هو أيضاً، منظر تطل على البساتين المجاورة. إن هذه الأوصاف، على قلتها، تذكرنا ببعض ما كانت عليه أبواب مدينة السلام، حيث لكل باب من أبواب المدينة التي على السور الأعظم قبة معقودة عظيمة مذهبة وحولها مجالس ومترفات يجلس فيها فيشرف على كل ما يعمل به، وأما أبواب الحديد، فتذكرنا بما نقله المنصور إلى مداخل مدينة من أبواب من النوع نفسه، وبما أنه لم يكن ثم فصائل، لعدم وجود غير سور واحد، فمن المعقول أن أبواب دار الخلافة كانت تقوم على هيئة أبراج اسطوانة عالية منفردة، داخلها سلالم يصعد منها إلى شرفاتها التي في أعلاها، وترتكز هذه الأبواب، من جانبيها، على جدار السور نفسه.

ونتيجة لكثافة السكن حوالي دار الخلافة، ورغبة في إحاطة دار الخلافة بسور خارجي آخر، فقد بوشر في مستهل حكم الخليفة المستظهر بالله 487-512هـ/ 1094-1118م بإنشاء آخر أسوار بغداد، ليحيط بجميع المحلات الناشئة حوالي دار الخلافة، كان الشروع في إنشاء هذا السور في سنة 488هـ/1095م، واستمر العمل في عهد المستظهر، ولم يمكن إنجاز العمل كله في عهده، لضخامة السور، وطوله، وتعدد أبوابه، وأبراجه، فتواصل بناؤه في عهد خلافة المسترشد بالله 512-529هـ/1118-1135م، ثم أنشأت مسناة حول خندقه في عهد الخلفاء التاليين، أسوة بما عرفته أسوار مدينة السلام، والرصافة في العهود السابقة.

وكان للسور عدد من الأبراج اختلف المؤرخون في تقديرها، فهي بين 114 برجاً و150 أو 163 برجاً، ونعتقد أن سبب هذا الاختلاف يكمن في أن السور لم يتخذ شكل مستقيم منتظم، وإنما كانت فيه بروزات في أماكن معينة، وقد عدها بعضهم أبراجاً بينما لم يفعل آخرون ذلك. وقدروا طول هذا السور في القرن الثامن عشر بـ12400 أو 12200 ذراعاً ثم قدر -على نحو أدق- في القرن التاسع عشر بـ(10600 ياردة = 9692 متراً) [6].

وقد وصف ابن الجوزي هذا السور فقال: خرج الوزير عميد الدولة أبو منصور محمد ابن جهير في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة فحطَّ السور على الحرير وقلده

(كذا والصحيح: قدره)، وتقدّم (أي أمر) بجبايات المال الذي يحتاج إليه من عقارات الناس ودورهم، وأذن للعوام في الفرجة والعمل، فحمل أهل المحال السلاح وجاءوا بالأعلام والبوقات والطبول ومعهم المعاول والسلات وأنواع الملاهي، فعمل أهل باب المراتب فيلاً من البواري المقيّرة، وتحتة قوم يسيرون به، وعملوا زرافة كذلك. وأتى أهل (محلة) قصر عيسى بسميرية (وهي ضرب من السفن) كبيرة وفيها ملاحون يجدفون، وهي تجري على هاذور (بمعنى: أهزوجة) قد عملوه، وأتى أهل سوق يحيى بناعورة تدور معهم في الأسواق، وعمل أهل سوق المدرسة قلعة خشب تسيير على عجل وفيها الغلمان يضربون بقسي البندق، وأخرج قوم عنزاً على عجل وفيها حائك، والخبازون جاءوا بتتور وتحت ما يسيره، والخباز يخبز ويرمي إلى الناس. وكان بناء السور مائة قامة (أي طول ما بني منه في عهد هذا الخليفة)، فلم يزل كذلك (أي أن البناء توقف عند هذا الحد) حتى عزم المسترشد على بنائه في سنة سبع عشرة وخمسائة، فتقدم بجباية العقار الذي للناس فحصل منه مال كثير، فضج الناس (أي اعتراضوا) فأعيد عليهم، وأنفق عليه من ماله، وأذن للناس في الخروج للفرجة والبناء فخرجوا على تلك القاعدة، فكان كل أسبوع يعمل أهل محلة، وجعل للسور أربعة أبواب، وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً، ثم أن دجلة زادت زيادة عظيمة في سنة أربع وخمسين (وخمسائة) في خلافة المقتفي لأمر الله، وانفتح القورج (وهو نهر كان شمالي بغداد) وأحاط الماء بالسور، وانثلت منه ثلث عجزوا عن سدها، فاتسعت فتهدم معظم محال بغداد، فتقدم المقتفي بعمل مسناة حول السور فعمل بعضها وتوفي، وولي المستنجد فعملوا منها قطعة وتوفي، وولي المستضيء فعمل بمقدار ما عمل في زمن الخليفين [7]. قلنا: وقد جدد الخليفة الناصر لدين الله هذا السور وشيد باب الظفرية وباب الحلبة على ما سنذكر فيما يأتي.

يتضح من هذا النص ما يأتي:

1- إن السور الذي يتحدث عنه هو سور بغداد الشرقية. ومن ثم فلا يمكن أن تحمل عبارته «فخط السور على الحریم» على محمل أنه يعني حریم دار الخلافة، وهو سور داخلي يفصل بين دار الخلافة وسائر محلات بغداد.

2- إن عمل السور استغرق مدة خلافة سبعة خلفاء عباسيين، هم على التوالي:
أ- احمد المستظهر بالله بين المقتدي (487- 512هـ/ 1075- 1094م).
ب- الفضل المسترشد بالله ابن المستظهر (512- 529هـ / 1118- 1135م).
ج- منصور الراشد ابن المسترشد (529- 530هـ/ 1135- 1136م).
د- محمد المقتفي لأمر الله ابن المستظهر (530- 555هـ/ 1136- 1160م).
هـ- يوسف المستنجد بالله ابن المقتفي (555- 566هـ/ 1160- 1170م).
و- احمد الناصر لدين الله ابن المستضيء (575- 622هـ / 1180- 1225م).
3- إن عدد السنين التي استغرقتها أعمال البناء بلغت نحو 134 سنة، تتخللها مدد توقف العمل فيها .

4- إن وضع أعمال بناء السور تحت إشراف الوزير، وهو بمعنى رئيس الوزراء في الوقت الحاضر، يدل على أن فكرته وبنائه، وتزيينه، جرى من قبل مسؤولين، عالي الخبرة في مثل هذه المجالات، يرتبطون بالخليفة مباشرة، وهو ما يماثل عمل الدوائر الهندسية المرتبطة برئاسة الدولة في العصر الحاضر.

5- إن العمل في بناء السور كان تطوعياً بحثاً اضطلع به أهل المحلات ببغداد، ولذا فقد كان العمل يجري وسط احتفالات شعبية حافلة.

6- إن عرض السور بلغ 22 ذراعاً، أي 11 متراً، وواضح انه قصد به عرض قاعدته، وبضمنها الخندق وهو رقم يقل-على أي حال- عن عرض أسوار مدينة المنصور المدورة، بيد أن لنا أن نلاحظ إن مواد بنائه كانت جميعاً من الآجر والجص، بينما كان الآجر المصنوع من اللبن غير المشوي يدخل في أسوار المنصور.

7- إن للسور خندق حُفر معه، إلا أن هذا الخندق كان خلواً من مسناة تدعم السور وتحميه من مياه الخندق وما يتدفق إليه من مياه أخرى بسبب ارتفاع مناسيب دجلة، مما أدى إلى إلحاق الضرر ببعض أجزاء السور في فيضان سنة 554هـ، وقد أضيفت مسناة له في نهاية عهد المقتفي، بعد أكثر من ستين عاماً، والفارق بيوالتى سبقتها أنها أنشأت بعد حفر الخندق بمدة، بينما كانت تلك المسننات جزءاً من السور نفسه، تنشأ مع إنشائه، وهذا يعني أن إضافات

مستحدثة كانت قد زيدت على كل باب من أبواب السور لتناسب المسناة المستجدة، ولكن هذه الإضافات ما كانت لتغير من التصميم العام للأبواب بسبب أن الأخيرة كانت قد شيّدت على خندق حفر كنوع من الدفاعات المستضافة إليه، ومن ثم فإنها جزء من ذلك التصميم.

8- لا يوضح النص الجزء الذي شيّده المسترشد (وهو أقدم الأجزاء بناءً) من السور، وإنما يكتفى بالقول انه بلغ مائة قامة، أي 200 متراً تقريباً (القامة هي الباع = 199,5 سنتمراً) ويصعب التكهن بموقع هذا الجزء، والذي نتصوره انه كان القسم الأعلى (الشمالي) من السور، ابتداءً من ضفة نهر دجلة قرب مبنى وزارة الدفاع حالياً وحتى باب السلطان (باب المعظم) أو ما بعده بقليل. يدلنا على ذلك أن الباب السلطان هو أول الأبواب ذكراً في مصادر العصر، وأن معظم التجمعات السكنية عنده، بينما كان السكن في الأجزاء الجنوبية في ذلك العهد غير كثيف، حيث تكثر البساتين والمزارع هناك.

أبواب السور:

وكان للسور أربع أبواب، فالباب الشمالي سمي بباب السلطان (وقد عرف فيما بعد بباب المعظم، وموقعه في وسط شارع الرشيد إزاء جامع الأزبكي اليوم)، ويوجد بينه وبين شاطئ دجلة الأعلى 12 برجاً، والباب الثاني عرف بباب الظفريّة (وهو الذي سمي في العهود المتأخرة بالباب الوسطاني، وسيأتي الكلام عليه) يوجد بينه وبين الباب الأول 24 برجاً، والباب الثالث هو باب الحلبة، سمي بذلك لوجود حلبة للسباق هناك قبل إنشاء السور (وعرف بباب الطلسم، وقد أزيل في الحرب العالمية الأولى، ويقع بقرب طريق محمد بن القاسم السريع)، وبينه وبين الباب الوسطاني 26 برجاً، والباب الرابع، وهو الأخير، باب البصلية، أو باب كلواذي (وهو الباب الشرقي، وكان يقع في مدخل شارع الخلفاء، وبين باب الحلبة 36 برجاً، وبينه وبين شاطئ دجلة 4 أبراج، وكان يسلك منه إلى قرية كلواذي الواقعة عند ساحة الحرية حالياً) [8].

وقد لبثت هذه الأبواب شاخصة حتى ما بعد نقض السور نفسه في عهد والي بغداد مدحت باشا سنة 1870، ثم أزيل تدريجياً حتى لم يبق منها في الوقت

الحاضر إلا باب الظفرية (الباب الوسطاني). ففي 11 آذار سنة 1917 نسف الجنود العثمانيون المنسحبون من بغداد باب الحلبة (باب الطلسم) بسبب خشيتهم من أن يقع ما خزنوه فيه من بارود بيد القوات البريطانية المتقدمة لاحتلال المدينة، وفي عشرينات هذا القرن جرى نقض باب السلطان (باب المعظم) وفي أيار 1937م هدمت أمانة العاصمة باب كلواذى (الباب الشرقي) تماشياً مع نزعة التحديث على ما فهمها المسؤولون عن خدمات بغداد عهد ذاك، فلم يبق من هذه الأبواب التاريخية غير صور فوتوغرافية التقطت لها من قبل مصورون هواة وسياح، وذلك قبل أن تجري لها أي دراسة أثرية أو معمارية، ففقدت بذلك بغداد أكثر معالمها جمالاً وأهمية تكشف دراسة الصور والرسوم الخاصة بأبواب بغداد عن أنها مثلت عدداً من أنواع التحصينات الدفاعية للمداخل، ومع أنها بنيت جميعاً بمواد متماثلة هي الآجر الكبير، والجص، والنورة، فإن كل باب منها يختلف عن الآخر من حيث التصميم اختلافاً ملفتاً للنظر، فباب الحلبة (باب الطلسم) الذي شيده الخليفة الناصر لدين الله كما دلت كتابة كانت تزين مدخله، سنة 618هـ / 1221م، يتمثل بكونه برجاً اسطوانياً ضخماً، له بابان، الأول ينفذ إلى خارج السور، وله قنطرة طويلة بموازاة الخندق، وملتصقة بحافته الخارجية، والآخر ينفذ منه إلى داخل المدينة، وهو مشابه تماماً للباب الوسطاني [9] باستثناء الحلي البنائية التي تعلو بابه الداخلي (ومنها اكتسب اسمه في العهود المتأخرة، إلى ما اعتقد انه طلسم يزين أعلاه) [10]. وكان ثمة برج يقع قريباً منه، عرف ببرج العجمي، دخل منه المغول بغداد محتلين في شتاء سنة 656هـ / 1258م، وربما كان وصف المؤرخين لبرج العجمي بالضعف يعود، في جانب منه، إلى تصميمه البسيط، وعدم وجود ما يدعمه من تحصينات سائدة، فما كان منه إلا أن انهار على يد الغزاة.

أما باب السلطان (باب المعظم) فالصور التي وصلتنا له، تدل على انه اتخذ شكل حصن صغير، مستطيل الشكل، يتوسطه باب له عقد بشكل نصف دائرة، وفوق الباب من خارجه شرفة صغيرة للدفاع عنه، وفي جانبيه حجرتان أو حجرات للحرس، ويتقدم الباب من الجانبين، ويتصل به، برجان عاليان، لهما مزاغل لرمي السهام ونحوها [11]. ويصفه بعض من عاصره بأنه بشكل إيوان طويل مفتوح الجهتين، ذو أربع أطواق، بين هذين عضادات نصف كروية، لا يشبه الأبواب

الأخرى[12]. ويذكر عبد الحميد عبادة أن تحت مبني هذا الباب سرداب مظلم كبير على قدر مساحة الباب المذكور، كانت توجد في قعره ثلاثة قبور مبنية بالأجر والجص[13]، ومن الصعب تفسير وجود هذا السرداب الكبير تحت مبني الباب مباشرة إلا أن يكون مخزناً للسلاح ونحوه، ويلاحظ خلو الباب الوسطاني من سرداب مثله. هذا بينما يظهر باب كلواذى طويلاً، وعلى جانبيه حجرات عدة، وله سلالم يصعد بها إلى أعلاه حيث تجري عمليات الرصد والمدافعة برمي السهام ونحوها، ويظهر أن سعة المكان ومتانته هي التي كانت وراء اختيار البريطانيين له لان يكون كنيسة خاصة بهم في مدة احتلالهم للعراق. ولا يعلم في أي من الخلفاء جرى تشييد هذا الباب، وإذا كان افتراضنا ان العمل بالسور قد بدأ من نقطة في أقصى المدينة الشمالي، صحيحاً، ففي وسعنا القول بأن بناء باب كلو اذى، على النحو الذي ظل قائماً في العهود التالية، كان في مرحلة أخيرة من مراحل بناء ذلك السور.

باب الظفرية (الباب الوسطاني):

يرجح انه من أنشأ الخليفة الناصر لدين الله، مثله في ذلك مثل باب الحلبة (باب الطلسم) الواقع في الجهة نفسها من سور بغداد، والمشابه له في التصميم والشكل العام، والدعاء الوارد جزء منه على هذا الباب يشبه أدعية أخرى قيلت في هذا الخليفة، وهو ثاني أبواب بغداد، بعد باب السلطان (باب المعظم)، نسب إلى محلة كان يقع بقربها تسمى الظفرية، كانت قد نشأت عند بستان سميت قراح ظفر، والقراح اصطلاح بغدادى- بحسب نص ياقوت- يعني البستان، وظفر اسم رجل من مماليك الخلفاء،[14]وواضح من هذا إن الباب أنشئ أصلاً عند بستان لرجل هذا اسمه، ولما كان مستحيلاً أن تسقى هذه البستان إلا من بعض فروع الأنهار المستمدة من نهر (بين) الآخذ من نهر الخالص، فإن من المنطقي أن يكون البستان مما يرقى إلى عهد سابق على إنشاء سور بغداد الشرقية يوم كانت بساتين هذه النواحي تُسقى من تلك الفروع.

يتألف الباب الوسطاني من برج ذي مظهر اسطوانى الشكل من الخارج، بينما له ثمان أوجه من داخله، وفي كل وجه منها دخلة في الجدار، بعمق 75،. متراً، عدا

الدخلة المقابلة للمدينة، وهي في الجهة الجنوبية الشرقية، فتم فتحة الباب المطل عليها، والدخلة المقابلة للفضاء الخارجي، وهي في الجهة الشمالية الغربية، حيث توجد فتحة الباب الخارجي، ويعلو كل من هاتين البوابتين (قوس إنائي معقود ذي رأس مدبب، ويبلغ نصف قطر هذا البرج من الداخل بزخارف هندسية جميلة بارزة في الآجر، كما زُين جانباً الباب بصورة أسدين جالسين نحتت بشكل بارز على الآجر أيضاً. ويعلو البرج من الأعلى، من جهته الشرقية، شريط من الكتابة بخط النسخ الجيد، تقرأ منه العبارة الآتية (.. ولا زالت دعوته الهادية للدين قواماً وللإسلام نظاماً ولدولته القاهرة سكيئة وللأمة عصاماً ومنزلته للسلام بإشراق أنوار سعد..). وهو مبني بآجر بمقياس (16 × 16 × 5سم)، ويستقر على أسس متينة بعمق 3 أمتار. ولما كان هذا البرج يقع وسط مساحة مائية كبيرة نسبياً، وهي قسم من خندق المدينة، فقد أضيفت إليه قنطرتان لكل منهما فتحتان على هيئة أووين معقودة، تكفيان لانسياب المياه من تحتها، والقنطرة الرئيسية التي تصل بين المدينة والبرج محصنة بجدارين عاليين في أسفلهما صقان من أووين، ستة في كل جانب، ويعلو هذين الصقين ممران مكشوفان لاستخدامها من الجنود الذين وكل إليهم أمر الدفاع وذلك برميهم النشاب من فتحات خاصة (مزاغل) تقع في أعلى كل ممر. ويبلغ عرض القنطرة مترين، وهي أكثر ارتفاعاً من القنطرة الأخرى، الموصلة إلى الفضاء الخارجي، وذلك- فيما يبدو- لجعل الجنود فيها يسيطرون على حركة الداخلين إلى المدينة.

وتتصل القنطرة من جانبيها بسور بغداد، ويبلغ عرضه 2,5 متراً، وهو مبني بالآجر المربع (الطابوق الفرشي) المرصوص، لغرض إعطائه المتانة الكافية للمحافظة عليه من احتمالات النقب المعادي، أو من تأثير وجود المياه في الخندق المجاور، ويبلغ طول قطعة السور التي كشفت عنها، في أعمال الصيانة التي أجرتها المؤسسة العامة للآثار والتراث سنة 1979، نحو 100 متراً، وللسور أبراج كبيرة، تم الكشف منها في السنة المذكورة عن أحدهما، فإذا هو يتخذ شكل نصف اسطوانة مجوفة، طول قطرها 8 متراً.

وتحيط بالخندق، من على مسافة 32,5 متراً عن الركن الأيمن لمدخل الباب الخارجي، مسناة تأخذ شكل قوس كبير، مكوناً نصف دائرة قطرها 7,13 متراً.

ويبلغ عرض هذه المسناة مترين ونصف، معززة بإحدى عشرة دعامة بين كل دعامة وأخرى حوالي 7,83 متراً، ويبلغ عمق المسناة نحو 3,5 متراً، وهي مبنية بأجر بقياس (23×23×7سم) ولكنها شيدت على مصطبة مدرجة تتألف من سبع درجات ارتفاع كل منها بارتفاع قطعة أجر البناء (5سم) ويعرض (20سم) أي أنها تبرز 70سم عن وجه الجدار، وبارتفاع يناهز 50 سم، وثمة صفوف من الأجر بمقاييس مختلفة وهو ما يدل على إجراء عدد من الترميمات عليه في الحقب المتأخرة. وتصل القنطرة الخارجية بين الباب الخارجي للبرج والحافة الشرقية (اليسرى) لهذه المسناة، وهي تتصل بهذه الحافة اتصالاً وثيقاً بطريقة (الشد والحل)، وفيما عدا هذا التقوس الذي أريد به إحاطة برج الباب بالماء من كل اتجاه فإن المسناة تأخذ شكلاً موازياً للسور نفسه.

والملاحظ أن تصميم هذا الباب وموقعه جعله أكثر أبواب بغداد حصانة وقدرة على الدفاع، فالباب يمثل تطوراً لفكرة البرج الأسطواني المقبب، الذي يرقى إلى قبته بسلاسلم ليشراف منها على الفضاء المجاور، إلا أنه زاد عليها بأن جعل مدخله الداخلي يتعامد، على شكل زاوية قائمة، مع مدخله الخارجي، فهو إذن قد راعى أيضاً أسلوب المداخل المزورة التي عرفتها مدينة السلام منذ تأسيسها في القرن الثاني للهجرة، وزاد مصمم هذا الباب من حصانته بأن قدم للباب من الداخل بقنطرة عالية مكشوفة كما أن إحاطة برج الباب بمساحة مائية واسعة زاد من هذه الحصانة إذ لم يكن ممكناً الوصول إلى السور إلا بعد اجتياز قنطرتين، على التعاقب.

إن تصميم باب الظفرية المركب من عدة أفكار بنائية في تحصين مداخل المدن، يجعله يحتل أهمية عالية بين أبواب مدينة بغداد الأخرى، والمعاصرة له من حيث زمن الإنشاء، وهو تصميم يتيح لمستخدمي الباب، ببرجه وقنطرتيه الحصينة، ومواقع الرصد والرمي فيه، وخذقه العريض، قدرة عالية في الدفاع والمطاوله وإلحاق أكبر الأذى في القوات المهاجمة، كما من شأنه ستر حركة المدافعين عنه من رصد المهاجمين. ولذلك ففي وسعنا القول، أن هذا الباب يمثل ذروة ما تفتق عنه ذهن المهندس العراقي، من وسائل دفاعية، ليس في مدينة بغداد فحسب، وإنما في غيرها من المدن التي تقع في سهول منبسطة، حيث تنعدم العوارض الطبيعية، إلا

مايشاد فيها من خنادق وأبراج. ولا بد لنا هنا أن نسجل إعجاب الرحالين الأوربيين الذي مروا به بحسن تصميمه وجودة موادته البنائية، فهذا بكنكهام يذكر، في أوائل القرن التاسع عشر، أنه كان يتميز بالفخامة، وبجودة الآجر الذي شيد به، وأن دقة تركيبه يضارع أي بناء قديم كان قد شاهده قبلاً [15].

موقع الباب في العصر العباسي:

أشرنا إلى أن باب الظفرية كان يجاور محلة الظفرية، واليهما نُسب، وإن هذه المحلة كانت قبل أن تعمر بستاناً، فلنا أن نتصور المنطقة، في عهد إنشاء الباب، قد توزعت فيها البساتين، فإلى الجنوب من الباب كان ثمة قراح ابن رزين، وقراح القاضي وقراح أبي الشحم، وهذه كلها بساتين غناء، تجاورها بيوت الناس، وتقع في حوافها القصية مقابرهم.

وكانت ثمة مقبرة كبيرة، واسعة، تعترض الذهاب من وسط بغداد الشرقية إلى الباب، عرفت بباب أبرز، أو ببيرز، ومن الصعب تصور حدود هذه المقبرة الآن، بسبب انها لم تكن مُسوّرة، بل تتصل بفضاءات عدة، وجدت فيها مقابر أخرى، فقد اعتاد سكان محلات الجانب الشرقي دفن موتاهم في النواحي القاصية من محلاتهم، وكانت تلك النواحي تتصل بفضاء واحد متصل يفصل بين المحلات من جهة وسور بغداد عند إنشائه من جهة أخرى. وتمتد تلك المقابر جنوباً حتى مقبرة اليهود القديمة (ساحة النهضة اليوم) ومقبرة الغزالي حالياً. ويبدو منها وحشة تلك المقابر منظر نهر كان يتفرع من نهر (بين) الآخذ مياهه من نهر الخالص، يسمى نهر المُعلّى، نسبة إلى أحد كبار القادة في عهد الرشيد، وكان هذا النهر «يدخل البلد» ويمضي إلى (باب ببيرز) أو باب أبرز، ومن هناك يمر بين الدور إلى باب سوق الثلاثاء (قرب جامع مرجان الحالي)، ثم يدخل قصر الخلافة المسمى الفردوس، في دور فيه ويصب في دجلة [16].

وكان يمكن للذهاب من وسط بغداد الشرقية إلى باب الظفرية أن يسلك طريقاً يجتاز به عدداً من المحلات والبساتين، حتى يفضي به إلى مقابر باب أبرز المذكورة آنفاً، وهناك يسلك سبيلاً وسط تلك المقابر وما انتثر بينها من بيوت حتى يصل إلى قراح ظفر، حي يرتفع قبالة سور بغداد، ويشمخ أمام ناظره برج باب الظفرية المذكور.

وقد وصف ياقوت هذا الطريق على نحو ظاهر الدقة، فقال: «إنك تخرج من رحبة القصر (وهو جامع الخلفاء) مشرقاً، حتى تتجاوز عقد المصطنع (عند قاضي الحاجات في الشورجة)، وهو باب عظيم في وسط المدينة، فهناك طريقان، أحدهما يأخذ ذات الشمال مقدار رمية سهم إلى درب يقال له درب النهر عن يمين القاصد إلى قراح ابن رزين، ثم يمتد قليلاً ويشرق فحينئذ يقع في قراح ابن رزين، فإذا سار في وسطه فمن يمينه درب النهر واللوزية، وعن يساره المحلة المقتدية التي استحدثها المقتدي بالله، ثم يمر في هذه المحلة، اعني قراح ابن رزين، نحو شوط فرس جيد، فحينئذ ينتهي إلى عقد هناك وباب، فإذا خرج منه وجد طريقين، أحدهما يأخذ ذات الشمال، يفضي إلى المحلة المعروفة بالمختارة، فيتجاوزها إلى مقبرة باب ابرز وطولها غالباً للشمال، فإذا انتهت المحلة وقع في محلة تعرف بقراح ظفر...

فإذا ما نقلنا هذا الوصف إلى لغة خطط بغداد اليوم، قلنا أن الذهاب إلى باب الظفرية، كان يخرج من الرحبة المحيطة بجامع الخلفاء في شارع الخلفاء الحالي، لينفذ منها إلى عقد قاضي الحاجات في وسط سوق الشورجة، فيجد أمامه طريقان، الجنوبي منهما هو عقد القشل وصبايخ الآل بامتداد يصل إلى محلة باب الشيخ، والشمالى منهما يمضي فيجتاز محلة قنبر علي فالتوراة وأبي سيفين، ثم يمضي في طريقه مجتازاً محلات الفضل والمهدية والسيد عبد الله وقمر الدين، حتى ينتهي إلى شارع الشيخ عمر فيجتازه إلى حيث جامع ومقبرته، ومن هناك ينفذ إلى الباب المذكور. وليس من المحدد تماماً ما إذا كان الباب سبباً في يتخذ هذا الطريق امتداده حتى يصل منطقته، مجتازاً معظم محلات القسم الشمالي من بغداد الشرقية، أم أن اختيار مكان الباب جرى أصلاً لأنه يقع على طريق المذكور. ويمكن القول بأنه لا تزال ثم معلومات خططيه كثيرة تنقصنا في فهم العلاقات بين التجمعات السكنية ومواقع الأبواب في ذلك العصر.

وفي عهد قريب تال لتاريخ إنشاء باب الظفرية، شهدت المنطقة تشييد معلم جديد، سيكون له حظ من العناية والاهتمام، على المستويات الرسمية والشعبية في القرون التالية، ذلكم هو مرقد الإمام الشيخ أبي حفص عمر البكري السهروردي، المدرس في مدارس بغداد، والسفير لدى دار الخلافة، المتوفي سنة 632هـ. وقد ذكر

صاحب كتاب الحوادث انه «دفن في الوردية في تربة عملت له هناك على جادة سور الظفرية»[17]، واذ ذكر ياقوت أن الظفرية محلة تقع في غربي باب ابرز[18] فتكون جادتها، هي بالتحديد، الشارع المتفرع من شارع الشيخ عمر والمنتهي إلى الباب الوسطاني، وتكون الظفرية مقابلة لجامع الشيخ عمر السهروردي، بينما يكون قراح ظفر، ومقبرة باب أبرز هي الأرض التي شيد عليها الجامع المذكور، وما نشأ حولها من مقبرة واسعة تنسب إليه.

المنطقة في العهد التالية:

يظهر أن ضرراً ملموساً لم يلحق بباب الظفرية في أثناء اقتحام المغول بغداد بسبب أنهم لم يدخلوها منه أصلاً، وفي سنة 656هـ/1266م اختار حاكم العراق علاء الدين عطا ملك الجويني أرضاً وصفت بأنها بظاهر بغداد، تجاه باب الظفرية والحلبة ليبنى عليها قصراً ورواقات وحماماً، واستجد حوله بستاناً عظيماً غرس فيه أنواع النخل والأشجار والأثمار حتى الفستق، وغرم عليه مالاً كثيراً[19] إلا أن إهمال سلطة الاحتلال صيانة السور، وتعرضه المستمر إلى خطر الفيضان، كلما زاد منسوب المياه في دجلة، أدى إلى تضعفه، فحينما غرقت بغداد غرقها الفادح سنة 775هـ/1373م، تعرّض هذا السور إلى ضرر كبير، مما اضطر السلطان أويس الجلائري، حاكم العراق عهد ذلك، إلى عمارته[20]، وفي الواقع فإن سور بغداد الشرقية كان يؤدي مهمتين معاً، أولاهما عسكرية دفاعية، والأخرى لحماية بغداد من أخطار الفيضان، والمهمة الأخيرة هي التي أدت بالولاء العثمانيين المتأخرين، بعد إزالة أجزاء كبيرة منه، إلى التعويض عنه بإنشاء السدة الشرقية، التي لبثت إلى أواسط الستينات من القرن العشرين.

ونتيجة لتقلص المساحة المسكونة داخل أسوار بغداد الشرقية، ومن ثم زوال المحلات القاصية عن مركز المدينة، كقراح ظفر والظفرية وما يجاورهما من محلات، فقد نسي-تدرجياً- اسم باب الظفرية، وأخذ يعرف باسم جديد هو الباب الوسطي[21]، والباب الوسطاني، وذلك لأنه كان يتوسط المسافة بين باب كلو أذى (وقد عرف في العصور المتأخرة بالباب المظلم لاندثار كلواذى نفسها) وباب السلطان (الذي عرف أيضا بباب المعظم)، وهذا بعد أن أغلق العثمانيون باب الحلبة (باب الطلسم) القريب في الجهة نفسها بعد سنة 1048هـ/1638م.

وكان الباب قد عرف في القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد) باسم جديد هو (اغجه قابو) ويعني الباب الأبيض[22]، ويظهر أن سبب هذه التسمية يعود إلى لون الجص الذي شيد به، وتمييزاً عن باب كلواذي، الذي عرف في هذا العصر أيضاً بقرانلق قبوسي، أو قره قابي، أي باب السواد، أو الباب الأسود[23]، وذلك لحريق وقع فيه -فيما يظه- فأسود لونه بتأثير الدخان. وفي العصر العثماني عرف الباب بتسمية جديدة، هي (باب سفيد)، وتعني الباب الأبيض أيضاً[24]. وقد شهد الباب، كما شهد السور نفسه، ترميمات مختلفة في القرون التالية، ففي سنة 980هـ صدر فرمان إلى أمير أمراء بغداد «يتعلق بتعمير وترميم أسوار بغداد التي أصابها الخراب في بعض أقسامها من جرأ فيضانات شط دجلة في عام 977هـ بصورة لم يسبق لها مثيل»⁽¹⁾ فلاحظ الرحالة بكنكهام أن السور الذي يحيط ببغداد يحمل من الدلائل ما يبرهن على أنه قد تم تشييده وإصلاحه في فترات عديدة متباعدة، وإن أقدم جزء فيه هو أفضل الأجزاء،[25] وكان قد ذكر بأن أفضل تلك الأجزاء هو برجاً من الباب الوسطاني وباب الطلسم.

ومن ناحية أخرى، شهد القرن الذي أعقب احتلال المغول بغداد اهتماماً متزايداً بمرقد الشيخ السهروردي المجاور للباب الوسطاني، ففي سنة 735هـ/1335م جدد الوزير غياث الدين محمد بن الوزير فضل الله الخواجة رشيد الدين عمارة هذا المرقد تجديداً شاملاً، ولا يعلم على وجه اليقين ما إذا كانت القبة المخروطية من بنائه، أم أنه اكتفى بتجديدها، ولكن من الراجح أن الجامع الكبير الذي بجواره أضيف إلى المرقد في عهد تال، وأن هذا الجامع شهد معظم توسعاته وإضافاته في العهود العثمانية، ومنها أن أميراً من سلالة عباسية، هو إسماعيل باشا[26] أمير العمادية وأعمالها، أضاف إليه طارمة في الجهة الشمالية منه، وطاق مرتفع مشرف على الصحراء[27]، والذي نذهب إليه إن هذا الطاق هو واجهة الجامع الخارجية التي لما تزل قائمة اليوم. وفي سنة 1320هـ/1902م أعيدت عمارة الجامع وأقيمت منارته الحالية، ثم تعددت تعميراته في السنين التالية وما زال يحظى بنوع من اهتمام.

(1) الأرشيف العثماني باستانبول، دفتر مهمة 21 ص 27 بتاريخ 10 رمضان 980هـ.

ومن المنشآت المهمة التي شهدتها المكان، في أوائل عهد الدولة العثمانية في العراق مشروع كبير لمياه الشرب، أنشأه سنة 1084هـ / 1673م والي بغداد حسين باشا السلحدار (1083-1085هـ)، وكان هذا المشروع يتمثل في رفع قناة على عقود عديدة تتصل بدولاب تحركه الدواب (كرد) يرفع المياه إليها من عند شريعة الميدان (بين نادي الضباط الأعوان المندثر وبيت الحكمة حالياً)، وتمضي هذه القناة المرفوعة فوق محلات بغداد، لترقد في الماء عدداً من السقايات المنتشرة في القسم الشمالي من بغداد، حتى تنتهي إلى جامع السهورودي، فتغذي سقايته بالماء، وما يتبقى يذهب إلى بستان وارف الظلال كان عند الجامع، أنشأه هذا الوالي [28]، وكان هذا البستان يمثل المساحة الخضراء الوحيدة في تلك المنطقة التي خلت من العمران إلا من المقابر، وآخر ما يمر به من الخارج من بغداد، قبل أن يجتاز الوسطاني، متخذاً طريقه إلى نواحي شرقي بغداد وما بعدها، وورد الإشارة في وقفية حسين باشا السلحدار إلى الباب الأبيض (وهو الباب الوسطاني نفسه) بوصفه أحد حدود الأرض التي أوقفها على الساقية المذكورة [29]، وقد ظهر البستان في صورة لبغداد رسمها السائح الهولندي دابر، في أواخر القرن السابع عشر، ولبثت بقايا هذه القناة ماثلة حتى أواخر القرن التاسع عشر.

اتخذ العثمانيون من موضع قريب من الباب الوسطاني مخزناً للبارود، عرف (بالبارود خانة)، ووردت الإشارة إليه في وقفية حسين باشا السلحدار المؤرخة في سنة 1084هـ، وفي خارطة بغداد سنة 1324هـ / 1908م للسيد رشيد الخوجة، تعيين لموقع (البارود خانة)، فإذا بها قريبة من سور بغداد الشمالي، إلى الغرب من جامع الشيخ عمر.

زود الباب في العصر العثماني بعدد من المدافع، قدر عددها بين 6-7 مدافع، وكان من بينهما مدافع ضخمة لها دور في الدفاع عن بغداد في أثناء حصار نادر شاه لها سنة 1156هـ / 1743م، ولكن جرى سحبها في ما بعد لتحتل مواضع دفاعية أخرى [30].

وتشير النصوص التاريخية المرتقبة الى العصر العثماني الى وجود عدد من الربايا (التوابي) العسكرية قرب الباب الوسطاني، أهمها تابية الفتح، وتعرف أيضاً

بتابية الشيخ عمر، وهي تبعد عن جامع الشيخ السهروردي بمسافة تسعين متراً، على الطريق الموازي للسور الشمالي، ومنها أيضاً تابية الآغا، وتابية التراب، وكانت على بعض هذه التوابي بطارية مدفعية أقامها والي بغداد أحمد باشا بن حسن باشا (حكم من 1136 إلى 1147هـ/1723-1747م للدفاع عن بغداد لتلك الناحية)[31]. وقد وردت مواقع هذه التوابي في خوارط السياح ابان العهد العثمانية[32].

ونتيجة لتوسع الدفن حوالي جامع السهروردي، وعدم اتخاذه شكلاً منتظماً، ربما لعدم وجود مناطق سكنية مجاورة، فقد أخذ الناس بدفن موتاهم حوالي الباب، وعلى اكتاف خندقه، وفوق بقايا السور المتصل به، ومع أن وجود آجر هذه المنشآت كان يوفر مادة بناء متاحة دائماً لبناء الأضرحة، إلا أن دفن الموتى في هذه الأماكن أدى، من جهة أخرى، إلى حفظها من النقض والهدم، على خلاف ما حدث لأجزاء السور الأخرى التي نقضت بأمر من والي بغداد مدحت باشا سنة 1288هـ/ 1870م. لأن وجود القبور عليها كان يمنع الطماعين بالتقريب عن قطع الآجر ونقلها لاستخدامها في بناء المساكن، وهو ما كان يجري عادة المدن والأحياء التي يتصادف وجودها قرب مدن أثرية دائرة، ولذا فليس غريباً أن تبقى أجزاء من السور ماثلة حتى يومنا هذا تحت ركام من بقايا القبور، ففي وسعنا ان نقول أن الأموات نجحوا في حفظ ما عجز عن حفظه الأحياء!.

الباب الوسطاني ومنطقته اليوم:

على الرغم من توقف الدفن على بقايا سور بغداد، حوالي الباب الوسطاني، منذ عدة عقود من السنين، إلا أن المنطقة لم تكتسب من مظاهر التطور شيئاً، اللهم إلا بعد أعمال الصيانة المتقطعة التي قامت بها مديرية الآثار القديمة، منذ الثلاثينات، لجسم الباب نفسه، والتي استمرت في مواسم تنقيبية مختلفة، واتخاذ الباب متحفاً عسكرياً بعض الوقت، بيد ان هذه الأعمال انصرفت- بالضرورة- إلى ترميم الباب ومسناته وخندقه، ولم تشمل العناية بالمقتربات الاخرى فضلاً عن المنطقة بصورة شاملة. وبالمقابل فان هذه المنطقة فقدت، ابان العقدين الأخيرين،

الكثير من ملامحها الجمالية، فقد أقيم على مبعده عشرات الامتار من الباب طريق سريع مرفوع على أعمدة خرسانية، فبدد هذا الطريق من هدوء المكان، وقضى على ما كان يحيط بالباب من فضاءات تمنح المشاهد مجالاً رحباً لتأمل الباب والشواخص المختلفة من حوله. كما أن هذا الطريق، بثياته وقواعده، أوجد امكنة جديدة استغلتها فئة من الناس لجمع القمامة أو فرزها، مما حول المنطقة الى مكان موحش تجمع فيه مختلف المواد التي يتم الحصول عليها عن هذا السبيل وغيره.

مقترحات ختامية:

وفي ختام بحثنا هذا نود أن نتقدم ببعض المقترحات على النحو الآتي:

1- ضرورة العمل على ترميم الباب الوسطاني ترميماً شاملاً، وبمواد قريبة من مواصفات مواده البنائية الأصلية.

2- العمل على نقل رفات الموتى الذين دفنوا حول الباب، من عقود عدة، الى مقابر أخرى.

3- إظهار السور المتصل بالباب من جهتيه، وبخاصة في الجزء الشمالي، الذي يستدير فيه، باتجاه باب المعظم، والكشف عن قواعد الابراج الكبيرة هناك.

4- اكمال بناء السور وأبراجه في تلك الجهات ليصل الى ارتفاعه المفترض، ويمكن الاهتمام الى ذلك بالصورة الفوتوغرافية والرسوم التي نفذها سياح ومصورون مروا بالمنطقة.

5- الكشف عن بقايا خندق بغداد، وإخلائه مما تراكم فيه من أتربة وبقايا قبور، وبناء مسنياته.

6- إخلاء المنطقة كلها من المتجاوزين عليها من الفئات المشار اليهم، وتنظيفها من مخلفاتهم.

7- تبليط المساحة الممتدة من جامع الشيخ عمر السهروردي، الى الباب الوسطاني وما حوله، بالطابوق الفرشي الكبير، وتسويرها، لتكونا حرماً مشتركاً للمبنيين، وتخصيص أماكن كافية لوقوف السيارات.

8- العمل ما امكن على دراسة وضع الدور التي شيّدت على نحو سريع، مقابل جامع الشيخ عمر السهروردي، للنظر في استملاكها وازادتها للحرم المذكور.

9- اقامة متحف صغير، في داخل برج الباب، يضم نماذج مختلفة لاسلحة ومعدات وملابس عسكرية، لتمكين الزوار من استعادة الجو التاريخي الذي كان عليه هذا المبنى في العصور السالفة.

10- اظهار التوابي القريبة من الباب، بإزالة ما عليها من بقايا قبور، ويحبذ وضع نماذج من مدافع قديمة عليها، لتستعيد وضعها السابق بوصفها قواعد متقدمة لحماية بغداد من أعدائها.

11- اقامة منظومة اضاءة كاملة تشتمل شواخص المنطقة بوصفها وحدة تاريخية واحدة، وبضمنها الباب الوسطاني، ومسناته، والخندق، والربايا (التوابي)، وواجهة جامع الشيخ عمر السهروردي، وقبته المخروطية، ومئذنته.

12- يمكن الافادة من تطوير المنطقة على النحو الذي وصفنا في اقامة عروض صوت وضوء، تحكي بالكلمة والمؤثرات الاخرى تاريخ بغداد، وبخاصة تاريخها العسكري، وما خاضه أهلها، وجيشها، من معارك ضده الغزاة الطامعين، وتلقي الضوء على جوانب مشرقة من حضارتها وفنونها المعمارية. كما يمكن ان تتحول المنطقة الى مركز جذب للزوار، من أهل بغداد، ومن السياح العرب والاجانب، فضلاً عن تنظيم رحلات مدرسية لتعريف الناشئة بجانب مهم من الحضارة الاسلامية. ويمكن بهذا الصدد يمكن تقديم خدمات سياحية شعبية، مثل اقامة خيم سياحية، وتقديم وجبات سريعة، مما يعيد روح (الكسلة البغدادية) التي كان البغداديون يتخذونها في العهود السالفة، وفي ذلك كله مما يحقق ايرادات مالية لادامة المكان والإنفاق على مرافقه.

13- اتخاذ منطقة الباب الوسطاني موقعاً لإقامة احتفالات رسمية وشعبية بمناسبة مرور 800 سنة تقريباً على بناء باب الظفرية (الباب الوسطاني)، وعده رمزاً لضمود بغداد بوجه اعدادها. ويمكن اصدار طابع بريدي يخلد المناسبة، ووسائل تعريفية واعلامية مختلفة، ومن المناسب أن يخصص الاحتفال السنوي

بيوم بغداد، بعد أن تفرغ الجهات المعنية من العناية الشاملة بالمنطقة، لإحياء هذه الذكرى المهمة.

خاتمة ودعوة!

إن العناية بآثار الأمة الماضية يحمل في معاناة التقدير العميق لقيمها الخالدة، ويرمز الى همة هذا الجيل، والأجيال المقبلة، المقابلة، للنهوض بها، لتؤدي دورها الحضاري والانساني من جديد. ولا نشك في ان احياء الباب الوسطاني، مظهراً وتاريخاً، ورمزاً، سيكون نقطة انطلاقاً فذة لإيلاء اهتمام مماثل بآثار بغداد العظيمة الدائرة واهمها- على الاطلاق- القيام بحملة عملية شاملة يستعان من أجل انجاحها بالوسائل التقنية المتطورة، من اجل العثور على بقايا الاسس المدورة في الجانب الغربي، وهي مدينة السلام، وهي قبة الاسلام، التي شيدها الخليفة أبو جعفر المنصور قبل نحو اثني عشر قرناً مضت، ولا شك في أن العثور على بقايا هذه المدينة وهي النواة الاولى لبغداد التي كانت مركز العالم المتحضر في العصور الوسطى، سيكون له دوي حضاري وإعلامي كبير، وربما سيكون الحدث الأكثر أهمية في تراث الإنسانية في هذا العصر.

ملحق مسرد بأهم الحوادث التي شهدها باب الظفرية (الباب الوسطاني) وما حوله:

488هـ/1095م البدء بأعمال بناء سور بغداد الشرقية بإشراف الوزير عميد الدولة ابن جهير.

517هـ/1123م استئناف الخليفة المسترشد بالله أعمال البناء في سور بغداد الشرقية.

552هـ/1156م سور بغداد الشرقية يصمد في وجه حصار السلطان محمد السلجوقي على عهد الخليفة المقتفي بأمر الله، ويتمكن البغداديين بإفشال هجوم الجيش المعادي الذي حاول تسلق السور بنحو أربعمائة سلم، وسد الخندق بغرائر وأزقاق محشوة حصى ورملاً. خروج جيش الخليفة من باب الظفرية وتعرضه على الأعداء مرات عديدة.

554هـ/1158م انثلام سور بغداد الشرقية بسبب ارتفاع مناسيب المياه في نهر القورج القريب من باب الظفرية.

568هـ/1172م إصلاح سور بغداد الشرقية.

569هـ/1173م تفطر سور بغداد الشرقية وحدث ثغرات فيه بسبب ارتفاع مياه نهر القرج.

618هـ/1221م تجديد الخليفة الناصر لدين الله للسور وبناء باب الحلبة، والراجح انه انشأ باب الظفرية أيضاً في التاريخ نفسه.

632هـ/1128م وفاة الشيخ الزاهد عمر السهروردي ودفنه على جادة محلة الظفرية تجاه باب الظفرية، وبناء قبة مخروطية على ضريحه.

665هـ/1266م تشييد حاكم العراق عطا ملك الجويني قصراً ضخماً وسط بستان عظيم استجد بظاهر بغداد تجاه باب الظفرية والحلبة.

735هـ/1335م تجديد عمارة ضريح الشيخ عمر السهروردي.

850هـ/1447م اقتحام قوت جلائرية يتقدمها القائد رستم ترخان وأميرانشاه وأمير شيء الله بغداد، من ناحية باب اغجا قابو (باب الظفرية)، وكسروا بابه.

1048هـ/1638م تكليف السلطان العثماني مراد الرابع الوزير الاعظم محمد باشا باقتحام الباب الوسطاني، وتشديد الجيش العثماني هجومه على الحامية الصفوية المستمكنة وراءه ودك تابية الباب الوسطاني وتسويتها بالأرض، وكذلك التابيات المجاورة.

1084هـ/1637م انشاء والي بغداد حسين باشا السلحدار مشروعاً لنقل الماء من دجلة الى سقاية جامع الشيخ السهروردي، ثم لسقي بستان هناك قرب الباب الوسطاني.

1146هـ/1733م أقام والي بغداد احمد باشا بطاريتين مدفعتين قرب الباب الوسطاني للدفاع عن بغداد إزاء حصار نادر شاه.

1175هـ/1761م ترميم قائم مقام بغداد عثمان أفندي بن علي بن مراد العمري الموصلني سور بغداد.

1249هـ/1833م تعمير والي بغداد علي رضا باشا اللاط جامع الشيخ عمر السهروردي.

1273هـ/1856م بناء الأمير إسماعيل باشا العباسي واجهة جامع الشيخ عمر
السهروردي المقابلة للباب الوسطاني.

1287هـ/1870م نقض والي بغداد مدحت باشا سور بغداد الشرقية، وتحويل
الباب الوسطاني مقراً لسرية الدباغة من (فوج الأعمال) الذي أسسه مدحت
باشا آنذاك.

1921م اتخاذ الباب الوسطاني سجناً للخارجيين عن القانون.

1938م بدء مديرية الآثار القديمة بصيانة الباب الوسطاني.

1939م تحويل الباب الوسطاني إلى متحف للأسلحة القديمة، وافتتاحه في
10 حزيران من ذلك العام.

1957م- 1958م قيام مديرية الآثار بتعليق برج الباب الوسطاني وصيانته.

1960م قيام مديرية الآثار بتوزيع المسطبة الأمامية التي يقوم عليها الممر
الغربي (القنطرة الموصلة إلى الباب من جهة المدينة)، (وتوزير) أكتاف القناطر التي
تقوم عليها ممرات البرج، وإحاطة البرج وممراته برصيف من الخرسانة.

1961م الكشف عن مسناة الخندق المحيط بالباب الوسطاني، وأسس
وطريقة اتصاله بقنطرة الباب الخارجية.

1965م ردم المستنقع المجاور، وتسييج أرض الباب وبناء الجدار لعزل المنطقة
عن المقبرة المجاورة، وإجراء ترميمات عامة في أعالي البرج من الخارج، وتصليح
بياض القبة والجدران من الداخل.

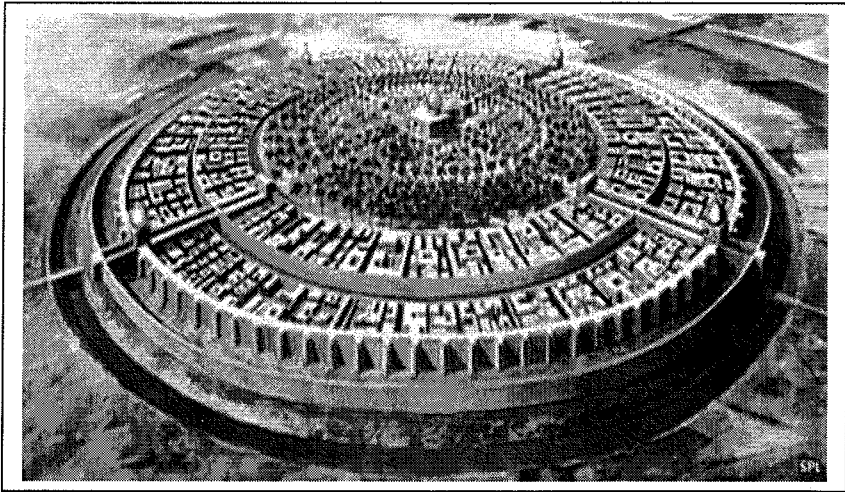
1965م إخلاء الباب الوسطاني من متحف الأسلحة القديمة.

1969- 1970م التقيب عن جدار الخندق، والكشف عن امتداد الجدران،
وأجزاء من السور واحد الأبراج. واستظهار السور الداخلي والخارجي في هذه
المنطقة وأجزاء من الخندق.

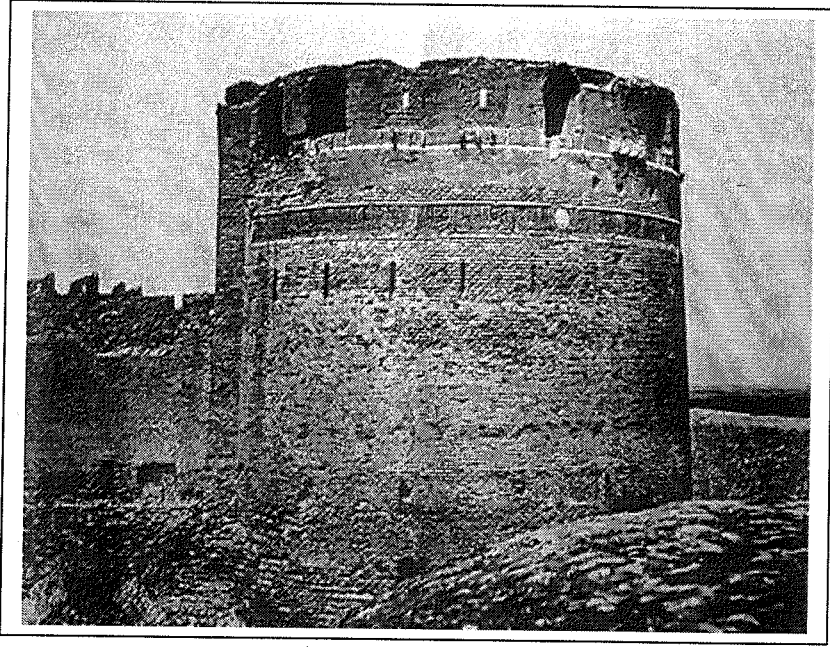
1977- 1978م استظهار أسس القنطرة الكبيرة من كلا الجانبين، ثم بناء
الأجزاء المتبقية منها بالأسلوب القديم نفسه، والقنطرة المجاورة، والمباشرة بتكملة

أجزاء السور الذي يعلوهما والاستمرار بصيانة السور الخارجي من جهته اليسرى، وترميم وإصلاح الفتحات العليا (المزاغل) في أعلى البرج، وتبليط سطحه بالطابوق الفرشي الحديث. وصيانة عشرين متراً من السور المحيط بالبرج، والبالغ طوله 100 متر. وأعمال صيانة مختلفة أخرى، وصبها بمادة الاسمنت المقاوم، والتنقيب عن سور بغداد الشرقية من نقطة اتصاله ببرج الباب الوسطاني، باتجاه باب الطلسم المنذر، وقد تم الكشف عن أسس هذا السور ودعاماته لمسافة خمسة عشر متراً، إضافة إلى الكشف عن أسس هذا السور من الجهة الشمالية باتجاه باب المعظم لمسافة عشرين متراً، واكتشاف أحد الأبراج الكبيرة للسور وصيانته، وصيانة العقود المدبية في القنطرة الخارجية للباب الوسطاني.

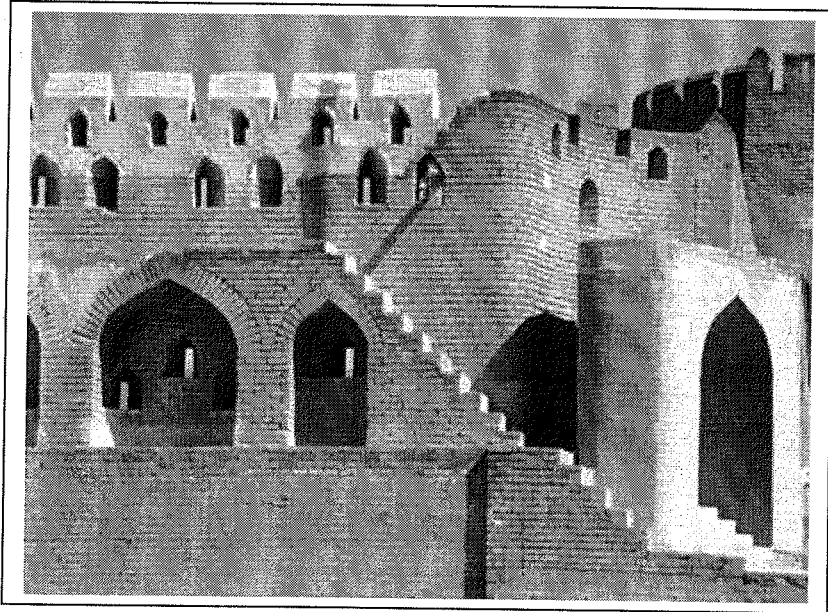
1985 استمرار أعمال الصيانة في سور الباب وبرجه، وبناء 123 متراً مربعاً خلف نقاط العمل، وتطبيق 78 متراً مربعاً بالطابوق الفرشي، وأعمال بناء في السور الدائري المحيط ببرج الباب من الجهة الجنوبية.



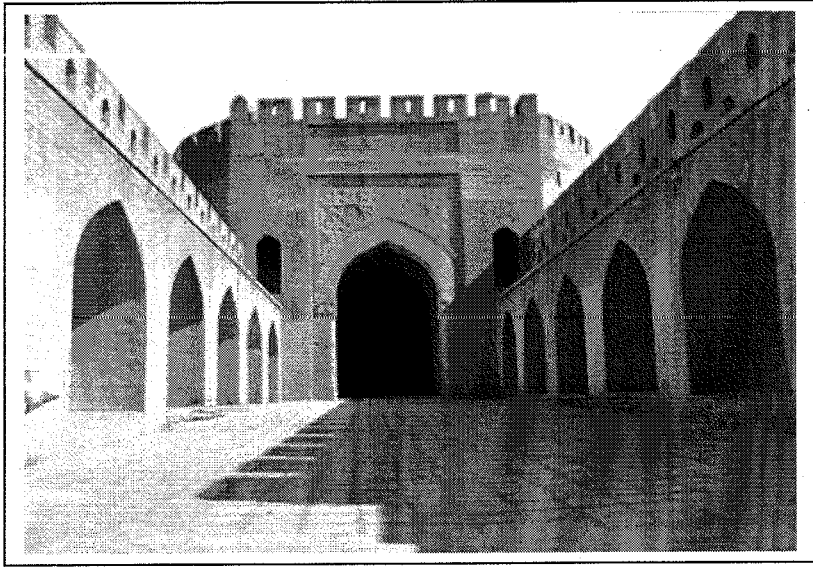
المدينة المدورة وتظهر فيها أبوابها المحصنة



المدينة المدورة وتظهر فيها مداخلها المحصنة المزورة



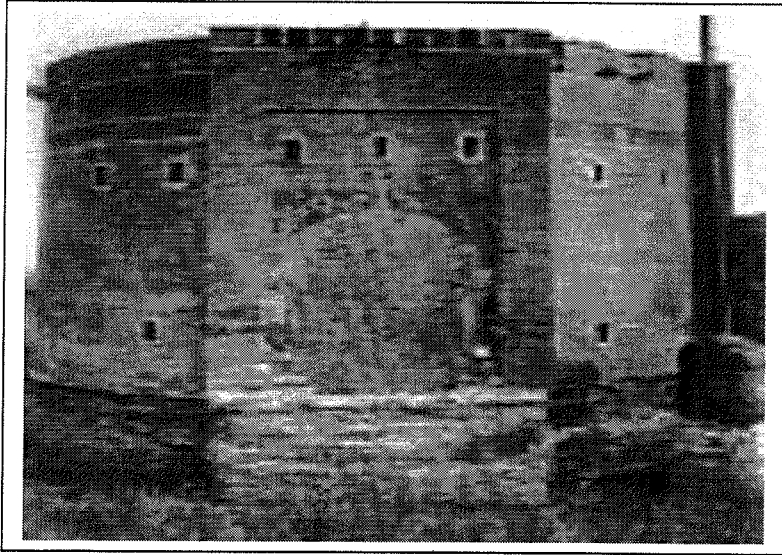
الباب الوسطاني سنة 1952



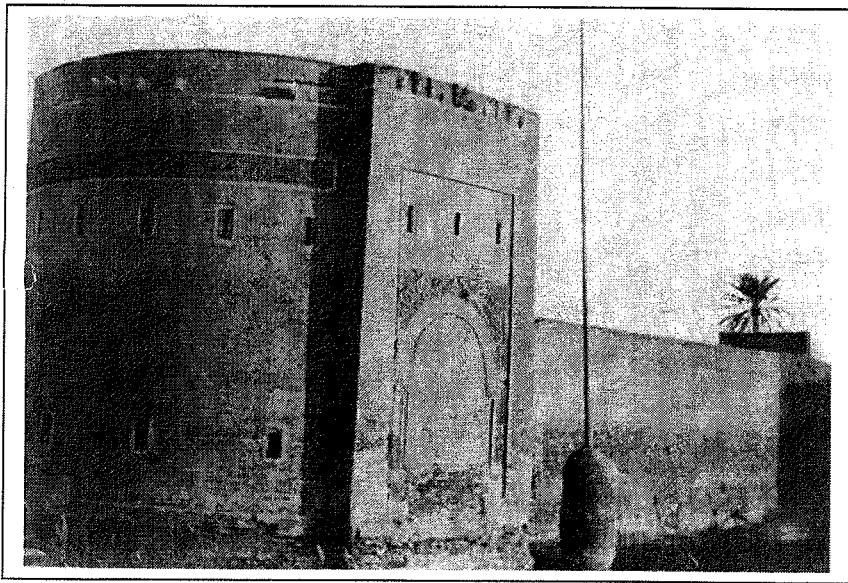
جانب خارجي من الباب الوسطاني



الباب الشرقي (باب كلواذي)



المدخل المغلق لباب الطلسم



جانب من باب الطلسم

[1] جميع الإشارات هنا إلى الذراع يقصد بها الذراع السوداء العباسية=

54,04 سم

[2] اليعقوبي: البلدان ص18.

[3] يراجع علي مهدي محمد: الاخضر، بغداد 1969.

[4] الطبري: تاريخ ج3 ص 1551 طبعة ليدن.

[5] معجم البلدان، مادة قراح.

[6] ينظر سعاد هادي العمري: بغداد كما وصفها السياح الأجانب ص15.

[7] ابن الجوزي: مناقب بغداد 17، والمنتظم ج9 ص81 و244.

[8] حاجي خليفة: جهان نامه، نقلاً عن بغداد كما وصفها السواح الأجانب

ص 15.

[9] محمد رؤوف الشخلي: مراحل الحياة في الفترة المظلمة ج1 ص 55.

[10] في أثناء القيام بحفر أسس قواعد طريق محمد ابن القاسم الدائر حول

بغداد الشرقية سنة 1979-1980، عثر على أسس بناء متين على هيئة قوس كبير من الآجر، فظن البعض أنه أسس باب الحلبة (باب الطلسم)، وقامت المؤسسة العامة للآثار والتراث باستظهار 85% من هذه الأسس البالغ طولها 100 م، لتبدو شاخصة للعيان، وبما أن هذه الأسس بلغت من الطول ما لا يناسب والمعلومات المتوفرة عن حجم باب الطلسم، وهو لا يزيد أن يكون برجاً اسطوانياً مثله مثل الباب الوسطاني، فقد ذهبت الهيئة العامة في الموقع في تقرير لها إلا أن هذه الأسس هي للمسناة الخارجية التي كانت تحيط بالخندق الذي يقع برج الباب في وسطه.

[11] صورة الباب كما رسمها بيكنكهام سنة 1816.

[12] محمد رؤوف الشخلي: مراحل الحياة للفترة المظلمة ج1 ص55

[13] العقد اللامع في آثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2004.

ص114.

[14] معجم البلدان، مادة قراح،

- [15] رحلة بكنكهام سنة 1816 ترجمة سليم طه التكريتي ج 1 ص 192
- [16] ابن الجوزي: مناقب بغداد، بغداد 1342، ص 19.
- [17] الحوادث المنسوبة لابن الفوطي، ص 103، بتحقيقنا بالمشاركة، بيروت 1997.
- [18] ج 4 ص 61
- [19] كتاب الحوادث ص 389
- [20] عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج 2 ص 133.
- [21] أحمد الغرابي: عيون أخبار الأعيان، نسخة باريس، الورقة 210.
- [22] عبد الله بن فتح الله الغياث البغدادي: التاريخ الغياثي، تحقيق طارق الحمداني، بغداد 1975، ص 248.
- [23] أحمد سوسة ومصطفى جواد: دليل خارطة بغداد، بغداد 1958، ص 272.
- [24] عبادة: العقد اللامع ص 102.
- [25] رحلة بكنكهام، ترجمة سليم طه التكريتي ج 1 ص 191.
- [26] هو إسماعيل باشا الثاني بن محمد طيار باشا، آخر أمراء العمادية وأعمالها، انتهى حكمه بسقوط إمارته سنة 1258هـ / 1842م. ينظر كتابنا: المعجم التاريخي لإمارة بهدينان، أربيل 2010، ص 39-44.
- [27] محمود شكري الألوسي: مساجد بغداد وآثارها، بغداد 1924، ص 1
- [28] مرتضى آل نظامي: كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد 1971، ص 277
- [29] كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة بغداد 2000، ص 279..
- [30] رحلة نيبور إلى العراق، ترجمة محمود الأمين، بغداد 1966، ص 31.
- [31] عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، بتحقيقنا، ط: 2، بغداد 1987، ص 97.

[32] انظر اطلس بغداد للدكتور أحمد سوسة، بغداد 1951، خوارط نييور،

وجونز، ورشيد الخوجة ص 16.15.14.

.54

دراسات تراثية
في البلدان والتراجم وأدب الرحلات

دراسات تراثية في البلدان والتراجم وأدب الرحلات- الجزء الاول

المؤلف: د. عماد عبد السلام رؤوف

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى ٢٠١٩م-١٤٤٠هـ



مكتب التفسير

للطبع والنشر

أربيل - الشارع الثلاثيني قرب المنارة المطرفية

+964 750 818 08 66

www.al-tafseer.com

tafseeroffice@yahoo.com

f t g+ y /TafseerOffice

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مكتب التفسير

رؤوف، عماد عبد السلام

دراسات تراثية في البلدان والتراجم وأدب الرحلات ، د. عماد عبد السلام رؤوف (المؤلف)

٧٥٨ ص.

١٧ * ٢٤ سم

١-التاريخ ٢-الرحلات. أ.العنوان. ب.السلسلة

ISBN: 978-9922-620-30-5

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة - إقليم كردستان (٢٤٥) لسنة ٢٠١٩

" الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعتبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر "

خط الغلاف : نوزاد كوبي

جامع القبلانية وريث مدرسة الطب المستنصرية

جامع القبلانية جامع قديم يرقى الى اواخر القرن الحادي عشر للهجرة، أنشاهه والي بغداد مصطفى قبالان باشا، واليه نسب، وشغل موقعاً مهماً في الجانب الشرقي من بغداد، حيث يتوسط منطقة الأسواق المحيطة بالمدرسة المستنصرية، ويلقي تاريخه ضوء على هوية ما كان يشغل موقعه في العصر العباسي، وما يحيط به من منشآت .

فأين كان موقع هذا الجامع من محلات ذلك العصر الثالث؟

يقع الجامع في أرض محلة كبيرة من محلات الجانب الشرقي من بغداد، عرفت بمحلة سوق الثلاثاء، تشتمل على عدد من الدروب التي ألف كل منها محلات قائمة بذاتها، وتؤلف قوساً كبيراً قاعدته نهر دجلة، وتحده من الشمال محلة سوق السلطان (سوق الميدان وشارع القشلة وسوق السراي وشارع المتبي حالياً)، ومن الشرق درب الخبازين (محلة العاقولية) ومحلة فراشا (سوق باب الآغا). وبمضى هذا القوس جنوباً حتى ينعطف في درب كان يعرف بدرب المسعوده (سوق الصفاير)، وهذا ما يتضح من قول ابن عبدالحق في المراصد في مادة المسعوده «وأما الذي في عقار النظامية فهو درب نافذ يعرف بدرب المسعوده ينفذ الى درب دينار الصغير»⁽¹⁾، ويتصل درب المسعوده في نهايته بدرب يتعامد معه كان يعرف بدرب السلسلة وهو المعروف في العهود المتأخرة بدرب الزنجير (والياً بدرب الزنجيل). ويؤلف هذا الدرب حداً من حدود المدرسة النظامية، بينما تطل المدرسة من الجهة الأخرى على درب عريض كان يعرف بعقار المدرسة نسبة إليها، ويتصل هذا العقار بدرب طويل مواز لنهر دجلة عرف في العصر العباسي بدرب دينار الصغير، وهو ما قصده صاحب المراصد. وهذا الدرب هو ما عرف في العهود المتأخرة بسوق الخفافين وسوق البزازين ويحاذيه سوق الهرج (سوق السرجخانه)، وكانت تطل عليه منشآت مهمة هي على التوالي مسجد الحظائر ثم المدرسة المستنصرية فدار قرآنها (جامع الأصفية)، ويتصل الدرب هناك على نحو متعامد

(1) صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق: مراصد الاطلاع ص 370 (حجر ايران).

بدرج كان يعرف بدرج دينار الكبير، وهو يتصل من جهة الشمال، أي من جهة النهر، بمشرفة درج دينار، ومن جهة اليمين يمضى مشرقاً باتجاه قلب بغداد (ساحة الرضا في حالياً وما بعدها)، أي أنه كان في أرض شارع المأمون الحالي (الدينجية وعقد الصخر في أوائل القرن الماضي) وهذا ما يتفق ووصف ياقوت لهذه المحلة بقوله «هي في الجانب الشرقي قرب سوق الثلاثاء بينه وبين دجلة»⁽¹⁾. وقول ابن عبدالحق عن دار دينار أنهما «محلطان ببغداد يقال لإحدهما الكبرى وللأخرى دار دينار الصغرى»⁽²⁾. ومما يعين موقع مشرفة درج دينار قول ابن الديبثي في ترجمة محمد بن عبد الرحمن اللمغاني، أنه «درس بالمدرسة التنشئية بمشرفة درج دينار»⁽³⁾، فمن الثابت - بدلالة عدد كبير من النصوص⁽⁴⁾، أن تلك المدرسة كانت في أرض جامع الوزير الحالي، وأن المشرفة المذكورة كانت في محل جسر الشهداء على ما تقدم، وهناك كان ملتقى درج دينار الصغير بدرج دينار الكبير .

ومن المؤكد أن درج دينار الصغير الذي عينا موقعه فيما تقدم، كان يختلف في شكله وسعته عما عليه سوق الهرج وسوق البزازين اللذين لبثا يشغلان أرضه حتى نقض أولهما في سبعينات القرن الماضي، ونرجح أن يكونا مدمجين ببعضهما خاصة في العصور العباسية الأخيرة، وذلك لأنه من المستبعد أن يكون السوق الذي تطل عليه المستنصرية بجدرانها العالية الفخمة، بالضيق الذي كنا نراه في سوق الهرج المجاور لها. كما أن من البعيد أن يكون هذا السوق موجوداً أمام باب المدرسة، لأن من شأنه أن يحجب منظر ذلك الباب العالي الفريد في فنه وزخارفه، وإلا فما قيمة هذا الباب ان لم يكن بينه وبين ما يقابله من دكاكين فسحة تسمح بالتمتع برؤيته (يبلغ ارتفاعه حوالي 7,8 متراً)، وعليه فمن الطبيعي أن تكون أمام الباب فسحة كافية تتناسب وأهميته، وتمتد فتشمل ما يقابله من سوقي الهرج (السررخانه)، والبزازين، حتى موقع جامع القبلائية الحالي، وهذا ما ينطبق على

(1) ياقوت: معجم البلدان ج2 ص419 (بيروت 1956)

(2) المصدر نفسه

(3) الذهبي: المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الديبثي، بتحقيق مصطفى جواد (ج2 ص315 المستدرك).

(4) انظر مقالة الدكتور مصطفى جواد في مجلة الثقافة الاسلامية 3 ج7 (1958) وكتابتنا:

مدارس بغداد في العصر العباسي ص48 - 49

جدران المدرسة الخارجية الأخرى. ومن المعروف أن المدرسة المستنصرية كانت قد أنشئت على أرض محلة صغيرة تسمى حظائر الشوك، نسب إليها مسجد الحظائر القريب من المدرسة (جامع الخفافين الحالي). وأن هذه المحلة تعرضت للتغيير عند إنشاء المستنصرية، وذلك لكي تحاط هذه المدرسة الجديدة بطرق عريضة تحل محل الأزقة القديمة لتلك المحلة، فقد حفظ لنا التاريخ بعض أسماء تلك الأزقة، منها درب دينار الصغير المذكور آنفاً، ودرب محاذ لها يبدو أنه كان ملاصقاً لحظائر الشوك (موقع المستنصرية) وينفذ الى سوق المدرسة التتشيية (سوق السراجين الحالي قرب جامع الوزير) ومن الراجح أن يكون درب دينار الصغير قد أصابته توسعة عند بناء المستنصرية فشمّل ذلك الدرب، أي انه شمل أرض سوقي الهرج والبزازين الحاليين تقريباً، وهذا يفسر عدم ورود أي إشارة الى درب يتصل بدرب دينار الكبير غير درب دينار الصغير منذ تشييد المستنصرية في الثلث الاول من القرن السابع للهجرة، بل حتى قبل ذلك العهد أيضاً⁽¹⁾، أما الشكل الحالي لسوق الهرج (قبل نقضه) والبزازين فنعتقد بأنه من نتاج الحكم العثماني في بغداد، حيث يذكر مرتضى نظمى زاده ان الوالي حسين باشا السلاحدار أنشأ سوقاً في باب المدرسة المستنصرية. ومما يؤكد ذلك كون هذا السوق قد غطى جانبا كبيرا من جدار المدرسة الخارجي وانه اضاع الكثير من النقوش والكتابات التي كانت تزين ذلك الجدار وهذا ما لا يمكن أن يرتقي الى عصر بناء المدرسة.

وهكذا توضح أن موقع جامع القبلاية كان مقابلاً لمدخل المدرسة المستنصرية، لا يفصل بينهما فاصل، الا درب دينار الصغير. ومن الصعب التوصل الى ما كان يشغله هذا الموقع في ذلك العصر، فقد حفل هذا الدرب، ومحلة دار دينار، بعدة منشآت شهيرة نجهل -لقلة النصوص- تحديد مواقعها، منها مسجد سديد الدولة الجلائري المشيد على أنقاض كنيسة قديمة⁽²⁾، ومدرسة أبو الفرج

(1) انظر ابن الجوزي: المنتظم، طبعة حيدرآباد ج10 ص 245

(2) شيد هذا الجامع سنة 734 هـ حين قام سديد الدولة الجلائري بهدم كنيسة كبيرة في درب دينار وتشبيده في مكانها، قال ابن الوردي في حوادث السنة المذكورة: "وشرع في عمارة جامع بدرب دينار وكانت بيعة كبيرة جداً" وكل ما نعرفه عن هذه البيعة (الكنيسة) أنها كانت من الاتساع بحيث وسعت يوم دخول هولاء بغداد سنة 656هـ/1258م جميع نصارى المدينة، كما أنها ضمت في أرضها، رفات عدد كبير من كهنة النصارى، منهم المطران كيوركيس

ابن الجوزي، ومسجد الشريف ابي الحسن علي بن أحمد العلوي الزيدي، وإيوان الطب الشهير التابع للمدرسة المستنصرية، فأما المنشأة الأولى فلم نجد ما يحدد موقعها من درب دينار على الرغم من اتساعها وضخامتها التي نوه بها المؤرخون، وبالتالي لم نجد ما يحملنا على ترجيح كونها أصل للقبلائية، وهكذا الأمر بالنسبة لمدرسة ابن الجوزي، وأما المنشأة الثالثة، وهي مسجد الشريف الزيدي فقد ذهب المرحوم الدكتور مصطفى جواد في الي انه هو جامع القبلائية⁽¹⁾.

ولناقشة هذا الرأي لابد من عرض ما ورد من نصوص عن مسجد الزيدي، على النحو الآتي:

1- قال يوسف سبط ابن الجوزي (ت 654هـ) في ترجمة علي بن أحمد الزيدي المتوفى سنة 584هـ أنه اشترى «داراً بدرب دينار الصغير، وبنائها مسجداً، واشترى بباقي الذهب كتباً ووقفها في المسجد ينتفع بها وهي باقية هلم جرا، ودفن في المسجد المذكور»⁽²⁾.

2- وقال محمد بن سعيد ابن الديبثي (ت 637هـ/1239م) في تاريخه «وقف الزيدي كتبه قبل موته على المسلمين كافة وجعلها في موضع مسجده الذي كان يؤم به الناس في أوقات الصلوات بدار دينار الصغير بسوق الثلاثاء من شرقي بغداد وشركه فيه رفيقه صبيح بن عبد الله عتيق نصر بن العطار في وقفه لها أيضاً، وكانت كثيرة انتفع الناس بها .. وتوفي في منزله المجاور لمسجده ودفن فيه»⁽³⁾.

والجئنا إلى يشوعاب الخامس (ت 1175م) وإيليا الثالث (1190م) وكيفا الثاني ونحا (ت 1281م) وغيرهم، مما يشير إلى أهميتها آنذاك، وكانت تعرف ببيعة سوق الثلاثاء، بحسبان أن سوق الثلاثاء كان يشمل محلة دينار وما فيها، أو بيعة دار دينار، وما تواتر عنها من أخبار لا يكفي لتحديد موقعها، وبالتالي موضع الجامع الذي قام على أنقاضها. انظر دليل خارطة بغداد ص 198-199 ورفائيل بابو اسحق: احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ص 84-85.

(1) انظر له مثلاً: الاخاء في الثقافة ووقف الكتب، في مجلة الحضارة 33 و 34 السنة 1945م، خارطة بغداد المفضل ص 174-175، والذهبي: المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الديبثي ج 2 ص 115 وتلخيص مجمع الآداب بتحقيقه ايضاً ج 4 ق 2 ص 665 و 744 وبغداد مدينة السلام لكوك (الترجمة العربية) ج 1 ص 57 وتابعه ترجيحاً الاستاذ كوركيس عواد في مقالة «خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدي» في مجلة سومر 1 (1946م) ص 229.

(2) مرآة الزمان ج 8 ص 227 (طبعة شيكاغو).

(3) كوركيس عواد: خزانة كتب الوقف في مجلة سومر (1946م) ص 229.

3- وقال المؤرخ نفسه في ترجمة صبيح بن عبد الله المذكور في النص السابق «وشارك صبيح الشريف أبا الحسن الزيدي في وقف الكتب الكثيرة بالمسجد وكان يتولى خزنها وإعارتها الى حين وفاته (سنة 584هـ) وكان خيراً»⁽¹⁾.

4- وقال محب الدين محمد بن النجار (ت643هـ/1245م) سمعت أبا الفضل عبد الله محمد بن عبد الله العليمي يقول لما كان اخي (عمر بن محمد بن عبد الله) ببغداد يسمع الحديث عاهد الشريف ابا الحسن الزيدي وصبيحا النصرى ان يوقف كتبه وأجزاءه ويرسلها الى بغداد لتكون في خزانتها فلما مرض مرض الموت أوصى الي بذلك، فلما توفى (سنة 574 بدمشق) انفذتها الى بغداد، الى مسجد الشريف الزيدي، قال مجد الدين: وصلت الكتب الى بغداد بعد وفاة الزيدي فتسلمها صبيح وهي الآن (سنة 643هـ) في خزانة الزيدي رحمة الله عليهم جميعاً»⁽²⁾.

5- وذكر ابن خلكان في ترجمة ياقوت الحموي الرومي البغدادي ما نصه «وكان ياقوت قد وقف كتبه على مسجد الزيدي الذي بدرب دينار ببغداد وسلمها الى الشيخ عز الدين ابي الحسن علي بن الأثير صاحب التاريخ الكبير فحملها الى هناك»⁽³⁾.

6- ويمكن إكمال هذا النص أو اصلاحه بما ذكره القفطي في (انباء الرواة)، قال عند الكلام على كتب ياقوت ووقفها «وقبل موته أوصى بأوراقه ومجموعاته الى العز بن الأثير الموصلى وكان مقيماً بحلب، وعهد اليه أن يُسَيِّرَها الى وقف الزيدي ببغداد ويسلمها الى الناظر فيه الشيخ عبدالعزيز بن دلف»⁽⁴⁾.

ويبدو مما ذكره سبط ابن الجوزي (النص رقم 1) ان مسجد الشريف الزيدي كان أصله داراً، إن الذي ابتناه مسجداً هو الزيدي المذكور، وأنه وقف الكتب التي اشتراها في المسجد أي دون أن يكون لها دار خاصة بها، ولما توفى الزيدي دفن في المسجد نفسه، بمعنى أن ليس هناك غير هذا المسجد، وهو ما يفهم أيضاً مما ذكره المؤرخ ابن الديبشي في النص رقم (3).

(1) المختصر المحتاج اليه للذهبي حاشية ص 12 ج 2.

(2) مصطفى جواد: الاخاء في الثقافة، في مجلة الحضارة ج 34 (1945م).

(3) وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ج 2 ص 318.

(4) قال ابن رجب (ذيل طبقات الحنابلة ج 2 ص 218) في ترجمة عبد العزيز بن دلف هذا "وولي

نظر خزانة الكتب بمسجد الشريف الزيدي" وكانت وفاته سنة 637هـ.

وأما نص ابن الدبيثي رقم (3) فيتبين منه أن للزبيدي داراً مجاورة للمسجد، وأنه دفن في هذا الدار، وهذا يعني أن له إضافة إلى المسجد الذي أنشأه ووقف فيه الكتب، داراً لسكنه الخاص.

ويظهر من النصوص (4-6) أنه كان لكتبه الموقوفة خزانة خاصة بها، على أن ذلك لا يعني أن تكون هناك دار خاصة تحتويها، وعلى أية حال فمن الواضح أنه كان لهذا المسجد وكتبه شهرة في ذلك العصر.. وقد ذكره النسابة أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (المتوفى سنة 828هـ)، وقال «الشريف الزبيدي المحدث صاحب الوقف ببغداد»⁽¹⁾. ولا ندري إلى أي عهد بقي هذا المسجد بعد ذلك.

على أن هناك مؤسسة مهمة أخرى، نرى أنها أكثر احتمالاً لأن تكون أصل جامع القبلاية، تلك هي (ايوان الطب) التابع للمدرسة المسنصرية، فقد ذكر غير واحد من المؤرخين أنه كان مقابلاً للمدرسة المذكورة، وهو وصف ينطبق تماماً على موقع جامع القبلاية⁽²⁾، فإنه يقابل بابها الرئيس، وتتضح أهمية هذا الإيوان من وصف المؤرخين له، فقد أجمعوا على أنه كان أعجوبة عصره في الفن، حيث احتوى على ساعة مركبة لمعرفة الوقت ومدرسة لتعليم الطبابة، وصيدلية لحفظ الأدوية والعقاقير. قال صاحب الحوادث في حوادث سنة 633هـ/1233م مانصه «وفيها تكامل بناء الإيوان الذي أنشئ مقابل المدرسة المستنصرية، وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب، وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب، ويقصده المرضى فيداويهم، وبنى في حائط هذه الصفة دائرة وصور فيها صورة الفلك، وجعل فيها طاقات لطاف لها أبواب لطيفة، وفي الدائرة بازان من ذهب وراءهما بندقيتان من شبه لا يدركهما الناظر، فعند مضي كل ساعة يفتح فما البازين ويقع منهما البندقيتان، وكلما سقطت بندقية انفتح باب من أبواب تلك الطاقات والباب من ذهب، فيصير حينئذ مفضضاً، وإذا وقعت البندقيتان في الطاستين تذهبان إلى

(1) ابن عنبة: عمدة الطالب في أنساب إلى أبي طالب ص296 (الحيدرية 1381هـ/1961م).
(2) كنا قد توصلنا إلى هذا الرأي في بحثنا (جامع القبلاية) المنشور في مجلة الرسالة الإسلامية، بغداد 1071، ثم أننا حققنا في سنة 2006 كتاباً مخطوطاً تأليف السيد محمد سعيد الراوي في أخبار مساجد بغداد، ولم يضع له عنواناً، فوجدناه يذهب إلى الرأي نفسه، وقد حققنا الكتاب فيما بعد ونشرناه، بغداد 2013 بغنون (خير الزاد في تاريخ جوامع ومساجد بغداد)

مواضعهما، ثم تطلع أقمار (كذا ولعلها شمس) من ذهب في سماء لآزوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية، وتدور مع دورانها، وتغيب مع غيوبتها فائاً جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر، ثم يبتدئ في الدائرة الأخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيعلم بذلك أوقات الصلاة، ونظم الشعراء في ذلك أشعاراً، منها قول أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، من أبيات مدح بها الخليفة (وذكر شعراً)⁽¹⁾.

ويؤيد هذا ما ذكره عبد الرحمن سنبط بن قنيتو الأربلي (ت717هـ) إذ قال: «وجعل (المستصر) فيها طبيب حاذق ماهر، وأثبت عنده عشرة من الطلبة يشغلون عليه في علم الطب، وجعل لهم الأكحال السائلة، وبنيت لهم صفة فاخرة مقابلة للمدرسة، يجلس فيها الطبيب فيقصده المرضى فيداويهم»⁽²⁾، ثم ذكر ما يشبه نص صاحب الحوادث عن الساعة العجيبة، فلا حاجة لنقله. وذكر ابن الفوطي في ترجمة علاء الدين الأربلي (مار الذكر) أنه «حصل له الجلوس في إيوان الطب تجاه المدرسة المستصرية»⁽³⁾.

يتضح مما تقدم من نصوص أن هذا الإيوان «المقابل للمدرسة المستصرية» كان مدرسة لدراسة الطب، وكان من واجبات الطبيب المشرف عليه علاج المرضى من طلاب المدرسة وغيرهم الى جانب قيامه بتدريس الطب، وأنه ألحق بهذا المعهد الطبي صيدلية تصرف الدواء بالمجان⁽⁴⁾، وأشهر من درس فيه: أبو منصور الصباغ المنعوت بالشمس (ت 683هـ) ومجد الدين عبدالمجيد ابن عبد الله المعروف بسنجر (ت 715 هـ) وعلاء الدين علي الأربلي (ت؟) ويوسف المعروف بأبن الكتيبي الشافعي (ت755هـ)⁽⁵⁾.

ولا ندري الى اي عصر بقيت هذه المؤسسة النافعة ، الا ان تأكيد المؤرخين على انها كانت مقابلة للمستصرية يدفعنا الى القول بأنها هي أصل جامع القبلانية الحالي كما قدمنا، فهذا الجامع تجاهها تماماً، أو باتجاه بابها الرئيس على وجه

(1) الحوادث المسمى بالحوادث الجامعة، بتحقيقنا وبشار عواد معروف، بيروت 1997 ص 112

(2) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ص 287.

(3) تلخيص مجمع الآداب ق1 ج4 ص 1062 - 1063.

(4) انظر حسين أمين، المدرسة المستصرية ص 55-57.

(5) ناجي معروف: تاريخ علماء المستصرية ص 243 - 249.

الدقة. أما (مسجد الشريف الزيدي) فلا نعلم من مكانه الا أنه كان في درب دينار الصغير، وهو تحديد عام شامل يعسر تعيين أرضه حسب المواقع الحالية.

أن استبعاد أن يكون مسجد الزيدي هو نفسه جامع القبلاية، يعني أن القبر الموجود في الأخير، ليس هو قبر الشريف الزيدي، فمن صاحب القبر الحقيقي اذن؟ والحق أننا لم نجد نصاً يشير الى دفن أحد المشاهير في (إيوان الطب) المذكور، في حين أن هناك عدة أقوال -بعضها قديم- تذهب الى نسبة القبر الى بعض الأولياء والصلحاء، تناقشها كما يلي:

أولاً- جاء على اللوح الرخام الذي على باب المرقد من جهة بيت الصلاة كتابة من سطرين، نصها (﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62] هذا المرقد الشريف مرقد الشيخ محمد مؤلف القدوري وشيخ محمد الوتري).

ويصعب تحديد عمر هذه الرخامة على وجه الدقة إلا أنه يفهم مما ذكره المؤرخ مرتضى نظمي زاده (المتوفى سنة 1133هـ/1720م أو سنة 1136هـ/1723م) أن نسبة القبر الى المتسمى بمحمد القدوري كانت شائعة منتشرة قبل تجديد الجامع سنة 1088هـ/1677م على يد الوالي مصطفى قبالان باشا، فقد جاء في كتابه، (كلشن خلفا) بالتركية، أن الباشا تعلق نظره بجامع الشيخ محمد القدوري، وفيه مرقد الأنور، الكائن في سوق السراجين⁽¹⁾. يؤيده ما ذكره المؤرخ نفسه في كتابه الآخر المسمى (جامع الأنوار في تراجم الأبرار -او الاخيار-)، وهو بالتركية أيضاً، فقد نقل فيه ترجمة الشيخ أحمد بن محمد القدوري عن تاريخ ابن خلكان، مضيفاً إليها أن «مدفنه كائن في سوق السرجخانه، تزوره الأنايس والجان»⁽²⁾. وفي النسخة العربية من الكتاب ما يشبه كلامه مع إضافة سنذكرها بعد قليل، كما ذكره في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) المؤرخ الموصلية ياسين بن خير الله العمري إذ قال «مرقد القدوري في بغداد متصل بالسراج خانه»⁽³⁾ وفي كتاب مختصر المستفاد لأصفر إشارة له أيضاً⁽¹⁾.

(1) كلشن خلفا، بالتركية، ظهر الورقة 103.

(2) جامع الانوار ووجه 68 (مخطوط نسخة الأوقاف)

(3) غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص36، بغداد 1968

وتنص الرخامة على أن المدفون هو (شيخ محمد مؤلف القدوري)، وهو نفس الاسم الذي ذكره مرتضى نظمي زاده في كتابيه (كلشن خلفا)، و(جامع الانوار) واسم القدوري، مؤلف المختصر المشهور، هو أحمد بن محمد، فهل يمكن أن يكون القبر لأحمد القدوري صاحب الترجمة التي نقلها مرتضى عن ابن خلكان؟ هذا ما سنحاول تبيانه فيما يلي من سطور.

ولد أحمد القدوري سنة 362هـ، وتوفي سنة 428هـ وكان قد «انتهت اليه رئاسة الحنفية بالعراق، وكان حسن العبارة في النظر، وسمع الحديث، وروى عنه أبو بكر الخطيب صاحب التاريخ، وصنف في مذهبه المختصر المشهور»⁽²⁾ وعلى الرغم من كثرة مترجميه فإن أحداً منهم لم يذكر مدفنه بالقبلائية أو موقعه. جاء في ترجمته كما رواها الخطيب أنه «مات القدوري في يوم الأحد الخامس من رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، ودفن من يومه في داره بدرج أبي خلف»⁽³⁾ وزاد ابن خلكان أنه «نقل الى تربة في شارع المنصور ودفن هناك بجانب أبي بكر الخوارزمي الفقيه الحنفي»⁽⁴⁾. وشارع المنصور هذا كان من شوارع الجانب الغربي، في نواحي مدينة المنصور المدورة، قريباً من الكرخ⁽⁵⁾، أما درب أبي خلف، فهو⁽⁶⁾ من دروب غربي بغداد أيضاً، فضلاً عن تصريح المؤرخين بأن موقع قبر أبي بكر الخوارزمي (آنف الذكر) كان في سويقة غالب⁽⁷⁾ وهي سويقة ثبت انها كانت في غربي بغداد⁽⁸⁾.

وحاول بعض الكتاب المتأخرين أن يصل بين شارع المنصور، وجامع القبلائية، على الرغم من وقوع كل منهما في جانب من بغداد، وفي عصر مختلف، فذكر الشيخ صفاء الدين عيسى البندنجي (ت1283هـ/1866م) في تعريبه لكتاب جامع

(1) مختصر المستفاد من تاريخ بغداد ص 165 (مخطوط نسخة الدار العراقية للمخطوطات).

(2) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج1 ص60 الترجمة 29.

(3) تاريخ بغداد ج4 ص 277.

(4) وفيات الاعيان ج1 ص60.

(5) قال الخطيب (تاريخ بغداد ج1 ص113) عند كلامه على نهر يمر الى دار كعب ثم يخرج الى باب الكرخ).

(6) انظر: محمد بن عبد الملك الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ج1 ص182.

(7) الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ج2 ص135.

(8) تاريخ بغداد ج1 ص88 ولسترنج: بغداد في عهد الخلافة العباسية ص 67.

الانوار لمرتضى نظمي زاده، عند ترجمة القدوري ما نصه «قلت: ومدفنه يومئذ كان مشهوراً بشارع المنصور، وفي عصر المؤلف (يعني مرتضى نظمي زاده) حدث بجنبه سوق للسراجين فلذلك قال: مدفنه في سوق السراجين. والآن ذلك السوق هو سوق الهرج الذي يباع فيه الأمتعة والعروض بقرب الجسر، وقبره في الجامع الشهير بالقبلاني، الواقع في السوق المذكور، بناه أحد الوزراء المبعوثين»⁽¹⁾، ومثله ما ذكره السيد محمود شكري الالوسي في أوائل هذا القرن إذ قال «وفي هذا المسجد مرقد أبي الحسين أحمد القدوري الفقيه الحنفي الشهير، وكان من رؤساء المذهب، توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، ودفن في بيته، ثم نقل منه في جوار الفقيه أبي بكر الخوارزمي الحنفي في شارع المنصور في جانب الرصافة، وهو اليوم هذا المسجد، ومعه جمع من قبور بعض الصالحين»⁽²⁾.

والاحتمال الذي نتصوره لهذه النسبة أن هناك من لقب بالقدوري، ودفن في الجامع، أو في أرضه قبل أن يحري إنشاؤه، فغلب على الناس أنه مؤلف المختصر المشهور، وهذا الخلط في نسبة اصحاب القبور كثير الحدوث في خطط بغداد، فلا نستبعده هنا أيضاً.

ثانياً: في الرخامة القديمة المثبتة على باب الحجر، ما يشير الى وجود دفين آخر، على الرغم من أن الحجر لا تضم إلا قبراً واحداً فقط، فقد جاء فيها ما نصه: «.. هذا المرقد الشريف مرقد الشيخ محمد مؤلف القدوري وشيخ محمد الوتري».

ولم يذكر مرتضى نظمي زاده هذا الاسم الثاني في خبره عن تجديد قبلان مصطفى باشا للجامع سنة 1088هـ، الا انه ذكره في كتابه (جامع الانوار) حيث قال «الشيخ محمد الوتري انه كشاف الحقائق، خلال الدقايق، صرف أكثر أوقاته في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) .. الخ، ثم ذكر أن مزاره ببغداد في سوق السراجخانه قرب الشيخ محمد القدوري»⁽³⁾. وقد عرب صفاء الدين عيسى البندنجي هذا الكلام بصورة حرفية تقريباً، وقال: «توفي في بغداد، ودفن في سوق السراجين في مرقد الشيخ احمد القدوري، قلت: وقد سبق في ترجمة أحمد

(1) جامع الانوار في تراجم الوجوه والاعيان ص 481 (مخطوط).

(2) الالوسي: مساجد بغداد وآثارها ص 59 (بتهديب الاثري).

(3) جامع الانوار، ظهر الورقة 88 (مخطوط باللغة التركية).

القدوري بيان ذلك السوق والمكان الذي دفن فيه⁽¹⁾ وقال المؤرخ ياسين العمري (المتوفى في الثلث الاول من القرن الثالث عشر للهجرة) ما نصه « مرقد محمد الوتري في سوق السراجين في بغداد⁽²⁾. ونقل جبرائيل حنوش اصفر عنه نفس العبارة في كتابه (مختصر المستفاد أو منتج المرتاد)⁽³⁾ على الرغم من أن اسم السوق تغير في أيامه، وصار مباءة للبزازين ومن يتعلق بهم، ولم يبق من السراجين الا بقية في الجزء الشمالي من سوق الهرج الكبير، وهز السوق المحاذي لسوق السراي ويعرف أيضا بسوق (القندرجية).

وفي نسخة خطية لدينا من القصائد الوترية وهي منظومة الشيخ محمد الوتري التي اشتهر بها ونسب اليها، اضافة من عند الناسخ مدخلة في آخر المقدمة، ركيكة الأسلوب، جاء فيها «وعند الشيخ محمد الوتري مدفون مألّف (كذا) كتاب القدوري أبو حسن⁽⁴⁾ محمد القدوري البغدادى .. وعند الشيخ محمد الوتري والشيخ محمد القدوري قريب ضريح الشيخ برهان الدين معلم لشيخ المشايخ محمد ابن الشيخ محمود قطب الاقطاب وخليفة سلطان الاولياء الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ محمد الوتري والشيخ القدوري والشيخ برهان الدين مدفونون ببغداد دار السلام عند مدرسة المنتصر⁽⁵⁾ بالله والدجلة قدس الله سرهم⁽⁶⁾.

ومحمد الوتري هذا هو الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد المعروف بالوتري، ولد في الموصل سنة 820هـ/1417م وقرأ وتخرج على والده الشيخ أحمد، قلما بلغ مبلغ الشباب هاجر إلى بغداد حيث التحق بخدمة الشيخ سراج الدين المخزومي الرفاعي، دفن في جامع الشيخ سراج الدين ببغداد، فاشتهر صيته، وتوفي سنة 901هـ⁽⁷⁾.

(1) جامع الانوار ، بتعريب البندنيجي ص 603 (مخطوط).

(2) غاية المرام في تاريخ محاسن دار السلام ص 34 (مخطوط).

(3) مختصر المستفاد من تاريخ بغداد ص 167 (مخطوط).

(4) ان كنية الشيخ أحمد بن محمد القدوري هي ابو الحسين لا ابو الحسن.

(5) في الاصل (المنتصر) وهو غلط نسخ واضح.

(6) الوترية في مدح خير البرية، مخطوطة ضمن مجموعة مجلدة كانت من محتويات مكتبتنا

وهي اليوم في الدار العراقية للمخطوطات الورقة 3.

(7) العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2005 ص336.

ونجد في إضافة ناسخ القصائد الوترية اسماً لدفين آخر قرب مدفني الشيخ محمد القدوري، والشيخ محمد الوتري، هو (الشيخ برهان الدين) الذي ذكر عنه انه (معلم لشيخ المشايخ عبدالقادر الكيلاني) فمن هو برهان الدين هذا، وإذا ما تفحصنا القصائد ذاتها، وجدنا ان خطها يرتقي الى القرن الحادي عشر للهجرة، ويمكننا ان نستمتع من عدم تعيين الكاتب مواقع القبور بالنسبة لجامع القبلانية، الذي يضمها، واكتفائه بقوله: «عند مدرسة المستنصر بالله والدجلة» أن تاريخ نسخ الكاتب كان قبل تجديد الجامع واشتهاره باسم مجده الوالي قبلان مصطفى باشا سنة 1088هـ، بمعنى أن وجود هذا القبر كان معروفاً قبل السنة المذكورة، الا ان مرتضى نظمي زاده لا يذكر في كتابه (جامع الأنوار) ضريح برهان الدين هذا، وكذلك معرب الكتاب البنديجي، ولكن الأول يذكر من اسمه (ابن برهان)⁽¹⁾ وقد نوه عباس بن رجب البغدادي به فقال «ومما يلي بابه من جهة الصفارين، مسجد الشيخ أبي الفتوح أحمد بن علي الشهير بابن برهان الدين، من فقهاء الشافعية ومدرسي المدرسة النظامية». وهذا هو أحمد بن علي بن برهان، وكان فقيهاً مؤلفاً، درس في النظامية ثم عزل، وتوفي ببغداد سنة 598هـ/1124م، وكان قبره معروفاً قرب المدرسة المستنصرية قبل بناء جامع القبلانية، ثم دخل فيه⁽²⁾.

رابعاً: ويذهب البعض الى أن صاحب القبر الحقيقي هو (علي بن محمد السمرى) أحد السفراء الأربعة للإمام الثاني عشر صاحب الزمان، وهو الأخير. ولا

(1) وفيات الاعيان ج 1 ص 82 ومما يلفت النظر ان مرتضى نظمي زاده، رغم تصريحه بأنه ينقل عن ابن خلكان، فإنه أغفل ذكر كتابه الوجيز، وذكر بدلاً منه انه ألف كتاب (مجمع البحرين) في الفقه في حين ان هذا الكتاب ليس له، بل لفقيه آخر هو احمد بن علي تغلب المعرف بابن الساعاتي، لان أباه كان قد عمل الساعات في إيوان الطب التابع للمدرسة المستنصرية، والمقابل لها، كما كان هو نفسه (أي الابن) مدرساً فيها، وقد صحح معرب الكتاب عيسى البنديجي عبارة مرتضى بنقله من وفيات ابن خلكان مباشرة، وذكر اسم الكتاب الحقيقي، على انه بعد نقله لكلام ابن خلكان الذي فيه انه "مات سنة 520 ببغداد" عقب بقوله "قلت: ولم أقف على موضع دفنه منها"، ولم نجد لهذا المسجد ذكراً في قائمة فيلكس جونس عن معالم بغداد، ولا في فوائت مساجد بغداد ص 140، ولا في قائمة المساجد والمشاهد في دليل خارطة بغداد المفضل ص 296-311.

(2) عباس بن رجب البغدادي: فصل من مخطوطة نيل المراد غبي أحوال العراق وبغداد). نشرناه في كتابنا (مساجد بغداد في كتابات الاجداد) ببغداد 1905 ص 37.

صحة في ذلك، لأن قبره كان في الجانب الغربي من بغداد، دليلنا على ذلك ما نقله المجلسي (ت 1110هـ/ 1698م) عنه إذ قال «وأخبرني الحسين بن ابراهيم عن أبي العباس بن نوح عن ابي نصر هبة الله محمد الكاتب أن قبر ابي الحسن السمريري (السمرري) رضي الله عنه في الشارع المعروف بشارع الخنجي⁽¹⁾، من ربع باب المحول، قريب من شاطئ نهر أبي عتاب، وذكر أنه مات رضي الله عنه سنة 329»⁽²⁾.

وباب المحول، ونهر ابي عتاب، كانا من معالم غربي بغداد، عند الكرخ. فقد ورد في كتاب العيون والحدائق «فبنى الناس الكرخ وباب الشام وباب الشعير وباب المحول فكان الجماعة يسمون الكرخ ولزم هذا الاسم»⁽³⁾، أما (نهر أبي عتاب) فكان الفرع الأول من فروع نهر كرخايا الأربعة، الذي كان يخترق ربض الكرخ⁽⁴⁾. منذ القرون الاولى من تاريخ بغداد.

اعمار مصطفى قبلان باشا

ترجم له محمد ثريا وشمس الدين سامي ومرتضى نظمي زاده ، وبذكر شمس الدين سامي أن المترجم كان شجاعاً، برز في الحروب التي شنتها الدولة ضد المجر، مما أدى الى زواجه بابنة الصدر الأعظم أحمد كوبريلي، كما أنه تولى بعد ذلك إمارة البحر سنة 1076هـ-1665م فحارب في (كريت) وفي أجزاء أخرى من أوروبا، وفي القرم، وبعد توليه ديار بكر اشترك في حرب مع الروس، وفي سنة 1090هـ، 1679م عاد أميراً للبحر⁽⁵⁾، ولا يذكر سامي شيئاً عن ولاية المترجم في بغداد، لا سيما بعد توليه ديار بكر، الا أن محمد ثريا يذكر انه كان قد تولى بغداد

(1) وقد تصحف في (إلزام الناصب) ص 427 الى (شارع الخلجي).

(2) المجلسي: بحار الانوار ج13 ص98 (حجر ايران)، وانظر: الشيخ اليزدي الحائري: الزام الناصب في اثبات الحجّة الغائب ص 427 (النجف سنة 1383هـ/1963م)، والسيد لطف الله الصايغ الكلباكاني: منتخب الاثر في الامام الثاني عشر ص399-400 (مط الحيدري 1373هـ) وكلهم ينقل عن البحار، وانظر عن السمرري 1: ابو علي: الرجال ص 223 واعيان الشيعة للامين ق2 ج4 ص340.

(3) العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، لمجهول ص266.

(4) انظر عنه، لسترنج: بغداد في عهد الخلافة العباسية ص 60 ودليل خارطة بغداد المفصل

ص 80.

(5) قاموس اعلام ج5 ص3601.

سنة 1060هـ/1650م، وبعدها تولى (وان)، وفي سنة 1072هـ/1661م صار والياً على قونية والشام، ثم عين أميراً للبحرسة سنة 1076هـ، وبعدها تولى حلب، وديار بكر، واران، سنة 1086هـ/1675م، وفي صفر سنة 1087هـ/1676م تولى بغداد ثانية، واستمر والياً فيها حتى رمضان سنة 1088هـ/1677م، ثم عاد بعدها الى ولاية ديار بكر، وبعد ذلك ولي إمارة البحر ثانية، وهو في هذا يتفق مع مؤلف قاموس اعلام، ويزيد عليه أنه توفي في أزمير في ذي القعدة سنة 1091هـ/1680م⁽¹⁾.

وسكت مرتضى نظمي زاده عن تولي قبالان مصطفى باشا بغداد للمرة الاولى سنة 1060هـ⁽²⁾، كما تخلو قائمة ولاية بغداد التي أعدها الرحالة نيبور من هذه الولاية ايضاً⁽³⁾، لان سنة 1060هـ المذكورة تقع على ما ذكر محمد ثريا ضمن سني ولاية الوزير ارسلان باشا (1059-1060هـ) والوزير حسين باشا (1060-1061هـ)، أما نيبور فيجعلها من سني الوالي ملك أحمد باشا.

ويشمل الخلاف ولاية قبالان مصطفى الثانية، وهي التي تتصل بإنشاء الجامع، فقد رأينا ان كلا من مرتضى، ومحمد ثريا⁽⁴⁾ يجعلان ابتدائها في صفر سنة 1087هـ، (وفي كلشن انها في 27 منه) كما يتفقان على أن انتهائها كان في رمضان سنة 1088 (وفي كلشن أنها في 3 منه)، أما نيبور فيجعل إنتهائها سنة 1089هـ، وفي غاية المرام لياسين العمري انها بدأت سنة 1086هـ، وانتهت سنة 1087هـ⁽⁵⁾ وما ورد في كلشن، وسجل عثمانى اكثر ضبطاً ودقة. حيث يذكر الاول ان تعمير جامع القبلاية كان في السنة الاخيرة من ولايته، اي في سنة 1088هـ/1677م⁽⁶⁾.

(1) محمد ثريا: سجل عثمانى ياخود تذكرة مشاهير عثمانية ج4 ص53. عبادة: العقد اللامع ص326-327.

(2) انظر (كلشن خلفا) الورقتان 83 و 84.

(3) رحلة نيبور، مجلة سومر (20-1964م-ص59).

(4) لاحظ ان (زامباور) يعتمد في قائمته على سجل عثمانى فقط، دون التواريخ الاخرى (معجم الانساب والاسرات الحاكمة ج2 ص259).

(5) غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد 1968، ص 175

(6) كلشن خلفا ظهر الورقة 103.

وكانت ثمة كتابة تذكارية على رخامة في الجامع، قرأها الألوسي وعبادة، تنص على ان اتمام التعمير كان سنة 1090هـ/1679م، بمعنى ان البناء استغرق زهاء سنتين، وقد جاء فيها ما نصه⁽¹⁾:

«وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» النساء 115، قد أمرنا من أمره مطاع في العراق، نادر المثيل في الآفاق، وارث المكارم عن آباء كرام، وأسلاف أعزة فخام، والي الخطة العراقية، ومتولي ما فيها من الأمور الكلية والجزئية، من عظمت حسناته، وعمت بركاته ومبراته، مصطفى باشا والي ايالة بغداد الشهير بقبلان، تقبل الله تعالى منه صنائعه الحسان، بإقامة هذا المسجد العديم النظير، وعمارته بأحسن تعمير، فمن الله تعالى بالختام حسب المطلوب والمرام وذلك سنة التسعين بعد الألف من هجرة خير الانام عليه أفضل الصلوة وأكمل السلام).

ولنا أن نلاحظ أن سنة 1090هـ/1679م تقع في سني ولاية الوزير عمر باشا، الذي حكم من 30 رمضان سنة 1088 الى جمادى الاولى سنة 1092 هـ⁽²⁾، فموضع الشك في نص الرخامة أنف الذكر تصريحه بأنه كتب زمن ولاية مجدد الجامع قبلان مصطفى باشاً، فعبارة (قد أمرنا من أمره مطاع في العراق) و (والي الخطة العراقية، ومتولي ما فيها من الأمور الكلية والجزئية) الخ تؤكد أنها دونت بأمر والي بغداد فعلاً، وهو ما جعل السيد محمود شكري الألوسي ولاية هذا الوالي بين سنتي 1088هـ و 1092 هـ⁽³⁾، مع أن هذه السنين هي من سني ولاية عمر باشا المقدم ذكره.

ولا تفسير لهذا الامر -فيما نرى- إلا أن تكون الكتابة قد رُقمت أيام الوالي قبلان مصطفى باشا وبأمره، سنة 1088 (وهي سنة تعمير الجامع) ثم ترك مكان كتابة التاريخ فارغاً ليكتب فيه فيما بعد تاريخ إتمام البناء، فلما انتهى التعمير في ولاية عمر باشا، رقم تاريخ الاتمام (وهو سنة 1090هـ) دون تغيير سائر الكتابة.

(1) انظر، الألوسي: مساجد دار السلام بغداد ص 40 (مخطوط) وص 58 (بتهديب الاثري).

(2) مرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا، ظهر الورقة 104.

(3) الألوسي: مساجد دار السلام بغداد ص 40 (مخطوط).

وقد عرف الوزير قبلان مصطفى باشا، الى جانب شجاعته، بميله الشديد لزيارة مراقد الأولياء، فقد زار قبيل عزله- مرقد الامامين الحسين وعلي (ع) وقضى عندهما بضعة ايام⁽¹⁾، ولا شك ان اهتمامه بتعمير جامع السرجخانه (أو جامع القبلاية) هو لميله الشديد للتبرك بمراقد الاولياء والصالحين.

ولا نعلم شيئاً عن هيئة جامع السرجخانه قبل أن يتولاه قبلان باشا باهتمامه، باستثناء ما كان يضمه من قبور، وتصميمه وقدمه يرفقان الى القرن الحادي عشر، فهو يشبه جامع الخاصكي (المشيد في سنة 1056) وجامع حسين باشا السلاحدار (المشيد سنة 1086). وكان الرحالة التركي اوليا جليبي الذي قدم الى بغداد سنة 1058هـ/1648م، و 1066هـ/1655م⁽²⁾، قد نوه بجامع سماه (جامع السراجخانه) ونرجح أنه المكان الذي ضم مثوى أولئك الصالحين، لعدم وجود جامع غيره في هذا السوق، وفي هذه الحال فإن عمل قبلان باشا كان تعميراً للجامع المذكور، او اعادة إنشاء له. وذكر الشيخ محمد صالح السهورودي أن أحد أجداده وهو (الحاج رشيد) الذي كان معاصراً لدخول السلطان مراد الرابع بغداد سنة 1048هـ/1638م، كان واعظاً في جامع القبلاية⁽³⁾، فيكون هذا أول واعظ فيه، إن صح الخبر على هذه الصورة، لأن تسمية الجامع بالقبلاية كانت بعد دخول السلطان مراد لبغداد بأربعين سنة.

إعمار الوالي سليمان باشا الكبير سنة 1205هـ/1800م

ابتدأت ولاية هذا الوالي على بغداد في 15 شوال سنة 1193 هـ/1780م واستمرت حتى وفاته في 8 ربيع الآخر سنة 1217هـ/1802م⁽⁴⁾، أي انه تولاهما نحو أربع وعشرين سنة، أنجز خلالها عدداً من المشاريع الخيرية والخدمية ، منها تعميره لسور بغداد الشرقية، وإنشاءه سوراً لغربيها، كما جدد بناية السراي، وعدة قناطر خارج بغداد، كما عمر مدينة الكوت، وسور البصرة، وقرية الزبير، وسور

(1) كلشن خلفا، ظهر الورقة 103 ومحمد ثريا: سجل عثماني ج4 ص53.

(2) اوليا جليبي سياحتنا مه سي ج4 ص419.

(3) مقالة (هدم جامع الحظائر) في جريدة العراق 15 تشرين الاول سنة 1930.

(4) انظر مطالع السعود ص (مخطوط) ومختصره للحلواني ص30 والكروكلي: دوحة الوزراء

الحلة، وغيرها، هذا فضلاً عن عنايته بالمساجد القديمة، فعمر جامع الفضل، وجامع الخلفاء، وجامع القبلاية -مدار بحثنا-، وأنشأ في كل منهما مدرسة، وخرانة كتب، كما أنشأ مدرسة مستقلة عرفت بالسليمانية⁽¹⁾.

وذكر عبادة أنه لما « كادت أن تتداعى أركانه، ويهوى بنيانه » أمر سليمان باشا الكبير بتجديده⁽²⁾،

وقد صرح رسول حاوي الكركوكلي (ت1242هـ/1826م) وعثمان بن سند البصري (ت1250هـ/1834م) بخير تعمير سليمان باشا للجامع، وإنشائه فيه مدرسة، إلا انهما لا يذكران تاريخ القيام بالتعمير أو إتمامه، وكل ما لدينا من معلومات مستمد من أبيات كتبت على رخامة فوق باب بيت الصلاة الرئيس ونصها:

بنى الجامع الأعلى سليمان ذو العلى فأضحى بحمد الله أزهر ساطعا
تقوم رجال فيه لله أخلصوا فلم تلق إلا ساجداً فيه راکعا
ولما أعدت للصلاة صفوفه وقام بأولاهها الإمام مسارعا
هناك دعا داعي الفلاح مؤرخاً (سليمان قد شدت للوحي جامعاً)

ومجموع شطر البيت المذكور، بحساب الجمل، هو (1208)⁽³⁾، وهو تاريخ يتفق وسني ولاية سليمان باشا الكبير وقيامه بأعماله العمرانية، وكان السيد محمود شكري الألوسي قد ذكر ان تاريخ هذا التعمير هو سنة 1205هـ/1790م، على الرغم من نقله للأبيات الأربعة وفيها بيت التاريخ، فقال «في سنة خمس بعد المائتين والالف من الهجرة جدد عمارته والي بغداد يومئذ وهو سليمان باشا الكبير عليه الرحمة كما نطق بذلك الشعر المكتوب على الحجر في باب المصلى الأوسط، وهو هذا على ما نقلناه من محله»⁽⁴⁾. ومثله في قراءة عبدالحميد عبادة.

وفي النسخة المطبوعة من كتاب (مساجد بغداد) للألوسي، بتهديب الشيخ محمد

(1) دوحة الوزراء ص 219 ومطالع السعود.

(2) العقج اللامع ص 324

(3) حساب الشطر: سليمان (191)، قد (104)، شدت (704) للوحي (84)، جامعاً (115).

(4) مساجد دار السلام بغداد ص 40 (من المخطوط).

بهجة الاثري، اختلاف عما هو في المخطوط (الذي نقلنا منه) فقد ورد فيها شطر التاريخ بالصورة التالية:

سليمان قد شيدت للوحي جامعا⁽¹⁾، بإضافة (ياء) الى (شدت)، فيصبح مجموع حساب الشطر (1208) وهذا هو الصحيح، وقد فرأه على هذه الصورة عبدالحميد عبادة⁽²⁾.

اعمار الوالي سعيد باشا سنة 1230هـ/1815م

هو ابن سليمان باشا الكبير المقدم ذكره، ولد سنة 1205هـ، وتولى ولاية بغداد في 15 شوال سنة 1228هـ/1813م واستمر والياً فيها حتى مقتله في 10 ربيع الآخر سنة 1232هـ/1816م⁽³⁾ وكان «حديث السن والعهد، قليل الخبرة في تصريف الأمور وتركه الحبل على الغارب»⁽⁴⁾ فلم نقرأ أنه قام بأي عمل عمراني، والشاهد الوحيد على قيامه بتعمير الجامع، هو قطعة من القاشاني الملون، مربعة الشكل، عليها عبارة (جامع القبلانية)، يليها تاريخ (1230هـ)، كنا قد رأيناها على بابه الخارجية النافذه على السوق عند زيارتنا اياه في سنة 1970، وهذه هي السنة الثانية من سني ولايته، ولم يلتفت اليها احد من المؤرخين، ولا تخلو هذه الكتابة من جمال، فهي محاطة بعدة أغصان مورقة مزهرة، ذات ألوان بهيجة.

مدرسته وخزانة كتبه

كان لهذا الجامع أثره في الحركة العلمية في بغداد ، ففيه ثمة مدرسة أنشأها والي بغداد سليمان باشا الكبير، نوه بها السيد محمد سعيد الراوي بقوله «كانت فيه مدرسة وخزانة كتب»⁽⁵⁾. ومن أشهر من درس فيها الشيخ ابراهيم بكتاش امين الفتوى، نائب المحكمة الشرعية ببغداد، وقد درس فيها منذ أول ايام الوزير علي

(1) المطبوع ص58، وهو لا يتفق مع النسختين الخطيتين وهما برقم 1120 و1064 في الدار العراقية للمخطوطات فلعله من عمل مهذب الكتاب.

(2) العقد اللامع ص 325

(3) انظر: الكركوكلي: دوحة الوزراء ص260-276 وسليمان فائق: مرآة الزوراء ص49-57 وتاريخ المماليك الكوله مند ص42-43.

(4) الكركوكلي: دوحة الوزراء ص 269 ومحمد ثريا: سجل عثمانى ج3 ص38

(5) خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا ، بغداد 2013 ص90.

رضا باشا اللاز سنة 1247هـ/1832م⁽¹⁾، كما درس فيها في العهود الاخيرة، السيد يوسف العطا، مفتي بغداد، والشيخ قاسم القيسي مفتي بغداد أيضاً (ت1375هـ/1955م)، والشيخ نجم الدين الواعظ⁽²⁾.

ومن خطباء الجامع ومدرسيه الشيخ سليمان بن أحمد الذي عين خطيباً فيه بموجب الفرمان المؤرخ في غرة شعبان سنة 1257هـ/1841م⁽³⁾، والحاج مصطفى بن محمد، الذي تولى التدريس والإمامة والخطابة في عدة مساجد، فضلاً عن وعظه في جامع القبلانية ظهر كل يوم من شهر رمضان⁽⁴⁾ ومنهم أيضاً، الشيخ نعمان بن أحمد الاعظمي، حيث كان يلقي فيه الوعظ خلال شهر رمضان⁽⁵⁾. وملا مصطفى الطويل⁽⁶⁾.

كما كان يضم أيضاً خزانة كتب حافلة، وقفها عليه سليمان باشا أيضاً، وقد أعد السيد محمود شكري الألووسي في حدود سنة 1317هـ/1899م فهرساً لما تبقى في خزانة المدرسة من مخطوطات، فبلغ (205) محطوطاً، منها ما هو نادر ونفيس، وتتوزع موضوعاتها بين كتب التفسير والحديث والفقه ومجموعات الفتاوى والنحو وبعض علوم اللغة، والأدب، ودواوين الشعر، والتاريخ والتراجم، وبعض كتب الهيئة. إلا أن هذه الكتب لم تسلم من الضياع على مر السنين، وقد نبه بعض البغداديين سنة 1287 إلى أن خزانة الكتب هذه لم يبق منها ولا كتاب واحد⁽⁷⁾، كما نوه السيد محمود شكري الألووسي (ت 1342هـ/1924م) بما أصاب هذه المخطوطات من فقدان، فقال: «وفي هذا المسجد مدرسة وخزانة كتب، غير أنها اليوم لا مدرس فيها ولا تدريس، وليس فيها أيضاً الكتب التي كانت موقوفة على المدرسة فقد لعبت بها أيدي السراق، حتى أفتنتها على الاطلاق»⁽⁸⁾، وقال السيد محمد سعيد الراوي «المكتبة اسم بلا رسم، إذ لا كتاب ولا خزانة ولا مكتبة»⁽⁹⁾.

(1) الاستاذ عباس العزاي: تاريخ الادب العربي في العراق ج2 ص232.

(2) ابراهيم الدروبي: البغداديون ص47 و 174 و 314.

(3) البغداديون ص381.

(4) محمد صالح السهروردي: لب الالباب ج2 ص408.

(5) البغداديون ص176.

(6) العقد اللامع ص91

(7) محمد أمين زاده، في جريدة الزوراء البغدادية 12 شباط، السنة 1287هـ/1867م.

(8) مساجد دار السلام بغداد الورقة40 (من المخطوط).

(9) العقد اللامع ص91

وكانت دائرة الأوقاف قد اقتطعت المدرسة وجعلتها قيصرية تستغلها، وفي أيام عمرت الأوقاف في الجامع مدرسة ووفرت لها الكتب اللازمة، وكلفت المدرس يوسف العطا بالتدريس فيها⁽¹⁾.

الجامع في العهد الاخيرة

لم يتطرق الى الجامع علماء الآثار والعمارة من الأوربيين الذين وفدوا الى بغداد، ووصفوا شيئاً من مبانيها القديمة، امثال زاره وهرزفيلد الالمانيين، وفيوله وماسنيون الفرنسيين ، ويمكننا أن نشير هنا الى ان الكوماندر (جيمس فيلكس جونس) ذكر في معرض إحصائه لمعالم بغداد، عقدا بأسم (عقد كبلانية) فيه (جامع كبلانية) وعده ضمن معالم محلة عقد الصفاوير⁽²⁾ وذلك سنة 1846م/1265هـ مع انه بعيد عن هذه المحلة ولا يعد من معالمها .

وفي سنة 1888م/1306هـ قام الرحالة البريطاني السير والس بدج بتسجيل اسم الجامع ضمن قائمة مساجد بغداد الشرقية، على أنه اخطأ في تاريخ بنائه، فذكر أنه بني سنة 1134هـ/1721م في حين أنه جدد قبل ذلك بوقت طويل كما مر بنا ذلك⁽³⁾.

وفي عام 1325هـ/1907م زار السيد محمود شكري الألووسي جامع القبلانية فوصفه قائلاً: «هو جامع رحب الفناء، رصين البناء، واسع المصلى، أنيق مزين مُحلّى، وهو في جوار المدرسة المستنصرية، واقع منها في الجنوبية ليس بينهما سوى جادة السوق، وقد كانت على جدرانه كتابات كثيرة إندرست لما كان فيه من التبديل والتغيير»⁽⁴⁾.

ووصفه محمد سعيد الراوي في سنة 1924 فكان مما قاله «هو جامع واسع الفناء، رصين البناء»⁽⁵⁾.

(1) العقد اللامع ص91

(2) مساجد دار السلام. الورقة 40

(3) رحلات الى العراق، ترجمة فؤاد جميل ص48.

(4) مساجد دار السلام بغداد ص39 (مخطوط).

(5) العقد اللامع ص89

ووصف عبدالحميد عبادة عمارته ونوه بالموضع الذي ضم قبور الأولياء المدفونين فيه، فقال «وفي داخل مصلاه حجرة صغيرة معقودة بالحجارة والجص، وبجدارها القبلي نوافذ وشبابيك مطلة على السوق، قبيها قبر أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الحنفي المعروف بالقُدوري، ويجنبه قبر الشيخ محمد الوتري»⁽¹⁾.

وفي 1330هـ/ 1920 أنشأت فيه دائرة الأوقاف مدرسة جديدة، وكان خلف الجامع من جتوبيه دار معدة لسكتى الإمام فأخذتها دائرة الاوقاف وجعلتها مستغلا للوقف⁽²⁾. وفي سنة 1927م/1345هـ قامت بترميم عدة مواطن من الجامع⁽³⁾. وفي 1932 أجرت الدائرة ترميمات واسعة وأضافت اليه دار للفتوى في الجهة الشرقية الشمالية من ساحة الجامع، وافتتحت في اوائل تموز من ذلك العام، بمشهد حافل من علماء الدين، وعين الشيخ يوسف العطا المدرس في مدرسته مفتياً⁽⁴⁾، ولبثت بناية الدار قائمة حتى سبعينات القرن الماضي، الا أن منصب الافتاء ألغي منذ سنين قبل ذلك.

وكنا قد زرنا هذا الجامع غير مرة في مطلع عقد السبعينات من القرن الماضي فوجدناه يتصف بسعة ظاهرة، له مصلى يأخذ شكلاً مستطيلاً، وله قبة مرتفعة تقوم على أربعة أواوين معقود، يستند الإيوان الخلفي منها على جدار القبلة، بينما تستند الأواوين الثلاثة الأخرى على عمودين ضخمين مربعي الشكل، من الآجر. وللمصلى منبر أنيق مزين بقطع الرخام، تعلوه قبة مضلعة مخروطية، على الطراز تركي، وهو نمط نادر في منابر بغداد. وللجامع مصلى صيفي، له محراب مزين بالآجر المزجج. وعلى الرغم من متانة بناء هذا الجامع وقوة أركانه، وكونه يمثل أنموذجاً لرياسة المساجد البغدادية في القرن الحادي عشر للهجرة (17م) فقد قرر ديوان الأوقاف في سنة 1975 نقض الجامع تماماً وإزالته عن بكرة أبيه، غير مقدرة لقيمته الأثرية والتاريخية، ثم أنها شيدت على أرضه سوقاً تجارياً من طابقين،

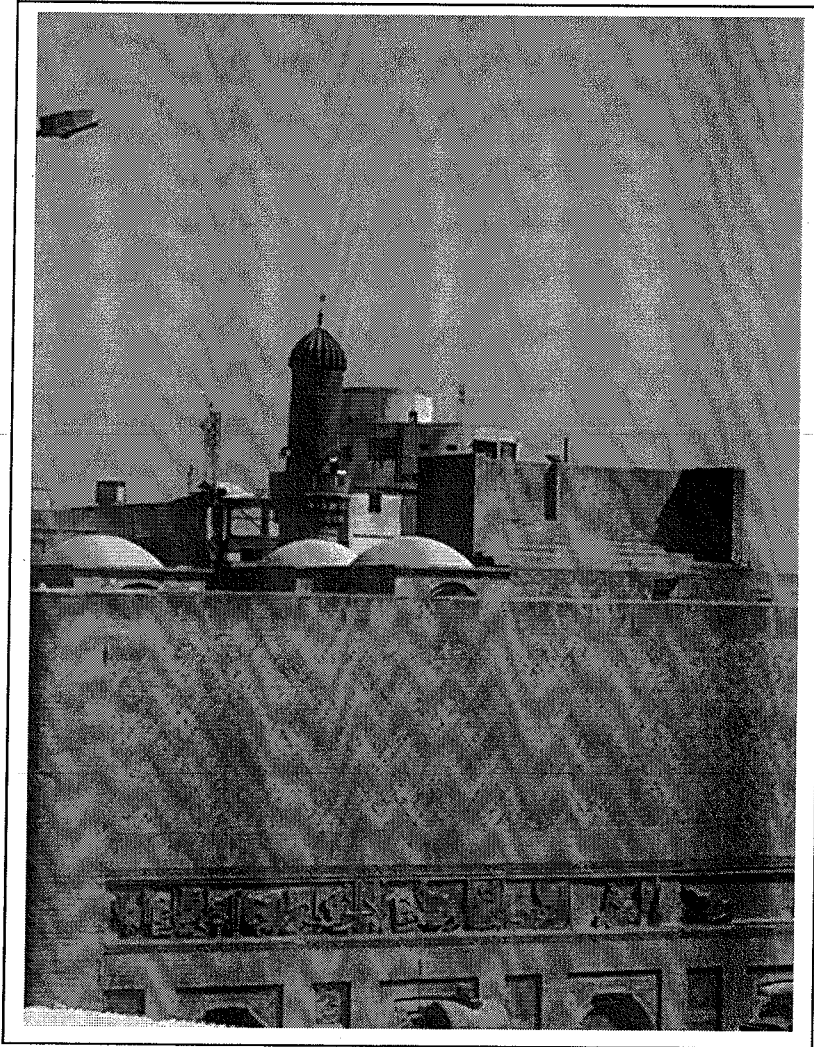
(1) العقد اللامع ص 325-327.

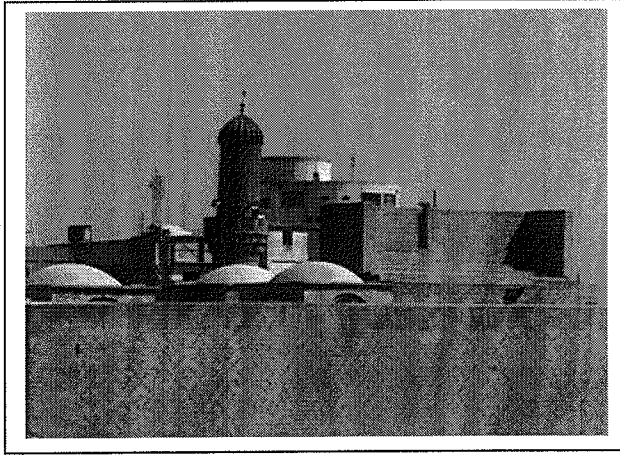
(2) العقد اللامع ص 91

(3) مجلة لغة العرب (السنة 1927م) ص 317.

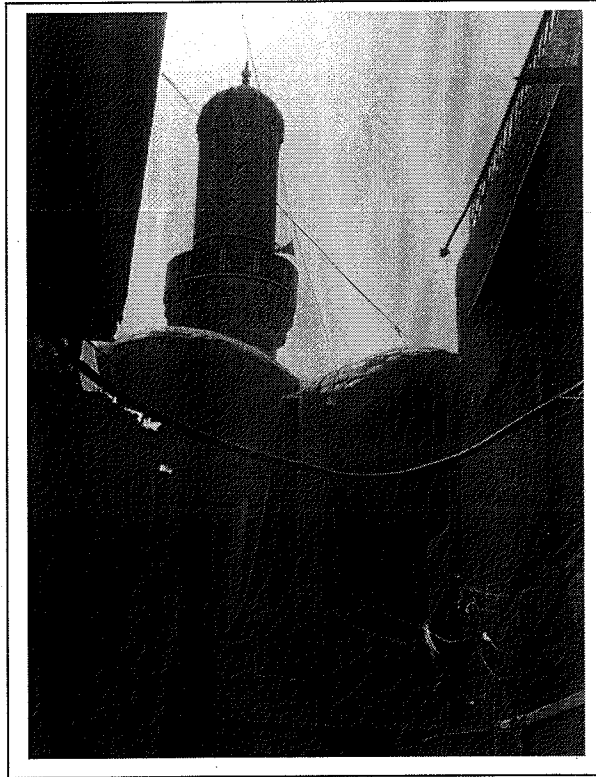
(4) محمد صالح السهروردي: لب الالباب ج 2 ص 229.

عرف بسوق القبلانية، وخصصت في أعلاهما جناحاً صغيراً ليكون جامعاً باسمه، وأثبتت على بابيه الذي في السوق لوحة تعريفية تحمل اسم الجامع الزائل. ولم يبق من عمارة الجامع الاصلية غير مئذنته العالية، وهي لما تزل محتفظة بهيئتها وهيبتها، تزين بدنها وحوضها قطع الأجر المزجج، ولها قمة محززة عمودياً على الطريقة التقليدية التي اتبعت في كثير من جوامع بغداد التي ترقى الى عصرها وما بعده، على أن شيئاً من التصدع أصاب، في العقود الأخيرة، قسمها العلوي مما بات ينذر بتداعيتها وتساقط قطع آجرها، فعسى أن تقوم الجهات المعنية بصيانتها بوصفها تمثل كل ما تبقى من عمارة ذلك الجامع التليد.

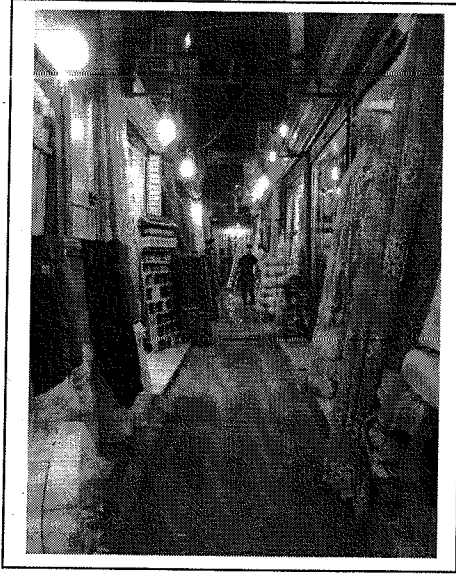




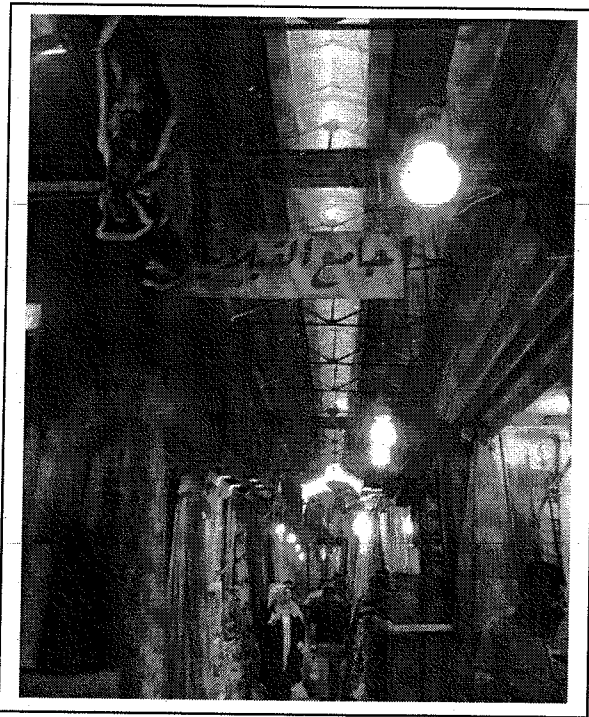
مئذنة جامع القبلاية كما تبدو مقابلة للمدرسة المستنصرية
(بعدهة السيد زين النقشبندي)



مئذنة جامع القبلاية كما تبدو من السوق المجاور
(بعدهة السيد زين النقشبندي)



سوق القبلانية المشيد على أرض الجامع المنذر
(بعده السيد زين النقشبندي)



لافتة تحمل اسم الجامع في السوق المنسوب اليه الان
(بعده السيد زين النقشبندي)

تاريخ بجوي

مصدرا لمعالم بغداد في القرون المتأخرة

مقدمة

يفتقر الباحث في خطط بغداد الى المعلومات الضرورية لفهم ما أصاب هذه المدينة العتيقة من تغيرات في العهود التي تلت زوال الخلافة العباسية، فبعد أن كانت المصادر التاريخية في عهد هذه الخلافة تهتم بالكتابة عن معالم المدينة من القصور والدروب والجسور والقناطر والمدارس والمساجد والربط والمارستانات والمشاهد وحتى المقابر، نجدها تسكت سكوتاً مطبقاً عن ذكر هذه المعالم في العهود التالية، فلا ندري ما آل إليه حال هذا القصر، وما صارت اليه هذه المدرسة، وما أنشئ فيها من منشآت حادثة غير ما ورثته عن العهود السابقة، لاسيما بعد انتهاء عهد المؤرخين الذين خضرموا العهدين العباسي الأخير، والمغولي الايلخاني، أمثال ابن الساعي، وابن الفوطي، وابن الكازروني، ومؤلف كتاب الحوادث، المسمى بالحوادث الجامعة، فأدى ذلك الى انقطاع شبه كامل في معلوماتنا عن تطور خطط مدينة بغداد لعدة قرون خلت، وبات الباحث في خطتها عهدذاك كمن يمد قدميه في ظلام حالك، يتلمس بهما ما يدل على طريق لم يسبق له ان سلكه من قبل.

وفضلا عن قلة المؤرخين المحليين، بل انعدامهم في بعض العهود، فإن ما كتبه المؤرخون العثمانيون والایرانيون جاء فقيراً في تناولهم أحوال المدن العراقية، لاسيما منها مدينة بغداد، وذلك بسبب نظرهم اليها، بل الى العراق كله، على انها مجرد ساحة صراع دام بين الطرفين، فلم يولوا معالم المدينة العراقية ما تستحقه من اهتمام.

وكان أن وجدنا، ونحن نبحث عما يمكن أن نسد به هذه الثغرة، معلومات ذات أهمية خاصة، لم يسبق أن لفتت اهتمام الباحثين من قبل، أوردها مؤرخ عثماني حسن الإطلاع، عاصر جانباً مما سجله من أحداث، هو سليمان افندي بجوي.

وقد جاء أكثر ما ساقه من روايات في سياق كلامه عن حادثتين مهمتين شهدهما العراق عصر ذاك، أولاهما فتح السلطان سليمان القانوني مدينة بغداد

سنة 941هـ/1534م بعد أن كانت قبله بيد الصفويين، وثانيهما استعادتها على يد السلطان مراد الرابع سنة 1048هـ/1638م بعد أن كان الصفويون قد احتلوها من قبل، فقد تطرق في أثناء وصفه هذين الحدثين الى ما آل اليه حال بعض المنشآت المهمة التي ورثتها بغداد من العصر العباسي، واختفت اخبارها بعد ذلك العصر.

ومؤلف هذا التاريخ هو سليمان افندي الملقب ببجوي ، نسبة الى مدينة (بج)، من بلاد المجر، يوم كانت جزءاً من الدولة العثمانية، وكان قد ولد فيها، من أسرة امتهنت الحياة العسكرية لعدة اجيال، فجدده داود بك بن جعفر جلبي دخل شاباً في معية قادة عسكريين كبار، وشارك في معارك عدة في اوربا، وفي العراق، نال على اثرها منصب (أمير آلاي)، ثم نال لما أبداه من بلاء حسن براءة سلطانية (سند ملكية) لاقطاع من نوع (تيمار)⁽¹⁾، و أصبح هو كاتباً في بعض الفرق العسكرية، وأسند اليه السلطان احمد الأول بعض المناصب الرفيعة تقديراً لكفاءته، ثم تقلب في وظائف مالية عدة، من اهمها منصب دفتردار ديار بكر ثم دفتردار توقات ، فدفتردار طونه، وعُيّن والياً على (بلغراد)، ودفترداراً للبوسنة، وأخيراً عُيّن دفترداراً (لطمشوار)، وبعدها انزوى عن الخدمة في الوظائف وتفرغ لكتابة تاريخه هذا، وكانت وفاته سنة 1061 ودفن في مسقط رأسه بج.

يقع تاريخه في مجلدين كبيرين يزيد عدد صفحاتهما على الألف صفحة⁽²⁾، كتبهما بالتركية العثمانية، يتناول اولهما تاريخ الدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الثاني، بينما يتناول المجلد الثاني تاريخها من عهد السلطان مراد الثالث الى نهاية عهد السلطان مراد الرابع.

اعتمد في كثير مما سجله لا سيما في المجلد الاول على روايات أبيه، فقال مثلاً «وطبقاً لما سمعته من المرحوم والدي»⁽³⁾، و«سمعت عدة مرات من المرحوم والدي»⁽⁴⁾، وعلى شهود عيان ذكر أسماء بعضهم، فقال مثلاً «هذا هو ما سمعته

(1) ج 1 ص 130 و ص 143

(2) ترجمه الى العربية ناصر عبدالرحيم حسين ، وصدر عن المركز القومي للترجمة في القاهرة سنة 2016 وعلى الرغم من أن لفته الاصلية هي التركية، فقد كتب عليه انه ترجم من اللغة الفارسية خطأً.

(3) ج 1 ص 130

(4) ج 1 ص 128

من المرحوم تريافي غازي حسن باشا»، وقال «سمعت من لسان المرحوم الشيخ علي دده نفسه»⁽¹⁾. كما اعتمد على مؤلفات مؤرخين عثمانيين سابقين، ذكر منهم جلال زاده نشانجي مؤلف كتاب (طبقات الممالك) وتاريخ (عالي بك) وتاريخ (محمد افندي الكاتب) مؤلف كتاب (جامع التواريخ) و(حسن بك زاده افندي) في تاريخه⁽²⁾ وغير ذلك، هذا فضلاً عن مصادر لم يسمها كقوله «ويروى عن بعض الثقات»⁽³⁾. كما رجع أيضاً إلى تواريخ كتبها مؤرخون أوروبيون، يسميهم (كفاراً)، فقال مثلاً «وسنرى في الترجمة التي تأتي فيما بعد كيف كتب الكفار هذه الغزوة في تواريخهم»⁽⁴⁾، وقال «ذكرت تواريخ الكفار هذا الحدث على هذا النحو»⁽⁵⁾، و «وقد كتب الكفار في تواريخهم»⁽⁶⁾ وغير ذلك من الأقوال التي دلت على اطلاعه الواسع على وجهات النظر المختلفة والروايات المتنوعة لمؤرخين أجنب..

ولما كان يجوي قد عاصر كثيراً من الحوادث المهمة التي جرت في أيامه، وكانت له معرفة بشخص تلك الحوادث، فإنه اعتمد على مشاهداته الشخصية مصدراً لما كان يرويهِ من أخبار، من ذلك قوله «واتفق إلى هذا الحقب (يعني نفسه نواضعاً) قد شاهدت أمراً من العجائب وهو أن ساطورجي محمد باشا كان سرداراً عظيماً أثناء حصار قلعة وارات.. الخ»⁽⁷⁾، وقوله عن حروب المجر «ففي هذه المرة التي التحقنا بها وشاهدناها لم تبق قلعة ولا مقاطعة دون أن يخرّبها وينهبها الكفار»، وقوله «ونحن شاهدنا عدة مرات أن فقراء الرعايا تضرعوا بالدعاء واستغاثوا قائلين.. الخ»، كما تحدث عمن كانت له به صلة من القادة كقوله مثلاً «وانني هذا الحقب التقينا في ذلك المكان بالقرب من (ايلجي خاني) بأحد أغوات بولاد زاده وزير مصطفى باشا»، وقوله «في أحد الأيام دخلت على مجلسه مع دفتردار زاده ابراهيم افندي أمين الترسانه في ذلك العصر.. الخ»⁽⁸⁾.

(1) ج 1 ص 130

(2) ج 2 ص 381

(3) ج 2 ص 386

(4) ج 1 ص 228

(5) ج 1 ص 282

(6) ج 1 ص 274

(7) ج 2 ص 243

(8) ج 2 ص 489

ولابد من القول أن تأليفه لتاريخه هذا لم يكن تلبية لطلب أحد، وإنما استجابة لميل طبيعي في نفسه، لشغفه الشديد بالتاريخ فقال: «وانني هذا الحقير (يعني نفسه) قليل البضاعة قد صرفت كل عمري في تتبع حركة التاريخ، ولما لم يكن لعبد قاصر مثلي نصيب من العلوم العالية، فقد كانت رغبتنا الطبيعية تتجه نحو التاريخ، فنظرت في هذا القدر من التواريخ، واطلعت وعايشت غزوات وفتوحات معظم سلاطين أهل الإسلام»⁽¹⁾.

ومع أن بغداد بلغت في عصره دركاً من التدهور والخراب بسبب تعاقب الغزاة عليها، منذ أن احتلها المغول، وكثرة ما داهمها من الكوراث الطبيعية، من غرق ووباء، إلا أن بجوي، كأكثر المؤرخين العثمانيين، أظهر لها احتراماً خاصاً وتقديراً عالياً ليس بسبب ما آل إليها حالها في عصره، وإنما لمكانتها التاريخية حينما كانت حاضرة الخلافة العباسية وبوتقة الحضارة الإسلامية، فهي عنده «أرض الجنان، ومقر الخلفاء العظماء»، و«إرم ذات العماد»، و«الجنة العامرة».

وفي كلامه عن هذه المدينة فوائد خططية ندرجها فيما يأتي:

دار الخلافة العباسية

ذكر بجوي في معرض حديثه عن فتح السلطان سليمان القانوني بغداد سنة 941 أنه «دخل السلطان صاحب السعادة في اليوم السابع والعشرين من الشهر المذكور الى القصر عالي البهجة الذي كان داخل سور بغداد، والذي كان مأوى ومنزل الخلفاء السابقين واستراح فيه». ولم يبين موقع هذا القصر بأكثر مما ذكر، ولكن وصفه بأنه عالي البهجة يدل على فخامته المميزة، وكون السلطان اختاره منزلاً له، يدل على أنه كان بالفعل أحد قصور الخلفاء العباسيين، وأن نزوله فيه أراد به ان يرمز الى تورثه شرعية اولئك الخلفاء، نظير ما فعل الشاه اسماعيل الصفوي الذي لقب واليه على بغداد بخليفة الخلفاء، ولا خلفاء ببغداد الا بنو العباس، وفي هذه الحال فإن قصور الخلفاء كانت تقع في ضمن ما كان يعرف بدار الخلافة العباسية، وهي منطقة حصينة كانت تحتل جزءاً مهماً من وسط بغداد، وتحفل بالقصور الرسمية، ومنها قصر التاج، وقصر المثمنة، وقصر الفردوس، وغيرها، ويعد قصر التاج المقر الرسمي

(1) ج 2 ص 136

لجميع الخلفاء العباسيين المتأخرين، وهو من ثم الأكثر احتمالاً لأن يكون المكان الذي اختاره السلطان العثماني لنزوله، ومن المؤكد أن تغييراً مهماً أجرى على تصميم القصر في فترة سابقة على مجيء السلطان سليمان، يتمثل بفصله على شاطئ دجلة بسور حصين ذي أبراج ومُسْنِيَات يبدأ من الزاوية الشمالية لسور بغداد وينتهي بالزاوية الجنوبية، أو الشرقية، حيث الباب الشرقي، فقد ظهر هذا السور جلياً في صورة الجانب الشرقي مما رسمه مطراقي زاده كما تقدم بنا، فهذا السور صار يحجب الواجهة الفخمة للقصر عن دجلة، أو الطابق الأسفل منه في أقل تقدير. ومن المهم القول أن ما أورده بجوي يعد النص الوحيد الذي يكشف لنا عن أن قصور دار الخلافة ظلت ماثلة عامرة ينزلها المحتلون حتى القرن العاشر للهجرة، أي بعد ثلاثة قرون من زوال الخلافة العباسية نفسها. ويشير بجوي أيضاً في أثناء حديثه عن حصار السلطان سليمان لمدينة بغداد إلى ما يسميه (قصور بكتاشي خان)⁽¹⁾، وهذا هو الحاكم الصفوي للمدينة، ونرى أن هذه القصور لم تكن إلا بقايا دار الخلافة العباسية، بدلالة ما ذكره بجوي نفسه من أن قصفها بالمدفعية كان يجري من قلعة الطيور التي كانت «تجاه بغداد»، على حد تعبيره، وهو يقصد تجاه الجانب الشرقي منها، قائمة في المحلة التي عرفت فيما بعد بالكريمات، ومن المعلوم بحسب خطط بغداد أن هذه المحلة، التي كانت تعرف في العصر العباسي بركة ابن دحروج، كانت تقابل قصور دار الخلافة من الجانب الغربي المقابل⁽²⁾.

القلعة

تحتل قلعة بغداد، التي عرفها العثمانيون بـ(إيج قلعة)، أي القلعة الداخلية، أرضاً واسعة على شكل معيني تقريباً يمثل ضلعه الشمالي قسماً من سور بغداد نفسها يمتد من شاطئ دجلة إلى باب المعظم، وهو باب السلطان في العصر العباسي، وترقى هذه القلعة إلى أواخر القرن التاسع الهجري⁽³⁾، وتخلو مصادر العصر العباسي من الإشارة إلى أي قلعة في بغداد، لا في هذا المكان ولا في أي مكان آخر، بل لا تشير الروايات الخاصة بوقائع احتلال هولاء بغداد إلى قلعة

(1) ج2 ص513

(2) المصدر نفسه

(3) التاريخ الغياثي، حوادث سنة 974، ص336

أيضاً، ولكن المؤرخ بجوي ينفرد في الروايات التي ساقها عن وقائع ذلك الاحتلال برواية جديدة تفيد بوجودها إذ قال « قام الخليفة أيضا بإخراج الوزير (ابن العقمي) من باب القلعة »⁽¹⁾، فواضح من النص أن باب القلعة كان يفضي الى الفضاء الذي يحيط ببغداد مباشرة، حيث يتخذ جيش هولوكو معسكره هناك. ثم أنه ذكر في حديثه عن حال اهل بغداد بعد واقعة الاحتلال أن الناس كانوا «يعمرون بروج القلعة ويينظفون أيضا أطرافها» ، فهل كانت هي نفسها (ايح قلعة) او القلعة الداخلية العثمانية، او أصلا لها، ذلك ما يصعب الجزم به لعدم وجود نصوص أخرى تدعم رواية بجوي المهمة هذه، ولكن يفهم مما ذكره أنه كان للقلعة أبراج وجدران تطل على داخل المدينة، لاسيما على ميدانها الخارجي، إذ قال أنه حينما دخل الجيش العثماني بغداد سنة 941 «تم تزيين بروج وجدران قلعتها بأعلام المسلمين».

ويورد بجوي إشارة تدل على انه كان للقلعة الداخلية باب صغير نفذ منه القزلباش (الصفويون) الى بغداد سرا في الليلة التي احتلوا بها بغداد في 12 ربيع الأول سنة 1032هـ/1613م. فذكر أن ابن بكر صوباشي قام «بفتح الباب الصغير للقلعة الداخلية ويدخل القزلباش الى القلعة»⁽²⁾. وهذا الباب هو نفسه الذي سماه احمد بن عبدالله الغرابي بباب السر، إذ قال «ففتح له باب السر التي قي جانب الشط، فدخل منها نحو عشرة آلاف شخص»⁽³⁾.

ويظهر أنه كان ثمة تحصينات خارجية تتقدم قلعة بغداد، وتحول دون وصول المهاجمين الى أسوارها، ولذا فهي تبعد عنها بمسافة ما، والراجح أنها كانت بمثابة (توابي) أو (ريايا) يتولى الجند القائمون عليها مهمة الدفاع عن هذه القلعة، أو حراستها، وتظهر صورة للجانب الشرقي من بغداد كان قد رسمها نصوح افندي المطراقي زاده، وهو المرافق لحملة السلطان سليمان القانوني سنة 941، وجود برج عال تحيط به أسوار أدنى ارتفاعاً منه، يتقدم باب السلطان (باب المعظم)، مما يرجح أن تكون ربيّة عسكرية كاملة⁽⁴⁾. كما أن الخرائط التي رسمها سياح اوريبيون

(1) سكتت المصادر المعاصرة للحدث عن تعيين الباب الذي خرج منه الوزير. ينظر كتاب الحوادث المنسوب لابن الفوطي، بتحقيقنا مع د. بشار معروف، بيروت 1997، ص356

(2) ج2 ص482

(3) عيون اخبار الاعيان، نسخة باريس ذات العدد 6677، الورقة 207

(4) كتابنا: العراق كما رسمه المطراقي زاده، بيروت 2014، ص39

في القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد) تظهر مثل تلك التوابي محيطة بجانب من سور بغداد لاسيما الجانب الشمالي منه. والنص الذي أورده بجوي يدل على أن الجيش العثماني بقيادة الصدر الاعظم ابراهيم باشا الذي كان يحاصر بغداد، سنة 1042هـ/1632م اتخذ من هذه التحصينات مواضع لمهاجمة اسوار القلعة الخارجية بالمدافع التي نصبت عليها ، قال «تم الدخول الى التحصينات أمام قلعة بغداد، وحوصرت القلعة، وضربت ليل نهار على مدى أربعين يوماً بالتمام». وهو يسميها (القلعة الكبيرة) مع انه لا يشير الى قلاع أخرى في الجانب الشرقي غيرها⁽¹⁾.

الأبراج

ذكرنا أن سور بغداد كان مُدعماً بعددٍ من الأبراج الحصينة التي شيدت مع تشييد السور نفسه في أواخر العصر العباسي، وكان الرحالة مطراقي زاده هو أول من رسم هذه الأبراج، ورسمها من بعده رحتان أوربيون عديدون في القرون التالية، وأشار بجوي الى أحد هذه الأبراج في أثناء حديثه عن حصار هولالكو لبغداد فذكر أن المغول «أقاموا بلاط هولالكو (يقصد مخيمه) تجاه برج عجمي»⁽²⁾ (يريد برج العجمي)⁽³⁾، ثم أشار اليه مرة أخرى حينما عين مواضع المتاريس التي نصبها القادة العثمانيون حوالي أسوار بغداد إذ قال أن امير امراء ديار بكر «وضع أربعة مدافع من نوع (باليمز) تجاه البرج الكبير المشهور بعجم برجي (اي برج العجم)⁽⁴⁾، ثم أنه تناول شيئاً من تاريخ البرج وأورد رواية تقول انه سمي باسمه هذا بسبب طول اقامة الشيخ عبدالقادر الكيلاني فيه معتكفاً متعبداً⁽⁵⁾.

أبواب بغداد

وعلى الرغم من أننا نعلم بوجود أربعة أبواب في اسوار بغداد، هي باب السلطان، وباب الظفرية (الباب الوسطاني)، وباب الحلبة (باب الطلسم الزائل)،

(1) ج 2 ص 531

(2) ج 2 ص 546

(3) في كتاب الحوادث ص 356 أن المغول «اجتمع منهم خلق كثير على برج العجمي»، ولم يقل ان مخيم هولالكو كان بإزائه

(4) ج 2 ص 513

(5) ج 2 ص 517

وباب كلواذى (الباب الشرقي)، إلا أن بجوي لم يشر الا لبوابة واحدة، يسميها (قراكلق قبو) وهي تسمية تركية تعني الباب الأسود او المظلم، يعني به باب كلواذى الذي نسب الى قرية كلواذى القديمة التي كان يفضي الى طريقها، وهو المسمى أيضاً بباب البصلية نسبة الى محلة البصلية المجاورة حيث تشغل أرضها اليوم محلة السنك، وكان يزرع فيها البصل. وكان عدد كبير من الجنود القزلباش قد لجأوا الى هذا الباب وتحصنوا في داخله أثناء دخول القوات العثمانية الى بغداد سنة 941، مما دل على سعته، ولكنهم اضطروا أخيراً الى فتحه خلسة والخروج منه خوفاً من بطش تلك القوات والهروب الى نواحي ديالى⁽¹⁾.

وكان يحيط بأسوار بغداد خندق واسع عريض يأخذ مياهه من دجلة عند أعلى القلعة، ويصبها فيه في أدنى الباب الشرقي، وقد أشار بجوي الى هذا الخندق في حديثه عن حملة حافظ احمد باشا سنة 1035هـ/1625م لاسترداد بغداد من أيدي الشاه الصفوي، ويفهم مما ذكره أنه كان يمثل حاجزا عسكريا مهما، حيث لم يستطع أي من الجيشين الإيراني والعثماني اجتيازه على الرغم من أن حصار المدينة دام، بحسب روايته- مدة تسعة اشهر كاملة، فقال «كان الشاه موجوداً في مكان قريب من القلعة وكان لا يخلو من التضييق على عسكر الإسلام (يعني العثمانيين) في معظم الجهات، ولكنه لم يجرؤ هو شخصياً أن يهجم على عسكر الاسلام، ولم يستطع عبور الخندق والدخول الى الجيش الهمايوني، وعسكرنا أيضا لا يستطيعون القيام بحرب القلعة كما ينبغي».

الجوامع

عُني بجوي في اثناء حديثه عن فتح السلطان سليمان بغداد سنة 941 بأعمال هذا السلطان في تعمیر جامع الإمام الأعظم ابي حنيفة بعد أن أصابه التخريب على يد القوات الصفوية، فقال أنه «أمر ببناء قلعة متينة في نواحيه، وقد وضعت المدافع الميدانية والمدافع من نوع (ضربزن) بداخلها، وعين عليها عسكر حراسة من أجل الحماية»⁽²⁾.

(1) ص 513

(2) ج 1 ص 229

وقال في موضع آخر «تم تجديد قلعة متينة وجامع شريف وعمارات لطيفة وتربة عالية ودار الضيافة»

كما نوه بالعناية الفائقة التي أبدأها السلطان المذكور بقبة الشيخ عبدالقادر الكيلاني وجامعه، فقال «وكذلك تم تجديد القبة العالية .. وتم تعمير وترميم جامع المبارك من جديد، كما تم تجديد عماراته العالية، وسائر خيراته، وقد عينت عليه الاوقاف بالقدر الكافي»⁽¹⁾. ولما نزل القبة التي أنشأها فوق مصلى هذا الجامع قائمة حتى اليوم.

قلعة الطيور

سماها قلعة (قوشلر) وهي تسمية تركية لقلعة الطير التي كانت قائمة في الجانب الغربي من بغداد، ولا نظن أنها من منشآت العصر العباسي لخلو مصادر ذلك العصر من اشارة إليها، وعرفتها مصادر القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) بقلعة الزركشي (التي تشغل أرضها اليوم السفارة البريطانية في محلة الكريمات) ، وأشير إليها في القرن العاشر باسمها التركي المذكور⁽²⁾. وقال بجوي أن القوات العثمانية نصبت عليها، في أثناء حصار السلطان مراد الرابع لبغداد سنة 1048هـ/1638م، المدفعية الثقيلة بهدف قصف مقر الحاكم الصفوي بكتاش خان، وقد قصفته بالفعل نحواً من ثمانية وثلاثين يوماً ليلاً ونهاراً ليل نهار⁽³⁾.

(1) ج 1 ص 463

(2) ذكر امير البحر التركي سيدي علي عند زيارته بغداد سنة 956هـ/1553م انه حينما اراد مغادرة بغداد الى الحلة والنجف وكربلاء أنه « مر من قبالة قلعة الطير، حيث وصل الى ما يسميه قلعة البئر، ومن هناك انطلق في طريقه مغادراً بغداد». كتابنا: رحلة القائد العثماني سيدي علي التركي، بيروت 2010، ص 12

(3) ج 1 ص 463

مدرسة جامع السلطان

(دورها وتعيين موقعها)

مقدمة

كان تأسيس مدرسة الإمام أبي حنيفة في 18 صفر من سنة 459 بداية عهد جديد من تاريخ التعليم في الحضارة الإسلامية، إذ احتضنت هذه المدرسة جيلاً جديداً من طلبة العلم والعلماء ما كانوا يجدون قبل تأسيسها مجالاً للدرس والبحث إلا حلقات المساجد هنا وهناك، أو في بيوت العلماء أحياناً⁽¹⁾.

وجاء تأسيس المدارس النظاميات ليعزز هذا الاتجاه الجديد، فخفضت أصوات الداعين الى التعليم على وفق الطرائق القديمة⁽²⁾، ولقيت المدارس تأييد أهل العلم إن كان بتأسيسها، أو بالوقف عليها، أو بالإنظام في سلكها، وسرعان ما انتشرت المدارس في العالم الإسلامي، مبرهنة على أنها الأقدر على استيعاب حركة العلم والتعليم، بما أرسته من قواعد وتقاليد، فلم تعد المدرسة دار تعليم، يلتقى في رحابها الطلبة بأساتيدهم من العلماء فحسب، وإنما مركز بحث حقيقي، فيها تؤلف المتون وتُملَى وتُشرح وتُحشَى، حتى يمكن أن يقال أنها نجحت في استقطاب حركة التأليف أيضاً بمن استقطبتهم من كبار العلماء ونابهي الطلبة عصر ذلك.

وكانت مدرسة الإمام أبي حنيفة، بوصفها المدرسة الأولى والأم للفقهاء الحنفي، الأنموذج الأمثل الذي حذت حذوه المدارس التي وقفها الواقفون لتدريس هذا النوع من الفقه، في بغداد أولاً، ثم في غيرها من الحواضر الإسلامية. ولعل أهم تلك المدارس وأطولها عمراً، مدرسة جامع السلطان في بغداد، وإن سبقتها مدارس أخرى إلا أنها لم تبلغ مبلغها في الشهرة والمكانة العلمية.

تأسيس دار السلطنة

وإذ نسبت هذه المدرسة العتيقة إلى جامع السلطان فلا بد لنا من التعريف به، فأما السلطان فهو ملكشاه الأول بن ألب أرسلان، أشهر سلاطين السلاجقة الذين

(1) احمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، بيروت ص96

(2) حينما أنشأ الوزير نظام الملك المدارس النظاميات العشر أقام علماء ما وراء النهر مآتم للعلم معترضين على فكرة إنشائها.

قيض لهم القضاء على الدولة البويهية في العراق، وكان هؤلاء السلاطين قد اتخذوا لهم مقاماً ومستقراً في حي حصين حويل بالقصور الفخمة على شاطئ دجلة، سمي بدار السلطنة السلجوقية، ووصفت هذه الدار بأنها تقع في محلة عرفت بالمُخرم، وقد عرفت المحلة باسمها هذا قبل أن تؤسس بغداد نفسها، حيث نزل في أرضها، حين فتح المسلمون سواد العراق، من يدعى مُخرم بن يزيد بن شريح بن مخرم بن مالك بن ربيعة بن الحارث بن كعب، فعرفت به، ولم تكن أرضها حينذاك إلا بساتين ومسكن، قدرت مساحتها بنحو سبعين جريباً. أما موقعها فقد عيَّنه ياقوت بقوله في مادة المخرم «هي محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المَعلى»⁽¹⁾. فالرصافة هنا هي الأعظمية اليوم تحديداً، وليست الجانب الشرقي من بغداد كما عرفت في العهود المتأخرة. أما نهر المَعلى فهو أحد أنهار بغداد الشرقية يأتي بمياهه من نهر (بين) الذي يأخذ من نهر الخالص، وقد ازدهرت العمارة في جنوبي هذا النهر في القرن الخامس للهجرة، مما أدى إلى نشوء المحلات السكنية هناك. وحينما جرى تسوير هذه المحلات بسور حصين ذي أبراج وأبواب، يبتدئ من نهر دجلة ويمضي شرقاً حتى يلتقى بذلك النهر، ومنه ينحرف إلى الجنوب فينتهي بنهر دجلة مرة أخرى، صار نهر المَعلى يخرق هذا السور من شماله الشرقي، أي قرب باب الظفرية (الباب الوسطاني اليوم)، ويسير في نفق طويل تحت محال بغداد حتى يدخل دار الخلافة العباسية عند قصر الفردوس، ثم يصب في دجلة تحت قصر التاج (على شاطئ دجلة في منتصف شارع المستنصر حالياً) حيث مقر الخلافة الرسمي. وهكذا انحسرت محلة المخرم لتغدو خارج باب المعظم، ولتشمل محلة العيواضية الحالية وما يقرب منها. فهناك كانت قصور السلاجقة تحديداً، حين اختار السلطان أرطغرل السلجوقي (دخل بغداد سنة 447 وتوفي 455هـ) أن يشيد أول قصورهم، وتلا ذلك تشييد قصور أخرى. وسرعان ما أحاطت بهذه القصور الأسواق والخانات والدروب والدور، فنشأت من ذلك محلة جديدة سميت بمدينة طغرلبك، حتى إذا بلغ السلاجقة أوج قوتهم وهيمنتهم، في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (دخل بغداد سنة 480 وتوفي 485هـ)، أمر في محرم 485 بإنشاء سور حول هذه القصور، وجدد خانات المدينة الناشئة وأسواقها ودورها، وأنشأ داراً لضرب السكة هناك⁽²⁾.

(1) معجم البلدان، القاهرة ج6 ص342

(2) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدرآباد 1359هـ ج9 ص260

تأسيس المدرسة

وكان من أهم ما أمر بإنشائه، جامع كبير وسيع، هو الذي عرف بجامع السلطان، قال مُختصر مناقب بغداد «وتقدم ملكشاه بإنشاء خانات الباعة هناك وسوق ودروب، وبنى جامعاً هناك»⁽¹⁾. وقدر الرحالة الاندلسي ابن جبير المسافة بينه وبين جامع الامام ابي حنيفة بنحو ميل واحد⁽²⁾. والميل الاسلامي عند الحنفية يعدل 4000 ذراعاً، اي نحو 1855 متراً.

وبلغ من عنايته بهذا الجامع ما ذكره ابن الجوزي من أنه تولى «تقدير الجامع بنفسه، وبدرهم⁽³⁾ منجمه، وجماعة من الرصديين، وأشرف على ذلك قاضي القضاة أبو بكر الشامي، وجلبت أخشابه من جامع سامراء»⁽⁴⁾.

وقال ابن جبير في وصفه إياه «وجامع السلطان خارج البلد (اي خارج باب المعظم اليوم) يتصل به قصور تنسب للسلطان أيضاً معروف بشاه شاه (يعني ملكشاه بن الب ارسلان)، وكان مُدبر أجداد هذا الخليفة (الناصر لدين الله)، وكان يسكن هناك، فابتنى الجامع أمام مسكنه»⁽⁵⁾.

بيد أن وفاة السلطان ملكشاه في شوال من تلك السنة، أوقفت أعمال البناء فجأة، فلبث ما بدأ به ناقصاً ومهملاً، ومنها جامع الكبير، حتى إذا ما حلت سنة 502 أخذ بهروز⁽⁶⁾ أبو الحسن، الخادم الأبيض، مولى السلطان غياث الدين السلجوقي (المتوفى سنة 540) بإكمالها، على أن المهم في الأمر أنه أنشأ في ذلك الجامع مدرسة كبرى لتدريس الفقه الحنفي، فكانت تلك المدرسة إمتداداً لمدرسة الإمام ابي حنيفة، ومركزاً متقدماً من مراكز الفقه الحنفي في بغداد.

(1) مختصر مناقب بغداد، تحقيق محمد بهجة الأثري، بغداد ص 23.

(2) رحلة ابن جبير، بغداد 1356هـ ص 282

(3) في ابن كثير: البداية والنهاية، حوادث 485 اسمه (إبراهيم).

(4) ابن الجوزي: المنتظم ج 9 ص 60

(5) رحلة ابن جبير ص 282

(6) في ابن كثير: البداية والنهاية اسمه (هارون الخادم) وقال أنه هو الذي أتم بناء الجامع في سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

مدرسو المدرسة

استقطبت هذه المدرسة عدداً من كبار العلماء الأحناف ببغداد، درسوا فيها وأفادوا وانتفع الطلبة بهم، ومنهم من تولى التدريس فيها وفي مدرسة أبي حنيفة معاً، فضلاً عن التدريس في مدارس الحنفية الأخرى ببغداد، وقد بلغ عددها، عدا مدرسة أبي حنيفة، سبع مدارس في الأقل، كما أن منهم من تولى مناصب رفيعة في سلك القضاء، فكان منهم القاضي وأقضى القضاة، مما دلّ على غزارة علمهم والمواصفات الرفيعة التي كان يتصف بها من يجري اختياره للتدريس فيها. ومن بين هؤلاء العلماء:

• مجدالدين أبو الخير مسعود بن سعد، أبو الحسن اليزدي⁽¹⁾ الحنفي. ولد سنة 505 وتفقّه وأفتى وناب في القضاء ودرس في مدرسة أبي حنيفة ومدرسة جامع السلطان، ثم خرج إلى الموصل، رسولاً من الخليفة المستجد بالله في أمر لم يذكره المؤرخون، فأقام فيها ما تبقى من عمره، يدرس وينوب في القضاء، وتوفي بها في جمادى الآخرة من سنة 571. وأثنى عليه القاضي تاج الدين يحيى بن قاسم التكريتي في تاريخه فقال «كان شيخاً لطيفاً فيه دعابة» وذكر أنه كان يدرس بالمدرسة المغيثة، التي أنشأها مغيث الدين محمود بن محمد السلجوقي المتوفى سنة 525هـ، وكانت تعد من أبرز مدارس الحنفية في القرن السادس للهجرة⁽²⁾. وقال القرشي «أحد الفقهاء الكبار على مذهب أبي حنيفة - رضي الله عنه - وأحد المدرسين ببغداد، وأحد القضاة والمفتين بها. وذكر زين الدين قطلوبغا أنه صنف كتاب (التقسيم والتشجير في شرح الجامع الصغير)⁽³⁾.

• عز الدين أبو الحسن علي بن المرتضى بن محمد العلوي الأصبهاني البغدادي، المعروف بالأمير السيد العلوي. ولد في بغداد سنة 521هـ، وتفقّه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وسمع من أبي سعد أحمد بن محمد البغدادي وغيره⁽⁴⁾. قال قال ابن الجوزي في حوادث سنة 566 «وفي يوم السبت رابع عشرين الشهر (يعني رجب) ولي الأمير السيد العلوي التدريس بجامع السلطان مكان اليزدي». وذكره عماد

(1) في المنتظم (أبو الحسين) وتصحف في الجواهر المضية في طبقات الحنفية، حيدر آباد 1332هـ، إلى (البريدي).

(2) كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد 1966، ص 55-61.

(3) ابن قطلوبغا: تاج التراجم في طبقات الحنفية ص 76

(4) زكي الدين المنذري ج 1 الترجمة 169

الدين الكاتب الأصبهاني فقال «مولده ومنشؤه ببغداد، ووالده من أصبهان، كان في خدمة الخاتون [فاطمة خاتون] زوجة المقتدي، وتفقه ولده هذا وبرع على مذهب أبي حنيفة، ووجد الكرامة الكبرى من الخليفة وأهل الرتب الشريفة والمناقب المنيفة، فلم يَمَلْ إلا لطلب العلم ونشره، ولم يرغب إلا في الفقه المؤذن برفع قدره، وله إمام بنظم أبيات من الشعر تدل على إبرازه بالبر. وهو مدرس جامع السلطان بمدينة السلام، مشتمل على الإفادة مشمول بالإكرام»⁽¹⁾. وذكره ابن الفوطي في تلخيصه، وقال أنه توفي ليلة الجمعة ثاني عشر رجب سنة 588 ودفن في مقابر قريش⁽²⁾»⁽³⁾.

• ومنهم أيضاً الشريف أبو المجد علي بن علي بن يحيى المعروف بابن ناصر العلوي الحسيني الفقيه الحنفي، كان من أعيان فقه الحنفية ببغداد⁽⁴⁾. ولد في محلة مشهد الإمام أبي حنيفة سنة 515هـ وسمع الحديث عن القاضي أبي بكر محمد بن أبي بكر، والقاضي أبي نصر بن عبد الباقي الأنصاري وغيره. وحدث وسمع منه الحافظ أبو المحاسن الدمشقي. وقال المنذري «وكانت له معرفة بمذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، ودرّس بجامع السلطان»⁽⁵⁾ وقال ابن الجوزي في حوادث سنة 566 هـ «وفي رجب ولي ابن ناصر العلوي التدريس بمدرسة السلطان التي كان فيها اليزدي فحضر درسه قاضي القضاة وغيره». وتوفي سنة 594هـ.

وكان في المدرسة مجلس خاص بالمناظرة، يتناظر فيه العلماء في شأن من شؤون العلم، فهو يشبه ما يُعرف بمجالس (السمينار) التي تعقد في الأقسام العلمية في جامعات اليوم، وممن اشتهر من علماء مجلس المناظرة بهذه المدرسة، الفقيه أبو زكريا يحيى بن المظفر بن الحسن بن بركة بن محرز البغدادي. قال أبو الوفاء القرشي «تفقه على مذهب الإمام (أبي حنيفة) وسمع من أبي المعالي محمد بن محمد بن محمد بن النحاس بن العطار وغيره، وحدث وأفتى ودرس، وكان من أعيان الفقهاء، له مصنفات، وكان ذا لسان وعبارة، وله نظم ونثر»، ونقل عن المنذري قوله أنه «حدث وأفتى ودرّس،

(1) العماد الأصبهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم العراق، ج1 ص195

(2) هي التي عرفت في العصور التالية بالكاظمية

(3) تلخيص مجمع الآداب ج4 ص226

(4) ابن أبي عذبية: إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، الورقة 157 نسخة دار

المخطوطات العراقية

(5) زكي الدين المنذري ج1 الترجمة 431 والقرشي: الجواهر المضية ج2 ص224

وكان من أعيان الفقهاء الحنفية، وله مصنفات مولده سنة 536 وتوفي في ثالث عشرين من ذي الحجة سنة 625 رحمه الله تعالى⁽¹⁾.

لبثت دار السلطنة السلجوقية عامرة بقصورها ومرافقها العديدة، حتى سنة 587، ففي هذه السنة أمر الخليفة الناصر لدين الله (575-622م) بنقضها بقصد القضاء على آخر رموز دولة السلاجقة في بغداد، بعد أن أزاح سلطانهم السياسي إثر ما عرف باسم صحوة الخلافة، إلا أن النقض لم يشمل جامع السلطان ومدرسته، فظلت المدرسة عامرة بمدرسيها وطلبتها، على ما يفهم من كلام ياقوت⁽²⁾، وقد وجدنا أن ممن تولى التدريس فيها بعد ذلك التاريخ عدداً من المدرسين، منهم:

• يوسف بن إسماعيل بن عبدالرحمن بن الحسن بن بشير بن منكو اللمغاني الحنفي، وهو من بيت مشهور بالفقه والعدالة. ولد سنة 518 وتفقّه على أبيه وعمه، وكانا عالمين أيضاً، حتى برع في المذهب والخلاف، وأخذ الحديث عن عدد من علماء عصره، وقرأ كثيراً من علم الكلام على مذهب المعتزلة، وكانت له فيه يدٌ قوية، وناظر على إثبات خلق القرآن. ثم تولى التدريس بمدرسة جامع السلطان بعد وفاة مدرستها أبي الحسن العلوي سنة 588، وناب في التدريس بمشهد أبي حنيفة، وانتهت إليه رئاسة أصحابه في وقته، وتوفي في ليلة الجمعة سنة 606 هـ. قال عنه ابن النجار «كان غزير الفضل ذا أخلاق لطيفة وكيس وتواضع»⁽³⁾.

• ومن مدرسيها أيضاً في هذه المرحلة من تاريخها أفاض القضاة كمال الدين عبدالرحمن بن عبدالسلام بن إسماعيل بن عبدالرحمن بن عبدالسلام بن الحسن اللمغاني، ولد سنة 564، وقرأ الفقه والخلاف، ودرس في المدرسة الزيركية، وهي من مدارس الحنفية في بغداد، بعد وفاة أبيه، وناب في الحكم والقضاء عن القاضي محمود بن أحمد الزنجاني، ثم عن قاضي القضاة عبدالرحمن بن علي. وفي سنة 633 قلد القضاء ببغداد، وولي التدريس في مدرسة جامع السلطان، ثم في مدرسة الإمام أبي حنيفة، وفي سنة 635 رتب مدرساً للحنفية في المدرسة المستنصرية، ثم استصفاه

(1) محيي الدين القرشي: الجواهر المضية ج2 ص218

(2) معجم البلدان ج8 ص342

(3) ابن الساعي: الجامع المختصر ج9 ص195 والمنذري: التكملة لوفيات النقلة ج2 الترجمة 179

والقرشي: الجواهر المضية ج2 ص212

المستتصر إلى آخر أيامه، وكانت وفاته سنة 640، وقد صلي عليه في جامع القصر ودفن في مقبرة الإمام أبي حنيفة⁽¹⁾.

• ومنهم القاضي عز الدين أبو عبدالله بن إبراهيم بن منصور المعروف بابن زريق الكوفي. ترجم له عبدالرزاق ابن الفوطي فقال «قدم بغداد واشتغل بالفقه والأصول، ورتب معيداً بالمدرسة المستنصرية، ثم رتب مدرساً بمدرسة جامع السلطان، ظاهر مدينة السلام، ثم ولي القضاء بها، وتردد الشهود إلى خدمته، وجرت أموره على أحسن نظام لنزاهته وعفته وزهده ولين كلمته، وهو حسن المروءة، مقبل على شأنه»⁽²⁾.

وقدّر لجامع السلطان أن ينجو من التخريب، مرة أخرى، في أثناء احتلال المغول بغداد سنة 656 هـ. دليلنا على ذلك أن الخطبة لم تنقطع عنه بعد حوادث ذلك الاحتلال، ففي سنة 674 هـ عيّن الشيخ محيي الدين محمد بن محياً العباسي خطيباً في الجامع⁽³⁾، يقول صاحب الحوادث «وفيهما عيّن الشيخ محيي الدين محمد بن محيا العباسي خطيباً بجامع المدينة المعروف بجامع السلطان.. ولم يخطب في بالعراق بعد الواقعة خطيب هاشمي سواه». كما خطب فيه أيضاً شمس الدين محمد بن عبيدالله الهاشمي الكوفي الواعظ، وكان أديباً فاضلاً عالماً شاعراً، أورد صاحب الحوادث شئاً من شعره الرائق⁽⁴⁾.

وورد ذكر الجامع في حوادث سنة 690 هـ⁽⁵⁾، وآخر من ذكره الرحالة ابن بطوطة سنة 767 على أن ما ذكره منقول من رحلة سابقه ابن جبير⁽⁶⁾. ولم نقف على ذكر المدرسة في ذلك التاريخ، ومن الراجح أنها ظلت عامرة في وقت كان

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، تحقيق مصطفى جواد، دمشق 1962 ج4 ص226.

(2) تلخيص مجمع الآداب ج4 ص114

(3) ابن رافع السلامي: منتخب المختار، تحقيق عباس العزاوي، ص283 وابن حجر

العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حيدرآباد ص1349 هـ ج2 ص89

(4) كتاب الحوادث، بتحقيقنا والدكتور بشار عواد معروف، بيروت 1997 ص 363 و463 و424

(5) كتاب الحوادث ص505

(6) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان

ومصطفى القضاة، بيروت 1987، ج1 ص235.

الجامع عامراً، فهي ملحقة به، أما بعد أن غابت أخباره فلا نعلم مصيرها، وفي أي وقت توقف التدريس فيها.

تعيين موقعها اليوم

علمنا من نص ابن جبير أن السلطان ملكشاه «ابتنى الجامع أمام مسكنه»، أي أمام دار السلطنة السلجوقية، وإذ علمنا أن هذه الدار كانت تحتل بقصورها وبساتينها شاطئ دجلة، فيكون معنى قوله أن الجامع يقع أمامها أنه يتقدمها بالنسبة للقادم الي تلك الناحية من جهة الشرق، ويؤيد هذا ما ذكره ياقوت من أن «الدار التي يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية خلف الجامع المعروف بجامع السلطان»⁽¹⁾، فهي خلفه بالنسبة للقادم اليه من جهة الغرب، حيث دار السلطنة المذكورة.

وإذ علمنا أن الجامع كان مجاوراً لمقبرة عرفت بالمقبرة السهلية، توضّح لنا أن هذه المقبرة هي التي عرفت في العصر العثماني بمقبرة باب المعظم، وهي لما تزل موجودة الى اليوم، بيد أن حدودها الأصلية غير معلومة، بسبب إنشاء الدور السكنية في أجزاء واسعة من أطرافها، وشق الطرق في داخلها، لا سيما من جهتها الشرقية، حيث شق شارع الإمام الأعظم بأرصفته ومقبرياته.

وعليه فلا نستطيع تعيين موقع المدرسة أكثر من هذا، وكنا نظن أنها كانت في قرب موضع جامع الوصي (المسمى جامع الحرية بعد 1958) الواقع في أدنى تلك المقبرة، إلا أننا سعدنا حينما وقفنا على نص جديد يعين موقعها على نحو أكثر دقة وتحديداً، فقد ذكر الشيخ محمد أمين بن عبد الرحمن العباسي السهروردي (المتوفى سنة 1312هـ/1894م) في كتابه المخطوط الذي عنوانه (نزهة الأدباء في تراجم علماء ووزراء وأشرف مدينة السلام الزوراء)⁽²⁾ في حوادث سنة 1247هـ/1831م ناقلاً عن مخطوط لجدّه محمد عبدالمحسن، واصفاً الحوادث الدامية التي رافقت دخول القوات العثمانية المكلفة بانهاء حكم المماليك في بغداد، بقيادة والي بغداد المعين علي رضا باشا اللاظ أن والي بغداد المذكور لما أمر بقتل قادة المماليك الذين كان لهم حكم العراق قبله «أمر بحفر حفرة كبيرة خلف قلعة

(1) معجم البلدان ج 8 ص 346

(2) حققناه، وصدر عن دار الزمان بدمشق 2016، ص 44

القرنيتين التي أشادها مدحت باشا 1285 مدة ولايته على بغداد⁽¹⁾ بالقرب من السدة، فوضعوا فيها جميعاً...وأهيل عليهم التراب بألبستهم. وكانت القرنينة يومئذ مقبرة كبيرة، وفيها من آثار مدرسة ورباط وغيرها قديمة، يرجع تاريخها الى بني العباس» فالقرنينة، او القرنينة، هي المحجر الصحي الذي شيده مدحت باشا في جانب من ثكنة السوارية (الخيالة) وذلك لحجز القادمين الى بغداد خشية نقلهم الأمراض المعدية، ومكان هذه الثكنة معروف تماماً لأبناء الجيل الماضي، فقد شهدت في أول عهد الحكومة العراقية تأسيس أول تشكيلات الجيش العراقي، ثم شغلت بعض أجنحتها بعض الدوائر العسكرية والمدنية، والحوانيت العسكرية، وهي تقع مقابل مدرسة متوسطة الغربية ووزارة الاوقاف سابقاً. فهناك في موضع من هذه الثكنة كان جامع السلطان، وهو ما سماه السهروردي رباطاً، ومدرسته، وكان صائباً في قوله انهما يرتقيان الى العصر العباسي، اذ لم تكن ثمة جامع ومدرسة في ذلك العصر في هذه الناحية من ضواحي بغداد سواهما.

وهكذا عيّن النص موقع هذه المدرسة بعد أن دُثرت لقرون عديدة، وبذا تعين موقع الجامع الكبير الذي نسبت اليه، كما تكشف حدود دار السلطنة السلجوقية، فإذا بها تحتل الأرض الممتدة من شاطئ دجلة حتى تلك الثكنة، مجتازة شارع الإمام الأعظم. أما المقبرة السهلية فصارت تمتد لتشمل لتحيط بالجامع ومدرسته، وأذكر اني سألت بعض العمال الذين كانوا يحفرون أسس مبنى حديث يجري تشييده في ارض تلك الثكنة، في تسعينات القرن الماضي، عما لفت إنتباههم في أثناء حفرةم تلك الأسس، فكان جوابهم أنهم عثروا على بفايا قبور عديدة منتشرة في هذه الأرض.

خاتمة

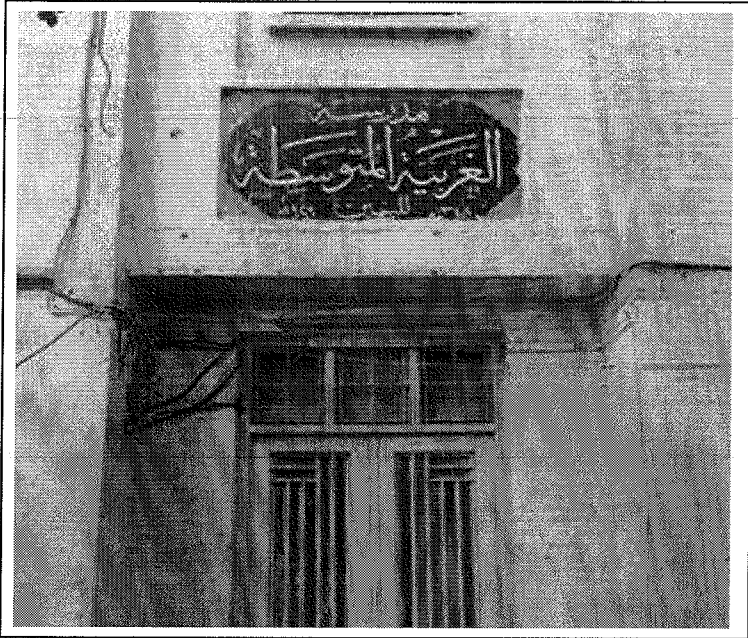
إن مدرسة جامع السلطان هي واحدة من أهم مدارس الفقه الحنفي في بغداد في العصر العباسي، بل أنها تعد، في نشاطها الفقهي والفكري، إمتداداً لتلك المدرسة الأم، مدرسة الإمام أبي حنيفة، وقبساً من شعاعها، فقد تولى التدريس فيها مدرسون سبق أن تخرجوا منها ودرّسوا فيها، ناقلين اليها تجربتهم وخبرتهم. ومع أن مدارس اخرى للفقه الحنفي أنشئت في بغداد في العصر العباسي، منها

(1) هذا التاريخ لا يتفق مع ولاية مدحت باشا في بغداد، فقد تولاهما من 18 محرم 1286 إلى أول ربيع الأول 1289هـ/ 9 أيار 1869-8 أيار 1872م.

مدرسة باب الطاق والمدرسة التثبية والمدرسة المغيثية إلا أن شهرة مدرسة جامع السلطان ظلت متميزة، وأن دورها العلمي استمر حتى ما بعد الاحتلال المغولي في منتصف القرن السابع للهجرة.



ارض الكرتينة الدائرة حيث انشئت مدرسة جامع السلطان



مدرسة الغربية التي كانت تقابل مبنى الكرتينة الدائر

مئذنة اليوسفية

بقية من مدينة عباسية مندثرة

في وسط حقل فسيح مترامي الأطراف، مطل على طريق ترابي يصل بين ناحية اليوسفية، ومنطقة بغداد الغربية⁽¹⁾، وعلى نحو عشرة كيلو مترات من بلدة اليوسفية ذاتها، تقف مئذنة عتيقة وحيدة تصارع الرياح وعوادي البيئة. ليس حولها أي بناء، كما ليس لها من إسم سوى ما أطلقه عليها أهل تلك الناحية، وهو المكيطيمة، تصغير (المكطوممة)، أي (المقطومة) دلالة على شكلها الناقص. ولا يعرف أهل المنطقة عن هذه المئذنة سوى خرافة لا يعتد بها على أية حال. ولكنهم أطلقوا، منذ عهد بعيد، اسمها على جدولي ماء يمران على جانبيها، هما جدول المكيطيمة الشرقي وجدول المكيطيمة الغربي وكلاهما يأخذ من نهر اليوسفية الحديث⁽²⁾.

وعلى الرغم من خلو الجزء المتبقي من المئذنة من أية كتابة أثرية يستدل بها على سنة تأسيسها فإننا نستطيع أن نستدل من نوع أجراها وتكوينها المعماري المميز وزخارفها البنائية البديعة، على أنها ترتقي إلى القرن السادس أو السابع للهجرة (الثاني عشر أو الثالث عشر للميلاد) وأنها تشابه عدة مآذن عراقية عباسية أخرى، منها على سبيل المثال مئذنة جامع سنجار الأثرية (521 هـ/1127م) ومئذنة جامع داقوق قرب كركوك (سنة 608 هـ/1221م) والمئذنة المظفرية في ظاهر أربيل (بين 586-630 هـ/1190-1233م^{*}).

إن جميع ما تبقى من المئذنة مبني بالجص والأجر، وتبلغ أبعاد كل من نوعي الأجر المستخدم في البناء 24، 20 سم بثخن يبلغ 6 سم.

ولقد ذهبت عوادي الزمن المختلفة بالقسم العلوي من المئذنة بضمنه حوضها، فلم يتبق منها حالياً سوى ما ارتفاعه ستة أمتار و45 سنتيمتراً، والظاهر أنها كانت أعلى بكثير بدلالة ضخامة قاعدتها وسعة محيطها، وكان بعض أهل تلك الناحية

(1) اليوسفية بلدة قديمة في وسط العراق، نسبت إلى اسم خان قديم فيها، وهي مركز لناحية تابعة لقضاء المحمودية من أفضية محافظة بغداد.

(2) إن المعلومات التي نوردتها في هذه الدراسة تستند إلى معطيات عدة زيارات قمنا بها إلى هذه المئذنة في صيف سنة 1967م.

قد أخبرني سنة 1967 أنها كانت أكثر ارتفاعاً عما هي عليه الآن بحوالي المتر أو أكثر، على ما شاهده قبل روايته هذه بسنين عدة. وبمقارنة ما تبقى من هذه المئذنة الآن والمآذن الأخرى المرتقية إلى عصرها، مما أشرنا إليه، نستطيع القول أن ارتفاعها كان يتجاوز الثلاثين متراً.

وللمئذنة قاعدة ترتفع عن الأرض مسافة 65، 2 م (31 صفا من الأجر تقريباً) وهي مُضَلَّعة الشكل ذات خمسة أوجه غير منتظمة الأبعاد تماماً، يتراوح عرض كل واحد منها بين 85 سم، و105 سم، وسبب هذا الاختلاف هو موقعها من الجامع الزائل، وكونها متصلة ببنائه وعقوده سابقاً، حيث يتصل بأحد هذه الجوانب جزء من جدار ضخيم يبرز عن بدن القاعدة المذكورة بنحو 70 سم، ويبلغ ثخنه 56،1م، وهو يتقوس من الأعلى ليكون عقداً مدبب القمة ضخماً يمثل مدخل الجامع نفسه، بيد أن بقية العقد زالت بفعل عوادي الزمن، ومن المؤكد أن أسس الجدار المقابل موجودة تحت طبقة مرتفعة قليلاً من الأتربة التي تعلق أنقاض الجامع الزائل، وليس بمستبعد أن تكون هناك، تحت تلك الأتربة، أسس عمد وجدران، يمكن أن تظهر عند رفعها والعناية بالموقع.

ويعلو قاعدة المئذنة الجزء الأسطواني منها (ويسمى محلياً بدن المئذنة)، وارتفاعه وحده 80،3 ويبلغ محيطه نحو 5 أمتار وثخن جداره 35 سنتمتراً. له مدخل من جهة الشمال، ذو عقد مدبب أحيط أعلاه بشريط من الأجر، ويبلغ ارتفاع هذا المدخل 75،1 متراً ويعرض 80 سم، ينفذ منه إلى سلم حلزوني يلف داخل البدن على النمط المعروف محلياً بـ(الفحل)، وثمة إحدى عشرة درجة لما تزل سليمة منه، إرتفاع كل منها 30 سم. وعرضها 70 سم، وليس لما تبقى من المئذنة نوافذ أو كوى مما هو معتاد في أكثر المساجد. وواضح من ارتفاع مدخل المئذنة أن المؤذن لم يكن يصعد إليها من أرض المسجد مباشرة، كما في المئذنة المظفرية في إربل، وإنما عن طريق شرفة تتصل بالطابق العلوي من المسجد، كما هو الحال في مئذنة جامع القصر (جامع الخلفاء) في وسط بغداد.

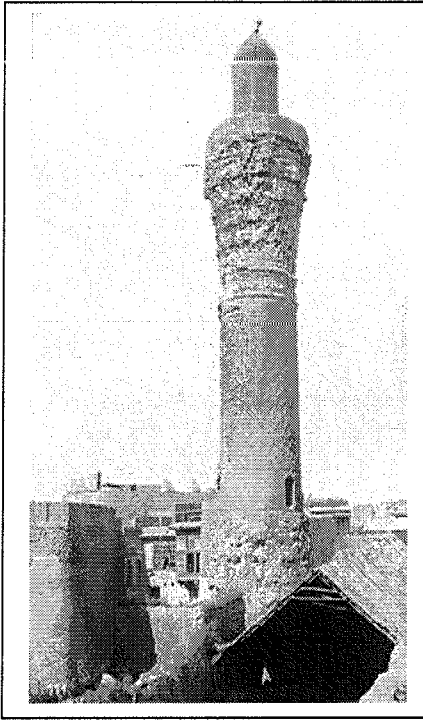
ويمكننا أن نرى في المئذنة عدة ملامح فنية عراقية واضحة تساعدنا على تحديد تاريخ إنشائها، ففي أعلى القاعدة المضلعة شريط بنائي جميل بارتفاع 30 سم، يتشكل من قطع الأجر المتداخلة عمودياً. وهي ميزة نجدها في أغلب المنشآت

العراقية التي ترقى إلى العصر العباسي، كمئذنة جامع سنجار ومئذنة جامع القصر أو جامع الخلفاء المبنية بعد سنوات قلائل من نهاية ذلك العصر سنة 678هـ/ 1289م وغير ذلك. وأول ما ظهر هذا الأسلوب في دار الامارة بالكوفة، وهو على ما يبدو مبالغة في تحصين البناء وتقويته فضلاً عن تشكيله، في الوقت نفسه، حلية بنائية بين صفوف الأجر.

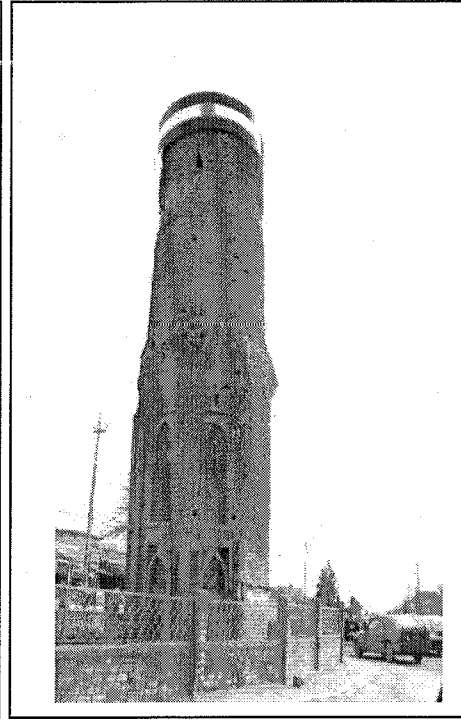
وفي الجزء الاسطواني أيضاً، بعد نحو 30 قطعة أجر، شريط آخر مماثل للشريط مار الذكر، تعلوه حلية بنائية جميلة تتكون من رصف لقطع الأجر على شكل XXX مؤلفة من الأسفل عدة مثلثات تستند قواعدها على الشريط الأجرى الأول الذي يعلو عقد باب المئذنة مباشرة، ثم تعلوها عدة مربعات كاملة تقف على إحدى زواياها، ثم ملئت دواخل كل مربع برصف عمودي لقطع أجر أخرى بالحجم نفسه، وثمة قطع صغيرة مربعة ومزخرفة من الأجر تفصل بين نوعي الرصفين، وفي وسط كل تشكيل توجد واحدة من هذه القطع الصغيرة، فيشكل ذلك كله منظراً هندسياً جميلاً. وهذا النمط من البناء مشابه جداً لما هو موجود على بعض جدران المدرسة المرجانية (جامع مرجان) ببغداد، ولا يختلف عنه إلا بزيادة تلك القطع الأجرية المزخرفة. كما توجد في أعلى الجزء المتبقي من العقد المتصل بقاعدة المئذنة، مساحة مثمثة الاضلاع كانت تحتوي - فيما يبدو - زخارف أو كتابات قبل ان تسقط بفعل عوادي الطبيعة.

ولما كان بناء مئذنة ضخمة على نحو منفرد وسط البرية مما لا يعقل أصلاً، وانما يكون لجامع رئيس وسط مدينة زاهرة، فرجعنا إلى المنطقة نفسها نفتش فيها عن جواب، فلاحظنا أن ثمة تل أثري قريب من المئذنة يكاد يتصل بها لولا أن يفصله عنها جدول المكيطيمة الغربي، وبما أن هذا الجدول، كمحاذيه الشرقي، هو من الجداول الحديثة اذا ما قيست بمجاري الانهار القديمة في المنطقة، فإن لنا أن نقول بأن هذا التل ليس الا بقايا تلك المدينة المنذثرة. وتبلغ المساحة التقريبية للتل نحو ستة دونمات⁽³⁾، ويغطي هذه المساحة ما لا يمكن عده من قطع الأجر والخزف الفاخر وأنواع الفخار الملون العائد إلى العصر الاسلامي. ولا نشك في أن أعمالاً تنقيبية فيها من شأنها أن تكشف عن مدينة عراقية عباسية مهمة.

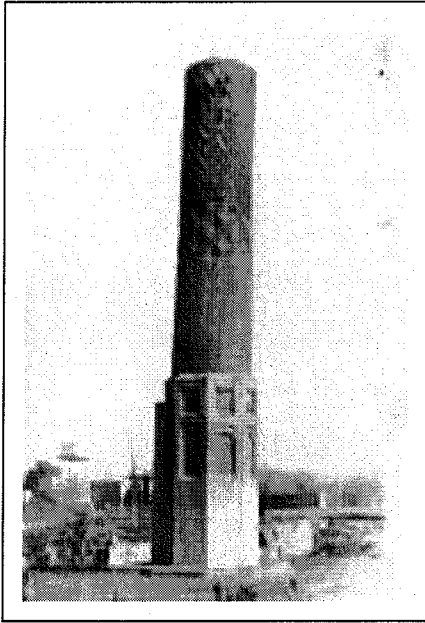
(3) الدونم يعادل 2500 متر مربع



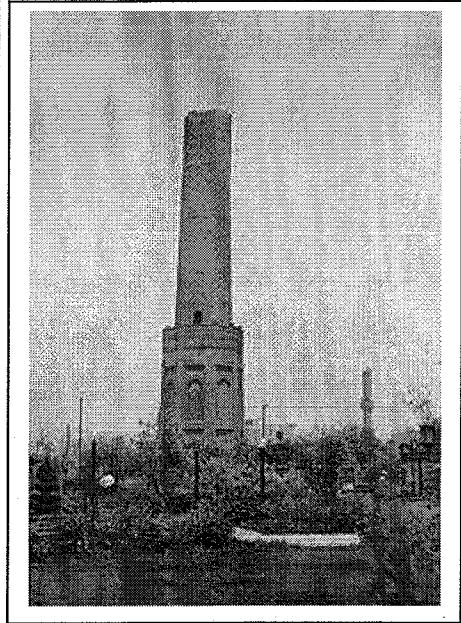
مئذنة جامع الفصر ببغداد 1911



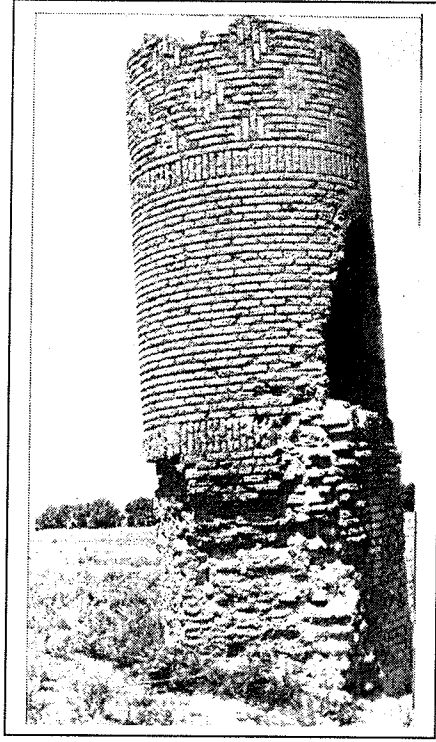
ما تبقى من مئذنة جامع سنجار



ما تبقى من مئذنة جامع داقيق



ما تبقى من المئذنة المظفرية في إربل



ما تبقى من مئذنة اليوسفية

من الصعب في الوقت الحاضر التوصل إلى اسم هذه المدينة العباسية، لا سيما وأنا نعلم بوجود عدد من المدن والقرى الزاهرة في هذه المنطقة التي تمثل طريق الحاج التاريخي بين الكوفة وبغداد، وقد مرَّ به عدد من الرحَّالين فوصفوا كثافة السكن فيها واتصال القرى ببعضها وكثرة ما يخرقها من جداول وما يصل بينها من حقول وبساتين. ولعل أبرز من وصف هذا الطريق الرحالة الأندلسي ابن جبير، وذلك حين مرَّ به متوجهاً من الكوفة إلى بغداد.

ومما يؤكد وجود بقايا هذه المدينة تحت ركام التل وترابه، أن آثار مجرى نهر واسع نسبياً يمكن تتبعها الآن، كانت تصل إلى هذا الموقع، مبتدئة من مجرى نهر اليوسفية القديم المندثر، وهو يقع إلى الجنوب من نهر اليوسفية الحديث، فهذا النهر كان يروي تلك المدينة بمياهه. وبلغ عرض النهر المندثر الآن، بقياس ما بين كتفيه، نحو عشرة أمتار، ويمضي الطريق الترابي الموصل إلى موقع المكيطيمة حالياً في عقيقه.

ومن المؤسف حقاً أن هذه المدينة ومسجدها ومدينتها بقيت حتى يومنا هذا بعيدة عن أية عناية أثرية. وكل ما في الأمر أن مديرية الآثار القديمة العامة (المؤسسة العامة للآثار والتراث فيما بعد) سجلت المئذنة (أثراً) سنة 1937. أما التل الأثري المجاور فلم يسجل كأثر حتى الآن رغم ما يحفل به سطحه من لُقى أثرية متنوعة واتصاله بالمئذنة ذاتها. ومن الغريب أن إشارة إلى هذه المئذنة لم ترد في الأطلس الذي نشرته مديرية الآثار العامة بعنوان (أطلس المواقع الأثرية في العراق) (بغداد 1975 خارطة رقم 27) مع أنها مسجلة أثراً منذ أمد بعيد على ما ذكرنا.

إننا هنا ندعو المؤسسة (الهيئة) العامة للآثار والتراث إلى العناية بهذا الموقع الأثري المهم، فترمم مئذنته، وتكشف عن أسس جامعها، وتجري التفتيشات اللازمة في مدينته المندثرة، فذلك كله من الأمور الممكنة حالياً، ولكنه لن يكون كذلك إذا ما امتد العمران إلى المنطقة بازدياد عدد القرى المجاورة واستغلال سكانها ما تحويه من قطع آجرية ومخلفات أثرية أخرى⁽⁴⁾.

(4) كتبنا هذا البحث سنة 1967 وصورناه سنة 1980 ولا ندرى ما آل إليه حال هذه المئذنة وما حولها بعد ذلك التاريخ.

اكتشاف قبر الخليفة المستعصم بالله العباسي

في ليلة 19 شباط من سنة 1258م (14 صفر 656هـ) كان القمر قد أكتمل بداراً، وشرع يُرسل ضيائه الخافت إلى بغداد الجريحة، بعد أن دخلتها عساكر المغول، فدمرت وخرّبت ما شاء لها التخريب، ولم يبق من رموز عهد زاهر مضى عاشت فيه مدينة السلام نحو خمسمائة سنة غير الخليفة العباسي المستعصم بالله الذي أمسى سجيناً بيد قوات الاحتلال منذ عشرة أيام قبل ذلك التاريخ، حينما خرج - مع أبنائه - في يوم الأحد، الرابع من صفر إلى معسكر هولوكو مستسلماً، محاولاً محاولته الأخيرة لدفع خطر الموت عن أبناء شعبه.

ولم تُجد مساعي الخليفة نفعاً، بل أرسل مخفوراً إلى معسكر أحد قادة الجيش المغولي وصهر هولوكو هو (كيتو بوقا)⁽¹⁾، وكان هذا المعسكر يقع في جنوب المدينة، في ظاهر باب كلواذي (الباب الشرقي كما عرف فيما بعد)⁽²⁾، وأقيم للخليفة ولأبنائه وأتباعه خيماً، بما يشبه معسكر إعتقال، حيث عُهد بحراستهم إلى عدد من الجند المغولي⁽³⁾. وفي أثناء ذلك، وبالتحديد في يوم الأربعاء 7 صفر (12 شباط) هجم المغول، دفعة واحدة على بغداد في أكثر أيام هذه المدينة نحساً وأسى⁽⁴⁾. وفي يوم الجمعة 9 صفر (14 شباط) دخل هولوكو بغداد، فنزل في الدار المثمنة (أحد قصور دار الخلافة على شاطئ دجلة)⁽⁵⁾ حيث جرى الإحتفال

(1) ويكتب اسمه أيضاً بشكل (كتبغا) وقد لقي مصرعه على يد الجيش المصري في معركة عين جالوت في يوم 25 رمضان سنة 658 / 3 أيلول 1260م كتابنا: معركة عين جالوت، (منشورات مركز البحوث والمعلومات، بغداد 1986) ص48-49.

(2) كان هذا الباب واقعاً قرب ساحة الباب الشرقي حالياً.

(3) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ المجلد 2 الجزء 1، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرين (القاهرة بلا تاريخ) 290-291 وابن العبري: غريغوريوس: تاريخ مختصر الدول (بيروت 1958) 271.

(4) الهمذاني: المصدر السابق 291، وابن العبري 272.

(5) تصحف اسم هذه الدار في الهمذاني إلى (الميمنة) وهو المصدر الوحيد التي أشار إليها، والدار من ابنية الخليفة المسترشد بالله، جرى افتتاحها سنة 518هـ، وكانت تقع قرب باب الغربية، وهو الباب الشمالي لدار الخلافة العباسية على شاطئ دجلة أي في المنطقة المحصورة اليوم بين عمارة الدفتردار وشاطئ النهر.

بالنصر، وفي هذا القصر استُدعي الخليفة من معتقله لِيُسْتَجَوَّبَ عن خزانة أموال دار الخلافة، وبعد الفراغ من الإستجواب كانت اللحظة الأخيرة من حياة الخليفة الأخيرة قد حانت، وكان الظلام قد أخذ يسدل سُدُّله على بغداد، في مساء ذلك اليوم الحزين الرابع عشر من صفر (19 شباط 1258م) فاقتيد إلى حيث وضع في غرارة، وهي كيس يوضع فيه التبن عادة⁽¹⁾ ورُقُس حتى مات شهيداً⁽²⁾، وبموته زال آخر رمز لوحدة العالم الإسلامي ولإستقلال العراق نفسه على حد سواء، لتبدأ بعده فصول من الفوضى والإضطراب والإنحطاط.

وبمجرد أن وُري جثمان الخليفة الثرى، حتى بدأت حملة منظمة أريد بها تشويه صورته ومسيرته في أعين الناس، فأتهم بالاستبداد، مع أن مكمَن ضعفه ركونه إلى آراء مشاوريه (غير الأكفاء)، وبلغ برشيد الدين فضل الله الهمداني المؤرخ الرسمي للمغول إلى القول بأن عدد نسائه بلغ سبعمئة زوجة وسرّية وألف خادمة⁽³⁾، بينما يذكر مؤرخ بغدادي واسع الاطلاع ومعاصر هو ابن أنجب الساعي أنه "كان له جاريتان قبل الخلافة، له من إحداهما ثلاثة بنين وبنات، ومن الأخرى أربع بنات، فلما أفضت الخلافة إليه لم يتغير عليهما ولا أغارهما بل راعهما حفظاً لعهدهما، ثم طلبت منه أم البنين أن يعتقها ويتزوجها ففعل ذلك، فلما ماتت استجد بأخرى وحظيت عنده فلم يعترض بغيرها وجاء منها بولد ذكر، وطلبت منه أيضاً أن يعتقها ويتزوجها ففعل ذلك، هذا فيما يرجع إلى حسن العشرة وحفظ العهد ومراعاة الصحبة والوفاء"⁽⁴⁾. فأنظر إلى مدى تجاوز الإتهام كل حدود المعقول وقس على ذلك كثيراً مما سواه من الإتهامات التي كليت إلى هذا الخليفة.

(1) ابن منظور: لسان العرب مادة غرر.

(2) ابن الفوطي عبد الرزاق (منسوب إليه): كتاب الحوادث، ص 357 وتذكر رواية مغولية، ردها الهمداني وابن العبري أن قتل المستعصم كان في أول مرحلة من مراحل عودة هولوكو إلى همدان وتحديداً في قرية (وقف) ونعتقد بعدم صحة هذا الرواية فصاحب كتاب الحوادث - وهو معاصر- أشار إلى أن قتله جرى في بغداد صراحة، وأن رحيل هولوكو عن بغداد لم يحدث إلا في جمادى الأولى من تلك السنة. ومن المرجح ان يكون مبعث الرواية المغولية رغبة المحتلين في قطع أية صلة تُذكر البغداديين بخليفتهم وبمصيره المؤلم.

(3) رشيد الدين الهمداني: جامع التواريخ، ترجمة يحيى الخشاب ص 291.

(4) الاريلي، سنبط بن قتيبو: خلاصة الذهب المسبوك (بغداد 1964) ص 291 نقله عن شيخه ابن الساعي.

ويكفي أن نسوق هنا شيئاً مما نقله ابن قتيبة الإربلي عن ابن الساعي، لنتبين بعض مزاياه وفضائله، يقول: «وأما سيرته فكان فيه أوصاف لم تجتمع في غيره ممن مضى من آبائه وأجداده- رحمهم الله- فإنه كان حافظاً للقرآن المجيد، عاكفاً على تلاوته، مواظباً على الصلوات في أوقاتها وصوم الاثنين والخميس من كل شهر، وصوم شهر رجب دائماً، لا يُخل بذلك مدة خلافته وقبل خلافته»⁽¹⁾. وقال مؤرخ بغدادي معاصر أيضاً، هو ظهير الدين بن الكازورني «كان. قدس الله روحه- جميل الصورة حسن الوجه، كامل المحاسن، أسمر اللون، حسن العينين، مسترسل شعر الوجه، ظاهر الحياء، كثير التلاوة للقرآن المجيد، صالحاً ديناً لا يتعرض بشيء من المنكر ولعله لم ير صورته ولا يعرفه، وكان ليّن الأكناف صالحاً ديناً شريف النفس كريم الطباع.. صبر على الشدائد والأمور المستعصيات فأن عساكر المغول دهمته ونزل بين الكشك العتيق والملكية في سابع عشر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وستمائة، فتلقاهم بعزم شديد ورأي شديد، وأخرج إليهم إقبالاً الشرابي بعسكر الديوان وثبت لهم إلى الليل، ثم لاحت لهم إمارة قوة عسكر بغداد فانهزموا ليلاً ولم يلاقوهم، وعادت عساكر بغداد منصوراً محروسة من العدو ببركته»⁽²⁾. كان هذا قبل احتلال المغول بغداد سنة 656 فلما احتلت إنقلب «عزمه الشديد» عند أولئك المؤرخين- إلى عجز وتفريط و«رأيه السديد» إلى استبداد وعدم الإستماع إلى نصح الناصحين.

سعى المغول إلى محو كل ذكرى لهذا الخليفة العباسي أو تشويهها، ومن ذلك ما فعلوه بجثمانه بعد قتله، يقول صاحب كتاب الحوادث المعاصر للحدث، «ودفن وعُفي أثر قبره»⁽³⁾ ومثله ما ذكره ابن الكازورني⁽⁴⁾، أما ابن طباطبا فقد سكت عن الإشارة إلى قبره⁽⁵⁾، ليس عن جهل منه به، لأننا سنجدّه يصرح به في كتاب آخر له كما سيأتي، وهو ما يؤكد أن تغييب مدفنه كان مقصوداً أريد به إسدال النسيان على تاريخ الخلافة العباسية كلها⁽⁶⁾.

(1) المصدر نفسه.

(2) ابن الكازورني: مختصر التاريخ، تحقيق د. مصطفى جواد (بغداد 1970) ص 268.

(3) الحوادث ص 357.

(4) مختصر التاريخ ص 274.

(5) انظر ابن طباطبا الطقطقي: الفخري بن الأدب السلطانية (القاهرة بلا تاريخ) ص 272.

(6) ابن بطوطة: تحفة النظار (القاهرة 1928) ج 1 ص 142.

ولطالما تساءل الكثيرون عن مدفن هذا الخليفة، فلم يجدوا بين النصوص ما يمكن أن يهديهم إلى ذلك، وهكذا بقي قبره مطويًا مجهولاً عن أكثر الناس. ونقول أكثرهم لأن الرحالة المغربي ابن بطوطة أشار في زيارته لبغداد سنة 716هـ إلى أسماء الخلفاء الذين لهم قبور في محلة الرصافة ببغداد، فذكر بينهم قبراً للمستعصم، وعلى الرغم من أهمية هذه الإشارة إلا أنها لم تلفت نظر أحد من الباحثين ليتخذها مفتاحاً يستجلي به حقيقة الأمر، بل أن باحثاً جليلاً هو المرحوم الدكتور مصطفى جواد ذهب بعد أن نقل خبر ابن بطوطة إلى أنه "قول مبنى على الخيال لأن المغول لما قتلوا المستعصم أخفوا جثته مع جثتي إبنيه أحمد وعبدالرحمن ولم يُعلم لواحد منهم قبر صحيح بين القبور، والذي قيل في ذلك اختراع وابتداع"⁽¹⁾. فبدل أن تتخذ هذه الشهادة سبيلاً للبحث في الأمر، والتدقيق فيه، أهمل عليها تراب التجاهل التام، بل عدّ مجرد القول فيه "اختراع وابتداع" مع أن سكوت المصادر لا يقوم- دوماً- حجة، لا سيما وأن الأمر لا يخلو- كما رأينا- من دوافع سياسية مقصودة.

و شاء الله أن لا تضيع شهادة ابن بطوطة بدداً، ففي أواخر القرن التاسع للهجرة (القرن 15م) أعاد مؤرخ بغدادي كبير عُرف بدقة روايته وسعة اطلاعه هو عبد الله بن فتح الله الغياث البغدادي، هذا الخبر مع شيء من التعيين الجغرافي، فقال عن مدفن المستعصم: «اختفى قبره، وقيل بمشهد عبيد الله بن عمر الأشرف»⁽²⁾. وهكذا اجتمعت لدينا إشارتان خططيتان مهمتان، الأولى أنه في الرصافة، وهي إشارة ابن بطوطة، والأخرى في مشهد عبيدالله المذكور في نص الغياثي، وكلتا الروايتين يكمل بعضها بعضاً، فالرصافة هنا هي الأعظمية الحديثة وكانت تضم إبان العصر العباسي قبور الخلفاء، وتعرف بـ (تُرب الرصافة)، تؤكد ذلك نصوص ودلائل خططية عديدة، منها ما ذكره ابن جبير في رحلته إذ قال: «وبأعلى الشرقية (أي الجانب الشرقي) خارج البلد محلة كبيرة بازاء محلة الرصافة، وفي تلك المحلة مشهد حَقيل البنيان.. فيه قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وبه تُعرف المحلة»⁽³⁾. ومنها ما ذكره ياقوت الحموي في وصفه تلك الأنحاء، إبان القرن السابع الهجري (13م) قال: «وخربت تلك النواحي كلها ولم يبق إلا الجامع (يعني جامع المهدي بالرصافة) وبلصقه

(1) أحمد سوسة ومصطفى جواد: دليل خارطة بغداد المفصل (بغداد 1958) ص 204.

(2) التاريخ الغياثي، بتحقيق طارق الحمداني (بغداد 1975) ص 278.

(3) ابن جبير: تذكرة بالخيار عن اتفاقات الاسفار (بغداد 1356) ص 18.

مقابر الخلفاء لبني العباس وعليهم وقوف وفراشون برسم الخدمة، ولولا ذلك لخربت وبلصقها محلة أبي حنيفة وفيها قبره»⁽¹⁾.

فهذان النصان وغيرهما من القرائن العديدة؛ يدلان على أن البحث عن موضع دفن المستعصم ينبغي ألا يتجاوز في نطاقه محلة الأعظمية الحالية، فإن أردنا تحديد هذا النطاق أو تضييقه وجب علينا التوقف عند الدلالة الثانية أعني: مشهد الإمام عبيد الله⁽²⁾.

ينسب هذا المشهد إلى من عُرف بعبيد الله العلوي، وقد سماه البغداديون قبر النذور «لأنه ما كاد يُنذر له نذر إلا صَحَّ»⁽³⁾. وكان عند هذا المشهد مصلى البغداديين في أيام الأعياد، لذا فقد عرف أيضاً بمصلى العيد، ولبت كذلك حتى أنشئ مصلى جديد قرب دار الخلافة سنة 279هـ (في أرض جامع القصر أو جامع الخلفاء) فعرف المصلى الأول حينذاك بالمصلى العتيق⁽⁴⁾.

ونظراً لاحترام البغداديين هذا المكان، فقد دفنوا حوله عدداً من أبناء الخلفاء والصلحاء أبرزهم أبو العباس أحمد بن الخليفة العباسي هارون الرشيد المتوفى سنة 184، والمعروف بالسبتي⁽⁵⁾، وقد ظل قبره مزار البغداديين حتى أواخر العصر العباسي ويعرف بقبر السبتي، كما دُفن فيه أيضاً عدد من كبار علماء بغداد وصلحاتها في ذلك العصر التالد. وكان من مظاهر عناية الأسرة العباسية بمشهد النذور، أن قامت السيدة المحسنة زُمرد خاتون المتوفاة سنة 599هـ، وهي زوجة الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (566-575هـ) وأم الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ) بإنشاء رباط للزهاد والعباد بقربه، وتولى ابنها الناصر تعمير المشهد⁽⁶⁾، ولبت هذا الرباط عامراً حتى هُدم، والمشهد أيضاً، بالغرق الذي داهم بغداد سنة 646هـ⁽⁷⁾، فأعيد تعميره 650هـ، قال صاحب كتاب الحوادث في حوادث هذه السنة «وفتح

(1) ياقوت: معجم البلدان (بيروت 1956) ج 4 ص 254.

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (القاهرة 1931) ج 1 ص 125.

(3) ياقوت: معجم البلدان ج 4 ص 305.

(4) الخطيب: تاريخ بغداد ج 1 ص 109-110 وابن الجوزي: المنتظم (حيدرآباد 1359) ج 6 ص 43.

(5) سوسة و جواد: دليل خارطة بغداد المفصل، 320

(6) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج 8 ص 627

(7) الحوادث ص 237.

الرباط الذي أمرت بتجديده أم الخليفة الناصر مجاور مشهد عبيد الله عليه السلام، وعمل فيه دعوة، وكان قد تشعّث منذ الفرق وأجري على ما كان عليه أولاً⁽¹⁾.

ومثلما أهملت شهادة ابن بطوطة، أهملت رواية الغياث البغدادي فلم يتخذها أحد من الباحثين دليلاً هادياً لتعيين موضع قبره الآن، بل لم يُسعّفها أحد من المؤرخين بتعليق يؤيد ذلك أو ينفيه، ولعل سبب ذلك يكمن في أن ظاهر النص يوحي بوجود روايتين مختلفتين، الأولى تفيد اختفاء قبره، والثانية تشير إلى وجود في المشهد المذكور، وهو اختلاف من شأنه إضعاف الرواية الأخيرة بأية حال. وكان يمكن أن يبقى الأمر غامضاً عند هذا الحد، لولا أن أسعدنا الله بالوقوف على نص جديد ذي أهمية خطّية وتاريخية فائقة يحل هذا الإشكال التاريخي، فيوضح أن المستعصم دُفن أولاً في مكان لم يكن يعلمه إلا القلة، وهو ما يفسر اعتقاد بعض المؤرخين أنه «عفي أثره». ثم أن جثمانه أخرج من هذا المكان بعد حين وأعيد دفنه عند مشهد عبيد الله العلوي فلا اختلاف بين الروايتين كما نرى.

إن هذا النص المهم والفريد لم يُنشر بعد، وما زال حبيس نسخة خطّية ضاع أصلها وبقيت مصورتها التي كان يحتفظ بها الدكتور حسين علي محفوظ في مكتبته (وقد تكرمّ بالسماح لي بأخذ صورة عنها) وعنوان الكتاب هو (الأصيلي)، وهو من تأليف محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (توفي بعد سنة 701هـ) ألفه باسم أصيل الدين بن الخواجه نصير الطوسي، والأخير- أعني نصير الدين- هو الذي أشار على هولاءكو بقتل المستعصم في فتوى شهيرة تناقل خبرها أهل التاريخ، فمن غير الممكن أن يصطنع رواية، ويقدمها الى شاهد كان حاضراً مقتل الخليفة، أو سمع بها- في الأقل- من أبيه، ومن هنا تأتي ثقنتنا بروايته أولاً⁽²⁾.

والكتاب- في منهجه وشكله- مشجرٌ كبير ضم أنساب الطالبيين والعباسيين ألفه مؤلفه بطلب من أصيل الدين المذكور، وقد ضم إلى أسماء بعض الأعلام الواردة في سياق المشجر نبذاً قصيرة ومركزة في تراجمهم نقلها من مصادر معاصرة لهم، وحين الإطلاع على ما ذكره عن الخليفة العباسي المستعصم وجدناه

(1) المصدر نفسه ص305.

(2) ذكر لي الدكتور حسين علي محفوظ ان مخطوطة الكتاب الاصلية موجودة في احدى المكتبات الشخصية في منطقة البقاع في لبنان وقد فقدت في أثناء الفتن الاهلية هناك. حقق السيد مهدي الرجائي الكتاب ، قم 1318هـ، لكنه حذف القسم الخاص بأنساب العباسيين.

يقول صراحة ما نصه: «ورأيت في التواريخ لابن أنجب وغيره، واخبرني من أتق به، أن رجلاً من أهل الخبرة بذلك أخبره (وساق خبراً عن أم المستعصم وعن بعض أوصافه ثم قال) ولم تر له جثة، ولا قبره اليوم معروف ولما حضرت خطبة زوج ولده الأكبر على علاء الدين عطا ملك الجويني، صحبته إلى بغداد، وتفحصت عن جثة⁽¹⁾ المستعصم، فقبل أنها وجدتها فنقلتها إلى قريب مشهد عبيد الله وبنيت عليه قبة وحولها رباط، وليس هذا يثبت، وهذه صورة الحال في مدفن المستعصم⁽²⁾.

ولا بد من التوقف هنا عند المصدر الذي ينقل عنه ابن طباطبا هذا الخبر، وهو المؤرخ البغدادي تاج الدين علي بن أنجب الساعي (المتوفى سنة 674هـ) وكتابه الذي يشير إليه مختصراً هنا باسم (التواريخ) هو (ذيل كامل التواريخ) الذي أرخ فيه واقعة بغداد⁽³⁾ وكان ابن الساعي- كما تدل سيرته- قريباً بالفعل من عطا ملك الجويني، صاحب ديوان العراق (حاكمه من قبل المغول بين سنة 657 وسنة 683) الذي حضر خطبته تلك ووثيق الصلة بالأسرة العباسية أيضاً، مطلعاً على خفاياها ووثائقها فمعلوماته عن هذه الأسرة، أو بقاياها، صحيحة تتسم بالضبط والدقة بحيث اعتمدها المؤرخون المعاصرون له، أمثال ابن الكازروني، وابن قنيتو الاريلي، فضلاً عن ابن طباطبا نفسه. وولده (يريد ولد المستعصم) الأكبر، هو الأمير أبو العباس أحمد⁽⁴⁾، وقد استشهد على يد المغول مع أبيه⁽⁵⁾، وكان قد تزوج حفيدة السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهي الأميرة شمس الضحى شاهلبني الايوبية بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن صلاح الدين، وقد خطبها بعد استشهاد الامير أبي العباس احمد، حاكم العراق علاء الدين عطا ملك الجويني⁽⁶⁾، وهي الخطبة التي حضرها ابن الساعي- كما مر بنا من قبل- فهذه السيدة هي التي نقلت جثمان المستعصم بالله إلى قريب مشهد عبيد الله (مشهد النذور).

(1) في الاصل جثت.

(2) الأصيلي: الورقة 126.

(3) الحاج خليفة: كشف الظنون.

(4) انظر ترجمته في مقدمة كتابه (نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء) لمحقق الكتاب د. مصطفى جواد (القاهرة- دار المعارف بمصر).

(5) الحوادث 357 وابن الكازروني 274.

(6) الحوادث ص 357.

إن تدمير المحتلين المغول لمقابر الخلفاء العباسيين في الرصافة (عند إعدادية الاعظمية للبنات اليوم) هو الذي جعل السيدة شمس الضحى الأيوبية تختار مشهد عبيد الله موضعاً لدفن والد زوجها السابق أبي العباس أحمد، إذ يذكر صاحب الحوادث أنه مما جرى في أثناء احتلال بغداد أن «نبشت قبور الخلفاء، واحترقت تلك الأماكن، وأبرزت العظام والرؤوس»⁽¹⁾. فبات منطقياً أن تبحث السيدة المذكورة عن موضع لم تمسه يد التخريب فكان مشهد عبيد الله القريب، على ما يذكر المؤرخ ابن طباطبا في النص المقدم.

ومما يؤكد هذا النص ويعزز، أن هذه السيدة اختارت مشهد عبيد الله نفسه موضعاً لدفنها، وبالغت في العناية به، فأنشأت عنده - بعد ربع قرن من احتلال بغداد - رباطاً للصوفية، ربما كان تعميراً لرباط زمرد خاتون السابق، ومدرسة كبيرة، تشبه من حيث نظمها المدرسة المستنصرية وعيّنت لها المدرسين، وفوّضت الإشراف عليها إلى قاضي القضاة ببغداد، وعُرفت هذه المدرسة بالعصمتية، نسبة إلى لقبها عصمة الدين أو ذات العصمة وجرى افتتاحها سنة 671هـ⁽²⁾. والمهم أنها بنت إلى جوار مدرستها تربة (أي مدفناً) لها، دفنت فيها فعلاً سنة 678هـ⁽³⁾. ومن المعلوم أن الإنسان يحب أن يدفن إلى جانب أفراد من أسرته، ولم يصلنا نص يشير إلى دفن أحد من أسرته في هذا الموضع، سوى ما ذكره ابن طباطبا في نصه المذكور عن دفن الخليفة المستعصم بالله، فهذه قرينة قوية تعزز النص كما قلنا. والرباط الذي أشار إليه صاحب الحوادث بقوله أنها أنشأت إلى جانب مدرستها «تربة لها ورباطاً للمتصوفة»⁽⁴⁾ هو نفسه الرباط الذي ورد في نص ابن طباطبا حيث ذكر أنها بنّت على قبر المستعصم «قبة وحولها رباط»⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من محاولة ابن طباطبا، وقد كتب كتابه برسم ابن من أفتى بقتل المستعصم، التشكيك بنص ابن الساعي، بعد أن ساق خبر الدفن بقوله «ليس هذا يثبت» فإن الخبر ظل يتردد عدة أجيال تالية، سجله ابن بطوطة في أوائل القرن

(1) الحوادث 364.

(2) الحوادث 408.

(3) الحوادث 446.

(4) الحوادث 408.

(5) الأصيلي الورقة 126.

الثامن للهجرة، والغيث البغدادي في أواخر القرن التاسع للهجرة كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وكان للسيدة شمس الضحى الأيوبية بنتٌ من زوجها السابق الشهيد أبي العباس أحمد بن الخليفة المستعصم بالله تدعى رابعة⁽¹⁾، تزوجها شرف الدين هارون الجويني (حاكم بغداد بين سنتي 682 و683هـ) سنة 670هـ فلما توفيت سنة 685هـ «دفنت في تربة والدتها التي بمشهد عبيد الله»،⁽²⁾ فالمستعصم وحفيده رابعة، وكنّته حفيده صلاح الدين الأيوبي وهي المعروفة بأمر رابعة، مدفونون جميعاً- بدلالة هذه النصوص- في تربة، أي مدافن أعدت عند مشهد عبيد الله المذكور، وبمرور الزمن أصبح موضع هذه التربة يعرف بأمر رابعة، من باب إطلاق اسم الجزء على الكل، وذلك لمحبة البغداديين إياها، بوصفها كنة آخر خلفائهم، وحفيده أعظم سلاطين المسلمين، وأنها على ما وصفها مصدر معاصر «كثيرة الصدقات والإحسان والمبرات، وكانت تحب أهل بغداد وترعى مصالحهم وتقوم في حوائجهم وتساعدهم»⁽³⁾.

ولقد ظل مشهد أم رابعة، التي صار علامة دالة على مشهد عبيد الله القديم نفسه، مزار البغداديين لقرون عديدة، يزورونه في يوم الأربعاء الذي يعقب أيام عيدي الفطر والأضحى، ومن المحتمل أن تكون زيارتهم إياه امتداداً وصلة لشهود الناس صلاة العيدين في هذا الموضع، الذي عرفناه قديماً بـ (مصلى العيد)

تعرف المحلة التي يقع فيها مشهد أم رابعة اليوم باسم محلة (النصة) سُميت بذلك لانخفاض أرضها) من محلات الأعظمية الحديثة، وقد قمت بزيارة هذا المشهد سنة 1988⁽⁴⁾، فلاحظت مدى انطباق وصف ابن الساعي لقبر المستعصم بالله على القبر الموجود فيه. فالقبر تعلوه قبة فعلاً، وهي مبنية بقطع الآجر القديم، وعن يمينه يقع قبر السيدة أم رابعة. ولقد نسب القبر في القرون المتأخرة إلى صوفي يدعى حماد بن مسلم، وعند مراجعة ترجمته التي أوردتها المصادر

(1) وكانت ولادته سنة 655هـ ابن الكازروني 274.

(2) الحوادث 485.

(3) الحوادث 446.

(4) يجدر التنويه بفضل الأخ الكريم وليد عبد الكريم الاعظمي رحمه الله الذي تكرم بمرافقتي في هذه الزيارة ومعاونتي في ضبط قياسات المشهد وما فيه من قبور.

التاريخية ظهر عدم صحة هذا الإدعاء، حيث أنه دفن عند وفاته سنة 525هـ، في المقبرة الشونيزية، أي مقبرة الشيخ جنيد في الجانب الغربي من بغداد⁽¹⁾.

يتألف المشهد - كما يُرى اليوم- من بناء طولي يواجه الجانب الطولي منه الشارع المتفرع من شارع الإمام الأعظم (والمقابل لشارع المقبرة الملكية تقريباً) ويبلغ طول هذا البناء 14.4م، وعرضه 5 أمتار، وارتفاعه 3 أمتار، وهو يتألف من حجرتين مقببتين ضلع كل منهما 3.5 متر، ويفصل بينهما رواق مقبب أيضاً بعرض 1.45 متر، وبطول 5 أمتار، ويُدلف من هذا الرواق، شمالاً إلى باب معقود إرتفاعه 2.53 متر، ينفذ إلى حجرة القبر، أما الحجرة الأخرى المقابلة، فلا منفذ لها اليوم، ولكنها مفتوحة على الجهة الخلفية من البناء، ومن الواضح أن إغلاقها جرى في وقت متأخر لغرض أن تتخذ سكناً لبعض المقيمين في المكان المذكور، فقبتها تقوم على عقود متقابلة على هيئة حجرة القبر نفسها، وقد سُدَّ الإيوان المسامت للرواق بقطع الآجر كما ذكرنا.

يتوسط القبر قبته تماماً، مما يدل على أنها بُنيت من أجله أصلاً. ويعلو القبر صندوق من الخشب، ذو زوايا حديدية، وهو مما يرقى إلى أواخر القرن الماضي، وتبلغ مساحته 1.25×2.05 م وارتفاعه 1.57 متر، وليس عليه شيء من الكتابات، ولكن توجد في داخله لوحات رخامية لشواهد قبور أثرية يظهر أنها وضعت فيه لحفظها بعد إزالة القبور نفسها، ولهذه الشواهد أهمية في حد ذاتها.

والى يمين القبر، في الجدار الشمالي للقبة، توجد كوة بعمق الجدار نفسه، تضم قبر من (تدعى أم رابعة) وهي - في الحقيقة - السيدة أم رابعة شمس الضحى الأيوبية كما ذكرنا، ومكان هذا القبر يدل على أنه أُعدَّ ضمن تصميم القبة لا بعدها، مما يعزز نص صاحب كتاب الحوادث المتقدم بأنها أُعدَّت تربتها قرب المنشآت التي شيدتها هناك وقبل وفاتها بعدة سنين. يبلغ ثخن الجدران 90سم، وهي مبنية بقطع الآجر القديم بمقياس $30 \times 30 \times 5$ سم ولا يبعد أن تكون القبستان قد أُعيد بناؤها في وقت لاحق على إنشائها أول مرة، لكن بالآجر المستخدم نفسه، ويلاحظ أن في أعلا داخل القبة المجاورة لحجرة القبر، زخرفة بقطع الآجر المزجج، لكنها طليت بطبقة كثيفة من الجص ضيَّع على المشاهد دراسة ما عليها

(1) ابن الجوزي: المنتظم ج 10 ص 302.

من معالم. كما يوجد على يمين باب الرواق من خارجه مستطيل غائر في الجدار يشير إلى موضع وجود لوحة رخامية إلا أنه غُطّي بالجبص فضاغت معالمه هو أيضاً.

تذييل

ولما كان موضع كهذا يضم رفات المستعصم بالله آخر خلفاء العباسيين وحفيدته من ابنه الأكبر، وهو ولي عهد الدولة العباسية، وزوجته حفيدة السلطان صلاح الدين الأيوبي، وابنتها السيدة الصالحة رابعة، ومن قبلهم جميعاً أبا العباس أحمد بن هارون الرشيد، فضلاً عن كونه مصلى البغداديين في أعيادهم، وما كان يضمه من منشآت مهمة: رباط أنشأته زوجة الخليفة الناصر، وهي جدة المستعصم لأبيه، ومدرسة كبرى أنشأها زوجة ابنه الشهيد، لجدير أن يلقى من العناية والإهتمام ما يستحقه، فقد نشرت هذه الدراسة في مجلة الرسالة الإسلامية التي تصدرها وزارة الأوقاف في عددها المزدوج (261-262) الصادر في السنة السابعة والعشرين من سني صدورها، بتاريخ ذي القعدة- ذو الحجة 1414هـ/ نيسان- أيار 1994م

الصادر، وأرفقتها بجملة من المقترحات على النحو الآتي:

- 1- استملاك الدور المجاورة لقبه أم رابعة وهي التي في الأصل وقف على القبر نفسه، ثم أستملكها شاغلوها ملكاً صرفاً، وتعويضهم عن ملكيتهم وفقاً للقانون.
- 2- إزالة هذه الدور المستحدثة، والكشف عن المنطقة آثارياً، للتوصل إلى أسس المنشآت التي كانت تشغل الأرض المجاورة للقبه، والتي نعرف منها، رباط زمرد خاتون، والمدرسة العصمتية، وإعادة بنائها وفق تلك الأسس ما أمكن ذلك، ويمكن الاستفادة من هذه المنشآت بعد أحيائها في مختلف الأغراض الثقافية وتوظيف بعضها بما يشبه أن يكون متحفاً يُعرف بالأسرة العباسية التي حكمت العراق، والعالم الإسلامي، نحواً من خمسة قرون وربع القرن.
- 3- ترميم قبة الضريح، والقبه المجاورة لها، ترميماً شاملاً وفق الطرائق العلمية المتبعة في ترميم الآثار.
- 4- إحاطة المكان كله بسور له باب عال فخم، مبني وفق الرياسة العربية الإسلامية المستخدمة في العصر العباسي الأخير، وعلى نحو لافت لنظر المارين

والزوار، خاصة وأنه يقع في مكان قريب من جامع الأمام الأعظم والمقبرة الملكية
مطل على شارع رئيسي كبير هو شارع الأمام الأعظم.

5- وضع لوحة بارزة وفق تصميم عربي إسلامي، تؤرخ للمكان وتعرف بما هو
عليه من أحداث وبمآثر الثاوين فيه.

6- الاحتفاء بهذا المشهد، والتعريف به إعلامياً، وإصدار كراس خاص بذلك.

فما كان من الجهات المسؤولة العليا إلا أن عُنيت بالأمر، وأرسلت بالدراسة
مع النصوص المرفقة بها الى عدد من المؤرخين، منهم الأستاذ الدكتور صالح أحمد
العلي، رئيس المجمع العلمي العراقي، والأستاذ الباحث عبد الحميد العلوجي،
لاستطلاع رأيهما العلمي، ف جاء رأيهما مؤيداً لما انتهت اليه الدراسة، وعليه كلفت
الدائرة الهندسية في ديوان الرئاسة، ووزارة الاوقاف، بإنشاء مبنى يليق بالمكان
ليُعين هوية دفينه، وقد اقترحتُ اضافة الهيئة العامة للآثار والتراث لتقوم بعمل
مجسّات أثرية لاكتشاف أسس المباني التي كانت تشغل أرضه، وهكذا بدأ العمل،
وكنّتُ أمثل وزارة الاوقاف في الإشراف على مجرياته، لا سيما ما يتعلق بالمجسّات
المذكورة، وقد ظهر عند حفر الأرض وجود ثلاثة قبور على عمق كبير، كبيرة
المساحة، متساوية في حجمها وأحجام قطع الأجر المبنية بها، الأول هو في وسط
القبّة، تحت البناء الظاهر فوق الأرض، والآخر تحت الجدار المجاور تحت قَدَمي
القبر مباشرة، والثالث خارج القبّة. وقدّرتُ البعثة الأثرية التي قامت بالحفريات
عمر هذه القبور بأنها ترقى الى العصر المغولي المبكر، وتتطابق هذه النتائج مع
معطيات النصوص التاريخية بصفة مطلقة، فهذا العصر هو نفسه الذي شهد
دفن المستعصم وكنّته وحفيدته، كما أن وضع القبور يطابقه وصف تلك النصوص
أيضاً، على ما قدمنا. وبعد أن جرى التأكد من ذلك كله تمت صيانة القبّتين
بحسب وضعهما السابق، وأضيف شاهد في القبّة الرئيسة يشير الى هوية دفينها،
وهو الخليفة الشهيد المستعصم بالله، وأقيم على المكان بناءً عال معقود بالأجر،
كتبت عليه بالأجر المُزجج آيات من القرآن الكريم، وأحيط المكان كله بجدار عال
ذي أوابين كُتبت فيها أسماء الخلفاء العباسيين، ثم أضيف الى المبنى جامع أنيق.
وهكذا أعيدت الى المكان هويته والحمد لله .

دير العاقول، حيث صرع المتنبي دراسة تاريخية طبوغرافية



تاريخه قبل الإسلام

ليس في النصوص التاريخية ما يدل على تاريخ إنشاء (دير العاقول) واسم مؤسسه، خلافاً للعديد من الديارات المعاصرة له⁽¹⁾، ويبدو أنه اكتسب اسمه من شكل مجرى نهر دجلة القريب منه، فالعاقول، كلمة آرامية-عربية تعني منعطف النهر والوادي⁽²⁾. أما اسمه الحقيقي، فليس ببعيد أن يكون مشتقاً من اسم مؤسسه، أو منسوباً - كما جرى به العرف - إلى احد القديسين أو الشهداء، بيد أن معلوماتنا غير كافية لتوضيح هذا الأمر.

يرتقي تاريخ دير العاقول إلى عهد ما قبل الإسلام، فقد وردت الإشارة إليه في أخبار السنين الأولى للحكم الإسلامي في العراق. قال الدينوري المتوفى سنة 282هـ/895م عند حديثه عن فتنة الخوارج سنة 39هـ/659م «فاخذوا على

(1) من الجدير بالملاحظة انه بينما يسهب صاحب (اخبار فطاركة كرسي المشرق) في وصف دير قني، ويترجم لمؤسسه، ويحصي اخباره، نجده يسكت تماماً عن كل مايتعلق بدير العاقول، رغم ان المسافة بين الديرين ما كانت تزيد على بضعة كيلو مترات، وليس في كتاب (الديارات) للشابشتي أي ذكر له.

(2) الفيروزآبادي: القاموس المحيط مادة (عقل) وستريك في دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) مادة دير العاقول 361/9.

الانبار، وتبطنوا شط الفرات حتى عبروا من قبل دير العاقول»⁽¹⁾. على أن من الغريب حقاً، إن ليس للدير أي ذكر، باسمه هذا، في مدونات المؤرخين النصارى طيلة القرون الأولى لانتشار النصرانية في العراق، مما يبعث على التساؤل فيما إذا كان للدير اسم آخر عرف به قبل الإسلام.

وفي الواقع فإنه يفهم مما أوردته المصادر التاريخية النصرانية أن منطقة دير العاقول هذه كانت حافلة بعدد من الديارات المهمة، وقد ذكر منها ايشوعدناح مطران البصرة في القرن الثالث (التاسع للميلاد) دَيْرَيْن يبدو أنهما كانا قريبتين من موضع دير العاقول إلى حد كبير. قال في ترجمته للقديس مار دوسا «أسس دير بيت آرامايي (بلاد الأراميين ويريد السواد) بجوار مدينة بيت اشكفيل، ويدعى دير بحزايي حتى اليوم» ثم ذكر أنه أسسه هو، وأخ له في الرهبنة، اسمه يوحنا «عند قرية اشكفيل التي بجوار دورا قوني»⁽²⁾. وعلى الرغم من عدم ورود أية إشارة إلى (بيت اشكفيل) هذه في بلدانية العراق القديمة، كما أن أحداً لم ينوه بدير بحزايي المذكور، فإن دورا قوني بقيت معروفة تماماً طيلة العهود الإسلامية، بسبب اشتهاها بالدير المعروف قُني (أو قوني) نسبة إليها. وبما أن الأخير لم يكن يبعد عن دير العاقول - كما سنلاحظ في بحثنا - سوى بضعة كيلو مترات فقط، يكون دير بحزايي هذا اقرب المواضع إلى موقع دير العاقول، بل قد يحتمل القول بأنه ليس إلا دير العاقول نفسه، بيد أن الأمر يبقى مجرد ظن طالما لم تظهر نصوص جديدة تؤكد، لا سيما وان كاتب الترجمة لم يذكر لنا أي شيء يمكن الاستدلال به على عصر مار دوسا المذكور.

أما الدير الآخر الموصوف بقربه من دير قني، فهو الذي أسسه مار كبرييل (جبرائيل) الكشكري. وقد ذكر ايشو عدناح أنه أسس ثلاثة أديرة في أماكن مختلفة من العراق، واحد منها (بقرب دورا قوني)، وأشار في ترجمته له أنه أقبل إلى «دورا

(1) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص205 (القاهرة 1960). وكان نهر الفرات يتصل بمنطقة دير العاقول عن طريق عدد من الأنهار، منها نهر الزاب الاعلى (وهو غير النهر المعروف بالاسم نفسه في شمالي العراق) ومصبه عند بلدة همانية الى الجنوب قليلا من دير العاقول، والظاهر انهم سلكوا طريق هذا النهر، ومنه عبروا الى دير العاقول المذكور.

(2) الديورة في مملكتي الفرس والعرب، تعريب القس (البطريك) بولس شيخو (الموصل 1939) عدد 86، ص62.

قوني حيث شيد ديراً بجوار قرية كرسا، ودعي دير كرسا حتى اليوم، واجتمع فيه الى مائتين (كذا) أخ (راهب)»⁽¹⁾. والظاهر أن هذا الدير هو الذي عرفه ايليا برشنايا (توفي في 438 هـ/1046م) باسم (عمر)⁽²⁾ مار جبريال د كرسا)⁽³⁾. وليس لكرسا هذه أو ديرها أي ذكر لدى البلدانين العرب، على أن وفاة كبرييل المتأخرة (سنة 121 أو 122 / 738-739) تؤكد أن تأسيس الدير كان بعد دير العاقول بفترة طويلة.

دير العاقول في العهود الإسلامية:

كثرت الإشارات إلى دير العاقول في كتب المؤرخين والبلدان وأهل الأدب، على حد سواء، منذ القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد). ويفهم من تلك الإشارات أن بلدة كبيرة كانت تقوم بجواره. وإذ كنا نجهل تأريخ تأسيس الدير نفسه، فإنه يصبح من المتعذر تحديد زمن نشوء هذه البلدة. وفي رواية متأخرة نقلها ابن طولون الصالحى الدمشقي (المتوفى سنة 953هـ/ 1546م) إن قرية في نواحي الصلح الأعلى فوق الجانب الشرقي من واسط كانت تدعى في النصف الأول من القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد) باسم (العاقول)⁽⁴⁾ وأغلب الظن أنها نشأت بعد تأسيس الدير، لأنها انتسبت إليه، فعرفت باسم (قرية أو بلدة أو مدينة دير العاقول)، ولو كان وجودها سابق عليه، لانتسب الدير إليها بطبيعة الحال.

ويبدو أن لوقوع الدير في منطقة خصبة غناء، تحدها دجلة من الغرب، وتغذيها فروع النهروان من الشرق، أثره في ازدهار تلك المدينة وازدياد أهميتها، حتى أصبحت المركز الرئيس لطسوج النهروان الأوسط⁽⁵⁾. وعدت من أكبر مدن

(1) المصدر نفسه. العدد 122، ص 73.

(2) العمر، بضم أوله والسكون ثانيه، لفظة سريانية (عمرا) بمعنى البيت والمنزل، وهي هنا الدير.

(3) تاريخ ايليا برشنايا، تعريب الدكتور يوسف حبي (بغداد 1975) ص 77.

(4) Fiey, J. : Mossoul Chretienne, Beyroth 1959, p. 127-128.

(5) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، بغداد 1959، ص 128 نقلاً عن مخطوطة (الغرف العلية في تراجم متأخري الحنفية) لابن طولون، الورقة 148 نسخة لندن.

(5) كان النهروان يتفرع من شرقي دجلة في جوار سامراء، فيمتد بمحاذاة دجلة من جهة الشرق أكثر من مائتي كيلو متر، حتى يلتقي بدجلة ثانية بالقرب من ارض الكوت الحالية، ثم اصبح يأخذ مياهه في العهود العباسية المتأخرة من نهر ديالى، فتروي فروع منه جانب بغداد الشرقي، وتتحد فروع اخرى حيث تروي ثلاثة طساسيج (الطسوج منطقة زراعية كبيرة) وهي التسميات: النهروان الاعلى، والنهروان الاوسط، والنهروان الاسفل. ويشمل الاوسط

منطقة النهروان بأسرها. وقد وصفها اليعقوبي بقوله أنها «مدينة النهروان الأوسط، وبها قوم دهاقين أشراف»^(١). ولاحظ المقدسي أن «ليس على دجلة من نحو واسط مدينة اجل من دير العاقول، كبيرة عامرة أهلة»^(٢). وذكر ابن رسته أن «بدير العاقول مسجد جامع وأسواق ومآصرة، وبها أصحاب السيارة (ضرب من السفن)، ومآصر على دجلة»^(٣). ووصف هذه المآصر فقال «تشد سفينتان من احد جانبي دجلة، وسفینتان من الجانب الآخر، أو تشد السفن على الشطين، ثم تؤخذ قلوبس (حبال) على عرض دجلة، وتشد رؤوسها الى السفن لئلا تجوز السفن بالليل». وكان اتخاذ هذه المآصر وسيلة للتحكم في سير السفن، وجباية الضرائب منها واخذ العشور^(٤). وهذا كله يؤكد أهمية مدينة دير العاقول وخطورة شأنها في ذلك العهد.

وبسبب هذه الأهمية المتزايدة، فقد تكرر اسم الدير ومدينته في مصادر تلك الفترة. ففي سنة 201هـ/816م نزل به أحد أعوان الحسن بن سهل، وهو محمد بن خالد المروزي، ثلاثة أيام، وذلك في أثناء الاحداث التي راقت ولاية المنصور بن المهدي ببغداد^(٥). وفي عام 262هـ/875م هبط دير العاقول يعقوب ابن الليث الصفار قاصداً حرب الخليفة المعتمد العباسي. وطارت شهرة الدير عندما دارت معركة كبيرة في قرية اعلاه تعرف باسم (اضطريد) «انكسر فيها جند يعقوب شر كسرة»^(٦). وتكرر ورود اسم دير العاقول في أثناء تحركات الجيوش العباسية للقضاء على ثورة الزنج بوصفها محطة مهمة على الطريق^(٧)، كما ورد اسمه أيضاً في أثناء احداث سنة 319هـ/931م^(٨) و326هـ/937م^(٩).

منها منطقة وسیعة طولها 40 كم على جانبي النهروان، تقع الآن مدن الصويرة والعزیزية والنعمانية. انظر ياقوت: معجم البلدان (بيروت 1965) 325/5 وأحمد سوسة: ري سامراء 399/2-423 (بغداد 1949).

- (1) البلدان ص78 (النجف 1957) والدهاقون: كبار ملاكي الاراض الزراعية.
- (2) احسن التقاسم في معرفة الاقاليم ص122 (ليدن 1877).
- (3) الأعلام النفيسة ص186 (ليدن 1891)
- (4) انظر عن المآصر، ميخائيل عواد: المآصر في بلاد الروم والاسلام. (بغداد 1948).
- (5) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 546/8 (بتحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم)
- (6) الطبري: 517/9 والمسعودي: التنبيه والاشراف 319 (القاهرة 1938) ومروج الذهب 200/4 (القاهرة 1958) وابن الاثير: الكامل 6/ (القاهرة 1353هـ).
- (7) الطبري: 558/9 وابن الاثير 26/6.
- (8) مسكويه: تجارب الامم 213/1 (باعثناء آمدروز - القاهرة 1914) ومجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ج4 ق1 ص353 (بتحقيق نبيلة عبد المنعم- النجف 1972).

تفيدنا الاخبار بأن (مدينة دير العاقول) هذه كانت محاطة بعدد كبير من القرى الغناء والبساتين النزهة، وردت أسماء بعضها في كتب البلدانيين العرب، مثل دير قني، والجديدة، والصيادة، واضطريد، وسيب بني قوما، وبنارق وغير ذلك. وقد وصف البحثري^(٢) تلك النواحي الزاهرة وما تحفل به من مزارع النخيل والزيتون وصفا شائقاً، في قصيدة له يمدح فيها ابن الفياض، وكان كاتباً أديباً من أهل دير العاقول:

نزلوا ربوة العراق ارتيادا أي أرض أشف ذكرا وأسنى^(٣)
 بين دير العاقول مرتبع يشد رف محتله الى دير قني^(٤)
 حيث بات الزيتون من فوقه النخ ل عليه ورق الحملم تغنى
 ما الساعي الا المكارم ترتا د، والا مصانع المجد تبني^(٥)

وليس أدل على ازدهار هذه الناحية وحسن منظرها، من قول أحدهم^(٦) يصف ما بين الديرين: العاقول، وقني:

بين الديرين جنة دنيا وصفها زائدٌ على كل وصف

وبرز من دير العاقول جملة من أهلها محدثين وعلماء، وردت تراجمهم في كتب التاريخ والتراجم منذ القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) وحتى نهاية القرن السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد)^(٧).

-
- (1) العيون والحدائق ج4 ق2 ص62 (لغداد 1973)
 (2) ديوان البحثري ص 2143 (بتحقيق حسن كامل الصيرفي- القاهرة 1963) وابن فضل الله العمري: مسالك الابصار في ممالك الامصار 357/1 (بتحقيق أحمد زكي- القاهرة 1924).
 (3) في مسالك الأبصار: أشف دارا.
 (4) في مسالك الأبصار: أشرف محتله
 (5) في مسالك الابصار: ما المعالي الا المكارم تزداد ..
 (6) معجم البلدان 521/2
 (7) منهم: عبد الكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران القطان الدير عاقولي، وكان محدثاً ثقة، توفي سنة 278هـ/900م (معجم البلدان 521/2 وابن الجوزي: المنتظم 120/5) وطلحة بن أحمد بن طلحة الكندي العاقولي، وكان فقيهاً، توفي بعد 516هـ/1122م، والطيب بن أحمد بن الطيب الشاهد الدير عاقولي، وكان ثقة صالحاً (السمعاني: الانساب ص 279، ليدن 1912) والاسرة الشهيرة بال عاقولي، والتي برز منها جمال الدين عبد الله ابن العاقولي (المتوفى

على الرغم من كثرة أخبار مدينة العاقول، وتعدد إشارات الرحالين والبلدانيين إليها، فإن دير العاقول نفسه، بقي كما كان، بعيداً عن جلبة الحياة في هذه المدينة النامية، منعزلاً عنهما بحياته الخاصة. ومثلما لف الغموض تأسيس هذا الدير، فقد صاحب تاريخه طيلة القرون التالية، وحتى اندثاره. فلم يعرف شيء عن رهبانه، ونظمه، ولا عن أهميته في الحياة النسكية لنصارى العراق، ولم يرد اسم أحد من رؤسائه أو خبر عن قاطنيه.

بقي دير العاقول قائماً عامراً طيلة العصر العباسي، أما مدينته فقد أخذت بالتدهور والانكماش نتيجة الخراب المتصل الذي أخذ يزحف على مجموعة أنهار النهروان وقنواته، وهو ما أدت إليه الفوضى العسكرية التي عانت منها البلاد في أواخر العصر العباسي⁽¹⁾، فخلت بعض القرى القريبة من الدير من سكانها تماماً⁽²⁾، وعندما وصف ياقوت الحموي دير العاقول في الثلث الأول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر للميلاد) أشار إلى أنه «كان عنده بلد عامر وأسواق أيام كون النهروان عامراً، فأما الآن فهو بمفرده في وسط البرية»⁽³⁾. وفي أوائل القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) وصف المستوفي القزويني هذه البلدة بما يدل على أن الحياة ما تزال تدب فيها، ملاحظاً أن هواءها عطن بسبب ما

سنة 728هـ/ 1327م) والمدفون في جامع في محلة العاقولية ببغداد. وسيأتي ذكره في هذا البحث.

(1) قال ياقوت عند حديثه على النهروان «وهو الآن خراب، ومدنه كان كل ملك لا يحتفل بالعمارة إذ كان قصده أن يحوصل وقراه تلال يراها الناس بها والحيطان قائمة، وكان سبب خرابه اختلاف السلاطين وقتال بعضهم بعضاً في أيام السلجوقية.. وكان أيضاً ممر العساكر، فجلا عنه أهله، واستمر خرابه» (معجم البلدان 325/5)

(2) ذكر أبو بكر النحوي البناقي سبب هجر قومه قريتهم بنارق، وكانت تقابل دير قنى القريب من دير العاقول على دجلة، فقال «ان عساكر السلجوقية كثرت بطرقهم على قريتنا، والقرية لاسور لها، كلما جاءوا دخلوا وثلوا علينا، فأجمعنا على مفارقتها» ثم قال «ان الانهار فسدت، وما يفرغ الملوك لاصلاحها، وبقيت القرى الى الآن خراباً، وذلك سنة خمس واربعين وخمسائة» (زكريا القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص158-159 دار صادر - بيروت). قلت: وتوجد اليوم آراء العزيزية من الجانب الغربي أرض تعرف باسم (برنيج) تحريف (برنيق). ومن المحتمل أن يكون الاسم مقلوباً، مع بعض التحريف، من (بنارق) المذكورة.

(3) معجم البلدان 520/2.

يحيط بها من نخيل^(١)، ولعل سبب تلك الظاهرة يعود الى اهمال طرق الري وعدم تصريف مياه السقي كما كان الحال سابقاً.

وأشار الى الدير في الثلث الاول من القرن الثامن (الرابع عشر الميلادي) الجغرافي ابن فضل الله العمري، فذكر أن الى جانبه قرية كبيرة، وأنه يبعد عن المدائن بمسافة 12 فرسخاً، الا ان كلامه على هذا الدير اختلط بما ذكره عن دير قتي المجاور، فذكر انه راكب على دجلة، مع أن ياقوت صرح ببعده عنها، ويفهم مما ساقه من أشعار أن هذا الوصف متعلق بدير قتي دون غيره^(٢). وليس في إشارة ابن عبد الحق (ت749هـ/1348م) إلى الدير في كتابه (مراصد الاطلاع) أي جديد، فإنه نقلها عن ياقوت. والظاهر أنه لم يزره بنفسه لشكه في الجهة التي يقع فيها. قال «وأظنه من شرقي دجلة». مع أنه كذلك فعلاً^(٣).

وبعد هذا التاريخ لم نعد نسمع أي خبر من دير العاقول ومدينته. وأغلب الظن أن المدينة سارت في طريقها إلى الزوال، كغيرها من المدن والقرى المجاورة. أما الدير نفسه فكان من المعتقد انه زال بزوال مدينته، فلم يبق منه سوى اسمه في كتب التاريخ وغيرها من المظان.

موقعه:

اهتم البلدانيون العرب بتحديد موقع دير العاقول بالنسبة إلى ما يحيط به من مواقع، كالمدين والقرى والديارات، وذلك نظراً الى ان دير العاقول كان يمثل محطة عن طريق المسافرين الى واسط والبصرة. فذكر ياقوت أنه «بين مدائن كسرى والنعمانية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً»^(٤) والفرسخ يساوي ثلاثة أميال، أي نحو ستة كيلو مترات، فيكون بعده عن بغداد بمسافة 90 كيلو متراً تقريباً^(٥).

(1) حمد الله المستوفي القزويني: نزهة القلوب، المقالة 3ص41 (بالفارسية، ليدن 1913).

(2) معجم البلدان 2/521.

(3) مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع ص 435 (طبعة ليدن 1853).

(4) معجم البلدان 2/520. اليعقوبي: البلدان ص78 وتبعد عن النعمانية المذكورة بمسافة 5كم

عن النعمانية الحديثة، وتعرف خرائبها اليوم باسم تل النعمان. ري سامراء 2/447.

(5) فالتر هنتس: المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ص94-95 (ترجمة د.

كامل العسلي. عمان 1970).

واتفقت معظم الخرائط العربية القديمة على أن اقرب مدينة اليه من ناحية الشمال، على دجلة، هي المدائن، حيث كان الدير يمثل المرحلة الاولى من طريق المدائن- واسط، تليه بعدها (جرجرايا) فالنعمانية⁽¹⁾، وانفرد البلخي (ت322هـ/ 934م) بأن وضع بين دير العاقول والمدائن، في خريطته، بلدة سماها (السن) تتوسط المسافة بينهما⁽²⁾. ونحن نرى أن الاسم جاء مصحفاً عن (السيب)، وهي بلدة صغيرة سميت بـ(سيب بني قوما، أو كوما) تمييزاً لها عن غيرها، ووصفت بانها تبعد عن دير العاقول بثلاثة فراسخ⁽³⁾. أما من ناحية الجنوب، على دجلة، فقد وضعت الخرائط القديمة مدينة (جرجرايا) كأقرب مدينة الى دير العاقول⁽⁴⁾. ووصف ياقوت هذه المدينة بأنها «بلد من أعمال النهروان الاسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي»⁽⁵⁾. ويوضح ابن حوقل هذا الامر حين يجعل جراجرايا واقعة على كتف النهروان لا دجلة⁽⁶⁾.

وأما ما يتعلق بموقع دير العاقول من دجلة، فقد ذكر ياقوت أنه «على شاطئ دجلة مقدار ميل»⁽⁷⁾. ولم يحدد ياقوت العهد الذي كانت فيه دجلة قريبة من الدير، والظاهر أن بعدها عنه قديم، فقد ورد موضعه في (صورة العراق) لابن حوقل (القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد) بعيداً عن دجلة بمسافة ملحوظة. والذي نرجحه أن يكون الدير في الطرف الاقصى من مدينته، التي كانت تقع على شاطئ النهر مباشرة (وهو ما أدى الى اتخاذها مركزاً لجباية الرسوم على السفن) والظاهر أن خراب المدينة أو تدهورها في عهد ياقوت (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) جعل الدير يبدو منعزلاً نسبياً في نظر سالكي النهر.

-
- (1) اليعقوبي: البلدان ص78، وتبعد النعمانية المذكورة بمسافة 5 كم عن النعمانية الحديثة، وتعرف خرائثها اليوم باسم تل النعمان.
- (2) صورة العراق للبلخي. نشرها د. أحمد سوسة في اطلس (العراق في الخوارط القديمة) ص12 (بغداد 1959).
- (3) انظر ليسترنج: بلدان الخلافة العباسية، ص55 (بغداد 1954).
- (4) البلخي، المقدسي، الجيهاني في أطلس العراق الذي تقدمت الاشارة اليه.
- (5) معجم البلدان 2/ 123..
- (6) صورة العراق لابن حوقل في كتابه: صورة الارض ص309 واطلس العراق المتقدم ص22.
- (7) معجم البلدان 2/ 520.
- (8) الشابشتي: الديارات ص265 ومعجم البلدان 2/ 528.

ومما ذكره البلدانيون العرب في تعيين موقع هذا الدير، قولهم أنه كان قريباً منه دير آخر شهير هو (دير قنى) (ويعرف بدير ماري السليح)^(١). وصفه الشابشتي، وعنه نقل ياقوت، بأنه «على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدرأً بين النعمانية، وهو في الجانب الشرقي معدود من أعمال النهروان، بينه وبين دجلة ميل ونصف (وعند ياقوت: ميل فقط)^(٢). واذ ذكر ياقوت أن بعد دير العاقول عن بغداد هو خمسة عشر فرسخاً، يكون دير قنى مما يلي دير العاقول، من الأسفل بفرسخ واحد (6 كيلو مترات) باتجاه واسط^(٣). يؤكد هذا ما ذكره ياقوت عن دير قنى انه معدود من أعمال النهروان بدجلة. وقد مر بنا أن هذا المصب كان في جنوب دير العاقول بدلالة وقوع جراجرايا عليه فضلاً عن آثاره الباقية الى يومنا هذا. وذكر ياقوت أيضاً أن على دجلة مقابلة أي مقابل دير قنى مدينة صغيرة يقال لها الصافية، وإذا ما قرأنا ما كتبه عن هذه المدينة، نجده يقول «بليدة كانت قرب دير قنى في أواخر النهروان قرب النعمانية»^(٤). فهي اذن في أسفل دير قنى، في الطريق الى جراجرايا (على النهروان) والنعمانية، وسنذكر فيما يأتي أن اسم هذه المدينة لم يندثر باندثارها مما يساعد على تحديد موقع قنى، فدير العاقول في أعلاه.

آراء ومناقشات:

ان اعمالا تنقيبية، أو كشافاً أثرية، لم تجرَ لحد الآن للبحث عن هذه المواضع التي وصفها لنا البلدانيون القدامى، فليس أمامنا الا أن نستدل بالمعلومات الخططية المتوفرة لدينا، على تعيين موضع دير العاقول ومدينته، وتكمن صعوبة هذا العمل في أن معظم اسماء تلك المواقع القديمة، قد زال بزوال مسمياتها

(1) السليح: لفظة سريانية (شليحا) بمعنى الرسول (الديارات، حاشية 265)، وكانت عند هذا الدير قرية قديمة، لعلها اقدم عهداً من الدير نفسه، عرفت بدور قنى، وكان الدير يقع على مشرعة فيها تعرف بمشرعة الكحال. بطاركة كرسي المشرق ص 152 و 158.

(2) الشابشتي: الديارات ص 265 ومعجم البلدان 528/2.

(3) ذكر الشابشتي (الديارات ص 265) عن دير قنى أن «بينه وبين دير العاقول بريد» والبريد يساوي 4 فراسخ أي نحو 24 كم (هنتس: المرجع السابق ص 82) قلنا: وفي هذا مبالغة، لأننا سنلاحظ فيما يأتي أن القرى في هذه الناحية متقاربة جداً، ودير قنى كان يعد أقرب إلى دير العاقول من غيره من القرى والمواضع، وسنجد أن بعض تلك المواضع ما زال محافظاً على اسمه القديم، بما يثبت أن المسافة بين الديرين لم تزد على فرسخ واحد.

(4) معجم البلدان 389/3.

نفسها، فلم يبق منها سوى مجموعات متناثرة من التلال تحمل- في الاغلب- أسماء أخرى لا صلة لها بما كانت عليه في ماضيها الزاهر.

ولقد أثار البحث عن موقع دير العاقول ومدينته مناقشات وآراء شتى، حيث لوحظ وجود تلوث أثرية كبيرة متجاورة تعرف باسم (تلول الدير) قريبة من دجلة، في أعلى العزبية، تبعد عن بغداد بنحو 80 أو 90 كم، بحسب الطريق المسلوكة اليه . فدفع هذا الكوماندر فيليكس جونز الى القول في ابحاث له اجراها في المنطقة في منتصف القرن التاسع عشر، بأنها ان هي الا آثار دير العاقول نفسه. وافترض، بناء على هذا القول، أن يكون موقع دير قنى في التل المعروف بتل (القمان)، الواقع عن بعد نحو أربعين كيلو متر من جنوب شرقي موضع تلول الدير⁽¹⁾. مع أن المسافة بين الديرين لم تكن تزيد في تقدير ياقوت عن فرسخ واحد (6كم).

وعلى الرغم من ان جونز لم يقدم لدعم افتراضاته أي دليل، فقد ايده فيما يتعلق منها بدير العاقول المستشرق غي ليسترانج (المتوفى سنة 1933م) وذكر ان الخارطة الحديثة مازالت تشير الى آثاره، وهو يعني بذلك تلول الدير المشار اليها⁽²⁾.

وحيثما اثير النقاش حول موضع مصرع الشاعر المتنبى قرب دير العاقول، في اواخر الثلاثينيات، أيد آخرون، هم الدكتور عبد الوهاب عزام⁽³⁾، ويعقوب سركييس⁽⁴⁾ راي جونز وليسترانج المتقدم. فقال سركييس «بما ان موضع دير العاقول هو في الاراضي المسماة بالدير اليوم لاتفاق كلام ياقوت على بعده من بغداد بخمسة عشر فرسخاً مع المسافة التي نجدها اليوم بينه وبين بغداد وقد قدرها الدكتور (عبد الوهاب عزام) بنحو ثمانين كيلو متراً، فقد عين موضع دير العاقول، ومن ثم دير قنى، والصادفة، بصورة تقريبية لا يشوب ذلك شك». وهذا الرأي، على الرغم من جزم صاحبه به، فقد كان مثار شك آخرين، بسبب عدم

(1) انظر: Jones, F.: Selection from the record of Bombay Government. P. 74.

وخارطة القاطول الكسروي والنهروان.

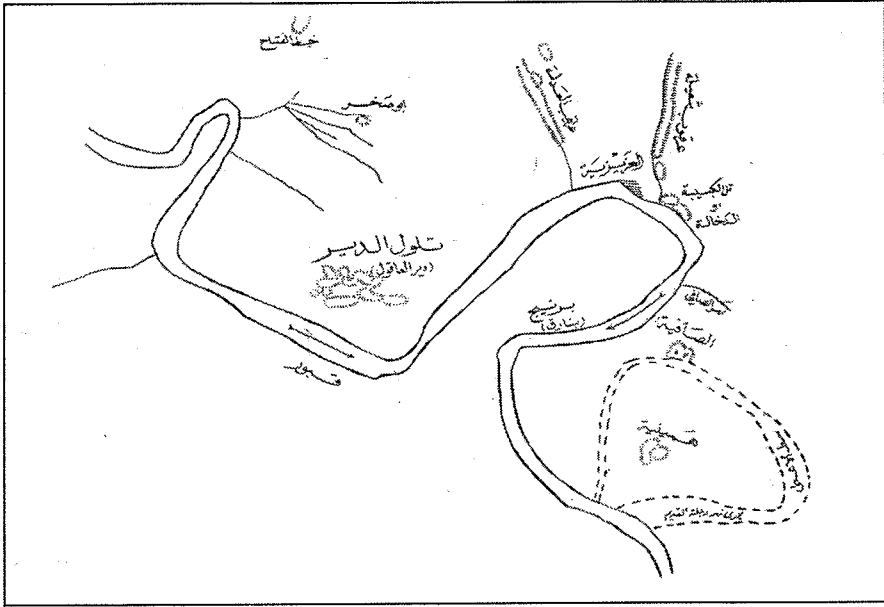
(2) ليسترانج: بلدان الخلافة الشرقية (ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد- بغداد 1954) ص54.

(3) في كتابه: ذكرى ابي الطيب بعد الف عام. بغداد 1936.

(4) مجلة الاعتدال النحفية (موضع مقتل المتنبى) (ج4 و5 السنة 1937) وأعيد نشره في مباحث عراقية ج2 ص81 (بغداد 1955).

استناده الى ادلة خططية سوى مسألة بعد الدير عن بغداد بالمسافة المذكورة، أما دير قنى والصافية فقد بقيا دونما أي تحديد .

وخالف الدكتور احمد سوسة هذا الرأي، ورأي فيه «تساهلاً كبيراً لعم انطباقه على الاوصاف التي دونها لنا المؤرخون، وهي الاوصاف التي تؤيد وقوع دير العاقول في شمال دير قنى»⁽¹⁾ .



خارطة توضح موقع دير العاقول وما كان يجاوره من المعالم في العصر العباسي

معيداً النظر فيما رآه جونز وليسترنج وغيرهما بشأن تلول الدير، هذا مع أن احداً من أولئك الباحثين لم يختلف في وصف الاقدمين لموقع دير العاقول من دير قنى، وان تركوا الاخير دون تحديد، باستثناء جونز فانه اختار لموقعه (تل قمان) وهو في الجنوب فعلاً من تلول الدير، ولكن المسافة بينهما بعيدة جداً على ما أشرنا اليه من قبل. وفي الواقع، فان ثمة افتراضين اساسيين لمعرفة موقعي هذين الديرين، أولهما أن يكون دير قنى هو تلول الدير الحالية، فيقتضي البحث- عند ذلك- عن موقع دير العاقول شماله، وثانيهما أن يكون الأخير هو تلول الدير، فيوجب أن يكون دير قنى في جنوبه، وذلك استناداً للأوصاف التي ذكرها المؤرخون

(1) ري سامراء 2/420.

من كون دير العاقول في شمال دير قنى ببضعة كيلو مترات. وبما ان الدكتور سوسة قد اختار الفرض الاول، فقد ثبت موقع دير العاقول في الموضوع الاثري المعروف بتل ابي صخر (او ابي صخير) الى الشمال من تلول الدير بنحو خمسة كيلو مترات. وقال «ان موضع دير العاقول يمكن تعيينه في التل المعروف اليوم باسم تل ابي صخير، وهو التل الواقع شمال تلول الدير بحوالي خمسة كيلو مترات، ويبعد موقع هذا التل عن ضفة نهر دجلة الحالي كيلو مترين (والاصح: ثلاثة كيلو مترات) وتوجد في جنوب غربي تل ابي صخير آثار ابنية قديمة يرجح انها من بقايا مدينة دير العاقول⁽¹⁾. ان هذه النتيجة سليمة اذا ما كان الفرض الذي تستند إليه سليماً، ولكن الدكتور لم يبين سبب اختياره لهذه الفرض دون الآخر، فان الاستناد إلى الأوصاف التي تؤيد وقوع دير العاقول في شمال دير قنى لا يكفي لترجيح هذا الفرض وحده، بل من الممكن ان تتحقق هذه الأوصاف بالفرض الثاني ايضاً، خاصة اذا ما اخذنا بعين الاعتبار أن تل ابي صخير هذا محدود المساحة إلى درجة لا ينطبق عليها ما ذكر المؤرخون عن دير العاقول من أن عنده مدينة زاهرة فيها مسجد جامع وأسواق ومرافئ وغير ذلك. كما أن أولئك المؤرخين ذكروا بان مدينة دير العاقول كانت تقع على شاطئ دجلة مباشرة، وهو ما ينطبق على تلول الدير، في حين يبعد تل ابي صخير عن دجلة بنحو ثلاثة كيلو مترات- على ما تقدم- خالية من أي اثر لبناء سابق، والأرض بين ابي صخير ودجلة مرتفعة ارتفاعاً طبيعياً يحول دون رؤية المنطقة من نهر دجلة، في الوقت الذي كان فيه الدير مرئياً للسالكين طريق النهر في عهد ياقوت على ما لاحظنا. ومن ناحية أخرى فإن ما ورد عن دير قنى، من انه يبعد عن دجلة بمسافة ميل أو ميل ونصف (كيلو مترين أو ثلاثة) يجعل من المستبعد أن تكون آثاره اليوم هي تلول الدير، فان هذه الآثار لا تبعد عن دجلة بأكثر من خمسمائة متر على أكثر تقدير.

ومما يؤكد هذا الرأي ما ذكره ياقوت عن دير قنى من أنه «على دجلة مقابله مدينة صغيرة يقال لها الصافية، وبالقرب منه (أي دير قنى) دير العاقول» وقد نقلنا من أقوال البلدانيين القدامى ما يفهم منها أنها كانت أقرب إلى مصب النهر، أي في جنوب دير قنى. ومن حسن الحظ أن اسم هذه المدينة لم يندثر،

(1) ري سامراء 2/420+.

فما زال يحمله نهر صغير، يعرف بالصافي، يبعد عن مدينة العزيزية الحالية جنوباً نحو خمسة كيلو مترات، وفي أسفله مباشرة آثار قرية أو مدينة دائرة تقع على مجرى دجلة القديم المسمى اليوم بشط الأعمى، وهي على ما يدل الاسم والموقع⁽¹⁾ آثار مدينة الصافية القديمة المذكورة. وتعيين موضع هذه المدينة يقتضي أن يكون دير قنى في أعلاها، وعلى مقربة منها، لما نص عليه الأقدمون، أي أن يكون في منطقة العزيزية، جنوبها أو غربها، بمسافة محدودة. وبعيد جداً أن يكون في منطقة تلول الدير، لأن بعد هذه التلول من الصافية يقدر بسبعة عشر كيلو متراً تقريباً، في اتجاه منحرف بانعطاف نهر دجلة في تلك النواحي.

وليس من اليسير تحديد موقع دير قنى بأكثر مما ذكرنا، فإنه فقد معالمه كدير منذ انتهاء أخباره في القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) إذ نوه ابن عبد الحق (ت739هـ/1338م) بأن الخراب كان مستولياً عليه في زمانه⁽²⁾، ولم نعد نسمع أي ذكر له، بعد ذلك، على الإطلاق.

في حين بقي دير العاقول معروفاً باسمه هذا حتى وقت متأخر، وعلى التحديد في منتصف القرن الحادي عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد)، وربما بعد هذا التاريخ أيضاً، على ما سنفصله بعد قليل. وبما أنه ليس ثمة أي موقع أثري في المنطقة يعرف بالدير سوى (تلول الدير) المذكورة، فإنه يصبح منطقياً القول بأن هذه التلول إن هي إلا بقايا دير العاقول ومدينته.

تحديد موضع مصرع المتنبى

يتضح للقارئ الآن أن الصافية كانت أقرب إلى دير قنى منها إلى دير العاقول، وأن المسافة بين الديرين تصل إلى ستة كيلو مترات أو تزيد، فليس صواباً إذن ما نقله ابن خلكان (ت681هـ/1282م) في نصه المضطرب عن موضع مصرع المتنبى سنة

(1) ويؤكد موقع الصافية هذه ما ورد عن قربها من قرية همانية (أو همينية) وكانت هذه قرية كبيرة في الجانب الغربي من دجلة، إلى الجنوب من الصافية (معجم البلدان 10/3 ومراصد الإطلاع 322 وبلدان الخلافة الشرقية 55 وري سامراء 421/2) وما زالت آثار هذه القرية ماثلة في الجانب الغربي من مجرى دجلة القديم/ أي شط الأعمى (وهي في شرقي دجلة الآن) وتعرف باسم هميمية نفسه، وتقابلها من الجهة الشرقية من المجرى القديم آثار مدينة الصافية.

(2) مراصد الإطلاع 427.

354هـ/964م من أنه «قتل في موضع يقال له الصافية، وقيل جبال (الصواب: حيال) الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين» وموضع الخطأ- فيما نعتقد- تحديد المسافة بميلين، وهي أطول من ذلك على ما قدمنا. وقال ابن الجوزي (ت597هـ/1200م) «فقتل بالطريق بالقرب من النعمانية.. وكان قتله بشط دجلة في موضع يعرف بالصافية»⁽¹⁾.

وبما ان موقع الصافية قد تحدد تماماً، فيمكن القول بان مصرع المتنبى كان فيها او عندها، والظاهر أنه كان في قرية من قراها تدعى (بيزع) استنادا الى ما ذكره ياقوت عن هذه القرية من أنها «بين دير العاقول وجبل (مدينة في أعلى الكوت الحالية بقليل) بها قتل ابو الطيب المتنبى»⁽²⁾، فبيزع اذن كانت اعلى الصافية، على طريق الصاعد الى دير العاقول (وهذان الموضعان قد عينا بدقة في هذا البحث) واذا كانت ثمة دلائل عديدة تشير الى ان المقتل كان في (ضيعة) على الطريق، يكون المتنبى قد قتل وهو خارج عنها، في طريقه الى دير العاقول لكونه مدينة مشهورة ومحطة مهمة على طريق واسط- بغداد⁽³⁾ أما الرواية القائلة بأنه قتل في الجانب الغربي، حيال الصافية فلا اهمية لها، اذ انها ضعيفة نوه بضعفها ياقوت نفسه⁽⁴⁾ (معجم البلدان 1/257) كما ان طريق واسط- بغداد الذي سلكه المتنبى كان على الجانب الشرقي، ويعد دير العاقول، كما ذكرنا، أهم محطاته. على أن من الغريب المؤسف ان يتجاهل بعض الكتاب المعاصرين كل هذه الحقائق ومنها مواقع ما زالت أسماءها الاصلية، فيتوجه نظرهم الى قبر مجهول يبعد عن مدينة النعمانية الحالية بنحو كيلو متر واحد شمالاً وعن النعمانية الحالية بنحو كيلو متر واحد شمالاً (وعن النعمانية القديمة وهي تل النعمان اليوم بخمسة كيلو مترات) في الجانب الغربي من دجلة، يعرف بقبر (ابو سوره)، ويتنادون بتكريم المتنبى باقامة نصب شامخ له هناك (مع ان موضع مقتله امسى معروفاً قرب الصافية على ما ثبتناه، وهو موضع يبعد عن قبر أبي سوره المزعوم بأكثر من 65كم على

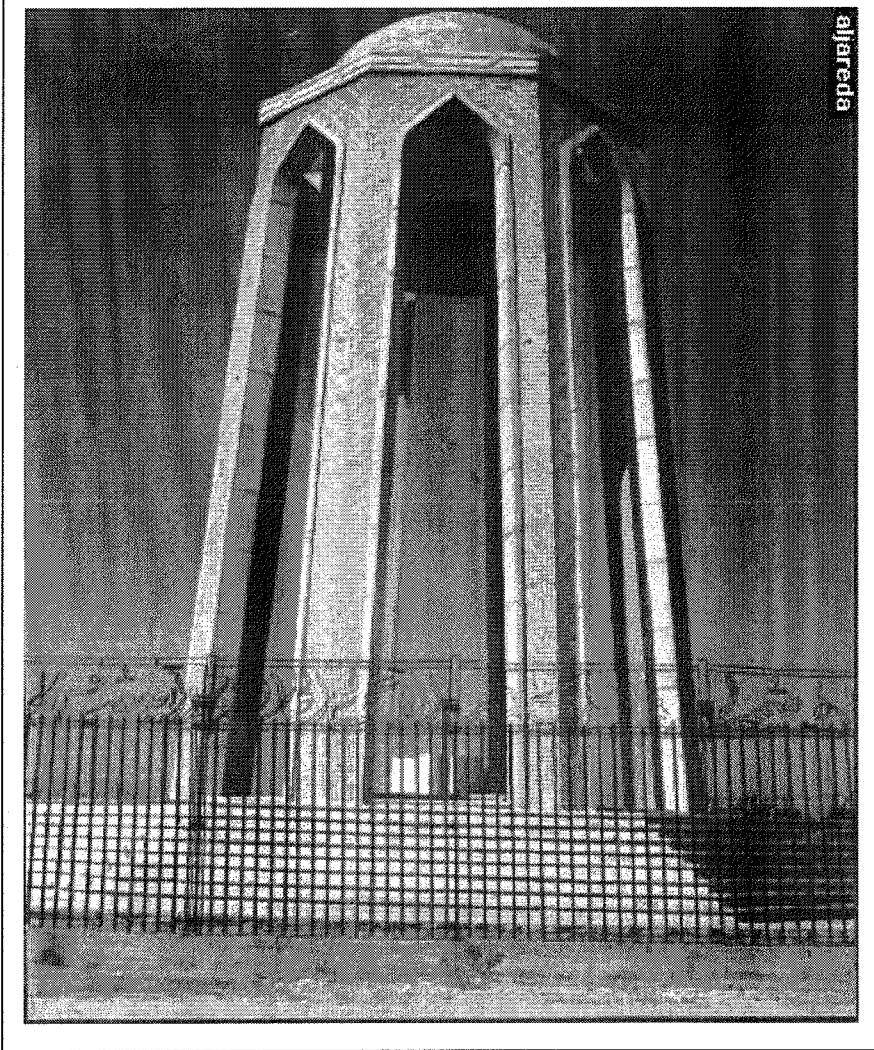
(1) المنتظم 27/7.

(2) معجم البلدان 1/527.

(3) انظر مباحث عراقية 2/70-82.

(4) معجم البلدان 1/257.

الاقل). وليس ثمة أي دليل او اثر يمكن الاستدلال به على العلاقة بين هذا القبر ومصرع المتنبّي، فلا هو حيال الصافية (ان هم أخذوا بالرواية الضعيفة التي نقلها ابن خلكان) ولا هو في طريق المتجه من واسط الى بغداد، أما ابو سورة فلا يعرف عنه شئ يستدل به على هويته، لكن يلفت النظر ان موقعه قريب من مأخذ نهر سورا القديم المتصل بالفرات، فلعله اكتسب اسمه من قريه من هذا النهر الشهير⁽¹⁾



هيكل اقيم على قبر من يدعى أبو سورة على زعم أنه قبر ابمتنبّي

(1) انظر عنه البلدان لليعقوبي 68 وبلدان الخلافة الشرقية (111).

وقفية دير العاقول:

كنا قد عثرنا عند بحثنا في بعض الوثائق القديمة المنقولة عن سجلات المحكمة الشرعية ببغداد، على وثيقة نادرة فريدة تكشف بوضوح عن بقاء هذا الدير القديم حتى تاريخ كتابة الوثيقة نفسها في منتصف القرن السابع عشر، كما أنها تساعد على تعيين موقعه بحسب المواقع الحالية، فإن كثيراً مما ورد فيها من أمكنة وبقاع ما زال معروفاً باسمه، أو محرفاً عنه، حتى يومنا هذا. والوثيقة عبارة عن وقفية شرعية كتبها عناية الله الصائغ ابن الشيخ علي المعروف بالعاقولي، ووقف فيها أراض شاسعة جداً في جنوب بغداد ونواحي الكوت (وفيها دير العاقول) على ذريته ببغداد. ومما هو جدير بالملاحظة، أن الوقفية تدعو دير العاقول باسم دير ابن العاقولي، (المفتي ببغداد والمدرس بالمستنصرية، المتوفى سنة 728هـ/1327⁽¹⁾)، بمعنى أنها تتسبب الدير إليه، والحقيقة أن جمال الدين عبد الله ابن العاقولي منسوب إلى الدير، وليس الدير منسوباً إليه. ولم تقف على أحوال هذه البقعة حين ان وقفها عناية الله المذكور على ذريته، وإنما يفهم مما ورد في الوقفية ذاتها ان معظمها كان متروكاً مهجوراً، تكثر فيه الاهوار، والتلول، والقرى المدرسة.

وتفرد رواية متأخرة أوردها ابن طولون الصالحي المتوفى (سنة 953هـ/1546م) بأن قرية في هذا الموضع، تدعى العاقول، كانت اقطاعاً لآل العاقولي، وهم قوم لخميون من أحياء اليمن، نزلوا المكان، وابتتوا به بعد أن منّ الله بالاسلام، وان الذي اقطعهم اياه هو الامام علي بن ابي طالب، وكتب لهم ذلك بخطه، فحفظوا الخط، حتى كان زمن السلطان جلال الدين ملكشاه، فأخذ منهم ليتبرك به، وكتب لهم نسخة منه، وبقي «الاقطاع بأيدي أولادهم الى الآن»⁽²⁾. أي

(1) كان عالماً فاضلاً، ولد سنة 638هـ/1240م ومهر في العلم والفتيا ودرس بالمستنصرية، وافتي أكثر من ستين سنة، ورتب مدرساً في مدرسة زمرد خاتون ببغداد ثم تولى القضاء والحسبة معاً. ولما توفى دفن بداره، وكان وقفها على شيخ وعشرة صبيان يتلقون القرآن بمحلة درب الخبازين، فتحولت هذه الدار الى جامع شهير عرف بجامع العاقولي، كما نسبت اليه المحلة فدعيت بالعاقولية. وما زال قبر مؤسسه موجوداً فيه، ولقد شهد هذا الجامع تعميرات متعددة، وبخاصة في العصر العثماني. انظر محمود شكري الأوسي: مساجد بغداد وآثارها ص 146 (بتذييب بهجة الاثري- بغداد) وكتابنا مدارس بغداد في العصر العباسي ص 128-129 (بغداد 1966).

(2) تاريخ علماء المستنصرية ص 128-129 (بغداد 1966).

حتى عهد ابن طولون في النصف الاول من القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) ومن المؤسف ان لا تقدم لنا السجلات العثمانية عن اراضي العراق الموضوعه في القرن المذكور ما يوضح صلة العاقوليين بهذه الارض قبل تاريخ الوقفية، كما اننا لم نجد فيها أية اشارة، قبل ذلك التاريخ، لاراض موقوفة على جامع العاقولي في تلك الجهات⁽¹⁾

والوقفية مؤرخة في 26 جمادي الآخرة سنة 1053هـ (12 تشرين الاول 1643م) أي في عهد ولاية حسن باشا الصغير (كوجك) الثانية على بغداد (محرم 1052 - محرم 1054هـ/نيسان 1642 - حزيران 1644م)⁽²⁾. وقد صادق على صحة الوقف اذ ذاك قاضي بغداد السيد محمد مخلص الشهير بملا زاده. وهي مسجلة في المحكمة الشرعية ببغداد، وفي مديرية اوقاف بغداد تحت الرقم 7 صفحة 108. وفيما يأتي نصها:

(إن الموفق لفعل الخيرات، المؤيد بتوفيق صاحب الهبات، سلالة العلماء العاملين والفضلاء الزاهدين عنايت الله الصائغ ابن الشيخ علي المعروف بالعاقولي زاده، قد وقف أراضي الكرود السبعة الواقعة على الدجلة العظمى من شرقي بغداد بقرب سلمان عليه الرحمة. أولها كرد باوي والمتصل به، والصافي شرقيه وغيره، والاهوار: الأول هور الكبير غربي من الاهوار متصل بالصافي، وهور أبو برادع، وأبو غرب، وأبو قصب من غربي تاج العارفين عليه الرحمة، ومن نحو شرقيه الهور المسمى بالتاج والقطنية وهور القاطون، والقواطيل المفتحة من الدجلة إلى الأرض المنخفضة، وأرض الفتاح والدير المعروف بدير أبن العاقولي مفتي الأنام عليه الرحمة جد الواقف المزبور، وهور ابو سمك والمتصل به، وهور العدلية والمنفصل عنه، وغير ذلك. فالجميع محدودة ومن الطرف الشرقي بالتلول التي هي في أسفل الدخالة مشيرة إلى نحو دجلة متصلة بالنهروان، والحد الثالث بالدجلة العظمى، والحد الرابع بكتف المتأخر من النهروان، مشتملة على شواطئ ومزارع وآبار ودور منهدمة ومندسة وغير ذلك. ووقف ايضاً نصف مزرعة ارض

(1) الأرشف العثماني، استانبول: سجلات ولاية بغداد ذوات الأرقام 386، 1028، 1049.

(2) مرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا، ترجمة موسى نورس، ص 237.

(3) وتعرف منطقة اليوم باسم (خر التاج)، وفيه آثار قديمة.

الصافي مع كل البئر المسماة برميض، الواقعة على الدجلة العظمى من شرقي بغداد المحدودة بمزرعة ابن شجاع، وفيها تلؤل كبار، وبالرفة المعلومة، وبالذجلة العظمى. ووقف الجميع على حياته، ومن بعده على أولاده، وأولاد أولاده، نسلاً بعد نسل، وبطناً بعد بطن، للذكر مثل حظ الانثيين. وبعد الانقراض يعود الوقف للحرمين الشريفين. وشرط التولية على هذا الوقف للمتولى على وقف حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره العزيز، وجعل الناظر الخطيب في جامعه الشريف وجعل لهما عشر الغلة، وطلب تسجيل الوقف بشروطه، وبعد الترافع بالوجه الشرعي، حكم القاضي الموما اليه بصحة الوقف ولزومه، وسجله في 26 جمادي الآخرة سنة 1053 من الهجرة)

وكان القاضي المذكور قد كتب بخط يده في صدر الكتاب ما نصه (حكمت بصحة هذا الوقف ولزومه، بخصوصه وعمومه، عالماً بالخلاف القاضي بمدينة بغداد المحروسة)⁽¹⁾..

(1) كان من المفروض، بموجب شرط الوقفية، أن يتولى متولو الاوقاف القادرية ادارة هذه الاوقاف، الا انه بعد انقراض ذرية الواقف المذكور، وضع متولي جامع سليمان الفارسي (وهو الشيخ احمد العتيكي المنسوب متولياً بموجب فرمان السلطان مراد الرابع سنة 1048هـ/1638م) يده على الموقوفات المذكورة وذلك في سنة 1072هـ/1661م زاعماً ان العقارات والانهر والاهوار المذكورة موقوفة على لوازم جامع سلمان الفارسي والفضلة تعود لمن يتولى ادارة الجامع المذكور، وقد استمرت هذه الحالة لكل متول يتولى ادارة الجامع المذكور الى ان آلت التولية الى عبد الوهاب بن مصطفى آل المتولي، فاستحصل من والي بغداد داود باشا سنة 1236 هـ/1820م براءة (بيور لدى) تتضمن أن العقارات والاراضي والانهر المذكورة تعود الى اوقاف جامع سليمان الفارسي، ودام الحال كذلك حتى آلت التولية على الموقوفات الى محمود أفندي بن رؤوف أفندي الى المتولي، ولحدوث نزاع بينه وبين ابن عمه احمد أفندي المتولي، وضعت مديرية أوقاف بغداد يدها على الموقوفات والجامع مدعية ان التولية كانت بيد محمود أفندي ومن سبعة من المتولين عن طريق الحسبة لا عن شرط واقف. وأخذت تتولى ادارتها بنفسها، وفي سنة 1327 هـ/ 1909م اقام محمود أفندي الدعوى في محكمة شرعية بغداد امام القاضي اذ ذاك السيد ابو بكر حلمي مدعياً أن التولية مشروطة للرشد فالرشد من المتولي واولادهم واولاد اولادهم، وأقام بينة متواترة على دعواه هذه فحكم له بذلك، وعند تمييزه في مجلس التدقيقات الشرعية المتشكل في المشيخة الاسلامية في استانبول اعيد القرار منقوضا بسبب عدم توجه الخصومة في هذه الدعوى. وفي سنة 1349هـ/1930م اقام محمود أفندي الدعوى مجدداً في ايام قاضي بغداد السيد محمد نافع المصرف فحكم له بما ادعاه، غير ان وزارة المالية وضعت يدها على

تحليل الوقفية:

على الرغم من أن عدداً من المواضع التي تذكرها هذه الوقفية قد تغير اسمه، حتى لم يعد من المستطاع تحديد مكانه على الواقع، فإن في إمكاننا أن نحلل محتوياتها على النحو الآتي:

تتألف وقفية ابن العاقولي من وقفتين مدمجتين، تقف اولاهما الارض الواقعة بين المدائن شمالاً وحتى دير العاقول (تلول الدير فوق العزيزية) جنوباً. وتشمل سبعة كرود (جمع كرد وهو آلة رفع المياه) عند مرقد الصحابي سليمان الفارسي، ثم تمتد جنوباً فتصل الى (الصايفي) وهو منعطف في دجلة يبعد عن تلول الدير بنحو عشرين كيلو متراً (ولا علاقة له بنهر الصايفي الذي في جنوب تلك التلول)، ثم تمتد بعرض أوسع، فتشمل منطقة الاهوار المحاذية للنهران، وأولها الهور المتصل بالصايفي المذكور، فهو ابي براح، وأبي غريب، وأبي قصيب، حتى تتصل بمنطقة قبر تاج العارفين⁽¹⁾ (ويعرف حالياً باسم تاج الدين) القريبة من دجلة، ومن ثم تمتد فتشمل هور التاج، وما زال محافظاً على اسمه القديم الى يومنا هذا⁽²⁾، وهو قريب من قبر تاج العارفين

الاراضي المذكورة مستندة الى المضبطة المصدقة في عهد مدحت باشا والي بغداد وذلك سنة 1292هـ/1875م وبعد مرافعات عديدة في المحكمة الشرعية حكمت برد دعوى المالية ولكن محمود افندي توفى قبل ان ينفذ الحكم الذي استحصله فراجع من بعده ابنه السيد جمال المحكمة الشرعية ايام قاضي بغداد السيد عبد الحميد أفندي الشيخ علي واقام الدعوى على مديرية اوقاف بغداد لاثبات التعامل المحكوم به لابنه سابقا فحكّم له بذلك، ولكن مجلس التمييز الشرعي نقض الحكم المذكور ، وبقيت الموقوفات بيد مديرية اوقاف بغداد تديرها وفق احكام قانون الاوقاف في سنة 1350هـ.

(1) يقع هذا القبر عند الجدول المعروف بنهر الحفرية قريبا من طريق بغداد- الكوت الحالي، وقد مر به سنة 1139هـ/1726م الرحالة مصطفى بن كمال الدين البكري الدمشقي عند سفره من بغداد إلى البصرة (كشف الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما جاورها من البلدان، الورقة 77)، وأشار إليه فيلكس جونز في دراسته عن القاطول الكسروي والنهران في منتصف القرن التاسع عشر (Jones, F., Op. Cit. P. 273) ونحن نعتقد أنه قبر الشيخ تاج الدين أبي الوفاء (توفي بعد 500هـ/1106م) من معاصري الشيخ عبد القادر الكيلاني، وكان من أعيان شيوخ العراق "وكان من أعيان شيوخ العراق" (الشطونفي: بهجة الأسرار، القاهرة 1330، ص143).

(2) انظر الخارطة.

المتقدم، وربما اكتسب اسمه منه. ويشمل، من بعد ذلك، القطنية^(١)، فهور القاطون (المحرف اسمه من القاطول) حيث تتجمع المياه الفائضة من نهر القاطول المتصل بمجرى النهروان في شرقي دجلة^(٢). ثم يقرب (الوقف) من دجلة، بدليل شموله على القواطيل المفتحة من الدجلة الى الارض المنخفضة) ومن المعروف أن القواطيل هي من توابع النهروان لا دجلة، فالظاهر أنه أراد الارض المنخفضة الواقعة عند عراقيب سالم في الشمال من تلؤل الدير، جنوب المجرى القديم المعروف بخط الفتح لانه يذكر بعدها أرض الفتح نفسها، وتبعد هذه عن تلؤل الدير بنحو 6 كيلو مترات^(٣)، وآخر تلك الاوقاف دير العاقول نفسه في الموقع المعروف بتلؤل الدير عند شاطئ دجلة. فتشكل حدود هذه الارض قوساً كبيراً يمتد من جنوبي المدائن شمالاً وحتى تلؤل الدير جنوباً، وهي مساحة متسعة من الارض، يبلغ طولها زهاء ستين كم، في حين يتراوح عرضها بين 10 و15 كم.

وتقف ثاني هاتين الوقفتين المدمجتين، ارضاً فسيحة حدودها الجنوبية هور ابي سمك، وهو المنخفض الواقع حوالي تل ابي سمك في أعلى تلؤل الشاعورة عند مصب النهروان الاخير في دجلة، ثم تمتد شمالاً بخط مستقيم حتى تتصل بهور العدالة (العدلية) وارض هذا الهور مازالت معروفة باسمها عند تلؤل العدالة ونهر العدالة، الى الشمال قليلاً من العزيزية. ويلاحظ ان الواقف وضع هذا التحديد بشئ اكثر من التفصيل، فذكر ان حدود هذه الارض تبدأ بالتلؤل (التي هي أسفل الدخالة^(٤) مشيراً الى نحو الدجلة متصله بالنهروان) وهذا الوصف الدقيق ينطبق بالكلية على اسافل عرقوب الشعيلة عن ارض العدالة، وهي آثار قناة قديمة كانت تصل بين النهروان ودجلة. اما قوله بان حدودها تنتهي (بكتف المتأخر من

(1) وتعرف منطقته اليوم باسم (خر التاج) وفيه آثار قديمة.

(2) هي غير نهر القطنية الواقع عند منعطف دجلة في الجنوب من عراقيب الشاعورة، والقطنية التي تذكرها الوقفية موضع مر به الرحالة مصطفى الصديقي الدمشقي بعد مروره بتاج العارفين (كشط الصدا، الورقة 77)، ووردت في خارطة القاطول الكسروي والنهروان لجونز على أنها في أسفل تاج العارفين.

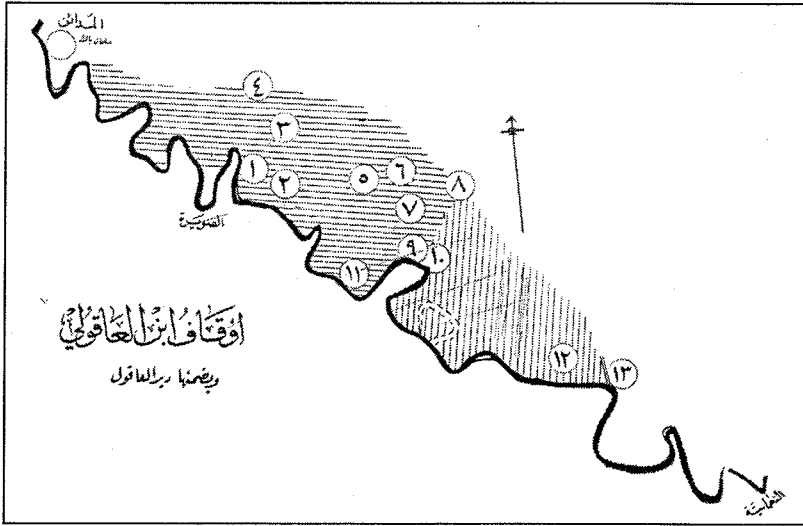
(3)

(4) انظر الخارطة

(5) تل الدخالة يعرف أيضا بتل الكبيبة، وهو قريب من العزيزية.

النهروان) فيعني به اخر مصب للنهروان في دجلة (تلول الشاعورة حالياً). وهي أرض واسعة من النهروان الاسفل بقيت تؤدي وظيفتها حتى عهد متأخر. ويبلغ امتداد هذه الارض طول نحو 20 كم، بعرض يتراوح بين 6 و12 كم.

وهكذا يتضح لنا بصورة جلية، ان اسم دير العاقول كان لايزال معروفاً مشهوراً كعلم يستدل به على غيره من المواضع، حتى تاريخ هذه الوثيقة في منتصف القرن السابع عشر، مما يدل على ان معالمة كدير بقيت ظاهرة ماثلة للعيان الى وقت متأخر. ولعل كشوفا اثرية تجري على بقاياه لتزيدنا علماً بتاريخه، ولتلقى ضوءاً على تلك المدينة الدائرة التي ازدهرت في جواره في عهد مضى.



دليل خارطة الاراضي التي وقفها ابن العاقول وفيها الدير

- 1- قبر تاج العارفين.
- 2- القطنية.
- 3- التاج.
- 4- الاهوار: الكبير، ابو برادع، ابو غرب، ابو قصب.
- 5- أرض الفتاح.
- 6- هور القاطون.
- 7- نهر العدالة (العدلية).

- 8- هور العدالة.
- 9- العزيزية.
- 10- تل كبيبة أو الدخالة.
- 11- دير العاقول.
- 12- هور أبي سمك.
- 13- المتأخر من النهروان (تلول الشاعورة).

أصول تسميات القرى في ديالى

في تاريخ ديالى جوانب عديدة، غنية، جديرة بأن يقف نفرٌ من المؤرخين حياتهم من أجل استجلائها، والتتقيب في تفاصيلها، والبحث في أصولها، فهذه الأرض تتميز بقدّم قراها، ووثيقة علاقاتها الاجتماعية، ووفرة مياهها، وكثرة مشاريعها الإروائية، وتعدد مواضعها الأثرية، وما أداه أهلها من أدوار تاريخية، مما يجعل أي من هذه الجوانب موضوعاً لكتاب، أو اطاراً تستجليه جملة من الدراسات، أو عنواناً لدراسة جامعية، أو بحثاً ذا شأن في مجال البحوث التاريخية.

وكنت قد عُنيت، منذ زمن، ببعض هذه الجوانب، واقتضت مني تلك العناية القيام بجولات عديدة في قرى تلك المحافظة وربوعها، أسجّل ملاحظات عن هذه القرية، وأفتش في غيرها عما يمكن أن تخلف من ركام الماضي وآثارهم، وأدوّن روايات المعمرين هنا، وأبحث في المصادر وكتب الرحلات عما يُعد شاهداً على وجود موضع هناك، وأقوم بجرد ما تحتويه الوقفيات القديمة، والصكوك الشرعية، والحجج الوقفية، بحثاً عما يلقي ضوءاً على تاريخ تلك المعالم الشاخصة، والآثار المدرّسة، على حد سواء. ومع أنني كنت أخرج بعد كل جولة من تلك الجولات بحصيلة علمية طيبة، تشجع المرء على المضي في سبيل البحث والدرس، إلا أن صورةً فقيرةً ومؤلمة مانت تبدو لي كلما قطعْتُ شوطاً في ذلك السبيل، صورة مؤرخينا وباحثينا وهم يحجمون عن دراسة هذا الكم الهائل من الشواخص والأصول والروايات الغنية، أو إهمالهم إياها، حتى بات أكثرها مهدداً بالضياع، ناهيك بما ضاع منها واندرس فعلاً، دون أن يجد له من يسجله ويحفظه في دراسة أو كتاب، وربما كان سبب هذا الإحجام، أو الإهمال، الوقوع تحت تأثير فكرة مفادها أن تاريخ المدن الرئيسية في العراق، ولا سيما بغداد، يعبر - بشكل أو بآخر- عن تاريخ العراق بأكمله، وأن دراسة ما جرى في بغداد في القرن السادس عشر يمثل ما حدث في العراق كله، في ذلك القرن، وهي فكرة خاطئة إلى حد بعيد، كانت سبباً في إهمال دراسة الريف، بقراه ومجتمعاته وعلاقاته الإنسانية، وكأن ليس للقرية الزراعية تاريخ أصلاً جدير بالبحث والدرس. والصحيح أنه لا يمكن دراسة تاريخ المدينة، من أي جانب كان، دون دراسة أوسع لتاريخ ريفها، فهي

القاعدة التي توجد فيها، وتمارس- من خلالها- نشاطاتها الاقتصادية والاجتماعية، وتتأثر بها، وتتأثر فيها، على سبيل التفاعل الإنساني المستمر. والعجيب أن بعض الأجانب استهواه تاريخ هذه الأرض، ولم يكن من أهلها، ولم تربطه بهم أدنى صلة، فكتب روبرت ماك آدمز، الأستاذ في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو كتاباً ضخماً سماه (أطراف بغداد- تاريخ الاستيطان في سهول ديارى) وترجمه ثلاثة من الفضلاء إلى العربية، إلا أن هذا الباحث لم يزر القرى بنفسه إلا لماماً، واعتمد على خرائط سابقة لم تكن دقيقة في معطياتها دائماً، وهكذا فإنه وقع في أوهام مثل ظنه أن باجسرا هي بُهْرُز الحالية، مع أن كلا من الناحيتين كان معروفاً منذ عهود ما قبل الإسلام وما زال كذلك.

أما الكتب التي ظهرت في العراق، فإن جهود مؤلفيها- وهي محمودة في كل حال- استهدفت التعريف بمناطق المحافظة بوجه عام، فسجلت أسماء بعض القرى وأهملت الأسماء الأخرى، وتناولت عدداً من مراكز الأقضية والقرى المهمة القريبة منها، وتركت ما عداها، على أن بعض ما تركته له من التاريخ ما ليس لمركز القضاء نفسه، أو أنه يضاهيه في الأقل، ومن هنا كانت عنايتي منصرفة إلى كتابة تاريخ تلك القرى التي ظلت بعيدة عن اهتمام الدارسين، لكنها جاثمة- في الوقت نفسه- على ركام ضخم من الماضي الزاهر.

ولست هنا لأعرض نتائج بحثي في هذه الجوانب، وإنما سأقتصر على واحد منها فحسب، وهو المتعلق بأصول تسميات المئات من القرى التي توجد في سهول ديارى، بهدف التوصل عن طريق رصدتها وتحليلها إلى طبيعة تلك التسميات ومبررات إطلاقها، ودلالاتها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية. وأظن أن كثيرين لفتت أنظارهم - كما لفتت نظري- تنوع تسميات هذه القرى وقدمها وغرابة بعض الأسماء أحياناً. وربما ذهب بعضهم مذاهب شتى في تفسير هذا الاسم أو ذلك، لا لسبب إلا لأنه لم يجد له معنى يفهمه، أو تفسيراً سهلاً يتقبله. ولقد اعتمدت في دراستي بالدرجة الأولى على القائمة المفصلة بأسماء المدن والقرى لمحافظة القطر، التي أعدها لجنة متخصصة في وزارة الحكم المحلي الملقاة، وكنت عضواً فيها، وقد رصدت هذه القائمة أسماء 642 قرية في محافظة ديارى وحدها، وأضفت أنا إلى هذه الأسماء ما توصلت إليه في أثناء جولاتي في المنطقة، وما سجلته الكتب التي صدرت للتعريف بها، بما

يرفع العدد إلى نحو 700 اسم، أو أقل قليلاً، وإنني سعيد أن أضع بيد يدي القارئ الآن، بعض ما جد لي من ملاحظات في هذا الصدد.

ويمكننا أن نحلل أسماء تلك المئات من القرى إلى ثلاث مجموعات رئيسية، هي القرى المنسوبة إلى أعلام الناس، والقرى المنسوبة إلى الأقوام والجماعات، والقرى المنسوبة إلى مفردات البيئة الجغرافية، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: القرى المنسوبة إلى أعلام الناس

وتمثل هذه المجموعة في دياى نسبة عالية إذا ما قارناها بتسميات القرى في عدد من المحافظات الأخرى، حيث تصل هنا إلى نحو نصف التسميات كلها، وسنفصل القول في أسباب هذه الظاهرة فيما يلي، على أنه يمكن القول بأن هذه المجموعة تنقسم - هي أيضاً - إلى الفئات الآتية:

1- قرى منسوبة إلى زراع رواد:

تتسبب هذه المجموعة إلى الأشخاص الذين كان لهم دور بارز في إعمارها وزراعتها واستيطانها، مما أدى إلى ارتباط أسمائهم بأرضها ارتباطاً وثيقاً أبقي عليه الزمان، مثال ذلك قرى: عبد الله الحسوني، والسيد جابر، وعبد الحميد، وشطب، وعلوان العنقوص، وصبار منهل، وزعيطر، وحسين جاعد، ومرعيد، وملا عيد، وجلوب، وجواد البشو، وحسين عناد، وأسطه أحمد، ومصطفى، وإبراهيم المذكور، وأحد الحسون، وعبد الجبار، وحسين حمادي، ومحمد رضا، وسيد عواد، وعبد الكريم، ولطيف حمدي، وأحمد مزيان، وعباس جاسم، وفارس طارش، ومشخال حمزة، وعزيز همالة، وحميد السبع، وخضيدشر عباس، وفليح حسن الجاري، وحامد سلمان السعدون، وسلمان وطه العلوان، وسلمان الورور، وعبد الكريم جاسم، وحامد حميش، ومهدي الفتة، وعبد الحسن الحاجم، وحميد إبراهيم، وحسب الله الناصر، وكامل جاسم، وحمود الرشيد، وجواد كاظم ذنون، وأحمد خلف حسين، وكريم ناصر، وإبراهيم الضاحي، وحسين خليل علي، ومحمود الزكّم، وغني مساعد، وحميد محمود شناوه، وحمادي سلطان سعيد، وكريم عباس، وكيطان الدرب، وسلمان وطه العزاوي، وإبراهيم مهدي صالح، وعلي مذري، ورشيد الكيطان، وسعود ذياب، وإبراهيم يحيى، وإسماعيل محميد، وجمال جاسم حسين، وطه جميل، وحيدر عريبيد، ومحمد عبد الكريم، وغيرهم كثير.

وأكثر هذا النوع من التسميات يوجد في مركز قضاء مركز بعقوبة، بينما يقل في الأفضية الأخرى، وذلك لأن قسماً من هؤلاء الزراع الرواد حصلوا على أراضيهم التي قامت عليها قراهم فيما بعد، بموجب قوانين تسوية الأراضي التي طبقت في المحافظة ابان العقود الأخيرة من القرن الماضي، إلا أن ذلك يجب أن لا يدفعنا إلى تصور أن هذه الظاهرة هي نتيجة تطبيق تلك القوانين وحدها، لأننا لاحظنا وجود الظاهرة في العصور السابقة أيضاً، وقبل العمل بالقوانين بآمد بعيدة، وسبب ذلك يكمن في تقديري في البيئة الزراعية للمحافظة، ففي منطقة يغلب عليها الانتاج الزراعي، وتسود فيها العلاقات الزراعية، تكون للمبادرة الفردية، أو الأسرية في أكثر تقدير، الدور الرائد في أي عمل يتعلق بذلك النوع من الإنتاج، وهذا الأمر يؤدي- من ثم- إلى إستقرار ملحوظ في ملكية الأرض، ووجود قواعد مرعية لهذه الملكية- حتى في ظل عهود الفوضى الإدارية- من شأنها أن تشجع زُراعاً رُواد على استصلاح الأرض، أو إحيائها وفقاً للمصطلح الفقهي، تمهيداً لتعميرها بالزرع وبالناس أيضاً.

وكانت طبيعة المنطقة المعتمدة على الري السّيحي، والكثيفة الزرع، والحافلة بالتجمعات البشرية، تحفز على قيام الملكية القروية الصغيرة نسبياً، وهذه الملكيات تكتسب أسماءها- بسهولة- من أسماء رواد زراعتها ومنشئي تجمعاتها، وليس من أسماء القبائل الكبرى كما هو الحال في مناطق أخرى من العراق، وبتقادم الزمن أصبحت ذريّات هؤلاء المُعمّرين الأوائل هم سكان القرية حصراً، مما خلق لدى الأحفاد نوعاً من الاعتزاز بأسماء جدودهم، التي هي في الوقت نفسه أسماء قراهم أيضاً. ومع أن أكثر هذه القرى لا يحمل إلاّ الاسم الأول، أو الإسمين الأولين لمؤسسيها، فإن الأسماء نفسها تدل دلالة قاطعة على أن أصحابها ينتمون جميعاً إلى القبائل التي نَزّحت إلى المنطقة خلال عهود متعاقبة، وامتحنوا الزراعة لظروف خاصة بهم، ولظروف بيئتهم الجديدة أيضاً، وكل ما في الأمر أن العلاقات الزراعية بينهم غلبت على العلاقات القبلية، فلم تذكر أسماء قبائلهم بعد أسمائهم إلاّ قليلاً، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن قرية (بودجة) من أعمال المقدادية، والمعروفة بهذا الاسم منذ القرن التاسع للهجرة (15م) تتسبب أيضاً إلى من يدعى (كيطان)، وليس كيطان هذا إلاّ اسماً متوارثاً منذ عهود عدة، حمله في

عهد ما مؤسس القرية، الذي هو من قبيلة خولان اليمانية التي استقرت في المنطقة منذ عهد الفتوح الإسلامية، فجميع سكان القرية هم خولانيون يمانيون، وإن لم تنسب قريتهم إلى قبيلتهم نفسها.

2- قرى منسوبة إلى أعلام الأولياء والصلحاء

ثمة قرى عديدة تنسب إلى أعلام الأولياء وأهل الصلاح الذين دفنوا في تلك النواحي، فنسبت القرى القريبة من أضرحتهم ومشاهدهم إلى أسمائهم أما تبركاً بها، وأما لشهرتها بين سكان القبائل المجاورة. وشيوع هذه الظاهرة في ديارى يثير الانتباه فعلاً، وهو دليل آخر على الطبيعة المستقرة للملكية الزراعية، وما يقوم عليها من مستوطنات حيث تكون هذه الأضرحة بمثابة مزارات دينية لسكان القرية، أو القرى القريبة، ومكاناً لاجتماعهم في المناسبات الدينية والاجتماعية، ومدفناتهم أحياناً، وهي تُعبّر - من ثم - عن وراثة كل جيل لما يعده الجيل السالف موضع تقديسه واحترامه، وهذا ما يفسر كثرة الأضرحة والمقامات المنتشرة في أعماق ريف ديارى، والتي أعطت أسماءها للقرى هناك، مثل قرية أبو فياض في قضاء بعقوبة، وقرية الإمام، وقرية اللقمانية، وقرية الشيخ عمر في قضاء الخالص، وقرية الامام ويس، وقرية السيد سلطان علي، وقرية إمام عباس في قضاء المقدادية، وقرية إمام منصور، وقرية إمام عسكر في قضاء مندلي (ناحية مندلي التابعة إلى قضاء بلد روز) وغيرها. وربما تقاسمت عدة قرى اسم ولي من الأولياء، وصالح من الصلحاء، فجزيري الجول، وجزيري ثعلب، وجزيري الإمام، ثلاث قرى تنسب جميعاً إلى الامام كمال الدين الجزيري، المنسوب إلى مدينة جيزان في اليمن، والذي قدم إلى المنطقة في زمن ما حيث دُفن فيها. ومثل هذا قرى شوهاني حمدان، وشوهاني داود سلوم، وشوهاني علي العبد لله، وشوهاني حبيب الخيزران، ولا نعلم لهذه الظاهرة مثيلاً في مناطق أخرى. وتدل تلك الأسماء على أن أصول هؤلاء الناس، أو ما يعتقد أنها أصولهم، فهم أما من بيت النبوة، أو من قادة الفتح الإسلامي، مثل القبر المنسوب إلى المقداد الكندي⁽¹⁾، وقبر إمام

(1) نشأت المقدادية عند قبر من يدعى الشيخ مقداد، وهو أحمد الصوفية من أهل القرن الخامس للهجرة، وردت أخباره في تضاعيف سيرة أبي الوفا تاج العارفين. ينظر أحمد بن عبد المنعم الواسطي: تذكرة المقتفين في مناقب أبي الوفا تاج العارفين، بتحقيقنا مشاركة مع الدكتور زرار صديق، أربيل 2005 ص77-78.

عسكر (الذي يظن أنه قبر القعقاع التميمي)، أو لعلماء بارزين من العصر العباسي، مثل قبر علي بن إدريس البعقوبي، قرب بُهرز، وقبر السيد أبي الغيث بن جميل في بهرز، وقبر السيد أبي خميس قربها أيضاً، وغيرهم كثير.

3- قرى منسوبة إلى بعض المالكين السابقين

نُسبت قرى عديدة في ديالى إلى أسماء بعض مالكيها السابقين، ومنهم من ترك آثاره فيها، بشق نهر، أو إحياء أرض موات، أو زراعة محاصيل جديدة، من ذلك مثلاً قرية بازول أحمد بك، وقرية الوزيرية، وقرية الضابطية، وهي من قرى بعقوبة، وقرى يوسف بك، ومحمد شير بك، وإبراهيم بك، وقادر بك، وصالح آغا في قضاء خانقين، وبكر آغا، وجديدة الأغوات، وكهيه (وظيفة تعني نائب الوالي ومساعده) ومخلص بك، وأمجد باشا، والمشيرية (رتبة عسكرية عثمانية) في قضاء الخالص. وتدل الألقاب الوظيفية الرسمية لهؤلاء الملاك (بك، باشا، ضابط، كهية) على أنهم من الفئة المعروفة باسم الملاك الغائبين، أي أنهم كانوا يقطنون المدن الكبيرة، ويتولى معاونونهم إدارة ما يملكون، بل أن بعض القرى منسوبة إلى أسر مدنية معروفة، مثل قرية السويدي، نسبة إلى أحد أفراد الأسرة السويدية العباسية التي انحدرت من الدور إلى بغداد في القرن الثامن عشر، وقرية الزهاوي نسبة إلى الأسرة الكردية التي قدمت من مدينة السليمانية واستوطنت بغداد في القرن التالي. وشيوع هذه التسميات في ديالى يدل على بعض أشكال الملكية الزراعية انتشر في تقديرتنا منذ منتصف القرن الثامن عشر نتيجة نمو المدن وهيمنتها الإدارية والحضارية على الأرياف المجاورة حينذاك، وتوفر حد أدنى من الأمن يكفل لذوي النفوذ فيها إدارة ممتلكاتهم خارجها مع اكتفائهم بالإقامة في مدنها، على أنه تجب الملاحظة أن أكثر أولئك الملاكين كانوا من السكان المحليين كما رأينا، وحيازتهم على ألقاب إدارية أو عسكرية مما شاع استخدامه في المؤسسات العثمانية لا يدل على أنهم ينتمون إلى أصول خارج ذلك النطاق، فمن المعلوم أن فئة الموظفين والعسكريين العثمانيين كانت على محدودية عدد أفرادها- تتبدل على الدوام بغيرها، مما يحول دون تملك أكثرها الأراضي وإدارتها، لا سيما في خارج المدن التي يقطنون.

ثانياً: المدن المنسوبة إلى الأقبام والجماعات

1- قرى منسوبة إلى القبائل والعشائر والبيوتات

نزلت سهول ديالى، منذ عهود ما قبل الإسلام، وخلال العهود الإسلامية المتعاقبة، قبائل وعشائر عديدة، كان لبعضها مساهمات جلى في حركة الفتح الإسلامية في البلاد الآسيوية التي عرفت فيما بعد بالشرق الإسلامي، فمن القبائل والعشائر التي استقرت في هذه النواحي نذكر: طي، وتميم، وبنو سعد، وخولان، وكنانة، وشيبان، والدليم، وقيس، وبنو زيد، والجبور، وربيعة، والمعامرة، وخفاجة، وأبو جوارى، والداينية، وبنو لام، وبنو ويس، والنعيم، واللبيب، وآل بدير، والمهدية، والعكيدات، وبنو عز، والعبيد، وشمر، والمجمّع، فضلاً عن عدد من العشائر الأخرى. وإذا كانت هذه القبائل والعشائر قد انفردت في مناطق أخرى من العراق بـ (ديرات) مستقلة، فإنها في أقسام واسعة من ديالى قد تعايشت مع غيرها من القبائل في المنطقة الواحدة، وسبب هذه الظاهرة يكمن في أمرين، أولهما أن سهول ديالى تعد آخر امتداد للعراق من جهة الشرق، فالقبائل التي تضطر إلى ترك مواطنها الأولى في غربي الفرات، وفي منطقة الجزيرة، إزاء دفع القبائل الأخرى القادمة من الجزيرة العربية، لا تجد أمامها إلا الإنسياح في المناطق الواقعة في شرقي دجلة حيث لا مفر من التعايش مع فروع القبائل التي سبقتها - للسبب نفسه- إلى هناك، إذ ليس بعد هذه المناطق أرض يمكن أن تنفرد بها وحدها. ومن ناحية أخرى فإن مجتمعاً يعتمد في زراعته على الري السّيحي المنظم لا بد له من تحقيق التعايش، بل والتعاون، بين السكان، بغض النظر عن انتماءاتهم القبلية المختلفة. وهكذا فإننا نجد فروعاً من القبيلة الواحدة تتفرق في نواحي شتى من ربوع ديالى حيث تساكن هناك فروعاً أخرى من قبائل غيرها، وعلى سبيل المثال فإن في قضاء بعقوبة وحده نحو عشرين عشيرة، وفي ناحية كنعان (مَهروت قديماً) نحو أربعة عشر عشيرة، وفي قضاء الخالص خمسة عشر عشيرة، وفي ناحية المنصورية (دلّي عباس سابقاً) نحو سبع عشائر، وفي كل من ناحيتي هبهب والعظيم مثلها، وهذه المعاشة تعد إحدى أهم سمات المنطقة وخصائصها، وهي التي أكسبتها عبر العهود الماضية روحاً من التسامح والتعاون والتجانس الإجتماعي الفريد. ونظراً لتفرق القبيلة في عشائر بل وبيوت متعددة، فإنه لم يبق

من مجال لإنتساب القرى إليها، ومن هنا فإن النسبة إلى القبائل جاءت قليلة نسبياً، ومن أبرزها قرى: الخزارجة، والدليم، والغوالبه، والصقور، والخزرج، واللهيب، والبوجواري، والسواعد، والعوادل، والغزية، والهلالية، والحديد، والبوعكلة، والبو عواد، والغيريات، والبواديش، والجابله، وبنو زيد، والمراسمة، وشيبان، وغيرها .

2- قرى منسوبة إلى الجماعات الحرفية

واشتهرت بعض القرى بمزاولة حرفة معينة، حتى غلبت تلك الحرفة على نشاطات السكان الاقتصادية الأخرى، فنسبت إليها، مثال ذلك: قرية النحالة، نسبة إلى نشاط سكانها في تربية النحل، وقرية الدبّاغية، نسبة إلى ما يمتنه أهلها من دباغة الجلود، حيث تكثر الحيوانات الصالحة لهذا الأمر. وفي الواقع فإن وجود حرفيين في قرية زراعية منعزلة، أمر له ما يبرره تماماً بوصفه يحقق نوعاً من الاكتفاء الذاتي في بعض مجالات الصناعة والخدمات، أما أن تشتهر قرية بحرفة معينة، بحيث تغلب على نشاطاتها الأخرى، فتعرف بها، فهذا ما لم يُعهد في القرى الزراعية عادة، وهو يدل على تطور الوظيفة الاقتصادية للقرية الزراعية في ديارى بما يمثل نوعاً من التخصص.

ثالثاً: القرى المنسوبة إلى مكونات البيئة الجغرافية والاقتصادية

اعتاد الناس، منذ عهود بالغة القدم، على تسمية مدنهم وقراهم بأسماء مكونات البيئة التي توجد فيها، من تضاريس وأنهار ونتاج زراعي وحيوان وغيرها. وفي بيئة جغرافية واقتصادية غنية بالظواهر كبيئة سهول ديارى، كان طبيعياً أن تنسب بعض القرى إلى مثل تلك الظواهر، من انهار جارية ومندرسه، وتلول طبيعية وصناعية، ونباتات ومزروعات مختلفة، وحيوانات مستأنسة وغير مستأنسة، وذلك على النحو الآتي:

1- قرى منسوبة إلى ألوان الأرض

تتسم أرض ديارى بالتنوع الملحوظ في مكونات تربتها، مما ترك آثاره على هذه الأرض بتباين ألوانها بين مكان وآخر، كما أن كثرة أنهارها وما تتركه مياهها من طمي، وتنوع ما ينبت فيها من نبات، له دور آخر في تلوين أرضها بأكثر من لون

واحد. ولقد اكتسبت قرى عديدة في ديالى أسماءها من هذا التباين اللوني الفريد، منها مثلاً قرى: تل أسمر، وتل أحمر، وتل أبيض، والأحمر، وتل الأميلح، والأجيلح (الأكيحل)، وتل خشم الأحمر، والأسود، وصفيرة، وغير ذلك.

2- قرى منسوبة إلى تضاريس الأرض

وتكتسب القرى أسماءها أيضاً من شكل تضاريس الأرض التي توجد فيها، وما يعلو سطحها من صخور وغيرها. وتكشف أسماء قرى ديالى عن أشكال الأرض على نحو بالغ الدقة، يصل إلى حد تقديم وصف مُعبر عن أكثر الظواهر التضاريسية في المنطقة انتشاراً. فقرية أبو حصيوة مثلاً اكتسبت اسمها من الحصى الذي يرسب في مجرى نهرها، وقرية الأرميلات منسوبة إلى ما يرسب في نهرها من رمل، أو ما يوجد على أرضها اليابسة منه، وهكذا الأمر لقرية صخر، حيث تكثر الصخور على أرضها، وقرى الدحلة، وعنك (أي عنق) الدحلة، والدحيلة، التي اشتقت اسمها من لفظ (الدحل) العربية، وهي الممر الضيق المدخل المتسع فيما بعد، والذي قد ينبت فيه شجر (السدر) أو هو المدخل تحت الجرف، كما نص على ذلك صاحب القاموس المحيط وغيره من أصحاب المعاجم. ومنها قرية (الركّة) المأخوذة من (الركّة) وهي - كما في القاموس - كل أرض إلى جنب وادٍ ينبسط الماء عليها حيناً من الوقت، وقرية (الحفاير) التي يشير اسمها إلى شكل الأرض فيها، وربما عُرِفَتْ بهذا الاسم لكثرة ما يحضر فيها لاستخراج الآجر القديم قريبا مما يعاد البناء به، وقرية جيزاني الجول منسوبة إلى الجول (بالجيم المثلثة وأصلها بالجيم الموحدة) وهو - لغة - التراب، والأرض كثيرة التراب، وقرية (دُوخلة) مؤلفة من كلمتين هما (الدو) وهو - في المعاجم - الأرض الفضاء، و(خَلا) وتعني الخالية من السكان، وقرية (قرارة) مأخوذ اسمها من القرار، التي هي المطمئن من الأرض، أي السهل الذي لا عوج فيه، ومثل هذا كثير، بل أن بعض الأسماء ظل تحتفظ به قرى في ديالى، بينما ترك استعماله في اللغة المتداولة بين الناس، ولم أحد يذكر معناه إلا بالبحث في معاجم اللغة.

وقد تنسب القرى إلى الأنهار وما تتركه في مجاريها عادة من تعرجات، وما تخلفه من تضاريس، فقرية (دورة الوقف) منسوبة إلى دوران النهر عندها، وقرية (الهويرة) سميت بذلك لوجود هور صغير عندها، وقرية (أبو دهلاية) يدل اسمها

على كثرة الدهلى، وهو الطمى المتخلف عن مجرى النهر، وقرية (الزوية) منسوبة إلى زوايا النهر الحادة، وقرية الجزيرة وقرية العويجة نسبة إلى اعوجاج مجراه، وكذا الحال بالنسبة إلى القرى المنسوبة إلى الشاخة، والبدعة، وكلاهما بمعنى التُّهير، وتلك المنسوبة إلى النهر، مثل قرى نهر سلطانية، ونهر الكبير، ونهر المجرة، ونهر حريريز، وبلدة الخالص، وقرية الخويلص (وهو تصغير للاسم الأول) منسويتان إلى وصف لماء النهر ويعني النقي من الشوائب، وقرية جرف النداف منسوبة إلى حوايف نهرها العالية، وهكذا.

3- قرى منسوبة إلى المشاريع الإروائية والعمرانية

تعتبر هذه المجموعة من التسميات عن جانب من جهود الإنسان في دياالى في مجالات العمارة والبناء، فلقد شهدت أراضي هذه المنطقة عبر التاريخ انشاء العديد من المشاريع الإروائية المعقدة، وها هي آثار هذه المشاريع، من جداول دوارس، وسداد، وجسور، وقناطر، تدل على عظم ما بذله أصحابها من جهد وخبرة في هذه المجالات، فليس غريباً أن تجد من القرى ما ينسب إلى بعض تلك المشاريع، فقرية (السكرانات) بكسر السين، في قضاء بعقوبة منسوبة إلى جمع غير مألوف للفظ (سكر)، وتعني - بحسب المعاجم - ما يسد به النهر، والمسناة، والقرى المسماة إحداها بـ (العبارة) والمنتشرة في غير موضع من دياالى، تشير أسماؤها إلى ضرب من المجاري المائية يعبر من فوق مجرى مائي آخر، بواسطة عقود مبنية بالآجر أو غير ذلك، وهذا الضرب من المشاريع الهندسية شاع انشاؤه في المنطقة منذ عهود ما قبل الإسلام في الأقل، وقرية (التحويلة) منسوبة إلى مشروع لتحويل المياه من مجرى لآخر، والقرى المسماة بـ (الدولاب) و(الدواليب) تشير إلى إحدى الطرق التي اتبعها انسان المنطقة في رفع المياه من المجاري العميقة إلى مستوى الأرض المزروعة، ومثلها القرى المسماة بـ (البازول)، وهي المنسوبة إلى مشاريع البزل العديدة المنتشرة هناك، والتي تدل على مدى عناية الانسان باصلاح أرضه، وهكذا الأمر في قرى أخرى، مثل: المحولة، والكهريز، وغيرها.

ومن ناحية أخرى فإن ثمة قرى تشير أسماؤها إلى أنواع مختلفة من أشكال الاستيطان البشري في المنطقة، وضروب من أسباب التجمعات السكانية فيها، فقرية الحويش (في قضاء الخالص) أخذت اسمها من تصغير لفظ (حوش)، وهذا

اللفظ أوردت المعاجم معناه، وهو يتراوح بين التجمع والجماعة من الناس، وقد تطور معناه حتى غدا المسكن أو القصر، وقيل الحظيرة الواسعة المسيجة التي تقع خلف جماعة من الدور يسكنها الفلاحون في أكواخ لهم، على ما أثبتته دوزي في تكملته للمعاجم العربية، وعليه فإن اسم القرية وحده يكشف عن ظروف نشأة القرية، بأنها تجمع لدور عدد من الفلاحين حول دار أحد الملاكين، أو زعماء المنطقة القدماء، اتسع على مر الزمن ليغدو قرية زراعية قائمة بذاتها، ومثل هذا القرى المسماة بالقلعة، أو المبتدئة أسماؤها بهذا اللفظ، والقرية المسماة بـ(القصرين) والمجاورة للحويش، ربما نسبت إلى قصرين كانا هناك، والقصر - لغة- المنزل، أو كل بيت من حجر. ومثل هذا قرية (القبة) وقرية (القبية) اللذان يشير إسماهما إلى ضرب من الأبنية المعقودة بالآجر، وهكذا الأمر بالنسبة إلى التسميات الأخرى.

4- قرى منسوبة إلى البيئة النباتية

تشتهر سهول ديالى، منذ عهود قديمة، بالزراعة، حيث تتوفر فيها المياه الوفيرة والتربة الجيدة، وحفلت الكتب الجغرافية والتاريخية القديمة بإشارات مهمة إلى تميز ديالى بالإنتاج الزراعي، وما كانت تصدره إلى بغداد من محاصيل، وما ينبت فيها من مختلف أنواع النبات. وكان طبيعياً - في بيئة كهذه- أن تجد بعض القرى نسبتها إلى ما اشتهر في أرضها من نبات سواء أكان طبيعياً أم مستزرعاً. ونظرة إلى أسماء هذه القرى توضح بجلاء عناصر هذه البيئة ومكوناتها، فالنخلة- وهي أشهر ما في المنطقة من شجر- كان سبباً في كثير من تلك التسميات، مثل قرى: أبو نخل، وأم التمر، والفسيلة، والشويخرات، وهو - لغة- عذوق التمر، والأسويد، وهو التمر نفسه، والهويدر، المأخوذ اسمها من (الهدر) وهو طلع النخل كما في المعاجم العربية، وقرية (كوصري) تحرف اسمها من لفظ (قوصرة) وهو - كما في المعاجم- وعاء التمر.

وحيث تكثر في بعض أنحاء ديالى أجمات القصب، تجد من القرى ما اسمه (قصب) و(قُصيبة)، بل أن قرية واحدة، هي المسماة (المخيسة) يحمل اسمها صورة المنطقة ووظيفتها في العصور السالفة، فالمخيسة مشتقة من الخيس، وهو على ما أفاد صاحب القاموس المحيط "الشجر الملتف، أو ما كان حلفاء وقصب"، ويفهم

منه أيضاً أن المخيس هي الأرض التي يكثر فيها القصب دون غيره، وهذا التعريف ينطبق على صفة القرية تماماً، فهي كثيرة الشجر، يحف بها هور أبي صيدا بقصبه وحلفائه، ويمكننا أن نستدل من قرب بلدة أبي صيدا منها أنه كان حوالي القرية أماكن يكثر فيها الحيوان الصالح للصيد، فأبي صيدا اسم محرف من اللفظ الآرامي القديم (باصيدا) ويعني بيت الصيد أو مكانه. ويؤكد هذا المعنى صاحب القاموس إذ يقول: أن الخيس هو موضع الأسد، فلا تعيش الأسود إلا في الأجمات الملتفة الشجر، وكان لصيدها في العصور السالفة هُوّة وطلّاب، فهذه الإشارات اللغوية تدل جميعاً على قدم القرية وعراقتها. وقرية (العواشق) يدل اسمها على ما ينبت حولها من نبات، فالعشقة شجرة وصفها صاحب القاموس المحيط بأنها تخضر ثم تدق وتصفر، ولما يزل هذا النبات يرى بكثرة هناك، ومثلها قرية (وادي العوسج) وهو شجر شوكة معروف فيها، وقرية (البرداية) أي البردية، وهو ضرب من القصب، وقرية (الحلفاية) أي الواحدة من الحلفاء، النبت المعروف، وقرية (ابو عاكول) وهو الشوك الذي يكثر في براري العراق، وقرية (الشوك) وغيرها.

وثمة قرى تدل أسماؤها على ما يزرع في بساينها من أنواع الفاكهة، مثل قرية (سدر) وهو شجر النبق، وقرية (ابو تينة) وقرية (التينة) وقرية (أم الرمان) وقرية (عنيبة) مصغر (عنبه) حيث تكثر الكروم، وقرية (السندية) وهو البرتقال الذي تشتهر به محافظة ديالى، وربما نسبت قرى إلى محاصيل تختص بها، مثل قرية (دُخُن) وقرية (نهر التتن) وقرية (أبو فجل) أو على أشجار هناك، كقرية (سيسبانه) وغير ذلك.

5- قرى منسوبة إلى الحيوان والطيور

وفي ديالى قرى عديدة منسوبة إلى أجناس الطيور والحيوانات مما تحفل بها بيئتها الطبيعية، وأسماء هذه القرى بجملتها تشكل صورة متكاملة عما وجد في ربوعها وأجامها وبساينها من تلك الأجناس المختلفة، سواء أكانت مستأنسة، مثل قرى (أم جمل) و(أم الحوالي) و(أم الصخول) و(الغزلانيات) و(وادي الغزلان) و(أبو الخنازير) و(وادي الحصان)، أو وحشية، مثل قرى (أبو خميس) وهو الأسد، و(أبو السباع) و(ذابة) جمع ذئب، و(أبو ضبع) و(خر الوحش)، أو أن تكون منسوبة إلى

الطير، مثل قرى (أم الحمام) و(أبو جراد) و(الشقراق) وهو نوع نادر من الطيور يمتاز بكثرة ألوانه، وغير ذلك.

ملاحظات عامة

في وسعنا أن نخرج من مجموع ما تناولناه في هذا البحث بجملته من الملاحظات العامة، نجملها بما يأتي:

إن أغلب أسماء القرى مشتق من جذور لغوية قديمة، ومن ثم فإن من شأنها أن توثق مفردات غادرها التداول العادي، أو خلت منها المعاجم، ومن هنا تأتي أهميتها.

ويلاحظ أن بعض قرى ديالى ونواحيها يحمل أسماء آرامية قديمة، ترقى إلى عصر ما قبل الإسلام، إذ كانت هذه اللغة هي السائدة في أنحاء المشرق، مثل: بعقوبة، وأبو صيدا، وأبو جسر، وبركنية، وزاغنية، وقد تحرفت عن أصولها الآرامية: باعقوبا، وباصيدا، وباجسرا، وزغونى.

وقد أثبت انسان ديالى أنه الأكثر تمسكاً باسم قريته تعبيراً منه عن اعتزازه بشخصيتها المتميزة، فقرية (العبارة) التي في قضاء بعقوبة، تبدل موقعها، خلال القرون الخمسة الأخيرة ثلاث مرات، ومع ذلك فإن أهلها احتفظوا باسمها في كل مرحلة وحتى يومنا هذا، وقرية (دَوْخَلَة) التي عرف اسمها منذ أكثر من ستة قرون، حافظت على هذا الاسم إلى اليوم، مع أنها بدلت موقعها نحو ثلاث مرات أيضاً، وهكذا الأمر بالنسبة إلى قرى عديدة. وربما توسعت القرية الواحدة وانتقل بعض أهلها إلى موضع جديد بسكونه ويعمرونه، إلا أنهم لا يسمون هذا الموضع بغير اسم قريتهم القديمة نفسه، وهكذا فإن كثيراً من القرى القديمة المدرسة تحمل أسماءها قرى أخرى تفرعت منها في عصر لاحق.

قرى ديالى ونواحيها في العصر العثماني دراسة في وثائق عثمانية

إذا كان القولُ بأن التاريخ ليس إلا تاريخ مدنٍ صحيحاً إلى حد ما، فإن مبررات قوية تدعو الباحث اليوم إلى العناية بتاريخ ما هو خارج أسوار المدن أيضاً، من ريف زراعي وتكوينات قبلية وتجمعات بشرية، وذلك لما لهذا الريف من أثر بالغ في تاريخ المدينة نفسها، فمنه تستقبل المدن مهاجريها، وبخاصة بعد الأزمات الحادة التي تمر بها، فتتجدد به حيويتها، وتستمد منه من ثم وجودها، كما يؤثر النشاط الزراعي للريف في الاستقرار الاقتصادي للمدينة، وهو الاستقرار الذي يكون سبباً للاستقرار الاجتماعي أيضاً بما يؤديه من آثار سياسية وثقافية وروحية.

إن النقص الفادح في الدراسات التاريخية لأحوال الريف، واقتصارها بشكل مطلق تقريباً، على دراسة المدينة، قد أقام جملة من الفروض غير الدقيقة عن واقع الحياة الحضارية في المدينة، فضلاً عن واقعها في الريف نفسه، فالتصور بأن الريف كان يمثل كياناً منفلقاً على نفسه، أو محافظاً على مظاهر حياته الاجتماعية والروحية، في مقابل حالة الانفتاح التي تعيشها المدينة، لم يكن تصوراً دقيقاً في كثير من الأحيان، ففي أحيان كثيرة كان انتشار الأفكار الوافدة التي من شأنها أن تُغيّر جملة من المفاهيم الموروثة، يبدو في الريف أيسر أمراً مما يحدث في مدينة كبيرة، بل أن هذه الأفكار تنتقل إلى المدن بانتقال السكان الريفيين إليها، والعيش في جيوب حولها، ثم بالتسلل إلى داخل نسيجها الاجتماعي. فما كان يبدو مقبولاً في الريف لم يكن بالضرورة مقبولاً بنفس المستوى في المدن، ومن ناحية مقابلة، افتراض أن النظام القبلي في الريف، هو نظام بسيط لأنه يعتمد على العلاقة الأبوية، افتراض غير دقيق هو أيضاً، ذلك أن هذا النظام هو طبقي في جوهره، وإن كان أبوياً في مظهره، بل أنه الفوارق الطبقيّة بين مكونات القبيلة، هي أكثر حدة وثباتاً، مما يكون عادة في المدينة، وهكذا لا يكون للطبقات الأدنى في الهرم القبلي إلا أن تتقبل مفاهيم يمكن أن تعبر عن مصالحها، ومن ثم يفسر هذا الأمر سرعة تقبل الريف لدعاوى ومفاهيم ما كان يمكن أن تجد انتشاراً لو كانت تتخذ من المدينة مجالاً لانتشارها.

ويمكن تفسير قصور الباحثين المحدثين في دراسة تاريخ الريف، أو تاريخ القرية الزراعية، على وجه التحديد، على أساس قلة ما هو متوفر من المصادر التي أرخت لهذا الشأن، فالمؤرخون عادة هم أبناء مدن، فهم يؤرخون لمدنهم، بوصفهم جزءاً من نسيجها الاجتماعي، وهم لا يتطرقون إلى أحوال القبيلة والريف، إلا في حالات قليلة، تتمثل في وجود أزمة ما بين الزعامات القبلية المهيمنة على شؤون الريف، وبين سلطات المدينة، كقمع هذه القبيلة، و(تأديب) تلك، وتوجيه الحملات لجمع الضرائب، وما إلى ذلك من أمور. لم يصف لنا المؤرخون إذن أحوال القرى في عصرهم، وربما لم يجدوا في تاريخها ما يستحق أن يكتب أصلاً، وفي الغالب فإنهم لم يكونوا معنيين بتتبع هذا التاريخ، متصورين أن التاريخ كله، ليس إلا تاريخ مدنهم فحسب، وأن المدينة وحدها هي التي تصنعه، وهكذا لم يجد الباحثون بين أيديهم، بين روايات المؤرخين، إلا نُتفاً صغيرة، لا يمكن أن تشكل صورة المشهد الذي كان آخذاً بالتحول في ذلك العصر.

ولقد شهد ريف العراق، في العصر العثماني، تحولات مهمة أثرت على تأريخه، وعلى وجه أدق، تاريخ مدنه، وتفصيل ذلك، أن هذا الريف كان يستقبل، منذ بداية العصر، في القرن السادس عشر، هجرات قبلية عربية تصدر عن بوادي نجد والشام المجاورتين، وكانت هذه الهجرات تهدد، على نحو منتظم، التحالفات القبلية التي كانت قد أقامت قبايل عربية سبقت في الوصول إلى بوادي العراق، وبزوال هذه التحالفات، تنتشرذم مكوناتها، من القبائل، والأفخاذ، بل حتى الأسر، لتتحول في غالبها إلى طبقة أدنى في النظام القبلي- الريفي، وهو طبقة المزارعين المستقرين، الذين يرتبطون بالأرض، لا باتحاداتهم القبلية ذات القيم العسكرية، أو بمغادرة هذه المجموعات الصغيرة، مواطنها الأولى، مخلية تلك المواطن للمجموعات القبلية الكبيرة الوافدة، ومنقلة إلى أماكن أخرى تكون الحياة فيها أكثر ملائمة لها وأمناً.

وكانت منطقة ديالى، التي طالما عُرِفَت في العصور العباسية وما تلاها بالأعمال الشرقية، أكثر المناطق ملائمة لتعايش الجماعات القبلية التي انفلتت من كيانات قبائلها، نتيجة قهر الظروف المستجدة التي ذكرنا، فخصوبة الأرض، ووفرة المياه فيها، وقابليتها للنشاط الزراعي، وأهم من ذلك كله، كونها آخر مناطق السهل الرسوبي، أو السواد، شرقاً، إذ ليس بعدها إلا الهضبة الإيرانية، ومقدمات

جبالها، وهو ما يجعل التعايش، والعمل، صنوان لا يمكن للحياة أن تستمر بدونهما . وهذا الأمر يفسر لنا ، من ناحية، وفرة القرى في ديالى، وهي القرى التي تتخذ من النشاط الزراعي الكثيف مصدر رزقها ومن ثم وجودها، كما يوضح من ناحية أخرى الأعمار الطويلة لهذه القرى، على صغرها غالباً، فأكثرها يرقى إلى قرون سبقت الميلاد، ومنها ما يرقى إلى أزمان سحيقة قبل ذلك، تكشف عن قدمه الآثار واللقى المكتشفة، والتي يجري اكتشافها دائماً، في التلال التي تقف عليها، وكلها تلال أثرية صنعتها تراكمات الأثرية على المستوطنات القديمة. بيد أن من المؤسف أن أكثر تلك القرى لم نعرف له اسماً في العصور الإسلامية، باستثناء ما تناوله بعض البلدانانيين بسبب من خرج منها من العلماء الذين نسبوا إليها، مثل زاغونى، وباعقوبا، وباصيدا، وبهرز، وبندنيجين، وهذا الذي تناولوه قليل، كما أن حديثهم لم يزد على أن يكون وصفاً عادياً لها في عصرهم، دون أن يكون تاريخاً حقيقياً لها، يبين أصولها، وأزمان نشوئها، وأهم المراحل التي مرت عليها، وأهلها، وما يتصل بهذا من نواح مهمة.

وتمثل منطقة ديالى، بالنسبة لمدينة بغداد، وبخاصة في العصر العثماني، سلّة الطعام القريبة، والمتنوعة، فهذه المنطقة، خلافاً للمناطق الأخرى البعيدة، لا يفصلها عن بغداد عائق، وهي تتصل بها بطرق ثابتة آمنة نسبياً لوفرة ما يكتفها من قرى غير متباعدة، كما أنها تضم بساتين نخيل جيدة، تصلح أن تقدم للمدينة، ما تحتاجه من خشب وسعف يصلح للبناء، فضلاً عما تقدمه من منتجات زراعية متنوعة.

ومن نافذة القول أن لا تاريخ من غير وثائق، والريف الزراعي يفتقر في علاقاته الزراعية إلى وثائق إلا نادراً، فأكثر العقود، ومنها عقود الملكية والمغارسة والمساقاة، تجري شفاهاً، أو تقيّد في وثائق تنتقل من يد إلى أخرى، عبر أجيال عدة، حتى تفقد، وقليل منها ما يجد طريقه إلى التسجيل في المحاكم، أو في سجلات الأراضي. وهكذا بات صعباً، بل متعذراً في أحيان كثيرة، دراسة تطور الملكية الزراعية، ومعرفة أصول المالكين، وأماكن إقامتهم، حاضرين أو غائبين في مدن أخرى، وطبيعة الرسوم والضرائب المفروضة، والمستويات المعيشية للفلاحين، ونوع العلاقات التي تربطهم بالمالكين، ونحو ذلك.

من هنا، فإننا عمدنا في هذه الدراسة إلى استقصاء كل ما من شأنه أن يلقي ضوءاً على تاريخ هذه القرى، وبخاصة في العصر العثماني، معتمدين جملة وافرة من الوثائق التي لم توظف - فيما نعلم - في دراسة عنها من قبل.

وتأتي الوثائق الوقفية، المتمثلة في الآلاف من الوقفيات، والحجج الوقفية، والإعلامات الشرعية، مما تحتفظ به وزارة الأوقاف سابقاً، لتقدم مادة جديدة تماماً تفيد الباحث من حيث تسجيلها لأسماء عدد آخر من القرى، ومقادير ضرائب البعض منها، وتعيين حدودها بدقة، ومن تلك الحدود أنهار وبساتين وقرى أخرى، ما كنا لنعلم به لولا ذلك التحديد، وبعض الوقفيات يكشف، في ثناياها، عن ظروف تأسيس هذه القرية أو تلك، أو يسجلها بأسمائها القديمة، التي نسيت وحلت محلها أسماء جديدة أخرى، فكشف من ثم عن بعض مراحل حياة تلك القرى. ومن ناحية أخرى، فإن هذا النوع من الوثائق حريص على تسجيل أسماء أصحابها من المالكين الذين وقفوا ما لهم من عقارات هناك، بل تسجيل أسماء من يختارونهم لتولي الوقف من بعدهم، والجهات التي ترصد لها هذه الأوقاف، إن كانت ذرية أو خيرية عامة، وهي بهذا مفيدة لدراسة تطور ملكية الأرض الزراعية، وتعيين أصول المالكين، ريفية كانت أو عسكرية أو مدينة.

وتوضح بعض الوثائق الوقفية نوع الرسوم المستحصلة من القرى، وهي من ثم تكشف عن طبيعة الانتاج الزراعي والحرفي أحياناً الذي تختص به تلك القرى، فالفرمان الصادر بتاريخ أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1570م، يوضح تلك الضرائب على النحو الآتي: في قرية (جديدة) تكون (مقاطعة بويه خانة)، أي الالتزام القطعي للرسوم المفروضة على مصبغة القرية، ومحصول البساتين والحنطة والشعير. وفي قرية عبد الرزاق، تكون الرسوم كالتالي: رسم تعداد الخانات، رسم سر تغار كيالية، وهو رسم يستوفى على كل تغار من الكيل، فضلاً عن رسم الحنطة والشعير. وفي قرية الشيخ دقلي، تتألف الرسوم من محصول البساتين عن شلب ورز وحنطة وشعير، مما يشير إلى أن السجلات كانت تميز بين الرسوم بحسب تنوع الحاصل الزراعي كما نرى.

إن جميع القرى التي تذكرها سجلات الأوقاف كانت موقوفة على مؤسسات دينية أو خيرية أو على ذرية الواقفين أنفسهم، وكان متولو هذه الأوقاف يمنحون

هذه القرى وما يتبعها من مزارع وحقول وأنهار ومستغلات أخرى على سبيل الالتزام مدى الحياة، وهو ما تعرفه الوثائق نفسها باسم (مالكانة)⁽¹⁾. وقد شمل هذا النظام الأراضي الموقوفة في العصر العثماني، كما شمل أيضاً تلك الأراضي التي جرى وقفها في العصور السابقة، مثل البساتين التي كان قد وقفها أمين الدين مرجان على مدرسته المرجانية ودار الشفاء سنة 760هـ/1358م. وبالطبع فإن ما تذكره هذه السجلات ليس هو جميع ما في ديالى من قرى، وإنما هو يمثل جانباً مهماً منها.

وبحسب القوانين العثمانية المبكرة في العراق، تعد منطقة ديالى ضمن سنجق (لواء) بغداد، وهو اللواء المركز لإيالة بغداد، التي تتألف من ثمانية عشر لواءً، ولهذا الوضع مبرراته العسكرية، على أساس أن المنطقة تعد الحاجز الأهم لأي تعرّض عسكري تقوم به إيران، وهي الممر الأقرب إلى بغداد، كما أن له مبرراته الاقتصادية أيضاً، بوصف منطقة ديالى تعد المورد الرئيس لإحتياجات بغداد، وبخاصة الجانب الشرقي منها، من الغذاء. ولا تكشف لنا قائمة عين علي أفندي المعنونة (قوانين آل عثمان فيما يتضمته دفتر الديوان) عن أسماء الوحدات الأدنى التي يتألف منها هذا اللواء؛ وإذ تكفي بالقول أن الراتب السنوي لأمير اللواء (وهو برتبة مير ميران، أي أمير الأمراء) يكون على شكل (ساليانة)، أي أنه يقدم دفعة واحدة سنوية من الخزينة المركزية مباشرة، يصبح مفهوماً أن اللواء لم يكن مُقسماً إلى وحدات إقطاعية عسكرية بموجب نظام التيمار العثماني، وهي الوحدات التي كان عليها دفع جزء من وارداتها بصفة ضرائب يستوفيهها القادة العسكريون، الذين يتولون مهاماً إدارية، عادة. كما أننا لم نلمح، فيما راجعناه من وثائق، أسماء لوائح من هذا النظام، خاص، وزعامت، وتيمار.

ولنا أن نلاحظ أن الوثائق الوقفية التي راجعناها تسمى جميع التجمعات السكانية في اللواء (قرى)، فهي بذلك لا تميز بين أنواع هذه التجمعات، من حيث الكثافة أو المساحة أو الأهمية الإدارية. وتسجل الحجج الوقفية والإعلامات الشرعية المتأخرة أسماء قرى جديدة في مواضع حددتها الوقفيات المبكرة، وإن لم

(1) ينظر: جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة 1971، ج2 ص84.

تشر إلى وجود تلك القرى في زمن تلك الوقفيات، ففي الفرمان الذي حصل عليه السيد علي أفندي نقيب الأشراف ببغداد، من السلطان محمود الثاني، المؤرخ في أوائل شهر جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1845م، نقرأ أن عدداً من القرى كان مدوناً في الدفتر العتيق باسم (نُقرات)، أي جماعات فلاحين لا أكثر.

وتنقسم منطقة ديالى، في العصر العثماني، إلى ثلاث وحدات، تسمى كل منها (ناحية)، وهي ناحية خراسان، أو خريسان، أو طريق خراسان، وناحية شهربان (المسماة فما بعد بالمقدادية)، وناحية مهرود (المسماة كنعان)، بيد أن تبعية القرى لكل من هذه النواحي غير ثابت تماماً، فأبو جسر مثلاً كانت تعد في القرن العاشر للهجرة (16م) من أعمال مهرود، بينما عدت، في منتصف القرن الثالث عشر (19م) من أعمال طريق خراسان. وبعقوبة كانت تعد في القرن العاشر للهجرة من توابع خراسان، بينما عدت في أوائل القرن الحادي عشر من توابع شهربان. هذا بينما نجد دفاتر الأراضي المعدة في أوائل عهد الدولة العثمانية في العراق تسمى كل ناحية من هذه النواحي، باسم (بلوك)، فثمة بلوك خالص، وبلوك طريق خراسان، وبلوك مهرود (دفتر 1028 الورقة 29-30). والبلوك مصطلح تركي عسكري بمعنى الفُوج، فيكون ثمة فوج من الجنود الإنكشارية في مركز كل واحدة من هذه النواحي.

وتقديراً لأهمية هذه الجوانب، فقد عمدنا إلى استقصاء المادة التاريخية المشتتة في هذه الوثائق الوقفية، مما يمكن أن يلقي ضوءاً على تاريخ القرى في منطقة ديالى، في الحقبة الممتدة من أوائل العصر العثماني وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وهي الحقبة التي لما تزل في حاجة إلى مزيد من البحث والدرس. وذلك على النحو الآتي:

أبو جسر

هي (باجسراً) كما في المصادر الإسلامية، بلدة قديمة يدل اسمها الآرامي (الذي يعني: بيت الجسر) على أن وجودها سبق العصر الإسلامي بمدة ليس من المستطاع تحديدها. وصفها ياقوت (القرن السابع للهجرة) بقوله «بليدة في شرقي بغداد، بينها وبين حلوان، على عشرة فراسخ من بغداد، وهي عامرة نزهة كثيرة النخل والأهل».

غاب ذكر باجسرا في القرون التالية، وأول وصف لها، ولمنطقتها، ورد في وقفية السيد زين الدين القادري المؤرخة في 15 رجب سنة 978هـ/ 1570م. ويلاحظ أن اسمها، كما في الوقفية، هو (نهر باجسرا)، فكأنها نُسبت إلى النهر الذي تسميه الوقفية نفسها (عامود باجسرا). ويفهم من هذه الوثيقة أن القرية كانت تُعد من أعمال مهروود، وأنها اتصفت بالسعة، وثمة تفاصيل مهمة عن أنهار القرية، وحدودها، وبساتينها ومزارعها، والقرى المحاذية لها، مما لا نجد مثله في المصادر التاريخية غالباً. وفيما يأتي نص ما ورد بشأنها « وذلك جميع الأراضي والمزارع الواقعة في القرية الكبيرة المعروفة بنهر باجسرا، من أعمال ناحية مهروود، الواقعة بغربي شط مهروود، المحدودة بحدوده الأربع (كذا والصحيح أربعة). الحد الأول: أراضي حَرَبْتَيْلَه، والحد الثاني إلى أراضي الزاوية، ويتم الحد إلى عامود بناجسرا (كذا وربما هو تحريف باجسرا) ولها فيه نهر ينزع الماء من شط مهروود، يعرف ببطونيا، وإلى نهر المحولة، والحد الثالث: إلى نهر ساطي، ويتم إلى أراضي أبي طابة والأراضي الخاتونية، والحد الرابع: أراضي تلمسير (= تل مسير)، ويتم الحد إلى أراضي بدنية وتعرف بمَخَيْسَة، بجميع حدودها وكافة حقوقها وتوابعها ولواحقها وأراضيها ومزارعها وأهوارها وأنهارها وسواقيها ومساقيةها وشروبيها ودروبيها .. الخ».

وأكدت سجلات أراضي ولاية بغداد، التي أعدت في مطلع الحكم العثماني في العراق، هذه الوقفية، إذ أشارت إلى أن من أوقاف الشيخ عبد القادر (باجسرا) (دفتر 1028 ص 405). ونقرأ في الضرمان السلطاني، المؤرخ في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/ 1845م ما يفيد بأن مجموع الرسوم المستحصلة من مالكانة القرية ورسومها يبلغ 25830 آقجة، وأنها تابعة إلى ناحية طريق خراسان.

ويطلق اسم أبو جسره اليوم على عدة قرى متقاربة، هي: أبو جسره الحساوية، وأبو جسرة السعيدات، وأبو جسره أبو جريش، وركبة أبو جسرة. وكان الشيخ محمد صالح السهروردي قد زار أبوجسرا في 26 تموز سنة 1941، فذكر أن بساتين أبو جسره « هي وقف القادرية» ونوّه بأسماء عشائرها، وقال « وبساتينهم تربو على الستين بستاناً، وفيها شجر العنب، وأهلها أهل دين وأهل قرى، وهم أهل سنة وجماعة وشيعة، بينهم المحبة، ولا مسجد فيها.. ويستوفى من حاصلات الشتوية والصيفية العشر وثلاثة عشر فلساً من كل نخلة.. وغرب أبو جره مقام

محمد الصبر داخل البساتين، ومقام جابر بن علي الهادي شرقي أبو جسره، وفي بساتين علي الحسن وكاظم الناصر تل كبير قديم».

أبو صيدا

تحرف اسمها من اللفظة الآرامية (باصيدا) وتعني (بيت الصيد) أو موضعه، وعرفت باسمها الآرامي هذا في المصادر الإسلامية. وسماها ياقوت (بصيدا)، ورسم حروفها كالآتي (بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة ودال مهملة، مقصور)، وعدها « من قرى بغداد».

وفي وقفية السيد زين الدين القادري المؤرخة في 978هـ/1570م، نجد أن أبوصيده تعد قرية من أعمال ناحية خراسان، وتُفصّل الوقفية في ذكر حدود هذه القرية فتقول « ومن الأملاك التي ما هو ملكه وحقه بلا مانع، وفي يده وتصرفه بلا منازع، وذلك النصف التام من جميع الأراضي والمزارع والرقاقات (جمع رقة، وهي الأرض المنخفضة الكثيرة المياه) الواقعة في أراضي قرية أبي صيده من أعمال ناحية خراسان، المحدود بحدود أربع: الحد الأول: قرية الزهيرات، والحد الثاني: شط ديالى، والحد الثالث: قرية القبة، والحد الرابع: شط جلولاء، بحدودها وكافة حقوقها وتوابعها .. الخ».

وتشير الوقفية في موضع آخر إلى إحدى تلك الرقاقات، وهي (رِقَّة الرحي)، وتعين حدودها بدقة مما كشف عن أسماء بعض الأماكن في القرية المذكورة، فنقول « ومن الأملاك التي ما هو حقه وملكه بلا مانع.. وذلك جميع أراضي ومزارع رقة الرحي الواقعة في أراضي قرية أبي صيده من أعمال ناحية خراسان المحدودة بحدود أربعة، الحد الأول: ساور الكليلة، والحد الثاني: ديالى، والحد الثالث: رقة المخيسة، والحد الرابع: بجرف الدائر من ساور الكليلة إلى رقة المخيسة بجميع حدودها وكافة حقوقها وتوابعها .. الخ».

وفي 18 محرم سنة 1193هـ/1779م قدم متولي الأوقاف القادرية علي أفندي عريضة إلى ديوان بغداد تضمنت «أن البساتين الحاوية على أشجار التوت في أراضي النهر المعروفة بأراضي كليلة الواقعة في قرية أبو صيدا الكبيرة، من قرى الأوقاف، تعود ملكيتها إلى السيد عثمان، والسيد عبد القادر، والسيد إسماعيل،

والسيد أبو بكر، والسيد عبد الله، والسيد أحمد، والسيد محمود، والسيد محمد، والسيد عبد الرزاق، والسيد سلمان، والسيد إبراهيم، من ذرية الشيخ عبد العزيز من أولاد عزيز الكرام المشار إليه، وإن حُمس ميري هذه البساتين يعود إلى جانب الوقف والعقد الملكية، وربع الحاصل تعود لهم، وبمرور الأيام قد صار أكثر من ثلث البساتين المذكورة في حالة التلف والخراب، وصار الفلاحون في حالة يرثى لها، وإن السادة المذكورين قد تعهدوا بالسقي لتعمير كافة البساتين المذكورة، وبداء بدل حُمس الميري، وهو مائة غرش رومي سنوياً لجانب الوقف، فيرجى توجيهها إلى المومى إليهم قبل سرّاية (سرّيان) الأضرار إلى القسم الباقي، وذلك حفظاً للوقف من الضرر، وترقيهاً لحال الرعاية (الرعية)؛ وعليه فقد صدر الأمر من محافظ بغداد صاحب الدولة حسين باشا (حسن باشا) بتوجيهها إلى السادة المومى إليهم، على أن يؤدوا مائة غرشاً رومياً مقطوعاً سنوياً بدل الخمس الميري لجانب الوقف، وتسجيله في محله، وإعطاء تذكرة الديوان، لذا قد جرى التوجيه بموجبه وسجل بمحله وأعطيت بيدهم تذكرة الديوان، وعليه فإن السادة المومى إليهم، بعد أن يؤدوا المبلغ المذكور، وهو بدل حُمس الميري كافة البساتين لجانب الوقف، أن يتصرفوا بها، وليس لأحد من المتولين أو الآخرين أن يعارضهم في نظرهم. تحريراً في 18 محرم سنة 1193 للهجرة». (سجلت هذه الوثيقة قي مديرية أوقاف بغداد، السجل 14 ص88).

وفي الفرمان السلطاني، المؤرخ في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1845م ما يفيد بأن قرية أبو صيدا الكبرى وقرية أبو صيدا الصغرى، مع عدد من القرى والأنهر « تعطى بالالتزام كلها معاً ».

وتبعد أبو صيدا عن مركز قضاء المقدادية (شهربان سابقاً) بنحو 25 كيلومتراً، وهي مركز ناحية تابعة للقضاء المذكور.

أبو طابة

قرية عامرة تتبع إدارياً ناحية أبو صيدا. سكنت عن ذكرها المصادر التاريخية، وورد اسمها أول مرة في وقفية السيد زين الدين المذكورة، إذ أشارت هذه الوقفية إلى أن من حدودها « الحد الثالث إلى نهر ساطي، ويتم إلى أراضي أبي طابة والأراضي الخاتونية ».

أبو كرمة

في الإعلام الشرعي المؤرخ في ربيع الأول سنة 1260هـ/1844م إشارة إلى « قرية المخيسة المحدودة أولاً بأرض أبو كرمة، وثانياً بأرض العلوان، وثالثاً بأرض الدائر، ورابعاً بديالى، والحدود الثلاثة من أوقاف حضرة الشيخ قدس سره أيضاً ». وتؤكد هذا التحديد بموجب الفرمان الصادر في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1845م.

إمام جيزاني

قرية عامرة من أعمال الخالص. وقف فيها والي بغداد داود باشا (1232-1247هـ/1816-1831م) «باغجة (حديقة) جديد»، ولم تحدد الوقفية هوية جديد هذا، ولكنها تذكر الاسم في موضع آخر بشكل (الجديد)، حيث تحدد هذه الباغجة بأنها « المحدودة من جهة ببستان الجديد، ومن جهة ببستان التكي، ومن جهة بقرية جيزاني، ومن جهة بساقية قصب، ومن جهتين بالطريق العام»، وذلك على مصالح المدرسة الداودية التي أنشأها في جامع الحيدر خانة ببغداد في 3 رمضان 1235هـ/1819م.

وفي وقفية زمزم خاتون بنت محمد آغا، على ابن زوجها وذريته، المؤرخة في 16 ربيع الثاني سنة 1284هـ/1867م نقرأ أن من حدود السنديّة، أراضي جيزاني.

بدورية

قرية من أعمال ناحية خراسان. أشارت إليها وقفية السيد زين الدين القادري سنة 978هـ/1570م بوصفها من حدود قرية دورة من أعمال تلك الناحية. وفي سجلات أراضي ولاية بغداد، التي أعدت في مطلع الحكم العثماني في العراق، نقرأ أن من أوقاف المدرسة الأصفهانية ببغداد، وهي مدرسة غابت أخبارها تماماً، (مالكانة قرية بدورية، تابعة طريق خراسان) وأن محصول الوقفية كان يبلغ 9800 آقجة⁽¹⁾

بركنية

أشارت السجلات العثمانية (دفتر 1028) إلى هذه القرية باسم (قرية برقانية)، بوصفها من القرى التي كانت تدر مالاً لخزينة بغداد، وترددت الإشارة

(1) دفتر 1028 ص 405.

إليها في الوقفيات المتأخرة بوصفها من أعمال مهروت (مهروود). وكان السيد عبد العزيز أفندي متولي الأوقاف القادرية ونقيب الأشراف، قد «قدم عريضة إلى ديوان بغداد، خلاصتها أن أربعة فُدن، شتوي وصيفي، من قرية برقنية التي هي من أوقاف العزيز المشار إليه (يريد السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني) على الوجه المعاف، وإن ثلث نهر خر السمك التابع للوقف الشريف مسجلة باسم السيد صالح، ونظراً لوفاته فقد طلب المتولي المومى إليه توجيهها إلى أولاده الصُلبين: حسين، والسيد حسين فيض الله، والسيد عبد الرحمن، باعتبارها من محلول المتوفى المرقوم، ولدى النظر في السجلات المحلية، قد تبين من التحشية أن الأربعة فُدن الشتوي والصيفي من قرية برقنية، هي من أوقاف حضرة الشيخ عبد القادر الجيلي، وأنها مسجلة بوجه المعاف مع ثلث نهر خر السمك، البالغ مقطوعها عبارة عن شتوي ثلاثة وزنات وثمانية قيات حنطة، وستة وزنات ومئتين وأربعة قيات شعير، وصيفي ثمانية وزنات حنطة، وأنها مسجلة باسم السيد صالح، وعليه فقد صدر بيورلدي محافظ بغداد دار السلام، الدستور المكرم، والمشير المفخم، نظام العالم، الوزير النقي الضمير، آصف نظير، مشتري تدبير، صاحب الدولة والعناية، حضرة داود باشا، أدام الله تعالى إجلاله، ومضمونها توجيه معافيه الأربعة فُدن مع ثلث الحصة المقطوعة المَعِيَّنة من النهر المذكور إلى المرقومين بوجه الاشتراك، لأنها محلول أبيهم، وصدر الأمر العالي بتسجيلها في محلها، وإعطاء تذكرة الديوان، وبموجبه توجهت إليهم، وبعد التسجيل في محله أعطيت بيدهم هذه تذكرة الديوان، وفيما بعد فإن السيد حسين والسيد فيض الله والسيد عبد الرحمن، يجب عليهم أن يضبطوا ويتصرفوا بالمعافية وبالمقطوع المعينين من ثلث النهر المذكور على وجه الاشتراك، وأن لا يتداخل أحد، لا من قبل المتولين، ولا من قبل الآخرين بالمعافية والمقطوعية العائدة لهم، حرر في 16 ر سنة 1244»، [1828م]

ونقرأ في فرمان السلطاني، المؤرخ في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1845م ما يفيد بأن مجموع الرسوم المستحصلة من برقانية، التابعة لناحية مهروت، بلغت 62313 آقجة، وأن الثلثين منها وقف باسم الشيخ شهاب الدين السهروردي، وربع واحد تصرف كتخداً فلاح، وسهم واحد من 12 سهم «في تصرف مولانا شمس الدين بن عبد الله وفقاً للحجة الشرعية، وقد دون في تحت ذلك بأن حصة الوقف تبلغ 2140 آقجة، أما حصة الآخرين فتبلغ 1068 آقجة».

بروانة

قرية تتبع مركز قضاء المقدادية، كثيرة النخيل والكروم، وتستمد مياهها من نهري ديالى وخريسان. يرقى تأسيسها إلى الثلث الأول من القرن الثامن عشر، ففي وثيقة مسجلة في المحكمة الشرعية ببغداد، مؤرخة في سنة 1254هـ/1838م، نقرأ أن الأرض الكائنة بقرب خرق البروانة، كانت قبل الحصار، أي حصار نادرشاه مدينة بغداد سنة 1156هـ/1743م، من الأوقاف المرصدة على خدمة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد، ومع ذلك فإنها خربة وخالية من المحصولات، فقام رجل يدعى حمدان، بقطع ما فيها من قصب، وزرعها وعمرها، مما أدى إلى تسمية الأراضي المذكورة باسم الحمدانية نسبة إليه. وتشير الوثيقة إلى أن إهمالاً أصاب الأرض بعد ذلك، فعادت خالية، غير عامرة، حتى نهض المدعو خضر، فاستأذن الجهات الوقفية بتظيفها من الأعشاب الضارة، وزرعها، وغرس البساتين، ولما أذنت له، قام هو، بماله ورجاله، بتعميرها تعميراً بديعاً، على النحو الذي وعد به، وذلك مقابل دفعه عشر حاصلات البساتين إلى جهة الوقف، ثم طلب من والي بغداد آنذاك، أحمد باشا(الذي تولى منصبه من 1136-1147هـ/1723-1734م ومن 1149 إلى 1160هـ/1736-1747م) أن يصادق على هذا العمل، فصدر أمر الوالي بذلك على أن يقوم خضر المذكور بحفر النهر، أي كرى نهر خريسان، وقطع الزور، وزراعته على وفق الأصول، على أن يؤدي العُشر إلى متولي الوقف في كل عام.

ويسمى الفرمان الصادر في أوائل ذي الحجة سنة 1261هـ/1845م هذه القرية باسم (بروانة حمدانية)، نسبة إلى مؤسسها حمدان المذكور.

وهكذا ولدت بروانة، فقد أقام فلاحو الأرض الزراعية الذين استقدمهم خضر للعمل فيها في دور، سرعان ما أصبحت نواة لتجمع فلاحي صغير، أخذ بالنمو لتصبح قرية زاهرة.

بعقوبا

بلدة كبيرة تعد اليوم مركز محافظة ديالى، ومن المؤكد أن اسمها آرامي قديم، وإن لم يكن من المحدد معناه تماماً. ولقد تردد اسمها في مصادر العصر الإسلامي بوصفها من أغنى قرى شرقي بغداد. قال ياقوت « قرية كبيرة كالمدينة، بينها وبين

بغداد عشرة فراسخ، من أعمال طريق خراسان، وهي كثيرة الأنهار والبساتين، واسعة الفواكه، متكاثفة النخل، وبها رُطَبٌ وليمون، يُضرب بحسنها وجوتها المثل، وهي راكبة على نهر ديالى من جانبه الغربي، ونهر جلولاء يجري في وسطها، وعلى جنبي النهر سوقان، وعليه قنطرة، وعلى ظهر القنطرة يتصل بين السوقين، والسفن تجري تحت القنطرة إلى باجسرا وغيرها من القرى وبها حمامات ومساجد...».

ولا تمدنا المصادر التاريخية والبلدانية بعد هذا بأي وصف لبعقوبا، إلا أن الوثائق الوقفية رفدتنا بمعلومات مهمة عن بساتينها وأنهاها وبعض معالمها، من ذلك ما أشارت إليه وقفية الخواجة أمين الدين مرجان، المكتوبة على الآجر، في مدخل خان مرجان، المؤرخة في 760هـ/1358م، حيث جاء فيها إن من أوقاف المدرسة الرجانية ودار الشفاء مما أنشأه ببغداد « بساتين ببعقوبا .. الخ » دون أن تحدد عددها وحدود كل منها.

وأشارت وقفية عواد بن حسين الواسطي (لعلها: الواسطي) المؤرخة في غرة شوال سنة 978هـ/1570 إلى تبعية بعقوبا الإدارية إلى ناحية خراسان، وهي بقية من طريق خراسان القديم، وإلى بعض معالمها الزراعية، وهما باغجتان (حديقتان) فيها، وخر (وهو النهر أو الجدول)، فضلاً عن جامع في البلدة. فنذكرت أن مما وقفه « باغجة (حديقة) تعرف بالخنق في بعقوبة، محدودة بخر الدين، وبقجة شناوة» وذلك على جامع بناه « في بلدة بعقوبة من توابع ناحية خراسان».

وتؤكد هذا الأمر، الوقفية المؤرخة في سنة 1097هـ/1685م فقد ذكر الواقف أحمد جلبي بن محمد الأرناؤوط أنه وقف حديقة (باغجة) « على نهر ديالى، من قرية بعقوبة، التابعة لناحية خراسان».

وتكشف الوقفية المؤرخة في 2 ربيع الآخر سنة 1143هـ/1730م عن ظهور أحد المراقدين المهمة قرب بعقوبا، فنذكرت ما سمته « مرقد حمزة شريف المدفون على نهر ديالى مقابل قرية بعقوبة » وأشارت إلى وقف درويش بن غريب باغجة في قرية بعقوبة على تعمير قبة ذلك المرقد.

بعد نحو ربع قرن، نقرأ في وقفية مؤرخة في شوال 1121هـ/1709م أن البلدة أصبحت تابعة إدارياً إلى شهربان (المقدادية فيما بعد) فنذكرت أن أحدهم (لم

يذكر اسمه) وقف «باغجة في قرية بعقوبة من مضافات شهربان على جامع بعقوبة في شوال 1121» (= 1709م). ولا ندري إن كان هذا الجامع هو نفسه الجامع الذي بناه الواسطي أم غيره.

ويفهم مما ورد في الوقفية المؤرخة 16 ذي الحجة سنة 1169هـ/1755م أن جامع بعقوبة أصبح يضم جهة للتدريس، فقد نوهت هذه الوقفية باسم الواقف، وهو مصطفى أفندي بن الملا محمد أفندي مدرس جامع قرية بعقوبة، ونصت على أنه وقف عقارات عدة، هي «نهر جاير في بعقوبة، وأرض حسن حمزة في بعقوبة، المحدودة بقرية شفته، وبستان نشوة في بعقوبة، وبستان أبو حقب في بعقوبة، ودار الحرم في بعقوبة، والبناء المشيد على الأرض الملاصقة لدار الحرم...» فكشفت هذه الوقفية، من ثم، عن عدة معالم في هذه البلدة في ذلك العهد.

وفي 2 شعبان سنة 1172هـ/1758م وقف عبد الله بك بن شاوي بك شيخ قبيلة العبيد، على ذريته، أوقافاً حمة، كان منها حصص شائعة تبلغ الثلثين من «البستان الواقع في قرية بعقوبة» ولم تحدد حدوده، مما دل على شهرته، وكذلك الحصص الشائعة، البالغة ثلثي «بستان خديجة خاتون الواقع في ناحية خراسان، خارج قرية بعقوبة، المحدود من جهة بملك فاطمة خاتون، ومن جهة بنهر ديال، ومن جهة بالخر، ومن جهة ببستان دولاب».

وفي سنة 1182هـ/1768م وقف مصطفى أفندي بن محمد آغا على ذريته « نصف مزرعة الكوشة في قرية بعقوبة، وخمس الميري المخصص للواقف من المزرعة المذكورة»، وذلك بموجب وقفيته المؤرخة في 16 ربيع الأول من تلك السنة.

وفي الإعلام الشرعي المؤرخ في 25 صفر سنة 1190هـ/1776م تنويه بأسماء عدد من بساتين البلدة، ذلك أن وقف علي بن الشيخ حسن الوكيل على والدته صفية بنت جويجي « ثلاث قطع من البساتين الواقعة في قرية بعقوبة المسماة: بساتين محوط الكبير، ومحوط الصغير، وإسماعيل»، فضلاً عما وقفه في قرية بهرز القرية (أنظر هذه المادة).

وفي 1 جمادى الآخر سنة 1283هـ/1866م وقف السيد عبد القادر بن الحاج عبد الله القنديلجي، شيخ الحلقة في الحضرة القادرية، على ذريته، ثم على فقراء الحضرة القادرية، حصصاً في بعقوبة مسماة ببستان كوشة.

ووقف الحاج أحمد بن إبراهيم آغا سمين بن علي آغا، سهامه في البستان المعروف باسم بستان (ثلث جمالي) في قصبة قرية بعقوبة، بموجب وقفيته المؤرخة في 4 صفر سنة 1304هـ/1886م .

ويفيد إعلام مغارسة مؤرخ في 23 تشرين الأول 1917م/صفر 1336هـ، بأنه لما كان البستان الواقعة في بعقوبة، التي هي من جملة الأوقاف العائدة لأسما خاتون بنت مصطفى آغا، قد صارت أرضاً بيضاء لا انتفاع منها، فقد دفعتها المتولية زكية خانم بنت نجم الدين أفندي، الساكنة مؤقتاً في بعقوبة، بالمغارسة، إلى محمد أفندي نجل المرحوم عبدان أفندي زاده، على أن له نصفاً فيما يفرسه فيها من نخيل وأشجار وغيرها، والنصف الآخر يكون وقفاً على ما شرطه الواقف، وأن مدة المغارسة واحد وعشرين سنة.

وذكر الرحالة بكنكهام سنة 1816م أن بعقوبة « قرية كبيرة مبعثرة تألفت من مساكن مبنية بالطين، وبساتين النخيل، وحدائق وما شاكلها، مختلطة في بنائها، مع سوق بأئس ومسجدين صغيرين». وقال أن القرية يحكمها يوسف آغا، وهو يتبع أسعد باشا (وهو محمد سعيد باشا والي بغداد آنذاك)⁽¹⁾. وفي سنة 1820م كان حاكم القرية يدعى سعدون آغا، وقد التقى به المقيم البريطاني في بغداد كلوديوس رجب في ذلك العام⁽²⁾.

وقال عباس بن رجب البغدادي « هي بلدة عامرة، وسكانها غالبهم مُثرون أهل ضيع وحدائق، وهي كثيرة الخيرات والبركات، ويقال أنها من المدن القديمة»⁽³⁾.

بلد روز

وردت في الوقفيات باسم (بلاد روزين).

وكشف الإعلام الشرعي المؤرخ في 27 رجب سنة 1109هـ/1697م عن جانب من تاريخ هذه القرية، ففيه أن صافية بنت أحمد الساكنة في بغداد، ادعت بأن ناحية بلاد روزين « المحدودة من جهة بمقلب هارونية، ومن جهة بتلال كوركان، ومن جهة ببوزة، ومن جهة بأراضي بقلي» كانت ملكاً لمحمد خيلاني، وأنه وقف

(1) رحلتي إلى العراق، ترجمة سليم طه التكريتي، ج2، بغداد 1968، ص166.

(2) رحلة رجب في العراق سنة 1820، ترجمة بهاء الدين نوري، بغداد 1951، ص278.

(3) نيل المراد في أحوال العراق وبغداد، الورقة 70

ثلثها على حضرة الشيخ شهاب الدين [عمر السهروردي]، ووقف الثلث منها على أولاده وأولاد أولاده.

وفي وقفية الحاجة سَكينة بنت الحاج محمد آغا المؤرخة في 5 ربيع الآخر سنة 1140هـ/1727م أنها وقفت « جدول العامرية في قرية بلاد روزين » على المدرسة والسقاخانه (سقاية مياء الشرب) التي أنشأتهما في بغداد.

ووقفت حسنى خاتون بنت عبد الله بن فتحي « بستان محمد وعبد الله فتحي في قرية بلاد روزين »، على مرقد الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي في بغداد، بموجب وقفيتها المؤرخة في 28 ذي القعدة سنة 1157هـ/1744م.

بَنْدَنِيَجِينَ

بلدة قديمة، قيل أن اسمها معرب من (وَدَدَ نِيكان)، وكانت لها الشهرة العريضة في العصر العباسي، إذ خرجت عدداً من كبار العلماء الذين قصدوا بغداد ومدن أخرى فَرَفَدُوا الحياة العلمية والفكرية فيها¹، وعدها البلدانيون العرب « في طرف النهروان، من ناحية الجبل من أعمال بغداد ». وتحرف اسمها أو تخفف إلى مندليجين، ومندليج، ومندلج، ومندلي، وتعد اليوم مركز قضاء باسمها في محافظة ديالى.

وأول اشارة لها في الوثائق الوقفية، وردت في وقفية أمين الدين مرجان على المدرسة المرجانية ودار الشفاء ببغداد، المؤرخة في سنة 760هـ/1358م، حيث جاء فيها أن مما وقفه « بساتين .. بالبندنيجين، وخان ودكاكين ». وفي سجلات الأراضي التي أعدت في أول عهد الدولة العثمانية في العراق⁽²⁾ أن من أوقاف المدرسة المرجانية ببغداد « مالكانة قرية مندليجين ».

وتشير وثيقة عثمانية مؤرخة في محرم 993هـ/1585م إلى مندلي (وهي مندليجين) بوصفها منطقة قضائية يرأسها قاض، له صلاحية مخاطبة السلطان مباشرة فيما يجد من أمور منطقتة⁽³⁾.

(1) ينظر عن تأريخها في تلك العصور محمد جميل بندي الروزياني: بندنيجين (مندلي) في التاريخ، مجلة المجمع العلمي العراقي، الهيئة الكردية، المجلد 7، 1980

(2) دفتر 1028 ص 405

(3) الأرشيف العثماني، دفتر مهمة رقم 55، ص 104، وثيقة رقم 189، محرم 993.

ونوهت دفاتر الأراضي التي أعدت في أوائل العهد العثماني في العراق،
بمحصول باغات مندليجين، أي بساتينها، منها مزرعة حسن التابعة لمندلجين،
كما أشارت إلى رسوم كانت مفروضة على حمام في البلدة.

وترددت الإشارة إلى أسماء هذه البساتين تفصيلاً في وقفيات العصر
العثماني، ففي وقفية آسيا بنت محمد جلبي المؤرخة في 12 ربيع الآخر سنة
1094هـ/1683م نقرأ أن هذه السيدة وقفت على تكية السيد كاسب أفندي
المعروفة بتكية أوودان، في بغداد، بستانين في مندلي، هما بستان الخان، وبستان
نووجا وروز.

وكشفت وقفية الوزير عبد الرحمن باشا المؤرخة في 5 جمادى الأولى سنة
1098هـ/1686م عن أسماء جملة من المعالم في هذه البلدة، منها « باعجة مشتملة
على أشجار توت، تقع على نهر السوق في قصبة مندليج، محدودة بالنهر المذكور،
ومن جهة بملك الدرويش حسين قولي، ومن جهة بملك منصور بادري، ومن جهة
بالخرق المذكور(يريد نهر السوق)، وكذلك البستان على نهر جني المحدودة من جهة
بطاحونة قولي جاووش ومن جهة ببستان سنان آغا.

وفي 26 محرم 1098هـ/1686م وقف أحد وجوه بغداد، الحاج حسين أفندي
بن عبد الله الغرابي، نصف البستان الواقع قرب (سبع بكرات) في مندلي،
المعروفة بجارديوار. وهذه هي سبع بكرات، أو دواليب، أو كرود، كانت ترفع المياه
إلى مستوى بساتين البلدة، فتسقى منها. ووقف الحاج حسين نفسه بستاناً وثلاث
البستان في القصبة المذكورة، على نهر السوق المعروف ببستان الخان.

وفي الوقفية المؤرخة في رجب من سنة 1109هـ/1697م إشارة مهمة إلى وجود
(ضابط) لمندلي، وهو منصب عسكري بحت، كان يراد به أمر الحامية العسكرية
الموكلة بالدفاع عن البلدة. ففيها أن خليل آغا بن مصطفى، الضابط في قصبة
مندليجين، وقف نصف طاحونة الديوان فيها، على رمضان الخطيب، برسم قراءة
القرآن.

وفي السنة التالية، وقف علي آغا بن سنان آغا بستان جارديوار، في
مندليجين، على نهر السوق، وثلاث البستانين المعروفين ببستان الخان، وبستان
جاور دوز، وبستان شه ديردي آباد. وقد تقدمت بعض هذه المعالم، فسنان آغا هو

نفسه صاحب البستان المذكورة في الوقفية المؤرخة سنة 1098هـ/1686م، وبستان جارديوار هو الذي سبق أن أشير إلى أن نصفه وقفه الحاج حسين أفندي الغرابي. وفي 15 جمادى الأولى من سنة 1113هـ/1701م وقفت خوري بنت منصور بستان سويد في مندليجين على تكية الحاج بكتاش.

وفي 12 ذي القعدة سنة 1136هـ/1723م وقف حسن بن عسكر، من أهالي مندليجين، بستاناً تعرف ببستان محمود علي سفر، تقع على نهر حي، ونهر فلشت، في القصبة المذكورة، وحديقة بوشناق، على نهر حي، المحدودة بالبستان نفسها.

وفي 15 محرم سنة 1157/1743م وقف السيد علي القادري بن السيد إبراهيم بستان برور في ناحية مندليجين، على زاوية ومسجد في شرق جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد.

وتقدم وقفية خليل بشه بن إبراهيم المؤرخة في غرة ربيع الأول سنة 1180هـ/1766م معلومات عن إنشاء هذا الواقف مسجداً قرب « حضرة السيد عبد الرحمن بن زين العابدين في مندليجين»، وأنه وقف خمسين شجرة نخل على نهر جني، ومزرعة على نهر أوقي، في مندليجين، على مصالح هذا المسجد. وتشير الوقفية إلى منصب جديد لم نسمع به في الوثائق السابقة، هو (سردار مندليجين)، فمن شهود هذه الوقفية من اسمه محمد آغا بن ولي زاده سردار مندليجين، والسردار هو قائد الجيش، فتكون ثمة حامية عسكرية في البلدة في ذلك التاريخ، كما أن من شهودها أيضاً من اسمه أحمد آغا وكيل ضابط مندليجين، والضابط هو القائد العسكري لموقع البلدة، وليس من المحدد العلاقة بين المنصبين. ويلاحظ أن القاضي الذي أمضى الوقفية هو (يعقوب القاضي بقصبة مندليجين)، مما يدل على عد البلدة منطقة قضائية مستقلة.

ووقف علي بن عبد العزيز من سكان مندليجين بستان الدولاب على نهر السوق في مندليجين، المحدود بالنهر، وبالقلعة العتيقة، وبالطريق العام، وبستان آخر على النهر المذكور، وبستان ثالث يسمى قطعة الملا رضا على النهر المذكور أيضاً، وذلك على مساكن المدينة المنورة، بموجب وقفيته المؤرخة في 10 ذي القعدة سنة 1183هـ/1769م. وقد صادق على الوقفية كل من يعقوب قاضي مندليجين، والسيد عبد الله القاضي ببغداد.

ووقف من يدعى (وجانة) على ذريته « أرض الساقية على نهر أدتي في مندليجين، المحدودة بوادي النفط، وبأرض تمر خان، وبالجبيل، وبييدر الحبوب»، وذلك بموجب الإعلام الشرعي المؤرخ في صفر سنة 1169هـ/1755م.

وتشير وقفية الحاج عبد الرحمن بن شكر بن عبد الله، على ذريته، المؤرخة في 6 صفر سنة 1183هـ/1769م إلى معالم في البلدة، هي « مقهى ومصبغة في سوق قزازخانه في مندليجين».

ووقف علي كهيه بن مصطفى، من قرية ده شيخ، في مندليجين، على ذريته، « بستان التوت أنارستان في مندليجين، فضلاً عن عقارات أخرى في قريته (أنظر هذه المادة) بموجب وقفيته المؤرخة في ربيع الثاني سنة 1183هـ/1769م .

وكان مما وقفه الحاج عبد الله بك بن الحاج محمد آغا على جامع الأحمدية في الميدان ببغداد بستان توران في مندليجين، بموجب وقفيته المؤرخة في سنة 1223هـ/1808م.

ووقف الملا موسى القادري النقشبندي [البندنجي]، من سكان قصبه مندليجين، بستان الملا جمعة الواقع على نهر باغ من أنهار القصبه المذكورة، على التكية التي أنشأها في القصبه المذكورة، بموجب وقفيته المؤرخة في 19 ربيع الأول سنة 1223هـ/1808م .

ووقفت حيات(حياة) خاتون بنت الشيخ عيسى أفندي بن الشيخ موسى أفندي [البندنجي] أسهمها في «جميع البستانين الكائنين في قضاء مندلي، المشهورة إحداهما ببستان حواش، وثانيهما ببستان بُزرك» على نفسها، ثم على ذريتها، ثم على تعمیر تكية الشيخ موسى في مندلي وما يفضل لذرية جدها المذكور، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في سلخ شوال سنة 1309هـ/1891م، وقد جعلت التولية لمدرس ومرشد التكية المذكورة.

وفي وقفية صادق بك بن سليمان باشا المؤرخة في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ/1817م نقرأ أن مما وقفه على ذريته « البستان المعروف ببستان أرناؤوط في مندليجين».

ووقف الملا محمد بن مصطفى كهيه حصته « البالغة نصف البستان الواقع على نهر السوق من أنهار قصبه مندليجين، وفي قطعة يوسف تمر خان في البستان

المذكور، وفي القطعة المسماة (جمعة شيرينه تونكلي) الواقعة في البستان المذكور على المسجد الذي أنشأه في محلة بوياقلي (الصباغين)، وذلك بموجب وقفيته المؤرخة في 19 شوال سنة 1235هـ/1819م، وقد صادق على الوقفية قاضي مندليجين موسى واعظ زاده، ومن شهودها شاهين آغا ضابط مندليجين.

ووقفت صالحه خان بنت الشيخ السيد علي البندنجي القادري « بستان رجب الواقعة على نهر السوق من قصبة بندنجين، وقطعة البستان الشهيرة بقطعة فاطمة خان الواقعة في المحل المذكور» على ذريتها، وعلى فقراء تكية السيد علي البندنجي ببغداد، وذلك في وقفيتها المؤرخة في 14 صفر سنة 1257هـ/1841م.

وفي الإعلام الشرعي المؤرخ في 3 رجب سنة 1325هـ/1907م نقرأ أن الملا محمد علي بن عبد اللطيف ادعى بأن مما وقفته مريم بنت سيد إبراهيم بن سيد حسين « قطعة الباقجة الواقعة على نهر فلشت بقضاء مندلي» على ابن ابنتها حياة بنت الشيخ عيسى بن موسى البندنجي، وعلى وجوه الخير.

وفي 5 صفر سنة 1338هـ/وقف أحمد آغا بن عبد اللطيف آغا جميع البستان الواقعة على نهر باغ المسماة حصار دلي يوسف المرقم 4 المحدود قبلة ببستان عبد الكريم جلبي، ويتم في بستان ورثة سلمان بن ناعس، وشمالاً حصار المسمى دلي يوسف العائد إلى سيد صالح آغا، وشرقاً البستان العائد إلى عبد الكريم جلبي بن الحاج محمود، على أن تتفق ثلاثة أسهم على الجامع الكبير في محلة سوق الكبير، إحدى محلات مندلي، وسهم واحد إلى عباس بن محمد بن فتاح ثم ألى أولاده.

بني سعد

أرض أشير إليها في دفاتر الأراضي العثمانية الموضوعة في القرن العاشر للهجرة (16م) بوصفها (موضع) تابع لبغداد، ونوهت بحاصلاتها الزراعية⁽¹⁾. وفي سنة 1100هـ/1688م، عني والي بغداد عمر باشا (1099- 1101هـ/ 1687- 1689م) بتمهيد الطريق الممتد ما بين بغداد وبهرز بعدما كان مهملاً، وسهل على الناس المرور به حسبة لله، كما أمر ببناء خان كبير محكم في هذا الموضع

(1) دفتر 1028، الورقة 60.

عرف بخان بني سعد⁽¹⁾، فعرف المكان بخان بني سعد، وهو اليوم مركز ناحية تابعة لقضاء الخالص.

بهرز

قرية عامرة من أعمال بعقوبة، قريبة منها، تردد ذكرها في كتب البلدانين العرب، بأسماء مختلفة: بوهرز، بوهريز، بهروز. ووصفها ياقوت بقوله « بوهرز، بالضم ثم الفتح وسكون الهاء وكسر الراء وزاي، قرية كبيرة ذات بساتين، وبها جامع ومنبر قرب بعقوبا، بينها وبين بغداد ثمانية فراسخ، روى بها قوم الحديث».

وقد وقف أمين الدين مرجان بعض بساتينها على المدرسة ودار الشفاء اللذين أنشأهما في بغداد سنة 760هـ/1358م، دون أن يسمى أيًا من تلك البساتين، فقال في تلك الوقفية « وبساتين بباقوبا وبوهريز».

ويسمى المسأحون العثمانيون الأوائل في العراق البلدة باسم (بهريز)، ويعدونها تابعة لطريق خراسان، ففي سجلات أراضي ولاية بغداد، التي أعدت في مطلع الحكم العثماني في العراق، نقرأ أن (بهريز) كانت تضم (مالكانة) موقوفة على المدرسة المرجانية ببغداد، وأن ضرائبها كانت تقدر عهد ذلك بـ 100 آقجة⁽²⁾

وترددت الإشارة إلى أنواع الفاكهة التي كانت تزرع في بهرز في الوقفيات التالية، ففي الوقفية المؤرخة سنة 1133هـ/1720م وقف الحاج علي أفندي بن مراد أفندي على الجامع الذي أنشأه ببغداد « حديقة وبستان عنب في قرية بهرز».

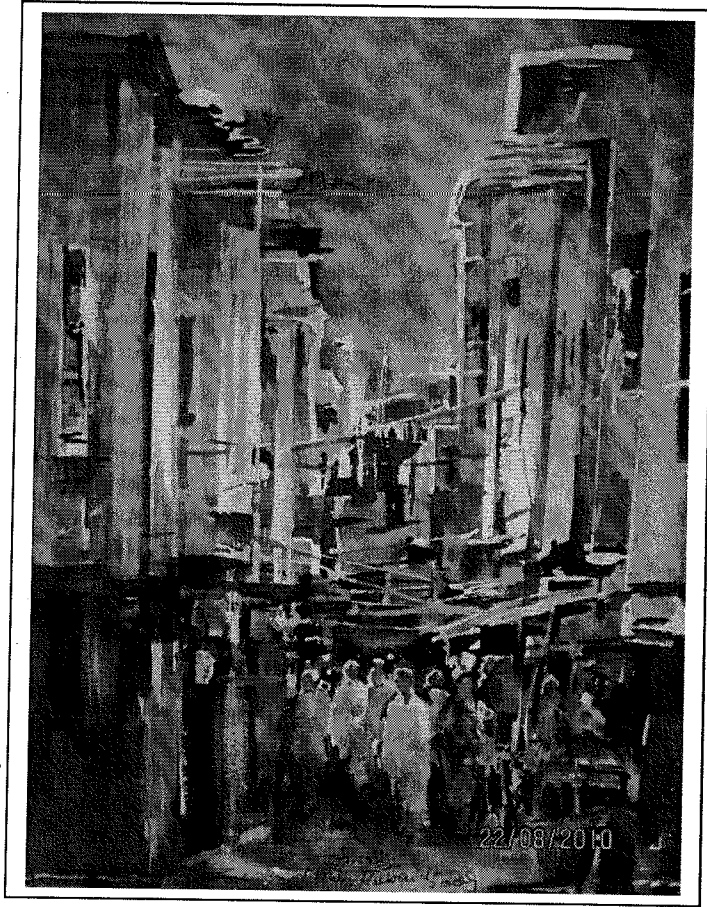
ثم وقف مصطفى أفندي بن ملا حمد مدرس جامع بعقوبا حديقة التوت المسماة بملا سلطان في قرية بهروز على ذريته، وذلك في وقفيته المؤرخة في 16 ذي الحجة سنة 1169هـ/1755م. وكان الشيخ محمد صالح السهروردي قد أشار إلى أن «جامع بهرز يعرف بجامع كوجك عمر آغا». (الجواهر المضئية، مخطوط).

وتشير وقفية إبراهيم آغا بن الشيخ حسب الله، المؤرخة في 2 ربيع الآخر سنة 1184هـ/1770م إلى أحد المعالم المهمة في البلدة، والتي لما تزل شاحصة فيها، وهو

(1) مرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد 1971، ص287، وليس في الترجمة إشارة إلى بناء الخان، وهو موجود في الأصل التركي، الورقة 106.

(2) دفتر 1028 ص405.

المرقد المنسوب إلى النبي دانيال، فقد وقف إبراهيم المذكور بستاناً في قرية بهروز على هذا المرقد .



سوق قرية بهرز بريشة الفنان منير العبيدي

وفي 27 شعبان سنة 1185هـ/1771م وقفت فاطمة خاتون بنت بكتاش بن السيد ولي «نصف بستان القاص على نهر السوق في مندليجين، وهر الحقانية الكبير، والصغير، ونصف نهر أبو زاوية الواقع في مقاطعة نهر شاهي» على جامع النعمانية التي أنشأته في محلة الشط ببغداد .

وفي الإعلام الشرعي المؤرخ في 25 صفر سنة 1190هـ/1776م تنويه بأسماء عدد من أنهار البلدة، مما كان يسقي بساتينها، ذلك أن وقف علي بن الشيخ حسن الوكيل على والدته صفية بنت جويجي بستان سويف الواقع في قرية بهرز، والأنهار

التابعة لها، وهي: نهر كسلان، ونهر مطلق، ونهر بحيرة، ونهر قصب، ونهر مقلي الصغير.

وقال عباس بن رجب البغدادي « بهروز، ويسمىها العوام بهرز بحذف الواو، وهي قرية لطيفة على طرف شط ديالة، تسقى من نهر خراسان المذكور، يعبر إليها بالسفن، فيها مسجد جمعة وعدة مساجد آخر، وفيها قبر عظيم الضخامة ليس عليه قبة يقال أنه قبر نبي الله دانيال، وفيها مشهد الشيخ شهاب الدين السهروردي والد صاحب عوارف المعارف الشيخ عمر رحمهما الله تعالى، قد اتخذ أهل البلد عليه مسجداً.. وبهروز ذات حدائق وبساتين كثيرة وثمرات طيبة وفواكه يانعة وكروم تفضل كروم العراق، ويصرب فيها المثل، غالبها يحمل إلى بغداد، وذكروا أنها من القرى القديمة»⁽¹⁾.

بُوزجة

قرية عامرة من أعمال المقدادية، تعرف اليوم باسم (بودجة) بالبدال المهملة، ولم تذكرها البلدانيات الإسلامية، ولكن ورد اسمها أول مرة في وقفية الخواجة أمير الدين لطف الله الخازن بن خواجة شمس الدين محمد بن خواجة جلال الدين إسماعيل على مرقد قنبر علي في بغداد، وعلى معيشة الفقراء والمساكين فيه، وذلك في غرة رجب سنة 894هـ/1488م. وقد أوردت الوقفية حدود القرية على النحو الآتي:

«أراضي ويسوط وأنهار وأهوار قرية بوزجة من أعمال طريق خراسان، بحدودها: نهر البازي، ونهر أراضي البغيل، وتيمر، إلى أراضي قازانية، إلى الشيخ أبو جوان، وأراضي القازاني، وشط جلولا».

بيرة

وقفت عائشة خاتون بنت محمود أفندي آل نظمي « المزرعة المعروفة باسم قرية بييرة، الواقعة في ناحية الخالص، المحدودة من جهة بصدر نهر المرادية، ومن جهة بالتحويلة، ومن جهة ببزايذ تل السعيدة، ومن جهة بمزارع قرية الخضيرية»، على أن يصرف الربع من الغلة على ترميم المسجد الذي بنته الواقفة في قرية هبهب، بموجب وقفيتها المؤرخة في 24 شعبان سنة 1177هـ/1763م.

(1) نيل المراد في أحوال العراق وبغداد، الورقة 70

التاجية

وقف الحاج علي أفندي بن مراد أفندي على جامعہ ببغداد بستاناً في قرية التاجية، بموجب وقفيته المؤرخة في 8 جمادى الأولى سنة 1133هـ/1720م.

زاغنية

هي زاغوني في المصادر الإسلامية، قال ياقوت « قرية ما أظنها إلا من قرى بغداد»، ونوه بعدد من نُسب إليها من علماء الحديث خاصة. ثم سكتت عن ذكرها المصادر، وعُرفت في القرون الأخيرة باسمها الجديد (زاغنية). وفي الواقع فإن هذا الاسم أطلق، بعد اندثار القرية القديمة، على قريتين متجاورتين عند أطلال تلك القرية المذكورة، عُرفت إحداهما بزاغنية الكبيرة، والأخرى بزاغنية الصغيرة، وكانت تعدان من أعمال ناحية خراسان (خريسان)، ثم عدتا من لواحق مركز قضاء بعقوبة.

ويشير الإعلام الشرعي الصادر عن المحكمة الشرعية في بغداد، والمؤرخ في محرم سنة 1262هـ/1845م إلى أن ناظر الأوقاف الحاج عثمان برتو أفندي ادعى بأن أرض زاغنية الكبيرة والصغيرة الواقعة في خراسان، وقفها مالكاها الشيخ محمود بن عبد الله على الجامع الذي أنشأه في أدنه كوي، وأنه جعل الفضلة لأولاده، إلا أنه سكت عن تحديد تاريخ ذلك الوقف.

جاوشية

وقف الحاج محمد بن علي جاوش، في وقفيته المؤرخة في 7 ربيع الأول سنة 1108هـ/1696م « دولاب جاوشية خارج بغداد، في الجانب الشرقي من ديالى، وساقية أجرب وأرض مزرعة الساقية» على ذريته. وفي الإعلام الشرعي المؤرخ في ربيع الأول سنة 1260هـ/1844م إشارة إلى موضع يسمى جاوش، بوصفه من حدود أرض المنصورية (أنظر هذه المادة).

الجديدة

اسم لقريتين من أعمال الخالص، عرفت أولاهما بجديدة الأغوات، وبالتركية (ينكيجة آغالر)، وعرفت الأخرى بجديدة الشط، وبالتركية (باش ينكيجة) أي الجديدة الرئيسية، وأغلب الظن أن الأخيرة هي الأقدم عهداً، وهي التي عرفت

الوقفيات المبكرة بالجديدة (أو ينكيجة) مطلقاً، فقد أشار إليها، عرضاً، عبد الله الغياث البغدادي في حوادث سنة 874هـ/1469م⁽¹⁾.

وتذكر دفاتر الأراضي العثمانية المعدة في القرن العاشر للهجرة (القرن 16م) أن من القرى الموقوفة على جامع الإمام الأعظم، قرية جديدة خضر باشا، وأنها تابعة لبلوك الخالص. ولا نعلم هوية خضر باشا هذا، إن كان مالكاها السابق، أو واقفها. وتكشف الوقفيات التي اطلعنا عليها عن رغبة أسر، أو أفراد، بغداديين في اقتناء بساتين في هاتين القريتين، أو غرس أراض فيها لتكون بساتين مثمرة، ثم وقفها على ذرياتهم، أو على أوجه خير متنوعة، وكان إنشاء الدواليب، وهي الكروم، السبب الأول في غرس تلك البساتين، وسقيها، ولذا فقد ترددت في وقفيات العصر أسماء مثل هذه الدواليب، من ذلك أن الشيخ بندر محمد آغا بن أحمد آغا وقف، على ذريته، بموجب وقفيته المؤرخة في 15 رجب سنة 1174هـ/1760م «ثلاث دولاب غلامية وزينية المحدود بدجلة من جهة، ومن جهة بدولاب دباغية، ومن جهة بالموقع المسمى عمادية، ومن جهة بالطريق السلطاني العائد إلى قرية ينكجة». وفي وقفية الحاج علي القرغولي بن الحاج ياسين المؤرخة في 25 ذي القعدة سنة 1223هـ/1811م نقرأ أنه وقف نصف باغجة (حديقة) في قرية الجديدة، على زوجته وذريته.

وفي 27 شعبان سنة 1230هـ/1819م وقف أحمد أفندي بن علي أفندي «جميع البستان الواقع في الخالص، في قرية اينكيجه المحدودة أولاً بشرب النهر المفتوح، والحاد الثاني بملك خميس، والثالث بملك حميد، والرابع بنهر الخالص، على الجامع الذي أنشأه في بغداد.

وفي 5 ربيع الآخر سنة 1258هـ/1842م وقف حسين بن صالح تشريباية باغجة في قرية جديدة على نهر الخالص، على جامع الخاصكي ببغداد.

وفي 4 صفر سنة 1268هـ/1851م وقف كسارة بن حسين من أهالي قرية جديدة من مضافات بغداد الحديقة الواقعة في القرية المذكورة، المحدودة بملك سليمان بك، وبنهر الخالص، وبملك السيد ناصر، وبوقف حضرة الإمام الأعظم، على مدرء الأوقاف الشريفة، والباقي على جامع الإمام الأعظم.

(1) التاريخ الغياثي، تحقيق د. طارق نافع الحمداني، بغداد 1975، ص 334.

وفي 28 محرم سنة 1272هـ/1855م وقف سليمان بن خضر من سكان قرية (باش ينكيجه)، وهي جديدة الشط، باغجة في القرية المذكورة، محدودة من جهة ببستان الكتخدا الحاج طالب بك زاده نعمان بك، ومن جهة ببستان لطف الله أفندي، ومن جهة بساتين أحمد والحاج حبيب، ومن جهة بنهر الخالص. وكذلك الحديقة المحدودة من جهة ببستان كاظم يحيى، ومن جهة ببستان صقار أوغلي، وكذلك الحديقة المحدودة بدار الوقف، ومن جهة بدار رفاعي سليمان، ومن جهة بالطريق العام، وكذلك أشجار النخيل الواقعة في حديقة خضر بالقرية المذكورة، وذلك على فقراء المدينة المنورة.

وبرز اسم (جديدة الأغوات) أول مرة في الوقفية المؤرخة في غرة شوال سنة 1253هـ/1837م، ففي هذه الوقفية نجد أن جواد بن بكتاش وقف بستانين في هذه القرية على السادة العلويين والفقراء، ثم أنه وقف في غرة رجب سنة 1288هـ/1871م حديقة في القرية نفسها على فقراء المدينة المنورة.

وفي سنة 1267هـ/1850م وقف صالح بن مهدي من أهالي قرية الجديدة « أملاكه على جامع السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني» وذلك بموجب وقفيته المؤرخة في 5 جمادى الأولى سنة 1267هـ.

جلبي

قرية تابعة لناحية أبو صيدا، وفي الفرمان السلطاني، المؤرخ في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/ ما يفيد بأن قرية جلبي التابعة لناحية خراسان، وقرية المخيسة، وقرية أبو صيدا (أنظر هاتين المادتين) « هي تلك القرى المعروفة باسم الوقف الكبير، والقريبة من مقاطعة خراسان التابعة، المجموعة من أوقاف حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني». وصف الشيخ محمد صالح السهروردي هذه القرية سنة 1941 بقوله « من القرى الموقوف خمسها على الحضرة القادرية، عدة بيوتها نحواً من اثني عشر داراً.. في هذه القرية نحواً من ثلاثين بستانا واسعة، فيها نخيل ورمان ومشمش، تسقى من نهر الجلبي، وهذا يحمل من نهر خراسان، وفي غربي هذه القرية نهر ديالى، وفي شرقها نهر خراسان؛ وأهل هذه القرية فيهم الدين، وفيهم غيرة. وتعطي هذه القرية من البساتين النصف، ومزارع الأراضي كلها إلى الوقف».

الجوبة

الجوبة لفظة عربية فصيحة تعني الأرض الخالية، أو المنخفضة، وهي اسم لناحية في شهربان (المقدادية)، وقف فيها مصطفى آغا بن الحاج علي أفندي بن مراد أفندي عدداً من البساتين على جامع علي أفندي في بغداد، وذلك في وقفيته المؤرخة في 3 شوال 1142هـ/1729م. وهذه البساتين هي: الجديد، وبيوك بيته لك، وكوجك بيته لك، واسكي كوخ، وحيدر.

الحاج قره

قرية من أعمال خانقين، وقف عبد الله بن الملا محمد من أهالي محلة الجامع بقصبة الحاج قره، الحديقة المحاطة بسيج الواقعة في القصبة، المحدودة من جهة ببستان مصطفى بك، ومن جهة بالخانقاه وبحديقة داود آغا، ومن جهة ببستان الكوجة، ومن جهة ببستان أمين آغا، على إنشاء قبة على قبره، حين يدفن، في الحديقة المذكورة، وفضلة الغلة إلى من يتلو القرآن على قبره في قصبتي الحاج قره وخانقين، وذلك في وقفيته المؤرخة في غرة محرم سنة 1307هـ/1889م.

حد مزيد

قرية من أعمال بعقوبة، وردت الإشارة إليها أول مرة سنة 978هـ/1570م، ففي هذا التاريخ أشير إليها في وقفية زين القادري بوصفها أحد حدود قرية قصيبة من أعمال ناحية خراسان.

كما وردت الإشارة إليها في الوقفية نفسها، بوصفها أحد حدود قرية دوره من أعمال ناحية خراسان أيضاً.

وفي 12 جمادى الأولى سنة 928هـ/1520م وقف كدخدأ نابط بن عبد الحق الساكن في قرية حد بوزجة «جميع الأراضي البسط الواقعة على جنب نهر حد مزيد، وهي بطول حد مزيد، ممتدة إلى أراضي قراح البغيل، وإلى أراضي حد بوزجة وأن ليس له حد مزيد» على حضرة قنبر علي، يريد على جامع قنبر علي ببغداد.

حد مكسر

قرية من أعمال نهر طريق خراسان (خريسان)، قريبة من قرية القاطع (أنظر هذه المادة)، أشير إليها أول مرة في حجة إحياء الأرض الموات التي كتبت بأمر

الصدر رضي الدين ابن الصدر شرف الدين الشيباني بتاريخ شهر ربيع الأول سنة 929هـ/1522م، بوصفها من حدود ركة القاطع، والأرض المعروفة بالقاطع، «الواقع ذلك كله بطريق خراسان»⁽¹⁾.

الحديد

قرية تابعة لناحية ههيب. وردت الإشارة إليها في وقفية الحاج أبي بكر الموصلي على جامع الصياغ (وهو جامع الخفافين) في بغداد، المؤرخة في 21 رمضان سنة 1223هـ/1811م، بوصفها من حدود نهر الميمرة في ناحية الخالص.

حربتلة

قرية من أعمال شهربان (المقدادية). وردت الإشارة إليها أول مرة في وقفية السيد زين الدين القادري سنة 978هـ/1570م، بوصفها أحد حدود قرية باجسرا (تنظر هذه المادة).

الحويش

قرية من أعمال الخالص. وقف فيها الحاج علي القرغولي بن الحاج ياسين باعجة على زوجته وذريته، وذلك في الوقفية المؤرخة في 25 ذي القعدة سنة 1223هـ/1811م.

ووقف صادق بك بن سليمان باشا والي بغداد باعجة فيها على ذريته في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ/1822م.

وفي 4 رجب سنة 1299هـ/1881م وقفت آمنة بنت ولي بن يايه من سكان محلة الفضل ببغداد، حصة من بستان حسن آغا الواقعة في قرية حويش على فقراء قصبية الإمام الحسين عليه السلام.

وفي وقفية صادق بك بن سليمان باشا المؤرخة في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ/1822م نقرأ أن مما وقفه على ذريته « الحديقة الواقعة في قرية الحويش التابعة لناحية الخالص».

(1) بحثنا: قرية القاطع المندثرة في القرن السادس عشر، مجلة البلاغ، العدد 2، السنة 6 (بغداد 1976) ص 8-15.

وفي 4 رجب 1299هـ/1881م وقفت آمنة بنت ولي بن يائلة حصة من بستان حسن آغا الواقع في قرية حويش من قرى ناحية الخالص، كانت اشترتها بموجب حجة المبايعة المؤرخة في سنة 1290هـ/1873م .

الخالص

قضاء تابع لمحافظة ديالى، أشير إليه في سجلات الأراضي العثمانية باسم (بلوك خالص) (دفتر 1028)، وكان يعد في العصر العثماني ناحية مركزها دلتاوه (المسماة بلدة الخالص حالياً). وقد تردد اسم هذه الناحية في الوقفيات والحجج الشرعية بكثرة، بوصفها من أكثر نواحي ديالى غنى، وأشير إلى قراها العديدة وأنهارها وما تحفل به من بساتين، فمن قراها التي نوهت بها تلك الوثائق: دلتاوه والحويش والجديدة وإمام جيزاني وقصب والسندية والمجدد وهيب (وهي اليوم مركز ناحية تابعة للقضاء المذكور) وغيرها (أنظر هذه المواد)، كما ترددت أسماء بساتين في الناحية المذكورة، وإن لم تكن من ضمن حدود تلك القرى.

فمن ذلك أن نعمان آغا وقف، بموجب وقفيته المؤرخة في 8 شعبان سنة 1097هـ/1685م أشجاراً «في قرية دالتاوه من ملحقات بغداد على جدول المنصورية» على ذريته، ثم على فقراء المدينة المنورة.

ووقفت الحاجة سَكينة خاتون بنت الحاج محمد آغا « نصف عقر المرادية في ناحية الخالص» على المدرسة و(السقا خانه) اللين أنشأتهما في بغداد، بموجب وقفيتها المؤرخة في 5 ربيع الآخر سنة 1140هـ/1727م.

وكان أحمد أفندي بن زين الدين بن علي قد وقف، في 28 جمادى الأولى سنة 1213هـ/1798م سهاماً من نهر ويسى وبو شيخ في ناحية الخالص، ونهراً في الناحية نفسها، على المدرسة السليمانية التي أنشأها والي بغداد سليمان باشا الكبير سنة 1206هـ/1791م.

ووقف الحاج أبي بكر الموصلي الباجه جي في 21 رمضان سنة 1223هـ/1811م «نهر المعيمرة في ناحية الخالص، المحدودة بأرض هيب، وبأراضي الخويلص، وبأراضي العامرية، وبأراضي الحديد»، وذلك على مصالح جامع الصياغ في بغداد.

ووقف صادق بك بن سليمان باشا، في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ/1822م، عدداً من بساتين الخالص على ذريته، فمن تلك البساتين: بستان مهدي عيسى، وبستان الحاج ياسين، وحديقة أحمد عباس، وبستان عقاب، وبستان قاسم غلام، وبستان حمال باشي(رئيس الحمالين).

ووقف الحاج صالح بن الحاج إسماعيل الخاصكي « جميع البستان الواقعة في قرية دلتاوه من قرى بغداد الشهيرة ببستان باشا المحدودة أولاً وثانياً ببستان عبودة، وثالثاً بالصحراء، ورابعاً بطريق المنصورية، مع جميع البستان الواقعة في القرية المذكورة، الشهيرة ببستان البابوجي، المحدودة أولاً ببستان خليل بن طوبال حسين، وثانياً بملك الخزندار، وثالثاً بملك جواد السليم، ورابعاً نهر المنصورية، مع جميع البستان الواقعة في القرية المزبورة، المحدودة أولاً بنهر القرية المرقومة، وثانياً بملك حميد الإبراهيم، وثالثاً بملك صالح وسلمان ابني عويد، ورابعاً بملك ياسين بن حمادي، مع جميع البستان الواقعة في القرية المرقومة، المحدودة أولاً بملك فيض بك، وثانياً بالصحراء، وثالثاً بملك ملا رستم، ورابعاً نهر القرية المرقومة، مع جميع البستان الواقعة في القرية المرقومة المحدودة أولاً وثانياً بملك نعلجه جي، وثالثاً ورابعاً بالطريق العام» وذلك على ذريته.

خانقين

البلدة المعروفة، وصفها ياقوت بقوله « وبخانقين عين للنفط، عظيمة كثيرة الدخل، وبها قنطرة عظيمة على واديها .. عليها جادة خراسان إلى بغداد...». وأشير إلى خانقين في وقفية أمين الدين مرجان على مدرسته ودار الشفاء المؤرخة سنة 760هـ/1358م، بوصفها ضمت بعض ما وقفه من عقار، دون توضيح طبيعة ذلك العقار، والظاهر- من سياق الوقفية- أنه كان بستاناً. أو بساتين، وقد استمرت هذه الوقفية نافذة، ففي سجلات أراضي ولاية بغداد، التي أعدت في مطلع الحكم العثماني في العراق، نقرأ أن خانقين كانت تضم (مالكانة) موقوفة على المدرسة المرجانية ببغداد⁽¹⁾. وأشير إلى وضعها القضائي في عدد من الوقفيات، حيث كان يتولى شؤون القضاء فيها قاض بعنوان (نائب خانقين)، نوه بمن اسمه حسين نائب خانقين، في وقفية الحاج صالح بن الحاج ولي المؤرخة في 26 جمادى الآخرة سنة

(1) دفتر 1028 ص 405

1169هـ/1755م، وفي وقفته المؤرخة في 24 رجب سنة 1170هـ/1756م، أنه وقف حصصاً « في مالكانة المزرعة المعروفة باسم بابا بلاوي في خانقين » على ذريته.

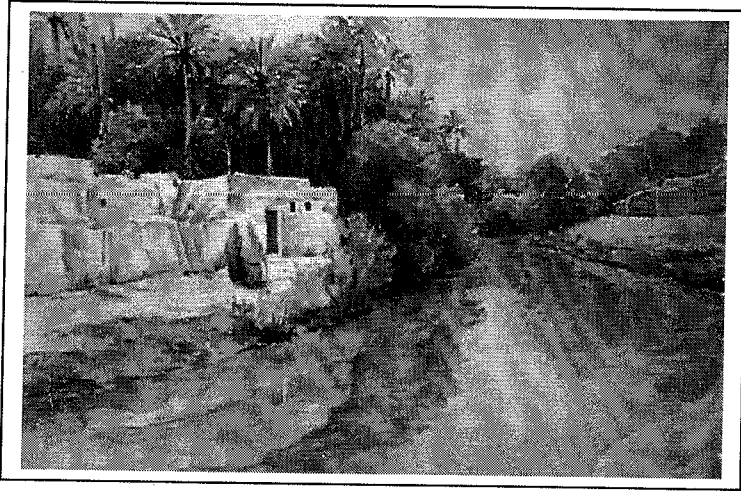
خراسان

أشير إلى منطقة خراسان في سجلات الأراضي العثمانية باسم (بلوك طريق خراسان)، وعدت في هذه السجلات اقطاعاً من نوع (خاصة مالكانة) أي من الإقطاعات الخاصة بالصنف الأول من الضباط العثمانيين، والتي تدر عادة دخلاً يتجاوز 100000 آقجة عثمانية (دفتر 1028)، وكانت مقراً لوحدة عسكرية عثمانية، يرأسها قائد يسمى (ضابط) ، بدليل ما أشير إليه في وقفية الحاجة سكيئة خاتون بنت الحاج محمد آغا المؤرخة في 5 ربيع الآخر سنة 1140هـ/1727م، من شهادة شاهد هو « جعفر آغا ضابط خراسان». وفي وقفية جامع بعقوبة المؤرخة في شوال سنة 1121هـ/1709م نقرأ اسم أحد شهودها وهو عمر آغا ضابط خراسان. وفي وقفية عبد الله بك بن شاوي بك على ذريته، المؤرخة في 15 جمادى الأولى سنة 1172هـ/1758م.

ووضحت وقفية نائلة بنت عبد الرحيم آغا بن عبد الله، على ذرية مماليكها، الوضع الإداري لقضاء خراسان، ففيها نقرأ أنها وقفت «الحصص الشائعة في نخيل وأشجار بيستان كراخة الذي أرضه من الأراضي الأميرية، والكائن داخل قضاء خراسان، في قرية دلتاوه، من قرى ناحية الخالص» وحددت الوقفية حدود هذه الحصص بأنها محدودة من جهة بيستان محمد بن الحاج الياس، ومن جهة بيستان محمد بن عثمان، ومن جهة بيستان النجار محمد، ومن الجهة الرابعة بيستان جواد سليم وبنهر القرية، وكذلك الخان والمقهي الملاصقين أحدهما للآخر في القرية المذكورة».

وتوضح وقفية حُجَّة خان بنت أحمد آغا فُفطان آغاسي بن عبد الله، المؤرخة في 7 شوال سنة 1309هـ/1891م عن أسماء بعض المالكين في (قضاء خراسان)، وكلهم من كبار الموظفين ببغداد، فقد وقفت هذه الواقفة، على ذريتها « بستان في قضاء خراسان، محدودة أولاً بملك حسين بن حميد، وثانياً بنهر ديال، وثالثاً بملك أسما خاتون زوجة عبد الوهاب آغا رضوان آغا زاده، ورابعاً بملك جادرجي زاده رفعت أفندي، ويتم بالطريق العام، وثلاثة دور في قضاء خراسان، والطويلة

الواقعة في قضاء خراسان، المحدودة أولاً بملك ورثة ياور أفندي كاتب فارسي زاده،
وثانياً بنهر خريسان، وثالثاً ورابعاً».



نهر خريسان ثوحة للفضان منير العبيدي

خرنابات

قرية من أعمال بعقوبة، وكانت تعد من توابع قضاء خراسان(خريسان)، وعرفت
ببساتينها ووفرة محاصيلها الزراعية، فتردد اسمها في الوقفيات مرات عدة، ومن
المحتمل أن تكون هي ما عرفته ووقية أمين الدين مرجان سنة 760هـ/1358م باسم
(خُرم آباد)، فقد جاء في هذه الوقفية «وبساتين بقرية الترك والزادماز وخرمآباد...».

وفي أواخر العهد الصفوي، أشير إليها باسم (خرناباد) في حجة إحياء الأرض
الموات، التي أمر بكتابتها الصدر رضي الدين ابن الصدر شرف الدين الشيباني،
الخاصة برقة وأراضي القاطع، والمؤرخة في غرة شهر ربيع الأول سنة
929هـ/1522م، بوصفها من حدود هذه الأراضي (أنظر قرية القاطع).

وفي 5 جمادى الأولى سنة 1092هـ/1681م وقف إمام قولي بن شمس الدين
هذه القرية، ببساتينها وأنها، على جامع الفضل ببغداد، وجاء في وقفيته أنها
معدودة « في ولاية خراسان (كذا) القرية المعروفة بخرنابات، المحدودة بحدود
أربع: الحد الأول شط ديالي، والحد الثاني خر الهويدر، والحد الثالث خراسان،
والحد الرابع حد مكسر».

ووقف حسن بن مصطفى جاوش الساكن في هذه القرية، في وقفه المؤرخة في 2 جمادى الآخرة سنة 1158هـ/1744م، قطعة من بستان أم الحمور، قرب أوقاف الإمام محمد الفضل، في القرية المذكورة، على ذريته.

وفي 8 ذي الحجة سنة 1188هـ/1774م، وقف محمد بن أحمد من سكان القرية نفسها « التي هي من أوقاف الشيخ محمد الفضل » قطعة البستان الواقعة في القرية المذكورة، والدار المتصلة بدار أولاد محمد هاشم، على أولاده الذكور، ثم على خَدَم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي 6 شوال سنة 1226هـ/1814م وقف مراد بن الحاج نعمة داراً في قرية خرنابات، وبستان التوت، ونصف بستان شكر بن محمود، وبستان عاشور، على ولديه.

ووقف عبد أبو دبسة على ذريته « بستان كاظم موسى في قرية خرنابات من قرى خريسان » بموجب وقفه المؤرخة في 10 شوال سنة 1238هـ/1822م .

ووقف محمد بن شهاب كور « البستان الواقعة في أرض قرية خرنابات الشهيرة ببستان عليوي بن كور أحمد الجديدة على أبنائه » في 15 ذي الحجة سنة 1245هـ/1829م.

ووقف دخيل بن مصطفى بستانه « في قرية خرنابات في مقاطعة خريسان تعرف بمال ديهال » على ذريته، في غرة رجب سنة 1246هـ/1830م. وفي 2 شعبان سنة 1327هـ/1909م أقام عزت أفندي آغا أوغلو الساكن في محلة السراي بقصبة بعقوبة مركز قضاء خراسان، بحسب وكالته عن الحاج عبد علي بن الحاج محمد بن دخيل الساكن في قرية خرنابات، الدعوى على طعان بن حبيب الساكن في القرية المذكورة، قائلاً أن بستان (مال ديهال) الواقع في القرية المذكورة، المحدودة ببستان مال عباس بن حسين، وببستان محمد وكاظم وجواد اولاد مرتضى، وببستان دوب، وبالطريق الخاص، كان بالأصل ملكاً لدخيل بن مصطفى، وأنه وقفه بموجب الوقفية المؤرخة في غرة رجب سنة 1246هـ/1830م، المختومة بامضاء وختم قاضي بغداد محمد طاهر شريف أفندي، وأن هذا الوقف قد انحصرت توليته بموكله الحاج علب علي، وإن حصتين من الغلة تعود إلى موكله، وحصاة واحدة إلى الموما إليه طعان بحسب شروط الوقفية، فحكمت المحكمة بمنع المدعي طعان من التدخل في البستان المذكور.

ووقف حسين بن حسن بن مصطفى الدخيل جميع الدار والباغجة المتصلة بها، الواقعتين في قرية خرنابات، المحدودتين من أطرافها الأربعة بملك علاوي بن حاج هادي، وبملك قاطع، وبنهر القرية، وبملك محمد الدخيل، وبملك عباس الدخيل، وبالطريق العام، على ذريته، في 28 ربيع الآخر سنة 1275هـ/1858م.

وفي 6 جمادى الأولى سنة 1296هـ/1878م وقف الحاج محمد أمين جلبي بن الحاج محمد سعيد جلبي بن الحاج مصطفى الشبخلي، أسهمه من « جميع عقر قرية خرنابات من قرى قضاء خراسان، محدودة أولاً بنهر حد مكسر، وثانياً بأراضي القلاعة، وثالثاً بأراضي الداكية، ورابعاً بأراضي الكرية ».

وادعت عطية بنت محمد سعيد الساكنة في قرية خرنابات في المحكمة الشرعية في قضاء خراسان، أن البستان الشهير ببستان كزيم هي وقف جدها الأعلى خليل بن كاظم على أولاده، ثم تبين أن الوقف للذكور دون الإناث، فحرر ما هو الواقع بالطلب، وذلك في الإعلام الشرعي المؤرخ في 21 ربيع الآخر سنة 1338هـ/17 كانون أول 1918.

الخوالص

قرية تابعة لناحية هبهب من أعمال الخالص، لا يعرف زمن نشوئها، ووردت الإشارة إليها أول مرة في وقفية السيد زين الدين القادري سنة 978هـ/1570م باسم (الخوالص عبد الرزاق) إشارة إلى أنها وقف على ذرية السيد الشيخ عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلاني، وعدتها أحد الحدود الأربعة لقرية الرازقيات من أعمال ناحية خراسان، جاء في الوقفية ما نصه « ومن الأملاك التي ما هو حقه وملكه بلا مانع، وفي يده وتصرفه بلا منازع، وذلك جميع الأراضي والمزارع الواقعة في قرية الخوالص عبد الرزاق، على شط جلولاء من أعمال ناحية خراسان، المحدود بحدود أربعة: الحد الأول نهر تدارة، والحد الثاني نهر غيبة، والحد الثالث دوب الجمل مع الرغاث، والحد الرابع خراسان بجميع حدودها .. الخ ». كما أشير إليها في الوقفية نفسها بوصفها من حدود قرية دوره من أعمال ناحية الخالص أيضاً. وتسمى دفاتر الأراضي العثمانية المعدة في القرن العاشر للهجرة (16م) هذه القرية باسم (خُوَيْلِص) وتعدّها تابعة لبلوك الخالص، وتذكر أن حاصلاتها تبلغ 4910 آقجة، وأنها من أوقاف الإمام الأعظم⁽¹⁾.

(1) دفتر 1028، الورقة 75.

وقد وصف الشيخ محمد صالح السهروردي هذه القرية، في أثناء زيارته لها سنة 1941، فقال أن « من أوقاف القادرية نهر قرية الخوالص » وأن « هذه القرية تقع في بزايز نهر خريسان، ويحمل نهر الخوالص المذكور من نهر خريسان ».

الداسقية، الداكزية

قرية عدت من أعمال ناحية خراسان، وهي اليوم تابعة لمركز قضاء بعقوبة. وقفت عليها زينب خاتون بنت الملا عبد الفتاح أفندي المفتي ربع بستان أيوب، وربع بستان الداكزية المعروفة باسم حسن علي خان في ناحية خراسان، على الفقراء والمساكين، وذلك في وقفيتها المؤرخة في غرة ربيع الثاني سنة 1246هـ/1830م.

دُوخْلَه

أصل لفظها (دَوَّ خَلَاء) أي الأرض الخالية، إشارة إلى خراب ما كان يحيط بها من قرى ومزارع وضياع، وقد تأكد هذا المعنى في حجة رسمية صادرة عن ديوان البائثرات، وهو المؤسسة المعنية بإحياء الأراضي الموات، في سنة 739هـ/1338م، ففي هذه الحجة⁽¹⁾ نقرأ «أمراء وحكام ونواب ومتصرفو وبينكجية بغداد وعمال الخالص على اختلاف طبقاتهم وتباين درجاتهم يعلمون أن سواعد الهمة مصروفة لعمارة بقاع البلاد، والتي تتضمن فيما تتضمن الترفيه عن العباد، وتعود منفعتها على عموم الخلائق الذين هم ودائع الرحمن، من ذلك بز محمولة جواريش التي هي من أعمال الخالص، والمنتهية حدودها بأراضي دوخلة بمحولة جواريش أولاً، وبشاطئ دجلة ثانياً، ويظاهر المباركة بالعراقات ثالثاً، وأراضي السليمانية ودوخلة رابعاً، والتي هي منذ مدة مديدة وعهود بعيدة كانت أراض خربة وبائرة ولم تصلها يد الزراعة والعمران». وتقيد الوثيقة أن كلاً من الأمير جمال الدين والخواجة علاء الدين وأخوه الحاج أحمد تقدموا لاستملاك بز محولة جواريش المذكورة من ديوان البائثرات.

وأشير إلى برية بين دوخلة والجديدة (أنظر هذه المادة) في خبر ساقه عبد الله بن فتح الله الغياث البغدادي، في حوادث سنة 874هـ⁽²⁾.

(1) هندوشاه النخجواني الملقب بشمس المنشئ: دستور الكاتب في تعيين المراتب، اقتباساً من د. نوري عبد الحميد العاني: وثائق حول ملكية الأرض والضرائب على الزراعة من العهد المغولي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 61، السنة 2003.

(2) التاريخ الغياثي، ص 334.

وفي وقفية مؤرخة في 21 رجب سنة 1131هـ/1718م نقرأ أن الحاج محمد بن الحاج حمزة من سكان قرية دوخلة وقف «خمس من أشجار النخيل مع جملة توابعها في قرية دوخلة من أعمال الخالص». وقد شهد على الوقفية عدد من وجوه دوخلة، منهم: محمد كمال كخية دوخله، وموسى عثمان كخيه، وحسن محمد كخيه، وغيرهم.

وكان الحاج أرسلان بن علي دوه جي قد وقف نصف بستان « في قرية دوخلة التابعة لناحية الخالص» على السبيلخانة (السقاية) التي أنشأها في قسبة الأعظمية، وذلك بموجب وقفيته المؤرخة في 25 ذي الحجة سنة 1181هـ/1767م.

دوري، دوره

قرية من أعمال نهر خراسان، وهي تتبع الآن مركز قضاء بعقوبة. أشير إليها لأول مرة في وقفية أمين الدين مرجان المؤرخة في سنة 760هـ/1358م على المدرسة ودار الشفاء اللذين أنشأهما ببغداد، حيث جاء فيها أن مما وقفه « نصف دوري» ولم يحدد موقعها، والراجح لدينا أنها القرية التي عرفت، فيما بعد، ب(دوره)، فقد أشارت وقفية السيد زين الدين القادري المؤرخة في سنة 978هـ/1570م إلى هذه القرية على النحو الآتي « ومن الأملاك التي ما هو حقه وملكه بلا مانع، وفي يده وتصرفه بلا منازع، وذلك ثلثا جميع الأراضي والمزارع الواقعة في قرية دوره من أعمال ناحية خراسان، المحدودة بحدود أربعة: الحد الأول: أبو زهرة، والشيخ عبد الحميد، والحد الثاني: الطريق العام، والحد الثالث: أراضي بدورية، والحد الرابع: حد مزيد، بجميع حدودها...». وفي 9 رمضان سنة 1258هـ/1842م استصدر السيد علي القادري، نقيب الأشراف ببغداد، أمراً من والي بغداد نجيب باشا، يفيد أن أرض دوري من الأراضي التي غلتها «مشروطة وموظفة ومرصدة لمصالح المسجد وزاوية جدي الباز الأشهب قدس سره وإطعام طعام الفقراء العاكفين والمجاورين فيها والخدمة القائمين بأمرهما». وفي سنة 1261هـ/ 1845م قدم السيد علي القادري دعواه بإعادة عدد من القرى إلى الوقف القادري، كان منها نهر الدورة، وقد حدده بأنه « محدود من جهة بحد مزيد، ومن جهة أخرى بنهر عبد الحميد، ومن جهة ثالثة بنهر دورة، ومن جهة رابعة بأراضي مريجية أبو الصخول»، فأقر الفرمان العثماني الصادر في أوائل جمادى الآخرة سنة 1260 ذلك التحديد.

ده شيخ

قرية من أعمال ناحية قزانية، التابعة لقضاء مندلي، عرفت أيضاً باسم (دو شيخ)، أي الشيخان، ثم سميت رسمياً (السعدون). وقد نوهت الوقفيات بأسماء بساتينها، ففي ربيع الثاني سنة 1183هـ/1769م وقف علي كهيه بن مصطفى، من أهالي هذه القرية، بستاناً في مندلي، وداراً في القرية المذكورة، وحصصاً في أرض الشيخ محمد وأرض حسان كوله، وأرض الديم في القرية نفسها، على ذريته. ثم عاد فوقف في 5 ذي القعدة سنة 1185هـ/1771م بستان (قهيبي الكبير) ونهر كنكرد والمقبرة على ذريته، ثم على فقراء الإمام الحسين عليه السلام.

وفي وقفية صادق بك بن سليمان باشا المؤرخة في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ/1817م نقرأ أن مما وقفه على ذريته « بستان عبو الواقع في قرية ده شيخ التابعة لناحية قزانية».

ووقف الحاج خضر بن الحاج إبراهيم بن حسين «حديقة في قرية دوخلة في ناحية الخالص تسمى ميصيلح، وحديقة شناوه، وقطعة حسن ضايح في القرية المذكورة» بموجب وقفيته المؤرخة في 5 جمادى الآخرة سنة 1183هـ/1769م .

ووقف صادق بك بن سليمان باشا بستان عبو، وبستان حسن، الواقعين «في قرية ده شيخ التابعة لناحية قزانية» على ذريته، وذلك في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ/1817م.

الرازيات

قرية كانت تعد من أعمال ناحية خراسان، نوهت بها وقفية السيد زين الدين القادري المؤرخة في سنة 978هـ/1570م بأسماء أنهارها، وحدودها، وذلك على النحو الآتي:

«وذلك جميع الأراضي والمزارع الواقعة في قرية الرازيات، والقرية المذكورة معروفة بالجدولين، الجدول الأول الغربي، الجدول الثاني الشرقي، من أعمال ناحية خريسان، المحدودة بحدود أربعة، الحد الأول: أراضي قرية بدورية، والحد الثاني: قرية المنصورة، والحد الثالث: الطريق العام، والحد الرابع: [نهر] خراسان، بجميع حدودها بكافة حقوقها وتوابعها...». ونوهت سجلات الأراضي التي أعدت

في أول عهد الدولة العثمانية في العراق بهذه القرية، وأشارت إلى أن بعض القرى كانت تعد «في مقاطعة عبد الرزاق»⁽¹⁾، كما أشارت إلى قرية رازقية بوصفها من توابع بلوك طريق خراسان.

ونقرأ في فرمان السلطاني، المؤرخ في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1845م ما يفيد بأن مجموع الرسوم المستحصلة من «مالكانة القرية المدونة تحت نفقات وجماعات مع قرية رازقية وحاصلها التابعة لناحية خراسان» بلغ 25148 آقجة. و«أن ثلثان منها في تصرف الشيخ زين الدين القادري وباقي الشركاء، وثلث في تصرف مير أفندي، وفقاً للدفتري العتيق، أما في الوقت الحاضر ففي تصرف عوض بن حسين بعقوبي وفقاً للحجة الشرعية». وعرفت هذه القرية في القرن الثالث عشر للهجرة، باسم جديد، هو (الرازقيات) نسبة إلى ذرية السيد الشيخ عبد الرزاق بن السيد عبد القادر الكيلاني، وكان الشيخ محمد صالح السهروردي العباسي، مدير أوقاف ديالى، قد زار القرية سنة 1943م، فذكر أنها أحدثت قبل مئة سنة من تاريخ زيارته لها، وأنها كانت تعرف قديماً بالرازقيات نسبة إلى السيد المذكور، وقال: ورئيس هذه القرية من أحفاد السيد يعقوب بن السيد يوسف، ورئيسها اليوم السيد عبد الحميد بن السيد محمد، وكان أنشأ الجامع المذكور، والسيد خليل، ووقف عليه بستاناً في نهر الشيخ⁽²⁾. ولدى الرجوع إلى وقفية السيد خليل بن السيد إبراهيم الفرج، وجدناه قد وقف البستان الواقعة في نهر شيخ على مسجد هذه القرية في 10 شعبان سنة 1276هـ/1859م.

ووقفت آسية خاتون بنت السيد علي أفندي نقيب الأشراف بستان فتاح، الكائنة في القرية المذكورة، على السيد محمود أفندي بن السيد عبد القادر أفندي بن السيد مراد أفندي ثم على أولاده، وذلك في وقفيتها المؤرخة في 27 رجب سنة 1323هـ/1905م.

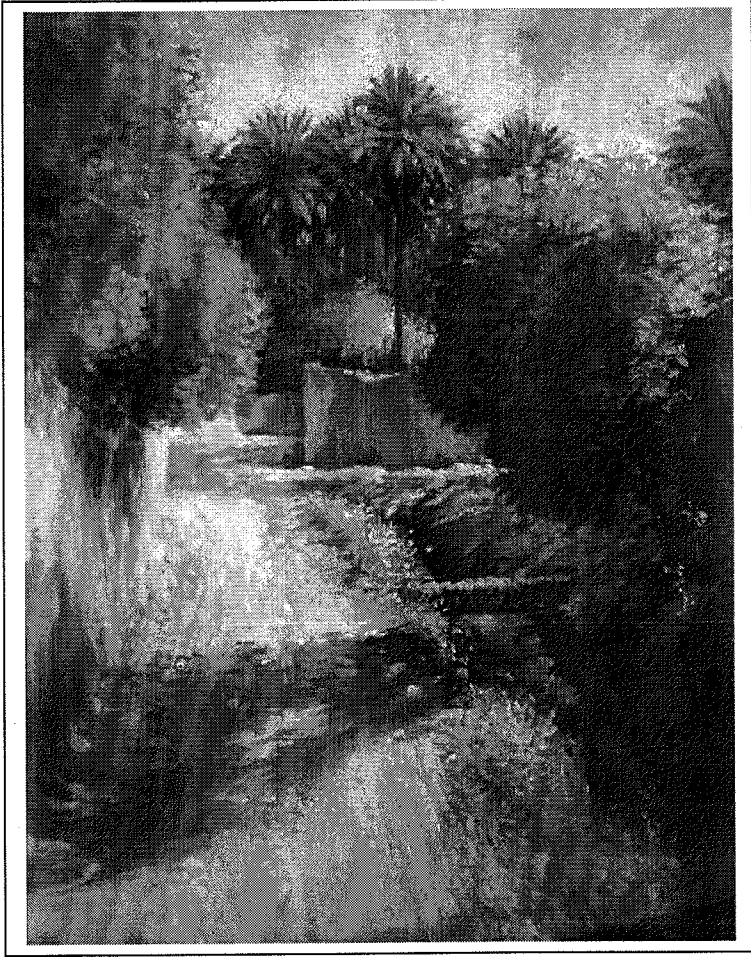
رقة رحبة

في دفاتر الأراضي العثمانية، المعدة في القرن العاشر للهجرة (16م)، إشارة إلى مزرعة رحبة تابع بلوك طريق خراسان، ولم يشر إلى قرية بهذا الاسم، ونوه

(1) دفتر 1028، الورقة 76.

(2) الجواهر المضيئة، مخطوط.

الفرمان الصادر في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1845م إلى قرية (رقبة رحبة) بوصفها تابعة لناحية طريق خراسان، وأنها في تصرف أولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وأن رسومها مع مالكانة القرية تبلغ 619 آقجة.



طريق على ساقية لوحة للفنان منير العبيدي

زاغنية

هي زاغوني (بألف مقصورة في آخره) كما في المصادر الإسلامية. قال ياقوت « قرية ما أظنها إلا من قرى بغداد»، ونوه بعدد من نسب إليها من المحدثين. ثم سكتت عن ذكرها المصادر. وعرفت في القرون المتأخرة باسمها الجديد (زاغنية). وفي الواقع فإن هذا الاسم أطلق، بعد اندثار القرية القديمة، على قريتين متجاورتين عند أطلال

تلك، عرفت إحداهما بزاغنية الكبيرة، والأخرى بزاغنية الصغيرة، وكانتا تُعدان من أعمال ناحية خراسان، ثم عدتا من لواحق مركز قضاء بعقوبة.

ويشير الإعلام الشرعي الصادر عن المحكمة الشرعية في بغداد، المؤرخ في محرم سنة 1262هـ/1845م إلى أن ناظر الأوقاف يومذاك الحاج عثمان برتو أفندي « ادعى بأن أرض زاغنية الكبيرة والصغيرة الواقعة في خراسان، أوقفها مالكاها الشيخ محمود بن عبد الله على الجامع الذي أنشأه في أذنه كوي (وهي منصورية الجبل)، وأنه جعل الفضلة لأولاده، إلا أنه سكت عن تعيين تاريخ ذلك الوقف.

زرباطية

في وقفية الشيخ يوسف بن الشيخ محمد علي، من سكان زرباطية، المؤرخة في 27 شعبان سنة 1271هـ/1854م أنه وقف على ذريته « الحديقة الواقعة في قرية زرباطية، المحدودة من الجهات الأربعة بحدائق مرزا إسماعيل وقاسم وحسين بن حسن وبالطريق الخاص.

زنكباد

في وقفية الحاج علي أفندي بن مراد أفندي المؤرخة في 8 جمادى الأولى سنة 1133هـ/1720م، أنه وقف « ربع أنهار قره بولاق وميارزية في قرية زنكباد » على الجامع الذي أنشأه ببغداد.

وأشير إليها في وقفية عبد الله بك بن شاوي بك على ذريته، المؤرخة في 15 جمادى الأولى سنة 1172هـ/1758م، حيث جاء فيها أن مما وقفه « أرض القبة الواقعة في طريق زنكباد».

ووقف عبد الرزاق بن درويش أحمد بن حسين أفندي على ذريته حصص في أرض سيد لان من ملحقات زنكباد، بموجب وقفيته المؤرخة في سنة 1195هـ/1780م

ووقفت أم كلثوم خاتون بنت أحمد أفندي «تُمن نهر صَيْدِلان الواقع في ناحية زنكباد، المحدود بقره دبة وكشكويل وبيجل حميرين وبأورمان» على تكية علي المندليجي في بغداد، بموجب وقفيتها المؤرخة في 3 ذي الحجة سنة 1226هـ/1811م.

زهرة

قرية عامرة كانت تعد من أعمال ناحية خراسان، أشير إليها، أول مرة، في وقفية السيد زين الدين المؤرخة في 978هـ/1570م باشم (أبو زهرة)، وعدت، في تلك الوقفية، من حدود قرية دوره.

وفي 19 ذي القعدة سنة 1218هـ/1803م وقفت كلسم خاتون بنت إسماعيل آغا طريف بستاناً في قرية زهرة على ذرية زوجها.

الزهيرات

قرية من أعمال ناحية أبي صيدا التابعة لقضاء المحمودية، أشير إليها في وقفية السيد زين الدين القادري سنة 978هـ/1570م بصفة (رقعة)، وقد تقدم أنها الأرض المنخفضة الكثيرة المياه، والظاهر أن نشوء القرية جرى بعد هذا التاريخ، وأنها نسبت إلى الرقعة المذكورة. ورد ذكرها بوصفها قرية في وقفية الحاج عبد الله بك بن الحاج محمد آغا على جامع الأحمدية الذي أنشأه أخوه أحمد باشا في الميدان ببغداد، المؤرخة في سنة 1223هـ/1808م، حيث ورد فيها أنه وقف الجرف الأحمر في قرية الزهيرات والطاحونة الواقعة في الجرف الآخر. وبموجب الفرمان العثماني الصادر في أوائل ذي الحجة سنة 1261هـ/1845م فإن « مزرعة رقبة زهيرات التابعة أيضاً لناحية طريق خراسان، والواقعة بقرب أبو صيدا، فهذه محصول ديوانيتها يعود إلى الوقف ».

وفي الإعلام الشرعي المؤرخ في ربيع الأول سنة 1260هـ/1844م إشارة إلى أن «أراضي الديلمية التابعة لقرية الزهيرات التي هي من أوقاف حضرة الشيخ قدس سره، هي من حدود الأرض المشتملة على البساتين المسماة بالمقطوعة». وكان السيد محمد سعيد التكرلي قد أبرز حجة شرعية تشير بأن الأرض المسماة المقطوعة هي ملكه وملك يوسف بك نجل الوزير داود باشا والي بغداد، وبعد معاينة الأرض من قبل لجنة من الخبراء، تأكد للمحكمة أن أرض المقطوعة بحدودها هي وقف كذلك، «وإنها لم تنزل عامرة كثيرة النفع لجانب الوقف». وقد حدد السيد علي القادري الأراضي المعروفة بالمقطوع بأنها « محدودة من ثلاث جهات ببساتين وأراضي قرية زهيرات العائدة للأوقاف المذكورة، وأما الجهة الباقية فمحدودة بأراضي الشوكة العائدة أيضاً للأوقاف القادرية» (فرمان صادر سنة 1260 أشير إليه سابقاً).

وفي سنة 1261 هـ/ 1845م طالب السيد علي القادري بإعادة عدد من القرى

إلى الوقف القادري، كان منها قرية المخيسة، «المحدودة من ثلاث جهات بأراضي أبو كرمة، وعلوان، والمرور من نفس الأوقاف الكيلانية، أما الجهة الرابعة بشط ديالى». وقد أقر الفرمان العثماني الصادر في أوائل جمادى الآخرة من ذلك العام التحديد المذكور، على أن تعطى، وقرى أخرى حدها، بالالتزام كلها معاً (فرمان مسجل في المحكمة الشرعية، سجل 1، عدد 16).

ووقفت السيد زمزم خاتزن بنت علي أفندي القادري نقيب الأشراف سهماً واحداً من ثلث بستان نوري بك، وسهماً من ثلث بستان نعمة، الواقعين في القرية المذكورة على زوجها، ثم على أولاد أختها، في 21 جمادى الأولى سنة 1320هـ/1902م. زار الشيخ محمد صالح السهروردي هذه القرية في 7 آب سنة 1941، فوجدها « قرية عامرة تشرح الصدر ببساتينها وطرقها وجادتها التي تشق السوق، ويزيد فيها حسناً بنهرها الذي يحمل من خراسان. وهذه القرية تشتمل على نحو من ثلثمائة دار، وأكثر دورها معمورة بالخشب واللبن والطوف، ومنها بالآجر، وفيها بعض البيوت ذات الرواشن، وفيها سوق يشتمل على عدة حوانيت وست قهاوي. وأهل هذه القرية أصحاب معشر لا يستوحش الغريب بينهم، وكلهم ذوي أخلاق فاضلة يكرمون الضيف، وفيها عدة بيوت مشهورة بالضيافة.. وبساتينها نحو الخمسمائة بستان معمورة بالنخيل وشجر الليمون والأجاص والخوخ، وفيها مسجد واحد، وفيها مقام يدعى بنت الحسن عليه قبة معقودة، والقرية قائمة على تل عال يظهر أنه من آثار بلدة قديمة جداً. وهذه القرية ببساتينها تعطي إلى أوقاف القادرية الخمس وتسقى من نهر خراسان»⁽¹⁾.

السادة

قرية من أعمال مركز قضاء بعقوبة، عرفت في القرن العصور العثماني بالرازقيات (أنظر هذه المادة).

ساطي

قرية تابعة لناحية أبو صيدا. أشير إليها أول مرة في دفاتر الأراضي المعدة في أوائل عهد الدولة العثمانية في العراق (الدفتري 1028) باسم (قرية نهر ساطي) وفي

(1) ملاحظات عن قرى ديالى، مخطوط.

وقفية السيد زين الدين القادري سنة 987هـ/1570م إشارة إلى النهر دون القرية،
وعدته من حدود أراضي ومزارع الدامغة من أعمال خراسان.



طريق بين بستين في ديالى لوحة للفنان منير العبيدي

السعدية

وقف عبد الرزاق وعبد الوهاب ولدي السيد عبد القادر البرزنجي، بموجب
وقفية المؤرخة في 28 صفر سنة 1259هـ/1843م «الثلاث الشائع من بستان الحاج
عبد الله في قرية سعدية، المحدود من جهة بالطريق العام، ومن جهة بالبادية، ومن
جهة بالدجلة العظمى، ومن جهة ببستان باقر بن الحاج علو، وبستان عبد الحسين
المحدود من جهة بالجامع، ومن جهة بالطريق العام، ومن جهة بالبادية، ومن جهة
ببستان شكي، وكذا البستان المعروف ببستان كاظم، المحدود من جهة بالطريق
العام، ومن جهة بنهر الخالص، ومن جهة بملك الحاج كاظم، ومن جهة بملك
الحاج عليوي، وبستان نين، وبستان محمد الحسين، وحديقة وغرب في القرية
المذكورة» على مصالح جامع الإمام أبي حنيفة.

وفي وقفية زمزم خاتون بنت محمد آغا، على ابن زوجها وذريته، المؤرخة في
16 ربيع الثاني سنة 1284هـ/1867م نقرأ أن من حدود السندية، السعدية.

سَنَبْقِيَّة

قرية أشير إليها في وقفية الحاج علي بن مراد أفندي المؤرخة في 8 جمادى الأولى سنة 1133هـ/1720م، حيث ورد فيها أنه وقف نصف بستان في قرية سنبقية من ملحقات قرية كبية. قلنا: وكبية هذه من قرى ناحية المنصورية (دلي عباس سابقاً).

السُّنْدِيَّة

قرية من أعمال قضاء الخالص، ورد اسمها في رحلة المنشي البغدادي سنة 1236هـ/1821م. وفي التاريخ نفسه تقريباً وقفت نابي خاتون بنت عبد الله، وهي أم والي بغداد سعيد باشا، البستان الواقعة في قرية السندية المعروفة ببستان الحاج علي، على العلماء والصلحاء، وعلى المدرسة التي أنشأتها في بغداد، وذلك في وقفيتها المؤرخة في 28 رجب سنة 1237هـ/1821م.

ووقف شكر ومحمد ونائلة وأسماء وفاطمة، من سكان قرية السندية، الباغجة الواقعة في القرية، على ذريتهم، ثم على لوازم جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، بموجب الوقفية المؤرخة في 8 شوال 1276هـ/1859م.

وفي 16 ربيع الثاني سنة 1284هـ/1867م وقفت زمزم بنت محمد آغا بن عبد الله، من سكنة محلة العاقولية في بغداد، حصصاً في «أراضي السندية في مقاطعة الخالص، داخل قضاء خراسان، المحدودة من جهة بالسعدية، ومن جهة بأراضي جيزاني، ومن جهة بالنهروان، ومن الجهة الرابعة بدجلة العظمى» على ذرية زوجها.

سنسل

قرية من أعمال مركز قضاء المقدادية. أشير إلى نهر باسمها في وقفية السيد زين الدين القادري سنة 978هـ/1570م، وسكتت الوقفية عن الإشارة إلى القرية، مما يرجح أنها نشأت بعد ذلك التاريخ. وأوضحت وقفية خديجة خاتون بنت علي آغا أرناؤوط، المؤرخة في 13 محرم سنة 1172هـ/1758م حدود قرية سنسل، فذكرت أنها «تابعة لناحية شهریان، المحدودة بأبي جسر وبعواشق وبيجدول مهروود وبيحد خراسان».

لقد منحت سنسل اسمها، في العهود المتأخرة، إلى عدة تجمعات بشرية نشأت في منطقتها، اتخذت مع مرور الزمن شكل قرى مستقلة، لكنها عرفت جميعاً باسم

القرية القديم، سنسل، لكن كل وحدة منها نسبت إلى أحد الأعلام، والأسر، أو العشائر، أو المعالم، هي سنسل العكيدات، وسنسل الرشادة، وسنسل طنبورة، وسنسل الخيلاني، وسنسل القلعة، وسنسل حمادة، وسنسل إمام عباس، وسنسل أبو دهن.

سويدية

قرية في ناحية الوجيهية، في قضاء المقدادية. اشير إليها في وقفية الحاج علي أفندي بن مراد المؤرخة في 8 جمادى الأولى سنة 1133هـ/1720م بوصفها تابعة لقرية (عقر) المعروفة حالياً بالعكر.

سُويقية

أرض، أو قرية، في الخالص، وقفها الشيخ محمود بن عبد الله على الجامع الذي أنشأه في أدنه كوي (منصورية الجبل). ورد ذلك في الإعلام الشرعي المؤرخ في محرم سنة 1262هـ/1845م.

شفتة

قرية من أعمال بعقوبة، قريبة منها، وردت أول إشارة إليها في وقفية الحاج حسين أفندي بن عبد الله الغرابي، إذ وقف في أواخر ربيع الآخر سنة 1100هـ/1688م « نصف الخرق الشهير باسم شفتة قرب قرية بعقوبة ».

ووقف هادي بن حبيب بن خليل بن الحاج عمر بستاناً في القرية المذكورة يعرف ببستان عبد، ونصف البستان الواقع في القرية أيضاً، المسمى بستان علاوي، على جامع السيد سلطان علي ببغداد، وذلك في وقفيته المؤرخة في غرة محرم سنة 1255هـ/1836م.

وفي 16 جمادى الأولى سنة 1282هـ/1865م ادعت خجة (خديجة) بنت خليل جلبي أن جدتها أمنة بنت عبد الله، وجدها محمد صالح جلبي، قد وقفا حصصاً عديدة، منها نصف قرية شفتة، وذلك بموجب الحجة الشرعية الصادرة في ذلك التاريخ.

وفي 7 جمادى الأولى سنة 1311هـ/1893م وقفت أسما خاتون بنت مصطفى آغا بن خليل آغا، على ذريتها، بستان الحاج شكر في قسبة خراسان، المحدود بطريق شفتة، وبستانين لمحمد وفيق أفندي وخجة خاتون بنت أحمد آغا، ونصف

حصّة في بستان مجدد المحدود بطريق شفته وبستان ورثة درويش علي، وأرض مقلع، وبستان أم العنب.

شهربان

بلدة قديمة، وردت الإشارة إليها في كتب البلدانين العرب في العصور الإسلامية. قال ياقوت « شهربان: قرية كبيرة عظيمة ذات نخل وبساتين من نواحي الخالص في شرقي بغداد، وقد خرج منها قوم من أهل العلم».

وأشير إلى شهربان في سجلات الأراضي العثمانية التي أعدت في أول عصر الدولة العثمانية في العراق، ففي الدفتر 1028، الورقة 294 نقرأ أن جميع رسوم قرية شهربان زراعية. وأن حاصل مالكانة نهر مكّي ونهر كنجري ونهر مسير صغير في قرية هارونية من المواضع التابعة لشهربان، يبلغ 400 آقجة.

وتشير الوثيقتان المؤرختان في رجب سنة 992هـ/1584م ومحرم سنة 993هـ/1585م إلى شهربان بوصفها قضاءً، وأنها منطقة قضائية مستقلة، يرأسها قاض، له صلاحية مخاطبة السلطان مباشرة في بعض أمور بلدته⁽¹⁾. وتوضح وثائق أخرى، أن قاضي شهربان كان يُكَلَّف، مع أمير أمراء بغداد، وقضاة آخرين، بإجراء التحقيق في قضايا تتعلق بسلوك بعض الأمراء، أو بالتحقيق بأمر تهريب بعض المسجونين من السجن، ونحو ذلك⁽²⁾.

وتتردد الإشارة إلى شهربان في القرن الحادي عشر للهجرة، ففي وقفية عوض آغا من ينكجيرية محافظة بغداد، المؤرخة في غرة ذي الحجة سنة 1096هـ/1684م أنه وقف بستان عبد العلي ومقهى على نهر شهربان، على «جامع قصبية شهربان» وقد شهد على هذه الوقفية جمع من الشهود، من بينهم ملا حسين بن سلمان الخطيب في جامع شهربان.

ووصف بكنكهام شهربان، حينما مر بها سنة 1816، بأنها تتألف من منازل متناثرة من الآجر، وبضعة شوارع قليلة، وحدائق وبساتين، مسورة بأسوار من

(1) الأرشيف العثماني، دفتر مهمة 53، ص 196 و122 وثيقة 350 و575، رجب 992 992 ومحرم الحرام 993،

(2) الأرشيف العثماني، دفتر مهمة 28، ص 8، وثيقة 14 و15، في 19 جمادى الأولى 984.

الطين، وفيها مسجد واحد ذي منارة حسن البناء، ونزلان،.. ويقدر عدد السكان بحوالي ألفين وخمسمائة نسمة»⁽¹⁾.

وفي وقفية رحمة خاتون بنت محمد بك المؤرخة في 13 شوال سنة 1241هـ/1826م نقرأ أن هذه السيدة وقفت على ذريتها أرضاً في ناحية شهربان محدودة بملك السلحدار معروف آغا بن عبد الله، ومن جهة بالحمام، ومن جهة بشاخة شهربان، ومن جهة بالطريق العام.

ووقف الحاج بشير آغا بن عبد الله ضابط خراسان، في 23 صفر سنة 1246هـ/1830م عدداً من أشجار النخيل واقعة «علي خر شاخة خراسان»، وفي «زمين حمام». وقد صادق على الوقية عبد الشكور القاضي في ناحية خراسان، وممن شهد عليها الملا خليل كاتب خراسان.

وتكشف وقفية إبراهيم بن خليل بن فياض، من سكنة شهربان، المؤرخة في 4 رجب سنة 1341هـ/20 شباط 1923م، عن وجود حمامين قديمين في البلدة، أحدهما للذكور، والآخر للإناث، يرقيان إلى تاريخ غير محدد، فإنه وقف، على ذريته، 14 سهماً من أصل 32 سهماً، من ثلث الحمام المختص بالذكور، المرقم حديثاً 20-7/22 المحدود جهة بالطريق العام، ويميناً بدار أصحاب الملك إبراهيم بن خليل وشركائه، ويساراً بحمام الإناث وموقده، وخلفاً بشاخة شهربان، ومن ثلث الحمام المختص بالإناث الواقع مع موقده المرقم حديثاً 24-7/26، المحدود جبهة بالطريق الخاص، ويتم بحمام الذكور، ويميناً بموقد حمام الذكور، ويساراً بدار ورثة حميد أفندي بن شاهين آغا، ويتم بحريم شاخة شهربان، وخلفاً بشاخة شهربان، ويتم بموقد الحمام المذكور. وقد صادق على الوقية عبد الحق قاضي لواء ديالى.

الشوخرات

قرية من أعمال الخالص، وردت أول إشارة إلى اسمها في أواخر العهد الصفوي، حيث جاء في الحجة الشرعية التي أمر بكتابتها الصدر رضي الدين ابن الصدر شرف الدين الشيباني في غرة شهر ربيع الأول سنة 929هـ/1522م،

(1) رحلتي إلى العراق، ص169.

بوصفه اسماً لنهر عد واحداً من حدود أرض القاطع ورقّة القاطع اللذين جرى إحيائهما في ذلك التاريخ (أنظر مادة القاطع).

الشيخ دقل

يشير الفرمان المؤرخ في سنة 1260هـ/1845م إلى أن « مالكانة القرية المدرج جميعها تحت قرية دقلي التابعة لناحية طريق خراسان، وحاصلها، فهذه هي في تصرف أولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني وفقاً للدفتري العتيق ».

العاصمية

قرية عدت في مقاطعة الخالص، اشارت إليها وقفية فاطمة بنت أحمد بك حرم والي بغداد محمد رشيد باشا، بوصفها من حدود قرية عنه بكى (العنبكية)، وذلك في 17 ذي الحجة سنة 1280هـ/1766م.

عبد الرزاق

يشير إليها الفرمان الصادر في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1845م بوصفها قرية مستقلة عن قرية (الرازقية)، « وأنها تابعة أيضاً لناحية خراسان »، وأن مالكانة القرية المذكورة، ورسومها المدونة تحت (نفرات) جميعاً في تصرف أولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره وفقاً للدفتري العتيق، وقد بلغت الرسوم المستحصلة منها 7634 آقجة.

عبد الحميد

قرية من أعمال بعقوبة، قريبة منها، وردت الإشارة إليها أول مرة في وقفية زين الدين القادري سنة 978هـ/1570م، بوصفها أحد حدود قرية دوره من أعمال ناحية خراسان. وذكر الشيخ محمد صالح السهروردي أن الشيخ عبد الحميد كان « من كُمل السادة الصوفية في زمانه، وتخرج غير واحد من الأعلام، وانتفع بفضلها الخاص والعام »⁽¹⁾.

العزية

قرية كانت تابعة إلى ناحية مهرود، وفي وقفية السيد زين الدين القادري، المؤرخة

(1) الجواهر المضيئة، مخطوط.

في سنة 978هـ/1570م أن مما وقفه « جميع أراضي ومزارع نهر الشيخ المسمى بنهر الصغير الخارج من شاخة العزية» ولم تشر الوقفية إلى قرية بهذا الاسم، إلا أن الفرمان الصادر سنة 1261هـ/1845م يشير إلى مالكانة نشأت عند مزرعة نهر الشيخ الآخر المعروف بمزرعة نهر عزية التابع لناحية مهروت. ويذكر الفرمان أن « حاصل مالكانة المزرعة المذكورة في تصرف الشيخ زين الدين القادري وفقاً للدفتري العتيق». وتشير دفاتر الأراضي العثمانية المعدة في القرن العاشر للهجرة إلى مزرعة عزية تابعة لقرية عزية من بلوك مهروت، وأنها موقوفة على حضرة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني⁽¹⁾.

العقر

قرية من أعمال ناحية الوجيهية. جاء في وقفية الحاج علي أفندي المتقدمة أنه وقف حصصاً من نهري حمزة وأبو خنازير قرب قرية عقر، ونصف بستان الفواكه في القرية المذكورة.

علياوه

وقف الحاج صالح بن الحاج ولي عدة «حصص في البستانين المعروفين ببستان يم في قرية علياوه على نهر الوند» على ذريته، بموجب وقفيته المؤرخة في 26 جمادى الآخرة سنة 1169هـ/1755م.

عنه بكى (العنبيكية)

قرية من أعمال ناحية المنصورية، تسكنها عشيرة عربية بالاسم نفسه. أشير إليها في وقفية فاطمة خانم بنت أحمد بك حرم والي بغداد محمد رشيد باشا، المؤرخة في 17 ذي الحجة سنة 1280هـ/1863م، وذلك بوصفها «داخل مقاطعة الخالص من مضافات بغداد»، وكانت هذه السيدة قد وقفت نصف الحصص الشائعة من أعقار قرية (عنه بكى)، المحدودة من جهة بنهر الخالص، ومن جهة بالتحويلة، ومن جهة بقرية كوريكيجة، ومن الجهة الرابعة بقرية العاصمية، وكذلك نهر بوازير، على السبيلخانة (السقاية) التي أنشأها في بغداد. وفي دفاتر الأرض العثمانية، المعدة في القرن العاشر للهجرة (16م) إشاره إلى قرية تدعى (الجنبيكية)

(1) الدفتري 1028، الورقة 76

تابعة لبلوك الخالص (الدفتري 1028، الورقة 75)، ومن غير الواضح إن كانت هي نفسها (العنكبكية) المذكورة.

العواشق

قريتان من أعمال المقدادية، هما العواشق الكبيرة والعواشق الصغيرة، لا يعلم تاريخ نشوئهما، وانضردت وقفية السيد زين القادري المؤرخة في سنة 978هـ/ 1570م بالإشارة إلى رقة، وهي الأرض المنخفضة الكثيرة المياه، باسم رقة العواشق، وعدتها جزءاً من أراضي ومزارع الشيخ دقل، ولا تعرف هوية الشيخ دقل هذا، ومن الراجح أن ظهور القرية جرى بعد هذا التاريخ، وأنها عرفت باسمها هذا نسبة إلى الرقة المذكورة.

جاء في الوقفية ما نصه « ومن الأملاك التي ما هو حقه ومملكه بلا مانع وفي يده وتصرفه بلا منازع، وذلك جميع أراضي ومزارع رقاق الشيخ دقل المعروفات برقة العواشق، وبرقة موة حسام، وبرقة دوب الكلب، الواقعة بغربي شط خراسان من أعمال ناحية خراسان، المحدود بحدود أربعة: الحد الأول أراضي قرية بقاوة، والحد الثاني رقة الزهيرات، والحد الثالث شط ديالى، والحد الرابع خرسان، بجميع حدودها وكافة حقوقها وتوابعها ولواحقها وأراضيها ومزارعها وأهوارها وأنهارها وسواقيها ومساقيةها وشروبها ودروبها وعواطلها وبواطلها ومتلقاتها ومنسوباتها ومضافاتها.»

وثمة إشارة إليها في وقفية خديجة خاتون بنت علي آغا أرناؤوط، المؤرخة في 13 محرم سنة 1172هـ/ 1758م بوصفها من حدود قرية سنسل التابعة لناحية شهریان.

وفي الوثيقة الشرعية المؤرخة في 23 ذي الحجة سنة 1232هـ/ 1816م نقرأ أن (نهر زور شكير) في العواشق هو من أوقاف الشيخ عبد القادر الكيلاني.

وصف جمس بكنكهام، قرية العواشق، حينما مر بها سنة 1816، وقدم تفسيراً مهماً لنشوئها، فقال « كانت هذه القرية في الأصل ملاذ اثني عشر من الفقراء الذين عاشوا هنا في استرخاء اعتماداً على صدقات المحسنين من المسافرين، غير أن طريقة حياتهم البسيطة اجتذبت إليهم آخرين من ذات الطبقة، وبذلك اتسعت

الإقامة فيها فأصبحت الآن تضم حوالي خمسمائة شخص معظمهم من الفقراء»⁽¹⁾.

ووصفها الشيخ محمد صالح السهروردي، حينما زارها سنة 1941م بقوله « هي متصلة الأشجار والبساتين بالعواشق الصغيرة، كأنهما قرية واحدة، وهذه القرية تربو دورها على الخمسين داراً، فيها دكاكين للباعة ومقاهي، وبعض حواشها⁽²⁾ أجمل من حواشي القرى المجاورة، بها الرواشن والقَبب العامرة. وأهلها من العرب، منهم دوريون، كبيت صيهود الشلال، ومنهم من تميم، ومنهم أكراد سميرية وعزة.. ونخيل هذه القرية نحو الأربعمائة عشر ألف، وكل بساتينها عامرة، كأنها جنائن، فيها النومي والرمان والعنب وغيره، ولا مسجد فيها.. وتسقى هذه القرية من نهر خريسان». ووصف العواشق الصغيرة بأنها تربو على العشرين داراً، ودورها كلها مبنية بالطوف، وأهلها عرب منهم سوامرة، وهم الأكثرية، ومنهم من بني عز، ومنهم كروية وهم الأقلية. وفيها من النخيل نحو الاثني ألف (كذا) نخلة، وليس فيها مسجد ولا جامع.. وفي الخارج بعض تلول تعرف بتل الملاقط وتل يعرف بالنصيصة. وأوقاف القادرية تستوي في العُشر من عموم الحاصلات، وهذه القرية تسقى من نهر خريسان»⁽³⁾.

وفي الفرمان السلطاني، المؤرخ في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1845م ما يفيد بأن قرية عواشق، مع عدد من القرى والأنهر « تعطى بالالتزام كلها معاً».

الغالبية

قرية من أعمال ناحية هبهب، من نواحي قضاء الخالص. لا يُعرف زمن نشوئها، ولكنها كانت موجودة في القرن الثاني عشر للهجرة، في أقل تقدير، فقد دلت وقفية عمر آغا بن عبد الله المؤرخة في 15 شعبان سنة 1200هـ/1785م، على وجودها في ذلك التاريخ، فضلاً عن وجود مسجد فيها، ومن المعقول أن إنشاء مسجد في قرية لا يكون إلا بعد مدة من نشوئها واتساعها وزيادة السكن فيها، جاء في الوقفية أن هذا الواقف، ويظهر من لقبه (آغا) أنه كان ضابطاً، وقف أرض الكرد في قرية الغالبية وأشجارها على مسجد القرية.

(1) رحلتي إلى العراق، ترجمة سليم طه التكريتي، ج2، بغداد 1968، ص168.

(2) الحوش: الدار.

(3) الجواهر المضئية، مخطوط.

القاطع

قرية قديمة كانت تعد من أعمال طريق خراسان، لم يبق من آثارها إلا اسمها، يحمله هور أو مستنقع هناك، يعرف بركة (بكاف فارسية، وهي الرقة)، يمتد من شمال قرية خرنابات حتى جنوبي قرية العبارة، متصلاً من شرقه بنهر خريسان. وحمل هذا المستنقع اسم القرية المذكورة يدل على أنها كانت قريبة منه إلى حد كبير. ونرجح أن تكون ركة القاطع عدا المستنقع نفسه.

ولقد وقفنا على حجة شرعية توضح ظروف تأسيس هذه القرية، مؤرخة في غرة شهر ربيع الأول سنة 929هـ/1522م، فهي ترقى إلى السنة الأخيرة من حكم الصفويين في العراق (المدة الأولى من 914 إلى 930هـ/1508-1523م)، وكانت بغداد يرمئذ تحت حكم إبراهيم خان، أمير قبيلة موصلو الكردية.

وتنص الوثيقة على « أن جناب الصدر المعظم، الماجد المكرم، افتخار الصواحب في العالم، ملاذ المساكين في الأمم، الغني عن الألقاب بعلو الشأن ومزيد الكرم، الواثق بعناية الله السحاب (كذا)، الصدر رضي الدين ابن الصدر شرف الدين الشيباني، زاد الله شأنه قدراً، وأعظم له ثواباً وأجرأ، عمد إلى الأرض المعروفة بركة القاطع، والأرض المعروفة بالقاطع، الواقع ذلك كله بطريق خراسان، بين قرية حد مكسر، وبين قرية خرناباد، المحدود ذلك كله بشط ديالة، وبأرضين قرية خرناباد المذكورة، وبشط طريق خراسان، وبنهر الشواخير، وبالشرعية البيضاء، وبأرضين قرية حد مكسر، بعد أن كانت من البائرات الخراب، المعهودتان بسكنى السباع والذئب، المقفرة الجوانب، المحفوفة بالمكاره من كل جانب، فغيرها بعمارتها كروضة تميم حسناً، وجعلها بعد الخراب والخلو كقرية غناء، وأجرى المياه في أرجائها وأطرافها، وساق عوامل الحرث في حواشيتها وأكنافها.. فصارتا بذلك ملكاً له بالحق ودليله، وحقاً من حقوقه، لقول نبي الله ومصطفاه وخليله « من أحيأ أرضاً موأناً فهي له... »

ويظهر أن مؤسس القرية هذا كان من طبقة الصدور، وهم ملتزمو الأرض الكبار الذين كانوا يتولون ضمان الأرض الزراعية، مع قيامهم بتولي الإدارة والحكم فيها. ويلاحظ أن هذا الصدر كان من أهل البلاد أنفسهم، لا من الأقوام الغازية التي توالت على العراق في تلك القرون، فهو عربي شيباني، ورث منصبه من والده

الذي كان صدرأً أيضاً، وتدل كثرة الألقاب التي أضفيت عليه، على مدى أهميته وعظم منزلته في ذلك العهد.

ولسنا نعلم ما جرى لقرية القاطع هذه بعد إنشائها في مطلع القرن العاشر للهجرة (16م)، ولا في أي عهد اندثرت؛ والذي نرجحه وراثه قرية (العبارة) القريبة من هور القاطع لموقعها، أو أن أهلها هجروها إلى هذه القرية لبعض الأسباب غير المحددة لنا الآن.

القبه

قرية من أعمال بعقوبة، وتعد تابعة لمركز قضائها اليوم. تأخذ مياهها من نهر جلولاء (المعروف حديثاً بنهر خريسان)، سكتت كتب البلدانيات عن الإشارة إليها، على أن سكوتها لا يقف دليلاً على عدم وجودها، ومن المؤكد أن القرية ترقى إلى العصور القديمة، نظراً لاكتشاف عدة (تواييت) موتى، دفنوا على الطريقة التي كانت شائعة في العصر الفرثي، أي إلى الثلاثة قرون الأخيرة قبل الميلاد، والقرنين التاليين بعده. وأقدم اشارة تاريخية عثرنا عليها، تحمل اسم (القبه) وردت في ضمن حوادث غزو تيمورلنك بغداد سنة 795هـ/1383م، حيث ذكر المؤرخ غياث الدين بن حميد في كتابه المسمى (حبيب السير)⁽¹⁾ أن تيمور حينما وصل مزار الشيخ يحيى المسمى بقبه إبراهيم، أرسل أهل القبه إلى بغداد كتاباً في جنح حمامة يحذرون فيها أهلها من هذا الطاغية. ويكشف الخبر عن بعض المواقع التي ارتبط بها تاريخ القبه في ذلك العهد، مثل مزار الشيخ يحيى، ولا يعلم الناس، وحتى المعمرون منهم، شيئاً عن يحيى هذا، أو مزاره، فالظاهر أنه اندثر منذ عهد بعيد. أما إبراهيم المذكور فأغلب الظن أنه صاحب القبر القريب من القبه، والمشهور لدى أهل تلك النواحي بأنه إبراهيم بن أدهم، ولعلمهم يعنون بذلك الزاهد المجاهد إبراهيم بن أدهم التميمي البلخي المتوفى سنة 164هـ/778م، ومن الثابت تاريخياً أن وفاة الأخير كانت في بعض حصون الجزيرة على حدود أرض الروم، قلعه إذن قبر أحد الصالحين ممن عفت أخبارهم، ولكنهم ظلوا يفوزون بتقدير الناس واحترامهم. وقد وجدنا أن اسم القبه يأتي مطلقاً، أي دون نسبتها إلى أحد، في

(1) اقتباساً من عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج3 ص206.

أحداث سنة 801هـ/1398م، إذ كانت يومذاك إقطاعاً أقطعه حاكم بغداد السلطان أحمد الجلائري إلى بعض أتباعه المقربين.

وأول إشارة إلى قرية القبة في الوثائق الوقفية وردت في وقفية السيد الشيخ زين الدين القادري المؤرخة في سنة 978هـ/1570م، حيث نقرأ أن من حدود قرية أبي صيدا، قرية القبة. وتعين الوقفية مواضع القرى والنواحي القريبة منها بوضوح، إذ جاء فيها في تحديد « الرقاقت الواقعة في أراضي قرية أبي صيدا من أعمال ناحية خراسان»، قرية الزهيرات، وشط ديالى، وقرية القبة، وشط جلولاء. ووقفها عبد الله بك بن شاوي بك على ذريته، بموجب وقفية المؤرخة في 15 جمادى الأولى سنة 1172هـ/1758م، حيث جاء فيها أن مما وقفه « أرض القبة الواقعة في طريق زنكباد».

وتشير دعوى السيد علي القادري المتضمنة في فرمان العثماني الصادر في أوائل جمادى الآخرة سنة 1260هـ/1844م إلى (نهر قبة) بوصفها من حدود نهر خرابة المعروف بنهر الشيخ، وإلى (أراضي القبة).

قره دبة (قره تبة)

قرية قديمة تقع على تل أثري يرقى إلى عصر العبيد (6000-4000 ق.م) يعني اسمها (التل السود)، ولم تشر إليها المصادر الإسلامية، وأول إشارة لها وقفنا عليها في الوثائق، تشير إلى أن والي بغداد عمر باشا وقفها على تدريس العلم في قسبة كركوك من أعمال إيالة شهرزور في 21 شوال 1077.

ووقف درويش أحمد بن الملا حسين بن غيب الله، من أهالي قرية قره دبة، الطاحونة المعروفة باسم طاحونة حسن إبراهيم على نهر كشكه ويل، المحدودة من جهة بطاحونة قطب الدين، ومن جهة علي يوسف، ومن جهة بطاحونة حسن أدينه، ومن جهة بالجبل. وكذلك البستان الواقعة في قرية قره دبة المحدود من جهة بنهر بلاوي، ومنه ومن خلف التكية لحد طريق كشكه ويل، ومن جهة بأرض الملا عبد الله الصالحي، ومنها لحد طريق كشكه ويل، ومن جهة بطريق طواحين قره دبة، وكذلك جميع عقر قره دبة، المحدود من جهة بنهر سيد لان، ولحين الوصول إلى نهر جيزان، ومن جهة من الطاحونة العليا، ومنها إلى موضع ابن الكردي، ومنه لحد الوصول إلى بالنز آجاج، ومنها إلى ماء نارين، وإلى الشاخة

الرئيسية، ولحد الوصول إلى بركية، ومنها إلى جهتي دربركنك»، على ذريته، بموجب الوقفية المؤرخة في 29 ربيع الآخر سنة 1160هـ/1747م .

ووقف عبد الرزاق بن درويش أحمد بن حسين أفندي على ذريته حصص من رحي الماء المسماة (رحاة جمعة كهيّه) على نهر الكشكول من توابع قره تبة، و(رحاة حسن إبراهيم) الواقعة على نهر كشكول أيضاً، وحصص من مجموع عقر الأرض الواقعة في أراضي قره تبة على نهر قره تبه، ومجموع البستان الواقعة في قرية قره تبه، مع أرض الزرع الراجع لها، المحدودة بالحدود الأربعة، فالحد الأول نهر خلاوي، والحد الثاني من وراء التكية الراجعة إلى أرض الأدهم إلى درب كشكول، والحد الثالث من قبة ملا عبد الله الصالحي إلى درب كشكول، والحد الرابع مع طول الرحي، ونهر الكبير المسمى نهر قره تبة، إلى مقبرة الطاعون إلى الجسر، بموجب وقفيته المؤرخة في 10 ربيع الأول سنة 1195هـ/1780م .

ووقفت خجة خان بنت أحمد آغا قفطان آغاسي بن عبد الله، الرحي الواقعة في قره تبة المشهورة على ذريتها في 7 شوال 1309هـ.

وهي تابعة لقضاء كفري، من أقضية ديالى، وكانت سابقاً ملحقة بمحافظة كركوك.

قزانية

قرية من أعمال مندلي، أشير إليها في الإعلام الشرعي المؤرخ في 20 رجب سنة 1187هـ/1773م، حيث جاء فيه أن أحمد جلبي بن محمد الجلبي الوكيل عن أحمد أفندي بن محمد آغا الكاتب لدى والي بغداد والبصرة عمر باشا، والمتولي على أوقاف حضرة الإمام الأعظم، أقام الدعوى على إبراهيم بن عبد الله الوصي على تركة سفر بن علي الساكن في قرية قزانية بمندليجين بأن المتوفى المذكور كان قد وقف البستان المعروف ببستان النائب الواقع في القرية المذكورة، المحدد من جهة بنهر جلاللي، وبستان حليلة الواقع في القرية المذكورة، المحدودة من بعض الجهات بملك السلحدار محمود آغا، ومن جهة بملك مكية، وبستان حسين شيمة، المحدود من جهة بنهر ماديان، وقفها المتوفى لمصارييف الإمام الأعظم، وقد نم الحكم بإنفاذ الحكم وتسجيله.

وفي وقفية صادق بك بن سليمان باشا المؤرخة في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ/1871م نقرأ أن مما وقفه على ذريته « بستان عبد الهادي في قزانية التابعة لناحية مندليجين، ونهر دقلستان من أنهار القرية المذكورة».

وكان مما وقفته فاطمة خاتون بنت عبد الله، في وقفيتها المؤرخة في ربيع الآخر سنة 1246هـ/1830م «بستان في قرية قزانية، محدود بنهر ماربان، وببستان إبراهيم بن كاظم، ومن جهة ببستان أحمد بن بارولي، ومن جهتين بأرض المزرعة». وفي الإعلام الشرعي المؤرخ في 2 ربيع الثاني سنة 1249هـ/1833م نقرأ أن أموش بنت ميرزا بن كرم، من سكنة قزانية، ومن تبعة الدولة العلية، ادّعت أن أخويها فتح الله وسعد الله ابني ميرزا بن كرم بن محب بن يغمور، من سكنة القرية المذكورة، قد وضعوا اليد على بستان ميرزا كرم الواقعة في قرية قزانية، المحدودة أولاً بجاي كنكر، وثانياً بملك جاسم بن محمد قره، وثالثاً بملك أوسطه يوسف بن عبد الله، ورابعاً بالطريق العام، وإزاء هذا ادعى خصماها أن البستان المذكور وقفه جددهم يغمور بن محب بن أحمد قبل نحو ستين سنة على أولاده الذكور دون الإناث، وبعد سماع الشهود، حكمت المحكمة بصحة وقف البستان على الذكور دون الإناث.

قزل رباط

يعني اسمها الرباط الأحمر، وهو رباط جلولاء الذي أنشأه السلطان ملكشاه السلجوقي في القرن الخامس للهجرة في أرض جلولاء. وفي سجلات الأراضي التي أعدت في أول عهد الدولة العثمانية في العراق (دفتر 1028 ص 405) أن من أوقاف المدرسة المرجانية ببغداد « مالكانة قرية قزلرباط».

وقد وقف عبد الرزاق بن درويش أحمد بن حسين أفندي على ذريته داراً « في قرية قزرباط من ملحقات بغداد»، بموجب وقفيته المؤرخة في غرة ربيع الأول سنة 1195هـ/1780م .

ووقف كيخسرو بيك بن محمود باشا الجاف الساكن في قزلرباط ثلاثة أرباع الحديقة الكائنة في قزلرباط الواقعة على جادة خانقين وثلاثة أرباع الحديقة الكائنة في القصبة المذكورة الواقعة على جادة شهرين «على فقراء المسلمين، بموجب وقفيته المؤرخة في 4 شوال سنة 1338هـ/1919م، وصادق على الوقفية مصطفى بن الشيخ محمود أفندي القره داغي القاضي بقزلرباط.

تصيبة

نوهت دفاتر الأراضي العثمانية المعدة في أوائل عهد الدولة العثمانية في العراق،

(دفتر 1028) بمزرعة هور قصبية، ولم تشر إلى القرية نفسها. وأول إشارة إليها بهذه الصفة وردت في وقفية السيد زين الدين القادري سنة 978هـ/1570م بوصفها «من أعمال خراسان». وحددت الوقفية حدودها بتفصيل، إذ ذكرت أنه وقف «جميع الأراضي والمزارع الواقعة في قرية قصبية من أعمال ناحية خراسان، المحدودة بحدود أربعة: الحد الأول أراضي حد مزيد، والحد الثاني حد بوزجة، والحد الثالث تل كرستل، الواقع على طريق شهریان، والحد الرابع خراسان، بجميع حدودها وكافة حقوقها وتوابعها ولواحقها وأراضيها وأهوارها وأنهارها .. الخ».

قوصري

من غير المحدد تاريخ نشوئها، وأشار إليها أول مرة حين وقف السيد زين الدين القادري سنة 978هـ/1570م «جميع أراضي ومزارع قرية قوصري التابعة إلى جلولاء من أعمال ناحية خراسان، المحدودة بحدود أربع، الحد الأول نهر غيبة، والحد الثاني نهر الجديدة، والحد الثالث الهورة الواقعة بين نهر غيبة ونهر الجديدة، والحد الرابع خراسان». وسمتها سجلات الأراضي التي وضعت في أوائل عهد الدولة العثمانية في العراق، إبان القرن العاشر للهجرة (16م) باسم (قوصري)، وعدتها من أوقاف السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني (دفتر 1028). وهكذا هي وردت في الفرمان الذي حصل عليه السيد علي القادري نقيب الأشراف من السلطان محمود الثاني، المؤرخ في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1845م، إذ جاء فيه أن هذه القرية، من القرى التي «كانت مقيدة وفقاً باسم زين الدين القادري وتوابعه تحت المحل المدرج فيه أوقاف حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره العزيز، الكائنة في سنجاق العمادية، وفي ناحية بغداد، في دفتر العتيق».

كُبية

أشير إليها في وقفية الحاج علي أفندي بن مراد أفندي على جامعته ببغداد، المؤرخة في 8 جمادى الأولى سنة 1133هـ/1720م. حيث جاء فيها أنه وقف 200 نخلة «في قرية كُبية من أعمال مهرور (مهروود)، ونصف أنهار مزارع القرية المذكورة، ونصف بستان التوت في قرية الكبية، وبستان في نهر مختارية من القرية المذكورة».

كُدري، أبو كُدرة

هي باقدرا، القرية المعروفة من قرى النهروان في العهود العربية الإسلامية،

ذكرها ياقوت بقوله «بفتح القاف وسكون الدال وراء مقصورة، من قرية بغداد من نواحي طريق خراسان»، وقد خرّجت هذه القرية عدداً من الأعلام نسبوا إليها، فقليل لأحدهم: الباقدرائي، وبهذه النسبة نوهت بهم كتب الأنساب. ولقد أناخ الزمن بهذه القرية حتى تحولت آثارها إلى تل عرف في القرون المتأخرة بأبو كدره. وفي وقفية السيد زين الدين القادري المؤرخة في سنة 978هـ/1570م إشارة إلى «شريعة كدري من شرائع ديالى»، بوصفها من حدود أرض واسعة وقفها هذا الواقف على ذريته.

ولا يعلم على وجه التحديد تاريخ نشوء قرية أبو كدره الحديثة، عند الركام المندثر لباقدرا القديمة، وهي اليوم قرية مزدهرة، تبعد بنحو تسعة كيلومترات جنوبي مدينة بعقوبة، شرقي بهرز، يسقيها جدول يتفرع من نهر خريسان.

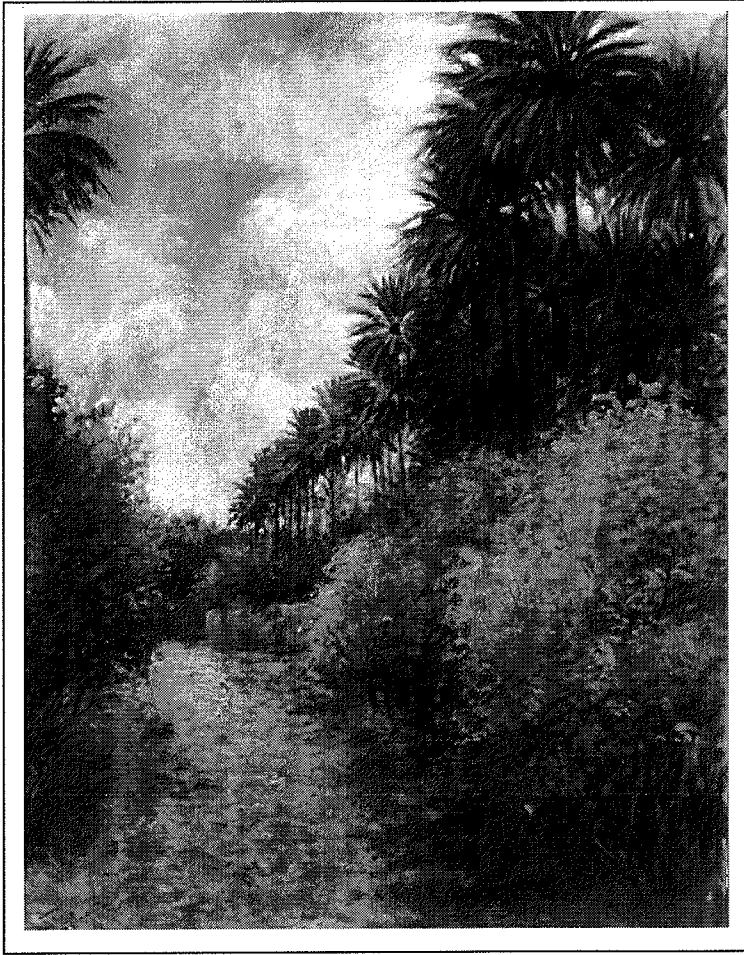
مجدد

قرية أشير إليها في وقفية حسين بن عبد الله الغرابي المؤرخة في 2 محرم سنة 1110هـ/1698م، إذ ورد فيها أنه وقف « ثلثي قرية مجدد من أعمال الخالص » على التكية والمدرسة التي أنشأهما في بغداد.

مهروت(مهروذ)

قرية من نواحي مركز قضاء مركز بعقوبة، عرفت قديماً باسم (مهروز) وبهذا الاسم نوهت بها مصادر الفتح الإسلامي، وأشير إليها في وقفية السيد زين الدين القادري سنة 978هـ/1570م بوصفها « ناحية » تتبعها بعض القرى، منها أبو جسر. وفي دفاتر الأراضي المعدة في القرن العاشر للهجرة (16م) إشارة بلوك مهروذ، وأن من توابع هذا البلوك قرية تاجية⁽¹⁾. وهذا يعني أنها كانت مركزاً لفوج من الجنود الإنكشارية أنيطت به حماية ما يتبعها من القرى، ونوه بها في وقفية الحاج علي أفندي بن مراد أفندي على جامع ببغداد، المؤرخة في 8 جمادى الأولى سنة 1133هـ/1720م، بوصفها من حدود بساتين كان قد وقفها الواقف المذكور.

(1) دفتر 1028، الورقة 74



طريق في بساتين المقدادية للضنان منير العبيدي

المخيسة

قرية زراعية ظاهرة القدم، تقع بين نهري ديالى وجلولاء (خريسان)، تعلو قرية أبي كرمة بقليل، وتجاور هور أبي صيدا الكبير من أسفله. وتسقيها ومزارعها الغن أنهار خمسة، تأخذ مياهها جميعاً من نهر جلولاء القريب، هي نهر المخيسة، ونهر الصيفي، ونهر الجديد، ونهر جاسم، ونهر أبي سوسة، وبعض هذه الأنهار قديم هو أيضاً، ربما يرقى زمن شقه إلى عهود القرية الأولى.

وأول نص يسجل وجود قرية المخيسة باسمها هذا، هو وقفية السيد زين الدين القادري سنة 978هـ/1570م، ويظهر أن هذا الاسم هو آخر ما سميت به

من أسماء، لأنه يفهم من الوقفية نفسها، أنه كان للقرية اسم سابق، هو (بدنية)، حيث جاء فيها ما نصه « ويتم الحد إلى أراضي البدنية وتعرف بالمخيسة، بجميع حدودها وكافة حقوقها». وقد أشارت الوقفية أيضاً إلى (رقة المخيسة) بوصفها من حدود أراضي قرية أبي صيدة.

وأشير إلى نهر بدنية في وقفية الحاج علي أفندي بن مراد أفندي على جامع ببغداد، المؤرخة في 8 جمادى الأولى سنة 1133هـ/1720م، بوصفه أرضاً لبساتين « في الطرف المقابل من نهر مهرور (مهروود)».

وفي 9 رمضان سنة 1258هـ/1842م استصدر السيد علي القادري، نقيب الأشراف ببغداد، أمراً من والي بغداد نجيب باشا، يفيد أن أرض المخيسة من الأراضي الموقوفة على جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وزاويته.

وفي الإعلام الشرعي المؤرخ في ربيع الأول سنة 1260هـ/1845م إشارة إلى « قرية المخيسة المحدودة أولاً بأرض أبو كرمة، وثانياً بأرض العلوان، وثالثاً بأرض الدائر، ورابعاً بديالى، والحدود الثلاثة من أوقاف حضرة الشيخ قدس سره أيضاً». وفي الفرمان المؤرخ في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1845م، إشارة إلى قرية المخيسة بوصفها «التابعة لناحية خراسان»، وأنها وقرية جليبي، وأبو صيدا، « هي تلك القرى المعروفة باسم الوقف الكبير والقريبة من مقاطعة خراسان التابعة المجموعة من أوقاف حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني».

المصمودة

قرية قريبة من ههب، أشير إليها في وقفت عائشة خاتون بنت محمود أفندي بن محمد أفندي آل نظمي، من سكنة محلة الصفاير في بغداد، حيث جاء فيها أنها وقفت «أرض القرية المعروفة باسم قرية ههب، المحدودة من جهة بقرية نهر قصبية، ومن جهة بقرية إمام قزانية، ومن جهة بقرية نعمانية، ومن جهة بقرية مصمودة، وكذلك نصف مزرعة نقرة الواقعة باتصال قرية ههب»، على المتولي الذي اختارته، وآخرين، بموجب وقفيتها المؤرخة في 6 جمادى الآخرة سنة 1177هـ/1763م.

المنصورة

وردت أول إشارة إلى هذه القرية في وقفية السيد زين الدين القادري سنة 978هـ.

1570م بوصفها من حدود قرية الرازقيات من أعمال خراسان. وحدد السيد علي القادري نهر المنصورة في دعوى رفعها بأنه « محدود من جهة بنهر جاناره، ومن الجهة الثانية بنهر باب الدرب، أما الجهتين الباقيتين فمحددتين بلجمة وجاووش من الأوقاف القادرية». وقد أقر الفرمان العثماني الصادر في أوائل جمادى الآخرة من ذلك العام التحديد المذكور⁽¹⁾.

المنصورة

قرية كانت تعد من توابع ناحية طريق خراسان، أشير إليها في وقفية السيد زين الدين المذكورة، إذ جاء فيها « من الأملاك التي ما هو حقه وملكه بلا مانع، وفي يده وتصرفه بلا منازع، وذلك ثلثا جميع الأراضي والمزارع الواقعة في قرية المنصورة من ناحية أعمال خراسان، المحدودة بحدود أربعة: الحد الأول نهر الدرب، والحد الثاني أراضي قرية الرازقيات، والحد الثالث والرابع أراضي خراسان، بجميع حدودهم وكافة حقوقهم.. الخ». وثبتت دفاتر الأراضي العثمانية، من القرن العاشر للهجرة، هذا الواقع، فأشارت إلى « قرية منصورية التابعة لبوك طريق خراسان».

وفي 9 رمضان سنة 1258هـ/1842م استصدر السيد علي القادري، نقيب الأشراف ببغداد، أمراً من والي بغداد نجيب باشا، يفيد أن أرض المنصورة من الأراضي التي غلتها مشروطة وموظفة لمصالح جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني وزاويته التي يطعم فيها الطعام إلى الفقراء. وفي الإعلام الشرعي المؤرخ في ربيع الأول سنة 1260هـ/1845م إشارة إلى حدود المنصورة، إذ جاء فيه أنها محدودة « أولاً بنهر الخانات، وثانياً بنهر باب الدرب، وثالثاً بنهر الشيخ الذي هو من أوقاف الشيخ قدس سره، ورابعاً بنهر الأحيمر والجاوش التي هي من أوقاف الشيخ قدس سره». وتسمى الحجة الشرعية الخاصة بالأوقاف القادرية، المؤرخة في سنة 1260هـ أيضاً، هذه الأرض (بمنصورة البستان).

نعمانية

قرية قرب قرية هبهب، وردت الإشارة إليها في وقفية عائشة خاتون بنت محمود أفندي بن محمد أفندي آل نظمي، المؤرخة في 6 جمادى الآخرة سنة 1177هـ./1763م بوصفها من حدودها.

(1) فرمان مسجل في المحكمة الشرعية، سجل 1، عدد 16..

نهر الشيخ

أشير إلى نهر الشيخ في وقفية السيد زين الدين القادري المؤرخة في 978هـ/1570م، بوصفه أرضاً ومزارع، محدودة بحدود أربعة: الحد الأول شاخة العزبة، والحد الثاني أراضي قرية بركنية، والحد الثالث نهر مقري، والحد الرابع البساتين الواقعة في أراضي شاخة العزبة». ولم تشر الوقفية إلى وجود قرية بهذا الاسم في ذلك التاريخ. وفي الإعلام الشرعي المؤرخ في ربيع الأول سنة 1260هـ/1844م إشارة إلى نهر الشيخ بوصفه من حدود أرض المنصورية، وأنه من أوقاف الشيخ عبد القادر الكيلاني. وفصل السيد علي القادري في دعواه المؤرخة في سنة 1260هـ/1844م حدود نهر الشيخ، وسماه أيضاً (نهر خرابة المعروف بنهر الشيخ)، وقال أنه «محدود من جهة بنهر خراسان، ومن جهة أخرى بنهر قبة، وأما الجهتين الباقيتين منه فبأراضي القبة والرحبة من الأوقاف القادرية».

وبرز اسم نهر الشيخ بوصفه قرية عامرة في الوقفيات المتأخرة، ففي وقفية آسية خاتون بنت السيد علي أفندي القادري، المؤرخة في 3 جمادى الأولى 1317هـ/1899م، أنها وقفت على بعض ذوي قريها «البستان المسماة بياغجة صالح الكرخي الواقعة في قرية نهر الشيخ، من أوقاف حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني».

ههب

وقفت عائشة خاتون بنت محمود أفندي بن محمد أفندي آل نظمي، من سكنة محلة الصفاير في بغداد «أرض القرية المعروفة باسم قرية ههب، المحدودة من جهة بقرية نهر قصبه، ومن جهة بقرية إمام قرانية، ومن جهة بقرية نعمانية، ومن جهة بقرية مصمودة، وكذلك نصف مزرعة نقرة الواقعة باتصال قرية ههب»، على المتولي الذي اختارته، وآخرين، بموجب وقفيتها المؤرخة في 6 جمادى الآخرة سنة 1177هـ./1763م

ووقفت بموجب وقفيتها المؤرخة في 24 شعبان من السنة نفسها «الحديقة الواقعة في قرية ههب، التابعة لناحية الخالص، المحدودة من جهة بحديقة خضر كهية والبصراوي، ومن جهة بعضاً بدور أهالي قرية ههب، وبعضاً بحديقة محمد آغا، ومن جهة بساقية الشحنة، ومن جهة بالمسجد الشريف». على أن يصرف

الربع من الغلة على ترميم المسجد الذي بنته الواقفة في قرية ههب، بموجب وقفيتها المؤرخة في 24 شعبان سنة 1177هـ/1763م .

ووقف أحمد وعلي بن كيكي، وهو من أهالي ههب، بستان محمود كيكي في قرية ههب، على « روح حضرة المرحوم أحمد باشا بن حسن باشا » بموجب الوقفية المؤرخة في 11 شوال سنة 1181هـ/1767م .

ووقف الشيخ عبد الرزاق بن الشيخ إسماعيل، في النصف من رجب سنة 1251هـ/1835م « خمسة بساتين في قرية ههب بناحية الخالص، محدودة من جهة ببساتين ويس الخضري والملة إسماعيل، ومن جهة دار رجب وعجاج، ومن جهة دور أسعد أفندي ومعروف، ومن جهة الطريق العام »، على فقراء الرسول صلى الله عليه وسلم.

ووقف علي باشا القائم مقام ببغداد نصف حصته من البساتين الخمس الواقعة في قرية ههب، المحدودة من جهة ببستان ويس الخضر، ومن جهة ببستان الملا إسماعيل، ومن جهة ببستان أبواق (كذا) وعجاج، ومن جهة بدور رجب والحاج محمد أسعد أفندي ومعروف، ومن جهة بالطريق العام، على جامع حسين باشا في بغداد، وذلك بموجب وقفيته المؤرخة في منتصف رجب سنة 1251هـ/1835م .

ووقفت عائشة خانم بنت درويش أفندي الحيدري « البستان الشهيرة بالدرويشية الواقعة في قرية ههب » و « ستة أسهم من اعتبار 16 سهماً من البستان الشهيرة بخليل الجواد الواقعة في قرية ههب » على سبيل الخير والمبرات، ثم على فقراء الأعظمية، بموجب وقفيتها المؤرختين في 28 رجب سنة 1338هـ/1919م .

هور

قرية، أشير إليها في الفرمان المؤرخ في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1245م بأن قرية هور، مع عدد من القرى والأنهر « تعطى بالالتزام كلها معاً ».

الهويدر

قرية من أعمال بعقوبة، وتعد اليوم تابعة إلى مركز قضائها، وردت الإشارة إليها في وقفية الحاج إبراهيم بن داود المؤرخة في رمضان سنة 1133هـ/1720م إذ

ورد فيها أنه وقف «عَرَصَة البقاج في قرية الهويدر» وبستان « أم العنب» ودار فيها أيضاً، على ذريته. ووقفت كلثوم بنت مصطفى بن محمد أفندي حصصاً مختلفة في بستان الدولاب الواقع بين هويدر وبعقوبة، وأراض أخرى مجاورة، بموجب وقفيتها المؤرخة في رجب سنة 1176هـ/1762م.

ووقف محمد آغا (سلحشور الخاصة من الدرجة الثانية لرئيس الفرسان) « البستانين في قرية الهويدر بناحية خراسان، المحدودين من جهة بنهر القرية، ومن جهة بملك كاظم، ومن جهة بملك جواد حمد، ومن جهة بملك الحاج مراد».

ووقف الحاج علي القراغولي بن الحاج ياسين على ذريته، بَقَجَتَيْن في قرية الهويدر، بموجب وقفيته المؤرخة في 25 ذي القعدة 1223هـ/1808م .

ووقفت نائلة خاتون بنت عبد الله، زوجة علي بك محمد باشا زاده « ثلاثة أرباع من (البستان) الواقعة في قرية هويدر من ناحية خراسان، وثلاثة أرباع البستان المسماة بباغجة، وثلاثة أرباع من بستان الصدر، على حسن بك نجل صالح بك عبد الرحمن باشا زاده، وعلى أولاده، وآخرين، ثم على مصالحي جامع العادلية في بغداد، بموجب وقفيته المؤرخة في 21 ذي القعدة سنة 1226هـ/1811م .

ووقفت الحاجة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم آغا، على مدرستها ببغداد، وأعمال بر أخرى « بستان أم الحيوه في قرية هويدر من قرى قضاء خراسان، وبستان أم التوث وبستان محبس وبستان أم التمر في القرية المذكورة، وهي أرض أميرية تملك منها حصصاً شائعة تبلغ ثلاثة أرباع من النخيل وسائر الأشجار»، وذلك في وقفيتها المؤرخة في 16 ذي الحجة 1291هـ/1874م .

ونقرأ في الإعلام الشرعي الخاص بوقف والي بغداد داود باشا، المؤرخ في 29 شعبان سنة 1304هـ/1886م أن العَرَصَة الخالية الواقعة في قرية هويدر الشهيرة باسم كرم وسعد، والتي كانت مشاعة ومشتركة بين ورثة عبد الغني آل جميل، والتي أفرزت وقُسمت فيما بعد، هي من مستغلات وقف داود باشا، إلا أنها آلت إلى الخراب، ونظراً لرغبة خضر آغا بن الحاج محمد صالح بن عباس في مفارستها، ولأن هذه المفارسة في صالح الوقف، فقد أعطيت هذه الأرض إليه، لمدة واحد وعشرين سنة، على أن يعطي ثلاثة أسهم من ثمارها من أصل خمسة سهام لجانب الوقف.

وفي وقفية زمزم خاتون بنت السيد علي القادري نقيب الأشراف ببغداد، المؤرخة في 21 جمادى الأولى سنة 1320هـ/1902م، أن مما وقفت على أسرتها، سهاماً لها في بستان صفر في قرية الهويدر، وأخرى في بستان المحطّب في الهويدر أيضاً.

وتكشف وقفية الحاج صالح بن حسن بن عبد الله الخياط، من سكنة محلة الطوب ببغداد، المؤرخة في 23 رمضان 1331هـ/1912م عن صور من انتقال ملكية بعض البساتين في الهويدر، ففيها أنه وقف، على أوجه الخير وعلى ذريته، الحصة الشائعة في بستان مزرع الكائن في قرية هويدر إلى عزيز، واليوم إلى عبد الرحمن أفندي آل جميل، وشمالاً بستاني وبادي وكرم العائدين إلى وقف الهمايون، وجنوباً بالبستان العائد سابقاً إلى عمر آغا، وحالياً إلى عبد اللطيف جليبي، وبشكاكة يوسف آغا، وغرباً بمجمع الماء؛ والبستان الواقع في القرية المذكورة، المحدد شرقاً ببستان أحمد بن حسن وشمالاً ببستان نمسة لي العائد إلى أوقاف الهمايون، وجنوباً بالطريق العام.

ويسية

وقفت الحاجة سكيئة خاتون بنت الحاج محمد آغا أسهم لها في (ويسية) على المدرسة و(السقا خانه) اللين أنشأتهما في بغداد، بموجب وقفيتهما المؤرخة في 5 ربيع الآخر سنة 1140هـ/1727م.

الوند

قرية كانت تعد من أعمال الخالص، وتعد اليوم تابعة لمركز قضاء الخالص، سكتت عن ذكرها مصادر التاريخ، وأشير إليها في وقفية حسين بن عبد الله الغرابي المؤرخة في 2 محرم سنة 1110هـ/1698م، إذ ورد فيها أنه وقف « ثلث قرية الوند» على التكية والمدرسة التي أنشأهما في بغداد. ويطلق اسم الوندية اليوم على قريتين، هما الوندية الكبيرة والوندية الصغيرة.

وجيهية

قرية كانت تعد من أعمال ناحية مهرود (مهروود)، وتعد الآن من أعمال شهربان (المقدادية)، لم تشر إليها المصادر التاريخية، وأول ذكر لها ورد في دفاتر

الأراضي العثمانية المعدة في القرن العاشر للهجرة (16م)، حيث تسميها (قرية الحاج وجيه)، وهي تذكر رسوماً على حاصلاتها (دفتر 1028، الورقة 390). ويفيد الفرمان السلطاني، المؤرخ في أوائل جمادى الآخرة سنة 1261هـ/1845م أن أصلها خاناً قديماً يعرف بخان الحاج وجيه، والظاهر أنه كان أحد أعلام المنطقة، فنسب إليه، ثم نشأت عنده القرية التي سميت بالوجيهية. ويوضح الفرمان أن الرسوم المستحصلة من أرض هذا الخان كانت تبلغ جميعاً 2784 آقجة، وأن « مالكانة القرية نفسها المدونة تحت تعبير نضرات مع قرية باجسرا وحاصلها التابعة لناحية مهروت» هي جميعاً في تصرف أولاد الشيخ عبد القادر، وفيها سهم أولاد الشيخ شرف الدين والشيخ محمد علي والشيخ علاء الدين «وفقاً للدفتر العتيق».

وقد وقفها الحاج علي أفندي بن مراد أفندي على جامع ببغداد، كما وقف « ربع نهري أبو طبول وأبو عرابيد في القرية المذكورة» بموجب وقفيته المؤرخة في 8 جمادى الأولى سنة 1133هـ/ 1720م .

وفي 11 رجب سنة 1339هـ/ 1920م ادعى علاء الدين أفندي بن عبد الوهاب أفندي الوكيل عن عبد ملا عبد الرحمن بن أحمد بن هاشم من أهالي قرية الوجيهية، على دائرة الأوقاف، أن جد موكله الأعلى الحاج عليوي بن الحاج عبد القادر قد أنشأ مسجد الوجيهية في قرية الوجيهية قبل أربعمئة سنة تقريباً، وأوقف عليه مزرع نهريين، النهر الأول المسمى نهر المؤذن، المحدود أولاً بأراضي نهر كلواز، وثانياً بشاخة مهروت، وثالثاً بأراضي البدنية، ورابعة بهور الشيخ سعيد، والنهر الثاني المسمى بنهر الجامع الواقع في القرية المذكورة المحدودة أولاً بشاخة مهروت، وثانياً بهور بركنية، وثالثاً بنهر القرية وباغاتها، ورابعاً بنهر أبو عرابيد، وبعد الترافع حكمت المحكمة برفع يد الأوقاف عن ذلك وتسليمها إلى عبد الرحمن بن أحمد المذكور.

سامراء في القرون المتأخرة

بدأ اضمحلال سامراء وخرابها بعد أن غادرتها الخلافة العباسية في القرن الثالث للهجرة مباشرة. يقول ابن حوقل، وهو من أهل القرن التالي: «ومدينة سُرَّ من رأى في وقتنا هذا مختلة، وأعمالها وضياعها مضمحلة، قد تجمع أهل كل ناحية منها إلى مكان لهم فيه مسجد جامع وحاكم وناظر في أمورهم، وصاحب معونة يصرفهم في مصالحهم»، وكتب مُعلّق غير معروف بعد هذه العبارة قوله: «وهي الآن خراب أهلها»⁽¹⁾.

وقال ياقوت الحموي: «فخرت حتى لم يبقَ منها إلا موضع المشهد.. ومحلة بعيدة منها يقال لها: كرخ سامراء، وسائر ذلك خراب يستوحش الناظر إليها..»، ونقل عن الحسن المهلبى قوله: إن الموضع المأهول من خرائب المدينة القديمة: مقدار يسير في وسطها»⁽²⁾.

وقال ابن جبیر في رحلته سنة 578هـ/1182م: «هي اليوم عبرة لمن رأى.. مدينة كبيرة قد استولى الخراب عليها، إلا بعض الجهات منها هي اليوم معمورة»⁽³⁾.

وحيثما وصلت جحافل المغول إلى منطقة دجيل في محرم سنة 656هـ/كانون الثاني 1258م، كانت سامراء المعدودة ضمن هذه المنطقة، قد أصبحت مجرد قرية، أو بلدة عادية، بين مئات القرى والبلدات التي تقاربها، بل تزيد عليها سعة وكثافة في السكن.

وقد وصف الرحالة ابن بطوطة ما آل إليه أمرها عند مروره بها سنة 727هـ/1327م، بأنها: «استولى الخراب على هذه المدينة فلم يبقَ منها إلا القليل»⁽⁴⁾.

وبزوال مراكز المدينة القديمة ومعالمها المهمة، ظهر مركز جديد يستقطب حوله من تبقى من أهلها، هو الموضع الذي دفن فيه الإمامان علي الهادي بن محمد الجواد (المتوفى سنة 254هـ/868م)، وابنه الحسن العسكري (المتوفى سنة 260هـ/872م)، بينما خلت المدينة القديمة من أي مظهر من مظاهر الحياة والعمارة.

(1) صورة الأرض ص218.

(2) معجم البلدان ج3 ص177.

(3) رحلة ابن جبیر، بغداد 1930، ص185.

(4) تحفة النظائر في غرائب الأمصار، القاهرة 1928، ج1 ص147.

وتفيد النصوص التاريخية التي وصلتنا من القرن الثامن، أن اسم سامراء لم يعد علماً على أي وحدة إدارية، أو منطقة زراعية، وإنما توزع إقليمها بين وحدتين، أولاهما (دُجَيل)، ومركزها بلدة (أوانا)، والأخرى (حربى)، وتقع في أعلى دجيل بين بغداد وتكريت⁽¹⁾، وما لبثت الوجدتان أن أدمجتا تحت اسم واحد، هو دُجَيل، فكانت سامراء واحدة من قرى هذا التكوين.

التطور العمراني:

وكان وجود أضرحة الأئمة، حيث عرف مكانها بالمشهد العسكري، سبباً في إيلاء البلدة شيئاً من الاهتمام في فترات متباعدة، إلا أن هذا الاهتمام ظل مقصوراً على تعمير المشهد نفسه كلما أصابه الوهن، أو الزيادة فيه أحياناً، ففي سنة 750هـ/ 1349م كان حاكم العراق الشيخ حسن الكبير الجلائري قد أمر بإجراء إصلاحات واسعة في المشهد، شملت تزيين الضريح، وتشيد قبة فيه، ومآذن، وإنشاء بهو، أو رواق، أمام المشهد، ونقل المقابر التي كانت ظاهرة في صحنه إلى الصحراء في خارجه⁽²⁾.

بيد أنه لم يمضِ إلا أقل من نصف قرن على هذا التعمير، حتى غزت العراق جيوش تيمور لنگ، لتدمر آخر ما تبقى من حضارة المدن العراقية ومعالمها، فكانت سامراء واحدة من البلدان التي تعرضت إلى أعماله التخريبية؛ ففي رواية متأخرة ساقها مؤرخ عراقي من أهل القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد): «أن آثار غدر تيمور ما زالت ماثلة للعيان في سامراء»⁽³⁾، وهي إشارة مهمة؛ لأنها تدل على فداحة ما ألحقه فيها هذا المحتل من خراب ودمار، ونحن نعلم أن تيمور كان يستهدف في أعماله العسكرية تدمير المدن التي يبدي أهلها المقاومة والكفاح بالدرجة الأولى، فما هي طبيعة ما أبداه أهل هذه البلدة الصغيرة من ضروب المقاومة يا ترى حتى استحقوا عليه هذا المصير؟ ذلك ما طوته صحائف النسيان، وسكتت عنه مصادر العصر، ومن المعروف أن تيمور دمر مدينة تكريت القريبة تدميراً هائلاً ظلت آثاره مرئية، شاهدة على قسوته لعدة قرون من بعده، وذلك في

(1) ينظر نوري عبدالحميد العاني: العراق في العهد الجلائري، بغداد 1986، ص 220.

(2) انفرد الشيخ محمد السماوي (1877 - 1950) بوصف هذا التعمير في منظومته المطولة

المعنونة: (وشايح السراء في شأن سامراء)، النجف 1941، ص 31.

(3) مرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا، ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس، بغداد 1975.

أوائل سنة 796هـ/1393م، وأن أحد قادة جيشه، وهو ابنه (شاه رُخ) عسكر، وهو في طريقه للانضمام إلى جيش أبيه، في بلدة (أوانا)، مركز منطقة دجيل، ثم في (حري)، وكلاهما قريب من سامراء⁽¹⁾، فمن المحتمل أن يكون ما أصاب الأخيرة من تخریب قد جرى في أثناء تلك الظروف العصبية وبسببها.

وبعد مُضي ما ينيف على قرن واحد، عادت سامراء لتشهد من جديد حركة البنائين، ولتسمع أصوات أدوات التعمير؛ ففي سنة 914هـ/1508م تم صنع صندوق فخم من الخشب المطعم بالفسيفساء، والمزين «بالنقوش الإسلامية والختائية» ليوضع على الضريح، بدلاً من الصندوق القديم⁽²⁾، وامتدت يد التعمير سنة 930هـ/1523م لتشمل الأروقة والقبة والصحن في المشهد، كما زين الضريح أيضاً⁽³⁾.

وعلى الرغم من التوسعة المستمرة للمشهد العسكري، فإن سجلات الأراضي العثمانية الرسمية، الموضوعة في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد)، تخلو من أي إشارة إلى ما عليه من أوقاف، بل إنها لا تشير إلى سامراء نفسها، بينما تذكر قرى قريبة منها، مثل: (أوانا) و(صريفين) و(الجوسق) و(حصاية) و(حري) و(حرم سرية) و(باب الشمال) و(بلاشة) و(بني جعفر) و(قصر سميكه) وغيرها، بوصفها توابع للوحدة الزراعية المسماة: (بلوك دجيل من أعمال بغداد)⁽⁴⁾.

وفي مطلع العهد العثماني رسم الرحالة التركي نصوح أفندي السلاحي الشهير بالمطراقي زاده أول صورة للمشهد العسكري سنة 941هـ/1534م، فإذا به يتكون من قسمين، أولهما وهو الأيمن، يتألف من حجرة عالية، تزينها من الخارج عقود صم، غير نافذة، تعلوها ظلّة خضراء اللون، ترتفع من أطرافها إلى الأعلى، وهي تتدرج ارتفاعاً إلى وسط المبنى، حيث تستند إليها رقبة تضيق كلما ارتفعت، لتنتهي بإفريز بارز، وبقبة كروية الشكل تقريباً، تزينها زخرفة تتكون من أشكال سداسية متراصة مثل خلية النحل، وواضح أن هذا القسم من المبنى يضم الضريح.

(1) ينظر جاسم مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب بجامعة بغداد، ط رونيو ص155.

(2) عبد الجواد آل طعمة: تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، بغداد 1949، ص247.

(3) السماوي: وشايح السراء ص32، وذبيح الله المحلاتي: مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، النجف 1350، ص32.

(4) الأرشيف العثماني، دفاتر طابو، دفتر 386، الورقة 31.



الصورة التي في أسفل الصفحة للمشهد العسكري من رسم الرحالة العثماني
نصوح أفندي السلاحي الشهير بالمطراقي زاده سنة 941هـ/1534م

ويتصل به من الجهة اليسرى مبنى آخر يظهر أنه مسجد، فيه باب له مصراعان، بأسكفة عليا مستقيمة، وعلى جانبيه نافذتان مريعتان عليهما شباكان من قضبان متعامدة ، ويعلو جدار المسجد إفريز بارز أخضر، وتنهض من على سقفه قبتان متجاورتان، تزين يمانهما زخرفة نباتية على شكل زهور متفتحة بثلاثة فصوص، وتزين يسارهما زخرفة من صفوف مكررة من الرقم 8، وتقف بينهما مئذنة عالية لها حوض في ثلثها الأخير، وقبة مخروطية مستدقة بلون أصفر أو ذهبي، وهي مُزَيَّنة بزخرفة تتكون من الرقم 8 مكرراً، بحيث يعلو بعضه بعضاً على أرضية خضراء.

ومن ناحية أخرى، حَصَّ المطراقي ضريح الإمام علي بن محمد الهادي بصورة مستقلة، حيث يبدو المبنى سداسي الأوجه، في واجهته باب معقود له مصراعان، تعلوه في كل وجه نافذة مستديرة، وفي أعلى المبنى ظلّة بارزة إلى الخارج، وتدرج صعوداً إلى وسط المبنى، حيث تقوم رقبة لونها أصفر، وتستند إليها قبة عالية منتفخة الوسط، مزينة بالزخرفة المذكورة في الضريح السابق، وباللون نفسه، وهي تنتهي بنصف كرة محززة، ونعتقد أن المطراقي رسم هذه الصورة دون أن يرى الضريح عياناً⁽¹⁾.

وفي سنة 1033هـ/ 1623م أعيد تعمير ضريح الإمام علي الهادي والقبة والصحن⁽²⁾، بيد أن حريقاً شب في المشهد، بعد هذا، أصاب أخشابه وشعث أركانه، فاستدعى ذلك العناية به، سنة 1106هـ/1654م، عناية شاملة، تضمنت دعم تلك الأركان وتزيينها «بأبهى ساج»⁽³⁾، وأحيط الضريح بشباك من الفولاذ، وبلطت الأرض بالرخام.

وعُنيت الدولة العثمانية بالمشهد، من خلال توفير الأمن والرعاية لزواره، والموافقة على إنفاق ما يأتي إليه من هبات في تجديد مرافقه، ففي سنة

(1) كتابنا: العراق كما رسمه مطراقي زاده سنة 941هـ/1534م تحت الطبع.

(2) السماوي ص32.

(3) السماوي ص32، والمحلّاتي ص322، وورد في نبذة خطية للشيخ محمد صالح السهروردي، أودعها في آخر مخطوطته (أعمال الأجداد في محلات ومعاهد وآثار.. بغداد): أن تاريخ هذا التعمير هو سنة 1109هـ/1697م، وأنه اقتصر على عمل صندوق "فيه بعض تحارير ذهبية وفضية" على قبري الإمامين الهادي والعسكري.

1112هـ/1700م صدر أمر السلطان إلى والي بغداد بالموافقة على: «تجديد صندوق الإمام العسكري رضي الله عنه في السامراء»⁽¹⁾.

وبعد سنتين، صدر أمر آخر إلى والي بغداد وقاضيهما يقضي «بتوفير الأمن والراحة ومزيد الاطمئنان لزوار مراقد الأئمة الكبار»، وعدم مطالبتهم بشيء مقابل إقامتهم تلك، والسماح لهم بجلب ما يشاؤون من الهدايا والتحف إليها⁽²⁾.

وفي سنة 1117هـ/1705م، قصد والي بغداد حسن باشا سامراء؛ حيث زار ضريحي الإمامين «فأنعم على خادميهما بالحلل الضافية، وبث في ساحتيهما النقود النقرة»⁽³⁾ الصافية⁽⁴⁾، ثم انطلق إلى صحراء البلدة يصطاد فيها الطباء.

وفي الثلث الأول من القرن الثاني عشر للهجرة/ الثامن عشر للميلاد، وصف المؤرخ البغدادي مرتضى نظمي زاده (المتوفى سنة 1133هـ/ 1720م) المشهد العسكري وبلدته بقوله: «ومرقدهما واحد في صندوقين متصلين، عليهما عمارة لطيفة قديمة مبنية بهمة الملوك، وهو الآن مطاف الزوار، يقصدون هذه الحضرات من أقاصي الأقطار»⁽⁵⁾.

وفي حدود سنة 1200هـ/1780م، قام أحمد خان دنبلي، أحد سراة خوي وسلماس ورومية، بتعمير المشهد تعميراً بديعاً؛ إذ وسَّع صحنه ورواقه، وبنى الجدار المحيط بالحرم بالرخام الصقيل، وأبدل الأخشاب التي في المقام بحجر الصوان والرخام، وعمَّر سرداب الغيبة، وبدل بابه الخارجي الذي في صحن العسكريين وجعله عند باب الجامع الكبير، وقد استمرت هذه الأعمال حتى سنة 1225هـ/1810م، وشملت إكساء قبة الإمام محمد المهدي بالأجر المزجج (القاشاني)، وإكمال بناء البهو وأبوابه، وتزيين جدرانه بالكتابات التي تتضمن آيات من القرآن الكريم⁽⁶⁾.

(1) الأرشيف العثماني، دفاتر مهمة، دفتر رقم 111، ص 487، في أواسط شعبان سنة 1112هـ.
(2) الأرشيف العثماني، دفاتر مهمة، دفتر رقم 112، ص 321، في أواسط ربيع الآخر سنة 1114هـ.

(3) النقرة من الذهب والفضة: القطعة الذائبة، والسبيكة.

(4) عبدالرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بتحقيقنا، بغداد 2003، ص 88.

(5) تذكرة الأولياء، ترجمه عن التركية أحمد بن السيد حامد الفخري، تحقيق حميد مجيد هدو، بيروت 2012، ص 178.

(6) السماوي ص 32 - 33، والمحلاتي ص 324.

تحول الطرق:

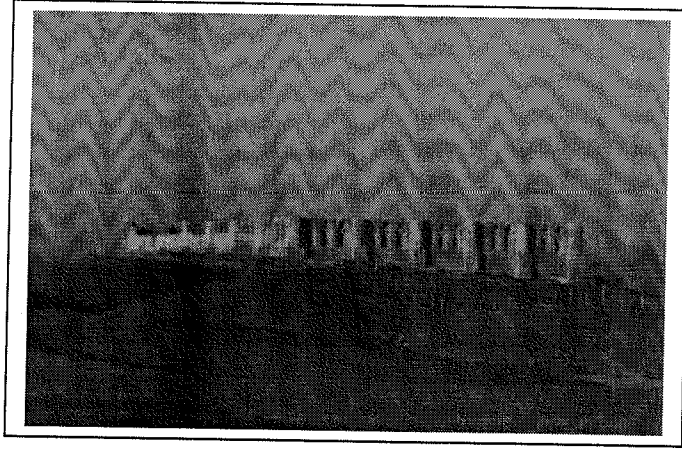
في الحقبة التي تلت سيطرة العثمانيين على العراق على يد السلطان سليمان القانوني، حدث تغير مهم في طريق المواصلات الرئيس بين بغداد والموصل، وهو تغير كان له أثره السلبي على الحياة الاقتصادية في المدن الواقعة بين المدينتين، ومنها سامراء، فبعد أن كان المسافرون يسلكون الطريق القديم الذي يقع على الجانب الشرقي من دجلة، أصبحوا يسلكون الجانب الغربي، وفي ذلك العصر، لم تكن ثمة جسور تربط بين الجانبين، ومن ثم لم يكن ممكناً للمسافر أن يدخل أياً من مدن الجانب الشرقي إلا بواسطة زورق، وكان أمير البحر العثماني سيدي علي هو آخر من سجل مراحل الطريق القديم، في رحلته من الموصل إلى بغداد سنة 961هـ/1553م، فذكر أنه مر بقلعة تكريت، وحط رحاله في سامراء، حيث زار ضريحي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري، ولكنه، ولسبب غير معلوم، اجتاز دجلة من هناك إلى الجانب الغربي، فمر بقرية حربي وقصر سميقة، ثم أكمل طريقه إلى بغداد، وهو يذكر أن اجتيازه دجلة كان على جسر⁽¹⁾، لكنه لم يحدد موقع هذا الجسر، والراجح أنه في سامراء؛ إذ لا توجد بلدة مهمة بعدها حتى الوصول إلى بغداد، ونحن نعلم أن الخليفة المعتصم شيد جسراً حجرياً ثابتاً على دجلة، ظلت بقاياها شاخصة حتى أوائل القرن الماضي⁽²⁾، على أنه لا خبر عن هذا الجسر في كتب الرحالين التاليين، وفي كل الأحوال، أثر هذا التحول في الطرق التجارية في عدد النازلين في سامراء من التجار والرحالين، وأكثرهم كان يفضل النزول في خرائب قصر المعشوق (المسمى فيما بعد بقصر العاشق) المقابل لها، من الجانب الغربي، على العبور إلى بلدة سامراء، أو أن زيارته لها تكون سريعة وقصيرة، ومن هنا جاءت أغلب كتاباتهم عنها مبسرة عامة، تعوزها التفاصيل؛ فالرحالة الفرنسي تافرنبيه، الذي زارها سنة 1041هـ/1632م لم يلفت نظره إلا مئذنتها (الملوية) الشاخصة، دون أن يمتد نظره ليشمل البلدة الحديثة، وسجل ما كان يعتقد بعض الناس عن دفن أربعين نبياً فيها⁽³⁾، ولعل شيئاً من

(1) كتابنا: رحلة القائد العثماني سيدي علي التركي إلى الجزيرة العربية سنة 1553م، بيروت 2010، ص12.

(2) ماكس أوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج، ترجمة محمود كيببو، دار الوراق، لندن 2009، ص267.

(3) تافرنبيه، جان بابست: العراق في القرن السابع عشر، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد 1949، ص70.

الالتباس قد حصل لديه بين سامراء وتكريت، فمن الراجح أنه أراد بهذا المدفن الموضع المعروف في تكريت بمقام الأربعين.



بقايا قصر العاشق الأثري

وفي سنة 1139هـ/1727م مر الرحالة دمشقي مصطفى بن كمال الدين البكري بسامراء، فاقتصر في ملاحظاته على تسجيل إعجابه بقبتي الإمامين الهادي والعسكري، ولم يزد على ذلك شيئاً⁽¹⁾، وقريب منه ما فعله الرحالة عباس بن علي المكي في سنة 1148هـ/1735م؛ إذ اكتفى بزيارة قبري الإمامين، وتقديم نبذة قصيرة عن تأسيس المدينة على يد الخليفة المعتصم بالله العباسي⁽²⁾.

وفي سنة 1158هـ/1744م سلك العلامة البغدادي عبدالله السويدي الطريق المؤدي من بغداد إلى الموصل، في رحلته إلى بلاد الشام فالحجاز، فكان أن مر بقصر العاشق، المقابل لسامراء من جانبها الغربي، ووصف القصر بأنه «بناء قديم لم يبق منه إلا أثر الجدران»، ولكنه لم يعبر إلى الجانب الشرقي ليصف لنا هذه البلدة⁽³⁾.

وعلى الرغم من دقة الرحالة الفلكي كارستن نيبور C. Niebuhr في وصفه المدن التي كان يمر بها، فإن وصفه لسامراء سنة 1180هـ/1766م جاء مبسراً،

(1) كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان، مخطوطة كامبرج، منه مصورة في المجمع العلمي العراقي، الورقة 19.

(2) نزهة الجليس ومُنبة الأديب الأنيس، النجف 1967، ج 1 ص 183.

(3) النفحة المسكية في الرحلة المكية، بتحقيقنا، أبو ظبي 2003، ص 95.

اقتصر فيه على التتويه بقبور الأئمة، وحاول وصف المئذنة الملوية في جامعها الأثري الواقع في خارج البلدة، مشبها إياها ببرج الرصد بكونها كمنهاك⁽¹⁾.

وفي سنة 1224هـ/1809م زار الرحالة الفرنسي جان بابتيست روسو Rousseau سامراء، فلم يلفت نظره منها غير أنها «مكان مهدم مهجور تقريبا»، وواضح أنه كان يقصد بقايا مدينة سامراء القديمة، لا البلدة الحديثة، غير أنه أشار إلى ضريحي الإمامين فيها، اللذين كانا يقصدان بالزيارة، ونوه بقصر العاشق (وهو قصر المعشوق نفسه)، لكنه لم يوضح أي الطرق سلك في الوصول إلى البلدة⁽²⁾.

أما الكابتن جون ماكدونالد كنيير Kinnier الذي مرَّ بها سنة 1228هـ/1813م، فإنه وصف مشهدها بقوله: «بناء جميل من طابوق، تعلوه قبتان ومنارتان مزينتان بالكاشي الملون، الذي يتباهى به العرب، ويبدو بمنظر جذاب حينما تسقط عليه أشعة الشمس»، وعدا ذلك، فإنه لم يصف إلا أطلال المدينة القديمة الشاخصة خارجها⁽³⁾.

تطور البلدة:

شهدت سامراء توسعاً ملحوظاً في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، ومن المؤكد أن الزيادة المطردة في أعداد زوارها، ممن كانوا يقصدون ضريحي الإمامين الهادي والعسكري، كانت سبباً في تنشيط حركتها التجارية، ومن ثم زيادة السكن فيها، فأطمع ذلك بعض الجماعات المسلحة غير المنضبطة حولها في مهاجمة دور البلدة وأسواقها، أو فرض الإتاوات عليها⁽⁴⁾؛ ولذا فقد اتجهت النية إلى تسويرها بسور حصين يدفع عن أهلها وزوارها غوائل التعديّات، وفي حدود سنة 1250هـ/1843م أنشأ أهل سامراء حول بلدتهم سوراً من الآجر

(1) نيبور: رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الأمين، ضمن كتاب: رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، دار الوراق، لندن 2012، ص340.

(2) جان بابتيست روسو: وصف باشوية بغداد سنة 1809، ترجمة خالد عبداللطيف حسن، بغداد 2012، ص66.

(3) جعفر خياط: سامراء في المراجع العربية، موسوعة العتبات المقدسة، قسم سامراء، بغداد 1966، ص294.

(4) من أخطر تلك الهجمات ما كانت تقوم به عشائر الهماوند الذين "لم تتقطع غوائلهم": عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج8، بغداد 1956، ص43.

والجص⁽¹⁾، فيبلغ محيطه نحو كيلومترين، وقطره 680 متراً، وارتفاعه سبعة أمتار، وله تسعة عشر برجاً، وأربعة أبواب متجهة إلى الجهات الأربعة الأصلية، هي:

- 1 - باب الناصرية، ويسمى أيضاً: الحاوي من الشمال⁽²⁾.
- 2 - باب القاطون (ويسمى: الفاطول) من الغرب.
- 3 - باب الملطوش (بمعنى المسدود) من الجنوب.
- 4 - باب بغداد من الشرق⁽³⁾.

ولم تكن البلدة قريبة من النهر على نحو يُيسر على سكانها السقاية منه مباشرة، فاضطر السكان إلى حفر قناة في الأرض تأخذ المياه إليها من دجلة، ومن غير الواضح الطريقة التي كان يُرفع بها الماء من النهر إلى فتحة القناة، وفي الغالب، بحسب ما كان يجري في بغداد في الوقت نفسه، فإن ذلك كان يجري بواسطة دولا ب منصوب على شاطئ النهر، تحرك عجلته الأفقية الدواب، ومن الراجح أن هذه القناة كانت مكشوفة، وهو ما يؤدي إلى تلوثها المستمر.

وقد نوّه الرحالة فيليكس جونز Felix Jones، الذي زار البلدة سنة 1259هـ/1843م، بسورها، الذي كان قد جرى إتمام بنائه أيام قدومه إليها، وأشاد بمتانته، إلا أنه لاحظ أن هذا السور بعيد نسبياً عن شاطئ النهر، ومن ثم يستطيع الأعداء تخريب القناة التي تأخذ المياه إلى البلدة، وإرغامها على الرضوخ لمطالبيهم.

(1) يذكر ذبيح الله المحلاتي (مآثر الكبراء ص121): أنه كان على سامراء في حدود سنة 660هـ سور، وأن هذا السور بقي، إما ناقصاً أو غلب عليه الخراب، إلى زمن إنشاء سور البلدة الحديث، ويحدد أوبنهايم نقلاً عن جونز أن تاريخ إنشاء السور هو سنة 1843: أوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج، ص268، بينما تذكر الليدي درور، التي زارت العراق سنة 1924: أن سور سامراء أنشئ قبل ما لا يزيد عن مائة سنة قبل زيارتها للمدينة؛ أي: في تاريخ لا يتجاوز سنة 1824 - 1820م؛ على ضفاف دجلة والفرات: ترجمة فؤاد جميل، دار الوراق، لندن 2008، ص107.

(2) ربما سمي الناصرية بمناسبة زيارة الشاه ناصر الدين القاجاري سامراء في سنة 1287هـ/1870م.

(3) المحلاتي: مآثر الكبراء ص 118 - 120، ويونس السامرائي: دليل سامراء، بغداد 1962، ص 13 - 16، ويذكر أوبنهايم الذي زار سامراء سنة 1900 أسماء هذه الأبواب على النحو الآتي: 1 - باب العجم من الشمال. 2 - باب الناصرية من الغرب. 3 - باب القيطوم (القاطون) من الجنوب. 4 - باب بغداد من الشرق؛ أوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج ص268.

ووصف قبتي المشهد، معتقداً أن قبة الإمام العسكري كانت مكسوة بالذهب، ثم أزيل⁽¹⁾، وهو اعتقاد غير صحيح؛ لأن إكساءها بالذهب لم يجر إلا بعد ذلك التاريخ بمدة، وعدا ذلك، فإن أغلب ما ذكره يتعلق بآثار سامراء القديمة: المسجد الجامع، ومئذنته الملوية، وقصر الخليفة، وقصر العاشق، وتل العليق، وغير ذلك.

ولاحظ جون آشر John Ussher، الذي مر بالبلدة سنة 1281هـ/1864م، أنها ليست صغيرة بحال، وأن فيها عدداً كبيراً من السكان، ونوه بكثرة ما حولها من خرائب⁽²⁾.

ولم تَمْضِ إلا ثلاث سنوات حتى قدم إلى سامراء الرحالة الهولندي نيجهولت Nijholt، فأشار إلى سورها المستجد، ومدافن الأئمة فيها، ويبدو أن نشاطاً تجارياً قد أخذ يبين في هذا العهد، على الرغم من صغر البلدة عهد ذلك، يقول: «إن القرية الحاضرة تضم سوقاً صغيرة، تتألف من بضعة دكاكين، يباع فيها التبغ والرز والتomor والتفاح الأخضر.. إلخ»⁽³⁾.

وواضح أن جميع هذه المواد كان مما يُجلب إلى سوق البلدة من خارج منطقتها، وفي الواقع، فإن تحسناً أصاب اقتصاد البلدة منذ منتصف ذلك القرن، لا سيما بعد أن قام والي بغداد الوزير رشيد باشا الكوزلكي بإصلاحات زراعية عدة، كان من بينها كرى نهر دجيل في (بلد) التابعة لقضاء سامراء في حدود سنة 1271هـ/1854م⁽⁴⁾.

وكان المشهد العسكري نفسه، قد شهد في السنوات (1281 - 1285هـ/1862 - 1868م) آخر التعميرات المهمة في العصر العثماني، فقد جرى إكساء قبتي المشهد بقطع الأجر المطلي بالذهب، وتم تعمير الضريحين والرواق، وترميم الصحن، وإكساء المآذن، فضلاً عن تعمير السور، وفتح باب كبير له، وغير ذلك من أعمال إصلاح شامل.

وفي سنة 1295هـ/1878م استؤنف العمل مرة أخرى، بتبرع من بعض المحسنين، ليشمل إكساء الأروقة بقطع من المرايا، ذات أشكال هندسية بديعة

(1) جعفر خياط: مصدر سابق ص 294.

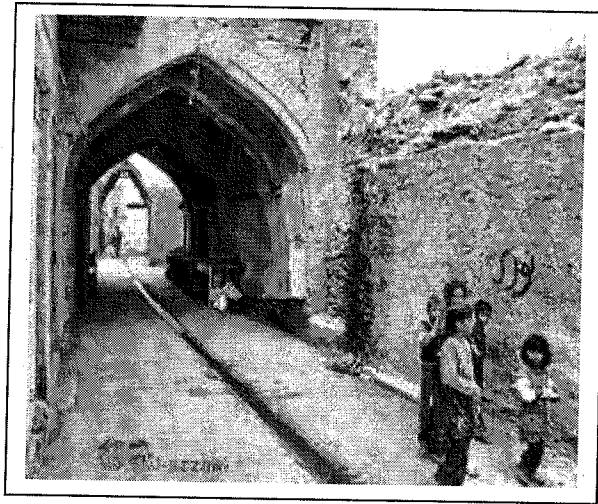
(2) المصدر نفسه ص 295.

(3) المصدر نفسه ص 296.

(4) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج 7، 1955، ص 109.

(تسمى شغل العينة)، ونصب الساعة الكبيرة فوق باب القبلة⁽¹⁾، أحد أبواب المشهد، وبناء المدرسة والحمام وغيرها .

وفي سنة 1318هـ/1900م تم وضع المرايا الكبيرة فوق الرخام، والخطوط المنسوبة حول المشهد⁽²⁾. ووصف أوبنهايم الذي أنهى كتابه في هذه السنة نفسها أهم ما كان يشتمل عليه المشهد من منشآت؛ فالجامع مُشيدٌ على مصطبة كبيرة، يحيط بها فناء واسع، وثمة باب وحيد لهذا الفناء مقوى بصفائح برونزية قديمة، ومدق ثقيل، وتحيط بالفناء من الداخل أروقة مقوَّسة ومقبية، كما يوجد بين الباب والمصطبة حوض كبير وجميل من المرمر، وللجامع شرفة يصعد إليها بواسطة سلم عريض، بينما تشتمل الواجهة على مُذنبتين ذات قبتين مذهبتين، أما الواجهة نفسها فتتألف من خمسة عقود، أكبرها أوسطها، حيث الباب، ويلاصق المشهد من الخارج عدد كبير من الدور⁽³⁾.



زقاق في بلدة سامراء

ومع استمرار تزايد عدد السكان، امتد السكن إلى مناطق لم تكن قد اتخذت لهذا الغرض من قبل، وتوثقت صلات البلدة بما حولها من قصبات وقرى، فأنشئ جسرٌ على دجلة يصل بين جانبيها سنة 1294هـ/1878م، وأسست أول شركة لنقل

(1) يصف أوبنهايم برج هذه الساعة بأنه: برج عملاق يثير الغرابة.

(2) المحلاتي: تحفة الكبراء ص324 - 326، والسماوي: وشائع السراء ص23.

(3) من البحر المتوسط إلى الخليج ص268 - 269.

الركاب بين بغداد وسامراء بالطريق النهري سنة 1299هـ / 1881م، وافتتحت دائرة للبرق والبريد سنة 1327هـ / 1908م، كما عرّفت البلدة أيضاً عدة منشآت دينية وخدمية أخرى، منها مساجد وحمام وخان لمبيت التجار وحفظ أمتعتهم وغير ذلك⁽¹⁾.

إدارة البلدة:

ليست ثمة معلومات عن طريقة إدارة سامراء في الحقبة اللاحقة للعصر العباسي، ومن المرجح لدينا، بناءً على أمثلة مشابهة، أنها كانت تدار من قبل (ناظر المشهد)، الذي هو زعيم العشيرة الأقوى في البلدة، أما في العصر العثماني، فإن لدينا من النصوص ما يشير إلى أنها كانت تعهد إلى موظف بلقب (ضابط) يتبع ولاية بغداد مباشرة⁽²⁾، وأن في معيَّته نحو ألف رجل مسلح، من غير السكان⁽³⁾.

ويظهر أن تعيين الضباط في هذا المنصب كان يجري على وفق نظام الالتزام، وهو نظام إقطاعي مالي وإداري في وقت واحد، ويذكر جونز أن البلدة أقطعت في وقت زيارته لها سنة 1259هـ / 1843م إلى ضابط لقاء مبلغ (280000) قرش، أو ما يعادل 660 باوناً إسترلينياً تقريباً.

وفيما عدا ذلك المنصب، فإن (ناظر المشهد) كان له ثقل واضح في تسيير شؤون البلدة ورعاية مصالحها، وقد تولت عشيرة عرفت بـ (القوشجية)، وهي تسمية تركية تعني حرفياً: أصحاب الطيور، سُدانة المشهد المذكور منذ عهد بعيد، ولكن نظراً للمشاكل التي حدثت في عهدهم، فإن تحالفاً جرى بين بعض عشائر البلدة الأخرى، منهم أبو صالح وأبو عباس، وهما عشيرتان علويتان، لإخراجهم، وقد أخرجوا منها بالفعل في زمن غير محدد لنا، ليتولاها رجال من أبو صالح، وكادت مذبحه دبرها خصومهم أن تقضي على أبو صالح، إلا أن الأخيرين تمكنوا من العودة إلى السلطة بدعم مباشر من داود باشا، آخر ولاية المماليك في بغداد، سنة 1233هـ / 1817م، ليتولوها دونما انقطاع⁽⁴⁾.

(1) يونس السامرائي: تاريخ سامراء ج2، بغداد 1970، ص223-226.

(2) محمد بن أحمد المنشي البغدادي: رحلة المنشي البغدادي، ترجمة عباس العزاوي، ص23.

(3) جعفر خياط: مصدر سابق ص299 عن رحلة فيلكس جونز.

(4) السامرائي: تاريخ سامراء ج2 ص254.

ويشير مؤرخ بغدادي، من أهل القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، هو عبدالرحمن حلمي العباسي نسباً، الدوري أصلاً، السهورودي طريقةً، إلى أن جدّاً له، هو الشيخ محمد صالح العباسي، المعروف بالخطيب البغدادي، أو خطيب دار السلام، كان «حاكماً إقطاعياً يحكم الدور وسُرٌّ من رأى وتكريت والدجيل وما والاها شرعاً وإدارة، ولُقّب بمتولي الدور وسُرٌّ من رأى وتكريت والدجيل، وامتسّمها وقاضيها، إلى غير هذه الألقاب التي كانت تختلف باختلاف تولّي الولاية مدينة بغداد»⁽¹⁾، فإن صحّت هذه الرواية، تكون إدارة سامراء قد فوّضت، في فترات من الحكم العثماني، إلى رجال من أهل إقليمها، جمعوا بين أيديهم السلطات الإدارية والشرعية على حد سواء، بموجب نظام الالتزام نفسه؛ ولذا فلم يكن ثمة تحديد دقيق لألقاب هؤلاء الإداريين.

وبموجب التنظيمات الإدارية الحديثة التي طبقت في العراق في أواخر العصر العثماني، عدّت سامراء مركزاً لقضاء باسمها، صنف من أقضية الدرجة الثالثة، وقد شمل ناحية واحدة، هي تكريت⁽²⁾.

وكان القنصل الروسي في أزمير س. موستراس Mostras قد كتب في موسوعته: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، الصادرة في لايبزك سنة 1873، مادة مستقلة عن سامراء قال فيها: إنها «مدينة في تركيا الآسيوية، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية بغداد وشهرزور، على نهر دجلة»⁽³⁾، والظاهر أنه أخطأ في تحديد المستوى الإداري للبلدة؛ فهي لم تكن مركزاً للواء، وإنما مركزاً لقضاء باسمها في لواء بغداد، وكان هذا اللواء واحداً من ألوية ولاية بغداد التي ألحقت بها ولاية شهرزور آنذاك⁽⁴⁾.

(1) عبدالرحمن حلمي العباسي السهورودي: تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، بتحقيقنا، بغداد 1996 ص95، وانظر أيضاً محمد صالح السهورودي: ترجمة عبدالمحسن السهورودي، نشرها في آخر كتاب: (نجات الناس بكلمة الإخلاص) لعبدالمحسن المذكور، بغداد 1345هـ، ص41، حيث ورد فيه لقب الشيخ محمد صالح على النحو الآتي: "قاضي سامراء والدور العليا وتكريت".

(2) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج7 ص169، وجميل موسى النجار: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، بغداد 2002 ص126.

(3) ترجمة عصام محمد الشحادات، بيروت 2002 ص292.

(4) بموجب نظام إدارة الولايات العمومية الذي بدأ تطبيقه في بغداد سنة 1871 فإن ولاية بغداد أصبحت تتألف من عشرة سناجق، منها سنجق بغداد، وهو المركز، وسنجق شهرزور؛ ينظر

ومما له تعلق بالإدارة، أن البلدة كانت تتميز بنظافتها، وهو ما لحظه بعض السياح الذين مروا بها؛ إذ يذكر أوبنهايم Oppenheim أن مظهر البيوت يشير إلى «مستوى جيد من النظافة»⁽¹⁾، وتعزي الليدي درور Drower وفور الصحة في البلدة إلى «سلطاتها المسؤولة»⁽²⁾.

وتكشف لنا سالتنامات ولاية بغداد (أي: كتبها الرسمية السنوية)، وأعداد جريدة الزوراء الصادرة ببغداد عهد ذلك، عن أسماء القائممقامين فيها، وهم كالآتي:

1284 - 1277		سامى أفندى
1286 - 1284		عبيد ناجى آغا
1289 - 1286		على بك
1290 - 1289		محمد بك
1291 - 1290		محمد أمين أفندى
1291		الحاج أحمد آغا
1291		حسن أفندى
1294 - 1292		على أفندى
1295 - 1294		حسن أفندى
1297 - 1295		محمود أفندى
1298 - 1297		كمال أفندى
1302 - 1299		محمود أفندى
1303 - 1302		محمد رامز بك
1304 - 1304		بكر زهدى بك
1305 - 1304		الحاج محمد آغا

جميل النجار: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، ص118، إلا أن موستراس يصرح في معجمه بأن بغداد وشهرزور كانا يمثلان ولاية واحدة تحمل اسميهما معاً.

(1) من البحر المتوسط إلى الخليج ص269.

(2) على ضفاف دجلة والفرات ص108.

1309 - 1305		عبدالله مخلص أفندي
1312 - 1309		محمد سعيد أفندي
1313 - 1312		محمد شفيق أفندي (وكالة)
1315 - 1313		عبدالعزیز أفندي
1316 - 1315		عبدالقادر أفندي
1317 - 1316		قدری أفندي
1317		محمد شفيق أفندي (وكالة)
1318 - 1317		الحاج عباس بك (وكالة)
1323 - 1318		صالح صائب أفندي
1325 - 1324		عبدالعزیز أفندي القصاب
1325		رضا أفندي
1326 - 1325		محمد توفيق أفندي
1328 - 1326		شكري أفندي
1331 - 1328		يوسف كنعان أفندي
1332 - 1331		محمود فوزي أفندي
1333 - 1332		معروف أفندي
1334 - 1333		خالد بك
1334		محمود أفندي
1335 - 1334		حسن أفندي
1335		صالح أفندي

وفي 21 نيسان من سنة 1917م اضطرت القوات العثمانية، تحت ضغط القصف الشديد للقوات البريطانية، إلى إخلاء سامراء، والانسحاب إلى بلدة الدور القريبة، حيث دار معركة (الرويضات)، ثم اضطرت مرة أخرى إلى الانسحاب إلى

بلدة تكريت في 2 تشرين الثاني⁽¹⁾، وبهذا خرجت سامراء من حكم الدولة العثمانية، بعد أن دام هذا الحكم نحو 383 سنة.

التكوين الاجتماعي:

تناقص عدد سكان سامراء بسرعة فائقة منذ أن غادرتها الخلافة بمؤسساتها وجندها، ولم يعد من سكانها الكثيرين إلا قلة من الناس، تجمعوا في حي أو حيين من أحيائها القديمة، أحدهما حي (العسكر)، وهو الذي نسب إليه الإمام العسكري⁽²⁾، وتحول مع مرور الوقت إلى بلدة سامراء الحديثة، كما عرفت في القرون المتأخرة.

وليست ثمة نصوص صريحة توضح الأصول الاجتماعية لتلك الفئة الباقية من السكان؛ فالعلماء والشعراء الذين عاشوا في العصر العباسي وما بعده، ممن وردت أخبارهم في كتب التراجم، سكنت تلك الكتب عن ذكر أنساب أكثرهم، واكتفت بذكر نسبتهم إلى المدينة، كما هي عاداتها في أغلب الأحوال.

ويفيد المأثور المتواتر لدى أهل سامراء⁽³⁾، أن هؤلاء السكان كانوا يشكلون مجموعة متحدة النسب، رافقت موكب الإمام علي الهادي من الحجاز إلى مستقره في سامراء، فقد تولى أحفاد الإمام المذكور، أو أقارب لهم، ينتمون جميعاً إلى الإمام موسى الكاظم، نقابة الأشراف في سامراء في العصر العباسي⁽⁴⁾.

وبعد زوال مؤسسة النقابة في العصر التالي، وبروز مؤسسة السدانة بدلها، تقاسم هؤلاء، وقد أصبحوا عدة من العشائر المستقلة، مسؤولة حماية (المشهد) وإدارته، وبالمقابل فإنهم تقاسموا ما كان يرده من أموال المتبرعين، وهكذا كانت عشيرة أبو صالح تتولى السدانة، (وتسمى الكليدارية)، ولها - على ذلك - ربع أموال المشهد، بينما يحصل أبو نصيف، وهم فرع آخر من أبو صالح، على ربع آخر، ويحصل كل من عشيرة أبو باز، وعشيرة العشاعشة، على الربعين المتبقين.

(1) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج 8 ص 306.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان ج 4 ص 122.

(3) السامرائي: تاريخ سامراء ج 2 ص 237.

(4) عبدالرزاق كمونة: موارد الإتحاف في نقباء الأشراف، النجف 1968، ج 2 ص 3 - 5.

وإذ كنا لا نملك تحديداً لتواريخ هجرة العشائر واستقرارها، فإن في وسعنا أن نعد تقاسم هذه العشائر مسؤولة السدانة قرينة قوية تدل على قدم وجودها في سامراء، بل ربما كانت أقدم العشائر سكناً في البلدة.

وثمة موارد أخرى، ذات صفة ثانوية، تقاسمتها عشائر أخرى؛ هي أبو عباس، وأبو نيسان، وأبو عاصي، فضلاً عن حصة رابعة لأبو صالح أيضاً، ومن ثم فإنهم من العشائر القديمة في سامراء، وربما قاربت في قدمها تاريخ العشائر المتقدمة، وعدا ذلك فثمة عشائر أخرى لم تكن لها صلة مألوية بالمشهد، مع أنها قديمة الاستيطان في سامراء، ومنها أبو دراج، وأبو أسود، وأبو عيسى، وأبو عظيم.

وتقييم هذه العشائر في تجمعات خاصة بها في داخل أسوار مدينة سامراء، ويرتبط بكل تجمع باب من أبوابها؛ فألبو بدري والعشاعشة يختصون بباب الناصرية، وأبو عبدالرحمن يختصون بباب المطوش، وأبو نيسان وأبو عباس يختصون بباب القاطون، بينما يختص ألبو باز وأبو عظيم بباب بغداد، على أن ذلك التوزيع لا يمنع وجود مجموعات من عشائر أخرى في البلدة⁽¹⁾.

وعلى الرغم من عدم وجود إحصاء، أو حتى تقدير رسمي لعدد السكان في سامراء، حتى آخر العصر العثماني، فإن في وسعنا أن نخمن هذا العدد وفقاً لكتابات بعض الرحالين والسياح الذين مروا بالبلدة منذ القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، ويذكر كينير سنة 1228هـ/ 1813م أن سامراء تحتوي على 2475 نسمة⁽²⁾، ويفيد المنشي البغدادي أن عدد بيوت سامراء، أيام كتابته لرحلته سنة 1237هـ/ 1821م، يبلغ ألفي بيت؛ (أي: ما يزيد على عشرة آلاف نسمة)، وأن زوارها يقدرون بنحو ثلاثين ألف نسمة⁽³⁾، ولا شك في المبالغة الكبيرة التي يتضمنها هذا التقدير، بالنظر لصغر المساحة المأهولة من البلدة عهد ذلك، ولاختلافه عن التقديرات السابقة واللاحقة مما أورده الرحالون المتعاقبون.

(1) كاظم الدجيلي: ماذا يرى اليوم من سامراء؟، مجلة لغة العرب، المجلد 1، العدد 3 أيلول 1911، ص 140 - 141.

(2) أوبنهايم: مصدر سابق ص 269، وفي ترجمة لجعفر خياط: مصدر سابق، أن العدد كان يبلغ ألفي نسمة، ص 293.

(3) رحلة المنشي البغدادي ص 88.

وبلغ عدد سكانها وفقاً لتقدير جونز 250 بيتاً؛ أي: نحو ألف وخمسمائة نسمة، إضافة إلى ألف نسمة أخرى، يظهر أنهم كانوا مكلفين بحماية البلدة⁽¹⁾، وقد زاد هذا العدد في النصف الثاني من القرن المذكور، حسبما ذكر نيهولت سنة 1284هـ/1867م، إلى 400 أسرة⁽²⁾، وهذه زيادة مهمة إذا قورنت بالتقديرات السابقة، وقد استمر العدد بالزيادة، حتى بلغ بموجب أول إحصاء رسمي سنة 1310هـ/1890م (7187) نسمة⁽³⁾، وبعد أقل من عقد واحد قدر أوبنهايم عدد السكان بنحو 15000 نسمة⁽⁴⁾، وهو عدد ينطوي على كثير من المبالغة كما نرى.

ولأسباب مختلفة، كانت أسر من أهل سامراء تُضطر إلى الهجرة، بين وقت وآخر، إلى المدن الأخرى؛ ففي القرن العاشر للهجرة هاجرت عشيرة كاملة من سامراء، هي القواسم، إلى الخليج العربي، واستقرت في ساحل عمان؛ حيث اتخذوا من خيمة شيخهم مركزاً لاستيطانهم في تلك الأنحاء، فنشأت من ثم مدينة جديدة عرفت برأس الخيمة، وتعاظم أمرهم، وسيطروا على معظم أرجاء الخليج في القرن الحادي عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) وأوائل القرن الثاني عشر⁽⁵⁾.

وفي القرن الثالث عشر للهجرة أخذت بعض الأسر السامرائية بالنزوح إلى بغداد؛ حيث نشأت نتيجة استقرارهم فيها محلة صغيرة من محلات الكرخ، في الجانب الغربي، عرفت بالسوامرة، تقع قرب محلة أقام فيها جيرانهم من النازحين من تكريت، فعرفت بالتكرارة.

كما تفرقت أسر أخرى في مواطن أخرى من الجانب الشرقي من بغداد، ومن عشائر سامراء من انتقل إلى نواح عدة في جنوبي العراق، منها مثلاً: عشيرة الدراج، وهم من أبو دراج السامرائيين، الذين استوطنوا العمارة⁽⁶⁾، وفروع عديدة

(1) خياط: مصدر سابق ص 299.

(2) المصدر نفسه ص 304.

(3) يونس السامرائي: تاريخ سامراء ج 2 ص 266.

(4) من البحر المتوسط إلى الخليج ص 270.

(5) بكنهام: رحلتي إلى العراق سنة 1816، ترجمة سليم طه التكريتي، ج 2، بغداد 1969،

ص 313.

(6) عباس العزاوي: عشائر العراق، ج 4 بغداد 1965، ص 176.

من ألبو عباس استوطنوا في بغداد والحلة والعمارة وكفري⁽¹⁾، وفروع أخرى من ألبو بدري سكنت في بعقوبة والفلوجة والحلة والمسيب والإسكندرية والبصرة⁽²⁾، ومن غير هؤلاء كثير.

الحياة الثقافية:

ثمة إشارات مهمة تدل على استمرار الحياة الثقافية في سامراء، حتى في ظل أكثر حقب تاريخها ركوداً، فممن نوهت بعلمهم وفضلهم كتب التاريخ والتراجم من أهل العلم والأدب في هذه البلدة: الشيخ إسماعيل بن جعفر بن عبدالرزاق السامري (توفي سنة 685هـ/1286م)، وكان نحوياً مقرئاً أديباً، له تصانيف في القراءات وشعر⁽³⁾، والشيخ الصدر الأديب سيف الدين أحمد بن محمد السامري، وكان تاجراً أديباً شاعراً، عاش رديحاً من حياته في بغداد، ثم هاجر إلى حلب حيث حظي عند صاحبها الناصر، واشتهر بجزالة شعره، ونظم أرجوزة عرفت بالسامرية (نسبة إلى سامراً)، فضح فيها خصومه، وكانت له أوقاف وأملاك وثروة، وله أخ أقام في اليمن مدة، يدعى نور الدين السامري، لم تقف على ترجمته⁽⁴⁾، وتوفي سيف الدين سنة 696هـ/1297م.

ومنهم أيضاً كمال الدين أبو غالب هبة الله بن علي بن عبد الله السامري البغدادي (المتوفى سنة 698هـ/1298م)، وكان «شيخاً عالماً فقيهاً زاهداً عابداً جليلاً ثقة، من بيت العلم والحديث»⁽⁵⁾. ومنهم أيضاً الشيخ عز الدين عبدالعزيز بن إبراهيم السامري (القرن السابع للهجرة)⁽⁶⁾.

والشيخ جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود العبادي المقبلي السامري (المتوفى سنة 776هـ/1374م)، «وكان شيخاً حافظاً محدثاً، له مؤلفات تزيد على مائة مصنف في بضعة وعشرين عاماً، أخذ عنه كبار علماء عصره، منهم الحافظ

(1) المصدر نفسه ج4 ص251.

(2) المصدر نفسه ج4 ص256.

(3) عبدالرحمن السيوطي: بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، القاهرة 1326، ص194.

(4) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، ج1، بيروت 1973، 124 - 140.

(5) السيوطي: بغية الوعاة ص423، وابن العماد: شذرات الذهب ج6، بيروت 1979، ص349.

(6) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب، تحقيق مصطفى جواد،

دمشق 1961، ج1 ص205.

الذهبي وغيره، وابنه إبراهيم العطار السُرْمَرِيُّ ثم الدمشقي، وكان محدثاً، توفي سنة 803هـ/1401م⁽¹⁾.

والشيخ السيد أحمد بن عبدالكريم الخطيب (كان حياً سنة 941هـ/1534م)، الذي استقلت أسرته بالخطابة في جامع الإمام أبي حنيفة النعمان في بغداد حصراً طيلة عهد الدولة العثمانية في العراق⁽²⁾، والشيخ خليل الخطيب بن محمد بن ياسين السامرِيُّ (كان حياً سنة 1119هـ/1707م)، وكان عالماً بارزاً «له رواية من كتب حديث وفقه وتفسير وآلات⁽³⁾ وإنشاء وتحريم⁽⁴⁾».

وإذا كان بعض هؤلاء الفضلاء ممن قضى شطراً من حياته خارج بلدته الأولى، وإن نُسب إليها، فإن البلدة نفسها لم تعدم وجود علماء وكتب وتدرّيس، وقد وقفنا على خبر خزانة كتب في سامراء للشيخ أحمد بن أحمد إبان آخر القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد)، وعلمنا أن كاتباً يدعى عبدالله بن أحمد الطارفي كان ينسخ الكتب برسم هذه الخزانة، ومن تلك الكتب: (الروض الفائق في المواعظ والرفائق)، تأليف شعيب الحريفيشي، المتوفى سنة 810هـ/1407م، وقد أنجز نسخه سنة 998هـ/1589م⁽⁵⁾.

وثمة مخطوطات في المكتبة القادرية ببغداد، انتقلت إليها من خزائن كتب علماء سامرائيين من أهل القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، منهم السيد حسين بن السيد عبدالرحمن خطيب الإمامين العسكريين سنة 1187هـ/1773م⁽⁶⁾، والسيد حبيب بن الملا علي خطيب سامراء سنة 1196هـ/1781م⁽⁷⁾.

(1) أحمد بن علي المقرئ: درر العقود الفريدة في التراجم المفيدة، تحقيق محمود الجليلي، بيروت 2002، ج 1، ص 82.

(2) عبدالرحمن حلمي السهروردي: تاريخ بيوتات بغداد، بتحقيقنا، ص 42.

(3) كذا في الأصل، ولعلها: وأدب.

(4) مجموعة السيد عبدالفتاح الواعظ، نسخة مصورة لدينا، الورقة 50.

(5) ويقع في 542 ص، وهو تحت العدد 9348، مخطوطات الأدب في المتحف العراقي، الكويت 1958، ص 320.

(6) كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ج 3، بغداد 1977، ص 78 - 80.

(7) المصدر نفسه.

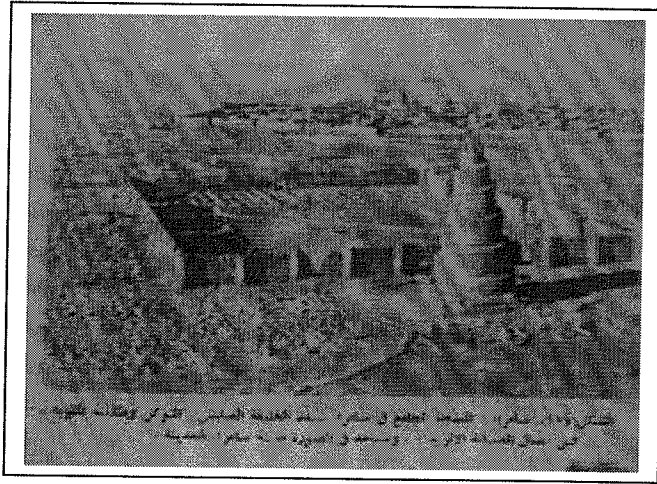
ويظهر أن البلدة لم تخلُ - إبان تلك الحقبة - من جهة تدريس أو مدرسة؛ ففي أول مخطوطة (الهيئة السُفْرية والحَضْرية في شرح القصيدة الرائية المُضرية) الموجودة في خزانة المرحوم السيد محمد سعيد الراوي ببغداد نقرأ تمليكاً لمن يدعى (ناصر الدين الحسيني المدرس في سامراء)، مؤرخاً في سنة 1212هـ/1797م⁽¹⁾. وآخر ما وصلنا من أخبار خزائن الكتب فيها، خزانة مفتيها الشهير عباس حلمي القصاب (ولد سنة 1276 وتوفي سنة 1335هـ/1859 - 1916م) التي احتوت على مجموعة ضخمة ونفيسة من المخطوطات، تبدد معظمها، ونقل منها، بعد وفاته، إلى بغداد ما قدر بخُمْسها⁽²⁾، ومثلها أيضاً خزانة كتب الشيخ أحمد بن محمد أمين الراوي (ولد سنة 1300هـ، وتوفي سنة 1385هـ/ 1882 - 1966م)، وفيها عدد من الكتب الخطية المهمة⁽³⁾.

وفي أواخر القرن الثالث عشر أنشئت في سامراء مدرستان دينيتان على مستوى رفيع، أولاهما: المدرسة العلمية المؤسسة سنة 1291هـ/1871م⁽⁴⁾، والأخرى: المدرسة العلمية المعروفة بالحميدية، المؤسسة في سنة 1316هـ/1898م، وحوث خزانتا كتبهما مخطوطات قيمة، ونشرت فهارسهما منذ حين، وفضلاً عن ذلك؛ فقد كانت ثمة مدرسة رسمية أولية تدرس فيها مبادئ العلوم باللغة التركية⁽⁵⁾.

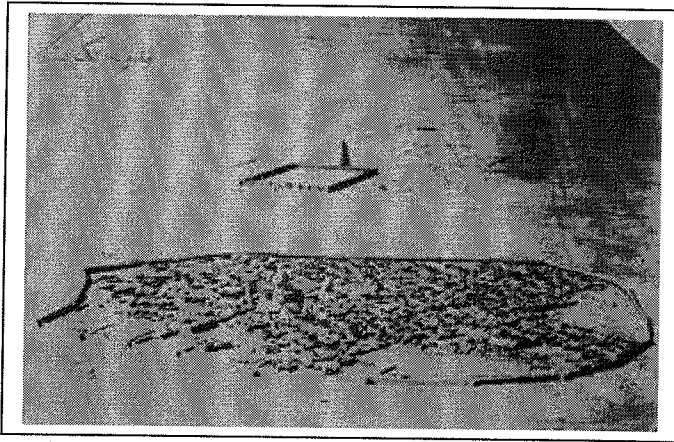
وليس أدل على نماء البيئة الثقافية في سامراء في هذه الحقبة، وتوفر عناصرها ومحفزاتها، من تلك الكثرة من العلماء والأدباء والشعراء والمؤلفين الذين

-
- (1) كتابنا: فهرس مخطوطات السيد محمد سعيد الراوي، بغداد 2000.
 - (2) حيث استقرت في مكتبة دار التربية الإسلامية، وقد قمنا بفهرسة مخطوطات هذه المكتبة، وبضمنها مخطوطات السيد عباس حلمي القصاب التي تبلغ وحدها 165 مخطوطة؛ بحثنا: الآثار الخطية في دار التربية الإسلامية، مجلة المورد، المجلد 6، العدد 1، ص 207 - 233، وع 2، ص 265 - 298.
 - (3) يبلغ عددها 25 مخطوطة بحسب الفهرس الذي وضعه الشيخ يونس إبراهيم السامرائي رحمه الله، تاريخ سامراء ج3، بغداد 1973، ص 231، وقد أفرد هذا الفهرس في رسالة بعنوان: (تراث سامراء).
 - (4) يبلغ عددها 115 مخطوطة بحسب الفهرس السابق.
 - (5) مجلة لغة العرب، المجلد 2، العدد 4/ السنة 1911 ص 143.

نهبوا فيها ونبغوا، وأكثرهم ممن خَضِرَمَ العهدين العثماني والملكي، وحفلت بهم كتب التراجم ومعاجم المؤلفين⁽¹⁾.



البلدة القديمة في أعلى الصورة، وتظهر أسوارها كاملة، وتقدمها المئذنة الملوية ومسجدها الأثري



صورة جوية قديمة لسامراء يظهر فيها بقايا سورها قبل أن يندثر، وتظهر المئذنة الملوية ومسجدها في أعلى الصورة

(1) ينظر كوركيس عواد: معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، بغداد 1969، ص24 - 34، ويونس السامرائي: تاريخ سامراء تاريخ شعراء سامراء منذ تأسيسها حتى اليوم، بغداد 1970، في مواضع عدة.

حالة تكريت الاقتصادية في العصر العثماني

كان من الطبيعي أن ترسم البيئة الجغرافية لتكريت صورة اقتصادها، وتحدد نوع ما يزاوله سكانها من نشاطات اقتصادية، فمدينة صغيرة تقع على شاطئ دجلة، وتحاصرها الأرض الجرداء غالباً، كان لابد أن تتجه في اقتصادها إلى هذا النهر، بوصفه طريق مواصلات رئيس، فتنحدر المدينة، من ثم، إلى محطة مهمة على طريق تجارة النقل (الترانسيت)، ولكونها على شاطئ ضيق تكثر فيه أشجار الطرفاء، كان لابد أن يكون خشب هذه الأشجار مادة ما تصدره إلى بغداد بوصفه مصدراً مهما للطاقة، والأرض غير المزروعة التي تحيط بها كانت المجال الوحيد المتاح لرعي الماشية، وهكذا أدى موقع المدينة وبيئتها إلى تحديد جوانب حياتها الاقتصادية خلال القرون الماضية، ويمكننا أن نعرض هذه الجوانب على النحو الآتي:

أولاً: ملكية الأرض

طبق العثمانيون، منذ أول عهدهم بالمنطقة، النظام المعروف بالتيمار، وهو نظام عثماني يختص بتنظيم ملكية الأرض، إلا أن له أيضاً جوانبه العسكرية والإدارية والاقتصادية، فبموجب هذا النظام تقسم الأرض إلى ثلاث فئات، بحسب كمية ما تدره من دخل، هي: خاص (يزيد وارده على 100000 آقجة)⁽¹⁾ وزعامة (يتراوح وارده بين 20,000 و100.000 آقجة) وتيمار (يقبل وارده عن 20,000 آقجة)⁽²⁾. وقد عدَّ العثمانيون لواء (سنجق) تكريت⁽³⁾ إقطاعاً من الفئة (خاص)

(1) آقجة: نقد عثماني يعزى ضربه إلى السلطان أورخان سنة 739هـ/1325م، ويعني اسمه (المبيضة) أو (البيضاء) لغلبة الفضة على معدنه، حيث يبلغ عياره 90 بالمائة، ثم تناقص هذا العيار إلى أن بلغ في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر للميلاد) 46 بالمائة، وتوقف ضربه نهائياً سنة 1230هـ/1818م. كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975، ص551=555.

(2) جودت باشا: تاريخ جودت، ج1 ترجمة عبد القادر الدنا، بيروت، وجب ويون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ج1 ص72.

(3) كانت تكريت تعد في الحقبة من 1539 إلى 1551م مركزاً للواء، أو سنجق، تابع لولاية الموصل ينظر علي شاكر علي: ولاية الموصل العثمانية في القرن السادس عشر، عمان 2010، ص110-111..

حيث كان وارده يبلغ 217,284 آقجة⁽¹⁾، وهو مبلغ يزيد قليلا عما تدفعه كل من السناجق الأخرى في ولاية الموصل، باستثناء سنجق المركز، ولما كان هذا الوارد يمثل حصيلة لمختلف الضرائب والرسوم المفروضة على أوجه النشاط الإقتصادي في سنجق تكريت، فإنه يشير إلى تنوع أوجه هذا النشاط وارتفاع وارداته آنذاك.

وعلى الرغم من عناية واضعي سجلات الأراضي العثمانية بتصنيف أراضي تكريت وتحديد ما عليها من رسوم،⁽²⁾ فقد منحت بعض تلك الأراضي إلى زعماء القبائل بوصفها إقطاعات عسكرية من نوع (التيمار)، إذ نقرأ في وثيقة مؤرخة في 10 رمضان سنة 972هـ/1564م أمراً يفيد بمنح (تيمار) لشيخ (طائفة آل عزة) وهي قبيلة العزة الشهيرة التي كانت تتخذ من تكريت منزلاً لها⁽³⁾، على أنه تجب ملاحظة أن هذه السجلات لم تشمل أراضي السنجق (اللواء) كلها، والوثيقة الرسمية المؤرخة في سنة 1049هـ/1639م⁽⁴⁾ تشير صراحة إلى وجود مناطق في السنجق، لاسيما في منطقة سقي نهر الإسحاق «ليست مسجلة خواص همايونية (أي إقطاعات خاصة بالسلطان) ولا وقفاً، ولا ملكاً، ولا زعامة، ولا تيماراً»، ومعنى هذا أن المناطق المذكورة لم تدخل حتى تاريخ الوثيقة تحت أي صنف من أصناف الملكية المعروفة يومذاك، وإنما ظلت تُعد أرضاً متروكة، أو خاضعة لسلطة القبائل العربية لا سلطان للإدارة العثمانية عليها.

وتشير الوثيقة المذكورة إلى أن هذه المنطقة الموصوفة بأنها «عاطلة باطلة» أي متروكة تماماً، مُخَمَّنة بـ 5999 آقجة، مما دل على أن هذا التخمين كان نظرياً، ولم يكن يُدفع شيء منه حتى قيام أحد شيوخ قبيلة العزة، واسمه درويش «من شيوخ

(1) عين علي أفندي: قوانين آل عثمان در خلاصة مضامين دفتر ديوان، ترجمة ساطع الحصري، ينظر كتابه: البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت 1960، ملحق 1، ص 230-239.

(2) الأرشيف العثماني، دفاتر طابو، الدفتران 195 و660 يختصان بالتنظيمات العثمانية لولاية الموصل التي وضعت أسسها في عهد السلطان سليمان القانوني في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد)، والدفتر رقم 195 مؤرخ في سنة 951 و956 (1544 و1549)، أما الدفتر رقم 660 فخال من التاريخ.

(3) الأرشيف العثماني، دفتر مهمة رقم 6 ص 514.

(4) نشر يعقوب سرقيس نصها في بحثه المعنون (قبيلة العزة وشيوخها في منتصف القرن الحادي عشر للهجرة)، جريدة البلاد البغدادية لدى تموز 1945 وأعاد نشرها في كتابه (مباحث عراقية) ج 2، 1948، ص 300-323.

جماعة عرّار العربي»، بتقديم طلبه إلى السلطان العثماني حول منحه الأرض «على أن يُعمرها» مقابل أن «يسلم البارودخانه (أي مصنع البارود في بغداد) خمسمائة كلك [مُحملة] من الأحطاب» فوافق السلطان على أن تُضاف آقجة واحدة إلى مبلغ التخمين، فيكون تمامه 6000 آقجة. وتوضح الوثيقة المؤرخة في 14 ذي الحجة من السنة نفسها (19 نيسان 1640م) بعض ما غمض من سابقتها، فالشيخ درويش هنا يطالب بإسناد مشيخة قبيلة العزة وأحلافها إليه مقابل زيادة حصة ما كانت تدفعه هذه المشيخة من الحطب إلى البارودخانه (معمل البارود) في بغداد، من مائة كلك إلى خمسمائة»، وبهذا فإن الوثيقة تخاطبه باسم (شيخ آل عزة وتوابعها من طوائف الأعراب). والوثيقة المؤرخة في أوائل صفر سنة 1049هـ/3 حزيران 1639م تنوه بحدوث نزاع بين بعض زعماء القبيلة على المزرعة المسماة (مزرعة جماعة العزة وغيرها الواقعة في سنجاق تكريت وناحيته). وكانت مشيخة القبيلة تضم عشائر عديدة، انضوى بعضها تحت زعامتها لأسباب مختلفة، فهذا يدل على أن إقطاع الشيخ درويش كان في الحقيقة إقطاعاً عاماً للقبيلة التي يتزعمها، أو (ديرتها) بحسب المصطلح القبلي السائد في ذلك العصر،

ومن ناحية أخرى فإن هذا الإقطاع كان يقرب من نظام الالتزام الذي اتبعه العثمانيون أيضاً، وتوسعوا فيه كثيراً في القرنين الحادي عشر والثاني عشر (السابع عشر والثامن عشر للميلاد) بحيث حل الالتزام محل النظام الإقطاعي نفسه.

وتذكر السجلات العثمانية نوعاً آخر من الملكية يسمى (جُولك) ، والكلمة مأخوذة من العربية جُول وتعني البرية، مما يدل على أنها كانت تستخدم كمراع، إلا أن السجلات نفسها تشير إلى أن بعض ملتزميها هم «من أهل زراعة» وأنها «خاصة بزراعة تكريت»⁽¹⁾، فمن الواضح أن هذه البراري جرى تقديرها أولاً على أساس أنها مراع، ثم استزرعت فيما بعد، ومما يؤكد ذلك أنه ثمة مراع احتفظت بتصنيفها السابق فعرفت إحداها بـ (مزرعة جُولك) وتبلغ عدد هذه المزارع 18 مزرعة توزعت على الجانبين الشرقي والغربي.

ويُستدل من مقادير الرسوم المفروضة على القبائل، وهي التي تعرفها السجلات العثمانية باسم (جماعات) على أنها نوع آخر من الالتزام لا يقع على

(1) الأرشيف العثماني، دفتر طابو 660 ص94.

ديرة القبيلة بوصفها أرضاً محددة، وإنما على ما تقوم به من نشاط اقتصادي، وواضح من تفاصيل الرسوم أنها كانت تمارس نشاطاً رعوياً محضاً، وبالطبع فإن هذا النشاط يستلزم وجود (ديرة) من نوع ما، تتولى (الجماعة) ممارسة نشاطها فيها، بيد أن السجلات لا تشير إلى هذا الضرب من الملكية القبلية العامة بأية حال.

وثمة نوع آخر من الملكية يشبه أن يكون ملكية مؤقتة، محددة ببعض فصول السنة، ويتجلى هذا النوع من الأراضي الشاطئية المعروفة بالشاططي (جمع شطيّة المخففة من شاطئية). فهذه الأرض تتحسر عنها مياه النهر في فصلي الصيف والخريف، وتغمرها في الفصلين الآخرين. وعلى الرغم من كونها أرض أميرية، فإن الأسر ذات النفوذ تقوم بوضع يدها عليها، ثم تقوم ببيعها قطعاً صغيرة إلى أسر المدينة الراغبة في زراعتها، فتكون الأرض لذلك مزرع أهل تكريت الرئيسي طيلة الموسم، وتشارك في زراعتها معظم أسر البلدة، حتى قيل أنه كان لكل فرد في تكريت أرضه الخاصة به، يزرعها بنفسه وأسرته، وله الحق في التصرف بها، ويضمنه نقل ملكيتها، ما دامت ظاهرة صالحة للزرع، بيد أن تلك الملكية سرعان ما تزول بانتهاء الموسم نفسه، وانغمار الأرض بالمياه مرة أخرى. وعلى أية حال يمكن شراء القطعة مجدداً من ملتزميها عند انحسار المياه عنها في الموسم التالي⁽¹⁾.

ثانياً: الزراعة

لم تُعنَ سجلات الأراضي العثمانية بالإشارة إلى نوع المحاصيل الزراعية أو حتى النبات الطبيعي، عنايتها بتحديد الرسوم المفروضة عليها، ويفهم من مقادير هذه الرسوم أن نشاطاً زراعياً غير قليل كان يجري حوالي تكريت، إذ تشير إلى أنه ثمة رسم على إنتاج الحنطة يبلغ 4140 آقجة، وآخر على إنتاج الشعير يبلغ 560 آقجة، بينما يبلغ الرسم المفروض على إنتاج الحُضْر 350 آقجة⁽²⁾. كما تشير إلى وجود عددٍ من المزارع يبلغ نحو عشرين مزرعة، تتراوح الرسوم المفروضة على كل منها بين 5200 آقجة و1700 آقجة، ويبلغ مجموعها نحو 80000 آقجة، وهو مبلغ جسيم إذا ما قورن بالرسوم المستحصلة من مناطق زراعية أخرى⁽³⁾.

(1) أفادنيه السيد شعبان رجب الشهاب، نقلا عن المعمرين.

(2) الأرشيف العثماني، دفتر طابو 660 الورقة 94.

(3) المصدر نفسه.



تكريت سنة 1914

وتقع أكثر مزارع أهل تكريت في الجانب الشرقي، أي في الجهة المقابلة للبلدة من دجلة، وهي تتفرق على مساحة واسعة نسبياً من الأرض الخصبة، بينما لا يصل عمقها (أي بعدها عن شاطئ دجلة) إلى أكثر من كيلو متر واحد ونصف الكيلومتر. وقد حددت الوسائل المستخدمة للري حتى نهاية العصر العثماني، هذا العمق، بسبب قدرتها المحدودة على رفع المياه إلى الأرض المجاورة للنهر، وأهم هذه الوسائل وأكثرها انتشاراً هو (الكرد) البدائي الذي يتألف من وعاء من جلد البقر تجره الدابة من ضفة النهر حتى يمتلئ بالماء، إلى الساقية التي يصب فيها، ولا شك في أن وسيلة بدائية كهذه لا تصلح لسقي مناطق واسعة من الأرضين.

ويظهر أن رغبة بعض المزارعين في توسيع نشاطهم الزراعي، إبان أواخر القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) أدت إلى استعمال وسيلة أكثر تطوراً، وهي الكروود ذوات المحاور العمودية المُسننة، التي تدور على نفسها بقوة الدواب، فترفع المياه بواسطة المُسننات إلى مستوى سطح الأرض، والتي تعرف في تكريت بالناعور، وفي مناطق أخرى بالكرد مطلقاً⁽¹⁾. وقد شاهد الرحالون هذه

(1) مركز الوثائق بجامعة تكريت، مقابلة مسجلة للسيد نعمان الغني بتاريخ 7 تموز 1983.

الكرود وهي «تروي الحقول الخصبة» هناك⁽¹⁾. وحينما صارت لقبيلة شمّر الكلمة النافذة في المنطقة في القرن الثاني عشر والثالث عشر (18 و19م) أصبح لزاماً على أصحاب هذه الحقول دفع ضريبة عن كل كرد من هذه الكرود إلى زعماء القبيلة المذكورة، وقد لبثت هذه الضريبة تُدفع في القرن الثالث عشر للهجرة، إلا أنها تناقصت في أواخر ذلك القرن إلى حد كبير⁽²⁾.

ونقرأ في الوثائق العثمانية، من القرن العاشر الهجري (السادس عشر للميلاد) أسماء بعض مزارع أهل تكريت، منها: مزرعة جوك فخر الدين، مزرعة جوك مكحول، مزرعة جوك العقبة، مزرعة جوك جصاص، مزرعة جوك نهر مصايد، مزرعة جوك دور ألوان، وهذه كلها في الجانب الغربي، ومزرعة جوك تل النص، مزرعة جوك شوكة، مزرعة جوك مريعة، في الجانب الشرقي⁽³⁾.

وأكثر تلك المزارع شهرة، حتى نهاية ذلك العصر، هي التي عرفت بأسماء: الخزامية، الريضة، السمرة، الخرجة، الحيار، العالي.

ووفقاً للإقتصاد المعيشي السائد فقد كان إنتاج البلدة الزراعي يكفي متطلبات أهلها الغذائية دون حاجة إلى جلبها من النواحي الأخرى، إلا في حالات الطوارئ. وكانت الحنطة والشعير- وهما غذاء السكان الرئيس- يُزرعان في المناطق القريبة من البلدة، وهي تكفي حاجتها منها تماماً، بيد أنها قد تضطر إلى استجلاب كميات منها من الموصل إذا ما داهم حقولها جراد أو انحباس في المطر. أما الخضروات والفواكه فكانت تزرع على وفق نظام الملكيات الصغيرة في المناطق الشاطئية (المسماة الشطاطي)، وهي تكفي - بوجه عام - حاجات السكان، وربما زادت، فيُصدّر الفائض منها إلى بغداد، وأكثره من البطيخ والرقي، بأنواعه الجيدة التي اشتهرت بها منطقة تكريت، مثل البطيخ (السبقندي) والرقي (الأفريدوني)⁽⁴⁾.

(1) اوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج، ترجمة محمود كبيبو، لندن 2009، ص 255.

(2) المصدر نفسه ص 257.

(3) المصدر نفسه، الأوراق 93-94.

(4) مركز الوثائق بجامعة تكريت: مقابلة مسجلة مع السيد جمال الدين الآلوسي سنة 1983 عن

معمرين من أهل البلدة.

وتميزت تكريت بكثرة وجود النبات الطبيعي فيها، إذ تشير الفرمانات السلطانية الموجهة إلى بعض شيوخ العزة إلى تقديمهم كميات ضخمة من الأحطاب إلى مصنع البارود في بغداد، مما يدل على وجود غابات واسعة من أشجار الطرفاء الصالحة لإستعمالها وقوداً، وكانت هذه الغابات أكثر انتشاراً في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة (السابع عشر والثامن عشر للميلاد) ولكنها تعرّضت للتناقص والإنقراض تدريجياً في القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد) بسبب استنزافها المستمر، وعدم تعويضها باستتبات غابات جديدة. وتدل الكمية الضخمة من الأحطاب التي تعهد بإنفاذها الشيخ درويش، المذكور سابقاً، والبالغة 500 كلك سنوياً، على فداحة ما أصاب تلك الثروة الطبيعية من تدهور سريع. ومن ناحية أخرى، فإن بعض الغابات تحوّل، عن قصد، إلى مزارع لإنتاج مختلف الغلال، وأكثر تلك الغابات كان يقع في الجانب الشرقي، وفي الغالب فإن معظم ما كان عليه تقديمه من أحطاب يأتي منها. أما في الجانب الغربي، فكانت تتفرق في أماكن محددة، منها (المريزية) و(الحمرة) شمالي تكريت، و(السّحل) و(جزيرة المطلع) في جنوبيها، وقد جرى انقراض معظم هذه الغابات قبل نهاية العهد العثماني⁽¹⁾.

ثالثاً: الثروة الحيوانية

أشار واضعو سجلات الأراضي العثمانية (القرن 10هـ/16م) إلى وجود ثروة حيوانية كبيرة، تتألف من الأغنام والجاموس. وتقوم بعض الجماعات (وهي هنا تعني: القبائل) بتربيتها ورعيها ودفع ما يترتب عليها من رسوم⁽²⁾، وبالإضافة إلى ذلك فإن تربية الأغنام والماعز ظلت تمثل دعامة اقتصاد المنزل التكريتي، حيث لم يخلو منزل في المدينة من معزتين أو أكثر تسمى (المنيحة) لها رعاة مخصوصون يرعونها في البرية، وهي تستخدم لسد حاجة المنزل أولاً، لا سيما ما يتعلق منها بصباغة الصوف وغزله⁽³⁾.

أما الجاموس، فليس من المعروف تاريخ استجلابه إلى تكريت، ومن المؤكد أنه كان موجوداً بكثرة قبل العصر العثماني. وتتوفر في ضفاف نهر دجلة وجُزره البيئة

(1) أفادنيه السيد شعبان رجب الشهاب نقلا عن معمرين سنة 1993.

(2) الأرشيف العثماني، دفتر طابو 660 الورقة 94.

(3) أفادنيه السيد مجيد الشهاب سنة 1993 نقلا عن جده المعمر الحاج عثمان فرحان المتوفى

سنة 1957 عن عمر زاد على المائة سنة.

المناسبة لتربيته، وقد ظلت غابات (المريزية) و(الحمرة) في شمالي تكريت مرتعاً لأعداد منه حتى آخر هذا العصر، حيث اختصت بتربيتها عشيرة (أبو حاوي) إحدى عشائر العزة، ومن المحتمل أن أسلاف العشيرة هم الذين استجلبوا الجاموس إلى المنطقة لاختصاص عشيرتهم بتربيتها في أنحاء مختلفة في وسط العراق وجنوبه⁽¹⁾.

وكان وقوع تكريت في عقدة مواصلات تجارية برية، قد خلق حاجة حقيقية لوجود أعداد كبيرة من البغال والحمير لاستخدامها في قوافل النقل، ومن هنا فقد انتشرت تربية هذه الدواب وتزايد عددها، وكان على عشائر تكريت دفع مبالغ محددة، بصفة ضريبة، عن هذه الحيوانات إلى قبيلة شمر، حينما أصبحت هذه القبيلة تبسط نفوذها على مناطق الجزيرة المجاورة⁽²⁾.

رابعاً: الطرق التجارية⁽³⁾

احتلت الطرق التجارية مكانة خاصة في الحياة الاقتصادية لبلدة تكريت إبان العصر العثماني، فهذه البلدة التي تتوسط المسافة بين الموصل شمالاً وبغداد جنوباً، وبين منطقة شهر زور شرقاً والفرات غرباً، كان لابد لها من طرق مأمونة تربطها بهذه الأقاليم، وتمارس من خلالها دورها المتميز في تجارة النقل خاصة.

ويمكن أن نوضح اتجاهات هذه الطرق على النحو الآتي:

1- الطرق النهرية

استُخدم مجرى نهر دجلة لأغراض نقل البضائع من الموصل إلى بغداد، وقد غلب استخدام هذا الطريق على الطرق البرية الأخرى، وذلك لعدة أسباب، أهمها توخي الأمن، حيث لم تكن الطرق البرية آمنة، وللاستفادة من تيار النهر، فضلاً عن وجود أكثر تجمعات السكان على ضفافه.

ويتم نقل البضائع والمسافرين أيضاً بواسطة (الكلك) ذلك المركب النهري البسيط الذي يرقى استخدامه إلى عصور وأغلة في القدم، ويتكون من عدد كبير من

(1) تعرف منطقتهم الرئيسية في نواحي اليوسفية، جنوبي بغداد، باسم (جويميسة) تصغير (جاموسة)، ومنهم فروع تمتن تربية الجاموس في الموصل وغيرها. ينظر جميل ابراهيم حبيب: العشائر الزبيدية في العراق، بغداد 1990، ص 46-48.

(2) اوينهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج ص 257.

(3) بدج، واليس: رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد جميل، ج 1، بغداد 1966، ص 340.

جدوع أشجار (القَوَّغ) المستقيمة، توضع بشكل متعامد مكونة مستطيلاً كبيراً، وتشد نهاياتها بالحبال، وتربط تحتها (الجريان) وهي جمع (جربة) أي (القربة) المنفوخة بعدد يكفي لحملها. يذكر الرحالة الإنكليزي بدج سنة 1888 أن مساحة الكلك كانت تتراوح بين 10 إلى 50 من الأقدام المربعة، كما يتراوح عدد الجلود المنفوخة في كل واحد منها بين 50 و1000، وتبلغ مساحة الأكلاك التي تنقل الحنطة من أرض الزاب ودجلة، 40 قدماً مربعاً وزيادة. ويشير باحث معاصر إلى أن مساحة الكلك من هذا النوع كانت تبلغ 11×12 متراً، بينما قد تبلغ حمولته الخمسين طناً، وتستخدم الأكلاك عادة لنقل الحبوب والفحم والزييب والجوز وسائر منتوجات الشمال، فضلاً عن البطيخ والرقي وبعض أنواع الفاكهة. ويدير الإجار بهذه البضائع أرباحاً جيدة، فضلاً عن بيع المواد الداخلة في صناعة الكلك نفسه، والمؤلفة من الجدوع، وعدد كبير من الجلود، مما يُباع عادة عند انتهاء الرحلة في أسواق بغداد. وربما نُقلت الجلود، بعد تفرغها من الهواء وتجفيفها، على ظهور الحمير إلى المكان الذي جُلبت منه أولاً.

وتبلغ المدة التي يقطع بها الكلك المسافة من الموصل إلى بغداد نحو إثني عشر يوماً، وهي مدة معقولة إذا ما قيست بما تستغرقه الرحلة عبر الطريق البري، فضلاً عن متاعب السير في هذا الطريق. أما في فصل الربيع حيث يكون اندفاع المياه شديداً، فإن الرحلة لم تكن تستغرق إلا ثلاثة أو أربعة أيام⁽¹⁾، ويمر الكلك بعدد من المواقع والتجمعات السكانية على جانبي النهر، ومن المحتمل أن يتوقف في بعضها، للتزود بالطعام⁽²⁾ أو للتجارة على حد سواء. ويصف لنا الرحالة بدج معالم هذا الطريق على النحو الآتي:

الموصل، حمام علي، قرية السلامة، نمرود، عوأي صخر المنيرة، صناديق، المشراق، مصب الزاب الأعلى، قلعة كشاف (بقايا مدينة حديثة الموصل)، قرية مكوك،

(1) رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، دار الوراق، لندن 2012 ص340

(2) يذكر الرحالة الأب جوزيبه سبستاني في رحلته من الموصل إلى بغداد نهرًا سنة 1666م أن ربان الكلك اضطر إلى التوقف عند شاطئ تكريت نظراً لقلة ما تبقى لديهم من طعام تزودوا به في الموصل، ولكنهم لم يجدوا محلاً ليشتروا منه زاداً. وفي رحلة له أخرى لم يجد إلا القليل من الطعام. رحلة سبستاني، ترجمة بطرس حداد، بيروت 2006، ص26 و90. بيد أن تغيراً قد حدث في العهود التالية حتى أن الرحالة لجان يذكر بأنه حينما رسي الكلك في تكريت وجد من أهلها رجال ونساء يخوضون شاطئ النهر لبيع ما يحتاجه الكلك من مشتقات الحليب. رحلة لجان، ترجمة بطرس حداد، مجلة المورد 1983 العدد 3 ج12

القيارة، قلعة الشرقاط (آشور القديمة)، الخانوقة، صخر النمل، قلعة البنت أو قلعة مكحول، تريشة، مصب الزاب الأسفل، مصب وادي جهنم، تل مومرس، قلعة جبار، تل الذهب، الفتحة، تل الدكتلك، خان الخرنيني، قلعة أبو رياش، تكريت.

وأما معالم الطريق النهري بين تكريت وبغداد، فهي بحسب وصف بدج كالآتي:

تكريت، إمام دور، تل البنات، سامراء، الاصطبلات، قادسية دجلة، حوى، خان الصوية (خان المزراقي)، تل حسين، بلد، بعرورة، السيد محمد، قبة الشواني، مصب نهر العظيم، السندي، السعاوية، المنصورية، القصيرية، الطارمية، الملوخ، الكاظمية، بغداد.

وعلى الرغم من الأمان النسبي الذي تمتع به هذا الطريق، فإنه لم يكن يخلو من مخاطر تهدد سلامة المسافرين فيه، من اتخاذ قطاع الطرق مواضعهم على شاطئ النهر لتهديد الأكلاك المارة فيه، وذلك بالهجوم عليها أو ضربها بالرصاص بغية نهب محتوياتها⁽¹⁾، وقد تكررت الأوامر السلطانية لولاة بغداد بوجوب (تأديب) القبائل النازلة على ضفتي دجلة، بسبب ما كان يخشى على هذا الطريق النهري من تعدٍ على الناس بالقتل والنهب⁽²⁾، من ذلك افتتاح والي بغداد القوي حسن باشا الأيوبي عهد ولايته سنة 1116هـ/1704م بتوجيه حملة عسكرية كبيرة للقضاء على بعض قطاع الطرق الذين اتخذوا من (الخانوقة) جنوبي الشرقاط، حصناً لهم، وقاموا بانتهاب أحد الأكلاك المارة هناك⁽³⁾. وكان التجار يضطرون، في بعض المواسم، إلى إنزال حمولتهم إلى البر حيث تنقل على ظهور الدواب، تجنباً لمغبة اجتياز الكلك بعض المواضع الخطرة، ثم العودة إليه بعد إتمام اجتيازه لها⁽⁴⁾. كما أن مجرى النهر نفسه لم يكن خال من العوائق الطبيعية، مثل وجود الصخور العالية التي من شأنها أن تمزق القرب التي ترفع الكلك أو تساعد على تعويمه⁽⁵⁾. وعلى العموم كان السفر في هذا الطريق صعباً وشاقاً⁽¹⁾.

-
- (1) ينظر مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي: كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان، الورقة 16، نسخة كميردج المصورة في المجمع العلمي العراقي ببغداد.
 - (2) ينظر مثلاً، الأرشيف العثماني، دفتر مهمة رقم 1 وثيقة 44 بتاريخ 25 محرم سنة 972هـ.
 - (3) عبد الرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بتحقيقنا، بغداد 2002.
 - (4) تافرنبيه، جان بابستت: رحلة تافرنبيه، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد 1944، ص 76.
 - (5) رحلة سبستيانى، ص 90.



صورة زيتية لتكريت القديمة ويظهر الكلك على شاطئ النهر

2- الطرق البرية

أ- طريق بغداد- تكريت

يظهر أن هذا الطريق هو نفسه الذي سلكه الرحّالون والسيّاح في العصور الإسلامية، دونما تغيير في اتجاهاته، أو في مراحلها، حيث لم يكن ممكناً استخدام الكلك إلا نُزلاً، فوصف الشيخ عبد الله السويدي (المتوفى سنة 1174هـ/1760م) بهذا الطريق سنة 1157هـ/1744م، وذكر أنه كان يتألف من خمس مراحل، تقطع في نحو أسبوع واحد، وهي على الترتيب⁽²⁾:

بغداد، نهر الحسيني، الفرحاتية، المحادر، مُهَيَجِر، تكريت

ويذكر الرحالة نيبور أن الرحّالين الأوربيين لم يكونوا يفضلون السفر عبر هذا الطريق بسبب خلوّه من بقعة مأهولة خلا تكريت⁽³⁾.

ب- طريق تكريت- الموصل

مرّ الراهب فنشنسو مارية بهذا الطريق سنة 1656 عاداً إياه «أقرب الطرق، أعني

(1) المصدر نفسه ص91.

(2) عبد الله السويدي: النفحة المسكية في الرحلة المكية، بتحقيقنا، ص 88-96.

(3) رحلة نيبور ص342.

طريق الصحراء»، ووصف المرحلة الأخيرة منه، وهي الممتدة من القيارة إلى الموصل، بأنها تمضي في صحراء قاحلة جرداء، وقد أحرقتها الشمس، فكان الغبار يتصاعد بكثرة من جراء سير الخيول، فصعبت الرؤية وضاق التنفس، فأخذ جميع المسافرين يَشْدُونَ المناديل على أفواههم، وَغَمَرْنَا الغبار من قمة رؤوسنا إلى أخصم أرجلنا⁽¹⁾. وفصل السويدي، بعد قرن من هذا التاريخ، في تعيين مراحل ذلك الطريق، فذكر أنه كان ينقسم إلى تسع مراحل، يتم قطعها في تسعة أيام، هي على الترتيب:

تكريت، وادي الفرس، قزل خان، الغرابي، اللباليق، الخانوقة، القيارة، المصايد، حمام علي، الموصل⁽²⁾.

ج- طريق تكريت- الطوز

وهو طريق ثانوي محلي، يستخدمه تجار تكريت، وهم غالباً من سكان بلدة الطوز، في نقل بضائعهم إلى منطقة حميرين، وتستعمل البغال في هذا الطريق بسبب وعورته، وهذا الطريق يتألف من المراحل الآتية:

تكريت، الناعمة، حميرين، الطوز

د- طريق تكريت- كركوك

طريق ثانوي، يصل منطقة تكريت بمدينة كركوك، قاعدة ولاية شهرزور، وقد استخدمه التجار، من بلدة الدور القريبة من سامراء، للإغراض التجارية مع أهل تلك المناطق. ومراحل هذا الطريق هي:

تكريت، العَلم، الصَّفرة، الحويجة، نخيلة، كركوك.

هـ - طريق تكريت - ديالى

طريق فرعي، لكنه مهم، لأنه يصل منطقة تكريت بسهل ديالى الغني بالفاكهة والحاصلات الزراعية، وقد اختص أهل الدور بالإتجار مع تلك المنطقة، ومراحل هذا الطريق هي:

(1) رحلة الأب فنشنتسو إلى العراق، ترجمة بطرس حداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، الهيئة

السريانية، المجلد 13، بغداد 1989، ص 179.

(2) النفحة المسكية ص 96-100.

تكريت، سامراء، الضلوعية، العظيم، ديالى

و- طريق تكريت- الفرات

طريق مهم، يصل منطقة تكريت بشاطئ الفرات، حيث تمضي من هناك طرق التجارة الدولية الموصلة بين البصرة وبلاد الشام. ويتولى الحديثيون، وهم تكراتة من أهل حديثة الفرات وجوارها، الإشراف على هذا الطريق، وينقسم إلى أربع مراحل هي:

تكريت، الثرثار، حديثة، على الفرات

وثمة طريق يبدأ من الثرثار وينتهي في عانة على الفرات

وتكثر في هذه الطرق الآبار، كما شيدت بعض الخانات لإيواء المسافرين، منها خان الإخوان، الواقع في الطريق إلى عانة، وخان النمل قرب الشرقاط، وغير ذلك⁽¹⁾.

وأكثر ما كان يصدره التكراتة على هذا الطريق: الجلود المدبوغة، التي كانت تباع في مدن بلاد الشام، لا سيما في فلسطين⁽²⁾.

ويؤكد أوبنهايم على أهمية الطريق الذي كان يصل بين تكريت وكل من هيت وعانة على الفرات، حيث لا تبعد هيت سوى مسيرة يومين ونصف، بينما تبعد عانة أكثر قليلاً⁽³⁾.

وكان على القوافل أن تدفع إلى زعماء القبائل المجاورة التي تبسط نفوذها على هذه الطرق مبالغ نقدية باسم (خوة) فضلاً عن مواد غذائية مختلفة، كالقمح والشعير والرز والسكر والقهوة والملح، وكذلك الملابس والأسلحة والبارود. وقد توقف أداء هذه الضرائب بعد أن أخذت السلطة العثمانية ببسط سيطرتها هي عن طريق تزويد البلدة، وغيرها من البلدات الأخرى، بالحاميات العسكرية⁽⁴⁾.

الجرف

غلب النشاط الحربي على أهل تكريت، إبان العصر العثماني، قياساً إلى سائر

(1) ينظر ألوا موسيل: الفرات الأوسط، ترجمة صدقي حمدي وعبد اللطيف داود، بغداد 1990، ص91.

(2) أفادنيه السيد مجيد الشهاب في تكريت في 25 شباط 1993 نقلاً عن جده الحاج عثمان فرحان.

(3) أوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج ص258.

(4) أوبنهايم ص90.

الأنشطة الأخرى، حتى قيل أن ليس من أهلها إلا من يصنع الأكلاك، وينفخ الظروف، ويغزل الصوف⁽¹⁾. وفي الواقع فإن هذه الحرف كان يفرضها موقع المدينة الجغرافية بالدرجة الأولى، حيث تقع تكريت على أهم طريق نهري في العراق من جهة، وعند الحافة الجنوبية لمراعي الجزيرة من جهة أخرى. فضلاً عن هاتين الحرفتين الرئيسيتين، فقد كانت ثمة حرفة أخرى لها تعلق بهما، أو أنها كانت تؤدي دورها في سد حاجة السكان الأساسية إلى المصنوعات المختلفة التي تستلزمها حياتهم اليومية.

وتعد صناعة الدباغة من أكثر الصناعات شيوعاً في تكريت لتعلقها بصناعة الظروف (الجريان) اللازمة لتعويم الأكلاك.

وتشير السجلات الرسمية العثمانية في القرن العاشر للهجرة (16م) إلى وجود (الدباغ خانة) أي محل دباغ الجلود، بوصفها من المرافق التي تؤدي رسماً إلى إدارة السنجق (اللواء)⁽²⁾. ويشير المعمرون إلى وجود عدة مدايح في تكريت في أواخر العصر العثماني، كانت تختص بدباغ جلود الأغنام والماعز وتزييتها بالدهن لتصبح طرية لينة صالحة لأن تكون ظروفًا للأكلاك.

ومن ناحية أخرى فإن هذه المدايح كانت تنتج (الفراء) بوصفها ضرباً من الملابس، وهو يصنع من جلود الخراف الصغيرة، بعد دباغها ومعالجتها بالزيوت، يرتديها أصحاب الأكلاك خاصة⁽³⁾.

ولا تقل صناعة النسيج أهمية وانتشاراً عن صناعة الدباغة، حيث وجدت في تكريت، إبان هذا العصر، عدة آلات نسيج (تسمى جُوم، جمع: جُومة) لغزل الصوف خاصة، وذلك بعد أن تقوم النساء بجمعه وغزله وصبغه بوسائل بدائية في البيوت. وتشير السجلات العثمانية المذكورة آنفاً إلى وجود (بُويه خانة) بمعنى المصبغة، وكانت تؤدي رسماً عليها إلى إدارة السنجق⁽⁴⁾.

وكانت (الجُوم) المحلية تنتج أكثر ما تحتاجه المدينة من أنواع النسيج، مثل العباءات،

(1) ياسين بن خير الله العمري: غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دارالسلام، بغداد 1968،

ص 83

(2) الأرشيف العثماني، سجلات الموصل دفتر طابو 660، الورقة 99-100.

(3) شعبان الشهاب: الأكلاك، بحث أشير إليه ص 113.

(4) سجلات الموصل، دفتر 660، الورقة 100.

بنوعها العادي، أو المعروف بـ(الجزية)، وهو الذي يدخل في صناعته الحرير. والمقطع، وهو قميص يصنع منه (البشيت) وهو رداء طويل يصل إلى الركبتين.

والى جانب النسيج الصوفي، كانت ثمة صناعة للنسيج القطني أيضاً، حيث أنتجت (جُوم) تكرت أنواعاً من النسيج المستخدم في عمل الثياب، كما أنتجت النسيج الحريري المستخدم في عمل ضروب من الأردية يعرف بـ(الجزية= القزية) وفي عمل (الهميان)، وهو الحزام الذي يحاك من خيوط الحرير الأحمر وغير ذلك. وقد تولت صناعة النسيج، إبان أواخرالعصر العثماني، عدة أسر توارثتها عن أسلافها حتى تمهرت فيها، منها بيت جمعيو، وبيت سرحان، وعوين من عشيرة الكرامات، وعطية، وغيرهم⁽¹⁾.

وتلبية لحاجة المدينة والقرى المجاورة إلى آلات الزراعة، فقد وجدت في تكرت حرفة (الحدادة) لتتوارثها بعض أسرها، لا سيما الأسرة المعروفة بالسادة الحدادة، نسبة إلى حرفتها نفسها، وبرز منها في العصر العثماني حدادون ماهرون، أمثال: محمد، وهدوب، وعباوي، وآل عليج. وكان هؤلاء يتولون، إلى جانب عملهم الرئيس، مهاماً أخرى تتطلبها ضرورة الدفاع عن البلدة وأكلاكها، وهي تصليح السيوف والخناجر والبنادق القديمة من نوع (شيشخان)⁽²⁾، وجميعها مما كان يجلب من المدن الأخرى لا سيما بغداد والموصل.

وتعد النجارة من الحرف المهمة في تكرت نظراً لكونها من مستلزمات صناعة الأكلاك، حيث اختص نجارو المدينة بعمل مقابض المجاذيف (اليدّة) والفؤوس وغيرها، هذا فضلاً عن عمل الأثاث المنزلي الضروري للسكان، من أسرة وصناديق ورفوف وصناعة الزوارق من نوع (القايع)، وهو زورق كبير مُفطح يستخدم لعبور النهر، وغير ذلك. وقد اقتصت بهذه الحرفة أسرة (آل حويز) إذ توارثها الأبناء عن آبائهم عدة أجيال، كما عرف بها أيضاً أفراد من بلدة الدور القريبة الذين نزحوا إلى تكرت واستقروا بها.

(1) مقابلة مع السيد مولود أحمد جاسم في تكرت بتاريخ 20 أيلول 1993.

(2) الشيشخان، من الفارسية، شيش: سته، وخانه: بيت، وهي بندقية كان في سطح سبطانته (ماسورتها) الداخلي ستة خطوط طولاً تساعد في دفع القذيفة بالاتجاه المباشر نحو الهدف.

ولابد من الإشارة هنا إلى صناعة السراجة واليمنية (الخفاف)، وقد عرف بها في أواخر العصر المذكور أفراد ماهرون، وصلتنا أسماء أشهرهم، وهم علي الحاج هبن، والأخوان سميان وشعبان.

وفضلاً عما تقدم، فقد كانت ثمة حرف أخرى، أهمها حرفة البناء، وممن عرف بها، إبان أواخر ذلك العصر، صالح الشنيب، وعدد من البنائين أكثرهم من بلدة سامراء⁽¹⁾.



جانب من شاطئ تكريت القديمة

(1) مقابلة مع السيد مولود أحمد، تقدمت الإشارة إليها.

كربلاء في القرنين السادس عشر والسابع عشر بحسب الوثائق العثمانية⁽¹⁾

كان من الطبيعي أن يؤدي ضم السلطان سليمان القانوني العراق إلى الدولة العثمانية الى أن ينعكس هذا المتغير على أوضاع العتبات المقدسة في النجف وكربلا، فقد سعى العثمانيون إلى الاهتمام بها تأكيداً على أن دخول العراق في نطاق السيطرة الجديدة لن يغير من تقدير المكانة الفريدة التي لهذه المشاهد، ومن ناحية أخرى فإن هذا الإهتمام الذي كانوا يبذرونه من شأنه، في تقديرنا، ضمان ولاء قوات الينكجيرية (الإنكشارية)، لا سيما بعد أن رفضت هذه القوات المضي في قتال الصفويين في عهد السلطان سليم الأول، على أساس أن القتال لم تكن تبرره الدوافع الشرعية المعلنة للحرب. ويمكننا أن نضيف إلى هذا رغبة السلطان سليمان في إظهار نفسه حامياً ومعزماً للمشاهد المقدسة، مثله في ذلك مثل أعدائه الصفويين، ومن ثم يفقد الأخيرين إحدى حججهم في ضم العراق إلى دولتهم الجديدة، وفضلاً عن ذلك فإن العثمانيين أنفسهم كانوا يحملون، كسائر المسلمين أولاً، ثم بتأثير الطرق الصوفية ثانياً، لا سيما المولوية والبكتاشية، تقديراً روحياً عالياً لآل البيت، واحتراماً خاصاً لمشاهدهم في العراق.

أكمل السلطان سليمان العمارة الكبيرة التي بدأ بها الشاه اسماعيل الصفوي للمشهد الحسيني، وتكشف صورتان اللتان رسمهما مرافقه، وأحد مهندسي جيشه، نصح افندي مطراقي زاده⁽²⁾ عن الزيادات الكثيرة التي أحدثها السلطان منذ أول دخوله كربلاء، وفضلاً عن ذلك فقد نجح مهندسو السلطان في شق نهر من الفرات يزود البلدة بالماء نسب إليه فعرف بالنهر السليمانى، فزاد هذا المشروع

(1) تستند هذه الدراسة على الدفاتر المسماة (دفاتر مهمة) المحفوظة في الارشيف العثماني في استانبول وهي سجلات كانت تدون فيها ملخصات الاحكام الصادرة عن الديوان الهمايوني التي تمت مذاكرتها في اجتماعات الديوان فيما يتعلق بالأمور الداخلية والخارجية على حد سواء، ويبلغ عددها 266 دفترًا تغطي الحقبة الممتدة من سنة 961 الى 1335هـ/1553-1916م.

(2) كتابنا: العراق كما رسمه المطراقي زاده، مركز كربلا للدراسات والبحوث، مؤسسة الأعلمي، بيروت 2015 قارن بين صورتى المشهد الحسيني في ص 47 و 196

«في محصولاتها وأثمار أشجارها، وأنعم على الخدّمة والسكان»⁽¹⁾ وهو الذي عُرف فيما بعد بنهر الحسينية⁽²⁾.

تكررت الإشارة إلى كربلاء في الوثائق العثمانية باسم (المشهدين الشريفين) غالباً، وبـ (المشهدين المباركين) أحياناً أخرى.

شؤون الإقامة

إن تذبذب العلاقة بين العثمانيين والصفويين، سلماً وحرماً، جعل من المشهدين ما يشبه أن يكون ورقة ضغط متبادلة تستخدمها الدولتان في التأثير على مجرى هذه العلاقة بين حين وآخر، ولذلك فقد تضمنت معاهدة (آماسية)، وهي أول معاهدة وقعت بين الجانبين سنة 963هـ/1554م، نصاً مهماً يظهر أن الشاه الإيراني، وهو يومذاك طهمااسب الصفوي، أراد به إخراج هذه الورقة من نطاق استخدامها من طرف أعدائه المجاورين له، إذ قررت ضرورة تأمين سلامة الزوار القادمين من إيران لزيارة العتبات المقدسة في العراق، وكذلك تأمين سلامة الحجاج الزاهيين لزيارة بيت الله الحرام⁽³⁾. وفي الواقع فإن جميع المعاهدات التالية، كانت تميل إلى التهذئة والابتعاد ما أمكن عن إثارة الطرف الآخر، وهو ما انعكس إيجاباً على موقف السلطات العثمانية من قضية تيسير زيارة الإيرانيين للعتبات من ناحية، والعناية بهذه العتبات من ناحية أخرى.

وفي سنة 972هـ/1564م نقرأ أن «حكماً وجه إلى أمير أمراء بغداد يتعلق بالقادمين من إيران لزيارة المشاهد المباركة في بغداد، وقد اشتمل الحكم على تعليمات في ذلك الشأن، وجاء فيه أنه صدر إليه في هذا الموضوع حكماً سابقاً شمل التفاصيل المتعلقة بشروط الزيارة وكيفيةها، فعلى أمير أمراء بغداد مراجعة ذلك الحكم والعمل والتقيد بأحكامه»⁽⁴⁾.

وكان لا بد من أحكام لتنظيم دفن الموتى أيضاً، فحينما قدّم الشاه الإيراني الى

(1) مرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا، بغداد 1971، ص 200 و201.

(2) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج 4، 1949، ص 36.

(3) شاكر الضابط: العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، دار البصري، بغداد

1966، ص 10-1

(4) دفتر مهمة 6 ص 651 رقم الوثيقة 1432 في 19 ذي الحجة 972هـ/17 تموز 1565م.

السلطان طلباً بالسماح بدفن أحد أفراد البيت المالک، نعمة الله خان، الذي مات في همذان، «في المشهدين الشريفين»، نص الحكم المؤرخ في سنة 972هـ/1564م على «دفنه في مكان خارج المشهدين يتم شراؤه من ماله الخاص»⁽¹⁾، ومن الواضح أن هذا الشرط كان للحيلولة دون اكتظاظ المشهدين بالقبور والاقتصار على زيارتها فحسب.

وكان إلغاء معاهدة فرهاد باشا⁽²⁾ إيذاناً بتدهور سريع في العلاقات العثمانية- الإيرانية، وعودة شكوك كل طرف بنوايا الآخر، ومن ثم برزت قضية الزيارة والحج على سطح هذه العلاقات بوصفها ورقة ضغط، ففي الوثيقة المؤرخة في 28 ذي الحجة 988 هـ/ 1580م نقرأ أن حكماً موجهاً إلى أمير أمراء (لحسا) جاء فيه «أن البعض من الإيرانيين يعبرون الحدود بتبديل أزيائهم بحجة القصد إلى أداء فريضة الحج بعد رشو القائمين على محافظة الحدود، ثم يندسّون في قوافل الحجاج بنية إيقاع الفتنة والفساد بينهم ويصلون إلى الحرمين الشريفين، وقد نص الحكم على ضرورة تعيين جواسيس أقوياء من المعتمدين لتفقد أحوالهم عند دخولهم الممالك المحروسة الإسلامية، وإذا كان مقدّمهم بقصد تعاطي التجارة فيُسمح لهم بذلك بموجب رخصة يمنحها لهم أمير أمراء لحسا، وألاً يُمنعون من الدخول ويُطرَدون من البلاد»⁽³⁾. وفي الوثيقة المؤرخة في ربيع الآخر من سنة 1018هـ/ تموز 1610م نقرأ أن حكماً موجهاً إلى الوزير محمود باشا محافظ بغداد جاء فيه «أنه منذ فسخ معاهدة الصلح مع شاه إيران فإن بعض الطوائف الإيرانية تتردد إلى الممالك المحروسة بقصد الحج أو التجارة ثم تتوطن فيها خفية، وقد نص الحكم على عدم السماح لأي فرد من الإيرانيين بالدخول إلى البلاد مهما كان قصده من زيارة أو تجارة أو حج، حتى تنقضي أيام العداوة القائمة بين الدولتين، وحتى يصل أمر آخر من السلطان بشأنهم، كما نص الحكم على اتخاذ جميع التدابير اللازمة على الحدود لمنع التسرب إلى البلاد العثمانية، وقد تم توجيه أحكام مماثلة إلى أمير أمراء كل من البصرة والحسا»⁽⁴⁾.

(1) دفتر مهمة رقم 1 ص 165 وثيقة رقم 354 بتاريخ 4 ربيع الآخر سنة 972هـ/ 8 تشرين الثاني 1564م.

(2) معاهدة عقدت سنة 1590، ينظر الضابط، مصدر سابق ص 31.

(3) دفتر 42 ص 176 الوثيقة رقم 554 في 28 ذي الحجة 988هـ/ 13 كانون الثاني 1501م.

(4) دفتر 78 ص 197 الوثيقة رقم 1810 في ربيع الآخر 1018هـ/ 1610م.

التوسعة والعمارة

عُنيت الإدارة العثمانية بتعمير المشهد الحسيني والزيادة فيه بين حين وآخر، ففي سنة 976 هـ/1568م صدر حكم عثماني الى أمير أمراء بغداد⁽¹⁾ يقضي بتعمير المشهدين، و«بتأمين مواد الإنشاء اللازمة لتعمير وترميم القباب الشريفة للمشهدين الشريفين من أخشاب وحديد وكلس»، ونظراً لندرة الأخشاب المتينة في العراق، فقد تضمن الحكم تأكيداً على «تأمين أخشاب الصنوبر من بلدة بيره جك»⁽²⁾، وكانت هذه البلدة تمثل الميناء المهم الذي يجري من خلاله إرسال الأكلاك المحملة بالبضائع والمهمات إلى مدن العراق الواقعة على الفرات أو القريبة منه، ومن المؤكد أن أخشاب الصنوبر كان يأتى بها من غابات جبال طوروس في جنوبي بلاد الأناضول⁽³⁾.

وفي سنة 984هـ/1576م قام والي بغداد علي باشا الوند، بأمر من السلطان، بعمارة المشهد الحسيني عمارة كبيرة شملت الرواق والقبعة، كما عمّر أيضاً قباب شهداء كربلاء⁽⁴⁾ وفي الحكم الصادر في 5 محرم 987هـ/3 آذار 1579م الموجه إلى أمير أمراء بغداد إشارة إلى كتاب ورد منه إلى السلطان يذكر فيه أن المسجد الملاصق لمقام الإمام الحسين رضي الله عنه مُشرف على الخراب، وبحاجة إلى التعمير والترميم، وقد دلّ الكشف على أن تكاليف هذا التعمير والترميم تبلغ حوالي سبعة ألف فلوري⁽⁵⁾. ونص الحكم على القيام به ومقابلة المصاريف من خزينة بغداد⁽⁶⁾ .. وبعد أقل من عقد واحد جرت عمارة جديدة للمشهد، وذلك سنة 991هـ/1583م⁽⁷⁾. ولا تشير الوثائق التي وقفنا عليها إلى كلفة هذه التعميرات، إلا أننا نستطيع أن نتصور ضخامتها بالمقارنة بكلفة تعمير مشهد الإمام علي (ع) حيث تضمنت وثيقة⁽⁸⁾ مؤرخة

(1) هذا هو أصل لقب (مير ميران) الذي كان يمنح بحسب نظام الإقطاع العسكري العثماني إلى حكام الإيالات المهمة، وقد أُبدل في العصر التالي باسم (والي).

(2) دفتر مهمة رقم 7 ص 864 الوثيقة رقم 2368. رقم الوثيقة 1432 في 19 ذي الحجة 973هـ/6 تموز 1566م.

(3) دفتر مهمة رقم 7 ص 864 بتاريخ 11 جمادى الأولى سنة 976هـ/1 تشرين الثاني 1590م (4) كلشن خلفا ص 208.

(5) قطعة نقدية تنسب الى مكان ضربها فلورنسا.

(6) دفتر مهمة رقم 36 ص 96 الوثيقة رقم 379 في 5 محرم 987هـ/3 آذار 1579م

(7) تاريخ العراق بين احتلالين ج 4 ص 117

(8) دفتر 67 ص 52 صفر 999هـ/تشرين الثاني 1590م.

في صفر 999هـ/ تشرين الثاني 1590م حكماً موجهاً إلى أمير أمراء بغداد ودفتردارها يتعلق بتعمير وترميم تربة الإمام ، جاء فيه أنه ثبت «من الكشف الأخير أن أعمال الترميم هذه تكلف 15 ألف ذهب على وجه التعيين، وقد نص الحكم على إتمام مصاريف التعمير من خزينة بغداد فيما إذا لم تفيها واردات الأوقاف الخاصة بتربة الإمام».

ويكشف فرمان الصادر في 28 ذي القعدة سنة 982هـ/ 19 شباط 1575م الموجه إلى أمير أمراء بغداد عن أن الأخير اقترح على السلطان تخصيص واردات النهر الذي جرى حفره بأمر من السلطان سليمان القانوني، وهو المعروف بالنهر السليمانى، للإنفاق على مصاريف «مدينة حضرة الإمام الحسين رضي الله عنه» بدلا من واردات النهر الذي حفره الشاه إسماعيل، ولم تتوضح أسباب هذا الاقتراح، إلا أن السلطان وافق عليه، وأن أمراً (همايونياً) صدر إلى كاتب الولاية بهذا الشأن⁽¹⁾.

الوقف على المشهدين

كان وقف العقار على المشهدين والإنفاق على زوارهما يمثل مجالاً رحباً لتوخي الأجر وابتغاء الثواب، وقد تبارى الواقفون ومنهم وزراء عثمانيون في هذا المجال، حتى وجدنا في الوثائق العثمانية إشارات كثيرة الى هذه الشؤون، وقد سمعت السلطات الى صيانة تلك الأوقاف كلما تناهى إليها خبر تعدي بعض الطامعين عليها، ففي سنة 985 هـ/ 1577م صدر حكم موجه إلى أمير أمراء بغداد وقاضيها وقاضي المشهدين الشريفين، يقرر بأن عدداً من الطامعين، ومنهم عيسى و عبد السلام، إعتدوا على أموال وأملاك الوقف، وتملكوا أفضل الأراضي الوقفية لقومهم وأقاربهم، «وقد نص الحكم على إجراء تحقيق في ذلك ورد الأمور إلى نصابها»⁽²⁾. وفي الوثيقة المؤرخة في 987هـ/ 1579م نقرأ «أن حكماً موجهاً إلى أمير أمراء بغداد وقاضيها يقضي بإجراء تحقيق في حق متولي وقف المشهدين مظفر مشرف التبريزي بناء على رسالة وردت إلى السلطان من قاضي الموصل مولانا ولي زيد فضله يذكر فيها اعتدائه على أموال الوقف بالأكل والبلع»⁽³⁾.

(1) دفتر مهمة رقم 2 ص 151 في 28 ذي القعدة 982هـ/ 10 آذار 1575م.

(2) دفتر 31 ص 295 الوثيقة رقم 331 في 12 رجب 985هـ/ 23 أيلول 1577م.

(3) دفتر مهمة رقم 40 ص 192 الوثيقة رقم 353 في 13 جمادى الآخرة 987هـ/ 6 آب 1579م.

وفي السنة نفسها صدر حكم إلى أمير أمراء بغداد جاء فيه أن (دارنده سيد حسين) من السادات المقيمين في المشهدين الشريفين قدم عريضة إلى السلطان يذكر فيها «أن كتحدا أمير أمراء بغداد المتوفى مراد باشا وناظر لواء الرفاهية (الرماحية) جعفر اعتدى على أملاكه واغتصب جميع محصولاته، كما يذكر فيها مظالم أخرى ارتكبتها المذكور، وقد نص الحكم على إجراء تحقيق في أمره ورد الحقوق إلى أصحابها»⁽¹⁾. ولعل مما يلفت النظر أن هذا السيد رفع عريضته إلى السلطان العثماني مباشرة متجاوزا سلسلة من المراجع الإدارية، وأن السلطان استجاب لطلبه بالطريقة نفسها.

التولية والسدانة

ومنذ أوائل القرن الحادي عشر للهجرة نقرأ عدداً من الأوامر السلطانية تتعلق بأوقاف وقفها مسؤولون عثمانيون على مشهد الإمام الحسين (ع)، منها فرمان صدر في سنة 1018هـ/1609م يتضمن حكماً «إلى الوزير محمود باشا محافظ بغداد⁽²⁾ ويتعلق بالوقف الذي وقفه الوزير حقي باشا على «مرقد الإمام الحسين رضي الله عنه» وفيه تعليمات خاصة بذلك الوقف⁽³⁾. ولغرض تنظيم الإشراف على شؤون هذه الأوقاف فقد أنيطت التولية عليها بمن تسميه الوثيقة (مصطفى آغا) ولا نعلم هوية هذا المتولي، وما إذا كان من أبناء البلدة أم من غيرها⁽⁴⁾. وعلى أية حال فقد أنيطت التولية على مشهد الامام علي في العصر نفسه إلى من يحمل هذا اللقب أيضاً⁽⁵⁾. ومما يؤكد أهمية شؤون التولية أن حكماً آخر صدر بشأنها في اليوم التالي لصدور الأول تضمن تعليمات أخرى⁽⁶⁾.

(1) دفتر مهمة 31 ص 395 الوثيقة رقم 655 في 13 رجب 985/16 أيلول 1577م.

(2) هو والي بغداد حافظ محمود باشا. ورد اسمه في معاهدة صلح سنة 1022هـ/1613م، ولا ذكر له في المصادر الأخرى.

(3) دفتر رقم 78 ص 38، 8 شعبان 1018هـ/ 5 تشرين الثاني 1609م

(4) الدفتر 79 ص 252 في 2 ذي القعدة سنة 1019هـ/ 4 نيسان 1601م

(5) دفتر 104 ص 54 أواسط شوال 1102 هـ/ 11 تموز 1691م حول تولية عبد الله آغا "على

الأوقاف الشريفة للإمام علي رضي الله عنه في بغداد ويشتمل على تعليمات خاصة بذلك".

(6) دفتر 79 ص 257 ذي القعدة 1019هـ/ نيسان 1601م.

وفي سنة 1056هـ/ 1646م نقرأ حكماً موجهاً إلى أمير أمراء بغداد وقاضيه ويتعلق «بالشؤون الخاصة بأوقاف الإمام الحسين رضي الله عنه» ، ويشمل تعليمات حولها، و«قد صدر الحكم بناء على طلب قدمه إلى السلطان السيد علي شيخ تربة الإمام الحسين رضي الله عنه»، وهذه الوظيفة (شيخ التربة) هي ما عرفته المصادر الأخرى المعاصرة باسم (السادن) و(الخازن)، وكانت تتولاها عهد ذاك أسر كربلائية أبرزها آل الأسدي وآل زحيك وآل الزعفراني. ولا تشير الوثيقة إلى هوية السيد علي هذا، إلا أن تعريفه بالسيادة يدل على أنه من إحدى الأسر العلوية التي كانت تسكن البلدة، ولها من الاعتبار الاجتماعي ما يؤهلها لتولي هذا المنصب الرفيع، ونذهب إلى أنه السيد علي بن محمد الدراج بن سليمان بن سلطان، من آل الدراج وهم فرع من آل زحيك، فنحن نعلم أنه تولى منصبه سادناً للعبة الحسينية في سنة 1049هـ/ 1639م، ولم يتول بعده سمي له⁽¹⁾. ومما يلفت النظر أن الوثيقة تشير إلى أن هذا السادن كان قد كتب إلى السلطان بمقترحات حول الوقف مباشرة، أي دون أن يخاطب أمير أمراء بغداد أو حتى نقيب أشرفها كما جرت العادة، مما يدل على المكانة الرفيعة التي تميز بها في ذلك العصر⁽²⁾.

وفي الأمر المؤرخ في 1089هـ/ 1676م نقرأ حكماً موجهاً إلى باشا بغداد، وهو عهد ذاك قبلان مصطفى باشا، وقاضيه⁽³⁾، جاء فيه أن السيد أبا بكر القادري ذكر في عريضته التي قدمها إلى السلطان في الأمور والشؤون العامة بالسادات الكرام في بغداد والمشهدين الشريفين فيها مفوضة إليه من قبل نقيب الأشراف مولانا السيد محمد سعيد، بموجب رسالته التي تحمل ختمه وتوقيعه في ذيلها، ولا ينبغي لأحد غيره أن يتدخل فيها، وقد نص الحكم على ضرورة العمل وفق طلبه⁽⁴⁾. ويظهر أن أبا بكر القادري هذا هو من ذرية نقباء الأشراف في بغداد، الذين تولوا نقابة بغداد في سنة 941هـ/ 1534م، وعلى هذا الأساس فقد ولاة نقيب الأشراف في الدولة العثمانية السيد محمد سعيد أمر الإشراف على شؤون العلويين الساكنين في بغداد وفي المشهدين الشريفين، على أنه لم يذكر من هذه

(1) ضامن بن شدقم: تحفة الأزهار، الورقة 48 وكتابنا: الأسر الحاكمة ص360.

(2) دفتر 90 ص33 في أواسط محرم 1056هـ/ 4 تموز 1602م

(3) هو عبد الفتاح بن عبد الرحمن، ينظر الأسر الحاكمة ص68.

(4) دفتر مهمة رقم 96 ص66 في أواسط جمادى الأولى سنة 1089هـ/ 4 تموز 1676م.

الشؤون أمور الإشراف على الأوقاف المرصودة على المشهدين المذكورين، ومن الواضح أن مهمة الأوقاف هذه كانت عهد ذاك بيد شيخ التربة أو السادن كما تقدم، ولم يكن للدولة، أو النقابة العامة فيها شأن بها.

وكان توقيع معاهدة زهاب في 14 محرم سنة 1049هـ/17 أيار 1639 م سبباً في استقرار الأوضاع بين الدولتين مدة قاربت القرن، ففي سنة 1100 هـ/1689 م نقرأ حكماً موجهاً إلى والي بغداد «يتعلق بالمسائل العامة بأوقاف المشهدين المباركين في بغداد من إدارتها والتولية عليها ويشتمل على تعليمات حولها»⁽¹⁾ وان تزايد الوقف عليهما في بغداد كان سبباً في إصدار هذا الأمر السلطاني، لينظم إدارتها والتولية عليها. وفي الفرمان المؤرخ في سنة 1101هـ/1690 م نقرأ امراً إلى والي بغداد علي باشا يتعلق بتعيينه والياً على بغداد ويشتمل على تعليمات وتوجيهات حول تقرير الأمن وضبط النظام في الولاية ومراعاة شروط الصلح والصلاح مع شاه إيران⁽²⁾.

وفي شعبان من سنة 1103هـ/أيار 1692 م صدر حكم موجه إلى والي بغداد أحمد باشا⁽³⁾ وملا (قاضي) بغداد، ويشتمل على تعليمات تتعلق بعدم مطالبة الإيرانيين القادمين إلى بغداد من أجل الزيارة بدفع رسوم «خلافاً للشرع»، ويأمر «بحمايتهم وضيافتهم وتوفير الأمن والراحة لهم أثناء إقامتهم فيها وعدم إيذائهم بوجه من الوجوه»⁽⁴⁾.

وفي السنة التالية صدر حكم إلى والي بغداد وقاضيهما يشمل تعليمات وتوجيهات «حول إجراء أحكام العدل وقواعد النصفة وإزاحة آثار المظالم والبدع في القرى والأمصار لأن الرعية عامة ولا سيما أهالي كربلاء وسائر الروضات العاليات ودائع رب العالمين فيجب حمايتهم وصيانة حقوقهم والعمل من أجل راحتهم ورفاههم وقد جاء هذا الحكم تأكيداً وتأييداً للأحكام الصادرة في الموضوع»⁽⁵⁾

(1) دفتر 99 ص 22 أو آخر رجب 1100هـ/15 أيار 1689 م

(2) دفتر 106 ص 161 أوائل ذي القعدة 1101هـ/5 آب 1690 م.

(3) هو الوزير أحمد باشا البازركان، ولي بغداد من 1102 إلى 1105هـ/1690-1693 م.

(4) دفتر 104 ص 10 في أواخر شعبان 1103هـ/الأول من أيار 1692 م.

(5) دفتر مهمة 112 ص 219-220 في أوائل ربيع الآخر 1114هـ/24 آب 1702 م.

ويفهم من الحكم التالي، الصادر في نهاية الشهر المذكور، أن الزوار الإيرانيين الذين كانوا يقصدون مشاهد الأئمة يطالبون حين وصولهم بغداد بشيء من المال بصفة رسوم الزيارة، وأنهم كانوا يجلبون معهم «أشياء وتحف» وأموال أخرى لغرض إيفاء نذورهم، فصي الفرمان المذكور، وهو موجه إلى والي بغداد وقاضيهما نجد تأكيدات أكثر قوة بوجود الإمتناع عن جباية هذه الرسوم والهدايا، وتأمين الطرق لأولئك الزوار، حيث تناول الفرمان كله تعليمات وتوجيهات تتعلق «بتوفير الأمن والراحة ومزيد الإطمئنان لزوار مراقد ومشاهد الأئمة الكبار -رضوان الله تعالى عليهم- من الممالك الإيرانية، في مقدّمهم إليها وعودتهم إلى بلادهم، وقد نصّ الحكم على عدم مطالبتهم بشيء مقابل زيارتهم لهذه الأماكن، كما نصّ الحكم على عدم التعرض لهم في نذورهم وما يجلبوه معهم إلى المراقد والعتبات المقدسة من أشياء وتحف لما بين الدولة العلية وشاه إيران من مصافاة قديمة وموالة مستديمة، وقد شمل الحكم على تعليمات قاطعة ومؤكدة في ذلك»⁽¹⁾.

النقابة

ومع الإستقرار النسبي للأحوال الأمنية في المنطقة، أخذت أسر علوية عديدة بالسكن في المدينة، حتى أصبحت تمثل تجمعاً كبيراً من السادة العلويين، وهو ما دفع بنقيب الاشراف في استانبول الى اقتراح تأسيس نقابة اشراف خاصة بها، تضاف الى النقابات الثلاثة القائمة في العراق فعلا، وهي نقابات بغداد والنجف والموصل، حيث تكشف وثيقة مؤرخة في رمضان 991هـ/1583م موجهة إلى أمير أمراء بغداد، وهو يومذاك علي باشا الوند زاده، تفيد بأن نقيب اشراف القسطنطينية محيي الدين كتب بهذا المقترح الى السلطان تاركاً تسمية المرشح لهذه النقابة لمتولى الوقف في المدينة، وبينما تسكت الوثيقة عن تسمية متولي الوقف هذا، فإن مصادرنا المحلية تذكر أنه شمس الدين بن شجاع القاضي الحائري الأسدي (الذي تولى منصبه قبل سنة 963هـ/1555م واستمر به حتى ما بعد سنة 990هـ/1582م). وجاء في الوثيقة أن «الحكم موجه إلى أمير أمراء بغداد وقاضيهما ويتعلق برسالة وردت إلى السلطان من أعلم العلماء المتبحرين مولانا محيي الدين نقيب الأشراف - أدام الله تعالى فضائله- حول إحداث نقابة رابعة

(1) دفتر 112 ص 321 في اواخر ربيع الآخر 1114هـ/20 أيلول 1702م.

في تربة الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه وتعيين محمد بن إسماعيل نقيباً من قبل متولي الوقف، ويلتمس رفع ذلك من السلطان، وقد نص الحكم على إسعاف طلبه برفع النقابة المُحدثة في وقف الإمام الحسين رضي الله عنه»⁽¹⁾.

إن (إحداث) نقابة في كربلا في هذا التاريخ، يختلف مع ما نملكه من معلومات عن هذه المؤسسة، ذلك أن اسم (النقيب) تردد في وثائق المدينة منذ سنة 895هـ، وكان شرف الدين بن طعمة الأول، من آل فائز، هو أول من لقب به في ذلك التاريخ، ثم تولاه آخرون من آل زحيك، بل أن سنة 991هـ/1583م هي السنة التي تولى فيها النقابة إسماعيل بن سلمان بن إدريس بن جماز من الاسرة نفسها، وقد استمر فيها حتى سنة 997هـ. ومن الصعب التوفيق بين منطوق الوثيقة الذي يفيد بـ (إحداث) النقابة في هذا التاريخ، وبين وجودها مستمرة في العهد المذكور، إلا أن نفترض أنها كانت قد انقطعت قبل هذا التاريخ مما استدعى إعادتها في 991هـ/1583م، وهو افتراض معقول لأن غموضاً شديداً يلف الفترة من 976هـ/1568م الى ذلك التاريخ⁽²⁾.

وهكذا فقد تميزت الحقبة الممتدة حتى منتصف القرن الثاني عشر (الثامن عشر للميلاد) بنوع من الإستقرار والهدوء بين الدولتين العثمانية والإيرانية أدى إلى أن ينعكس ذلك إيجاباً على أحوال العتبات المقدسة، وكان يمكن أن تشهد المنطقة مزيداً من استتباب الأمن وتحسن العلاقات لولا الأزمة السياسية والعسكرية الخطيرة التي نجمت عن الهجومات المتكررة التي شنّها نادرشاه على مدن العراق الرئيسية في ذلك التاريخ.

(1) دفتر مهمة رقم 52 وثيقة رقم 111 ص 51 في رمضان 991هـ/17 أيلول 1583م.

(2) يذكر إبراهيم شمس الدين القزويني: البيوتات العلوية في كربلا ج 2 ط. رونيو 1978 ص 7 انه تولى النقابة حتى عام 976 وفي شجرة ال زحيك الملحقة بكتاب محمد حسن آل طعمة: مدينة الحسين، ايران 1941، ج 2 ملحق 2 انه تولاه حتى 957 وثمة وقفية باسمه تاريخها 991 مدينة الحسين ج 4 ص 39 وينظر كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991، ص 359.

عُنكوا في القرن السادس عشر

مقدمة

يُقدَّر عدد الوثائق المحفوظة في الأرشيف العثماني في استانبول بنحو 150 مليون وثيقة تتناول مختلف شؤون الدولة العثمانية في خلال الفترة الممتدة من القرن السادس عشر وحتى الحرب العالمية الأولى، وينقسم هذا الأرشيف الثر إلى مجموعات كبيرة، بحسب المؤسسات التي صدرت عنها والإختصاصات التي تناولتها. ومن تلك المجموعات المهمة ما عُرف باسم (دفاتر التحرير) أو (دفاتر الطابو)، وهي سجلات دُوِّنت فيها نتائج عمليات المسح والإحصاء التي قامت بها الدولة للأراضي الداخلة ضمن نطاق سيادتها، وتشمل المدن والقرى والحقول والبساتين وغير ذلك، وتتناول هذه المُسُوَّحات في الأساس تسجيل الضرائب التي كان يتوجَّب على أصحاب تلك العقارات تقديمها إلى الدولة، إلا أنها تناولت أيضاً معلومات مهمة أخرى، مثل أسماء القرى، وأسماء دافعي ضرائبها، والمسؤولين عن جمعها، وأنواع المحصولات الزراعية التي يتم دفع الضرائب عنها، وأنواع تلك الضرائب، وما يقترن بها من رسوم، وأعداد الأسر، والعُزاب، وما إلى ذلك من شؤون تفيد الباحث اليوم في التعرف على الجوانب الإقتصادية والإجتماعية في ذلك العصر.⁽¹⁾

ومن تلك المجموعة الدفتر المسمى (دفتر تحرير مفصل وإجمال ولاية أربيل)⁽²⁾ وقد كتب، كسائر السجلات العثمانية باللغة التركية القديمة، في سنة 949هـ / 1542، وهو يشمل مدينة أربيل وما يتبعها من قرى وحقول ومزارع ومستغلات مختلفة، ومن المعلومات المهمة التي يقدمها هذا السجل ديانات السكان، إسلامية ومسيحية

(1) لبثت أربيل في مطلع العصر العثماني ولاية قائمة بذاتها، ثم ضمت إلى إيالة شهرزور، بوصفها لواءً، ومن الصعب تحديد النطاق الإداري للواء أربيل عصر ذلك، فإن هذه الحدود كانت تتغير بحسب الأحوال والظروف. وكثيراً ما تداخلت الصلاحيات بين أمير أربيل وأمير أمراء شهرزور، ينظر كتابنا: دراسات وثائقية في تاريخ الكرد الحديث وحضارتهم، دراسة بعنوان (أربيل في وثائق القرن السادس عشر)، دمشق 2013 ص 67-77.

(2) نشر هذا الدفتر بالحروف العثمانية الدكتور محمد مهدي إيلهان، في مجلة وثائق التاريخ التركي، قبل نحو عقدين من السنين، وترجمه إلى العربية الصديق الدكتور خليل علي مراد، ونشرته الأكاديمية الكردية سنة 2015، ولابد هنا من تقديم الشاء له على الجهد الكبير الذي بذله في ترجمته وعلى ملاحظاته أيضاً.

ويهودية، وليس ذلك إلا للعلاقة بين هذه الديانات وبين أنواع الضرائب المفروضة، وفيما يأتي أسماء المحلات والقرى التي كان يسكنها المسيحيون عهد ذاك.

اسم المحلة او القرية	عدد الاسر	عدد العُزاب
اربييل، محلة كويلي	9	3
اربييل، محلة ملك	20	2
اربييل، محلة زركان	83	8
اربييل، محلة كوزه جيان	46	2
أربيل، مجموع عام للمسيحيين	158	119
حسيني	38	1
ديرکه ⁽¹⁾	74	18
شكك (أو مشكك) ⁽²⁾	79	22
صغرى (جعفري) ⁽³⁾	27	5
عرب كندي	20	
كزنه ⁽⁴⁾	10	4

- (1) هي (ديرك) قرية كانت تقع على الطريق تاعام بين أربيل و عنكاوا، فيها مسيحيون نزحت منهم اسر الى عنكاوا، وكان فيها تل قديم، وكنيسة، وقد اندثرت هذه القرية وشغل موقعها فيما بعد (مطعم أبو شهاب). عن فاروق حنا، مدير المتحف السرياني في عنكاوا..
- (2) تردد ناشر النص التركي ايلهان قي قراءته، والاسم الصحيح هو (مشك) وذكر الاستاذ فاروق حنا انها تسمى (كلكه مشك) وتقع في منطقة (مخمور) وكانت تضم جماعة مسيحية هاجرت الى عنكاوا.
- (3) هكذا تردد الناشر التركي ايلهان في صحة قراءة الاسم، مع أنه سيذكر الاسم (جعفري) في موضع آخر (ص190)، وفي الأصل أن اسمها الآخر هو (كراوي) وأنها تابعة لأربيل. قلنا: وكراو قرية بين أربيل ومصيف صلاح الدين، وهي تبعد عن الأولى بنحو 22 كم، وقد اشتهرت بمرصدها الفلكي، وتقويمها الخاص الذي يعرف بالتقويم الكراوي نسبة إليها. كتابنا: مراكز ثقافية مغمورة في كردستان، ط2، أربيل 2008، ص131.
- (4) تقع كزنه على بعد 7 كم من شمالي غربي عنكاوا. وذكر فيه انه كان فيها مسيحيون حتى ما قبل مائة سنة من تأليفه كتابه اي في منتصف القرن التاسع عشر. جان موريس فييه: آشور المسيحية، ترجمة نافع توسا، بغداد 2011 ج1 ص144

1	8		كيران
6	35		منارة ⁽¹⁾
8	31		بو بكر باد
	3		بادى ⁽²⁾
3	75		باريبه
2	46		حزه ⁽³⁾
2	19		كفر حزه
	4		جلال آباد
	5		آلتون كوبرى
1	8		أحمدى
6	29		باد آباد ⁽⁴⁾

عدد السكان:

أما على مستوى الولاية، فقد بلغ عدد السكان 30696 نسمة، شكل المسيحيون 4489 منهم، أي بنسبة 14,624%، بينما كان عدد المسلمين 25040، بنسبة 81,504%، واليهود 1167 أي بنسبة 2,802%.

وتمثل قرية (عنكاوا) أهمية خاصة بين قرى ولاية أربيل، من حيث عدد سكانها، ونشاطهم الزراعي على حد سواء، وقد قدم الدفتر معلومات مهمة عنها شغلت الاوراق 59-61 منه. ويمكن عرض هذه المعلومات، مع تقديم بعض الملاحظات، على النحو الآتي:

- (1) قرية لما بزل طاحونها مائلا قرب قرية حزة.
- (2) تردد ناشر النص التركي ايلهان في قراءتها فكتب الى جانب الاسم بين قوسين (يلدى؟) بينما ذكر فيه انه يوجد تل بين اربيل وعنكاوا وجدت فيه رقم مسمارية، يسمى (تل يلدا) آشور المسيحية، ج 1 ص 144.
- (3) تردد هذا الاسم في عدة مواضع من الدفتر محرفا الى (خره) والصحيح (حزه) ولا نستبعد ان يكون الاسم الصحيح لهذه القرية هو (كفر عزه) بالعين، المخفف من (كفر عوزيل) وقد وصفت بأنها كانت مركز منطقة حزا. ينظر فيه: ج 1 ص 135.
- (4) هي التي تسمى الان (باداوه) وقد اصبحت جزءا من مدينة اربيل.

التسمية:

ورد اسم عنكاوا في دفتر تحرير المفصل بشكلين، أولهما (عمكا بار)⁽¹⁾ وهو يتألف من مقطعين، الأول (عمكا) وهو الاسم القديم لعنكاوا، وأما المقطع الآخر (بار) فواضح انه مصحف عن (باد) المخفف من (آباد) ، الفارسية، وتعني (البلدة، القرية). ويرى باحثون⁽²⁾ أن أول ذكر للقرية ورد في التاريخ هو (عمكو)، وقد جاءنا من القرن العاشر تحديداً، على شاهد قبر لما يزل مرثياً⁽³⁾، أما اسم (عمكا) فلم يرد إلا في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي⁽⁴⁾، لكنه تحرف على الألسنة في عهد لا يمكن تحديده الى الاسم الشائع اليوم: عنكاوا وعينكاوه، فالدفتر إذاً يعين وجود اسم عمكا حتى القرن السادس عشر في أقل تقدير.

(1) دفتر تحرير ص 146.

(2) يذكر جان فييه الدومنيكي ان اسم عمك آباد عُرِف "خلال العصر الفارسي": آشور المسيحية، ج 1 ص 130-131، معتمداً على لاحقة (آباد) الفارسية الواردة بعد اسم عمكا في اشارة أوردها ابن العبري في القرن الثالث عشر، وينظر ايضا عزيز عبد الأحد نباتي: تاريخ عينكاوه، أربيل 2000، ص 33 وكوثر نجيب: صفحات مخفية من تاريخ عنكاوا، مجلة راديا كلدايا (المثقف الكلداني) العدد 51، تشرين الثاني السنة 2015، وذكر عزيز نباتي قرية اخرى في منطقة مخمور تحمل اسم عنكاوا ايضا، وقال انها ترقى الى العصر المعدني، معتمدا على أحمد سوسة: تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج 1 ص 44 (ولم نعثر على هذه الاشارة في الكتاب المذكور) وأن اسمها انتقل بطريقة ما فأصبح يطلق في العصر الآشوري على عنكاوا الحالية، ويشير جان فييه أيضا (ج 1 ص 296) الى قرية أخرى باسم عنقاوا (كذا في الترجمة العربية) تعود لليعاقبة، ولم يقدم دليلا على هذا الزعم، ولم يعين مكان هذه القرية الاخيرة، والظاهر انه استنتجه من عبارة للرحالة اوليفييه (رحلة اوليفييه، ترجمة يوسف حبي، ص 62) تقول بأن سكان عنكاوه يكتبها (Ancona) هم من السريان الكاثوليك (اليعاقبة كما كانوا يسمون سابقا) ولكنه قال انها نفسها (عين كورا Ain koura) التي اشار اليها بكنكهام سنة 1816 مع انه لا وجود لقرية بالاسم الأخير، وإنما هو مجرد خطأ وقع فيه بكنكهام، وقد صححه المترجم سليم طه التكريتي (وليس فؤاد جميل كما يذكر نباتي ص 25 من متن كتابه) ويصرح نباتي بأن هذا الخان، أو النزل، يقع في عنكاوا الحالية، وأنه آل فيما بعد إلى ان يكون وقفا للكنيسة. تاريخ عينكاوه ص 186.

(3) فييه: آشور المسيحية ص 131 وذكر ذلك عزيز عبد الأحد نباتي: تاريخ عينكاوه، ص 62-63 نقلا عن يوسف حبي: تواريخ سريانية، بغداد، الهيئة السريانية، 1982 ص 46، ولدى الرجوع إلى الكتاب الأخير لم نجد فيه النص المذكور؛ وعلى أية حال فقد نشر كوثر نجيب صورته في بحثه المتقدم.

(4) مؤلف من القرن الثامن الهجري: كتاب الحوادث (المسمى الحوادث الجامعة والمنسوب إلى ابن الفوطي) بتحقيقنا ود. بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1997، ص 71.

واما الاسم الثاني فهو (عمكاير)⁽¹⁾، و(عمكاير)⁽²⁾، وهو اسم غريب فعلا، يمكن أن يكون مرحلة أولى من تحريفه إلى (عمكايه) ثم (عمكاوا) على ما عرف به في العهود التالية.

أسر السكان

إن أول الأسماء التي يضعها كاتبو الدفتر تحت عنوان القرية المذكور هو (شير بن بيرام، ابنه قورقمز، بيرام : م) وهذه الأسماء لا تدل على أن أصحابها مسيحيون، ويحتمل أن اولهم كان الملتزم للقرية، واسمه واسم أبوه فارسيان كانا شائعين في ذلك العصر، أما اسم ابنه الأول فهو قورقمز، المُحرَّف عن اسم (قُرقماس)، وهو اسم تركي، يعني (الدائم) و(طويل العمر) كما نقول في هذا العصر، اما اسم الإبن الثاني فهو بيرام أيضاً، ووجود حرف (م) بعد اسم الأخير، يعني اختصارا كلمة (مُجرَّد) التي تعني - بحسب مصطلحات الوثائق العثمانية- أنه شاب بالغ لم يتزوج بعد. وورود اسم إبنيه بعده مباشرة، يعني أنهما كانا ملتزمين معه، وأنهما يشاركانه المسؤولية في دفع ضرائب القرية والإشراف على شؤون فلاحيتها.

وسكان القرية يشكلون جماعة مسيحية واحدة يسميها واضعو الدفتر (جماعة النصارى) ، ويشكلون 235، (أو 239) خانة، أي أسرة أو بيت، فضلا عن 32 مجرد، أي شاب أعزب.

يذكر واضعو الدفتر أن عدد (أنفار) القرية هو 270، وقد صحح ناشر الدفتر هذا الرقم فجعله 274، وكتب إزاءهم لفظ (خانه) أي أنهم أرباب بيوت أو أسر، منهم 235 من بيوت النصارى، يسميهم (جماعة النصارى) وصحح الناشر المذكور هذا العدد فجعله 239، وبسبب عدم وضوح أكثر الأسماء المدونة في الدفتر⁽³⁾، لم يعد يقرأ منها إلا أسماء 43 رجلاً، وهؤلاء يؤلفون مجموعة من 56 رجلاً، وذلك لإضافة بعض الأفراد إلى تلك الأسر، يتراوح بين الاثني والثلاثة من الذكور، من الدرجة الاولى في قرابتهم لرب الأسرة، فهم أما ابن له أو أخ له. ونرى أنهم ذكروا

(1) دفتري تحرير ص 198.

(2) دفتري تحرير ص 115.

(3) الأسماء غير واضحة ترك مكانها نقاطا خمس.

لمسؤوليتهم التضامنية في دفع الضرائب، كما ينص الدفتر على وجود 32 رجلاً باسم (مُجَرَّد) أي شاب لا أسرة له، فضلاً عن ثلاث أسر مسلمة، جرى العرف أن تسمى (بنّاك). وإذ يقدر الباحثون أن متوسط عدد الأسرة هو (5) يكون العدد الإجمالي للسكان 1350 نسمة، منهم 1207 نسمة (بضمنهم 32 عازباً) من المسيحيين. ويقترب هذا العدد مما ذكره المنشي البغدادي في أوائل القرن التاسع عشر، إذ قدر عدد بيوتها بنحو ثلاثمائة بيت، أي نحو 1500 نسمة⁽¹⁾.

ويتقدم الجماعة اسم (كتخدا كيرياقوز بن شيخي)، وواضح من اسمه (كيرياقوز) أو (قرياقوس) انه مسيحي، أما اسم (كتخدا) فهو فارسي مركب من مقطعين: كَد (بمعنى دار)، وخذَا (بمعنى رب) فيكون معناه رب البيت، شاع في الإدارة العثمانية، متخذاً معان شتى، منها أحد رؤساء الصنف، وهم الحرفيون، وأقربها لسياق الدفتر: مختار المحلة في المدينة، ومختار القرية في الريف، أو ممثلاً أمام السلطة، وقد أصبح المصطلح يعني أيضاً: نائب الوالي ومساعدته. وربما خفف إلى (كخيه) و(كاخية) و(كهية) و(كاهية)⁽²⁾. ويذكر المنشي ان رئيس القرية هو من أهلها⁽³⁾.

ويلى اسم (كيرياقوز) هذا، إثنان، أولهما ابنه (خوشي) وثانيهما (شيخي)، مما يدل على أنهما شريكان له في مسؤوليته، واسم الأول فارسي أو كردي، بمعنى حسن، واما الاسم الثاني فعربي.

وثمة ثلاثة أسر أربابها قسُس (قاشه)، ويبلغ عدد هؤلاء القسس ثلاثة⁽⁴⁾، هم قاشا حنا بن عبد المسيح، وله ولد اسمه متى، وقاشه عيسى، هو ابن قاشه توريش⁽⁵⁾، وله ولد اسمه آداي (أدي)، والقسّان الأخيران كانا ولدي قسُس أيضاً.

(1) رحلة المنشي البغدادي، ترجمها عن الفارسية عباس العزاوي، بغداد 1948، ص77. ويظهر أن عدد سكان عنكاوا شهد تناقصاً شديداً في السنين التالية حيث يذكر بادجر أن عددهم بلغ سنة 1858 (55) بيتاً، أي 275 نسمة فقط، ولا نجد تفسيراً لهذا التناقص إلا ما أصاب البلاد من كارثة بشرية نتيجة انتشار وباء الطاعون الذي عم البلاد سنة 1831.

(2) دفتر تحرير ص36 وسهيل صابان: القاموس الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 2000، ص185

(3) رحلة المنشي ص77.

(4) يذكر بادجر أن عدد كهنة القرية في سنة 1858 كان اثنين فحسب. آشور المسيحية ص132.

(5) ربما كان صحيح الاسم (سوريش) وهو من الاسماء المسيحية الشائعة. عن فاروق حنا.

وقاشه ملك شاه بن عبيد، له ولد اسمه (مروني)⁽¹⁾، وتفسير هذه الحالة أن القرية كانت في عهد تنظيم هذه الدفاتر لا تزال تتبع الكنيسة الشرقية القديمة (النسطورية) التي تبيح زواج الكهنة⁽²⁾.

إن نظرة فاحصة إلى أسماء أهل القرية تدل على أنها مزيج عجيب من مؤثرات مختلفة، فهي فضلا عن السريانية عربية وفارسية، وتمثل هذه المؤثرات جميع الأقوام التي تعاقبت على حكم المنطقة أو كان لهم وجود فيها، فمن الأسماء العربية نقرأ: شيخي، نور الدين، سيف الدين، وحسن، وقاسم، عبد الله، عيسى، نجم الدين، وجمعة ومن الأسماء الفارسية- الكردية نقرأ: خوشي، وحسن شاه، شاه حسن، شير، وقلندر⁽³⁾. وسوى ذلك فأسماء سريانية صريحة، لكنها كتبت على وفق إملاء مختلف، مثل قيرياقوز، أي قرياقوس، وكورك اي كيورك، وعوديس أي عوديش، آدای أي أدی، مرقوز أي مرقس، وغير ذلك. وكثير من تلك الأسماء اندثر التسمي به، مثل: معداني، خبون، جوجة، بأولها، صنوس (حنوش⁵)، صداقو، قصص، رشو، جاق جاق.. وغير ذلك. وفيما يأتي قائمة الأسماء كما وردت في الدفتر:

شير بن بيرام، ابنه قورقمز، بيرام : م

جماعة النصارى

كتخدا كير ياقوز [قرياقوس] بن شيخي

إبنه خوشي

أخوه شيخي

نور الدين بن بدرو

سيف الدين بن نور الدين

أخوه مروكي

اغن⁽⁴⁾ بن حسن شاه

-
- (1) ربما كان صحيح الاسم (مروكي) كما سيأتي.
 - (2) يحدد فيه زمن تحول عنكاوا إلى الكلدانية الكاثوليكية في نهايات القرن الثامن عشر. اشور المسيحية ص 133.
 - (3) ينظر غن هذا الاسم ما يلي.
 - (4) نرجح ان يكون صحيح الاسم هو (اغني).

ابنه تومه

أخوه موسى

(الورقة 160)

أخوه معداني

قاسم صلमान [سلمان؟] بن شاه حسن

قاشه حنا بن عبد المسيح

ابنه منى [متى]

ماراه بن قرياقوس

شمعون بن حيون بن جوجه⁽¹⁾

ياولها⁽²⁾ بن تومه

ابنه ساول [شاؤل]

شمعون بن صنوس⁽³⁾

ابنه رياه⁽⁴⁾

صداقو⁽⁵⁾ بن قصص

فخرو بن سيدي

كوركيس بن أورها

يوسف بن قشي كوركيس

هرمز بن ملكيش

(1) جوجة اسم لعدة أسر موجودة في عنكاوا، ذكر الاستاذ فاروق حنا انها نزحت اليها من قرية

(دركنه) القريبة من العمادية.

(2) سيأتي فيما يلي بشكل (ياولها) و(بولها).

(3) كذا في الاصل، ويرجح الاستاذ فاروق حنا ان يكون صوابه (حنوش) وهو احد الاسماء

الشائعة في عنكاوا، وهو مأخوذ من الاسم (حنا).

(4) ربما كان هذا الاسم مصحفا عن (زيا).

(5) كذا في الاصل، وصوابه (صادقو) او (صادق) ذكر الاستاذ فاروق حنا انه اسم كان شائعا في

عنكاوا في السنين الماضية.

حسن بن جويان
قلندر⁽¹⁾ بن حوشين [خوشين]

ابنه رسو

ساوا بن قيرياقوس

كورك [كيورك]⁽²⁾ قاشه بن أورها

عوجه⁽³⁾ بن يلدا

قاشه عيسى بن قاشه توريش

إبنة أداي

عبيد بن صليق⁽⁴⁾

ملكو بن عوديس [عوديش]

قاشه ملك شاه بن عبيد

إبنة مروني⁽⁵⁾

كوركيس بن جاق جاق⁽⁶⁾

أخوه قيرياقوس

عبد الله بن جاق جاق

إبنة عبد المسيح

(1) كلمة فارسية تعني بالإصطلاح العثماني: الزاهد، ويرجح الاستاذان فاروق حنا وكوثر نجيب

ان يكون هذا الاسم مصحفاً من (قلندر) وهو اسم لأسرة معروفة نزلت من (باتاس) الى عنكاوا.

(2) الاسم مجزوء من كيوركيس، أحد الأسماء الشائعة في عنكاوا وغيرها من المناطق المسيحية.

(3) لعل الصحيح (جوجه) ويرجح الاستاذ فاروق حنا ان يكون محرفاً عن (كوجة) اي صاحب اليد العضب.

(4) كذا في الاصل وفي الغالب فإن الاسم محرف عن (صليوا).

(5) كذا في الاصل، ويرجح الاستاذ فاروق حنا ان يكون هذا الاسم محرفاً عن (مروكي) وهو اسم شائع في عنكاوا، وقد تقدم.

(6) يحتمل أن هذا الاسم هو مقلوب (كوج كوج) أبو عسكر الذي ورد اسمه كاهناً في أربيل سنة

1677 في مخطوطة محفوظة في كمبردج. فبيته: مصدر سابق ج 1 ص 77، واذا ما تأكد ذلك

يكون الجذ الأعلى لآل عسكر الاسرة المعروفة اليوم في عنكاوا.

أخوه جاق جاق
ديجه⁽¹⁾ بن ياولها
(الورقة 60ب)
رشو بن جمعة
هرمز بن علايو
ديجه بن يار عوديش
مرحاي بن عوده
إبنه عور⁽²⁾
مرقوز [مرقس] بن حونكي
كاورو⁽³⁾ بن حسن
ديجه بن سوزي
مشا بن غيبي⁽⁴⁾
خوشاب بن زاده [الورقة 61أ]
شماشنا بن بولها
منصور بن متي
حنا بن قره
ألوان شاه بن عجمان
حوا بن حورمه
عودا بن حوشين
نجم الدين بن شمعون

-
- (1) ربما كان صوابها (دنحه) او (دنحا).
(2) كذا في الاصل، ونرجح ان يكن الاسم الصحيح (عودا) ايضا.
(3) ذكر الاستاذ فاروق حنا ان هذا الاسم تصغير لاسم (كوريشيل) ويعني (جبرائيل).
(4) نرجح ان يكون صحيح الاسم هو (اغني) كما تقدم.

الانتاج الزراعي والضرائب:

ويعنى واضعو الدفتر، على نحو خاص، بالجانب الإقتصادي للقرية، بوصفه الأكثر أهمية لدى جامعي الضرائب، ولذلك يُفصل الدفتر بأسماء المنتجات الزراعية التي يزرعها فلاحو القرية، وما يتوجب عليهم دفعه منها أو أقيامها، فضلاً عن الرسوم الأخرى، ويتخذ واضعو الدفتر من (التغار) وحدة قياس رئيسة لكمية المنتوج، تليه (الكيله)، وبلغ الطغار في أربيل، مثله في الموصل وكركوك وزنا يقدر بـ 56,256 كيلو غرام، أما الكيله فكان يبلغ 1 من 30 من التغار.

الحنطة:

يضع كاتبو الدفتر الحنطة في مقدمة ما تنتجه القرية من محاصيل زراعية، حيث تبلغ كمية ما يتوجب على القرية تقديمه منها 392 تغاراً، أي نحو 100571 كيلو، وتبلغ قيمتها 3598 آقجة⁽¹⁾، وبذلك تكون قيمة التغار الواحد نحو 90 آقجة. (ويلاحظ أن هذه الكمية من أصل 4082 طغاراً و34 كيله هو حاصل جميع قرى ولاية أربيل، أي ان نسبة ما تقدمه 10% تقريباً)

الشعير:

ويأتي الشعير في الدرجة الأولى من حيث كمية الحاصل، حيث تنتج القرية منه نحو ضعف ما تنتجه من الحنطة تقريباً، فتبلغ كمية ما يتوجب عليها تقديمه منها 667 تغاراً، أي نحو 171000 كيلو، وتبلغ قيمتها 33371 آقجة، أي 50 آقجة للتغار الواحد تقريباً. وذلك من أصل 4767 تغاراً هو حاصل جميع قرى ولاية أربيل، أي بنسبة 14%.

العدس:

وتدفع القرية 5 تغارات من العدس، أي نحو 1290 كيلو، يصل قيمتها الى 450 آقجة، أي 90 آقجة للتغار الواحد. وذلك من أصل 5,21 تغار و35 كيله هي حاصل قرى ولاية أربيل، أي بنسبة 23%.

(1) عملة عثمانية فضية يعني اسمها (المبيضة) لغلبة الفضة على معدنها، إذ كانت تبلغ (90%)، وتزن 6 قراريط، ويعزى ضربها إلى السلطان أورخان سنة 729هـ/1325م، وقد تناقص عيارها في الحقب اللاحقة، حتى بلغ في القرن الحادي عشر (17م) قيراطاً ونصفاً. وتوقف ضربها سنة 1234هـ/1850م سهيل صابان: ص20.

الفول:

عنكاوا واحدة من ثلاث قرى تتميز بإنتاج محصول (الفول) بين قرى ولاية أربيل، وبلغت كمية ما يتوجب عليها دفعه من هذا المحصول 15 كيله، من اصل 25 كيله هو مجموع ما تنتجه الولاية، وقيمة الكيله الواحدة 3 آقجات، والكيله وزن قدره 1 من 30 من التغار، وتكون نسبة إنتاج القرية 60% من مجمل إنتاج ولاية أربيل.

الحمص:

تقدم القرية 15 كيله من الحمص، وتصل قيمة هذه الكمية الى 45 آقجة، أي أن قيمة الكيله من هذا المنتج تبلغ ثلاث آقجات فقط. وذلك من أصل 38 تغاراً و7 كيلات هو كل ما تقدمه قرى ولاية أربيل، أي بنسبة 39%.

الريش:

ويذكر الدفتر أن على القرية أن تقدم من محصول (تولك) 10 تغارات، قيمتها 500 آقجة، أي أن قيمة التغار الواحد 50 آقجة، ولم نقف على هوية هذا المحصول على وجه اليقين، فالتولك لفظة تركية عثمانية تعني أوكار الطيور أو أعشاشها⁽¹⁾، ويرجح الدكتور خليل مراد أنها تعني ريش الطيور المضغوط الذي تعد منه الوسائد والحشايا⁽²⁾، وعلى أي حال فإن عنكاوا هي واحدة من 9 قرى تنتج هذا الحاصل، والبالغ 38 طغاراً، و35 كيله في ولاية أربيل كلها (أي بنسبة 26% من إجمالي الحاصل)، مما دل على وفرة أوكار الطيور فيها وعناية السكان بتربيتها.

القطن:

كانت عنكاوا المنتج الأول للقطن في ولاية أربيل، ويبلغ ما تقدمه 5 تغارات، بينما تقدم قرى أربيل جميعاً 9.5 تغارا و850 رطلا. قيمتها 2000 آقجة، وعليه تبلغ قيمة التغار الواحد 400 آقجة. وتكون نسبة محصولها 50% من حاصل زهرة القطن في الولاية.

(1) محمد علي الأنسي: الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، 1320هـ، ص180.

(2) دفتر تحرير، حاشية ص139.

السمسم:

ويتوجب على القرية أن تقدم تغاراً واحداً من السمسم، قيمته 245 آقجة، من أصل 15 تغاراً و7 كيله هو ما تقدمه ولاية أربيل كلها، أي أن نسبة ما تقدمه 7%.

الذرة البيضاء:

وعنكاوا واحدة من ثلاث قرى تتميز بإنتاج الذرة البيضاء (الذرة الرفيعة)، دون سائر أنواع الذرة الأخرى، إذ توجب عليها تقديم مقدار منها هو 17 تغاراً، وبما أن قيمة هذه الكمية هو 850 آقجة، تكون قيمة التغار الواحد 50 آقجة. ويلاحظ أن هذه الكمية هي من أصل 120 تغاراً و22 رطلاً من انواع الذرة مفروضة على ولاية أربيل، اي بنسبة قدرها 14%.

البصل:

واضافة الى كل ذلك، ذكر واضعو الدفتر أنه كان يتوجب على القرية تقديم كمية من البصل لا نعرف مقدارها حيث لم يجر تحديدها، ولكنهم ذكروا ما سموه (رسم البصل)، ومقداره 2400 آقجة، بينما يبلغ مجموع رسم هذا الحاصل في ولاية اربيل 12555 آقجة، اي بنسبة 2,6% من ذلك المجموع، وإذ كنا لا نعرف الكمية المنتجة لا نستطيع معرفة قيمة الحاصل نفسه.

العسل:

وثمة رسوم اخرى كانت مفروضة على القرية، منها (رسم كواره). وهو يفرض على خلايا النحل⁽¹⁾، وقدره 154 آقجة، ولم يحدد الدفتر عدد تلك الخلايا التي يستوفى منها ذلك الرسم، وبمقارنة هذا المبلغ بمجموع رسوم خلايا النحل في ولاية أربيل 805 آقجة يتبين لنا ان ما تدفعه القرية تبلغ نسبته 19% من ذلك المجموع، وهو ما يدل على عناية أهلها بهذا النوع من الإنتاج.

رسوم عرْفية:

الرسوم العرفية هي ضرائب تفرض بموجب العرف ونزولاً للضرورة وليس لأنها

(1) ذكر الاستاذ فاروق حنا ان (الكواره) بحسب ما معروف في عنكاوا اناء من الطين توضع فيه المحاصيل المعدة للاستهلاك في فصل الشتاء.

ضرائب شرعية، ففي عنكاوا، كما في سائر القرى، يوجد رسم باسم (رسم البنّك) ويبلغ 36 آقجة، والبنّك هو الفلاح الذي يتصرف بنصف مزرعة، ويبلغ ما يدفعه من رسم 12 آقجة⁽¹⁾، وعليه فإن عدد من ينطبق عليه هذا الوصف هو 3.

ورسم باسم (رسم اسبنج) ويبلغ 675 آقجة، وهو رسم موحد كان يشمل أولاً المسلمين والمسيحيين، ويبلغ 25 آقجة، ثم اختص الاخيرون بدفعه، على ان يكونوا قادرين على العمل⁽²⁾. ويعني هذا أن عدد من ينطبق عليهم هذا الشرط من دافعيها هو 27 فرداً.

وثمة رسم آخر يدفع في القرية يسمى (رسم طابو) ويبلغ 432 آقجة. ويدفعه سنوياً رب الأسرة للحصول على حق الانتفاع من الأرض الخراجية التي تقطعها إياه الدولة، وهو يعادل إيراد تلك الأرض لسنة واحدة، وعند وفاة الفلاح ينتقل حق الانتفاع إلى ابنه دون دفع هذا الرسم، وقد سمي هذا الرسم فيما بعد بضريبة العشر⁽³⁾.

ويذكر الدفتر رسماً آخر هو (رسم بُستان) وهي ضريبة مفروضة تستوفى على محاصيل مزارع الرقي والبطيخ والخيار ونحو ذلك، عند جنيها وبدء بيعها في الأسواق في كل عام⁽⁴⁾، ولا يذكر الدفتر كمية هذه المحاصيل ولكنه يقدر قيمتها بـ 200 آقجة، هذا بينما تصل قيمة هذه المحاصيل في ولاية أربيل كلها 1942 آقجة، فتكون نسبة ما تنتجه عنكاوا 1٪ منها تقريباً

(1) المصدر نفسه ص 26.

(2) المصدر نفسه ص 24.

(3) المصدر نفسه ص 34 وسهيل صابان ص 124.

(4) دفتر تحرير ص 33 ويشير الأديب الراحل سعدي المالح في روايته (عمكا) الصادرة في بيروت سنة 2008 إلى وجود عدد من البساتين في اطراف كهريز قديم فيها ولكنه يقول "البساتين اختفت ولم يعد لها وجود، يبست بعدما اندثر الكهريز واندurst "ساقية هذا الكهريز وعدد من آبارها أيضاً، فضلاً عن (المفتح) و(الاورزلتا). ولم يبق في عنكاوا بساتين ولا مزارع مع شديد الأسف. والساقية الثانية التي كانت تروي الجزء الشمالي من عنكاوا، المنطقة التي كانت ذات يوم مليئة بالبساتين، إلى درجة أن الأراضي الواقعة خلف تلك البساتين على طريق (بحركة) كانت تسمى إلى وقت قريب أراضي ما وراء البستان (باثرت باقجة) اندurst قبل هذه الساقية. وحلت محل الأشجار بنايات اسمنتية وتحولت القرية الزراعية الوادعة الى حقل بور اشجاره عمارات و سنابله بيوت متشابهة".

ورسم آخر باسم (رسم باد هوا ورسم العروس)، وكلمة (باد هوا) فارسية الأصل، تعني اصطلاحاً رسوم عُرفيَّة متفرقة تجبى في حالات عدة من لدن صاحب الأرض نقداً في كل سنة⁽¹⁾، منها : رسم الجنائيات، الذي يفرض على من يرتكب جنابة ما، أو ألحق ضرراً بمحاصيل الآخرين، وغير ذلك، وتدفع الى ملتزم الارض لأنه هو الذي يقوم بمعاقبة الجناة⁽²⁾. أما رسم العروس فهو مبلغ يدفعه والد العروس لملتزم الأرض أيضاً، ويبلغ مجموع الرسمين عن القرية 1357 آقجة. وتوضح (القانوننامه الهمايونية الخاصة بولاية أربيل) أن على والد العروس أن يدفع إلى صاحب الأرض أو ملتزمها 60 آقجة عن البنت الباكر، و3 آقجة عن الأرملة الشابة⁽³⁾.

ويمكننا أن نلاحظ عدم الإشارة إلى مطحنة أو مطاحن⁽⁴⁾ في القرية، على الرغم من كميات الحبوب التي تنتجها، وسبب هذا فيما يظهر لنا هو قلة ما تنتجه القرية من الحنطة. كما انه لا يوجد ذكر للماشية، مع وجودها في معظم القرى الأخرى.

ويجمع واضعو الدفتر هذه الضرائب والرسوم جميعاً بـ 84133 آقجة، واعدنا جمعها فبلغت 88588 آقجة.

قائمة الانتاج الزراعي والضرائب كما وردت في الدفتر:

الحنطة	392 تغار	القيمة 35298 آقجة
الشعير	667 تغار	القيمة 33371 آقجة
العدس	6 تغار	القيمة 450 آقجة
الفول	15 كيل	القيمة 45 آقجة
الحمص	15 كيل	القيمة 45 آقجة

(1) سهيل صابان ص51.

(2) سهيل صابان ص125.

(3) دفتر تحرير ص40-41.

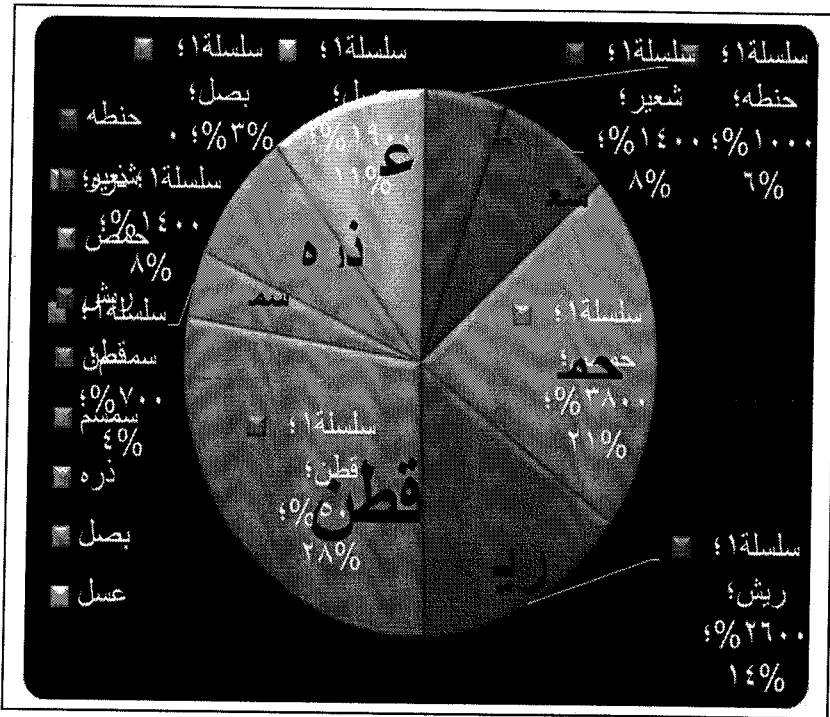
(4) ذكر الاستاذ فاروق حنا ان عنكاوا عرفت الطواحين، وانه يذكر منها طاحونتين في منطقتي

(غرغراوه) و(صوجاغ)

تولك	10 تغار	القيمة 50 آفجة
زهرة القطن	5 تغار	القيمة 2000 آفجة
السهم	1 تغار	القيمة 245 آفجة
ذرة بيضاء	17 تغار	القيمة 850 آفجة

الرسوم

رسم كواره 154	رسم البستان 200	رسم البصل 2400
رسم طابو 432	بادهوا ورسم العروس 1357	



(نسب مئوية لمنتجات عنكاوا)

الأوقاف

ويتضمن الدفتر فصلاً يتناول أوقاف ولاية أربيل⁽¹⁾، وتشمل هذه الأوقاف مزارع وطواحين وكهاريز منتشرة في قرى عديدة من الولاية، معظمها أوقاف ذرية، وأقلها

(1) دفتر تحرير ص 198.

اوقاف على مساجد ومشاهد في اربيل وفي الموصل، منها جامع المظفرية في اربيل وجامع النبي يونس في الموصل، ومن تلك العقارات الموقوفة كهريز يصفه واضعو الدفتر بأنه يقع في «قرية عمكاير التابعة لأربيل»، وردت الإشارة إليه في قائمتين منفصلتين، بوصفه يتألف من 16 طاقاً، والطاق هنا، فيما يفهم من سائر الدفتر، الفتحة الكائنة في الكهريز⁽¹⁾، التي يروي ماؤها حقلاً أو بستاناً من القرية المذكورة، ويظهر أيضاً أنه كان لكل فتحة مالك وقف واردها على ذريته. ولا يذكر الدفتر أسماء جميع الواقفين، ولكن يورد أسماء واقفي 14 (طاقاً) فقط، وهم على النحو الآتي:

عدد الطاقات	حصص الواقفين
8 طاقات	حصة ورثة شيخو بن بدر
1 طاق	حصة علاء الدولة بن (9) شمس الدولة بن خضرو البحراني
نصف طاق	حصة درويش بن عبد الله
1 طاق	حصة ورثة خوجة بن مثنى ⁽²⁾
1 طاق	حصة ورثة ادای بن زينو
1 طاق	حصة ورثة بلده بلده بن هرمز
1 طاق	حصة حوسين بن على بيوكى

وثمة واقف آخر كان ورد اسمه في آخر القائمة الأخرى⁽³⁾

1 طاق	حصة حوشب بن على بتوكجى
-------	------------------------

ويمكننا أن نلاحظ عدم وجود أي من هؤلاء الواقفين ضمن قائمة دافعي ضرائب القرية المتقدمين، فكأنهم يمثلون جماعة أخرى مستقلة عن سابقتها، وهم عدا ذلك يمثلون خليطاً من المسلمين والمسيحيين، فمن الواضح أن ورثة ادای بن زينو، وبلده بن هرمز مسيحيون، بينما الآخرون من المسلمين. وأكثر الحصص

(1) المعروفة محلياً باسم (مفتح). عن فاروق حنا.

(2) كذا في الاصل، وربما كان صحيحه (متى).

(3) دفتر تحرير ص 115.

يملكها ورثة رجل واحد هو شيخو بن بدر الذي تبتدئ به القائمة، بينما يوحى الاسم التالي أن صاحبه أمير أو وجيه أو مسؤول، وربما يكون اسمه الأول واسم أبيه كُنيتين رسميين لا أسمين عاديين، فعلاء الدولة، وشمس الدولة وأمثالهما، كنى اختص بها رجال الدولة، أما (خضرو) فيمكن أن يكون مُصَحَّفاً عن (خسرو) اي (خسرو)، بينما نعتقد أن لقب (البحراني) هو مجرد نسبة الى (بَحْرَكَة) القرية والمنطقة القريبة من عنكاوا، وفي هذه الحال يكون هذا رجلاً وجيهاً أو مسؤولاً كان يقيم في بَحْرَكَة وله حصة في كهريز عنكاوا، وهو أمر ممكن للتجاور بين المنطقتين. وأخيراً فإن اسم (حوسين) قريب من (خوشين)، الذي وجدناه في قائمة جماعة النصارى المتقدمة، لكنه هناك اسم لرجل مسيحي، وهو هنا اسم لرجل مسلم، ويمكن أن يكون مجرد إملاء مختلف لاسم (حُسَيْن)، لا سيما وأن اسم أبيه (علي) أما اسم جده (بيوكي) فيمكن أن يكون مُرَحَّمًا من (بُيُوك) التركية، وتعني (الكبير).

مصر في كتابات المؤرخين العراقيين في العصر العثماني

أدى احتضان العراق للخلافة العباسية، في العصور الوسطى الإسلامية، وما شهدته مدنه من توسع هائل بمن قصدها من مثقفي الأقطار العربية، والإسلامية عامة - إلى أن تتسم نظرة المؤرخين العراقيين، إبان تلك العصور، بسمة عالمية شاملة، فكتب مؤرخون بارزون، أمثال: اليعقوبي، والمسعودي، والطبري، تواريخ أمم الأرض جميعاً، بوصفها تمثل تجارب متنوعة لجنس بشري واحد، ومع أنهم أفردوا لتاريخ العراق أروع فصولهم وأكثرها متعة وتفصيلاً، إلا أن ذلك لم يُلغِ نظرهم الشاملة إلى هذا التاريخ، بوصفه جزءاً مهماً من تاريخ العرب المسلمين خاصة، الذي هو خلاصة تاريخ البشرية عامة.

ولقد استمرت هذه (الرؤية) حيةً في أذهان المؤرخين العراقيين الذين عاشوا في أواخر عهد الدولة العباسية، فعلى الرغم من الضعف الشديد الذي كانت تمر به هذه الدولة في أيامهم، وانسلاخ معظم أقاليمها منها، إلا أن صورة عالم إسلامي فسيح يحتل فيه العربُ موقع الصدارة، ظلت تراود أذهان أولئك المؤرخين، فحفلت مؤلفاتهم بإشارات واستطرادات ذات شأن، تتصل بتواريخ أقطار عربية وإسلامية، وترجموا لأعداد غفيرة من العلماء العرب والمستعربين في أنحاء شتى من العالم الإسلامي، متخذين من وحدة الثقافة أساساً لعملهم، بعد أن لم تعد وحدة النظام السياسي أو المؤسسة الحاكمة، بقادرة على تكوين ذلك الأساس.

ولم تحل الكوارث البشرية والحضارية التي تمثلت بالغزو المغولي - وما أعقبه من غزوات مدمرة لقوى أجنبية متخلفة - دون استمرار هذه الرؤية في أعمال مؤرخين مخضرمين، أمثال: ابن الساعي البغدادي (المتوفى سنة 674هـ/1274م)، وابن الفوطي (المتوفى سنة 723هـ/1323م)، وابن الكازروني (المتوفى سنة 697هـ/1297م)، وغيرهم، فحفلت مؤلفاتهم بالعديد من الأخبار المهمة عما كان يجري في الأقطار العربية الأخرى، لا سيما في مصر والشام، من حوادث وتطورات اجتماعية وثقافية، على أن من المهم أن نذكر هنا أن نجاح القيادة المصرية في دحر المغول في (عين جالوت) وما تلاها من معارك حاسمة، وضم بلاد الشام إلى مصر

في دولة واحدة كما كانتا في معظم حقَب التاريخ - أدى إلى تحول أساسي في نظرة المؤرخين العراقيين، فلم تُعدَّ هذه الأقطار تمثل في نظرهم امتداداً سابقاً للدولة العباسية، وممتلكات منتزعة منها، وإنما غدت ملاذاً لما تبقى من الأمة العربية، وحصناً لما سلم من عوادي الدهر من تراثها الثقافى والحضارى التليد، وأملاً لأهلها في استعادة عهد المنعة والاستقلال، ولنا أن نلمح هذا التغيير في النظرة العامة للمؤرخين العراقيين التالين لجيل المخضرمين، متمثلاً في كتابات مؤرخ بغدادى عاش في أواخر القرن التاسع للهجرة (15م) هو عبدالله بن فتح الله الغياث البغدادي (المتوفى بعد سنة 981هـ/1486م)[1]، فقد اضطرته ظروف الاحتلال الأجنبي للعراق، إلى أن يفادره إلى بلاد الشام؛ يوم كانت هذه البلاد جزءاً من دولة واحدة عاصمتها القاهرة، فسجل - وهو مقيم هناك - تاريخَ وطنه العراق، من خلال كلامه على الدول التي تعاقبت على حكمه، بيدَ أنه عرَّج فجأة إلى تاريخ دولة المماليك الجراكسة في مصر، مع أنه لم يكن لها حكم في العراق أصلاً، كما أنه لم يقصُر كتابته على تراجع سلاطينها وما جرى في أيامهم، وهو منهجه في سائر الكتاب، وإنما عرض بسرعة إلى تاريخ مصر بدءاً من عهد الطولونيين، فالإخشيديين، فالفاطميين، ثم مروراً بالأيوبيين، فدولة المماليك البحرية، وانتهاء بدولة المماليك الجراكسة؛ مما دل على إدراكه للدور الخاص الذي كانت تؤديه مصر في سياسات المنطقة في العهود المتعاقبة، وليس في عهده فحسب[2].

ويتضح لنا هذا المعنى في عناية المؤرخ الكبيرة بكل ما له صلةً بسياسة مصر الخارجية، سواء ما يتعلق منها بالدول التي كان لها حكم في العراق، أو الدول التي برزت على المسرح الجغرافي القريب منه، لا سيما الدولة العثمانية، وبذا فإنه أضاف معلومات جديدة عن العلاقات الحربية بين العثمانيين والمماليك لم تذكرها المصادر العربية والتركية الأخرى[3].

وكان تعرُّض العراق، والأقطار العربية الأخرى، إلى السيطرة العثمانية في القرن السادس عشر، وتحول مصر وأقاليمها: بلاد الشام والحجاز واليمن، إلى مجرد ولايات عثمانية - قد أفقدت هذه الأقاليم ميزتها التاريخية القومية لدى المؤرخين العراقيين، كما أن إلغاء الخلافة العباسية منها، وفقدانها مسؤولية حماية

الحرمين الشريفين، أدبياً إلى اضمحلال ملحوظ لدورها الروحي أيضاً، بوصفها الراعية لمقدسات الأمة.

صحيح أن تعرّض هذه الأقطار إلى سيطرة دولة واحدة قد أزال الحواجز السياسية التي خلّفتها الدول المتنازعة السابقة، إلا أن وجود رأس الدولة خارج الحدود الطبيعية للوطن العربي، دعا إلى أن تكون صلات كل ولاية من ولاياته مشدودةً إلى خارج هذا الوطن لا إلى داخله.

وهكذا، ففي الوقت الذي كانت فيه معظم الولايات العربية ترتبط إدارياً وسياسياً بالعاصمة القسطنطينية، تستقبل منها ولائها وموظفيها وقضاتها وأوامرها المركزية - كانت صلاتها الإدارية بالولايات العربية المجاورة تكاد تبدو منقطعة تماماً، ومع أن عدداً غير قليل من الموظفين، بل من الولاة أنفسهم، كان من أصول عربية، إلا أن توليهم مناصبهم كان بصفتهم موظفين عثمانيين لا غير، فإذا أضفنا إلى ذلك كله ضعف حالة الأمن، وتعرّض الطرق التجارية إلى أخطار مدمامة قُطّاعها، وهو - في الحقيقة - أحد مظاهر ضعف دور المدينة الإداري والحضاري في ذلك الحضر، بدا واضحاً لم فتر اهتمام المؤرخين العراقيين - مثلهم في ذلك مثل كثير من المؤرخين العرب - بما هو خارج عن نطاق ولاياتهم، بل بما هو خارج نطاق أسوار مُدُنهم، لا سيما في القرنين السادس عشر والسابع عشر، واهتمامهم - بالمقابل - بالحياة الداخلية للمدينة أو توابعها، أو الترجمة لعلمائها وأدبائها الذين كان يتمثل بهم إرث أمة لم يعد سلطانها السياسي ظلّ يومذاك[4].

وعلى الرغم من انتقال مركز الثقل السياسي من مصر، حيث قلب الوطن العربي، إلى خارجه، فإن مصر ظلت تحتفظ بقدر كبير من أهميتها الثقافية لدى المثقفين العرب بوجه عام، وهو أمر لم تقوَ صروف التحولات السياسية على إفنائه؛ فمصر - بحكم موقعها الجغرافي الفريد - ملتقى العلماء والأدباء العرب والمسلمين عامة من القارتين، وفي أروقة أزهرها تتلاقح ثقافات جمة؛ لتتبلور على وفق تقاليد هذه المؤسسة العريقة ومناهجها الموروثة، وفي باحات مدارسها العديدة، التي سلم أكثرها من التخريب، ينتشر العلماء، ويتخلق الطلبة، وتكثر النسخ الخطية من الكتب التي عزّ وجودها في مدن العراق بعد قرون التخريب

والتدمير، وهكذا فقد غدت القاهرة تمثل - لدى طلبة العلم العراقيين - إحدى أهم محطات الثقافة العربية الإسلامية، ورمزاً لما تبقى من هذه الثقافة في الأقل. وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن نحدد حجم الصلات الثقافية في الشطر الأول من العصر العثماني؛ لندرة المصادر الثقافية نفسها، فإن لنا أن نتصور أنها لم تكن منقطعة على الإطلاق، وإن بدا عليها الفتور للأسباب التي قدمناها قبل قليل.

وعلى أية حال، ظلت (الرحلة العلمية) إلى مصر - على قلتها في هذا العصر - مصدراً أساسياً استمد منه المثقفون العراقيون تصورهم لمختلف جوانب الحياة العامة في هذا القطر، ففي القرن السابع عشر (11هـ) كتب أديب مؤرخ بصري، عاش في ظل الإمارة الأفرسيابية شبه المستقلة في البصرة، هو الشيخ عبد علي بن ناصر بن رحمة الله الحويزي (المتوفى سنة 1075هـ/1644م) كتاباً جمع فيه تراجم الأدياء العرب المعاصرين له، فكان ثمة قسم خاص بأدياء مصر، ويظهر أنه استمد معلوماته - في هذا الشأن - من رحلة قام بها إلى هناك، أو من رحلة غيره من أدياء مدينته [5].

وفي الوقت نفسه، كان أديب شهير، ولغوي بارع، هو عبدالقادر بن عمر البغدادى (المتوفى سنة 1093هـ/1682م) قد غادر موطنه بغداد إلى مصر، حيث اغترف العلم من كنوزها الخطية، فترك آثاراً مهمة في الأدب والنحو والتراجم، لعل أدخلها في نطاق الكتابة التاريخية مؤلفه (تراجم العلماء)، الذي ترجم فيه للمتقدمين من الأدياء والشعراء العرب، ومنهم عراقيون وشاميون ومصريون، على نحو لا يميز بين قطر وآخر [6]، ومن المؤكد أن نظرته القومية الشاملة لتاريخ الأدب، جاءت بسبب إقامته الطويلة في مصر، حيث تتوفر مصادر الأدب العربي، والثقافة العربية عامة، وحيث تلتقي سبل هذه الثقافة ورجالها.

ويظهر لنا انبهار هذا المؤرخ العراقي بآثار مصر القديمة، فيما كتبه عن أهرام الجيزة في مخطوطته: «القصص المرام في عجائب الأهرام»، وهو كتاب حاول فيه استكناه تاريخ جانب من تاريخ مصر في العصور الغابرة، مستمداً معلوماته من المصادر الإسلامية، ومن ملاحظاته الأثرية التي اتسمت بدقة ملحوظة [7].

وفي وسعنا أن نعدّ المؤرخ البغدادى أحمد بن عبد الله الغرابي (المتوفى سنة 1102هـ/1690م) أول مؤرخ عراقي عرّف في العصر العثماني، وجّه انتباهاً قوياً

لتاريخ مصر عبر حقب مختلفة؛ ففي كتابه الكبير الذي عنوانه: «عيون أخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصور والأزمان»، نجد فصلاً كبيراً عن تاريخ مصر في العصور القديمة، إضافة إلى تواريخ (اليونان والروم والعرب)[8].

وبطبيعة الحال، فإنه استند في معلومات هذا الفصل على ما كان متيسراً له من مصادر تاريخية عربية، لكن منهجه في ترتيب حوادث تاريخه جاء منسجماً ومحكماً، فبحث في تاريخ ملوك مصر القدماء، ومن اتصل بهم من الأنبياء والمرسلين، وتناول ما أثر عن المصريين القدماء من حكمة ومعرفة، وما شأده من منشآت، لا سيما (الأهرامات) العجيبة، وما يتصل بذلك من شؤون.

وفي الفصول الأخرى يتابع الغرابي تاريخ مصر باهتمام، بوصفه جزءاً من تاريخ الإسلام، متبعاً في ذلك منهجين، يلتزم أولهما بالوحدة الموضوعية، ويأخذ ثانيهما بالوحدة الحولية؛ ففي الفصل الرابع من المقالة الأولى تناول تاريخ بعض الدول التي نشأت في مصر، بوصفها من (دول الإسلام)، وذلك «على سبيل الإجمال».

وبعد أن خصص الفصل الأول من المقالة الثانية للسيرة النبوية الشريفة، تتبع في الفصل الثاني - وهو أهم الفصول وأكثرها سعة - تاريخ «ما كان بعد الهجرة» على حسب الحوليات، وكثيراً منه يخص مصر؛ ملوكاً وخلفاء، وولاة وأعلاماً، وحوادث سياسية.

ونحسب أنه صدر - في جمعه بين المنهجين: الموضوعي والحولي - عن إحساس ما بأن لتاريخ مصر خصوصيته، ضمن إطار التاريخ الإسلامي العام، وهو - من دون ريب - إحساس له أهميته.

وما دونه الغرابي عن تاريخ مصر في العصر العثماني جديرٌ بالملاحظة؛ فإن بعض ما ذكره انفرد به عن غيره من المؤرخين المصريين أنفسهم، وهو أمر يوجب على الباحث أن يتوقفَ لدراسة مصادره، صحيح أنه لم يصرح بأسماء هذه المصادر، إلا أننا نجده يصرح بإقامة أخ شقيق له في القاهرة، يقول[9]:

«حكى لي شقيقي الشيخ محمود حين ذهب إلى الحج عن طريق مصر قال: لَمَّا أتيت بلدة مصر أكرمني حاكمها عبدالرحمن باشا[10]، ورفع محلي، وطلب مني أن أبقي عنده هذا الموسم، ثم في السنة المقبلة يرسلني إلى الحج، فأجبتُه إلى ذلك».

فتكون إقامة شقيقه قد حدثت بين سنتي (1087 و1091هـ/1676-1680م)، وهي مدة ولاية عبدالرحمن باشا المذكور، ولا نشك في أن يكون الغرابي قد استمد من شقيقه هذا كثيراً مما أورده من معلومات تتعلق بتاريخ استيلاء العثمانيين على مصر، وأنه نقل عنه ما كان متداولاً من روايات على السنة العامة في القاهرة، وما كان يرويّه الموظفون العثمانيون، على حد سواء، وهي روايات فيها إضافات مهمة عما ذكره المؤرخون المعاصرون للحدث نفسه، يقول واصفاً - بإيجاز - ظروف معركة مرج دابق الحاسمة التي كانت سبباً في انهيار المقاومة المملوكية[11]:

«وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة عبر السلطان إلى اسكدار قاصداً ديار العجم في الظاهر، وفي نيته إزالة ملوك الجراكسة من مصر وغيرها، ففطنت الجراكسة إلى ما أراده، فجمعوا عساكرهم، وأخذوا حذرهم، فسار إليها السلطان سليم من اسكدار، وسار ملك الجراكسة الغوري من مصر، فالتقوا في مرج الدوابق (كذا رسمه والمعروف: مرج دابق) فتصافاً هناك، ووقعت الحرب بينهم، فأصاب حجر من الطوب أذن الغوري، فذهبوا إلى مكان أمين، فحين وصوله إلى هناك توفي، فاختل أمر العسكر من غيبته، وقُتل عدة من الأمراء المتعنين، وما لا يحصى من آحاد العسكر، وانهزم من بقي منهم».

فهذه الرواية - على إيجازها - تختلف في بعض تفاصيلها عما ساقه المؤرخون المعاصرون للمعركة، فموت السلطان الغوري - عند ابن إياس الحنفي - كان بسبب إصابته بالفالج، أو لمرض أصاب كبده، أو بسبب ابتلاعه فص ماس كان معه[12]، أما أن حجراً من الطوب - أي: شظية من قنبلة - أصابه في أذنه، فكان سبباً في موته؛ فذلك ما لم يروّه أحدٌ من قبل، ويظهر أن الغرابي استمده مما كانت تتناقله العامة في القاهرة بعد مدة من الحادثة.

ومثل ذلك ما ذكره في وصف مجريات اقتحام العثمانيين القاهرة، وحرب الشوارع التي دارت فيها، انتهاءً بإعدام السلطان المملوكي الأخير طومان باي، قال:

«في أول الربيع سار (السلطان سليم) قاصداً بلدة القاهرة، فتأهب لمحاربتة ملك مصر طومان باي إلى طرف الصعيد، وكان ذلك النهار سلخ ذي الحجة من السنة المزبورة، وفي الغد، وهو غرة سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة دخلت عساكر السلطان سليم إلى مصر، ودام النهب والقتل ثلاثة أيام، ثم نودي بالأمان، وبعدها

سار طومان باي من الصعيد، وعلى حين غفلة مع جم غفير يقصد أن يطأ عسكر السلطان سليم، فما أمكنه ذلك، فدخل مصر، واجتمع عليه من كان من الجراكسة هناك مختفياً، فغضب السلطان سليم من هذا الفعل، فأمر العسكر بالدخول إلى مصر، وقتل من فيها من الأشقياء، فدام القتل فيها ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع عفا عنهم، وانهزم طومان باي إلى الصعيد قاصداً بلاد المغرب، فأرسل خلفه من لحقه فأتى به، فصُلب باب زويلة، وبه انتهت دولة الجراكسة.

ومن المرجح أن يكون الغرابي قد استمد معلوماته هنا من روايات عثمانية كان يتداولها الموظفون الرسميون في مصر، في محاولة لتقديم صورة أكثر تبريراً لقيام سليم الأول بقتل السلطان المملوكي الأخير، وإلا فإن طومان باي لم يهزم إلى الصعيد قاصداً بلاد المغرب، وإنما غدر به بعض زعماء القبائل في البحيرة، فأسره واقتاده إلى سليم الأول، وغدر به الأخير بعد أن استأمنه [13].

وليس ببعيد أن يكون هدف ترويج مثل هذه الروايات هو تحسين صورة الفتح العثماني للوطن العربي يومذاك، لا سيما وأن الغرابي ساق - فيما نقله من روايات - أخباراً وتفاصيل عن كرامات لبعض الصالحين تفيد تنبؤهم بمجيء العثمانيين، وزوال المماليك، وكأن الأمر كان قدراً لا فكاك منه [14].

بيد أنه إذا كان ظهور الغرابي، باهتماماته التاريخية الواسعة، يُعد شيئاً نادراً في بيئة محدودة كعراق القرن الحادي عشر (17م)، فإن ظهور أمثاله من المؤرخين لم يُعد شيئاً غريباً في القرن التالي، وهو القرن الذي شهد تولي الأسر المحلية - غالباً - مقاليد السلطة في الولايات العراقية، وتحملها - من ثم - مسؤولية حماية التجارة المحلية والترانسيت، وما يستتبع ذلك من ضرورة توفير حدٍ معقول من الأمن للقوافل المتنقلة بين المدن، فبعد أن كان تأليف تاريخ، أو جمع تراجم لقطر ما يستلزم انتقال المؤرخ نفسه إلى ذلك القطر، وهو ما فعله بعض مدوّني التراجم الأدبية أحياناً، فإن مهمة كهذه لم تُعدّ تستلزم من مؤرخ القرن الثاني عشر (18م) إلا تسمع ما تأتي به القوافل في حركتها المستمرة، من أخبار وروايات، تفيده في الاطلاع على جوانب من مجريات الحوادث في الأقطار الأخرى.

ويمكننا أن نعدّ المؤرخ الموصلي ياسين بن خير الله الخطيب العمري (المتوفى بعد سنة 1232هـ/1816م) واحداً من أبرز المؤرخين العراقيين الذين انعكس في

مؤلفاتهم ذلك التحسُّن المحسوس في طرق الاتصال، فهذا المؤرخ الذي لم يغادر مدينته المُوصل قط[15]، استطاع أن يؤلِّف نحو خمسة عشر كتاباً مستقلاً في تواريخ مدن عدة، وتراجم البارزين من أعلامها[16]، وهو المؤرخ العراقي الوحيد - فيما نعلم - الذي سجَّل في مؤلفاته خبر اندلاع الثورة الفرنسية، وذلك في كتابه: «غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر»[17].

وكان لغزو الفرنسيين مصرَ دورُه في تنبيه ياسين العمري إلى خطورة ما يجري في مصر يومذاك، وأثر ذلك على المنطقة بأسرها، فكتب في «غرائب الأثر» أخبار ذلك الغزو، وأورد تفاصيلَ فيها شيءٌ كثير من الدقة والموضوعية، من ذلك أنه ضبط تواريخ مراحل الغزو، وحدد عدد قطع الأسطول الفرنسي، وقدر عدد الجنود بثمانين ألف مقاتل، وهو ما يبلغ ضعف العدد الحقيقي للحملة.

وتحدَّث عن احتلالهم الإسكندرية، ووصف بأنه جرى «بالقدر والحيلة»، وتابع زحفهم إلى القاهرة، ومقاومة البيكات - أي: المماليك - لهم، ثم دخولهم القاهرة، والاستيلاء «على ما في مصر من السلاح»، وخروج الوالي العثماني من القاهرة بأمواله، ونهب أهل الصعيد ما معه، وتوجَّهه إلى حلب، ووصف رد فعل الدولة العثمانية من هذه الحوادث، وأخبر بأن السلطان لم يعلم بها «حتى مضى شهران»، وأنه عاقب موظفيه، ومنهم شيخ الإسلام؛ لإهمالهم أمرَ مصر، وولي الوزير يوسف باشا مسؤولية تخليصها من الفرنسيين[18]، وأن الفرنسيين لما ملكوا مصر «طمعوا في البلاد، وملكوا غزّة والرملة ويافا، وعزموا على أخذ بيت المقدس».

ووصف مقاومة الشعب هناك، وعطف إلى ذكر محاصرة الفرنسيين عكا، ودفاع واليها أحمد باشا الجزار عنها، وعن يافا، وما أوقعه الفرنسيون من مذابح في الأخيرة. ثم تكلم على محاولات العثمانيين إخراج الفرنسيين من مصر، وتحالفهم مع الإنكليز في سبيل ذلك، ووصف مغادرة الفرنسيين البلاد، فقال[19]:

«وفيها حاصر الوزير الأعظم يوسف باشا مصر، وشدد الحصار، فأرسل الفرنسيون يطلبون الأمان، ويسلمون له مصر، فصالحهم وخرجوا من مصر، وتوجهوا إلى بلادهم، وكان جملة من كان منهم في مصر ستة آلاف عِلج، ودخل الوزير الأعظم يوسف باشا، وجلس على سرير يوسف - عليه السلام - كما ذكر الشيخ محيي الدين

- رضي الله عنه - في الشجرة حيث قال: ويجلس يوسف على سرير يوسف، وأرسل البشائر إلى جميع البلاد، ونعم البشائر للعباد، فعمل الولاة ثلاثة أيام مهرجاناً وأفراحاً وسروراً.. وهرب مقدمهم وقائدهم إلى الضلال برته بول (يريد: بونابرت) في مركب خفيف ومعه أموال لا تحصى، فتبعته مراكب الإسلام والأنكروس (يريد الإنكليز) فنجا وسلم وهرب إلى بلاده، ثم خرجت الجيوش الفرنسية من مصر كما ذكرنا، وهم عشرة آلاف عالج، وساروا إلى الإسكندرية بالمراكب، فحاربهم عسكر الإسلام، وعليهم أحد الوزراء العظام، وجرت وقعة عظيمة، وقتل من الفرنسيين، ولم يسلم منهم سوى ثلاثة آلاف، وهربوا بالمراكب إلى بلادهم».

ولا نشك في أن حوادث مهمة كهذه، كانت سبباً في توجيه العمري عنايته إلى تاريخ مصر في الحقبة السابقة أيضاً، فقد أورد في كتابه: "الأثار الخطية في الحوادث الأرضية" فقرات مطولة، على السنين، تغطي أخبار دخول السلطان سليم الأول مصر، وما جرى في عهد واليها خاير بك، وتتبع تواريخ ولايتها المهمين في الحقبة التالية، وترجم لبعضهم، وخص محاولة علي بك للاستقلال بمصر وضم بلاد الشام إليها باهتمام خاص، وإن أظهر الميل إلى وجهة النظر العثمانية الرسمية، ولم يقف عند التاريخ السياسي فحسب، وإنما أورد أخباراً عديدة عن حوادث طبيعية، مثل: الغرق، والفيضان، والزلازل، وانتشار الأوبئة... إلخ.

وعلى الرغم من أن العمري سكت عن ذكر أسماء مصادره، إلا أننا نعلم أنه اعتمد بشكل أساس على كتاب النهروالي المعنون: «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» في نقله كثيراً من تلك التفاصيل [20].

وهكذا، فإن كتابات العمري عن تاريخ مصر الماضي، والمعاصر له، كانت تمثل ارتفاعاً محسوساً في أهميتها لدى المؤرخين العراقيين، فلم تعد مجرد ولاية ساكنة من ولايات الدولة العثمانية، وإنما بوتقة ساخنة لكثير من الحوادث الخطيرة، التي كان لها أثرها على مجمل الأوضاع في المنطقة، بل وعلى موطنه الموصل نفسها، ألم تأمر الدولة والي الموصل عبدالفتاح باشا الجليلي بقتال علي بك الكبير [21]؟ ألم يتوجه عراقيون، من أهل عقره، القريبة من الموصل، لجهاد الفرنسيين في مصر؟ [22] ثم ألم يؤثر الغزو الفرنسي في ارتفاع أسعار بعض المواد في سوق الموصل؟ وهو ما سجله العمري بكل عناية.

وإذا كانت مصر قد بدت في كتابات العمري قريبة - من حيث التأثير - من العراق، كما لم تَبْدُ سابقاً، فإن المرحلة التالية أكدت ازدياد قربها من أحداثه، وتفاعلات الحياة فيه؛ إذ لم تعد مصر تكتسب أهميتها مما يجري حولها من صراع، وإنما أخذت تكتسبها بفعل ما أخذت تؤديه من دور حقيقي في موازين ذلك الصراع، ففي سنة 1233هـ/1817م دحرت قوات مصرية حسنة التدريب قوات الدولة السعودية الأولى في شرقي نجد، واستولت على قاعدتها (الدرعية) ودمرتها، وكانت قوات هذه الدولة الناشئة تشكل خطراً حقيقياً على مدن العراق الغربية، بدأً من (عانة) شمالاً، وحتى (البصرة) جنوباً، ولطالما عجزت قوات ولاية بغداد عن دحرهم، بل فشلت محاولاتهم في الحيلولة دون وصولهم إلى تلك المدن؛ لذا لم يُخَفِ المؤرخون العراقيون الذين كانوا يراقبون الأحداث الدائرة قريهم، دهشتهم البالغة حينما تناهت إليهم أنباء انتصار القوات المصرية الساحق على القوات السعودية، فقد تابعوا باهتمام شديد تطورات الصراع وراقبوا نتائجه.

الدرعية

ونستطيع أن نلمح مدى ما حققته مصر من مهابة إثر تلك المعركة، في عيني غير واحد من المؤرخين العراقيين المعاصرين، فكتب المؤرخ رسول حاوي الكركوكلي، مستنداً إلى رسالة رسمية أرسلها الشيخ حمود الثامر شيخ قبائل المنتفق العراقية إلى والي بغداد داود باشا، أن قائد الجيوش المصرية إبراهيم باشا «دك حصونهم، ودمر قلاعهم، وأطاح برئيسهم»، وأن الجيوش المصرية استولت على الدرعية التي كانوا يتحصنون فيها، ونلمح فيما كتبه تعاطفاً واضحاً مع الجيش المصري فيما حققه من نتائج عسكرية وسياسية [23].

ويجد هذا الموقف تعاطفاً أعمق في كتابات مؤرخ بصري، من جزيرة (فيلكة)، هو عثمان بن سند البصري الوائلي (المتوفى سنة 1242هـ/1826م)، فإننا نلمح في كتابه: «مطالع السعود» الذي دون فيه تاريخ العراق خلال نصف قرن (من 1188 إلى 1242هـ/1774-1826م) - إدراكاً أوسع للدور المتزايد لمصر في المنطقة، وتعاطفاً أشد معها لم يشأ أن يخفيه، بل بدا جلياً في كل ما كتبه عنها، وهكذا فإنه أرخ - بتفصيل - للانتصارات المصرية في نجد، مستنداً في ذلك إلى شهود العيان [24]، وأشاد بقيادة إبراهيم باشا المحنكة، وببسالة الجنود المصريين وصبرهم على مكاره

الحرب، ووصف العمليات العسكرية للقوات المصرية في نجد وفيافيها، واستيلاءها على قرى عنيزة وبريدة والقصيم والشقراء، وحصارها الدرعية، ثم الاستيلاء عليها، وما فعله إبراهيم بالقوات السعودية، وسجل بدقة بعض ما دار بين إبراهيم والقادة السعوديين من رسائل وحوارات، عاداً تلك الانتصارات فتحاً فتحه الله على إبراهيم وجندم[25]، وبلغ من تعاطفه مع القوات المصرية أن أرسل إلى قائدها - وهو في حصاره الدرعية - رسالة ضمنها "نصائح ومصالح عديدة"[26].

وعلى الرغم من أن الإطار المفترض للكتاب هو تسجيل سيرة والي بغداد داود باشا، فإن ابن سند أورد فصلاً مهماً عن حرب الجيش المصري في بلاد المورة، وسجل - باعتزاز - دخول هذا الجيش مدينة المورة، وما حققه فيها من إنجازات عسكرية[27].

ومن المؤسف أن وفاته المفاجئة، وتوقفه عن الكتابة عند حوادث سنة 1242هـ، حالت دون أن توضح موقفه من الانتصارات المصرية في جبهة الجزيرة وبلاد الشام، وهي الانتصارات التي كان لها الأثر البالغ في تداعي الموقف العثماني في المدن العراقية، ومع ذلك، فإن لنا أن نؤكد بأن موقف ابن سند المتعاطف مع الدور المصري كانت له امتداداته في الحقبة التالية، مجسداً في مواقف العديد من القيادات والحركات الشعبية في العراق، المساندة للقيادة المصرية، والمناوئة للسلطة العثمانية؛ كانتفاضة الموصل سنتي 1832 و 1839، وبغداد سنة 1832، وإعلان قيادات عديدة في عانة، وهيت، ومدن فراتية أخرى - الانضمام إلى جانب مصر[28].

وإذا كانت رسالة المؤرخ ابن سند إلى القيادة المصرية تمثل بادرة جديدة في مجال قيام صلات مباشرة بين المثقفين العراقيين ومصر، فإننا نعلم أن رسائل عديدة من مثقفين آخرين، وزعماء قبليين، وحكام مدن، قد انتهالت على هذه القيادة تدعوها للتدخل من أجل تخليص العراق من السيطرة العثمانية، وضمه إلى الدولة الموحدة الجديدة التي انبج فجرها في المشرق العربي يومذاك[29].

وهكذا فقد بدت مصر - في عيون الكثير من المثقفين العراقيين في ثلاثينيات القرن التاسع عشر - أملاً لتغيير واسع يشمل المشرق العربي بأسره.

ولقد أدى انسحاب القوات المصرية من القسم الآسيوي، وانكفاؤها - نتيجة الضغوط الاستعمارية الأوروبية - على نفسها، ثم انشغالها فيما بعد بالتوسع جنوباً

في إفريقيا، إلى وصول المشروع المصري إلى نهايته، ومن ثم تبدد فكرة أن تكون مصر القوية (أملاً) و(ملاذاً) كما بدت في المرحلة السابقة، ومن ناحية أخرى، فإن إسقاط العثمانيين حكمَ الأسر المحلية في العراق، وإعادة ربط ولاياته بالإدارة العثمانية المركزية، وهو ما تزامن مع ربط اقتصادياته بالهيمنة الاقتصادية البريطانية - قد أدى إلى ضعف إمكانات التطور المستقل للعراق في ذلك العهد، ومن ثم قصوره عن بلورة علاقاته القومية الخاصة بعيداً عن هيمنة الإدارة العثمانية، وهكذا، لم يجد المؤرخون العراقيون، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ما يمكن أن يرصدوه من تاريخ مصر وأخبارها، وبدا كل قطر قد أخذ بالدوران على نفسه، مكوناً محوره الخاص.

ولقد أدرك شاعرٌ بغدادي قاد انتفاضةً مهمةً ضد السلطة العثمانية في بغداد، هو عبدالغني آل جميل (المتوفى سنة 1279هـ/1863م)، أن وحدة النظام السياسي لم تحلّ دون حقيقة تفرّق العرب وتجزئهم ضمن هذا النظام نفسه:

ألا نَحْوَهُ مِنْهُمْ فَيُضْحَوُا إِلَى الَّذِي

أيادي سباً قد غادرت ذلك المعنى [30]

بيد أن أية محاولة لم تجر طيلة النصف الأخير من القرن التاسع عشر للم ذلك الشعث، وبذا فإن اهتمامات المؤرخين العراقيين ظلت قاصرة على تناول موضوعات محلية، أولها يتعلق بتاريخ الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية في أكثر تقدير، كما فعل إبراهيم فصيح الحيدري (المتوفى سنة 1300هـ/1882م) في "عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد" [31]، و محمود شكري الألوسي (المتوفى سنة 1343هـ/1924م) في «أخبار بغداد وما جاورها في البلاد» [32].

وبتشكيل أول حكومة عراقية بعد الحرب العالمية الأولى، أصبحت (الدولة العراقية) هي المحور الجديد لاهتمامات أولئك المؤرخين وعنايتهم.

علماء وأعلام

ابو هاشم وحزبه

نسبه وأسرته

هو عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب، وكنيته بأبي هاشم تطفى في أكثر الأحيان على إسمه فيعرف بها فقط، أما أباه فمحمد بن علي، من امرأة من بني حنيفة، تدعى خولة بنت جعفر⁽¹⁾، وأمه أم ولد تدعى نائلة⁽²⁾، وله من الأخوة أربعة وعشرون ولداً، منهم أربعة عشر ذكراً⁽³⁾، كلهم أصغر منه، ولا تعين المصادر التي تناولت ترجمته بسنة مولده، والراجح أنها كانت في حوالي منتصف القرن الأول للهجرة.

وليست ثمة معلومات كافية عن سيرته الأولى، وأغلب الظن أنه نشأ وترعرع في المدينة حيث بيت أبيه، وعشيرته، وأتباعه، وفيه تلقى العلم، من تفسير وحديث وفقه، ولم يكن قد مضى على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أمد يسير.

أما نساؤه فقد ذكر ابن سعد في طبقاته منهن⁽⁴⁾:

1- بنت لخالد بن علقمة بن الحويرث بن عبدالله من كنانة، ولدت له ولدين ذكرين، هما هاشم، وبه كان يكنى، ومحمد الأصغر، ولا بقية لهما.

2- فاطمة بنت محمد بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، ولدت له محمد الأكبر، وبنياً إسمها لبابة.

3- أم عثمان بنت أبي حدير عياش، من قضاة، ولدت له ولدين، هما علي، وآخر غير معروف الاسم.

4- ريطة أم الحارث، بنت الحارث بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن المطلب، ولدت له بنتاً إسمها كأماها ريطة، وهي أم يحيى بن زيد بن علي المقتول في خراسان.

(1) ابن عنبه، أحمد بن علي: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف 1961، ص353.

(2) ابن سعد، محمد بن كاتب الواقدي: الطبقات الكبرى، تحقيق سترستن، ليدن 1322، ج5 ص240 والأصفهاني: مقاتل الطالبين، تحقيق أحمد صقر، القاهرة 1949، ص129.

(3) ابن عنبه: عمدة الطالب ص353

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج5 ص340.

5- أمهات أولاد، لم تذكر أسماءهن، وكُنْ له عدة أولاد، منهم طالب، وعون،
وعبدالله، وأم سلمة.

ومن الغريب أن انقرض عقب أبي هاشم، على الرغم من هذا العدد من
الأولاد، على ما أكد ذلك غير واحدٍ من المؤرخين⁽¹⁾.

علمه

نسب المؤرخون، وأصحاب الفرق وغيرهم، إلى أبي هاشم نوعين من العلوم
والمعارف، أولهما العلم الظاهر المعتاد، أي التفسير والحديث وما إليهما، وثانيها
العلم الباطن الخاص، وهو الذي نسبته إليه عدة فرق في أثناء حياته وبعد وفاته،
حتى صار فيما بعد ركناً مهماً من الأركان التي قامت عليها الدعوة العباسية.
والعلم الباطن هذا عبارة عن مجموعة من التنبؤات الغريبة عن مستقبل الدعوة
العباسية، منسوبة إلى النبي محمد (ص) والإمام علي بن أبي طالب (ع). ولما كنا
نعلم أن تلك الأمور المتنبأ بها لم تحدث إلا بعد وفاة أبي هاشم بوقت طويل، فنحن
نشك في كونها موضوعة من قبل الأسرة العباسية في وقت متأخر من قيام
الدعوة، وربما في السنين الأولى من قيام الدولة. فسنقتصر من الموضوع على
النوع الأول من العلم، أي العلم الظاهر، الذي هو أدعى إلى القبول.

يحدثنا ابن سعد عن علم أبي هاشم بالحديث النبوي وحفظه، فيقول:
«صاحب علم ورواية، ثم يضيف «كان ثقة، قليل الحديث»⁽²⁾.

وأحاديثه هذه على قلتها موزعة في الكتب الستة، البخاري، ومسلم، والترمذي،
والنسائي، وابن ماجه، وأبو داود، ومتفق عليها، وقد نقلها عن أبي هاشم بعض
الثقات، هم ابن شهاب الزهري وعمر بن دينار⁽³⁾.

ونقل الشهرستاني عن بعضهم أن واصل بن عطاء، شيخ المعتزلة وواضع
أسسها، كان قد أخذ الاعتزال عن أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، وهي

(1) ابن خلكان، أحمد: وفيات الأعيان، القاهرة 1310هـ، ج1 ص454.

وابن عنبه: عمدة الطالب ص353.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج5 ص240. ص49.

(3) الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، مخطوط، مكتبة الأوقاف ببغداد..

إشارة لها خطرهما، إذ تكشف عن طبيعة آراء عبدالله وأفكاره، فضلاً عن أنها توضح - إلى حد ما - نوع العلاقة بين الاعتزال والتشيع في أدوارهما الأولى. وينقل الشهرستاني نفسه بعض تلك الآراء، ذاكراً أنها كانت مذهباً حمل رايته ابنه أبو الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف «شيخ المعتزلة ومقدم الطائفة، والمناظر عليها»⁽¹⁾، وتميزه عشر قواعد فلسفية أهمها: «أن الباري عز وجل يعلم، وعلمه ذاته، قادر بقدره، وقدرته ذاته، حي بحياته، وحياته ذاته، وإذا أثبت أبو الهذيل هذه الصفات وجوهاً للذات، فهي عينها أقانيم النصارى، أو أحوال أبي هاشم»⁽²⁾.

ولا ندري - على وجه التحديد - كم من هذه الآراء أخذه واصل عن أستاذه أبي هاشم فعلاً، والواقع أنها - كما عرضها الشهرستاني - متأخرة نسبياً، لأن آثار الفلسفة الإغريقية واضحة فيها إلى حد كبير، وهو ما نستبعد ظهوره في عصر أبي هاشم المبكر، كما أنه من المستبعد تأثره بها على أية صورة، فهو قد ترعرع في محيط ديني محافظ، يكثر فيه حفاظ الحديث، ومفسرو القرآن، والرواة، والفقهاء، وفي بيت قديم، يتصل بالرسول (ص) بأوثق الصلات، وحتى إن صحَّت صلته بواصل بن عطاء فإن الأمر لا يعدو أخذ الأخير عنه بعض الأحاديث لا أكثر، بعيداً عن آفاق الفلسفة التي اشتهرت بها فرق المعتزلة، وإلا فكيف يمكن للمرء التوفيق بين تصريح المؤرخين عن أبي هاشم بأنه كان «ثقة بكل ما تشتمل عليه هذه الكلمة من معان، وبين أخذه بمبدأ الأقانيم الذي أتهم به»⁹.

أبو هاشم والإمامة

أجمع مؤرخو العباسيين ورواة أخبارهم على أن أبا هاشم كان إماماً لبني هاشم، وأنه بتنازله عن الإمامة لقريبه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (عم الرسول) انتقلت هذه المهمة الشرعية الخطيرة من العلويين إلى العباسيين، وهي الرواية العباسية الرسمية التي سنتناولها بشيء أكثر من التفصيل فيما بعد، على أن الذي يهمنا الآن أن نتناول مسألة إمامة أبي هاشم نفسها قبل التطرق إلى قضية تنازله عنها، فإن هذا سيجرنا إلى سؤال آخر. وهو هل كان أبو هاشم إماماً

(1) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، القاهرة 1961، ج 1

(2) الشهرستاني ج 1 ص 49.

(خليفة) شرعياً فعلاً (من الوجهة الدينية الروحية) حتى يتنازل عن الإمامة لبني العباس، بالصورة التي نقلها لنا مؤرخو الدولة العباسية؟

إن في هذا السؤال صعوبة خاصة، فالمعروف أن أبا هاشم هو ابن محمد بن علي بن أبي طالب، من زوجة أخرى غير فاطمة، وجمهور الشيعة لهذا تنفي أن تكون الإمامة قد انتقلت إليه، وتفتقر حول ذلك بعدد كبير من الآراء والنظريات مما يجعل أساس فكرة إمامة أبي هاشم مهزوزة من جذورها، والفرقة الوحيدة التي آمنت بها هي (الكيسانية)⁽¹⁾ على خلاف الفرق الشيعية الأخرى، وهي وإن اتفقت على إمامة محمد بن الحنفية فإنها لم تتفق على إمامة ابنه أبي هاشم من بعده، بل تنقسم - على الرغم من قلة عدد أتباعها - إلى عدة فرق، تختلف حول أحق الناس في الإمامة، فالمختارية، وهم الكيسانية الخُص، أصر بعض دعااتها على أن ابن الحنفية لم يَمُت، وأنه على جبل رضوى قرب المدينة، عن يمينه وعن شماله، نمران يحفظانه، وأنه سيعود بعد الغيبة «فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»⁽²⁾. ومثلهم الكربية أصحاب أبي كرب الضرير، وفرقة أخرى رأت أن الإمامة قد انتقلت إلى ابن أخته علي بن الحسين زين العابدين⁽¹⁾.

(1) أصل الكيسانية غامض ومرتبك، يرى البغدادي أنها منسوبة إلى لقب للمختار الثقفي، هو (كيسان)، ولكنه ينقل عن بعضهم أن المختار أخذ مقالته من مولى لعلي كان اسمه كيسان (مختصر الفرق بين الفرق ص35) ويقسم الأشعري (مقالات الإسلاميين ص30) الكيسانية بعد موت ابن الحنفية إلى عدد كبير من الفرق، إحداها فقط بقيت محافظة على اسمها، وهؤلاء هم الكيسانية الخُص، وهم المختارية. كتاب الزينة للرازي الورقة 241 (مخطوط في المركز الوطني للمخطوطات ببغداد) فإذا كانت الكيسانية منسوبة إلى لقب المختار الثقفي فما معنى تسمية هذا الفرع باسمه، أضف إلى هذا أن الإختلافات العقائدية بين هذه الفروع معقدة جداً وغير واضحة، كما أن موقفها من العباسيين مشكوك فيه، إذ لا تمدنا المصادر عن موقف كل فرع منهم، وأغلب الظن أن الهاشمية هي الفرقة الوحيدة التي أيدت الدعوة، في حين يرى الدكتور جمال الدين سرور أن استطاع العباسيون أن يكسبوا ولاء الكيسانية لهم، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، القاهرة 1964 ص127.

(2) الأشعري، علي: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح هـ. ريتز، استانبول 1929 ج1 ص19-21، والبغدادي، عبد الفاهر: الفرق بين الفرق، تحقيق فيليب حتي، مطبعة الهلال 1924 ص36، والأسفرايني، أبو المظفر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الهالكين، نشره عزت العطار، القاهرة 1940، ص19 والشهرستاني: الملل والنحل ج1 س150، والنويختي، الحسن بن موسى: فرق الشيعة، تصحيح هـ. ريتز، استانبول 1931

وهكذا فإن التأكد من شرعية إمامة أبي هاشم أمر غير مجدٍ وسط هذا الفيض من الآراء المتناقضة حولها، والحقيقة أننا لا نجد أية ضرورة للبحث عن مثل هذا السند الشرعي، فإنه يكفي أن يكون أبا هاشم وريث أبيه محمد بن علي بن أبي طالب، حتى يعتقد هو بأحقية في طلب الخلافة، وبكلام آخر فإن القضية لم تكن إلا أمراً سياسياً دنيوياً بحتاً، لا علاقة له بأي مُسوّغ ديني، فإذا ما لاحظنا أن المستفيد الوحيد في إضفاء هذه الصفة الروحية على إمامته، هو الأسرة العباسية التي كانت تسعى للوصول إلى الحكم، فإن شكنا في مسألة إمامة أبي هاشم يكون في محله.

دعوة أبي هاشم

مما يلفت الإتياب في مسألة دعوة أبي هاشم، أن أخبارها وأسماء دعائها لم تأت صريحة واضحة في أغلب الروايات التاريخية، على خلاف ما نجده بشأن الدعوة العباسية، كما يلاحظ في تلك الروايات نفسها أنها في الوقت الذي تغفل فيه ذكر أعمال أبي هاشم الفعلية في الدعوة، أو لا تعيرها كبير اهتمام، نجدها تهتم اهتماماً بالغاً في تفصيل أخبار تنازله عن حقه بالإمامة إلى محمد بن علي العباسي، بل أن أغلبها يحاول أن يكسب الأمر شكلاً طبيعياً منطقياً، فما السبب الخفي وراء ذلك؟

الذي يظهر أن العباسيين لم يكونوا ليكثرثوا بتسجيل الأحداث كما هي، وإنما كانوا يسعون دوماً إلى البحث عن الروايات المؤيدة لدعوتهم، والأخبار المنبئة بأحقيتهم في الملك (وربما اختلقوها اختلاقاً) دون الاهتمام بما دون ذلك من أمور، ولذلك فإنهم تفاقلوا عن أخبار أبي هاشم غير المهمة بالنسبة إليهم، بما تتضمنه من أمر قيامه بالدعوة الفعلية لنفسه، وتمسكوا بشدة بالأخبار التي تمس مصالحهم فقط، ومن الطبيعي أن يكون على رأسها قصة تنازله لحزبهم عن حقه في الإمامة، واختصاصهم بعلمه الروحي الموروث، حتى أنهم بالغوا في هذا الحق كثيراً.

وعلى أية حال فإنه يمكننا من خلال تصورنا لشخصية أبي هاشم القوية، وإطلاعه على مجريات السياسة في عصره، وعلمه، واعتقاده بأنه الوريث الوحيد

ص23 والرازي، فخر الدين: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مراجعة علي سامي النشار، القاهرة 1938، ص62.

(1) الأسفرائيني: التبصير في الدين ص29.

لعلي بن ابي طالب، بعد وفاة الحسن والحسين، كل هذا يدفعنا إلى ضمّه لجماعة الداعين الضعفاء للخلافة من العلويين، المناوئين للسلطة الأموية. وتؤيد هذا القول عدة نصوص أوردها بعض المؤرخين، فقد أشار صاحب كتاب الإمامة والسياسة⁽¹⁾ إلى أن محمداً بن الحنفية أمر ابنه عبدالله أبا هاشم بطلب الخلافة إن وجد إلى ذلك سبيلاً، وأنه «أعلم الشيعة بتوليته إياه⁽²⁾، فإن لم يكن محمداً قد أمر ابنه بطلب الخلافة فعلاً، فإن هذا القول يُظهر - في الأقل - طموح أبي هاشم، ورغبته الشخصية في طلبها» إن وجد لذلك سبيلاً. ويذكر ابن عبد ربه في عقيدة أبي هاشم أنه «كان قائماً بأمر الشيعة يأتونه ويقوم بأمرهم ويؤدون إليه الخراج حتى استخلف سليمان بن عبد الملك⁽³⁾، ويشبه هذا ما نقله ابن خلكان حين أشار إلى أنه كان «عظيم القدر وكانت الشيعة تتولاه⁽⁴⁾».

وعلى الرغم من أن هذه النصوص لا تشير بوضوح إلى مفهوم «الشيعة التي دُكر أنها كانت تتولاه وتؤدي إليه الخراج، ونوع اعتقاداتها، إلا أن من الجلي كونها لم تمثل إلا قسماً معيناً من الشيعة العلوية بمفهومها الواسع، ذلك لأننا نعلم أن كثيراً من فرق الشيعة آنذاك لم تكن تعتقد بصحة إمامته أصلاً، ولا بأحقية فيها من الوجهة الشرعية، فكيف تمنحه تلك الفرق ثقته، وخراجها، وتوليها أمرها، وهي ترى في غيره المستحق لذلك كله.

فأغلب الظن إذاً، أن تلك «الشيعة التي أُشير إلى متابعتها إياه، لم تكن في الحقيقة إلا شيعة هو، أي حزبه الخاص، دون سائر أحزاب الشيعة أتباع علي بن أبي طالب. وحزبه هذا اعترف له منذ البداية بحقه في الخلافة، وأطاعه في تنفيذ المهام، حتى نُسبوا إلى إسمه، فقبل لهم (الهاشمية). ويمكن للمرء أن يميز آراء هذا الحزب، كما عرضها الشهرستاني، على النحو الآتي:

1- أنهم - وقبل كل شيء - فرع من الفرقة الكبيرة (الكيسانية) التي اعترفت من حيث المبدأ بإمامة محمد بن الحنفية.

(1) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة 1937 ج 2 ص 140.

(2) الإمامة والسياسة ج 2 ص 140.

(3) العقد الفريد، المطبعة الأزهرية بالقاهرة ج 3 ص 114.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج 1 ص 454.

2- أنهم اعترفوا بوفاة محمد بن الحنفية (سنة 81هـ) على خلاف بعض الفرق الأخرى، كالمختارية والكربية (أتباع أبي كرب الضرير)، الذين يزعمون أنه لم يموت، وأنه حي في جبال رضوى.

3- أنهم قالوا بأن محمد بن الحنفية أوصى بالخلافة إلى ابنه أبي هاشم عبدالله صراحة، فذكر الشهرستاني أنهم قالوا «فإنه أفضى إليه أسرار العلوم وأطلع على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس، وتقدير التنزيل على التأويل، وتصوير الظاهر على الباطن. ويظهر أنهم اهتموا بشكل خاص بمسألة (العلم الباطن) فقالوا «أن لكل ظاهر باطناً، ولكل شخص روحاً، ولكل تنزيل تأويلاً، ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم، والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار يجتمع في النوع الإنساني⁽¹⁾، وهو العلم الذي استأثر علي رضي الله عنه، ابنه محمد بن الحنفية، وهو أفضى ذلك إلى ابنه أبي هاشم. ثم أنهم قالوا «فكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقاً، فكأنهم قد انتهوا إلى تقرير قاعدة عامة، ومبدأ رئيس واسع أمكن تطويره فيما بعد بما يوافق الدعوة العباسية حتى وضع ذلك العلم على شكل «صحيفة صفراء تمنح من إمام إلى آخر، وهذا المبدأ من دون شك يعطي الخلافة صفة شرعية جديدة تعتمد على العلم فقط، من دون التسلسل النسبي المعروف، وهو ما طبق فعلاً في رواية تنازل أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي عن صحيفة العلم الباطن الصفراء، وصيرورته من ثم صاحب الإرث، والحق الشرعي بالخلافة، على الرغم من أنه ليس بوارث له من ناحية القرابة الفعلية. ومن هذه النقطة بالذات تبدأ شكوكنا بحقيقة آراء (الهاشمية) لأن آراء كهذه لا يمكن أن تكون قد وجدت في حياة أبي هاشم نفسه، وإلا لم يكن لها أي معنى، فإن أبا هاشم كان ابن محمد بن الحنفية ووريثه الشرعي، فهو لم يكن بحاجة إلى أي علم باطن، أو صحيفة صفراء، ليثبت حقه بالإمامة، وإنما صاحب المصلحة الحقيقية في مثل هذه الدعوى هي الأسرة العباسية نفسها، لأنها - بدونها - لا يبق لها سند شرعي روعي (بالإمامة) وخلافة المسلمين.

(1) هذا يعني أنه احتوى على الحقيقة المطلقة، لا الحقيقة النسبية التي يراها سائر البشر، أي أنه كان معصوماً. ويلاحظ أن هذا القول يعد بادرة أولى في التفكير الصوفي الذي عرف بفكرة الإنسان الكامل المتمثل بالنبي (ص). التفصيل في كتاب (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبد الكريم الجيلي (ت 832هـ)).

وعلى أية حال، يمكننا القول أن الهاشمية اتبعت أبا هاشم في حياته، على أساس أنه صاحب الحق بالإمامة، لقربته من علي بن أبي طالب، بصرف النظر عن مسألة (الوصية) والعلم الباطن المشكوك فيه.

أن المصادر التاريخية لا تشي بشيء وافٍ عن طبيعة أعمال حزب أبي هاشم وتحركاته السياسية، وكل ما نفهمه مما ذكره ابن عبد ربه في النص السابق أن أفرادهم كانوا يدفعون إليه أموالاً باسم الخراج، وأنهم كانوا يتصلون به مباشرة في أكثر الأحيان⁽¹⁾. كما يفهم من سياق وشاية زيد بن حسن بأبي هاشم عند الخليفة الأموي «أن له شيعة من أصحاب المختار (بن أبي عبيد الثقفي، أي الكيسانية) يأتون به «ويحملون صدقاتهم إليه»⁽²⁾.

والذي يمكن استنتاجه من بعض النصوص القليلة، أن موطن هؤلاء الشيعة كان الكوفة من أرض العراق، بمعنى أن مكان نشاط الحزب كان في نفس النطاق الذي ظهرت فيه حركة المختار الثقفي⁽³⁾، الذي نادى بإمامة أبيه محمد بن الحنفية، دليلنا على ذلك ما جاء في سياق التهم التي دمج بها زيد بن الحسن أبا هاشم، في حضرة الوليد، حين ذكر بأنه «تصل إليه من الكوفة هدايا تبعثها شيعته هي عبارة عن (غالية)⁽⁴⁾ من الدهن (الرازقي)⁽⁵⁾. ويظهر أن ميدان الدعوة انتقل بسرعة إلى خراسان، الموطن الطبيعي لكل دعوة مناوئة للسيادة الأموية فلقد أفادت الروايات التي أرخت لوفاة أبي هاشم، أنه كان معه عند وروده قرية (الحميمة)⁽⁶⁾، أو مشارفها حيث مات، «بعض من أهل خراسان»⁽¹⁾ ممن كانوا يترددون عليه⁽²⁾.

(1) العقد الفريد ج3 ص191.

(2) مؤلف غير معروف: أخبار العباس وفضائله ومناقبه وفضائل ولده. الورقة 78 ب (مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد).

(3) ولها وزن: الدولة العربية وسقوطها ترجمة يوسف العشي، دمشق 1956، ص398.

(4) أخبار العباس وفضائله الورقة 79 أ.

(5) مؤلف غير معروف: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق دي كويه، لندن 1971،

ص181

(6) تقع الحميمة اليوم في محافظة معان في جنوبي الأردن، على الطريق بين البتراء والعقبة، كانت مدينة وحصناً بيزنطياً، وعرفت قديماً باسم (حوارة) وجدت فيها لقي ومكتشفات من

ولا يُعلم مقدار النجاح الذي أحرزه حزب أبي هاشم في حياته، ونوع تنظيماته الداخلية، فالمعلومات التاريخية عن هذا الأمر تكاد تكون معدومة، إلا أنه يفهم مما ذكره صاحب العيون والحدائق أن لأبي هاشم دعاة، يوقع لهم بخاتمته، حيث كان في أصبعه يختم به⁽³⁾. وروى ابن عبد ربه أن أبا هاشم كان قد أمر محمد بن علي العباسي، عند مكوثه لديه قبل وفاته في الحميمة، بأن يختار لدعوته 12 نقيباً، وبعدهم سبعون من الدعاة⁽⁴⁾، وهو ما صارت له تنظيمات العباسيين فيما بعد. وليس ببعيد أن يكون جميع ما نسب إلى أبي هاشم من وصايا أوصى بها محمد بن علي العباسي، إنما هي تمثل ما فعله العباسيون أنفسهم، وما تلك الوصايا إلا غطاء شرعي يحمي الدعوة، وهي لما تزل بعد في بدء تكونها وذيوها، من كل لوم وانتقاد، لا سيما إن كان العلويون هم مصدر هذا الإنتقاد.

أبو هاشم والبلاط الأموي

لابد للمرء، قبل التطرق إلى مسألة وفاة أبي هاشم، وتنازله عن الخلافة للعباسيين، وما رافق ذلك من ملاسبات معقدة، أن يأتي إلى قضية أخرى لها أهميتها في سيرته أولاً، وفي حياة حزبه السياسية ثانياً، تلك هي طبيعة العلاقات التي كانت تربط بين أبي هاشم وحزبه من جهة، والأسرة الأموية من جهة أخرى، وذلك من خلال :

1- تحديد زمن نشوء تلك العلاقات.

2- نوعها

3- تعيين شخصية الخلفاء الذين يمثلون الطرف الثاني منها.

فأما ما يخص تحديد الوقت الذي نشأت فيه أولى العلاقات التي وصلت بين الطرفين، وهو مبدأ البحث، فقضية مختلف فيها، يمكن ترتيب أصولها على

العصرين البيزنطي والأموي، اتخذتها الاسرة العباسية مستقراً بها، واتخذ محمد بن علي بن عبد الله بن العباس له قصراً فيها، ودفن فيها الا انه لا يعرف مكان قبره منها الان.

(1) أخبار العباس وفضائله الورقة 178.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المطبعة السلفية، القاهرة 1357 ج4 ص159.

(3) العيون والحدائق ص281.

(4) العقد الفريد ج3 ص194.

قسمين، القسم الأول تقليدي يشير إلى قصة واحدة مسلم بها، وتذهب إلى أن أول لقاء بين أبي هاشم والخليفة الأموي كان بدمشق، كما أنه كان آخر لقاء بينهما، ففيه أمر الخليفة بقتل أبي هاشم خلال خروجه من العاصمة. وتختلف على سبب قدوم أبي هاشم إلى البلاط الأموي، فمن الرواة من يجعل سبب ذلك تسرب أخبار دعوته إلى السلطة الأموية⁽¹⁾، وأنها هي التي استدعته، ومنهم من يرى أن قدومه إلى دمشق كان بمحض اختياره⁽²⁾.

ويذهب القسم الآخر من الأصول، إلى أن علاقة أبي هاشم ببني أمية كانت قائمة قبل مدة من قتله، وأنها لم تكن سيئة تماماً كما تصورها بعض المصادر، حيث يذكر أن نزاعاً شديداً نشب بين أبي هاشم وزيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب سببه أن الصدقات كانت تأتي الأخير دونه⁽³⁾، في حين كان أبو هاشم يحتج بمكافأته له بالنسب، إذ أن وصية علي في صدقته كانت «إلى ذوي الفضل من أكابر ولده، وأنه «أكبر سنًا، و«أعلم بالله ويكتابه وسنن نبيه (ص)، و«إنما الوصية لعلي لا لفاطمة⁽⁴⁾». وقد اشتكى إلى قضاة المدينة فأنصفوه، فدفع ذلك به إلى السفر إلى دمشق للوشاية بأبي هاشم، بأن له أتباعاً من أصحاب المختار الثقفي، وأنهم يدفعون صدقتهم إليه. وفي رواية أخرى (لم يذكر السند) أن الوشاية كانت في المدينة، لا في دمشق، وذلك عند قدوم الوليد بن عبد الملك (81-91هـ) سنة 91، حيث حضر الطرفان المتنازعان، فيروى أن الوليد قال لأبي هاشم مداعباً: قد أسرع إليك الشيب، فأجابه: هذا لأنه يُسرَع إلى ذي السنّ (يشير إلى أحق بالصدقات لأنه أكبر أولاده سنًا) فقال زيد: ذاك يا أمير المؤمنين لغالية تُهدى إليه من الكوفة يغلّف بها، ثم مضى فاتهمم بتكوينه شيعة خاصة به في الكوفة، فلما صدر الوليد عن الموسم، فمر بالمدينة، «أشخص معه أبا هاشم إلى دمشق بحبسه بوشاية زيد بن حسن. ولم يطلقه إلا بعد شفاعة عون، وعلي بن الحسين،

(1) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج2 ص140.

(2) المسعودي: التنبيه والأشراف، القاهرة 1938 ص292.

(3) مرينا أن أبا هاشم كانت تأتيه الصدقات والخراج من شيعته في الكوفة وخراسان. فلم يكن بحاجة شخصية للمال، وإنما هي نفقات الحزب، وإدارة الدعوة التي تتطلب مالاً كثيراً.

(4) أخبار العباس وفضائله الورقة 78 ب

وقبيصة، الذين نفوا عن صاحبهم جميع التهم، حتى جعلوا الوليد يقول: اللهم قد فعلت على سوء ظن مني به⁽¹⁾.

ويروي صاحب العيون والحدائق هذه القصة بشكل مشابه من حيث الأساس، مع اختلافات في أغلب التفاصيل، فهو يجعل الواشي بأبي هاشم محمد بن علي بن جعفر، لا زيد من الحسن، كما أنه يجعل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، لا الوليد بن عبد الملك. وفي الوقت الذي يرى فيه اسحاق بن الفضل هذه الحادثة السبب المباشر لاستدعاء الوليد بن عبد الملك، لأبي هاشم، وأن الأخير مكث في البلاط الأموي مدة تبلغ سبع سنين مقرباً من الخليفة⁽²⁾، فيحضر مجالس الوليد ويسامره وربما فرح معه⁽²⁾. يخبر صاحب العيون أن الحادثة المذكورة كانت السبب الحقيقي وراء مقتل أبي هاشم، لأن الوليد بعث إليه، وهو خارج من بلاطه، من سمه⁽³⁾.

ويبدو مما ذكره ابن الفضل، أن شك الوليد بن عبد الملك بأمر أبي هاشم كان لما حملة الوشاة إليه من أخبار تحركاته السياسية المريبة، حتى أنه اتهمه ذات مرة بأنه «شديد النصر للأنصار، وكناه استهزاءً به بأبي البنات، مما أغضب أبا هاشم وجعاه يغلظ في إجابته للوليد، ففت الوليد من قوله ورأى أنه استخف به في جوابه وعرض به، فقال: إنك الخصم الألد، إرحل عن جوارى، فقال أبو هاشم: أرحل والله عن جوارك، فما الشام لي بوطن، ولا أفرج فيها عن شجن، وقد أملت فيها حبسي، وكثر فيها ديني، وقلت فيها فائدتي، وما أنا لك بحامد، ولا إن أعفيتني اليك بعائد. فأجابه الوليد: فإني قد أعفيتك إلى يوم الحشر⁽⁴⁾.

وهكذا تتضح لنا قصة هذا اللقاء الأخير الجاف، الذي جاء ليُنهي علاقة أبي هاشم بالبلاط الأموي، بعد أن استمرت زهاء سبع سنوات أو يزيد.

وتشترك المصادر التاريخية الأخرى، مع رواية صاحب العيون - أنفة الذكر- في عدم تمييزها بين اللقاء الأول الذي حدث بعد استدعاء أبي هاشم من المدينة

(1) أخبار العباس وفضايله الورقة 8.

(2) المصدر نفسه الورقة 80.

(3) العيون والحدائق ص 81.

(4) أخبار العباس وفضايله الورقة 80.

إلى دمشق سنة 91هـ، وبين اللقاء الأخير قبل موته، كما أنها لا تشير إلى السنين السبع التي قضاها في البلاط الأموي، وإلى طبيعة علاقته السياسية بالخليفة.

ومن ناحية أخرى فإن هناك اختلافاً أساسياً في تعيين شخصية الخليفة الأموي الذي مات في عهده أبو هاشم، فضلاً عن الاختلاف حول زمن الحادث وسببه، فإبن سعد (ت 227هـ) ينص على أن تلك الوفاة كانت في خلافة سليمان بن عبد الملك، ولا يعين تاريخها⁽¹⁾، أما ابن خياط (ت 240هـ) فهو وإن أكد على أن الحادثة حصلت في عهد سليمان، إلا أنه قلق في تعيين تاريخها، فقي موضع يجعلها سنة 98هـ، وفي موضع آخر يجعلها سنة 99هـ، ذاكراً أنها كانت في آخر ولاية سليمان⁽²⁾. وينص اليعقوبي (ت 292هـ) على أن الخليفة كان سليمان بن عبد الملك لا غيره⁽³⁾، ومثله ابن قتيبة (ت 270هـ)⁽⁴⁾، والطبري (ت 340هـ)⁽⁵⁾ والأصفهاني (ت 356هـ)⁽⁶⁾، ومنهم ابن الأثير⁽⁷⁾، وابن خلكان⁽⁸⁾ من المتأخرين، في حين ينفرد صاحب العيون والحداثق⁽⁹⁾ بالقول أنه كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك، كما ينفرد ابن الطقطقي أنه كان هشام بن عبد الملك، فأى هذه الروايات نركن إليه؟

الذي يبدو لنا أن قدوم أبي هاشم إلى دمشق كان على عهد الوليد بن عبد الملك، وهي رواية أبي الفضل الهاشمي، وذلك لأن سنة قدومه التي هي 91 للهجرة، تقع بين سني خلافة هذا الخليفة الممتدة بين 86-96هـ، أما أنه مات في عهده فهو مستحيل، لأننا نعلم أن تلك الوفاة لم تحدث إلا بعد وفاة الوليد، فقد حدد المؤرخون تاريخها في إحدى السنوات 97، 98، 99⁽¹⁰⁾، أي بعد وفاة الخليفة المذكور بسنة كاملة في أقل تقدير.

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج5 ص240.

(2) ابن خياط، خليفة: تاريخ، تحقيق أكرم العمري، بغداد 1968، ج1 ص221، وص226.

(3) اليعقوبي، ابن واضح: تاريخ، بيروت 1956، ج3 ص34.

(4) الإمامة والسياسة ج2 ص140

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج1 ص454 ولم أعثر على هذا النص في تاريخ الطبري نفسه.

(6) مقاتل الطالبين ص226

(7) الكامل ج4 ص159

(8) وفيات الأعيان ج1 ص454.

(9) العيون والحداثق ص181

(10) ابن خياط، خليفة: تاريخه ج1 ص321 و326 وطبقاته تحقيق أكرم العمري، بغداد 1968.

ص239 واليعقوبي: تاريخ ج4 ص34 وابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج2 ص240.

وأما رواية صاحب العيون التي تشير إلى أن وفاة أبي هاشم كانت في عهد الوليد الثاني (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) فهي مستحيلة تماماً، لأن فترة حكم هذا الخليفة تلت الوفاة بما يزيد على ربع قرن من الزمن، فهو قد تولى الخلافة سنة 125هـ واستمر فيها سنة واحدة، أي حتى سنة 126هـ، فإذا ما لاحظنا تاريخ وفاة أبي هاشم تبيننا بيسر خطأ الرواية بكاملها ومجانبتها للواقع.

كذلك فإن القول بأن الوفاة حصلت في عهد هشام بن عبد الملك، وهو ما ذهب إليه ابن الطقطقي، مردودة أيضاً، لأن هشاماً كان قد تولى الحكم سنة 106هـ ومات سنة 122هـ، كما أنه لم يلتق خلال حكمه كله أبي هاشم البتة.

وهكذا لم يبق بأيدينا من الروايات التاريخية سوى أن وفاة أبي هاشم كانت في عهد سليمان لا غيره، وهي رواية - كما نراها - صحيحة، لا غبار عليها، وذلك لتوفر الشرط التاريخي المهم، وهو أن سنة وفاة أبي هاشم - على الاختلاف البسيط في تعيينها - واقعة ضمن سني حكم هذا الخليفة، وهو شرط لم يتوفر في غيره من الخلفاء المذكورين.

أبو هاشم والأسرة العباسية

ثمة ناحية أخرى ينبغي التطرق إلى ذكرها في حياة أبي هاشم لما يكتنفها من الإضطراب والغموض، تلك هي علاقته بأفراد البيت العباسي وأنصاره، فبمعرفة ذلك يمكن فهم طبيعة ما قيل عن انتقال الخلافة منه إلى محمد بن علي العباسي، وسبب هذا الانتقال وظروفه، ومن ثم كيفية اغتيال أبي هاشم نفسه.

ويظهر أن علاقة العباسيين ببني أمية كانت أحسن وأوثق عرى منها بين آل أبي طالب بالبلاط الأموي، فقد استمرت الصداقة التي ربطت بين العباس وأبي سفيان قائمة باقية في نسلهما، فكان عبدالله بن العباس مقرباً من معاوية، وكان ابنه علي صديقاً لعبد الملك بن مروان، ولم يبدو من الطرفين ما يمكن أن يكون سبباً لنزاع أو خلاف، حتى روي عن عبد الملك أنه جعل إكرام علي أول وصاياه لإبنه الوليد، وذلك «لنسبه وقربته وانقطاعه إلينا، أكرمه واعرف حقه»⁽¹⁾.

(1) الشاشيتي: الديارات، تحقيق كوركيس عواد، بغداد 1966 ص216.

إلا أن الوليد، الذي اشتهر بِنَزَقِهِ، لم يحفظ وصية أبيه، فأظهر تحامله على علي بن عبدالله «وغيبه بحضرة الناس»⁽¹⁾، ثم أنه ضربه بالسوط مرتين - نتيجة السعيات- وحبسه في أطراف دمشق.

ولم يدم هذا الإضطهاد- كما يبدو- إلا أثناء حكم الوليد، إذ ما أن تولى سليمان مكانه حتى أطلق سراح علي المذكور مُكرماً أياه، ثم أنه أقطعه بلدة الحميمة بالشرارة، فنزل هذا بها، وباع بساتينه بدمشق إلى الأسرة الأموية⁽²⁾.

وكان من نتائج تحسن العلاقات هذه، أن أخذ محمد بن علي بن عبدالله يتردد إلى البلاط الأموي بين حين وآخر، حيث لم يجد فيه إلا كل حفاوة وتكريم. وفي هذه الأثناء بالذات كان لقاء محمد بن علي بأبي هاشم عبدالله بن علي، وهو اللقاء الذي نسب إليه من الأمور الجسام ما غير وجه التاريخ الإسلامي لعدة قرون.

ويبدو أن أوامر الصداقة الممزوجة بالإحترام المتبادل قد عقدت وأصرها بين الرجلين على نحو متين مخلص، ففي رواية مصدرها عبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي (وهو من سكنة الكوفة) أن بدء العلاقة كان منذ عهد الوليد بن عبد الملك، إذ يروي عن عيسى بن علي بن عبدالله أن أباه علي بعث بمحمد إلى باب الوليد فأتى أبا هاشم وكتب عنه العلم، وبلغ من احترامه له أنه كان إذا قام أبو هاشم يركب أخذ له الركاب، فكفه ذلك عن أبيه⁽³⁾، وكان محمد بن علي يهدي إليه كل ما كان يصل إليه من أبيه في الحميمة، حتى أنه أهدى إليه ذات مرة بغلة، مؤثراً بها على نفسه، دون أن ينبئ بمصدرها⁽⁴⁾.

ولا ندري ما إذا كانت هذه الصداقة قد تجاوزت حدها - في هذه المدة- لتكون عملاً سياسياً مشتركاً بين الحزبين، حزب أبي هاشم وحزب بني العباس، فإن من الظواهر ما يكاد يكون دليلاً عليه، كمسألة اجتماعهما مع أنصارهما في بيت واحد، مما يبعث على الظن بأن هناك إتفاقاً عاماً هدفه ضرب السلطان الأموي ومناوآته، دون الدخول في تفاصيل الخلافة، والإمامة، لمن تكون منهما.

(1) الديارات ص214.

(2) أخبار العباس وفضائله الورقة 63، والديارات ص216.

(3) أخبار العباس الورقة 178.

(4) أخبار العباس الورقة نفسها.

إن من العسير جداً، إستناداً الى الروايات المعروفة، معرفة أي الاطراف كانت مستفيدة أكثر من غيرها، من اغتياله، باعتباره زعيم الجناح العلوي في حزب بني هاشم، الذي يمثل الجناح الآخر منه بنو العباس، وعلى رأسهم محمد بن علي، على الرغم من كون الأمويين على رأس قائمة المتهمين دائماً، وأن اغتياله كان أمراً مهماً لسلامة الدولة الاموية، لا سيما وأنه كان من العناصر الضعالة والمناوئة لها عهد ذلك.

المؤامرة

يختلف مؤرخو الدعوة العباسية، القدامى منهم والمحدثون⁽¹⁾، حول تفاصيل وفاة أبي هاشم، وظروفها، وإن كانوا متفقين عموماً على مدى أهميتها البالغة، ليس في حياة أبي هاشم الشخصية فحسب، بل في تاريخ الدعوة العلوية - العباسية منذ قيامها حتى إعلان الأخيرة سنة 132هـ، ذلك لأنها صارت من الأسس المتينة التي اعتمدت عليها الأسرة العباسية في إرساء حكمها من الوجهة الشرعية الروحية. على أن اختلاف هؤلاء المؤرخين لم يكن يمتد - بأية حال - إلى جوهر القصة، بمعنى أن جوهر القصة القائم على تنازل أبي هاشم عن حقه بالخلافة للعباسيين، بقي سليماً دون مبرر لاختلاف، وإنما الاختلاف والتناقض كان فيما سوى ذلك.

فبعد أن مر بنا مدى تناقض الروايات التاريخية في شأن تحديد شخصية الخليفة الأموي الذي قيل أنه أمر باغتيال أبي هاشم، واسترجاحنا أنه سليمان بن عبد الملك، نحاول فيما يأتي، استعراض أهم روايات المؤرخين حول قضية (الإغتيال) المشهورة هذه، ملتزمين بالسياق التاريخي لها.

قال ابن قتيبة (ت 270هـ) في وصفه مجريات ذلك الحادث « أن سليمان بعث إلى أبي هاشم وقد أعدَّ في أفواه الطرق رجالاً معهم أشربة مسمومة، وأمرهم إذا أخرج من عنده يعرضوا عليه الشراب.. ثم خرج من عنده في وقت شديد الحر،

(1) تجنب المحدثون البحث في تفاصيل الإغتيال واكتفوا بذكر خلاصته، ويبدو أن ذلك كان تخلصاً من اختلافات المؤرخين القدامى وتناقضاتهم، منهم على سبيل المثال: الدكتور جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص 172 ومصطفى شاكِر: في التاريخ العباسي، دمشق 1957، ج 1 ص 41

فكان لا يمر إلا وقام إليه الرجل بعد الرجل يقول له: هل لك في شربة سويق اللوز، وسويق كذا وكذا يا ابن بنت رسول الله؟⁽¹⁾ ونفسه موجسة منهم، فيقول: بارك الله لكم، حتى إذا خرج إلى آخر الطريق، خرج له رجل من خبائه، وبيده عُس⁽²⁾، فقال له: هل لك في شربة من لبن يا ابن بنت رسول الله؟ فوقع في نفسه أن اللبن مما لا يُسَم، فشرِب منه، ثم مضى، فلم ينشب أن وجد للسم حساً، فاستدل على الطريق إلى الحُمَيْمَة، وبها جماعة من آل عباس، وقال لمن معه: إن متُّ ففي أهلي» ثم توجه فنزل على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فأخبره الخبر⁽³⁾.

ويروي ابن عبد ربه (ت 328هـ) أن أبا هاشم «شَخَص وهو يريد فلسطين، فلما كان ببلاد لخم، ضربوا له أبنية (أخبية) في الطريق، ومعهم اللبن المسموم، فكلما مرَّ بقوم قالوا: هل لك في الشراب؟ قال: جُزِيتُم خيراً، ثم آخرين عرضوا عليه، فقال: هاتوا، فلما شرب واستقر في جوفه قال لأصحابه: إني ميت! فانظروا من القوم؟ فنظروهم قد قوَّضوا أبنيتهم وذهبوا، فقال: ميلوا بي إلى ابن عمي وما أحسبني أدركه، فأسرعوا حتى أتوا الخيمتين أرض الشراة، وبها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فنزل بها⁽⁴⁾.

ولا يشير المسعودي (ت 345هـ) إلى كيفية دس السم إلى أبي هاشم على النحو المذكور، بل ذكر أن سليماناً ضم إليه من سمِّه في الطريق، أي أن الذي دس له السم لم يكن - كما في الروايات السابقة - ينتظره على أفواه الطرق أو في الأخبية، وإنما كان ضمن من كان معه في قافلته بأمر سليمان، «فلما أحس [أبو هاشم] بذلك غدا إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ بالحميمة، وقيل: بكارار من جبال الشراة والبلقاء من أعمال دمشق⁽⁵⁾. وإذا كان المسعودي لم يصرح بماهية السم (الذي دُس في الطريق) ولم يشر إلى أنه كان شربة من لبن أو غيره، فإن صاحب العيون أنبأنا بمزيد من التفاصيل عن ذلك الأمر، إذ يذكر أن الخليفة الأموي (وهو عنده الوليد بن يزيد) لما قضى حوائج أهل

(1) لم يكن أبو هاشم ابن بنت رسول الله، وإنما هو ابن ابن الحنفية.

(2) العس بالضم: القدح العظيم. القاموس المحيط ج2 ص228، بولاق 1301.

(3) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج2 ص141.

(4) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج2 ص194.

(5) المسعودي: التنبيه والإشراف ص292.

المدينة وأراد تسريحهم، بعث إلى أبي هاشم بن محمد سماً في حلواء حملت إليه مثل الزاد، وما يكون للطريق، فلما أكل منها أبو هاشم، أحس بالسّم فتحامل إلى الحميمة، وبها ولد عبد الله بن عباس بنو عمه⁽¹⁾.

ويروي الأصفهاني- في هذا الصدد- رواية هي مزيج من الروایتين السابقتين، تقول أن أبا هاشم لما قدم ليودّع سليمان، أصرّ عليه هذا حتى تغدّى معه في يوم شديد الحر، وخرج نصف النهار، وسار ليلحق الثقل (وهو متاعه) فعطش في سيره، فدسّ إليه سليمان شربة، فلما شربها فترّ، فسقط، وأرسل رسولاً إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وعبد الله بن الحرث بن نوفل (ابن الحرث بن عبد المطلب)⁽²⁾ يعلمهما حاله، فخرجا له فولياهما حتى مات. وإذ كنا قد علمنا - مما سبق- مدى سوء العلاقة بين أبي هاشم والخليفة الأموي، وخروج الأول مغضباً، تبين لنا مدى كذب هذه الروايات، ومجانبتها للواقع، وإلا فكيف يصير الخليفة على أبي هاشم أن يتغدى معه وهو الذي اتهمه بالخيانة وممالأة الأعداء.

أما ابن سعد فلا يعير أية أهمية لقصة السم هذه، ويكتفي بالإشارة إلى أن الوفاة حضرت أبا هاشم في قرية الحميمة وهو في طريقه إلى المدينة⁽³⁾. ولا يظهر صاحب أخبار العباس وفضائله ثقته بها، فيقول «وقد زعم بعض الناس أن سبب موت أبي هاشم كان أن الوليد دسّ إليه حين شخّصَ عن دمشق من سقاه شربة لبن فكان موته بذلك، ولم يذكر ذلك إسحاق بن الفضل وغيره ممن كان يخبره أمره، وذكر أنه مات كمدماً لما رأى من استخفاف الوليد بأمره، فالله أعلم أي ذلك كان⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من إغفال صاحب (أخبار العباس) مسألة الإغتيال بالسّم أو بغيره، وعدم ثقته بها، فإنه جاءنا بوصف أكثر دقة وموضوعية عن مجريات رحلة أبي هاشم من دمشق حتى وفاته في قرية الحميمة، أو قريها، من أرض الشام، حيث يفهم مما ذكره أن أبا هاشم لما خرج من قصر الخليفة الأموي مغضباً، لم يرحل عن دمشق

(1) العيون والحدائق ص 81.

(2) هو ابن عم أبي هاشم ومحمد بن علي، كما يظهر من نسبه، ويتصل ببني أمية عن طريق أمه هند بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، وكنيته أبو محمد، مات بعمان بعد سنة 80 هـ، ابن خياط: طبقات ص 191 وص 202 وص 239.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج 5 ص 126.

(4) أخبار العباس وفضائله، الورقة 86ب.

فوراً، وإنما نزل عند أحد أصحابه من الموالي اسمه فضالة بن نعار، ينتظر رفقة تخرج، فيخرج معها⁽¹⁾، فالتقى هناك بمحمد بن علي العباسي، تلميذه، واتفقا على الرحيل سوية عن دمشق، ولا تحدثا الرواية بشيء عن السبب الحقيقي وراء مصادفة إلتقائهما في منزل واحد، وعمّا إذا كان ذلك نتيجة موعد، أو إتفاق سابق، وأياً كان الأمر، فالظاهر أن محمداً بن علي، لما فرغ من بعض أعماله، خرج بالجميع مغادرين دمشق، وكان مع أبي هاشم عدة من أصحابه، في حين ترك وراءه أخص أتباعه، وهو سلمة بن بحير من بني سلمة، من رهط عامر بن إسماعيل. وكان «من ثقات أبي هاشم ورأس الشيعة معه في حاجة له بدمشق، وقال له: اتبع أثره، فإني أخذ إلى البلقاء مع ابن عمي محمد بن علي [العباسي]، ولن أبرح منزله حتى نلحق، وأحسب القضاء سيحول دون ذلك⁽²⁾». فمن هذا يظهر جلياً أنه ليست ثمة أية مصادفة في تحول أبي هاشم إلى قرية الحميمة متحاملاً على نفسه بسبب السم، كما تذكر الروايات الأخرى، وأنه التقى فيها، مصادفة أيضاً، بمحمد بن علي العباسي، وإنما كان الأمر بعد إتفاق كامل بين الطرفين أثناء اجتماعهما في منزل فضالة في دمشق.

ولا ندري عدد من كان مع محمد بن علي، وكم كان مجموع أفراد القافلة، وهي بلا ريب كبيرة، نظراً لمشقة طريق دمشق - المدينة وخطورته. ومن هو مبعوث الخليفة الأموي الموكل بدس السم لأبي هاشم فيها، إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي بقيت سرّاً غامضاً يصعب الإجابة عليه بشيء.

ومما يزيد الأمر غموضاً ما ذكره صاحب (أخبار العباس وفضائله) وهو من أوثق المصادر وأوسعها، من أن علة أبي هاشم لم تكن بسبب شربه السم في أثناء الطريق، وإنما كانت تلازمه منذ مغادرته دمشق، على أنه لا يتهم أي أيد أموية في ذلك، في حين أن معظم المصادر الأخرى تنص عليه، وهو يسوق قولاً لأبي هاشم نفسه يفهم منه أن مرضه كان من جراء إجابة الخليفة الأموي له، فقد قال «وما مرضي إلا ما داخلني من عتو الوليد⁽³⁾، اللهم فأدل منه ومن بني أميه ومريضه⁽⁴⁾،

(1) أخبار العباس الورقة 82 أ.

(2) أخبار العباس الورقة 80 أ

(3) وقد ذكرنا سابقاً أن الوليد لم يعيش حتى سنة وفاة أبي هاشم، وإنما الذي عاصر الوفاة كان

الخليفة سليمان بن عبد الملك.

(4) أخبار العباس الورقة 83 ب

فهذا السبب إضافة إلى مخالفته لجميع النصوص التاريخية، بعيد عن التصور، لأن أبا هاشم لم يكن بالرجل الضعيف الخوار، حتى يقتله الحزن والكمد لمجرد تعريض أحد الحكام به، وإنما هو رئيس حزب، وصاحب مبدأ سياسي ليس من المتصور التنازل عنه لسبب تافه كهذا.

أبو هاشم في ساعاته الأخيرة

تتفق معظم الروايات على أن أبا هاشم، لما أحس بالموت تحامل على نفسه حتى وصل الحميمة مقر محمد بن علي العباسي. وينفرد الأصبهاني بأنه أرسل قبل وصوله إليها رسولاً إلى محمد بن علي، وعبدالله بن الحرث بن نوفل، يعلمهما بحاله، فخرجا إليه فولياها حتى مات، ودفن بالحميمة من أرض الشام⁽¹⁾. وفي رواية لأبي رباح ميسرة النبأ أن الذي قام على تمريض أبي هاشم كان محمد بن علي نفسه⁽²⁾، فإذا ما علمنا أن الرجلين كانا متلازمين طوال الرحلة، ظهر لنا أن مرض أبي هاشم وتبالغ علته، وقيام محمد بن علي بتمريضه، كان في الطريق، لا في الحميمة نفسها، فهل توفي أبو هاشم في الطريق أيضاً، أم أن وفاته كانت في مقر بني العباس في قرية الحميمة⁵.

هناك روايتان (بدون أسانيد) مختلفتان في الإجابة، ترى الأولى أن وفاة أبي هاشم «حيث أشرف على الشراة»⁽³⁾ (وهي المنطقة التي تقع فيها قرية الحميمة)، وعند الثانية أنه أقام في منزل محمد بن علي العباسي أياماً مريضاً «ثم هلك في منزله ومعه عدة من الشيعة»⁽⁴⁾. ورغم هذا التناقض الواضح بين الروايتين، نجد أن هناك تأكيداً من روايات عباسية أخرى على أن تنازل أبي هاشم عن الخلافة لمحمد بن علي كان في داره بالحميمة، وهي تؤيد الرواية الثانية، التي مصدرها محمد بن علي نفسه. قال عبدالله بن عمير «سمعتُ سالمًا تحدث قال: قال لي محمد بن علي وقد دخلتُ عليه في بيت من بيوته: توفي أبو هاشم في هذا البيت، وقال لي وقد أدنّف ولم أكن أفارقه في مرضه، فإنما عندالله أحسبني لما بي،

(1) الأصبهاني: مقاتل الطالبين ص126.

(2) أخبار العباس الورقة 83 ب.

(3) أخبار العباس، الورقة نفسها.

(4) أخبار العباس الورقة 84 ب.

فأخرج عني من في البيت، فإني أريد أن أعهد إليك، وقال: ومعني داود وسلمان ابنا علي، وعمرو مولانا، فأمرتهم بالخروج⁽¹⁾.

فالإجماع إذاً كان مغلقاً، بين رجلين إثنين، الأول توفي، والثاني (صاحب المصلحة المباشرة فيما سيحصل) عاش وأذاع ما أخبره به الأول عن أعظم مهمة روحية- سياسية لدى المسلمين، ولم يكن هناك أي شاهد يمكن أن يروي ما حدث فعلاً، هذا إذا صدقنا أن الحادثة وقعت في الحميمة، فإن هناك رواية لا يمكن تجاهلها تؤكد على أن وفاة أبي هاشم كانت قبل وصوله بمسافة غير يسيرة، وأن محمد بن علي هو الذي مرّضه حتى وفاته، كما سبقت الإشارة إليه.

وهكذا يتبين لنا أن أيّاً كان موضع وفاة أبي هاشم، ومهما كانت ظروف تنازله عن الخلافة، فمن المؤكد أن مصدرها الوحيد هو بنو العباس، ومحمد بن علي العباسي بالذات، ولذلك فسوف نذكر تلك القصة (قصة تنازل أبي هاشم ووصيته) كما جاءت في الروايات المنسوبة إليه، على الرغم من عدم وجود ما يبرر الثقة فيها.

يوكد محمد بن علي على أن تنازل أبي هاشم له كان في مقر بني العباس (الحميمة)، وهي بلدة من أعمال عمان من أرض الشراة، عند البحر الميت، عدت أحياناً من حدود منطقة البلقاء التي اشتهرت بحودة خطتها وبالقرى الكثيرة والمزارع الواسعة⁽²⁾.

هذا، في حين ينفرد المسعودي في نقله رواية أخرى مفادها أن الحادثة ربما وقعت في (كرار) بين جبال الشراة والبلقاء من أعمال دمشق⁽³⁾. وليس في كتب البلدان ذكر مثل هذا البلد، والظاهر - من وصف موقعه - أنه قريب من الحميمة، لا يخرج عن منطقتها، فهل يمكن أن يكون أبو هاشم قد توفي فيها؟ أغلب الظن أن ذلك ما قد حدث فعلاً، واستناداً إلى الرواية القائلة بأن وفاته كانت «حيث أشرف على الشراة، وليس في الحميمة نفسها، فمن هنا يظهر أن تأكيد العباسيين على جعل مقرهم المذكور هو موضع تسلمهم الخلافة من أبي هاشم، كان للتأكيد على

(1) أخبار العباس الورقة 84 ب.

(2) ياقوت: معجم البلدان ج 2 ص 304 وج 1 ص 489 وج 3 ص 331.

(3) المسعودي: التنبية والإشراف ص 292.

شرعية خلافتهم من الناحية الروحية، وجعلها تبدو وكأنها مُرسلة إليهم من الله «غفواً، من غير جهد وطلب⁽¹⁾، أي دون أن يكون لهم يد فيها .

الوصية

يمكننا تقسيم الروايات التي أشارت إلى مسألة تنازل أبي هاشم عن الخلافة لمحمد بن علي العباسي، إلى قسمين رئيسين، الأول ينص على أن هذا التنازل حصل بطريق المشافهة بين الرجلين، والآخر ينتهي إلى أنه جرى تحريراً، أي بشكل وصية مكتوبة، أو «صحيفة صفراء سلمها أبو هاشم إلى محمد بن علي قبيل وفاته بقليل . وجميع هذه الروايات تكسب الحادثة بُعداً شرعياً خالصاً، في الوقت الذي تُنسب إلى أبي هاشم عدة أحاديث، وتنبؤات تنبئ بخلافة ولد العباس، وتروي تفاصيل ما سيحدث من حوادث مسبقاً، مما لا يصدق عقل ولا يقره منطق .

فمما نُسب إلى أبي هاشم من الكلام، ما رواه محمد علي العباسي عنه أنه قال له: يا أخي! أوصيك بتقوى الله فإنها خير ما توأصى به العباد، ومن بعد ذلك فإن هذا الأمر (يريد الخلافة) الذي تطلبه وتسعى في طلبه، وسعوا فيه، فيك وفي ولدك . حدثني أبي (يعني محمد بن الحنفية) أن علياً قال له: يا بني! لا تسفكوا دماكم فيما لم يُقدّر لكم بعدي، فإن هذا الأمر كائن [في] بني عمكم من ولد عبد الله بن عباس . وحدثني أنه سمع علياً عليه السلام يقول: دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، وأنا عنده في بيت أم سلمة، وهو متوسد وسادة آدم محشوة ليفاً، فألقاها إلى العباس، وقال له أجلس عليها، قال: يا علي! هون على نفسك، فليس لك في هذا الأمر نصيب إلا نصيب خنيس، وإن الأمر في هذا وفي ولده، يأتهم الأمر غفواً من غير جهد طلب حتى تدركوا بتأركم وتنتقموا ممن أساء إليكم .

وواضح من هذا الكلام أنه ما وضع إلا لأجل استمالة العلويين وإقناعهم بحق بني العباس في الخلافة، وبأنهم رجاؤهم الوحيد لأخذ ثأرهم ممن أساء إليهم، وليس هذا فحسب، بل يمضي محمد بن علي العباسي في روايته المزعومة عن أبي هاشم، مضمناً إياها رؤيا ذات صفة تنبؤية مفادها أنه «رأى على عهد رسول الله

(1) أخبار العباس الورقة 85 ب.

(ص) كأن في المسجد مائدة عظيمة وعليها رؤوس غنم، فأقبل أبو بكر فجلس عليها فتناول شيئاً يسيراً ثم نهض، ثم جاء عمر، فأكل منها طويلاً ثم نهض، ثم جاء عثمان فجلس عليها فأكل منها طويلاً ثم نهض، ثم جاء بنو أمية فأكلوا منها طويلاً كثيراً، ثم جاء عبدالله بن عباس وولده، وولد ولده، فأقاموهم وجلسوا وأكلوا جميع ما كان على المائدة ولم أكل معهم، فقصها على النبي (ص) فقال: الحمد لله الذي فتح الإسلام بنا ويختمه بهؤلاء القوم، يكون ثم يختم الأمر بولد عبدالله بن عباس، قال: ثم تلا رسول الله (ص) «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لنستخلفنهم في الأرض.. إلى آخر الآية، وإليك (يريد محمد بن علي بن العباس) هذا الأمر، وفي ولدك يصير، وقد استودعتك من بعدك بذلك، وقد أحببت أن يدخل علي أصحابي الذين رأيت⁽¹⁾. فيقول محمد بن علي: فقلت لعروة: أدخل من أحب، قال فلان وفلان حتى سمي من كان معه ممن ذكرنا اسمه، فلما أدخلوا عليه قال لهم: جزاكم الله خيراً، وصلتونا وتركتم معايشكم ولزمتونا على الكره والضراء، أسأل الله أن يجمع بيني وبينهم في جنة الخلد [وإني] كما ترون، والمريض أعلم بنفسه، وهذا صاحبكم - يعني محمد بن علي - فأتوا به وأطيعوه تُرشدوا فقد تناهت الوصايا إليه، وقد ألقيت ما ألقيت إليكم إلى أخي أخيكم سلمة بن بحير، استودعكم الله الذي لا تخبى الودائع عنده، ولا يضيع من فوض أمره إليه، والسلام عليكم. فبكى القوم وارتفعت أصواتهم بالبكاء، فقال: رحمكم الله، أمسكوا عن الجزع فكل حي هالك!.

قال سالم قال أبو رباح (ميسرة النبال): فظننا أنه حيث قال: قد ألقيت إليكم أنه قد ألقى إليه حيث شخص من دمشق وودعه وهو يناجيه بأمر أخفاه⁽²⁾.

فمن هو ذلك الأمر الذي أخفاه يا ترى؟ أليس قوله «ألقيت ما ألقيت إليكم يفصح عن أنه أخبره بإمامة محمد بن علي العباسي بعده؟ وما ذاك إلا لثقت به واعتماده عليه، فإن كان الأمر كذلك، فليست هناك أية صدفة إذأ في مسألة اختيار أبي هاشم محمد بن علي لخلافته، وإنما كان أمراً مبيئاً منذ حين. وفي رواية أخرى لابن حجر الحضرمي ما يؤيد هذا كل التأييد، فقال «كان قوم من أهل

(1) أخبار العباس الورقة 85 ب.

(2) أخبار العباس الورقة 89 أ.

خراسان يختلفون إلى أبي هاشم، فمرض مرضه الذي مات فيه، فقال له قوم من أهل خراسان: من تأمرنا نأتي بعدك؟ فقال: هذا! وهو عنده، قالوا: من هذا؟ قال: هذا محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، قالوا: مالنا وهذا؟ قال: لا أعلم أحداً أعلم منه ولا خيراً منه، فاختلفوا إليه، قال عيسى: فذاك سببنا بخراسان⁽¹⁾. وسياق هذا النص يدل على أن تلك المسألة لم تحدث إلا في دمشق، حيث كان أبو هاشم مقيماً لدى الوليد بن عبد الملك، وأنها كانت المرة الأولى التي يُعرّف أبو هاشم دعائه بمحمد بن علي، إذ لم يكونوا يعرفونه قبل ذلك، وهو ما يتضح من عبارتهم: ما لنا ولهذا.

فهل كان أبو هاشم قد أخبر دعائه من أهل خراسان باختيار محمد بن علي قبل أن يخبر مقربيه الآخرين بذلك، وما السبب الحقيقي وراء إفشائه لجماعة من الناس، وكتبه على جماعة آخرين.

وتعطي هذه الوصية أهمية خاصة لسلمة بن بحير، باعتباره أقوى دعاة الحزب المخلصين، حتى أن أبا هاشم أخبر محمد بن علي منزلته عنده، وأثنى عليه، بعد أن كان قد أخلى المكان من سائر أتباعه، دلالة على عظيم أهميته وجلالة قدره. قال «قد تخلف عني رجل جبلة الله على حُبنا، وهو لك ثقة في المشهد والمغيب، فألق إليه أمرك وثق فيه فيما لا تثق فيه إلا بنفسك، فإني لم أكن أعدل به أحداً ممن رأيت وإن كانوا أختياراً منتخبين، وهو سلمة ابن بحير، الرجل الذي رأيتي أكرمه ورأيته يقوم بأكثر أمري، وإنما تخلف في حاجتي، وهو يأتني، فإذا أتاك فاقراً عليه مني السلام، وقل له: جزاك الله الحي الذي لا يموت عني خيراً، فكان هذا آخر ما فاه به أبو هاشم، إذ لم يلبث إن توفيت متأثراً بمرضه.

ويلاحظ - فيما تقدم كله من روايات - خلوه من أية إشارة إلى «وصية مكتوبة أو صحيفة صفراء بل أن الأمر لم يتعد كونه حديثاً يفوه به مريض مُحْتَضِر. على أنه لا يمكن إغفال ما جاءت به الروايات الأخرى من أن هناك «وثيقة مكتوبة، أو «كتباً سلّمها أبو هاشم لمحمد بن علي دلالة على تنازله التام عن مهمة الخلافة. وعلى الرغم من غموض هذه الروايات وقلتها، فهي ذات أهمية خاصة في تاريخ الدعوة العباسية، وشرعية قيام دولتها.

(1) أخبار العباس الورقة 78 أ

وفي الواقع فإن نص هذه الوثيقة (أو الكتب) لم يصلنا، على أن وصف بعض المؤرخين لها لا يحمل أية مبررات كافية لتصديق ما جاء فيها (إن صدقنا أنها موجودة فعلاً⁽¹⁾)، وكل ما وصلنا من صفتها يُنبئ بأنها موضوعة من قبل أيدٍ عباسية متأخرة، وذلك لأنها - كما يظهر - مجموعة من النبوءات والملاحم، لم تحدث فعلاً إلا في الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة، أي أثناء قيام الدولة سنة 132، أو بعدها، أو قبلها، بقليل.

ففي رواية مقطوعة السند حدّث بها يونس بن ضبيان «ممن حدّثه عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب» أنه سأل عن آل العباس، هل عندهم من علم شيء؟ قال: نعم، عندهم صحيفة صفراء كانت لعلي بن أبي طالب، وضمن الحسن، وقدم على معاوية بالشام قصاب الحسب والحسين محمد بن علي بن أبي طالب، فانطلق محمد بن الحنفية، فدخل على الحسن والحسين فقال لهما: إنكما ورثتما أبي درى وإن لم يكن رسول الله (ص) ولدني أبوكما، ولكما على الفضل ولا كذب بعض ما أتجمل به من علم أبي، فقد عرفتم حبه كان لي، فقال الحسن للحسين: يا أخي هو أخونا وابن أبنينا، فأعطه شيئاً من علم أبنينا. قال فأعطاه الحسين صحيفة صفراء فيها علم رايات خراسان السود متى تكون وكيف تكون، ومتى تقوم، ومتى زمانها، وعلامتها، وآياتها، وأي أحياء العرب أنصارهم، وأسماء رجال يقومون بذلك، وكيف صفتهم، رجالهم وأتباعهم، فكانت تلك الصحيفة عند محمد بن علي بن الحنفية، حتى إذا حضره الموت، دفعها إلى ابنه عبد الله بن محمد، وهو الذي يُكنيه أبا هاشم، فكانت عنده حتى حضره الموت، وذلك عند مُنصرفه من عند الوليد بن عبد الملك، ومات بالحميمة عند محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فدفع الصحيفة إليه، وأوصاه بما أحب، فكانت عند محمد بن علي، حتى إذا حضره الموت أوصى بها إلى إبراهيم بن محمد بن علي، وكان رئيسهم وسيدهم وكبيرهم⁽¹⁾.

ولا يشير المؤرخون الآخرون إلى شيء من محتويات هذه الصحيفة العجيبة، وإن كانوا قد أنبأوا بأن أبا هاشم قد أعطى محمد بن علي «كُتبه، أو «علامات خاصة. قال ابن سعد «فحضرتة الوفاة فأوصى محمد بن علي بن عبد الله بن

(1) أخبار العباس الورقة 84 أ.

عباس بن عبد المطلب، وقال: أنت صاحب هذا الأمر وهو في ولدك، وصرف الشيعية إليه، ودفع كتبه وروايته⁽¹⁾

وذكر صاحب العيون أن أبا هاشم أفضى إلى العباسيين (دون تعيين محمد بن علي) بالأمر، وكشف لهم حال الدعاة وأعطاهم العلامات، وسلم إليهم خاتماً كان في أصبعه يختم به الكتب إلى الدعاة، وكتب لهم كتباً إلى الشيعة والدعاة بتسليم الأمر إلى بني العباس، وكان هذا في أول رياسة أبي مسلم الخراساني، فرضوا به، وسلموا الأمر إلى بني العباس بإحالة الدعوة إليهم⁽²⁾.

وليس في هذه النصوص كلها ما يشعر بأن تلك الكتب كانت خاصة بمسألة شرعية الخلافة، أو أن من بينها «صحيفة صفراء تحوي شيئاً من العلم الباطن الموروث، وأن فيها «كشفاً للغيب، والمرجح أن أبا هاشم، إن صحت الروايات أنه دفع لمحمد بن علي شيئاً مكتوباً، فإن ذلك لم يكن إلا رسائل عادية يوصي بها دعاته بإطاعة بني العباس، أي أنها كانت أوراق حزبية سياسية ليس لها أدنى علاقة بالروحانيات والغيب. وهو ما دفع بأكثر من مؤرخ إلى إغفالها بوصفها أمراً لا يحوي أية أهمية.

مناقشة

يجدر بنا بعد أن استعرضنا ما جاءت به الروايات من أخبار تنازل أبي هاشم عن الخلافة للعباسيين، أن نحاول مناقشة أهم ما أوردته تلك الأخبار من آراء. من الطبيعي أن الشك بأمر تنازل أبي هاشم ووصيته بأكملها أمر غير مجد، ومن البعيد أن يقودنا إلى شيء جديد ذي بال، وذلك لعدم وجود نصوص كافية موثوقة يمكن الإعتماد عليها في التوصل إلى حقائق جديدة، وسيظل الأمر كذلك طالما بقيت المصادر التاريخية المعهودة هي عدة البحث فقط، فإن لم تظهر أصول جديدة، تعبر عن وجهات نظر متعددة (غير وجهة النظر العباسية المعروفة) فليس بالإمكان الحكم على قصة تنازل أبي هاشم، تلك الحادثة الخطيرة، بحكم جازم ثابت.

(1) الطبقات الكبرى ج5 ص240.

(2) العيون والحدائق ص281.

وسنحاول، فيما يأتي، استنتاج نقاط الضعف في وصية أبي هاشم، كما نقلتها الروايات التي بين أيدينا، قبل أن نأتي إلى نقاط القوة فيها .

1- إن مصدر جميع الروايات التي أُخبرَت بحديث أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي بشأن الخلافة، هو محمد بن علي نفسه، الذي صرَّح بسرية اجتماعه به، وعدم وجود شهود عليه غيره، مما يجعل أمر التأكد من صحة روايته مستحيلاً .

2- إن جميع الروايات التي نقلت عن محمد بن علي نصت على أن تنازل أبي هاشم له كان على شكل وصية شفوية، غير أن هناك رواية عباسية أخرى مهمة مصدرها أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب تنص على أن التنازل جرى على شكل وثيقة مكتوبة، وكل رواية لا تشير إلى الأخرى، مما يجعل أمر التصديق بها موضع شك ونظر .

3- إن جميع ما نقلته الروايات من نصوص الوصية هو تنبرات وكشوف للمستقبل، وإذ كنا نرفض كل ما لا يقبله العقل، تبينت لنا دواعي عدم التصديق بجميع تلك النصوص المأثورة .

4- وإذا أمعن المرء النظر في تلك التنبؤات والغيبيات، ظهر له أنها تشير إلى مدلولات سياسية خاصة تخدم المصالح العباسية بشكل تام، مما يدل على أنها كانت من قبيل الدعايات القوية التي بثتها الدغوة العباسية بعد إزدهار نفوذها، وأهم ما إشتملت عليه تلك التنبؤات المزعومة هو إقناع العلويين بأن مجيء العباسيين إلى الحكم ليس هو انتصار للبيت العباسي فحسب، وإنما هو إنتصار للبيت العلوي أيضاً، وأنه يعد إنتقاماً لآل الرسول من الغاصبين، إضافة إلى ذلك فإن في الوصية المزعومة مدلولاً آخر مفاده إقناع العلويين بعدم جدوى الإعتراض على السلطان العباسي، وأن الثورة ضدهم ضرب من المستحيل، لأن الرسول (ص) أخبر بدوام حكمهم حتى آخر الزمان. ويلاحظ في هذه النبوءة أنها جاءت تفسيراً لرؤيا رآها علي بن أبي طالب نفسه، مما يدل على أن الهدف من وضعها هو إنذار العلويين - بشكل غير مباشر- أن الخروج على بني العباس أمر مخالف لرغبة علي نفسه .

فمن ذلك نفهم أن جوهر نصوص الوصية لم يكن موجهاً للعباسيين، بقدر ما هو موجه إلى البيت العلوي، وأن أساليب الإقناع والوعيد والترغيب الموجه لهم من خلالها وضعت بحسب الخطة الواسعة التي رسمها العباسيون لدعوتهم في مجال

الدعاية حتى أنه يمكن إكمال تلك النصوص بنصوص أخرى قالها العباسيون في بدء إعلان دولتهم في الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة، ومنها على سبيل المثال خطبة أبي العباس، وخطبة داود بن علي في الكوفة⁽¹⁾.

إن توجيه الوصية المزعومة اهتمامها إلى أتباع العلويين تفسر الأحوال الإجماعية والسياسية التي كانت سائدة في تلك الحقبة، فقد لاحظنا أن مقر الحركات العباسية في المشرق كان في الكوفة، حيث يتجمع أغلب الناقمين على بني أمية، وعلى رأسهم الشيعة، ولم يكن هذا الأمر بخاف عن القادة العباسيين، يدل على ذلك خطبة محمد بن علي العباسي حين يقول «أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده»⁽²⁾. وكان لزاماً على أولئك القادة أن يقوموا بدعايتهم بين صفوف أهل الكوفة، مقرهم، في محاولة لاستقطاب كافة القوى السياسية للعمل للدعوة العباسية الناشئة.

5- حاول العباسيون بتأكيدهم على قضية تنازل أبي هاشم عن الخلافة الشرعية لهم، إظهار الأمر وكأنه وراثته حقيقية طبيعية لجميع حقوق بيت علي في الإمامة، وأن ترتيب حادثة التنازل على الصورة التي أذاعوها كان محض إرادة إلهية خالصة قد قررت ذلك مسبقاً. على أن الحوادث المقبلة أثبتت خطأ تلك الدعاوى نتيجة تمسك أفراد البيت العلوي الآخرين بالخلافة، وقيام ثورات علوية متعددة لم تبق لفكرة وراثته الحقوق الشرعية أي معنى.

6- والظاهر أن تمسك الدعاية العباسية بفكرة التنازل هذه لم تكن إلا شعاراً لمرحلة معينة مرت بها الدعوة والدولة في سنها الأولى، كان الهدف من ورائه إستمالة الأحزاب السياسية الأخرى إليها لشد كيانها وتثبيت جذورها. وفي الواقع فإن هذه الدولة الجديدة ما أن شعرت بتعاظم سلطانها ورسوخ أسسها حتى تنكرت لهذا الشعار، فألغت فكرة شرعية خلافتها عن طريق تنازل أبي هاشم، وجعلت سندها الشرعي - بدلاً من ذلك - عمومة العباس للرسول (ص). ومن هنا نشأت نصوص جديدة وتبؤات هدفها إقامة أسس الدولة على نحو عباسي بحت مستقل عن كل تأثير علوي.

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3 ص 29 واليعقوبي: التاريخ ج 3 ص 17.

(2) الهمداني: البلدان ص 39

والملاحظ أن تنكر العباسيين لفكرة وراثتهم حقوق الإمامة عن العلويين تم رسمياً على عهد الخليفة المهدي العباسي (من 158-168هـ) وهو لم يحدث إلا بعد إنفصال سياسي سابق تمثل في الثورات المتكررة التي قادها العلويون ضد النظام العباسي، وأهمها ثورة محمد ذي النفس الزكية سنة 145هـ، فلم يعد من المعقول أن تتسبب الدولة شرعيتها إلى حزب يقف منها موقف العدو المتحفظ. والواقع أننا نلاحظ بوادر هذا الإنفصال بين الطرفين منذ ثورة ذي النفس الزكية، فقد أنكر هذا الثائر قصة انتقال حق الخلافة إلى بني العباس في رسالة بعث بها إلى المنصور. قال فيها « إن أباناً علياً كان الوصي، وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟ فما كان من المنصور إلا أن أنكر التنازل برمته بوصفه نقطة ضعف، ذاكراً بأن مشروعية الخلافة العباسية لا تستند إلى أي أحد سوى على إنصالتها بالعباس عم النبي محمد (ص)، فكان ذلك القول بمثابة أول هدم لفكرة تنازل أبي هاشم ووصيته.

ثم أن هذه الفكرة تتوسيت وأغفلت تماماً من قبل الخلفاء العباسيين المتأخرين، إذ لم يشر أحد منهم إليها في خطبة أو حديث، وحتى المؤرخين أنفسهم شعروا بعدم جدوى التأكيد على هذه الرواية، فيعترف المقرئ بأن وصول بني العباس إلى السلطة لم يكن إلا بسبب «القوة» و«الغلبة». فيقول « وإياك والإعتراض على ما تقدم بأخذ بني العباس بن عبد المطلب بن هاشم الخلافة، وأنهم أقاموا خلفاء نيفاً عن خمسمائة وعشرين سنة، فإن الخلافة إنما صارت إليهم بعدما ضعف أمر الدين وتخلخلت أركانه، وتداول الناس أمر الأمة بالغلبة، فأخذها حينئذ بنو العباس بأيدي العجم أهل خراسان، ونالوها بالقوة ومناهضة الدول ومشاورة الملوك حتى أزالوا بعجم خراسان دولة بني أمية⁽¹⁾

وهكذا لا يكلف المقرئ، وهو المؤرخ المدقق، نفسه بالبحث عن أية وصية أو سند شرعي يبرر انتقال الخلافة عن طريق أبي هاشم إلى العباسيين، بل يرى أن حقهم تمثل في أنهم استطاعوا الوصول إلى الحكم بالقوة، وكأنه يريد أن يقول إن الحكم للأقوى لا أكثر.

(1) المقرئ: النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، ليدن 1888 ص50.

6- لقد كانت وصية أبي هاشم موضع شك أكثر من المؤرخين المحدثين، فمالوا إلى نسبتها إلى أشياع العباسيين الذين أرادوا أن يثبتوا حق العباسيين في الخلافة من هذا الطريق⁽¹⁾.

ومن أهم هؤلاء المستشرق يوليوس ولهاوزن، فإنه استرّج كون الوصية بكاملها «خيالية»⁽²⁾، ولكن تردده في الأمر أوقعه في إضطراب عجيب، فقد ذكر، بعد نفيه لها مباشرة، أنها يجب أن تكون أقدم لأن مشاهديها عديدون⁽³⁾، ولم يصرح ولهاوزن بما عناه بالضبط بشأن قدّمها، كما أنه لم يجد من هؤلاء المشاهدين العديدين الذين أشار إليهم سوى إثنين فقط، عما المدائني (ت 215هـ) في تاريخ الطبري، وابن سعد (ت 230هـ)⁽⁴⁾ فأثبتهما في الهامش، مع أن كلا من الرحلين لم يصرحا بأنهما رأيا تلك الوصية بنفسيهما⁽⁵⁾، فضلاً عن تأخر زمنهما بالنسبة إلى تاريخ الحدث المذكور.

7- أن مصدر القوة الوحيد في رواية وصية أبي هاشم، هو ما ذهب إليه فان فلوتن⁽⁶⁾، وموسكاتي⁽⁷⁾ بملاحظتهما أنه على إثر وفاة أبي هاشم سنة 98 أو 99 خرج العباسيون من التستر إلى الثورة السافرة وتحركت شيعة العراق لمعارضتهم. وعلى الرغم من قوة هذه الملاحظة المستندة على الربط بين الحادثتين، وفاة أبي

(1) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (أبو هاشم)، الترجمة العربية.

(2) الظاهر أن ولهاوزن حاول الإستدلال بما ذكره الشهرستاني من أن أبا هاشم أوصى عبد الله بن عمر بن حرب الكندي، مع أن هذه ليست إلا دعوى وأهية كما يبدو من أخبار (الحرية) أنصار الكندي المذكور.

(3) ولهاوزن: الدولة العربية وسقوطها ص 398 و399.

(4) المرجع نفسه وهامش الصفحة 398.

(5) الطبقات الكبرى ج 3 ص 24 وابن سعد: طبقات ج 5 ص 240.

(6) السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات ص 93، ومما يلفت النظر أن ولهاوزن أشار إلى أن فان فلوتن أكد على أهمية هذه الوصية (الدولة العربية وسقوطها ص 368) ومثله ما أشار إليه الدوري حيث قال ويؤكد فان فلوتن على أهمية الوصية (العصر العباسي الأول ص 21) فلعله نقل عن ولهاوزن عبارته، في حين أن فان لوتن لا يذهب إلى هذا الرأي المنسوب إليه على الإطلاق، وكل ما في الأمر أنه لخص الرواية مصدراً إياها بعبارة (ويقال) وفي هذا دلالة على عدم وثوقه بها. فليس ثمة مجال لأن يقال أنه أكد عليها.

(7) دائرة المعارف لفضّاد أهرام البستاني، مادة أبي هاشم ج 5 ص 192.

هاشم وخروج العباسيين، فإننا لا نجد فيها ما يؤيد وجود أية وصية، أو تنازل حدث بين الطرفين، فضلاً عن شكل الوصية ومضمونها.

موقف الأحزاب الأخرى من وصية أبي هاشم

لا بد لنا، ونحن في صدد وصية أبي هاشم إلى محمد بن علي العباسي، وتنازله عن الخلافة، أن نستعرض مواقف الأحزاب والجماعات الأخرى من هذا الأمر، ودرجة تأييدها أو معارضتها له.

وعلى الرغم من قلة معلوماتنا عن تلك الأحزاب والجماعات، وغموض أخبارها، فإنه يمكننا أن نلمح مما أثر عنها أن أغلبها لم يكن مؤيداً لقضية التنازل هذه برمتها، وأن الحزب الوحيد الذي بقي متمسكاً بها هو الهاشمية، الفرقة الكيسانية الأصل، وذلك أن أتباع أبي هاشم لم يتفقوا بعد وفاته على شخصية خليفته، مما أدى إلى إنقسامهم إلى عدة فرق، لعل من أهمها:

1- فرقة قالت بأن الإمامة (الخلافة) بعد أبي هاشم لابن أخيه الحسن بن محمد بن الحنفية، وإن أبا هاشم أوصى إليه ثم أوصى الحسن إلى ابنه علي بن الحسن وهلك، فلم يعقب، فهم ينتظرون رجعة محمد بن الحنفية⁽¹⁾.

2- فرقة عرفت بـ(البيانية) نسبة إلى بيان بن سمعان التميمي «زعموا أن أبا هاشم أوصى إلى بيان المذكور وأنه لم يكن له أن يوصي بها إلى عقبه⁽²⁾. وكان كثير من أتباعه يقولون أنه كان نبياً، وأنه نسخ بعض شريعة محمد (ص). وقالوا: هو المراد بقوله (هذا بيان للناس) بل ذهب بعضهم إلى أنه كان إلهاً» وقالوا أن روح الإله قد حل فيه، وأنه يحل في الأنبياء الأئمة من واحد إلى واحد وآخر. وقالوا: إن روح الإله قد انتقل من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية إلى بيان، وكان يدعي لنفسه الإلهية على معنى الحلول، وكان يدعي أنه يعرف اسم الله الأعظم، وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه، فلما وصل خبره إلى خالد بن عبد الله القسري ضلّبه وكفى الله شره⁽³⁾.

(1) الأشعري: مقالات الإسلامية ج1 ص2- والشهرستاني: الملل والنحل ج1 ص151.

(2) الرازي: كتاب الزينة، الورقة 241 والأشعري ج1 ص22 والإسفرائيني: التبصير في الدين ص72 والفخر الرازي: اعتقادات المسلمين ص57.

(3) الأسفرائيني: التبصير في الدين ص72 و73.

3- فرقة عُرفت بـ (الحريرية)، قالت أن أبا هاشم أوصى إلى عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي، وأن الإمامة خرجت من أبي هاشم إلى عبدالله، وتحوّلت روح أبي هاشم إليه. وكان عبدالله هذا على دين البينانية في دعواها أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى أبي هاشم⁽¹⁾، ثم إليه، فكان يدعي نفسه الإلهية على معنى الحلول⁽²⁾.

4- لم يكن عبدالله الكندي ذو سلوك مُرض، وما كان يرجع إلى علم وديانة، فاطلع بعض القوم على خيانتة وكذبه، فأعرضوا عنه⁽³⁾، وصاروا إلى المدينة يلتمسون إماماً، فلقوا عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب «فدعاهم إلى أن يأتوا به فاستجابوا له، ودانوا بإمامته، وادعوا له الوصية⁽⁴⁾»، وهكذا انقسمت الحريرية إلى قسمين، قسم بقي على إيمانه بعبدالله الكندي، وقسم آمن بعبدالله بن معاوية، فإن كل واحد منهما يدعي الوصية عن أبي هاشم إليه، ولم تكون الوصية على قاعدة معتمدة⁽⁵⁾.

وحاول الفريق الأخير إرجاع إمامة ابن معاوية إلى أبي هاشم مباشرة، فقالوا: أن أبا هاشم دفع الوصية إلى صالح بن مدرك، وأمره بحفظها حتى يبلغ عبدالله بن معاوية، وذلك بأنه كان صغيراً، فلما بلغ، دفعها إليه، وعبدالله بن معاوية هو صاحب أصفهان، الذي قتله أبو مسلم في جيشه، وسموا هؤلاء (الحارثية) نسبة إلى رئيس لهم كان يقال له عبدالله بن الحارث، من أهل المدائن⁽⁶⁾. وهكذا يبدو أن كثيراً من فرق الشيعة لم تتفق على وصية أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي، وأنها اختلفت فيما بينها على هوية الخليفة الحق، إلا أن السلطان العباسي استطاع القضاء على هذه الدعوات، ولو باستعمال القوة العسكرية ضدها أحياناً.

(1) البغدادي: الفرق بين الفرق ص151.

(2) الأسفرائيني: التبصير في الدين ص73 والخوارزمي: مفاتيح العلوم ص30

(3) الشهرستاني: الملل والنحل ج1 ص151.

(4) الأشعري: مقالات الإسلاميين ج1 ص22.

(5) الرازي: أبو حاتم: كتاب الزينة ، الورقة241 والشهرستاني: الملل والنحل ج1 ص151.

والنوبختي: فرق الشيعة ص29

(6) الرازي: أبو حاتم: كتاب الزينة الورقة242

ابن نُجَيْم الحنفي وفكرة التوارث الدولي

هو العلامة، الفقيه، الأصولي، الحنفي، زين الدين أو زين العابدين⁽¹⁾ بن ابراهيم بن محمد بن محمد بن بكر، ابن نُجَيْم، المصري، من كبار فقهاء المدرسة الحنفية في القرن العاشر للهجرة، ولد في القاهرة سنة 926هـ/1519م⁽²⁾، وانصرف منذ شبيبته الى طلب العلوم، لا سيما الفقه، تُعِينه على درسه نباهة ظاهرة، وذكاء حاد، وقدرة فائقة على الحفظ. وبلغ من إحاطته بالمصادر الفقهية أنه لم يُبق كتاباً منها في القاهرة، وهي في قمة ازدهارها العلمي آنذاك، إلا أحاط به وهيمن على مادته العلمية وأفاد منه في تأليفه⁽³⁾. فقال «إن الفقه أول فنونى، طالما أسهرت فيه عيونى، وأعملت بدنى أعمال الجد ما بين بصري وبدنى وظنونى، ولما أزل منذ زمن الطلب أعتنى بكتبه قديماً وحديثاً، وأسعى في تحصيل ما هُجِرَ فيها سعياً حثيثاً، إلى أن وقفت منها على الجم الغفير، وأحطت بغالب الموجود في بلدتنا القاهرة، ومطالعةً وتأملاً بحيث لم يفتنى منها إلا النزر اليسير.. مع ضم الإشتغال والمطالعة بكتب الأصول من ابتداء أمري»⁽⁴⁾.

وتلقى الفقه على كبار العلماء المصريين في عهده، ذكر مترجموه منهم: شرف الدين البلقيني، وشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن يونس المصري الحنفي الشهير بابن الشلبي (ت: 947 هـ)، وأمين الدين بن عبد العال الحنفي (ت: 968 هـ)، و أبو الفيض السلمى، وعلى بن سليمان نور الدين الديلمى المالكي، (ت: سنة 947هـ)، وقد أخذ عنه في العلوم العقلية وعلوم العربية، وقاسم بن قطلوبغا⁽⁵⁾،

(1) اكتفي هو بذكر اسمه، في مؤلفاته، على النحو الاتي (زين) فحسب. ونقل علي مبارك عن حاشية ابن عابدين على الدر المختار أن زين هو اسمه العلمي. الخطط التوفيقية ج5 ص17.
(2) قاله هبة الله افندي البقلي التاجي في شرحه الأشباه والنظائر ناقلاً من تلميذه العلمي. تنظر ترجمته في مقدمة كتابه (البحر الرائق) بتحقيق زكريا عميرات، بيروت 1418هـ/1997م ص8.

(3) ذكر في مقدمة كتابه الاشباه والنظائر قائمة تضم 73 كتابا في فقه الحنفية هي مصادره في تأليف هذا الكتاب.

(4) الأشباه والنظائر ص16.

(5) هكذا في مصادر ترجمته، وبالطبع فإنه ليس أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوبِغَا السُّودُونِي الجمالي الحنفي، فإنه توفى سنة 879

وبرهان الدين الكركي⁽¹⁾، وأبو الفيض السلمي، وغيرهم. فأجازوه بالإفتاء والتدريس، فأفتى ودرّس في حياة أسيّاخه، «وانتفع به خلائق كثيرة». كما أخذ الطريقة على يد الشيخ الصالح سليمان الخضيرى المصرى الشافعى، المتوفى سنة 961هـ.

وأشاد بعلمه ولده الشيخ أحمد، فقال «كان عمدة العلماء المسلمين، ونتيجة الفضلاء الماهرين، وختام المحققين والمفتين»⁽²⁾، وأثنى على خُلقه الرفيع العلامة عبد الوهاب الشعراوي (الشعراني)، المتوفى سنة 973هـ وكان من أقرب الناس إليه، وهو الأدرى به، فقال «صَحْبُهُ عشر سنين، فما رأيت عليه شيئاً يشينه، وحجبت معه في سنة 953 فرأيتَه على خلق عظيم مع جيرانه وغلمانِه ذهاباً وإياباً، مع أن السفر يُسفر عن أخلاق الرجال». وقال جامع رسائله الخطيب محمد بن عبدالله التمرياشي المتوفى سنة 1004هـ «أستاذنا شيخ الإسلام، بركة الأنام، قدوة المشايخ العظام». وقال نجم الدين محمد بن بدر الدين الغزي المتوفى سنة 984هـ أنه «الشيخ العلامة المحقق المدقق الفهامة».

ومما دلّ على رقة طبعه، وحُسن خلقه، أنه بعد أن أُوِّفِيَ في تعريفه حد الفقه، قال «هذا كله معنى الفقه عند الأصوليين، وأما معناه الحقيقي له عند أهل الحقيقة فما ذكره الحسن البصري، كما نقله أصحاب الفتاوى في باب الطلاق، ومنهم الولوالجي⁽³⁾ بقوله «هل رأيت فقيها قط؟ إنما الفقيه المُعرض عن الدنيا، الزاهد، البصير بعيوب نفسه»⁽⁴⁾.

(1) هكذا في مصادر ترجمته، وهو ليس ابراهيم بن عبد الرحمن الكركي، من قضاة الحنفية، فإنه توفى سنة 922هـ

(2) تنظر ترجمته في ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب فس أخبار من ذهب، ج 1 ص 523 و محمد بن محمد الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق خليل منصور، دار الكتب المنصورة القاهرة 1418هـ ج 3 ص 137 و محمد عبد الحق اللكنوي: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تحقيق محمد بدر الدين ابو فراس الغساني، دار الكتاب العربي، القاهرة ص 134-135. علي مبارك الخطط التوفيقية الجديدة، المطبعة الاميرية في بولاق 1305 ج 5 ص 17-18 والزركلي: الاعلام ج 3 ص 104 ويوسف اليان سركيس: معجم المطبوعات ج 1 ص 265-266

(3) ظهير الدين ابو المكارم عبد الرشيد الولوالجي، المتوفى سنة 710هـ

(4) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ص 16.

ذكره ابن العماد الحنبلي في وفيات 970 وقال أنه توفى في صبيحة يوم الأربعاء من رجب (3 آذار 1563م). وقال الغزّي أنه توفى سنة 969 «كما أخبرني بذلك تلميذه الشيخ محمد العلي»، وقال اللكنهوي «والذي رأيته في ديباجة الرسائل الزينية التي جمعها أبوه أحمد أنه أرخ وفاة والده سنة 970، وكما ذكره السيد أحمد الحموي في حواشي الأشباه نقلاً عن بعض الفضلاء انه توفى في ثمان مَضَيْن من رجب سنة 970».

ودُفن - رحمه الله- في جوار القبر المنسوب إلى السيدة سُكينة بنت الحسين رضي الله عنهما، قريباً من دار الخلافة في القاهرة⁽¹⁾.

مؤلفاته

1- البحر الرائق شرح كنز الدقائق: شرح فيه كتاب كنز الدقائق في فروع الحنفية، للإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة 710هـ ووصل في شرحه إلى آخر كتاب الإجارة ثم توفى قبل أن يتمه، فأتته الشيخ عبد القادر بن عثمان القاهري الشهير بالطوري المتوفى سنة 1030هـ مفتي الحنفية بمصر، وقد اعتنى العلماء بشرحه عناية كبيرة، ومنهم الشيخ محمد أمين الشهير بابن عابدين المتوفى 1252هـ فكتب حواش أسماها (منحة الخائق على البحر الرائق)، وطبع الكتاب مع حواشيه هذه بالمطبعة العلمية بالقاهرة سنة 1311هـ في ثمان مجلدات، ثم طبع بعدها بالمطبعة الميمنية سنة 1323هـ في ثمان مجلدات أيضاً. وحققه الشيخ زكريا عميرات، وصدر عن دار الكتب العلمية في بيروت سنة 1418هـ/1997م.

2- الفوائد الزينية. وهو كتاب مختصر في الضوابط والاستثناءات⁽²⁾.

3- الأشباه والنظائر في فروع الحنفية. سلك فيها مسلك الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي الشافعي في كتابه الأشباه والنظائر، وصار كتابه عمدة الحنفية ومرجعهم، وكتبوا عليه الشروح واشتغلوا به ترتيباً وتبويماً ونظماً، وقد طبع الكتاب بكلته بالهند سنة 1241 ثم طبع بمطبعة وادي النيل بمصر

(1) الخطط التوفيقية ج 5 ص 18

(2) مقدمة الأشباه والنظائر ص 14

سنة 1298، وبهامشه تقييدات للشيخ محمد علي الرافعي، وفي بيروت، دار الكتب العلمية 1999 بتحقيق زكريا عميرات.

4- بُب الأصول مختصر تحرير الأصول للإمام محمد بن عبد الواحد كمال الدين ابن الهمام (المتوفى سنة 861هـ).

5- شرح المنار. وهو منار الأنوار في أصول الفقه الحنفي، لحافظ الدين النسفي قال «وشرحت المنار شرحاً جاء - بحول الله وقوته - فائقاً على نوعه»⁽¹⁾

6- تعليقة على الهداية في شرح بداية المبتدي، لعلي بن أبي بكر الفرغاني المرغيناني (المتوفى 593هـ).

7- حاشية على جامع الفصولين لمحمود بن محمود بن اسماعيل المعروف بابن قاضي سماونة الحنفي المتوفى سنة 823هـ)

8- الفتاوى الزينية، وهي واحدة وأربعون رسالة مستقلة في الفقه، لكل منها عنوانها وموضوعها، وصفها الغزي بأنها «كلها حسنة جداً». جمعها ورتبها على ابواب الفقه الخطيب التمرتاشي محمد بن عبد الله، نسخة منها في مكتبة جامعة الملك سعود برقم 1293

اشى عليها احد الفضلاء بقوله⁽²⁾:

هذا الكتابُ عديم المثل في الكُتُب لكونه حاوياً للنفع في الزمن
لعالم الوقت والأزمان سيدنا تاج المعالي وبيت الفخر والفظن

9- تعليقات وحواش ومباحث عديدة.

قال الشعراني «وأما تعاليقه على هوامش الكتب وحواشيتها، وكتابته على أسئلة المستفتين، والأوراق التي سوّدها بالمباحث الرائعة، فشتى لا يمكن حصره. ولولا معالجة الأجل قبل بلوغ الأمل لكان في الفقه وأصوله، وفي سائر الفنون، أعجوبة الدهر»⁽³⁾.

(1) الاشباه والنظائر ص 16

(2) كتب هذان البيتان على طرة المخطوط المحفوظ في مكتبة الملك سعود.

(3) الطبقات الكبرى، نقلًا عن ترجمته في مقدمة كتابه (البحر الرائق) بتحقيق زكريا عميرات،

مشاركته في الحياة العامة

وعدا ما ذكره مترجموه من الإشارة الى عنوانات مؤلفاته، وبعض أسماء شيوخه وتلامذته، فإننا لا نعلم عن مشاركته في الحياة العامة شيئاً، مع أنه عاش منعطفاً سياسياً خطيراً كان له تأثيره على مجمل تاريخ بلاده في العصور التالية، وترك آثاره على غيرها من البلاد الاسلامية أيضاً، ففي سنة 923 هـ، تعرضت بلاده مصر الى فتح عسكري على يد السلطان العثماني سليم الأول، وكان من نتائج هذا الفتح، أن فقدت مصر استقلالها وغدت منذ ذلك الحين مجرد ولاية عثمانية تابعة.

ولا نشك في أن ابن نجيم، وهو القاهري الصميم، قد سمع من أسرته، ومن شيوخه، أطراف ذكرياتهم عن ذلك الحدث الجسيم، يوم انهارت القوات العسكرية المصرية أمام قوات الينكجيرية (الانكشارية) العثمانية في معركة الريدانية الحاسمة في ضواحي القاهرة الشرقية، لتبدأ بعدها حرب شوارع مريعة استغرقت نحو ستة اشهر⁽¹⁾، حقق فيها سكان القاهرة، ملتحمين بقيادة فرسان المماليك، انتصارات مهمة، وألحقوا الهزائم بالقوات المهاجمة، قبل أن ينقلب ميزان المعارك الى صالح السلطان سليم فتتكرر قوات المماليك، ويؤسس السلطان المملوكي طومان باي ويعدم، فتسقط بذلك الدولة المملوكية بيد أعدائها على نحو كامل. وقد عاش ابن نجيم بعد هذا الحدث حياته حتى وفاته - رحمه الله تعالى - في القاهرة في سنة 969هـ أو 970هـ، وشهد في خلال هذه المدة حكم اربعة عشر والياً عثمانياً، آخرهم مصطفى باشا الشهير بشاهين.

ولم يكن ما حدث أمراً عادياً بأية حال.

فقد فقدت مصر منذ ذلك الحين مركزها الدولي بوصفها دولة ذات سيادة، لها ممتلكاتها الكثيرة في قارتي آسيا وافريقيا، وتشمل في الأولى بلاد الشام كلها وبلاد الجزيرة وشطراً من جنوبي الأناضول، حيث تقع إمارة ذولقادر الحليفة لها، كما تشمل جنوباً بلاد الحجاز كلها وصولاً الى اليمن حيث توجد قواعد أسطولها هناك، وفي أفريقيا كانت سيادتها تمتد لتشمل منطقة برقة، اي النصف الشرقي من ليبيا اليوم، مع امتداد جنوبي يشمل بلاد النوبة، أي معظم شمالي السودان

(1) ابن اياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج5 ص207

الحالي. أما في البحر، فكانت تسيطر على شرقي البحر المتوسط، وعلى البحر الأحمر كله. ومن الناحية التاريخية فقدت مصر دورها الشرعي القائم على ركنين مهمين، أولهما أنها تعد - منذ انتقال الخلافة العباسية من بغداد الى القاهرة- الحاضنة والحامية لهذه الخلافة والمثلة لها، وثانيهما أنها كانت الحامية الوحيدة للحرمين الشريفين، أهم مقدسات العالم الاسلامي، وهو ما جعل سلاطينهم يتلقبون عن جدارة بلقب (حامي الحرمين الشريفين). وكانت للدولة المصرية علاقاتها السياسية والدبلوماسية مع كثير من الدول والقوى السياسية في العالم الاسلامي او في اوربا .

أما في الداخل، فقد فقدت مصر حكم طبقتها الحاكمة من المماليك، بل فقدت لقب السلطنة ذي المهابة في العالم الاسلامي منذ أن أطلقه السلاجقة على أمراءهم في القرن الخامس للهجرة، وصحيح أن السلطان سليم لم يستطع القضاء على المماليك بوصفهم طبقة قوية عسكرية، إلا أنهم فقدوا أهميتهم الخارجية بوصفهم حكام مصر وتوابعها الوحيدون، وصاروا خاضعين من الناحية الرسمية لسيادة السلطان العثماني في القسطنطينية. وهكذا كان على المجتمع المصري التعامل مع نوعين من الحكام، المماليك من جهة وممثلي الدولة العثمانية من جهة أخرى. وهو ما يفرض وضعاً معقداً يشمل شؤون الإقطاع والوقف والملكية الفردية، ففي ظل النظام الإقطاعي العسكري الذي كان مطبقاً في مصر منذ نهاية حكم الايوبيين، كان أمراء المماليك الكبار يحوزون على اقطاعاتهم مقابل تجهيزهم القوات العسكرية التابعة لهم للحرب كلما اقتضى الامر، وهو نظام يشبه في بعض الجوانب نظام الإقطاع العسكري العثماني المعروف باسم التيمار، فالأمراء التيماريون يقطعون أراضيهم مقابل تجهيز تلك القوات، لكنهم يخضعون لمركزية الدولة وحدها وليس لزعمائهم. وهكذا فإن ارتباط ملكية الارض بالحياة العسكرية كان يفرض على الإقطاعي واجب حماية البلاد، ومن ثمة كان وجه هذا التعقيد .

أما من الجانب العثماني المقابل، فكان فتح مصر ثم ضمها الى الدولة العثمانية، يمثل حدثاً جديداً ومعقداً من كل النواحي، ذلك أن العثمانيين كانوا قد توسعوا ، في عهدهم الأول، في الاناضول، بوصفهم يمثلون الطليعة لإمارات الاناضول التركية الإسلامية التي سبق لها ان صنعت أوطانها من ممتلكات الدولة

البيزنطية، وحينما توسعت دولتهم بسرعة في اوروبا الشرقية فقد كان ممكنا تبرير ذلك بأنهم يحملون راية الايمان في مواجهة دار الحرب، وحتى حينما انطلقوا فاتحين العراق وايران كان التبرير الشرعي لذلك التوسع هو ضرب القوى التي مرقت من الاسلام ودفعها عما سيطرت عليه من العالم الاسلامي السني، إلا إنها حينما دخلت بلاد الشام وأسقطت مصر، نشأ وضع معقد للغاية من الناحية الشرعية، إذ لم تعد المبررات السابقة للتوسع كافية لتبرير ضمهم هذه البلاد الجديدة، فمصر لم تكن دار كُفر، لتفرض عليها أحكام دار الحرب، وهي لم تكن أيضاً بلاد بغي، وفيها الخليفة العباسي رمز الشرعية التي تجعل من الخروج عليه بغياً، ثم أنها بلاد أهل السنة تتمثل فيها مذاهبهم جميعاً، ومنها المذهب الحنفي الذي يتبعه العثمانيون أنفسهم، وعلى الرغم من غرابة الفتوى الذي برر بها شيخ الاسلام في الدولة العثمانية العمل العسكري الذي اتخذه السلطان سليم لفتح مصر، وهي أن المماليك يضربون اسم الله تعالى على السكة، وهو أمر مكروه، فإن الوضع القانوني للأراضي المصرية، ظل يحتاج الى فتاوى أكثر جدية.

وهنا جاء دور ابن نجيم الحنفي ليناقد هذا الامر.

مناقشات حول وراثة الدولة المصرية

ناقش الفقيه الكبير المبرر الشرعي لغزو السلطان سليم الأول مصر، وردّ على فتوى شيخ الإسلام بجوازه، بتقريره أن «كتابة اسم الله تعالى على الدراهم، إن كان يقصد العلامة، لا يُكره»⁽¹⁾، وفي هذا الرد إسقاط كامل للحجة العثمانية في تبرير غزو مصر، فإذا كانت هذه الحجة باطلة صار كل ما ترتب عليها باطلاً وإن لم يصرح بذلك تصريحاً. ومما يلفت النظر أنه اشترط في الإمام أن يكون قرشياً⁽²⁾، مع أنه يعلم بالطبع بعدم توفر هذا الشرط في السلطان المذكور، ومن الناحية الشكلية فهو متوفر في الخليفة العباسي الذي كان السلاطين المماليك يحكمون بإسمه.

ثم أنه تناول التدايعات الشرعية لضم مصر للدولة العثمانية في عدد من فتاواه، أبرزها رسالته التي عنوانها (التحفة المرضية في الأراضي المصرية)⁽³⁾، ذكر

(1) الأشباه والنظائر ص 24

(2) الأشباه والنظائر ص 325

(3) مخطوطة المكتبة الأزهرية برقم 33784

في أولها «لما كثر الكلام في سنة ثمان وخمسين وتسعمائة في حكم المبايعة من بيت المال واستمر مدة طويلة في صحة الوقف وحكم المبايعة من بيت المال والخراج من بيت المال سألني جماعة أن أكتب رسالة مختصرة ونبذة محررة مشتملة على بيان هذه الأحكام لعل أن يعمل بها الحكام».. وواضح أن هذه القضية كانت من الأهمية ما جعلها تشبه أن تكون قضية (رأي عام) استغرق نقاشها مدة طويلة. ولم نجد في كتب تاريخ مصر إبان هذه الحقبة ما يدل على سبب قيام هذه القضية، إلا أن القاعدة التي قررها بعد هذا، وهي التي تنص على «أن الإمام نُصِبَ ناظراً لمصالح المسلمين» توحي بأن القائم بالمبايعة هو الإمام نفسه، أي من يتولى مهام السلطة العليا في الدولة، ومن المفهوم أن الذي كان يتولى هذه المهام، في العهد الجديد، هو السلطان العثماني أو من ينيبه عنه. كما أن من المفهوم أنه ليس من حق الناظر أن يبيع أموال المسلمين وإنما أن يشرف على استثمارها فحسب، فهو هنا كالوصي على اليتيم، يرباه ويرعى مصالحه لكنه لا يتصرف فيها لنفسه، فالسلطان العثماني هو بمثابة الوصي أما اليتيم فهو الشعب الذي فقد سلطانه، أو سلطته الوطنية، ولا ينصرف هذا الوصف هنا إلا على الشعب المصري بوصفه هو الذي فقد سلطانه بعد زوال استقلاله على أيدي العثمانيين. وهو يناقش قول الفقهاء المتقدمين بجواز أن يبيع مطلقاً، فيرى أن المتأخرين رأوا «إلا أن يبيع له بشرط أن يكون على الميت دين وأوصى بدراهم... وليس له غير العقار أو يكون له فيه مصلحة ظاهرة كبيعه بضعف قيمته، أو يكون موقفاً منها قريب من غلاتها أو الحاجة كعدم وجود ما ينفقه على اليتيم». ومعنى ذلك أن يبيعه للعقار لا يكون إلا في حالين:

أولها تسديد مستحقات الآخرين أي كانوا، إذ كان من المعروف أن تستدين الدولة ممثلة بولاتها الأموال من التجار وأرباب الأصناف للانفاق على مشاريع كبيرة ذات نفع عام غالباً، وهي في هذا الحال تصدر لهم صكوكاً واجبة الدفع بعد حين، مثلما حدث حينما اضطر التجار إلى دفع مبلغ 1060 كيساً من الفضة إلى السلطان على شكل (بلوص) أي صكوك يدفعها التجار المصريون في القسطنطينية⁽¹⁾، وهذا ما عبّر عنه ابن نجيم بالحاجة.

(1) مرتضى بك الكردي الدمشقي: ذيل على كتاب (تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب) بتحقيق محمد الششتاوي، وصدر عن دار الافاق العربية في القاهرة سنة 1419هـ/

وثانيها ما عبّر عنه بالمصلحة، وهي تنمية أموال بيت المال عن طريق الإستثمار، فالمصلحة هي الإنفاق على اليتيم نفسه، وإذا كان اليتيم هنا هو الشعب الذي فقد سلطانه وسلطته، فصلاحيه السلطان هو في تنمية مصالح من يحكمه من الشعوب لا أكثر ولا أقل من ذلك.

وحيثما أقرّ برأي بعض الفقهاء المتقدمين في أن يؤجر الأرض الخراجية ويأخذ الخراج من أجرتها، عاد فقيده هذا الحكم بشرط نوه به فقهاء متأخرون، وهو أن لا يكون للمالكها وارث، «ولو أخلف مالها وارثاً لكان المتصرف هو الوارث»، ومعنى هذا أنه إذا كانت بعض الأراضي، أو الإقطاعات، التي يملكها الأمراء وأغلبهم من القادة العسكريين قد عادت الى بيت المال بحكم موت أولئك الأمراء، (وفي الغالب فإنهم قتلوا في اثناء الحرب)، ومن ثم أصبح جائزاً تأجيرها إلى غيرهم لدفع خراجها، فإن ذلك يجب أن يبقى محصوراً بتلك الأراضي المقطعة فحسب، أي أن لا تشمل الأراضي التي انتقلت الى مالكين جدد بحكم قانون الوراثة، وحتى حينما تنتقل الأرض الى الوارثين، بحكم موت مالكيها، فلا يجوز أن يشتريها السلطان بأن يأمر غيره ببيعها ثم يشتريها لنفسه، والظاهر أنه أراد تقييد السلطان في التجاوز على ملكيات الوارثين مستغلاً نفوذه وسلطاته.

وينتقل ابن نجيم الى الوقف، ذلك أن أراضٍ واسعة كان المماليك قد وقفوها على أعمال بر متنوعة، لا سيما المساجد الكبيرة، كما فعل السلطان جقمق والسلطان برقوق، والظاهر أن هناك من كان يسعى لايجاد ثغرة في صحة تلك الأوقاف، على أساس أن السلطان وقفها من بيت المال شراءً، أو من غير شراء، فأفتى هو بأن كلا الوقفين صحيح، كما أن الأرض التي تكون قد وصلت إلى يد الواقف ملكاً أو مواتاً أو ملكاً للسلطان فإن وقفها صحيح أيضاً، وبذلك صان الوقف من تصرف ذوي السلطان التاليين.

والتفت ابن نجيم الى الاقطاعات التي يقطعها السلطان لخاصته، وفي الغالب فإنهم من الأمراء والقادة الذين شاركوا في فتح البلاد، وخشي أن تتحول هذه الاقطاعات الى ملكيات مطلقة، فقرر أن من أقطعه السلطان أرضاً من بيت المال

1999م، ص 262، وأحمد شلبي : أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبدالرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم، القاهرة 1987، ص 322

ملكه المنفعة لقاء استبداده بها، وهي تبطل بموته أو إخراجه من الإقطاع، لأن للسلطان الحق في أن يخرجها منها. وهذا النوع من الأقطاع قريب مما كان يعرف باقطاع التيمار العثماني، حين يقوم السلطان بإقطاع خواصه وقادته وضباطه قطعاً من الأراضي تسمى خواصاً وزعامات وتيمارات، وإلى الأخيرة نسب النظام كله، وذلك مقابل ما يتوجب عليهم من واجبات عسكرية، فإذا لم يتم بهذه الواجبات عزل عنها، فلا يتحول الإقطاع إلى ملك مطلق وإنما يبقى قاصراً على حدود المنفعة منه فحسب.

ويظهر أن بعض من كان يقطعهم السلطان كانوا يقفونها من أجل الحيلولة دون إعادتها إلى بيت المال، ومن ثم تحويلها إلى نوع من الملكية المطلقة، وهذا ما انتبه إليه الامام الخصاص حينما سأله بعضهم: ما تقول في هذه الإقطاع التي يقطعها السلطان؟ إن وقف إنسان ما قد أقطعه السلطان شيئاً منها؟ قال: إن أقطع السلطان أرضاً مواتاً جاز لمن أقطع ذلك أن يوقفها، وكذلك الأرض إذا ملكها السلطان فأقطعها إنساناً أو ملكه إياها فوقفها الذي أقطعها فالوقف جائز فيها. فغاية الإقطاع هنا هو استصلاح الأرض لا محض تملكها، وإذا أقطع السلطان إنساناً شيئاً من حق بيت المال لم يجز وقفه لذلك. ووافق ابن نجيم هذا، فقال: وكيف يقطع شيئاً من حق بيت المال؟ قال هذه أرض الإنسان وهي أرض خراج وهي ملك لأربابها والسلطان يأخذ منهم النصف مما يخرجها الله تعالى من الأرض والزرع فأقطع السلطان من هذا النصف⁽¹⁾. وهكذا صار السلطان مقيداً بان لا يقطع إلا نصف الحاصل، لا الأرض نفسها، فهو إقطاع انتفاع لا إقطاع تملك⁽²⁾.

ولاحظ ابن نجيم أنه على الرغم من كثرة علماء مصر ومستواهم العلمي الرفيع، وعراقة الأزهر في تخريج أولئك العلماء، فإن الدولة العثمانية كانت تختار القضاة من خارج هذه المؤسسة، بل من خارج مصر كلها⁽³⁾، وأن القضاة كانوا

(1) رسالة في بيان الإقطاعات، مخطوطة في المكتبة الأزهرية برقم 339499

(2) المصدر نفسه، والأشباه والنظائر ص 167 و 305

(3) تطرق المؤرخ المعاصر مرتضى بك الكردي الدمشقي إلى شؤون القضاة الذين كانت الدولة ترسلهم إلى مصر، ولاحظ أن بقاء القاضي في منصبه رهين - عملياً - بإرادة قادة فرق الانكشارية، فقال «وأرادوا عزل القاضي فلم ترض طائفة البينكجيرية، وقالوا: يكون ذلك علامة العصيان». ويظهر أن الصناجق، وهم قادة المماليك، كانوا لا يرون في القاضي إلا

يتعاقبون على شغل منصبهم فلا يقضي احدهم في منصبه الا سنة او سنتين، ومنهم من كان يقبل الرشوة من طالبي التعيين في الوظائف⁽¹⁾، هذا فضلا عن أن بعض الولاة كان يتدخل في شؤون القضاء، فيبرئ او يعاقب وفقا لفهمه لا إتباعاً لرأي قاض⁽²⁾. وكان بعض الفقهاء «ممن لا خبرة له ولا دربة» قد أفتى بجواز تدخل القضاة في شئون الوقف، وشروط الواقفين، فما كان منه إلا أن ألف رسالة سماها «القول السري في الرد على المفتري» رد فيها على من ادعى بإمكان القاضي أن يتصرف في شؤون الوظائف التي أثبتها الواقفون، وأن يعزل المتولين بغير جُحفة. وقد استند في هذا الحكم على كلام لأبي يوسف في رسالته للرشيد مفاده «ليس للإمام أن يخرج شيئاً من يد أحد إلا عن ثابت معروف»، فقال «إذا كان هذا في الإمام، فما بالك بالقاضي الذي ولاه السلطان ليحكم الصحيح في مذهبه؟». ولاحظ أن كثيراً من الفقهاء في زمانه استباحوا تناول (معاليم) أي رواتب الوظائف بغير مباشرة أو مع مخالفة الشروط⁽³⁾. وهكذا قيد سلطة القاضي، مستنداً إلى

ممثلاً للسلطة العثمانية، حتى أنهم اجتمعوا «في بيت أمير الحاج على تنزيل الباشا هو والقاضي»، وأظهر ضيقه من احد القضاة المعينين لانه انتقد على نحو حاد أهل بلاده فقال «وكذلك القاضي محمد كتخدا زاده يقول: أنا ما جئت إلى مصر إلا لأجدد لأهلها دينهم، فإنهم كفروا وارتدوا، ونعوذ بالله من قوله وما قاله، ذبل (تحفة الاحباب) للملوي بتحقيق محمد الششتاوي، ص246. وانتقد المؤرخ المعاصر الأسحاقي المنوي حالة القضاة فقال (اخبار الإول في من تصرف في مصر من ارباب الدول ص111)

قضاة زماننا صاروا لصوصا	عموماً في البرية لا خصوصاً
يرون الغنم أموال اليتامى	كانهم تلوها فيها نصوصاً
فنخشى منهموا اذ صافحونا	يسلوا من أصابعنا الفصوصاً

ونجد مثل هذا الانتقاد في أرجوزة نظمها مؤرخ معاصر آخر هو احمد الغمري، إذ أشار إلى تفشي الرشوة في تعيين القضاة في مصر، فقال

لأن قاضي القضاة العسكر	من قاضي استبول مصر يشترى
بالمال يأتي مسرعاً لمصره	قضاتها الجميع تحت أمره

ذخيرة الأعلام بتواريخ امراء مصر في الاسلام، مخطوطة في المكتبة الأزهرية برقم 6125
(1) قال في رسالته (رسالة في الرشوة واقسامها للقاضي وغيره) مخطوطة في المكتبة الأزهرية برقم 338176

(2) أحمد شلبي: أوضح الإشارات، ص110.

(3) الأشباه والنظائر ص167

تقييد سلطة السلطان نفسه، بل بلغ حد أن عدَّ قيام السلطان بقطع وظيفة طالب علم في مدرسة، أي مخصصاته الدراسية كما نقول اليوم، وإخراجه من حجرته، أي من قسمه الداخلي، أمر غير شرعي، فيه هلاك الشريعة على حد تعبيره. وأن القاضي إذا نصب قيماً آخر على الوقف غير الذي نصبه الواقف لا ينعزل الأول، وأنه إن خالف شرط الواقف فإنه لا يصح إلا لضرورة⁽¹⁾. واختار من فتاوى قاضي خان أن السلطان لو أذن لقوم أن يجعلوا أرضاً من أراضي البلد حوانيت موقوفة على المسجد، وأمرهم أن يزيدوا في مسجدهم، قالوا: إن كانت البلاد فتحت صلحاً لا ينفذ أمر السلطان، لأن البلد إذا فتحت عنوة للغارمين فيجوز أمر السلطان فيها، وإذا فتحت صلحاً تبقى على ملك ملاكها، فلا ينفذ أمر السلطان فيها⁽²⁾.

وإذ أقر ابن نجيم في رسالته (التحفة المرضية) بأن مصر فتحت صلحاً، يكون واضحاً معنى قوله (تبقى على ملك ملاكها).

الخلاصة

اتخذ ابن نجيم من مصادر الفقه الحنفي مجالاً للإجابة على سؤال فرض نفسه بقوه على بلاده نتيجة السيطرة العثمانية الكاملة. لقد أدرك أنه أمام واقع جديد، فالدولة المملوكية التي حكمت مصر وتوابعها سقطت كلياً ولم يبق أمل في استعادتها أو حتى استعادة بعض أقاليمها التابعة، ومن ثم لم يبق إلا التوجيه القانوني لهذا الواقع الجديد، والإجابة على كثير من المسائل الناجمة عنه، فيما يخص حقوق الدولة الزائلة وحقوق أفرادها. وهو ما عرف فيما بعد بنظرية الاستخلاف (أو التوارث) الدولي، فحاول أن يلجم الدولة الجديدة (الوارثة) عن انتهاك حقوق مواطني الدولة السابقة (الموروثة) على أساس أن لا حق للسلطان العثماني في اعتبار مصر إقليماً مفتوحاً حتى يجيز أن يطبق فيه حق الفتح⁽³⁾، بما

(1) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج 5 ص 245 والأشباه والنظائر ص 134.

(2) الرد السري في الرد على المفتري، والأشباه والنظائر ص 106.

(3) يقصد بالفتح فرض الدول سيادتها على إقليم دولة أخرى بتصرف صادر عن أرائتها المنفردة يدعمه انتصارها العسكري الشامل على هذه الدولة الأخيرة، ونجاحها في تحطيمها كدولة نزع ركن السيادة عنها، ويختلف الفتح كلياً عن الاحتلال العسكري لإقليم الدولة خلال العمليات العسكرية أو بعد احتلالها، إذ يشترط لاكتمال عناصر الفتح كسبب لاكتساب الإقليم أن تختفي السلطة السياسية للدولة المهزومة تماماً. ومن المتفق عليه فقهاً أن مجرد

يترتب عليه من الإستحواذ على ثرواته البشرية والطبيعية، كما حدث في الأقاليم التي فتحها العثمانيون من قبل. وبالمقابل فقد صاغ فكرة جديدة، مأخوذة من احكام الوصاية على اليتيم، وهي أن على السلطان العثماني حماية الاقليم الموروث بوصفه وصياً عليه، ومن ثم جعله مسؤولاً عن حماية مصر وممتلكاتها السابقة من الاخطار الحقيقية التي كانت تحدق بها في البحر الاحمر والبحر المتوسط في ذلك العصر. ولا شك في أن الدولة العثمانية اضطلعت بتلك المهمة الموروثة فور سيطرتها على مصر، فسيطرت على المياه العربية الداخلية في البحر الاحمر وبحر العرب وتولت حماية الحرمين الشريفين من أخطار الأساطيل البرتغالية. على أن اضطلاعها بهذه المهمة لم يكن يعني الإستحواذ على الحقوق التاريخية للشعب المصري في اقليمه، وانما تقتصر على تنمية ثرواته عن طريق استثمارها، والمحافظة على الملكيات الخاصة كاملة على أساس أن مصر فتحت في الإسلام صلحاً لا عنوة ومن ثم تطبق فيها أحكام هذا النوع من الفتح، الذي يقيد يد الفاتح الى أدنى الحدود، ولا يسمح له بمصادرة الممتلكات تحت أي ذريعة من الذرائع، كما لا يسمح له باقطاع الأراضي إلا إذا مات أصحابها وانقضت وراثتهم، كما لا يأذن باقطاع أراضي بيت المال، وهي الأراضي الأميرية، إلا لغرض استصلاحها فحسب. ثم أن من شأن هذا الفتح أصلاً أن لا يغير من القوانين المطبقة في البلاد المفتوحة، لسبب بسيط وهو أن كلا الدولتين، الفاتحة والمفتوحة، تخضعان لقانون واحد، وهو الشريعة الإسلامية، وفقه واحد هو الفقه الحنفي، وهكذا بلور ابن نجيم الحنفي فكرة التوارث الدولي قاطعاً شوطاً في سبيل تطويرها الى نظرية متكاملة من نظريات القانون الدولي العام المعاصر⁽¹⁾.

احتلال اقليم الدولة كله أو بعضه في أثناء العمليات العسكرية لا يحدث تلقائياً أي أثر في انتقال الإقليم المحتل من سلطة الدولة الأصلية إلى سلطة الدولة المحتلة. ويمكن اعتبار إعدام السلطان المملوكي طومان باي وإنشاء الإدارة العثمانية الجديدة استكمالاً لعناصر الفتح العثماني لمصر. ينظر د. محمد سامي عبد الحميد وآخرون: التنظيم الدولي، دار المعارف بالإسكندرية 2004، ص 143.

(1) هذا بينما يؤثر التوارث تأثيراً مباشراً على وضع الأفراد المقيمين في هذا الإقليم، وعلى القانون العام الداخلي. ينظر بيار- ماري دوبيوي: القانون الدولي العام، ترجمة د. محمد عرب صاصيلا ود. سليم حداد، بيروت 2008، ص 84 وشارل روسو: القانون الدولي العام، ترجمة شكرالله خليفة وعبد المحسن سعد، بيروت 1982، ص 190-214

الدور السياسي

لعلماء بغداد في العصر العثماني

مقدمة

ليس أكثر ظلماً للعلماء من مؤرّخيه! ذلك أن أولئك المؤرّخين لم يكونوا - في أغلب الأحوال - يُقدّمون سيرَ من يكتبون عنه من العلماء، بقدر ما كانوا يُقدّمون الصورة التي يريدونها هم للعالم، ولا ندعي أنهم كانوا يصنعون هذه السيرَ أو يزيّفونها، ولكنهم كانوا يقدّمونها ناقصة، أحادية الجانب، معتمدين على منهج محدد يشبه أن يكون قالباً جامداً لا تغير فيه إلا قليلاً، يقتصر على ذكر ولادة صاحب السيرة، ومن أخذ عنهم من مشايخ عصره، وما قرأ عليهم من كتب، ثم ذكّر مؤلفاته، ومن ثمّ وفاته.

ولا شكّ في أهمية مثل هذه المعلومات في دراسة مساهمات ذلك العالم العلمية أو الثقافية، إلا أنها لا تفي بالجوانب الأخرى من سيرته، وهي المتعلقة بمساهماته في الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، أو حتى العسكرية، فلا توضّح مثلاً طبيعة موقفه من السلطة القائمة، تأييداً أو معارضة، ولا تبين دوره في قيادة مجتمعه، أو في الأقل التأثير عليه، بل تسكّت - بصمت بالغ - عن كلّ ما له صلة بالحياة العامة على نحو جعل من أولئك العلماء يبدون كأنهم كانوا يعيشون منقطعين عن العالم كله، أو كأنهم ليسوا من هذا العالم أصلاً، مع أن العالم من حولهم يموّج تفاعلاً وحركة؛ انتفاضات، وصراعات، وحروب، وأزمات... إلخ.

ونعتقد أن صورة كهذه لم تكن دقيقة ولا مُنصفة، فرجلُ العلم - وهو المثقّف في مجتمع جُلّه من غير المثقفين - لم يكن ذلك الشاهد الصامت، الذي لا تأثير له إلا على عدد محدود من الطلبة المُتخلقين حوله في باحة من باحات مسجد؛ وإنما كانت له - في أحيان كثيرة - أدوارٌ تتجاوز مجاله العلمي إلى مجالات الحياة العامة، ليس لأنه الأكثر علماً وثقافة فحسب، وليس لأن ثقافته كانت تتطلّب منه أن يكون ذا موقف - ولو فكرياً - مما يجري حوله؛ وإنما لأن مجتمعه يطالبه بأن يُبدي رأيه في كثير من الأمور العامة، فضلاً عن الخاصة منها، فواجبه أن (يُفتي) للناس فيما يُشكّل عليهم من أمور الحياة دونما تمييز بين ما هو عام، يتعلق بما أصدره هذا الوالي من أوامر مثلاً، أو خاص له تماس بحياة الإنسان اليومية الشخصية.

وعندنا أن موقف المؤرخين هذا في اتخاذ المنهج المذكور، كان ناجماً عن رغبتهم في إعلان أن العلماء كانوا أرفع منزلة من أن يتدخلوا في شؤون دنيوية زائلة، وأن العلم وطلبه هو أسمى شرفاً من مشاركة في انتفاضة، وأنبل قصداً من الولوج في مُعترك السياسة، مع ما في هذا المعترك من دسائس وعنفاً أحياناً.

وهكذا فقد أدى اتخاذ هذا المنهج، إلى أن يُحرّم الباحث في تاريخ التطور السياسي للمجتمع العربي الحديث من معلومات ضرورية لاستبيان دور «العلماء» في هذا التطور، بل ذهب بعضهم - استناداً إلى سكوت المصادر - إلى القول بأن لم يكن لهم دور أصلاً، حتى ظهرت النخبة الجديدة من المثقفين (الإنتلجنسيا) إبّان أواخر القرن التاسع عشر، مشبهين ذلك بظهور مفكري عصر الاستنارة الأوروبية، وهم المفكرون الذين غلبت عليهم النزعاتُ العلمانية، وكان أكثرهم متمرداً على الكنيسة ودورها الثقافي، وذلك تشبيه تعوزه الدقة الموضوعية إلى حدٍ بعيد⁽¹⁾، وتدُلنا إشارات قليلة - لكنها بالغة الدلالة - تثارَتْ في مصادر تاريخ العراق إبّان العصر الحديث ووثائقه ومجامعه الخطية، على مساهمة علماء عراقيين بارزين في مجريات الحياة السياسية، بلغت حد المشاركة في الحياة العسكرية، ومنهم من دفع من ماله، ووقته، وجُهدِه، بل وحياته نفسها، في سبيل ما آمن به من مبادئ نبيلة، وغايات وطنية سامية، إلا أن مصادر العصر غمطت حقه في تسجيل تلك الجوانب، وتخليد ما أحرزه من مآثر، حتى باتت ترجمته - في تلك المصادر - باردة جافة، تُعوّزها الحياة نفسها.

(1) في وسعنا هنا أن نُورد بعض أفكار الدكتور فاروق أبو زيد في كتابه «عصر التنوير العربي» (بيروت 1978) نموذجاً لما ينتهي إليه بعض الباحثين من مقياس لتقييم أدوار المثقفين العرب في العصر الحديث، وهو مقياس أوروبي كما سنرى.

يقول في ص 190 - 191 ما نصه: "إن عصر التنوير العربي قد قدّم لنا نسقاً خاصاً من الليبرالية التي تتلائم مع المجتمعات العربية كذلك، فقد تم في هذا العصر التبشير بالعقلانية والإيمان بقدرة العقل وتطبيقاته العملية، الممثلة في العمل على تغيير حياة الناس إلى الأفضل، كذلك أنجز عصر التنوير مهمة التبشير بالعلمانية، وبما تعنيه من الفصل بين الدين والدولة وإحياء الشعور القومي"، وهو يرى أن عصر التنوير العربي هذا لم يكن إلا انعكاساً أو تأثراً في الأقل بإنجازات عصر التنوير الأوروبي.

يقول (ص15): «وعصر التنوير العربي يبدأ منذ حدث أول لقاء بين العقل العربي والعقل الأوروبي، بمجيء حملة بونابرت إلى مصر، فمن طريق الاحتكاك المباشر بين المصريين والفرنسيين تعرّف العقل العربي على إنجازات عصر التنوير الأوروبي من خلال تطبيقات الحملة الفرنسية لأفكار الثورة الفرنسية على مصر».

1- فالمؤرخ الشيخ عبدالرحمن السويدي (ولد سنة 1134هـ/1721م، وتوفي سنة 1200هـ/1758م) مثلاً، لم تكن نعلم من سيرته غير ما دوّنه عنه مؤرخان بارزان؛ أولهما المرادي في كتابه «سلك الدرر في رجال القرن الثاني عشر»⁽¹⁾، وثانيهما محمود شكري الألوسي في كتابه (المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر)⁽²⁾، ولو جردنا هاتين الترجمتين من ألفاظ المديح وأوصاف الثناء، لَمَا تبقّى في أيدينا إلا أسطر معدودات، لا تتجاوز تحديد سنة ولادته، وذكر ثلاثة من شيوخه، ونموذج من شعره، وأسماء أولاده، ووفاته، ومعلومات كهذه تبقى غير كافية لعالم جليل، وكان يمكن أن تبقى سيرته أسيرة هذه المعلومات المبسّرة، لولا أن وقفنا - في أثناء عمَلنا في فهرسة خزانة مخطوطات المكتبة القادرية بغداد - على رسالة مهمة له، كتبها لتكون كالتقرير ليقدمه إلى والي بغداد حسن باشا (1192 - 1194هـ/1778 - 1780م)، ووصف فيه مجريات الأزمة السياسية التي حدثت في بغداد إثر محاولة أحد الإيرانيين التوصل إلى منصب (والي بغداد)، مستفيداً من حالة الضعف والتراخي للدولة العثمانية يومذاك، وقد عُرِفَت هذه الأزمة (بفتنة عجم محمد)، نسبة إلى ذلك الإيراني الذي كان يتبع كل وسيلة للوصول إلى غايته، مستمياً في ذلك والي بغداد عبدالله باشا، والمندوب العثماني سليم أفندي⁽³⁾.

ومثّل السويدي في روايته للأحداث وجهة نظر الزعامة البغدادية المحلية تمثيلاً صادقاً؛ نظراً لموقعه القريب منها، وإطّلاعه الدقيق على ظروفها، فقدّم بذلك تفصيلات مهمة وفريدة عن دور البغداديين قيادة وشعباً في الدفاع من مدينتهم ضد مؤامرات الطامعين؛ أمثال عجم محمد، وسليم أفندي، وضد تخاذل الولاة من مثل عبدالله باشا، وحسن باشا، فهو بذلك قد رسم صورة حية للشعب في فترة حرجة من تاريخ العراق الحديث، وهي صورة مشرّفة؛ لأنها كشفت عن

(1) سلك الدرر ج3 ص85.

(2) المسك الأذفر (بغداد 1930) ص65.

(3) حققنا هذه الرسالة وقدمنا لها عنواناً - إذ لم يفعل مؤلفها - وهو: «تاريخ حوادث بغداد والبصرة من 1186 إلى 1192هـ»، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ط1: 1978، و ط2: 1987، وتقع في 168 ص.

تعاون فئاته وكفاحه ضد العدو المشترك⁽¹⁾، كما أنها أظهرت بشكل واضح مدى ما أدت روح المدينة من دورٍ في مجريات التاريخ المحلي للعراق آنذاك.

وكان السويدي في أول نشوء الأزمة معتكفاً في داره، منشغلاً بالقراءة والدرس، يقول: «فأثرت مذهب العزلة والانفراد، واخترت طريقة النأي والبعد، وقعدت في البيت وحدي، واشتغلت بالكتب التي عندي⁽²⁾»، ولم يكن اعتزاله الناس عن غفلة عمّا يجري حوله، وإنما كان يراقب عن كثب ما يجري من حوادث ودسائس سياسية، يقول: «ومع ذلك فلست غافلاً، ولا بما يصدر في البلد جاهلاً، بل كان لي تحت كل شعرة عين ولسان، وفي كل جارحة سيف ولسان⁽³⁾»، وما أن علم بالمؤامرة التي يدبرها عجم محمد والمبعوث العثماني للاستيلاء على الحكم، وتعيين الأول والياً على بغداد، حتى خرج من معتكفه، فتزعم - عند ذلك - أهل الجانب الغربي، وشرع بتهيئة الدفاعات اللازمة، وترتيب الخطط المؤدية إلى عرقلة مشاريع خصومه، وليس أدل على الدور القيادي لهذا العالم الأديب مما عبّر عنه بقلمه، يقول: «فحينئذ - أي: بعد أن فشلت محاولته السلمية لإيقاف تدهور الأمور - لبست سلاحاً ومشيت، وخلفي عصاية من السكمانية⁽⁴⁾ - حرسهم الله - نريد الذهاب إلى خضر الياس⁽⁵⁾، فلم يمكّنونا من المشي على الساحل؛ لكثرة ما يضربوننا به من الطوب والتفك، فذهبنا من خارج وجئنا إلى خضر الياس، وهو مكان يُشرف على سور القلعة وتوابيها، فاخترقنا خلف الجدران، وهم لا يشعرون بنا، وضرينا أول مرة مقدار عشرين تفكّه شيشخانة⁽⁶⁾، فألقينا منهم الطوبجي على طوبه، وشردناهم من فوق القلعة، وأبطلنا

(1) انظر عن هذه الفتنة: رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء 155، (ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت 1961)، وعثمان بن سند: مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، بتحقيقنا (ط2 بيروت 2010)، ص 146 - 162.

(2) تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص 75.

(3) المصدر نفسه ص 76.

(4) السكمانية: جمع سكماني، لفظة محرّفة عن الفارسية (سكبان) المركبة من (سك) وتعني كلب، و(بان) بمعنى حافظ، إشارة إلى أصل وظيفتهم، وهي حراسة كلاب السلطان، وحملة بنادق صيده، ثم أصبحوا - بعد تحولات عديدة - نوعاً من الجند المحلي في مدنهم.

(5) اسم لمسجد، ومشرفة ومحلة في الجانب الغربي من بغداد، وهي تقابل قلعة بغداد (وزارة الدفاع فيما بعد) في الجانب الشرقي منها.

(6) ضرب من البنادق، ذو زناد لإلهاب البارود.

طوابي من تلك الناحية، وأمرتُ قومي بالضرب على مزاغل السور؛ إذ لا تخلو من أحد خلفها، وأريناهم يوماً لم يروه قبل⁽¹⁾».

ولم يقتصر دور السويدي على قيادة رماة البنادق في ذلك الظرف الصعب، ومحاصرة القلعة من جهة النهر فحسب، وإنما سرعان ما تحوّل إلى قيادة جموع الثائرين، والسيطرة بهم على المناطق المهمة من المدينة، وإقامة المتاريس المحكّمة للدفاع عنها، ويوضّح النصُّ التالي خبرته الواسعة في إدارة مثل هذا النوع من حرب الشوارع.

يقول: «وفي صبيحة اليوم الثاني عبأنا جموعنا وأرسلناهم من الجسر، وركضوا عليهم فكسرناهم إلى باب القلعة، واستولينا على الميدان، ثم رجعنا وتركناهم، وأراد أصحابنا نصّب متاريس في ساحة خضر الياس، فقلت لهم: الرأي عندي أن أبني لكم متاريس شامخة إلى الجو من غير حَجَر ولا مَدَر؛ لأن طوبهم يهدم البناء، فأتوني غداً ببواري وحلال ونضع فيها التراب، ولا نزال نضع واحدة فوق أخرى حتى نكتفي، فنضع طوبنا فوقها، وسكمانيينا من فوق أيضاً، ونضع من الحلال ما يمنع عنا بحيث نراهم ولا يرونا، وليكن العمل ليلاً؛ لأنهم لا يمكنونا نهراً⁽²⁾».

وحربٌ كهذه كانت تقتضي مزيداً من السلاح والذخيرة، فانبرى السويدي لتصنيع نوع من القنابر التي تطلق من مدفع، نصبوه عند تكية المولوية (جامع الأصفية فيما بعد)؛ لتصيب قلعة بغداد، حيث يتحصن عجم محمد وحليفه المندوب العثماني، يقول واصفاً هذا النوع الجديد من القنابر: «وكنا نعبئ فيه قطع القنبر الذي يضربوننا به، صنعناه عند الحداد، كل قطعتين بينهما زنجيل، فنضربه عليهم⁽³⁾».

ويصف قيادته الثائرين في الهجوم على الجسر الوحيد الذي كان يربط بين حيّة في الجانب الغربي، وبين ساحة القتال في الجانب الشرقي، بعبارة مؤثّرة، قائلاً: «وشرعتُ أحثُّ قومي على الهجوم على الجسر، وتصايحت شجعاننا، وحرّض بعضهم بعضاً.. فتزاحمت الناس وصاحوا صيحةً ارتجّ لها الجانب الشرقي ودبت فيهم حمية الإسلام⁽⁴⁾».

(1) تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص 82.

(2) المصدر نفسه ص 82.

(3) المصدر نفسه ص 99.

(4) المصدر نفسه 117.

فأين هذه الجوانب المفعمة بروح الكفاح والمقاومة من تلك الترجمة القصيرة الجافة التي أوردتها المرادي والألوسي؟ وكم كانت معلوماتنا تبقى ناقصة عن دور هذا العالم الأديب في مجريات أحداث عصره لو لم نقف - عن طريق المصادفة - على هذه الرسالة التاريخية القيمة.

2- ولنأت الآن إلى سيرة عالم بغدادي آخر، هو العلامة الشاعر حسين بن علي العشاري (المولود ببغداد قبل سنة 1150هـ/1727م، والمتوفى في البصرة سنة 1200هـ/1785م)، فإن مصادر عصره عرفته عالماً بارعاً، وفقياً جليلاً، ومؤلفاً كثيراً ومُتقناً، وشاعراً متفنناً، ولم تزدْ على ذلك شيئاً غير إطناب في الوصف، وإكثار من ألفاظ الشاء على عادة كتب التراجم المتأخرة؛ ترجم له المرادي بنحو عشرة أسطر، اقتصر فيها على ذكر اسمه، ونسبته، ودراسته، واسم واحد من شيوخه، وهو عبدالرحمن السويدي، ثم عناوين بعض مؤلفاته، وآخر منصب تولاه في البصرة ووفاته هناك⁽¹⁾، وترجم له السيد محمود شكري الألوسي، ولم يزدْ على ما ذكره المرادي غير تفاصيل قليلة، منها: إجادته الخط، وتأليفه كتباً أخرى⁽²⁾.

وكان ممكناً أن تبقى سيرته حبيسة هذه الترجمات المحدودة، متواضعة المضمون، لولا أن وقفنا على مجموعة خطية تضمنت بعض رسائله ونماذج من نثره⁽³⁾، فإذا بهذه الرسائل تمثل مراسلات (سرية)، كان العالم البغدادي يرسلها إلى شرفاء مكة، وهي بذلك تكشف عن دور سياسي مهم، لم يكن معروفاً من قبل في إطار المصادر التقليدية التي ترجمت له.

وأحدى تلك الوثائق رسالة بعث بها العشاري إلى الشريف باز، تشير إلى أنه كان قد سافر إلى مكة المكرمة حاجاً، ويظهر أن صلته بالشرفاء كانت في أثناء رحلته تلك، وفي رسالته ما يدل على وجود مكاتبات بينه وبينهم، يقول: «ومنذ فارق (يعني نفسه) تلك الوجوه الصباح، والمحاسن المشرفة في الغدو والرواح، لم تَقَرَّ عينه منكم بمطالعة كتاب، ولم يشنف سمعه بمفاكهة خطاب من ذلك الحساب.. والمأمول بعد وصول عريضة الوداع تشنيف أسماعنا، وتشحيز أذهاننا، ببعض الرسائل في نهاية المأمول

(1) سلك الدرر ج3 ص124.

(2) مجموعة العشاري، (نسخة خطية كانت في خزانة المحامي عباس العزاوي، وآلت إلى المركز

الوطني للمخطوطات).

(3) مجموعة العشاري (مخطوط).

و غاية المسؤول، ونحن في حيز الامتثال والقبول، لما تأمرون به لدى شرف الوصول⁽¹⁾، والذي نعلمه أن الشريف باز⁽²⁾ كان قد قدم العراق في تلك المدة، ولا نستبعد أن يكون قد التقى به العشاري في بغداد أو البصرة.

وفي رسالة أخرى كتبها العشاري إلى الشريف مساعد بن سعيد بن زيد أمير مكة المكرمة (1165 - 1184هـ/ 1751 - 1770م)، نجد العشاري يصف نفسه بأنه «من العبيد المحسوبين المنسوبين من زمان قديم على البيت النبوي⁽³⁾».

وفي الرسالة إشارة مهمة إلى أن وفوداً من الشرفاء كانت تندد على العشاري، وأنه كان يجيب عن أسئلتهم فيما يتعلق ببعض الأوضاع العامة، يقول: «لقد فهمنا ما أشرتم إليه في الكتاب المبين، واجتمعنا بالسفير الناصح الأمين، واتصلت التحريرات العالمية، والتتميمات الشريفة السامية، فقرت بها العيون والخواطر، وابتهجت لها الأسرار والسرائر، ولقد حررت لكم الأجوبة السارة بما يشتهيها الفؤاد، ويكون مطابقاً للمراد».

وعلى الرغم من أن الكتاب جاء مُعمياً في مضمونه، غير مفصح عن مكنونه، إلا أننا نلمح فيه بُعداً سياسياً ظاهراً، لاجتماع العُشاري (بالسفير الناصح الأمين)، ولم يكشف الكتاب عن حقيقة تلك السفارة وطبيعة تلك التحريرات والأجوبة، وهي لا تخلو من موضوع مهم وخطورة شأن، ولا يبعد أن يكون وراء أمر دبر خفية.

ومن المؤسف أن الرسالة الأخيرة التي بعث بها العشاري إلى الشريف أحمد بن سعيد أمير مكة المكرمة سنة 1884هـ/ 1770م، جاءت مبتورة مقصورة على ذكر الديباجة فحسب⁽⁴⁾، وبذا تقف شحة المصادر حائلاً دون معرفة فصل مهم من حياة العلامة الشاعر، ربما كانت له أهمية في الكشف عن بوادر أولى الاتصالات بين شرفاء مكة وبين مثقفي العراق وأقطار عربية أخرى؛ من أجل القيام بتحريك سياسي عربي مشترك، وهو ما عبّر عنه تقرير بعث به قنصل بريطانيا في حلب ج. ه. سكين Skene إلى السفير البريطاني في الآستانة في 31 تموز 1858 (20 ذي الحجة 1274هـ)، جاء فيه: «يظهر أن السكان المسلمين في شمال سوريا تدغدغ

(1) المصدر نفسه.

(2) لم نجد اسمه بين من تولى شرافة مكة في ذلك العهد.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

أفتدتهم أحلامٌ جميلة بالانفصال عن الإمبراطورية العثمانية، وبإقامة دولة عربية على رأسها شريف من شرفاء مكة⁽¹⁾، ومن المعلوم أن هذه الأفكار هي التي وجدت تطبيقها في قيادة الشريف حسين وأولاده ما عرف بالثورة العربية الكبرى سنة 1916م.

إن شعر العشاري نفسه، مما أودعه ديوانه، يوضح أن أمراً كهذا لم يكن بعيداً عن تصورهِ، فهو عربي الأصل، ينتمي أصلاً إلى قرية (عُشارَة)⁽²⁾، الواقعة على الخابور، في شمال سوريا، وقد انضم - في شطر من حياته - إلى تكتل زعامة آل الشاوي العربية، المناوئة غالباً لسياسة ولاية بغداد المالكي، وقد نظم فيهم صراحة قصائد عديدة، أثنى فيها على مواقفهم السياسية، حتى ما كان مخالفاً رغبة ولاية بغداد، وأشاد بصراحة نسبهم، وأصلهم العربي العريق⁽³⁾.

وحينما ساءت علاقة الأمير عبدالله الشاوي بالولاية المالكي في بغداد، واضطر للإقامة في النجف بعض الوقت، لم يجد العشاري حرجاً - وهو المقيم في بغداد - من أن يستغيث بالشاوي، مُعرضاً بخصومه وأعدائه الذين كانوا السبب في خروجه من بغداد، ويبلغ التأثير بالعشاري مبلغه، حين علم بمقتل الأمير الشاوي على يد عمر باشا والي بغداد غدرًا، وخروج أولاد الشاوي على الوالي تأثرين وناقمين على غدره بوالدهم، ومطالبين بالثأر، فنظم العشاري قصائد صرخ فيها بوجه الظلم والظالمين، وصب جام غضبه على والي بغداد، حتى وصفه بنعوت قاسية؛ مثل: (الكلب) و (الذئب)⁽⁴⁾... إلخ، وتلك جرأة لم يبلغها أحدٌ من شعراء عصره فيما نعلم، وهي كفيّلة بأن تجعل من شعر العشاري أنموذجاً للشعر السياسي في العراق في تلك الحقبة من الزمن.

3- ولا بدّ لنا هنا من التوقف عند سيرة العلامة مفتي بغداد عبدالغني آل جميل 1194-1279هـ/1780 - 1862م؛ لما تشتمل عليه هذه السيرة من جوانب

(1) زين نور الدين: نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية - التركية (بيروت 1968) ص 198.

(2) حققنا هذا الديوان، بالمشاركة مع الحاج وليد الأعظمي، وطبع على نفقة وزارة الأوقاف (بغداد 1977)، ويقع في (655) صفحة.

(3) الديوان، القصيدة رقم 5.

(4) الديوان، القصيدة رقم 26، وانظر: مقدمتنا لديوانه.

سياسية مهمة، وربما كان حظ هذا المفتي البغدادي عند مترجميه أفضل من حظ غيره من أقرانه العلماء، فقد أدرج السيد محمود شكري الألوسي، في ضمن ترجمته، قصيدة له احتوت على ألوان شتى من الشاء التقليدي، إلا أن فقرة واحدة نوّهت بدوره السياسي البارز في مفتح ولاية علي رضا باشا اللاز (1247 - 1258هـ/1831 - 1842م)؛ إذ قال: «حتى إذا حصل التجاسر من عسكر ذلك الوالي على أعراض الناس، وكثر التجاوز منهم على أموال الرعية الأكياس، أخطر إليه المترجم إليه ضرراً ذلك، وطلب منه رفع ما هنالك، فلم يتمكن الوالي من ردعهم، وازدادوا بالنهي ضرراً على ضررهم، فوقعت بينه وبين ذلك الوالي لذلك منافرة في الجملة، وقام أهل البلد على الوالي متطلبين إزعاجه وقتله، فلم يسع المترجم المبرور غير نزوحه من بغداد، فلم يمكنه إلا ترك ذلك الناد، فنهبت داره بما فيها، وأحرقت بظاهرها وخافئها، وأتلف من الكتب نحو سبعة آلاف كتاب⁽¹⁾»

ولم تكشف طبيعة تلك (المنافرة) ومرامئها إلا وثائق رسمية وقفنا عليها في دار الوثائق القومية والتاريخية في القاهرة، فإذا بها ثورة حقيقية لها جوانبها السياسية والعسكرية العميقة، وقد توافق قيام هذه الثورة في بغداد بعد نحو سنة واحدة من دخول الجيش المصري بلاد الشام منتزعاً إياها من السلطة العثمانية، وانحياز معظم مدن العراق الغربية والقبائل هناك إلى القيادة المصرية في بلاد الشام⁽²⁾».

وهذه الوثائق هي تقارير رسمية كان يبعث بها رجال المخابرات العسكرية المصرية إلى قيادتها، ففي تقرير كتبه أحد أولئك الرجال - وكان قادماً من بغداد

(1) محمود شكري الألوسي: المسك الأذفر 126، وتنظر ترجمته أيضاً في مقدمة مجموعة شعره التي نشرها عباس العزاوي، بعنوان (مجموعة عبدالغفار الأخرس في شعر عبدالغني الجميل) (بغداد 1949)، وقد عثرنا على مجموعة خطية تضمنت (زهيرات) له، يظهر أنه كان ينظمها في أثناء الثورة لإذكاء حماسة الثوار، وتعد من أكثر الشعر العامي قوة وتأثيراً في هذا المجال، (نسخة خطية مصورة لدينا).

(2) كان بعض زعماء العقيل، وشيخ زبيد، والشيخ صُفوق شيخ شمر، أرسلوا رسائل إلى إبراهيم باشا يعلمونه فيها بتأييدهم للقيادة المصرية، ويرجون منه إرسال قوة رمزية لا تزيد على ثلاثمائة فارس مصري؛ ليعلموا انضمامهم رسمياً إلى مصر، ويقوموا بتطهير العراق من الوجود العثماني؛ دار الوثائق القومية، محفظة رقم 238، الوثيقة العربية رقم 262.

إلى حلب تاريخه 8 ربيع الآخر سنة 1248هـ/3 أيلول 1832م - نقرأ: «لما قام أهل حي الشيخ عبدالقادر وحي قنبر علي (وهو موطن مفتي بغداد عبدالغني آل جميل ومنطلق الثورة) المقيمين ببغداد، وهجموا على علي باشا (والي بغداد)، أسرع علي باشا أيضاً فهاجم بجنوده الحيين المذكورين، وأمرهم بنهب فريق منهم، وإحراق آخرين»، فهي إذاً ثورة مسلحة، ومداهمات، وحرب شوارع، وتكليل.

ويمضي التقرير ليقر بأن نصف سكان بغداد قد انضموا للثورة، يقول: «وإن نصف أهل بغداد مخلصون لعلي باشا، وأما نصفهم الآخر فأعداء له»، ويؤشر التقرير موقف السكان والقبائل في خارج بغداد، وبخاصة في نواحي الفرات، والمنابئ للسلطة العثمانية في بغداد، والمؤيدة للثورة، والذي كان ينتظر الدعم من السلطة المصرية في بلاد الشام للتخلص من حكم العثمانيين، فيقول: «إن كل البلاد الواقعة بين بغداد وحلب منتظرون لقدم العساكر المصرية المنصورة»، وتشير الوثيقة إلى أن الثورة امتدت إلى هيت وعانه، وراوندوز، «إن الخبر القائل: إنهم يريدون الاستيلاء على بغداد، صحيح⁽¹⁾».

كان انتشار الثورة من بغداد إلى المدن الأخرى سريعاً، وامتخذاً اتجاهات مختلفة؛ ففي الجانب الغربي من بغداد، أعلن زعماء عشيرة العقيل النجدية - التي سبق لبعضهم الاتفاق مع القيادة المصرية في الشام - الثورة على علي رضا باشا⁽²⁾، وشجّع تدهور الموقف العثماني في بغداد والي الموصل المعزول يحيى باشا الجليلي⁽³⁾، إلى التعاون مع صفوف الجربا شيخ مشايخ قبيلة شمر العربية، والمتحالف مع القيادة المصرية، وتولّى السلطة في الموصل باسم تلك القيادة⁽⁴⁾، وتعكس الإشاعات التي انتشرت بين السكان في تلك الآونة - والتي سجلتها التقارير المصرية - مدى ضعف السلطات العثمانية، وحراجه موقف ممثلها في

-
- (1) محفظة رقم 238 عابدين، تقرير: وحيد أفندي، عن يوم الاثنين 8 ربيع الآخر 1248.
- (2) الوثائق القومية محفظة 235، الوثيقة 198، من محرم 1248، ومحفظة 1248، ودفتر 40 معية تركي، وثيقة 832.
- (3) تولى الموصل أول مرة من 1238 إلى 1242هـ/ 1822-1827م، وتولاها ثانية من 1248 إلى 1249هـ/ 1832-1834م، وهو آخر من تولى الموصل من هذه الأسرة.
- (4) الوثائق القومية، محفظة رقم 239 وثيقة 73 بتاريخ 9 جمادى الأولى، وانظر كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي (النجف 1975) 203.

بغداد علي رضا، فقد أُشيع أنه اعتصم بقلعة بغداد، وأنه فرّ من المدينة، وأن أهل بغداد خلعوه، وولوا آخر في منصبه، وأنه لقي مصرعه⁽¹⁾.

وهكذا كانت ثورة عبدالغني آل جميل الشرارة الأولى لاندلاع سلسلة من الثورات، شملت مدن العراق، فضلاً عن بغداد نفسها، وهي وإن لم تقض على الحكم العثماني في العراق، إلا أنها نجحت في زعزعته، وإرباكه لعدة سنين، ولم تتجح السلطة العثمانية في إنهاء هذه الثورات إلا بعد أن استخدمت كل الأسلحة - ومن ضمنها المدفعية - عدة مرات، وبعد أن تكلفت في سبيل ذلك كله جهوداً وأموالاً طائلة.

4- ونموذج آخر من علماء بغداد، جدير بالتوقّف عنده، ذلكم هو العلامة السيد «إبراهيم فصيح الحيدري البغدادي» (1235 - 1299 هـ / 1820 - 1881 م)، فسيرة هذا الرجل العالم - كما صوّرها أقرانه من العلماء الذين ترجموا له - فقيرة خالية إلا من قائمة تأليفه العديدة، وهي مهمة تتوزع على مجالات التفسير، والحديث، والتصوف، والفقه، والعقائد، والنحو، والتاريخ، وأنساب الخيل والإبل، وغير ذلك، وأقصى ما ذكره عن مناصبه أنه تولّى نيابة القضاء ببغداد، وأنه صار عضواً في مجلس إدارة الولاية.

وهكذا فقد ظلت سيرته، غير العلمية، محاطةً بشيء من الغموض، وبدا اهتمامه بالحياة العامة فاتراً، وعنايته منصرفاً إلى البحث والتأليف، حتى وقفنا على ترجمة جديدة له في كتاب مخطوط ألفه السيد سعيد الراوي البغدادي⁽²⁾، وتضمن تراجم نخبة من علماء بغداد في العصر العثماني، فإذا بهذه الترجمة تسلط ضوءاً جديداً، ومهماً، على حياة العلامة الحيدري السياسية، بل إنها تكشف سراً غريباً من أسرار الدولة العثمانية في حينه، لم يُعرف من قبل أو بعد، يتعلق بطريقة خلع السلطان عبدالعزيز عن العرش في يوم 6 جمادى الأولى سنة 1293 هـ (29 أيار 1876).

وكان المعروف أن خلع السلطان جرى باتفاق بين كل من الصدر الأعظم ووزيري الحربية والبحرية، ومدحت باشا، وشيخ الإسلام حسن خيرى، وأن الأخير

(1) دار الوثائق القومية والتاريخية، محفظة 238 عابدين، تقرير: وحيد أفندي، عن 8 ربيع الآخر 1248، الوثيقة رقم 68.

(2) حققناه ونشرناه في بغداد، 1997، و2006.

هو الذي أصدر فتوى بوجوب ذلك [34]، إلا أن المخطوطة كشفت بجلاء عن وجود يدٍ أخرى في هذا العمل السياسي؛ إذ قالت في ترجمة السيد إبراهيم فصيح الحيدري المذكورة: «كان قد اشترك في خلع السلطان عبدالعزيز - رحمه الله - حتى إن القلم الذي كتبت فيه فتوى خلعه كان عنده؛ لأنه هو الذي استخرج الفتوى وأعطاهما إلى شيخ الإسلام، فلما وقع ما وقع من القبض على مدحت باشا وشيخ الإسلام ومن له علاقة بمسألة الخلع، جُرِّدَ المُترجم من رُتبته الممنوحة له من قبل السلطة، وكان إذ ذاك عضواً في مجلس الولاية⁽¹⁾».

وهذه الإشارة الفريدة تثير عدة أسئلة مهمة حول طبيعة صلته بشيخ الإسلام، والظروف التي جعلته يتوصل إلى ذلك الاجتماع السري الخطير، الذي وضعت فيه خطة الخلع، وكتبت الفتوى اللازمة لذلك، والأهمية التي احتلها بين المجتمعين، وبينهم الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ووزراؤه؛ لتترك له - وهو العراقي الوافد - مهمة كتابة الفتوى بقلمه، ولم كان له موقف أصلاً من السلطان عبدالعزيز؟ وهل أن موقفه هذا كان كرهاً منه للسلطان المذكور، أم رغبة فيمن تولى العرش بعده؟ وهو هنا ابنه مراد، الذي عرف بمراد خان الخامس، تلك أسئلة مهمة، لكنها تبقى دونما جواب؛ بسبب عدم اهتمام مترجميه بتسجيل هذه الجوانب السياسية من حياته.

إن أولئك العلماء البغداديين الذين تناولهم البحث، ليسوا إلا نماذج مختارة لغيرهم من العلماء الذين أدوا أدواراً سياسية، بل عسكرية مهمة، كان لها أثرها العميق في المجتمع العراقي إبّان القرون الأخيرة، بيد أن هذه الأدوار ظلت بعيدة عن دائرة الضوء؛ بسبب عزوف المؤرخين في عصرهم عن كتابة تراجمهم بجوانبها المختلفة، والاقتصار منها على الجانب العلمي أو التعليمي فحسب، ولولا ما كشفت عنه الوثائق غير المنشورة، وبعض الكتب الخطية، لظلت هذه الجوانب في طي الكتمان إلى ما شاء الله.

(1) الترجمة 25.

محمد امين السويدي دفين بريدة

اسمه ونسبه

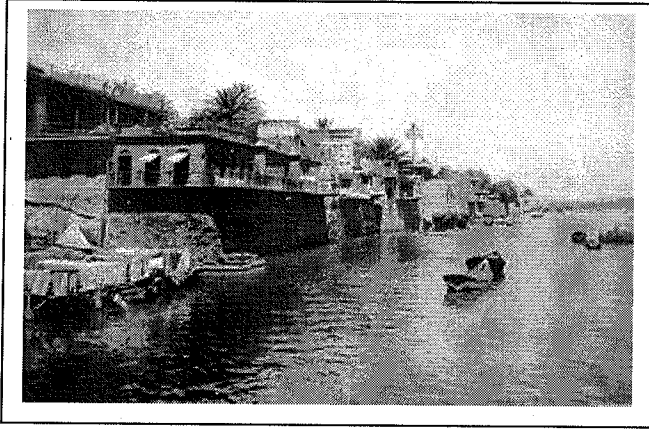
آل السويدي أسرة بغدادية عريقة كان لها دور مهم في نهضة الثقافة في العراق في القرنين الأخيرين⁽¹⁾، وهي تنتسب إلى عشيرة ألبو مدلل العباسية الشهيرة المقيمة في نواحي الدور، في شمالي سامراء، فهو محمد أمين، وكنيته أبو الفوز، بن علي بن محمد سعيد بن عبد الله (وهذا العلامة أول من عرف بالسويدي) بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين (وهو أول من قدم إلى بغداد) بن حسين بن علي بن أحمد بن محمد المدلل (جد عشيرة ألبو مدلل في نواحي الدور) بن حسين بن علي بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي بكر بن الفضل (المسترشد) بن أحمد (المستظهر) بن عبد الله (المقتدي) بن محمد (ذخيرة الدين) بن عبد الله (القائم) بن أحمد (المعتضد) بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن الموفق طلحة بن جعفر (المتوكل) بن محمد (المعتصم) بن الرشيد بن محمد بن عبد الله (المنصور) بن محمد (المهدي) بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي⁽²⁾.

(1) عرفنا بتاريخ هذه الأسرة تفصيلا وتراجم أعلامها في كتابنا (عبد الله السويدي سيرته ورحلته) بغداد 1988، ومقدمتنا لكتاب (النفحة المسكية في الرحلة المكية)، تأليف عبد الله السويدي، بتحقيقنا، أبو ظبي 2003، ومقدمتنا لكتاب (تاريخ حوادث بغداد والبصرة)، تأليف عبد الرحمن السويدي، بتحقيقنا، بغداد 1987، ومقدمتنا لكتاب حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تأليف عبد الرحمن السويدي، بتحقيقنا، بيروت 2010، ومقدمتنا لديوان عبد الرحمن السويدي، بتحقيقنا، بمشاركة وليد الأعظمي، بغداد 2000، ومقدمتنا لكتاب ورود حديقة الوزراء في ذكر مواليتهم في الزوراء، تأليف محمد سعيد السويدي، بتحقيقنا، دمشق 2012.

(2) عبد الله السويدي: الأمثال السائرة، مصر 1324هـ/1906م. وذكر كاظم الدجيلي أنه رأى نسخة من هذا النسب لدى يوسف أفندي السويدي (المتوفى سنة 1929م) وتاريخ كتابتها يرقى إلى سنة 975هـ/1567م، وهي موقعة بتواقيع جماعة من العلماء المشهورين في عصرهم، منهم الشيخ عبد الرحمن الرحيبي مفتي الشافعية في بغداد، ومحمد السعيد القادري، نقيب الأشراف، ومحمد رشيد المولى الحكيم، أي القاضي ببغداد، والشيخ علاء الدين الموصللي، والشيخ عبد الله الناصري وغيرهم، مجلة لغة العرب، 1912، ص 219. قلنا: وقد اطلعنا على نسخة مجددة من هذه الشجرة لدى الأستاذ المحامي علي بدري السويدي في مكتبته ببغداد سنة 2001م.

حياته

ولد محمد أمين في دار أبيه، في محلة عرفت باسم (خضر الياس) في كرخ بغداد، قرب شاطئ دجلة الغربي. وذكر أنه ولد «في أواخر المائتين بعد الألف»⁽¹⁾، ويتفق هذا مع ما ذكره السيد محمد سعيد بن عبد الغني الراوي في ترجمته إذ قال «كانت ولادته سنة تسع وتسعين بعد المائة والألف»⁽²⁾، وذكر الشيخ علي علاء الدين الألوسي أنه «شرع في التأليف وهو ابن خمس وعشرين، فشرح آنذاك متن والده في العقائد السلفية المسمى بالعقد الثمين»⁽³⁾، في حين يعين الشيخ محمود شكري الألوسي عمره آنذاك بأقل من ثلاثين عاماً، ومن محاسن المقادير أن مسودة هذا الشرح ما زالت محفوظة في خزانة الأوقاف ببغداد⁽⁴⁾، وقد رأيناها، فإذا بها قد تم تأليفها سنة 1226هـ/1811م، وإذا ما طرحنا من تاريخ الإتمام هذا 25 سنة، توصلنا إلى أن ولادة الشيخ كانت سنة 1201 أو 1200هـ/1785-1786م على وجه التقريب.



شاطئ محلة خضر الياس حيث ولد محمد أمين السويدي (صورة قديمة)

ومع أننا لا نعلم شيئاً عن طفولة أبي الفوز وصباه، لقلة مترجميه وضآلة ما كتبه عنه، فإننا نفهم مما ذكره السيد محمود شكري الألوسي (المتوفى سنة

(1) علي علاء الدين الألوسي: الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، بغداد 1967، ص87

(2) تاريخ الأسر العلمية في بغداد، بتحقيقنا، ط2، بغداد 2007، ص201.

(3) المصدر نفسه ص88.

(4) تحت العدد 1023.

1343هـ/1924م) ما يدل على ذكائه ونبوغه المبكر في تحصيل العلم، ومواظبته على الدرس، وإفادته من جمهرة علماء بغداد في عهده. قال «ترعرع في حجر الكمال، وامتص ثدي الفضل والأفضال، وحوى على صغر سنه ما حوى من العلوم، وتضلع بما تضلع من دقائق المنطوق والمفهوم»⁽¹⁾. ولا شك في أن شرحه كتاب والده المسمى (العقد الثمين)، وهو كتاب ضخيم، واسع المطالب، وهو في الخامسة والعشرين من العمر، ليقف دليلاً على نبوغه في وقت متقدم من حياته.

أساتذته وشيوخه

نشأ محمد أمين في بيت علم وأدب أضحى علماً بين بيوت العلم في بغداد، فكان أول أساتذته الذين أخذ عليهم العلم، وقرأ عليهم الكتب والمتون والشروح، والده العلامة الشيخ علي بن محمد سعيد السويدي المتوفى سنة 1237هـ/1821م مدرسة متكاملة من العلم الغزير والأدب الرفيع والخلق المتين، أثنى عليه معاصروه، فقال تلميذه المفسر الشهير أبو الثناء محمود الآلوسي (المتوفى سنة 1270هـ/1854م) في كلمة بليغة جامعها لمناقبه «كان ذلك الشيخ من كبار المتبعين.. كان لأهل السنة برهاناً، وللعلماء المحدثين سلطاناً، ما رأيت أكثر منه حفظاً، ولا أعذب منه لفظاً، ولا أحسن منه وعظماً، ولا أفصح منه لساناً، ولا أوضح منه بياناً، ولا أكمل منه وقاراً، ولا آمن منه جاراً، ولا أكثر منه حِلماً، ولا أكبر منه بمعرفة الرجال علماء، ولا أغزر منه عقلاً، ولا أوفر منه في فنه فضلاً، ولا أليّن منه جانباً، ولا آنس منه صاحباً...»⁽²⁾، فهذه العبارات تحمل توصيفاً دقيقاً للبيئة التي نشأ فيها السويدي، وهي بيئة جمعت بين ركنين متينين متلازمين، هما العلم الرصين، والخلق القويم، فلم يكن غريباً أن يمضى الولد على سنن أبيه، متأثراً بخلقه، متطبعاً بوقاره، متلمذاً على يديه، ولم يأل الوالد، وهو الأستاذ في عهده، جهداً في تدريس ولده ما تخصص به من علوم، وأولها علوم القرآن الكريم، من قراءات وتفسير، وعلم الحديث الشريف، لاسيما وهو الذي اشتهر بأنه «شيخ القراء والمحدثين»⁽³⁾، وهو «أعلم أهل مصره بالحديث»⁽¹⁾، هذا فضلاً عن علم

(1) المسك الأذفر، بغداد 1930، ص 82.

(2) غرائب الاغتراب، بغداد 1327، ص 17.

(3) عبد الرزاق البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، دمشق 1413هـ، ج 1 ص 479.

الفقه وأصوله، و علوم العربية، ومعارف أخرى كالفلك والمنطق والهندسة والحساب، وقد أشار هو نفسه إلى ذلك في أثناء حديثه عن شيوخه، فقال «أروي صحيح البخاري وغيره من كتب السنة قراءة لبعضها وإجازة بباقيها، وكذا سائر ما تجوز وتصح روايته من متون الحديث، صحاحه ومسانيده، وسننه ومعاجمه وأجزائه ومشيوخاته وأماليه وشروحه وكتب أصوله، وكذا جميع ما صحّت روايته وتلقيه من علوم والقراءات والعربية والمعاني والبيان وأصوله والكلام والعروض والمنطق والحكمة والهيئة والهندسة والحساب وغير ذلك عن شيخي ووالدي وأستاذي أبي المعالي الشيخ علي السويدي عن والده المرحوم الشيخ أبي السعود محمد السعيد»⁽²⁾. ومن الواضح أن مدة تتلمذ محمد أمين على أبيه العلامة لم تكن محددة، ولم تقتصر على مستوى بذاته من التعلم، وإنما استمرت لتشمل كل مستوياته، من المرحلة الأولية وحتى منحه الإجازة في كل من تلك الاختصاصات، ويكفي أن يكون زميله في التلمذة محمود أبو الشاء الألويسي، الذي سيصبح بعد حين علامة عصره، صاحب تفسير القرآن الشهير (روح المعاني) وغيره من الكتب النفيسة التي ذاع صيتها في العالم الإسلامي.

كما أنه لم يكتف بهذا فحسب، بل اندفع يأخذ العلم عن علماء بغداد الآخرين، «من علماء عصره وأوانه»⁽³⁾.

فمن تأثر به الشيخ خالد النقشبندي الكردي، وكان هذا قد قدم إلى بغداد سنة 1231هـ/1815م حيث استقر وأنشأ تكيته التي عرفت بالخالدية نسبة إليه⁽⁴⁾، ووجد في تجديد الطريقة النقشبندية سبيلاً إلى تقديم نوع من التصوف

(1) المسك الأذفر ص73.

(2) ثبت الشيخ محمد أمين السويدي، مخطوط.

(3) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2005، ص502.

(4) ولد الشيخ خالد النقشبندي في السلিমانيّة سنة 1190هـ/1776م وقدم إلى بغداد أول مرة

سنة 1226هـ/1811م، فاتخذ من إحدى حجرات الحضرة القادرية في جامع الشيخ عبد

القادر الكيلاني مقاماً له، إلا أن إقامته هذه لم تمت إلى أكثر من ستة أشهر، غادرها بعدها

إلى السلیمانيّة، ثم عاد إليها بعد نحو خمس سنين ليستقر فيها داعياً إلى الإصلاح حتى

مغادرته إياها إلى دمشق سنة 1238هـ/1822م، حيث توفّي بالطاعون هناك سنة

1242هـ/1828م.. ينظر بحثنا: التكية الخالدية في بغداد، ضمن كتابنا: دراسات وثائقية في

تاريخ الكرد الحديث وحضارتهم، الطبعة 2، دمشق 2011، ص251-469.

يجمع بين النزوع الروحي والعلم الشرعي، فأخذ يدعو إلى إصلاح التصوف من داخله، لتخليصه من الشطح والاشتطاط بالقول، والمظهرية التي رانت على رجاله في القرون الأخيرة، فكان عالماً وصوفياً في آن واحد، مؤلفاً ومصلاًحاً معاً، وقد وجد محمد أمين فيه، وهو لما يزل شاباً في الخامسة والعشرين من عمره، الرمز الذي يتوافق فيه العلم والروح، فأعجب به، ودافع عنه ضد منتقديه من أتباع الطرق الصوفية المنافسة، لاسيما الطريقة القادرية، كما ألف كتاباً رد فيه على أخي والي الموصل، أبي سعيد عثمان بك بن سليمان بك الجليلي (المتوفى سنة 1245هـ/1829م) الذي كان قد ألف كتاباً يعيب فيه النقشبندي ويقلل من قدره، بل ويكفره⁽¹⁾.

وعن طريق والده، عن جده العلامة محمد سعيد (المتوفى سنة 1223هـ/1808م)، تلقى الشيخ السويدي جميع مرويات الشيخ العلامة محمد مرتضى الحسيني الزبيدي مؤلف كتاب (تاج العروس من جواهر القاموس)، وكان جده هذا قد التقى بالزبيدي في القاهرة مرتين، الأولى سنة 1194هـ/1780م، عند الاحتفال بإنجاز كتابه (التاج) في داره في غيط المَعْدِيَّة⁽²⁾، حيث كتب له إجازة مختصرة، له خاصة ولأخيه الشيخ عبد الرحمن السويدي، ولأولاده، وأحفاده، وأسباطه. ومرة أخرى، في داره في سُوَيْقَة لالا، فأعاد إجازته له، وزاد عليها لمن ولد للسويدي بعد 1194هـ، ومن سيولد له، على مذهب من يرى ذلك، وكان تاريخ الإجازة في 10 ذي الحجة 1204هـ/1789م⁽³⁾، أي بعد ولادة أبي الفوز محمد أمين بعدة سنين، ولهذا فإننا نجدّه يضم الزبيدي إلى جملة شيوخه على الرغم من أنه - أي محمد أمين - لم يكن إلا طفلاً صغيراً. يقول «أروي صحيح البخاري أيضاً عالياً عن شيخنا الشيخ أبي الفيض محمد المرتضى ابن محمد الزبيدي الحنفي نزيل مصر القاهرة وذلك فيما أجازني به وكتبه بخطه من مصر عن شيخه الإمام المسند المعمر شمس الدين محمد بن علاء الدين المزجاجي الزبيدي الحنفي»⁽⁴⁾.

(1) عثمان بك الجليلي، أديب موصل، له مؤلفات في الأدب، منها (الحجة على من زاد على ابن حجة)، وتوفي سنة 1245هـ.

(2) تاج العروس، المقدمة ص(ي د)، طبعة الكويت 1965.

(3) نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج8، 1928، ص 752.

(4) ثبت الشيخ محمد أمين السويدي، مخطوط.

كان من أهم الظواهر التي شهدتها عصر السويدي، أن أخذت الخلافات الفكرية تطل برأسها على الحياة العامة متمثلة بتصنيف الكتب في الرد على هذا الفريق أو ذاك، أو في الأقل عقد مجالس المناظرة للغرض نفسه، وفي هذه الكتب والمناظرات يلقي كل فريق ما عنده من رأي، هجوماً أو دفاعاً عما يعتقد أنه الصواب، بل بلغ بالبعض إلى أن يبعث برسائل إلى علماء بلد آخر يطلب مناظرته فيما يطرح من رأي، وكان للسويدي في هذا المجال صولات لما عُرف عنه من مُكنة علمية وسعة اطلاع على مختلف الحجج التي يعتمد عليها أصحاب الفرق المناظرة، حتى اشتهر بذلك بين علماء عصره، قال الشيخ علي علاء الدين الألوسي «كم له مع الفرق الضالة من مطارحات عظيمة، ومجادلات وخيمة، وقد جلب فيها عليهم الويل والبلاء، وأوقعهم في مهاوي الردى وأودية العناء، ولم يناظر أولئك من الفرق الضالة إلاً وأفحمه وأظهره الله تعالى بما فتح الله عليه وألهمه، وأمن بفضله القريب والبعيد، وأذعن له الخصم الألد والجحود العنيد»⁽¹⁾.

وبلغت شهرته أسمع والي بغداد داود باشا، وكان هذا عالماً أديباً قريباً من أوساط علماء مدينته، فكان يلجأ إليه في الرد على دعاوى الخصوم، فحينما قام يوسف بن أحمد بن إبراهيم الأوالي بتأليف كتابه (سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد) يرد فيه على عز الدين ابن أبي الحديد في بعض المسائل في شرحه لكتاب (نهج البلاغة)، أحال داود باشا الكتاب من فوره إلى الشيخ السويدي طالباً منه شرحه ورده، فألف الشيخ كتاباً ضخماً سماه (الصارم الحديد في الرد على صاحب سلاسل الحديد) شرح فيه الأصل، كما يقول، شرحاً «يبين مفاصله ويحل معاقده ويهدم بنيانه، وينقضه من أسسه وجدرانه». وله رسائل يرد فيها على بعض الطلبة، وهي تدل على طول أناة، وقوة في الرد والإقناع، فضلاً عن إطلاع واسع على مصادر البحث⁽²⁾.

وكان السويدي إلى جانب ذلك عالماً بالأنساب، وقد ألف في حياة والده سنة 1229هـ/1814م كتاباً فيه سماه (سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب)، اعتمد

(1) الدر المنثور ص 90.

(2) وبعد كتابة هذا البحث، بلغنا أن السيد محمد محمود داود الصميدعي ناقش أطروحته بعنوان (محمد أمين السويدي البغدادي وأراؤه العقيدية في الإلهيات) التي تقدم بها إلى كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية ببغداد سنة 1434هـ/2013.

فيه على كتاب (نهاية الأرب) للشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندي المصري، ولكنه رتبته على نحو جديد، مع إضافات وملاحق، ولم يرتبه على حروف المعجم كما هو الأصل، وإنما وصل به أواخر القبائل بأوائلها بخطوط تمتد من الآباء إلى الأبناء، وازعاً كل اسم في دائرة، على شكل مشجرات، وحذف من (النهاية) قليلاً، وأضاف إليها كلاماً كثيراً، والفصول التاريخية التي ألحقها بالكتاب تتم عن اطلاع جيد، وفحص دقيق لكتب التواريخ والأخبار، مع ثقافة عامة واسعة⁽¹⁾.

وكان للشيخ مكنة ظاهرة في علمي المنطق والكلام، وله فيهما رسائل، لكنه لم يكن يميل إلى الفلسفة، حتى أنه نظم أرجوزة يهجو فيها الفلاسفة ويرد عليهم، إلا أنه، بالمقابل، كان يميل إلى التصوف، وحاول أن يوفق بين التصوف وبين الشريعة في رسالته التي سماها (الكوكب الزاهر في الفرق بين علمي الباطن والظاهر) داعياً - كما فعل غيره - إلى نفي وجود تناقض حقيقي بين مجالي المعرفة هذين.

وللشيخ - بعد هذا - اطلاع على الفلك والرياضيات، وله كتاب جيد في هذا الباب سماه (الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت) أتى فيه على مباحث مهمة في معرفة الشهور العربية و (الرومية) وأوائلها، ومعرفة القبلة وأوقات الصلاة، وتحدث فيه أيضاً عن حلول الشمس في البروج، ودرجتها من المنازل، ومعرفة القمر في البروج والكواكب، وغير ذلك من علوم الهيئة القديمة⁽²⁾.

وكان - رحمه الله - عالماً في اللغة متبحراً في فنونها، حتى قيل أنه كان يكتب عدة صفحات في شرح عبارة لغوية واحدة، أو مناقشة أحد اللغويين السابقين، ولم يكن ينتهي من مسألة إلا بعد أن يشبعها درساً وبحثاً، مع شواهد عديدة من كتب شتى في اللغة والأدب والشعر.

شعره

أما شعره فلم نعثر على شيء منه، باستثناء بيت واحد في مطلع قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، هو:

سَمَا فِي امْتِدَاحِي الْفِكْرُ وَالْحَسُّ وِرَاقَ رَفِيقِ الشُّعْرِ وَاتَّقَدَّ الْحَسُّ

(1) سبائك الذهب ص 2.

(2) عز الدين علم الدين: محلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ج 8، دمشق 1928، ص 751.

وقد ورد عنه أنه «له نظم قليل»⁽¹⁾، وقال السيد محمود شكري الألوسي «له نظم أرق من النسيم، وألذ من العافية لقلب السقيم»⁽²⁾.

وأثنى السيد محمد سعيد الراوي على قصيدته المذكورة في مدح النبي (ص)، وعدها «من نظمه الفائق»⁽³⁾. وقال عبادة «وللمرحوم المترجم شعر رقيق مثبت في المجاميع»⁽⁴⁾، وكنا قد أشرنا إلى أن من عنوانات كتبه ورسائله (أرجوزة في هجو الفلاسفة وردهم) إلا أننا لم نوفق في العثور عليها.

نثره

وأسلوب الشيخ في النثر الفني شبيه بأساليب علماء عصره، من حيث اصطناع السجع، والتكلف في اختيار الألفاظ، أما ما قيل من أنه له «نثر رائق، ونظم فائق، ومقامات أدبية»⁽⁵⁾، فلم نجد منه شيئاً، ورسائله التي ألفها في مولد النبي صلى الله عليه وسلم لا تخرج في أسلوبها عن كتب المواليد المعروفة، المتداولة في عصره، على الرغم من قول الألوسي أنه «أتى فيها بعبارات تشتاق إليها النفس، ويلتذ بتلاوتها الحس»⁽⁶⁾.

هذا مع أن هناك اختلافاً ظاهراً بين أسلوب الشيخ الفني واسلوبه العلمي الذي ألف فيه سائر كتبه ورسائله، فنحن نلاحظ في الأخير طلاقة وميل إلى سلوك أقرب الطرق إلى إفهام القارئ، وأيسرها إلى إقناعه، ومؤلفاته الدينية واللغوية تشهد له بذلك.

ومن نثره يمتدح والي بغداد داود باشا (1232- 1247هـ/1817-1831م) «شمس المجد على الإطلاق، بل بدر جميع المدن في الإشراق، مركز دائرة الكمال، فلك العرفان والأفضال، ذي الفضائل التي غدا بها حادي عشر العقول، والفواضل التي لو تزيّن بها الدهر لصارت له غرر وحجول، إن ذكر الذكاء فهو ذكاؤه، وإن

(1) قائمة بمؤلفات السويدي، ضمن مجموع مخطوط،

(2) المسك الأذفر ص 83،

(3) تاريخ الأسر العلمية، بتحقيقنا، ط2، بغداد 2007، ص 201.

(4) العقد اللامع ص 504.

(5) الدر المنتشر ص 89.

(6) المسك الأذفر ص 83.

وصف الفضاء فهو سماؤه، وإذا أجيلت الأقداح على العلوم فهو رقيبها ومعدنها،
..الخ»⁽¹⁾.

مظهره

انفرد الشيخ علي علاء الدين الألوسي بوصف هيئته ومظهره الخارجي،
فقال «كان المترجم- عليه الرحمة- بطيناً ضخماً الجثة، أسمر اللون، بياض لحيته
أكثر من سوادها»⁽²⁾.

وفاته

وفي عام 1246هـ/1830م، وهي السنة الأخيرة من ولاية داود باشا، وسنة
غرق بغداد وانتشار الطاعون فيها، سافر الشيخ السويدي إلى مكة حاجاً، وبعد
فراغه من أداء المناسك، توجه قافلاً إلى بغداد عن طريق نجد، إلا أنه توفي وهو في
قرية (بريدة)⁽³⁾، فدفن فيها، ويصف الشيخ علي الألوسي هذه الحادثة وصفاً
أدبياً على عادته، فيقول «أنه عليه الرحمة لما قرب أجله المحتوم، وأن يومه المعلوم،
اشتاقت أنفاسه إلى حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة
والسلام، فخرج إذ ذاك نحو ما قصد، وطلبه من الواحد الأحد، وأعطاه الله تعالى
مُنَاه، وبَسَّر ما تمناه، فأدى فريضة الحج، وتشرف بزمزم والمقام، ومرغ أجفان
عينيه بتراب مرقد مصباح الظلام، عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأكمل
السلام، ثم قصد العود إلى وطنه مربع الأولياء، ومأوى العلماء والفضلاء، فتوجه
إلى دياره من طريق نجد، وما درى أنه سيشق له اللحد، فلما قطع من أرض نجد
منازل عديدة، ووصل إلى قرية من قراها تسمى (بريدة)، لبت روحه الكريمة داعي
الله، واشتاقت نفسه لملاقاة مولاه، فتوفي في تلك القرية، ودفن فيها، بعد أن صلى
عليه غالب أهليها، .. فلما جاء خبره إلى بغداد، توالى على أهلها الأحزان والأنكاد،
وتألم لفقده الخاص والعام، وتأثرت لموته قلوب الكرام، حيث عادت المدارس بعد

(1) الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد، الورقة 3.

(2) الدر المنتشر ص 91.

(3) تقع بريدة على الجانب الأيسر لوادي الرمة على ارتفاع ما بين 600-650 عن سطح البحر،
وهي قاعدة منطقة القصيم ومركز إمارتها، وتتميز بوفرة المياه العذبة والخضرة، وهي اليوم
مدينة مزدهرة يزيد عدد سكانها على نصف مليون نسمة.

فقدته كالدوارس، ولطمت الفضائل بأكف الأسى وجوهها العوابس، وكان ذلك في سنة 1246⁽¹⁾.

ويؤكد الشيخ محمود شكري الألوسي تاريخ الوفاة هذا إذ يقول «هي السنة التي وقع فيها الطاعون، وجرى فيها من العيون العيون، وزادت دجلة فيها زيادة لم تعهد، فاتكسر لذلك كل سد، وأحاط ببغداد والبلاد...»⁽²⁾.

وذهب باحثون متأخرون⁽³⁾ إلى القول بأن وفاته جرت سنة 1244هـ/1828م، وهو رأي لا تؤيده، لأن له رسالتان ألفهما في سنة 1245هـ، ويزيد الأمر تحديداً كتابه (مناسك الحج) الذي ألفه أثناء حجه، إذ جاء فيه «يقول العبد المفتقر إلى عفو الله الأبدى محمد أمين السويدي: لما عزمت على حج بيت الله الحرام في السنة 1246»، وفي آخره «تمت بعون الله وتوفيته في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة 1246 من الهجرة النبوية»⁽⁴⁾، فذلك يعني أنه كان حياً في هذا التاريخ، وأنه كان في بريدة بعده، أي بعد 13 رمضان سنة 1246هـ/24 شباط 1831م، وهذا يعني، من ثم، أن توجهه إلى بغداد لم يكن بعد انتهاء موسم الحج مباشرة، بل بعد مكوثه في الديار الحجازية، مجاوراً متبركاً عدة أشهر، وعليه فإن وفاته كانت في أحد أيام الأشهر الأربعة الأخيرة من السنة 1246هـ دون ريب (الأشهر شباط- حزيران من سنة 1831م). وليس ببعيد أن يكون تربيته في مكة أو في بريدة رغبة منه في أن تكون عودته بعد انقضاء صفحة الطاعون في العراق.

ويبدو أن وفاة الشيخ في السنة المذكورة، وهي سنة فشو الطاعون في بغداد، قد دفع بالبعض إلى القول بأنه توفي مطعوناً، جاء في كلمة لناسخ كتاب السويدي المسمى (الكواكب الساطعة في بيان المقاصد النافعة) أنه من «تأليف العالم العلامة، والبحر الفهامة، الشيخ الفاضل السيد أمين أفندي السويدي رحمه الله تعالى، وقد توفي في الطاعون سنة 1246، وبذلك توفي جملة من العلماء رحمهم الله تعالى»⁽⁵⁾. في حين

(1) الدر المنتثر ص 90.

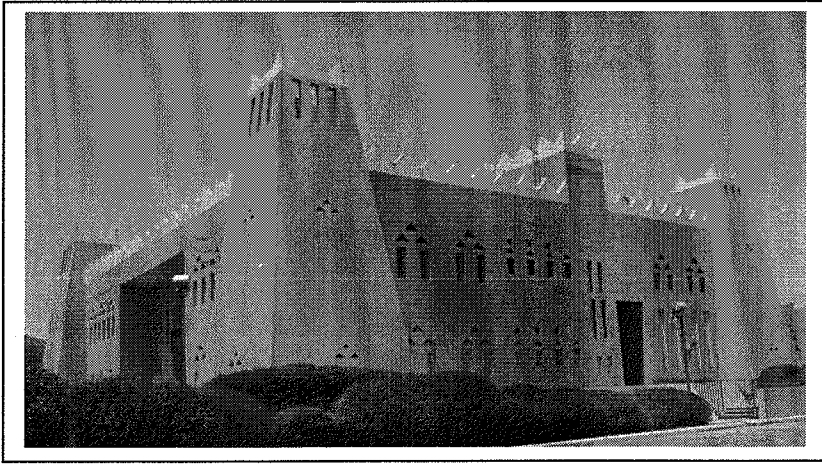
(2) المسك الأذفر ص 84.

(3) كاظم الدجيلي، مجلة لغة العرب، ج 2 ص 452، وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق ج 2 ص 48.

(4) مناسك الحج، مخطوط.

(5) الكواكب الساطعة، نسخة خطية محفوظة في مكتبة دار التربية الإسلامية ببغداد، مجموعة عباس حلمي القصاب. وقد صنعنا فهرساً لهذه المكتبة، مجلة المورد، المجلد 6 (1977) العدد

نعلم أن الطاعون لم يتجاوز مدينة الكويت⁽¹⁾، وأن الشيخ توفى في نجد قبل وصوله إلى وطنه كما ذكرنا. وجاء في ورقة العنوان التي في أول نسخة أخرى من مخطوطة (الكواكب الساطعة) محفوظة في المكتبة القادرية ببغداد، تحت العدد 574، تعليقة تقدم ضوءاً جديداً على ظروف معاناته في أيامه الأخيرة، وهي «وقد كانت يد الشارح اليمنى مقطوعة الأصابع، وكان يكتب باليسرى، توفى عليه الرحمة بعد عودته من الحج في جبل شمر⁽²⁾ أو عنيزة⁽³⁾ أو في ذلك الطريق بعلة غير الطاعون سنة 1246». ولا نعلم سبب قطع أصابع يده، رحمه الله، ولا طبيعة العلة التي أودت به، وما إذا كانت وفاته لها تعلق بالحادثة التي تسببت في قطع أصابعه، وعلى أية فإن النص يكشف عن صبره وجلده، وإصراره على الكتابة في ظل ظروف بالغة الصعوبة، وهو في صحراء مجدبة في طريق عودته إلى وطنه.



مبنى على طراز تراثي في بريدة

مكتبته

في مؤلفات الشيخ ورسائله، وهي عديدة ومتنوعة، بيان جلي بسعة اطلاعه، وكثرة

1 ، ص 233-270 ، والعدد 2 ص 265-298 وتضم هذه مجموعة القصاب 165 مخطوطاً، من سائر مخطوطات المكتبة.

(1) دخل الطاعون بغداد، قادماً من إيران في أواسط رمضان 1246هـ/ أواخر آذار من سنة 1831م، ووصل إلى الكويت في شتاء ذلك العام.

(2) جبل شمر في منطقة حائل في شمال بريدة، على طريق المتوجه إلى العراق.

(3) جبل محجة عنزة يبعد عن حائل جنوباً حيث جبل شمر بنحو 260 كم.

مقروءاته، وتتنوع دراساته وملاحظاته، ذلك أننا نجد في ثناياها شواهد عديدة، ونقول كثيرة من مختلف الدواوين، وكتب اللغة والمعاجم، وكتب المنطق والكلام، فضلاً عن كتب العلوم الشرعية، بل أن بين مصادره كتب نادرة، وتصانيف عزيزة الوجود، ورسائل نفيسة، وهو عندما سئل عن مسألة في الإمامة، وجدناه يجيب بكل ثقة «لم أر من صرح بهذه المسألة من فقهاء الحنفية في كتبهم الموجودة عندي»⁽¹⁾ مما دل على طول ملازمته للكتب، وكثرة ما احتوته خزائنه منها. ومن المؤسف أن تتبدد محتويات هذه الخزنة بعد وفاته، مثلها في ذلك مثل معظم خزائن العلماء، ومع ذلك فقد وقفنا على عدد من الكتب عليها تمليكات باسمه، يظهر أنها كانت يوماً من تلك المحتويات، ثم آل جانب منها إلى ابنته نائلة⁽²⁾، وإلى أخته سالحة، وإلى زوجته حافظة، وآخرين من أسرته، ووصل بعض هذه المخطوطات إلى المكتبة القادرية العامة في بغداد، وإلى غيرها من المكتبات، وهي:

1- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن. تأليف زكريا بن أحمد الأنصاري السبكي. آل إلى محمد بن عبد الرحيم السويدي سنة 1248هـ، وصالحة بنت علي السويدي، وهي أخت محمد أمين، محفوظ تحت العدد 104.

2- مطارب الصالحين الطالبين الحق ومهارب الطالحين المبتدعين غير الحق. تأليف محمد بن مراد، أبي الفضل، آل إلى حافظة الخليل⁽³⁾، محفوظ تحت العدد 805

3- كنز الناظر في مختصر الزواج. تأليف محمد بن علي بن قاسم البيروتي. آل إلى ابنته نائلة⁽⁴⁾، تحت العدد 749

4- رسالة في الرد على القزلباشية. تأليف حسين بن عبد الله الشيرواني، آل إلى صالح السويدي بالشراء سنة 1246هـ، أي أنه بيع بعد وفاة محمد أمين من تركته. تحت العدد 1447هـ.

5- كشف الكشاف. تأليف عمر بن عبد الرحمن الفارسي. آل إلى محمد سعيد

(1) رسالة فيمن يصح أن يكون إماماً ولا يصح أن يكون مأموماً، مخطوط.

(2) ينظر مثلاً كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج 1 ص 131 و ج 3 ص 105 و 140

(3) الآثار الخطية ج 2 ص 498

(4) الآثار الخطية ج 3 ص 105

بن محمد أمين مفتي بغداد سنة 1252هـ. مخطوط في المكتبة المركزية لجامعة صلاح الدين في أربيل تحت العدد 314.

والله تعالى أعلم بمصير سائر كتب هذه المكتبة الغنية.

مدرسته

للمدارس في بغداد أوقاف مرصدة، وقفها مؤسسوها وغيرهم من أهل الخير، للإنفاق على العاملين عليها، ومنهم المدرسون، ولم يتخذ السويدي إحدى هذه المدارس مؤثلاً لتدريسه، ومن ثم فإنه لم يكن يتقاضى عن عمله أجراً من وقف أو نحوه، مفضلاً أن يلتقي بطلبته في بيته، وقد وصف السيد محمود شكري الألوسي هذه الدار بقوله «كانت رصينة البناء، واسعة الأرجاء، وكانت طبقتين: عليا وسفلى»⁽¹⁾. وذكر السيد محمد سعيد الراوي أن موضع التدريس من البيت كان يشغل ثلاث غرف في الطبقة العليا من غريبه⁽²⁾. ومع مرور الزمن تحول البيت إلى مدرسة، وقصدها الطبقة لتلقي العلم في حجراتها، وقد جرى افتتاحها في سنة 1239هـ/ 1823م، ويقع هذا التاريخ في مدة حكم والي بغداد داود باشا، بل المدة التي شهدت عناية هذا الوالي بتعمير المساجد في بغداد، فكان أن عمره ووقف عنده ثلاثة دكاكين للإنفاق عليه، وسماها السيد عبد الغني الراوي مدرسة «جامع داود باشا الشهيرة بخضر الياس»⁽³⁾.

وأرخ أحد الشعراء تاريخ تحولها إلى مسجد ببيت هو:

مُنْ حَلَّ فِيهَا الْعِلْمَ أَرْخَتْهَا بُشْرَى لِدَارِ الدَّرْسِ فِيهَا أَمِين

سنة 1239هـ

وكان ممن تخرج فيها العالم المؤرخ عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي (المتوفى سنة 1287هـ/ 1870م) قال «شيخني المحقق.. قرأت عليه العقائد والأصول والحديث الشريف وسائر العلوم الأخرى، ثم لما كملت أجازني بنص إجازته بقلمه وكلامه سنة 1244»⁽⁴⁾. وآخر من تولى التدريس فيها هو الشيخ

(1) مساجد بغداد وآثارها ص113.

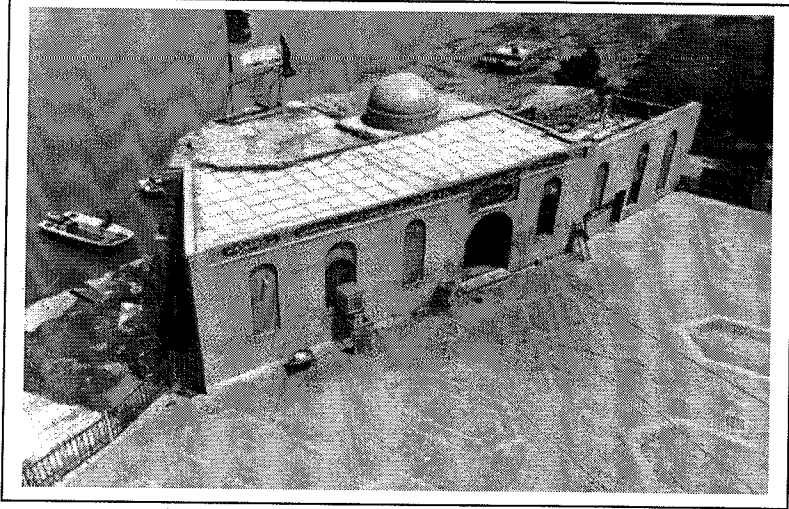
(2) خير الزاد في تاريخ جوامع ومساجد بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2006، ص403.

(3) تاريخ الأسر العلمية في بغداد، بتحقيقنا، ص93.

(4) عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي: تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر

للهجرة، بتحقيقنا، بغداد 1997م، ص84.

أحمد بن السيد عبد الغني الراوي (المتوفى سنة 1382هـ/1962م)، ثم الغني
التدريس سنة 1367هـ/1937م وأصبحت مسجداً جامعاً، عرف بمسجد خضر
الياس، لوقوعه قرب مقام يسمى بهذا الاسم يقع على شاطئ دجلة القريب.⁽¹⁾
وقد أزيل هذا المسجد عند فتح جسر باب المعظم سنة 1975.



مقام خضر الياس في كرخ بغداد وكانت بقريه مدرسة محمد أمين السويدي

ذريته

تزوج الشيخ السويدي من امرأة اسمها (حافظة الخليل)⁽²⁾، من آل مصطفى
الخليل، الأسرة المعروفة في بغداد والحلة⁽³⁾، على ما ورد اسمها مالكة لكتاب من
خزانة كتبه⁽⁴⁾. وأنجب منها أولاداً ذكوراً ماتوا جميعاً في حياته، أما من الأناث فقد

(1) إبراهيم الدرويبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، ص 312.

(2) مناسك الحج، مخطوط.

(3) أسرة معروفة هاجر أسلافها من مدينة حماة إلى حديثة، على الفرات، ثم استقروا في بغداد
إبان النصف الأول من القرن الحادي عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد)، وبرز منهم
السيد إسماعيل المعروف بالحموي، الذي تولى الإفتاء ببغداد، وابنه خليل الذي تولاه أيضاً،
ولخليل ولدان، أحدهما محمد، وهو جد آل الطبجلي، والآخر مصطفى، وهو الذي عرفت
أسرته باسمه فقيل لها آل مصطفى الخليل، وكان لمصطفى هذا دار في الكرخ وأخرى في
الحلة، عُدتا مقصداً لشعراء عصره وأدبائه.

(4) كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج 3 ص 141.

رزق ببنت سماها (نائلة)⁽¹⁾، والظاهر أنها كانت كبرى بناته، إن وجدت له بنات غيرها، بدليل تملكها لكتبه بعد وفاته، وكانت كل من أمه وزوجته المذكورة قد أوصيتهن- قبل توجهه إلى الحج- بأن يضحى لهما في مكة ففعل⁽²⁾.

آثاره

كان الشيخ منصرفاً إلى التأليف على الرغم من قيامه بالتدريس، وقد نوه مترجموه بذلك، فقال الشيخ علي علاء الدين الألوسي «لم يزل -رحمه الله- يصرف الأوقات في التصانيف والتأليفات حتى ألف من الأسفار نحو وقر بعير، وأشبع الكتب من التحرير والتعبير»⁽³⁾.

فمن الكتب التي ألفها:

1- التوضيح والتبيين لمسائل العقد الثمين في بيان مسائل الدين، والعقد الثمين كتاب ألفه والده الشيخ علي السويدي سنة 1214هـ/1799م، ويدور حول نبذ البدع المنتشرة في عصره، لاسيما السحر وسكنى المقابر والاعتسال بالأبار طلباً لبركاتها، وأمثال ذلك مما لا أصل له في الدين، وقد شرحه أبو الفوز في حياة أبيه، وكان يومذاك شاباً لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، وفرغ منه في 15 ذي الحجة سنة 1226هـ/1811م، فجاء الكتاب غنياً بمادته العلمية، معززاً لأفكار مؤلف أصله، أي والده، «فضفر يومئذ بطارفه وتالده»، فكان كما وصفه من رآه «كتاباً تشد إليه الرواحل، وتقطع دونه المنازل»⁽⁴⁾. وأهم ما جاء في الشرح أنه عد من واجبات الإمام محاربة مثل تلك البدع وإزالتها من المجتمع.

وأول الكتاب «الحمد لله المذكور بكل لسان، المعبود بكل مكان، الواجب وجوده بدلالة البرهان المنزه عن الحدوث والإمكان..»، ومسودته التي بخط المؤلف محفوظة في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت العدد 7023، وعدد أوراقها 317 ورقة،

(1) الدر المنتشر ص90.

(2) جاء في تعليق لمحمد أمين السويدي على الصفحة الأولى من كتابه (مناسك الحج) ما نصه «أوصيتي والدتي أن أضحي لها أضحية في مكة المشرفة، وكذلك أوصيتي زوجتي حافظة، وعلى حاشية الصفحة بالخط نفسه «اشترت الضحايا كل واحدة في ريال، والباقي نرجعه إلى أهله».

(3) الدر المنتشر ص88، وينظر المسك الأذفر ص83.

(4) المسك الأذفر ص82.

على بعضها شطب وتبديل وإضافات⁽¹⁾. ومنه نسخ أخرى في المكتبة نفسها ضمن مجموعات تحت الأعداد 7203، و13818، و9957⁽²⁾، ومنه نسخة أخرى، نسخت سنة 1299هـ/1881م محفوظة في المكتبة القادرية في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد، تحت العدد 363، ويبلغ عدد صفحاتها 454 ورقة⁽³⁾.

2- المنح الإلهية في شرح تخميس اللامية، والتخميس لوالده المذكور، أما اللامية فهي للبوصيري، وهو «مجلد ضخمة»⁽⁴⁾.

3- سماع المواهب الإلهية⁽⁵⁾. ولعله سابقه.

4 - سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. ألفه سنة 1229هـ/1813م⁽⁶⁾، وأتمه في 16 شوال منها، أوله «الحمد لله الذي خلق الخلق فاختر منهم العرب، واختصهم بأن جعلهم قبائل وشعب، وميزهم بأن رفع بهم منار الأدب». منه نسخ خطية عديدة، منها في المكتبة القادرية العامة ببغداد، تحت العدد 1261، في 61 ورقة، وفي مكتبة المتحف البريطاني تحت العدد 1543، وفي مكتبة جون رايلند في مانشستر تحت العدد 256(718)، في 57 ورقة⁽⁷⁾. وجد الكتاب قبولاً واسعاً لدى المعنيين بشؤون الأنساب في عصره وما تلاه، فكان من بين أقدم المطبوعات التي طبعت في بغداد، والقاهرة، والهند. وبات، لاسيما في أوساط القبائل نفسها، بمثابة الحجة المقبولة التي يحتج بها في كل خلاف ينشأ في مسألة نسبية. طبع

(1) اسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون ج2 ص105 وأسد طلس: الكشف عن خزائن الأوقاف ص 127، وقد وهم طلس فذكر أنه ألفه سنة 1138هـ، والصحيح الذي في المخطوط نفسه أنه ألفه في السنة التي أثبتتها.

(2) فهرس المخطوطات العربية ج2 ص120.

(3) طبع الكتاب في المطبعة الميمنية في القاهرة سنة 1325هـ حقق عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الشميسان كتاب التوضيح والتبيين، متخذاً إياه موضوعاً لنيل درجة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة 1417.

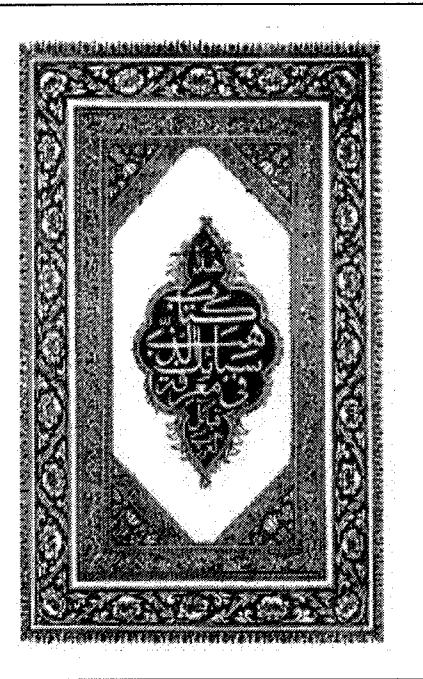
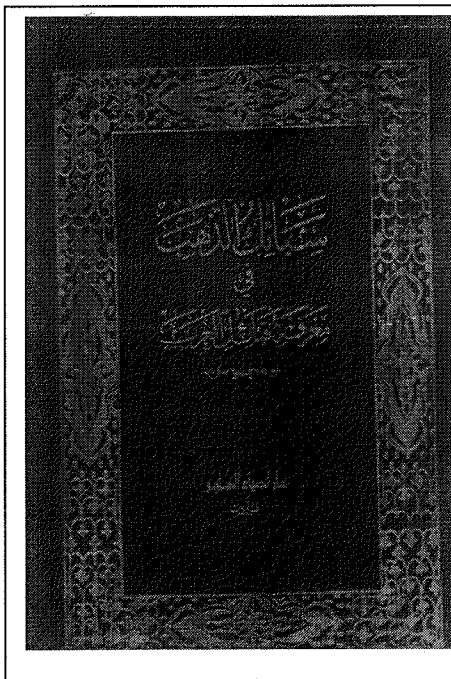
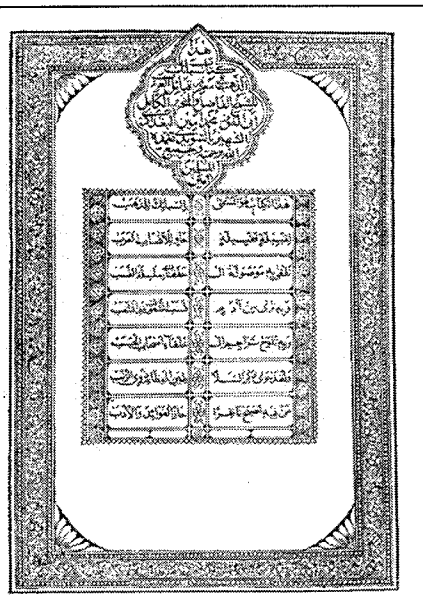
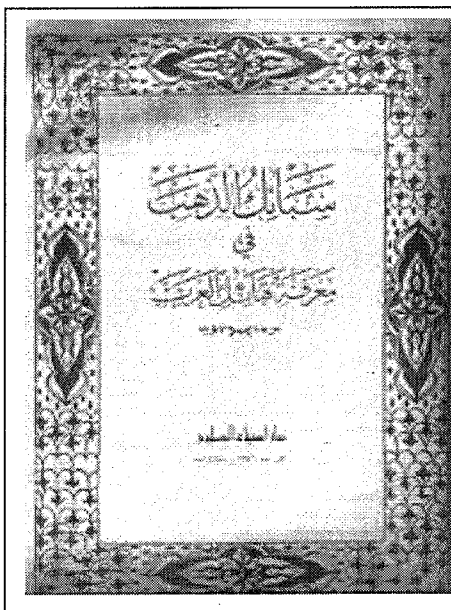
(4) قائمة بمؤلفات السويدي، ضمن مجموع مخطوط. وينظر تاريخ الأسر العلمية ص199.

(5) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع ص504.

(6) تقع سنة 1229هـ في مدة حكم السلطان محمود الثاني، في حين جاء في المطبوع من سبائك الذهب ذكر السلطانين عبد المجيد وعبد العزيز، وهذا من عمل ناسخ أو ناشر متأخر، فإن سنة تولي عبد المجيد سنة 1255هـ، وعبد العزيز سنة 1277هـ، أي بعد وفاة السويدي بمدة طويلة.

(7) كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2: لندن 2009، ص229-231.

على الحجر ببغداد، سنة 1280هـ/1863م ثم أعيد طبعه في بومبي بالهند سنة 1296هـ/1878م، وفي القاهرة وبغداد بالتصوير (أوفسيت) غير مرة.





طباعات مختلفة لكتاب (سبائك الذهب في أنساب العرب)

4- مُعِين الصُّعْلُوكِ عَلَى السَّيْرِ وَالسَّلُوكِ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ، وَهُوَ مَجْلَدٌ ضَخْمٌ فِي التَّصَوُّفِ، شَرَحَ فِيهِ كِتَابَ (السَّيْرِ وَالسَّلُوكِ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ) تَأَلِيفَ قَاسِمِ بْنِ صَلاَحِ الدِّينِ الْخَانِيِّ الْحَلْبِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ 1109هـ/1697م، شَرَحاً وَافِيَا مُوضِحاً لِعَرَضِهِ، مُحَفِّزاً لِقَارِئِهِ أَنْ يَسْلُكَ أَقْوَمَ السَّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَيْسَرِ سَبِيلٍ، فَهُوَ يُمْكِنُ أَنْ يَعِدَ مِنْ كِتَابِ التَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمِثْلِيِّ⁽¹⁾. وَأَوَّلُهُ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي طَهَّرَ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْأَغْيَارِ.. أَمَا بَعْدَ فَيَقُولُ .. أَبُو الْفَوْزِ مُحَمَّدُ أَمِينُ الشَّهِيرِ بِالسُّوَيْدِيِّ إِذَا كَانَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْظَمِ الْعُلُومِ قَدِراً .. وَرَدَ فِي رَوْعِي الْوَارِدِ الرَّحْمَانِيِّ .. بِأَنْ أَشْرَحَ كِتَابَ السَّيْرِ وَالسَّلُوكِ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ تَأَلِيفَ مَوْلَانَا الشَّيْخِ قَاسِمِ الْخَانِيِّ الَّذِي أَلْفَهُ فِي طَرِيقَةِ الْخُلُويَةِ شَرِحاً يَكْشِفُ الْحِجَابَ عَنْ وَجْهِهِ خِرَائِدُهُ». مِنْهُ نَسْخَةٌ خَطِيئَةٌ فِي خَزَانَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْغَنِيِّ الرَّائِي بِبَغْدَادِ⁽²⁾.

5- الْجَوَاهِرُ وَالْبِوَاقِيْتُ فِي مَعْرِفَةِ الْقَبِيلَةِ وَالْمَوَاقِيْتُ، وَهُوَ كِتَابٌ مُتَوَسِّطٌ رَتَبَهُ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ، الْأَوَّلُ فِي مَعْرِفَةِ الشُّهُورِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَوَائِلِهَا، وَالثَّانِي فِي مَعْرِفَةِ

(1) كنا قد صورنا من هذا المخطوط نسخة، وشرعنا في تحقيقها، ثم أعرناها لبعض طلبتنا، فلم يعدها بل أنكرها بالكلية، عامله الله بعدله، ولم يتيسر لنا أن نصورها مرة أخرى.

(2) كتابنا: مخطوطات خزانة السيد محمد سعيد الراوي، بغداد 2005، ص112.

الشهور الرومية وأوائلها، والثالث في معرفة أوقات الصلاة، والرابع في معرفة القبلة، والخامس في حلول الشمس في البروج ودرجتها من المنازل، والسادس في بيان معرفة حلول القمر في البروج، والسابع في تعريف ما يقع في هذه الرسالة من الكواكب، والثامن في الأحكام الواقعة في الأشهر الرومية، وفيه اثنا عشر فصلاً⁽¹⁾.

أوله «الحمد لله الذي خلق سبع سموات وزينها بالثواب السيارة.. لما كانت معرفة القبلة وأوقات الصلاة». منه نسخة في المركز الوطني للمخطوطات ببغداد تحت العدد 8705، نسخت سنة 1300هـ/1882م ويقع في 39 ورقة.

6- السهم الصائب لمن سمى الصالح بالمبتدع الكاذب، أو دفع الظلوم في عرض هذا المظلوم، أو القول بالصواب في رد ما يسمى بتحرير الخطاب. وهو كتاب ألفه في الرد على رسالة الشيخ معروف النودهي البرزنجي المسماة (تحرير الخطاب)، وشرح عثمان بك بن سليمان الجليلي عليها، المسمى (دين الله الغالب على المنكر المبتدع الكاذب)، وفيه رد على اتهامات المؤلفين في الشيخ خالد النقشبندي⁽²⁾.

وقد رتب السويدي رده هذا على مقدمة وكتاب وخاتمة، شرح في المقدمة الطريقة النقشبندية، وبيان حكم من كفر آخاه المسلم الساكن في دار الإسلام، أما الكتاب فجعله يشتمل «على رد ما في الرسالة من زخارف الأقوال بالبراهين القواطع لكن بوجه فيه إجمال»، ثم ختمه بشيء «من ترجمة الشيخ الذي افتروا عليه وعلى بعض فضائله الحسنة وفواضله المستحسنة»، وأتمه في 13 محرم سنة 1237هـ/1821م، وأوله «الحمد لله الذي ألف بدينه بين قلوب العباد، وأمرهم بالتودد بين أهل القربان لينتظم لهم مبدأ السلوك كالمعاد...».

من الكتاب نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد بعنوان (السهم الصائب) تحت العدد

(1) عز الدين علم الدين: مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق ج8 (1928) ص451.
(2) وكان الشيخ محمد أمين أفندي مفتي الحلة قد رد على رسالة (تحرير الخطاب) للنودهي برسالة مطولة وقع عليها وأيدها العلماء، وأرسلها إلى مؤلفها النودهي بتشجيع من والي بغداد داود باشا (أنظر سليمان فائق بك: مرآة الزوراء في سيرة الوزراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد ص132)، وفي خزانة يعقوب سركيس كتاب مجهول المؤلف في الرد على معروف النودهي لعله هو، كما يوجد كتاب آخر مجهول المؤلف أيضاً في الرد على عثمان الجليلي يختلف أوله عن أول كتاب السويدي، وكلاهما ضمن مجموعة رقمها 187. كوركيس عواد: فهرست مخطوطات يعقوب سركيس المهتدة إلى جامعة الحكمة ببغداد، بغداد 1966، ص120.

6827 وتقع 64 ورقة من القطع الكبير⁽¹⁾، ونسخة أخرى بعنوان (دفع الظلوم) تحت العدد 13843/23، وتقع في 79 ورقة⁽²⁾، ومنه نسخة بالعنوان الأخير في خزانة كتب أسعد أفندي باستانبول تحت العدد 1404، كما توجد نسخة أخرى في خزانة عباس حلمي القصاب ببغداد تقع في 49 ورقة من القطع الكبير⁽³⁾.

7- مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم. مختصر في السيرة النبوية، أوله «الحمد لله الذي أظهر شمس معارف النبوة المحمدية من أفق سماء الكمالات في شهر ربيع الأول، فأشرق بها مظاهر تجلي الصفات فاستتار بها كل موجود»، مخطوط ضمن مجموع في مكتبة الأوقاف ببغداد، تحت العدد 7298، ويقع في 28 ورقة.

8- الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد. ألفه في الرد على كتاب (سلاسل الحديد في تقييد ابن عبد الحديد)، لمؤلفه يوسف بن أحمد بن إبراهيم الأوالي، بناء على طلب والي بغداد داود باشا، ففرغ من تنويده في 14 رمضان سنة 1244هـ/1828م.

وأوله «الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام ديناً، ونصب لنا الدلالة على صحته برهاناً مبيناً...» منه نسخة نفيسة في مجلد في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت العدد 5149 وهي بخط علي بن محمد الحميري في آخرها أنها قوبلت على نسخة المؤلف، على يد السيد محمود أبي الثناء الآلوسي، والظاهر أنها النسخة الأصلية المهداة إلى داود باشا، عدد أوراقها 706 ورقة، من القطع الكبير⁽⁴⁾. ومنه نسخة أخرى في المكتبة القادرية العامة في بغداد، تحت العدد 635، تم نسخها في سنة 1301هـ/1883م في مجلدين ضخمين، عدد أوراق كل منهما 176، 182 ورقة⁽⁵⁾.

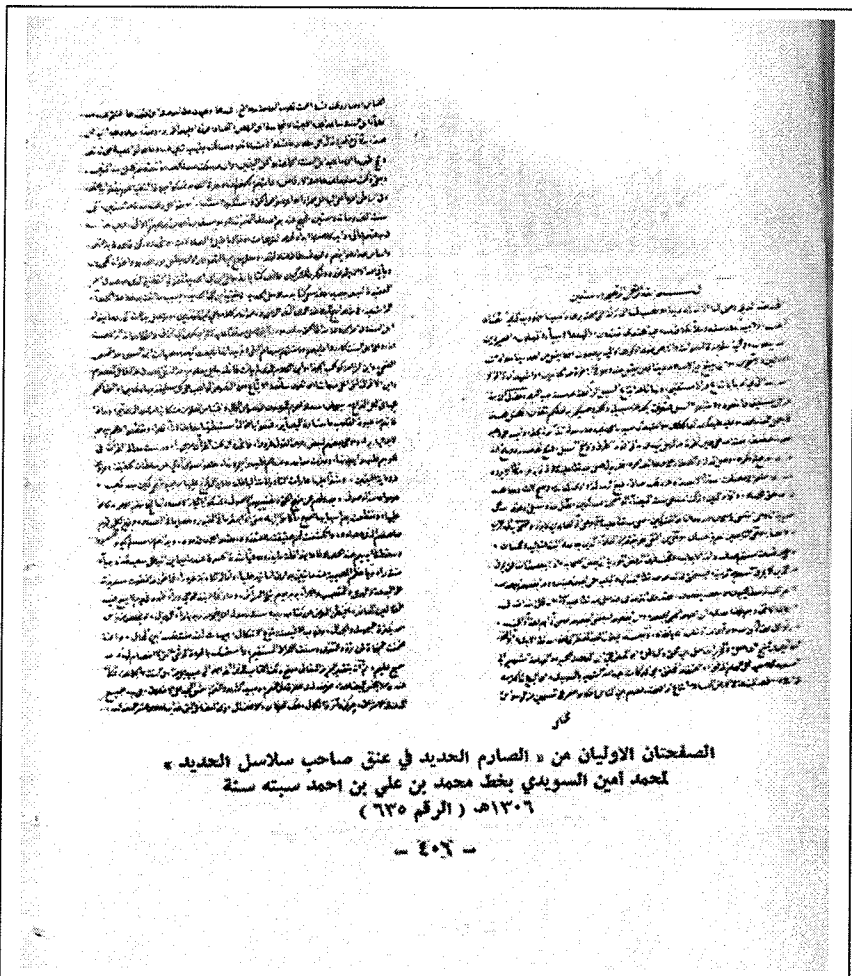
(1) الكشف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف، ص127، وقد ذكر الدكتور أسعد طلس أنه ألفه سنة 1228هـ، مع أن المذكور في آخر النسخة هو التاريخ الذي ذكرناه.

(2) عبد الله الجبوري: فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف، ج2 ص543 والجبوري: فهرس مخطوطات حسن الأنكرلي المهداة إلى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ص28.

(3) بحثنا: فهرس مخطوطات عباس حلمي القصاب، في مكتبة دار التربية الإسلامية ببغداد. وقد تقدم.

(4) فهرس المخطوطات العربية ج2 ص557 الكشف ص128 وفيه أن رقم المخطوط 5140، والصحيح ما ذكرناه.

(5) الآثار الخطية ج2 ص485-488.



المصنفان الأوليان من «الصارم الحديد» في عتق صاحب سلاسل الحديد»
 محمد أمين السويدي بخط محمد بن علي بن احمد سنة 1306هـ (الرقم 635)

- 406 -

الصفحتان الأوليان من (الصارم الحديد) نسخة المكتبة القادرية

9- الاعتبار في حمل الأسفار في الأحاديث التي لا إسناد لها الواردة في كتاب المغني عن حمل أسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار. والأصل للشيخ عبد الرحيم بن حسين العراقي (المتوفى سنة 806هـ/1403م). أوله «الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين»، ألفه سنة 1245هـ/1829، تتبع فيه 271 حديثاً موضوعاً ليس له أصل في إحياء العلوم للغزالي منه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد، ضمن مجموع تحت العدد 7398، وتقع في 18 ورقة⁽¹⁾. وأخرى في 21 ورقة كتبت سنة 1301

(1) الكشاف ص 302

هـ/1883م تحت العدد 2/13769⁽¹⁾، وثالثة في مكتبة المرحوم السيد محمد سعيد الراوي، ضمن مجموع تحت العدد 16/164، في 14 ورقة⁽²⁾، حققه علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، مكتبة لينة، دمنهور، مصر، 1414هـ/1993م.

10- التحفة المرضية مختصر الترجمة العبقرية⁽³⁾. والترجمة العبقرية والصولة الحيدرية للتحفة الإثني عشرية، لمحمد سعيد السلمي.

11- فتح الرحمن⁽⁴⁾ في مواعظ شهر رمضان. نسخة في المكتبة القادرية العامة ببغداد، تحت العدد 739، أولها «قال شيخنا أبو الفوز محمد أمين أفندي السويدي في فتح الرحمن» فهو نقول من الأصل جمعها بعضهم، ويقع في 3 أوراق⁽⁵⁾.

12- شرح تاريخ ابن كمال باشا⁽⁶⁾. وهو أحمد بن سليمان بن كمال باشا المتوفى سنة 940هـ/1534م.

13- شرح عبارة في التاريخ، هي «.. في العشر الرابع من الثلث الثاني من السادس الخامس من النصف الأول للعشر الأول من العشر الثالث للعشر الثالث من الألف الثاني للهجرة». منه نسختان في مكتبة الأوقاف ببغداد، الأولى في مجموع تحت العدد 6/13797، والأخرى في مجموع تحت العدد 1/7398، وتقع في ورقة واحدة⁽⁷⁾.

14- قلائد الفرائد. شرح مختصر لكتاب (المقاصد) تأليف يحيى بن شرف النواوي (المتوفى سنة 676هـ/1277م) وأوله «الحمد لله حق حمده، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجنده...» وفرغ من تسويده في 22 رمضان سنة 1239هـ/1823م، وفي بعض النسخ في 19 منه، في مكتبة الأوقاف

(1) فهرس المخطوطات العربية ج1 ص189

(2) كتابنا: مخطوطات العلامة السيد محمد سعيد الراوي، ص209

(3) المسك الأذفر ص83.

(4) في مجلة لغة العرب ج2 ص436: فتح المنان.

(5) كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج3 ص95.

(6) المسك الأذفر ص83.

(7) فهرس المخطوطات العربية ج4 ص244.

العامة ببغداد نسخة نسخة نسخت سنة 1239 واخرى سنة 1301 تحت العدد 1689/2،
في 21 ورقة، وثالثة في 1303هـ، تحت العدد 4741/7، في 17 ورقة⁽¹⁾.

15- الكواكب الساطعة في بيان المقاصد النافعة. ويحتوي على ثلاثة فنون،
في الأصول، والثاني في الفروع، والثالث في التصوف، وهو شرح مطول على كتاب
(المقاصد) للإمام يحيى بن شرف النواوي، سماه (الكواكب الساطعة في بيان
المقاصد النافعة)، وأوله «الحمد لله الواحد في ربوبيته، المتفرد في صمديته
وألوهيته»، توجد منه نسختان في المكتبة القادرية ببغداد الأولى تحت العدد 574،
والأخرى تحت العدد 575، في آخرها أنه فرغ من تأليفه الكتاب في 9 رمضان سنة
1239هـ/1823م⁽²⁾، وثالثة في خزانة عباس حلمي القصاب في بغداد⁽³⁾.

16- قلائد الدرر في شرح رسالة ابن حجر. شرح فيه كتاب (التعرف في
الأصلين والتصوف) لابن حجر الهيتمي المكي (المتوفى سنة 974هـ/1566م)، وأوله
«حمداً لك اللهم على أن وفقتنا للتعرف بأحكام الدين.. وبعد فيقول العبد المفتقر
إلى لطف مولاه الأبدى أبو الفوز محمد أمين السويدي: لما كانت رسالة التعرف في
الأصلين والتصوف.. جامعة لدرر الفوائد حاوية لغرر القواعد.. التمس مني أن
أشرحها من تطلع بالعلوم العقلية والنقلية..» وهو يشتمل على فنون ثلاثة،
الأصول والعقائد والتصوف، ويقع في نحو 400 صفحة⁽⁴⁾، وهو كتاب جليل في
الأصول، اشتمل على المسائل المبسطة والدلائل القوية، فرغ من تسويده في 5
جمادى الأولى سنة 1242هـ/1827م، وثمة نسخة قوبلت على نسخة المؤلف سنة
1303هـ/1885م محفوظة في المكتبة القادرية ببغداد تحت العدد 593⁽⁵⁾.

17- شرح مختصر، غير سابقه، لكتاب التعرف في الأصلين والتصوف،
وصف بأنه «مختصر جداً»⁽⁶⁾.

(1) فهرس المخطوطات العربية ج2 ص190

(2) الآثار الخطية ج3 ص414-417

(3) فهرست مخطوطات عباس حلمي القصاب في دار التربية الإسلامية.

(4) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ج2، 1928، ص752.

(5) الآثار الخطية ج2 ص437.

(6) الدر المنتثر ص88.

18- مختصر التحفة الإثنا عشرية. والأصل للحافظ الشاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي (المتوفى سنة 1176هـ/1762م)⁽¹⁾.

19- مناسك الحج. وهو آخر تأليفه، كتبه في أثناء حجه سنة 1246هـ/1830م، قال في أوله «أما بعد فيقول العبد المفتقر إلى عفو الله الأبدى، محمد أمين السويدي، لما عازمت على حج بيت الله الحرام سنة 1246 من هجرة سيد الأنام، لخصت كتاباً في المناسك من كتب العالم الناسك النووي الشافعي، لكنني حذفته منه كلاماً كثيراً، أو غيرت وزدت فيه شيئاً يسيراً». ومسودة المؤلف محفوظة في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت العدد⁽²⁾ 7375.

20- المناسخات في علم الفرائض. ألفه تلبية لطلب مفتي الحنفية الشيخ عبد السلام، وأتمها في 8 شعبان سنة 1245هـ/1829م قال في أوله «لما كان عمل مناسخات علم الفرائض من الصناعة البديعة المشهورة التي وجد أولها في كتب أهل العلم مسطورة». منه نسخة ضمن مجموعة في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت العدد 7398، وتقع في 5 أوراق⁽³⁾.

21- رسالة في إيجار أرض الوقف. أتمها في 27 رجب سنة 1240هـ/1799م وأولها «الحمد لله الموفق من شاء من عباده». منها نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد ضمن مجموعة تحت العدد 13797/111، وأخرى تحت العدد 7398⁽⁴⁾.

22- رسالة في من دفع الخمس من ثمر عقار إلى الحكومة بنية الزكاة ولم يقبض باسمها. منه نسخة كتبت سنة 1311هـ/1893م في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، تحت العدد 5926/13⁽⁵⁾.

23- رسالة في شرح عبارتين متعارضتين من كتاب (الدر المختار) تأليف محمد بن علي علاء الدين الحصكفي (المتوفى سنة 1088هـ/1677م)، فرغ منها

(1) وقد اختصره أيضاً الشيخ محمود شكري الألويسي سنة 1301هـ/1883م، وطبع في الهند سنة 1315هـ/1897م، ثم طبع في القاهرة سنة 1287هـ/1870م، ومختصره هذا هو المعروف المتداول، أما اختصار السويدي فلم يعرف ولم يشتهر.

(2) فهرس المخطوطات العربية ج 1 ص 641.

(3) فهرس المخطوطات العربية ج 2 ص 35.

(4) فهرس المخطوطات العربية ج 1 ص 606 والكشاف ص 302.

(5) فهرس المخطوطات العربية ج 1 ص 414.

في 11 شوال 1245هـ/1829م، أولها «الحمد لله رب العالمين»، تقع في ورقة واحدة، منها نسختان في مكتبة الأوقاف ببغداد، الأولى ضمن مجموع تحت العدد 7398، والأخرى ضمن مجموع تحت العدد 13797/111⁽¹⁾. وأشار عبادة إلى أن له رسالة في عبارة وردت في كتاب (الدر المختار) في الأوقاف المهيأة للصلاة فيها⁽²⁾، لعلها هذه الرسالة.

24- مسألة في الفقه الحنفي. منه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد⁽³⁾.

25- رسالة في شرح عبارة وردت في تفسير (معالم التنزيل) للبغوي. أولها «الحمد لله على ما أنعم، وأشكره على ما فهم وعلم...». تقع في ورقة واحدة، منها نسختان في المجموعين آنفي الذكر⁽⁴⁾.

26- رسالة فيمن يصح أن يكون إماماً ولا يصح أن يكون مأموماً. ألفها إجابة لطلب بعض الصوفية، وفرغ منها في 10 رجب سنة 1240هـ/1825م. وأولها «الحمد لله رب العالمين، والسلام على خير خلقه محمد...». منها نسختان في المجموعين آنفي الذكر.

27- رسالة في جواب على سؤال صوفي: أي شخص ليس بأنثى وليس بخنثى». أولها «الحمد لله رب العالمين.. وبعد، فيقول العبد المفتقر إلى مولاه الأبدي...». نسخة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ضمن مجموع تحت الرقم 7398/13، وتقع في 3 أوراق⁽⁵⁾.

28- رسالة في الإجابة على ثلاثة أسئلة في علم المنطق، والنحو، والفلسفة، أولها «الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد فقد ناولنا بعض الطلبة...»، منه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد، المجموع ذي العدد 7398، آنف الذكر، وتقع في 4 أوراق.

(1) فهرس المخطوطات العربية ج1 ص414.

(2) العقد اللامع ص504.

(3) فهرس المخطوطات العربية ج1 ص545، وسقط من الفهرس رقم المخطوطة، والبيانات الأخرى.

(4) فهرس المخطوطات العربية ج1 ص82.

(5) فهرس المخطوطات العربية ج2 ص391.

29- رسالة في شرح عبارة في (القاموس المحيط) في بحث ورد الإبل
«ظاهرها الإختلال في المبنى، والمعارضة لكلام غيره من أهل اللغة في المعنى». فرغ
منها في 12 ربيع الأول سنة 1236هـ/1820م، وأولها «الحمد لله واضح اللغات
ومُحدث الموضوعات». منها نسختان ضمن المجموعين السابقين، وحققها عز
الدين علم الدين، ونشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق⁽¹⁾.

30- ثبت مشايخه. سجل فيه أسماء بعض من أخذ عنهم العلم. وأوله
«الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين... لما كان الإسناد من خواص هذه الأمة». كتبه في 11 شعبان سنة 1245هـ/1829م، منه نسخة في 7 أوراق، ضمن المجموع
المحفوظ في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت العدد 3/7298⁽²⁾.

31- شرح على حاشية العلامة علي الموصلي⁽³⁾.

32- رسالة في الكعبة. أشار الدكتور أسعد طلس إلى أنها موجودة في
المجموع ذي العدد 7398، ولا وجود لها في هذا المجموع⁽⁴⁾.

33- رسالة في الفلك. أشار طلس إلى أنها موجودة في المجموع المتقدم، ولا
وجود لها في هذا المجموع أيضاً.

34- الكوكب الزاهر⁽⁵⁾ في الفرق بين علمي الباطن والظاهر. ألفه إجابة
لسؤال بعض الطلبة. وفيه مناقشة لرأي الغزالي في التصوف، أوله «الحمد لله
الظاهر الباطن، من شملت هدايته السالك والقاطن». فرغ منه في 23 رجب سنة
1240هـ/1825م. منه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد ضمن مجموعة تحت العدد
153/13822، في 6 ورقات وأخرى في المكتبة نفسها ضمن مجموعة تحت العدد
7389⁽⁶⁾.

(1) ج8 ص513-518.

(2) فهرس المخطوطات العربية ج1 ص203.

(3) ولد في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة، وتوفي بالطاعون سنة 1246هـ/1830م، وكان من

كبار العلماء في بغداد، ولم نعلم أي حاشية هذه التي شرحها السويدي.

(4) الكشف 302 ومخطوطات الانكلي ص248

(5) في الدر المنثور: الكواكب الزاهرة، وهو ما لا يتفق مع السجعة.

(6) الكشف ص302 وفهرس المخطوطات العربية ج2 ص479 و مخطوطات الأنكلي ص248.

35- حلول وشروح لألغاز مختلفة قدمها له أصدقاؤه وتلامذته، منها عبارة مُلغزة في التاريخ، أولها «الحمد لله الذي لا تمضي عليه الدهور والأعوام». وشرح لغز في موم، وهو من أسماء الشمع، كتبه في 25 من ربيع الثاني سنة 1240هـ، وأوله «الحمد لله الذي خص الإنسان بالإدراك والبيان». وشرح لغز في (المريخ) قدمه إليه عمر آغا قابجيلر كهيه سي⁽¹⁾، وأوله «الحمد لله الذي خص الإنسان من بين الأنام بما حباه من العلم والبيان». وشرح لغز في اسم (بهاء الدين)، وأوله «الحمد لله رب العالمين، والصلوة على سيدنا محمد»⁽²⁾. وشرح لغز في (ماشة)، وأوله «الحمد لله الذي خلق من جملة مخلوقاته نوع الإنسان». فرغ منه 23 ذي القعدة سنة 1238هـ/1822م⁽³⁾، وشرح لغز في (الواجب والممكن)⁽⁴⁾.

36- رسالة في شرح لفظ (الحمد). نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد، في ورقة واحدة، ضمن مجموع تحت العدد 7398/10⁽⁵⁾.

37- رسائل كثيرة، غير ما تقدم، «في علوم مختلفة»⁽⁶⁾ لم تصلنا عنواناتها. وهي تتضمن «تقاريرات» و«تحقيقات»⁽⁷⁾.

38- مقامات أدبية، لم تصلنا⁽⁸⁾.

خاتمة

نحو أربعة عقود ونيف، قضاها الشيخ محمد أمين السويدي بين درس وتدريس وتأليف وإفتاء، فكان أنموذجا للعالم الصالح، المتفرغ للعلم، المخلص

(1) قابجيلر كهيه سي، أو كتحدا البوابين اسم منصب مهم في سراي بغداد.

(2) فهرس المخطوطات العربية ج3 ص21 و227

(3) انظر الكشف ص302 وفهرس مخطوطات الأنكرلي ص130-131. وقد ذكر الدكتور طلس في الكشف أنه توجد في المجموع ذي العدد 7398، رسالة في الكعبة، ورسالة في غيب الفلك، وليس في المجموع المذكور أي من هاتين الرسالتين، مع أن عباس العزاوي أشار إليهما في كتابه تاريخ علم الفلك في العراق ص265.

(4) ثبت بمؤلفات السويدي، مخطوط، والدر المنتثر ص90.

(5) فهرست المخطوطات العربية ج3 ص231

(6) العقد اللامع ص504.

(7) الدر المنتثر ص90.

(8) الدر المنتثر ص89.

لطلبته، المريي لهم، لم يتقاضى أجراً على تدرسه، بل أنه وقف دار سكنه عليهم، فكانت حياته، من ثم، صدقات جارية، وعلم ينتفع به في كل حين، وخلق يتأسى به، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

خليل ونه

سيرته، رحلاته، آثاره

آل ونه⁽¹⁾ أسرة بغدادية قديمة، استوطنت مدينة السلام منذ عدة قرون. وتدل وقييات الأسرة من القرن الثالث عشر للهجرة (19م)⁽²⁾ على وجود عدة دور لها في محلة باب الشيخ ببغداد⁽³⁾، مما يوضح ان تفرع البيت الواحد إلى عدة بيوت⁽⁴⁾ كان قد جرى منذ وقت طويل، كما ان ثروة الأسرة التي تصف بعضها هذه الوقفيات، وهي دور ودكاكين متفرقة في أسواق بغداد، تدل على ان تراكم الثروة لدى أصحابها حدث عبر أزمان متطاولة، وإذ علمنا ان الحاج خليل ونه، موضوع هذا البحث، هو الحفيد السابع لأول من نعرفه من أسلافها، ويدعى الحاج خليل ونه أيضاً، فان من المعقول أن نحدد ظهورها - بحساب الأجيال - في أواخر القرن التاسع للهجرة (15م) او اوائل القرن العاشر للهجرة (16م) في أقل تقدير.

(1) بفتح أوله وتشديد ثانيه. ولا تحتفظ الأسرة اليوم بتفسير لهذا الاسم الذي يرقى الى اربعة قرون مضت في الاقل. ويذكر السمعاني (المتوفى سنة 562هـ) ان الوئي نسبة الى وئة، اسم لقرية، وان عدداً من العلماء نسب اليها، كما انها أيضاً - نسبة الى رجل يدعى (ونه) (الانساب، بيروت 1988، 618/1) ويشير ياقوت (معجم البلدان، ط دار صادر بيروت 1965، 385/5) الى قرية بهذا الاسم من قرى نَسَف، ونَسَف مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم في كل فن (ياقوت: معجم البلدان، ط دار صادر 1956، ج5 ص285).

(2) وقفية الحاج عبد الرحمن بن الحاج محمود ونه وامه الحاجة مريم بنت الحاج عبد الله النعمة في 25 شوال 1233هـ (1818م) ووقفية الحاجة حبيبة بنت عبد الله وهي خالة الحاج عبدالرحمن المذكور في جمادي الآخرة 1238هـ (1823م) وحجج التولية على الوقف نفسه المؤرخات في 14 ذي القعدة 1245هـ (1830م) وفي غرة ربيع الآخر 1278هـ (1861م) وفي 15 شوال 1305هـ (1888م). وينظر عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي: بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر، بتحقيقتنا، بغداد 1997، ملحق للمحقق بعنوان (قائمة لأسماء بيوتات بغداد في العصر العثماني مستخرجة من الوقفيات والحجج الشرعية المحفوظة في وزارة الأوقاف ببغداد) ص140.

(3) محلة كبيرة في الجانب الشرقي من بغداد، نسبت إلى باب حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني المدفون فيها سنة 561هـ.

(4) كانت هذه الدور واسعة ومتصلة بنفق تحت الارض يجتاز الطريق، وقد لبثت ماثلة، بعد أن أخنى عليها الدهر، حتى نقضت حين إعادة تنظيم محلة باب الشيخ في ثمانينات القرن الماضي.

محمود بن السلطان مصطفى (وهو محمود الثاني الذي حكم من 1223 إلى 1225هـ/1808-1839م) فهذا يدل على انه لم يكن مولوداً قبل سنة 1203هـ وتكون ولادته قد حدثت بعد هذا التاريخ، وفي وقفية لإحدى نساء أسرته⁽¹⁾، مؤرخة في سنة 1238هـ/1817م، نجد ختم خليل بوصفه شاهداً على مندرجاتها وتوقيعه مُصدراً بلفظ (الحاج) فمن المعقول أن يكون حينذاك قد تجاوز الثلاثين من العمر، حج خلالها، وغدا يُعد من وجوه محلته.

وكان أبوه الحاج إسماعيل بن الحاج أمين ناظراً على بعض أوقاف الأسرة، وقد رزق بابنتين، إضافة إلى خليل نفسه، هما (وضحه) و (أمنة)، فتزوجت أولاهما من الحاج صالح جلبي آل ونة، التاجر المقيم في حلب، وتزوجت أخراهما من الحاج ياسين آل ونة. وأدرك خليل في طفولته جده⁽²⁾، وتوفي أبوه الحاج اسماعيل وهو، أي خليل، شاب يتجاوز الثلاثين من العمر⁽³⁾، فتلقن - ولا شك - تقاليد الأسرة، التي تمزج بين التجارة والثقافة.

ومن الراجح أنه تلقى العلم على أيدي علماء من أبناء محلته (باب الشيخ) حيث كانت دور أسرته. وليس ببعيد أنه اختلف إلى مدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني، أو المدرسة الخاتونية القريبة منها⁽⁴⁾، وهما ابرز المعاهد العلمية المجاورة لتلك الدور. وقد نوّه هو في إحدى مجموعاته⁽⁵⁾، بشيخ له، لكنه لم يُسمّه، واذ ساق له شعراً، تبين لنا أنه شدا الأدب، أو شيئاً منه، على يد بعض أدباء عصره الذي تتلمذ على أيديهم.

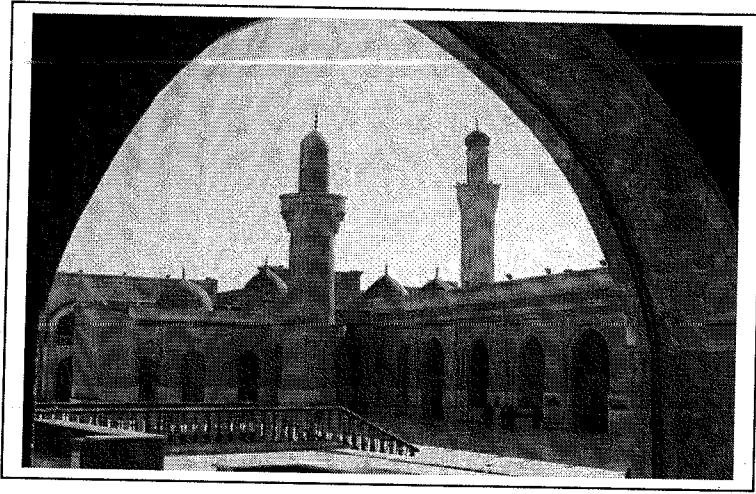
(1) وقفية حبيبة بنت عبد الله وهي خالة الحاج عبد الرحمن (رحماني) بن الحاج محمود ونّه (مخطوط).

(2) كان الحاج أمين شاهداً عن وقفية الحاج زكريا بن عبد الوهاب الملا خضر (جد آل الخضيري الأسرة التجارية المعروفة) في 25 ذي الحجة سنة 1211هـ/تموز 1798م.

(3) كان أبوه حياً سنة 1233هـ فقد ورد اسمه في وقفية مريم بنت عبد الله المؤرخة في 25 شوال من تلك السنة/28 آب 1818م.

(4) انشأها السيدة عاتكة خاتون بنت السيد علي القادري نقيب الاشراف، المتوفاة سنة 1245هـ/1829م وافتتحتها سنة 1226هـ/1819م وكانت تضم خزانة كتب قيمة، ووقفت عليها اوقافاً جمّة. ينظر: محمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2006، ص154.

(5) المجموعة (1) الورقة 24.



مدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد

رحلاته:

عاش خليل في محلته مؤسراً وجيهاً كسائر أفراد أسرته، ونال من الثقافة حظاً كانت تؤهله له تقاليد عصره، وتولى الإشراف على بعض الأوقاف الخيرية للأسرة، ولأسباب نجهلها، فإنه شغف بالسياحة والتنقل بين البلدان، وليس ببعيد أن تكون التجارة وراء ذلك الشغف أو سبباً له، فإننا نعلم أن عدداً من رجال أسرته كانوا يمتنون التجارة في خارج بلده، بيد أن الذي يدعو إلى الانتباه فعلاً أن خليلاً تجاوز في نطاق تنقله ما كان مألوفاً لدى تجار عصره، أو حتى علمائه، فطوّف في بلدان ما علمنا ان أحداً من أبناء وطنه قد سجل وصوله إليها.

ولسنا نعلم تاريخ بدئه برحلاته، إلا أن أولها كانت لأداء فريضة الحج، وقد أداها بعد سنة 1230هـ/1815م⁽¹⁾، وقبل سنة 1238هـ/1823م على ما تقدم. وعاد بعدها إلى بغداد، فكان موجوداً فيها سنة 1243هـ/1827م حيث سجل تاريخ وفاة أحد رجال الأسرة الكيلانية ودفنه ببغداد⁽²⁾، وخاض في سنة 1245هـ/1830م بعض المشاكل المتعلقة بتولية الوقف⁽³⁾، ودون في السنة التالية

(1) توصلنا الى ذلك من توقيع له على شرح لغز في هذا التاريخ ولم يثبت فيه لفظ (حاج) على خلاف ما نجده في توقيعه التالية.

(2) المجموعة نفسها الورقة 35.

(3) حجة شرعية بخصوص التولية على وقف الحاج عبد الرحمن ونه، مؤرخة في 14 ذي القعدة

سنة 1245هـ/7 أيار 1830م.

أخبار ما أصاب مدينته من غرق فادح آنذاك⁽¹⁾. ويظهر أنه غادرها بعد ذلك التاريخ بسنوات لا تتجاوز الست، فإننا وجدناه في مدينة حلب سنة 1252هـ/1836م عاكفاً على شرح قصيدة في علم الأوقاق⁽²⁾، ويظهر أن مقامه طال في حلب، فقد وجدنا ورقة في إحدى مجاميعه الخطية⁽³⁾، سجل فيها قائمة بمصاريف دار اكتراها في غرة جمادي الآخرة سنة 1251هـ/1835م، وبما أننا نعلم أنه تزوج هناك وأنجب بنتين، فمن الواضح أن اكتراه للدار كان بمناسبة زواجه واستقراره في مدينة حلب. ولسبب ما فإنه ترك حلب وعاد إلى وطنه العراق، حيث سجل وجوده فيه حينما كتب في صدر بخصوص له أنه ابتداءً به «في حضرة (مرقد) ابو الجاسم بنهر المُسيَّب يوم تاسع عشر خلت من شهر جمادي الاول من شهور سنة الالف ومايتين واحدى وستون هجرية، [26 أيار/مايو 1845م]⁽⁴⁾.

ويظهر أنه قصد بعد ذلك مدينة استانبول لشأن من شؤونه، فإننا وجدناه سنة 1267هـ/1850م في (كُمرَك العلائية)⁽⁵⁾، وهو ميناء على ساحل خليج (انطالية) في البحر المتوسط⁽⁶⁾، يعد محطة على طريق الذهاب من موانئ الساحل السوري (وبخاصة اللاذقية) إلى استانبول.

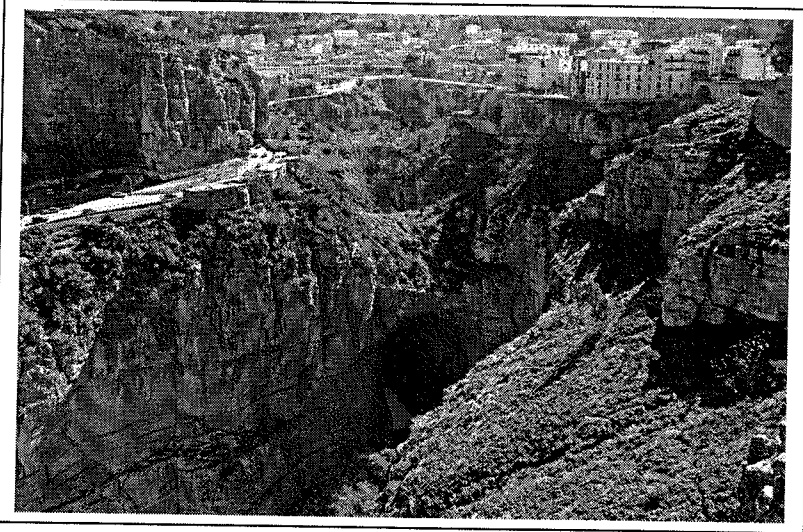
وما ان انقضت ثلاث سنوات اخرى، حتى رأيناه في مدينة الاسكندرية يصف في 26 جمادي الاول سنة 1270هـ/شباط 1854م طريقة لاعداد (دهن ملوكي) من الأدهان العلاجية⁽⁷⁾، ويظهر أن مقامه لم يطل في هذه المدينة لأنه سرعان ما غادرها بعد ذلك إلى استانبول، إذ سجل وجوده في العاصمة العثمانية في 18 محرم من سنة 1271هـ/تشرين الاول 1854م⁽⁸⁾ ولبث فيها حتى أواسط السنة

-
- (1) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ح 6، بغداد 1954، ص 318.
(2) الوقف، وسنة الموافقة، الاتفاق والتظاهر، واصطلاحاً: الرموز التي لها تأثير ما لاتفاقها مع قوى خفية، مجموعة خطية سيأتي وصفها، ونرمز لها بالرقم (2) الورقة 16.
(3) مجموعة خطية نقلها بخطه وسيأتي وصفها.
(4) مجموعة بخطه اولها (كتاب السياسة في علم الفراسة)، الورقة 1.
(5) المجموعة (1) الورقة 94.
(6) وهي مركز قضاء باسمها في لواء (تكه) من ألوية ولاية قونية. شمس الدين سامي: قاموس الاعلام ج3 ص 37.
(7) المجموعة السابقة الورقة 3.
(8) المجموعة نفسها الورقة 42.

التالية⁽¹⁾ ومنها انتقل إلى مدينة تونس، حيث كان هناك سنة 1273هـ/1856م⁽²⁾.



أنطاليا



مدينة قسنطينة حيث أقام خليل ونة

ومن تونس ارتحل خليل ونة إلى مدينة قسنطينة في الجزائر، إذ رأيناه يكتب شرحاً لقصيدة وجدها فيها في ذي الحجة من تلك السنة⁽¹⁾ ولسبب ما عاد إلى

(1) المجموعة نفسها الورقة 31.

(2) المجموعة نفسها الورقة 30.

تونس، مؤرخاً وجوده فيها في 7 صفر من سنة 1275هـ/17 أيلول 1828م، على شعر لابن الخطيب نقله هناك⁽²⁾ وكان الحاج خليل قد بلغ منتصف العقد السابع من عمره، وهي سن كبيرة لمن يمضي أوقاته في التنقل والتجوال بعيداً عن بيته وأهله، فعاد إلى بغداد في سنة 1276هـ/1859م ليقضي سنيه الأخيرة بين أسرته الصغيرة، زوجته⁽³⁾، وابنه الحاج عبد الوهاب⁽⁴⁾ وثلاث بنات له⁽⁵⁾. ولسبب ما، فإنه باع نصف الدار التي يمتلكها في محلة التسايل⁽⁶⁾ من محلات باب الشيخ، وتشمل القسم المخصص للضيوف (الدوّه خانة)، إلى أخته (وضحه) بمبلغ قدره 1521 قرشاً (رايح بغداد)⁽⁷⁾ ولعله كان في حاجة إلى هذا المال، بعد أن فارق وطنه كل تلك السنين الطوال.

وآخر إشارة تدل على كونه حياً، سجلها على شرح دونه على هامش قصيدة البُرْدَة للبوصيري، وبما أن ناسخ هذه القصيدة أرخ كتابته لها في سنة 1287هـ/1870م فيكون خليل حياً، وقادراً على الكتابة، بعد هذا التاريخ، على الرغم من تجاوزه- آنذاك- الخامسة والثمانين من العمر.

صلاته بمعاصريه

تكشف آثار خليل ونّه عن علاقاته الجمة بعدد من أدباء عصره ومثقفيه، وهو أمر نراه طبيعياً ومتوافقاً مع كثرة أسفاره، وتنوع إهتماماته، فمن الأدباء الذين عاصرهم، ونقل شيئاً من آثارهم، العلامة الأديب الحاج عثمان بك بن سليمان باشا الجليلي (المتوفى سنة 1245هـ/1829م)، والأديب الخطاط المجدّد صالح السعدي الموصلّي (المتوفى سنة 1245هـ أيضاً)، والشاعر صالح التميمي (المتوفى

(1) تعليقه على شرح القصيدة اللامية ليوسف بن محمد الشربيني (مخطوط).

(2) المجموعة السابقة الورقة 51.

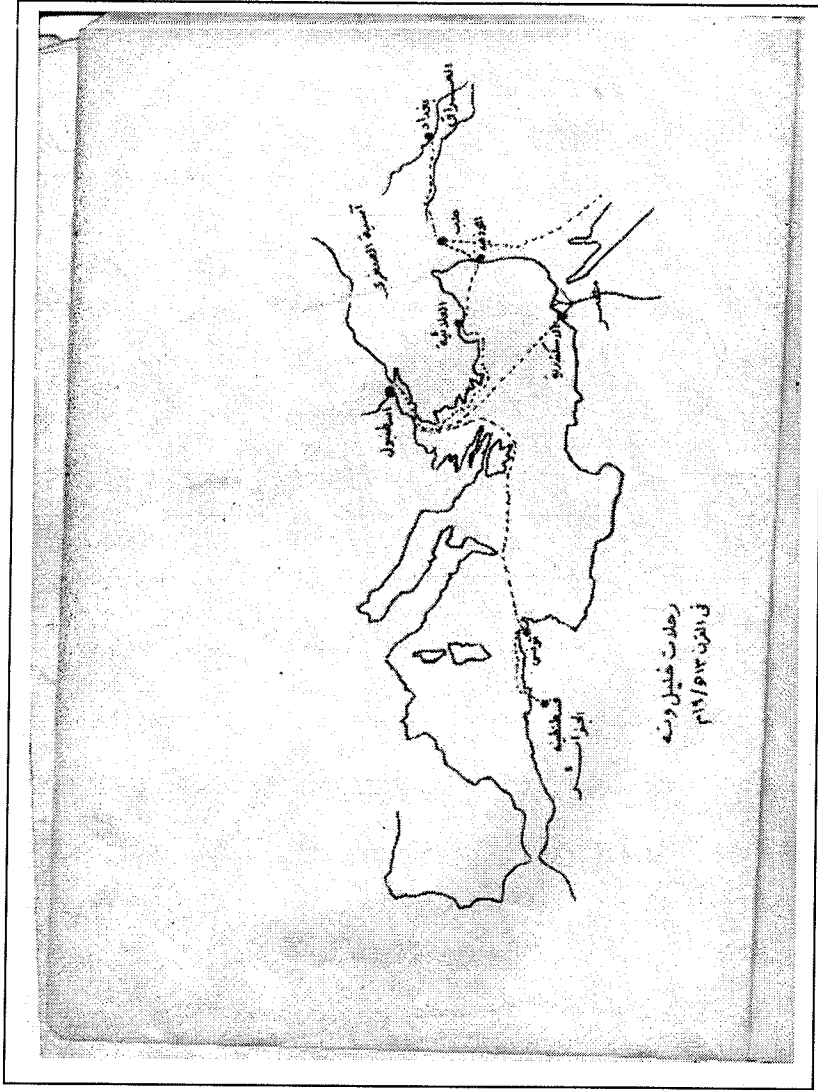
(3) وهي غير زوجته في حلب التي أنجب منها ابنتين هناك.

(4) أنجب الحاج عبد الوهاب ولداً سماه خليل، على اسم جده، وهو الحاج خليل (الثالث) فيمن سماوا بهذا الاسم وللحاج خليل ولد هو الحاج ابراهيم، وله من الذكور خليل (الرابع) ونبيل.

(5) نعرف منهن (مرشه) التي تزوج منها قاسم الوتري، فانجبت منه أحمد، ويحيى، والآخر هو والد الطبيب الدكتور هاشم الوتري.

(6) محلة قريبة من محلة باب الشيخ، تنسب إلى جماعة من أهالي دسبول (دزفول) في الأحواز، سكنوها في القرن الثالث عشر للهجرة (19م).

(7) حجة بيت مؤرخة في 22 شوال 1276هـ.



سنة 1261هـ/1845م)، وشاعر سماه (الملا عبدالحميد بن الصباغ البغدادي) ووصفه بأنه (من شعراء عصره) وآخر دعاه (السيد محمد أفندي الأزهري الحموي الكيلاني)⁽¹⁾ قائلاً انه «توفي سنة 1243 ببغداد ودفن بحضرة جده الكيلاني»⁽²⁾، وأديب بغدادي سماه (الملا جادر آل دغمش)⁽³⁾، وأديب التقى به في

(1) المجموعة (1) الورقة 23 و 31 .

(2) المجموعة نفسها الورقة 34 .

(3) المجموعة نفسها الورقة 34 .

استانبول هو عبد القادر باشا زياده، هذا فضلاً عن لم يسمهم من أدباء عصره وعلمائه، كقوله «مما أفانيه ببعض الأحباب» و«مما أنشدني في إسلامبول رجل من الطريقة القادرية» و«لشيخي أيضاً»⁽¹⁾.

علمه بالطب والأدوية

احتل الطب جانباً رئيساً من اهتمامات خليل العلمية، فشغف بتسجيل الملاحظات الطبية، واقتناص الفوائد الصحية، في أثناء رحلاته العديدة وإقامته في المدن المختلفة التي مر بها. ولذا فقد حفلت مجموعاته وأوراقه بالكثير من هذه الملاحظات والفوائد، وهي تشمل طرق علاجية، وأدوية مفردة، وأخرى مركبة، ووصف لأعراض، ووسائل لحفظ الصحة العامة، وما يتصل بذلك من شؤون.

فما وصفه من أدوية الأمراض الجلدية: أدوية لعلاج البهق وتنعيم البشرة، وإزالة الحكة والجرب، وإزالة البقع، والقرع، وعلاج الدامل، وتساقط الشعر، وما إلى ذلك.

ومن أدوية وعلاجات الأمراض الباطنية: ما يختص بعلاج حالات الخفقان، والامساك، والاسهال، وبخاصة اسهال الصبيان والأطفال، وقتل الدود في الأمعاء، ومعالجة عللها، وزيادة الشهية، ودفع الحميات.

أما الأمراض العصبية فذكر من أدويتها: المهدئات والمنومات والمنشطات وأدوية لعلاج المصروع، ومقويات للأعصاب.

كما تطرق إلى وصف بعض الأدوية المستخدمة في علاج أمراض الأذن والحنجرة والحلقوم، وأخرى في (قلع بياض العين) ومقويات للبصر.

ونوه أيضاً، بأدوية معينة على الحبل، وما يتصل بذلك من الطب النسائي⁽²⁾. وفضلاً عن ذلك فإنه تناول جوانب من الصحة العامة، فعني بوصف طرق (دفع الحشرات) و (دفع الفار والبرغوث) وغير ذلك.

وترجع اهتمامات خليل الطبية إلى مراحل حياته الأولى في بغداد، دليلنا إلى ذلك أنه وضع نبذة قصيرة سماها (بيان خواص مفردات الأثمار والحشائش)⁽¹⁾،

(1) المجموعة نفسها الورقة 42.

(2) المجموعة نفسها الاوراق 21 و 23.

ضمنها أسماء لهذه المفردات مما هو شائع في البيئة العراقية خاصة، كما أنه حرص - في كل ما كتب - على تثبيت المصطلحات العراقية لمختلف الأمراض والادوية التي ذكرها.

وهو يستمد بعض معلوماته الطبية من الكتب التي كان يطلع عليها في أثناء سياحاته، فها هو يقول في وصف دواء مقو أنه «استخرج من كتاب معتبر به» وفي وصف دواء مقو للبصر خاصة «هكذا يذكره صاحب الكتاب». وفي بيان سبب داء المياسير (البواسير) انه «مما استخرجناه من كتاب نفيس محكوم بصحته»، إلا أنه - بوجه عام - لا يذكر لنا عنوانات تلك الكتب وأسماء مؤلفيها.

ومن جانب آخر، فانه استمد قسماً من معلوماته من الأطباء الذين التقى بهم وأخذ عنهم طرقهم العلاجية وما كانوا يصفونه من أدوية مختلفة، وبخاصة ما يتعلق منها بالأمراض الواحدة في عصره، والتي لم يجد لها سبيلاً للشفاء فيما بحث فيه من مصادر طبية سابقة، مثال ذلك أنه سجل في أثناء إقامته بمدينة قسنطينة في الجزائر طريقة عمل دواء ناجع لمرض (الفرنكي)⁽²⁾ استفادها من طبيب هناك يدعى سيدي عبد الرحمن، وذكر أنه «مجرب، جربه ألوف»⁽³⁾.

عنايته بالتاريخ

عني خليل ونه بتسجيل ما كان يراه مهماً من مشاهداته ومسموعاته، فكانت هذه العناية دافعاً له لتسجيل حوادث عصره وملامح حياته الاجتماعية والثقافية، وبذا فان في وسعنا أن نعدّه واحداً من أولئك المثقفين العراقيين الذين قدموا أعمالاً تمهيدية يمكن أن تقيّد مؤرخ هذا العصر، فهو كأمثاله من مدوّني الحوادث في عهده، لا يتبع منهجاً معيناً في كتابة الحدث وترتيبه على وفق سياقه، وإنما يصف هذه الحوادث على نحو غير مُطرّد في ثنايا مجاميعه الخطية⁽⁴⁾، ومن تلك

(1) المجموعة نفسها الورقة 28.

(2) ذكر انه يسمى في العراق بالحبّ النجس، وبلاد الترك الفرنكي، وبلاد الغرب المرض الكبير، قلنا: وهو السفلس Syphilis او الزهري، مرض ينتقل عبر العلاقات الجنسية غالباً، وسمي الفرنكي، والفرنجي، نظراً لانتشاره في أوروبا في عصر النهضة.

(3) المجموعة نفسها الورقة 28.

(4) كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني. ط2 لندن 2009 ص 41.

المجاميع ما سجل فيه حوادث مهمة جرت في مدينته بغداد، ومنها حادثة غرقها الداهم الذي ابتداء في أواخر شهر رمضان سنة 1246هـ/ شباط 1831م وانتهى في آخر تلك السنة، وكيف أن «دجلة فاضت فدمرت غالب البيوت». وكانت هذه المجموعة من مقتنيات خزانة المرحوم المؤرخ عباس العزاوي⁽¹⁾ إلا ان القائمين على مكتبة المتحف العراقي (المركز الوطني للمخطوطات اليوم) ذكروا أنهم لم يعثوا عليها بين كتبه التي آلت إلى هذه المكتبة، والله أعلم بمصيرها⁽²⁾.

شعره

من المؤسف أن كثيراً من شعر خليل ونه ضاع بضياح بعض مجموعاته الخطية التي كان يدون فيها نثقات قلمه وخطراته. ولقد ذكر المرحوم عباس العزاوي انه رأى في إحدى تلك المجموعات، مما كان يحتفظ به في خزانة كتبه، أشعاراً وزهيريّات⁽³⁾، ولكن عدم العثور على المجموعة المذكورة ضيّع فرصة الإطلاع على نماذج مهمة من نظمه. وكان الأستاذ كوركيس عواد قد نوه بوجود ديوان شعر له مخطوط في مكتبة المرحوم الدكتور هاشم التوري⁽⁴⁾ إلا اننا لم نستطع التأكد من وجوده الآن فضلاً عن أن نقف عليه.

ومما وقفنا عليه من شعره، قصيدة في تونس سنة 1273هـ/ 1856م، امتدح بها رجلاً اسمه محمد بن الرئيس، وهي⁽⁵⁾:

أقر السلام على الحبيب المؤنس	ريح الصبا إن جزت ذاك الحمى
من كان للفضل الجزيل مؤسس	واذكر له أشواقنا للقاءه
أضحت تفاخر فيه قريه تونسي	لله ما أحلى شمائله التي
طلق المحيّا والهزبر الأشرس	كل الفرا يا حسنه من ماجد
فهو الكريم محمد بن الرئيس	ساد الأنام لفُرط جود بنانه

(1) اشار اليها في كتابه تاريخ العراق بين احتلالين ج 6 ص 318.

(2) التاريخ والمؤرخون ص 275.

(3) على ما ذكره للحاج ابراهيم ونه، وهو رواه لي.

(4) دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960 (بغداد 1961) ص 543.

(5) المجموعة السابقة الورقة 30.

لا زال يلقانا بوجه ضاحك والغير يلقانا بوجه مُعْبَس
 اين الثرى من الثريا نسبة اين الجبال من القدود الميس
 اين الكرام من اللئام وبخلهم اين الجحوظ من العيون النعس
 والله ما انس فضائله التي اسدائها حتى أموت وأرمس
 وقوله ممتدحاً الشيخ عبد القادر الكيلاني، في قصيدة أولها⁽¹⁾:
 وقائلة مات الكرام فمن لنا اذا عضنا الدهر الخؤون بنابه
 فقلت لها لوذي بعبد القادر سخيّ ويّ واحتمي بجنابه
 وهذا شعر لا يمكن أن يوصف بالسلامة والجزالة، ولكن من الصعب الحكم
 على شعره كله اعتماداً على نماذج قليلة كهذه.

آثاره:

أولاً: مجموعة، على هيئة دفتر يفتح طولاً، تضم فوائد ونُبذ عديدة في
 موضوعات أدبية وعلمية شتى، وهي تتفاوت طولاً وقصراً، وذلك على النحو الآتي:

- 1- دواء لحلق الشعر.
- 2- دواء يورث السهر.
- 3- في دفع الحشرات.
- 4- دواء مُنوم.
- 5- دهن مُلوكي لأجل القوة.
- 6- دواء لإخراج الشعر.
- 7- دواء لمنع الشعر.
- 8- دواء لدفع البهق.
- 9- دواء لتنعيم البشرة.
- 10- دواء لدفع الإمساك.

(1) المجموعة نفسها الورقة 42.

- 11- دواء لعلاج الطَّرَش.
- 12- دواء لنفع المصروع.
- 13- دواء لإزالة الحكّة والجَرَب.
- 14- دواء لزيادة نوم المولود الصغير وسمنه.
- 15- دواء لزيادة القوة.
- 16- دواء لزيادة الشهية.
- 17- دواء نافع ومُعِين للحَبَل.
- 18- دواء لإزالة القرع.
- 19- دواء لقتل الدود في البطن.
- 20- دواء مقوي.
- 21- دواء نافع للخفقان واليرقان.
- 22- معاجين مقوية.
- 23- دواء لإزالة البهق.
- 24- دواء لقوة البصر.
- 25- دواء لإزالة الريحة الكريهة.
- 26- دواء لنفع وجع الحلقوم.
- 27- دواء نافع للصرع.
- 28- طريقة لاستجلاب المحبة.
- 29- طريقة لدفع الفأر.
- 30- طريقة لدفع البرغوث.
- 31- صفة استخراج دهن الثوم.
- 32- باب للقوة والسعال والبلغم.
- 33- دواء للحَبَل.
- 34- فصل عنوانه (بيان خواص مفردات الأثمار والحشائش).

- 35- أبيات لأبي نواس، والمتنبي، والامام الشافعي، ولآخرين لم يسمهم.
- 36- فوائد الثوم للقوة والسعال والبلغم، وصفة استخراج دهنه.
- 37- موال لخادم، ولغيره، وأبيات لابي نواس، وقصائد لم يذكر قائلوها.
- 38- شعر (لعثمان بك الموصلبي من نسل عبد الجليل لله دره) وهو (الحاج عثمان بك الجليلي) ويضم مقدمة لقصيدة طويلة، مدح فيها العلامة عبد الله فخر المدرسين بن الحاج محمد عمر الراوي.
- 39- ألفاز في الأبر، وطائر البجع، وأسماء الحيّة.
- 40- أبيات في الغزل، وأبيات في هرّمي مصر.
- 41- لغز «في السلطان عمله رجل كردي يدعي أنه بغدادبي واسمه الحاج عبد الرحمن ومخلصه وقاري⁽¹⁾» وذلك في سنة الالف ومايتين وسبعة وستين هجرية في 2ر (ربيع الآخر) «4 شباط/فبراير 1851م]
- 42- أبيات، ومقطعات، ورباعيات، ومواويل، لم يسم ناظميها، وبعضها في الأدب المكشوف.
- 43- فائدة في الإكسير.
- 44- دواء لعلاج الدامل.
- 45- أبيات في استعمال الدخان.
- 46- فائدة في (اللسان المشهور بالدرسعي)⁽²⁾.
- 47- شعر لصالح السعدي الموصلبي كاتب الديوان سابقاً.
- 48- كلام منسوب إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني.
- 49- أبيات في مدح الشيخ عبد القادر الكيلاني.
- 50- تحية مكتوب، وهي مقدمة لرسالة او نموذج لها.
- 51- قصيدة رائية لبعض الصوفية.
- 52- لغز في قصب السكر.
- 53- سبب المياسير، وتعريف دود البطن.

(1) التخلص هو أن يصطنع الشاعر اسماً رمزياً يعرف به.

(2) هو أشبه بالشفرة، كل حرف فيه ينوب عن الحرف المجاور له والمربوط معه .

- 54- شرح عبارات من (الشجرة النعمانية)⁽¹⁾ تنطبق على السلطان محمود الثاني والسلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز.
- 55- فائدة في علاج مرض (الافرنكي).
- 56- فوائد في قلع بياض العين وعلاج اليرقان والاسهال.
- 57- شعر (لمحرره خليل ونه).
- 58- قصيدة للبوصيري وتخميسها للملا عبد الحميد ابن الصباغ البيгдаدي.
- 59- قصيدة للسيد محمد افندي الازهري الحموي الكيلاني.
- 60- موال بغدادي لملا جادر آل دغمش.
- 61- صفة العقار الذي يقال له شجرة العمر.
- 62- طريقة لعلاج تساقط الشعر لمن في عمر 15-25 سنة.
- 63- دعاء لابي بكر (رضي الله عنه).
- 64- أبيات (للحاجي خليل ونه) في الشيخ عبد القادر الكيلاني.
- 65- فوائد في جلب النوم.
- 66- رباعيات وأشعار في الحكمة وغيرها لم يذكر قائلوها.
- 67- لغز في الزر والعروة.
- 68- فائدة في عدم طيران الزئبق.
- 69- شعر يُنسب لابليس !.
- 70- تضمين للحاج خليل ونه (قاله لعبد القادر باشا زيادة).
- 71- فائدة في علم الرمل.
- 72- فوائد في الكيمياء.
- 73- نبذة في الادوية المفردة.
- 74- نبذة في أوائل السنين ودلائلها.
- 75- فائدة في البروج.
- 76- شعر لابن الخطيب.

(1) كتاب ينسب لابن عربي فيه رموز قيل أنها تحمل نبوءات أو توقعات مستقبلية.

77- فائدة لتفريج الهموم.

78- فائدة في سوق الدواب.

79- فائدة في محو الكتابة.

80- دعاء منقول عن الشيخ اسماعيل وهبة.

81- فائدة في قتل البراغيث.

تقع هذه المجموعة في 53 ورقة، بخط خليل ونه نفسه، وهي موجودة لدى الحاج ابراهيم بن خليل ونه ببغداد، ولدى كاتب البحث نسخة مصورة عنها.

ثانياً: مجموعة تضم ما يأتي:

1- قصيدة تائية في الطلسمات وشرح لها، أوله:

«اللهم اني أسئلك باسمك المقوم من أسمائك، العظيم الأعظم..» وآخره «تم
(تمت) هذه الرسالة من يد الفقير الحاج خليل ونه لنفسه، حرره في مدينة حلب
يوم 20 صفر الخير سنة الألف ومايتين واثنين وخمسون من الهجرة» [6 حزيران/
يونيو 1836م]

الاوراق 1-16

2- فائدة في عمل الكيف الورقة 17.

3- كلام لابن عربي الورقة 18.

4- فائدة في معرفة أي يوم فيها الأعمال أفضل وأنجح. الاوراق 19-23.

5- فائدة في اخراج الضمير لو أضمر رجل حرفاً من حروف الهجاء.

6- فائدة في عمل (صبغة جيدة للشعر) الورقة 24.

وهذه المجموعة بخط خليل ونه، محفوظة لدى الحاج ابراهيم ونه ببغداد،
ولدى كاتب البحث نسخة مصورة عنها.

ثالثاً: مجموعة تاريخية، سجل فيها بعض حوادث عصره، أشار اليها المرحوم
عباس العزاوي بوصفها من مخطوطات خزانته، ولم يُعثر عليها بعد وفاته⁽¹⁾.

(1) تقدمت الإشارة الى ذلك.

رابعاً: خواص البردة. رسالة اختصر أكثرها من كلام الشيخ عبد السلام ابن ادريس المراكشي⁽¹⁾، وهي في بيان ما اختصت به أبيات قصيدة البردة للامام البوصيري من خصائص روحية ونفسية.

أولها بعد البسملة «أمن تذكر جيران بذي سلكم... إلى قوله وما لقلبك ان قلت استفق بهم. قال الشيخ عبد السلام بن ادريس المراكشي رحمة الله عليهما: خاصة هذه الايات الثلاثة..»

نسخة بخط المؤلف، كتبها على هامش البردة للبوصيري، ولم يؤرخها. والبردة نفسها بخط نسخ جيد، كتبها عبد الله بن ملا محمد النينوي سنة 1287هـ/1870م. أما العنوان فقد كتبه خليل بنفسه وهو (هذه البردة وخواصها) ووقع باسمه في أسفله. وتقع في 32 ص. وهي موجودة لدى الحاج إبراهيم ونه بيغداد، ولدى كاتب البحث نسخة مصورة عنها.

خامساً: رسالة في الطلسمات والأوقاف:

يظهر من خطها أنها لخليل ونه. وهي تحتوي أيضاً على بعض الفوائد الطبية، كتبت بأسلوب عامي غالباً.

أولها «باب تكتب للفرقة على جلد الحمار في أول ساعة»، وآخرها «باب دواء العين الذي (كنا) تدمع دمع حار. تأخذ طشم 4 درهم وسيمران 1 درهم كذلك تمت». تقع في 23 ورقة، موجودة لدى الحاج إبراهيم ونه بيغداد، ولدى كاتب البحث نسخة مصورة عنها.

سادساً: ديوان شعر. ذكر الأستاذ كوركيس عواد انه موجود في مكتبة المرحوم الدكتور هاشم الوتري بيغداد⁽²⁾.

وفضلاً عما تقدم، فانه نقل بخطه عدداً من الكتب والرسائل وقفنا منها على ما يأتي: أولاً: مجموعة تضم:

1- قصيدة إبتهالية، نظمها أحدهم في مدينة إسلامبول في أوائل محرم سنة 1136هـ/1 تشرين الأول/ اكتوبر 1723م، وأهداها إلى السيد محمد التافلاتي.

(1) يشير إلى رسالة في خواص البردة تأليف عبد السلام بن إدريس المراكشي المتوفى سنة 660هـ/1262هـ.

(2) دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960 ص 543.

- 2- الجملوتية. منظومة تنسب اليها خصائص روحية.
- 3- نظم الأسماء الرفيعة المنار. للشيخ مصطفى الصديقي الحنفي.
- 4- استغاثة من منظومات سيدي الشيخ محمد الشهير بالسمان.
- 5- أدعية.
- 6- فوائد طبية.
- 7- أبيات في ألوان الملابس.
- 8- قصيدة للشيخ شهاب الدين ابن الخيمي.
- 9- قصيدة لعبد الله افندي ابن الحجازي الحلبي.
- 10- قصيدة للشيخ عبد الغني النابلسي.
- 11- تخميسات وقصائد للشيخ عبد الواحد.
- 12- تخميسات للشيخ الاسكندراني.
- 13- قصيدة في مدح السلطان أحمد.
- 14- تسبيح قصيدة البردة لكعب بن زهير.
- 15- كلام في الطاعون من كلام الشيخ علوان في كتاب مصباح الهداية ومفتاح الولاية.

16- خطبة في هجو الفلاحين نظم أهل مصر. نقلها من كتاب (هز القحوف في شرح قصيدة ابن شادوف) تأليف يوسف بن محمد بن عبد الجواد الشريبي (كان حيا 1098هـ/1687م).

وفي هذه المجموعة فوائد مختلفة يظهر أنها من قلمه، منها حله للغز، ذيلّه بالتعليقة الآتية «قد حل رموزه خليل بن الحاج إسماعيل ونه غرة ر2 (ربيع الآخر) سنة 1230 [13 آذار/ مارس 1815م] غفر الله ولوالديه والمسلمين أجمعين» وقد شطب احدهم على اسمه بالحبر، وكتب اسمه مكانه.

تقع هذه المجموعة في 95 ورقة، وهي موجودة لدى الحاج ابراهيم ونّه ببغداد، وثمة نسخة مصورة عنها لدى كاتب البحث.

ثانياً: شرح القصيدة اللامية المهملة الحروف الجامعة لكل معنى مألوف. تأليف يوسف بن محمد بن عبد الجواد الشريبي كتب الأبيات بخط نسخ كبير

الحرف، بينما كتب الشرح بخط نسخ معتاد وفي آخره تعليقة تفيد بانه حرره «في بلد قسنطينة، وهي بلد من أعمال جزاير الغرب على يد الفقير الحاج خليل في يام سياحته أطراف المغرب سنة الف ومايتين وثلاثة وسبعين في 12 ذي الحجة الحرام» [3 آب/ أغسطس 1857م].

ويؤكد جمال خط هذه المخطوطة على مهارة خليل ونه بالخط أيضاً، وهي موهبة تضاف إلى جملة مواهبه الأخرى التي تقدمت الإشارة إليها.

توجد لدى الحاج ابراهيم ونه ببغداد، وعند كاتب البحث نسخة مصورة عنها. ثالثاً: مجموعة كتب في أولها انه ابتداء بها في «حضرة ابو الجاسم بنهر المسيب يوم تاسع عشر خلت من شهر جمادي الاول من شهور سنة الألف ومايتين واحدى وستون هجرية» وتضم ما يأتي:

1- السياسة في علم الفراسة تأليف محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي معروف بشيخ الربوة (المتوفى سنة 727هـ) وفي آخره انه اتم تحريره في 20 جمادى الآخرة سنة 1261 [26 حزيران/ يونيو 1845م].

2- قطعة من كتاب في علم الفراسة لم يعلم مؤلفه، وفيه فصل في (خطوط في الكف) مع مخططات توضيحية.

3- أرجوزة في الفراسة مختصرة مما تقدم. لم يعلم ناظمها ولعلها للحاج خليل ونه، فانه ذكر في آخرها «تم على يد صاحبه ومحرره الحاج خليل ونه» واولها:

إذا البياض ان يكمن بكثرة مع زرقة العين كذا والصفرة

4- أرجوزة (في اختلاج الاعضاء) اولها

الحمد لله البديع الآية ووهاب العقل بلا نهاية

وفي آخرها انه «حررها مالکها الحاج خليل ونه في ذي القعدة 1261، [1 تشرين/2 نوفمبر 1845م].

5- فوائد طبية، ومنها فوائد «لدفع مرض يقال له فرنكي» و «لوجع السن» قال في آخرها انها «من الاسرار التي لم توضع في كتاب».

6- مختارات من رحلة الألووسي مفتي بغداد (وهي المسماة غرائب الاغتراب ونزهة الالباب في الذهاب والاقامة والاياب تأليف محمود بن عبد الله الألووسي المتوفى سنة 1270هـ/1854م).

7- ابيات لقس بن ساعدة، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومخمس،
وفائدة في الفرق بين النقيضين والضديين.

تقع المجموعة في 77 ورقة. وهي موجودة لدى الحاج ابراهيم ونه ببغداد
ومنها نسخة مصورة لدى كاتب البحث.

هذا ما وقفنا عليه من آثار الرحالة البغدادي، الأديب الطبيب، الحاج خليل ونه،
وهي آثار دلت - بلا ريب - على جوانب من حياته الغنية بالأسفار ومعاناة الناس ووفرة
التجارب والفوائد . وإذا كان مؤرخو عصره وكتاب تراجم أهله قد أغفلوا الإشارة اليه
في مصنفاتهم، فليس ذلك إلا لظول ما قضاه من سنين مغترباً خارج وطنه. وغاية ما
نرجوه أن تكون قد وفقنا في تقديم صورة أولية لهذا الفاضل، أملين ان يكشف الزمان
عن مزيد من آثاره، فتكتمل بها هذه الصورة، وتزداد وضوحاً . وفي ذلك ما يلقي الضوء
على جوانب غير مستجلاة من تاريخ العراق الثقافى الحديث.

يحيى بعدا احد عشر ليلة من ظهور ذلك اوقال لا واليلة من ظهوره
وايضا ان كانت شهرت الارضين الى اهلها ووسمها انما اعلنت قضايا
ايضا في ايشواة وشي اربعة وعشرين علامة وندم تحريها بحدود
وعونه وحسن توفيقه على تحصيلها كغيره من علماء
العهد النبيل تراه في مشورته لاجل الفقير صاع
خليل ابن ابراهيم اسماعيل بن يحيى
وهم الذين من اهلها
الفاخر بن علي
ان يكتب في سنة
هل من العبد في سنة
في سنة
في ذكر السلطان محمد الجرجاني وغيره ويخلف ولده وسوق يعنى عبد الحميد بن محمد
اصرت يعنى سليمان فتمت له البلدان ونظر على امر السلطان اصرت في خلع سيرة
ويتوفى سنة ما وفي سنة خمس وعشرون من ذي الحجة سنة ثمان مائة وخمسة
السلطان قوله ويخلف امره في اول اربعين من شهر ربيع الاول سنة وود اشهر
يعنى تسعة وعشرين سنة واربع اشهر وشهر العشرة من قوله ويخلف ابن اخيه
طسوق في خلع سيرة السلطان يعنى يعنى السلطان محمد بن محمد بن السلطان
الجيد ويخلف ثلثين سنة وثلاثة اشهر ويتوفى في سنة ثمان مائة وخمسة
يشعر ال ساعة الى سنة في يوم الخميس ثمان مائة وخمسة
الاعلى في سنة

في

نموذج من مخطوطة بخط خليل ونه فيها تنبؤات تخص الدولة العثمانية

سليمان الصائغ مؤرخاً تاريخ الموصل أنموذجاً

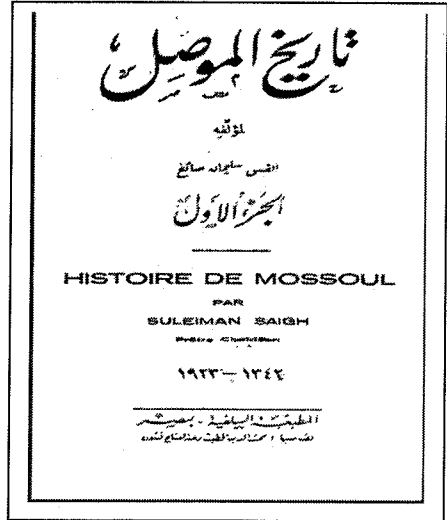
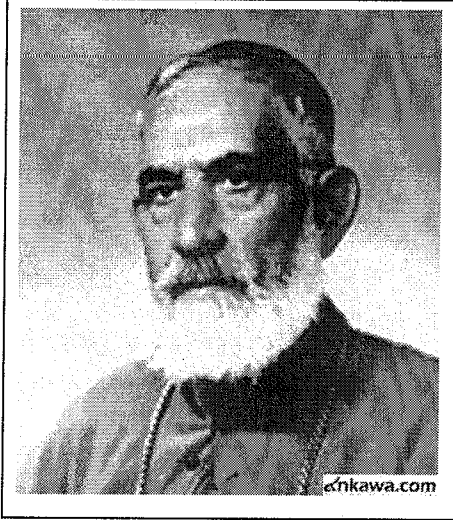
فوجئ القراء في العراق، وفي الأقطار العربية الأخرى، في سنة 1923 بوصول كتاب جديد إلى ديارهم طبع في المطبعة السلفية في القاهرة يحمل عنوان (تاريخ الموصل) ويقع في نحو 360 صفحة من القطع الكبير، وقد كتب عليه أنه من تأليف (القس سليمان الصائغ)⁽¹⁾ وفي مقدمته إهداء بليغ إلى (أعتاب إكليل هام المعالي والسيادة، .. فرع الدوحة الهاشمية، ورافع الأعلام العربية، جلالة ملكنا المفدى فيصل الأول أطل الله بقاءه، وخذ ملء الدهر سناءه .. الخ).

ظهر الكتاب في العراق في وقت افتقر فيه قراءه إلى مؤلفات جديدة في حقل الدراسات التاريخية، فالكتب التي ألفها مؤلفو أواخر العصر العثماني، كانت تستجيب للحياة الثقافية التي اتسم بها ذلك العصر، وبعضها كتب منهجية أعدت لتلائم متطلبات الدراسة في المدارس العثمانية الرسمية، الأولية، والرشدية، والإعدادية، فكان ثمة حاجات جديدة لكتب في التاريخ تستجيب للمتغيرات الواسعة والخطيرة التي مرَّ بها العراق في أثناء الحرب العالمية الأولى، ولم تكن الظروف القاسية التي عاشها العراق في أثناء الحرب نفسها، وما أعقبها من تداعيات، وصولاً إلى قيام ثورة العشرين، لتساعد على وضع مثل تلك الكتب، وهكذا فقد صدر كتاب الصائغ ليكون الكتاب الرائد، والأول من نوعه ومستواه ومنهجه، بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وتأسيس كيان الدولة العراقية الحديثة.

والمأمل للإهداء المطول الذي وضعه الصائغ لا يبعد عن ذهنه صدى تلك المتغيرات، فالإهداء موجه إلى الملك فيصل الأول، مؤسس ذلك الكيان المسمى عراقاً بعد أن لم يكن قبل ذلك إلا ولايات مرتبطة بالإدارة العثمانية، والإشارة إلى كونه (رافع

(1) ولد في الموصل سنة 1886 من أسرة كان لها دور في القرن التاسع عشر، وتلقى التعليم الكهنوتي في مدارسها الدينية حتى عين قساً، ثم ارتقى في المناصب الدينية حتى أصبح مطراناً للموصل، عني بالأدب والصحافة فأسس مجلة (النجم) الشهرية سنة 1928 واستمرت بالصدور إلى سنة 1955، ألف (تاريخ الموصل) ووضع عدداً من المسرحيات التي تناولت موضوعات تاريخية وأخلاقية ووطنية، وكانت وفاته سنة 1961م.

الأعلام العربية) تنوّه بدوره في الثورة العربية الكبرى التي رافقت اندلاع الحرب، وأدت إلى إنشاء الدول العربية الحديثة، وليس سائر ما ورد في هذا الإهداء من عبارات إلا تعبيراً عن أمل أكثر العراقيين في أن يكون عهد فيصل بداية لصفحة مهمة من تاريخه تقوم على (الرقى) و(العز) و(الفلاح) و(العلم) و(المعرفة).



إن أهمية الكتاب إذاً تتجلى في ريادة⁽¹⁾، وهي ريادة لم تكن مُيسرة بكل حال، فحيث لا منهج تاريخي مستقر، ولا مصطلحات ثابتة، ولا مصادر متوفرة، يصبح كل تأليف في هذا المجال محض مغامرة، وتقتضي من مؤلفه أن يشق طريقه العلمي بنفسه، فيضع منهجه، ويختار، أو ينحت، مصطلحاته، وأن يسعى بكل سبيل للحصول على مواد علمية من مختلف المصادر، ومنها ما هو نادر لم يصل إلى مكتبات العراق، أو مخطوط يحتفظ به أصحابه في خزائنهم الشخصية.

وسنحاول الحديث عن هذا الرائد من زاويتين: منهجه، ومصادره، وذلك على النحو الآتي:

(1) كتب الصائغ على كتابه عبارة (الجزء الأول) ووعده فيه بإصدار جزء ثان له، وقد أصدره بالفعل في بيروت سنة 1940 وهو يتناول التاريخ الأدبي للموصل، ثم أعقبه بجزء ثالث اختص بتاريخها العمراني، وقد خصصنا الجزء الأول بدراستنا هذه بسبب ريادة هذا الجزء في مجال الكتابة التاريخية في العراق، وهو ما لم يعد يتصف به الجزآن الآخران إذ صدرت عهد ذلك كتب عديدة في موضوعهما.

أولاً: منهجه

رتب الصائغ كتابه تاريخ الموصل حسب السياق الزمني للدول التي تتابعت على حكم هذه المدينة، ولم يكن ثمة منهج آخر في عهد خلا من أي كتاب سابق في الموضوع نفسه، على أنه مع ذلك كان مرناً في اتباع هذا الترتيب، لا سيما حينما كانت تتداخل الحقب التي شهدت سيطرة هذه الدولة أو تلك، وهكذا فإنه قسم كتابه إلى توطئة تاريخية وأربعة أبواب، تناول في التوطئة تاريخ الدول التي كان لها حكم على منطقة الموصل، قبل نشوء الموصل نفسها، مبتدئاً بالدولة الآشورية، فالدولة الأكديّة، ثم الدولة الأخمينية، فالسلوقية، وانتهاءً بالدولة الساسانية، وهي حقب تُقدَّر بنحو ألف وسبعمئة سنة. وتناول في الباب الأول ويتألف من 12 فصلاً، استوعبت تاريخ الموصل منذ نشوئها أول مرة في القرن الرابع للميلاد، ومكوناتها الاجتماعية، ومعنى اسمها، وفتح المسلمين لها، وما شهدته من عهود الدول الراشدية والأموية والعباسية، ومنها ثورات أهلها المتكررة، والاضطرابات العامة، وما تحقق فيها من تقدم علمي وعمراني. وتغطي هذه الفصول ستمائة سنة، بينما يتألف الباب الثاني من 13 فصلاً، تناولت تاريخ الموصل في عهد الدولتين الحمدانية والعقيلية، وهما الدولتان اللتان اتخذتا من الموصل قاعدة لهما، وكان لهما حكم على أعمالها في عهد الخلافة العباسية، وتغطي مدة قرنين تقريباً، أما الباب الثالث فيتألف من 21 فصلاً، ويغطي تاريخ الموصل في عهدي الدولتين السلجوقية والأتابكية، انتهاءً بظهور المغول على مسرح السياسة، وهي مدة استغرقت نحو ثلاثة قرون. ويتألف الباب الرابع، وهو الأخير من 24 فصلاً، تغطي تاريخ الموصل في العهود التي تعاقبت عليها بعد سقوط الخلافة العباسية وحتى تتويج الملك فيصل الأول ملكاً على العراق، في مدة تقرب من ثمانية قرون.

لم يُقسّم الصائغ كتابه إذن على أساس زمني محض، فالباب الأخير يعدل في حجمه مجموع البابين الأولين، ومن الواضح أن التفاوت بين أحجام الأبواب وأعداد الفصول بين كل باب وآخر يرجع إلى أهمية الدول الحاكمة في تاريخ الموصل، ولذلك خصص للحقب التي شهدت حكم الدول الحمدانية والعقيلية والسلجوقية والأتابكية بابين، بينما خصّص للحقبة الممتدة من الاحتلال المغولي حتى الاحتلال البريطاني باباً واحداً لأنه لم يجد أسباباً موضوعية تجعله يقسّمه إلى بابين، فالدول الأجنبية تتعاقب على احتلاله الواحدة تلو الأخرى دون أن يكون ثمة تغير يذكر في طبيعة الحياة

والحضارة فيه، وهذا التغيير هو ما سماه (الدور الانقلابي)، بينما وجد في تأسيس الدولة العراقية بداية لمرحلة جديدة، أو دور جديد، يتوقف عندها .

1- إفادته من علم الآثار:

لم يعتمد الصائغ فيما أورده من معلومات عن العصور القديمة في بلاده على المصادر الإسلامية التقليدية، وإنما رجع إلى معطيات علم الآثار، وتقارير الآثاريين الأوربيين الذين كشفوا في أعمالهم صفحات مجهولة من تاريخ تلك العصور، من ذلك مثلاً أنه انتقد (الروايات غير المُسندة التي أوردها القدماء عن الآثوريين) وأورد خلاصة بما توصل إليه علماء الآثار المحدثين، فقال (أما الحقيقة التاريخية التي وقف عليها العلماء من الآثار القديمة المكتشفة حديثاً فهي..الخ)، ومثل ذلك أنه ساق بعض الروايات التقليدية عن مدينة الحَضْر، ولكنه أعقبها بمعلومات جديدة استقاها من بعثة ألمانية كانت تجري أعمالها التقييية في هذه المدينة العظيمة وأورد خارطة لها أخذها عن هذه البعثة⁽¹⁾. وعلى الضد من ذلك، فإنه لم يُذعن لأراء العلماء المُحدثين دون نقد، من ذلك أنه انتقد ما تناقله بعض المؤرخين عن قدم الموصل في العصور الاشورية، مقررأً (أن التواريخ القديمة لا تقدم برهاناً وضعياً على تملك العرب في بقعة آثور في العصر المتوغلة أي في نشوء الدولة الآثورية)⁽²⁾.

2- نقده للنصوص:

وفي الواقع فإن الصائغ كان مسيطراً على منهج النقد التاريخي ومستوعباً له إلى حد بعيد، وقد حقق زيادة حقيقية في هذا المجال، بعد أن كان أكثر المؤرخين يميلون إلى إثبات ما يحصل عندهم من نصوص مختلفة فلا يرجحون رأياً ولا يُبعدون آخر، وإنما يجمعون المتناقضات جميعاً دون أن يكون لهم رأي في أي منها. وواضح أن الصائغ كان يمتلك شخصية علمية قوية لها قدرة على التعامل مع الروايات المختلفة بالتأييد أو التفنيد، أو أن يأتي من وراء ذلك برأي جديد، مثال ذلك أنه حينما ناقش معنى اسم الموصل استعرض آراء مختلفة لإيشوعدناح البصري ولياقوت الحموي وأحمد بن حمزة وغيرهم، وانتهى إلى أن الاسم عربي صميم بمعنى الموقع الذي يصل منطقة بأخرى وبلد بآخر، وذكر أن بعض

(1) ص 30.

(2) ص 24.

المستشرقين أيد هذا الرأي ومنهم المستشرق ليسترنج في كتابه بين النهرين⁽¹⁾. ومثل ذلك أنه عرض رأي ياقوت بهذه التسمية على أنها تعبير على احتداب دجلتها، وابن بطوطة في أنها نسبة إلى احتداب قلعتها، ومحمد أمين العمري في أنها لاحتداب أرضها «بل بعضها على نشز وقلاع وبعضها في منخفض من الأرض»، وقد أعلن الصائغ تأييده للرأي الأخير مع أنه متأخر زمنًا عن الرأيين السابقين مستنداً إلى الواقع المرئي لأرض الموصل نفسها فقال «وقد يكون هذا التعليل أقرب إلى الصواب، إذ يُرى اليوم حذب المدينة في جهتها الشرقية أي في محلة القلعة وهي على نشز مرتفع من أرضها...»⁽²⁾.

وتوصله إلى تقدير معقول لسكان الموصل في عهد الخلفاء على أساس رواية تقول بأن عدد القتلى في إحدى المعارك التي دارت في ذلك العهد بلغت في اليوم الأول 11000 قتيل، وأن المذبحة دامت ثلاثة أيام، فما كان من الصائغ إلا أن ضرب العدد في ثلاثة فتحصل لديه 44000 قتيل، وقال (ومع ذلك لم تخل المدينة من السكان) لأنهم شاركوا في معركة تالية، فتوصل إلى عدد سكان الموصل يومئذ بلغ نحو 100000 انسان، هذا مع لم يستبعد أن يكون في عدد القتلى بعض المبالغة⁽³⁾، وهذا استدلال جيد كما ترى. وشبيه بذلك ما توصل إليه من أن عدد سكان الموصل كان في القرن الثامن عشر نحو 125000 نسمة، وذلك بناء على رواية تقول بأن عدد الأموات الذين قضوا بسبب الطاعون سنة 1186هـ/1772م بلغ أكثر من 100000 نسمة، وأن عرف من الجنود المقلدين حراسة أبواب المدينة بأنه لم يبق من سكانها إلا نحو الخمس، فتوصل إلى أن عدد السكان كان يبلغ 125000⁽⁴⁾.

3- عنايته بالجغرافية التاريخية:

ومن أسس المنهج التاريخي الذي أتبعه الصائغ ربطه بين الحدث وأرضه، وهو ما أدى إلى اهتمامه الشديد بالجغرافية التاريخية للأماكن التي جرت فيها حوادث تاريخه، لا سيما خطط الموصل القديمة وتعيين أماكن الأديرة والقرى المحيطة بها، من ذلك استدلاله من نص ابن الأثير أن قصر الحر بن يوسف والي الموصل الأموي كان

(1) ص 56.

(2) ص 57.

(3) ص 91.

(4) ص 292.

يشغل أسواق القتابين والشعارين وسوق الأربعاء. وكان سوق الشعارين معروف في عهد، وسوق القتابين غير معروف، بينما رجح أن يكون سوق الأربعاء هو محلة جهار سوق⁽¹⁾، وهكذا فإنه استدل بالمعلوم من المعالم على ما هو غير معلوم منها، وهو منهج سليم في علم الخطط، واسترجح أن يكون (الريض الأعلى) هو «ما يجاور المحلة المسماة اليوم محلة القلعة»⁽²⁾، وأثبت أن الباب الأبيض هو المعروف في الموصل بباب البيض، وإن باب الجيش هو الذي عرف في العهود المتأخرة بباب لكش⁽³⁾. وتوصل إلى القصر الذي أنشأه حرب بن عبد الله عامل المنصور على الموصل يقع «قرب قرية قتيطرة قبالة بافخاري قرية ابن الأثير»⁽⁴⁾ واستطرد في حديثه عما دمره نادرشاه من الأديرة التي في جوار الموصل إلى البحث في تاريخ دير مار إيليا متوصلاً إلى أنه نفسه المسمى دير سعيد الذي شيده مار إيليا الحيري كما شهد بذلك توما المُرْجِي وإيشوعدناح البصري مؤرخ الأديرة، وأن سعيد هذا هو نفسه مار إيليا، وأن تشييده جرى قبل الإسلام بنحو مائة عام، ومع ذلك لم يستبعد أن يكون سعيد بن عبد الملك الأموي مستنداً إلى ما قرأه في قصيدة كلدانية لأشوعياب الإربلي من أن مار إيليا أبرأ سعيد أمير الموصل من مرض عضال اعتراه فبنى له الأمير ديراً بجوار الموصل، وأن هذا الأمر غير ممتنع نظراً لطول حياة مار إيليا ومعاصرته لسعيد المذكور.

كما استطرد في أثناء حديثه عما خربه محمد باشا ميركور في نواحي الموصل ومنها دير مار هرْمَزْد فتكلم عن تاريخ هذا الدير معتمداً على الطيْرَهاني وعلى المؤرخين العرب، ووصفه وصفاً جميلاً وأسف على ما أصابه من خراب⁽⁵⁾. ودير مار ميخائيل في شمالي الموصل، وقد أشار إلى تجديده على يد يوحنا الطريد الموصلية على ما رآه في قصيدة مخطوطة لابن الشعار أحد رهبان هذا الدير⁽⁶⁾، وغير ذلك من هذه المقارنات والاستدلالات التي دلت على أن تعمق الصائغ في الجغرافية التاريخية لمدينته وبحثه في تاريخ معالمها القديمة لم يكن في أثناء انشغاله بتأليف كتابه، وإنما هو نتاج لدراسات ورحلات سبقت ذلك الإنشغال بمدة، كما أنه تكلم على معالم

(1) ص 64-65.

(2) ص 82.

(3) ص 272.

(4) ص 70.

(5) ص 207.

(6) ص 93.

عديدة في نواح من كردستان، التي يبدو أنه كان محيطاً بها بحكم رحلاته إليها واطلاعه المباشر على معالمها الأثرية والعمرانية. من ذلك حديثه معلثا القريية من دهوك، وباعشيقا، وباسورين، وسنجار، وبالطة، وبرقعيد، وهرور، وشوش، وغير ذلك. لم يكتف الصائغ بذكر ما استقصاه من معلومات، وإنما سعى إلى تقريبها إلى تصور القارئ، فحدد المسافات بين المواقع التاريخية بالكيلومترات، وعين أماكنها بدقة.

4- عنيته بالتاريخ الثقافي والاجتماعي والعمراني:

على الرغم من اهتمام الصائغ بتاريخ الموصل السياسي والعسكري، وهو أمر طبيعي لمن يكتب في تاريخ مدينة لم يسبقه إلى الكتابة عنها أحد من أهل عصره، فإنه سعى أيضاً إلى تقديم لمحات متنوعة عن تكوينها الاجتماعي والثقافي والعمراني في بعض ما كتب عنه من عصور. من ذلك أنه كتب مبحثاً مهماً عن سكان الموصل قبل الفتح الإسلامي وما بعده، لا سيما من القبائل العربية التي نزحت إليه منذ عصر الدولتين الآشورية والأكدية، ودورها في الجهود التالية لا سيما في العهد الفرثي، وتأسيسها مملكة الحضر، وعقد مبحثاً خاصاً في أصل (الجرامقة) وهم من سكان الموصل القدماء قبل الإسلام، وما إلى ذلك من شؤون⁽¹⁾. كما أنه أعقب ذلك بفصل آخر تحدث فيه عن القبائل العربية التي نزحت إلى الموصل وجوارها قبيل الإسلام وفي أثناء انتشاره في تلك الأنحاء، وما بعده، ومواطن استقرارها، ودورها السياسي، وتناول أيضاً القبائل التركمانية والكردية، وغيرها⁽²⁾. وتحدث في فصل آخر عن النهضة العلمية والعمرانية التي شهدتها الموصل في عهد الخلافة العباسية، لا سيما تأسيس ما يتعلق بتأسيس المدارس المسيحية والإسلامية، وظهور عددٍ جَم من العلماء⁽³⁾، ثم تناول في فصل نال تاريخ الحركة العلمية والتعليمية في الموصل في العصر العثماني، فتحدث عن مدارس الموصل الملحقة بالمساجد والكنائس، وظهور الطباعة وتأسيس المطابع الأولى فيها، ودور البعثات المسيحية في ذلك، وتعليم البنات وما إلى ذلك⁽⁴⁾. ومع ذلك انتقد بعض الكتاب كتابه على أساس «أنه لم يضع تاريخاً للموصل، بل وضع سجلاً للوقائع

(1) ص 28-31.

(2) ص 51-55.

(3) ص 90-93.

(4) ص 321-325.

الحرية في الموصل، بل قد وضع تاريخاً لموقع الموصل لا للموصل»⁽¹⁾ وهو نقد ينطوي على كثير من الإجحاف فلقد حرص الصائغ على تقديم هذه اللمحات لأنه رآها ضرورية لأكمال صورة ما تكلم عنه من التاريخ السياسي لمدينته، ولم يعد ما قدمه نهائياً، لأنه وعد بتفصيل ذلك في جزء ثان، وهو ما فصله فعلاً في جزئين تالين.

5- عنايته بأقيام العملات:

وينفس الرغبة بالإلتقان فإنه سعى إلى تحديد أقيام العملات المستعملة في الدول حيثما وردت في النصوص التي اعتمدها، ويلاحظ أنه اعتمد في ذلك الجنيه المصري لا الروبية الهندية التي كانت تستعمل في العراق آنذاك، أو الجنيه الانكليزي مثلاً، من ذلك أنه حدد الدينار في العهود الإسلامية بنصف جنيه مصري⁽²⁾، وقدر أن ثلاثة ملايين درهم في عهد المنصور العباسي بما يساوي مائة ألف جنيه⁽³⁾، وأن مليوني درهم في القرن الرابع للهجرة كانت تساوي تقريباً 66,666 جنيه⁽⁴⁾، وخمسة عشر ألف دينار كانت تساوي 7500 جنيه⁽⁵⁾، وغير ذلك. وقد اعتمد الصائغ التاريخ الميلادي في كتابته تاريخ الدول التي تعاقب حكمها على الموصل، لكنه قرنه بالتاريخ الهجري حيثما ورد.

6- أسلوبه:

ويمكن القول أن أسلوب الصائغ كان جيداً مُعبِّراً عن أفكاره بوجه عام، ويرجع ذلك إلى دراسته العربية في المعاهد التي درّس فيها، وإلى اهتماماته الأدبية، وقد ساعدته ملكاته القصصية والمسرحية على أن يحكم الصياغة التاريخية لما ساقه من أخبار، وأن يحكم، من جهة أخرى، العلاقة المنطقية بين كل فقرة وأخرى، ومبحث وآخر.

(1) هو توفيق السمعاني، المدرس في مدرسة الإليانس في بغداد آنذاك، ينظر بعض المقالات التي نقد فيها أصحابها كتاب (تاريخ الموصل) عند صدوره على موقع (موصل نيت وورك) وهي من جمع السيد قصي آل فرج.

(2) ص 156.

(3) ص 72.

(4) ص 139.

(5) ص 171.

7- حَيْدَتُهُ الْعِلْمِيَّة:

وعلى الرغم من أن الصائغ كان كاهناً، إلا أن ثقافته الدينية لم تترك بصماتها على كتاباته التاريخية، حتى أن قارئه يكاد لا يشعر بهوية من يقرأ له إن كان مسيحياً أو مسلماً، وباستثناء استطراداته في تاريخ بعض الأديرة وإشاراتِهِ إلى بعض الكتب المسيحية، فإنه كتب تاريخاً سياسياً حضارياً لمدينته التي أحبها لا أقل من ذلك ولا أكثر. وقد أفصح هو في مقدمته عن مقصده من تأليفه كتابه فقال أنها لم تزد عن أن تكون رغبته في خدمة أبناء وطنه «من العامة الذين لا يستطيعون مطالعة مجلدات ضخمة للوقوف على بعض أحوال الموصل» وأنه كتب ما كتب «رجاء نفع العامة ونيل رضى الخاصة، وما قصدي في هذا العمل إلا إمحاض الخدمة لوطني»⁽¹⁾.

ثانياً: مصادره:

ولعل ما يَسِرُّ للقس الصائغ كل هذه المكابذات، إطلاعه الواسع على المكتبة التاريخية العربية في ذلك العهد، من المصادر القديمة التي وجدت طريقها إلى النشر في مطابع مصر والشام، وعدد من الكتب التركية التي تناولت بعض جوانب موضوعه، وبعض الوثائق والمخطوطات التي حصل عليها من مختلف المظان.

وكان هو قد أثبت قائمة بمصادره بعد فراغه من مقدمته مباشرة، وكان من المؤلفين من يختار هذه الطريقة في إثبات المصادر بعد مقدمته جرياً على تقليد القدماء، الذين كانوا ينوّهون بأهم ما اعتمده من مصادر ضمن مقدماتهم، لا في قوائم خاصة تفصيلية كما جرى عليه المؤلفون المحدثون. وقد أورد في قائمته التي شغلت صفتين ستة وثلاثون كتاباً، يمكن تحليلها على النحو الآتي:

الوثائق غير المنشورة

أشار إلى (بعض أوراق خطية قديمة)، ولم يزد في تعريفه إياها، بما يوضح مكان وجودها، وتاريخها، وطبيعتها إن كانت تشكل رسائل مؤلفه، أو مجرد أوراق مفرقة، أو منتزعة من مخطوطات أخرى. وقد رمز إليها في إحالاته بشكل (أو. خطية) على سبيل الاختصار.

(1) ص 6.

بلغ عدد النصوص التي عزاها إلى هذه الأوراق خمسة نصوص مهمة، جميعها يتناول حوادث جرت في الموصل في العصر العثماني، هي:

نص مؤرخ في سنة 1123هـ/1711م يقع في 14 سطراً، يتحدث عن غلاء حصل في الموصل وتوابعها صاحبته حركة نزوح للسكان في طلب الرزق، عرف بغلاء ابراهيم باشا، ويذكر أن ابراهيم هذا كان مستبداً عاتياً سعى إلى استصدار أمر سلطاني بإعدام أحد سُرّاة الموصل الفضلاء، وهو أحمد أفندي العمري، حسداً منه لهذا الفاضل بسبب تشييده قصرًا كبيراً على دجلة واجتماع الناس عنده، ويروي النص أن ولداً لأحمد أفندي هذا استطاع أن يثبت لأولي الأمر في القسطنطينية براءة أبيه، وحينما عاد إلى الموصل وجد أباه قد أعدم، فعاد إلى العاصمة العثمانية شاكياً حيث سعى إلى أعدام ابراهيم باشا فأعدم⁽¹⁾.

نص مؤرخ في سنة 1138هـ/1720م، يقع في 15 سطراً، يتحدث عن فتنة علي أفندي المفتي العمري، ويذكر أنه هو الذي استصدر موافقة الدولة العثمانية في فتح باب جديد في سور الموصل لكي يسهل عليه دخول المدينة منه حينما كان يقضي نهاره خارج هذا السور في بستان له يعرف بالناعور، وأن هذا الباب كان يقع بين باب البيض وباب لكش، وأنه «سمي بباب الجديد إلى اليوم».

نص مؤرخ في سنة 1143هـ/1732م، ويقع في 12 سطراً، يتحدث عن جانب من المعركة التي دارت بين الموصلين وبين جيش نادرشاه في صبيحة اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال من ذلك العام، ودور والي الموصل آنذاك الحاج حسين باشا الجليلي في استنهاض الهمم من أجل الدفاع عن المدينة، وهي المعركة التي انتهت بانتصار الموصلين انتصاراً مؤزراً⁽²⁾.

نص مؤرخ في سنة 1156هـ/1732م، ويقع في 8 سطور، وهو يتحدث عن معركة بُرج باش طابئة التي انتصر فيها الموصليون على هجوم شنه جنود نادرشاه، ويفيد بأن عدد القنابل التي أطلقتها مدفعية نادرشاه بلغت نحو مائة ألف قذيفة⁽³⁾.

نص مؤرخ في سنة 1232هـ/1808م، ويقع في 10 سطور، هو يتناول حملة الصدر

(1) ص 271.

(2) ص 277.

(3) ص 285.

الأعظم كُورجي محمد رشيد باشا على كردستان وفتحه العمادية وسائر اقليم بهدينان، وعلان أكثر مناطقها بالإذعان له، ثم تكيه الشديد بالإيزيدية⁽¹⁾. ونحن نرى أن الصائغ اعتمد هنا على أوراق كتبها ارشيلدوس بن الشماس حنا الموصلية، أرخ فيها حوادث ما جرى في أواخر عهد الجليليين، وقد اطلعنا على هذه الأوراق في مكتبة المرحوم الدكتور صديق بك الجليلي في الموصل في أوائل سبعينات القرن الماضي⁽²⁾.

وثيقة سماها (كتاب خطي في الطومار الجليلي) ورمز إليها في الإحالات بلفظ (طومار)، ويثير هذا العنوان لبساً، فالطومار هو الوثيقة المطوية، أو اللفافة من الورق، تتضمن أمراً سلطانياً أو نحوه، وهو بهذا ليس كتاباً، وإنما وثيقة رسمية، وكنت قد سألت المرحوم الدكتور صديق الجليلي سنة 1971 عن هذا الطومار فذكر أنه فرمان من السلطان يقضي بمنح قرية قره قوش إلى الحاج حسين باشا الجليلي مكافأة له على دوره في الدفاع عن الموصل في أثناء حصار نادرشاه لها سنة 1156هـ/1743، ثم سألت الدكتور محمود الجليلي عنه، فأرانيه، فإذا هو فرمان قد حُط على لفافة طويلة، وحُلي بكمية غير قليلة من الذهب، وزخارف جميلة أخرى، وقد كلف رحمه الله أحد المصورين في الموصل بتصويره لي.

بيد أن النصين اللذين اقتبسهما الصائغ لا يدلان على أنهما أخذتا من هذه الوثيقة، فالنص الأول يقتصر على خبر وفاة الحاج حسين باشا الجليلي سنة 1171هـ/1757م، وأما الثاني فيتحدث عن مقتل والي الموصل عبد الباقي باشا الجليلي وتعيين سليمان باشا الجليلي وذلك سنة 1200هـ/1785م، وكلا الخبرين جرياً بعد تاريخ كتابة الوثيقة المذكورة، ولسنا نعلم بعد هذا حقيقة هذا (الكتاب الخطي) وما معنى وجوده في (الطومار الجليلي)، إلا أن يكون كتاباً حُفظ في طي تلك اللفافة، أو في طي لفافة أخرى لا نعلم هويتها.

المخطوطات

اعتمد سليمان الصائغ على مجموعة من المخطوطات هي:

1- (منهل الأولياء) الذي وصفه في قائمة مصادره أنه (تاريخ خطي للموصل مؤلفه محمد أمين أفندي العمري)، ومحمد أمين هذا هو ابن خير الله الخطيب

(1) ص 302.

(2) كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط: 2، لندن 2009، ص 246.

العمري الموصل (المتوفى سنة 1203هـ/1788م) وكتابه هذا يعد من أهم التواريخ المحلية للموصل في العهد العثماني، وقد أحال عليه في ثانيا كتابه سبع مرات، ولكنه اعتمده بشكل رئيس في عرضه تعاقب الولاة على الموصل منذ سنة 1000 للهجرة، حتى سنة 1199هـ/1784م. ولم يذكر على أية نسخة من هذا الكتاب قد اعتمد، وإن كنا نرجح أن تكون النسخة التي كانت في مكتبة مدرسة الخياط وقد نسخت سنة 1267هـ/1850م، ثم آلت إلى مكتبة الأوقاف في الموصل.

2- أوراق تتضمن تاريخ العائلة العمرية لكتابتها حسن أفندي بن محمود أفندي العمري، ولم يعين المكان الذي وجد فيه هذه الأوراق، ولا هوية كاتبها، أو سنة وفاته في الأقل، ولكن يظهر أنه كان معاصراً له. وقد نقل منه خبراً مطولاً في نحو 14 سطراً، تضمن خبر استخدام الدولة العثمانية للأسرة العمرية والأسرة الأعرجية إلى الموصل من مكة والمدينة في سنة 971هـ/1563م، وتعيين المحلات التي نزلت فيها من مدينة الموصل⁽¹⁾.

3- مخطوط سماه (حاشية عن تاريخ العمادية) ووصفه بقوله (وهو كتاب خطي في اللغة العربية محفوظ عند أحد أشرف قرية زيروا من قرى العمادية) وذكر أنه اطلع على شيء منه نقله صديق الديملوجي (المتوفى سنة 1958) وتناول المعلومات التي نقلها الصائغ من هذه المخطوطة تتناول السنة الأخيرة من تاريخ الإمارة، وهي سنة 1258هـ/1842م⁽²⁾، وظن السيد محفوظ العباسي⁽³⁾ (المتوفى سنة 2010) أن هذا الكتاب هو ما عرف بالوثيقة الزيوكية⁽⁴⁾، وهي وثيقة تضمنت أنساب أمراء العمادية الأوائل وتاريخهم، مع أن هذه الوثيقة لا تتناول إلا الحقبة المبكرة من تاريخ الإمارة، كما أن (زيروا) ليست (زيوكان) التي جددت فيها تلك الوثيقة فنسبت إليها، فهي إذن مخطوطة غيرها. ولا شك في أهمية هذه المخطوطة التي اعتمدها الصائغ، مما دفع بنا إلى البحث عنها في قرية (زيروا) وقرى العمادية سنوات عدة فلم نعثر منها على أي أثر.

(1) ص 267.

(2) ص 311.

(3) إمارة بهدينان العباسية، الموصل 1969، ص 30.

(4) نشرنا هذه الوثيقة مستقلة في كتاب بعنوان (الشجرة الزيوكية، نسب أمراء بهدينان

وتاريخهم)، أبريل 2009.

4- مخطوط في التاريخ للمؤرخ الموصلّي ياسين بن خير الله الخطيب العمري (المتوفى بعد سنة 1232هـ/1816م)، ولم يسمه، ويظهر أنه لم يطلع عليه كاملاً لأنه لم يذكره في قائمة مصادره، ولكنه أطلع على أوراق منه فيها نبذة عن حصار نادرشاه للموصل سنة 1156هـ/1743م، وما نسب إلى قديسيها من كرامة أدت إلى كف الأذى عن المدينة وانسحاب نادرشاه عنها بعد ذلك الحصار، ثم قيام الوالي الحاج حسين باشا الجليلي بترميم ثماني من كنائسها عرفاناً لما أثر عنها من دور روحي في تلك الأسابيع العصبية⁽¹⁾.

5- تاريخ دير ريان هرمزد. مخطوطة وصفها بقوله «هو تاريخ خطي يتعلق بحوادث الدير المذكور»⁽²⁾، والحوادث التي يشير إليها هي النكبة التي تعرض لها الدير ورهبانه وعدد من القرى المجاورة على يد أمير رواندوز محمد باشا المعروف بميركور سنة 1832م. وثمة مدونات عديدة عن هذه الحوادث فلا يعرف على وجه اليقين أي كتاب منها يعنيه في هذه الإشارة.

6- مخطوطة تضمنت ما عنوانه «قصيدة ضافية باللغة الكلدانية يصف فيها مظالم ميركور» في نواحي قرى الموصل، من نظم من سماه دميانوس الألقوشي، وهذه القصيدة وصف فيها ناظمها مذبحه ألقوش والدير في غارة الأمير الرواندوزي محمد باشا ميركور، وهي من محتويات خزانة دير السيدة في بلدة ألقوش، فمن الراجح أنه اطلع عليها هناك⁽³⁾.

7- مخطوطة لم يذكر لها عنواناً ووصفها بقوله (رسالة خطية باللغة الكلدانية قديمة العهد) وذكر أنها لراهب نسطوري اسمه (راميشوع) كتبها سنة 1793 يونانية الموافقة لسنة 1452، وموضوعها تاريخ الدير الذي أنشأه الراهبان يوحنا ويشوعسبران في القرن الرابع للميلاد ثم تحول إلى معبد للإيزيدية في القرن السابع للميلاد⁽⁴⁾.

(1) ص 289.

(2) ص 307.

(3) بطرس نصري الكلداني وأدي صليباً ابراهيمياً: نبذة تاريخية عن بعض مشاهير طائفة الكلدان الكاثوليك، مجلة المشرق 4 (بيروت 1901) ص 874-855، وألبير أبونا: أدب اللغة الآرامية ص 540-541.

(4) ص 299.

8- منظومة ايشوعياى بن المقدم، من القرن الخامس عشر⁽¹⁾، أشار إليها في الاستدلال على أن المعبد الإيزيدي إن هو إلا دير يوحنا ويشوعسبران المذكور. ولم يشر إلى المكان الذي وقف عليها فيه.

9- تاريخ مجهول الاسم ذكر أن مؤلفه من أهل القرن الثالث عشر، وأن البطريرك أفرام رحمانى نشره، وهذا هو المعروف بتاريخ الرهاوى المجهول وقد نشره رحمانى في دير الشرفة ببلبنان سنة 1904م.

كتب المسكوكات

تعد الكتالوكات الخاصة بأنواع المسكوكات مصدراً مهماً في التعرف على حكم الدول والملوك، وقد أفاد منها من كتب في جداول حكام العالم الإسلامي من الباحثين الأوربيين، أمثال زامباور ولين بول وغيرهما، ونحن نرى أن سليمان الصائغ كان الرائد الأول من المؤرخين العراقيين في الإعتماد على هذا المصدر الموثق الذي يصعب الشك في معطياته، وقد أفاد منه في حديثه على ملوك الأتابكة في الموصل، حيث أورد جدولاً وضعه الدبلوماسي الآثاري نيقولا سيوي في ضم أسماء (بعض الملوك الأتابكيين)، ومع ذلك فإنه لم يعتمد على قراءة سيوي في هذه المسكوكات على نحو مطلق، إنما صحح بعض تلك القراءة على وفق قراءته هو لتلك المسكوكات⁽²⁾.

المصادر العربية

كان الصائغ مُدركاً لضرورة الإعتماد في كتابة تاريخ حقبة معينة على المصادر الخاصة بها، ومن هنا فقد اعتمد في تاريخه للموصل في العهود الإسلامية على المصادر العربية، بوصفها الأقرب على مجريات الحوادث التي شهدتها المدينة في تلك العهود، وكان في مقدمة مصادره كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري فقد استقى منه مواد التاريخية التي تغطي تاريخ الموصل منذ الفتح الإسلامي وحتى بدايات القرن السابع للهجرة، وأحال إليه نحو 46 مرة، ويليه تاريخ ابن خلدون، فقد اعتمده بصفة متوازية مع تاريخ ابن الأثير، ثم غطى به حوادث الموصل بعد الأخير، فبلغ عدد المرات التي أحال إليه نحو 37 مرة، إضافة إلى إحالات إلى مقدمته بلغت 3 مرات، واعتمد على (وفيات الأعيان) لابن خلكان في ترجمته للأعلام الذين كان لهم

(1) ص 301.

(2) ص 228.

تعلق بتاريخ الموصل، فبلغ عدد إحالاته إليه 25 مرة، وكان كتاب (أبي الفداء) معينه في سد بعض الثغرات التاريخية لا سيما في الحقبة التي تلت العصر العباسي فكانت إحالاته إليه 21 مرة، وأفاد من كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي نحو 12 مرة ضبط فيها أسماء المواقع الجغرافية التي تقع حوالي الموصل خاصة، وأورد روايات أدبية من كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني فبلغت إحالاته إلى هذا الكتاب 5 مرات، والثعالبي مرتان، وإحالة واحدة لكل من المسعودي والطبري والواقدي وبعض المصادر الأخرى. واعتمد على كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين) لشهاب الدين المقدسي، وأحال إليه 10 مرات في تغطيته لتاريخ الدولتين النورية والصلاحية، فضلاً عن اقتباساته من رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة فيما يتعلق بمشاهداتهما للموصل. ورجع الصائغ أيضاً إلى مصادر مسيحية كتبت بالعربية، أبرزها كتاب المجدل لعمر بن متي، معتمداً طبعة جيسموندي في روما سنة 1898م. واعتمد أيضاً على كتاب (مختصر تاريخ الدول) لابن العبري في اقتباسه روايات لم ترد في ابن الأثير.

المصادر السريانية

أشرنا في كلامنا عن المخطوطات والوثائق أن الصائغ اعتمد على عدد من المخطوطات السريانية، وهنا نشير إلى اعتماده أيضاً على كتب سريانية مطبوعة، منها كتاب (العفة) لإيشوعدناح البصري (أواخر القرن 8م) وهو في تاريخ الأديرة ومؤسسيها، وقد نشره بيجان، ومنها (أخبار الشهداء) الذي نشره بيجان أيضاً، ومن تلك المصادر التاريخ السرياني لابن العبري، وقد اعتمد عليه مرة واحدة، و(المكتبة الشرقية) ليوسف السمعاني، وقد أفاد منها في عدة مواضع، وتاريخ أربييل لمشيحا زخا الذي نشره ألفونس منكنا، و(أخبار الداسنية)⁽¹⁾ الذي نشره في روما شموئيل جميل سنة 1900 مع ترجمة إيطالية⁽²⁾، وهو من تأليف اسحق بن بطرس عبدال البرطلي(كان حياً سنة 1306هـ/1888م) ويتضمن عقائد اليزيدية وأعيادهم مع نبذة من تاريخهم.

الكتب الأوربية

كان الصائغ يجيد من اللغات الأوربية الإنكليزية والفرنسية، وهذا ما مكّنه من الإفادة من بعض المصادر المؤلفة بهاتين اللغتين في تاريخه للموصل، فأشار إلى رحلة

(1) ص 305.

(2) التاريخ والمؤرخون ص 305.

الراهب الدومنيكي لانزا ناقلا من نصها الفرنسي، وأبحاث لنقولا سيوفي قنصل فرنسا في الموصل في تاريخ الموصل المنشورة في المجلة الآسيوية الصادرة في باريس عهد ذلك، وإلى كتابات الرحالة الآثاري لايارد صاحب التنقيبات الشهيرة في مدينة نينوى قرب الموصل، وإلى كتاب في تاريخ الدولة الكلدانية بعنوان (كلدو) لمارتان، ومختصر تاريخ الكنيسة للمعلم لومون بالفرنسية، وكتاب (نو) عن اليزيدية بالفرنسية أيضاً، ومينان بالفرنسية في الموضوع نفسه وغير ذلك، وكتاب عن الأدب السريانية لدوفال الفرنسي، وغير ذلك.

الكتب التركية

كان الصائغ يتقن التركية، إلا أنه مع ذلك كان مقلداً في مراجعة المصادر العثمانية على الرغم من أهميتها في بحثه، لا سيما ما يتعلق منه بتاريخ الموصل في العصر العثماني، وأبرز ما رجع إليه في هذه اللغة تاريخ جودت، فقد نقل منه نصوصاً مهمة عن حوادث سنة 1193هـ/1779م في الموصل، كما أنه رجع إلى القسم التاريخي من سאלنامه الموصل، وهو الكتاب السنوي الذي كانت تصدره ولاية الموصل في عهد الدولة العثمانية، وهو من تأليف مؤرخ موصلي اسمه (توفيق فكرت)، وموطن أهميته على ما يذكر الصائغ أنه استقى مادته من الوثائق الرسمية، ولذا فإنه اعتمده مصدراً لما أورده عن تاريخ الموصل في العهد العثماني، لا سيما حقبة الولاية الجليليين وما تلاها حتى قيام الحرب العالمية الأولى. كما اعتمد في بعض المواضع على كتاب (قاموس الأعلام) لشمس الدين سامي، وأكثر ما أخذه منه أفاد منه في هوامشه التوضيحية. ولا نفهم سبب غياب هذه المصادر عن كتابه، إلا أن تكون غير متوفرة في الموصل عهد ذلك، وهو أمر لا يمكن القطع به. وقد نقده أحد الكتاب في أنه لم يخصص للعصر العثماني ما يستحقه هذا العصر من تفصيل⁽¹⁾، ونعتقد أن مبرر هذا النقد هو قلة ما رجع إليه من المصادر التركية (العثمانية).

لقد أظهر الصائغ تمكنه من الكتابه التاريخية، منهجاً واسلوباً ومصادر، ولذا فقد شهد كتابه قبولاً وانتشاراً ملحوظاً في العقود التي تلت صدوره، ليس في الموصل والعراق فحسب، وإنما في الأقطار العربية الأخرى بل في أوساط المستشرقين.

(1) شكري الفضلي: نقد لتاريخ الموصل، نشر عند صدور الكتاب. نشر على موقع (موصل نيت وورك).

الأديب الطبيب

محمد أمين بك آل ياسين المفتي الموصل

(بعشيقا) قرية غناء من قرى الموصل، اشتهرت بخصب أراضيها، ووفرة مياهها، وجودة ثمارها، من الزيتون والمشمش والكروم⁽¹⁾، كما عُرِفَتْ، في النصف الأخير من القرن الثاني عشر للهجرة، بحركة أدبية وثقافية كانت تدور رحاها في قصر ريفي أنيق هناك، أنشأه أحد أدياء الموصل الكبار عهد ذلك، وجعله مقصداً لضيوفه من أدياء الموصل وشعرائها، في حجراته ينزلون، وفي صالاته ينشدون الشعر، ويتناظرون في مجالات الأدب، وفي بساطينه وحدائقه يتزهون ويقضون أوقاتا طيبة في المذاكرة النافعة والمسامرة العذبة.

وصاحب هذا القصر هو الأديب الطبيب، الشاعر الناثر، محمد أمين بك بن إبراهيم بك بن يونس أفندي بن ياسين أفندي المفتي بن محمود أفندي، من أسرة آل المفتي الشهيرة في الموصل، وكانت هذه الأسرة قد نزحت من مدينة سامراء في منتصف القرن العاشر للهجرة⁽²⁾، واشتهر من رجالها محمود أفندي، رئيس العلماء، ثم ولده ياسين أفندي (توفي سنة 1135هـ/1722م)، الذي عُرف بالمفتي لتوليته منصب الإفتاء في الموصل حيناً من الدهر، وشيّد عدداً من المنشآت العامة النافعة، منها مدرسته التي عرفت باسمه⁽³⁾، والخان الكبير الذي عمّره للتجار، كما عُرف من بعده، ابنه يونس بك، وهو أول من نال لقب (بك) من أفراد هذه الأسرة⁽⁴⁾. وأما أخواله

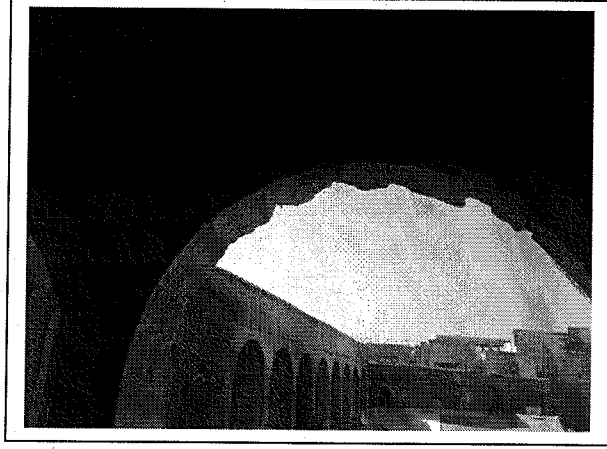
(1) ياسين العمري: منية الأدياء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل 1956، ص134. وتشتهر بعشيقا اليوم بالزيتون والبصل.

(2) شجرة نسب آل ياسين المفتي، مخطوطة مصورة لدينا ..

(3) محمد أمين العمري: منهل الأولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل 1967 ج1 ص222، وياسين العمري: الدر المكون في المآثر الخالية من القرون، نسخة مصورة عن مخطوطة باريس برقم 4449 وعصام الدين عثمان العمري: الروض النضر في ترجمة أدياء العصر، تحقيق سليم النعيمي، بغداد 1974، ج1 ص406. وعن المدرسة ينظر: سعيد الديوه جي: مدارس الموصل في العصر العثماني، مجلة سومر-بغداد ج1 و2، 1963، ص79-80.

(4) ذكر محمد أمين بك أنه علوي النسب، فقال في كتابه: الشفاء العاجل، أنه «العلوي نسباً ومحتداً»، وقال ياسين العمري «شريف النسب، زكي الحسب» (روضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار، بتحقيقنا، بيروت 2011، ص112).

فنقباء الأشراف في الموصل جمعوا بين العلم والأدب وعلو النسب، منهم خاله عبد الله بن فخر الدين، كاتب ديوان الإنشاء في بغداد، وكان أديباً شاعراً عالماً بالفلك، مصنفاً فيه⁽¹⁾، وخاله الآخر يحيى المفتي، أحد كبار علماء عصره، وكان «له الجاه الكبير، والشأن النبیه، والقبول التام عند رجال الدولة وملوك آل عثمان»⁽²⁾، وابنه السيد حسن، مفتي الموصل، وكان قد «جمع علوماً جمّة، وفضائل شتى»⁽³⁾ وغيرهم⁽⁴⁾.



خان المفتي في الموصل

ولادته

ولد في الموصل، فقد ذكر في مقدمة كتابه (الشفاء العاجل والدواء الكافل) أنه «الموصلي مسكناً ومولداً»⁽⁵⁾ ولم يذكر أحد تاريخ مولده، لكنه ذكر في كتابه المذكور،

(¹) منهل الأولياء ج 1 ص 241 وياسين العمري: زبدة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية، بتحقيقنا، دمشق 2017، ص 68 وسليمان الصائغ: تاريخ الموصل ج 2، بيروت 1956، ص 187 وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، ج 1 ص 39-40، والعزاوي: تاريخ علم الفلك في العراق، ص 261.

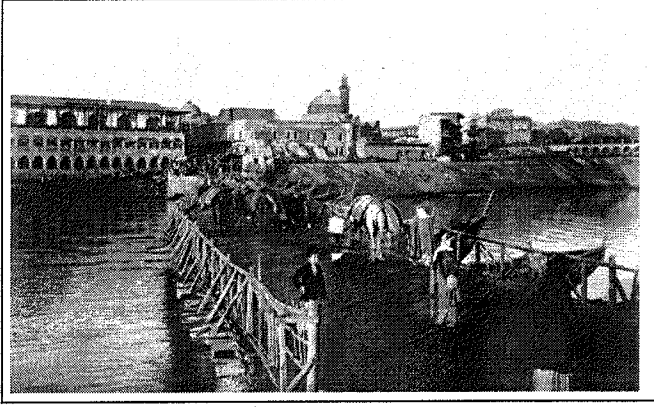
(²) منهل الأولياء ج 1 ص 240 والمرادي: سلك الدرر ج 4 ص 233.

(³) منهل الأولياء ج 1 ص 243 والدر المكنون، حوادث سنة 1188.

(⁴) ومن اعلام هذه الاسرة المتأخرين محمود بك آل شريف بك آل ياسين أفندي أفندي، وقد تولى رئاسة بلدية الموصل من سنة 1904 - 1908م. وذكر معلق فاضل، في حاشية له على ترجمة الشاعر الواردة في كتاب (غاية المرام)، ما يأتي «استقرت تسمية هذه الأسرة أخيراً بآل شريف بك، ولا أعرف اليوم أحداً منهم».

(⁵) الورقة 12.

أن عمره حين ألف هذا الكتاب بلغ 73 سنة، وإذ كان قد فرغ من تأليفه سنة 1207هـ/1893م يكون قد ولد في سنة 1134هـ/1721م.



جسر الموصل القديم (صورة قديمة)

نشأته ودراسته

إبتلي شاعرنا منذ طفولته بمرض لم يُنوّه به، يظهر أنه التهاب في الكبد، المسمى (يِرْقَان)، فعاش مدة صباه وشبابه يشكو السُّقْم والألم وما يصحبهما من كآبة وضيق، فانكب يقرأ كتب الطب عله يجد فيها شفاءه، فزاد ذلك في اطلاعه الجاد على ما كتبه الأقدمون في هذا العلم. ولما شفي واعتدلت صحته، شرع بقراءة العلوم على عددٍ من علماء الموصل والأكراد وغيرهم، وكان لا بد له وهو لم يزل شابا يسعى في طلب العلم، أن يرحل إلى بغداد، ينهل من علمائها، ويأخذ من أدبائها فنون الأدب، فكان يشدُّ إليها الرحال بين حين وآخر، ولا شك في أن لوجود خاله عبد الله بن فخر الدين ببغداد آنذاك، أثراً في تردد الشاعر على هذه المدينة، وقد مدحه بقصائد عديدة، وأثنى على سجاياه وحسن ضيافته وكرمه.

وممن أخذ عنهم ببغداد، السادة الحيدرية، الذين ذاعت شهرتهم في علوم المنطق والحكمة والعقائد في العراق في ذلك العهد، وبرز منهم في عصره العلامة السيد صبغة الله الحيدري (المتوفى سنة 1187هـ/1773م)⁽¹⁾، وولده عيسى وحيدر المفتي، المتوفيان في السنة نفسها أيضاً.

(1) الروض النضر ج3 ص21 وعبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، بغداد 1978، ص42، وديوان العشاري، بتحقيقنا مشاركة مع وليد الأعظمي، بغداد 1977، وباسين العمري:

إقامته في بعشيقا

وكان يفضل، في أثناء إقامته في الموصل، أن يقضي جلّ وقته في قرية (بعشيقا) القريبة⁽¹⁾، لا سيما في فصل الربيع، حيث كانت له مزارع هناك، وقصر ريفي بناه، يستقبل فيه ضيوفه وزواره من الموصليين وغيرهم. ويذكر المؤرخ محمد أمين العمري الموصلية أنه حلّ لديه ضيفاً مرتين «والدنيا إذ ذاك مقبلة عليه، وأوقاته في غاية الصفو، وكان ينقل عياله إليها في فصل الربيع، ويقضي عامة أوقاته بالسرور والنشاط»⁽²⁾. وعلى الرغم من تردد الأدباء عليه، ونزولهم عنده، وحُفول مجلسه بهم، فإنه كان متديناً هادئ الطبع، وقد وصف محمد أمين العمري سلوكه بأنه «يلزم على السنن والأذكار والتوحيد، حسن الصلاة، طويل القيام، كثير الخشوع، يعاشر الفقراء مع التواضع، ويعامل الأغنياء بالترفع، في حُسن سَمَت وطهارة طبع»⁽³⁾.

ونحن واجدون في ديوانه المخطوط نماذج عديدة لما قاله في التغني بقصره، وما يحيط به من مروج، وجداول وبساتين، وما كتبه على أووينه وأبوابه وأحواضه من أبيات ومقطعات، من ذلك ما كتبه على غرفة جديدة عمرها سنة 1181هـ/1767م.

طوبى لك يا غرفة	فاقت برّوضها الجنان
فُتسر قلب نزيلها	وتحله وسط الجنان
أشجارها خرائدٌ	فيه مُزيئة حسان
أوراقها كزيرجد	وثمارها مثل الجمان

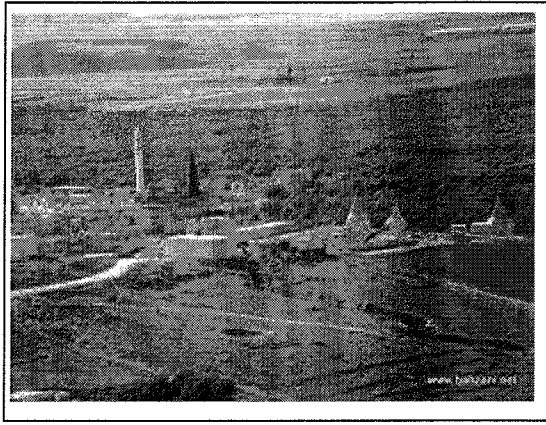
غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد 1968، ص 262 والدر المكنون، حوادث سنة 1188 وإبراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد بلا تاريخ 123 ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2007، ص 128.

(¹) تبعد بعشيقا عن الموصل بنحو 30 كم، وردت أخبارها في القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) وأشاد ياقوت (معجم البلدان ج 1 ص 473) بجمالها ومائها وأرحائها. وفي أول العهد العثماني أصبحت بعشيقا اقطاعاً (من نوع تيمار) يتبعه 200 رجل، (الارشيف العثماني، دفتر مفصل الموصل، رقم 195 ص 35) وأهلها خليط من مسلمين ونصارى ويزيديين، ينظر: كوركيس عواد: تحقيقات أثرية تاريخية بلدانية في شرقي الموصل (مجلة سومر، المجلد 17، 1961، ص 53).

(²) منهل الأولياء ج 1 ص 148.

(³) المصدر نفسه.

دوماً تغرد كالقيان	وهزارها	أطيّارها
أضحى مَعِيناً للعيان	والحوضُ مثل بحيرة	
بيضاء تشدو باللسان	كحمامة	حمّامها
واستغنموا فُرصَ الزمان	واسبحوا	بالله هلمّوا
في غفلة الدهر الخوان	وترفّهوا	وتتعمّوا



بعشيقا

هجرته إلى بغداد

على أن (الدهر الخوان) لم يترك شاعرنا يهنأ في قصره بعيداً عن المتاعب والنوائب، فقد ادلهمت الخطوب في الموصل سنة 1183هـ/1769م بسبب اندلاع الصراع بين أورطات الينكجيرية الخمس (فرق الجيش الإنكشاري) وتزعم آل محمد أمين باشا الجليلي⁽¹⁾ وأتباعهم فرقتين منها، بينما ناصرت الأخرى منافساً قوياً من البيت نفسه، هو عبد الفتاح الجليلي، وجاء تعيين الأخير والياً في رمضان من ذلك العام (كانون الثاني 1770م) بمثابة المفاجأة غير المحسوبة

(1) هم أبرز بيوتات الأسرة الجليلية الحاكمة في الموصل منذ سنة 1139هـ-1726م، وقد تولى عميدها محمد أمين باشا بن الحاج حسين باشا ولاية الموصل ست مرات بين سنتي 1166 و1189هـ/1752-1767م، وأعقبه ابنه سليمان باشا، وتعاقب الولاة من أسرته غالباً، حتى سقوط حكم الجليليين في سنة 1249هـ/1834م. ينظر كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975.

بالنسبة للطرف الآخر، فقد تولى عبد الفتاح باشا الجليلي التكيل بخصوصه ومؤيديهم، وأخذ بالانتقام من أبناء عمه، وهم آل محمد أمين باشا الجليلي، وزاد هذا من حدة الصراع بين فرق الجيش (الينكجيرية)، فاتخذوا من أحياء المدينة ميداناً لحل خلافاتهم بالقوة المسلحة، ولم يؤد نقل عبد الفتاح في مهمة خارج الموصل إلى تهدئة الحال، وإنما إلى زيادة اشتعالها، فقد تحالفت معظم فرق الينكجيرية ضد أنصار عبد الفتاح «فحاصر أهل الموصل بعضهم بعضاً خمسة عشر يوماً»⁽¹⁾، وباءت كل محاولات الوساطة والإصلاح بالفشل، ولم تقتصر الفتنة على داخل الموصل فحسب، وإنما تطاير شررها لتصيب بالضرر ريفها أيضاً، وسبب ذلك أن معظم قراها كان ملكاً للأسر المنتفذة فيها، ولم يكن هؤلاء بعيدين عن الصراع الدائر بين أطرافها، وكان شاعرنا معدوداً ضمن حزب محمد أمين باشا الجليلي، ومن ثم وجد نفسه خصماً لعبد الفتاح وحزبه، ومن الراجح أن الحزب الأخير نجح في كسب تأييد فئات من العامة، أو من رُعاهم، الذين إنطلقوا في تخريب ممتلكات أنصار محمد أمين الجليلي⁽²⁾. وقد شكى ذات مرة من «مقاساة عداوة رجال من الملوك والأكابر والأقران والأمثال»⁽³⁾.

وهكذا وجد الشاعر أن تداعيات الصراع قد وصلت إلى قريته، فكتب يشكو إلى خاله في بغداد عبد الله بن فخر الدين، ذلك الوضع المتدهور، قائلاً «إننا لما كنا في عيش هني، وفي حال سني، قد غص الدهر طرفه عنا، ولسان حال الزمان يقول: أطلب ما تتمنى، والأفراح لدينا متطارحة، والأتراح عنا متباعدة متبارحة.. إذ دهمتنا المزعجة الداهية، وهي الفتنة العظيمة، والمصيبة الوخيمة، والبليّة الأليمة الذميمة، ولقد عمّت المدينة والقرى، وناهيك ما جرى: إن المسلمين استحلوا دماء إخوانهم، وأباحوا قتل أصحابهم وأعوانهم، وهاجت الغوغاء، وهوت الأهواء، وتحكم السفهاء، وأرعدت السماء بأصوات المدافع، واهتزت الأرض ومارت، واستدارت رحي الحرب ودارت.. وهاجت الفقراء، وماجت الضعفاء،

(1) التاريخ المسمى تاريخ ياسين أفندي العمري، الورقة 92، نسخة برلين، وزيدة الآثار الجلية ص92. والدر المكنون، حوادث سنة 1184.

(2) تنظر التفاصيل في دومنيكو لانزا: الموصل في الجيل الثامن عشر، ترجمة روفائيل بيدويد، الموصل 1952، ص75 وكتابنا: الموصل في العهد العثماني، ص78-80.

(3) الورقة 12.

وسُدَّت الطرق بالجص والأحجار، وانقطعت السُّبل من جميع الأقطار والأمصار.. واستمرت الأحوال على هذا المنوال خمسة وثلاثين يوماً، والناس يُعومون في بحر الفتن عَوماً، ويمكن أن نعد هذه الرسالة وثيقة مهمة في وصف مجريات تلك الفتنة، لا سيما في اشارتها الى مشاركة (الغوغاء) (الفقراء) و(الضعفاء) فيها، وهي اشارة جديدة الى أول دور تؤديه تلك الفئات منذ تولي أول ولاة الجليليين السلطة في سنة 1139هـ/1726م.

وامتدت الفتن لتشمل قريته الجميلة (بعشيقا)، والظاهر أن حوادث تخريبٍ جرت في ممتلكاته، أدت إلى إحداث دمار في قصره القائم هناك، ففي رسالة بعث بها إلى خاله آنف الذكر، نراه يعتذر عن تأخره في الكتابة إليه بسبب إنشغاله «بمداواة المرضى من الفقراء والأغنياء، وتجديد الدور، وتشديد القصور، وتعمير المدثور، والبيت المعمور، في قرية بعشيقا، ذات القامة الرشيقية، والرياض الأنيقية، والحياض الرقيقية، .. ومنها أمور لا تذكر لسوء المخبر، وقبح المذكر». وكتب إلى أحد إخوانه يشكو له فيها ما دهاه من الحوادث في الموصل، وتبدل أهلها عليه «فلا ترثي لي إذا بكيت، ولا ترق لي إذا أبليت، ولا ترحميني إذا اصطليت، .. لا تُقبل عليّ إذا أتيت، ولا تصفو لي إذا صَفَيْت». ونجده يتمنى ترك الموصل بصفة نهائية و السكنى ببغداد، إذ يقول «يا ليتني كنتُ مدى العمر معك، في بلدتك مقيماً، فأفوز فوزاً عظيماً، فأنعم بها من بلدة مأنوسة، ومن ناحية محروسة».

ولم تطل إقامته في الموصل بعد تلك الحوادث، فإنه رحل إلى بغداد في العام نفسه، سنة 1184هـ/1770م، حيث أقام فيها مدة سنتين⁽¹⁾، في ضيافة خاله عبد الله، متمتعاً بحظوة خاصة لدى واليها الوزير عمر باشا. ثم أنه تزوج من بنات بعض بيوتاتها، وولد له أبناء، على أن طول إقامته واستقراره، لم يُنسِه مدينته الموصل، ولم يشغله عن معارفه وأصدقائه فيها، ففي ديوانه طائفة من الرسائل والأشعار مما كان يبعث به إلى أحبائه هناك. وشاء حظه أن يتوفى أثناء مكوثه في بغداد بعض أقاربه، منهم خاله السيد يحيى المفتي سنة 1187هـ ثم خاله عبد الله بن فخر الدين، في السنة التالية. فما كان منه إلا أن ترك بغداد متوجهاً إلى الموصل حيث استقر هناك.

(1) غاية الرام ص361.

وفي سنة 1192هـ/1779م رحل شاعرنا إلى القسطنطينية تاركاً أهله وأصدقاءه، والظاهر أنه قصد ما طلباً لحقّ أراحه، أو دفعاً لضر أصابه، وهو يقول في قصيدة له، معارضاً البوشنجي الخراساني⁽¹⁾:

كسبُ المعالي وحبُّ الأهل والجار ضدّان ما اجتماعاً للمرء في الدار
إن كنتَ ترجو المعالي فالتزم نصيباً أو فارض بالذلّ واسكن بين أشرار
لا بد للمرء من جاه ينال به فخراً وعزاً ليسمو بين أختيار
فالجاه ينفع في الدارين صاحبه وفي الممات ويوقيه من النار

وتأخذ القسطنطينية لبّه، فيصفها بأرجوزة لطيفة مطولة، ذكر فيها ما رآه من القصور والقلاع والمارستانات ودور السبيل والمساجد والحدائق والبساتين والجداول، دامت إقامته فيها نحو ثلاث سنوات، ثم ما لبث أن غادرها متوجّهاً إلى الموصل.

استقراره في بعشيقا

لا ندري فيما إذا كانت رحلته هذه قد حققت أهدافها أو لا، وعلى أية حال فإننا نجده يعود إلى قريته بعشيقا سنة 1195هـ/1781م، ليُجدد ما أهمل في أثناء غيبته عنها، وليعاود سيرته السابقة فيها، فأضاف بعض المقاصير والعُرف إلى قصره هناك. ووصف بعض ما شيّده بقصيدة، جاء فيها:

ومقصورةٌ مقصورةٌ لأولى العُلا بقصر مشيد شيّده يدُ الرُشد
أحاطت به الأشجارُ من كل جانب فأضحى كبيت الحمد والعز والمجد

ويبدو أن مدة إقامته الأخيرة في بعشيقا كانت أهنأ أيام حياته وأحلاها، ففيها نظم الشعر، وأنشأ الرسائل، وكتب المقامات، وألف الكتب، وقرض كتب غيره، وعانى أغلب أنواع القريض، وكان يستقبل ضيوفه من أدباء الموصل وشعرائها بالقصائد العذبة، ويودعهم بها، كما كان يُرسل أشعاره إلى الولاة والحكام يهنئهم أو يعزيهم، لا طلباً لصلة، أو طمعاً بمال، فإن وضعه المعاشي كان يُغنيه عن مثل ذلك، وإنما مشاركة لهم في أفراحهم وأتراحهم، وحباً بالشعر لذاته، وهو ما صرّح به في غير موضع من ديوانه⁽²⁾.

(1) محمد بن إبراهيم البوشنجي العبيدي، من أئمة اللغة العربية، توفي سنة 292.

(2) من ذلك قوله، في موال له، باللهجة العامية:

ومما يدلُّك على ذلك أنه لم يكن يهتم بتدوين شعره، وجمع قصائده، كأغلب شعراء زمانه، وإنما كان ينظم الشعر «لمداعبة بعض الإخوان، ولعارضة بعض الأقران»، ويقول «ولم أزل على هذا الحال، إلى أن بلغت سن الإكتهال، كلما نظمت شيئاً تركته في زاوية النسيان، وفي هاوية الهوان، إلى أن صار شيئاً خفياً، وكاد أن يكون نسياً منسياً».

ديوانه

هياً له استقرار حياته، وتوفر الوقت الكافي في سكّنه في ريف الموصل الجميل، فرصة جمع ما نظم ونثر في ديوان مستقل. ورغم أن ديوانه جاء تقليدياً في أبوابه ومطالبه، إذ نظم في البديعيات، والمعشّرات، وفي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض الأنبياء والصحابة، ومدح الوزراء والأقارب والإقران، ونظم الحماسات والمضمنات، والأراجيز والموااليا، فإن لنا أن نلاحظ في بعض شعره رقة بادية، وعزة نفس ظاهرة، وميلاً إلى وصف الجمال والتغني به، وهي في الواقع مظاهر شخصيته وانعكاس لأخلاقه وسجاياه، وكثيراً ما رقّ نسيبه، واسترسل في مقدمته الغزلية، حتى تفوّق من حيث الطول ورقة الإحساس، سائر القصيدة، على تعدد مطالبها، وتنوع أغراضها، فمما نقتطفه من قصيدة يمدح فيها الإمام علياً رضي الله عنه مضمناً أبيات الشهاب الموسوي الحويزي⁽¹⁾:

يا راعي العضب الصحيح إذا ربّت	إياك ضريبة جفنها المتكسر
نفسى الفداء لضبية الوادي التي	يبنى الكناس لها بغاب القسور
كشفت لنا عن صفحة صحن خالها	كافور فجر شقّ ليل العنبر

وإذا به ينتقل، بحسن تخلص، إلى مدح الإمام.

وقال في مقدمة قصيدة يمدح فيها خاله يحيى افندي المفتي، مضمناً بعض

أبيات الشهاب المذكور:

نظمت الشعر من ألفاظ أبحار

إذ تاجرت لا بحرفة ولا بكار

والكار، كلمة فارسية، تعني الشغل والعمل والمهنة.

(¹) هو شهاب الدين بن معتوق الموسوي الحويزي، شاعر من أهل الحويزة من بلاد الاحواز، توفي

سنة 1077هـ، وله ديوان مطبوع.

سَلْ بِاسْمِ الْبَرْقِ صَبْحاً عَنْ ثَيَابِهَا فَقَدْ حَكَيَاهَا فَهَلْ يَرُوي حَكَيَاهَا
 وَسَلْ مَدِيرَ ... عَنْ شَهِدِ رِيْفَتِهَا أَيِ الْحَبَابِينِ عِنْدَ... أَشْهَابِهَا
 وَهَلْ دَرَى الطَّيْرَ لَمَّا شَمَّ عَنَبْرِهَا فِي خَدِّهَا أَيِ خَالٍ فِي سُوَيْدِهَا
 لَا زَلَّتْ عَمْرِي لِلْأَطْلَالِ عَامِرِهَا لَيْلَا وَأَصْبَحْتَ مَجْنُوناً بَلِيْلَاهَا
 وَمِنْ تَشْطِيرَاتِهِ الْبَارِغَةِ، قَوْلُهُ مَشْطَرَا قَصِيْدَةِ ابْنِ الْفَارَضِ الْمَشْهُورَةِ سَنَةَ
 1207هـ/1792م:

قَلْبِي يُجِدُّنِي بِأَنْكَ مُتَلْفِي يَا سَيِّدِي فَانصِفْ بِحَالِ الْمُدْنَفِ
 وَفَوَّادِي الْمَضْنَى مِنَ الْبَلْوَى جَفَا رُوحِي فَدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفْ
 لَمْ أَقْضِ حَقَّ هَوَاكَ إِنْ كُنْتَ الَّذِي بَفِي رِضَابِكَ اِمْتَصَصَهُ بِمُرْشَفِي
 لَوْ كُنْتُ كُلَّ الْعَمْرِ أَرَشَفْتُ ثَغْرَهُ لَمْ أَقْضِ فِيهِ أَسَى وَمَثَلِي مِنْ يَفِي
 إِنْ الَّذِي يَفْنَى حِشَاهُ وَقَلْبِهِ فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفِ
 وَهُوَ فِي مَدْحِ الْوَزِيرِ سَلِيْمَانَ بَاشَا الْجَلِيْلِي، قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى مَقَالِيْدَ الْحُكْمِ فِي
 الْمَوْصِلِ:

سَعَادُ بَدَّتْ فِي الْحَيِّ أَمْ طَلَعَ الْبَدْرُ أَمْ ابْتَسَمَتْ سَعْدَى فَبَانَ لَهَا ثَغْرُ
 أَلْيَلَى بَدَّتْ بِالْمَحَاسِنِ وَالْبَهَا أَهْنَدُ تَنَثَّتْ مِنْ سَنَاهَا بَدَا الْفَجْرُ
 أَرْزَنْبٌ قَدْ بَاهَتْ وَتَاهَتْ بِحُسْنِهَا وَمَاسَتْ فَمِنْ أَعْطَافِهَا عَبَقَ الْعَطْرُ
 وَنَظْمٌ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَصِيْدَةِ جَمْعٍ فِيهَا كُلِّ أَنْوَاعِ
 الْبَدِيْعِ، وَسَمَّاها (الْبَدِيْعَةُ الْمَوْصِلِيَّةُ الْأَمِيْنِيَّةُ فِي الْمَدَائِحِ الْمَحْمُودِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ)، وَقَدْ فَرَّغَ
 مِنْهَا فِي قَرْيَتِهِ بَعْشِيْقًا فِي أَوَائِلِ صَفْرِ سَنَةِ 1183هـ/1769م، وَنَقَطَ مِنْ مَقْدَمِهَا
 الْأَبْيَاتَ الْآتِيَةَ

يَرَاعَتِي بَرَعْتَ بِالْحَلِّ وَالْحَرَمِ لَمَّا اسْتَهَلْتَ دَمُوعَ الْعَيْنِ كَالدَّيْمِ
 تَلَقَّضْتَ مَهْجَتِي وَالْحُبَّ فِي نَعْمِ وَقَلْبَ عَاذَلْنَا فِي الْهَجْرِ فَيْنَا عَمِي
 لَفَقْتُ كُلَّ جَمِيْلِ فَيْكَ مِنْ كَرَمِ جَازِيْتِي بِالْعَنَا وَالْقَلْبَ مِنْكَ رُمِي
 قَالُوا: دَعِ الْحُبَّ وَارْجِعْ عَنْ مَحَبَّتِهِ قَلْتُ: الْغَرَامُ دَعَانِي بِالْيِ الرَّمَمِ

لا تعترض يا عدولي في محبته فهو المشفع فينا يوم مُرَدَحَم
وقد أشاد معاصره محمد أمين العمري بهذه القصيدة بقوله «رائقة النمط،
غريبة الحوك، بديعة الصوغ، بيّنة الإنسجام، وكم له من قصيدة عجيبة، ومقاطع
أنيقة». وكان قد أتى على شاعريته بقوله «له في الشعر باع طويل، ونظر حاذق،
ومنظومات في غاية اللطف، ومنثوراته في نهاية الظرف». وقال عصام الدين عثمان
العمري «له من النظم ما هو كالعقود والجواهر، ومن النثر ما هو في المذاق كالسُكَّر
المكرّر»⁽¹⁾. ثم أنه شرح هذه البديعية في كتاب.

ومن شعره قصيدة في وصف الإصطيف في (حمام العليل) قرب الموصل، نوه
فيها بتقاليد الموصلين في الانتقال الى هذا الموضع في موسم الإصطيف من كل
عام، حيث يجري الإغتسال بعيونه المعدنية الحارة، وتدور حوله نشاطات مأثورة
من الحياة الاجتماعية، وتقع القصيدة في أكثر من أربعين بيتاً.. وجاء فيها:

تسمع شخصاً بالغنا منشداً وآخر يطربُّ برد الجواب
وذا يعرض بمرام له وذاك يفهمه مقال العتاب
وكل شخص يغتم لذة منها ويأخذ حصّة أو نصاب
في كل فسطاط ترى ضجةً من ضرب سنطير ونرد أو نصاب
ما بين تصفيق ورقص بدا هلاهل تسبي عقول الشباب

وتعد هذه القصيدة واحدة من الأعمال الشعرية القليلة التي نظمها شعراء
موصليون في التراث الشعبي الموصل في العصر العثماني⁽²⁾.

ولديوان شعره، فضلا عما ذكرنا، أهمية تاريخية خاصة، فإنه قد أشار فيه
إلى مناسبات وحوادث شتى عاصرها، حتى غدا أشبه بوثيقة تاريخية تسجل
حوادث عصره ووفيات أعلامه، من ذلك أنه وصف فيه طرفاً من الحرب الروسية
- العثمانية سنة 1183هـ/1769م، عند مدحه الوزير محمد أمين الجليلي والي
الموصل، وأحد من شارك فيها. ومنه أنه أرخ حوادث عديدة، مثل تعيين الولاة

(1) الروض النضر، ج 1 ص 406.

(2) نشرها محمد صديق الجليلي: الإصطيف في حمام العليل، الموصل 1965، ص 13.

والحكام وعزلهم. ووفيات الشخصيات البارزة في العراق عهد ذلك، وبعض حروب ولاية بغداد مما له علاقة بالموصل في ذلك الحين.

ومن الديوان هذا، نسخة بخط الشاعر أرخت قصائدها بين عامي 1175 و1220، وهي محفوظة في خزانة الطبيب الدكتور محمود الجليلي - رحمه الله - في الموصل (توفي في 17 تشرين الثاني 2011م)، وقد أهدت من نسخة مصورة منها في كتابة هذا المقال، وكانت ثمة نسخة حديثة من هذا الديوان في خزانة عباس العزاوي المنتقلة الى المركز الوطني للمخطوطات ببغداد⁽¹⁾، وتوجد مجموعة مبتورة من شعره في خزانة داود الجليلي المنتقلة الى مكتبة الاوقاف في الموصل، مؤرخة في سنة 1184هـ/1770م.

علمه بالتاريخ

على الرغم من أن محمد أمين بك لم يكن مؤرخاً، بمعنى أنه لم يؤلف كتاباً في التاريخ، فإنه كان مهتماً بتتبع حوادث عصره، مطلعاً على مجرياته، معلقاً عليها، وقد أدرك بعض مؤرخي عصره اهتماماته تلك، فكان أن ألف ياسين بن خير الله الخطيب العمري كتابه (الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية) مؤرخاً فيه تاريخ الإسلام منذ الهجرة النبوية الشريفة وحتى سنة 1209هـ/1794م، وأهداه إليه قائلاً «ولما تم جمعه وترصيفه، وحسن للناظرين تأليفه، أهديته إلى حضرة من ساد وعلا، وسما فضله ونما، رونق الزمان، وبهجة الأوان، وعنوان الأعيان... محمد أمين بك بن إبراهيم بك بن يونس بك بن ياسين أفندي المفتي»⁽²⁾. وقد علق محمد أمين المفتي على حوادث الكتاب تعليقات عديدة، تدل على سعة قراءته لمصادر التاريخ، حتى إذا وصل إلى حوادث سنة 1139هـ/1726م نجده يصرح «من هذه السنة إلى آخره لا يعتبر، فأكثره خبط عشواء لا يقبل التصحيح، ولا يمكن التتقيح، وقد حررت هذا الكلام لدفع اعتراض من يقف عليه من الكرام الأعلام، وأنا الحقير الفقير، المقر بالجهل والتقصير، محمد أمين حفيد الأفندي ياسين، وذلك عام 1211»، ونحن نرى أن حكمه هذا انطوى على حدة لا مبرر لها، ومن تعليقاته التي تتم عن معرفته بأقيام النقود، قوله معلقاً على مصطلح (القرش البغدادي) ما نصه «القرش البغدادي هو قرش وثلاث

(1) أشار إليها في كتابه: تاريخ الأدب العربي في العراق ج2 ص299.

(2) زبدة الآثار الجليلة، ص40.

قرش، والريال العتيق الذي هو مسكوك بسكة سلطان عبد الحميد الأول وهو المسمى أَلْطَمَشْلِق، أي ستون بارة، وكل بارة ثلاث آقجات»⁽¹⁾، ومع كل هذه التعليقات والملاحظات فلا شك في انه أجزل مكافأة العمري على إهدائه كتابه إليه.

مؤلفاته

وضع محمد أمين بك عدة كتب في مجالي الأدب والعلم، وصفها بعض معاصريه⁽²⁾ بأنها «تأليف رائقة» و«معان فائقة»، فمن مؤلفاته الأدبية:

1- كتاب سماه (أعلاق الذهب)، رتبّه على شكل مقالات متنوعة تبحث في الوعظ والنُصح، وذكر في مقدمته أنه نهج فيه نهج رسالة العلامة جار الله الزمخشري المسماة (أطواق الذهب في المحاضرات والأدب)، وفي آخر الكتاب أورد المؤلف مجموعة من أمثال العرب، تليها مجموعة أخرى من أمثال العامة والمولدين، ومجموعة ثالثة في الأمثال نظمها شعراً. منه نسخة بخط المؤلف مؤرخة في سنة 1202هـ/1787م، في خزانة كتب الأوقاف ببغداد.

2- (أوراق الذهب)، ذكر ياسين العمري أنه جمعه من كتاب منتخب، وأورد فيه مواعد زكية، وأحاديث شريفة مرضية⁽³⁾، منه نسخة في مكتبة برلين، أشار إليها زيدان⁽⁴⁾.

3- (أخلاق النضار)⁽⁵⁾، وربما جاء اسمه مُصَحَّفاً من (أحلاق النضار)، أي أحلاق الذهب، ويظهر أنه قريب في موضوعه من سابقه، وقال «جمع فيه ما يُحير الأفكار».

والذي يظهر لنا أن محمد أمين كان عارفاً أيضاً، كأغلب المثقفين في الموصل عهد ذلك، بفنون الموسيقى والغناء⁽¹⁾، فإننا نجد له بعض القصائد المنظومة على ألحان مشهورة، كالدُّوكاه، والصَّبَا، والجاركاه، وغير ذلك.

(1) زبدة الآثار ص 160، والدر المكون، حوادث سنة 1213هـ.

(2) روضة الأخبار ص 110.

(3) روضة الأخبار ص 110.

(4) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت 1967 ج 3 ص 292 ونسبه إلى (محمد أمين بن ياسين المفتي الموصلية) وقال أنه توفي سنة 1032، وليس هذا بصواب. وينظر: الزركلي:

الأعلام ج 6 ص 267 و Brock., II.497.

(5) المصدر نفسه.

علمه في الطب والتشريح

على أنه لم يكن شاعراً أديباً فحسب، بل كان طبيباً جراحاً مشهوراً، أخذ الطب عن كبير أطباء الموصل الحاج محمد العبدلي (المتوفى سنة 1164هـ/1750م) وكان هذا قد «قرأ الطب والتشريح على المهرة والحدائق، ففاق جميع أقرانه.. وغلب عليه دون غيره من العلوم»⁽²⁾. و ذكر محمد أمين العمري في ترجمته لشاعرنا أنه «مهر في علم الطب، وله فيه مصنفات عديدة، وفوائد سديدة، وعلاجاته أبقرافية، وتدبيراته جالينوسية، وبالجملة فلا قرين له في علمي الطب والتشريح». وذكر أنه استفاد منه فوائد جمّة في كلا العلمين، وقال أخوه ياسين العمري أنه «أجل أطباء هذا العصر، عارفاً بالأمراض وأسبابها، فهو للمعالجة بابها، ولتحصيل الشفاء بمداواته محرابها»⁽³⁾، بينما ذكر عصام الدين عثمان العمري أن «له في الطب والأدب أبواب، لم يكن لغيره إلى تلك الدور دخول». وقد مرّ بنا أنه اشتغل في أثناء فتنة عام 1184هـ/1770م بمداوة المرضى من الفقراء والأغنياء. وحينما مرض الشيخ محمد سليم الأردلاني «كتب إلى محمد أمين الطبيب، وكان قد قرأ عليه حين كان في الموصل، يلتمس منه معالجته، فحصل له نوع خفة، واستطاب هواء الموصل فاستوطنها»⁽⁴⁾. وواضح أنه كان يعالج مرضاه ويداويهم حسبة لله، وطلباً للأجر، وليس طلباً للمال، «فجوده عميم، ومجده عظيم، وفضله قديم»⁽⁵⁾. وذكر ياسين العمري أنه لما قدم إلى الموصل والي بغداد الوزير علي باشا سنة 1220هـ/1850م، حصل له بعض الأمراض، فاستدعاه وقربه لمعالجته، وخلع عليه خلعة القبول والرضا»⁽⁶⁾.

وروى هو سبب دراسته لهذا العلم وعنايته بممارسته فقال في معرض الثناء على ربه تعالى «شكراً لكرمه العميم، أمرضني من سن الصبوة إلى سن الشباب، وألهمني مداواة بدني، وخلّصني وعافاني من عامة الآلام والأسقام والإكتئاب،

(1) ينظر محمد صديق الجليلي: التراث الموسيقي في الموصل، مجلة التراث الشعبي، بغداد ج8

(1964) ص908 وكتابتنا: الموصل في العهد العثماني ص405-407.

(2) منهل الأولياء ج1 ص367، وكتابتنا: الموصل في العهد العثماني ص398.

(3) ياسين العمري: روضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار، بتحقيقنا، بيروت 2011، ص110.

(4) منهل الأولياء ج1 ص277.

(5) روضة الأخبار ص110.

(6) غاية المرام ص362.

وأعاني على شفاء أكثر من يعتقد بطبائتي ومداويتي»، فالطب عنده استلهاً، أي استعداد فطري لتعلمه، وكان نفسه هو المريض الأول الذي عالجه، ثم ما لبث أن انصرف إلى تطبيب ومداواة غيره من المرضى.

ومن مؤلفاته الطبية التي وصلتنا، كتاب مهم سماه (الشفاء العاجل والدواء الكافل) وقد رتبّه على أبواب بحسب أنواع المرض ودوائه، وصبّ فيه خبراته وتجاربه، فضلاً عن قراءاته الواسعة في مصادر هذا العلم المختلفة. وذيلّه ببحث قيّم عنوانه (دستور العمل في علاجات الجدري والحصبة والإحتراز من الوقوع فيهما)⁽¹⁾، وكان ولدان له قد أصيبا بهذا المرض فتولى هو علاجهما وإزالة آثاره. توجد منه نسخة بخط المؤلف، وهو نسخ واضح، في مكتبة مدرسة يحيى باشا الجليلي في الموصل⁽²⁾ برقم (371)، ويقع في 439 ورقة، بمقياس (5,15×21 سم) في كل منها 26 سطراً، ألفه سنة 1207هـ/1793م، أراها إيها متولي المدرسة في حينه الدكتور محمود الجليلي، المتوفى سنة 2011 رحمه الله، وتلطف - كعادته - فصورّ لنا بضعة صفحات من أولها. ثم أننا حصلنا على نسخة منها على المايكروفيلم من معهد المخطوطات العربية تحت العدد (567)⁽³⁾. وثمة نسخة أخرى في مكتبة مدرسة عبد الرحمن جليبي الصائغ المنتقلة إلى مكتبة الأوقاف في الموصل، نوه بها الدكتور داود الجليلي⁽⁴⁾ ولم نرها.

قال في أوله «الحمد لله الذي ألهم بعض الأنبياء، وأفهم بعض الأصفياء والأولياء، علم الطب وخواص النباتات والمعادن والحيوانات، وأوحى لبعضهم، وأنطق لبعضهم النباتات، فسبحانه ما أعظمه من حكيم، وما أكرمه من عظيم، والصلاة والسلام الأجملان الأكملان، والأوقران الأكثران، على رسوله وحبيبه ونبيه وريبه، طبيب مرضى المذنبين... ويعد ذا، أقول، وأنا العبد الأقل، والجاهل الأجهل، محمد أمين حفيد الأفندي ياسين الموصلية مسكناً وتولداً، والعلوي نسباً ومحتداً: لما أراد الله تعالى

(1) وذلك قبل ان يذيع إدوارد جينر(Edward Jenner) اكتشافه للفاح الجدري سنة 1798م.
(2) ينظر داود الجليلي: مخطوطات الموصل، الموصل 1928، ص 237 وقد أنشأ هذه المدرسة يحيى باشا الجليلي آخر ولاية الجليليين في الموصل سنة 1241هـ/1825م.
(3) لا بد لنا هنا من شكرالصدیق الاستاذ سراج عثمان، صاحب دار الزمان للنشر في دمشق، لتوفيره لنا هذه النسخة بناء على طلبنا. ونعمل الان على تحقيقها ان شاء الله.
(4) مخطوطات الموصل، ص 157.

وتبارك وتقدس، استخدمني بخدمة طبابة مرضاء عياده.. ألهمني مداوات بدني، وخلصني وعافاني من كافة الآلام والأسقام والاكنتاب، وأعاني على شفاء أكثر من يعتقد ببطابتي ومداواتي مع كثرة جهالتي وسهواتي».

وقال في آخر خطبة الكتاب «وقد توفَّق جمعه وتحريره وإتمامه، وتسويده وتنقيحه وختامه، في سلخ رجب المُرجَّب، شهر الله الفرد المجيب، المنسلخ في عام السبعة بعد المائتان والألف»⁽¹⁾.

وذكر غايته من هذا التأليف بقوله «فأحببت أن أجمع لنفسي، ولأولادي وأحفادي وذريتي، ومن يتعاطى هذه الصناعة من عشيرتي وكل من يمارس الطبابة من أهل بلدي وإقليمي وملتي، كتاباً مختصراً مفيداً من كتب الطب»⁽²⁾.

بيَّن محمد أمين منهجه في تأليف هذا الكتاب فقال «لم أعتد على حفظي وفهمي، وعلى تحقيقي وتدقيقي وعلمي، بل أطلع الكتب الكثيرة، والصحف الوفيرة، وانتخب منها مقصودي ومرادي، وما يقف عليه يقيني واعتقادي، ويتفق عليه اجتهادي واعتمادي»، وهذا يعني أنه لم يكن مجرد حافظ لعلاجات أخذها من غيره، وإنما بدأ أولاً بالدراسة النظرية لكتب الطب المعتمدة، حتى أحاط بها علماً، ثم كان يعتمد منها ما صح عنده بالتجريب وأيدّه اجتهاده، وهذا منهج علمي بالغ الرصانة كما ترى.

فمن ذلك قوله في الكلام على بعض أدوية اليرقان الأصفر «قد جربته في تنقية اليرقان في مدة خمسين عاماً ما يجاوز ألف مرة في مدينة الموصل»⁽³⁾.

وقوله في دواء لبعض ضروب الصداع «وقد جربناه مراراً، وصنعتّه محمودية مطبوحة بالنتفاح مجربة»⁽⁴⁾.

وقوله في علاج جرّبه لبعض أنواع تضخم الطحال «وقد جرّبته أنا الفقير جامع هذه النسخة في أشخاص كثيرة من سكان ناحية النايفكر»⁽¹⁾، من إقليم نينوى، من أعمال أكراد الهكارية»⁽²⁾.

(1) ويبدأ أوله في 12 شباط/فبراير 1793م.

(2) الورقة 12.

(3) الورقة 189.

(4) الورقة 1.

وقوله في ذرور لعلاج البياض في العين، أنه نقله أولاً من كتاب (الأقرباديين) نجيب الدين السمرقندي، ثم جريه بنفسه «ولقد جربتُ هذا الذرور، وأنا الفقير جامع هذا المختصر، أولاً بإبناي (كذا) بعد الجدري، وبغيرهم، فأزال البياض بالكُلِّيَّة، ولم أرَ أنفع منه في هذا الباب، ومن أراد ذلك فليجربه وليبلغني»⁽³⁾.

وقوله في وصف علاج لحُرقة اللسان «ومما جربته بنفسي، وأنا الفقير جامع هذا المختصر»⁽⁴⁾.

وقوله في فرزجة، وهي ضرب من الأدوية «قد جربتها الفقير جامع هذا المختصر مراراً عديدة»⁽⁵⁾.

وقوله في سُفوف يقطع الإسهال المزمّن «جربنا هذا السُفوف فحبس الإسهال في مرة واحدة، وأنا الفقير محمد أمين وذلك في عام 1227»⁽⁶⁾ وواضح أنه كتب تعليقه هذا بعد فراغه من تأليفه للكتاب.

وقوله في طلاء لحكة الأطفال «وقد جربته الفقير جامع هذه النسخة»⁽⁷⁾.

وقوله في دواء في علاج الجرب «دواء مجرب لا يخطئ، وقد جربته فيما يجاوز مائتي إنسان من الفقراء والصعاليك من كل ملة»⁽⁸⁾.

وقوله واصفاً طريقة لإزالة الشعيرة من العين «ولقد شاهدت مراراً كثيرة من جراح يدعى بابن اليزيدي يخرج الشعيرة في رأس المبضع الذي يفصد فيه العروق في مدينة الموصل، وكان من بعض أقاربنا رجل يدعى أحمد بيك ابن الأفندي.. وكان مبتلى في حدوث شعيرات متعددة في أربعة أجزائه، وكان في الأسبوع والأسبوعين يخرج من أجزائه شعيرة أو شعيرتين بهذه الصناعة»⁽⁹⁾.

(1) النافكر ناحية في قضاء عقرة.

(2) الورقة 190.

(3) الورقة 72.

(4) الورقة 100.

(5) الورقة 256.

(6) الورقة 163.

(7) الورقة 356.

(8) الورقة 331.

(9) الورقة 66.

ومما يدل على أنه كان يجمع في منهجه بين الدراسة النظرية وبين التجربة والتطبيق، معرفته بأسماء الأدوية المفردة والمركبة الداخلة في عمله، فهو لا يكتفي بذكر دواء واصطلاح أخذه من أحد المصادر الطبية إلا ويذكر ما يوافقه من الأسماء المتعارف عليها عند أطباء مدينته الموصل في عصره، وقد صرح في خطبة كتابه بذلك قائلاً: «شرحت فيه الألفاظ اليونانية، والاصطلاحات الطبية، بتعابير موصلية، وبعبارات عوامية، ليسهل فهمة على كل راغب من عالم ومتعلم، وفاهم ومستفهم».

من ذلك قوله في الشعيرة التي تنبت في جفن العين «هي المسماة باصطلاح أهل الموصل دك دك»⁽¹⁾

وقوله في مرض الظفرة «يسمونها أهالي الموصل بتر»⁽²⁾.

وفي علة تسمى التوتة «يسمونها عوام الموصل أخبث»⁽³⁾

وفي علة انتفاخ الأصابع «يسموه عوام الموصل قراقيص»⁽⁴⁾.

وفي علة الاحتراق بالصواعق «التي يسموها العوام زلزلة»⁽⁵⁾.

وفي علة الصدر أن «عوام الناس يسموه في مدينة الموصل دوخة»⁽⁶⁾.

وفي نقصان الباه «هو السوسنك باصطلاح أهل الموصل»⁽⁷⁾.

وهكذا..

وفي الكتاب شرح واف لعمليات جراحية تعالج فيها حالات متدهورة لا تنفع فيها الأدوية على اختلاف أنواعها، يأتي في مقدمتها السرطان، من ذلك قوله في سرطان الرحم أنه «يُقطع بالحديد، أو بالدواء الحاد، أو يُكوى بالنار، والأدوية المجففة المحللة لذلك»⁽⁸⁾.

(1) الورقة 44.

(2) الورقة 48.

(3) الورقة 312.

(4) الورقة 335.

(5) الورقة 337.

(6) الورقة 41.

(7) الورقة 206.

(8) الورقة 276.

وقوله في علاج ما يسميه ناصور الرحم «ويحبس مكانه، وموضع الناصور بالمرود، وهو ميل أملس، وعلاجه علاج القروح في الرحم.. ولا يجوز علاجه بالحديد أي بالشق والقطع والشرط»⁽¹⁾.

وقال في وصفه عملية فتح بعض الأغشية «وعلاجه بالحديد، بالآلة التي يقع بها البواسير، أو بمبضع، أي سكين عريض»⁽²⁾.

كما أشار إلى آلة سماها (زرّاقة) تستعمل في «حقن الرحم بالزراقات».

وتحدث عن أنواع من التدخلات الجراحية التي كان يجريها لمرضاه، فثمة (السَّحج) وهو التدخل العميق، و(الخدش) الذي يكون على سطح العضو المصاب، كما عيّن المواضع الأفضل لتلك التدخلات في الجسم، والأدوات المستعملة، وما يمكن أن ينجم عنها، والمواد المليئة والمنظفة وما إلى ذلك من مستلزمات.

ولعل من مزايا منهجه أنه لم يتوقف عند ما عرفه القدماء من أمراض، وإنما مضى فأضاف إليها أمراضاً حدثت بعدهم ولم تكن معروفة في بلاده من قبل. فقال «والتزمتم فيه علاجات الأمراض الجديدة الحادثة في عام التسعمائة وأربعة من الهجرة (1498م) من الدنيا الجديدة (يقصد القارة الأمريكية) من بلاد الإفرنج»، وهذه الأمراض ثلاثة، هي:

1- أمراض الحَبّ الإفرنجي. (وهو السِّفلس syphilis أو الزُّهري)⁽³⁾

2- اسقربوط⁽⁴⁾

(1) الورقة 266.

(2) الورقة 270.

(3) الورقة 354. ترى أرجح الروايات أن مرض الزهري كان هو مرض العالم الجديد الذي أحضره كريستوف كولومبوس إلى أوروبا، وقد تقشي هذا المرض في نابولي في عام 1494 وسرعان ما وجد انتشاراً في مناطق أخرى من العالم القديم. وقال محمد أمين بك «وأول ما ظهر هذا المرض في اسبانيا من بلاد الإفرنج في سنة تسعمائة وأربع من الهجرة النبوية، وقد سرى إليهم من بلاد الدنيا الجديدة بالعدوى لاختلاطهم معهم، وهو يسري بالعاشرة والمخالطة». الورقة 334.

(4) الاسقربوط مرض قديم سبق اكتشاف العالم الجديد، وهو ينتج عن نقص في فيتامين C ومن أعراضه الإرهاق الشديد ونزف اللثة وسقوط الأسنان والتهاب الأغشية المخاطية والبقع في الساقين وغير ذلك.

3- بليكا من أمراض الجلد والشعر

وفي الكتاب، بعد ذلك، فوائد كثيرة من تقاليد الحياة في مدينته الموصل وعاداتها، منها مثلاً أسماء الأطعمة الموصلية. وهي: الهريسة، وكراعات الغنم، والجبن، والأرز، والتمر، والقيمغ، واللبن، والحليب، والحنطة، والأرز، والتمر، والكليجة، وخبز الرقاق، وخبز الفطير، والخبز الني، وخبز الحواري، والقطايف، والسنبوسك، والبلاوة، والرشته، والحسو، والنشا، والكاهي، وأمثال ذلك⁽¹⁾.

مصادره:

اعتمد محمد امين بك على عدد كبير من الكتب الطبية المعتمدة في عصره، وذكر هو أسماء عدد منها في مقدمة كتابه نفسه، هي:

1- شرح الأسباب والعلامات. تأليف: نفيس بن عوض الكرمانى، المتوفى سنة 842 هـ/1438م، والأصل من تأليف نجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي. اعتمد عليه في مواضع عديدة، وذكر ياسين العمري أن لمحمد أمين بك شرح مستقل لهذا الكتاب «حل جميع مشكلاته حيث دخل إليه من كل باب».

2- ترجمة الذخيرة الخوارزمية. تأليف شرف الدين إسماعيل بن الحسن الجرجاني، المتوفى سنة 531هـ/1137م ألفه بالفارسية، وله غير ترجمة، منها الى التركية.

3- تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب. تأليف: داود بن عمر الأنطاكي، المتوفى سنة 1008هـ/1599م.

4- ترجمة غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان. تأليف: صالح بن نصر الله بن سلوم الحلبي، المتوفى سنة 1081هـ/1670م

كما اقتبس نصوصاً من كتب أخرى، يظهر أنه اعتمدها أيضاً، هي

5- المرشد. تأليف: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة

311هـ/923م

(1) الورقة 269 والورقة 224.

- 6- براء الساعة. تأليف: أبو بكر محمد الرازي أيضا
- 7- المعالجات الأبقراطية. تأليف أحمد بن محمد الطبري، المتوفى سنة 360هـ/970م⁽¹⁾.
- 8- كامل الصناعة الطبية. تأليف: علي بن العباس المجوسي، المتوفى سنة 371هـ/982م⁽²⁾.
- 9- القانون. تأليف: الشيخ الرئيس ابن سينا، أشار إليه في مواضع قليلة.
- 10- كتاب لم يذكر عنوانه، ألفه طبيب افرنجي لم يسمه. قال «ولبعض أطباء الإفرنج يزعم أنه قد خلص فيه كثير من أصحاب هذه العلة»⁽³⁾.
- 11- الطب الجديد الكيميائي. تأليف: براكلسوس، المتوفى سنة 1541م، ترجمة صالح بن نصر الله بن سلوم الحلبي. نسب إليه «صفة معجون»⁽⁴⁾.
- 12- كتاب في الأدوية. تأليف: حنا الإنكليزي الإفرنجي. نسب إليه صفة «معجون الكبابة»⁽⁵⁾.
- 13- كتاب الميامير. لم يذكر اسم مؤلفه. أشار إليه عند الكلام على دواء يمنع توالد الديدان⁽⁶⁾.
- 14- كتب الاقرباذينات، وهي كتب الأدوية المركبة، والمطولات، ولم يعين أسماء مؤلفيها.

الورقة	المرض
1	صداع الحار
1	صداع الاحتراقي
3	صداع البارد الساذج

(¹) الورقة 115.

(²) الورقة 168.

(³) الورقة 114.

(⁴) الورقة 41.

(⁵) الورقة 184.

(⁶) الورقة 221.

4	صداع الثقراوي
5	صداع البلغمي
6	صداع السوداوي
7	صداع الريحي من الأبخرة وأقسامه وأنواعه
8	صداع شركة المعدة
8	صداع من ضعف الدماغ
8	صداع من قوة حس الدماغ
8	صداع من الخواء واليبس
9	صداع من الحمى
9	صداع من ورم الدماغ
9	صداع بخارات الأخلاط
9	صداع من ضعف أعصاب المجامع
9	صداع من شرب الشراب
9	صداع من شدة أو ضربة أو شجة
10	صداع البيضة والخوذة
10	صداع الأمراض الحارة العفونية
10	صداع من الأراييج الطيبة
10	صداع من أراييج كريهة كثيفة نتنة
10	صداع السدابي
10	الصداع من الدود في الدماغ
10	صداع من تزعزع الدماغ
11	الشقيقة
11	صداع من دراره 5

11	صداع من الكليتين والساقين والقدمين
11	صداع عصب النوم
11	الصداع المسمى عصابة
11	صداع العينين وهو نوع من تدور الشمس..
12	السرسام الدموي المسمى
13	السرسام الصفراوي
14	السرسام المسمى ليترغس
15	نوع من السرسام يقال له البرسام
15	شقالي وعنقارب وهو نوع من السرسام
15	السرسام من الدماغ
15	أبخرة أيضا من أمراض الدماغ
16	مباشرا وفلينموني من أمراض الدماغ
16	الدوار وأنواعه
16	السدر وهو الدوخة وأنواعه
18	السبات وأنواعه
19	الآخذة المدركة
20	السهر وأنواعه
21	النسيان
22	فساد الفكر ويقال له الحمق والبلادة
22	فساد التخيل وأنواعه
22	الماليخوليا وأنواعها
26	العشق
26	الكابوس

27	انصرع وأنواعه
30	السكتة
30	الفالج وأنواعه
33	الاسترخاء وأنواعه
33	التشنج وأنواعه
35	الرعشة وأنواعها
35	الخدر وأنواعه
36	اللقوة وأنواعه
37	الإختلاج وأنواعه
38	الزكام والنزلة وأنواعهما
40	النزلة وأنواعها
42	أمراض الجفن والعين
42	انتفاخ الأجفان وأورامها بأنواعها
43	خشونة الجفن والجرب فيه
43	جرب الجفن وأنواعه
43	ورم الجفن الصلب والعقد والغدد والنفاطات
44	الشعيرة في الجفن وهي المسماة باصطلاح أهل الموصل دك دك
44	سرطان الجفن
44	استرخاء الجفن وتشنجه
44	اللحم الزائد في الجفن
44	قمل الأجفان
44	سقوط شعر الأجفان
45	غلظ شعر الأجفان

45	انقلاب الشعر وزيادته
45	الضربة على الجفن
48	الظفرة التي يسمونها أهالي الموصل بتره
48	السيل
48	الشرباق وأنواعه
49	البياض في العين
50	جراحة العين
50	الطرفة في العين
50	وجع العين وأنواعه
50	مور سرج وهو خروج جزء العينية
51	سبل العين
51	نزول الماء في العين وأنواعه
51	الخيالات التي أمام العين من بخارات
51	الغرب هو ناصور يحدث في مآق الأنسجة من العين
53	الدمعة وأنواعها
54	السلاق وأنواعه وهو حكة في الأجزاء
55	ضعف البصر وبطلانه والعشاوة في العين
56	الطرفة وأنواعه
26	في العشاء
57	في الجهر
57	ذهاب البصر في الحبوس
57	أمراض الأذن وأنواعها
57	وجع الأذن وأنواعها

58	ورم الفلقموني من دم صفراوي في الأذن
58	قروح الأذن وأنواعها
58	انتثاع الأذن
59	اللحم الزائد في الأذن
59	نواسير الأذن
59	سيلان المدن في الأذن
59	دخول الحيوانات في الأذن والدود
59	الدوي والطنين في الأذن
59	الطرش والصمم في الأذن
60	قلاع الأذن أكثر ما يظهر في الأطفال والنسوان
60	حكة الأذن
60	الشيء الذي يصب في الأذن كالزئبق
60	ضرب الأذن
60	أمراض الأنف والقروح فيه وأنواعه
61	سرطان الأنف
62	الخشف وهو فقدان السمع
62	الورم في الأنف المسمى كثير الأرجل
62	بواسير الأنف
62	فساد الشم ونقصانه وبطلانه
63	سدة الأنف
63	البثور في الأنف
63	القروح في الأنف
63	الرعاف وأنواعه

65	بخر الأنف
65	مرض الأنف
66	العطاس
66	جفاف الأنف
66	حكة الأنف
66	أمراض الفم والأسنان والشفيتين
66	أورام اللثة وأنواعه
66	الورم الصفراوي المسمى بالجمرة في اللثة
66	الورم البلعمي في اللثة
67	اللثة الدامية
67	قروح اللثة والفم
67	الأكلة في الفم
68	القلاع في الحلق
69	قلاع الأطفال وأنواعه
70	كثرة اللعاب وسيلانه من الفم في النوم
70	البخر في الفم وأنواعه
71	بثور الشفة
71	قروح الشفة
71	بواسير الشفة
71	شقاق الشفتين
72	قروح الشفتين
72	أمراض الأسنان
72	تسهيل نبات الأسنان

72	ذهاب ماء الأسنان
72	وجع الأسنان وأنواعه
73	حكة الأسنان
73	ضرس الأسنان وأنواعه
73	تآكل الأسنان
73	تآكل الأسنان وأنواعه
73	تفلفل الأسنان 73
74	الحفر المسمى قلع الأسنان
74	تغير لون الأسنان وأنواعه
74	تحرك الأسنان
74	صرير الأسنان
74	أمراض اللسان
74	ورم الأسنان وأنواعه
75	بطلان الذوق وإفساده
75	في ثقل اللسان وتغير الكلام وأنواعه
76	عظم اللسان وأدلاعه
76	الضفدع تحت اللسان
76	شقاق اللسان
77	حرقة اللسان
77	حكة اللسان
77	تفشير اللسان وسقف الحنك والشدين والعمور وهو لحم الأسنان
78	أمراض الحلق والمرى وقصبة الرقة والصدر وما يليهم
78	وجع اللغات وأورامها وأنواعها

78	سقوط اللهاث
79	قروح اللهاث
79	الخوانيق والذبح وأنواعهما
81	الذبيحة
81	البثور في الحلق
81	العلق والشوك إذا تعلقت بالحلق
82	انطياق المريء
82	حكاك المريء
82	اختلاج قصبه المريء
82	الغريق والمخنوق بالحبل
82	بحوحة الصوت
83	البحه من الغبار والدخان والصبياح
83	عسر البلع وأنواعه وسببه
83	سوء مزاج المريء وأنواعه
84	أورام المريء وأنواعه
84	قروح المريء
84	الربو وانتصاب النفس وأنواعه
85	السعال وأنواعه
87	نفث الدم وأنواعه
88	ذات الرئة وأنواعها
88	السل ونفث المده من الحلق
93	نفث المده من الحلق
93	المده المختفيه في الصدر

93	ذات الجنب والبسوصية وأنواعها
97	ذات الصدر وذات العرض وأنواعهما
97	البرسام وهو نوع من السرسام وقد ذكر مع السرسام
97	جمود الصدر
97	أمراض القلب وسوء مزاجاته وأنواعها
98	الخفقان وأنواعه
99	العشي وأنواعه
99	الورم الحار في القلب
100	ورم أدنى القلب
100	ضغطة القلب
100	تقشر القلب
100	قذف القلب
100	احتواء الرطوبة على القلب
101	جذب القلب
101	دود علق القلب
101	ضعف القلب
103	أمراض الثدي
103	أمراض الثدي
103	عظم الثدي
103	صغر وهزال الثدي
103	اورام الثديين وأنواعها
104	الخنزير والسلع في الثديين
105	سرطان الثدي

105	قروح الثدي ونواصيره
105	سدد الثدي
105	شقاق حلمة الثدي
105	قلة اللبن وأنواعه
106	ندبير المرضعة
106	كثرة اللبن ودروره المفرط
107	وضع حلمة الثدي
107	عسر الإساغة وهي البلع أي عدم نزول الحليب في حلق الطفل
107	أمراض المعدة وسوء مزاجها
109	وجع المعدة وأنواعه
109	ضعف المعدة
109	ضعف الهضم وسوء الهضم والتخمة
110	ضعف جرم المعدة
110	فساد الهضم وأنواعه
111	الحيضة وأنواعها
111	نقصان الشهوة وبطلانها وأنواعها
112	الوحم وفساد الشهوة
113	الشهوة الكلية وأنواعها
114	الجوع البقري وأنواعه
115	العطش المفرط وأنواعه
116	الغضب الكاذب وأنواعه
116	ورم المعدة وأنواعه
118	دبيلة المعدة وقروحها

119	انفخة والجيشاء والتثائب والتمطي
119	القيء والنهوع والغثيان وتقلب النفس
122	في الدم وأنواعه
123	جمود الدم في المعدة
124	الفواق وأنواعه
126	انقلاب المعدة
126	الكرب والقلق المعدي
126	اختلاج المعدة وخفقانها وأنواعها
127	وجع الفؤاد وهو فم المعدة
127	حرقة المعدة وأنواعها
128	استرخاء المعدة
128	تهلهل نسيج المعدة
129	ضعف قوى المعدة الأربعة
132	تشنج المعدة وأنواعه
132	حساوة المعدة وهي الصلابة وأنواعها
133	الذرب والخلفة والاختلاف وأنواعهم
136	الإسهال المعدي من ضعف قوة الهاضمة وأنواعه
139	الإسهال المعدي من ضعف قوة الماسكة وأسبابه
140	أمراض الكبد وسوء مزاجه
143	ضعف الكبد وأنواعه
143	سد الكبد وأقسامه
144	نفخة الكبد وأنواعها
145	أورام الكبد وأنواعه

145	الضربة على الكبد
148	أورام العضلات الموضوعة على البطن وتشبيهه بأورام الكبد
148	الدبيلة في الكبد
149	تبثر سطح الكبد
149	خفقة الكبد
149	الحصاة المتولد في الكبد
149	الإسهال الكبدي الدموي والصفري والصديدي والدردي والدموي يسمى الدوسنطاريا
152	سوء القنية والاستسقاء وأنواعه
153	الإستسقاء وأنواعه
157	أمراض المرارة والطحال واليرقان الأصفر وأنواعه
160	اليرقان الأسود المسمى سندي وأنواعه
161	أمراض الطحال وسوء مزاجاته
162	أورام الطحال وصلابته وأنواعه
163	تقيح الطحال
163	ضعف الطحال
163	سد الطحال
163	نفخة الطحال
164	تولد الحجارة في الطحال
164	أمراض الطحال وأورامه وسدده ونفخه وضعف قواه
169	أمراض الأمعاء والمقعدة
169	زلق الأمعاء والمقعدة
171	الإسهال والسحج وأنواعه

173	المدة التي من الأمعاء
178	الزحير وأنواعه
178	المفص وأنواعه
180	القولنج وإيلاوس وأنواعه
192	البواسير وأنواعها
196	النواصير وأنواعها
196	أورام المقعدة
196	شقاق المعدة
197	الدم الذي يسيل من الشقاق
197	استرخاء المقعدة وخروج الغائط بلا إرادة
197	خروج المقعدة وأنواعه
197	قروح المقعدة
198	حكة المقعدة وأنواعها
198	أمراض الكلية والمثانة وسوء مزاجاتهم
198	هزال الكلية وأنواعه
198	ضعف الكلية وأنواعه
199	ريح الكلية
199	وجع الكلية
199	ورم الكلية
200	قروح الكلية
200	جرب الكلية
201	ديابيطس ويسنى الدولاب
202	ورم المثانة وأنواعه وأسبابه

202	قروح المثانة وأسبابه
202	جرب المثانة وأسبابه
202	جمود الدم في المثانة
202	وجع المثانة وأنواعه
203	ريح المثانة وأسبابه
203	الحصاة والرمل في الكلى والمثانة
205	حرقة البول وأنواعها
205	احتباس البول وعسره وأنواعه
207	تقشير البول وأنواعه
208	سلس البول وأنواعه
208	البول في الفراش
208	بول الدم وأنواعه
209	علل أعضاء التناسل من الذكور
209	نقصان البياض وأنواعه
214	استرخاء القضيب وأنواعه وأسبابه
215	سرعة الإنزال وأنواعه
216	كثرة الشهوة أنواعها
220	الأنبىة الخنثى
221	فريستيموس وهو انتصاب القضيب وأسبابه
223	العذويوط
223	أورام الإنثيين وهما البيضتين وأنواعهما
224	اختلاج الذكر واختلاج فم الرحم من النساء
224	وجع الانثيين والقضيب وأنواعهما

224	عظم الانثيين لا كالورم بل كالسمن
225	ارتفاع الخصية وصغرها
225	استرخاء البيضتين وهي جلدة وليس الخصيتين
225	قروح الذكر والخصية وحواليهما والأكلة فيهما
226	حكة القضيب وأسبابها
227	حكة البيضتين
226	أورام القضيب
226	شقاق القضيب
226	الثآليل والتوت
226	السدة في مجرى القضيب وأنواعها
226	اعوجاج الذكر
227	القرو بالأدرة يقال له القيل
227	أمراض الرحم وسوء مزاجاته
227	العقر وعسر الحبل
230	الرجاء وأسبابه، كثرة الحيض
231	كثرة الحيض وإفراط سيلانه وأنواعه
234	قروح الرحم وأسبابه
234	شقاق الرحم وأنواعه
235	حكة الرحم وأنواعها
236	بواسير الرحم وأسبابه
236	ناصر الرحم
236	سيلان الرطوبات وسيلان المنى من الرحم
237	احتباس الطمث وهو دم الحيض وأنواعه

240	الرتق والرتقاء
240	نتوء الرحم وهو خروجه من الفرج
240	أورام الرحم وأنواعه
240	السرطان في الرحم وأنواعه
242	اختناق الرحم وأنواعه
244	البثور في الرحم وأنواعها
244	نفخة الرحم وأنواعها
244	ضيق مجاري الرحم وسدده
245	الأشياء المتولدة في الرحم كالأحجار والدود
245	استتقاء الرحم وأسبابه
246	جرب الرحم وأسبابه
246	ثآليل الرحم والمسامير والنملة
246	ضعف الرحم وأنواعه
246	وجع الرحم وأنواعه
247	حمى البيضاء تعرض للباكرات والعاشقات
248	المانيا الرحمي وأسبابها
248	الحبل وعلاماته
248	تدبير الحوامل والأعراض العارضة في أول الحمل ووسطه وآخره
250	الإسقاط وحفظ الجنين
250	عسر الولادة
252	تدبير الموضع
252	تدبير الأطفال
252	تدبير الفطام

252	أمراض الأطفال لصالح أفندي الحلبي
253	الحصبة والجذري والحمى العارضة معهما
253	الثور اللينة والشهدية وهي السعفة الرطبة
254	السعفة اليابسة في رؤوس الأطفال وهي القرعة
254	العمل العارض للأطفال
254	حكة الأطفال
254	الماء تحت قحف رؤوس الأطفال
254	الورم الحار في رؤوس الأطفال
255	الصباح في النوم والكابوس العارض للأطفال
255	السهر العارض للأطفال
255	الصرع وأم الصبيان العارض للأطفال
255	تشنج الأطفال
255	أمراض الأذن وسيلان رطوبتها وقروحها وأورامها
256	أمراض الفم والحلق في الأطفال
256	نبات أسنان الأطفال
256	ضفدع لسان الأطفال النزلة والسعال وضيق النفس عند الأطفال
256	القواق فس الأطفال
256	في الأطفال
257	مغص الأطفال
257	نقخ مرق الأطفال
257	الإسهال العارض للأطفال
257	اعتقال طبع الأطفال
258	الديدان في الأطفال

258	فتق الأطفال
259	خروج سرة الأطفال
259	ورم سرة الأطفال
259	خروج مقعدة الأطفال
259	حصاة المثانة
259	عسر البول من غير حصاة
259	البول في الفراش
260	سحج أفخاذ الأطفال
260	انتهت أمراض الأطفال
260	فصل في أمراض الصفاق والفتق وأنواعه
260	خروج السرة وعلوها
261	وجع الأعضاء الظاهرة كالحديبة ورياح الأفرشة
261	الحديبة في الصدر والظهر
261	رياح الأفرشة وأنواعها
262	الدوالي التي تعرض في الساق
262	داء الفيل وأنواعه
262	وجع الظهر وأنواعه
262	وجع الخاصرة
263	وجع المفاصل والنقرس ووجع الورك وعرق النسا
263	وجع المفاصل وأنواعه
264	وجع الورك
264	وجع الركبة
265	عرق النسا

265	فصل الحميات
265	حميات اليوم وأنواعها
268	حمى الدق وأنواعها
269	دق الشيوخوخة ودق الهرم
270	فصل في حميات العفن وأنواعها
270	حمى الغب وهي الصفراوية
271	حمى المحرقة الصفراوية
271	حمى المطبقة وهي الدموية اللازمة ويقال لها سورخس
273	حمى العفنة التي هي من عفونة الدم
273	حمى البلغمية الدائرة
273	حمى البلغمية اللثة
274	حمى انقبالوس ويبطن فيها البرد ويظهر الحر
274	حمى ليقوريا يبطن فيها الحر ويظهر منها البرد
274	حمى المغشية البلغمية
274	حمى الردية
275	حمى المغشية من كيموسات صفراوية ردية الجوهر سمية
275	حمى الوبائية والوباء
276	فصل في الوباء والطاعون وأسبابهما وعلامتهما وعلاجاتهما
281	حمى الجدري والحصبة
282	الحميات المركبة
282	حمى شطر الغب
282	النافض بلا حرارة
282	تدبير أعراض الحميات

285	فصل في الأورام والبثور في البدن
285	الفلغموني وهو الورم الدموي
285	شقاقلوس ويسمى ابو خبيث
285	الجمرة وهي الورم الصفراوي المحض
285	النملة وهي بثور تخرج مع التهاب واحتراق
286	الجاورسية وأسبابها
286	الجمرة وأنواعها
286	النار الفارسي
287	التفط اي النافطات
287	الشرى الدموي والبلغمي
287	الماشاء هو الورم الدموي الذي يظهر في الوجه والجبهة
288	الطاعون وأسبابه وعلاماته وعلاجاته
289	الأكلة وأسبابها
290	أورام المغابن وهي الأيطين والحاليين
290	الديبيلة وأنواعها
291	الخراج وعلاماته
291	الدمل وأسبابه
291	الورم الرخو ويسمى بلغة اليونانية أوديفا
292	الورم الريحي
292	السلعة وأنواعها
292	الغدد والعقد وأنواعها
293	الخنزير التي تحدث في العنق وأنواعها
294	الورم الصلب ويسمى سقروس

294	السرطان وأسبابه
295	العرق المديني
295	الجذام وأنواعه
296	السعفة وأنواعها ووعي قرع الرأس المشهور
299	الجرب وأنواعه
302	الحكة وأنواعها
303	حب الإفرنجي وأنواعه ويقال له بالتركية إفرنك زحمتي
308	قروح الساقين وتبورهما وتآكل اللثة والاسنان وهو اسكريوط
310	الحصيف وأسبابه وعلاجه
310	القوبا وأسبابه وعلاجه
310	البثور الصغار
311	البثور اللبنية
311	بنات الليل
311	الثآليل وأنواعه
312	البثور البلخية
312	البطمير وهي عسيرة البرء
312	التوتة ويسمونها عوام الموصل أخبث
312	الداحس الذي يعرض في رؤوس الأصابع
312	أبورسما وهو سيلان الدم ويسمى أم الدم
313	البثور الغربية
313	الحصبة والجدرى
321	البرص وأسبابه
321	البهق الأبيض

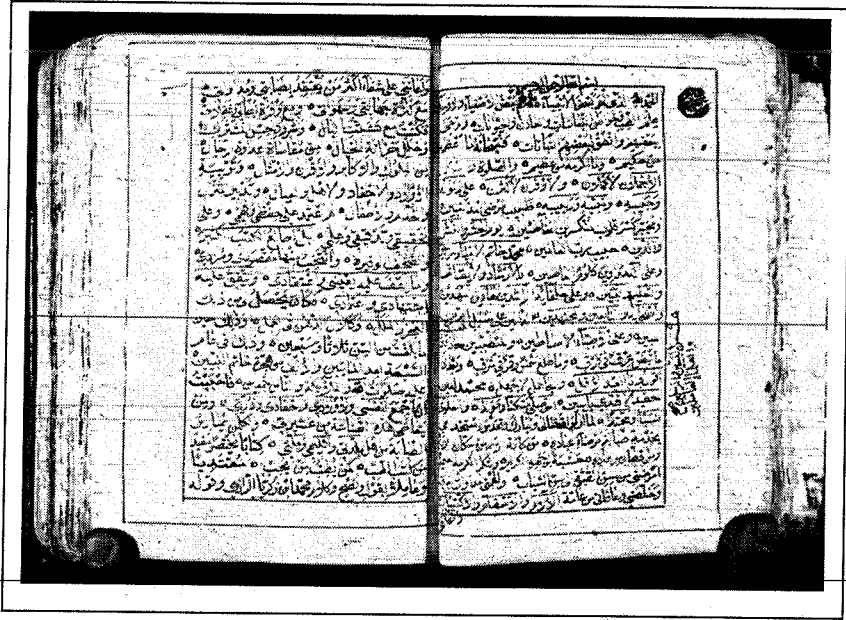
324	البهق الأسود وأنواعه
324	الكلف والنمش والرش والخيالان
323	الخضرة والوسم وآثار القروح وآثار قروح الجدري
323	البادشام هو حمرة في الوجه تعرض في كل زمان خصوصاً في الشتاء
324	فساد اللون وأسبابه وأنواعه
325	الخزاز والأبرية وأنواعه
325	داء الثعلب وداء الحية وأنواعهما
326	انتشار الشعر والصلع
327	الشيب وأنواعه وعلاجه
327	فصل في الزينة وما يتعلق فيها فمنها أحوال الشعر وحفظه
332	سحوج الجلد وانواعه مثل ركوب الخيل عريانة وضيق الخف
332	سحج وتشقق العانة والحالبين واسبابهما
332	الهزال والسمن المفرطين وعلاجهما
332	تسمين الهزال أي النحاف بالأدوية المسمنة
333	تهزيل الأبدان السمينة بالأدوية المهزلة
333	تشنج جلد الرأس
333	تشنج جلدة الجبهة مع حكاك وحمرة في اللون
333	تعظم الرأس
333	اجتماع الرطوبة فيما بين جلدة الرأس والصفاق
334	علل الأظافر ومنها الداخس
334	بياض الأظافر وصدفيتها وتكسرهما
334	برص الأظفار

334	جذام الأظفار
334	تعقق الأظفار
334	تشقق الأظفار
334	تقلع الأظفار وتقصفها
334	اختناق الدم تحت الظفر
335	صفرة الأظفار
335	رض الأظفار من صدمة وضربة ووقعة
335	العثرة العارضة لأصابع الرجل
335	انتفاخ الأصابع في أوان الشتاء الذي يسموه عوام الموصل قراقيص
335	تقرح القطاط وهي الظهر والسنبول والمقعدة
335	الصنان وأسبابه
336	تعفن المغابن وهي الأبطين والحالبين والثديين والقدمين
336	نتن جلدة النمس المشهور
336	فساد اليدين والرجلين من البرد الشديد ووقت الثلج
337	حرق النار والماء والدعن
337	الاحتراق من نفحة الصواعق وهي التي يسموها العوام زلزلة
338	احتراق الجلد من الشمس في الصيف في البلاد الحارة
338	فصل في الجراحات وعلاجها
340	نشوب النصل وهو حربة السهم ودخول الشوك في اللحم وغير ذلك كالزجاج
340	القروح البدنية وأنواعها
341	القروح العسرة الإندمال
341	القروح الخيرونية وأنواعها

343	الناصر الذي لا يلتحم من القروح العسرة الاندمال
343	القروح الساعية وهي قروح ملس
343	القروح التي تحدث من دم محترق سوداوي يصير في الوجه والبدن
343	القروح التي تحدث في جلدة الرأس المؤلمة ألماً شديداً
344	السقطة والضربة وأنواعهما
344	المضروب بالسياط .. المضروب مداً بالقضبان
345	الكسر والخلع في العظام والمفاصل
346	الخلع والوثي والوهن لوهي (٩)
346	النخس العارض الكبير
348	طول المفصل وزيادته عن طوله الأصلي
	بلغ جميع الأمراض والأعراض مع أمراض الأطفال خمسمائة وسبعة وثمانين نوع. عدد 587

صداع المغص والغدة ١٠	صداع الوقت ١٠	صداع الشراب ٩	صداع الوجع ٩	صداع الدوي ٣	صداع النار الناجم ١	صداع الزخري ١	صداع النار ١
صداع السنج ١٠	صداع الوجع ١٠	صداع الوجع ١٠	صداع الوجع ١٠	صداع الوجع ١٠	صداع السنج ٦	صداع البلخي ٥	صداع السنج ٢
صداع من ١١	صداع السنج ١١	صداع السنج ١٠	صداع السنج ١٠	صداع السنج ١٠	صداع السنج ١٠	صداع السنج ١٠	صداع السنج ١٠
صداع السنج ١١	صداع السنج ١١	صداع السنج ١١	صداع السنج ١١	صداع السنج ١١	صداع السنج ١١	صداع السنج ١١	صداع السنج ١١

الورقة الأولى من فهرس الكتاب



الورقة الاولى من الكتاب

ذريته

تقدم بنا أنه حينما سافر الى بغداد سنة 1184 هـ/1770م، تزوج من فتاة بغدادية من أسرة فاضلة سنة 1185هـ، أي في سن تجاوز فيه الأربعين من عمره، وهذا التاريخ لا يتفق مع سني حياة اولاده الثلاثة، ابراهيم وعبد الله وسليمان، مما يقتضي أنه كان متزوجاً من امرأة أخرى قبل ذلك، وانها لم تصحبه في سفره الى بغداد، ربما لانها متوفاة، اما زوجته الثانية فقد انجبت له ولده الثالث محمد بديع، وأبناء آخرين لم نعرف اسماءهم⁽¹⁾، وعلى اية حال فقد عُرف أبناءه جميعاً بحُسن السيرة والنباهة ووفرة الأدب، ونوه هو بما أنفقه من جهد ووقت في تربيتهم فقال ذاكراً أتعابه في «تربية الأولاد والأحفاد، والأهل والعيال، وتدبير المنزل والخدم والأطفال»⁽²⁾. وأولاده هم:

1- إبراهيم بك. أديب شاعر، توفي شاباً سنة 1188هـ/1774م⁽³⁾.

(1) يفهم هذا من قول ياسين العمري "وولد له منها أولاد نجباء". غاية المرام 361.

(2) الورقة 12

(3) الدر المكنون، حوادث سنة 1188هـ.

2- عبد الله بك. الراجح انه ولد في الموصل، وسافر هو إلى بغداد شاباً سنة 1188هـ، حيث عينه واليها الوزير عمر باشا (1177-1189هـ/1763-1775م) في حكومته، ف «نال الحظ الوافي، والعيش الصافي، فأقام مكرماً» وبعد مقتل عمر باشا عاد إلى الموصل، وتعاطى الطب ومعالجة الأمراض، حتى برع فيها، وصارت له اليد الطولى «بتركيب الأدوية والحبوب والترياقات والمعاجين»، ترجم له ياسين العمري وأثنى عليه وذكر له شعراً جيداً في التشبيب⁽¹⁾.

3- سليمان بك. ترجم له ياسين العمري فقال أنه سافر إلى الروم، وأقام هناك عدة سنوات، حيث اتصل بخدمة الوزير الأعظم، ثم استعفى وعاد إلى الموصل، ومنها إلى بغداد، حيث عينه واليها سليمان باشا الكبير (1193-1217هـ/1779-1802م) في بعض مناصب حكومته، ثم استعفى من الخدمة، وانتقل إلى الموصل، مدة، ومنها عاد إلى بغداد، فولاه سليمان باشا منصباً أعلماً من سابقه، وصار «من كتاب الدولة»، ولبث في أرغد حال حتى وفاته سنة 1213هـ/1798م ودفن في بغداد⁽²⁾. مُعقباً أولاداً عاشوا في بغداد، وآخر عاش في الموصل وتوفي صبياً.

4- محمد سليم بك. ورد اسمه وارثاً لمخطوطة أبيه (الشفاء العاجل).

5- محمد بديع. يظهر أنه ولد له من أمه البغدادية، لأنه تزوجها سنة 1185هـ، أرسله أبوه إلى بغداد سنة 1213هـ/1798م، ليتولى العناية بأولاد أخيه سليمان، وضبط ما تركه أبوه من الأموال، وأخذ نصيب والده من الميراث، ونصيب زوجة أبيه، أي أم أخيه، فأدى مهمته، وعاد إلى الموصل في السنة نفسها، وترجم له ياسين العمري وذكر أنه كان شاعراً له (بديعية) مع شرح لها، وتخميس للبردة، وقصائد معشرات، وقصيدة نبوية، وأنه سافر إلى الحج سنة 1220هـ/1805م⁽³⁾.

(1) غاية المرام ص363.

(2) غاية المرام ص363.

(3) غاية المرام ص365. وفي رسالة مخطوطة كتبها كاتب غير معروف كانت محفوظة في مكتبة ناظم العمري، ومنها نسخة لدينا منقولة عنها، إشارة إلى (محمد سعيد بك بيت ياسين أفندي زاده) وأنه قتل في أثناء الفتنة التي اغتيل فيها والي الموصل عبد الرحمن باشا الجليلي في 9 شوال 1244هـ/13 نيسان 1829م.

وفاته

ومثلما سكتت المصادر عن تاريخ ولادته فإنها سكتت عن تاريخ وفاته، و كنا نذهب إلى أنه جاوز الثمانين عاماً، بدلالة ان آخر إشارة إليه كانت في سنة 1220هـ/1805م، ففي هذا العام نظم إرتجالاً أرجوزة أرسل بها إلى ابنه محمد بديع في حلب، والأرجوزة موجودة بخطه في ديوانه. كما ترجم له باختصار محمد أمين العمري في كتابه (غاية المرام) ولم يذكر وفاته، وكان فراغه من تأليف هذا الكتاب في 21 شعبان سنة 1221هـ (الموافق 15 تشرين الثاني سنة 1805م)، ثم أننا وقفنا على تعليقة له على هامش مخطوطته (الشفاء العاجل) مؤرخة في سنة 1227، فيكون قد توفي بعيد هذا التاريخ. ووجدنا في الورقة الأولى من المخطوطة تمليكين لابن المؤلف، جاء في أولهما «انتقل إليّ بالإرث الشرعي وأنا الفقير إليه عز شأنه، محمد سليم ابن محمد أمين بيك بن إبراهيم بيك في عام 1228»، وأما التمليك الآخر فبالعبارة نفسها تقريباً باستثناء تعيين تاريخ التملك بالشهر، وهو ذه ، أي ذي القعدة، وهذا يعني ان وفاة محمد امين كانت في الشهور الاخيرة من سنة 1227 حتماً.

علماء بيت المقدس في القرن الحادي عشر الهجري (17م)

(التكوين الاجتماعي - النشاط الثقافي)

اتسمت الحياة الثقافية في مدينة القدس إبان العهدين الأيوبي والمملوكي، بنشاط ظاهر لم تشهده المدينة من قبل. فقد أثار احتلال الفرنجة لها واحتفاظهم بها بوصفه هدفاً معنوياً مؤثراً في مجرى الحرب، اهتمام المسلمين عامة بهذه المدينة، مما دفعهم إلى إعادة اكتشافهم لها، بالبحث في تاريخها ومنزلتها الخاصة بين مدن العالم، وهو ما أثمر تلك السلسلة القيمة من كتب فضائل القدس، التي شجعت بدورها عدداً من العلماء لاتخاذها موطناً لهم، تقديراً منهم لأهمية تلك «الفضائل» وطلباً للبركة التي يضيفها المكان على ساكنيه⁽¹⁾.

ومن ناحية أخرى فقد عُنِيَ السلاطين والأمراء من الأيوبيين والمماليك، بتعويض المدينة عما عانتته خلال سني الاحتلال، بتوزيع الهبات السخية، وإنشاء المؤسسات الوقفية، من دينية وثقافية وصحية، وهي مؤسسات لا تنكر أهميتها في رعاية الحركة الثقافية بما قدمته من أماكن مخصصة للتعليم، ورواتب ثابتة، ومخصصات عينية، ورعاية صحية، تمويل ذاتياً عن طريق الأوقاف الضخمة المرصدة لذلك⁽²⁾، فلم يكن غريباً إذاً أن تحفل كتب التراجم الخاصة بالعلماء، من أهل القرون الثلاثة التي تلت تحرير المدينة من الاحتلال الفرنجي، بالعدد الكبير من العلماء المقادسة الذين استوطنوها وانتظموا في سلك مدارسها الكثيرة، وشرعوا يبيثون - من خلالها - العلم بين الطلبة والوافدين.

ولقد استعادت المدينة خلال وقت قصير نسبياً أهميتها مركزاً لاشعاع ثقافي، وتدلنا تراجم أولئك العلماء على سعة اهتماماتهم العلمية، وتفرغ أكثرهم للبحث والتأليف، فضلاً عن التدريس، متخذين من المسجد الأقصى نفسه والمدارس المنبثقة

(1) انظر د. محمود ابراهيم: فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة (الكويت 1406هـ/1985م) ففيه تفاصيل وافية عن عدة مؤلفات.

(2) انظر عن عناية السلاطين بإنشاء هذه المؤسسات ورعايتها د. علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي (دار الفكر القاهرة) و د. يوسف درويش غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي (عمان 1982) و د. رشاد الامام: مدينة القدس في العصر الوسيط (تونس 1976).

عنه، مجالاً لممارسة دورهم الثقافي⁽¹⁾. وفي الواقع فإن الأوقاف الكثيرة المرصدة للانفاق على العلماء كانت تكفي لجعلهم مستقلين - مادياً في الاقل - عن السلطة القائمة، ومن هنا لم تتأثر الحركة الثقافية في المدينة، شأنها في ذلك شأن مدن المنطقة الأخرى، بالتبدلات السياسية والإدارية العديدة التي حدثت في تلك الحقبة، لا سيما في أواخر عهد المماليك. فمن تلك المنشآت الوقفية نذكر من المدارس:

المدرسة النصرية (نحو سنة 450هـ/1058م)، والمدرسة الختنية (587هـ/1191م)، والمدرسة الصلاحية (588هـ/1192م)، والمدرسة الأفضلية (نحو 590هـ/1193م)، والمدرسة النحوية (604هـ/1207م)، والمدرسة الطشتمرية (784هـ/1382م)، والمدرسة الجاؤلية (707هـ/1207م)، وغيرها.

ومن الربط: رباط البصير (666هـ/1267م)، والرباط المنصوري (6811هـ/1282م)، ورباط الكرد (693هـ/1293م) ورباط المارديني (763هـ/1361م) والرباط الزمني (881هـ/1476م).

ومن المستشفيات: البيمارستان الصلاحي (583هـ/1187م) وغير ذلك كثير مما حفلت به القدس عهد ذاك⁽²⁾.

ونتيجة للاستقرار الاجتماعي - الثقافي، فقد برزت إلى الوجود أسر تخصص أفرادها بالعلم، أو بضرب منه، فورثوه لأبنائهم أجيالاً عدة، فأنمت هذه الظاهرة تقاليد الحياة الثقافية، ونقلت الخبرة اللازمة للبحث من جيل لآخر، وفي أقل تقدير فإنها أثمرت إنشاء خزائن كتب توسعت بما أضافه الأبناء إلى ميراث آبائهم، ووقفها بعضهم على المدارس والمساجد، وبخاصة المسجد الأقصى، فعمم بذلك فوائدها وصيرها مورداً لطالبي العلم من غير تلك الأسر.

في مثل تلك الظروف فتح العثمانيون بلاد الشام، فلم يؤثر تغير الدولة، وتبدل مؤسساتها الإدارية، من وضع المدينة الثقافي، فلبثت الأسر العلمية ترفد الحياة الثقافية بعدد من أبنائها النابهين، وظلت المدينة تستقبل بين حين وآخر بعض العلماء الذين كان يطيّب لهم مجاورة مسجدها الأقصى المبارك، فيلقون المحاضرات ويجيزون الطلبة.

(1) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج2 (النجف 1968) في مواطن عديدة.

(2) المصدر نفسه 33-34 ود. كامل جميل العسلي: معاهد العلم في بيت المقدس (عمان 1981) 34-45.

ومع أن العصر العثماني لم يشهد إنشاء مدارس مهمة في القدس⁽¹⁾، وإن شهد أعمالاً خدمية عدة ذات نفع عام⁽²⁾، إلا أن من المؤكد أن أكثر مدارس العهدين الأيوبي والمملوكي لبثت تؤدي إبان هذا العصر، المهام التي أكلها اليها الواقفون الأوائل، وظلت أوقافها تدرّ ما يكفي مُدرسيها وطلبتها على حد سواء. وكانت الأوقاف تشمل مزارع وحقول وقرى كاملة في مناطق شتى من بلاد الشام، وفي غيرها أيضاً. هذا فضلاً عن هبات السلاطين والأمراء التي كان يجري توزيعها على أهل العلم خاصة. وعلى هذا فقد بلغ عدد حُجرات المدارس الكائنة في الساحة الكبيرة المحيطة بالأجزاء المنخفضة للحرم إبان أواخر القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) مائتا حجرة، أما المدارس والزوايا في القدس فإن عددها بلغ 360 مدرسة وزاوية، من صغيرة وكبيرة⁽³⁾، وظلت أسماء المدارس الشهيرة كالصلاحية والنحوية والعثمانية والنصرية والتتكرية وغيرها تتردد في هذا العصر، من خلال تراجم علمائه ومدرسيه.

وإذا كانت حركة التعليم، والحياة الثقافية بعامة، قد أصابها شيء من الفتور في هذه الحقبة، فليس ذلك لأسباب تتعلق بموقف رسمي أمّلته سياسة الدولة مباشرة، وإنما لأن الركود الذي أصابها كان جزءاً من ركود ثقافي عام شمل الأقاليم التي دخلت في نطاق سيطرة الدولة ولم يقتصر على منطقة أو مدينة بذاتها، وهو ركود يمكن أن نجد أسبابه في عوامل عدة إقتصادية وسياسية واجتماعية، قبل أن نجده في عوامل ثقافية بحتة. صحيح أن بعض موارد الأوقاف قد أخذ بالنضوب مما أثر على مصير هذه المؤسسة أو تلك، ولكن ذلك النضوب لم يكن نتيجة لمصادرة أو إلغاء بقدر ما كان يعود لاضطراب الأحوال الأمنية في الريف⁽⁴⁾

(1) العسلي معاهد العلم ص 153

(2) من الأعمال المهمة في هذا المجال ما قام به السلطان سليمان القانوني، وتشمل إعادة بناء جانب من سورها، وترميم حصنها وبواباتها، وحفر حندقها، وإنشاء عدد كبير من مشاريع مياه الشرب (الأسبلية) وحمامين وتكية فضلاً عن مدرسة لطلبة العلم في تكية خاصكي سلطان. ولا شك في أن هذه الأعمال وهي خدمية في مجملها، كانت تساعد على تهيئة مستلزمات الحياة في المدينة، ينظر عارف العارف: المفضل في تاريخ القدس، المؤسسة العربية، بيروت 2005، ص 431 و خليل طوطح: تاريخ القدس، مطبعة مرآة الشرق، القدس 1922، ص 29 وكامل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، عمان 1983، ص 145.

(3) عارف العارف: تاريخ القدس (القاهرة) ص 105-101 عن أوليا جليبي سياحته سي.

(4) كانت فلسطين تابعة إدارياً في هذا العهد لولاية دمشق ونظراً لبعدها عنها جغرافياً ولقلة إنتاجها من الحبوب على خلاف الحال في منطقة حوران، فإن الدولة لم تبتد أكثراتاً كبيراً

واضطراب القرويين إلى هجر قرَاهم وترك أراضيهم الزراعية لتبور، وفيها ما هو موقوف على مثل تلك المنشآت.

ولا شك في أن ظاهرة تناقص القرى، التي برزت في هذه الحقبة، مسؤولة - إلى حد كبير- عن اضطراب الإنفاق من موارد الأراضي الموقوفة، وهو الأمر الذي شجع عدداً من الواقفين على وقف العقارات المدنية، كالأسواق والحوانيت والحمامات والخانات والدور والأفران وغيرها بوصفها أكثر ضماناً لمصالح الوقف، وربما لجأ بعض متولي الوقف إلى استبدال المزارع والحقول خارج المدن، بمثل تلك العقارات خدمة لمصالح المؤسسة الوقفية ولتحقيق زيادة في مواردها المالية.

ولقد برز خلال الحقبة الممتدة من دخول العثمانيين مدينة القدس في أوائل القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) وحتى نهاية القرن التالي عدد من الأسر العلمية، بعضها كان امتداداً للأسر التي ظهرت في الحقبة السابقة، بينما عرف البعض الآخر في العهد العثماني. وفي وسعنا أن نلاحظ تعدد أجيال الأسرة الواحدة من تلك الأسر، وقدرتها على توريث إهتماماتها العلمية إلى أبنائها عبر قرون من الزمن، ويمكن أن نعزي هذه الظاهرة إلى عدة عوامل، لعل أبرزها أن تلك الأسر كانت تحصل على مصادر دخلها من الأوقاف المرصدة على المؤسسات الدينية والعلمية التي تتولى وظائفها الشرعية من إمامة وخطابة ووعظ وتدريس وإفتاء، ولما لم يكن ممكناً الحصول على تلك الدخول إلا بشغل الوظائف المذكورة، تحقيقاً لشروط الواقفين، فإن تأهيل الأسرة أبناءها للعمل في مجالات العلم والتعليم يصبح ضرورة تفرضها تلك الشروط نفسها. ومن ناحية أخرى فإن تولي عدة أجيال من الأسرة وظائف محددة ذات قيمة روحية واجتماعية عالية، من شأنه أن يضيف على الأسرة مقاماً اجتماعياً رفيعاً في مدينتها، بل أن يحدد مستواها الاجتماعي بسبب نوع ما تشغله من وظائف، وبالطبع فإنه ليس بالإمكان الحفاظ على ذلك المستوى إلا بسير الأبناء على هدى خطى الآباء. ومن ناحية ثالثة فإن رتابة الحياة السياسية والاجتماعية، وضعف تأثيرها بأية تيارات ثقافية جديدة خلال تلك الحقبة التي اتسمت بالركود عامة، أدت إلى استمرار أبناء

بأحوالها ولم تبذل لها الحماية التي بذلتها لمنطقة حوران ومن ثم كانت أكثر مناطق بلاد الشام اجتياحاً من قبل البدو، د. ليلي الصباغ: المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني (دمشق 1972) 64-65.

الأسر العلمية في تولي مراكز آبائهم، واهتماماتهم أيضاً، فلم يكن ثمة مُبرر يقضي بإحداث أي تغيير في نظام اجتماعي ثابت، عَرَف كل عضو فيه موقعه منه. ولا نشك في أن استمرار هذا التواصل العلمي لمدة طويلة، قد عزَّز من قوة التقاليد العامة للحياة الثقافية، فلم نقرأ عن إستثناءات تُذكر في طبيعة تلك الحياة، سواء ما يتعلق منها بالعلم والتعليم ووسائله، أوالاتجاهات الفكرية العامة، المتمثلة بمناهج البحث وأهدافه ومجالاته.

ولنا أن نلاحظ أن أكثر الأسر العلمية التي برزت في عهد المماليك السابق، ظلت موجودة في هذا العهد أيضاً، إلا أنها تعرَّضت -لأسباب مختلفة- إلى منافسة أسر جديدة وفدت إلى القدس في حقبة متأخرة، ومنها ما كان وفوده في أواخر عهد المماليك. وليس من الواضح السبب الذي دفع بهذه الأسر الجديدة إلى تبوء مكان الصدارة في الحياة الثقافية للمدينة، على الرغم من وجود أسر أقدم منها، وذات إرث ثقافي كبير، أمثال بني القلقشندي وبني جماعة وبني الديري وبني قدامة وبني غانم، ونرى أن سبب ذلك إجتماعي بالدرجة الأولى، يتعلق بتناقص عدد رجال تلك الأسر آنذاك لتعرضهم لتأثير الأوبئة العديدة التي وفدت إلى المدينة في أواخر عهد المماليك أو لأسباب وراثية معينة⁽¹⁾. وهي ظاهرة لا نعدم أن نجد لها أمثلة أخرى في مجتمعات عاشت ظروفًا مشابهة.

ومن المؤكد أن شَغَر أي منصب في المؤسسات الشرعية والعلمية، بسبب وفاة صاحبه وعدم وجود مرشح مؤهل من أسرته، يعني تقديم فرصة لأسرة علمية أخرى لأن تدفع بأحد أبنائها لشغل ذلك المنصب، وهكذا فقد وجدت أسر حديثة العهد بالمدينة المجال لتثبيت أقدامها في مجتمعها فاتحة المجال لأجيال أخرى من تلك الأسر لأن تسلك السبيل نفسه، فتدفع بأبنائها لتولي المناصب الشرعية والعلمية، وتبوءها - من ثم- منزلة اجتماعية رفيعة. وعلى أية حال فقد تمكنت هذه الأسر، من الهيمنة على معظم النشاط الثقافي في مجتمعها، وهي ظاهرة وإن لمساتها في العهد السابق، فإنها بدت أكثر بروزاً في هذا العهد. وليس أدل على

(1) تعرضت مدينة القدس، منذ منتصف القرن التاسع الهجري (15 م) إلى تناقص حاد في أعداد السكان لفت نظر بعض الرحالة من الحجاج المسيحيين واليهود، أنظر د. علي السيد: مصدر سابق ص 70-71.

ذلك من أن المحبِّي أورد في (خلاصة الاثر) نحو خمسين ترجمة لعلماء مقادسة عاشوا في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) فكان نصفهم تقريباً ينتمي إلى خمس أسر علمية فحسب، هذا بينما يكشف كتاب (الكواكب السائرة) للغزي عن تنوع الشديد لأصول علماء القدس في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر الميلادي) فبينهم دمشقيون وحلبيون ومصريون وبغداديون وموصليون ومغاربة وحجازيون.. الخ، جمع بينهم العلم، وليس الانحدار من مَحَدِّ مُحَدِّ او أسرة معينة.. وأبرز الأسر المقدسية التي اشتغلت بالعلم، ابان القرن الحادي عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) هي:

1- بنو أبي اللُّطف:

تنسب هذه الأسرة إلى أول من استقر من أسلافها في مدينة القدس، وهو الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن منصور بن زين العرب الحَصَكْفِي، المُكَنَّى بأبي اللطف (ولد سنة 815 وتوفي سنة 859هـ/1416-1455م) وكان عالماً مشهوراً له تأليف عدة، ويكشف لقبه فضلاً عن ترجمته⁽¹⁾، كونه من أهل حصن كيفا من مدن أعالي الجزيرة، وتشير المصادر إلى انه كان يُعرف هناك بابن الحمصي، مما يدل على أن أباه لم يكن من أهل حصن كيفا، وإنما انتقل إليها من حمص. وقد تزوج من ابنة أحد كبار علماء القدس، وهو شيخ الإسلام تقي الدين القرقرشندي المصري، فولد له محمد الذي سرعان ما لاحت دلائل نبوغه فنال شهرة عريضة حتى عرف بشيخ الإسلام، واستقر محمد ابو اللطف في القدس حيث ولد له أبناء لم يقل عددهم عن ستة، وكان لجميعهم ذرية، فبلغ عدد من عرفتهم مصادر القرنين السابع عشر والثامن عشر نحو 16 رجلاً برز جميعهم في مجال العلوم والتعليم، منهم:

• محمد بن ابي اللطف: ولد سنة 859هـ/1454م، وأخذ علومه الاولى على أيدي علماء القدس، ثم واصل دراسته في القاهرة حيث تتلمذ على يد العلامة محمد بن عبد المنعم الجوجري (821-889هـ/1418-1484م) وسمع الحديث وقرأه على جماعة، وأذن له بالإفتاء والتدريس «وصار من أعيان العلماء والأخبار الموصوفين بالعلم والدين والتواضع». وتوفي سنة 928هـ/1521م⁽²⁾.

(1) السخاوي: الضوء اللامع ج8 ص220.

(2) الغزي: الكواكب السائرة 17/1 والضوء اللامع 164/9، والعماد الحنبلي: شذرات الذهب 161/8.

• عمر بن محمد أبي اللطف: تولى إفتاء الحنفية بالقدس سنة 990هـ/1582م، والتدريس بالمدرسة العثمانية (المفتحة سنة 840هـ/1436م) حيث تقاسم راتب هذه الوظيفة مع أحد علماء بني جماعة من الأسر العلمية القديمة⁽¹⁾.

• جار الله بن أبي بكر محمد أبي اللطف: واصل دراسته في مصر حيث أخذ العربية والفقه، وبعد وفاة عمه عمر اضطر للسفر إلى اسلامبول ليُربث وظائفه الشرعية، فتولى الإفتاء والتدريس في المدرسة المذكورة، وتوفي سنة 1028هـ/1618م⁽²⁾.

• اسحاق بن عمر بن أبي اللطف: نبغ في الفرائض والحساب، وتولى التدريس في المدرسة العثمانية أسوة بأبيه، ثم انتقل للتدريس في المدرسة الصلاحية، أشهر مدارس القدس، وهي «مشروطة لأعلم العلماء الشافعية في ديار العرب وعلوفتها»⁽³⁾ كل يوم مقال من الذهب»، وتولى إفتاء الشافعية، ولم يُعرف تاريخ وفاته⁽⁴⁾.

• يوسف بن محمد أبي اللطف: تقاسم مع ابن عمه اسحاق تدريس المدرسة الصلاحية «لكن التصرف في الغالب إنما هو لإسحاق»⁽⁵⁾.

• محمد بن يوسف بن محمد أبي اللطف: درّس العربية على ابن عم أبيه عمر بن محمد وتفقه على والده يوسف، وعين نائباً للقضاء في القدس ثم كاتباً لقاضيها، ووضع شرحاً لمنظومة أبيه في الفقه، وتوفي سنة 1028هـ/1618م⁽⁶⁾.

• محمد بن عبد الحق بن محمد أبي اللطف: رحل إلى القاهرة وأقام فيها سنين عديدة ودرس على يد علمائها، ثم سافر إلى اسلامبول ليتولى تدريس المدرسة العثمانية فتولاها، وكان شاعراً مطبوعاً. توفي سنة 1033هـ/1623م⁽⁷⁾.

(1) الكواكب السائرة ج3 ص220 والعسلي: كصدر سابق ص178

(2) المحيي: خلاصة الأثر ج1 ص481-483.

(3) مصطلح أخذ من العلف الذي تعلقه الدواب، وتطور معناها إلى أن تكون رواتب لجنود البنكجيرية ثم لاصحاب الوظائف عامة وترددت الإشارة إليها بوصفها رواتب مقررة في وظيفيات الواقفين.

(4) خلاصة الأثر ج4 ص394.

(5) خلاصة الأثر ج4 ص272 والبغدادي هدية العارفين ج2 ص71 وكحالة: معجم المؤلفين ج12 ص134.

(6) خلاصة الأثر ج1 ص481-482

(7) خلاصة الأثر ج3 ص482

- أبو اللطف بن اسحاق بن محمد محمد أبي اللطف: كان فقيهاً شاعراً، ولي إفتاء الشافعية وتدرّس المدرسة الصلاحية، وتوفي سنة 1071هـ/1660م⁽¹⁾.
- عبد الرحيم بن أبي اللطف: أخذ العلم في مدينته، ثم واصل دراسته في مصر، وتولى إفتاء الحنفية بالقدس وتدرّس المدرسة العثمانية، وتوفي 1104هـ/1692م⁽²⁾.
- محمد بن عبد الرحيم (السابق) تولى إفتاء الحنفية في القدس، وكان أفقه الحنفية في وقته، وله فتاوى، ولم يعلم تاريخ وفاته⁽³⁾.
- علي بن جار الله بن أبي بكر: ولي إفتاء الحنفية في القدس وخطابة المسجد الأقصى، توفي سنة 1070هـ/1659م⁽⁴⁾.
- علي بن حبيب الله بن محمد بن نور الدين بن أبي اللطف: انتقل إلى مصر حيث مكث في الأزهر خمس عشرة سنة، وسافر إلى القسطنطينية حيث درّس صحيح البخاري مدة خمس وعشرين سنة. تولى تدرّس المدرسة الصلاحية، وكانت قبله لابن عمه محمد جار الله، والمدرسة الحنفية وإفتاء الشافعية والمدرسة المأمونية ومشيخة المدرسة الملكية، ونزل في المدرسة الحسنية، ودرس في باب الأقصى، ثم في المدرسة الفنازية، وتوفي سنة 1144هـ/1731م⁽⁵⁾.

2- بنو العَلَمي

نزحت هذه الاسرة من منطقة هكارى في كردستان⁽⁶⁾، وعرفت باسمها هذا نسبة إلى أحد أجدادها وهو علم الدين بن ربيع بن سليمان بن المهذب بن قاسم بن

(1) خلاصة الأثر ج 4 ص 272 والبغدادي هدية العارفين ج 2 ص 71

(2) كحالة: معجم المؤلفين 12 / 134 .

(3) خلاصة الأثر ج 1 ص 151

(4) خلاصة الأثر ج 1 ص 145

(5) المرادي: سلك الدرر 4/ 58.

(6) تشمل بلاد هكارى في العصور الإسلامية رقعة واسعة تمتد من بلاد آذربيجان إيران شرقاً ومنطقة وان شمالاً ومنطقة جزيرة ابن عمر (بوتان) من الغرب والموصل جنوباً، على أن معظم القسم الجنوبي منها سيعرف منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) باسم جديد هو (بهدينان) نسبة إلى الأمراء من آل بهاء الدين الذي اتخذوا من العمادية عاصمة لإمارتهم. وثمة حجة شرعية متأخرة صادرة عن محكمة القدس تشير إلى أن هذه الأسرة تنسب إلى الفقيه ضياء الدين بن محمد عيسى الهكاري أحد أمراء السلطان صلاح

علي بن حسن بن أحمد الهكاري، ويؤكد قدم إقامة الاسرة في مدينة القدس أن احدى حاراتها عرفت بحارة العَلَم، نسبة إلى مؤسسها المذكور. واشتهر أبناؤه بالصلاح والميل إلى التصوف حتى عُرف حفيده المباشر موسى بالولاية وإتيان الكرامات، ويظهر أنه كان للزيادة المطردة في عدد أبناء الأسرة دور أساس في توطيد مكانتها فضلاً عن صفاتهم المحببة الأخرى، وقد نال موسى نفسه لقب أمير، وذلك لتوليته بعض المناصب الإدارية الرفيعة⁽¹⁾، إلا أن الأجيال التالية لم تعرف الا بالولاية والصلاح⁽²⁾. ويذكر المحبي انهم بيت الولاية والصلاح لهم الرتبة العلية في القدس، وخرج منهم علماء وصلحاء كثيرون⁽³⁾. ولم يؤثر على أكثرهم إشغال الوظائف التدريسية في مدارس القدس الموقوفة إلا أن قسماً منهم تولى منصب الخطابة في المسجد الأقصى والإمامة في الصخرة المشرفة، وكان لبعضهم أوقاف على أهل المدينة. ولقد أمكن لنا أن نُحصي عدداً وافراً ممن اشتهر بالعلم والتقوى من أهل هذا البيت، زاد على العشرين عالماً، برز أكثرهم بعد الفتح العثماني للمدينة، وبالتحديد في القرن الحادي عشر (السابع عشر للميلاد) والنصف الاول من القرن التالي منهم:

- سيدي محمد بن عمر بن محمد العَلَمي المعروف بالقُطْب: ولد بالقدس وسكن دمشق زمناً، وحج وجاور، وعاد إلى القدس، وتوفي فيها سنة 1038هـ/ 1639م وله مؤلفات وشعر⁽⁴⁾.

- محمد بن علي العلمي: خال محمد بن عمر المتقدم. طلب العلم في القدس ثم ارتحل إلى القاهرة حيث تفقه على يد كبار علمائها، منهم الشيخ زين الدين ابن نجيم الحنفي وغيره، واستقر في دمشق حيث درس في بعض مدارسها وتوفي سنة 1018هـ/ 1609م⁽⁵⁾.

الدين الأيوبي، ولكنها تشير إلى أن نسب الهكاري هذا يتصل بالشرقاء الأدارسة الحسينيين، ينظر عن هذه الوثيقة ومصادر أخرى موقع آل العلمي alamifamily وموقع مؤسسة مدينة القدس alquds-online ويتصل بهذه الأسرة عدد كبير من الأسر اليوم في مدن فلسطينية شتى.

(1) خلاصة الاثر 151/3.

(2) سلك الدرر 209/3.

(3) خلاصة الاثر 219/1.

(4) انظر الحنبلي: الانس الجليل 281/2.

(5) سلك الدرر 71/1.

• عبد الصمد بن عمر العلمي: صوفي استخلفه أبوه في مجلس الذكر شاباً فكان «على وقار الأشياخ»، عاش شبابه في دمشق وجلس في حلقة الذكر شاباً، وحج مع أبيه سنة 1011هـ/1602م، واستقر في القدس وتوفي سنة 1032هـ/1622م⁽¹⁾.

• أحمد بن صالح بن عمر العلمي: أخو القطب محمد بن عمر المتقدم، كان صوفياً ورعاً، أخذ التصوف عن عمه ولازم المسجد، توفي سنة 1054هـ/1643م⁽²⁾.

• مصطفى بن فخر الدين بن عثمان العلمي: طلب العلم في القدس وعمل كاتباً لللكوك في محكمتها، وولي النيابة، ووقف أوقافاً عدة على المؤذن في المسجد الأقصى وعلى أعمال خيرية أخرى، وتوفي سنة 1075هـ/1664م⁽³⁾.

• عبد القادر بن محمد بن عمر العلمي: من العلماء الأجلاء توفي سنة 1079هـ/1668م⁽⁴⁾.

• أبو الوفا بن عبد الصمد بن محمد العلمي: صوفي ولد سنة 1052هـ/1642م وأدرك جده القطب سيدي محمد العلمي، وحفظ القرآن الكريم ولبس خرقة الصوفية من أخيه الشيخ عمر (السابق)⁽⁵⁾، وصار شيخ الشيوخ بالقدس وكبير الصوفية، توفي سنة 1109هـ/1697م.

• أحمد بن صلاح الدين العلمي: كان عالماً صوفياً، ولد سنة 1055هـ/1655م، وأخذ التصوف عن أحد المغاربة الشاذليين فجعله هذا خليفة له في القدس. وتولى الخطابة والوعظ في المسجد الأقصى توفي سنة 1116هـ/1704م⁽⁶⁾.

• أبو بكر بن أحمد بن صلاح الدين العلمي: كان زاهداً خيراً تولى افتاء الحنفية بالقدس، وتوفي سنة 1044هـ/1731م⁽⁷⁾.

(1) خلاصة الاثر 44/4 وهدية العارفين 276/2 و Lrocl, S,I, 470

(2) خلاصة الأثر 45/4

(3) خلاصة 2 / 421

(4) خلاصة 1 / 219

(5) خلاصة 4 / 275

(6) خلاصة 2 / 467

(7) خلاصة 1 / 70

3- بنو الدجاني:

ينتسبون إلى بيت دجن، قرية بالقرب من بلدة يافا، وانحدروا منها في وقت غير محدد ليستوطنوا مدينة القدس. وقد برزت منهم إبان هذه الحقبة أسماء لامعة، ترجم لهم معاصروهم وهم:

- عرفة بن أحمد الدجاني: كان عالماً فاضلاً منقطعاً في منزله، وارتحل مع أبيه وأخويه إلى مصر وقرأوا بالجامع الأزهر، ثم عادوا إلى القدس ليشغلوا بالعلم، وتوفي عرفة سنة 1003هـ/1594م⁽¹⁾.
- محمود بن أحمد الدجاني: أخو سابقه. وصفه معاصروه بأنه الشيخ الكبير الفقيه الثبت الرحلة، وتوفي بعد سنة 1003هـ⁽²⁾.
- محمد بن صالح بن محمد الدجاني: أقام بالأزهر سنين عديدة، ودرس الفقه والحديث على يد كبار علماء مصر، ثم أخذ التصوف وهو في أواسط عمره، وله تأليف. توفي سنة 1071هـ/1660م⁽³⁾.
- درويش بن سليمان بن محمد بن أحمد الدجاني: كان شيخاً صالحاً زاهداً، وأخذ العلم في القدس، ثم أقام في دمشق واشتغل بالتصوف. وتوفي سنة 1088هـ/1677م⁽⁴⁾.
- يحيى بن درويش الدجاني: من صلحاء القدس عمل خادماً لضريح النبي داود، وكانت له رحلات عدة إلى دمشق، وتوفي سنة 1133هـ⁽⁵⁾.
- خليل بن أبي الوفا الدجاني: المتولي والناظر والشيخ في المدرسة الأوحديّة في القدس سنة 1124هـ/1712م⁽⁶⁾.

4- بنو الديري:

ينتسبون إلى قرية الدير من أعمال نابلس، ومنها نزحوا إلى القدس في القرن الثامن الهجري (14م)، وأول من استوطنها منهم شيخ الإسلام شمس الدين محمد

(1) سلك الدرر 70/1

(2) خلاصة الأثر ج2 ص156.

(3) خلاصة ج2 ص156

(4) نفسه ج2 ص156

(5) سلك الدرر ج4 ص228

(6) العسلي ص224 عن سجلات المحكمة الشرعية.

بن جمال الدين سعد بن عبد الله بن مصلح الديري العبسي الحنفي المتوفى سنة 867هـ/ 1462م⁽¹⁾. ولقد عرف أبناؤه وأحفاده بالفقه، وهو ما أهلهم للعمل في وظائف علمية وشرعية مرموقة، كالتدريس في المدارس، ونيابة الحكم (القضاء) وكتابة الصكوك، ورئاسة الكتاب في محكمة القدس، والنظارة على الأوقاف، وكانت هذه الوظائف تنتقل إلى الأبناء من آبائهم بصفة وراثية. وقد لمع شأن الأسرة في العصر العثماني بمن أنجبتهم من أولئك العلماء، فأوردت كتب التراجم تراجم عدد منهم، كما وردت الإشارات إلى عدد آخر في سجلات المحكمة الشرعية في القدس، فمن العلماء الذين نبغوا في القرن السابع عشر وحده نذكر:

• محمود بن أحمد الديري: تولى نصف وظيفة النظارة على أوقاف المدرسة الفارسية ونصف مشيختها عما لها من العلوم، عوضاً عن والده بحكم فراغه له سنة 971هـ/ 1563م⁽²⁾.

• طه بن صالح بن يحيى الديري: أخذ العلم من علماء بلده، وكانت له اليد الطولى في علوم الأصول والتفسير والنحو، وولي نيابة الحكم وكتابة الصكوك في القدس، ثم ولي نيابة الحكم بمكة، وأخذ فيها الحديث عن علمائها ثم عاد إلى القدس واشتغل بالتدريس. توفى سنة 1071هـ/ 1660م⁽³⁾.

• فتح الله بن طاهر الديري: تولى مشيخة المدرسة الفارسية بعد والده سنة 1077هـ/ 1666م، وأذن له الحاكم بالتصرف بالوظيفة والسكن في المدرسة سنة 1080هـ/ 1669م، وتوفى بعد سنة 1094هـ/ 1682م⁽⁴⁾.

• خليل بن عفيف الديري: تولى نصف وظيفة التدريس بالمدرسة الفارسية سنة 1079هـ/ 1668م⁽⁵⁾.

(1) خلاصة الأثر ج2 ص260 وفي وثيقة صادرة عن السلطان المملوكي جقمق مؤرخة في سنة 851هـ إشارة إلى شيخ الإسلام الإمام العالم العلامة.. سعد الدين ابو السعادات بن شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد الخالدي المعروف بابن الديري الحنفي. ونظر شجرة الأسرة وتفريعاتها الموقع الرسمي لعائلة الخالدي khalidi

(2) العسلي: مصدر سابق ص234

(3) خلاصة الأثر ج2 ص260

(4) العلي: مصدر سابق 253 عن سجلات المحكمة الشرعية في القدس.

(5) خلاصة ج2 ص260

• صنّع الله الديري: تولى النصف الآخر من الوظيفة المذكورة سنة 1049هـ/سنة 1682م⁽¹⁾.

• محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الديري: مؤلف، له بعض الشروح. توفّي سنة 1087هـ/ 1676م⁽²⁾.

• محمد الخالدي الديري: طلب العلم، وتولى رئاسة الكتابة بمحكمة القدس وهي وظيفة آباءه وأجداده، وتوفّي سنة 1139هـ/1726م⁽³⁾.

5- بنو الخربيشي:

انحدروا إلى القدس من قرية تدعى (خربيش) في جبل نابلس، وعمل أول أسلافها المعروفين، واسمه أحمد، في أعمال البناء، لكنه كان حسن تلاوة القرآن فتأثر به ولده محمد وطلب العلم، وواصل دراسته في الأزهر حيث أقام هناك مدة طويلة، تأهل بعدها للتدريس والفتوى، ثم عاد إلى مدينته القدس ليعمل إماماً للحنابلة بالمجمع الذي تحت المدرسة القايتبائية، وتوفّي سنة 1001هـ/1592م⁽⁴⁾. وقد اقتدى بسيرته ابنه اسحاق، فطلب العلم وأمّ بالمسجد الاقصى، وكانت له مؤلفات جمة. وتوفّي سنة 1035هـ/1625م⁽⁵⁾.

وثمة أسر أخرى، يظهر انها كانت أقل شأنًا في الحياة الثقافية لقلة من قدمتهم من أهل العلم، مثل أسرة الكرّمي (نسبة إلى بلدة طول كرم)، ومنها الفقيه المؤرخ مرعي بن يوسف بن ابي بكر بن احمد الكرّمي المتوفّي سنة 1033هـ/1623م⁽⁶⁾. وأسرة العسلي التي نزلت من مصر في القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد)، وبرز منها علماء كبار منهم محمد بن موسى بن علاء الدين العسلي الذي برع في الفقه والحديث، وألف فيهما مؤلفات مهمة، وتوفّي سنة 1031هـ/1621م⁽⁷⁾. وأسرة أولاد تامر، ومنها يحيى بن زكريا المعصراني، وكان فقيهاً نحوياً يقرئ بالخلوة النحوية

(1) العسلي ص 234

(2) العسلي ص 234

(3) خلاصة 2/260

(4) العسلي 234

(5) العسلي 234

(6) نفسه 234

(7) البغدادي، هدية العارفين 2/295

في سطح الصخرة القبلي، وقد أوصى بجميع كتبه إلى طلبته، وتوفي سنة 1083هـ/1672م⁽¹⁾. وأسرة الشهباني التي ذكر المرادي أنها «من البيوت القديمة بالقدس»⁽²⁾ وغيرها.

وتكشف دراسة عنوانات الكتب والرسائل التي وضعها العلماء المقدسة إبان هذه الحقبة، عن جملة من الأمور المهمة، منها أن شيئاً من الفتور قد أصاب حركة التأليف، قياساً إلى ما كانت عليه هذه الحركة في العهدين الأيوبي والمملوكي، فلم تعد تراجم العلماء مكتظة بعناوين مؤلفاتهم، وإنما طغت على هذه التراجم الإشارات إلى وظائفهم، والشيوخ اللذين أخذوا عنهم، ويمكن أن تعزى هذه الظاهرة إلى الركود العام الذي ساد البلاد إبان العصر العثماني، وزوال دولة المماليك التي شهدت القدس، في أثناء حكمها، ذروة مجدها الثقافي. ويمكن القول أن التراث الفكري المتنوع الذي نتج عن علماء ذلك العهد، كان من الغنى والأهمية ما أغنى - إلى حد ما - عن مظاهراته بمؤلفات جديدة، ونرجح أن يكون التراث المذكور قد أصبح المعين لعلماء العصر العثماني، في التدريس والفتوى. لا سيما وأن ظروفاً جديدة لم تستدع وضع مؤلفات تلي حاجة أبناء العصر المذكور.

ومن ناحية أخرى فإن لدراسة الأغلبية الساحقة من علماء القدس في القاهرة، وأخذهم العلم على أيدي كبار العلماء المصريين، جعلتهم يكتفون بنتاج أولئك العلماء الذين أخذوا عنهم، فتعددت نسخ الكتاب الواحد في خزائن المدينة ومدارسها، بينما ضعفت الرغبة في الإضافة إليه، أو تأليف كتب بديلة. وربما أدى انتشار المفاهيم الصوفية في هذا العهد انتشاراً واسعاً، سبباً آخر لعزوف بعض الصوفية عن الانشغال بالبحث والتأليف، والإنصراف، بدل ذلك، إلى حلقات الذكر والتربية الروحية خاصة.

بيد أن علينا ان لا نتصور بأن هذا الفتور النسبي كان يعني توقفاً لحركة التأليف، وانتهاءً للبحث في شؤون المعرفة، إذ أن رصد النتاج الفكري لهذه الحقبة يكشف عن أن حركة التأليف والبحث لم تتوقف قط، رغم كل الظروف السائدة. وأن ترتيب اهتمامات المؤلفين كان، بحسب عنوانات مؤلفاتهم، يأخذ السياق الآتي: فروع الفقه، التفسير، اللغة والنحو، السيرة والتاريخ، التصوف، العلوم البحتة.

(1) خلاصة 340/3 سلك الدرر 123/4

(2) سلك الدرر 123/4

ففي الفقه كتب محمد بن يوسف بن أبي اللطف المقدسي الحنفي (المتوفى 1028هـ/1618م) شرحاً لكتاب (جواهر الذخائر في الكبائر والصغائر) لبدر الدين الحسن بن علي الغزي (المتوفى سنة 753هـ/1352م)⁽¹⁾، ووضع مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي (المتوفى سنة 1033هـ/1623م) عدداً من الكتب والرسائل الفقهية التي عالج أكثرها موضوعات محددة كانت تشغل أهل عصره، منها مثلاً (ازهار الفلاة في آية قصر الصلاة) و (ايقاظ العارفين على حكم أوقاف السلاطين) و (تهذيب الكلام في حكم أرض مصر والشام) و (تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك من رمضان) و (الحجج المبيّنة في إبطال اليمين مع البيّنة) و (دليل الطالب في الفقه و (غاية المنتهى) في الفقه، و (اللفظ الموطأ في بيان الصلاة الوسطى) و (المسائل اللطيفة في فسح الحجج إلى العمرة الشريفة) و (مقدمة الخائض في علم الفرائض)⁽²⁾.

ووضع محمد بن صالح الدجاني الشافعي (المتوفى سنة 1071هـ/1666م) رسالة في حكم الأمر، وأخرى في فصل المساجد⁽³⁾. وكتب عبد الباقي بن عبد الرحمن الخزرجي (المتوفى سنة 1078هـ/1667) شرحاً سماه (الرمز) على كتاب (كنز الدقائق) لأبي البركات النسفي (المتوفى سنة 710هـ/1310م)⁽⁴⁾، وجمع عبد الرحيم بن أبي اللطف المقدسي (المتوفى 1104هـ/1692م) فتاواه التي أفتى بها في كتاب سماه (الفتاوى الرحيمية في الوقعات الحنفية)، وكتب تعليقات على الفتاوى البزازية لحافظ الدين محمد بن البزاز الكردي (المتوفى سنة 827هـ/1423م) وعلى غيرها أيضاً، فجمعها ولده وسماها (الفوائد الرحيمية على كتب كثيرة من كتب السادة الحنفية)⁽⁵⁾.

وفي التفسير كتب رضي الدين يوسف بن أبي اللطف المقدسي (المتوفى سنة 1006هـ/1574م) «تعليقة عظيمة» على تفسير أبي السعود العمادي (المتوفى سنة

(1) خلاصة الأثر 394/1

(2) نفسه 358/4 وهدية العارفين 426/2 وكحالة 218/12

(3) خلاصة الأثر 234/4

(4) نفسه 472/4

(5) سلك الدرر 104 /2

982هـ/1574م) المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» وقد علقها إلى قريب النصف وأهداها إلى أحد القضاة الذين زاروا القدس يومذاك⁽¹⁾. وكتب محمد بن يوسف بن أبي اللطف حاشية على «أنوار التنزيل» للبيضاوي⁽²⁾، بينما وضع مرعي بن يوسف الكرمي نحو عشرة كتب ورسائل في التفسير، منها تفسيره المسمى (البرهان في تفسير القرآن)، ورسائل متنوعة في تفسيرات آيات معينة مثل (اتحاف ذوي الالباب في قوله تعالى: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)، و (احكام الاساس في قوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ...))، و الكلمات السنئية في قوله تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...))، و (بهجة الناظرين في آيات المستدلين) وكتاب في علم الناسخ والمنسوخ سماه (قلائد المرجان) وآخر في الآيات المحكمات والمتشابهات⁽³⁾ وغير ذلك.

وعني آخرون بالكتابة في التصوف والدفاع عن مبادئه، فكتب محمد بن علي العَلَمي (المتوفى سنة 1018هـ/1609م) (النصيحة المرضية إلى الطريقة المحمدية)⁽⁴⁾، ورد عبد الباقي الخزرجي (المتوفى سنة 1078هـ/1667م) على مُنكري كرامات الأولياء برسالة سماها (السيوف الصِّقال في رقية من يُنكر كرامات الاولياء بعد الانتقال)⁽⁵⁾، ووضع مرعي بن يوسف الكرمي رسالة في التربية الروحية سماها (تسليك المريدين)، ودافع عن الصوفية برسالة (الأدلة الوافية بتصويب قول الفقهاء الصوفية) وحاول التوفيق بين الفقه والتصوف برسالة عنوانها (سلوك الطريقة في الجمع بين كلام أهل الشريعة والحقيقة)، وبحث في مسألة الروح برسالة سماها (أرواح الاشباح في الكلام على الأرواح)، وتناول تحديد مصطلح الولاية في رسالته (تحقيق المقالة هل الأفضل في حق النبي صلى الله عليه وسلم) الولاية او النبوة والرسالة⁽⁶⁾ وغير ذلك.

(1) هدية العارفين 2/271

(2) نفسه 2/427

(3) نفسه 2/488

(4) البغدادي: ايضاح المكنون 1/583

(5) هدية العارفين 1/564

(6) كشف الظنون 66

وفي العقائد وضع مرعي بن يوسف المذكور نحو اثني عشر كتاباً ورسالة، بحث فيها مسألة نزول عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان، ومسألة حياة الخضر وأخباره، وأوضح في بعض رسائله حقيقة الميزان، وتكلم في الفرق بين الاسلام والايمان، وفي الصفات الالهية، ورد على كل من كان يحتج على فعل المعاصي بالقدر في رسالته (دفع الشبهة والغدر) وكتب في (تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف) و (توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين)، ووضع رسالة بعنوان (رفع التلبيس عن توقف فيما كفر به إبليس) وغير ذلك⁽¹⁾.

وفي علوم العربية وضع محمد بن موسى العسيلي المقدسي (المتوفى سنة 1031هـ/1621م) حاشيتين، الاولى على (قطر الندى) لابن هشام النحوي، والآخرى على شرحه المعنون (مجيب النداء) لأحمد الفاكهي المكي (المتوفى سنة 1972هـ/1564م)، ثم نظم متن القطر المذكور⁽²⁾، وألف مرعي بن يوسف الكرمي (دليل الطالبين لكلام النحويين) وكتاباً سماه (قرة عين الودود بمعرفة المقصور والممدود)، وآخر في علم البديع سماه (القول البديع)⁽³⁾. وعني أحمد بن مفرح بن عيسى المقدسي (المتوفى بعد 1093هـ/1681م) بالمنظومة النحوية التي وضعها عمر ابن الوردي (المتوفى سنة 749هـ/1348م) فشرحها بعنوان (الهدية الغربية على التحفة الوردية)⁽⁴⁾.

ووضع حسن بن محمود المقدسي (المتوفى سنة 1100هـ/1688م) عدة حواس على شرح (الفتاح في المعاني والبيان) للسكاكي⁽⁵⁾، بينما كتب عبد الرحيم بن أبي اللطف (المتوفى سنة 1104هـ/1692م) كتاباً في الاشتقاق سماه (دلالة الاشتقاق) ثم عاد فشرحه، ووضع آخرون رسائل أخرى في مثل هذه المباحث⁽⁶⁾.

وشهدت الحقبة محاولات متفرقة في الكتابة التاريخية لم تبلغ بمجموعها ما

(1) هدية العارفين 427/2

(2) ايضاح المكنون 654/2 وهدية العارفين 496/1

(3) هدية العارفين 427/2 وايضاح المكنون 25/2 و 52/1 و 64

(4) هدية العارفين 427/2

(5) هدية العارفين 272/2

(6) هدية العارفين 427/2

بلغته هذه الكتابة من شأو على أيدي المؤرخين المقادسة في الحقب السابقة. ولعل من أبرز من عانوا كتابة التاريخ والسيرة مرعي بن يوسف الكرمي، فقد ألف كتاباً اشتمل على السيرة النبوية وسيرة الخلفاء من بعده وسماه (تلخيص أوصاف المصطفى وذكر من بعده من الخلفاء)، وأفرد كتاباً آخر في (مناقب الأئمة المجتهدين)، وثالث في مناقب ابن تيمية بعنوان (الكواكب الدرية)، وكتب كتاباً في تاريخ مصر سماه (نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلطين)⁽¹⁾. وعني محمد بن موسى العسيلي بالسيرة النبوية، فعمد إلى نظم كتاب (التقرب في خصائص الحبيب) وكتب حسن بن محمود المقدسي، رسالتين، يبدو أنهما تدخلان في فن الترجمة للمعاصرين، الأولى (حمد اللطيف الرؤوف في مدح القاضي عبد الرؤوف) والأخرى (قرة العين لمقدمة اوصاف الملا حسين)⁽²⁾.

ويلاحظ في هذه الحقبة تدني العناية بالكتابة الأدبية المحضة، فلم نقف، على طول بحثنا، على أدباء وشعراء اقتصوا بالكتابة في هذا الفن، وجميع ما وقفنا عليه هو نتائج لفئة (العلماء)، من ذلك ما كتبه مرعي بن يوسف بعنوان (تسكين الأشواق بأخبار العشاق)⁽³⁾، والكتاب الذي وضعه عبد الباقي الخزرجي بعنوان (روضة الآداب) ويقع في أربعة مجلدات⁽⁴⁾، وبضعة دواوين شعرية لعلماء آخرين.

ولم تشهد القدس إبان هذا العهد اهتماماً يذكر في العلوم البحتة، وأبرز ما وقفنا عليه في هذا الصدد رسالتان في الفلك والحساب لعبد الله بن أحمد بن يحيى المقدسي (كان حياً سنة 1078هـ/1667م) أولهما (تحفة الأحباب في بيان حكم ذوي الأذنان)، وهي تبحث عن المذنبات السماوية، بينما تبحث الأخرى في الهندسة المستوية، وعنوانها (تحفة اللبيب وبغية الأريب في رُبِّع الدائرة والجيب)⁽⁵⁾.

(1) هدية العارفين 479/1

(2) هدية العارفين 295/1

(3) هدية العارفين 564/1

(4) هدية العارفين ج 2 ص 496

(5) إيضاح المكنون ج 2 ص 237 وهدية العارفين ج 1 ص 479

وفضلاً عما تقدم فإن الحقبة لم تعدم ظهور مؤلفات متفرقة تناول فيها مؤلفوها موضوعات محددة كانت تفرضها مستجدات العصر، أو ظروفه العامة، فكتب محمد صالح بن محمد الدجاني مثلاً رسالة (في عمارة حدوث المسجد الاقصى)⁽¹⁾. ويظهر انها كانت بمناسبة القيام ببعض أعمال التعمير في المسجد. ووضع مرعي بن يوسف رسالة في (حكم السماع والأوتار والغناء والأشعار) دلت على عناية بعض معاصريه بفنون الموسيقى والغناء، كما كتب في (استعمال الذهب والحرير)، ووضع رسالة (في فضل السلطنة والوزارة) لعله كتبها على سبيل التهئة لأحد معاصريه بنيله منصباً ما، وتناول إحدى أشد الكوارث التي كانت تهدد البلاد في رسالتي سماهما (تحقيق الظنون بأخبار الطاعون) و (ما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون)، وحث أهل عصره على الجهاد في رسالة يظهر أنه ألفها بمناسبة بعض الحروب، ولم يفته ان يتناول ظاهرة التدخين التي أخذت ملامحها المبكرة تظهر عهد ذلك في رسالته (تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يستعمله الناس الآن)⁽²⁾.

ومع أن أكثر هذه الكتب والرسائل لم يُطبع بعد، بل فقد أكثر نسخها الخطية، فان عنواناتها تكشف عن طبيعة الاتجاهات الفكرية التي كانت تسود ذلك العهد، وهي اتجاهات تعد استمراراً لجهود الأجيال السابقة من العلماء العرب، وتمثل في الوقت نفسه جزءاً من النسيج الثقافي الواحد في المنطقة.

ملاحق البحث

مشجرات انساب الاسر العلمية في القدس في القرن 11هـ/17م

أ- بنو ابي اللطف

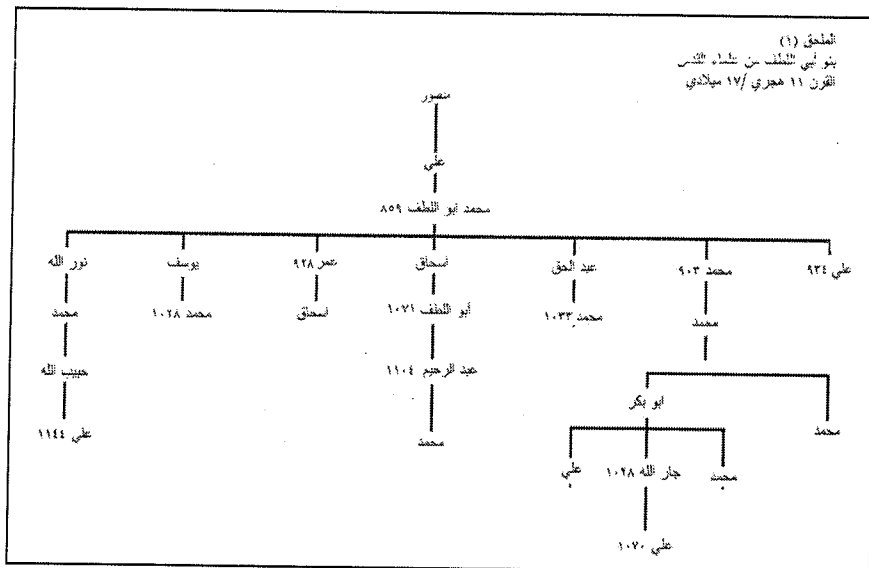
ب- بنو العلمي

ج- بنو الدجاني

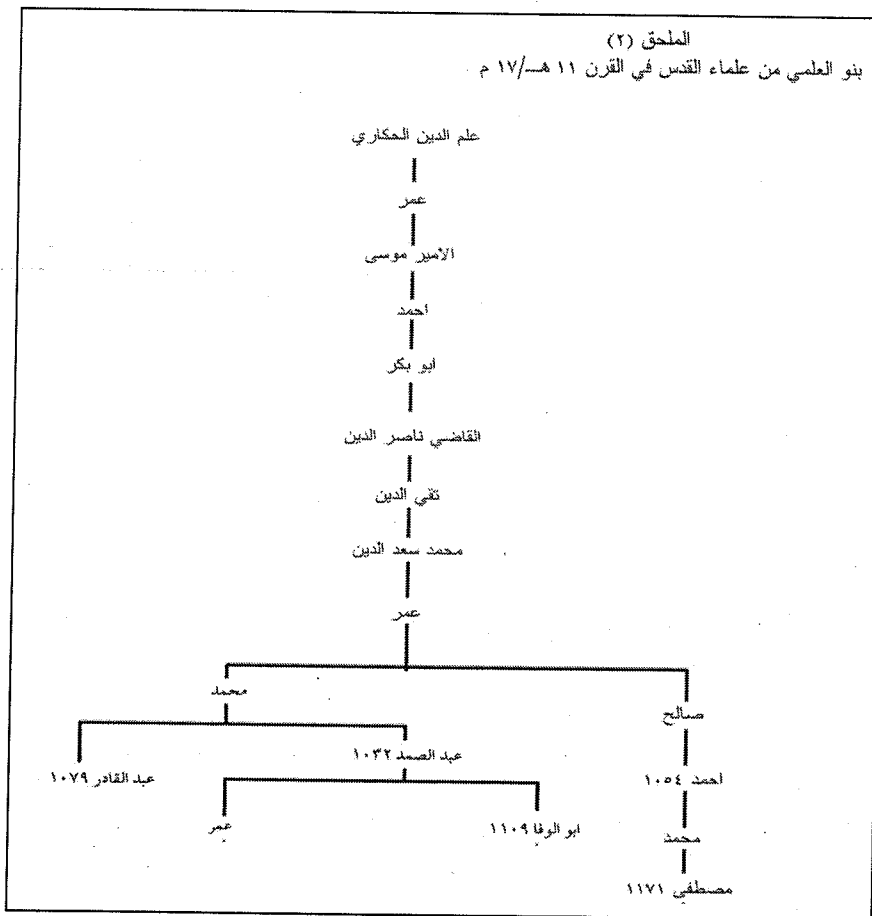
(1) هدية العارفين 2 ص 288.

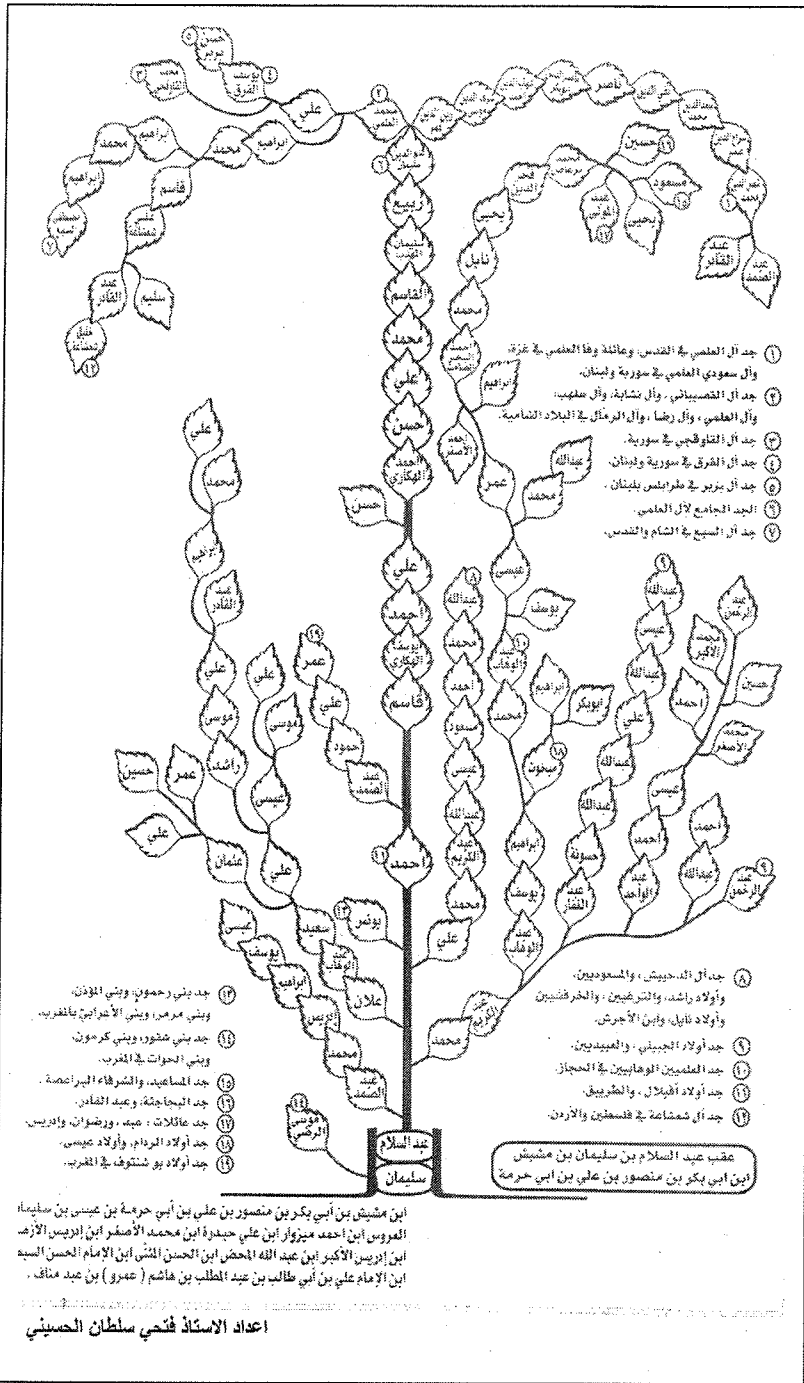
(2) نفسه ج 1 ص 427 وايضاح المكنون ج 1 ص 266 و 264 وص 321 وج 2 ص 478.

الملحق (١)
بنو أبي اللطف من علماء القدس
القرن ١١ هجري / ١٧ ميلادي



الملحق (٢)
بنو العلمي من علماء القدس في القرن ١١ هـ / ١٧ م

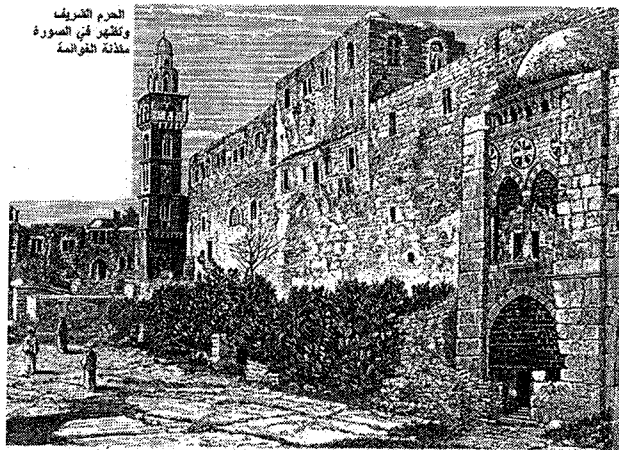
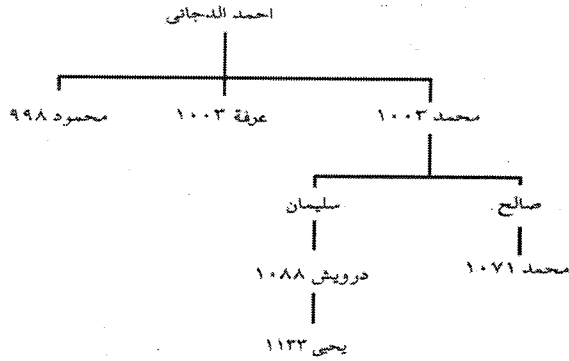




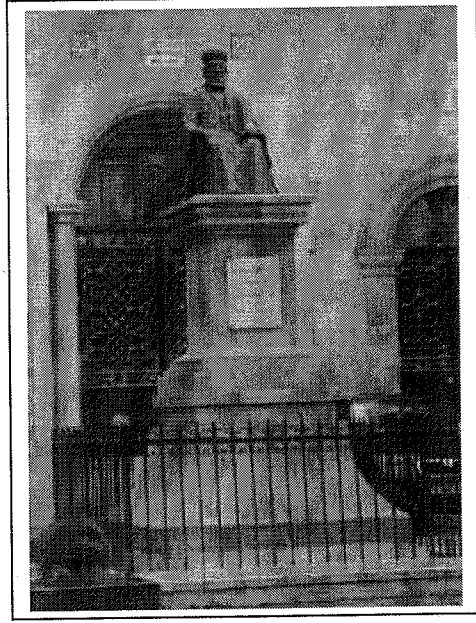
شجرة آل العلمي كما في وثائق الأسرة ويظهر فيها أن نسبها يتصل بالأدارة

من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)

الملحق (٣)
بنو الدجاني من علماء القدس
في القرن ١٢هـ، ١٧م



جرمانوس فرحات كما يتجلى في ديوانه



تمثال فرحات في مطرانية حلب

جبريل بن فرحات آل مطر، أو جرمانوس فرحات كما سُمِّي فيما بعد، شخصية بارزة احتلت مكانة مهمة في تاريخ الرهبنة المارونية في لبنان ثم في حلب، ولد في 20 تشرين الثاني سنة 1670، من أسرة قديمة انحدرت من بلدة (حصرون) في جبل لبنان، واستقرت في حلب، وتلقى العلم في هذه المدينة على أيدي علماء مشاهير، ووجد طريقه إلى مدارس المدينة المعروفة، وشيوخها، فأتقن علوم العربية لا سيما علوم اللغة والأدب، ونزعت نفسه في سنة 1690 إلى الرهبنة، وترهب فعلا سنة 1693، ثم قصد لبنان، موطن أجداده، حيث انضم إلى الرهبنة المارونية⁽¹⁾، وتقلب في المناصب الدينية راهباً ورئيساً لأديرة عدة، فعمل على تنظيم قواعد الرهبنة، وتقويم السلوك الرهباني، كما انصرف أيضا إلى الدرس النحوي والصرفي، وألف غير كتاب لقيت إقبالا في عصره، منها (الأجوبة الجليلة في الأصول النحوية) و(إحكام باب الإعراب) و(المثلثات الدرية) و(المطالب

(1) ذكر بعض من ترجم له أنه دخل سلك الرهبنة في هذه السنة على يد البطريرك اسطيافان الدويهي الماروني والذي يظهر من ديوانه أنه كان راهبا حينما غادر حلب إلى لبنان.

في علم العربية) في النحو⁽¹⁾، وجميعها طُبِع، ووجد انتشاراً لا سيما بين المسيحيين في الشرق، ومن الكتب الاخرى (بستان الرهبان) في وجوب الصلاة وقد طبع، وتاريخ الرهبنة اللبنانية⁽²⁾، طبع، و(الرياضة الروحية أو الحاشية في تدبير رياضة المتروّضين)، طبع⁽³⁾، وكتاب في الأدب سماه (بلوغ الأرب في علم الأدب)⁽⁴⁾، طبع، وغير ذلك، فكان بذلك الأب الروحي لجيل من الأدباء واللغويين اللبنانيين الذين سيلمع نجمهم في القرنين التاليين، أمثال إبراهيم اليازجي، وجرجي زيدان، وشبلي شميل، وبطرس البستاني، ويعقوب صروف، وغيرهم من أساطين النهضة الأدبية الحديثة. وتولى الأسقفية في حلب نحو عقد من الزمن حتى وفاته. وكان فضلاً عن ذلك يجيد من اللغات العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية.



جرمانوس فرحات

ولفرحات شعر نظمته بين سنة 1690 اي منذ أن كان شاباً في العشرين من عمره وحتى سنة 1719، ولم يكن قد رتبته في ديوان فقُدّر لأحد أصدقائه المعجبين بشعره أن يجمعه في ديوان مستقل، ولبث مخطوطاً حتى طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة 1886، وقد شاء القدر أن نطَّلَع على نسخة خطية نادرة من هذا الديوان محفوظة بين مجموعة المخطوطات التي أودعها الناشر توماس فيشر Thomas Fisher (ولد في يورك شاير سنة 1793 وتوفي في كندا سنة 1874م) في مكتبة جامعة تورنتو في كندا⁽⁵⁾.

(1) طبع في مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1995.

(2) طبع في جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان 1988

(3) طبع في دار المشرق في بيروت سنة 2001

(4) طبع في دار المشرق 1990

(5) تزايد عدد الكتب التي وصلت إلى هذه المكتبة، من المجموعات النفيسة المهداة، حتى بلغت

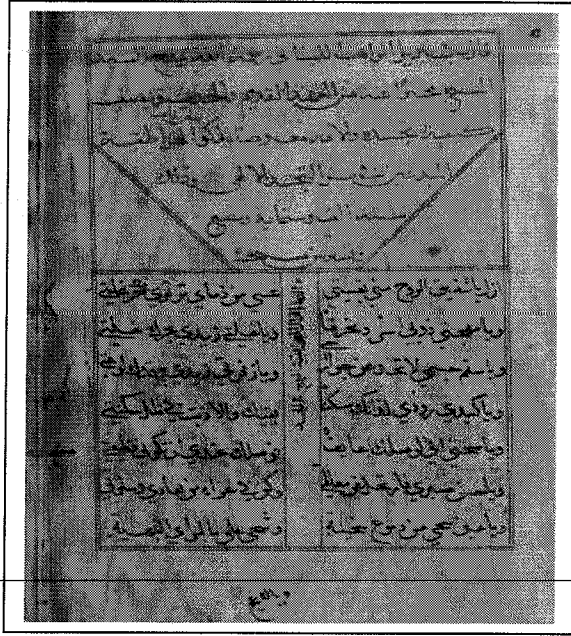
نحو 700000 كتاب، عدا ما يقدر بثلاثة آلاف متر من المخطوطات.

فتبين لنا أن هذه النسخة تمثل أصل الديوان، وأنها تضم من المقدمات التوضيحية للقصائد والتعليقات والحواشي ما يزيد على قيمتها⁽¹⁾، وتلقي أكثر من ضوء على حياة هذا الراهب العالم، ومراحل من سيرته بما فيها من معاناة ومكابدات. وصحيح أن عددا من الدراسات والمقالات قد وضعت عن حياته، إلا أن الوقوف على نسخة الديوان الأصلية من شأنها أن تضيء ما سكتت عنه تلك المصادر، وتوضح زوايا جديدة بالاهتمام من حياته. ومما يؤكد أهمية هذه النسخة أن اسم الشاعر الذي وجد في مقدمته هو الاسم القديم الذي عُرف به قبل أن ينال منصب أسقفية حلب، وهو جبريل، بينما كتب على ديوانه المطبوع أنه (ديوان الحبر الفاضل النبيل، و العالم العلامة الجليل، السيد جرمانوس بن فرحات مطر الماروني مطران حلب و تعمده الله برحمته و أسكنه فسيح جناته و نفعنا بكثرة أتباعه و عدد مصنفاته).



الصفحة الأولى من مقدمة الديوان

(1) على الورقة الأولى من المخطوط عنوان كتبه أحد المتأخرين هو (ديوان السعيد الذكر المطران جرمانوس فرحات الماروني)، وعبارة غير واضحة تماما يقرأ منها (كتب... في 15 شهر آذار سنة ألف وسبعمائة وتسعة وتسعي سنة 1799 مسيحية) ووقفية نصها (وقفاً مؤبداً وحيساً مخلداً برسم وتملك الرهبنة اللبنانية سنة 1828 مسيحية عربية.. وقد خصصنا هذا الكتاب بمكتبة دير... ولا نسمح أن يخرج من الدير تحت... غضب...)



الصفحة الاولى من الديوان

تقع المخطوطة في نحو 400 صفحة⁽¹⁾، وهي مُجدولة بمداد أحمر بعناية، وكتبت التعليقات التوضيحية على كل قصيدة في وسط اطار أفقي، أو مَعيني، باللون نفسه، ويبلغ عدد القصائد والمقطعات الشعرية فيه 375 قصيدة ومقطعة في مختلف الأغراض، كثير منها في مدح السيدة مريم، يليها في مدح السيد المسيح، وفي الاخلاق والحكمة، وفي الوعظ عامة، وفي أغراض أخرى متنوعة. ويلاحظ أن هذه القصائد والمقطعات لم تأت مرتبة على أي سياق، أما في النسخة التي طبعها الآباء اليسوعس فهي مرتبة على حسب حروف القوافي، وقد تقدمت الديوان مقدمة في ثلاث صفحات كتبها جامع الديوان ومُهدبه، وهو - كما يقول - قريب الشاعر وصديقه، قال فيها ما نصه (الحمد لله الذي خلق الإنسان، وزينه بحسن المعاني وإحسان البيان، من البلاغة والفصاحة والأوزان. وبعد فلما وقفت على شعر الشيخ جبريل بن فرحات القس المترهب تحت قانون الرهبان اللبنانيين المنتمين إلى اسكيم⁽²⁾ القديس انطونيوس الكبير، واخترت

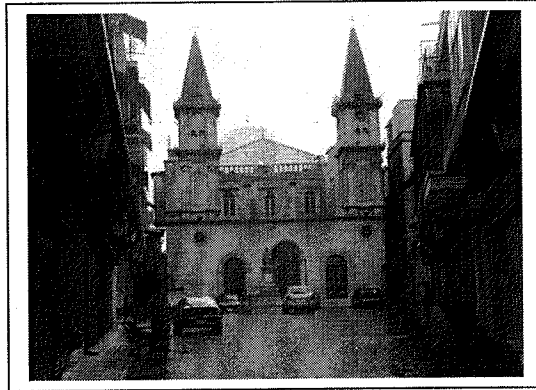
(1) وهي محفوظة في المكتبة تحت العدد 1039

(2) الاسكيم حزام من الجلد فيه مجموعة من الصليبان يلبسه الراهب حين دخوله في الرهينة ، أو عند التقدم في الحياة الروحية، وللبسه طقس خاص، كما يتوجب على لابسه واجبات عدة، وفق قوانين خاصة، تزيد على ما يطالب به سائر الرهبان.

رقة منطقته وإنشاده، فرأيته قد أجاد في معرض الفصاحة، وغالى في وادي البلاغة، وقد ضمن قريحته معان مختلفة ومبان مؤتلفة..وقد غالت بعض أشعاره يد التحريف والسناد والخلل والزحاف، فاستغنت على تعبه، وتوجهت لنصبه، فاجتمعت به من حيث أنه أخي وصديقي وسَميري ورفيقي، وكلفت بمبان سيضم إليه أشعاره بمجملها ومفردها، ومتقف ميلها وأودها ويهذب ما كان أخل بنظمه ونقص.. ورسمه، من حركة تزيد ومن مبنى ركيك ووزن شارد ولفظ هجين، لأن من بعد موته لا أدري إن كان يوجد من يتم له عرضه...»، فالجامع كان قريباً من الشاعر وهو الذي تحمل مسؤولية انتقاء قصائده، وتصحيح هفواتها النحوية والعروضية، ولكن الأهم فيها أنه قدّم لمعظم القصائد بمقدمات قصيرة توضح الغرض من ورائها، وموضوعها، وسنة نظمها، معتمداً بلا شك على إفادات الشاعر نفسه، وهو ما يساعد الباحث في الوقوف على تفاصيل حياته في حقبة مهمة مرتبة على السنين.

والمحور الذي يدور حوله معظم الديوان هو الرهبانية والحياة النسكية، وإن كانت ثمة قصائد بعيدة ظاهراً عنها إلا أنها تعبر عن روحها غالباً، ونستطيع أن نفهم الرهبنة بحسب وصفه، بأنها تعني التقى والتورع عن السيئات، وكثرة الصلاة والعبادة، والسهر ليلاً، وعدم الإسراف بالطعام، وعدم السكر، والعلم، والعمل به، والتواضع الجَم، والطهارة الجسدية والروحية، وذم الدنيا، والتوبة.

ونستطيع أن نلمح تأثر الشاعر ببعض الشعراء القدماء، ذكر منهم ابن سينا وأبي العلاء، كما تأثر إلى حد كبير بابن الفارض في عشقه الإلهي، وبالْبوصيري في أماديه النبوية، وغيرهم.



ساحة فرحات في حلب

ويمكن ترتيب السياق التاريخي للقصائد المؤرخة على النحو الآتي:

سنة 1690

ثمة ثلاث قصائد، واحدة مؤرخة في هذا التاريخ، تتناول موضوعاً دينياً تاريخياً استمدته من الإنجيل مباشرة، وهو اصطباغ⁽¹⁾ السيد المسيح في نهر الأردن⁽²⁾، وربما كانت هذه القصيدة من أوائل ما نظمته في حياته، أو سجله في ديوانه هذا، والأخرى قالها على البديهة «عندما تحرك قلبه نحو الرهبنة وأراد الدخول فيها»⁽³⁾، وقد صرح جامع ديوانه أنه «أول شعر قاله»:

ومطلعها

ما كلُّ من يهوى الصِّلاحَ مُوقِفٌ ما كلُّ ما يُعطى الولاءَ مُقْلَدٌ

ويظهر من هذه القصيدة أن توجهه إلى الرهبنة سبق انتماءه إليها فعلياً بنحو

ثلاث سنوات.

أما الثالثة فهي في مدح «مريم البتول وديرها المعروف بصدنا»، وهو يقصد دير السيدة العذراء في بلدة صيدنايا، وقد أمر بإنشائه الأنبراطور البيزنطي جستنيان (482-565م)، ويعد من أهم المواقع المسيحية في العالم.

سنة 1691

أثبت قصيدة واحدة تحمل تاريخ هذه السنة، وتتناول موضوعاً إنجيلياً كسابقتها، وهو سلاق (أي صعود) المسيح إلى السماء⁴.

سنة 1694

ثمة ثلاث قصائد يحمل كل منها تاريخ هذه السنة، أولاهما في «توبيخ النفس» وهي في الوعظ ومعاقبة النفس وتخويفها بالموت⁽⁵⁾

وأولها

(1) الاصطباغ لغة: التلون بشيء

(2) ص 145

(3) ص 342

(4) ص 193

(5) ص 105

أوائل السُّهد وآخر لذة الوَسْن
كالنطق أوله من آخر الفطن
كذا الشيبُ إذا ما حلَّ في لم
أقصى الشباب وأوهى صحَّة البدن
ومنها

كأننا في أمانٍ من فجائعنا
والفخ من شأنه للعين لم يبين
والأخرى في قيامة المسيح من بين الأموات⁽¹⁾، والثالثة في التوبة⁽²⁾، والرابعة
في مدح مريم البتول⁽³⁾، وقد نظمها في حلب. وأولها:

عج بالحمى يا راكبَ الوجناء
ففساك تُحيي ميّت الأحياء
واقراً السلام أهيل ذياًك الحمى
مني فإني عن حماهم نائي
إن كنت تجهل مربي فامش إلى
نار يقدّها تنفس الصعداء
أو كنت تجهل في الحمى أرجاءهم
يهديك منها تزوع الأرجاء
وثمة قصيدة أخرى لا تحمل تاريخاً ولكنها مما نظمها في حلب، وقد وصف
فيها نهرها (قويق) وجمال الطبيعة فيها، قائلاً:

لله يومٌ في الرياض قطعته
بحمى قويق مثله لن أبصرا
والزهرُ في تلك الرياض كأنه
زُهر النجوم على بساط أخضرا
والريح في فنن الأراك مُشَبَّبٌ
لما رأى الغصنَ المجردَ مزهرا
والغصنُ يرقص تحت أذيال الصبا
فيكاد من طرب به أن يكسرا
والورق في أعلى الغصون كأنها
همزاتُ قطع قد علونَ الأسطرا
والسُحْبُ تبكي والبروقُ ضواحكُ
كالعسكر المنصور يطردُ عسكرا
والماءُ في تلك الشَّعاب كأنه
أيم⁽⁴⁾ جفولٌ قد أخيف فآدبرا
ما زال يجمع من مداه جارياً
حتى هوى من شاهق فتكسرا

(1) ص 85

(2) ص 361

(3) ص 176

(4) الأيم هنا: الحية

سنة 1695

توجد قصيدة مؤرخة في هذه السنة. موضوعها مدح السيد المسيح⁽¹⁾. وفي دخول السيد المسيح اورشليم يوم الشعانين.

سنة 1696

هناك ثلاث قصائد مؤرخة في هذه السنة، الأولى في حلول الروح القدس «معرضاً بأنوار الرسل، ورياسة كرسي ماري بطرس في رومية الكبرى»⁽²⁾، وفي مولده⁽³⁾، وفي مدح السيدة مريم، وبشارتها⁽⁴⁾.

سنة 1697

ثمة قصيدتان نظمهما في هذه السنة وأثبت في كل منها تاريخ السنة، وهما قصيدة في تجلي السيد المسيح من فوق جبل تابور⁽⁵⁾، ومطلعها

جلا مذ تجلّى أعيناً فيك تدمعُ مسيحٌ بأعلى طوره النورُ يلمعُ
يريك ذرى الطابور مبلجَ الضيا كأن الدراري من أعاليه طلعُ

وفي مدحه «مخبراً عنه في العهد القديم والحديث»⁽⁶⁾ ومطلعها:

أزل يا شقيق الروح مني بقيتي عسى من دمائي ترتوي فيك غلتي
ويا مهجتي ذوبي أسىً وتحرقاً ويا زفرتي زيدي بوقدك لوعتي

وفي القصيدة إيماءات إلى أزمت نفسيية قاسية كان يعيشها آنذاك، إذ تتكرر فيها ألفاظ مثل (مصاب) و(غوائل) و(علة) و(النكال)، وما أشبه ذلك.

سنة 1699

له قصيدة واحدة أرخها في هذه السنة، وهي مهمة لأنها تكشف عن أنه غادر حلب في تلك السنة إلى لبنان، حيث دخل دير (مرت مورا) الكائن في الجهة الجنوبية الغربية

(1) ص 115

(2) ص 65

(3) ص 138

(4) ص 93

(5) ص 75

(6) ص 6

من أهدن على وادي قزحيا في لبنان⁽¹⁾، ويذكر مترجموه⁽²⁾ أنه غادر حلب قاصداً لبنان بعد أن دخل في سلك الرهبنة المارونية سنة 1693، مع أن القصيدة توضح أنه ظل يعيش في حلب حتى 1699، ومن ثم فإن دخوله هذا الدير جرى في التاريخ الأخير لا قبله. ومن الملاحظ أن الديوان خلا من قصيدة مؤرخة في سنة 1693 ومن ثم لا نجد ما يسجل دخوله الدير في هذه السنة، و«كان قد استشهد إياها حاكم البلاد، ويسمى عيسى، من آل حماده، وطلب إليه وطلب إليه أن يعارض أبياتاً لذلك المارق على الوزن والقافية»⁽³⁾، وكانت أسرة آل حمادة قد فرضت سيطرتها على منطقة عكار في الحقبة الممتدة من أواخر القرن السادس عشر وحتى أوائل القرن الثامن عشر. وكان الآباء المترهبون قد استأجروا بعض الأراضي الصالحة للزراعة لتدرّ عليهم من المال ما يلزمهم لشؤون الحياة، فكان مما استأجروه مزرعة (عين بقرة) من الشيخ عيسى حمادة، وذلك بعشرة قروش في السنة، وتقع هذه المزرعة في شمالي بلدة أهدن، وظل الرهبان يعملون فيها ويستصلحونها حتى تملكوها فيما بعد⁽⁴⁾.

1705

له قصيدة واحدة مؤرخة في هذه السنة، وهي في مدح مار جرجس الشهيد نظمها في حلب مما يدل على أنه لم يكن قد غادرها حتى ذلك التاريخ⁽⁵⁾ وله في هذا التاريخ رسالة في المثلثات اللغوية في التصريف التي نظمها على غرار مثلثات قُطْرُب، فاللفظة الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، والثالثة مضمومة، وقد سماها المثلثات الدرية.

1706

له ثلاث قصائد مؤرخة في هذه السنة أولها أرجوزة فيما يلزم كاهن الإعراف⁽¹⁾، قال في أولها:

(1) اشموني امرأة صالحة من صعيد مصر، صلبت في سنة 283م، أما الدير فبني سنة 1339م.
(2) تنظر ترجمته في لويس شيخو: شعراء النصرانية بعد الإسلام، بيروت 1982، ويوسف داغر، مصادر الدراسة الأدبية، بيروت 2000، ومارون عبود: رواد النهضة الحديثة، بيروت 1952، وجرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج4، ص13 والزركلي: الأعلام ج2 ص110 ومجلة المشرق، السنة 7، شباط 1904، العدد3، ص105-111 وعيسى فتوح: الموسوعة العربية ج18 ص382.

(3) ص404

(4) ينظر ajdadalarab.wordpress.com

(5) ص249

يا أيها الأب المُكرَّم التقي والكاهن الموسوم بالعلم النقي
 إسمع نصيحةً تفيدك الرضا في الإعراف كأنها نور أضا
 يا كاهناً مُعرِّفاً قد اقتضى أنت الصديق والطبيب والقضا
 عليك أن تعرف نوع المعترف كذا ورتبته ومهنته تصف
 إن كنت ممنوعاً ولن تعرفا فغير جائز لك أن تعرفا

وثانيها منظومة تضمنت المزامير الخمسة «التي رتبها القديس بنونتورا في مدح مريم العذراء، وهي على وفق لفظ ماريا في اليوناني، أي مريم في العبراني، والتزم في أول كل بيت وآخره بحرف من حروف ماريا، وهذا النوع يسمى في الصياغة البديع بمختوم الطرفين»⁽²⁾، مطلعها:

مريمٌ مدينة مولاها معظمة في بيعة الله من ساع على القدم
 وثالثها منظومة تتناول العيوب الثمانية: الشراهة، الزنا، محبة الفضة، الغضب، الحزن، الضجر، المجد الباطل، الكبرياء⁽³⁾.

سنة 1707

له قصيدتان في موضوع واحد، وهو الرهينة، وأولى هاتين القصيدتين يمدح فيها «الرهينة الشريفة»⁽⁴⁾، والأخرى «في ابتغاء الرهينة»⁽⁵⁾. ونجد في دياباجة الديوان تعليقة تفيد أنه انتقل إلى لبنان حيث انتمى إلى سلك الرهينة الانطونيونية التي أسسها القديس انطونيوس الكبير، فأصبح، كما سمي، مترهباً «تحت قانون الرهبان اللبنانيين».

بُشراك بَشراك قد أدناكم النَّائي وأومضَ البرقُ من تلقاء عذراء
 فالجو مُنْبَجسٌ بالنور مَفْرَقَة والأرضُ قد سَمَت عن ثغر لمياء

(1) ص 38

(2) ص 40

(3) ص 54

(4) ص 83

(5) ص 151

وغرّد الطائر السري من طرب
 والريح تكتب فوق الماء أنملها
 لما رأى القُضب ترقص رقص هيفاء
 سطرًا تحاكيه بين الدر والماء
 ولاح شمس الهدى في بُرج طالبه
 بشارة قدّست أرحام حواء

سنة 1708-1709

له في هذه السنتين أربع قصائد تحمل تاريخها، وهي تكشف عن الأماكن التي قصدها، أو نزل فيها في لبنان، فثمة قصيدة يمدح فيها أحد الكتاب جاء في مقدمتها أنه «كان مقيماً في دير مار انطونيوس قزحيا من جبل لبنان»⁽¹⁾ فهذا هو تاريخ نزوله في الدير وتأسيسه مع عدد من رفاقه الرهبنة الأنطونية فيه، ويعد هذا الدير، الواقع في شمال لبنان، أحد معاقل الطائفة المارونية، وقد أسسه القديس انطونيوس سنة 1584م، وأصبح تابعاً لأبرشية زغرتا للموارنة هناك، واشتهر بأنه شهد تأسيس أول مطبعة عربية في البلاد العربية سنة 1610. وكان يضم مدرسة رهبانية، كما توجد بقربه مجموعة من (المحابس) التي يقصدها المترهبون لغرض الاعتكاف والزهد.

مضت المدة الأولى من إقامته سعيدة بتأملاتها الروحية، إذ نجد له قصيدة في غاية الرقة مؤرخة في العام نفسه، موضوعها «في محبة الله للبشر»⁽²⁾ كما نقرأ له في هذه السنة قصيدة رقيقة تدور حول محبة الله والعشق الإلهي⁽³⁾، منها قوله في أولها:

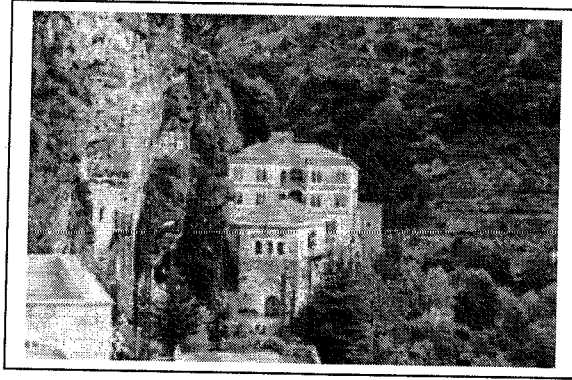
الله الله أنتَ السَّمْعُ والبَصْرُ
 هَوَيْتُكُمْ والهوى مني على صغر
 في العاشقين وأنتَ الفوز والوطرُ
 يا حَبْدًا وله قد زانه صغرُ
 أهوى فليس له من دونكم أثر
 هجرتُ فيكم ربوع الوالدين وما
 فكأنه فكأكُ وكأنكم قمر
 سيروا الهوينا بقلب سائر بكم
 والحب دائرة وشعاها الفكر
 الذكر صورتكم والقلب مركزها
 في أفقها قمر دانت له الصور
 كأن عيني إذا صورتكم فلك

(1) ص 91

(2) ص 217

(3) ص 100

وأخرى في مدح القريان المقدس⁽¹⁾ وكان قد نظمها راهباً «عند رجوعه من حلب».



دير قزحيا

على أن القصائد الأخرى التي نظمها في هذا العام تكشف عن أنه عاش في هذا الدير فترة حافلة بالمشاكل الاجتماعية والشخصية، فإننا نقرأ له أيضاً قصيدة عن «شقاوة الهالك في جهنم»⁽²⁾ يومئ فيها إلى بعض من كان يناصبه الخصومة، كما نقرأ قصيدة أخرى في «أمر عرض له»⁽³⁾ ولم يوضح طبيعة ذلك الأمر، وصادف أن توفي له أخ يدعى أرسانيوس فأثر ذلك في نفسه حتى أنه رثاه بقصيدة مؤثرة، ثم وجدناه ينظم قصيدة «ينصح نفسه ويعنفها»⁽⁴⁾، وأخرى في «مناسك النسك القديسين»⁽⁵⁾، وثالثة «في الفقر الاختياري في الرهبنة»⁽⁶⁾، يظهر أنه كان يقارن فيها بين رهبانية النسك السابقين وبين سلوك بعض الرهبان المعاصرين له، وتشير مصادر ترجمته إلى أن خلافاً نشب بين رهبان الدير أدى إلى أن يترك الدير ويعتزل الرهبنة منزوياً في قرية (زغرتا) القريبة في شمالي لبنان ليعمل معلماً للأولاد هناك، وتوضح قصيدة مدى معاناته في هذه الفترة من حياته، حتى أنه قصد طرابلس مبتعداً عن بيئة الدير، حيث ورد في صدرها أنه نظمها في طرابلس وهو «يندب حاله بشدة نما دهمه من التجاريب

(1) ص 169

(2) ص 59

(3) ص 87

(4) ص 163

(5) ص 69

(6) ص 356

ثم يشجع نفسه على احتمالها، يؤنس نفسه ويلومها»⁽¹⁾، وثمة قصيدة غير مؤرخة تكشف عن «إنفصاله عن جبل لبنان مغتاضاً»⁽²⁾، من المحتمل أن يكون لها تعلق بأزمة الدير المذكور. وقصيدة أخرى غير مؤرخة «مضمناً واقعة حدثت له مع أحد الخارجين وهو في طرابلس»⁽³⁾، وأخرى «يشكو من الدهر ويعاتب بعض إخوانه»⁽⁴⁾، وثمة قصيدة غير مؤرخة لكنها تتصل بسابقتها من حيث الموضوع، نظمها «في واقعة حدثت له مع واحد خان ما كان قد وعد به، ثم انفصل منه لخيانته، يقول فيها:

ذهب الناكث عنا	فاصلحننا واسترحنا
راح يشكونا ونشكو	نحن ما يشكوه منا
ما كفاه من دهاه	قد رزئنا وافتضحنا
ليتنا ينسى فننسى	فعله لفظاً ومعنى
ونواري باحتشام	كل ما يفعل معنا
نشكر الله بأنا	عن حماه قد نرحنا

ولكنه ما أن سمع نبأ انتهاء ذلك الخلاف حتى عاد إلى الدير مرة أخرى، ثم تركه ليتولى رئاسة دير اليشع النبي، قرب زغرتا، حيث نظم قصيدة أخرى جاء في صدرها أنه نظمها «عند رجوعه إلى ديره المعروف بدير اليشع النبي في قرية بشرى»⁽⁵⁾، ومطلعها:

لو كان للأفلاك نطقاً أو فمٌ
لترنموا بمدحك يا مريمُ

وقصيدة يمدح القديس يوسف في ديره في قرية زغرتا، ويظهر أن مدة رئاسته لهذا الدير كانت حافلة بالنجاح، فإننا نجد قصيدة رابعة له «يمدح رهبنة اللبنانيين ويمدح ديرهم دير اليشع النبي في سفح الوادي المقدس من جبل لبنان في قرية بشرى»⁽⁶⁾، ويذكر إقامته في ذلك الدير»⁽¹⁾

(1) ص 239

(2) ص 398

(3) ص 430

(4) ص 106

(5) ص 118

(6) ص 396

وكان مع ذلك كثير التردد إلى منطقة كسروان في لبنان، لأننا وجدناه فيها «يمدح ملته المارونية في كسروان»⁽²⁾ سنة 1707، وله قصيدة يمدح فيها كسروان في السنة نفسها⁽³⁾، وثمة قصيدة مؤرخة في سنة 1718 موضوعها الحواس الخمس الباطنة، وهي الذكر والتصور والفكر والفهم والإرادة، نظمها «وهو في بلاد كسروان»⁽⁴⁾.

سنة 1710

ثمة ثلاث قصائد مؤرخات له في هذا العام، الأولى في مدح العذراء وذكر مولدها⁽⁵⁾ وهو موضوع طالما تناوله في كثير من قصائده، والثانية يصف فيها «الضر الناشئ عن الخطيئة ويعاتب مرتكبها»⁽⁶⁾ إلا أن القصيدة الثالثة منها تكشف عن متاعب اجتماعية أخرى و(تجارب) مؤلمة، وكان يشكو فيها «من أحد إخوانه ومن التجارب التي ألمت به»⁽⁷⁾.

سنة 1711

سافر فرحات إلى روما، ومن هناك قام بجولة في بعض دول أوروبا، ولذلك نجد له في في السنة نحو تسع قصائد مهمة مؤرخة، أما الأولى فهي حين وصوله (بلاد النصارى) على حد تعبيره، وربما يقصد أوروبا، وقد وصف فيها «غربته» في تلك البلاد، و«يذكر اخوته الرهبان الذين فارقهم في جبل لبنان»، وشرع يعاتب نفسه ويحاسبها قائلاً:

نصحتكم واتخذت الغي لي عملاً	لذاك نُصحي لكم قول بلا عمل
أنا المريضُ فلا تغررك عافيتي	ما أقبح القول من دُفِّ لك اعتدل
أدركت موتي وما أدركت غايته	من توبة عن طريق الإثم والزلل
خالفتُ شرعَ الذي بالشرع خلصني	أهنتُ عزَّتَه بالجند والجدل

(1) ص 369

(2) ص 128

(3) ص 133

(4) ص 430

(5) ص 74

(6) ص 183

(7) ص 183

ثم عرج من ذلك إلى مديحه «السيد المسيح ووالدته»⁽¹⁾، ثم نجده يصل روما،
فينظم قصيدة ثانية «يمدح رومية الكبرى حين دخلها»⁽²⁾، قائلاً

صخرة الإيمان صارت وعرفت الصخر ماكن
فاتخذها لك أساً أبداً من غير لكن

وتأخذ المدينة التاريخية الكبيرة بلبه، فكان أن زار ضريح القديس بطرس
ومدحه في قصيدة ثالثة⁽³⁾، وأثارت روما بجوها الروحي شجونه فشرع يعاتب
نفسه، ويلومها على ما فعله في حياته، فنظم قصيدة رابعة «ينعى سوء سيرته»⁽⁴⁾،
وكان كثيراً ما يتذكر «وطنه واخوته الذين فارقهم في جبل لبنان حين رحل عنهم
إلى بلاد الغرب»، وقد نظم قصيدة رابعة له في ذلك المعنى أرسل بها «إلى أحد
إخوانه في الديار المصرية»⁽⁵⁾.

عيني لتلك الناحية أفتاتها متواليه
تذري الدموع سخينة من جفنها متتاليه
فتطل من أشواقها تبكي بعين هاميه
تبغي ديار أحبة كانت عليهم راضيه

وقد وصف فيها أيام له مضت بين الرهبان في أديرة لبنان حيث كانت له فيها
ذكريات عزيزة، وفيها وصف طبيعة تلك الأماكن الخلافة

لهفي على زمن مضى مع إخوة في البادية
في ذلك الوادي الذي ال أفراح فيه واقية
فكانه لي جنة وبه قطوف دانية
فيه النفوس أمينة وبه الملائك واقية

(1) ص 374

(2) ص 386

(3) ص 385

(4) ص 390

(5) ص 390

تهتز	لي	أغصانه	فكأنها	بي	هازيه
والريح	تثقل	بيننا	أخباره		كالواشيه
فيه	السواقي	جارية	ليس	الجواري	ساقيه
ورياضه		كزهوره	غضبي	وأخرى	راضيه
والورق	إن	ناحت	بدت	عين	السحاب
يا	أيها	الوادي	الذي	فيه	الفضائل
قد	ضم	من	رهبانه	من	كل
				نفس	غاليه

وفي قصيدة خامسة نجده يُذكر أخا له من والديه في حلب فنظم فيه مدحه قصيدة أرسلها إليه وهو مقيم في روما، وقد عبر فيها عن شوقه إلى مدينته حلب، فمدحها وأتى على ربوعها. (1) ونظم قصيدة سادسة في وصف منطقة قزحيا حيث دير انطونيوس، فجاءت حافلة بالشوق «إلى الوادي المقدس وهو في رومية، ثم يمدحه ويصف حسن آثاره» (2)، و«لأمر ما» نجده بعد حين من ذلك العام، يغادر روما متجها إلى صقلية (3)، ومنها انتقل إلى مالطة حيث نظم قصيدة «لما حل في جزيرة مالطا، وبلغ جزيرة ميس من بلاد الروم وقد اعتراه مرض» (4) ولا توضح سيرته نوع ذلك المرض الذي أصيب به، ولكننا نقرأ له قصيدة غير مؤرخة تشير إلى إصابته بمرض الاستسقاء (5). وتقول مصادر سيرته أنه قصد بعد ذلك إسبانيا متفقدا ما فيها من آثار العرب، وقد حصل فيها على بعض المخطوطات ونقل عددا منها إلى لبنان. بينما لا نجد في قصائد الديوان أي إشارة إلى إقامته في إسبانيا أصلا.

سنة 1712

شهدت هذه السنة عودته إلى بلده، ولذا فإننا نقرأ أربع قصائد مؤرخات في هذا العام، توضح أولها «حاله لما رجع إلى بلاد الشرق»، وقد رثى فيها هذه

(1) ص 400

(2) ص 306

(3) ص 309

(4) ص 309 أيضا

(5) ص 219

الحال، وأما الثانية فقد نظمها بعد أن استقر في دير اليشع النبي، وموضوعها في «نبوءات البتولات»⁽¹⁾، ويظهر أنه انصرف بعد ذلك إلى العبادة، فدخل محبسة ماري بيشاي الكائنة قرب دير قزحيا⁽²⁾. ومكث عاكفا على حياة رهبانية فيها الكثير من شطف حياة الرهبان، فضلا عن التأمل والقراءة والدرس، وهو يقول في مطلع قصيدة نظمها هناك⁽³⁾:

ليسَ للرهبان عيدٌ يبتغونَ فيه الشراهة

والقصيدة الثالثة لا تتحدث إلا عن الصلاة⁽⁴⁾، والظاهر أنه رأى بعض الرهبان قد تركوا، أو تأنوا، عن أداء هذه العبادة، فقال:

كفاك يا راهباً إن كنت تتوانى عن الصلاة وكنت لذاك كسلانا
إسعاف موكب رهبان وقد نهضوا ليلاً لناقوسهم والحينُ قد حانا
لا تشكُ ضيقاً لليل قُمته متشجاً ثوبَ الصلاة به إن كنتَ سهرانا
يسرُّ إبليس حين يراك منقبضاً ولا يزال يريك الريح حسرانا
يريك ضعفاً بجسم عاد منتصراً عن الصلاة وعن ما عاد خذلانا..

وبعد عدة أشهر غادر مختاراً محبسه هذا، متجهاً إلى طرابلس، في جولة يتفقد فيها الأديرة هناك، حيث وجدنا في الديوان قصيدة رابعة مؤرخة في هذا العام يمدح فيها (كيراتناسيوس البطريرك الانطاكي) وذلك «حين دخل طرابلس يزور ديورتها»⁽⁵⁾. بينما تذكر سيرته أنه قصد، بعد أن غادر محبسته المذكورة، دير اليشع حيث أقام مدة، لكن قصائد هذه السنة لا تشير إلى ذلك.

سنة 1713

ثمة خمس قصائد مؤرخات في هذا العام، يظهر من أولها أنه ترك طرابلس، أو دير اليشع، قاصداً موطنه الأول حلب، وذلك للوعظ والتبشير، وكانت الحياة

(1) ص312

(2) ص338

(3) ص317

(4) ص321

(5) ص343

الرهبانية في حلب تعاني عهد ذلك من تردٍ لاحظته، فجاء في مقدمة إحدى هذه القصائد أنه نظمها «يصف حال المتكبرين عند دخوله حلب، يعظ للتبشير»⁽¹⁾ بينما كان موضوع القصيدة الثانية مدح مريم العذراء، لكنه عرّج فيها إلى «ذكر ديره وأخوته الرهبان وهو في حلب»، فقال متشوقاً إليهم:

يا ساكني لبنان دونكم امرأةً	ما زال ينشد فيكم ويقولُ
إن الخيام كما علمت خيامهم	لكن لها في النازحين ضليل
قفل الخليط وليس قلبي قافلاً	عنكم واني في الرجال قفول
قد أقفرت مني الطلول وحقكم	ما أقفرت مني رياً وطلول
لكن لي قلباً إليكم شيقاً	أبداً وطريفي بالرضا مكحول
فالعين إن رمقت وإن دققت معاً	فبنقدها كرمت لدي أصول
ما حل ركبي في الرجال معرّساً	إلّا ولي في القاطنين حلول
عذل العذول بكم ولم يك عالماً	أني لديه عادلٌ معذول
أوسعته عتياً فقال موارداً	أنا عادلٌ وجنابكم معذول
إن السماء ديارهم لكنني اس	تسقيته ولشرحه تأويل
دعه ولذ بحمي البتولة مريم	مستعصماً فملاذها المأمول
إن الذي أضحى ومريم رشده	م يفوه الشيطان وهي دليل

وفيها نجده «يتهدد الزنادقة على لسان المسيح»⁽²⁾ وفي قصيدة ثالثة، نراه «يصف رؤيا يوحنا الحبيب»، ويمدح مواطنه الحلبي «مفسرها المار يوسف القس الحلبي الماروني»⁽³⁾.

سنة 1714

لم يغادر حلب، فإن له في هذه السنة قصيدة في «مدح صديقه نعمة الله الحلبي».

(1) ص 346

(2) ص 360

(3) ص 376

سنة 1716

ثمة ثلاث قصائد تحمل تاريخ هذه السنة، الأولى في يوحنا الحبيب، ويحتمل أنه نظمها وهو لما يزل في حلب، أما القصيدة الثانية فواضح أنه نظمها بعد انتقاله إلى لبنان، لأنه مدح فيها «أحد الأمراء المسيحيين»⁽¹⁾، وإن لم يذكر اسمه. وتكشف القصيدة الثالثة عن انتدابه «رئيساً عاماً على الرهبان اللبنانيين سنة ألف وسبعمائة وست عشرة بعد رجوعه عن حلب»⁽²⁾. ويظهر أن المسؤولية الجديدة كانت ثقيلة فعلاً، لأننا وجدناه «يشكو من ثقل الرياسات، ويبين عظم خطرها، ويوبخ راغبها» وذلك في مقدمة تلك القصيدة.

سنة 1717

له في هذه السنة ثلاث قصائد، إحداها يستجد فيها بالسيدة العذراء، نظمها وهو «في دير لويزة من بلاد بيروت»⁽³⁾، وموضوع القصيدة «واقعة حدثت له مع أحد الظالمين، متوجعاً من جنونه وعدوانه»⁽⁴⁾، وليس في القصيدة ما يوضح تلك الواقعة وهوية من ناصبه فيها ذلك العداء. أما القصيدة الثانية فهي في «ختان السيد المسيح»⁽⁵⁾، وأما الثالثة فهي في وصف المرأة، وتتضمن هجوماً عجباً عليها، ويظهر أن القصيدة جاءت على سياق موقف تقليدي تردد في كتابات «الآباء القديسين»⁽⁶⁾ الذين كانوا يعمدون إلى تقديم صورة منفرة للمرأة في سعيهم لدفع الوقوع في علاقة محرمة، وليس لسبب لآخر.

سنة 1718

نجده في دير لويزة مرة أخرى زائراً، كما ورد في مقدمة إحدى خمس قصائد أرخها في هذه السنة، وموضوع القصيدة في وصف ما سماه «الحواس الخمس الظاهرة»⁽⁷⁾. وفي قصيدة ثانية نجد «يُبَّخُّ الراهب الخبيث في رهبانيته»⁽⁸⁾، ولا ندري إن كان هذا الراهب هو نفسه من وصفه في السنة الماضية بالجنون والعداء. أو أنه شخص آخر

(1) ص306

(2) ص399

(3) لويزة هي بلدة جزين الكائنة إلى الجتوب من بيروت بنحو 88كم.

(4) ص398

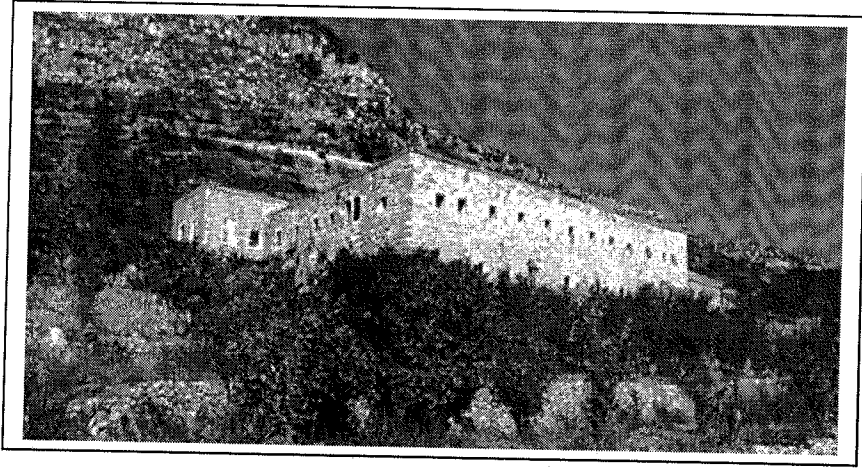
(5) ص393

(6) ص401

(7) ص411

(8) ص411

أشار إليه في مقدمة قصيدة لا تحمل تاريخاً ووصفه بأنه «كان يقده بدوي الإيمان المستقيم» والظاهر أن دعاواه أدت إلى إثارة الجدل بين الرهبان إذ «كان المؤمنون يبغض بعضهم بعضاً من قبل الشكوك والبهانيات التي كان يوردها بافتراءه على أهل الإيمان الكاثوليكي». وكان رئيس دير من أديرة رهبانيته قد طلب منه أن ينظم به قصيدة في مدح رُسل السيد المسيح الإثني عشر «ليكتبها تحت أيقونات الرسل القديسين في كنيسة جديدة على اسم السيدة مريم»، ففعل⁽¹⁾، ونجد له قصيدة أخرى غير مؤرخة، في الدينونة، نظمها في غرض مشابه فقد «استشدها إياها راهب من إخوته المصورين ليكتبها على صورة»⁽²⁾، وفي السنة نفسها نجده ينتقل للإقامة في دير مار يوحنا، ذلك أننا نقرأ في مقدمة القصيدة أنه نظمها «ينبه الآباء ويحضهم على صيانة بنيتهم من شر العشرة التي تُفسد عقول الصبيان وتُدسّ أنفسهم وأجسادهم وحواسهم بالزنا وآبائهم لا يعلمون»، وكان ذلك «في دير مار يوحنا من قرية رَشْميا في بلاد الدروز، وقد أرسلها إلى أحد محبيه في مدينة حلب»⁽³⁾. ونقرأ في قصيدة أخرى، لكنها غير مؤرخة، أنه كان «في دير ماري يوحنا» رئيساً، وقد حث فيها على اقتران العلم بالعمل، حيث «وبَّخ فيها العالم إذا كان لا يعمل»⁽⁴⁾.



دير مار يوحنا في لبنان

(1) ص 430

(2) ص 403

(3) ص 433

(4) ص 435

ولا نجد في الديوان قصيدة تحمل تاريخاً بعد سنة 1718، ومن ثم فإننا لا نعلم، وفقاً للديوان، المراحل التالية من حياته، على أن مصادر سيرته تشير إلى أنه قصد في هذه السنة دمشق، بناء على طلب من رؤسائه، لأعمال الرسالة، وثمة بيتان في الديوان يذكر فيها دمشق فعلاً، لكنهما غير مؤرخين، هما:

بدمشق أبصرتُ النَمومَ مُجبراً يشكو الورى يوماً ويوماً يشكر
تالله ما زالت دمشق مليحة لكنها فيكم تُذم وتهجر

وفي البيتين تنويه بما واجهه من متاعب بسبب نعيمة بعض من صادفهم هناك.

وعلى أية حال فإنه قام بوظيفته خير قيام، فكان أول من أجرى طريقة الوعظ في وقت الغروب من كل جمعة من الصيام الكبير. وتقديراً لأعماله فقد كافأه البطريرك يعقوب عواد بترقيته إلى درجة الأسقفية بتاريخ 29 تموز 1725، واتخذ اسم جرمانوس بدلا من جبريل، تيمناً بالقدّيس جرمانوس بطريرك الأسقفية، وفي 8 كانون الأول من السنة نفسها توجه إلى حلب حيث قضى سنواته التالية مشغولاً بمهامه الدينية، فضلا عن اهتمامه باللغة العربية، فنقل إليها المزامير والإنجيل والكتب الطقسية المارونية، وأبدى نشاطاً واسعاً في مجال تعليم العربية، ولبت مشغولاً بأعباء منصبه حتى وفاته في التاسع من تموز من سنة 1732.

أدب الرحلات

نصوح السلاحي مطراقي زاده



مقدمة

نصوح أفندي السلاحي بن عبد الله قره كوز الشهير بمطراقي زاده، مؤرخ ورحالة ورياضي ورسام، أصله من ولاية البوسنة يوم كانت جزءاً من الدولة العثمانية. تقدم في الوظائف العسكرية، ومهّر في فنون الفروسية، وفي ألعاب الأسلحة، حتى اكتسب لقبه (المطراقي)، وهو الدرع المغلف بالجلد الذي يستخدمه الفرسان في قتالهم، وفي ألعاب الميدان أيضاً. ولمهارته في فنون الكتاب والحساب، وثقافته التاريخية والجغرافية الواسعة، فقد ضم إلى الخدمة في الديوان، وصاحب السلطان سليم الأول في حملته على دولة المماليك في مصر والشام سنة 926-927هـ/1516م، كما صاحب السلطان سليمان القانوني في معظم حملاته العسكرية، ومنها حملته على الدولة الصفوية في إيران، وحملته على البغدان (رومانيا)، وحملات أخرى. ويظهر أن أمر براعته في التأليف والرسم قد اشتهر عهد ذلك حتى كلف بمهمة تسجيل وقائع الحملات العسكرية التي شارك فيها، وتزيينها بالصور الملونة التي تمثل المدن والقصبات التي مر بها الجيش أو التي فتحها. وفي الواقع فإن

مواهب نصوص أفندي تنوعت تنوعاً مدهشاً، فهو مصور متقن، ومؤرخ واسع الإطلاع، وفارس ماهر، وجغرافي واسع المعرفة، وشاعر بليغ، ومترجم ضليع، ومهندس عسكري بارع، ورياضي مُصنّف، ومن غير المحدد تاريخ وفاته، ولكن من المؤكد أنه كان حياً سنة 968هـ/1560م.⁽¹⁾

ولعل أهم مؤلفاته⁽²⁾، وأعلىها قيمة، من الناحية الفنية في الأقل، كتابه الذي سماه (منازل العراقيين للسلطان سليمان خان)، ليكون سجلاً مفصلاً لوقائع حملة السلطان سليمان القانوني على إيران في خلال سنة 941هـ/1534-1535م، فقد وصف بتدقيق مدهش منازل، أو مراحل، الطريق الذي سلكته الحملة بدءاً من مغادرتها أسكودار، في الجهة الآسيوية من إستانبول، في الأول من محرم سنة 941هـ/12 تموز 1534م، وحتى وصولها إلى تبريز، عاصمة إيران الصفوية في ذلك العصر، في 12 ربيع الأول/20 أيلول، ومنها تقدمها إلى بغداد مارة بهمدان فخانقين، فدخلها مدينة السلام في غرة ربيع الآخر/7 كانون الأول. ثم خروج السلطان من بغداد، بعد أن وطد حكمه، في 9 رمضان/1 آذار 1535م وزيارته مدن الحلة وكربلاء والنجف، ومسير الحملة إلى حلب، ثم ديار بكر، وصولاً إلى أسكودار ثانية في 3 رجب 942هـ/27 كانون الأول 1535م، فقدم بذلك تفاصيل جديدة، ومهمة، عن طرق المواصلات التي كانت تربط بين المدن الرئيسية في بلاد المشرق الإسلامي، وعيّن أسماء عشرات القصبات والقرى والقلاع والجسور والقناطر والأنهار والجبال والتلال والصحارى الواقعة على تلك الطرق.

(1) ينظر:

Yurdaydin, Husyin, Beyan-I menazil- Sefer- I irakeyn, Ankara 1976 p.7

ومقدمتنا للطبعة العربية، بعنوان (رحلة مطراقي زاده) ترجمة صبحي ناظم، وبتحقيقنا، المجمع

الثقافي، ابو ظبي 2003 ص9-13

(2) من مؤلفاته التي وصلتنا، عدا هذا الكتاب،: 1- مجمع التواريخ، وهو ترجمة تركية لتاريخ

الطبري، مع ذيل له ينتهي بحوادث سنة 958هـ/1551م 2- فتحنامه (قره بوغدان)، وصف

فيه فتوحات السلطان سليمان القانوني لبلاد البغدان، وهي رومانيا 3- فتح شلقوش

واسترغون وارسوف وبلغراد. في وصف حملة السلطان سليمان على هذه البلاد. 4- تواريخ

آل عثمان، وصل به إلى حوادث سنة 968هـ/1568م. 5- تحفة الغزاة في فنون الفروسية

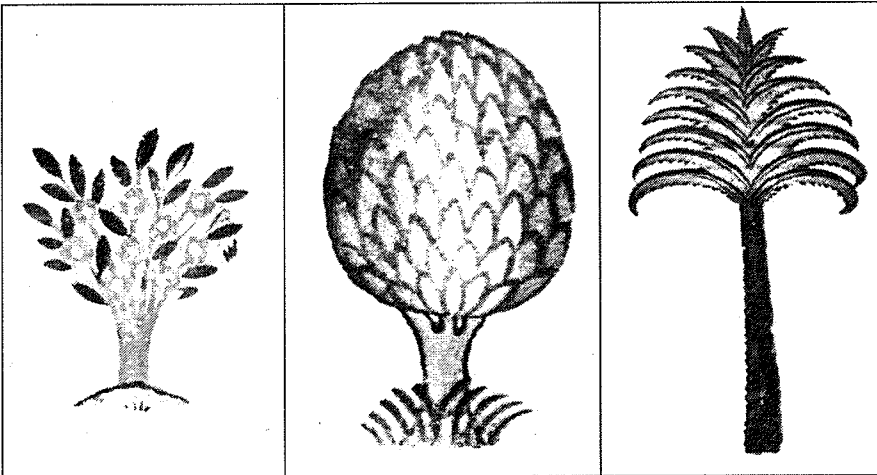
والقتال. 5- عمدة الحساب 6- جمال الكتاب وكمال الحُساب. ينظر كشف الظنون 594،

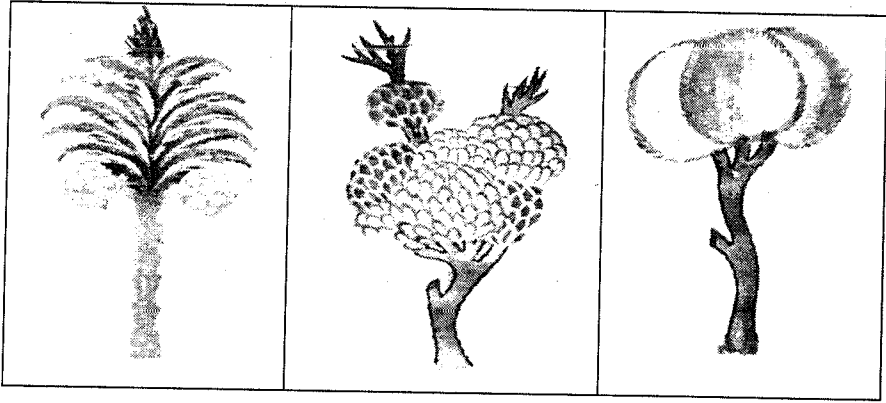
1196 و1602 ومقدمتنا المشار إليها ص6-7.

ومما زاد في أهمية الرحلة إلى حد كبير ضمها عدداً كبيراً من الصور الملونة التي أبدعتها ريشة المطراقي وفرشاته وألوانه الخلافة، رسم فيها المدن والقصبات والحصون والخرائب الأثرية والخانات والممرات الجبلية والمباني المختلفة، حتى يمكن القول أن هذه الصور تمثل وثائق عالية القيمة لا غنى عنها في دراسة تخطيط المدن الإسلامية والأبنية الرئيسة والدور العادية في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد).

ولم يكتف المطراقي برسمه ما تقدم من المعالم، وإنما انساق وراء رغبته في التبرك بأضرحة الأولياء الموجودة في الطرق التي مرت بها الحملة، أو الموجودة في داخل المدن أو في جوارها، فرسم صوراً مستقلة لكل ضريح من تلك الأضرحة، وبخاصة في بغداد والنجف وكربلاء، ولا نشك في أن تصاوير كهذه تصلح أن تكون مادة مهمة لدارس فنون العمارة والبناء في العراق في الحقبة التالية لزوال الخلافة العباسية.

كما اهتم المطراقي على نحو خاص برسم عناصر البيئة الطبيعية، فبينما أبرز في مناطق الأناضول الغابات وأشجار السرو، وأظهر في مناطق أخرى الحقول والأعشاب الطويلة على شواطئ الأنهار، فإنه أجاد في رسم البيئة في وسط العراق حيث الأرض المتروكة، والبراري القفر، وأشجار النخيل، كما أجاد أيضاً في رسم بيئة مناطق أخرى في شرقي بغداد، حيث البساتين والأشجار المتنوعة والأزهار والأنهار وسفوح الجبال.





ومن ناحية أخرى فإنه رسم أنواعاً من الحيوانات التي كانت تكثر في بيئة البلاد في ذلك العصر، كالغزلان والأسود والضباع والأرانب وغيرها، ويلاحظ أنه لم يرسم بشراً في رحلته، عملاً بالتقليد الإسلامي المعروف في هذا الشأن، وبذا فقد ضاعت فرصة التعرف على أنواع الأزياء التي كانت ترتديها شعوب المنطقة عهد ذلك⁽¹⁾.



اتبع المطراقي قواعد المدرسة العثمانية في فن التصوير، كما تبلورت في عصر السلطان سليمان القانوني، وقد تأثر فنانون هذه المدرسة بالفنون الإيرانية، لا سيما بعد هجرة كثير من الفنانين من المزخرفين والمصورين الإيرانيين إلى البلاط العثماني إثر الاضطرابات السياسية التي رافقت تأسيس الدولة الصفوية⁽²⁾. إلا أنه تبقى للمدرسة العثمانية خصوصية اهتمامها بالأشكال الهندسية لا سيما في رسم صور المدن والعمائر المهمة، وهو ما تجلّى على نحو واضح في صور مطراقي زاده.

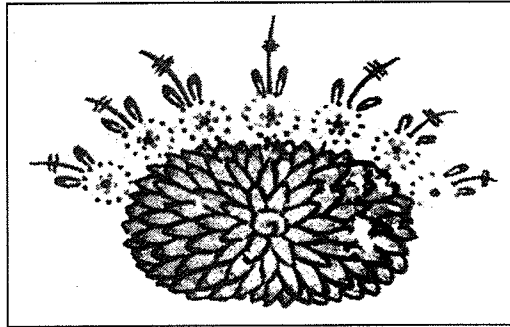
(1) من الرحلة نسخة فريدة محفوظة في مكتبة قصر يلدز باستانبول، وقد نشرها بالتصوير الدكتور حسين يوردايدن (أنقره 1976) كما أعاد كتابة الرحلة نفسها بالحروف اللاتينية الحديثة، وكان الصديق فؤاد الكاظمي قد أهدانا إياها في 1996/6/26م، فطلبنا من صديقتنا الدكتورة صبحي ناظم أن ينقل هذه الرحلة إلى العربية فعّل، وقمنا بتحقيقها والتقديم لها والتعريف بأعلامها الجغرافية والتاريخية، وتولى المجمع الثقافي في أبو ظبي طبعها سنة 2003، وتقع في 194ص.

(2) ينظر محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، القاهرة

واتباعاً لتقاليد الفن الإسلامي لا تراعي هذه المدرسة قواعد المنظور، وهو ما ألزم المطراقي به نفسه في تصاويره، إلا أننا يمكن أن نلمح بداية متواضعة للخروج عن صرامة تقاليد هذه المدرسة، لدى المطراقي، حيث رسم بعض الموضوعات على شيء من مراعاة قواعد المنظور، بل أنه رسم مبان بذاتها مراعيًا فيها هذه القواعد، ووضعاً إياها في صور لم يراعي فيها هذه القواعد أصلاً، كما سنلاحظ في مطاوي البحث. ويتميز المطراقي بالدقة البالغة في التصوير، والقدرة على رسم أكثر التفاصيل المعمارية والزخرفية صغراً، مستعملاً ألواناً رقيقة وفرشاة رسم دقيقة، حتى أننا اضطررنا إلى تكبير هذه الصور مرات عديدة لنقف على ما اختزنته من إبداع فني رفيع.

أما فيما يتعلق بالمدن الكبيرة، فقد بدت في صور المطراقي أقرب إلى الخرائط المصورة منها إلى الصور العادية، فهو يرسم أولاً أسوار المدينة ثم يملأ فضاءها الداخلي بأكثر ما كان يراه مهماً في نظره من مبان، لا سيما المساجد والأضرحة والقلاع وبعض القصور، أما الدور العادية فلم يكن يرسم منها إلا القليل الذي يملأ به الفراغات المتبقية في المدينة، بوصفها نماذج على ما كانت تكتظ به من المحلات السكنية.

ويمكننا هنا أن نسجل أن المطراقي كان نمطياً في بعض ما كان يرسمه من مظاهر الطبيعة، فالأشجار والنخيل والزهور والكتبان جاءت متماثلة تماماً في كل ما رسمه في البيئة العراقية، وواضح أنه لم يكن مهتماً برسمها كما بدت في الواقع، وإنما كان يضيفها بوصفها نماذج نمطية إلى ما يرسمه من معالم للتعبير عن وجودها في بيئة الصور التي كان يرسمها.



ومن ناحية أخرى، كان المطراقي (مُلوّناً) من الطراز الأول، فإنه بقدر حرصه الشديد على النقل الدقيق لتفاصيل المباني المختلفة وزخارفها، فإنه لم يكن دقيقاً تماماً في نقل الألوان الحقيقية لما كان يراه، وإنما كان يعطي لنفسه المرونة في أن

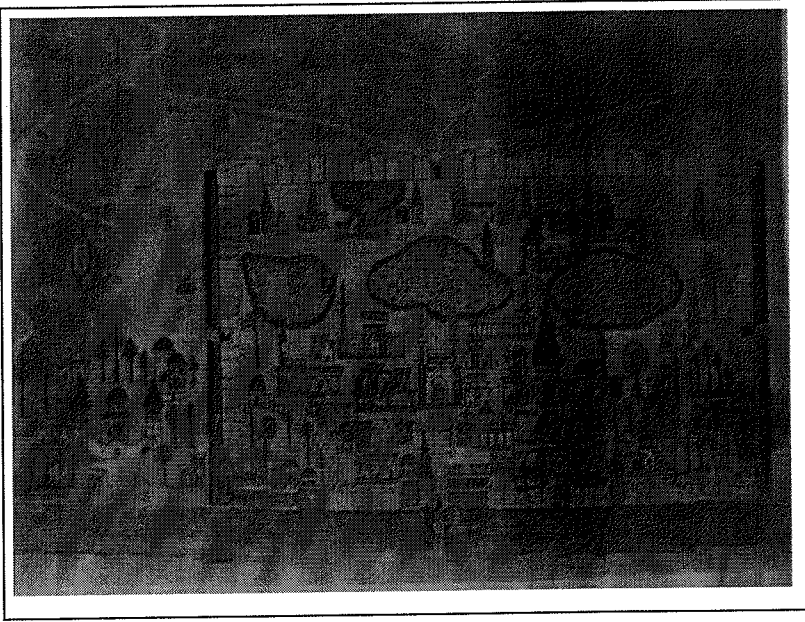
يُلوّن تلك المباني بالألوان المتنوعة، إضفاءً لجو من البهجة على صورهِ. وهكذا فإنه لوُن جدران الدور السكنية بالألوان العديدة مع أنه لم معروفًا صبغ الدور بالأصباغ الملونة في ذلك العصر.

إن الألوان الغالب استعمالها هي الأخضر، لون الأجر المزجج الذي كسيت به الجدران والقباب والمآذن. والبنى الفاتح المُغبر الذي لونت به الأرض، والبنى الغامق الذي لُوّنت به المباني غالباً. ولا يميل المطراقي، مثله في ذلك مثل المصورين العثمانيين في عصرهِ، إلى مزج الألوان، وإنما هو يحافظ على استقلال كل لون عن الآخر دون امتزاج، ولكن بتماس دقيق، يوضحه بوضع خطوط دقيقة بالأسود تفصل بين المساحات الملونة. ومن ناحية أخرى، فإنه لجأ أحياناً إلى تعميق اللون بتظليله بالأسود، وذلك لايجاد درجة لونية جديدة تميز المبنى عن المباني التي تتقدمه أو تجاوره، وهو ما يمكن أن نلاحظه في رسمه معالم المنشآت والدور في بغداد خاصة.

ومن نافذة القول، أن صُحبة المطراقي الدائمة للسلطان سليمان، ووجوده في جيشه، في حلّه وترحالهِ، فسح له الفرصة ليقضي من الوقت ما يكفي لرسم ما كان ينزل فيه هذا الجيش من مراحل الطريق، وما يمر به من المعالم، كالقرى والقلع والأنهار والغابات وغيرها، فضلاً عن أن إقامته في المدن والقصبات التي كان يقضي فيها الجيش وقتاً طويلاً نسبياً، ساعده على إتقان نقله لكثير من التفاصيل الدقيقة من العناصر المعمارية والزخرفية التي استهوته.

وتحتل الصورتان اللتان رسمهما مطراقي زاده للجانبين الشرقي والغربي من بغداد، أهمية فائقة بين الرسوم التي رسمها هذا الفنان الكبير لمعالم العراق، البالغة خمسين رسماً، فهما يمثلان وثيقة فريدة تمثلان ما كانت عليه هذه المدينة في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) من أسوار وقصور ومساجد وقباب ويساتين وفضاءات وغيرها⁽¹⁾، وإذ نشرنا فيما يلي هاتين الصورتين المهمتين، فإننا أضفنا إليهما دراسة وصفية تناولت التفاصيل الفنية لا سيما الزخرفية، كما علقنا على كل صورة بتعليقات تاريخية موضحة لموضوعها. وذلك على النحو الآتي:

(1) نشرنا جميع هذه الصور مع دراسات تناولت الجوانب التاريخية والأثرية والفنية، في كتاب مستقل بعنوان (العراق كما رسمه المطراقي زاده سنة 951هـ/1534م)، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 2015.



بغداد: الجانب الشرقي

صورتان متقابلتان تمثلان بمجموعهما مدينة بغداد، وتختص كل صورة بأحد جانبيها، بينما يفصل بينهما نهر دجلة. وكتب في رقعة بيضاء في أعلى الصورة الأولى عبارة (محروسة بغداد).

سور بغداد

رسم المطراقي سور هذا الجانب على نحو أظهر فيه تفاصيل بنائه من الداخل، أما تفاصيله الخارجية فلم يكن لها نصيب من الظهور، باستثناء الجانب الذي كان يطل منه على نهر دجلة. ويبدو السور مكيناً محكماً، تدعمه أبراج كثيرة، وهو يأخذ شكل مستطيل كامل، حيث يبدأ من نقطة التقائه بشاطئ دجلة الشمالي ويمضي شرقاً مكوناً ثلاثة أضلاع حتى يلتقي به مرة أخرى في الجنوب، أي في الجهة اليمنى من الصورة⁽¹⁾.

وتظهر في السور من ضلعه الشمالية عشرة أبراج، ومثلها من ضلعه الجنوبية،

(1) كان الشروع بإنشاء هذا السور في سنة 488هـ/1095م وأكمل على مراحل آخرها على عهد الناصر لدين الله (575-622هـ/1180-1225م).

بينما يصل عدد هذه الأبراج من الضلع الشرقية، وهي الأطول من السابقتين، إلى سبعة عشر برجاً، بينما لا يظهر في الضلع المطلة على النهر غير ثلاثة عشر برجاً، وذلك بسبب وجود منشآت أخرى تشغل جزءاً من هذا الشاطئ، والمطراقي هو أول من رسم الجانب الشاطئي من السور.

ويحيط بالسور من أضلاعه الثلاث، عدا الشاطئية، خندق عريض، قد امتلأ بالماء، إلا أن القسم الذي يحاذي الضلع الشرقية من السور، لا يظهر للمشاهد، بسبب كونه يقع وراء السور نفسه، مراعاة لقواعد المنظور. ورسم من أبواب السور المطلة على الخندق ثلاثة أبواب، عين مواضعها بدقة، ولكنه لم يرسم تفاصيلها، باستثناء القناطر التي على الخندق، وعددها - كما رسمها - ثلاثة قناطر، وتظهر القنطرة وقد أخذت شكلاً مُحدباً بعض الشيء، وفيها سلم بدرجات عديدة، له حافتان من جانبيه.

وأول هذه الأبواب يقع في منتصف الضلع الشمالي، وهو باب المعظم، المعروف في العصر العباسي بباب السلطان، ويقع بين برجين من أبراج السور. وثاني تلك الأبواب يقع في منتصف سور الضلع الشرقية، وهو في الغالب باب الطلسم، المعروف في ذلك العصر بباب الحلبة، وله برج خاص به. وثالث أبواب بغداد، يقع في منتصف الضلع اليمنى للسور، وهو الباب الشرقي المعروف في العصر العثماني بـ(قرانلق قابي)، أي الباب الأظلم، وقديماً بباب البصلية أو بباب كلواذي، ويقع بين برجين.

والغريب أن المطراقي أغفل رسم موقع باب آخر، يقع قريباً من النهاية الشمالية للضلع الشرقية، وهو الباب الوسطاني المعروف في العصر العباسي بباب الظفرية مع أنه كان عامراً نافذاً في عصره. ولكنه كان أول من رسم باباً خامساً يقع في الضلع الشاطئية، وهو باب النهر المعروف في ذلك العصر بـ(صو قابي)، أي باب الماء، ويسمى باب الجسر أيضاً، وهو المنفذ الوحيد للمدينة على دجلة، حيث جرى تسوير هذا الجانب في عصر سابق على المطراقي، بعد أن لم يكن له وجود في العصر العباسي بأية حال.

القسم الماهول

وبينما تقل كثافة السكن في المناطق البعيدة عن دجلة، حتى يظهر الفضاء القريب من السور الشرقي والجنوبي خالٍ من الدور عدا بعض الأضرحة كما

سنذكر، فإن هذه الكثافة تزداد كلما اقتربنا من دجلة، حتى تبدو المنطقة مكتظة بالدور السكنية والمنشآت العامة.

ومن المنشآت التي تظهر أول مرة قلعة بغداد، المعروفة في العصر العثماني بإيج قلعة أي القلعة الداخلية لأنها تقع في داخل أسوارها⁽¹⁾. وتشغل هذه المؤسسة الركن الشمالي الغربي من المدينة، يحدها من الشمال سور بغداد، ومن الغرب دجلة، ويفصلها عن دور المدينة نفسها سور خاص بها يتخذ شكل قوس، وهو سور منخفض وأقل ضخامة إذا قيس بالأسوار الخارجية، ولا تدعمه أبراج، وإنما توجد وراءه عقود غير نافذة تمنحه المتانة، رسم منها عشرة. ولا أبواب للقلعة إلا باب واحد يقع في أعلاها، أي في الجهة الشمالية القريبة من باب المعظم⁽²⁾، وهو باب ضيق له عقد، تعلوه رقبة فيها نوافذ معقودة، يظهر منها إثنان، وفي أعلاها قبة على شكل نصف كرة، خضراء اللون، وفي أعلى السور مزاغل مكشوفة⁽³⁾.

وللقلعة فناء واسع خال من المنشآت، في وسطه قبة منخفضة خضراء اللون، تستند إلى رقبة فيها نوافذ طولية، وتقوم هذه على دكة أو قاعدة من ثلاث طبقات ترتفع بها عن مستوى الأرض المجاورة. ومن الواضح أن هذه القبة لضريح إحدى الشخصيات المهمة⁽⁴⁾. كما تنتشر في هذا الفناء شجرات النخيل.

وتوجد على شاطئ القلعة منشآت تقوم بمهمة السور الذي يحميها من هذه الجهة، تبدأ من جهة الضلع الشمالية ببرج له نافذة مستطيلة كبيرة عليها مشبك من قضبان متعامدة، تطل على النهر، وتعلو البرج ظللة بيضاء بارزة إلى الخارج،

(1) كانت القلعة تضم مستودعات الأسلحة ومخزن للبارود والخزينة ومخازن للحبوب فضلاً عن تكتات الحامية العسكرية.

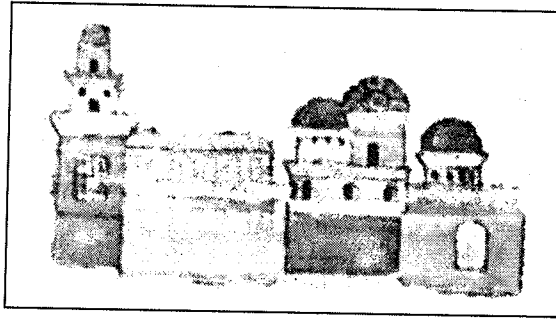
(2) وكان ثمة باب آخر، ربما في مكان الباب الجنوبي لوزارة الدفاع اليوم، يعرف بباب الخندق، لم يرسمه المطراقي، وقد عرف هذا الباب عند دخول السلطان مراد الرابع بغداد سنة 1048هـ/1638م باسم (اوغرون قابو) أي الباب المشؤوم وجرى أغلاقه.

(3) سمينا المُنسِنات التي تعلو جدران القلاع ونحوها مزاغل مكشوفة، فهي كالمزاغل التي في سائر الجدران إلا أنها مكشوفة من جهتها العليا.

(4) أشار عبد الحميد عبادة إلى وجود ضريح في وسط فناء القلعة ينسب إلى (إبراهيم بن موسى الكاظم) كان قائماً حتى عهده، وعليه كتابة بالتركية. العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2005 ص139 وقد عفي أثره منذ عهد بعيد.

وتنهض من فوقه قبة صغيرة، على شكل نصف كرة، ملونة بالأخضر، وعلى جانبيها غرفتان أصغر لا قباب لها .

ويعقب هذا البرج مبنى مستطيل يقوم على شاطئ النهر مباشرة، وهو مسناة لما أنشئ فوقها . تحميه من تأثير الماء . ويزين المسناة شريط أفقي، يعلوه صف من مستطيلات بنائية متماثلة، ويوجد على المسناة مبنى طويل مكون من طابق واحد، فيه صف من ست نوافذ طولية معقودة، تعلوها ظلة أو سقيفة، ومن المؤكد أن هذا المبنى كان يؤدي مهاماً دفاعية، وربما كان يشتمل، من جهة فناء القلعة، على ثكنات لمبيت الجند (الشكل 1).

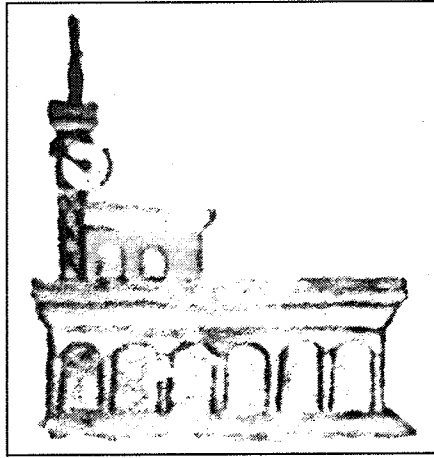


الشكل (1)

ويلي هذا المبنى مسناة أخرى، يعلوها إفريز أبيض، ويقوم عليها مبنى فيه صف من ثلاث نوافذ طولية معقودة، أو فتحات، يظهر أنها كانت تستخدم كمرآغل لرمي المقذوفات، وتعلو المبنى حافة بارزة إلى الخارج، وتنهض من على سقفه رقتان، في إحدهما باب معقود، وفي الأخرى صف من نوافذ طولية، وتعلوهما قبتان كل منهما على شكل نصف كرة، إحدهما أعلى من الأخرى، وهما خضراوان، تزين اليمنى منهما زخرفة من دوائر متراصة، بينما تخلو اليسرى من أية زخرفة. ولا يمكن التكهّن بوظيفة هذا المبنى على وجه التحديد، ولكنها وظيفة عسكرية على أية حال بحكم وجوده في القلعة.

وثمة مبنى مجاور آخر، يستند إلى مسناة عالية تتميز بوجود باب فيها، قريب من مستوى النهر، يظهر أنه كان يستغل باباً نهرياً للقلعة. وتعلو المسناة حافة بارزة إلى الخارج تظهر من ورائه رقبة فيها نوافذ معقودة، تقوم عليها قبة خضراء اللون على شكل نصف كرة.

وتحيط بالقلعة منشآت مهمة، ففي أعلاها، حيث بابها المذكور، مبنى مستطيل في واجهته المطللة على القلعة ستة عقود غير نافذة، يزينها شريط أصفر اللون، يمكن أنه يشتمل على كتابة ما، يعلوه شريط أخضر اللون. وثمة حجرة فوق سطح المبنى، تقف إلى جانبها مئذنة عالية، قسمها السفلي أكثر بدانة من العلوي، على نحو يشبه المآذن العباسية في بغداد، فهذا المبنى إذاً كان جامعاً أو مدرسة إلا أنه من الصعب معرفة هويته بحسب مصادر خطط بغداد. ومما يلفت النظر وجود ساعة شمسية كبيرة على بدن المئذنة.



الشكل (2)

ويلي هذا المبنى من جهته اليمنى مبنى آخر يتسم بالضخامة، وهو يخلو من القباب والمآذن، مما يدل على أنه كان قصراً، ويتألف هذا القصر من طابقين، يتكون الأرضي منهما من صف من الأواوين والعمد، تنتهي من الأعلى بظلة بارزة إلى الخارج، قرميذية اللون، بطول المبنى كله، أما الطابق الثاني فهو يتألف من حجرات بمستويات ارتفاع مختلفة، لها أبواب معقودة، ونوافذ علوية، وتعلوها ظلات عريضة من النوع المتقدم، وفي وسطها برج قرميدي في أعلاه ظلة أيضاً.

وفي موقع قريب من هذا القصر، ورائه، يوجد مبنى كبير، يمكن أن يكون جامعاً، فهو ذو واجهة طويلة، في أعلاها صف من النوافذ الطولية، إثنان عن يمين وثلاث عن شمال، وفي وسط هذه الواجهة مدخل عال، يعلو على المبنى نفسه، في أعلاه شريط أصفر، ثم شرفة عريضة خضراء اللون. وتقف على الكتف

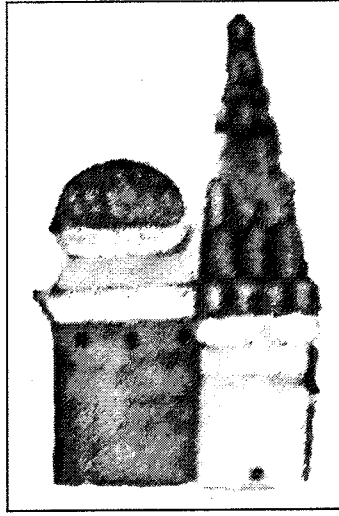
الأيمن للمبنى مئذنة بلون أخضر، زين بدنها الأسفل بزخرفة هندسية، بينما خلا بدنها العلوي منها، ولها حوض أصفر اللون.

وثمة داران عاديان عن يسار المبنى للدلالة على وجود تجمع سكني، أو محلة، هناك. ويوجد في جوار القلعة، قرب النهر، مبنى آخر، يحجبه عنه السور الشاطئي، يظهر أنه مبنى عام، كأن يكون قصراً أو مدرسة، ومن المحتمل أن يكون المدرسة العلائية الشاطئية التي تحولت في القرن الثاني عشر الهجري (18م) إلى المدرسة العلية (بيت الحكمة اليوم)⁽¹⁾ أو أن تكون أحد المباني التي كانت مشيدة في الأرض التي شغلها السراي والقشلة فيما بعد.

ثمة برج إسطواني عال يطل على دجلة مباشرة، تعلوه رقبة، فضلة حمراء بارزة إلى الخارج، وتتدرج صعوداً من الجهة الأخرى حتى جوف البرج، وتستند إلى هذه الرقبة قبة خضراء على شكل نصف كرة، ويظهر أن جدار هذا البرج من المتانة ما جعله جزءاً من السور الشاطئي، وبحسب تقديرنا فإن البرج يقع في موقع مدرسة الأمير سعادة الرسائل ورياطه، المفتتحان في أواخر القرن الخامس للهجرة، حيث دفن، وقد تحول في العصر العثماني إلى مقر للدفترخانة، ثم أصبح في عهد الحكومة العراقية داراً للمحاكم المدنية. ومن المحتمل في هذه الحال أن تكون القبة ضريح هذا الأمير، أو أن يكون مبنى أقيم في موقع المدرسة التنشئية، إحدى مدارس العصر العباسي، حيث أنشئ في أرضها فيما بعد جامع الوزير الحالي.

ويلي هذا البرج مباشرة برج آخر إسطواني الشكل، تعلوه قبة مخروطية مستدقة الرأس، وهو يسيطر على مدخل الجسر المجاور، وهذا البرج هو الذي عرفته مصادر القرن الثاني عشر (18م) ببرج الماء، لاكتنافه باب الجسر المذكور، وقد رسم الرحالة هيووارد هذا البرج في أوائل القرن التاسع عشر، على الهيئة التي رسمها المطراقي، باستثناء فارق واحد، هو أنه بحسب ذلك الرحالة سداسي الأوجه لا إسطواني كما رآه رحالتنا. وللجسر باب معقود، يحيط به أفريز، وهو مزود من أعلاه بمزاغل مكشوفة (3).

(1) ينظر كتابنا: المدرسة العلية في بغداد، بغداد، 1987.



الشكل (3)

وتخرج من كوتّين في أسفل برج الماء، ومن مسناة المستنصرية الآتية، سلسلتان ضخمتان، تحتضنان الجسر نفسه من جهتيه، ويطفو الجسر نفسه على زوارق مربوطة بهذه السلسلة (تسمى جساريّات)⁽¹⁾، وله حافظان في جانبيه. إن الصورة التي رسمها المطراقي لجسر بغداد هذا، وهو الجسر الوحيد عهد ذلك، هي أول شاهد على وجود الجسر في هذا المكان (حيث جسر الشهداء الحالي) بعد أن كان في أسفل القلعة مباشرة. ويتصل بالجسر طريق سيأتي وصفه.

ويلي هذا الطريق، من الجهة المقابلة للجسر مبنى عريض له مسناة عالية تصل إلى النهر، وواضح أنه المدرسة المستنصرية⁽²⁾، ويعلو هذه المسناة صقان من أواوين، تشير إلى أواوين هذه المدرسة وحجراتها الكثيرة. ولا وجود لمبان شاطئية تلي المستنصرية، إلا من برجين لونهما بلون قرميدي مختلف عن لون السور، دلالة على أنهما ليسا من أصل بنائه. ويغطي البرج الأول سقف عريض، ذو لون بني

(1) رسم منها المطراقي أربعة زوارق، بينما يصل عددها في الواقع إلى 34 قارباً كما يذكر نيبور سنة 1766، رحلة نيبور إلى العراق، ترجمة محمود الأمين، بغداد 1965، ص 72، و 29 زورقاً. كما يذكر دوبريه سنة 1807. رحلة دوبريه إلى العراق سنة 1807-1809 ترجمة بطرس حداد، لندن 2011، ص 127، وسبب هذا التباين في عدد الزوارق أنها تقل في حال انخفاض مستوى النهر وتزداد بارتفاعه.

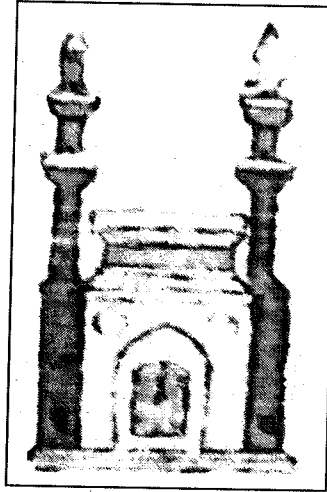
(2) أمر بإنشائها الخليفة المستنصر بالله سنة 631هـ/1234م.

غامق، بينما تغطي البرج التالي قبة مخروطية مستدقة الرأس، خضراء اللون. ويلتف حول بدنه شريط ربما كان يضم كتابة ما .

ويوجد في أقصى السور الشاطئي، من الجهة الجنوبية، برج عريض له كوى أو مزاغل مطلة على النهر، يحيط به سور عال فيه مزاغل أخرى ضيقة، ومن الواضح أن مهمة البرج حماية مدخل المدينة من جهة النهر.

يمثل الدرب النافذ من الجسر حداً للثلث الأعلى من المدينة، وهو الذي وصفنا منشأته الآن، أما الدرب نفسه، وكان يعرف في العصر العباسي بدرب دينار الكبير، فيمتد مبتعداً عن دجلة داخلاً في عمق المدينة، فيمر عن يمينه بمبنى طولاني فيه صف من خمسة أواوين، مما يظهر أنه سوق، وفي الواقع فإن هذه المنطقة تكتظ بالأسواق، منها سوق درب دينار، وهو شارع المأمون الحالي (مقابل المتحف البغدادي اليوم) ومنها سوق الريحانيين وما يتفرع منه من أسواق، وهو سوق الشورجة اليوم⁽¹⁾.

ثم يمضي هذا الدرب فيعترضه مبنى يتألف من مدخل فخم يشتمل على باب معقود كبير مذهب، في أعلاه من الجانبين دائرتان مفرغتان في الجدار. وفي أعلى المدخل إفريز أو شريط أصفر، ثم رقبة ضيقة، بلون قرميدي، تستند إليها قاعدة عريضة ولكن لا قبة عليها. وتوجد في جانبي المدخل مئذنتان عاليتان، بلون أخضر، وفي كل منهما حوضان مكشوفان، يزين سياج كل منها شريط أصفر، ولها قبة صفراء مخروطية مدببة الرأس (الشكل 4).



(1) بنظر كتابنا: الأصول التاريخية لمحات بغداد، بغداد 2004، ص 18-47.

وواضح هنا أن المطراقي اختزل في هذا الموضع معالم كثيرة كانت تكتظ بها بغداد في عصره، واقتصر على عدد قليل من تلك المعالم، مرتباً إياها بحسب أهميتها لا بحسب موقعها من الدروب المؤدية إليها، فموقع هذا المبنى يوافق تقريباً المدرسة المرجانية⁽¹⁾ (جامع مرجان فيما بعد) الواقعة في مدخل سوق الريحانيين (الشورجة) على أن لهذه المدرسة مئذنة واحدة على كتف مدخلها لا اثنتان، ولهذه المئذنة حوض واحد لا حوضان.

وتوجد فيما عدا القلعة ومقترباتها، دور سكنية عادية، من طابق واحد، ترمز إلى المحلات السكنية التي كانت تحيط بها، لاسيما من جهتها الجنوبية، وهي التي عرفت في العصر العباسي بسوق السلطان وسوق الثلاثاء، وسميت في العصر العثماني بسوق الميدان ومحلة جديد حسن باشا. وتحفل المنطقة التي تقع في يمين الدرب النافذ إلى الجسر، بعدد من المنشآت والأسواق فضلاً عن الدور السكنية التي نستطيع أن نميزها ببساطة بنائها وكون أكثرها من طابق واحد وأحياناً من طابقين، وأبرز تلك المنشآت برج اسطواني، في أعلاه رقبة قصيرة تقوم عليها قبة منخفضة لا رأس لها، وهو ما يمكن أن يكون ضريحاً مهماً.

ويتصل بهذا البرج، من يمين، مبنى طويل في واجهته خمس عقود أو أوابين، يمكن أن تكون دكاكين في سوق هناك، ويعلو هذه العقود إفريز أصفر، بينما تنهض من فوقه رقبة فيها صف من نوافذ معقودة، تظهر منها في الصورة ثلاث، تعلوها قبة خضراء على شكل نصف كرة، ولا يمكن تعيين هوية هذا المعلم أيضاً، بسبب عدم عناية المطراقي بتحديد مسافات الطرق واستقاماتها. ويوجد فيما يلي هذا المبنى، من يمينه، أي إلى الجنوب منه، مبنى عال، من طابقين، في كل منهما نافذتان، ولم تتحدد وظيفة هذا المبنى. وتتصل به، من يمينه وإزائه، مجموعة متراصة من الدور من طابقين في إشارة إلى اكتظاظ المنطقة بمثلها.

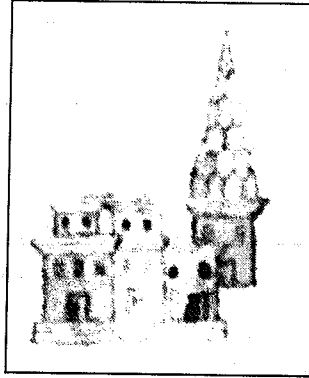
ويبدو وراء المبنى المذكور مبنى يتألف من عدة أقسام، الأول حجرة لها باب ذو اسكفة عليا مستقيمة، ومصراعان، تعلوها قبة مخروطية ذات رأس مستدق، تتكون من خمس طبقات من المقرنسات، على الطراز السلجوقي، ولها شريط كتابي أو زخرفي، لم تتوضح معالمه. ويتصل بهذه القبة مبنى، ثم مبنى آخر، على شكل متوازي مستطيلات منتظم الأبعاد، فيه باب ونوافذ علوية طولية، وسقف أفقي مستو، وتتصل به من يمينه

(1) أنشأها الخواجة أمين الدين بن عبد الله الأولجايتي حاكم العراق من طرف الجلائريين سنة

758هـ/1356م.

متذنة رفيعة عالية، لها حوض في ربعها الأخير. وبلي هذا المبنى شجرة تشير إلى وجود أشجار أو بستان في هذه الأنحاء، يليها مبنى عال له باب ونافذة علوية، وفي أعلاه قبة خضراء منخفضة تستند إلى رقبة ذات صف من نوافذ ضيقة.

ويوجد في الشرق من هذا المبنى مبنى آخر، ملفت للنظر، يتألف من ثلاثة طوابق، بلون رمادي، في الطابق الأرضي باب، وفي كل طابق نوافذ، وإلى يمين المبنى، ويلصقه، توجد حجرة لها قبة مخروطية مستدقة الرأس، ذات مقرنسات، على الطراز السلجوقي (الشكل 5)، ونعتقد أن هذا المبنى هو المدرسة القادرية التي تحولت قبل هذا العصر إلى جامع كبير، وأضيفت إليه هذه القبة المخروطية على ضريح مُدرِّسها الشيخ عبد القادر الكيلاني. وتكثر أشجار النخيل في الزاوية الجنوبية الغربية، فضلا عن أشجار فاكهة، ومن المعروف أن هذا الجزء من المدينة كان يشتمل مزارع للخضروات، مما تظلل تلك الأشجار، وقد عرف بالبصلية لهذا السبب.



الشكل (5)

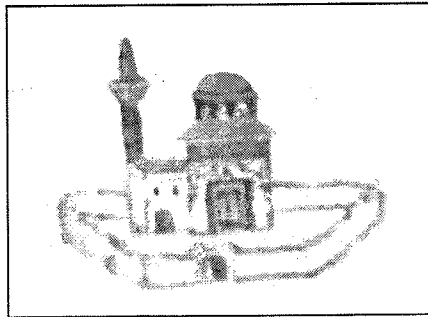
القسم غير المأهول

لا تتجاوز المساحة المأهولة من بغداد، بحسب المطراقي، نصف مساحتها الكلية، وهو تقدير قريب من معطيات خارطة لبغداد رسمها نيبور سنة 1767، مما دل على أن نموها لم يكن قد اضطرد حتى هذا التاريخ. أما المساحة غير المأهولة، أو القليلة الكثافة، فهي التي تمتد من نهاية الجزء المأهول حتى سور بغداد، وأهم ما يشغل هذا الجزء وجود مقابر واسعة تمتد بامتداد السور نفسه، وهي مقابر مفتوحة لا أسوار لها، ولكن تنتشر فيها الأضرحة وأكثرها ذات قباب مخروطية مستدقة الرأس، ومنها أضرحة ذات قباب مستديرة عادية.

وتفصل بين هذه المقابر والجزء المأهول من المدينة ثلاث أحواض غير منتظمة من أرض مزروعة مسورة بسياح من أغصان مثبتة بأوتاد إلى الأرض، وفي طرف كل مزرعة حجرة يظهر أنها خاصة بحارس الأرض أو المكلف بها. وثمة مزرعة تتصل بالسور نفسه، وعندها يوجد مبنى مرتفع في وسط فناء يحيط به سور، وفي ركني السور برجان اسطوانيان على إحداهما قبة منخفضة خضراء، وواضح أن مهمة المبنى دفاعية محضة.

ويوجد في مكان بين المزرعة التي في الجهة الجنوبية، والسور الشرقي للمدينة، مسجد كبير، يتألف من مبنيين، الأول، وهو الذي على اليمين، عبارة عن حجرة عالية على نحو واضح، في واجهتها باب كبير، تعلوه ثلاث كوى صغيرة، يليه في أعلاه شريط عريض يغلب أنه يضم كتابة ما، وتعلو هذا الشريط سقيفة عريضة تبرز إلى الخارج، وتتدرج ارتفاعاً من الجهة الأخرى حتى تنتهي في وسط الحجرة، حيث تقوم رقبة لها أربعة نوافذ معقودة، تستند إليها قبة على شكل نصف كرة زرقاء اللون. ومن المحتمل أن تضم هذه القبة ضريح أحد الصالحين، وهي تقع في الأرض التي شغلها ضريح الغزال المسمى محمد الغزالي ومقبرته.

وتتصل بهذه القبة حجرة أخرى، له باب مستقل، ويعلوها سقف منخفض ومستوي، باللون نفسه، ومن الواضح أن الحجرة الأخيرة تضم مسجداً بدلالة وجود مئذنة في ركنها الأيسر الأخير، ولها حوض مكشوف يستند إلى قاعدة من مقرنسات آجرية، وتغطي قمتها قبة صغيرة يعلوها ميل. ويحيط بالمبنى سور خارجي يأخذ شكلاً معينياً من أربعة أضلاع غير متساوية الطول، وفي الضلع المقابل للمشاهد باب يزينه من أعلاه افريز (الشكل 6).

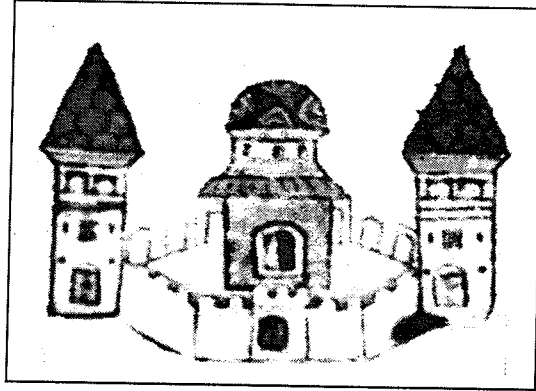


الشكل (6)

ويظهر في مكان قريب من الباب الجنوبي، وهو المسمى الشرقي، كتلة من ثلاثة دور متراصة، بطابقين، وإلى جانبها حجرة تعلوها قبة مخروطية لها ست طوابق من المقرنسات الآجرية. ويوجد في موضع قريب من الضلع الجنوبي للسور، مسجد آخر له باب بمصراعين، وأسكفة علوية مستقيمة، ونافذة مستديرة في أعلاه، وقبة زرقاء على هيئة نصف كرة، تقف على رقبة باللون نفسه، وتنهض إلى جانبها مثدنة ذات رأس مستدق.

ولا توجد ضواح للمدينة، فيما عدا ضاحية في خارج باب المعظم، تتألف من عدد من الدور العادية، بطابق واحد، يمكن أن تكون دور فلاحين.

ومما يلفت النظر في هذه الضاحية وجود مبنى يتكون من حجرة لها باب وتعلوها ظلّة خضراء، تتدرج ارتفاعاً باتجاه وسط الحجرة، حيث تستقر رقبة فيها صف من النوافذ، تستند إليها قبة مزينة بدوائر مرسومة على خضراء على شكل نصف كرة. ويحيط بالمبنى سور يأخذ شكلاً سداسياً، فيه باب، وفي أعلاه مزاغل مكشوفة. ويوجد على طرفي هذا السور برجان عاليان في كل منهما باب، تعلوه نافذة مربعة، وتنهض من عليه قبة مخروطية مستدقة الرأس، مزينة بزخرفة على شكل مسدسات متراصة كخلايا النحل، على أرضية خضراء اللون (الشكل 7).



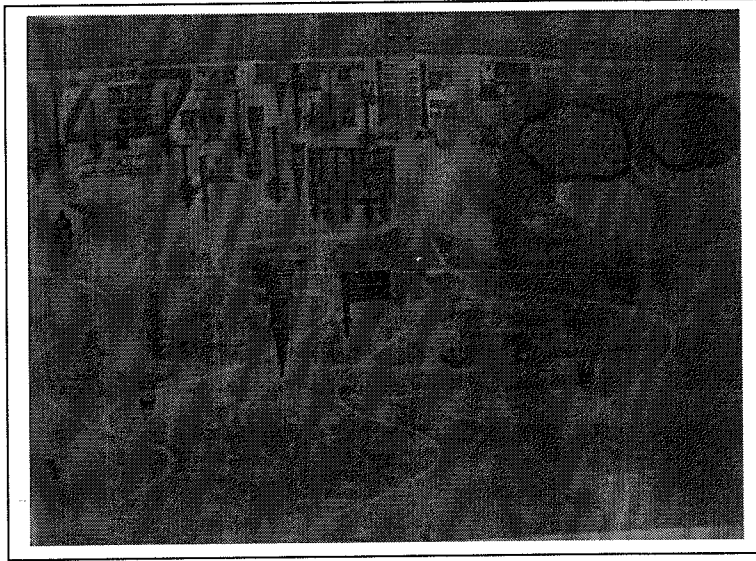
الشكل (7)

كما يوجد مبنى شبيه بهذا المبنى لا يبعد كثيراً عنه، ويقع في مكان قريب من باب المعظم، وهو يتألف من برجين متجاورين، على كل منها قبة خضراء على شكل نصف كرة. ويحيط بالمبنى سور يأخذ شكلاً سداسياً، وواضح أن مهمة هذه

الأبراج المحصنة كانت دفاعية بالدرجة الأولى، والبرج الأول منهما يقرب أن يكون زبية عسكرية كاملة، وفي هذه الحال تكون مهمتها الدفاع عن باب المدينة وتحصيناتها الخارجية.

الفضاء المحيط

الفضاء المحيط بسور بغداد قفر، خال من العمران، باستثناء حجرة صغيرة عليها قبة مشيدة على الطريق الخارج من باب الطلسم، من أبواب بغداد الشرقية، وواضح أن القبة تضم ضريح أحد الصالحين. وثمة خطوط بيض تتلوى في الفضاء، ترمز إلى الطرق التي كانت تؤدي إلى المدينة. ولون الأرض بني مصفر، يحاكي لون التراب. وفيها أشواك ونباتات برية، وضع وغزال.

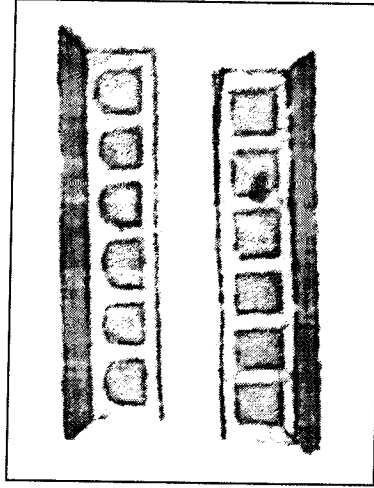


a48

بغداد: الجانب الغربي

تمثل هذه الصورة الجانب الغربي من مدينة بغداد، ويظهر هذا الجانب وهو خال من أي سور، لأن بناء سور للجانب الغربي لم يجر إلا في منتصف القرن الثاني عشر الهجري (18م). ويرتبط هذا الجانب بالجانب الشرقي بجسر عائم على زوارق، مربوطة بسلسلتين مثبتتين بوتدين كبيرين على جانبي الجسر. وبشكل عام فإن كثافة السكن في الجانب الغربي تبدو أقل بكثير منها في الشرقي.

يطل على جانبي الدرب النافذ من الجسر، صفان من العقود أو الإواوين،
يظهر أنها دكاكين (الشكل 8)

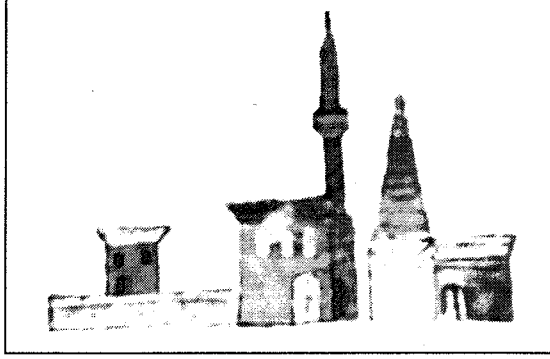


الشكل (8)

ويلي هذا الدرب، من الجهة اليمنى، وهي الشمالية، بستان كبير مستطيل مسور بسور ملون بالبني الغامق، يظهر أنه من الطين، فيه صفان من نخيل مثمر، وتتوزع بينها خضروات. وفي الزاوية اليسرى من أدناه مسجد في واجهته باب بمصراعين، وعن يساره نافذتان بأسكفات مستقيمة، تعلوهما اثنتان معقودتان، ويعلو الجدار افريز بارز إلى الخارج، وتتصل به من يمينه مئذنة لها حوض في منتصفها وقبة صغيرة في أعلاها. وتوجد عن يمين هذا البستان مباشرة حجرة تعلوها قبة مخروطية سلجوقية الطراز، لها عشر طبقات من المقرنسات الأجرية.

وتلي هذا المسجد دور سكنية عادية من طابق واحد، بينما يوجد برج عريض يحيط به سور على الشاطئ، وفي أعلاه ظللة بارزة، ويظهر أنه موقع دفاعي لحماية مدخل الجسر، ويتصل به، من الجهة نفسها مسجد له باب بأسكفة عليا مستقيمة، وثلاث نوافذ طولية، وفي أعلاه ظللة خضراء بارزة إلى الخارج، ولا قبة له، وثمة مئذنة عالية تقوم عنده، لها رأس مخروطي مدبب. ومن المحتمل أن يكون هذا المسجد هو مسجد قمريه الشهير الذي شيده الخليفة المستنصر، حيث لا يوجد على شاطئ دجلة في هذا الموضع إلا المسجد المذكور، كما أن من ميزاته أن مئذنته تلاصق مبناه، كما رسمها المطراقي.

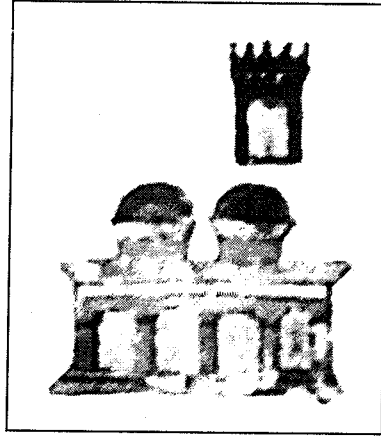
ويوجد في موقع يلي هذا المسجد مبنى آخر هو عبارة عن حجرة تعلوها قبة مخروطية على الطراز السلجوقي لها عشر طبقات من المقرنسات الأجرية، ملونة بالأحمر، ولا شك في أنها تضم ضريحاً ما. وتتصل بها مباشرة حجرة أخرى لا قبة لها، ولكن لها ظللة بارزة، ويصعب تعيين هوية هذا المبنى لقلة المعلومات المتاحة عن هذه الناحية عصر ذاك. ويمكن أن يكون رباط سلجوقي خاتون الأخلاطية زوجة الخليفة الناصر لدين الله، والذي عرف في عصر المطراقي باسم قليج ارسلان نسبة إلى أبيها، كما ذكر ذلك في موضع آخر من رحلته (الشكل 9).



الشكل (9)

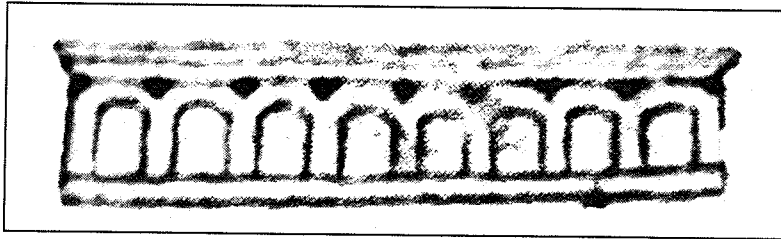
وتوجد في مكانين قريبين منه، لكنهما أبعد عن النهر، قبتان أخريان على الهيئة نفسها، يليهما مسجد في نهاية القسم المأهول، في واجهته باب معقود وثلاث نوافذ علوية، وتعلوه ظللة بارزة إلى الخارج بلون قرميدي، وبتصاله مئذنة عالية خضراء اللون، لها باب من مستوى الأرض، وفي منتصفها حوض، وفي أعلاها قبة مستدقة.

وفي أدنى المبنى المذكور كتلة من دور متراصة تشير إلى وجود محلة في هذا الموضع مكتظة بالدور السكنية، ومن المحتمل أنها المحلة التي عرفت في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) بسوق الجديد، يليها بالاتجاه نفسه مبنى له واجهة خضراء، تقوم على خمسة عقود تشغلها شبابيك كبيرة، وفي أعلاه إفريز أبيض، يليه حافة بارزة إلى الخارج، بلون قرميدي، وتعلو المبنى رقتان باللون نفسه، يزينهما إفريز أصفر، وتستند إليهما قبتان خضراوان بهيئة نصف كرة، وتحيط به ساحة مربعة مسورة بسور قرميدي له بابان متقابلان، أحدهما يطل على النهر، والآخر على الفضاء المجاور (الشكل 10).



الشكل (10)

وتقابل الباب الأولى مسناة بيضاء اللون ظهر قسم منها في دجلة. وهذه المسناة الغاطسة هي التي عرفت وما تزال بالسِّن⁽¹⁾، وبمسناة خضر الياس، وتقع مقابل مقام الخضر، وهو مشهد تنسب إليه محلة صغيرة هناك⁽²⁾، فهذا المبنى هو ذاك المقام بلا ريب. وثمة مبنى عند ذلك الفضاء يتألف من ثماني عقود، بلون أبيض، يظهر أنه سوق هناك (الشكل 11).



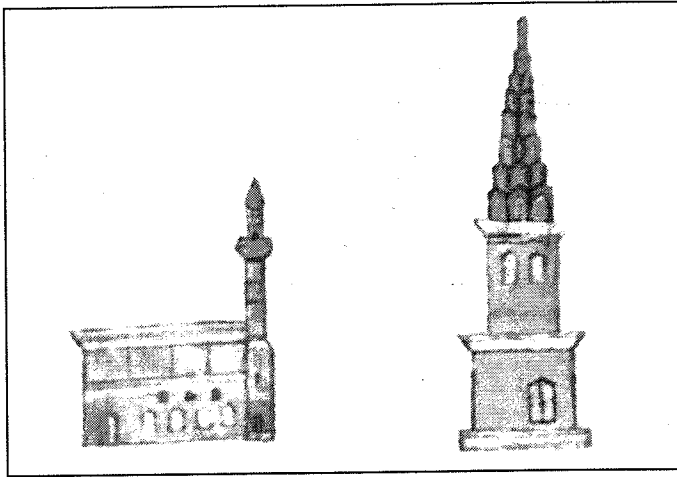
الشكل (11)

وينطلق من الجسر طريق آخر، يتجاوز القسم المأهول الذي وصفناه، ليمضي باتجاه الفضاء القفر الذي أمامه، ثم ينحرف يمينا ليمر بمبنيين، الأول الذي على اليمين، عبارة عن حجرة منفردة، لها باب بمصراعين، وفوقها رقبة طويلة، يلتف

(1) مسناة ضخمة غاطسة مبنية بقطع كبيرة من الأجر كتب عليه اسم الملك نبوخذنصر (605-563 ق.م)، أحد ملوك الدولة البابلية الثانية.

(2) محلة على شاطئ دجلة تحدها من الجهات الأخرى محلات التكرارة والست نفيسة وسوق حمادة. كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، ص 103-104.

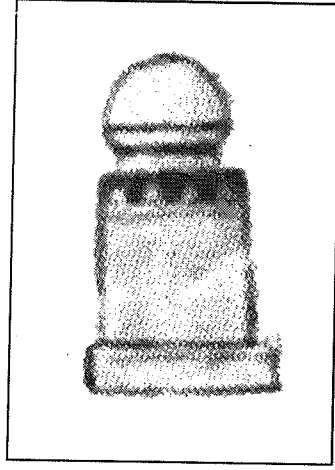
حولها شريطان كتابيان، ولها نافذتان طوليتان معقودتان، وتستند إليها قبة مخروطية مقرنسة على الطراز السلجوقي، لها ثماني طبقات من المقرنسات، ونرجح أن تكون قبة السيدة زمرد خاتون السلجوقية، زوجة الخليفة الناصر لدين الله، وهي القبة المعروفة الآن بقبة السيدة زبيدة في مقبرة الشيخ معروف الكرخي. وإلى اليسار من هذه القبة رسم المطراقي مسجداً له باب من جهته اليسرى، إلى يمينه أربع نوافذ طولية معقودة، وفي أعلاها ثلاث نوافذ مستديرة، ثم شريط كتابي، ويعلو هذا الشريط جدار خال من النوافذ، ينتهي بإفريز وظلة بارزة إلى الخارج. وتلاصقه مئذنة لها باب من أسفلها، وفي وسط بدنها نطاق زخرفي، وفي أعلاها حوض مكشوف⁽¹⁾، ولها قبة مخروطية مستدقة. ومن المؤكد أنه جامع الشيخ معروف الكرخي في وسط مقبرته البعيدة يومذاك عن الجزء المأهول من محلات الكرخ (الشكل 12).



الشكل (12)

وإذا ما انحرف السائر في تلك النواحي باتجاه اليمين قابله ضريح في وسط الفضاء تعلوه قبة صغيرة غير ملونة، والراجح أنها قبة الشيخ جنيد البغدادي في وسط المقبرة المنسوبة إليه، والمعروفة في العصر العباسي بالمقبرة الشونيزية (الشكل 13).

(1) أنشأها الخليفة الناصر لدين الله سنة 612هـ/1215م كما تشهد بذلك كتابة بالأجر على حوضها.



الشكل (13)

أما القسم العلوي من الصورة، فهو الأقل سكاناً من القسم الذي ذكرناه، فلا يوجد فيه - بحسب المطراقي- غير مبنى منفرد على شاطئ دجلة، يتكون من برج مرتفع ينتهي من الأعلى بشرفة، أو رقبة، وتتصل بالبرج قاعة يتوسطها باب، ويعلوها افريز أخضر، وفي أعلى المبنى كله رقتان، ولكن لا قباب لها، وربما نسي المطراقي رسمها.

الفضاء المحيط

يحيط بالمكان أرض قفر، تنتشر فيها الأشواك البرية، وتكثر فيها الحيوانات، منها أرانب، وأسود، وغزلان. وبعض الأسود يبدو قريباً جداً من عمران هذا الجانب. ويوجد في ناحية قريبة من دجلة، في أعلى الصورة، بستانان مسوران بالأغصان اليابسة⁽¹⁾، من نوع البساتين التي رسمها في الجانب الشرقي من بغداد.

(1) قال نيبور: وجدت في ضواحي المدينة الغربية كثيراً من البساتين الخالية من السكان تقريباً. رحلة نيبور ص36. وقد لاحظنا أن هذين البستانين يخلوان من حجرة لحارس أوبستاني كما في بساتين الجانب الشرقي.

رحلة عالي بك الى بغداد سنة 1301هـ/1885م

توجد بين مخطوطات المؤرخ العراقي عباس العزاوي (المتوفى سنة 1390هـ/1971م) اضمامة من اوراق حفظت في ملفه تضم موضوعات أخرى، كتب عليها أنها (رحلة مترجمة من التركية بقلم المحامي عباس العزاوي)، وقد كتبت الترجمة بخط عادي سريع بقلم الحبر، وتسرع مفرس⁽¹⁾ فظن أنها بخط العزاوي، وعند مقارنة الخط الذي كتبت به بخط العزاوي تبين لنا على الفور أنه ليس له، بل أن الترجمة نفسها ليست من إنشائه، فاسلوبها يختلف عن أسلوبه تماماً، وفيها من الركة والأخطاء الإملائية ما لم يرتكبه في أي مما كتب، ثم أن أحدهم صحح مواضع من النص بقلم من الحبر الجاف، او بقلم الرصاص، ليس خط العزاوي أيضاً، وفي (تصححاته) أخطاء إملائية أخرى.

ولما كان عباس العزاوي معنياً في أثناء جمعه مواد كتبه العديدة، بالتقاط كل ما به علاقة بتاريخ العراق في القرون المتأخرة، فقد ضم هذه الترجمة الموجزة للرحلة إلى مكتبته الغنية بأفانين الكتب والمخطوطات عسى أن يفيد منها في دراسة مقبلة، إلا أنه لم يفعل، وبقيت الرحلة بعيدة عن اهتمام الباحثين.

المؤلف

كتب معرب الرحلة في الورقة الأولى من تعريبه ترجمة قصيرة لصاحب الرحلة عالي بك لا تتجاوز العشرة اسطر.

وخلاصة ما كتبه أنه كان والياً في طريزون فصار مدير ادارة الديون العامة، وأنه أوفد في مهمة تتعلق بتفتيش الأمور المالية لعدد من الولايات في الدولة العثمانية، فبدأت رحلته بأن غادر استنبول في يوم الخميس 3 كانون الثاني من سنة 1300 رومية (الموافقة 1301هـ/1884م)، ماراً بـ(مدلولو) و(ابو النور) و(أزمير) و(مرسين) و(اسكندرونه) ومنها توجه الى (حلب) و(كليس) و(عينتاب) و(بيرجك) و(ديار بكر) و(سعرد) و(بتدليس) و(موش) و(ماردين) حيث كانت له صلوات بعشيرة شمر، ومنها ركب (كلكا) في 2 أيلول 1301 رومية (الموافقة 1302هـ/1885م)

(1) مجلة المورد، المجلد 12، العدد 4 (1410هـ/1989م) ص242

انحدر به في نهر الفرات فمر ب(حصن كيفا)، و(جزيرة ابن عمر) التابعة لبلدة ماردين، ثم وصل إلى قرية (الحمادات)، ومن هناك غادر الكلك وذهب براً إلى الموصل، وبعد وصوله إليها ركب الكلك أيضاً فانحدر به إلى تكريت ثم سامراء، ومنها إلى الأعظمية، ومنها إلى بغداد، حيث أقام بها مدة من الوقت، وبعدها انحدر إلى البصرة، ومنها إلى أبو شهر فبومباي في الهند، ومن الأخيرة إلى عدن، ومنها السويس فالقاهرة ثم الإسكندرية، ومنها إلى استانبول، وكانت عودته إليها في 1304 رومية (1305هـ/1888م)⁽¹⁾.

وواضح أن الرحلة امتدت لتشمل مدناً وقصبات ومعالم عديدة، إلا أن المعرب اقتصر منها على ما له صلة بمدينة بغداد فحسب، وحتى هذا جاء مختصراً، بل أنه سكت عن معلومات تخص أعمال بغداد نفسها، مكتفياً بالخطوط العريضة لإقامة صاحبها فيها ومشاهداته للملامح الحياتية فيها. ومنهج المعرب في هذه الرحلة يتراوح بين أن يعرض كلام صاحبها منسوباً إليه، وحينذاك يكون الضمير للمؤلف، أو أن يعرض بنفسه وقائع الرحلة وفي هذه الحال يكون الضمير للكاتب.

وتتمثل أهمية الرحلة بالجوانب الآتية:

- 1- أنها رحلة غير معروفة للباحثين، فلم يفد منها باحث فيما نعلم، ومنهم مترجمها العزاوي نفسه.
- 2- أنها رصدت أهم المعالم العمرانية التي انشئت في بغداد في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وتمثل هذه المعالم مؤسسات جديدة لم تعرفها المدينة من قبل، منها مثلاً مدرسة عسكرية حديثة، ومستشفى عصرية، ومدرسة صناعية، ومعمل للحديد، فكانت هذه المؤسسات طليعة لمرحلة جديدة من تاريخ بغداد.
- 3- تناولت الرحلة صورة بغداد بجانبها في عهده، والملامح الأساسية للبيت البغدادي، بحجراته وغرفه وفنائه وطرقاته وسطحه، ومواد بنائه، وغير ذلك.
- 4- أنها لم تقتصر على الجانب العمراني فحسب، وإنما تناولت الحياة الاجتماعية، فقدمت تقديرات للسكان، وطوائفهم، ولغاتهم، وأزياء الرجال منهم والنساء، بتفصيل جيد.

(1) طبعت الرحلة في استانبول سنة 1314 رومية/1898م، وتقع في 119 ص.

5- انها تطرقت إلى الخدمات الأساسية في بغداد، لا سيما سبل توفير مياه الشرب، وشؤون السقاية والسقائين، والبدايات الأولى لاستعمال المضخات في توصيل المياه الى الدور، وأحوال الحمامات العامة، وسبل النقل البري، وأهمها الترامواي الذي أنشأه والي بغداد مدحت باشا، والنقل النهري المعروفة عهد ذاك. وغير ذلك.

والمخطوطة محفوظة في دار المخطوطات ببغداد تحت العدد 33325، ويبلغ عدد صفحاتها 25 صفحة، وعدد السطور في الصفحة الواحدة 17 سطراً، وهي بمقياس 28×21سم. ونظرا لوجوه الأهمية التي ذكرناها، فقد قمنا بتحقيق هذه الرحلة الفريدة والتعليق عليها على النحو الذي يراه القارئ الكريم. ومن الواجب القول بأننا أبقينا على نص الترجمة كما أوردها كاتبها دونما تغيير يذكر، إلا أننا اضطررنا في حالات قليلة الى اعادة صياغة جملة بذاتها لتبدو مفهومة إذا كانت ثمة ضرورة إلى ذلك، وأضفنا في بعض العبارات كلمات لاتمام السياق حصرناها بين معقوفين [..]. كما أضفنا عنوانات جانبية حصرناها بالمعقوفات ذاتها.

وأخيرا لا بد لنا بهذه المناسبة ان نشكر الصديق الباحث السيد زين النقشبندي على توفيره نسخة مصورة من اصل الرحلة المحفوظ في دار المخطوطات ببغداد فور طلبنا اليه ذلك، جزاه الله خيرا. والله تعالى من وراء القصد.

[الرحلة]

بغداد

كان عالي بك قد وصل سامراء وزار مراقدها المباركة، ثم مضى في طريقه نهراً حتى وصل مصب نهر العظيم، ويسميه الترك (شط أدهم) وهو غير صحيح⁽¹⁾، ومنها تحرك الكلك ووجهته قرية السندية⁽²⁾، ثم وصل الى قرية (الجديدة)⁽³⁾، ومنها وصل

(1) ربما يكتبه غير الترك على هذا النحو، اما الترك فيكتبونه على وفق لفظه العربي.

(2) السندية قرية على دجلة من أعمال قضاء الخالص.

(3) اسم لقريتين من أعمال الخالص، عرفت أولاهما بجديدة الأعوات، وبالتركية (ينكيجة آغالر)، وعرفت الأخرى بجديدة الشط، وبالتركية (باش ينكيجة) أي الجديدة الرئيسة، وهي ما مر به المؤلف في رحلته هذه، وأغلب الظن أنها الاقدم عهداً، وقد عرفتھا الوقفيات المبكرة بالجديدة (أو ينكيجة) مطلقاً، وأشار إليها، عرضاً، عبد الله الغياث البغدادي في حوادث سنة 1469/هـ 874 م. التاريخ الغياثي، تحقيق د. طارق نافع الحمداني، بغداد 1975، ص 334.

الى قسبة الاعظمية، وسميت بذلك لأن الإمام الأعظم أبا حنيفة قد توفى فيها ونسبت الى اسمه، وتقع في الجانب الايسر من دجلة، وفي الجانب الآخر بلدة الإمام موسى الكاظم، وقد شاهد التربة والجامع الشريف والقبة والمنارات من مسافة بعيدة.

[الأعظمية]

ولما وصل الى الأعظمية دخل دار نعمان أفندي متولي وسادن حضرة الامام الأعظم، فرأى الدار مفتوحة، ورأى الناس يدخلون اليها، فاستقبله من في الدار من أعوان، فصعدوا الى الطابق الثاني، ورأى شيخاً هناك وعلى رأسه عمامة، وكان قد بشرَّ به، وقد أبدى لطفاً وقال له: يظهر أنكم أتيتم من سفر فاستريحوا ثم توضأوا، وسنذهب معاً الى الجامع الشريف. وعلمت أن هذا المحل لم يكن خاناً ولا قهوة.

وأبدى المتولي اعتذاره، وبيَّن أنه سادن وأن هذا بيته، وأخذني الى غرفة أخرى فتوضأت، ونفضت الغبار عن أثوابي. ثم أن أعوانه قدّموا لي طعاماً وافراً، مع أن المومى اليه لم يعلم من أنا ولا من أين أتيت، وكل ما علّمه عني أنني ضيف، فأكرمني وأعزني، ثم أذن المؤذن فذهبنا لأداء صلاة الجمعة، ففتح نعمان أفندي التربة الشريفة ووقفنا لزيارة مرقد الإمام الأعظم، وأن الجامع ذو منارة واحدة جسيمة، وله جبهتان على الطريق والسوق، وله ساحة كبيرة، [وهو] ذو بابين.

وفي [هذه] الأثناء رأيت حفيد الوالي الأسبق مجيد باشا⁽¹⁾، وهو مجيد بك من أحبائي، وكان معه بهجت بك ناظر الديون العمومية في بغداد، فأديت لهم شكري لما قاموا به من التفات نحوي، كما أنني كرّرت شكري الخاص لنعمان أفندي لما أبداه من حسن ضيافة، فودعته وركبت عربة مع نجيب بك وبهجت بك، فوصلت بعد نصف ساعة الى بغداد، وقضيت [النهار] في دار بهجت بك.

[سور بغداد]

ثم تطرق الى بغداد، وبين أنها معروفة ب (الزوراء) و(دار السلام)⁽²⁾، وأن القسم الاعظم من بغداد في يسار الشط، (وضمن سور)⁽¹⁾ (دجلة) او (الجانب

(1) يريد الوالي الأسبق لطرابزون وليس لبغداد.

(2) دار السلام هي الجنة وشبهت بها فصار يطلق عليها هذا الاسم واسمها الصحيح (مدينة

السلام) (المترجم).

الشرقي)، والقسم الأصغر في القسم الأيمن من الشط، وأن الجسر المتخذ من الخشب والمرتكز على جساريات^(٢) يصل بين الجانبين، وأن الجانب الأيسر من المدينة، وهو القسم الأعظم، يقال له (الرصافة)^(٣)، والقسم الأيمن من المدينة يقال له (الكرخ). وفي الرصافة دائرتا بلدية، وفي الكرخ دائرة تالفة للبلدية، وقيل أن سور المدينة يمنع توسعها، ولذا اقتلع وهُدْم، واليوم للسور بابان بشكل (بُرج)^(٤)، وهما من بقايا ذلك السور.

هذا وقيل [أن] سور قلعة ديار بكر مانع من توسعها، ولذا بُنيت دارٌ للحكومة خارج القلعة، في حين أن المدينة بقيت على حالها القديم، ومن ثم عادت الحكومة الى محلها القديم كما سبق ذكر ذلك. أما بغداد فإن سورها قد هدم منذ ثلاثين سنة^(٥)، ولكن ذلك لم يُجد نفعاً في توسع المدينة، وإن المدينة بقيت مهددة بهجوم العشائر بسهولة وتسلطهم عليها، وكان [ذلك] قد ولد الخوف، ولكن زال الخوف في هذه الايام، إلا أن المدينة مهددة بمياه الفيضان، وكان السور مانعاً من دخوله الى المدينة، والآن خطر دخول المياه ملحوظ ومنتوق^(٦)، كما أن توسع المدينة يتوقف

- (1) هذه العبارة اقحمت على النص فأريكته، وإلا فالشط هو دجلة، ولا موقع للسور في السياق.
- (2) مفردها جسارية وهي زوارق عريضة محكمة تصف الواحدة إلى الأخرى وتشد بالحبال المتينة أو سلاسل الحديد، وتمد من عليها ألواح الخشب لتيسر مرور المارة بين جانبي النهر.
- (3) هذه هي التسمية التي شاعت في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، وإلا فإن الرصافة هي حي في شمال الجانب الشرقي، أنشأه المهدي العباسي في عهد تأسيس كدينة المنصور، ولا تتجاوز حدوده الجنوبية حدود رأس الحواش، إحدى محلات الأعظمية اليوم. ثم جرى اطلاق اسم هذا الحي على الجانب الشرقي كله من باب اطلاق اسم الجزء على الكل، على ما يذكر المؤلف هنا. ينظر كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد.
- (4) كان لبغداد الشرقية سور أنشأه الخلفاء العباسيون المتأخرون، له اربعة ابواب هي باب السلطان (باب المعظم)، وباب الظفرية (الباب الوسطاني) وباب الحلبة (باب الطلسم) وباب البصلية أو باب كلواذي (الباب الشرقي)، وبينما لبث باب السلطان حتى ما بعد عهد المؤلف، ونسف باب الحلبة في اثناء الحرب العالمية الأولى سنة 1917، ونقض باب البصلية في ثلاثينات القرن الماضي، لبث باب الظفرية قائماً حتى اليوم. ينظر بحثنا: الباب الوسطاني وما حوله، نشر على موقع الألوكة الفراء.
- (5) هدم هذا السور في عهد واليها مدحت باشا (1286-1289هـ/1869-1872م).
- (6) في الأصل: ملحوظاً ومنتوقاً. وقد تحقق ظن المؤلف، ففي محرم من سنة 1333هـ/تشرين الأول 1914 ارتفعت مناسيب نهر دجلة ارتفاعاً هائلاً، فدخلت المياه بغداد من جهة الباب

على زيادة النفوس والإتصال بالخارج عن طريق وجود التجارة والصناعة وتكاثرهما، ومن جهة أخرى ان المدينة إذا زادت ثروتها تتوسع مطلقاً، وان سورها لا يمنع من هنا التوسع ابداً.

[من المعالم البارزة في بغداد]

1- وعندما يجيء المرء الى بغداد من طريق الشط من الرصافة يشاهد أولاً قصر النجيبية الذي أقام فيه المرحوم ناصر الدين شاه (وهو شاه ايران) سنة 1288 (رومية)⁽¹⁾ حينما ورد للسياحة في بغداد⁽²⁾.

2- مكتب الصنائع⁽³⁾.

الشرقي، فأحدثت من التدمير والتخريب والفضوى الكثير. عبد الكريم العلاف: بغداد القديمة، بغداد 1958، ص231.

(1) ويوافق دخوله بغداد يوم الإثنين 28 شعبان سنة 1278هـ/1870م.

(2) كانت تشغل ارض هذا القصر في العصر العثماني بساتين تملكها بعض وجهاء بغداد ومنهم قادة من المماليك الذين حكموها منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى الثلث الول من القرن التاسع عشر، بينما شغلت جزءاً منها طابية مدفعية (ربيبة) للدفاع عن سور بغداد ومدخلها الشمالي، وقد اشترى والي بغداد سليمان باشا الكبير هذه البساتين ووقفها على مصالح المدرسة السلطانية التي أنشأها، وبعد زوال حكم المماليك أهملت هذه الأرض فقام متوليها بإنمائها عن طريق "دفعها على وجه الاحتكار بأجرة المثل" إلى والي بغداد محمد نجيب، فاستتبت هذا بالأشجار فعرفت البستان بالنجيبية نسبة اليه، ونظراً لموقع البستان المطل على شاطئ دجلة والقريب من باب المعظم فقد أتجهت إليها انظار والي بغداد مدحت باشا فاتخذها حديقة نزهة واسعة سميت رسمياً بحديقة البلدية، كما عرفت باسم المجيدية نسبة الى السلطان عبد المجيد الذي انشئت في عهده، فكانت اول حديقة عامة انشئت ببغداد في العصر الحديث، وفي شطر منها جرى تشييد القصر الفخم الذي اقام فيه الشاه ناصر الدين شاه في اثناء زيارته لبغداد، ولا يعرف الى اي عهد لبث القصر قائماً، إلا أن المؤلف ذكر في رحلته أنه أصبح مقراً لإقامة ولاية بغداد المتأخرين، وسماه الشيخ محمود شكري الألوسي (القصر الناصري)، ووصفه بأنه «يعجب الناظرين». وفي سنة 1313هـ/1895م ادخلت ميانيه في ضمن ارض مستشفى عسكري شيد هناك، عرف بخسته خانة المجيدية، وكان يتخذ شكل مستطيل كبير تطل واجهته على دجلة، وفي عهد الدولة العراقية اصبحت المستشفى عامة للمدنيين ايضاً، باسم المستشفى الملكي. الألوسي: أخبار بغداد، بتحقيقنا، بيروت 2010، ص120 وكتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، بغداد 2000، ص342-343 والعلاف: بغداد القديمة ص29.

(3) المكتب هنا المدرسة، أنشأ مدرسة الصنائع في بغداد والي بغداد مدحت باشا سنة 1287هـ/1871م، وكانت تشغل مبناها قبل ذلك المدرسة العلية التي أنشأها والي بغداد علي

3- دار الحكومة⁽¹⁾ مع ادارة المشيرية⁽²⁾.

4- القشلة الهمايونية⁽³⁾.

باشا سنة 1176هـ/1761م، وكنا قد توصلنا إلى أن هذه الأخيرة شغلت، مبنى مدرسة قديمة سابقة هي المدرسة العلائية الشاطئية التي أنشأها الأمير علاء الدين علي بن عبد المؤمن المعروف بالسكرجي، أخو والي العراق شمس الدين السكرجي (693 إلى 694هـ/1293-1294م)، وابتدأ بإنشائها سنة 693. وقد ضمت مدرسة الصنائع مطبوعة صدرت عنها أول جريدة عراقية، هي جريدة الزوراء سنة 1869، وقد تحولت الدار في عهد الاحتلال البريطاني إلى مرأب ومعمل لتصليح السيارات، وفي أوائل عهد الحكومة العراقية اعيد تأهيل الدار لتكون قصراً للملك فيصل الأول، فالملك غازي، وتحول منذ سنة 1938 ليكون مقراً للمجلس النيابي، حتى سقوط النظام الملكي، فمحكمة عسكرية خاصة بعده، ثم متحفاً عسكرياً سنة 1967، ثم جدد المبنى تماما سنة 1980 واتخذ قصراً كبيراً للثقافة والفنون، وأخيراً اتخذ مقراً لمؤسسة دار الحكمة، وهي مؤسسة ثقافية، ولما يزل كذلك حتى اليوم. ينظر كتابنا: المدرسة العلية في بغداد، بغداد 1986.

(1) هي سراي بغداد التاريخي، ويسمى أيضاً دار الإمارة ودار الحكم، أنشأه حاكم بغداد في عهد الصفويين بكتاش خان سنة 1041-1048هـ/1626-1638، وأنشأ أمامه حديقة، ثم جدد والي بغداد سليمان باشا الكبير (1193-1217هـ/1779-1802م) وشهد توسيعات مختلفة، فكان اولاً على شكل حوش من طابق واحد له فناء واسع، فيه حديقة غناء، تحيط به رواقات وحجرات عديدة، ثم اغلق الفناء واضيف عليه طابق علوي. وشغلته في عهد الحكومة العراقية مديرية الشرطة العامة ومعاونية شرطة السراي. واخلي من هذه الدوائر في ثمانينات القرن العشرين وانتقلت ملكيته الى الهيئة العامة للآثار بنية صيانه شاملة، على ان هذه النية لم تتحقق الى الان، وهو اليوم مبنى مهجور. ينظر مرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس ص233، وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع ص363

(2) بناية أنشئت في أرض القشلة، لتكون مقراً لقيادة الجيش العثماني في العراق، يذكر العزاوي أنها افتتحت سنة 1312هـ/1894م، تاريخ العراق بين احتلالين ج8 ص124، فالظاهر أن المؤلف يشير هنا إلى بناية سابقة حملت الاسم نفسه، يؤكد ذلك قوله فيما يأتي أن «أبنيتها من أخشاب عتيقة».

(3) القشلة لفظ مأخوذ من التركية: قشلاق، وتعني حرفياً مكان مبيت الجند، وهي الثكنة، وكانت ارضها في العصر العباسي تشغلها منشآت علمية منها مدارس وربط، وفي العصر العثماني اصبحت حياً تشغله القصور، ثم اتخذه ولاة بغداد من فئة المماليك مكاناً لقصورهم التي انشأوها هناك، وكانت تفصل بينها الحدائق والمتزهات، وبعد زوال حكمهم سنة 1247هـ/1831م تحولت تلك القصور الى ثكنات للجيش العثماني واتخذ والي بغداد علي رضا باشا من قصر يوسف بك مقراً مؤقتاً لحكمه، والدور المجاورة دوائر تابعة له. وهذه الاجراءات هي التي مهدت لوالي بغداد نامق باشا الكبير 1278-1284هـ/1861-

5- المكتب الإعدادي العسكري⁽¹⁾.

ثم يُشاهد الجسر الذي يصل بين الرصافة والكرخ⁽²⁾، ثم دائرة الكُمرک⁽³⁾ التي هي تحت الجسر، والإدارة النهرية العثمانية بين بغداد والبصرة⁽⁴⁾، وشركة لُنج للمراكب البخارية.

وفي أسفل ذلك عدة بيوت وقهاوي.

وأما الجانب الآخر من الشط [حيث] محلة الكرخ، وتجاه دار الحكومة من الجانب الآخر من جهة الكرخ، تشاهد أبنية المستشفى، وهو مستشفى الغرباء⁽⁵⁾، ومعمل الحديد⁽¹⁾ ومحللات أخرى بين الجنان.

1867م لإزالة تلك القصور والدور جميعاً وإنشاء مبنى القشلة على أرضها، ثم أكمل مدحت باشا ذلك المبنى وغير فيه، فعرف بقشلة (البيادة) أي تكتة المشاة، حيث أزال الجناح الشاطئي وزاد في الأجنحة الأخرى طابقاً علوياً، وشيد له بوابة كبيرة فخمة على الطراز الإسلامي، وسورا عالياً يزينه صف من الأبراج ذات مسننات علوية، فاتخذ المبنى بذلك شكله الأخير، وفي عهد الحكومة العراقية أصبح مقراً لعدد من الوزارات، فاتخذ مبنى حيس السراي مقراً لوزارة الداخلية، والجناح الجنوبي إلى مقر لوزارة العدلية، بينما شغلت دائرة الحرم، وهي القسم الشاطئي من السراي، وزارة المعارف، وأضيف في وسطه مبنى كبير أصبح مجلساً للوزراء، ثم أخلي المبنى من ذلك كله، ونقلت ملكيته إلى وزارة الثقافة والأعلام، وجرى تجديده، ليصبح مقراً للهيئة (المؤسسة) العامة للآثار والتراث حتى سنة 2004م. ينظر محمود شكري الألويسي: أخبار بغداد، بتحقيقنا، ص366.

(1) اي المدرسة الاعدادية العسكرية، جرى انشاؤها سنة 1296هـ/1879م في عهد الوالي عبد الرحمن باشا، على أرض كانت تشغلها دائرة الدفترخانة، وهي مؤسسة مهمة تختص بضبط دفاتر الأراضي وشؤون الملكيات، ولما نقلت هذه المدرسة إلى حيث انشئت المدرسة الإعدادية (الثانوية المركزية اليوم) اتخذ مبنى المدرسة مقراً للمحاكم المدنية والجزائية، ثم أخلي منها في الثمانينات من القرن الماضي، وتولت المؤسسة العامة للآثار والتراث تجديد هذه المدرسة تجديداً شاملاً ويشغلها اليوم مركز ثقافي تابع لأمانة بغداد.

(2) هو جسر بغداد الوحيد الذي يصل بين جانبيها في العصر العثماني، وسيشير إليه المؤلف فيما يأتي من رحلته، وأنشئ في مكانه تقريباً جسر المأمون الذي سمي بجسر الشهداء أيضاً.

(3) كانت دائرة الكمرک تشغل جانباً من المبنى الأثري للمدرسة المستنصرية.

(4) هي المؤسسة المعروفة بشركة العُمان العثماني، وكانت تشغل جناحاً من مبنى المدرسة المستنصرية، وكان هذا الجناح قد أصبح قبل ذلك خاناً تجارياً عرف بخان المواسلة، اي الموصلين، وقد وقفه والي بغداد سليمان باشا الكبير على المدرسة التي أنشأها وعرفت بالسليمانية.

(5) ورد في هامش الأصل ما يأتي «في هذا المستشفى لا يتجاوز [عدد] المرضى أكثر من خمسة عشر أو عشرين مريضاً. ولذا فإن الوالي مصطفى عاصم باشا جعل مستشفى للبلدية

إن طول النهر على امتداد المدينة يبلغ نحو سبعة كيلو مترات، وما فوق المدينة وما تحتها بساتين النخيل تمتد ساعات. وفي أثناء ظهور الأزهار فيها يشاهد^(٢) رائحة طيبة ولطيفة جداً تتعش الإنسان برائحتها.

ولما دخلت بغداد من طريق البر آتياً من الأعظمية كانت باب الامام الاعظم متهدمة، ورأيت بقاياها^(٣)، ولما دخلت المدينة رأيت كثيراً من القهاوي في طريقي^(٤)، ثم وصلت الى محلة الميدان^(٥)، وهناك أول ما تعلق النظر به قبة جامع أحمد باشا^(٦) ومنارته النفيستين المنقوشتين بالكاشي الملون، وكانت القبة عظيمة

خارج باب الامام الاعظم، فنقل الى ما بناه هناك مستشفى الغرباء، وجعل مستشفى الغرباء مكتباً». قلنا: أما مستشفى الغرباء فقد أنشأها والي بغداد مدحت باشا سنة 1286هـ على أرض في الجانب الغربي من دجلة كانت من أوقاف الوالي سليمان باشا الكبير على مدرسته ايضاً، وقد أهملت هذه المستشفى حيناً، فقام والي بغداد قديري باشا بتجديدها 1295هـ/1870م. وفي سنة 1925 اتخذت مقراً للمجلس التأسيسي العراقي الذي وضع الدستور العراقي الأول، ثم أعيدت مستشفى مرة أخرى. بغداد القديمة ص29.

(1) وكان يعرف باسم (دمير خانه) أي دار الحديد (دمير لفظ تركي بمعنى الحديد). أنشأه والي بغداد رشيد باشا الكوزلكي لإصلاح المراكب البخارية وآلات الزراعة، ثم أهمل بعد حين، فجدده مدحت باشا سنة 1286هـ/1869م للعناية بإصلاح بنادق الجيش خاصة. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج8 ص222.

(2) يريد: تشم.

(3) كان هذا الباب يعرف في العصر العباسي بباب السلطان، بسبب مقابلته دار السلطنة السلجوقية، وموقعها في أسفل محلة العلوازية الحالية، وقد هدم الباب سنة 1923 لتوسيع مدخل بغداد وبيعت انقاضه للأهلين، ونسغرب قول المؤلف أنه رأى الباب مهمة، وأنه أدرك بقاياها، لأننا نملك صوراً واضحة للباب كاملاً في أثناء دخول قوات الاحتلال البريطاني بغداد سنة 1917. ينظر العقد اللامع ص113.

(4) عن مقاهي بغداد القديمة ينظر زين أحمد النقشبندي: تاريخ مقاهي بغداد القديمة، بغداد 2013.

(5) شغلت محلة الميدان جزءاً من محلة سوق السلطان في العصر العباسي، وإنما عرفت بهذا الاسم نسبة الى الميدان الذي نشأ بعد تأسيس قلعة بغداد في اواسط القرن التاسع للهجرة (15م) إذ كان الميدان يمثل ما يعرف اليوم بساحة العروضات حيث يجري عرض قطعات الجيش.

(6) هو المعروف بجامع الاحمدية نسبة الى مؤسسه أحمد باشا، وجامع الميدان، نظراً لموقعه المطل على هذا المعلم. وتعد قبة وقبة جامع الحيدرخانه التي أمر بإنشائها داود باشا انموذجين بأذخين على ما بلغه فن العمارة والتزويق في عهد المماليك في بغداد. أما احمد باشا فهو من ضباط المماليك الجيورجيين الذين استقدموا إلى بغداد في القرن الثامن عشر، ترقى في المناصب حتى نال رتبة (مهردار) أي حامل اختام الوالي، ثم منح لقب (بك) في عهد

وجميلة، وفي يمين الداخل قبل وصول الجامع باب دائرة المدفعية^(١)، ثم يأتي السوق^(٢) والمحلات الأخرى، والأماكن الأميرية المذكورة، منها دار الحكومة ودائرة المشيرية، [و] كانت أبنيتها من أخشاب عتيقة وباقي الأبنية من أحجار الأجر.

[عناصر السكان وأزيائهم]

إن سكان بغداد يبلغون نحو مئة ألف نسمة^(٣)، والقسم الأعظم من المسلمين، ومنهم ستة آلاف بيت لليهود، وقسم منهم من الكلدان والكاثوليك، [و] أعدا هؤلاء قد اختار الإقامة في بغداد قسم من التجار وبعض الزوار، وتكونت منهم مجموعة من الإيرانيين، وإن الأهلين بالنظر لصنوفهم ومذاهبهم تختلف ألبستهم وقيافاتهم، فتظهر الفروق بين بعضها البعض الآخر، فالأشراف والأعيان مثلاً ممن يعيشون في إيران عقارهم^(٤) يلبسون الزبون^(٥) والجبة^(٦) والمشلح^(٦)، وبعضهم يلبس في رأسه العمامة، وبعضهم (الفيس)، وإن الموظفين في أشغال الحكومة يلبسون الزيون والمشلح، وفي رؤوسهم كفيّة من إبريسم أصفر، وقسم [من] العمال يلبسون الزيون من جتاري^(٧)

ولاية سليمان باشا الكبير، ثم لثب (باشا) مما أثار حسد منافسيه، وزاد من بغضهم له أن اختاره سليمان باشا المذكور ليشغل منصب (كتخدا) وهو نائب الوالي ومساعد، واغتيل سنة 1210هـ/1795م، وكان قد شرع ببناء هذا الجامع فأكمل بناءه من بعده أخوه عبد الله بك سنة 1211هـ/1796م ووقف عليه أوقافاً جمّة منها مقاه وخانات ودكاكين وبساتين في بغداد والحلة ومندليجين وكركوك، محمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2006، ص53-60

- (1) عند الباب الجنوبي لقلعة بغداد، التي اتخذتها وزارة الدفاع بعد تأسيس الدولة العراقية مقراً لها، حيث كان يوجد المدفع الشهير بطوب ابو خزامة.
- (2) يريد السوق الكبير المعروف بسوق الهرج، وكان في العصر العباسي جزء من بسوق السلطان، نسبة إلى باب السلطان (باب المعظم) وهي الباب الشمالي لبغداد الشرقية.
- (3) هذا من تقدير المؤلف، وإلا فإن هناك تقديرات معاصرة له لأعداد السلطان تختلف عن هذا التقدير، فبينما يرى الرحالة الهولندي اينهولت الذي أقام ببغداد في سنة 1867م أن عددهم يبلغ 85 ألفاً (رحلة اينهولت الهولندي الى العراق تحقيق د. طارق الحمداني، لندن 2012 ص40)، بذهب السيد محمود شكري الألووسي يرى أنهم يبلغون نحو مائتي ألف نسمة، أخبار بغداد ص365.
- (4) كذا في الأصل.
- (5) الزيون رداء طويل له كمان طويلان، وهو مشقوق من تحت الرقبة على هيئة الرقم 7.
- (6) سيذكر المؤلف فيما يلي انه العباءة.
- (7) الجتاري هو الجادر اي الخيمة.

وأبيض رمانى أو أحمر، وكفية من إبريسم أحمر شطرنجى^(١). وإن اليهود أيضاً يلبسون الزيون والملح^(٢) وبرؤوسهم عمامة عليها نقوش. والنصارى يلبسون الزيون والملح وعلى رؤوسهم (الفيس)^(٣). ونساء المسلمين تلبس جرجف^(٤) من حرير وكلبدون^(٥) حينما تخرج الى السوق، وتلبس في رأسها (بيجة) معمولة من قماش أسود، وتلبس في رجلها حذاء يقال له جدك^(٦) (جيبك) أصفر وعالي. ونساء اليهود يلبسن جرجف معمول من تيل أصفر وفيه نقوش بيضاء ولارج وردية (لازوردية) وتضع على رأسها بيجة^(٧) من القماش الأسود وحذاء أصفر. ونساء النصارى يلبسن جرجف كنساء المسلمين إلا أنهم يكشفن عن وجوههن، وبعضاً يضعن غشاء من تول رقيق أو أسود فيتسترن به، وبأرجلهن يلبسن البوتين في الأكثر والغلوش (كالوش)^(٨).

[لغة السكان ولهجاتهم]

إن لغة الأهلين بوجه عام اللغة العربية، وكثير منهم يتكلم التركية إلا أن اللغة العربية دخلتها ألفاظ أجنبية كثيرة [منها]: (يَواش)^(٩) و (درد)^(١٠) و (خوش)^(١١) و (جاريك)^(١٢)

(1) لم نقف على معنى هذه العبارة، أهو ضرب من اللون الاحمر، ام انه يتخذ شكل مربعات متساوية الأبعاد على هيئة رقعة الشطرنج.

(2) الظاهر انه يقصد به العباءة.

(3) الفيس هو الطربوش الأحمر.

(4) تركية بمعنى الملاة والعباءة.

(5) الكلبدون القصب المذهب المكون من الخيوط الذهبية او الفضية، وتعمل منها الحواشي

المذهبة للأقمشة لا سيما (العبي) الرجالية والملابس النسائية؛ ليث رؤوف حسن: المعجم

للكلمات والألفاظ العراقية، دبي 2012، ص 371.

(6) ذكر الرحالة اينهولت أن النساء كن ينتعلن قبلا (الجدك) وهي نعال محلية الصنع لا

تحتذيها الان غير التركيات. رحلة ص55.

(7) البيجة كما يفسرها الرحالة اينهولت (رحلة ص50) : نقاب منسوج من شعر الخيل ترى

المرأة من ورائه دون أن تظهر ملامحها.

(8) كالوش: الحذاء المحاك من الخيوط وقيل هو نعال البيت الشتوي الرجالي. وفي قاموس

المعاني يذكر: كالوش : خف مطاطي يلبس فوق الحذاء العادي ويدعى أيضا كيو. ليث

رؤوف: المعجم ص371.

(9) اي: تمهل.

(10) درد: هم وكدر.

وأمثالها من تركية وفارسية، عدا ذلك فإن الانكليز يقولون بدل قدح (كلاس)، فهو مستعمل. كما أنهم يتصرفون بالكلمات التركية فيقولون (مُجمّر) أي اصابه، (جامور) وهو الطين، و (مجرك) من (جرك)^(٣)، و(يوجالش) من (جاليشور)^(٤).

[دور المدينة]

وبيوت بغداد مبنية من الأجر الأصفر، ولم يكن عندهم الجص وإنما يجعلون عوضه ما هو مركب من رمال وعلك أسود^(٥)، ويطلون به الحيطان، وهذا يتوب مناب التبييض في الجص. وداخل الغرف يُطلى بالجص الذي يأتون به من هيت الواقعة على نهر الفرات، وهذا لا يستعمله إلا الأغنياء في بيوتهم والباقون يطلون الحيطان بالطين ويبنون به. وإن أكثر الحيطان تتهدم في السنين التي يكون فيها المطر شديداً في الشتاء، وإن هذه البيوت لم تكن كما في استبول، وإنما تبنى بصورة سريعة، وإن الأبنية تكون من جهتين أو في ثلاث منه أو أربع جهاتها، وكلها ناظرة إلى الساحة، وأحياناً تبنى السراديق، ويعد البناء في طبقتين، وتكون أمام الغرف ممرات في ساحة يقال لها (طارمة)، وليس للدور طابق ثالث^(٦)، وقد توجد غرفة أشبه بالصندوق وتقع

(1) خوش: حسن، جيد.

(2) جارك: ريع.

(3) جرك: وسخ، قذر.

(4) جالشديرمق: الجد والاجتهاد والاقدام.

(5) هذا ما يذكره المؤلف، والمشهور أن مواد البناء عند البغداديين كانت لا تتجاوز الجص والنورة، وهذه مكونة من خليط من الجير الحي والرماد.

(6) وصف السيد محمود شكري الالوسي الدور البغدادية وصفا شائفاً نقتبس منه ما يأتي "ودور بغداد كانت قبل عصرنا تشتمل على طبقة واحدة، والجدران المحيطة بالمنازل ليست في غاية الارتفاع، ثم تغيرت إلى ما تراها اليوم، ومشمولات الدور الدهاليز، ففي كل منزل دهليز ينفذ إلى الساحة ويقال له اليوم المجاز، وفي كل منزل إيوان أو ما يقوم مقامه، وفيها السراديق، وهي الأسراب التي تحفر تحت الأرض للقبولة أيام الصيف وشدة الحر، وتكون في الغالب من جهة الجنوب لأن الشمس لا تشرق على هذه الجهة إلا يسيراً، وفي الدار المطبخ وهو موضع الطبخ، وربما اتخذوا له داراً منفردة، والمخبز يكون في الغالب مع المطبخ، وهو موضع التنور، وفي الدار البيوت، وهي الحجر، وربما اتخذوا فيها المخادع.. وهو البيت في البيت، وفي الدار الخزانة، وهي التي يحفظ فيها الأمتعة، وفي الدار المرقد وهو محل الرقاد والنوم، وفي الدار الصفة ويقال لها في بغداد الطلاء (الطرار) والطارمة ونحو ذلك.. وفي الدار محل لتبريد الماء يقول له الزنبور.. وفي الدار الكنيف.. وقد يتخذونه على السطح

بين الغرف يقال لها (كفشكان)، وهي غرفة صغيرة معلقة. وفي ليالي الصيف ينام السكان على السطوح، وهي من تراب^(١) أو مفروشة بأجر.

وفي البيوت لا يوجد ماء جاري، وإنما توجد آبار إلا أن السقائين يأتون بماء الشرب من الشط، عدا ذلك فإن في إدارة البلدية الأولى مضخة ماء تمد بعض المحلات بماء الشط بواسطة أنابيب^(٢).

[الأزقة ببغداد]

إن أزقة بغداد كلها ليست مبلطة، ولذا لا تخلو من غبار في الهواء يابس، وفي المطر من طين لا يمكن أن يجتازه المرء بسهولة. إن المملكة التي ليس لها صخور لا يعمل فيها تبليط، حتى أن الحمامات في مجازاتها ومواطنها تبلط بالقيير أو الاسفلت^(٣)، فإذا مطرت فإن الأزقة بسبب ما فيها من تراب لزج لا يستطيع الانسان أن يجتازها دون أن يزلق، أو يقع في الطين بسبب لزوجته. ثم أنه ليس للمملكة...^(٤)

بقناة إلى الأرض... وفي الدار المرحاض، وهو المغتسل، وقلما تجد دارا خالية منه، وفي دور الأغنياء والأوساط الحمامات الصغار، وفي الدار الفناء، وهو الموضع المعد لوضع الضروريات فيه كالحطب والزبل ونحو ذلك، وربما اتخذ في الدار الإسطل لربط الدواب، وربما اتخذ جوار الدار. وأما الدور التي على طبقتين ففي الطبقة الأولى ما ذكرنا، وفي الطبقة الثانية الغرف والمشارف ذوات الأجنحة.. " أخبار بغداد ص 122.

- (1) الاصح انهم يفرشون على السطح طبقة سميكة من الطين المخمر الممزوج بالطين.
- (2) في عهد والي بغداد مدحت باشا بدأ التفكير جدياً بإنشاء مشروع دائم يربط دور بغداد وسقاياتها العامة بأنابيب، وتضخ إليها المياه بواسطة مكائن حديثة تنصب في أماكن مختلفة من شاطئ دجلة، وتكون تحت إدارة بلدية بغداد المنشأة حديثاً، وقد أوصي لهذا الغرض على خمس مكائن جيء بها من لندن قدرة كل منها 12 حصاناً، ووضعت واحدة منها في مشرعة (شريعة) الميدان على سبيل التجربة، والظاهر أن المشروع لم ينجز بكامله، وما أشار إليه الرحالة هنا هو تلك الماكينة الأولى فحسب. تنظر التفاصيل في كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ص 114-117.
- (3) قال السيد محمود شكري الأتوسي واصفاً حمامات بغداد في عهده، وهو قريب من عهد المؤلف «وفيها من الحمامات نحو ثلاثين حماماً، وهي مطلية بالقار المجلوب من عينه التي في هيت، والحمامات الكبيرة مشتملة على منزع، وهو المحل الذي تنزع فيها الملابس، ومسبح وهو الذي يغتسل فيه، وما بين ذلك، وربما كان في المسبح عدة بيوت صغار، وفيها حياض صغيرة يستقل كل سائح ومغتسل بحوض». أخبار بغداد ص 126.
- (4) هنا كلمة تشبه ان تكون لقم.

ولذا يستعملون (البالوعات) في الأزقة أو في البيوت، فإذا أمطرت السماء تمتليء
البالوعات، وان الأزقة تعود الى حالة جيدة، وان البالوعات توضع في أفواهاها
طابوقة (آجرة) ذات ثقب ولم يدم استعمالها، بل في الغالب تكسر أو يوسع فمها،
وأن المشاة او الفرسان العابرين والمارين يكون ذلك تهلكة عليهم⁽¹⁾.

[مياه الشرب]

إن مضرات السقائين الذين يحملون الماء الى بغداد ومزروعاتهم كثيرة، وهؤلاء
يحملون أوعية من جلد المعز يسمونها قرية، يحملونها على حميرهم، يأتون الى الشاطيء
وينتهون بالشريعة، فيملؤن تلك القرب ويضعونها على الحمير، وهذه ليس لها أجلة⁽²⁾ ولا
حبال وإنما يمسك السقائون القرب على الحمير، ويمرون على الأزقة في جادة او
جادتين، لا يسع المار منها فارساً، فهي ضيقة وتلوث المارة بطينها ورطوباتها، فتولد
أوساخاً فيهم، وعدا ذلك فإن غالب القرب فيها ثقوب يظهر منها الماء فيبل المارة.

[النقل في بغداد]

إن ضيق الأزقة يمنع من مرور العربات واستعمالها، ولذا نرى أن للمرء عدة
حيوانات في بيته تبعاً لما يملك من قدرة، ولا يوجد حصان او كديش للكرء، إلا أن
حمير الكراء تكون بيضاء جميعها، وأن أصحابها هم الذين يسوقونها، ولا
يستعملون عصا او مقرعة وإنما يركضون خلفها ويقولون (خي) (دخي)، ومن ثم
وبمجرد سماع ذلك فان الحمير تسرع في مشيها. ولما كانت الأزقة خالية من
التبليط فلا يسمع لذلك جرس أو أجراس في رقبته فتتبه الماشي في الطريق، أو
أن ينادي أصحابها بلفظ (بالك)⁽³⁾.

(1) في وصف مدام ديلافوا، الذي زارت بغداد في أثناء اقامة المؤلف بها، ما يؤيد كلامه عن الحالة
المزرية التي كانت عليها أزقة المدينة. قالت "الأزقة هذه - أبعدك الله عنها - ضيقة معتمة قلما
يصل إليها الهواء، وفي وقت الشتاء تنقلب إلى برك ومستنقعات مملوءة بماء الأمطار المتعفن
وأوساخ هذه المياه تبقى في آبار غير عميقة هناك بعد أن تتزاح المياه وتتبخر بفعل أشعة الشمس
المحرقة، وفي حالة المطر الغزير تمتلئ هذه الآبار وتفيض إلى المجاري المتصلة بها وتملاً أرض
الأزقة بالماء والقادورات بحيث لا يستطيع الرجال أن يسيروا خلالها إلا بمعونة فوانيس يحملونها
بأيديهم". رحلة مدام ديلافوا، ترجمة علي البصري، بغداد 1958 ص 59.

(2) الجل والأجلة والجلال (بكسر الجيم) الكسوة التي توضع على ظهر الدابة.

(3) اصلها دير بالك، اي اعرني انتباهك.

إن نقل الأثقال والأحمال في بغداد خاص بهذه الحمير، وعدا ذلك فإن الأكراد من أهل راوندوز وكركوك يكونون حمالين^(١). وإن الحمير وكذا الحمالين يوضع على ظهرهم [شيء] أشبه بجل الدابة يمنع تأثير الحمل على الظهر، وإن أحدهم يمسكها من جهة قعر السقائين، وإذا كان الحمل كبيراً فمن جانبه، يعتني كل واحد بجانبه، فيمسكونها. وإن أغلب الحمالين لا يضعون ما هو أشبه بالجل، وإنما يستخدمون (كونية)^(٢) تشبه العباءة فيضعون الأشياء فيها ويريطونها بظهورهم ورؤوسهم. وإن رؤوس هؤلاء الحمالين قوية جداً وتستدعي الحيرة، فانهم ينقلون نحو خمسين أو ستين قية من الأحمال ولا يباليون. وفي رؤوس الحمالين (كلاو)^(٣)، وفي ظهورهم سترة اعجمية تمتد الى ركبته، ويلبسون شيئاً أشبه بالعباءة، ولم يكن لهم حذاء ولا لباس، وبعضاً يمتدون وينامون في رؤوس الأزقة، وإن الناظر يستكره من لون سوقهم^(٤) لما فيها من منظر مستكر وقبيح جداً، وكذا السقائون بهذه القيافة. وإن غالب الأهلين لا يلبسون اللباس الداخلي، ولم يكن الامر مقصوراً على الحمالين والسقائين.

فإذا أراد المرء أن يعبر من الشط الى الجانب الآخر [فإنه] يستخدم (القفة) او (الكوفة)^(٥)، وهي حوض مدور، ونوع [من] زورق، وهذه القفف أشبه بالسبد (السبت)، او السلة للثواب، وتتكون من السعف، وتطلى بالقيرو او الاسفلت، وليس لها رأس، وإنما هي مدورة، وإن القوافين^(٦) يستخدمون الغرافة^(٧) الى اي طرف أرادوا أن يسيروا بها. وإن الأهلين يستخدمونها [في] مقام الزورق والبلم^(٨) عدا المراكب البخارية [و] الكلكات^(٩).

(1) الاصح ان اكثر الحمالين الاشداء في بغداد كانوا من الكرد الفيلية.

(2) الكونية: السؤال.

(3) كلاو: غطاء للرأس من قماش أو الصوف الناعم أو القطن قسطنز عادة بأشكال هندسية وألوان مختلفة. ليث رؤوف: المعجم ص 372.

(4) يريد: سيقانهم.

(5) الكاف فارسية، على وزن (درة)، وسيلة نقل نهريّة وجدت في العراق القديم وقد وصفها هيرودت على نحو يطابق ما يصفه المؤلف، باستثناء أنها كانت تغطى بجلود الحيوان، لا تطلى بالقيرو. كما وجدت صورها في الآثار الآشورية المكتشفة في نينوى في حدود 800 قبل الميلاد. ينظر رحلة مدام ديلافوا، ص 54-55.

(6) القواف هو مدبر القفة والعامل عليها.

(7) الغرافة ما يغرف به الماء، فهي ضرب من المجاذيف.

(8) البلم: ضرب من الزوارق الخفيفة.

(9) جمع كلك، وهو الرمث، احدى وسائل النقل النهري القديمة والشهيرة في العراق.

وبين بغداد من جانب الكرخ وبين [قصبه] حضرة الامام موسى الكاظم نحو ستة كيلو مترات من المسافة. وهناك خط الترامواي بين قصبه الكاظمية والكرخ، وهذا شيد قبل نحو خمسة وعشرين سنة [إذ] تأسست شركة مساهمة⁽¹⁾، [والتي] الآن يشتغل هذا الخط⁽²⁾، وان الزوار من الإيرانيين في مواسم الزيارة ينتفعون منه.

[دكاكين وموازن]

وان الدكاكين القديمة في بغداد أعلى من الارض بكثير، وان كل دكان أمامه دكة، وهناك سلسلة في رأسها حلقة يستعين بها صاحب الدكان لصعوده ونزوله كالبقال وغيره، والباعة يمدحون سلعتهم بغزل وغناء يجذبون به المشتري. [و] في ديار بكر (الوقية) او (الكيلو) تعادل خمسمائة درهم، وفي حصن كيفا ستمائة واربعون درهم، هكذا رأينا، وكلما صرنا الى الجنوب يزيد مقدار الوقية، ففي بغداد (الوقية) ألف درهم وتسمى (قية)، وربعا يقال له ربع وقية، وان القية ذات الأربعمائة درهم يقال لها (قية) استنبول، فإن الأوزان والأكيال في بغداد متنوعة، وأن هذه تتنوع بنوع المال وجنسه، وتتخالف في نوعها، وكذلك النقود، فكل عشرة متاليك (قرش) اي (غروش)، وعشرين متليك (قمري)، واربعون بارة (اربعة قروش). وان الوارد جديداً في المدينة من المسافرين لا يعرفون ان كل عشر بارات (غرش)، ولأول وهلة يرى الأشياء غالية جداً حتى أن خدامنا استغلوا هذا الغلط فضاغفوا مصرف الطبخ، فأخذوا منا أربعة اضعافه.

[شؤون بلدية]

إن حراس المحلات لم يكونوا مستقلين كما في استنبول، وإنما تقوم البلدية لياً بتنظيف الأضواء او (السُرُج) في الازقة وإشعالها، فيقوموا⁽³⁾ بذلك صنف من الحراس، وهؤلاء متعددون، وينبه كل واحد منهم الآخر بعد ان يكون بمسافة قريبة منهم فيعرف انه نائم أو يقضان، فينادونه بلفظ يا لله! ويناديه به.

ان شراء الأشياء القديمة خاص باليهود، فينادون في الطرقات (بيع). وهنا كما في

(1) تأسست هذه الشركة بمساع بذلها والي بغداد مدحت باشا.

(2) استمر هذا المشروع حتى الغي سنة 1941.

(3) كذا في الاصل ولعل الصواب: فيقيمون، او فيقوم.

كل مكان توجد كلاب كثيرة في كثير من الأزقة، وانها تنام في وسط الطريق كأنها ميتة فتمنع المارة من المرور حذراً من أن يُداس عليها. وان هذه الحيوانات في بغداد حالها رديء جداً وتستحق الرحمة، فانها في الغالب تلهث من العطش وتموت احياناً، بخلاف ما هو معلوم في المحلات العتيقة من استنبول، كما [يوجد] في كل زقاق محل ماء تستفيد منه هذه الحيوانات. وفي بغداد يهاجمون المياه التي تطرح من الناركيلة في القهاوي. وفي بعض الأزقة ترش من قبل السقائين وان الكلاب هناك تستفيد من ماء الرش، ومن ثم تقع بعض المشادة بين كلاب هذه الأزقة وبين الكلاب المحرومة من هذه المياه.

[طائر اللقلق]

يكثر في بغداد [في] ايام الصيف عدد اللقلاق، وهذا الطائر يتحول من محله البارد الى الأماكن الحارة، وعند وروده يأتي جماعات من خمسة او عشرة او عشرين، وأن الصغار يصيحون من فم واحد (كع) ومعناها اسقط الى الارض، ولما يسمع هذا الطائر اصواتهم تختل موازنته فيقع عدة منه الى الارض، وفي الحقيقة هذا من الغراب.

[العقارب]

إن عقرب بغداد لا تختلف عن الزنبور، وانما يتألم منها المددوغ مدة اربع وعشرين ساعة فيشعر بالم ووجع شديدين، لكنه ليس بالمهلك.

[التبغ]

ان التبغ في هذه المملكة الحارة إذا بیس كالبارود لا يدخن، ولا يجنى فيحصد وهنا يستعمل نوع من التبغ يقال له (شاغور) او (شاور) يزرع في السلیمانية وكركوك، وان الاهلين اكثر ما يدخنون الناركيلة، كما أن النساء عامة يستعملن الناركيلة، واذا زارت إحداهن الاخرى او ذهبت الى الحمام او الى المسيرة⁽¹⁾ تحمل معها الناركيلة، وان الناركيلة تبيعها النساء من العرب في الأزقة، وهي تعمل من جوز الهند، ويقال لها (غليان) او (غليون).

قضيت اول ليلة في بغداد في دار بهجت بك، وفي اليوم التالي 5 تشرين الاول من يوم الاثنين استأجرت قصراً خالياً لرزوق عبود⁽²⁾، وفيه حدائق برتقال ونخل،

(1) كذا في الاصل

(2) يغلب على الظن انه من آل عبود، من طائفة الروم الملكيين الحلبي الاصل، وكانت أسرتهم تعد من سراة أسر النصارى في بغداد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ينظر يعقوب

وهو في جهة الباب الشرقي من بغداد، فانتقلت اليه، ثم التقيت بوالي الولاية تقي الدين باشا^(١)، ومشير الفيلق السادس هداية باشا، ومتصرف المركز ناظم بك،^(٢) ورأيت باقي الموظفين. أما تقي الدين باشا فقد كان ذا علم وفضل مع شدة ذكاء وصفاء ضمير مع شيخوخة، وهداية باشا ذو همة فائقة وحمية وغيره.

[طوب ابو خزيمة]

إن الوالي يقيم في قصر النجيبية المار الذكر، ولما مررت في ذهابي اليه بباب المدفعية رأيت مدفعاً من النحاس العتيق (برنج)^(٣) مستقراً على دكة بعلو نصف ذراع، وفي اطرافه أمراس، وهذا المدفع كان قد استخدم أيام السلطان مراد الرابع حين فتح بغداد^(٤)، فرأيت على الأمراس قد وضعت قطع من القماش بالية، وهذا مما جلب نظري وأدى الى تعجبي، فسألت بعض الأشخاص الذين كانوا بجانبني، فأجابوا: ان الخلق يقدسون هذا المدفع ويأتون لزيارته ويدعون، حتى أن بعض النساء الذين^(٥) ولد لهم اولاد جدد يأتون بهم اليه ويضعون اولادهم في فوهته، ويمررونه بين أطرافه، ويدعون له بطول العمر^(٦).

-
- سركيس: مباحث عراقية، ج1، بغداد 1948، ص46-47. وكانت الأرض الشاطئية في محلة السنك، وهي القريبة من الباب الشرقي موثلاً لقصور هذه الأسر.
- (1) تولى بغداد مرتين، الأولى بصفة (قائم مقام) من 13 ربيع الأول 1284 إلى غرة ذي الحجة 1285هـ، والأخرى وإياها من 28 محرم 1298 إلى 4 رجب 1304هـ، كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991، ص85-86.
- (2) والي وان سابقاً ناظم باشا (هامش في الاصل).
- (3) خليط من الصفر والنحاس الأصفر.
- (4) هو المدفع الضخم الشهير لدى البغداديين باسم طوب ابو خزيمة، لوجود خرق في فوهته، وقد حرر عليه تاريخ صنعه وهو سنة 1047هـ، اي قبل دخول السلطان مراد الرابع بغداد فاتحاً سنة 1048 بسنة واحدة، ويبلغ طوله 4 أمتار، و44 سم، وطول فوهته 48 سم، وقد نقل من موضعه ليوضع في مدخل المتحف العسكري (الذي كان يشغل الباب الوسطاني أحد أبواب بغداد العباسية) ثم أعيد إلى وسط ساحة الميدان، قريباً من موقعه السابق، ثم نقل مرة أخرى إلى المتحف العسكري (الذي شغل هذه المرة مبنى حديثاً على نهر الخر في الحارثية).. ينظر عبد الحميد عبادة: العقد اللامع، بتحقيقنا، ص143-135، وكاظم الدجيلي في مجلة لغة العرب 3(بغداد 1914) ص406.
- (5) الصواب. اللواتي.
- (6) كتب الامام محمود شكري الالوسي رسالة في الرد على هذه البدعة الغريبة بعنوان (القول الأنفع في الرد على زيارة المدفع) منها نسخة مخطوطة في مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد.

[تجارة الخيول]

ان من يقيم في بغداد مدة يحتاج مطلقاً الى حيوان يركبه، وعلى هذا أردت ان اقتني حصاناً عربياً ومعتبراً، فلم اتمكن، واذا كان هؤلاء الأهلون يجنون⁽¹⁾ اصائل الخيل واشتهروا بها، فلا يوجد الآن ما يصلح لقتائه، فسألت عن سبب ذلك فكان الجواب:

«ان الخيل الاصيلة والنفيسة قد منع إخراجها وسوقها الى الهند، فقد كان يتاجر فيها جماعة من الأغنياء، فكانوا يضعونها في اسطبلاتهم، ففي كل سنة يشترون من عشيرة شمر مئات من الخيل ويضعونها في تلك الاسطبلات، وان من أراد أن يشتري يرجع الى هؤلاء، ويختار منها ما يريد شرائه.

والحاصل أن جانب الكرخ من بغداد فيه سوق جسيم للخيول، ولما مُنعت صار يتعاطى البيع والشراء فيها داخل المملكة، وهذا لا يكفي لإدارتهم، فباعوا ما عندهم وصاروا لا يشترون من شمر. وهؤلاء ايضاً لم يجدوا لخيولهم أسواقاً ثم يأتوا بها بكثرة. وعلى ما يُروى أن العشائر صاروا لا يجنون سوى الإناث من الخيول، وأما الحصن منها فكانت تتلف، أما البدو فإنهم يستفيدون النقع من اناث خيولهم الاصيلة. وأما الخيول الفحول فانهم يبيعونها، فلما لم يتيسر لهم بيعها فيقال انهم لا يتحملون كلفتها فيهلكونها، وهل في هذا المنع نفع يرتجى؟ فالجواب: أنه لا خير في ذلك، فإن بعض الناس يذهبوا بها من طريق البر يشترونها بأبخس الاثمان، وينقلونها من الحدود الايرانية الى المحمّرة، ويذهبون بها بالبواخر الى الهند، وبهذا ترتب على المملكة ثلاثة انواع من المضار:

- 1- انه صار العُربان لا يعتنون بأمر الخيل ورعاية جنسها.
- 2- ظهور الخلل في بيعها وشرائها في جانب الكرخ المشهور بخيوله.
- 3- حرمان الحكومة من رسومها الكثيرة.

هذا ما أجبْتُ به، وقد رأيت عياناً الاسطبلات المعطلة في جانب الكرخ بسبب هذا المنع الذي لا مبرر له، كما فهمت ذلك. ثم أني علمت أن نقل الخيول الى الهند رُفِع المنع عنه مع مراعاة بعض القيود والشروط، إلا أن التجار في هذه الخيول قد

(1) جنى ثمار ما غرس: قطفه، غنمه.

تفرقت أموالهم في معاملات تجارية أخرى وتركت الاسطبلات، وان عودتها ثانية واحياء سوقها يحتاج الى وقت.

قطعت أملي من الحصول على حصان، فوجدت حصاناً في عنزة،⁽¹⁾ كان جميلاً إلا انه صغير البنية.

الكاظمية

وفي 7 تشرين الاول يوم عاشر المحرم كان الايرانيون يجرون مآتماً في صحن تربة الامام موسى الكاظم، فلرؤية ذلك ذهبت مع بعض الذوات الى قسبة الكاظمية، وكان مرقد الامام داخل الجامع فيه تربته وجامعه الشريف، وله اربعة من المنائر، وكان الجامع مزيناً، وهو مربع الشكل وواسع جداً ومبلط بالمرمر، وفيه تتجلى الصناعة المعمارية للعرب والعجم، فداخله مزين وخارجه كذلك بنقوش بديعة، وفي جوانبه في اطرافه الاربعة غرف خاصة لاقامة الزوار والخدم وغيرهم. وان القبة مطلي اعلاها وكذا المنائر بالأجر المغطى بالذهب، وفيها اساطين في جوانب القبة، وعليها (صَجَفَات)⁽²⁾، وفي جوانبها مرايا دقيقة مزينة بها⁽³⁾. وعلى شرف المنائر صَجَفَات مذهبية في اطرافها. قضينا تلك الليلة في الكاظمية وشاهدنا المآتم وقد اشترك فيه العرب من الشيعة والنساء فكانت كثرتهم تبهر ويتعجب المرء منها.

زيارات اخرى

في نفس بغداد من المزارات المشهورة تربة الشيخ عبد القادر الكيلاني⁽⁴⁾، والشيخ عمر السهروردي⁽⁵⁾ في خارج البلد⁽¹⁾ وداخل السور المنهدم، والشيخ معروف

(1) يريد في بعض عشائر عنزة المقيمة ببغداد.

(2) الصجغ عامية بغدادية تعني السقف من الواح الرصاص غالباً.

(3) قطع من المرايا الصافية على اشكال هندسية منتظمة تثبت في دواخل القباب والجدران بواسطة الجص، تسمى (شغل العينه) وهي كلمة مأخوذة من الفارسية (آينده) بمعنى المرآة.

(4) دفن سنة 561هـ في تربة اعدت له في مدرسته في باب الازج، فشيّد طلبته وعارفه فضله الى جانبها زاوية ومسجداً، ثم أنشأ عندها السلطان سليمان القانوني سنة 941هـ، 1534م عند دخوله بغداد، جامعاً كبيراً عرف بقبته الواسعة، اصبح مقصد كثير من المسلمين على مر القرون.

(5) هو شهاب الدين عمر البكري السهروردي، توفّي سنة 632 فدفن في المقبرة الوردية قرب باب الظفرية احد ابواب بغداد العباسية، وشيّد محمد بن الرشيد، أحد وزراء الدولة الإيلخانية

الكرخي^(٢)، وعدا هؤلاء الامام احمد بن حنبل^(٣)، والشيخ شبلي^(٤)، والسري السقطي^(٥)، والسيد ابو الحسن علي^(٦)، وكثير من مرافد مباركة، مثل تربة السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد^(٧). وإن اكثر هذه المزارات زينة وعمارة مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني وجامعه الشريف، ويومه الهنود وأهل بخارا، ويقدمون [إليه] النقود والهدايا، ويقفون [عليه] الأوقاف والعقارات.

إقبال الدولة

من امراء الهند^(٨)، هاجر الى بغداد منذ خمسين سنة، وهو مشهور، فأردت أن أراه وعددته من متفرعات سياحتي. ذهبت الى ملاقاته في داره في الباب الشرقي على

-
- على قبره قبة مخروطية عالية سنة 735هـ، ثم أقيم عنده، في عصر تال، جامع كبير، شهد توسعات عدة، لما يزل قائماً. العقد اللامع ص 87
- (1) الأصح أنه في خارج القسم الماهول من البلد عصر ذلك.
- (2) توفي سنة 200 او 201هـ دفن في مقبرة كانت تعرف بباب الدير، فاصبحت مقبرة كبيرة واسعة تعرف بمقبرة معروف. وانشأ الخليفة الناصر بالله العباسي عتده جامعاً بمئذنة تحمل تاريخ بنائها سنة 612هـ.
- (3) لا نعلم أي قبر يقصد، فالإمام أحمد دفن في مقابر باب حرب (مقبرة الهبة الدائرة في الشمال الغربي من قسبة الكاظمية)، وقد زال منذ عهد بعيد، ولكن وجد في القرون المتأخرة قبر ينسب إليه في مسجد قديم صغير في الجانب الشرقي من بغداد قريب من ساحة الميدان الحالية، كما تشهد بذلك كتابة أثرية على رخامة، قرأناها، ثم أزيلت عند تعميره الأخير.
- (4) هو أبو بكر بن جحدر الشبلي، ولد في سامراء، وصحب الجنيد، وتوفي في سنة 334هـ، وهو اليوم عند مسجد قريب من جامع الإمام أبي حنيفة. العقد اللامع ص 50.
- (5) هو ابو الحسين السري بن المغلس السقطي، أحد الصوفية الكبار في عصره، تتلمذ على معروف الكرخي، وتوفي سنة 247 ودفن قرب قبر الجنيد البغدادي في المقبرة الشونيزية في الجانب الغربي من بغداد.
- (6) الراجح أنه يقصد تربة وجامع السيد سلطان علي في المحلة المنسوبة إليه وهو مطل على دجلة، وهو أبو السيد أحمد الرفاعي، وفد إلى بغداد حيث توفي فدفن فيها وتحول قبره مزاراً، وأقيم بقربه جامع كبير ما زال قائماً.
- (7) يقصد تربة السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة الناصر لدين الله، الكائنة في القبة المخروطية القريبة من جامع الشيخ معروف الكرخي، وقد نسبت في القرون المتأخرة إلى السيدة زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد.
- (8) هو (السير) اقبال الدولة بن النواب شمس الدين حيدر ابن سعادة علي خان، أحد نواب الهند في بغداد وأول من أقام منهم فيها، اشترى عقارات في راس القرية، وشيد في أرضها داراً

ساحل دجلة، وبرهقتي نازلم بك متصرف المركز، وحسن رضا الدفترى، فرأيته شيخاً تجاوز السبعين من عمره، وهو مع ذلك قوي الفكرة، لطيف الصحة، وحسن اللطائف. ولا تقدر ثروته بحد، وإن في مخزنه صناديق مملوءة بالنقود والمجوهرات، وعدا ذلك فإن له في انكلترا خمسة وعشرون مليون ليرة، ومشهور بالبخل وامساك اليد بصورة لا يستطيع تعريفها، لم يصرف مدة بقائه في بغداد من الخيرات والحسنات ما يستحق ان يذكر به⁽¹⁾، الا انه لم يُقصر في البذل [على] الدعاوي⁽²⁾ التي يقيمها، ولا الهدايا التي يعطيها، فانها لم تمنع بخله. في حين انه يصرف الثلاثمئة والخمسة ليرة بلا حساب، وفي بيته جوار كثيرة لا تخرج واحدة منها الى الطريق، ولا تتصل بنساء الآخرين اياً كانوا، وبعد مدة وأنا لا أزال في بغداد توفى بلا وارث، فوضع القنصل البريطاني يده على تركته باعتباره من تبعة هذه الدولة.

بغداد أطرافها وبعض ملحقاتها

في السابع عشر من تشرين الثاني سنة 1301 رومية ذهب الى كربلاء، ووصف المسيب وكربلاء والرزازة وشثاعة، ثم عاد الى طاق كسرى وبابل والكفل والكوفة، ثم النجف، وذكر الزراعة والتجارة والصناعة في بغداد.

كبيرة واسعة المساحة وشملت دائرة الكهرباء الوطنية اليوم شطراً من أرضها، وداراً كبيرة في الكرخ، قريبة من اعدادية الكرخ للبنات. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج8 ص254.

(1) ومع ذلك ذكر له التاريخ أنه كان أحد المتبرعين لانشاء اول مدرسة للصنائع على عهد مدحت

باشا. المصدر نفسه ج8 ص179.

(2) يريد الدعوات إلى الولائم التي كان يقيمها.

من الموصل الزاهرة إلى ديار بكر العامرة

من العلماء العراقيين الذين تركوا لنا وصفاً ممتعاً لبعض ما قاموا به من أسفار، السيد حسن حسني الموصلي، قاضي الموصل في تضاعيف القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، وصاحب التأليف المتنوعة، ومنها كتابه المخطوط الذي دون فيه أخبار رحلته إلى ديار بكر، وهي الرحلة التي اتخذناها موضوعاً لبحثنا هذا.

سيرته

هو السيد حسن حسني القاضي بن السيد محمد بن إسماعيل بن محمد بن درويش بن عبد الله الفخري الأعرجي الموصلي.

ولد في الموصل سنة 1247هـ/1831م في أسرة عريقة⁽¹⁾، شريفة النسب، تولت نقابة الأشراف في الموصل نحواً من تسعة قرون، وساعدت هذه البيئة التي جمعت بين العلم وشرافة النسب على تنشئة نشأة علمية رفيعة، حتى أنه لم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى لفت نبوغه في الأدب والتأليف والتدريس أنظار معاصريه وأثار اهتمامهم، وليس أدل على ذلك ما ذكره العلامة السيد محمود أبي الثناء الألووسي مفتي بغداد وعالمها وأديبها حين نزل الموصل سنة 1267هـ/1850م في طريق رحلته إلى استانبول، والتقى بالمرجم هناك، إذ قال «وأعجبني فتى ذو فطنة وقادة، يدعى (حسن أفندي قاضي زاده)، ولقد رأيتُه أحد الأفاضل الأكياس، الذين لهم من نقود الأدب دون الذهب أكياس، قد حلّ من رتب المعارف المحلّ الأسمى، ودل عرفانه على أن الاسم عين المسمى، وهو من سادة لاشك في صحّة نسبهم، وقادة لا شُبّهة لأحد في سمو مرتبتهم، بهم يفخر الفخر، وبنورهم يكتحل طرف الفجر، قد عرّجوا إلى سماء انحط عنها زحل، وتبوأوا مقاعد صدق ما نال غيرهم من تبوأها.. ودأب هذا الفتى من بينهم التأليف والتدريس والإستغناء بحُمَيّاهما عن حُمَيّا منادمة الجليس، ولا

(1) آل القاضي فرع من أسرة نقباء الموصل العلويين أبناء النقيب الزاهد محمد أبي البركات الأعرجي الحسيني الذي استوطن الموصل وعين نقيباً لأشرافها سنة 431هـ/1039م وبقيت نقابة العلويين تنتقل بين أولاده وأحفاده أكثر من تسعة قرون، وهم اليوم في الموصل: آل المفتي وآل الفخري وآل العبيدي وآل النقيب وآل الحافظ وآل العريبي. حازم المفتي: نقباء الموصل العلويون (مطبوع على الاستسئل). وقد فصل السيد وليد النقيب في تاريخ هذه الدوحة وتفرعاتها وترجم لأعلامها في كتابه (نقباء الموصل غصن الإباء) في خمسة مجلدات كبار، بغداد 2012.

يزال يمد إلى اكتساب الفضل ذراعاً، ويطول كل يوم على من يروم مطالوته باعاً، ويلوح من أسارير جبين فضله إنه سيكون رأس قومه وأهله، وأنه ستنتهي إليه رئاسة العلماء، ويتقوم به أود الطلبة في الموصل الحدباء»⁽¹⁾.

وكان تفاؤل السيد الألوسي بمستقبل جليسه السيد حسن حسني في موضعه تماماً، إذ سرعان ما ذاع خبر نبوغه وعلمه، فقلد المناصب الشرعية، وتقل قاضياً بين الموصل وديار بكر والسليمانية والمدينة المنورة والشام. ثم عهد إليه بمنصب (مفتش الأوقاف الهمايونية) في استانبول، ونال درجة (قاضي العسكر)، وأنعم عليه السلطان العثماني برتبة (صدر عظام) وهي لا تمنح إلا لكبار العلماء في الدولة، ورشح لمنصب (شيخ الإسلام)، وهو في السبعين من عمره، إلا أنه توفى قبل نيله هذا المنصب الرفيع، وذلك سنة 1317هـ/1899م فدفن في استانبول رحمه الله تعالى⁽²⁾.

وأثنى عليه السيد عبد الرزاق البيطار في ترجمته إذ قال «عالم الأوان ومُصنّفه، ومُقرّط البيان ومُشَنّفه، بتأليف كأنها الخرائد، وتصانيف أبهى من القلائد، حلّى بها من الزمان جيداً عاطلاً، وأرسل بها غمام الإحسان هاطلاً، ووضعها في فنون مختلفة وأنواع، وأقطعها ما شاء من إتقان وإبداع، واستوى من الأدب على علام، وخاض لججه حتى وصل إلى منتهاه، فلا غرو أنه قطب مدار العلوم، وفلك إشراق المنطوق والمفهوم».

آثاره:

من مؤلفاته التي وصلتنا، أو وصلنا خبرها، ما يأتي:

1- تنوير البرهان في علم المنطق، وهو شرح كتاب (البرهان في علم الميزان) تأليف أبي الفتح إسماعيل بن مصطفى الكلبوي الرومي الحنفي (المتوفى سنة 1205هـ/1790م)، فرغ من شرحه والتعليق عليه سنة 1295هـ/1878م، وذلك استجابة لبعض طلبته وزملائه، وقد أهداه إلى السلطان عبد الحميد الثاني، وطبع في مطبعة الشركة المرتبية لأرتين أصادوريان سنة 1317هـ، مذيلاً بتقارير عدد من العلماء العراقيين آنذاك، معظمهم من الموصليين، هم:

(1) غرائب الإعتراب، بغداد 1327، ص63.

(2) سليمان الصائغ: تاريخ الموصل ج2 ص269-270 وحازم المفتي: نقباء الموصل العلويون، مطبوع على الإستنسل.

- عبد الله أفندي العمري
 - الحاج يونس أفندي المكنى بكمال الدين مفتي الموصل
 - شيخ الطريقة القادرية في الموصل السيد محمد أفندي الشهير بالقادري
 - صالح أفندي الموصل الشهير بدباغ زاده، رئيس التجارة في الموصل الحدباء
 - مفتي الشام محمود أفندي الشهير بحمزاوي زاده
 - سليم أفندي الدمشقي الشهير بعطار زاده
 - محمد أفندي شعار زاده الموصل
- ويقع الكتاب المهم في 278 صفحة من القطع الكبير، مع 10 صفحات للتقاريض.

2- شرح الرائية في الحضرة الطائية. لم يطبع.

3- فتح الرحمن في تفسير القرآن. في مجلدين، وصل فيه إلى تفسير سورة الأنعام، أظهر فيه علماً غزيراً، واطلاعاً واسعاً، وقد قرّضه كبار علماء زمانه، منهم الشيخ عبد الرزاق البيطار، ووصفه بقوله «إنه التفسير الوحيد [الذي] يحق له أن يكون من منظوم التفاسير بيت القصيد». لم يطبع⁽¹⁾.

4- ديوان شعر. لم يطبع⁽²⁾.

5- من الموصل الزاهرة إلى ديار بكر العامرة. في وصف رحلته إلى ديار بكر. وهو موضوع بحثنا هذا.

شعره:

أشاد المطران سليمان الصائغ⁽³⁾ بشعره في الترجمة الموجزة التي أوردها له، فقال «كان له يد طولي في النظم»⁽⁴⁾، ولكنه ذكر بأنه لم يعثر على شيء من شعره. وقد عثرنا على نماذج منه أوردها الشيخ عبد الرزاق البيطار⁽⁵⁾، كما وردت نماذج منه في آخر كتاب رحلته الذي نعرف به الآن.

(1) حلية البشر ص 527

(2) المصدر نفسه.

(3) تاريخ الموصل ج 2 ص 269-270

(4) المصدر نفسه ج 2 ص 270

(5) حلية البشر ص 527

فمن شعره يمدح القسطنطينية:

قلوص تخب البيد من أرض موصل
وتسكن إن وافت بروجاً ترفعت
فيحلو بها مر الفيا في لراكب
وتذله النعماء عن حب موطن
بقسطنطينية الدنيا وسرة أرضها
وقوله في الشيب

وقائلة: هل علاك الشيب من كبر
أجبتها من بني الأوغاد ما حملت
وقوله في الحكمة⁽¹⁾

دع الحوادث تجري كيفما قدرت
ولا تتم طاوياً منها على أمل
ما دام تسمو لتام الطبع في رتب

المخطوطة

تقع مخطوطة الرحلة في 63 ورقة، متوسطة المساحة، في كل ورقة منها 14-
15 سطراً، مكتوبة بخط المؤلف نفسه، وهو خط نسخ معتاد.

وأول المخطوط «لما لعبت بمجتمع محكم شملي، وفرقته يد حوادث الدهر
الخوان، وحالت المنية دون المنية...».

وآخره «فليكن هذا آخر ما أردناه فنسأل الله تعالى أن يفر لنا ما وقع لنا
فيها من نقص أو زيادة أو زلل، ويجعلها من نافع العمل، ويعصمنا من الخطأ في
أقوالنا وأفعالنا، ومن شوائب الخلل».

وفي آخر المخطوط جملة من تقریضات لبعض علماء الموصل وأدبائها، تشمل
الأوراق 64-68. هي على الترتيب/

(1) مخطوطة الرحلة.

- عبد الله العمري الموصلّي في 17 صفر سنة 1286هـ.
- السيد مصطفى كامل القاضي بالموصل.
- السيد محمد نوري الموصلّي خادم الطريقة العلية القادرية.
- محمد شاكر الأمدي.
- داود النقشبندي الخالدي وختمه المؤرخ في سنة 1255.
- مصطفى وفي جميل زاده.

يلي ذلك منتخبات شعرية بخط المؤلف، تشغل الأوراق 69-71، وقصيدة لـ (السيد شهاب) أرسل بها إلى المؤلف بمناسبة توليه نيابة لواء السلیمانية. مطلعها:

إن الهمام الذي كُنّا نلوذُ به إذا أحاطت بنا الأرزاءُ والمحن
 وافى وأقبلَ والإقبالُ يقدّمه في يوم يمن به قد سالم الزمن
 فخري أصل به قطر العراق حوى فخرأُ به حسدته الشام واليمن

وكانت هذه النسخة الفريدة محفوظة في خزانة الأستاذ المحامي حازم⁽¹⁾ بن فؤاد المفتي - رحمه الله تعالى - في داره في شارع طه ببغداد، وقد أطلعني عليها سنة 1978م مشكوراً بناء على طلبي، لإعداد هذا البحث. ولا أدري مصيرها الآن.

الرحلة

ليس في الرحلة ما يحدد وقت القيام بها، لكننا نرى أنها حدثت قبل عام 1286هـ/1869م، بدليل أن ثمة تقريراً في آخر مخطوطتها، كتبه عبد الله العمري الموصلّي، أحد معاصري المؤلف، تاريخه 17 صفر سنة 68 (أي 1286هـ). وقد ذكر المؤلف أثناء سفره إلى ديار بكر أنه مرّ في طريقه بموكب نامق باشا، ونامق باشا هذا من الولاة العثمانيين الذين تكرر شغلهم منصب ولاية بغداد غير مرة، إذ تولاهما سنة 1286هـ/1851م وعزل عنها في السنة نفسها، ثم تولاهما سنة 1278هـ/1861م حتى عزله سنة 1284هـ/1867م، فيكون المؤلف قد قام برحلته هذه في أحد هذه التواريخ، ولعل ذلك في آخرها، حين كان الوالي المذكور يغادر أرض العراق في طريقه إلى القسطنطينية.

(1) توفي في 1 أيلول سنة 1985م.

ويفهم مما أورده المؤلف في صدر كتاب رحلته أنه غادر الموصل إلى ديار بكر على إثر تكليفه بشغل وظيفة نائب القاضي هناك، ويبدو أن تكليفه هذا جاء موافقاً لحالته النفسية الصعبة، حيث كان يمر بأزمة حادة إثر وفاة أخ له. كما أن حياته في الموصل لم تكن تخلو من منغصات بعض الخصوم والحاسدين، وهو ما كان يزيد من آلامه واكتتابه ويقوي رغبته في مغادرتها.

وصف المؤلف شروعه في رحلته فذكر أنه ترك أهله وعياله وولده، ولم يصطحب معه إلا قلة من خالصائه، يقول «فشددت حزام العزم ممتطياً متن فرسي، مستصحباً بعض إخواني وخدامي، وجعلت الرضاء بالقضاء مطيتي والتوكل على ربي إمامي».

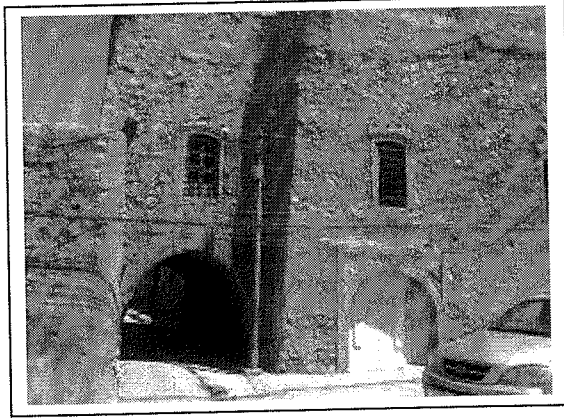
وبعد أن عبروا دجلة على بعض السفن، أخذوا يبحثون السير حتى وصلوا إلى قرية تلكيف⁽¹⁾، إحدى أكبر القرى في سهل الموصل الشرقي، فقال يصف هذه البلدة عند نزوله بها «فبينما نحن سائرون، ونحث بالمسير الخيل مُجدِّين، إذ ظللتنا سحابة كادت تُغرقتني بها طُلُّ وبَلْها مع الأصحاب، فجعلنا المنزل، ولم تكن النية ذلك، قرية تلكيف، وأنخنا بها الركاب. وهي أعظم قرية في الموصل، محكمة عالية البنيان، تتوف على ألف بيت⁽²⁾، وأهلها نصارى وغالبهم كلدان، هواؤها لطيف بالغاية، وماؤها بدرجة النهاية، وهي من الأوقاف الراجعة إلى الحضرة الجرجيسية⁽³⁾، وليس لأهلها من الزراعة إلا الحبوبيات الديمية، لعدم وجود ماء يجري فيها من نهر وعين، بل قلة مائها هو من عيبيها المزري بها الشين، وإلا لكانت لقلادة قرى الموصل بمنزلة العين، وأبنيتها من الجص والمرمر والحجارة نظير بلدتنا الموصل، وشبهها شكلاً وإدارة. نزلنا عند كبيرهم وهو مختار القرية منصور،

(1) بلدة قديمة عامرة في شمال الموصل، أهلها من النصارى الكلدان، وهي مركز ناحية باسمها، ويذهب باحثون إلى أن معنى اسمها (تل الحجارة) لوقوعها عند تل أثرى جوانبه مرصوفة بحجارة ضخمة، ربما كان من حصون الآشوريين. كوركيس عواد: قرى شرق الموصل، مجلة سومر العدد 15 السنة 1961.

(2) يشير المنشئ البغدادي، وكان قد زار تلكيف في مطلع القرن الثالث عشر للهجرة (19م)، إلى أن بيوتها كانت تبلغ ثلاثة آلاف بيت من النصارى. رحلة المنشئ البغدادي، ترجمها عن الفارسية عباس العزاوي، ص 80.

(3) أي أنها كانت وقفاً على جامع النبي جرجيس، أحد أقدم جوامع الموصل وأشهرها. ينظر كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النحف 1975، ص 75.

فرح ب بنا وسرَّ غاية السرور، وأكرمنا إكراماً ما فيه من قُصور، غير أنني بتُّ فيها -
لأنها أول ليلة في الغربة- بليلة أرق، وقلب خفق، كقلب الفطيم قلق، والليلة بأنواع
المزن والغيوم مظلمة، ولع بروقها يكاد أن يشق القلب ويكلمه»



تلکيف

ثم انطلقوا مع صباح اليوم التالي مُجديين السَّير وسط أراضٍ موحلة كالأنهار،
وطرق وعرة، حتى وصلوا بعد عشر ساعات إلى قرية (سُميل)⁽¹⁾، ومنها قصدوا
قصبه زاخو، حيث وصلوها قريب المغرب. ونزلوا في بيت الآغا شمدین⁽²⁾، وكان
هذا من كرام أعيانها ووجهائها، وبعد أن قضوا الليل في ضيافته توجهوا في صباح
اليوم التالي لإكمال طريق رحلتهم، مُودعين من قبل مفتي البلدة وجماعة من
أهلها، إلى «ما وراء الكُبرى»⁽³⁾ عند الفصيل.

وكان سَيرهم بعد تلك الرحلة محفوظاً بالمخاطر والمتاعب، حيث كان عليهم
عبور النهرين المسمى أحدهما بالهيزل والآخر بالخابور، ولما لم تكن فيه سفينة
لعبورهم لارتفاع مناسيب مياههما في فصل الربيع، اضطروا إلى خوضهما أو

(1) قرية قديمة نشأت عند تل أثري، ذكرها ياقوت الحموي باسم (سمويل)، تبعد عن مدينة
دهوك بنحو 16 كم، وهي اليوم بلدة كبيرة نامية، وتعد مركز قضاء باسمها.

(2) هو جد الأسرة المعروفة بآل شمدین آغا في زاخو، وقد نال ابنه يوسف رتبة (باشا) وخلفه
في أسرته حازم بك الذي شغل عدة مناصب في الحكومة العراقية، فصار نائباً ثم عيناً ثم
وزيراً، وتوفي سنة 1954.

(3) الكُبرى تركية بمعنى الجسر، يريد به جسر زاخو الحجري الشهير المسمى أيضاً بالجسر
العباسي، واليوم يعرف بجسر دلال.

السباحة فيهما. وكان وصولهم إلى قرية (الديرونة⁽¹⁾) في وقت العشاء من ذلك اليوم، فباتوا ليلتهم في بيت كبير القرية، وأهلها من النصارى.



زاخو (صورة قديمة)

وقبل طلوع الشمس من اليوم التالي، ركب القوم خيولهم ميممين شطر الجزيرة، أي جزيرة ابن عمر، وهي المنزل الخامس من منازل الطريق، ويبعد عن الديرونة زهاء إثنتي عشر ساعة، وفي أثناء سيرهم، التقوا صدفة بقائم مقام زاخو يقود أتباعه متوجهين إلى قصبه زاخو لاستقبال «رأس العساكر العثمانية الشاهانية نامق باشا»، وقد أصلح لأجله وعر الطريق «فصار لطيفاً بعا布里 السبيل». ودعا القائم مقام المؤلف وصحبه للنزول في داره عند مرورهم بالجزيرة. ونظراً لارتفاع مناسب دجلة آنذاك، وعدم وجود جسر عليه، فقد عبر القوم النهر بواسطة (الظروف) وهي القرب المنفوخة، وعند نزولهم في القصبه نزلوا في دار القائم مقام الكائنة في مكان مرتفع من سراي الحكومة، وبعد ليلة لقي فيها الجميع من كرم الضيافة ما أراحهم وأرضاهم، انطلقوا قاصدين المنزل السادس من منازل الطريق، وهي قرية لم يذكر اسمها في رحلته. ويصف المؤلف هذا الطريق وصفاً ممتعاً، فذكر أنه يسمى (الديريون)، وأن اجتيازه استغرق اثنتي عشر ساعة بسير الخيل، وهو طريق وعر، يصعب السير فيه بسبب غزارة مياه

(1) قرية أخذ اسمها من (دير داوون). وعن العلاقة بينها وبين دير أبون، التي سيرد ذكرها فيما يأتي، وتقع في النهاية العربية من جبل بيخير، على بعد 6 كم من دجلة، ينظر جان فبييه: آشور المسيحية، ترجمة نافع توسا، بغداد 2023، ح 2 ص 778.

الأمطار، ورخاوة الأرض، وكثرة الحجارة. ولم يكن نزول المؤلف ورفاقه في المنزل المذكور مريحاً بأي حال، ولكنهم اضطروا إلى قضاء الليل هناك اضطراراً، قال يصف البلدة «بعد أن عبرنا الماء على ظروف، مملوءة من الخوف، لأنه قد زاد وقتئذ وامتلاً فيضاً، ولم يقدرُوا أن يشدوا عليه نطاق جسره لذلك ورفضوه رفضاً، لكن سلامة العبور بعناية القدير تغني عن محكم الجسور، فنزلنا المنزل المذكور، وهو في محل مرتفع من سراي الحكومة.. والجزيرة المذكورة بلدة وخيمة الهواء، لكنها لكونها تشرب من دجلة وعليها عذبة الماء، وهي على غربتها⁽¹⁾ بموضعها القديم، لكونه قد تلاشى يحتاج إلى عمارة وترميم، وهي هلالية الشكل، وأكثر أبنيتها من الحجارة، وسرايها كبير لكن أكثره خال من العمارة، يسكن فيه القائم مقام ومن معه من العساكر، وهو أثر عظيم من آثار الملوك الإول، يدل على عظيم همهم وقوتهم في ذلك العمل».



العبور على الرمث (الكلك) في منطقة الجزيرة
(صورة قديمة)

وفي اليوم التالي توجهوا قاصدين المنزل السابع، وهو قرية تبعد عن المنزل السابق بنحو اثنتي عشر ساعة بسير الخيل أيضاً، تدعى (عموط). ومن عموط توجه الركب إلى ماردين، فمروا في طريقهم بموضع يسمى (العقبة). وحينما وصلوا ماردين نزلوا في خان هناك، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى دار

(1) كذا في الأصل.

بعض أعيان البلدة، حيث التقى المؤلف برجل عالم أديب يدعى الملا مسعود، وهو - كما وصفه - فاضل عالم له نظم ونثر يشهدان له بحسن اطلاعه، وقد قرّض المؤلف إحدى منظوماته، ونقل شيئاً منها في رحلته.

وبعد قضاء يومين في ماردین، ارتحل الרכب إلى ديار بكر، حيث استقبلهم هناك وقد يتقدمه (سلامي أفندي) من كبار موظفي المدينة، وأنزلهم في داره حيث قام بضيافتهم وخدمتهم، وشغل المؤلف في الأيام الأولى من إقامته باستقبال علماء ديار بكر ووجهائها، وذكر أسماء طائفة منهم، وترجم لبعضهم، منهم المفتي عبد الغني أفندي، ومحمد أفندي الشهير بعرب زاده، وخوجه عباس، وهو من العلماء الصلحاء، وبهرام مخدوم متصرف شهرزور عمر باشا، وهو من أعضاء مجلس إدارة الولاية، وينتمي إلى بيت عريق في ديار بكر، يدعى (كوراني زاده)، ومنهم أيضاً محمد آغا بن حاجي جرجيس الحامل لرتبة (سر بوابين الركاب)، رئيس مجلس التجارة في الولاية، وجميل باشا عضو مجلس إدارة الولاية، وسعيد أفندي مكتوبي (كاتب الإنشاء) في الولاية، ومعاونه عزة بك الدفتردار.

وفي وصف المؤلف لمدينة ديار بكر فوائد متنوعة، فهو يشير إلى واليها السابق ويثني على واليها المعاصر له، ويصف عمرانها متطرقاً إلى الحديث عن أسوارها وموقعها والمواد المستعملة في بنائها، ومورد أهلها، ونبذة عن تاريخها، ومعنى اسمها، وارتباطاتها الإدارية، ومدى اتساعها، وجامعها الكبير وتاريخه، وقبور بعض الصحابة والأولياء المدفونين فيها ومواقعها.

قال يصف مدينة ديار بكر⁽¹⁾ «وأما البلدة فسورها شامخ حصين، وبنائها محكم بصخور الحجارة متين، والمياه تجري في غالب منازلها وأزقتها، والطيور تغرد على أشجارها، وتشدو بأنواع الألحان على لعنتها، وهي حسنة المبنى والموقع، على أكمة في محل مرتفع، قد طفح من مياهها الحياض، ودجلة في الجانب الشرقي منها في انخفاض، غير أن الحجر فيها كقلب الغريب أسود⁽²⁾، وفيما يشربون من مائها نوع ما

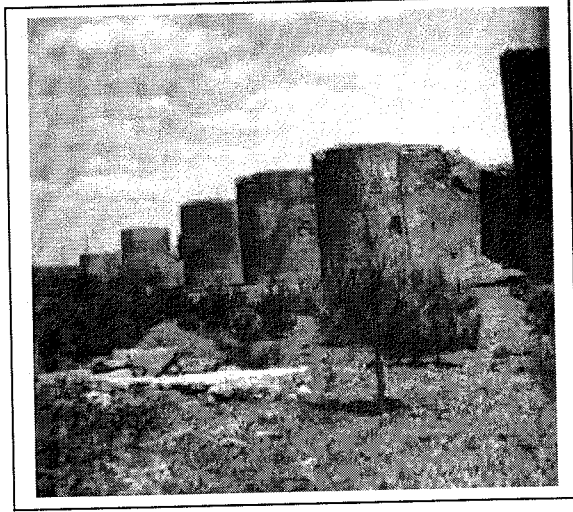
(1) هي آمد القديمة (Amida) عند الرومان، وقد عرفت باسم ديار بكر نسبة للإقليم الذي تقع

فيه. ينظر ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص 140.

(2) كذا هي العبارة في الأصل، وقد اشتهرت آمد أو ديار بكر بحجارتها السود، حتى عرفها

الأتراك باسم (قره آمد) أي آمد السوداء.

من ثقل يوجد⁽¹⁾، وكانهم رفضوا عذب مائها ولم يشربوه، ورجحوا ما عندهم من ماء الحموات مع معرفتهم خفة ذلك وشربوه، لوقوع النهر المذكور من دجلة في خفض، وفي جره ونقله إليهم نَصَبَ، وفي الرفع تَعَبَ، أوجبهم إلى الرفض، مع أن نقله على ذي الطبع السليم والعقل المستقيم يكاد يكون بمنزلة الفرض.



سور آمد (ديار بكر)

وسورها الموجود على ما يقال من بناء الرومانيين⁽²⁾، وأهلها اليوم أكثرهم إسلام، وقريب من أن تتصفهم النصارى⁽³⁾، على تعدد مذاهبهم وتنوع رؤسائهم، من المطارين والقسيسين، وفيهم بيوت قليلة من اليهود ينقصون عن سبعين⁽⁴⁾، لكنهم كما هو حالهم المنصوص عليه المعلوم منه الذلة والمسكنة، لا يُعدّون، وطبعمهم

(1) كذا هي العبارة في الأصل، وقد أشار عدد من السياح والرحالين إلى عذوبة المياه المتدفقة من عيون المدينة. ينظر ليسترنج ص 141.

(2) من المرجح أن الإمبراطور قسطنطين هو أول من سورها سنة 349م، ثم جدد سورها وأحكم استحكاماتها الإمبراطور جستنيان. شمس الدين سامي: قاموس الأعلام ص 3023.

(3) نقل هذا من كتاب (التعريبات الشافية لمريد الجغرافية) تأليف رفاعة رافع الطهطاوي، وقد نقل أبو الثناء الألويسي هذا النص في (غرائب الإغتراب) ص 92 ونص الأصل « وأهلها أربعون ألفاً منهم نحو عشرين ألفاً نصارى».

(4) كان عدد سكان ديار بكر، في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة (19م) نحو (25000 نسمة)، منهم (20000) من المسيحيين، و(850) من الأرمن، والباقيون من السريان والكلدان واليهود. سامي: قاموس الأعلام ص 2202.

سقيم مذموم، واشتهارها في هذه الأزمان بديار بكر، وفي الحقيقة هو اسم للقطر التي هي فيه، وسببه أنه كان ينزله بكر بن وائل بن قاسط بقومه وتابعيه، وفي التعريبات⁽¹⁾: ربما سميت إيالت ديار بكر باشوية بغداد⁽²⁾، وكانت إيالة الجزيرة وديار بكر، وهي ما بين دجلة والفرات، تسمى عند اليونانيين⁽³⁾ ميسوبوتاميا، والآن من فضل المولى المنان ضمَّ إليها السلطان، أعني سلطاننا الموفق عبد العزيز⁽⁴⁾، لما صدرت إرادته بجعلها ولاية معمورة العزيز، وسماعا مع المعمورة المذكورة ومتعلقاً بها ولاية ديار بكر⁽⁵⁾، وهي من نهاية المعمورة إلى حدود الموصل طولاً من ذلك القطر، وجعل عليها ذا الدرجة⁽⁶⁾ درويش باشا.

وبعد أن أثنى على الوالي المذكور الثناء الجميل، قال واصفاً المدينة «وأما جوامعها فمحكمة عامرة، وبالجماعات منغصة⁽⁷⁾، وبتسيحهم نائرة، منائرها تسر الناظرين من بعيد، وتأخذ لحسنها لنظر القريب والبعيد، ومن أكبرها وأجملها للشعار جامعها الكبير الشبيه بالجامع النوري⁽⁸⁾، وياله [من] جامع شهير، وهو حافل بالمصلين، وللجماعة في الأوقات الخمس يكاد قبل أن يرى تعشقه أذن السامع، فيه سرٌّ يحس الداخل فيه من تفريح ونشاط وخشوع لمصلية، منارته

- (1) يقصد كتاب (التعريبات الشافية) للطهطاوي وقد تقدم.
- (2) كانت ولاية بغداد تشمل في العصر العثماني، لا سيما منذ منتصف القرن الثاني عشر (18م) ماردين ونصيبين، أما ديار بكر فلم يؤثر أنها ضمت لإدارة ولاية بغداد.
- (3) في الأصل (البوتيين) وما أثبتناه من (التعريبات الشافية) الذي ينقل منه.
- (4) حكم من 1277 إلى 1293هـ / 1861 - 1876م.
- (5) كانت ديار بكر تتألف من ثلاثة سناجق هي ديار بكر نفسها، وماردين، وأرغني، في حين كانت معمورة العزيز تتألف من ثلاثة سناجق هي خربوت، وملاطية، ودرسيم، وقد ربطت الولايتان ببعضهما في عهد السلطان عبد العزيز.
- (6) كأنه أراد: ذا الدرجة الرفيعة أو نحو ذلك.
- (7) يريد: خاصة.
- (8) أشهر جوامع الموصل، أنشأه نور الدين زنكي في المدة من 566 إلى 568هـ، وشيد فيه مئذنة عالية اشتهرت بالهدباء لانحناء فيها نحو الشرق، ما تزال قائمة، وأضاف إليه مدرسة، ووقف عليه أوقافا، منها قرية العقر وقسيارية عند الجامع وأرض خيرات الخمس في الموصل، حدده ووسعه والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي سنة 1146هـ. وأضيفت إليه سنة 1963 أربع مآذن صغيرة في أركانه الأربعة، ينظر سعيد الديوه جي: جوامع الموصل في مختلف العصور، بغداد 1963، ص3.

لحسن هيئتها شاسعة جداً، وقد بلغت من الحسن والإحكام حداً، وبانيه - جزاه ربّه - أحكم في وقته بنيانه وأرصن، وأسس قواعده وشيّد قواعده وأتقن، وصحّن حوشه في السعة من جانب مفروش بالحجارة، محاطاً بعالي الأبنية من كل جانب، فيه بركة تتدفق بزالال الماء كبيرة، أما حوضه فحفيرة عمقه تزيد على ذراعين، وماؤه يجري لصفائه كاللجين، وسطوحه مطلية بالرخاص، عالية مشيدة، وموقعها معجبة للنواظر قريبة كانت أو بعيدة. ويُنقل متواتراً طبق ما ذكر بعض المؤرخين، إنه كان قبل الفتح كنيسة⁽¹⁾، وبدلت هيئته بعده بالجامع، عناية من الناصر المعين، وياله من أثر باق مدى الأزمان . وفاتها - على الأصح - هو أبو عبيدة، رضي الله عنه⁽²⁾ وعمّن تبعه، وفيها قبور كثير من الصحابة ممن تبعه وأتى معه، ومنهم الذين لم يألوا جهداً في خدمة من وجب بالنص له بالسمع والطاعة⁽³⁾، ومرقده في جوار الجامع الواقع في رأس السوق⁽⁴⁾، تزوره الخاصة والعامة ويتبركون به ويقصدوه من فج مشوق، .. ومنهم سليمان بن خالد، رضي الله عنه⁽⁵⁾ وعن أبيه، ومرقده - رضي الله عنه - متصل بسراي الحكومة عند الجامع الشهير بجامع سليمان. وفي الجامع الكبير المذكور، مدرسة عالية لطيفة ريقة سامية، وفيها من الكتب شيء كثير من آله⁽⁶⁾ وحديث وفقه وتفسير، ومدرسها الذي مر ذكره الخواجة

(1) هذا هو الجامع الكبير في ديار بكر، ويعد من أقدم المساجد في الأناضول، كان أصله معبداً رومانياً، ثم تحول إلى كنيسة، ثم أقام المسلمون بعد فتحهم المدينة في جزء من هذه الكنيسة مسجداً صغيراً، وفي سنة 483هـ / 1091م أمر السلطان ملكشاه السلجوقي بإعادة بنائه ليكون مسجداً جامعاً، وهو يشبه المسجد الأموي بدمشق، وأعيد بناؤه سنة 510هـ / 1117م بعد أن أصابه الخراب بسبب الزلزال الذي داهم المدينة سنة 508هـ / 1115م وما زال عامراً.

(2) الصحيح أن الذي فتحها صلحاً هو الصحابي عياض بن غنم وذلك في أوائل سنة 20 هـ.

(3) يشير المؤلف هنا إلى المقبرة المعروفة بمقبرة الصحابة الكائنة قرب جامع سليمان بن خالد بن الوليد رضي الله عنه في محلة السور، حيث تتفق المآثورات المتواترة على أنها تضم سبعة وعشرين من قبور الصحابة.

(4) هو من القبور المدّعاة، وقد دفن أبو عبيدة في عمواس، قرب بيت المقدس، على أرجح الروايات، وقيل أن قبره في (فحل) أو في (بيسان) وكلاهما في تواحي الأردن. ينظر: الإصابة ج4 ص13 وأسد الغابة ج3 ص86.

(5) استشهد سليمان بن خالد بن الوليد في أثناء فتح آمد (ديار بكر).

(6) أي الكتب المعروفة بكتب الجادة، وهي المسماة اليوم بالكتب المنهجية.

عرب زاده، وله اعتبار بالتدريس يفوق على أمثاله بالزيادة، وأما غيرها من المدارس فأكثرها عن التدريس أفندتها في خلاء، ووجود من يشار إليه بالبنان في هذه الأطراف قليل من صف العلماء».

وقد تناول المؤلف، في رحلته، نُبذ من إجاباته على استفسارات لبعض العلماء، ونماذج من الرسائل المتبادلة بينه وبين أصدقائه في الموصل، وفيها ما يوضح طبيعة العلاقات الأدبية بين مثقفي ذلك العصر وأدبائه، وبين سعة علم المؤلف وثقافته وحسن ترسله وجمال عبارته، ومن أولئك العلماء: الشيخ محمد القادري النوري، ومحمد أفندي النقشبندى الخالدي، وعبد الحافظ أفندي بصيري زاده، وغيرهم. وفي تلك المراسلات مواظ وحكم واستطرادات أدبية.

وأسلوب المؤلف في كتابة رحلته هذه أدبي ممتع، فيه من وضوح العبارة وحسن التصوير، ما يستحق التقدير، ولا يخلو أسلوبه، بوجه عام، من عبارات مسجوعة، وأشعار قليلة مختارة.

رحلات فضل الله المحبي الى الديار الرومية والمصرية

هو فضل الله بن مُحَبِّ الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين أبي الفضل العلواني الحَمَوِيّ الدمشقي، عالمٌ نابِه من أهل القرن الحادي عشر للهجرة، ولد من أسرة مثقفة جمعت بين العلم والأدب، وبين الفقه والشعر، وورثت مع ذلك روع دعابة مُحَبِّية، ورغبة في السفر والسياحة، ووجاهة بين الناس.

فأما جدُّه، محمد محب الدين، فهو أول من قدم من حماة إلى دمشق، وكان عالماً واسع المعرفة، أتقن علوم التفسير والفقه والنحو والمعاني والفرائض والحساب والمنطق والحكمة والفنون الغريبة، وهي التي تتعلق بمعرفة المُغَيِّبات، هذا إلى عدوية في اللفظ والنثر، ومهارة في فنون الخط، كما ألف كتباً في التفسير والمعاني والبيان، فضلاً عن تسجيله وقائع رحلاته فيما سماه (الرحلة المصرية والرومية والتبريزية)، واذ نفهم أسباب رحلاته إلى مصر والروم، فإننا لا نعرف سبب رحلته إلى تبريز، عاصمة الصفويين عصر ذلك، إلا أن يكون في صُحبة إحدى الحملات العسكرية العثمانية المتوجهة إلى هناك. وعلى أية حال فإنه تولى القضاء في مصر، ثم وليه في في حمص وحصن الأكراد ومَعَرَّة النعمان ومَعَرَّة نسرین وكلس وعزاز، قبل أن يستقر في دمشق سنة 993هـ/1585م، حيث تولى نيابة القضاء، وقضاء العسكر فيها، كما تولى التدريس في عدد من مدارسها الشهيرة، إضافة إلى توليه الإفتاء، وكانت وفاته سنة 1016هـ/1607م⁽¹⁾.

وأما أبوه فكان عالماً عُرف بوجاهته وثروته أيضاً، فهو «صدر الشام في زمنه ومرجع خاصتها وعامتها، وقد أوصله الله تعالى بين علماء دمشق إلى مرتبة لم يصل إليها أحد فيما تقدمه منهم، وأقبلت عليه الدنيا اقبالاً عظيماً، وتوفرت له دواعي المعالي، وملك من الذخائر والتحف ما لا يضبط بالإحصاء، ورزق [من] الأبناء الكثير»، وكان قد توصل عن طريق ملازمته لشيخ الإسلام يحيى بن زكريا إلى أن يلي قضاء الحج وقضاء العسكر في صحبة الوزير أحمد باشا كوجك في أثناء حملته على الأمير فخر الدين المعني في بلاد الشام، ثم تولى التدريس في بعض مدارس دمشق، وأعطى رتبة القدس، وتولى التدريس في عدد من مدارس دمشق،

(1) محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة 1305، ج 2 ص 122.

وكان مما تولاه من المناصب التصرف بناية الشام وقسمتها العسكرية مدة ست عشرة سنة، حتى وفاته بدمشق سنة 1047هـ/1637م⁽¹⁾.

ولد فضل الله في دمشق في 7 محرم من سنة 1031هـ/21 تشرين الثاني 1621م ، في جو مثقف مترف، ووسط أسرة تورث التقاليد العلمية، والمكانة الاجتماعية، أباً عن جد، فتلقى العلم والأدب على علماء مدينته وأدبائها، ومالت نفسه إلى الأدب، فقرأ الكثير من الكتب الأدبية بتوجيه من الشيخ أحمد بن شمس الدين الصفوري، حتى «فتحت له أبواب الشعر»، وصار «حسن المعرفة بفنون الأدب»، وتدريب على فنون الخط صيباً، لا سيما خط التعليق، حتى أثار إعجاب شيوخه، ونظم الشعر وهو شاب غض فلفت نظرهم إلى مواهبه المبكرة، وتعلم اللغتين التركية والفارسية، كشأن أدباء ذلك العصر. وعلى الرغم من ميوله الأدبية فإنه توجه إلى الدرس العلمي، على وفق تقاليد أسرته، فأخذ الفقه على الشيخ عبد اللطيف الجالقي، كما أخذ الحديث عن العلامة نجم الدين الغزي، حتى منحه هذا (إجازة عامة) في العلم سنة 1048هـ/1638م وهو في السابعة عشر من عمره. وكان أبوه قد توفي قبل هذا التاريخ بعام، مما دفعه إلى ملازمة أستاذه أبيه العلامة عبد الرحمن العمادي، يأخذ منه ويتأثر به، حتى «تخرج بالاعتباس من نوره، والاعتزاز من بحره، وراض نفسه على أخذ نمطه في الإنشاء».

ومثلما ورث الفتى عن أسرته الرغبة في العلم، فإنه ورث عنها أيضاً طموحها الدائم إلى المناصب العليا، وصادف أن قصد شيخ الإسلام يحيى بن زكريا مدينة حلب مصاحباً للحملة العسكرية الكبرى التي قادها السلطان مراد الرابع لاسترجاع بغداد من الصفويين سنة 1048هـ/1638م، فما كان منه إلا أن سافر إلى هذه المدينة ليلتقي به، ولا ندري ما إذا كان قد نجح في اللقاء به في خلال المدة القصيرة التي أقام فيها الشيخ في حلب، لكننا وجدناه يسعى سنة 1051هـ/1641م إلى القسطنطينية ليكون واحداً من طلبة هذا الشيخ الملازمين له، كما أنه ولي في الوقت نفسه التدريس في مدرسة الأربعين هناك، وامتدت اقامته في العاصمة العثمانية نحو سنة ونصف، إلا أن ملازمته لشيخ الإسلام لم تؤد إلى أن يتولى منصباً رفيعاً، على نحو ما جرى لأبيه من قبل، لأنه اضطر إلى مغادرة القسطنطينية والعودة إلى دمشق حيث «أقام مشغلاً فيها بالتأليف»، فكتب، وهو لم يبلغ العشرين من العمر، شرحاً مطولاً على

(1) خلاصة الأثر ج3 ص308.

متن الآجرومية في النحو وكتياً أخرى، وتولى التدريس في المدرسة الدرويشية، التي كان يتولاها أبوه، فضلاً عن دروس كان يلقيها في المدرسة الأمينية .

وفي سنة 1059هـ/1649م غادر دمشق مرة أخرى، إلا أنه قصد هذه المرة القاهرة، ليلتقي بقاضيها محمد بن عبد الحلیم البورسوي، وهو أحد من تعرف عليهم في أثناء إقامته في القسطنطينية، فما كان من هذا إلا أن ولاه نيابة قضاء المحكمة الصالحية «ممتعاً بالتفاته وحظي عنده». وأفاد فضل الله من وجوده في مصر بأن واصل دراسته على أيدي كبار علمائها، وأهمهم العلامة الأديب شهاب الدين الخفاجي⁽¹⁾، فأخذ يتردد على مجلسه، يأخذ عنه، ويحاوره، وسعى بعض حساده لتكدير صفو صلته بالقاضي البورسوي، بأن أخبروه بأن سبب وجود فضل الله في مجلس الشهاب الخفاجي هو الاساءة إليه وهجوه، ولم تكن صلة الشهاب بالبورسوي حسنة، فما كان من الأخير إلا أن «غضّ نظره عنه»، ولم يعد يلتفت إليه، والظاهر أن هذا التوتر نجح في تكدير حياة فضل الله، لأن حياته لم تستقر في القاهرة إلا بعد أن عزل البورسوي عن منصبه.

شرع فضل الله في أخذ العلم على كبار علماء الجامع الأزهر، منهم علي الأجهوري شيخ المالكية في عصره في القاهرة، المتوفى سنة 1066هـ/1655م، وعلي الشبراملسي، المدرس في الجامع الأزهر، المتوفى سنة 1087هـ/1676م، وشهاب الدين محمد بن أحمد الشوبري، المفتي بالأزهر، المتوفى سنة 1069هـ/1659م وغيرهم، ولم يمنعه عن مواصلة سيرته العلمية هذه إلا إصابته بالمرض، فقرر أن يعود إلى دمشق، بعد معاناة التشوق إلى مرابع طفولته وصباه فيها. والظاهر أن مرضه حال وهو في دمشق من أن يتولى منصباً ما، فانصرف بكليته إلى التأليف، حيث جمع منتخبات من الشعر في مختلف الأغراض التي يحتاجها كتاب الرسائل. ودفعه مرضه الشديد إلى الاهتمام بالطب، فشرع يتدارس كتبه، ويراجع الأطباء، «حتى تمهراً في علم الطب جداً». وكان يشجعه على ذلك ما أصابه من الوسواس بسبب المرض المذكور. وذكر ابنه

(1) شهاب الدين محمود بن محمد بن محمد بن عمر الخفاجي، الأديب المصنف، ولد في القاهرة في نحو سنة 975هـ، وأخذ عن علمائها، ثم رحل على الحرمين شاباً حيث أخذ عن بعض علمائها، ورحل إلى القسطنطينية فدرس الرياضيات فيها، وقلد القضاء في بلاد الروم ايلي، ثم في سلانيك، وأعطى بعدها قضاء مصر وعزل، فرجع إلى الروم ومر بدمشق، ودخل حلب، ثم نفي منها- لخلاف مع بعض علمائها- إلى مصر، وأعطى قضاء فيها، فاستقر بمصر يؤلف حتى وفاته سنة 1069هـ/1658م. له مؤلفات جمّة، منها ريحانة الألبا، وطرارز المجالس، وشفاء الغليل.

وترجم لنفسه في ريحانة الألبا ص 272-309 وينظر خلاصة الأثر ج 1 ص 332-343

محمد أمين أنه انقطع بسبب وسواسه هذا عن أكل العنب والمشمش مدة سبعة عشر عاماً، وهو ما يبعث إلى الظن بأنه كان يعاني من مرض (السَّكْرِي)، وربما كان هذا الداء سبب موته فيما بعد .

عاش فضل الله سنوات اقامته بدمشق مشغولاً بمداراة صحته المتعبة، بعيداً عن المناصب العلمية والشرعية، فلما تولى قضاء دمشق الشيخ محمد عزّتي التفت إليه، واقترح أن يعود إلى شغل بعض المناصب القضائية، فكتب إلى شيخ الإسلام في الدولة العثمانية أبي سعيد أسعد زاده يطلب إليه أن يولي فضل الله القضاء في آمد (ديار بكر)، وكان هذا قد تولى القضاء من قبل في مدينة دمشق، فما كان منه إلا أن ولاه ذلك المنصب. والظاهر أن نفسه كانت تطمح إلى ما هو أكبر من ذلك، إذ قرر مطلع سنة 1073هـ/ 1662م أن يسافر مرة أخرى إلى القسطنطينية، حيث أقام هناك مدة أربع سنوات، وقعت له في أثناءها «ماجريات وأشعار وترسلات»، ولما يئس من تحقيق أمانيه ومل الإقامة أشار إليه بعض أصدقائه أن ينظم قصيدة يعرض فيها طلبه ويرفعها إلى الوزير أحمد باشا، ووجدت القصيدة استجابة من أرسلت إليه، إذ «نالت شفاعة الوزير» فولي قضاء بيروت، وحينذاك غادر القسطنطينية مسرعاً عائداً إلى دمشق، فلبث فيها ثلاثة أشهر، ثم غادرها، مستصحباً ابنه محمد أمين معه إلى مقر عمله الجديد، وبعد مضي سنة وعشرة أشهر، ترك منصبه وعاد إلى دمشق حيث تفرغ لكتابة كتاب ضم تراجم علماء عصره وأدبائه ليكون ذيلاً لكتاب (تراجم الأعيان من أبناء الزمان) للحسن البوريني، المتوفى سنة 1024هـ- 1615م، وبالغاية والأسلوب نفسه، كما جمع أشعاره في ديوان.

ولم تصبو نفسه بعدها إلى شغل من قضاء وتدريس، أو أنها صبّت لكنها لم تجد إلا إهمالاً من المسؤولين، فضلاً عما كان يعانيه من مرض مُمض. وقد جمع كل هذه الآلام والمُحَبَّطات في رسالة كتبها إلى أحد أصدقائه يقول فيها «قد طالت العلة، وطابت العزلة، فليس في الحركة هذا الآن بركة، والإنقطاع أريح متاع، والاجتماع جالب للصداق.. فهو زمان السكوت، وملازمة البيوت!». وكشف عن ضيق نفسه وبأسه من أصحاب السلطة ومن الناس معاً، بأبيات منها:

لزوم البيت أروج في زمان عدّنا فيه فائدة البروز
فلا السلطان يرفع من محلي ولست على الرعية بالعزير

وكتب إلى طبيب له اسمه منصور الغزواني:

أنا أصبحت لا أطيق حراكاً كيف أصبحت أنت يا منصور!

وكان مما زاد حالته سوءاً أصابته بوسواس شديد أقض مضجعه وزاد من اضطرابه. وليس أجمل من تقديمه نفسه في رحلته المصرية بهذه العبارات المؤثرة التي تدل على رقة في الطبع، واعتزاز بالوطن، ورغبة بالإطلاع، إذ قال «إني فرغ نما في دوحة الشام، وغصن سما بين الأراك والبشام، من فتية ارتدوا أردية المجد، وحازوا قصب السبق في مضمار العلى عن أب وجد، فمد زالت عنه قائمه، وتفتحت من أراهير الشباب كمائمه، لم يزل مغرماً برؤية المدائن والأمصار، وإيداع الأوراق ظرائف ثمار الأخبار، مستشداً غرر الأشعار، من كل قائل، وسائلاً عن أحوال الاقطار كل قافل، وكأني كرة لعبت بها صوالج الأقدار، أو باقة نرجس تقاذفت بها أمواج الأسفار»⁽¹⁾.

وكانت وفاته في نهار الثلاثاء 13 جمادي الآخرة سنة 1082هـ/16 تشرين الأول 1671م، عن عمر ناهز الواحد والخمسين عاماً، وصلي عليه في جامع بني أمية، ثم دفن في قبر جده ووالده بمدفن الأسرة قبالة جامع جراح⁽²⁾ بدمشق⁽³⁾.

وكان من توفيقه أن رزق بولد صالح، أحسن تربيته وتأديبه، يصطحبه معه في رحلاته، ويوجهه في كل خطواته، فأخذ هذا بمنهجه وزاد، وهو المؤرخ الشهير محمد أمين المحبي الذي ذاع صيته من خلال مؤلفيه النافعين (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر)، و(نفحة الریحانة ورشحة طلاء الحانة) اللذين يعدان مرجعاً أصيلاً لتاريخ الحركة الفكرية والاجتماعية في المشرق العربي الحديث.

رحلاته

للمحبي أربع رحلات مهمة سجلها بنفسه، أولاهما إلى حلب، واشتتان منها إلى القسطنطينية، والرابعة إلى القاهرة، وهي كالآتي:

(1) المخطوط، الورقة 185.

(2) تقع مقبرة الأسرة على عتبات مقبرة باب الصغير في جادة جراح حالياً، ومقابلاً للمدرسة الصابونية، أما مسجد الجراح فقد كان في أصله مسجداً صغيراً، ثم أصبح جامعاً كبيراً في عهد الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل في سنة 631هـ.

(3) اعتمدنا في عرضنا لحياته وتاريخ أسرته على ما كتبه ابنه المؤرخ محمد أمين في خلاصة الأثر ج 3 ص 275. وقد كتبت الدكتورة ليلي الصباغ دراسة مسهوبة عن عصر المحبي، وأسرته، وبيئته، في كتابها (محمد أمين المحبي المؤرخ وكتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر)، دمشق 1986.

1- الرحلة الحلبية. وصف فيها وقائع رحلته إلى حلب سنة 1048هـ/1638م، وكان إذ ذاك في السابعة عشر من عمره.

2- الرحلة الرومية. وصف فيها وقائع رحلته إلى القسطنطينية سنة 1051هـ/1641م واقامته فيها ثم عودته منها إلى دمشق.

3- الرحلة المصرية. وصف فيها مدة إقامته في القاهرة سنة 1059هـ.

4- الرحلة الرومية الثانية. وعد بها في رحلته الرومية الأولى إذ قال «وتعليق الأمل بالسعي في رحلة أخرى»⁽¹⁾، وقد وصف فيها وقائع رحلته الأخيرة إلى القسطنطينية سنة 1073هـ/1662م. قال ابنه محمد أمين أنه «وقع له في بلاد الروم ماجريات وأشعار وترسلات أثبت منها كثيراً في رحلته الأخيرة، وهي أحسن آثاره». ولم تصل إلينا هذه الرحلة.

وجميع هذه الرحلات لم يعرف، وقد وقفنا على رحلتين مخطوطتين منها،

1- الرحلة الرومية، وهي الأولى من رحلتيه إلى بلاد الروم. وفيها وصف لمراحل الطريق الذي قطعه منذ مغادرته دمشق وحتى وصوله إلى القسطنطينية، وقد سجل المؤلف تاريخ شروعه بالسفر بكلمة (غنا) وهو ما قيمته على وفق حساب الجمل سنة 1051، وحدد ذلك بالأيام فذكر أنه كان في 15 شعبان من ذلك العام، فوافق هذا اليوم التاسع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) من سنة 1641م⁽²⁾، ولم يكن عمره قد تجاوز آنذاك العشرين عاماً. وقد ذكر سبب تسجيله لوقائع هذه الرحلة فقال «فلم أر لي مُشغلاً في هذه البطالة، ولا مُسلياً في كل حالة، سوى التسلي بترويح النفوس، ونقش السطور في الطُروس، وتحبير وجوه هذه الصحائف، بذكر بعض الوقائع واللطائف، فكان ذلك باعثاً لي على تحرير هذه الرحلة، وسائناً إلى هذه الطريقة السهلة، وقد جمعت فيها أسماء الطرقات والمنازل، وذكر ما لاقيته من الأماكن والمناهل، متكلاً في ذلك على فهمي، وقانعاً بحظي⁽³⁾ وإن قل سَهْمِي، فإن النفس تهوى أن تضرب في كل فن بسهم ونصيب، ولا عليها أن تخطئ الغرض أو تصيب، سالكاً طريق الإيجاز، في الحقيقة لا المجاز،

(1) المخطوط، الورقة 183.

(2) الورقة 129.

(3) في الأصل (بخطي).

وهو تاريخ وقائع، ومجموع أدب جامع، لأن الكتابة قيد العلوم، وحفظ ما أفاده المنطوق والمفهوم، والنظم الرقيق عروس الآداب»⁽¹⁾.

وصف مراحل الطريق من القرى والخانات والمدن التي نزل فيها، وقد بلغت أربعين مرحلة، تبلغ المسافة بين كل مرحلة وأخرى نحو أربعين كيلومترا، وقد تزيد أو تنقص بحسب وعورة الطريق أو وعورته، وجاء وصفه لما مر به من تلك المعالم حياً معبراً عن حالها من العمارة، فقال عن بلدة القصير قرب دمشق أنها «قرية غراء، ذات أرض خضراء، واسعة الأرجاء، حسنة الأنحاء، بها نهر عذب الماء، وخان متداعي البناء»⁽²⁾، ووصف قرية القطيفة بأنها «ظريفة عالية، بها تكية لطيفة سامية، وخان حسن وجامع ذو بناء مستحسن وحمام، صحيحة الهواء، وسوق حسن البناء، رحب الفناء»⁽³⁾ ووصف حماة بقوله «من أحسن البلاد وألطفها وأنزهها وأترفها، ذات قلعة شامخة، عالية باذخة، مليحة الأبراج والأبواب، لكنها الآن مُشرفة على الخراب، وبها جوامع ومساجد ومآثر ومعاهد، حاوية للبهاء والروثق، ومنقوشة البناء بالحجر الأبلق، مستدير بها العاصي على غالبها من الشرق والشمال»⁽⁴⁾ ووصف خان قلعة المضيق بأنه «خان منازل واسعة، وقبابه شاسعة»⁽⁵⁾، ومثله حديثه عن قرية جسر الشغور، إذ قال أنها «قرية بلا شك ولا مرية، وليس فيها سوى هذا الخان، وهو مهدوم الجدران، وبالي الأطلال والأركان»⁽⁶⁾. ووصف خان كان قد شيده بيرام باشا، الوزير الأعظم، بأنه «خان معد لأبناء السبيل، لطيف البنيان»⁽⁷⁾، ووصف خان بييري باشا «وهو خان قديم، لكن بنيانه غير رميم، فرحم الله تعالى بانيه على بنيانه، فإنه أحكم أساس جدرانه»⁽⁸⁾، وعين تاريخ إنشاء خان محمد باشا، من محطات الطريق، إذ قال «وهو خان وأي خان، محكم المباني، عظيم البنيان، لم يُعمّر على مثاله، ولا بُني على

(1) المخطوط، الورقة 130.

(2) المخطوط الورقة 128.

(3) الورقة 129.

(4) الورقة 134.

(5) الورقة 134.

(6) الورقة نفسها.

(7) الورقة 146.

(8) الورقة 138.

منواله، وهو حصين متين، حادث في سنة سبع وعشرين [وألف]⁽¹⁾، ووصف بلدة أركلي بقوله «هي قصبة صغيرة، وأشجار بساينها كثيرة، وبها جامع لطيف فريد، وخارجه منارة عالية ذات طول مديد، مفردة ترى من نحو نصف بريد»⁽²⁾، وغير ذلك كثير.

وبهرته إستانبول بجوامعها ومدارسها الكبيرة والكثيرة، وسجل إعجابه بها بقوله أنها «تعجز عن وصفها الألسن، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، لا زالت دار السلام والإيمان، ومُستقر الأمن والأمان»⁽³⁾. ووصف ما ضمته من المنشآت، ومنها جامع آيا صوفيه، وجامع السلطان سليم، وجامع السلمانية، وجامع شهزاده، وجامع السلطان أحمد الثالث، ووضح مزاياها، فمما قاله في جامع آيا صوفيه مثلاً أنه «الجامع الكبير المشهور، فهو أعظم معاهدها وأجل مشاهدها، يحار النظر فيه ويتحير دون تصور قوادمه وخوافيه، ذو أبنية غريبة جميلة، وأعمدة عجيبة جليلة، وقبة مُحيرة للعقل في التدوير والتقويس»⁽⁴⁾، والتربيع والتدليس، فكم من بناء داخل بناء، وقوس داخل آخر، وكم من إحكام مرتفع وتحريف مصطنع، كأنه بذلك إرم ذات العماد، وفاخر فلا يحيطه نظر ولا تفكر ولا يحكيه عقل ولا تصور، فلما تأملت قبتها العالية، ورأيت أبنيتها الهائلة، تذكرت قبة النسر بجامع بني أمية، بدمشق المحمية»⁽⁵⁾. كما أشار إلى معالم القسطنطينية الأخرى، منها مدرسة المنلا الكوراني⁽⁶⁾، والكاغد

(1) وتقابل سنة 1617 م .

(2) الورقة 139.

(3) المخطوط الورقة 150.

(4) في الأصل (والتقديس).

(5) المخطوط 166.

(6) تنسب هذه المدرسة إلى المولى أحمد بن اسماعيل الكوراني الكردي وكان عالماً فقيهاً مفسراً محدثاً بارعاً في العلوم، ولد سنة 813هـ/ 1410م وعاش في مصر، وذاع صيت فضله وعلمه، ثم قصد الدولة العثمانية، فتولى تعليم السلطان محمد قبل توليه السلطنة، ولما تولاهما منحه تدريس هذه المدرسة، التي هي في الأصل من انشاء جده السلطان مراد، وقلده منصب الفتوى ومهام أخرى، صنف مؤلفات عدة منها: 1- غاية الأمان في تفسير السبع المثاني وهو كتاب في تفسير القرآن الكريم 2- الكوثر الجاري في رياض البخاري وهو كتاب لطيف أجاد فيه شرح أحاديث البخاري في عدة مجلدات 3- الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع وهو كتاب للسبكي في الأصول 4- شرح الكافية لأبن الحاجب في النحو 5- الشافية في علم العروض والقافية وقد أهدى كتابه الشعري هذا المتضمن ستمائة بيت للسلطان محمد

خانه (معمل الورق)، وروميلي حصار، ومدرسة السكبانية، ومدرسة القلندرخانه، وغير ذلك من المعالم. وتحدث عن مراسم المولد النبوي فيها تفصيلاً، وتطرق إلى من التقى بهم من العلماء الكبار، ومنهم شيوخ الإسلام، ومفتون، وقضاة، ومدرسون. وعاد إلى دمشق، ماراً بحلب ثم حمص، واصفاً كلا منهما على عادته. ووصل دمشق في سنة 1052هـ/1642م، وذكر هو أنه فرغ من تحرير رحلته في مستهل جمادى الأولى من تلك السنة⁽¹⁾.

اعتمد المؤلف في كتابه على مشاهداته العيانية لما مر به من معالم، لكننا وجدناه في بعض المواضع يقتبس عبارات في وصف بعض المراحل من كتاب بدر الدين محمد بن رضي الدين الغزي الدمشقي (المتوفى سنة 984هـ/1577م) المعنون (المطالع البدرية في المنازل الرومية)⁽²⁾، وهو كتاب يقترب منه موضوعاً وأسلوباً.

2- الرحلة المصرية. وصف فيها وقائع رحلته إلى مصر وإقامته في القاهرة، وذكر أنه دخل القاهرة في 16 رمضان، ولم يُعَيَّن سنة ذلك، لكن ابنه محمد أمين عيَّن حدوثها في سنة 1059هـ/23 أيلول 1649م، وذكر هو أنه قام بها اقتداءً بجده فضل الله الحموي الدمشقي، حين قصدها ملازماً للعلامة الشيخ محمد الشهير بجوي زاده، وصرح أن «العله الغائية والفاعلية» لرحلته هي طلب تعيينه في بعض المناصب الشرعية، لما تناهى إلى علمه من تعيين محمد بن عبد الحلیم البورسوي قاضياً لقضاتها، وكان هذا زميلاً له في التلمذة على شيخ الإسلام يحيى بن زكريا حينما أقام بالقسطنطينية قبل ثماني سنوات، فكان يرجو أن يكون ما بينهما «من الحقوق القديمة» سبباً في تحقيق مطلبه، وقد حقق له القاضي طلبه بأن عينه نائباً له في بعض محاكم القاهرة.

وتختلف رحلته هذه عن رحلته الرومية بعض الاختلاف، فهو لم يذكر المراحل التي قطعها في طريقه من دمشق إلى القاهرة، وإنما انتقل فجأة لوصف انطباعاته الأولى عن القاهرة بعد أن دخلها، مسمى إياها «المدينة العظيمة»، مسجلاً دهشته لاتساع

الفتاح 6- حواشي على شرح الجعبري للشاطبية 7- فرائد الدرر في نصيحة الملوك . توفى عام 893 هـ/1489م ينظر طاشكيري زاده: الشقائق النعمانية ص56 ومحمد علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن مصر 1348هـ .

(1) المخطوط الورقة 184.

(2) وقد تولى المهدي عيد الرواضية تحقيقه، أبو ظبي- بيروت 2004.

مساحتها، وارتفاع مبانيها، وأناقة ما دخل إليه من منازلها، وكثرة الزحام في طرقها، وعذوبة نيلها، كما أنه سجل اعجابه بمتنزهاتها، لا سيما بركة الفيل، وقد سحره منظرها فقال «وأما بركة الفيل فيحق بها المقام والمقيم، لاسيما إذا جرى على لجين الماء ذهب الأصيل، وأشرفت من أفقها كواكب النيل، وهي كالبدر والمناظر فوقها تسر النواظر، وإذا قابلتها الشمس فلها بذلك منظر عجيب، ومرأى حسن ورونق غريب»⁽¹⁾.

وذهب إلى أهرام الجيزة، فوصفها بقوله «وأما الأهرام فقد كنا شغفنا بأخبارها في الشام، فلم يتيسر رؤيا إلا من بعيد، لعدم رفقة في تلك الايام. وقد هالنا أبو الهول، وضاق في وصفه مجال القول، واستصغرنا في جنب الهرمين كل ما استعظمانا، وتداولنا الحديث في الهرم ومن بناه، فكل يأتي في وصفها بما نقله لا بما عقله، وحاتر العقول في عقود، وطارت الأفكار عن توهم حدوده، فيا له من مولود للدهر قبل الطوفان، انقضت القرون الخالية في آبائه وجدوده، وسُمّار الأخبار تذكر حديث أحداث عاده وثموده، ويدل إحكامه وعلوه على علو همة بانيه في بأسه وجوده... وهما كالطودين الراسخين، وكالجبليين الشامخين. قد فتيت الدهور وهما باقيان»⁽²⁾.

وأبدى تقديره للجامع الإزهر، في كثرة أوقافه، وسعته، وكثرة طلبته، فقال «هو أشهر من أن يُذكر، فكل بركة في هذه الديار، فمن بركة ما يتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار، من تلاوة القرآن العظيم، وإملاء حديث النبي النبيه الكريم، وأصول الدين وبقية العلوم، كما هو مشهور معلوم، به من الرنوق والروايات، وانبساط النفس في جميع الساعات، ما لا يوجد في غيره من الجوامع، مع كمال نظافتها وتزخرفها بأنواع النقوشات، وذلك سرٌّ مودع فيه، وهو أكبر دليل على خلوص نية بانيه، ولا غرور فإن لله خواص، في الأزمنة والأمكنة والأشخاص. وقد وجدت فيه من الأنس ما لا يمكن عنه وصف، وبه من أهل الله الواصلين الى ربه الكشف، لو اقسما على الله لأبرهم، ولو سألوا منه دوام السرور لمنحهم ما سرهم، وبه جم غفير لا يعلم بعددهم إلا العليم الخبير»⁽³⁾. ثم أنه انتقل إلى ذكر من التقى بهم من علماء القاهرة في مختلف العلوم، ومن زارهم من أحفاد العلماء الذين قرأ لهم، وأرباب الأسر النبيلة.

(1) المخطوط الورقة 191

(2) المخطوط 192

(3) المخطوط 196.

ومن الرحلتين نسخة في ضمن مجموع يحتفظ به المركز الوطني للمخطوطات في بغداد⁽¹⁾، وتشغل الرحلة الرومية الأوراق 126-183، بينما تشغل الرحلة المصرية الأوراق 184-223، ويبلغ عدد السطور في كل ورقة 27 سطراً، وقد كتبت بخط نسخ متقن. وتتقدم الرحلة الرومية مجموعة من الرسائل التي كتبها بعض علماء دمشق من معاصري المؤلف، لأغراض مختلفة، ومن الواضح أنها من جمعه، وهي تشغل الأوراق 110-125⁽²⁾.

وفي آخر النسخة تعليقة لناسخ الرحلتين، وهو قاضي سلانيك السابق عبد الله الشهرير بسعدي، تشير إلى أنه فرغ منها في شهر ربيع الأول سنة 1073هـ/1662م.

وفي آخر هاتين الرحلتين رسائل لعدد من علماء القرن الحادي عشر

1- من عبد الرحمن العمادي إلى كمال الدين طاشكبري زاده

2- من أحدهم إلى قاضي حلب

3- من عبد الكريم المصري إلى قاضي حلب

4- من عبد المعين إلى قاضي حلب

5- من عمر الفرضي إلى قاضي حلب

6- دفع علماء دمشق لتهم ألحقت بقاضيها حسن أفندي

7- من أمير لواء سلمية إلى العالم كمال الدين طاشكبري زاده

8- من بدر الدين القراي إلى كمال الدين.

9- من بدر الدين القراي إلى كمال الدين أيضاً.

10- تقرير لمحمد نجم الدين الأنصاري على كتاب (الرحلة الرومية)

للمؤلف سنة 1052هـ.

(1) وقد أخطأ أحد الموظفين في المركز الوطني للمخطوطات ببغداد في نسبة (الرحلة الرومية) إلى عبد الرحمن العمادي، وذلك بسبب ورود اسمه في آخر قائمة المقرضين للرحلة، فظنها من تأليفه. اسامة النقشبندي مجلة المورد، العدد 4، المجلد 18، 1989

(2) حققنا هاتين الرحلتين، وعلقنا عليهما، وجمعنا بينهما في كتاب واحد، بعنوان (الرحلتان الرومية والمصرية)، وصدر عن دار الزمان بدمشق ومكتب التفسير في أربيل سنة 2012 ويقع في 264 ص من القطع الكبير.

11- تقریض لمحمد سري الدين على كتاب (الرحلة الرومية) للمؤلف

12- تقریض لعمادین وشهاب الدين و ابراهيم العماديين على كتاب (الرحلة المصرية) للمؤلف سنة 1059هـ.

على أن هاتين الرحلتين ومرفقاتهما من الرسائل لم تصلنا بخط الناسخ المذكور، وإنما بخط ناسخ متأخر، نقل ما وجده بأمانة، وأضاف إليها رسائل أخرى لا علاقة لها بمضمون الرحلتين، ونرى أنه بغدادی عاش في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) لأن أكثر تلك الرسائل هي لعلماء بغداديين عاشوا في تلك الحقبة. وعلى الرغم من دقة الناسخ الأخير في نسخ الأصل، إلا أن ما نسخه لم يخلو من أخطاء إملائية قليلة هنا وهناك.

مؤلفاته

ويفهم مما أورده ابنه محمد أمين في ترجمته أنه ألف، عدا كتب رحلاته المتقدمة، كتباً ورسائل ومجاميع، ذكر منها:

5- شرح على متن الأجرومية في النحو. قال عنه ابنه «أطال الكلام فيه، وذكر أشياء لطيفة».

6- جمع وصنف كتاباً طريفاً جمع فيه مفردات الأبيات التي يحتاجها كتاب الرسائل للإستشهاد بها في رسائلهم، ورتبها على أبواب بحسب الأغراض التي قيلت فيها. منه نسخة في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد⁽¹⁾.

7- ديوان جمع فيه ما تفرق من أشعاره.

8- مجموعات ضمت نماذج من رسائله الأدبية.

9- مجموعات ضمت تراجم أدباء عصره ضمت نماذج من قصائدهم ورسائلهم أراد أن يُذيل بها على كتاب (تراجم الأعيان) للحسن البوريني، وقد أدرج ابنه محمد أمين مادتها في كتابه (خلاصة الأثر).

أسلوبه:

أكد ابنه محمد أمين أن أسلوبه النثري كان أفضل من شعره، وأثنى على هذا الأسلوب

(1) خير الدين الزركلي: الأعلام، ط5، بيروت 2002، ج5 ص153.

فقال «وبالجملة فنثره - كما تراه- مُفَرَّغ في قالب السلاسة، خال من وصمة التعقيد، وفيه معان عذبة وألفاظ رائعة». وفي الواقع فإن القطع النثرية التي أوردها ابنه في ترجمته، وما قرأناه في رحلتيه الرومية والمصرية، تدل على أن أسلوبه كان يُعد نموذجاً متقدماً لأساليب أدباء عصره، فهو يعتمد على السجع دائماً، وعلى بعض المُحسِّنات البلاغية، والاستشهاد بأبيات من الشعر بحسب ما تقتضيه الغاية من الكتابة، وعباراته في وجه عام تميل إلى القصر، إلا أنه يضطر إلى تطويلها نزولاً عند متطلبات السجع، ومع ذلك فنثره يميل إلى الوضوح التام، فلا يستخدم ألفاظاً حوشية ماتت في عصره، أو قلَّ استخدامها حتى لم تعد تفهم، وإنما كان يختار من كلمه ما رَقَّ لفظه، وسهل على المتلقي فهمه.

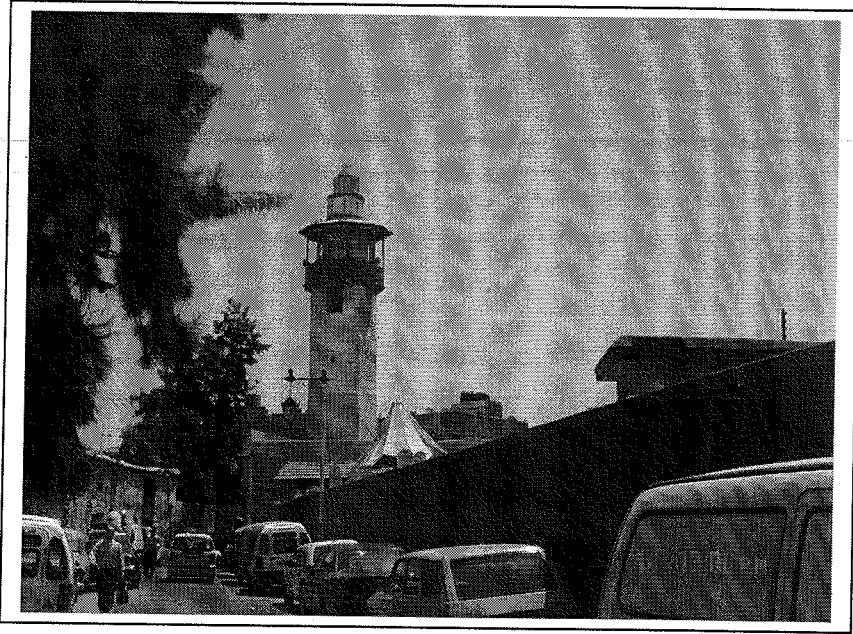
وكان قاضي سالونيك، الذي نسخ رحلتيه الرومية والمصرية قد انتقد أسلوبه انتقاداً لاذعاً فقال أنهما «لا يخلوان من سقطات من جهة اللفظ والمعنى، لا يرتضيها كل عالم مُهذَّب كما لا يخفى، لكنني كتبتهما على ما فيهما من عوج، ومع ما يوجد في تضاعيفهما مما يُعاف ويُمَج، لأن غالبها عند ذوي الإنصاف يليق بالاستجادة والإستظراف، ولا يترك اللبيب النبيل الخير الكثير لأجل الشر القليل، ولا يُهَجِّر الورد بلا شك لما يقارنه من الشوك. هذا وقد أصلحت عند الكتابة، بعدما عدم فيه الإصابة، مما لا يحتاج الى تكرير النظر، قلَّ أو كثر، وأما الهنات التي تحتاج الى كثير من المحو والاثبات، فتركها على تلك الحالات، إذ ما أنا بإنشاء أثر من لسانه بضمين، وما أنا باصلاح ما أفسد قبل سؤاله بقمين، ولو التمس ذلك مني لوجدني غير ضنين»⁽¹⁾. ونحن لم نجد لأسلوب هذا الناسخ ميزة على أسلوب فضل الله، فكلاهما مسجوع، ويميل إلى المُحسِّنات اللفظية، ولا يبعد أن يكون كلامه محمولاً على نوع من المنافسة، أو الموقف الشخصي، فهو معاصر له، وتولى المناصب القضائية مثله، وبينهما معرفة يؤكدها قوله أنه لم يكن ليُخَل عليه بإصلاح لغة كتابه لو كان قد عرض عليه ذلك، وفي هذه العبارة ما ينطوي على شيء من التعالي كما هو واضح.

وعمد إلى تزيين أسلوبه بذكر أبيات من الشعر توافق المعنى وتؤكد، وهي مما عني باختياره من دواوين الشعراء ومصادر الأدب، وتخريج هذه الأبيات يكشف عن

(1) الورقة 224.

تنوع قراءاته الأدبية، وذوقه الرفيع، وحسن استشهاده بالشعر في مواضعه، لكنه لم يذكر أسماء الشعراء الذين استشهد بشعرهم إلا نادراً، ثم أنه استشهد أيضاً بأبيات مفردة، ومتفرقة، إنتقاها من قصائد نظمها هو في مناسبات مختلفة، دون أن يطيل في النقل خشية من إدخال الملل على القارئ، لكنه أشار إلى عدد أبيات القصيدة التي انتقى منها ما أراد.

وأخيراً فهذا نص جديد في أدب الرحلات، يساهم في إكمال صورة هذا الأدب في العصر العثماني، الذي نعتقد أنه ما زال في حاجة إلى مزيد من البحث عن نصوصه ووثائقه لتكون معيناً للدارسين.



جامع الجراح بدمشق حيث مدفن آل المحبي

رحلة من نابلس إلى اسلامبول

سنة 1257هـ/1841م

لأدب الرحلات أهمية متميزة في التعرف على كثير من تفاصيل الحياة العادية التي يغفل عن ذكرها المؤرخون، فهذه الحياة بما تتضمنه من ملابس ومأكل، وخدمات عامة، وتقاليد مرعية في بلد ما، من شأنها أن تلفت نظر الرحالة الغريب عن ذلك البلد، بينما لا يجد فيها المؤرخ - غالباً - ما يستحق الذكر، لا لسبب إلا لأنها عادية في نظره، مألوفة لديه تماماً، ومن ثم لا يجد فيها من الجدة ما يستحق أن يُسجَله لقرائه.

وهذه الرحلة التي نُعرِّفُ بها الآن واحدة من الرحلات المهمة التي كتبت في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، كتبها أديبٌ شاب، من أسرة مقدسية معروفة، ووصف فيها وقائع سفره من نابلس في فلسطين، إلى استانبول، نقدمها للقارئ اليوم، راجين أن تلفت نظر القارئ الكريم إلى ما تتضمنه أمثالها من كتب الرحلات من فوائد حضارية جمة.

ليس على مخطوطة الرحلة اسم مؤلفها، كما خلت من عنوان، ربما لستقووط الورقة الأولى منها، وقد اكتفى م فهرسها بالقول أنها «م يُعلم مؤلفها»⁽¹⁾، بيد أننا توصلنا إلى أن اسمه (عبد القادر) بدلالة ما ذكره في آخر قصيدة لامية له يمتدح فيها أسرته ويُنوّه بأقاربه:

وما أنشدَ الوَلَهَانُ عبدَ القادرِ

فهذا مديحي فيكم وتغرُّلي

وليس في الرحلة بعد هذا ما يكشف عن حياته، إلا أنه يُفهم منها أنه من أسرة مقدسية عريقة تعرف بال أبي السعود، وقد عبّر هو عن اعتزازه بها وبتراثها الروحي والثقافي. وكان مصطفى مراد الدباغ قد ذكر في كتابه (بلادنا فلسطين)⁽²⁾ [2] أن آل أبي السعود من أقدم العائلات المقدسية حيث تقطن القدس

(1) فهرس دار الكتب المصرية، قسم الجغرافية ص38.

(2) ج10 ق2 ص330، دار الهدى، مفرق 1990.

منذ نيّف وسبعة قرون، وأن لها أملاك كثيرة فيها، منها الزاوية الفخرية التي تضم إحدى أهم المكتبات في بيت المقدس المعروفة بالمكتبة الفخرية⁽¹⁾، وكانت الزاوية الفخرية تعرف كذلك باسم الزاوية الرفاعية، وتقع داخل الحرم المقدسي الشريف، ويتولى عليها شيوخ من عائلة أبي السعود. ومن أعلام الأسرة صوفية ومفتون، منهم محمد أبو السعود، الذي تولى إفتاء الشافعية في القدس، وتولى الخطابة التدريس وتوليته الأوقاف المهمة للحرمين المقدسي والإبراهيمي، وتوفي في اسلامبول سنة 1228هـ/1813م⁽²⁾. ومنهم ولداه أحمد ومصطفى فإنهما تقلدا إفتاء الشافعية ونيابة الشرع على المذهب الشافعي، ويبدو أن الإحترام الكبير الذي حظي به الشيخ أبو السعود في إسطنبول كان سبباً لتعيين حفيده محمد تاج الدين بن مصطفى نقيباً على أشرف القدس في سنة 1228هـ/1813م، وفي العهد التالية تولى أفراد من هذه الأسرة مهام تدريسية في المدارس والمساجد فضلاً عن إقامة حلقات الذكر في زوايا المدينة⁽³⁾.

ويظهر أنه كان شاباً حينما قام برحلته هذه، وإن أمه كانت يومذاك على قيد الحياة، لأنه استأذنها للقيام بالرحلة، ولكنه لم يُشر إلى أبيه مطلقاً مما دلّ على أنه كان متوفياً. أما أخوته فقد ذكر منهم الشيخ حامد، ونعمان، ومن أعمامه الشيخ محمد أبو السعود، وذكر أولاد عم له هم خليل أفندي وأحمد أفندي وعلي أفندي. ولا توضح الرحلة شيئاً عن سيرته الشخصية، إلا أنه كان يقطن مدينة نابلس مع أمه في وقت قيامه بالرحلة، بينما كانت أسرته، ومنهم عمه وأخوه، مستقرّة في موطنها

(1) ضمت هذه المكتبة نحو عشرة آلاف كتاب.

(2) جاء في تاريخ جودت أن شيخ الإسلام في الدولة العثمانية دري زاده طلب من الشيخ موسى الخالدي قاضي العسكر أن يحضر أبا السعود إلى استانبول تقديراً لمكانته وعلمه، فسافر هذا إليه وأحضره مع خدّمه وأولاده وأحفاده «وأنزل في دار تجاه شيخ الإسلام قرب جامع الفاتح، وأحسن إليه ولجماعته بعطايا من قبل السلطان محمود خان، وكان الشيخ أبو السعود هَرماً قد بلغ مائة وإثنتي عشرة سنة فلم يقدر أن يتوجه لسراي السلطان، ورعاية للقاعدة (القادم بزار) عزم السلطان محمود بعد يومين على الزيارة، ثم عدل لأن الشيخ كان مغمى عليه، وأحضر في اليوم الثاني لسراي السلطان ثم أعيد لداره لمرضه، ومات الشيخ أبو السعود في تلك السنة [يقصد سنة 1228هـ] ودفن في تربة أبي أيوب الأنصاري». تاريخ جودت ج10 ص123 نقلًا عن الدباغ: بلادنا فلسطين ج10 ق2 ص356.

(3) موقع (القدس الآن) وموقع (هوية) ومواقع أخرى.

القدس. ومن ناحية أخرى فإنه كان شاعراً لأنه سجل فيها نماذج مما كان ينظمه من الشعر في مختلف المناسبات، وشعره على أية حال ضعيف، وفيه من الخلل في الوزن الكثير، كما أن نثره نفسه لا يخلو من ركة أحياناً، أو نزول إلى العامية كما سنرى، ولم نقف على تاريخ وفاته بسبب أن لم يترجم له أحد⁽¹⁾.

الرحلة:

ذكر المؤلف سبب قيامه برحلته، وهو زيارته لضريح جده الأكبر محمد أبي السعود في استانبول، والسبب كما يبدو غير مُقنع، فهل يمكن أن نتصور أن يقضي شاب شهرين كاملين في سفر مستمر، مع ما يكتنف ذلك من متاعب وأخطار، ليزور قبر جده، مهما بلغ حبه لذلك الجد، والأقرب إلى التصور أنه قصد المدينة طلباً لوظيفة، فهذا كان السبب في زيارة أمثاله لها في ذلك العصر، لا سيما وأن لجده معارف في العاصمة يمكن أن يكونوا مفيدين في تحقيق مثل ذلك الطلب، وقد سبق أن تعيّن ابن عم له، هو محمد تاج الدين، في منصب قاضي القدس.

وعلى الرغم من حرص الرحّالة على ذكر تواريخ الرحلة بالأيام والشهور، إلا أنه فاتته أن يذكر تاريخ السنة، ومن ثم لم يعد ممكناً معرفة زمن قيامه بها على وجه التحديد، على أنه يمكن التوصل إلى ذلك على سبيل التقريب، فهو حين أشار إلى السلطان محمود الثاني قال «رحمة الله عليه»، وقد توفّي هذا السلطان في 19 ربيع الآخر 1255 هـ/ 2 تموز- يوليو 1839م، فيكون قد قام برحلته بعد هذا التاريخ حتماً، وكان قد شاهد قصرأ بناه هذا السلطان في استانبول، وهذا القصر هو الذي أنشأ عنده السلطان عبد المجيد قصر (دولمه بقجه) سنة 1257هـ/ 1842، وإذ لم يذكر الأخير، فيكون ما شاهده قد سبق إنشائه في ذلك التاريخ، وعليه يمكننا القول أن قيامه برحلته كان في سنة 1256هـ أو 1257م/ 1840 أو 1841م في أكثر تقدير، ونحن نرجح التاريخ الأول لأنه ذكر أن مغادرته نابلس كانت في يوم الاثنين 6 جمادى الأولى، ويوافق هذا التاريخ من أيام الأسبوع - بحسب محول التواريخ لبرنامج كوكل - يوم الثلاثاء، ووجود اختلاف بمقدار يوم واحد أمر محتمل إلى حد كبير.

(1) أشار الدباغ إلى اسمه (عبد القادر أبو السعود المقدسي) فحسب ضمن عدد من أعلام بيت المقدس، ولم يزد على ذلك شيئاً. كتابه: بلادنا فلسطين ج 10 ق 2 ص 358.

تناهى إلى سَمْع عبد القادر أن عمّه محمد قد غادر مدينة القدس متوجهاً إلى يافا في طريقه إلى استانبول، فأثار ذلك رغبته في السفر إليها صُحبة العم المذكور، فكان أن استأذن أمه في الإلتحاق به، ثم غادر نابلس لبدأ رحلة طويلة⁽¹⁾، بعُرف تلك الأيام، قاصداً الحاضرة العثمانية. فقصده أولاً الرملة، فيافا حيث التقى بعمّه، ومن هناك مضت قافلتهما عبر وادي عزون إلى جَلْجُولية، ومنها إلى يافا، ومن هناك ركب البحر إلى أرسُوف ومنها إلى بيروت، حيث مكث ثمانية أيام، ثم ركب سفينة بخارية إلى احد موانئ قبرص الجنوبية، ومنه إلى ميناء علايا (العلائية) على الساحل الجنوبي للأناضول، ولبث في هذه المدينة الساحلية عشرة أيام، ومنها، في السفينة نفسها إلى أضاليا (أنطاليا) حيث لبث فيها أربعة أيام، ومن هناك توجه براً، في قافلة صغيرة، إلى كوتاهية، ماراً ببلدات بُردل (بردر) والسندقلي وقرى أخرى، واستغرقت إقامته في كوتاهية أربعة أيام، ومنها إلى يني شهر، فأزنيق، وتقدم، صحبة قافلته، بمحاذاة الشاطئ الشمالي بحيرة أزنيق ماضين صُعداً إلى بحر مرمرة، حيث عبروا البحر على ظهر سفينة هناك، ومضوا براً إلى مدينة، أو بلدة، تدعى كيبزه، ومنها اتجهوا إلى أسكدار، حيث زار قبر الجد أبو السعود، وهذا هدف الرحلة، وبعدها انطلق في استانبول يزور معالمها من الجوامع والقصور والأسواق والخانات، ويمضي في رحلة بحرية في بحر مرمرة يزور معالمها الأخرى. وهكذا فقد استغرقت الرحلة كلها شهرين كاملين، قضى منها 29 يوماً في الإقامة في المدن التي مرَّ بها، و14 يوماً في السفر بحراً، و17 يوماً في السفر براً. ولم يذكر المؤلف مقدار المدة التي قضاها في استانبول، ولا طبيعة ما قام به من عمل، كما لم يتحدث عن طريق عودته إلى وطنه.

تضمنت الرحلة فوائد جمة، أبرزها أن المؤلف وصف فيها المدن والقصبات والقرى التي كان يمر بها، بما يمكن أن يمثل ملاحظات مهمة في مجال الجغرافية الحضرية، وذلك على النحو الآتي:

1- وصف المدن والقرى

تناول الرحالة الأحوال التي كانت عليها المدن والقرى يوم مرَّ بها بإشارات فيها

(1) وصف مفهرس دار الكتب المصرية موضوع الرحلة بأنها «رحلة من مضر إلى اسلامبول عن طريق الشام»، مع أنها تبدأ من نابلس وتنتهي باستانبول.

نباهة ظاهرة، فقريّة رفيّدة الواقعة قرب نابلس، مثلاً، «سكانها غالبهم نصارى»⁽¹⁾، وقريّة الفندق، «هي خربانة، وأهلها قد خَرَجَت منها من جَوْرِ الحكام»⁽²⁾، وقيسارية «هذه المدينة خربة، قد هدمها الملك صلاح الدين حين فتحها. وأهل يافه يأخذون منها الحجارة لبنائهم»⁽³⁾، أما أضاوية فهي «في سفح جبل شاهق، ممتدة من أسفله إلى أعلاه، وجميع بيوتها من الخشب، وعليها ثلاثة أسوار من الحجر وخذقان، وأهلها أتراك، وهم أهل مروءة ودين وعقل، ولهم أطباع حسنة، فمنها أن أسواقهم خارج المدينة، وبيعهم وشراءهم كذلك، وإذا أتاهم غريب لا يُمكنونه من الدخول إليها، بل لهم محلات مُعدّة خارجها، وكذلك العسكر. ومنها أن القاضي والحاكم والمفتي لا يكونون إلا من أهلها خوفاً أن يوقع غيرهم الفساد في مدينتهم، ومنها أن الصبي من أهلها إذا بلغ الحلم ولم يُزوّجه والده لفقره مثلاً، يُخرجونه منها إلى الخارج. وهي رخيّة يعيش فيها الفقير، فإن أقة اللحم بأربعين فضة، وفيها الليمون الحامض وغيره من الفواكه»⁽⁴⁾، فهذا الوصف تجاوز الجانب المادي للمدينة إلى وصف عادات أهلها وأخلاقهم أيضاً، بل وأسعار المواد التي تباع في سوقها.

ومثل هذا ما نوّه به في كلامه على مدينة البدر إذ قال «وهذه المدينة غزيرة المياه، كثيرة الفواكه، رخيصة الأسعار»⁽⁵⁾. ووصف نوعاً من القرى المتواضعة التي تسمى (يُرك) فقال أن هذا الاسم يطلق على بيوت للتركمان «بعضها من القش، وبعضها من الشّعْر». ولم يقتصر على الوصف العام للمدن والقرى التي مرّ بها، وإنما تحدث عما تضمنه من مرافق عمرانية، مثل:

أ- وصف المساجد:

كان الرحالة - كما هو واضح تماماً - متديناً تقياً، ولذلك فإنه كان حريصاً على أداء فروض صلاته في كل أيام رحلته، مهما كانت الظروف الصعبة التي مرّ بها أحياناً، كما كان حريصاً أيضاً على أن لا تفوته بركة الصلاة في مساجد المدن والقصبات

(1) الورقة 13.

(2) الورقة نفسها.

(3) الورقة 10 ب.

(4) الورقة 36 ب.

(5) الورقة 23 أ.

والقرى حيثما مكنته الظروف من الإقامة فيها، وقد جاء وصفه لبعض هذه المساجد دقيقاً. من ذلك مثلاً كلامه على جامع الرملة الكبير إذ قال «وجدته جامعاً محكم البناء، وله صحن واسع، وفي وسط الصحن قبة شاهقة، وهو ثلاثة أكوار ممتدة من المغرب إلى المشرق، وأما الكور الأوسط فإنه أعلى من اللذين من جانبيه، والمنبر من الرخام، وهو مقابل للباب، وفوق الباب سُدَّة المؤذنين»⁽¹⁾. ولم يفته أن يقارن بينه وبين جامع آخر في مدينة نابلس، من حيث التصميم، فقال «وهذا الجامع يشبه جامع النصر الذي هو في مدينة نابلس في جميع بنائه وأكواره وإحكامه، لأنهما كانا كنيسةين في زمن الإفرنج، ولما فتح المسلمون بلادنا عملوا غالب الكنائس جوامع». ومثل ذلك وصفه لجامع يافا بأنه «مربع الأركان، وعلى دائر الصحن أروقة من كل الجهات، وفي كل رواق من الجهة الغربية حجرة لطلبة العلم، وفي وسط الصحن مزوكة تُعرف منها الأوقات»⁽²⁾، بل أنه نصَّ على هوية مؤسسه، وما كان عليه قبل عمارته، فقال «وكان قد عمره وشيَّده محمد باشا أبو نبوت، وكان قبل عمارته آل إلى الخراب، ولما عمره المذكور زاد في صحنه وأوقف عليه أوقافاً». كما أنه أورد قائمة بجوامع استانبول الكبيرة، ولم يصفها تفصيلاً، ربما بسبب كثرتها وشهرتها.

ب- وصف الأضرحة والمقامات:

وكأكثر رحالي عصره، فإنه عني بالإشارة إلى أضرحة الأولياء ومقامات الصالحين بوصفها معالم على طريق رحلته، من ذلك تنويهه بمقامي الخضر وأبي العباس قرب مدينة نابلس، وبالمقام المنسوب إلى الشيخ الجنيد في «جبل شاهق»⁽³⁾ قريباً أيضاً، ومقام للإمام علي رضي الله عنه قرب الرملة، وهو «محل فيه أبنية وقبب كثيرة»⁽⁴⁾، ومن تلك المقامات مقام علي بن عليل، و«هو على ساحل البحر في أرض أرسوف»⁽⁵⁾، وأشار إلى كراماته، كما نوه بضريح أبي أيوب الأنصاري في اسكدار، حيث ضريح جده أبي السعود.

(1) الورقة 22 أ

(2) الورقة 9 أ.

(3) الورقة 3 أ.

(4) الورقة 13 أ.

(5) الورقة 10 أ.

ج - وصف الجسور والقناطر

في الرحلة إشارات مهمة إلى بعض الجسور والقناطر التي لفتت نظر رحالتنا، من ذلك أنه وصف جسراً خشبياً يقوم على قناطر، في نواحي اسكدان، فجاء وصفه مستوعباً لموضوعه، تناول فيه مواد بنائه، وهوية منشئه، وتصميمه العام، وما إلى ذلك. قال «ولم نزل حتى وصلنا إلى جسر من الخشب المقير الممتد على البحر من الشرق إلى الغرب، ومسافة إمتداده نحو عشر دقائق، وهو في غاية من الإقتان، والذي أمر بإقامته الملك الأعظم والخاقان المعظم المكرم السلطان محمود رحمه الله رحمة واسعة، وهو من العجائب العجيبة، والخوارق الغريبة، لم يسبق على أحد من الملوك الذين قبله، وله قنطرتان، واحدة تذهب منها القوايق (ضرب من الزوارق)، وواحدة تأتي منها، خوفاً أن تتلاحم مع بعضها فيحصل الفرق، وفي كل قنطرة أوضتان (أي حجرتان)، واحدة على اليمين وواحدة على اليسار، وفيها إناس من العسكر يحرسون خوفاً من الحريق، وهو رحمة للفقير والغني». ووصف جسراً قرب الدروند بأنه «جسر منيع نحو عشر قناطر، والماء يجري من بعض القناطر، وهذا النهر كأنه النيل»⁽¹⁾.

د- وصف خانات المسافرين

أشار إلى عدد من الخانات التي نزل فيها في طريق رحلته هذه، ووصف بعضها وصفاً جيداً، فقال عن خان قديم قرب جلجولية أنه «كبير محكم البناء قديم، من آثار الإفرنج، والظاهر أنه كان كنيسة»⁽²⁾، فهذه الملاحظة ذكية كما ترى وتدل على فهم لا بأس به لتطور العمارة في هذه البلاد. كما نوه بخانات أخرى نزل بها مثل خان اللد، وخان السندقلي، وخان يني شهر.

هـ- وصف القصور

أثارت القصور الفخمة التي شاهدها في استانبول دهشته، فتحدت عن القصور التي على ساحل مضيق البوسفور، وما أنفق عليها من أموال، فقال أن الناس «يُزخرفونها بأنواع الزينة، ويذهبون عليها الأموال الجسيمة بحيث تبلغ كلفة

(1) الورقة 24.

(2) الورقة 15.

الواحد خمسمائة ألف غرش»⁽¹⁾ هذا مع أنها لا تُسكن إلا في الصيف فحسب، وأعدّ قائمة بأسماء سرايات إستانبول الكبيرة وضواحيها ، منها «سراي هميون، وتسمى يتي سراية، وأسكي سراية أي السراية القديمة، و سراية أسماء سلطان أخت السلطان محمود، وسراية بشكطاش، وسراي شراق يالسي، التي بناها السلطان محمود، وأنفق عليها نحو خمسة وستين ألف ألف غرش، ومات قبل أن يسكنها» ، وسراية بيكر بيه وهي للسلطان محمود أيضاً. ويقول أخيراً «وأما القصور التي في المحلات المنزهات داخلاً وخارجاً فلا أعلم لها عدداً لكثرتها»⁽²⁾. ووصف موكب خروج السلطان عبد المجيد لصلاة العيد وصفاً جيداً، كما تحدث عن زيارته لآثار النبوة المحفوظة في بعض القصور السلطانية.

و- معالم أخرى

ولا تخلو الرحلة من إشارات مهمة إلى معالم مختلفة أخرى، منها مثلاً وصفه لدير أندريه (دير القديس أندرياس) في قبرس، وقد اضطر ورفاقه في الرحلة إلى النزول فيه برهة من الوقت. كما أشار إلى قلعة قديمة على قمة جبل مرّ به قرب نابلس، فلاحظ أنها «كانت قلعة حصينة قد تهدمت من كثرة فتن الفلاحين مع أهالي مدينة نابلس»⁽³⁾. ووصف لقرائه أحوال (الكرنطينة) وهي دور الحجر الصحي التي مر بها في الموانئ المختلفة، لا سيما في بيروت، وقبرس، والعلايا، وأضاليا، وبازرجك، وقرطل، وهي أحوال لم تكن إلا بائسة، وقد أعلن هو كرهه لها وعدّها لا تتوافق مع روح الايمان بالقضاء كما كان يفهمه معاصروه. وفي الواقع فإن هذه المؤسسات لم يكن قد مضى على تأسيسها إلا مدة قليلة، وكانت ظروف عملها والنقص في خدماتها سبباً في ضيق المسافرين الذين كانوا يضطرون إلى الإحتجاز فيها مدة قد تصل إلى أسبوعين أو يزيد.

3- وصف البيئة الطبيعية

اهتم الرحالة بالبيئة الطبيعية التي كان يمرّ بها في أثناء رحلته، من المروج والبساتين والينابيع والأنهار والبحار، وما كان تتجه تلك البيئة من ثمار متنوعة.

(1) الورقة 42.

(2) الورقة 45 أ.

(3) الورقة 45 أ.

وأكثر هذه الملاحظات يدخل في مجال الجغرافية الاقتصادية، مثال ذلك إشارته إلى البساتين التي كانت تجاور قرية رفيده⁽¹⁾، ووصفه لبيئة بلدة الفندق إذ قال أنه وجدها «أرضاً مُخضرةً النبات، كثيرة الأعشاب». وأشاد بإنتاج بساتين غزّة من التفاح الفاخر قائلاً «يسمى جنس هذا التفاح بباري، وهو مشهور في جميع أوصافه طعماً ولوناً ورائحة، ولا يصير هذا الجنس إلا في هذه المدينة المذكورة»⁽²⁾. وأشاد ببساتين أضايلية وكونها تحفل «بأنواع الفواكه» الرخيصة، ومنها التفاح، ووصف واد خصيب قرب كوتاهية بأنه «واد ظريف لطيف كثير الأشجار، وفيه نهر كبير يدير أرحية نحو العشرة، وماؤه عذب».

كما أنه وصف السفر في البحر، ودواره، وعواصفه، وقطاع الطرق فيه من القراصنة، وما إلى ذلك من شؤون.

والرحلة بعد هذا تقدم تعبر عن روح عصرها تماماً، فهي تتضمن ألفاظاً من حضارة البلاد التي جرت فيها، من ملبوس ومأكل وسفن وزوارق وعدادات اجتماعية وغير ذلك.

وأسلوب الرحالة في كتابة وقائع رحلته أسلوب عادي تماماً، فلا سجع، ولا محسنات بديعية، بل هو يميل إلى استعمال تعابير وألفاظ عامية، وفي تقديرنا فإن هذا الأمر زاد من أهمية الرحلة، لأنه ابتعد بها عن التكلف البلاغي الذي اعتاد عليه الرحّالون السابقون في وصف مشاهداتهم، والذي كان يبغض النص شيئاً من صدقه ودقته وعفويته، كما أن استعماله بعض المصطلحات العامية سجل للقارئ لغة ذلك العصر، على أنه أورد أشعاراً كثيرة من نظمه، نظمها توافقاً مع مناسبات رحلته، وهذه الأشعار تميل إلى الضعف الشديد، ما يمكن أن يلحظه القارئ بسهولة، لكنه أورد أيضاً أبيات لشعراء آخرين، ومنها ما اقتبس من كتاب ألف ليلة وليلة غير منسوب لأحد.

من الرحلة نسخة يتيمة بخط مؤلفها، وهو خط عادي لا يلتزم بقواعد الخط المعروفة، والنسخة غير مؤرخة، وقد سقطت الورقة الأولى منها، وتقع في 46 ورقة،

(1) الورقة نفسها.

(2) الورقة 15.

في كل صفحة منها 17 سطراً، وهي محفوظة في دار الكتب المصرية في القاهرة
تحت العدد 755⁽¹⁾.

(1) حققنا هذه الرحلة وصدرت عن دار الزمان بدمشق سنة 2014

الرحلات العربية مصدراً لدراسة العمارة العثمانية في بلاد الشام

شهد أدب الرحلات العربية إزدهاراً ملحوظاً في العصر العثماني، بوصفه يمثل الجانب العملي الذي ظل حياً ومستمراً من جوانب علم الجغرافيا العربية، وكان من ملامح ذلك الازدهار أنه شمل مختلف أنواع الجغرافيا، الطبيعية والبشرية والاقتصادية والثقافية، بل والعمرانية، فتكلموا في مجال الجغرافيا الطبيعية على أشكال الأرض التي كانوا يمرّون بها وما كانوا يجتازونه من الجبال والهضاب والوديان والسهول، ولفتت أنظارهم ألوان التربة وطبيعة الصخور والحجارة، كما شمل إهتمامهم بالجغرافية البشرية ما كانوا يمرّون به من مجتمعات، حضريّة وريفية وبدوية، وخصائص كل منها من العادات، وعبروا عن إهتمامهم بالجغرافيا الإقتصادية من خلال ملاحظات ذكية عن درجة خصوبة الأرض وما ينبت فيها من نباتات مختلفة ووفرة مواردها المائية أو قلتها من الأنهار والجداول والآبار، فضلا عن الأسواق وطرق التجارة والقوافل، كما انهم أبدوا اهتماماً شديداً، بحكم كون معظمهم من العلماء، بالحياة الثقافية والعلمية في المدن التي كانوا ينزلون فيها، فنوّهوا بمن كانوا يلتقون به من العلماء أمثالهم، وأشاروا إلى ما اطلعوا عليه من مؤلفاتهم، وما منحوه لهم، أو أخذوه منهم، من الإجازات العلمية.

ومن المهم أن نذكر أن ملاحظات أولئك الرحالين لم تكن اعتباطية، تخلو من منهج ينتظمها، وتقاليد تتبعها، وإنما كانت تتبع قواعد عامة أو تقاليد كتابية أرسيت عبر العديد من كتب الرحلات السابقة، حتى أصبح تسجيل عالم ما لوقائع رحلته يعد من مكملات الغاية التي توخاها من رحلته نفسها، إن كانت لاداء مناسك الحج، أو لطلب العلم ولقاء العلماء، أو غير ذلك من شؤون. وصار اطلاع العلماء على رحلات سابقة قبل قيامهم برحلاتهم هم تقليداً يمكن أن نلمحه لدى عدد من هؤلاء.

وصار من ثوابت تلك القواعد والتقاليد العناية بوصف ما يمر به الرحالة من المدن والقرى، وما تضمه من المنشآت المختلفة، وما يصادفه في طريقه من منشآت خدمية أخرى، بوصفها تمثل شواخص أثرية ملفتة للنظر من ناحية، ومثيرة لنزعة

الحنين إلى الماضي من ناحية أخرى، ولأنها تقدم من ناحية ثالثة فائدة عملية لمن تقع في أيديهم هذه الرحلة من القراء، لا سيما الرحالين التاليين.

ويتناول البحث الذي نقوم به عرضاً تحليلياً ومقارناً لما احتوته نماذج من كتب الرحلات العربية قام بها أصحابها في فترات مختلفة من العصر العثماني، ولغايات متنوعة، وهذه النماذج هي:

- 1- رحلة بدر الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي (المتوفى سنة 984هـ/ 1499م)
- 2- رحلة محمد كبريت المدني (المتوفى سنة 1070هـ/ 1659م)
- 3- رحلة فضل الله بن محب الله المحبي (المتوفى سنة 1082هـ/ 1671م)
- 4- رحلة إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري (المتوفى سنة 1083هـ/ 1672م)
- 5- رحلة عبد الغني النابلسي (المتوفى سنة 1143هـ/ 1730م)
- 6- رحلتان لمصطفى بن كمال الدين البكري الدمشقي (المتوفى سنة 1162هـ/ 1748م)
- 7- رحلة عبد الله السويدي (المتوفى سنة 1174هـ/ 1760م)
- 8- رحلة طه الباليساني (المتوفى سنة 1204هـ/ 1778م).
- 9- رحلة عبد القادر آل ابو السعود المقدسي (النصف الأول من القرن 13هـ/ 19م)

والملاحظ أن جميع هذه الرحلات هي لفئة العلماء، وأن تقاليد الكتابة فيها تستجيب لاهتماماتهم العلمية أصلاً.

فمحمد الغزي كان من كبار علماء دمشق، تلقى العلم على أيدي علمائها صغيراً، وانتقل إلى القاهرة حيث واصل دراسته فيها، ثم عاد إلى دمشق ليتولى فيها مشيخة القراء في الجامع الأموي، والتدريس في كثير من مدارسها، وألف عدداً من الكتب المهمة، منها كتاب وُصِفَ فيها وقائع رحلته في بلاد الشام وبلاد الروم سماها (المطالع البدرية في المنازل الرومية)⁽¹⁾

ومحمد كبريت المدني كان عالماً له كتاب في وصف المدينة المنورة وتاريخها، وقد

(1) حققها المهدي عبد الرواضية، دار السويدي، ابو ظبي، 2004. ورمزنا لها في هذا تالحت باسم (الغزي) التماساً للاختصار.

مكنته خبرته في هذا المجال في تسجيل ما شاهده من معالم في أثناء رحلته من المدينة إلى استانبول سنة 1032هـ/1622م سماها (رحلة الشتاء والصيف)⁽¹⁾.

والمحبي كان قد ورث هذه تقاليد أدب الرحلات عن رجال أسرته، فجدّه، وأبوه كانا قد سجلا وقائع رحلتهما في كتب اطلع عليها هو وأفاد منها في تسجيل رحلته التي قام بها سنة 1051هـ/1641م، حيث كانت معه في أثناء قيامه بها. وقد أطلق على رحلته عنوان (الرحلة الرومية) تمييزاً لها عن رحلة أخرى له سماها (الرحلة المصرية)⁽²⁾.

وإبراهيم بن عبد الرحمن الخياري من أسرة علمية، وتولى الخطابة في المسجد النبوي، ثم سافر إلى استانبول ساعياً لاستعادة منصبه الذي فقده، ووصف في طريق ذهابه وإيابه وقائع رحلته التي سماها (تحفة الأدياء وسلوة الغرياء)⁽³⁾.

ومصطفى البكري الدمشقي (المتوفى سنة 1162هـ)، كان صوفياً شاعراً مرهف الحس، تأثر بشيخه عبد الغني النابلسي، في فهمه لمؤلفات ابن عربي، وقام برحلات عديدة إلى القسطنطينية والعراق وحب وبلاد الشام ومصر والحجاز، منها رحلته إلى القدس التي سماها (الخمرة الحسينية في الرحلة القدسية)⁽⁴⁾، ورحلة أخرى إلى العراق سماها (كشط الصدا وغسل العراق وما جاورها من البلدان)⁽⁵⁾.

وأما عبد الله السويدي فقد كان علامة عصره في العراق ورائداً في بعض مجالات التأليف⁽⁶⁾، أراد أن يحيي هذا النوع من الأدب فيما سجله من وقائع في

-
- (1) حققه محمد سعيد الطنطاوي، 1385. ورمزنا لها في هذا البحث باسم (كبريت).
 - (2) حققنا الرحلتين وجمعنا بينهما في كتاب واحد سميناه (الرحلتان الرومية والمصرية)، دمشق 2012. ورمزنا لها في هذا البحث باسم (المحبي).
 - (3) المحبي: خلاصة الأثر ج 1 ص 21 ونفحة الريحانة ج 4 ص 366. حققها د. رجاء محمود السامرائي في ثلاثة أجزاء، بغداد، 1979-1982. ورمزنا لها في هذا البحث باسم (الخياري).
 - (4) حققها د. محمد الحزماوي، ونشر مقتبسات منها على موقع (دهشة) سنة 2007، وهي ما اعتمدها في هذا البحث، ولم يثبت المحقق أرقام صفحات المخطوط لنشير إليها، ورمزنا لها في هوامش هذا البحث باسم (البكري).
 - (5) منه نسخة فريدة في مكتبة جامعة كمبردج، منها نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي برقم 8 جغرافيا، وهي التي اعتمدها.
 - (6) إن أفضل ترجمة له هي ما كتبه في مقدمة كتابه (النفحة المسكية)، وينظر أيضاً محمد خليل المرادي: سلك الدرر ج 3 ص 86 وفضلنا القول في ترجمته في مقدمتنا لكتابه هذا.

أثناء رحلة انطلق فيها من بغداد لغرض أداء الحج عن طريق بلاد الشام سنة 1157هـ/1744م، وأطلق عليها اسم (النفحة المسكية في الرحلة المكية)⁽¹⁾.

وعبد الغني النابلسي الدمشقي كان من الفئة نفسها، عالماً أديباً شاعراً، قصد إستانبول في شأن من شؤونه فمرَّ ببلاد الشام وأولى اللقاء بالعلماء فيها إهتماماً كبيراً، لكنه تناول أيضاً وصف ما نزل به أو رآه من منشآت، وسمى رحلته (الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز)⁽²⁾.

وطه الباليساني شيخ صوفي، أخذ الطريقة القادرية عن رجالها في قريته في كردستان، ولأسباب لم يوضِّحها قام بعددٍ من الرحلات الطويلة في العراق والأناضول وبلاد الشام ومصر والحجاز، استغرقت ثلاثة عقود ونيّف، حتى استقر في دمشق ليكتب مختصراً لوقائع تلك الرحلات⁽³⁾.

ويُعد أبو السعود المقدسي أنموذجاً آخر على تلك الفئة، فهو من أسرة علمية معروفة في القدس، ومع أنه لم يكن أديباً بارزاً، لكنه أراد أن يتأسى بمن سبقه من الأدباء الذين قاموا برحلات سابقة، فكتب في أثناء رحلة قصد بها إستانبول سنة 1858 ما شاهده من منشآت مختلفة، وقد سقط أول هذه الرحلة فضاع بذلك عنوانها الذي إختاره لها مؤلفها⁽⁴⁾.

ومن أولئك الرحالين من قدم ملاحظات لا يُستهان بأهميتها عن الجغرافيا الحضرية، فتكلم عن المدن والقصبات والقرى، وميَّز بينها تمييزاً حسناً، وتحدث عما رآه فيها، أو في الطرق المؤدية إليها، من المنشآت الدينية والعسكرية والخدمية المختلفة، وهي:

(1) حققنا هذه الرحلة، الطبعة الأولى، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001، والطبعة الثانية، بيروت، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2012، وقد رمزنا لها في هوامش هذا البحث باسم (السويدي).

(2) حققها رياض عبد الحميد مراد، دار المعرفة، دمشق 1989، ورمزنا لها باسم (النابلسي).

(3) حققنا هذه الرحلة ونشرناها باسم (رحلة طه الكردي الباليساني في العراق وبلاد الشام والأناضول ومصر والحجاز) الطبعة الأولى، مديرية الثقافة الكردية، بغداد 2001، ودار مؤكرباني، أربيل 2008، واعتمدنا الطبعة الأخيرة في حالاتنا إليها، وقد رمزنا لها في الهوامش باسم (الباليساني).

(4) حققنا هذه الرحلة وسميناها (رحلة من نابلس إلى اسلامبول)، حيث لم يكن لها عنوان، وصدرت عن دار الزمان في دمشق ومكتب التفسير في أربيل سنة 2015.

- 1- الخانات
- 2- الجوامع والمساجد
- 3- المدارس والتكايا
- 4- الأضرحة والمشاهد
- 5- الحمامات
- 6- البرك والأحواض والسبيلخانات
- 7- القلاع والحصون

الخانات

تعد الخانات الواقعة على الطرق التجارية، أو تلك التي في المدن، أكثر المعالم التي اهتم بها الرحالون في ذلك العصر، ففيها يجد الرحالة المأوى الآمن والمثوى المريح نسبياً فضلاً عن الطعام والماء، كما يجد الكلاً لدابته، وتقدم تلك الخانات خدماتها بصفة مجانية غالباً، حيث ينفق عليها من أوقاف يرصدها عليها واقفوها من المحسنين، وأكثرهم من الولاة وأمثالهم من المسؤولين⁽¹⁾، وفي الغالب فإنها تنشأ في آخر كل مرحلة من مراحل الطريق، فتكون بذلك محطات ضرورية لسالكي تلك الطرق تمكنهم من مواصلة رحلتهم من مدينة إلى أخرى.

ويمكن أن نعد محمد الغزّي من أوائل الرحالين الذين أولوا مثل هذه المنشآت اهتمامهم، فذكر مثلاً أن خان شيخون «مكان موحش مُعطش يُسقى فيه من بئر على بعير»⁽²⁾، ونوه وهو في عقبة بقراص بنواحي حلب بأن «في آخرها خان ومَقيل»⁽¹⁾.

(1) كان الاهتمام بتأمين الطرق التجارية، يمثل في العصر العثماني، ضرورة سياسية فضلاً عن ضرورتها الاقتصادية، ذلك أن تهديد تلك الطرق المستمر من قبل قطاع الطرق كان يمثل مسأً بهيبة الدولة ويضر بمصالحها، فكان (تطبيع) الوضع على الأرض في مثل هذه الطرق المقفرة يعني استقرار النظام السياسي برمته، ولذا فقد اتجه كثير من الواقفين، من الولاة والأمراء والقادة، إلى إنشاء الخانات الحصينة على طول تلك الطرق. وفي الغالب فإن تلك الخانات كانت تقترب من ببناء وحدات خدمية متكاملة، تشمل: تكتة لمبيت الجند، جامعاً، ومدرسة، وحماماً، ومنشآت أخرى. وهذا أدى إلى تحول تلك المحطات إلى نوى عمرانية أخذت بالتحول إلى حواضر سكنية مزدهرة. ينظر محمد الأرنؤوط: الوقف في العالم الإسلامي، بيروت 2011، ص 82-101.

(2) الغزّي ص 52

وأشاد محمد كبريت المدني بالأبنية التي شاهدها في قرية سراقب ومنها خانها⁽²⁾، ووصف خان مَرعي بأنه «بنيان عظيم، وحوله زراعات»⁽³⁾، وسجل إعجابه بخان القطيفة فقال «بها الخان الذي هو للواردين وقاية وجنّة، وهو الخان الذي لا يُرى له عديل، ولا يدانيه في محاسنه مثل..»⁽⁴⁾.

وسجل المحبي ملاحظات مهمة تلك الخانات، من ذلك قوله عن خان القطيفة الواقع على مفترق طريقي دمشق- حلب، ودمشق - الرحبة، بأنه واحد من جملة من المنشآت الخيرية التي أنشأها في هذه البلدة والي دمشق سنان باشا (تولاها من سنة 994 إلى 997هـ/1585-1588م) فقال «وباني هذه الخيرات ومُرتّب تلك المبرّات، المرحوم المغفور له سنان باشا، الوزير الأعظم- رحمه الله تعالى- على ما أحسن في وضع بنيانه وأحكامه، وهو صاحب الخيرات المأثورة في أكثر البلاد، وحاوي المساعي المشكورة بين العباد، من رائج وغاد». ووصف ارتياحه خلال مكوثه في هذا الخان فقال «ولما نزلنا في هذا الخان المذكور، حصل لنا فيه كمال السرور، وترحّمتُ على من سنّ الخير في ذلك المكان، ودعوت للنظر فيه بخير وإحسان»⁽⁵⁾.

ووصف الخان الذي نزل فيه في قلعة المضيق إلى الشمال الغربي من مدينة حماة فقال «فنزلت في خانها الحسن، وتأمّلت بناءه المستحسن، وهو خان منازله واسعة، وقبابه شاسعة، بناه صاحب المساعي الخيرية، والإحسانات المرضية، المرحوم مصطفى آغا آغاة دار السعادة، رزقه الله الحسنى وزيادة»⁽⁶⁾. ووصف خان الشغور بأنها قرية ليس فيها إلا هذا الخان، وهو مهدوم الجدران، وبالي الأطلال والأركان.. فنزلت على جانبه وزالت أتعاب أكداري»⁽⁷⁾. وحينما مرّ بقرية الزنبقية

(1) الغزي ص82

(2) كبريت ص203

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه ص210

(5) المحبي ص33 و34

(6) المحبي ص42 وكان مصطفى آغا الشهير بأغا دار السعادة أحد (مراكز القوى) في عهد السلطان مصطفى الأول، وهو الذي تولى عزله سنة 1027هـ/1618م، وله أعمال عمرانية في استانبول وفي القاهرة. ينظر علي مبارك: الخطط التوفيقية ج2 ص182.

(7) المحبي ص43

على الضفة الشرقية لنهر العاصي وصف خانها بأنه «مبني لأبناء السبيل من الترك والعرب، قيل أن بانيه المرحوم سنان باشا عليه من الرحمة ما يشاء»⁽¹⁾.

ونوه إبراهيم الخياري ببعض ما مر به من الخانات فوصف القنيطرة بأن فيها «خان متسع الأكناف أتم اتساع، يشتمل على بركة ماء في وسطه، وخانات تسكن في جهاته، وأماكن حسنة جداً»، وأنه⁽²⁾ «خان قائم البناء، ظاهر السناء»، وأشاد بسعة رحابه⁽³⁾، ومثل هذا ما سجله عن خان رآه في مرحلة على طريق طبرية إذ قال أنه «الخان القائم البناء، المشرق السناء»، ومع ذلك فإنه لاحظ أن فيه أماكن خربة⁽⁴⁾. وكانت بعض الخانات من السعة بحيث ضمت جوامع تُلقي فيها الخطبة أيام الجمع، ففي عيون التجار صلى الخياري في جامع وسط الخان مع خطيبه⁽⁵⁾. وقدم ملاحظات مفيدة عن خانات أخرى، فخان بلدة قاقون قرب الرملة «كبير الوضع» يقابل قلعتها، وبلدة بيت جبرين لها «خان خرب»⁽⁶⁾، ووصف خان القصير بأنه خان شتوي، إشارة إلى أن فناءه كان مغطى⁽⁷⁾، فقال «خان كبير ينزله المسافرون أيام الشتاء»⁽⁸⁾، وقال عن خان النبك أنه يضم في وسطه على مسجد «لطيف جداً» فهو خان متسع إذاً، عامر بمن حوله من أهل قريته⁽⁹⁾. ولفتت نظره الوظيفة العسكرية للخانات الواقعة على طريق الحاج، فقال عن خان الحسيا أنه «جرت عادتهم بأن العسكر الشامي الذي يخرج للحرس إذا وصل إليها سقط عنه ذلك، قام به عسكرها فتسلم عسكرها الحاج للفر وعاد الأولون إلى وطنهم»⁽¹⁰⁾. وتحدث عن خان في حمص «معد للمسافرين، عجيب بناؤه»⁽¹¹⁾، وذكر أن بقرب قلعة

(1) المحبي ص 43

(2) الخياري ج 1 ص 177.

(3) الخياري ج 2 ص 163

(4) الخياري ج 2 ص 163

(5) الخياري ج 2 ص 164

(6) الخياري ج 2 ص 168 و 201

(7) إن كون هذا الخان مغطى الفناء، هو الذي شجع السلطات السورية إلى التفكير باتخاذ مستشفى لذوي الامراض العقلية. الخياري، هامش 177.

(8) الخياري ج 1 ص 177

(9) الخياري ج 1 ص 178.

(10) الخياري ج 1 ص 180

(11) الخياري ج 1 ص 182.

المضييق «خان جديد عمره وجدده محمد آغا قزلار»⁽¹⁾. أما خان الشغرة الواقعة على نهر العاصي فهو «الخان العظيم الوضع الذي لم نر إلى الآن أعظم منه وصفاً ولا أتقن صنْعاً، فيه أماكن كثيرة للمسافرين معدة لنزولهم»، وأشار إلى ما يشتمل عليه هذا الخان من منشآت فقال «وفي وسط الخان محل مرفع على أركان أربعة تحته بحرة ماء بهار فوار عظيم وتخت من خشب يجلس عليه، وفوقه مسجد مربع به طاقات ومحراب يصعد إليه بدرج، وفي مقابل باب الخان بصدرة تكية عامرة البناء ظاهرة السناء مشتملة على أماكن متعددة»، وأبدى إعجابه بمطبخه.

وتحدث عبد الغني النابلسي عن خان نزل به عند باب مدبنة حمص، فإذا به يشبه أن يكون مجمعاً من خانات عدة، ومرافق متنوعة، فقال «هو خان كبير مشتمل على خانات، فإذا دخلت بابه رأيت صحناً كبيراً واسعاً في أطرافه حجر لأبناء السبيل، وعن يمين الصحن باب كبير فيه خان فيه أوابين وحجر أيضاً، وجدول ماء صغير متشعب من العاصي، وهو يساره صحن طويل يشقه جدول من العاصي عليه ناعورة صغيرة»⁽²⁾.

ووصف خاناً في قرية النيك فنذكر اسم مؤسسه وتاريخ تأسيسه، إذ قال أنه «الخان الذي بناه صالح باشا الوزير الأعظم، تغمده الله برحمته ورضوانه في سنة أربع وسبعين بعد الألف»، يريد به صالح باشا المستاري وكان نائب الشام (توفي سنة 1076هـ/1665م) ووصف مشملاته، ووظائفه، وما ينفق عليه، وإدارته، ثم قال «وعليه أوقاف كثيرة في دمشق الشام، وفيه وظائف وأجزاء تُقرأ، وله ناظر بجميع أوقافه»⁽³⁾.

وتحدث مصطفى البكري الدمشقي عن خان وحيد يظهر أنه نزل فيه، وهو خان جُب يوسف، ووصفه بأنه «خان ضيق»⁽⁴⁾، وسكت عن الخانات العديدة التي لا بد أنه نزل بها في أثناء رحلاته، ويمكن تفسير ذلك الموقف بسبب مروره بها في رحلات سابقة فلم يعد فيها ما يلفت نظره.

وعلى الضد من هذا، نالت الخانات، لاسيما الضخمة منها، اهتمام عبد الله السويدي البغدادي، فهذا النوع من المنشآت لا وجود له في بلاده في عصره، لذا

(1) الخياري ج 1 ص 186.

(2) السويدي ص 275

(3) النابلسي 101

(4) البكري، غير مرقم الصفحات.

جاء وصفه إياها أكثر دقة وتفصيلاً، فحينما تحدث عن خان تومان حدد موقعه بأنه على ثلاثة فراسخ من حلب، ونوه بمتانة بنيانه بأنه «خان محكم رفيع»، وبسبب تسميته بأن «إمرأة إسمها تومان بنته»⁽¹⁾.

ولم يفته أن يتطرق إلى المواد التي بُنيت بها الخانات، فذكر عند حديثه عن خان في معرة النعمان أنه «من أحسن الخانات، رفيع البناء، محكمة سطوحه، مغشية بصفائح الرصاص»، وسر التفاتته هذه أن الرصاص لم يكن من المواد الداخلة في البناء في العراق، وتطرق إلى ما يضمه الخان من منشآت أخرى فقال «في وسطه قسطل ماء لأبناء السبيل، وفي وسطه مسجد ذو قبة شاهقة مطلية أيضاً بالرصاص» وأن للخان نفسه «طاقات ورؤايات في جميع دوره لأبناء السبيل»، وسجل كتابة تذكارية على بابه فيها اسم باني الخان⁽²⁾، فقال «وله باب رفيعة ملبسة بالحديد، مكتوب على طاقتها في الحجر:

هذا ما بنى حامي الدفاتر السلطانية مراد جليبي

وقد ذكر عند دخوله حماة أن «في الجانب الغربي خان كبير وقفه الوزير أسعد باشا ابن اسماعيل باشا والي دمشق الشام المعروف بابن العظم لأبناء السبيل»، ونقل نص كتابة تذكارية على الخان تتضمن ثلاثة أبيات تؤرخ لبنائه، هي:

نورُ هذا الخان قد أشرق من نور ربي ليس يطفئه العدا
دام وجه الحق من إنشائه للورى مأوى فوضى المقصدَا
وبشرى سَعده قد أرخوا أسعد خان بمجد شيدا

وأسعد باشا هذا تولى حماة قبل أن يتولى دمشق، ويعد هذا الخان من أهم منشآته، ويحمل الشطر الأخير تاريخ تأسيسه وهو سنة 1150هـ/1737م. ووصف خاناً قريباً من بلدة الرستن، فقال أنه «خان قديم في وسطه جامع له قبة»⁽³⁾.

ونزل في خان عند باب حمص فوصف مخطط بنائه بقوله أنه «خان كبير مشتمل على خانات، فإذا دخلت بابه رأيت صحناً كبيراً واسعاً في أطرافه حُجَر

(1) السويدي ص254

(2) فاته أن يذكر تاريخ التأسيس المثلث في اللوحة المذكورة وهو سنة 971هـ، وقد تحول هذا الخان منذ سنة 1987 إلى متحف خاص بمدينة المعرة.

(3) السويدي ص460

لأبناء السبيل، وعن يمين الصحن باب كبير فيه خان فيه أووين وحجر واصطبل، ومقابل الوجه باب كبير أيضاً فيه أووين وحجر أيضاً، وجدول ماء صغير متشعب من العاصي، وعن يساره صحن طويل يشقه جدول من العاصي، وعليه ناعورة صغيرة⁽¹⁾. ومثل هذا قوله أن في قرية حسية، على الرغم من صغرها، «خان كبير لأبناء السبيل» وأن هذا الخان من السعة بحيث يشتمل على خان يخطب فيه، وأنه يضم فضلاً عن ذلك بركة ماء كبيرة⁽²⁾. ووصف خاناً في قرية النيك فقال «في داخله خانان للشتاء، وفيه جامع خطبة»⁽³⁾.

وحينما نزل في القطيفة نزل في خانها، فأعجب بسعته وفخامة بنائه فقال «هو كبير واسع، وفي باطنه خان آخر.. وفيه أيضاً خان آخر للشتاء»، وأن في الخان «جامع كبير يخطب فيه» وذكر أن لهذا الجامع منارة، ولاحظ أن الخان يضم «قلعة صغيرة وخانقاه»، بل أنه لم يتردد بتسجيل إعجابه بطهارة مرافق الخان الصحية، فقال «وفيه مراحيض يجري الماء إليها بسواقي فيسوق النجاسات» ولاحظ وجود بركة للماء فيه وقدّر مساحتها بعشر في عشر أذرع، وأن في صحن المراحيض بركتا ماء حار⁽⁴⁾، فهو هنا لا يتحدث عن خان طريق، وإنما على مؤسسة خدمية كبيرة تضم عدداً من الخانات ومرافق دفاعية ودينية مختلفة. ومما ذكره في رحلته خان يسمى خان الزبيب إلى الجنوب من عمان، وقال «لعله كان يوضع فيه الزبيب»، وهذا الخان والقلعة إلى جواره هي من إنشاء السلطان مصطفى الثالث 1171-1187هـ/1773-1775م.

وشغلت الخانات اهتمام طه الكردي الباليساني فنوّه بعدد منها، وكان مما ذكره خان قديم مر به في طريقه إلى بلدة البيرة، فوصفه بأنه «كبير واسع في قلاة من الأرض» وأن «على بابه مسجد مهجور بعضه خراب وبعضه عامر، ومنارة محكمة البناء بالحجارة». وأثارت هيأته رغبته في معرفة تاريخه وهوية مؤسسه، فقال «دخلته وتأمّلت بناءه، ورأيت على حجارته ومنارته تاريخ عمارته واسم من

(1) السويدي ص 275

(2) السويدي ص 277

(3) السويدي ص 278

(4) السويدي ص 279

عمره - رحمه الله - كان وزيراً من وزراء آل عثمان مرّ في زمانه بهذه الأرض فأمر بعمارة هذا الخان والمسجد جزاء الله تعالى عن الناس خيراً وشكر سعيه»⁽¹⁾.

وأشار إلى خان على باب الشط في البيرة، وآخر بعيد عن الشط⁽²⁾، ولاحظ مدى التشابه بين عمارة الخان وعمارة القلعة، فقال في حديثه عن معرة النعمان أن فيها «خان عامر كالقلعة على الطريق وفيه الناس»⁽³⁾، وقال في أثناء حديثه عن قرية عيشة أن بناءه «كالقلعة نصفه للمسافرين ونصفه لأهلها وكبيرهم، وفي نصف المسافرين مسجد صغير وله منارة صغيرة، ويجنب جدار المسجد حوض ماء عذب واسع، وأخبرونا أن الماء هذا بعيد نبعه ساقه إلى هذا المكان المرحوم جناب سليمان آغا هو للناس الساكنين في هذا الخان، وهو عمّر المسجد الذي فيه، وحوض الماء، وله قصر فوق باب الخان، وله مخادع وشبابيك تطل على الطريق إلى جهة الشام»⁽⁴⁾.

ووصف خان قطيفة بأنه «كناية عن قلعة واسعة به برّاني وجوّاني»، وتحدّث عن مشتملات الخان فقال أن فيه «مسجد وحوض ماء، وفي دهليز الخان دكاكين يبيعون الشعير والخبز واللبن والبيض والدبس وغير ذلك على المسافرين»⁽⁵⁾، وأبدى إعجابه بخانين في سمرمين أحدهما مقابل للآخر، وقال «وهذان الخانان في غاية الإتقان والبناء» وأنهما «على طرف البلد»⁽⁶⁾، وأشار إلى خان في قلعة بريج، وآخر في قرية حسة، وأثنى على دورهما في استتباب الأمن في الطريق، وقال أن بسبب رئيس خان بريج «ما أحد من الناس يخاف من العرب إن كان رائح إلى الشام أو جاي إلى الشام»⁽⁷⁾، وذكر أن في قرية قارة خانين «الواحد خراب باقي منه بعض الجدران، والواحد مُلصق بالقرية»، وحينما مرّ بقرية النيك لاحظ أن «بجانبيها خان عظيم واسع محكم البناء، وفيه مسجد صغير وله منارة صغيرة، ويجري تحت ذلك الخان نهر ماء معين صافي كالزلال بارد حلو يُدور حجر الطاحون»⁽⁸⁾.

(1) الباليساني ص 60

(2) الباليساني ص 61

(3) الباليساني ص 65

(4) الباليساني ص 70

(5) الباليساني ص 75

(6) الباليساني ص 66

(7) الباليساني ص 72

(8) الباليساني ص 74

وأشار عبد القادر المقدسي إلى عددٍ من الخانات التي نزل فيها في طريق رحلته من نابلس إلى اسلامبول، ووصف بعضها وصفاً جيداً، فقال عن خان قديم قرب جَلجولية أنه «كبير محكم البناء قديم، من آثار الإفرنج، والظاهر أنه كان كنيسة»⁽¹⁾ فهذه الملاحظة ذكية كما ترى وتدل على فهم لا بأس به لتطور العمارة في هذه البلاد. كما نوه بخانات أخرى نزل بها مثل خان اللد.

الجوامع والمساجد

اهتم الرحالون بالجوامع والمساجد التي يمرون بها في أثناء رحلاتهم، ليس بوصفها أماكن عبادة فحسب، وإنما لما توفره من جو مريح للتطهر وللتأمل وقضاء بعض الوقت متمتعين بدفء رواقاتها شتاءً، ومتفريئين ظل سقائفها صيفاً، وكان الإعتكاف) فيها سنةً محببة حَرَص كثير من الرحالين على اتباعها، وهو الأمر الذي أتاح لهم الاطلاع على عمارة هذه المنشآت، وتأمل ما تضمه من عناصر جمالية، بل قراءة ما سجله منشؤها عليها من كتابات تذكارية تسجل تواريخ انشائهم إياها. من ذلك أن الرحالة الغزي أشار إلى جامع البحر، أحد جوامع دمشق، وقال أنه «يشقه نهر لطيف»⁽²⁾، ونوه عند مروره عقبة بقراص بأن «هناك مسجد قديم البنيان»⁽³⁾.

ولم يفت المحبي في أثناء نزوله في القطيفة أن يشيد بما تضمه من مؤسسات خيرية أنشأها والي دمشق الشهير سنان باشا، من بينها «جامع ذو بناء مستحسن»⁽⁴⁾، ونوه بالجوامع التي دخلها في المدن التي على طريقه، ومنها جامع راس العين، فوصفه بأنه كبير رحيب، كما نوه بجامع حمص الكبير⁽⁵⁾، ولفت نظره منبره الأثري فوصف ما انتهى إليه في عهده، فقال «وقد رأيت أنا بجامع حمص منبراً معظماً قديماً حسناً مطعماً، وكأنه تخلخل وتضعضع وتقلقل وتقعقع، فسُمِّرت بعرضه دفة بيضاء ثقيلة خشنة عريضة طويلة غير مجلوة ولا مصقولة»⁽⁶⁾.

(1) المقدسي الورقة 5

(2) الغزي ص 222

(3) الغزي ص 82

(4) المحبي ص 33.

(5) الغزي ص 39

(6) الغزي ص 47

ونوه ابراهيم الخياري بالمساجد التي مر بها، من ذلك أنه حينما وصف خان القطيفة أشار إلى وجود مسجد إلى جانبه «حسن قائم بناؤهما فائق وضعهما» وهما من إنشاء والي دمشق سنان باشا⁽¹⁾. ولاحظ أنه يوجد إلى بلصق الخان الكائن على طريق القنيطرة «مسجد لطيف»⁽²⁾، وأن في عيون التجار «جامع حسن بمنارة مرتفعة».

وتطرق عبد الغني النابلسي إلى بعض المساجد المقامة عند الأضرحة التي كان يقصدها بالزيارة، وسكت عن غيرها، فقال في وصف الجامع الذي أمر بإنشائه السلطان سليم الأول عند قبر الشيخ الصوفي محيي الدين ابن عربي، بقوله «ودخلنا إلى جامع السلطان الملك المنصور المؤيد سليم خان عليه الرحمة والغفران، ونزلنا إلى حضرة الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر الشيخ محيي الدين بن عربي...»⁽³⁾.

وذكر أن بالقرب من مزار الشيخ قُسيم «مسجد لطيف»⁽⁴⁾، وأن في قرية النبك «مسجد يقال أن أبا العباس الخضر رُوي فيه»⁽⁵⁾، وأن عند ضريح كعب الأحمبار «مسجد لطيف، وقبره تحت حائط ذلك المسجد القبلي»، وأن قبوري الصحابييين وحشي وثؤبان في حمص هما في «جامع كبير فيه منبر ومنارة، يسمى جامع السر، أحدهما بجانب الآخر وعليهما قبة واحدة صغيرة»⁽⁶⁾. وأنه وجد قبر من يدعى مسعود المغربي في «مسجد هناك لطيف»⁽⁷⁾.

وتحدث عن جامع الشرفاء حيث دُفن أحد الصالحين، وصرح بتسميته الأولى، فقال هو «جامع يسمى سابقاً جامع الأكراد، وهو الآن مشهور بين أهل حمص بجامع الشرفاء، وفيه منبر ومنارة، وفيه قبر يقولون أنه دفن فيه الشيخ عمرو»⁽⁸⁾، وأن قبر أبي موسى الأشعري في «مسجد صغير هناك»، وأن قبر عكاشة بن محصن في «مسجد

(1) الخياري ج 2 ص 162

(2) الخياري ج 2 ص 163

(3) النابلسي ص 74

(4) النابلسي ص 81

(5) النابلسي ص 102

(6) النابلسي ص 114 و 121

(7) النابلسي ص 122

(8) النابلسي ص 122

صغير فيه محراب»⁽¹⁾ وقبر أبي يزيد البسطامي في «جامع بمحراب ورواقات وعمارات للخدام والمجاورين»⁽²⁾، وأن جامع ابراهيم بن أدهم «من أعظم الجوامع.. وله منبر ومنارة»⁽³⁾، وأن قبر الشيخ العليمي «في جامع هناك له مبارك، وعليه قبة وعنده منارة»، وتطرق إلى عمارة حديثة جرت عليه، فقال «وقد كان انهدم جامعهم فعمره الشيخ محمد والد الشيخ أبي الهدى المذكور وعمر له منبراً للخطبة»⁽⁴⁾، ووصف مزار الفضل بن العباس بأن «عنده جامع فيه قبة»، وأن «الجامع المبارك المسمى بالجامع الأبيض وهو جامع كبير متهدم.. يقال أن تحته خال كالمسجد الأقصى، ويقال أن نبي الله صالح عليه السلام مدفون هناك»⁽⁵⁾.

ووصف مسجداً مطلاً على نهر الغضبان وصفاً جميلاً، حدد فيه موقعه من النهر، وشكله العام، فقال أنه «لطيف البناء، ظريف الفناء، فيه رواق مطل على نهر جار فيه ماؤه سلسال، عذب رائق زلال يسمى بنهر الغضبان، وهو تارة ناقص وتارة ملآن، وذلك المسجد مكتنف بجسرين عاليين مبنيين بالحجارة يدخل الداخل من كل جسر منهما في باب من ابواب المدينة إلى جهة ذات عمارة»⁽⁶⁾.

وحينما دخل مسجداً في قلعة حسية لاحظ وجود كتابات على الحائط القبلي «بخط بعض الناس» وأن في آخر تعليقة منها عبارة تقول «كتبه عطاء الله القاضي بدمشق الشام»⁽⁷⁾. ولفت نظره تصميم الجامع الكبير في غزة، وتوصل إلى «أن أصله كان كنيسة»⁽⁸⁾، وقال أن جامع شهاب الدين أحمد بن عثمان «جامع مبارك عظيم الجوانب والبنيان»⁽⁹⁾، وتوقف عند جامع الجاولي في غزة، فوصفه بأنه «جامع كبير واسع، جميعه مبني بالواح الرخام وأحجار السماقي في أول الزمان،

(1) النابلسي ص123

(2) النابلسي ص138

(3) النابلسي ص173

(4) النابلسي ص399

(5) النابلسي ص400

(6) النابلسي ص206

(7) النابلسي ص105

(8) النابلسي ص434

(9) النابلسي ص437

وهو خراب الآن، والرخام ساقط حول جدرانها وفي صحنها الخارج من عدم تقيد
النظار عليه بعمارتها وممرته.. وأنه خرب اليوم، وهو منفصل عن العمران، وقد
رَدَمُوا بابها واستغنى الناس عن الصلاة فيه»⁽¹⁾، وذكر أنه في خارج قلعة القدموس
«جامع واسع عظيم فيه محراب ومنبر ومنارة»⁽²⁾.

وعني عبد الله السويدي بذكر المساجد والجوامع التي مر بها في أثناء رحلته،
فأظهر إعجابه الشديد بجامع السليمانية في دمشق، الذي «بناه المرحوم السلطان
سليمان»، وعدّه من عجائب دمشق، بل «من عجائب الدنيا». ووصفه بقوله «هو جامع
جليل تحيط به البساتين من جوانبه الأربعة، في وسط صحنه بركة ماء واسعة فيها
خمس فوارات، وفيه مطبخ يُطبخ فيه الطعام، وله حجر متعددة، سقوف قبابها مطلية
بالرصاص، وكذا قبة الجامع، وله منارتان حسنتان.. إلا أن مصلاه صغير»⁽³⁾.

وكان عبد القادر المقدسي حريصاً أيضاً على أن لا تقوته بركة الصلاة في
مساجد المدن والقصبات والقرى حيثما مكنته الظروف من الإقامة فيها، وقد جاء
وصفه لبعض هذه المساجد دقيقاً. من ذلك مثلاً كلامه على جامع الرملة الكبير إذ
قال «وجدته جامعاً محكماً البناء، وله صحن واسع، وفي وسط الصحن قبة شاهقة،
وهو ثلاثة أكوام ممتدة من المغرب إلى المشرق، وأما الكور الأوسط فإنه أعلى من
الذين من جانبيه، والمنبر من الرخام، وهو مقابل للباب، وفوق الباب سُدّة المؤذنين»⁽⁴⁾
ولم يفته أن يقارن بينه وبين جامع آخر في مدينة نابلس، من حيث التصميم، فقال
«وهذا الجامع يشبه جامع النصر الذي هو في مدينة نابلس في جميع بنائه وأكواره
وأحكامه، لأنهما كانا كنيسة في زمن الإفرنج، ولما فتح المسلمون بلادنا عملوا غالب
الكنائس جوامع». ومثل ذلك وصفه لجامع يافا الكبير الكائن في شمالي المدينة
القديمة بأنه «مربع الأركان، وعلى دائر الصحن أروقة من كل الجهات، وفي كل رواق
من الجهة الغربية حُجرة لطلبة العلم، وفي وسط الصحن مزولة تعرف منها
الأوقات»⁽⁵⁾ بل أنه نصّ على هوية مؤسسه، وما كان عليه قبل عمارته، فقال «وكان قد

(1) النابلسي ص 437

(2) النابلسي ص 168

(3) السويدي ص 319

(4) المقدسي الورقة 6

(5) المقدسي الورقة 9

عمره وشيده محمد باشا أبو نبوت، وكان قبل عمارته آل إلى الخراب، ولما عمه المذكور زاد في صحنه وأوقف عليه أوقافاً». وهذه إشارة إلى قيام محمد أبو نبوت بإزالة سجن المحمودية الذي كان قائماً شمال المسجد وإدخال أرضه في صحنه.

المدارس والتكايا

لم تمثل المدرسة أولوية تذكر لدى الرحالين الأوائل الذين مروا بالمدن في بلاد الشام، ربما لغلبة اهتماماتهم الصوفية على وجدانهم، فلم يشر محمد الغزي إلا إلى مدرسة واحدة من مدارس حلب الكثيرة هي المدرسة الشرفية، وهي إشارة عابرة، ومثله مصطفى البكري في رحلته إلى القدس، إذ لم يذكر من مدارس هذه المدينة إلا المدرسة الأسعدية التي بناها أسعد أفندي مفتي ديار الروم. أما في رحلته (كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما ولاها من البلدان) فقد أشار في أثناء مكوثه في حلب إلى المدرسة الخسروية، وهي أول مدرسة عثمانية أنشئت في هذه المدينة، إذ أمر بإنشائها السلطان سليمان القانوني وعهد إلى المعمار سنان باشا بوضع تصميمها وأشرف على إنشائها والتي حلب خسرو باشا سنة 951هـ/1546م⁽¹⁾ وكانت هذه المدرسة تشمل عدداً من الحجرات أعدت لنزول الزائرين، فقال «ونزلنا في الخسروية رحم الله بانيها وأسكنه المنازل العلوية»⁽²⁾، ونوه بأسماء عدد كبير من العلماء والصوفية الذين قصدوا زيارته في هذا المكان، مما يمكن القول بأن المدرسة كانت تمثل المأوى المناسب والهادئ للعلماء الذين يعمرون بالمدينة، أمثال البكري، ليبيتوا فيه مدة مكوثهم فيها، حيث جرى الحصول على الإجازات من الشيوخ، واستساخ ما ألفوه من الرسائل التي يتسع الوقت لنسخها.

وبالمقابل، فإننا وجدنا عبد الله السويدي، الذي كان كبير مدرسي بغداد، يظهر إهتماماً شديداً بالمدارس ومستوى ما كان يُدرّس فيها وبأوقافها المرصدة للإنفاق عليها، فقال عن المدرسة الملحقة بجامعة السلیمانية بدمشق أنها «ذات حُجْر كثيرة، في صحنها بركة ماء، عشر في عشر، ذات فوارات خمس، وموضع التدريس قبة واسعة تفتح شبابيكها على البساتين من الجوانب الأربعة، وجميع قباب الحجر وسطوحها مصفحة بصفائح الرصاص، بحيث أن الرصاص الذي فيها يقاوم مالا عظيماً لا

(1) موقع (جواهر حلب) وموقع (وزارة الأوقاف السورية).

(2) كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما ولاها من بلدان، الورقة 3.

يحصى، وسمعت ممن جاب البلاد أنه قال: ما في مملكة آل عثمان مثل هذه المدرسة» ولكنه انتقد إدارتها بقوله «لا عيبَ فيها سوى أن أصوات العلم فيها خامدة، ولا يُصرف عشر العشر من أوقافها، وإنما يأكله الجهلة، نعوذ بالله من ذلك»⁽¹⁾.

وفضلاً عن المدارس، فقد عني العثمانيون بإنشاء التكايا في عدد من المدن التي امتدت إليها سلطتهم، لا سيما تكايا البكتاشية الخاصة بالضباط والجنود المنتسبين إلى أورطات الينكجيرية، وتكايا المولوية، وكلاهما وجد انتشاره في الشام منذ دخول العثمانيين إليها، وقد أشار الرحالة الغزي إلى تكية المولوية في دمشق⁽²⁾، وذكر المحبي أن مما أنشأه والي دمشق الوزير سنان باشا في قرية القطيفة في شمالي دمشق «تكية لطيفة سامية»⁽³⁾. كما أشار إلى «زاوية القطب الرياني سيدي وملاذي حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني.. وفيها الآن جماعة من ذريته وولده»⁽⁴⁾.

ووصف الرحالة ابراهيم الخياري التكية التي في قرية سَعَسَع الواقعة على الطريق بين دمشق والقنيطرة فقال أنها عامرة «جار لها بعض المُرتَّب، ويتبطن المنزل نهر عذب»⁽⁵⁾، وكان الغزي قد ذكر أن هذه التكية هي من إنشاء سنان باشا والي دمشق المتقدم. وأعجب بالمطبخ الملحق بالتكية الملحقة بخان الشغر، وقال أنه «محل الطبخ به قدران عظيمان يُطبخ فيهما كل يوم طعام ويوزع في طيَّاس»⁽⁶⁾ من النحاس للفقراء المقيمين والواردين»⁽⁷⁾. ووصف خان بيلان بأنه «خان كبير ينزله المسافرون شتاء» وأنه والمسجد المقابل «كلاهما من إنشاء مولانا السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان»⁽⁸⁾.

وذكر عبد الغني النابلسي أن في قرية النبك «تكية للمسافرين»⁽⁹⁾، أنشأها صالح باشا المستاري نائب الشام، وهو مصطلح جديد، ربما كان يعني داراً مخصصة للإقامة والتعبد فترات أطول مما تتيحه الخانات عادة. ونوه بالزاوية

(1) السويدي ص 319

(2) كبريت ص 222

(3) المحبي ص 33.

(4) المحبي ص 40

(5) الخياري ج 2 ص 162

(6) جمع طاس.

(7) الخياري ج 1 ص 187.

(8) الخياري ج 1 ص 192

(9) النابلسي ص 101

القادرية في حماة، وذكر أنها «مُطلّة على نهر العاصي»⁽¹⁾، كما أشار إلى زاوية المغاربة في جنوب طرسوس، حيث دُفن أحد صلحائهم⁽²⁾.

وأشار طه الكردي الباليساني إلى الزاوية التي عمرها والي دمشق أسعد باشا العظم، وكانت «قبة قهوته الكائنة خارج باب الفراديس على نهر الشام المسمى بَرْدَه».

الأضرحة والمشاهد

كانت قبور الأولياء والصالحين تمثل قيمة روحية وأخلاقية عالية في مجتمع ذلك العصر، فهي تقصد لزيارتها أولاً، وقراءة سورة الفاتحة على أرواح أصحابها، والدعاء عندها، تبركاً بقدر أولئك المدفونين فيها، وكان الرحّالون يقصدونها لكل تلك الأسباب، بل كانت هي سبباً لرحلاتهم أحياناً، أمثال مصطفى بن كمال الدين البكري وعبد الغني النابلسي.

ويعد الأخير أنموذجاً لأولئك الرحّالين، فهو قد صرح في مقدمته أن هدف رحلته هو التبرك بزيارة أصحاب الأضرحة ليس إلا، وحقق هذا الهدف فعلاً، فقد أحصى كل قبر في البلاد التي مر بها، وتجشم العناء الكبير في زيارتها، والتبرك بها، حتى لو استقر عنده أن منها ما لم يكن لأصحابها، وإنما هي منسوبة إليهم، وهكذا فإنه وصف غالباً تلك الأضرحة، وبدأ بقبر جده إسماعيل، فعين أن من عمرها هو «المرحوم درويش باشا صاحب الجامع العظيم المشهور في دمشق الشام»، يريد به والي دمشق درويش باشا بن رستم باشا، الذي تولاها من 979 إلى 983هـ/1571-1575م، ولما يزل جامعه هذا من أهم الجوامع العثمانية في دمشق. وقال أن جدّه المذكور كان «أول من دفن فيها في القبر الكبير الذي له شبّاك من الحجر المنحوت مُطل على الطريق»⁽³⁾، وذكر أن قبر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق «عُمّرت عليه عمارة مشهورة عند أهل الشام».

وسجّل إعجابه الشديد بالعمارة التي أقامها السلطان سليم الأول على قبر الصوفي الشيخ ابن عربي، ووصف هيئة هذا القبر من تلك العمارة فكشف عن أن للشيخ قبرين «قبر مسامت لأرض الجامع المذكور، يدخل إليه من باب في داخل الجامع معقود عليه القبة الشريفة، وعليه هيئة وجلالة منيفة، وقليل من الناس من

(1) النابلسي ص154

(2) النابلسي ص204.

(3) النابلسي ص49

يُعرفه ويزوره منه، وكان الناس قديماً يزورونه منه، ثم رأوا في ذلك حَرَجاً من غلق الأبواب التي في داخل الجامع، فعدّلوا عنه إلى القبر الثاني الذي هو الآن مشهور به على مسامحة ذلك القبر الذي في المكان الحالي، والقبر الثاني يُنزل إليه بدرج من خارج الجامع المذكور، وعليه قبة معقود بالأحجار يسامت أرض الجامع⁽¹⁾، وذكر أن مزار الشيخ قسيم «عليه قبة قد بنيت»⁽²⁾، وأن مزار الشيخ حابس «عليه عمارة لطيفة الطول والعرض، وليس له في داخل قبته قبر معين على وجه الأرض»⁽³⁾، وأن سعد بن أبي وقاص «مدفون في داخل جامع صغير، عليه قبة صغيرة»⁽⁴⁾، وأن قبر مسعود المغربي «عليه قبة معقودة»، وأن قبر الشيخ محمد السرجاوي «عليه قبة صغيرة»، وأن قبر السيدة تاجة «قبر متهدم عليه بعض عمارة»، وأن قبر والدته ابراهيم بن أدهم «قبالتها محراب كبير عال، وعليها عمارة أصلاً»، وأن مزار عبد الله المغاوري «مزار على شط البحر وعليه قبة صغيرة»، وعند حديثه عن مزار الشيخ الأوزاعي ذكر أن من عمرته «امرأة من بيت سيف»، ووصف داخله بأن «عليه قبة وفيه محراب.. وعلى الجانب الأيسر من المحراب طاقة صغيرة تدل على قبر الشيخ، ومدفون تحت الحائط القبلي وقبره ظاهر إلى الخارج»⁽⁵⁾، وذكر أن قبر عثمان الكردي في «قبة بيضاء عظيمة»⁽⁶⁾، وأن مقام صيدون «فيه قبره، وعليه قبة مبنية»⁽⁷⁾، وأن على قبر نبي الله صالح «قبة مبنية تطاؤ من خلالها الرؤوس»⁽⁸⁾، وأن قبر الشيخ محمد العَلَمي «في داخل قبة، وعنده عمارة عظيمة، وجامع شريف، بمنارة عالية فوق الجبل»⁽⁹⁾، وأن قبر الشيخ ربحان «في داخل قبة بناها الشيخ خير الدين المفتي»⁽¹⁰⁾، ووصف مقام علي بن عليم في «في ساحة واسعة تحيط بها جدران أربع، ولها باب مقفل في غير أيام الزوار»

(1) النابلسي ص74

(2) النابلسي ص89

(3) النابلسي ص100

(4) النابلسي ص114

(5) النابلسي ص245

(6) النابلسي ص254

(7) النابلسي ص258

(8) النابلسي ص295

(9) النابلسي ص340

(10) النابلسي ص400

وقال أن «القبر الشريف مبني بالرخام وحوله تآزير مُنيّف في جانب من تلك الساحة السماوية، وفي قبيلتها عقد من القبو غريباً يشرق فيه المحراب»⁽¹⁾ ومثل ذلك كثير⁽²⁾.

الحمامات

تعد الحمامات التي كان ينشؤها المحسنون في المدن، أو في الخانات التي في الطرق التجارية، من المنشآت المهمة التي أفاد منها الرحالون في أثناء انتقالهم بين المدن والقرى والفاوز، ففيها يمكن للرحالة أن ينفض عنه وعتاء الطرق وغبارها، بل أن يجد فيها المياه المُسخّنة في الشتاء، وما يحتاجه من راحة في الصيف، وكان إنشاء مثل هذه المرافق الخدمية يجري غالباً ملحقاً بالخانات الكبيرة في الطرق، حيث يؤمها الرحالون مجاناً، أو مستقلة في المدن التي يمكن التمتع بخدماتها لقاء شيء من المال. من ذلك أن الرحالة محمد كبريت المدني أشاد بحمام مصطفى باشا في دمشق، فعده من محاسن الشام، وقال «إنه لا نظير له في تلك الأقطار ولا مداني، وذلك لما اشتمل عليه من حُسن الصنعة ومحاسن المباني»⁽³⁾. وأبدى إعجابه بما في بلدة سراقب من الحمامات⁽⁴⁾.

ووصف عبد الغني النابلسي حماماً دخله في حماة فقال أنه بقرب الجسر، وقال «تتعننا بأنواع الأنعام، ولم تخل من طرائف التلاحين»⁽⁵⁾، وأن في قلعة طرابلس «حمام لطيف، عذب الماء، نقي نظيف»⁽⁶⁾.

وأظهر عبد القادر المقدسي إعجابه الشديد بحمام السراي في بيروت، وكان قد دخله واغتسل فيه، فقال «وجدناه في غاية التنظيم، وفي دائره التُخوت الخشب، وعلى كل تخت طرّاحة، ومن فوقها سجادة .. ودخلنا بيت الحرارة فوجدناه فرجة للناظرين، وفي وسطه مصطبة مربعة الأركان نحو خمسة أذرع في

(1) النابلسي ص 411

(2) تنظر مثلاً الصفحات 419 و 420 و 443 و 424 و 425 و 428 و 434 و 435 و 436 و 451 و 453 و 455 و 468 و 468.

(3) كبريت ص 224

(4) كبريت ص 203

(5) النابلسي ص 154

(6) النابلسي ص 220

خمسة أذرع، وارتفاعها ذراع، يجلس عليها من يشرب الدخان والتبناك والقهوة..
وسائر بلاطه من الرخام، وهو في غاية الإتقان»⁽¹⁾.

البُرك والأحواض والسقايات

توفر البُرك وأحواض المياه والسقايات للمسافرين الماء الصالح للشرب، أو للحفظ في أوان خاصة ليُنقل على ظهور الدواب، ولما كان إسقاء الماء يُعد أكثر الأعمال ثواباً، فقد حرص كثير من المحسنين على إنشاء مشاريع الشرب الأنيقة على الطرق الخارجية، كما حرص بعضهم على تخليد ذكراهم بكتابات تذكارية تُدون في أماكن ظاهرة من سقايات الشرب طلباً لترحم الشاربيين.

ذكر محمد الغزي أن بظاهر حمص على نحو ميل «بركتها المعظمة التي تُصاد منها السمك الكبار»⁽²⁾.

والتفت الرحالة ابراهيم الخياري إلى بعض تلك المشاريع، فقال عن منطقة تقع على الطريق بين القنيطرة وعين التجار بأنها تضم الجُب الذي ألقى فيه النبي يوسف، ووصف هذا الجُب بأنه «مبني بالحجارة المنحوتة.. وفي أعلاه قبة مرتفعة ذات أركان أربعة وأبواب كذلك، والقبة فوق الجب تمنع سقوط المطر ونحوه بها»⁽³⁾. ووصف البركة التي بالقرب من بيت لحم بأنها «بركة عظيمة، ويقال أن قريباً منها بركتان أخرتان، وأن ماء بيت المقدس ينصرف إليه من هذه»⁽⁴⁾.

ووصف مصطفى البكري هذه البرك بقوله أن عددها ثلاث برك، كل واحدة عليها أكبر من أختها السفلى، وثمة بركة بجانب جب يوسف، ووصفها بأنها «بركة واسعة الجوانب»⁽⁵⁾.

وكان المؤسسون حريصين على تزويد الخانات والقلاع بمصادر المياه، وفي هذا ذكر الخياري أن القلعة الكائنة في ناحية عيون التجار يحيط به سور يضم منشآت

(1) المقدسي الورقة 12

(2) الغزي ص44

(3) الخياري ج2 ص164

(4) الخياري ج2 ص196

(5) البكري

خدمية وبيوت «وماء عذب يستقي النازلون منه»⁽¹⁾، وأنه يوجد في مدينة الرملة «بركة عظيمة عند منزل الحجاج تمتلئ من ماء المطر»⁽²⁾. وأضاف عبد الغني النابلسي أن الماء يجري «في طريق له بين تلك الجبال والأودية مغطى بالبنيان عليه، حتى يصل إلى حَرَم بيت المقدس، ويخرج من الكأس الرخام الذي هو لديه»⁽³⁾، ووصف النابلسي بركة في جنوب طرسوس تسمى بركة البداوي بأنها «بركة كبيرة فيها أسماك كثيرة، وقد أخبرنا أن سمكها لا يصاد، وكل من صاده وأكل منه يمرض وذلك ببركة الشيخ البداوي المدفون هناك على حافة البركة»⁽⁴⁾، وأشار إلى بركة عند تكية المولوية في جبل لبنان «يجري إليها الماء في نهر هناك عال في ذيل ذلك الجبل يمر في الجهة العالية من تلك التكية.. وفي ذلك الوادي طواحين على تلك الأنهار دائرة»⁽⁵⁾، وحينما زار مدرسة الأوزاعي رأى هناك «الحمام الذي مات فيه الأوزاعي»، واستدرك قائلاً «وهو الآن خراب وقد تهدم بعضه»⁽⁶⁾.

وعني عبد الله السويدي بقراءة ما كان يكتب على السقايات، أو السبيلخانات، من كتابات تؤرخ لها، من ذلك أنه حينما دخل خان أسعد باشا العظم في حماة سجل كتابة على طاقتها تتمثل بثلاثة أبيات من الشعر يحمل آخرها تاريخ التأسيس، وهي:

خليليّ قف جَبَّ السبيل فقد ندا واشربَ بماء السلسبيل مُبرداً
 وادعُ لمن أنشأه دَعوةً صالح بدوام مُلك لا يزال مؤبداً
 بالسعد والأفراح قد أرخته فالأجر يبقى والثواب الأسعدا

كما أنه نوه بعيون للماء وبرك، منها عين الزرقاء وبركة القطراني، وقد قال فيها أنها «بركة عظيمة مشرفة على الخراب تمتلئ من ماء المطر»⁽⁷⁾.

(1) الخياري ج2 ص164

(2) الخياري ج2 ص170

(3) النابلسي ص353

(4) النابلسي ص21

(5) النابلسي ص206

(6) النابلسي ص235

(7) السويدي ص357

القلع والحصون

تغيرت وظائف القلاع والحصون في بلاد الشام في العصر العثماني عنها في العصور السابقة، فلم تعد مهمتها الدفاع عن البلاد ضد غزو خارجي محتمل، وإنما لحماية الداخل من أخطار قطاع الطرق والخارجين عن القانون من زعامات القبائل الثائرة، ومن هنا فقد تداخلت مهامها مع خانات الطريق، فباتت تمثل محطات يأوي إليها المسافرون من تجار ورحالين، لما توفره من أمن قوامه حصانة المكان من جهة ووجود قوى عسكرية وُظفت لهذا الغرض، وقد عُنيت الدولة العثمانية بتأسيس هذه القلاع في الفلوات الموحشة لا سيما على طريق الحج، وتجهيزها بالجنود اللازمين لحمايتها وما يحيط بها، وإبدالهم بغيرهم في أوقات دورية منتظمة.

وقد عبر المحبي عن شعوره بالأمن حين قدم إلى قلعة حسية بقوله «فقدمناها ونحن من اللصوص في خشية»⁽¹⁾، وذكر أن في مكان يسمى عيون التجار «قلعة عامرة على تل مرتفع»⁽²⁾، وأن في قاقون قرب الرملة «قلعة على تل عال»⁽³⁾، وقال عن القلنسوة أنها «قلعة .. بها واقعة مشهورة»⁽⁴⁾.

وإذا لم تكن القلعة تتخذ وظيفة الخان، ففي الأقل تبنى الخانات قريبة منها لتكون في حماها. وفي هذا يذكر الخياري في وصفه منطقة قاقون أنه على يسار المار فيها قلعة، وعلى يمينه خان، وأن بيت جبرين بها «قلعة وخان حَرَب»، مما أكد اقتران القلعة بالخان في مهمة إيواء المسافرين وحمايتهم. ووصف قلعة معان بأنها «قائمة البناء يسكنها جماعة من أهل البلاد لا طائفة من العسكر كغيرها من القلاع لعدم الاعتناء»⁽⁵⁾. وذكر أن قلعة القطراني «قلعة عظيمة البناء لائحة الإشراق والسناء.. بها جماعة من أهلها مقيمون بها يبيعون منها التبن وما يناسبه من أعلاه»⁽⁶⁾.

ووضَّح عبد الله السويدي مهام هذه القلاع حين ذكر وهو في طريقه إلى الحج منطقة المزاريب فقال أن «قلعتها حول عين منخفض واديتها تجري فيه السيول»

(1) المحبي ص35

(2) الخياري ج2 ص164.

(3) الخياري ج2 ص168

(4) الخياري ج2 ص165.

(5) الخياري ج1 ص81.

(6) الخياري ج1 ص85.

وذكر أنه أقام فيها أياماً، وقال عن القطراني أن «فيها قلعة صغيرة، فيها حُرَّاس، وعادة الحجاج يضعون أمتعتهم من زاد وغيره فيها ليأخذوها إذا رجعوا»⁽¹⁾، وكانت هذه القلعة قد أمر بإنشائها السلطان سليمان القانوني سنة 967هـ/1559م لحماية الحجاج. وذكر مثل ذلك عن قلعة عنزة إذ قال أنها «قلعة ينزلها الحاج الشامي، وفيها حرس وبركة تمتلئ من المطر، وعادة الحجاج [أنهم] يودعون بعض أمتعتهم فيها ليأخذوها إذا رجعوا»⁽²⁾. ويدل هذا الصنيع على مبلغ ثقة الحجاج بنزاهة الحراس والجنود الموكلين بحفظ ذلك المتاع من أن تمتد أيديهم إلى ما اتئمنوا عليه.

وقد تسمى القلعة قصراً، فقد ذكر السويدي أن حول عين الزرقاء «قلعة صغيرة تسمى بقصر شبيب وفيها حُرَّاس يتعاقبون كل عام»⁽³⁾. وهذه القلعة يعود بناؤها إلى العصر العثماني.

خاتمة

قدم الرحالون المسلمون الذين سافروا عبر بلاد الشام معلومات مهمة، عبرت عن اختلاف ثقافتهم، والغايات المتنوعة من رحلاتهم، وتشمل هذه المعلومات:

- 1- تعيين مواقع المنشآت في المدن، أو في الطرق الخارجية.
- 2- تسجيل النصوص التذكارية التي دونها المؤسسون على تلك المنشآت تخليداً لما قاموا به من محاسن الأعمال النافعة. وبعض هذه النصوص قد زال فيما بعد.
- 3- الوصف العام لشكل المنشآت الخارجي، ارتفاعها وفخامة مظهرها وما أضيف إليها من القباب والمآذن.
- 4- وصف دواخل تلك المنشآت من الحجر والأواوين والقباب والأعمدة وغير ذلك.
- 5- ما كانت تقدمه تلك المنشآت من خدمات عامة، لا سيما الخانات والسقايات، وطبيعة ادارتها من خلال سلوك متولي أوقافها والقائمين عليها.

(1) السويدي ص357

(2) السويدي ص359

(3) السويدي ص355

6- تعيين مؤسسي تلك المنشآت من الوزراء والأمراء والسلاطين والصدور العظام.

7- حالة المنشأ في وقت زيارته، إن كان عامراً أو خرباً، أهلاً أو متروكاً.

8- أصل المنشأ إن كان مقاماً أم كنيسة أو غير ذلك، وما أحيط به من كرامات وبركات.

وهكذا فإن أدب الرحلات العربية يقدم مادة غنية عن المعالم العمرانية في بلاد الشام إبان العصر العثماني، فيه من التوثيق، والوصف، والملاحظة، ما من شأنه أن يكون موضع عناية الباحثين في هذا الضرب من فنون الأدب.

الألفاظ الدخيلة والعامية

في رحلة الموصلية الكلداني الى القارة الأمريكية 1668م

معلوماتنا عن صاحب هذه الرحلة الحافلة شحيحة على الرغم من أهميتها وريادتها المطلقة في أدب الرحلات التي قام بها المشاركة إلى العالم الجديد، وغاية ما نعلمه عنه أنه يدعى إلياس بن حنا، وأنه كلداني من أهل الموصل، إلا أن أسرته المعروفة ببيت عمّون كانت تمت بأصلها إلى أسرة الأب (العشيرة الأبوية) أيام كانت تقيم في بغداد وقبل أن تنتقل إلى الموصل وقراها في سهل نينوى.

ولم تذكر المصادر أي معلومة عن مكان ولادته، والغالب أنها في الموصل، حيث استقرت أسرته، أو في بغداد ومنها أصولها الأولى، فقد سجل اسمه في مقدمة رحلته على أنه (إلياس حنا الموصلية)، ولكن لا يبعد أنه ولد في بغداد، بدلالة عبارة وردت على لسان احد من تعرف عليهم في رحلته إذ وصفه انه «خوري جاءنا من بلد بغداد»⁽¹⁾.

وتساءل باحثون إن كان الياس قد ولد كلدانياً أم نسطورياً، فأسرته نسطورية لا شبهة في ذلك، الا ان جولاته في مناطق مختلفة من الشرق تجعل من اعتناقه الكتلثة أمراً محتملاً، وثمة دلائل عدة تشير إلى أنه أقام مدة من حياته في سوريا أو لبنان، وأن بعض أفراد من أسرته عاش في حلب حتى عرف بالحلي⁽²⁾، ففي لغته التي دون فيها رحلته ألفاظ لبنانية وسورية لم تكن متداولة في وطنه العراق، فإن كان عاش في هذه البلاد يكون قد اعتنق الكتلثة على أيدي بعض المبشرين من الموارنة الذين سبقوا إلى اعتناقها منذ عهد بعيد. وكان الأب جوزييه سبستيانى الكرملية قد صرح في رحلته التي صحيه فيها بأنه «كان نسطورياً فتكتلك».

(1) الرحلة ص 107

(2) كان للخوري الياس ابن أخ اسمه إسحاق توسط له عمه فشغل وظيفة مترجم لدولة إسبانيا في روما، ثم عاد إلى الموصل، فتزوج من مريم بنت طربوش، وقصد حلب فعرفت أسرته لهذا السبب بأل الحلي، وولد لإسحاق ولدان، أولهما سماه إلياس، وثانيهما سماه يوسف، وقد عادا إلى الموصل، حيث عين واليها الحاج حسين باشا الجليلي الياساً صرافاً له، واشترى البيت المعروف ببيت الحلي، وتناسبا مع بيت رسام، وسعيا لنشر الكتلثة. وقد كافأ الأباء الدومنيكان في الموصل آل الحلي في سعيهم في نجاح البيعة الدومنيكية، بأن أنعم البابا بيوس السادس (1775-1799م) على إلياس ويوسف برتبة الخيالة. ينظر حياية: رحلة أول عراقي دخل الأراضي الأمريكية، Chaldean Detroit Times Vol.21,NO. 472.october 15.2011

ويزيد هذا الأمر تأكيداً أن لإلياس ابن أخ شماس، اسمه يونان سبقه الى الإيمان بالكنيسة⁽¹⁾، كما أن رتبة الخوري التي نالها والثقة التي حازها من البابا نفسه لا تدلان على أنه كان حديث عهد بهذا الايمان.

وعلى أية حال فإن إشارات أخرى دلت على أن جانباً من حياته ظل مطويماً، منها ان له رحلة سابقة على هذه الرحلة قام بها من بغداد قاصداً بها روما في سنة 1658⁽²⁾، ولكن لا نملك تفاصيلها وما مر به من الحواضر والبقاع في أثنائها، وأن في رحلته نفسها ما يدل على أنه كان على معرفة حسنة بأرض مصر ولهجة أهلها، ولكننا لا نعلم الباعث على زيارته لها ومدة مكوثه فيها.

ثم ما سر هذه الثقة المطلقة التي أولاه إياها البابا، وما طبيعة المهمة، أو المهام التي كلفه بها، على الرغم من إمكان البابا أن يكلف أيّاً من الكهنة الإسبان او الفرنسيين او غيرهم من الأوربيين أن يقوم بها بدلا عنه، وهو الشرقي الكلداني العراقي البعيد لغةً وموطناً، ومن الراجح أن ذلك التكليف البابوي كان سرياً، لأن الياس لم ينوه به في طول رحلته وهي التي استغرقت عشر سنوات كاملة، والظاهر ان البابا قد فوّضه سلطة واسعة تمكنه من فرض ارادته على الحكام الاسبان في المدن التي زارها، وحينما ذكره أحدهم بأن المدة التي حدّدها البابا لرحلته وهي أربع سنوات قد ازفت بالانتهاء، لم يأبه له وتحداه إن استطاع أن يحول دون تمديدها ما شاء له ان يمددها حتى بلغت زيادة على الضعف. وذكر هو أسماء الأوسمة الشرفية التي نالها في حياته فكانت (أرخبدياقون كنيسة بغداد) و(رئيس المحررين المرسلين) و(حامل صليب مار بطرس) و(كونت القصر الملوكي) و(كاهن كنيسة سلطان إسبانيا)⁽³⁾.

ومما يلفت النظر اتقانه الكامل للغة الإسبانية حتى بدا من أهلها، وهنا نتساءل أين تعلم هذه اللغة على هذا النحو المدهش، ومن أين له تلك الصلات

(1) الرحلة ص 41.

(2) صحب في رحلته هذه الأب جوزيه سبستيان الكرملي، وقد عين هذا قيامه برحلته في 10 تشرين الأول سنة 1258، ينظر رحلة سبستيان، ترجمة بطرس حداد، بيروت 2006، ص 64 ص 64 بينما ذكر هو أنه قصد روما سنة 1259، على ما أورده في كتابه (بستان الحياة) وهو التاريخ الذي يعتمد عليه يعقوب سركيس: مباحث عراقية ج 1 ص 333، وبهنام حياية: رحلة أول عراقي دخل الأراضي الأمريكية، مصدر سابق.

(3) حياية: المصدر السابق، نقلا من (بستان الحياة).

القوية التي ربطت بينه وبين كهنة كبار، منهم أعضاء في مجمع انتشار الايمان، وملوك وأمراء وحكام كثيرون، حتى قبل أن تطأ قدماه البلاد الأمريكية. ومع ذلك كله كان إلياس معتزلاً بشخصيته الكلدانية المميزة، فإنه كان يختار أن يقيم بعض قدايسه في الكنائس المهمة باللغة الكلدانية دون غيرها، رغم انه كان على يقين بأن أحداً من الحاضرين لم يكن يفهم منها حرفاً واحداً، وكان هذا يبعث على «إنشراح زائد»⁽¹⁾ من سامعيه وتقديرهم أينما فعل ذلك، وفي تقديرنا فإن سر هذا الإعجاب يكمن في تقديرهم للغة الكلدانية (وهي الامتداد للغة الارامية) بوصفها الاقرب الى اللغة التي تحدث بها السيد المسيح من أي لغة أخرى⁽²⁾.

وفي وسع المتأمل للرحلة أن يكتشف، بيسر، مدى ما كان يميز الياس الكلداني من نباهة ظاهرة، وذكاء ملحوظ، فهو الشرقي الوحيد الذي ملك الشجاعة ليعبر المحيط الاطلسي الى عالم جديد لم يسبق اليه احد من مواطنيه، وقد تمكن من العيش في بيئات غريبة، وسط مجتمعات مختلفة غير متجانسة لا يعرفها، تتألف من الاسبان والهنود المسيحيين والهنود الوثنيين، مدة طويلة كالتي قضاها بين ظهرانيمهم، يتنقل بين البر والبحر، وبين مدينة وأخرى، كما أنه كان طبيباً او عارفاً بالطب، فقد عالج - بثقة - مرضى آيسوا من الشفاء فكان شفاؤهم على يديه⁽³⁾.

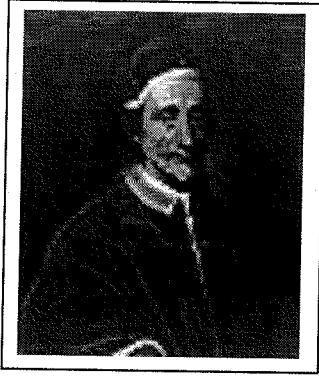
غادر الياس بغداد سنة 1668 ومرّ بالقدس ثم حلب فالاسكندرونة فالبنديقية فروما، حيث قابل البابا كليمنت التاسع، ثم قصد باريس فاستقبله فيها الملك لويس الرابع عشر (1643-1715)، فاسبانيا حيث حظي بحفاوة الملكة حنّه الوصية على عرش ابنها كارلوس الثاني، ثم عاد الى فرنسا فإيطاليا، ثم البرتغال، فاسبانيا، ومن ميناء قادس في جنوب إسبانيا أبحر، على ظهر أسطول إسباني الى أمريكا، فمرّ بأجزاء من فنزويلا، وبنما، وكولومبيا، وبيرو، وكوبا، و بوليفيا، وشيلي، ثم المكسيك، فغواتيمالا، فالمكسيك ثانية، فكوبا أيضاً، وبعد تنقلات دائبة، وإقامات طويلة في كل هذه البلاد، قفل إلى روما سنة 1683 حيث حظي بلقاء البابا انوسينت الحادي عشر الذي كلّفه «بوظائف لم أكن لائقاً بها» على حد تعبيره

(1) الرحلة ص 72

(2) يتفق الباحثون على ان اللغة السائدة في فلسطين، في القرن الأول الميلادي، كانت الارامية المتأثرة بشيء من العبرية.

(3) الرحلة ص 61

المتواضع⁽¹⁾. ولا يُعرف تاريخ وفاته، لكنه كان حياً في روما سنة 1693 ففي هذا التاريخ طبع كتاباً دينياً تحت عنوان (بستان الحياة) من تأليفه بالعربية⁽²⁾.



انوسينت الحادي عشر 1676-1689



كليمنت التاسع 1667-1669

وعلى الرغم من أهمية رحلته من النواحي التاريخية والجغرافية والاثوغرافية فإنها لم تتل ما تستحقه من دراسات الباحثين، بل أنها لم تُكتشف إلا في مطلع القرن العشرين، إذ نشرها أنطوان رباط في مجلة المشرق سنة 1905 مزودة بهوامش توضيحية قليلة، ومقدمة تُعرف بالرحالة وكتابه بشيء كثير من الاقتضاب، ثم ظهرت مُجمّعة ومستقلة سنة 1906. وفي العقود التالية جرى العثور على نسخ أخرى من الرحلة، في مكتب الهند بلندن، وفي المتحف البريطاني، وفي الموصل، ولكن ذلك لم يشجع أحداً على تحقيقها تحقيقاً علمياً بمقارنة المطبوع على تلك النسخ المكتشفة.

وأعادت ابتهاج الراضي نشرها على ضوء المطبوع نفسه في مجلة المورد التراثية التي تصدر ببغداد، بعنوان (رحلة المواطن العراقي الياس الموصللي، أول سائح عربي يصل الأمريكتين) وقام زوجها الصديق المرحوم الدكتور سامي سعيد الأحمد بترجمة نص الرحلة الى الإنكليزية ونشرت هذه الترجمة في بغداد سنة 1982، ولم تصل منها الى الولايات المتحدة ودول أمريكا الوسطى إلا نسخ قليلة كما أخبرني في حينه⁽³⁾.

(1) الرحلة ص 123

(2) يعقوب سرقيس: مباحث عراقية ج1 ص333

(3) تنظر مصادر ترجمة الياس الموصللي الكلداني في أنطون رباط: أثر جديد لأول رحالة شرقي إلى أميركه، مجلة المشرق 9 (بيروت 1906) ص470-474 (المشرق 12 [1909] ، ويطرس

وأخيراً أعاد نوري الجراح نشر الرحلة كما هي، عدا مقدمة وإضافة شروح قليلة لبعض الكلمات غير المألوفة حاصراً إياها بين أقواس في المتن نفسه، معتمداً طبعة أنطون رباط نفسها⁽¹⁾، وصدرت عن دار السويدي في أبو ظبي، والدار العربية للدراسات والنشر في بيروت سنة 2001 وهي الطبعة التي اعتمدنا أرقام صفحاتها في هذا البحث. ثم قام جون جاك شميدت بترجمتها إلى الفرنسية فصدرت في باريس سنة 2012 بعنوان *Un Irakien en Amerique au XVII e Siecle* ضمن سلسلة (مختارات عربية- نصوص كلاسيكية) وقد اعتمدت الطبعة الفرنسية على النسخة التي نشرها نوري الجراح نفسها.

وهكذا ظلت الرحلة من ثم في حاجة إلى دراسات جديدة تستظهر مكامن الجدة في معلوماتها وتبين جوانب الأهمية فيها.

وكنا قد قرأنا هذه الرحلة غير مرة منذ سبعينات القرن الماضي، ولاحظنا أنها تضم، فيما تضم، ثروة من الألفاظ والمصطلحات المحلية والمستجدة لم تلفت نظر الباحثين قط، إلا في إشارة سجلها المستشرق الروسي كراتشكوفسكي إذ قال

نصري الكلداني: ذخيرة الأذهان في تواريخ المشاركة والمغاربة السريان، ج2 ص97 ويعقوب سركيس: مباحث عراقية، ج1 ص311-334، وكراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (القاهرة 1965) ص701-706 ولويس شيخو: المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، المشرق 22 (1924) ص335، ويوسف بابانا: القوش في التاريخ ص144، وبهنام سليم حبابة: رحلة أول عراقي دخل الأراضي الأمريكية، في *Chaldean Detroit Times Vol.21,NO. 472.october 15.2011* وكتابنا: التاريخ

والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2009، ص136-138.

(1) على الرغم من أن الجراح صرح في مقدمة طبعته أنه اعتمد على الطبعة التي قام بها الأب أنطون رباط بصفة وحيدة، وأن هذه الطبعة اعتمدت على نسخة خطية في مطرانية السريان في حلب، إلا أن كاتباً غير معروف كتب على شبكة الانترنت أن الجراح اعتمد على نسخة محفوظة في المتحف البريطاني وهي مخطوطة نسخت في سانتا ماريا مقابل ميناء قادش بخط يد اندراوس ابن مقدسي عبد الله الكلداني في الأول من آذار (مارس) عام 1699م. وهي مكتوبة بخط ركيك لكنه مقروء، وليس فيها خروق أو طمس. ويقع نص الرحلة في هذه النسخة في 123 صفحة وتحتوي الصفحة على 18 سطراً. وهذا الوصف كله لم يرد في مقدمة الجراح مطلقاً، بل إنه أشار إلى أن النسخة الخطية التي اعتمدها رباط كتبت سنة 1817، والمخطوطة في مطرانية السريان في حلب. والصحيح أن النص هو وصف لنسخة أخرى من الرحلة محفوظة في مكتب الهند نقله يعقوب سركيس بحرفه في مباحث عراقية ج1 ص332، فلا ندري كيف فُقر وصف نسخة مكتب الهند ليكون وصفاً لنسخة المطرانية التي اعتمدها رباطاً.

«ورغمًا من أنه جَهَد في استعمال اللغة الأدبية فكثيراً ما وجدت طريقها إليه
الألفاظ المحلية والكلمات التركية، بل وحتى أساليب لغة المخاطبة اليومية»⁽¹⁾.
فكانت تلك الإشارة باعثاً على أن تكون موضوعاً لدراسة لغوية مستقلة، ثم أننا
عكفنا منذ مدة على استخراج تلك الألفاظ والمصطلحات وتحليل دلالاتها وبيئاتها
وأصولها ما أمكن ذلك، فخرج من نتاج ذلك الجهد معجم لغوي صغير، رتبنا
مُفرداته على الحروف، ونظنه لا يخلو من فائدة للمتبعين والباحثين.

* * *

- أ -

إجازة

اللفظ فصيح وله معان شتى، وورد في الرحلة بمعنى الرخصة في أي أمر. قال في
ص72 «طلبت إجازة من الوزير لأروح إلى جبال الفضة والذهب»، وفي ص92 «فأرسل
الي المطران دستوراً حتى أعبّر أعالجها لأن بغير إجازة لا يقدر ان يجتاز باب الدير».

أجزاء

مصطلح يقصد به أجزاء من المواد الداخلة في مجال الأدوية المفردة يحفظها
الصيدلي أو الطبيب لاستعمالها عند الحاجة أو الطلب. وقد استعملها بهذا
السياق في قوله في ص91 «فرحت زرتها وعالجتها ببعض أجزاء مناسبة لعلتها»،
قلنا: ومن لفظ أجزاء ركبت كلمة (أجزاخانه) التركية بمعنى بيت الأدوية.

أحشى

عامية، تعني بحسب الرحلة (أوغر صدر) و(حرّض). جاء في ص117
«فبسبب هذا أحشوا عليه قضاة البلد». أي حشوا قلوبهم بغضا. بينما فسرها
نوري الجراح بأنها تعني (قام) ولا وجه لهذا التفسير لأنه يخرج عن السياق.

أرمغانات

هي لفظة مأخوذة من التركية armagan بمعنى الهبة والهدية والعطية. قال
في ص122 «اشتريت حملي بصل يابس وصندوقي تفاح لأجل أرمغانات»، أي

(1) تاريخ الادب الجغرافي العربي، ج1 ص701.

ليقدمها على سبيل الهدية. وعلق انطون رباط على هذه اللفظة أنها مما جرى استعماله في حلب وما بين النهرين.

استأنى

اللفظ من العامي الفصيح في مصر، قال في ص 51 «فبقينا نَسْتَأْنِيهم نحو شهرين»، وهو مرادف للفظ (استنظر) الذي استعمله بالمعنى نفسه في ص 53، حيث قال «فلما وصلنا إلى هناك رَسَوْنَا في هذا الميناء مستنظرين المراكب». وهذا اللفظ من العامي الفصيح في العراق، ويلفظ الظاء فيه دالاً مفخمة.

استهمَّ

يظهر أنها بمعنى «استجمع همته» حيث وردت في ص 121 «حينئذ استهمَّيت وركبت في ذلك المركب الصغير».

الأسكلة

اللفظ مأخوذ في الأصل من (صقالة) العربية، وهي اللوح الصقيل الذي يتخذ واسطة صعود الملاحين وأرباب السفن وحمالها من الرصيف إلى سفنهم، ثم أطلق على الموانئ حيث مراسي السفن نفسها، وبهذا المعنى عرفها صاحب الرحلة فقال في ص 50 «الأسكلة حيث ترسي الغلايين» (تنظر مادة غليون) وربما أطلق اسم أسكلة على البلدات الواقعة على ساحل البحر، فقال في ص 92 عن أسكلة بوناس آيرس «وهذه البلدة على البحر المحيط قريبة من بلاد البرازيل»، وقد يكون للأسكلة سور أو لا يكون فقال في ص 112 واصفاً إحدى الإسكلات «ليس للأسكلة سور». ولبعض الأسكلات أهمية إدارية فضلاً عن أهميتها التجارية، فقال عن واحدة منها ص 46 «وفي هذه الأسكلة يقام ديوان مدبري المملكة». ص 46

إعتازه

عامية عراقية بمعنى احتاج اليه، حيث ورد في الرحلة ص 46 «فجهزني كل ما إعتازه في السفر»، وورد في المعنى نفسه ص 96 «أساعدك في جميع صالحك بكل ما تعتاز». وقال في ص 67 «ما بالك لابسا هذه الملابس الدنية؟ فأجابها قائلاً لشدة فقري وعازتي».

اكتسب

مصطلح فصيح له معان مختلفة، لكنه أراد به معنى آخر هو الضم والاحتلال.
قال في ص 113 «ورأوا جزيرة واكتسبوها وجعلوا اسمها فيليبيناس».

أكد

في اللغة أكده تعني اوثقه وأثبتته، وفي الرحلة تعني تعيين موقع موضع ما على
الخارطة. يفهم ذلك من قوله في ص 101 «أرادوا الرجوع الى الجزيرة فما
استطاعوا لأنهم لم يكونوا أكدوها ولا وزنوا قيراطات الشمس».

آلة القداس

وضح معنى هذا المصطلح في ص 90 بقوله «وكان عندي آلة القداس يعني
البدلة وغير أشياء (يريد: أشياء غيرها) كان أنعم علي بها البابا اكليمنضوس التاسع».

ألقش

عامية، قال في ص 110 «اروح ألقش عند الوزير» وفسر ناشر الرحلة نوري
الجراح هذا اللفظ بـ(أتحدث). مع أنها بالتركية تعني: ابارك، أهني. أمين خوري:
رفيق العثماني، بيروت 1894 ص 15

أوضه

كلمة تركية بمعنى (حُجرة)، كانت مستعملة في العاميات العربية في العراق
والشام ومصر، وتلفظ (أوده) بدال مضخمة. قال في ص 46 «فأدخلت حوائجي في
الأوضة وقفلت الباب». وفي ص 121 «إن قوانين هذه المراكب أنهم يكرون الأوضة
ذراعين وعرضها ذراع وثلاث، وعلوها ذراع ونصف».

أولاق

كامة تركية تعني ساعي البريد، ناقل الرسائل. قال صاحب الرحلة في ص 50
«جاءت المكاتب مع الأولاق».

آيات

آية فصيحة من معانيها الشخص والجماعة، وقال في ص 72 «صنعوا ديواناً
بآياتهم»، وعلق ناشر الرحلة نوري الجراح على هذا اللفظ بأنه يعني (مع بعضهم)،
أي أنهم أقاموا لهم حكومة ذاتية كما يقال اليوم.

باره

بالباء المثلثة، لفظة فارسية بمعنى القطعة من أي شيء، ووردت في الرحلة على أنها القطعة من الفضة المتخذة سكة نقد. قال في ص 83 «يأتون بالفضة ويذیبونها ويسكبونها ويستعملونها بارات ويدمغونها بختم الملك».

ويظهر أن قيمة هذا النقد كانت مرتفعة، حيث ذكر في ص 83 «فلما حصل ذلك المسكين في الخزينة أخذ اثني عشر بارة، وكل بارة تسوى ألف وثلاثمائة غرش».

باس، بيوس

عامية بمعنى قبل. قال في ص 106 «كان يبرك على ركبتيه وبيوس يدي».

بخش

لفظ ورد في الرحلة بمعنى الثغرة والمنفذ، وهو شائع في سوريا ولبنان خاصة، ولا ذكر لهذا المعنى في المعجم. قال في ص 73 واصفاً احد البيوت «وهذا البيت له سقف مغطى لكن قوي عالي وفيه أبخاش لأجل منفذ الدخان».

بركة

اللفظ فصيح واستعمله هو اصطلاحاً للدلالة على الخبز الذي يباركه الكاهن. قال في ص 66 «وبعد خلوص القداس جلست على كرسي وعملت بركة، أعني خبزاً مباركاً، فبقي الناس يجيئون وبيوسون يدي ويأخذون البركة ويرمون النذر في الصينية».

بريخ

لفظ آرامي الأصل⁽¹⁾، يطلق على أسطوانات من فخار مفتوحة من الطرفين، توصل واحدة بأخرى فتكون أنبوباً. ورد اللفظ مصحفاً إلى برنج، بمعنى النحاس، ولا معنى له، لأن السياق يدل على أنه أوان من الفخار، قال في الرحلة ص 73

(1) كان يعقوب سركريس (مباحث عراقية ج 1 ص 335) قد سأل الأب أنستاس الكرمللي عن أصل هذه الكلمة فأجابه الأخير كالاتي: انها مأخوذة من الآرامية لا من المصرية كما في اللسان والتاج، وهي من بربوعا، ويقال فيها أيضاً بريوقا.

«فأدخلوني إلى بيت جعلوا أرضه ثقباً ملصوقة ببعضها، موضوعاً في كل منها بربخ، والبربخ مصفوفة ومنصوبة صفوفاً صفوفاً، ولها فم واحد، منصوب إلى فوق، والفم الأسفل مسدود، وغير مفتوح كمثل أجران، فيضعون حجارة الزئبق بصنعة مصطفة فوق البربخ، كمثل عمل الفاخوري في أفران الخشف (الخزف) وأيضا يضعون الخحارة على البربخ».

بَشْكَاس

وردت بمعنى الإحسان والهبة، وجمعها بشاكيش. قال في ص 74 «وقدم لي أصحاب المعادن بشكاس مقدار خمسين قنطار من الزئبق» وقال في ص 122 «جاءني بشاكيش عوض البصل والتفاح». وقال رباط : لعلها باش كاس. ويظهر من القرينة أن معناها الهدية أو البخشيش، من الفارسية بخشبون بمعنى أعطى.

بَصَّة

عامية لا أصل بها في الكلم الفصيح، وجاءت في الرحلة بمعنى الجمرة من النار. قال في ص 51 يصف طريقة قتل دويبة ضارة «ويحطونها على بصَّة نار فتطق مثل الفرقوعة».

بُوزة

عامية مصرية بمعنى الجعة. إلا أنها بحسب قوله في ص 80 تصنع من الذرة. جاء في الرحلة «يجعلون من هذه الدرر [يقصد الذرة] بوزة ويشربونها فتسكرهم كالعرق».

بيت التطهير

اصطلاح وضعه مقابلاً للفظ الإيطالي (نارزيت) أي المحجر الصحي. قال في ص 35 «أخرجونا من المركب وجعلونا في بيت التطهير الذي يسمى نارزيت باللسان الطلياني ثم وصف هذا البيت بقوله «وهذا النارزيت هو خارج عن المدينة، وتلك عادة في بلاد النصارى خوفاً من الطاعون». قلنا: وقد عرف المحجر فيما بعد باسم (كرنتينة)، وهو اسم إيطالي أيضاً بالمعنى نفسه، دخل إلى اللغة العثمانية وشاع في البلاد العربية في القرن التاسع عشر.

تبان

عامية، فصيحها تبين، قال في ص 59 «ما بقي تiban أي لم تعد ترى السماء ولا الشمس مقدار ساعتين».

تجوّز

عامية في مصر والشام، بمعنى تزوّج. قال في ص 78 «وهذا الحاكم لما وصلنا الى ليما تجوّز من بنت أعطته نقداً مائة وخمسين ألف غرش».

تَخَّ

تخ لغة: لأن واسترخى لكثرة الماء فيه. قال عن البصل ص 122 «وإذا تركوه حتى يكبر يتخ ويبيس»، وفي العامية العراقية اليوم: تختخ. وذهب رباط الى أن معناها اهترأ وهو معنى بعيد.

تخاوى

عامية فصيحها تآخى. قال في ص 55 «فصار لي معه صداقة عظيمة حتى تخاويننا مع بعضنا البعض».

تَخْتِرَوَان

كلمة فارسية شائعة في العراق تعني حرفياً (سرير السفر) واصطلاحاً الهودج الذي يوضع على ظهر الدابة في السفر. قال في ص 66 «طلبتُ إلى حاكم بلد بيوره أن يرسل إليّ تختروان، الذي يسمى بلسان السبنيولي لیتيرا». وقال في ص 68 «وانا راكب في لیتيرا، أعني تخترواناً».

ترحّب

عامية وفصيحها رحّب. قال في ص 93 «فترحّب [الأسقف] بي واستقبلني كأخ له».

تَفَرَّفَط

عامية من فرط، وصحیحها انفرط. قال ص 88 عن مزيج من الفضة والزئبق «فإذا تفرط فهو سخن»

تلاقى

عامية وفصيحتها التقى. قال في ص 69 «ورحْتُ عند الوزير وتلاقيت معه ثاني مرة»، وقال في ص 73 «فتلاقيت مع رئيس رهبان مار فرنسيس»، وفي ص 93 «تلاقيت مع الأسقف المذكور الذي كان في باناما».

تودّع

عامية وفصيحتها توادَعوا او ودّع بعضهم بعضاً. قال في ص 46 «فتودعوا من الأسكلة».

وفي ص 106 «فتودعت منهم وتودعوا مني ورجعوا الى المدينة».

- ج -

جاب

ص 93

عامية، من : جاء ب. قال في ص 93 «كان عندي صورة رأس ووجه المسيح كنت قد جبتها معي من رومة».

جاوش

لفظ تركي بمعنى العريف في الجيش. قال في ص 106 «خرجت من هذه البلدة ورافقتي اثنان من جاويش الديوان وأربعة من الخوارنة».

جكترية

ضرب من السفن. قال في ص 41 «سافرت منها في البحر مع جكتريات ملك إسبانية». وقال رباط أنها قد تسمى جكدرية، وهي كلمة تركية معناها السفن.

الجلالية

وردت بمعنيين هما:

1- قطاع الطرق ومخوفي السبل. قال في ص 49 «خوفهم من الجنود الجلالية» وقال في ص 107 «وبالقرب من هذه البلدة جبل فيه جلالية يشلحون بعض الاوقات وينهبون عابري الطريق».

وذكر رباط انه ربما كانت كلمة Guerilas ومعناها العصابات التي تقاتل قتالا غير قانوني.

2- القراصنة: ومجالهم في البحر دون غيره. قال في ص 98 «قرصان البحر يعني اللصوص الجللية الذين في البحر القبلي»، وفي ص 112 «وكان عدد هؤلاء القرصان الجلالية ستمائة نفر».

جلفالية

اسم لتجار من الأرمن يُنسبون الى جلفا، وهو حي في جوار أصبهان اختص بسكنى الأرمن الكاثوليك.

قال في ص 114 «يجيء مركب إلى هذه الجزيرة سوى المركب الذي للجلفالية فقط».

جنزير

هي السلسلة، وتسمى في عامية العراق زنجيل. قال في ص 83 «إن الهنود ألقوا في هذه البحيرة جنزيراً من الذهب كان يخص الملك».

جُنفاص

هو الخيش الذي تُحاك به الأكياس الكبيرة عادة.. قال «ثم يجعلونه (وهو خليط من الفضة والزئبق) في أكياس من جُنفاص يعلقونها».

جَوَجَّح

عامية، فصيحها يتأرجح. قال في وصفه جسراً معلقاً من الحبال ص 76 «ان الجسر يتَجَوَّح ويهتز كالهد لما يدوس الانسان عليه».

جيكولاته

لفظ جديد لم يكن معروفاً في بلاده، عرفه عند حديثه عن الكاكاو، فقال في ص 53 «ومن دسامته يصير مثل العجين ويضيفون إليه من السكر على قدر الحاجة.. ويجعلونه أقراصاً وينشفونه بالفيء، ومن هذه الأقراص يعملون الجيكولاتا ويشربونها مثل القهوة»، وقال في ص 106 «وفي هذه القصبة المذكورة يصير الكاكاو الذي يصفونه جيكولاته وأشجاره كثيرة العدد».

حاش

وردت بمعنى جمع أو التقط. قال في ص 102 «قلت لعسكر المركب أن يحوشوا لي من البحر صَفْداً (صدفاً) فأتوا بتسع صَفْذات ففتحتها واحدة واحدة لتأكل ما فيها».

حَبُّ

عامية، بمعنى أحب . قال في ص 46 «فحَبَّني واستقبلني بكرامة عظيمة».

حَدَف

عامية فصيحها حذف، بمعنى قذف

قال في ص 71 «مقاليع لحدف الحجارة»، وفي ص 64 تحدث عن بركان ينطلق منه نار «أصعدت هذه النار بعزم قوتها حجارة».

حَرَاقَات

الحَرَاقَة ضرب من الزوارق السريعة. ولكنها وردت في الرحلة بما يدل على أنها سلاح نارى يطلق نوعاً من القذائف. قال في ص 97 «صار ذلك اليوم عظيماً بضرب المدافع والحراقات».

حَرَش

حَرَشَه لغة حَدَشَه، أو صاده. واستعملها صاحب الرحلة بمعنى ألقى القبض عليه. قال في ص 112 «فأرسل خلفه جنوداً ليحرشوه فوجدوه».

حَرَكَش

وردت بمعنى حرك أو قلب . قال في ص 102 «طبخ بهم الطباخ مثل العادة فأراد أن يحركش النار فرأى الرمل كالحجر فقلعه فإذا هو قرص ذهب».

حكيم

بمعنى طبيب . قال في ص 109 «فبقي يرسل اليّ حكمائه ليشرفوا عليّ، وبعد عشرة أيام تعافيت»

حلاويات

عامية وفصيحها حلوى. قال في ص 70 «أحمال من الحلاويات الفاخرة».

حيك

لفظ ورد في الرحلة بمعنى حائك ص56 قلنا: ولعله من قبيل الامالة المعروفة في عامية الموصل، المتأثرة بالارامية. قال في ص56 «ثخن القصبه أغلض من مطواية نول الحيك»

-خ-

خائف الله

تعبير عامي فصيح (الخائف من الله). قال في ص 108 «رجل عالم وخائف الله وله معبور في كل سنة ثمانون الف غرش». (تنظر مادة معبور).

خبط

لفظ عامي بمعنى ارتطم. قال في ص122 «لئلا يخبط مركب بمركب وينكسروا».

خربوت

لفظ عامي لا وجود له في المعاجم، يظهر أنه الحلقة أو العقلة من الحبل في آخره ترمى على حيوان او انسان بهدف قتله. جاء في ص 58 «ويرمي خربوته (كرة) الحبل على نصف ظهره».

خَرَج

عامية، أصلها أخرج بمعنى أنفق. قال في ص81 «هذا القسيس غني جداً فخرج على عمارة تلك الكنيسة مايتي ألف غرش».

خَرَجِيَّة

عامية، بمعنى مصروف جيب. قال في ص108 «وأنا كان معي خرجية مقدار ثمانمائة غرش».

خزندار

مصطلح عثماني بمعنى الخازن، وأمين الصندوق. ويظهر أنه كان يُكلف بمهام أخرى. قال في ص70 «ولما كنت مريضاً كان [الوزير] يرسل عندي خزنداره يزورني»

خشف

لعلها محرفة عن الخزف

قال في ص 73 «كمثل عمل الفاخوري في أفران الخشف». قلنا: والفاخوري هو صانع الفخار.

خَلَى

عامية، بمعنى يَدَع ويترك. قال في ص 53 «والحاكم ما أراد يخليني أن أروح وحدي». وقال في ص 60 «فخلى سرايه وجاء سريعاً زارني».

خلوص

عامية بمعنى انتهاء، أو الفراغ من. قال في ص 66 «وبعد خلوص القداس جلست على كرسي».

خندكاري

مصطلح عثماني، أصله خداوندكار، بمعنى السلطان، ورد صفة لضرب من الأوزان يسمى (مناً). قال في ص 74 «وقنطار هذه البلاد هو ستة أمان خندكاري» وفي ص 76 «ويخرجون منها (مزرعة القصب) كل سنة ثلاثين ألف خندكاري من السكر».

خوان

الخوان هو القدر الكبير، قال في ص 64 «يضعون خوانات شيئاً فوق شيء، يعني كمثال الدرج، ويجتمع الناس ويجلسون فوق هذه الخوانات، ويستكرونها كل واحد منهم لأجل الفرجة [في عيد الثور]»

- د -

دار باله

تعبير عامي عراقي بمعنى انتبه الى أمر ما . قال في ص 95 «وكان الوزير لما ودعته أمرني أن أدير بالي على بيته وعلى امرأته لخوفه من الأعداء أن يسقوها سماً». قلنا: وربما كانت هذه هي المرة الأولى التي يرد فيها هذا التعبير العراقي الصميم.

دُرر مصر

هي الذرة، كتبها كما يلفظها أهل مصر بالبدال المهملة. قال في ص 80 «وما يوجد عندهم لا قمح ولا شعير سوى دُرر مصر» .

دُستور

فارسية بمعنى العهد والميثاق والقانون، واستعملها صاحب الرحلة بمعنى الرخصة. قال في ص 92 «فأرسل الي المطران دستوراً حتى أعبّر [الباب] أعالجها لأن بغير اجازة لا يقدر ان يجتاز باب الدير»
وفي ص 114 «ولا يُعطى دستور لغير طوائف».

دَقَّ

لفظ عامي يراد به العزف والنفخ بحسب نوع الآلة المستعملة. قال «ضرب المدافع ودَقَّ البوق»، يعني : ونفخ في البوق.

دَقَّر

عامية عراقية بمعنى لُكز، وهو الدفع في الصدر بالكف، قال في ص 54 عن نوع من الحشيش أنه «يشبه الخيزران الرفيع.. يرتفع من الأرض مثل عود السهام ويدقر للإنسان، ولا يشفى المصاب بهذه الدَقرة إلى الموت...».

ديِّن

لفظ عامي بمعنى أقرض. قال في ص 86 «كنت ديّنته ألفي غرش في بلدة ليما».

- ر -

رستاق

لفظة فارسية الأصل تعني السطر من النخيل والصف من الناس، ولكنه استعملها بمعنى النظام أو الترتيب. جاء في ص 78 «وجدنا هناك من الحجارة المنحوتة من الهنود القدماء بغير آلة الحجّارين الحديدية، وهي مشغولة بغاية الرستاق»

رَسَخ

رسخ في الأرض بمعنى ثبت في موضعه وتمكن منه، ولكنه استعملها بمعنى (رَسَب)، فقال في ص 81 «والفضة ترسَخ إلى أسفل» وفي ص 88 «فالفضة مع الرزْبِق يرسخان الى أسفل».

رُوح

لفظ معروف استعمله بمعنى ذات الانسان، وهو استعمال عامي. قال في ص56 «فأنا لما نظرت روحي في الماء فخبطت وتعلقت بالكلك»
وفي ص65 «وبقيت متحذراً على روحي» .

- ز -

زَعَق

زَعَق لغةً صاح، ولكنه استعملها بمعنى (دعا). فقد ورد في ص82 «تحنن عليه وزعق وكيل ماله وأعطاه مفاتيح الخزنة».

زَلَط

لفظ عامي من معانيه زحلق وبلع. وورد في الرحلة بمعنى نزع عنه. جاء في ص76 «وأما البغال فيزلطونها (ينزعون عنها) من جلالاتها ويجيزونها الجسر».
قلنا: والجلالات جمع جل وجلال وهو الغطاء، ويقصد به هنا البردعة.

زِيَاح

الزياح عند المسيحيين طواف بأشياء مقدسة، كالايقونات أو القربان، داخل الكنيسة أو خارجها. قال صاحب الرحلة في ص50 «تشرفتنا بالزياحات المقامة يومئذ لآلام المسيح»، وتحدث عن اكتشاف أحدهم ايقونة للعدراء في أرضه فقال في ص61 «واستقبلها [الأسقف] بإكرام وأخذها بزياح إلى مكان قريب من البلد، وبنى لها كنيسة شريفة، وأسكنها هناك، ولما يحدث في هذه البلدة طاعون يأخذون هذه الصورة ويخرجون بالزياح إلى بلد كيتو، فتبقى عندهم تسعة أيام بكل إكرام ووقار»، وقال في ص72 «زارني جميع رفقة الكهنة... من حيث اخذوني في الرفقة بالزياح»، وفي ص111 «ثم شلح المطران الرداء المذكور بزياح»، وفي ص122 «بقينا في بكاء ووعويل مع صلوات وزياحات في المراكب وندورة».

- س -

ساوي

عامية بمعنى مستوية. قال في ص54 «رأيت أغصاناً ساوية معدلة من غير ورق».

سبيق

ص 121

عامية بمعنى مسرع، أو الرجل الذي يجري إرساله على جناح السرعة لإيصال خبر جلل. قال في ص 121 «وأرسلوه قبلهم سبيقاً إلى اسبانية».

السكّتخانه

مصطلح عثماني يعني دار سك النقود، من سكة العربية بمعنى النقد، وخانه بمعنى دار، قال في ص 87

هو «البيت الذي يضربون فيه سكة الدنانير من غروش وأنصاف وأرباع»، وقال في ص 89 «هولاء هم الذين يشغلون السكّتخانه لقطع الدنانير».

سنايك

السنيك، وجمعها سنايك، اسم لضرب من السفن الصغيرة الشائعة في الخليج العربي منذ عهد بعيد، كانت تستغل في صيد اللؤلؤ، وقد أطلقه صاحب الرحلة على سفن صغيرة شاهدها في البلاد التي مر بها في رحلته، وكان يستعملها الاسبان وأبناء البلاد الأصليين على حد سواء، قال في ص 63 «ففي هذا النهر يوجد نهر منحدر من الجبال.. كان أولئك الهنود قد عملوا لهم خمسة سنايك صغار وركبوا فيها وانحدروا إلى أن وصلوا إلى الدرب الذي يمر به التجار السبنيولية»، وقال في ص 104 «كنت انتظر سنيكا الذي يسمى كانه لنجوز هناك في مضيق البحر»، وفي ص 124 «أتانا أصحاب من البلد في سنايك طالعونا إلى البر».

- ش -

شبكة

هي نوع من القبعات، يسمى في العراق (الشفقة)، واطلقها صاحب الرحلة على ما سماه (البرنيطة)، وهي القبعة ذات الحوافي العالية التي تظلل جوانب الوجه. قال في ص 76 «وصوفها ناعم كالحرير يصنعون منه البرانيط اي الشبقات».

شختور

اسم ضرب من السفن الشائع استعمالها في الخليج العربي، أطلقه على سفن مشابهة لها شاهدها في بعض الموانئ التي مر بها.. قال في ص 113 «يوجد نهر صغير يقطعون بشختورات يسمونها كتاوس موسوقة إلى بورتو بلو».

شفعية

عامية وفصيحتها شفاعة. قال في ص 61 «وبواسطة هذه الشفعية ينقطع الطاعون عن البلد».

شقفة

عامية بمعنى القطعة، وجمعها شقفة . قال في ص56 «وكانوا يظنون أن الفرس وراكبها شقفة واحدة»، وقال في ص58 «حينئذ يقطعونه شقفا»، وفي ص88 «يأخذون منه في شقف فخار»، وفي ص 103 «وانكسر صاري الركب (الصحيح المركب) ثلاث شقف».

شكاوة

عامية، وفصيحتها شكاية وشكوى. قال في ص71 «لما يريدون أن يقدموا عرض حال الى ملكهم كانوا يصورون تصاوير في منديل على حسب شكواتهم».

شلق

لفظ من العامي الفصيح، بمعنى خلع وعرى. قال في ص 112 «ثم شلق المطران الرداء المذكور».

- ص -

صَفْد

هكذا كتبها في مواضع عديدة من الرحلة، وهو يقصد: صدف، فالظاهر ان هذا القلب كان شائعاً في عهده. قال في ص48 «وفي ص48 وكانوا يخرجون صدف اللؤلؤ البليغ في الكبر»، وقال في ص 102 «قلت لعسكر المركب ان يحوشوا لي من البحر صفداً فأتوا بتسع صفدات ففتحتها واحدة واحدة لتأكل ما فيها».

- ط -

طابة

الطابة هي الكرة، ومنها كانت كلمة (طوبة) العصرية. قال في ص105 «فيأخذون في أياديهم تلك الزبدة مثل الطابات [أي يكورونها بأيديهم] وينشرونها في الشمس».

طاع

عامية، وفصيحتها أطاع. قال في ص 95 «فطاع أمر الملك وخرج».

طاف

عامية، يقال طاف النهر بمعنى ارتفع منسوب مياهه فأغرق ما حوله. قال هو «وخرج هذه البلدة بحيرة ماء ذكروا ان في بعض السنين طافت على البلدة وهدمت بيوتاً كثيرة».

طاف

عامية فصيحتها طفا، أي ارتفع على وجه الماء. قال في ص 82 «وأما المعدن الذي كان يخرج منه حجارة الفضة فطاف بالماء وغرق وعَدَموه».

طاع

لفظ عامي فصيحه أطلع، بمعنى أخرج. قال في ص 73 «ويطالعون الزئبق من تلك البرابخ وردت في الأصل برانج خطأ» ص 124 «فدخلنا الميناء ورسينا فثاني يوم أتانا أصحاب من البلد في سنايك طالعونا إلى البر».

طعمة

لفظ عامي مستعمل في البلاد السورية خاصة، أصله من طعم بمعنى المذاق. قال في ص 59 «فتراه كالتهوة في اللون والطعمة والريحة».

طف

طفّ عليه لفظ فصيح له معان عدة، منها هوى عليه ليرميّه، واستعمل صاحب الرحلة هذا المعنى تقريباً، فقال في ص 57 «فإذا جاء فرس أو ثور يشرب ماء من النهر فيطفّ عليه ويسحبه من مناخيره ويوديه».

طلس

لفظ فصيح له معان متعددة، منها محاً واغبرّ وشوّه، ولكن صاحب الرحلة استعمله بمعنى مختلف وهو لصق.

قال عن مزيج من الفضة والزئبق في ص 88 «وإذا انطلس (لصق) فهو بارد»

عتاق

العتاق هي الفدية التي يفدي بها الأسير أو العبد نفسه من أسرهِ أو مالِكهِ .
وبهذا المعنى ذكرها في ص 112 حيث قال عن أهل بعض البلدات يفدون أنفسهم
من أسريهم القراصنة «فأرسل هؤلاء المساكين من جانبهم إلى مدينة البوبلا
المذكورة ليحضروا عتاقهم».

عرباني

لفظ من التركية (آريه) وهي بالعربية (عجلة)، وعُربت بـ(عربة) و عرفت في
عامية العراق بـ(عربانه) وعلى هذا النحو وردت في الرحلة مرة بشكل عرباني ،
حيث ورد في ص 72 «وأنا كان لي عجلة يعني عرباني بأربعة بغال مع عبد اسود
خادمها»، وفي ص 78 «خرجت انا واثنان من الرهبان اليسوعية في عرباني»، وفي
الصفحة نفسها «اعطاني عرباني لأخرج الى خارج البلد»، ومرة بشكل (عربانة).
حيث ورد في ص 94 «ودخلنا إلى بلد ليما في عربانة»، وفي ص 110 «واشترت لي
عربانة وبغال بستمائة وخمسين غرشاً».

عرض حال

تركيب تركي من لفظين عربيين، ظل شائعاً في العاميات العربية. اتخذ بديلا
لما كان يعرف في اليهود الاسلامية باسم (شكاية) و(ظلامه) ونحو ذلك . قال في
ص 71 «لما يريدون أن يقدموا عرض حال الى ملكهم كانوا يصورون تصاوير في
منديل على حسب شكاوتهم»، وفي ص 116 «جاء معه راهبان من رهبان مار عبد
الأحد ومعهما عرض حالات إلى سيدنا البابا».

عز

عامية، فصيحها أعز . قال في ص 72 «وكتب لي مكاتيب إلى جميع حكام
البلاد وأبرشية القرى التي تحت حكمه وصية علي بأن يعزوني ويكرموني».

عزم

عامية بمعنى دعا، ومنها عزيمة أي دعوة وتأتي بمعنى الوليمة غالباً . قال
في ص 75 «وعزمني الى داره حتى أتغدى ذلك اليوم معاه»، وفي ص 80 «ولما يكون

عندهم عيد أم عزيمة يذبحون واحدا من السبنيولية»، وفي ص 107 «ورحنا الى دار الاسقف معزومين الى الغذاء».

عقاريق

قال رباط : لفظ سرياني بمعنى الضفادع، قلنا: وهذا اللفظ هو المنتشر في عامية العراق. قال صاحب الرحلة في ص 91 «وسقيتها درهماً من رماد العقاريق».

علايف

جمع علوفة، وتعني لغة ما يجري تخصيصه للدابة لتعلقه، ووردت في الرحلة بوصفها رواتب مخصصة لأصحاب الوظائف، قال في ص 53 «فأما هذه الخزنة ما تجيء كلها إلى اسبانية بل يقسمونها علايف على أرباب الوظائف وإلى الجنود الحارسين الجزائر والقلاع الكائنة في بلاد الهند»

علك

لفظ عامي، يقرب من معنى مضغ، قال في ص 80 عن نوع من الحشيش المسكر «وعند هؤلاء الهنود جنس حشيش إذا علكوه يسكرهم ويعطيهم شجاعة وقوة كشراب الخمر، يسمى ذلك الحشيش كوكا Coca».

- غ -

غرش

نقد عثمانى من الفضة، أخذ اسمه من الألمانية Groschen وهو على نوعين، غرش صاغ وجرش رائج، والأول أربعة أضعاف الأخير، أطلقه صاحب الرحلة على نوع من النقود الاسبانية المتداولة في عصره. قال مثلاً في ص 53 «فاستكرت ثلاثة بغال بتسعين غرشاً» ، وقال في ص 66 «اجتمع من النذر مقدار مائتين وخمسين غرشاً».

وفي ص 72 «وهذه البلدة غالية المعاش بهذا المقدار حتى أن الدجاجة تساوي غرشاً ونصف الغرش»، وفي ص 117 «فطلب مني كروة ألف غرش مع الأكل والشرب».

غليون

لفظ معرب من Guilin يعني ضرب من السفن الكبيرة، والغالب ان تكون عسكرية أو مسلحة، وجمعها غلايين، قال في ص 46 «وهذا الغليون هو الرئيس

على يسار الغلايين» ، وقال في ص 47 «التجار يوسقون الغلايين من كل أجناس البضائع.. صادفنا مركباً موسوقاً من العبيد السود».

وفي الصفحة نفسها «وهذه الغلايين تعود بالغنايم الفضة والذهب».

غَنمة

عامية يراد بها الخروف. قال في ص 97 «الغنمة تسوى خمسة غروش».

غوشة

عامية بمعنى الاضطراب. قال في ص 91 «فصارت غوشة عظيمة في البلد». قلنا: ومن المحتمل ان تكون الكلمة من التركية غوش غنغ بمعنى العسرة والمشكلة والمشقة.

- ف -

فرقوعة

عامية فصيحها فرقعة، ولها في المعاجم معان شتى، استعمل منها صاحب الرحلة ما معناه صوت انفجار الشيء. قال في ص 51 يصف طريقة قتل دُوبية ضارة «ويحطونها على بصة نار فتطق مثل الفرقوعة».

فقعان

عامية من فقع بمعنى انفجر بعد نفخ. قال في ص 116 «ومات فقعان لحزنه».

فيقه

عامية سورية، فصيحها أفاقه. قال في ص 65 «فأسرع الصبي مرتعشاً وفيقني وأعلمني»

- ق -

قر

عامية فصيحها (أقر). قال في ص 82 «وأنا أي في جميع ما قرّيت فيه».

قلع

القلع هو الشراع، وجمعه قلع، وجمّعها صاحب الرحلة بأقلاع. قال في ص 46 «قلعنا ونصبنا الأقلاع وسرّحنا». وقال في ص 92 «وينصبون لهم أقلاع فالريح يودّهم».

قناق

قناق وتلفظ قوناق، وقوناغ، لفظ تركي بمعنى المرحلة من السفر، قال في ص60 «إن الرهبان خرجوا لملاقاتي قناقين (أي من مرحلتين) وأتوا بي إلى ديرهم». وتقدر هذه المرحلة بأربعة فراسخ، وهي مسيرة يوم كامل، فقال في ص69 «وكل يوم قناقه أربعة فراسخ».

قنصر

قال في ص 51 «وفي ذلك الحين جاء المركب الفرنساوي السابق ذكره وقنصر». وعلق رباط على اللفظ بقوله أن الكلمة ancer أي أرسى.

- ك -

كاروز

هو المبشر، مأخوذ من السريانية كرز بمعنى بشر. قال في ص115 «كان بعض الكاروزين يذهبون من هذه الجزيرة إلى بلاد الصين الجواني ليتلمذوا إناسهم ويرجعونهم من الوثنية إلى إيمان المسيح... الرهبان الذين يكرزون هناك».

كاكاو

مشروب كان معروفا في البلاد التي زارها⁽¹⁾، لكنه لم يكن كذلك في بلاده، لذلك اضطر إلى تعريفه بقوله ص53 «الذي يشبه القهوة بالرائحة والطعم لكنه زائد الدسم»، ووصف صناعته تفصيلاً في ص59 بقوله «يوجد هناك بساتين، فيها جنس أشجار كأشجار التوت تحمل ثمرة تسمى كاكاو يعملون منها الجيكولاتا، وهذا الثمر تراه مثل البطيخ متعلقاً وملتصقاً على جسم الشجرة، فلما يبلغ ويصفر يأخذونه ويقطعونه ففي داخله يخرج الثمر، وهو حبوب أخشن من الفستق، ثم يبيسونه حتى ينشف، وبعد ذلك يقلونه فتراه كالثقوة في اللون والطعمة والريحة لكنه كثير الدهن».

(1) الكاكاو cacao شجرة صغيرة من فصيلة الأستركونية، مهدها الأصلي أمريكا الجنوبية حيث رآها صاحب الرحلة، لها أوراق عريضة وأزهار صغيرة وثمر كبيرة، يستخرج من بذورها حبات الكاكاو، التي يصنع منها شراب بعد أن تحمر وتحمص وتطحن.

كَبَّ

من العامي الفصيح، بمعنى دلق وألقى. قال في ص 73 «وبعده يرفعون الحجارة والرماد ويكبونه [يعني الزئبق] خارجاً».

كرة

كتلة من المال كانت تساوي مائة ألف غرش. قال في ص 38 «في كل سنة تريح مليونين، أي عشرين كرة من المال»، وقال في ص 53 «وخزنة الملك كان عددها خمسة وعشرين مليوناً، وكل مليون عشر كرات، وكل كرة مائة ألف غرش». قلنا: ويوافق هذا المصطلح لفظ (صرة) بحسب المصطلحات العثمانية السائدة عهد ذلك.

الكرخانة

مصطلح فارسي، وأصله (كار) بمعنى عمل، و(خانة) بمعنى دار، فمعناه مكان العمل أو المعمل. قال في ص 89 «هولاء هم الذين يشغلون السكتخانة لقطع الدنانير، وكل جمعة يُشغل أحدهم الكرخانه». ومع عذا فإنه استعمل لفظ (معمل) بالمعنى نفسه، فقال في ص 69 «المعامل التي فيها يشتغلون الجوخ».

كروة

عامية عراقية، فصيحها كراء، ويقصد بها الأجرة عن النقل أو الحمل حصراً. قال في ص 52 «كروه بمعنى الأجرة». قال «ويأخذون الكروة ثلاثين غرشاً على كل بغل»، وفي ص 87 «وكنت أغرم الكروة كما يغرم الملك».

كلك

اسم شائع في العراق للرمث أو الطوف، وهو أن تُصَف مجموعة من جذوع الأشجار المستوية على عدد كبير من القرب (معد الخراف المدبوغة)، وتستعمل وسيلة انتقال ونقل على دجلة بين الموصل وبغداد. أطلق صاحب الرحلة هذا الاسم على نوع مشابه لهذا الطوف شاهده في بعض البلاد التي مر بها، إلا أنه يطغو على قرع يابس لا على قرب فقال في 69 «إن الهنود اخترعوا شيئاً للمجاز يسمى بالصا (BALSA) يعني كلكاً فيجمعون قرعات يابسات ويربطونها ببعضها مثل كلك ثم يجعلون عليها خشباً وفوق الخشب حشيشاً مثل عروق

الشجر» ، وقال في ص 84 «وعملوا أربعين كلكاً .. وجازوا في البحيرة على الكلك». وكان قد ذكر أنه شاهد كلكاً صغيراً مكون من خمس خشبات. قال في ص 56 «ونزلنا على كلك صغير حتى نطلع للبر، وهذا الكلك هو خمس خشبات، فلما اقتربنا من المركب قاصدين الأرض، انقلب الكلك».

وأشار إلى ما سماه (كلكات البر) وهو اسم غريب لأن الكلك لا يمضي على بر، فلعل تحريفاً أصاب الكلمة، لا سيما وأنه ذكر أن لهذا الكلك أشرعة. قال في ص 91 «ويروح في هذا الدرب كلكات البر وينصبون لهم أقلاع فالريح يوديهم».

كوميديية

لفظ جديد لم يكن معروفاً في بلاده، نقله من الاسبانية Kumydyia مباشرة، في وقت قريب من عصر انتشار معناه في أوروبا اللاتينية، ويقصد به ضرب من التمثيل الساخر غالباً، لكن ما شاهده كان تمثيلاً دينياً تماماً. وقد شرحه تفصيلاً بقوله ص 75 «ورسم هذا الأسقف أن يعملوا كوميديية يعني تقليد القديس رجل الله الروماني الذي يسمى باللسان الفرنجي سان ايليسوا وفي العربي مار ريشا، وهذه الكوميديية هي تشخيص ما عمل هذا القديس».

كوكا

نبات مخدر لم يكن معروفاً في بلاده، فوصفه، وكان يستخرج منه شراب مسكّر، قال في ص 80 «وعند هؤلاء الهنود جنس حشيش إذا علكوه يسكرهم ويعطيهم شجاعة وقوة كشراب الخمر، يسمى ذلك الحشيش كوكا⁽¹⁾ Coca».

-ل-

لك

بضم اللام، لفظ هندي كان شائعاً في العامية العراقية، يساوي مائة ألف، وورد في الرحلة ص 51 «وأحضروا معهم من الفضة والذهب خمسة وعشرين لكاً». وقال رباط أن اللك كناية عن عشرة ملايين.

(1) شجرة صغيرة معمرة من الفصيلة الكتانية، تستخرج من أوراقها بعد تجفيفها مادة قلووية مخدرة تسمى الكوكانين أو الكوكايين.

مارستان

كلمة فارسية بمعنى دار المرضى، وانتشر استعمالها في الحضارة الإسلامية على نحو واسع، واستعملها صاحب الرحلة مقابلاً لكلمة (اسبیتال). ولكنه قرنهما بما وصفه دبر(لداواة المرضى والفقراء) وهو المارستان بعينه. قال في ص 71 «وفي ليما..ديران باسم مار يوحنا لداواة المرضى اي الغرياء والفقراء، واسبیتال يعني مارستاناً كبيراً على اسم الملك، لأن الملك يصرف عليه»، وفي ص 110 «ومارستانات لداواة المرضى». قلنا: وقد عرب المارستان في القرن الرابع عشر الميلادي ب (دار الشفاء) وفي القرن العشرين بالمشفى والمستشفى.

مال النهيبة

النهب لفظ فصيح هو اسم المفعول من نهب، ومال النهيبة مصطلح عامي أراد به المال المنهوب . قال في ص 112 «أخرجوا الناس من الكنيسة وحملوهم مال النهيبة وساقوهم إلى حيث كانت المراكب راسية».

محاسبة

اللفظ فصيح، ولكنه أراد به معنى اصطلاحياً مختلفاً، إذ أراد به مالاً يصادره الملك من موظفيه بعد عزلهم . قال في ص 90 «جاء أمر من الملك الى هذا الرجل المبارك أن يروح الى ليما ويأخذ محاسبة من الوزير المعزول»، وقال في ص 93 «القاضي دون خوان المرقوم ليروح يأخذ المحاسبة من الوزير صاحبي المعزول». قلنا: وكان هذا المال يسمى في العهود الاسلامية مال المصادرة.

مرطبان

ويلفظ أيضاً برطمان وهو إناء بعنق عريض وغطاء محكم تحفظ فيه المربيات والأدوية، ويغلب ان يكون من الزجاج. أشار صاحب الرحلة في ص 122 الى «مرطبانات المربى».

مسبك

سَبَك المعدن عربية بمعنى صبّه في قالب. ولكن صاحب الرحلة أخذ منه مصطلحاً جديداً هو (بيت المسبك) أي المكان أو الدار الذي توضع فيه آلة

السبك. قال في ص 83 «وإذا حمل أحد حمل فضة رملية ما دخلت بيت المسبك بضبط (لعلها تضبط) وتودع في بيت الملك».

معبور

عامية بمعنى المُرتب الدائم. قال في ص 90 «وفيهما مطران له معبور في كل سنة مائة وعشرين ألف غرش»، وفي ص 108 «رجل عالم وخائف الله وله معبور في كل سنة ثمانون الف غرش».

مطواية

من أجزاء نول الحائك، مأخوذ من مطوى، وهي شيء يُلف عليه الغزل ونحوه. قال في ص 56 «ثخن القصبه أغلض من مطواية نول الحيك»

مُفترج

مصطلح اشتقه من فُرجة، وأطلقه على عيد اختص به الإسبان يصارعون فيه الثيران في يوم معلوم. فقال في ص 64 «فأراد [حاكم تلك البلدة] أن يعمل لي فرجة لأجل إنشراحي، وهذا المفترج يسمونه في بلاد إسبانية عيد الثور... وهذا العيد والمفترج في كل ملك إسبانية، يصنعونه في موسمه كل عام».

ملس

ملس شيئاً جعله ليناً ناعماً، والأملس هو الناعم. قال في ص 88 «حتى يروح الطين فتبقى الفضة والزيبق فيملسه بأصبعه على شقف الفخار المذكور».

- ن -

نيل التختة

النيل نبات يعرف بورد النيل او زهرة النيل، نسبة الى احد أماكن وجوده وهو نهر النيل، مع أنه موجود أيضاً في أمريكا الوسطى كما شاهد صاحب الرحلة، تستخرج منه، بعد عصره، مادة بروتينية تستخدم علفاً. قال أنه يزرع كما يزرع القمح، ويوضع في حوض من الماء فيزيد، فيدعك شيء من الزيد تدعك او تفرش على لوح خشب منبسط. قال في ص 105 «والاسفل يعملونه نيل التختة».

كما في ص 105

نيل قروتى

مصطلح عامى لكرات من الزيد المشار اليه تُكوّر باليد . قال في ص105 «فهذا الذي يسمونه في بلادنا نيل قروتى».

النواخذة

لفظ عامى، مأخوذ من الفارسية، وجمعه نواخذة، وهو مُركَّب من (نوا) اي سفينة، وخذ اي رب، فيكون معناها رب السفينة⁽¹⁾. وكان هذا اللفظ شائعاً في الخليج العربي، فأطلقه صاحب الرحلة على من شاهدتهم من أرباب السفن كما في ص47.

- ه -

هَجَج

هج فصيحة بمعنى فرّ بعيداً، وهجج عامية بمعنى طرد. قال في «ص112 فاحتقره أيضاً المطران وأمر بتهجيجه.. فلما نظره الخدام وعرفوه هججوه وطردهوه».

- و -

واقع

عامية عراقية تطلق على الانسان إذا أصابه فقر مدقع وإفلاس. قال في ص96 «إن في بلادنا وعوائدنا يحامون عن الإنسان الواقع وساعدونه».

وجَّب

لفظ عامى عراقي، وجَّب الطعام تناول منه شيئاً أداء لواجب اكرام المضيف لضيفه. قال في 60 «وكلما كانوا يضيفوني في المركب من الطعام المفتخر كنت أوجبّه».

ودَّى

لفظة عامية، فصيحها أدى، ويراد بها (ذهب به). قال في ص80 «والماء يأخذ التراب ويودّيه»، وفي ص92 «وينصبون لهم أقلاع فالريح يوددهم»، أي يذهب بهم.

(1) جورج حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ،

مكتبة الانجلو المصرية ، ص 199

وَسَق

الْوَسَق لغة هو حمل الجمل ونحوه، ووسق تعني ضم وحمل، واستعملها صاحب الرحلة بوصفها حمولة السفن لا الدواب، فقال في ص 47 «إن التجار يوسقون الغلايين من كل أجناس البضائع» أي أنهم يحملونها من تلك البضائع. وقال «.. صادفنا مركباً موسوقاً من العبيد السود»، وفي ص 49 «فأخذت مركبنا المركب فرأيناه موسوقاً زلاحف مملحة». وقال «لأن مراكبه كانت موسوقة بضائع».

- ي -

يَدِك

كلمة تركية بمعنى مقود. قال في ص 68 «وكان لي حصان ويغلة يدك».

يَسَق

تعريب ياسا، وهو لفظ مغولي الأصل بمعنى المنع، وصار يعني القانون، أو ما يصدره الملك من أوامر لها قوة القانون. وبهذا المعنى استعمله صاحب الرحلة. قال في ص 74 «لكن عليه يسق من الملك أن لا أحد من اصحاب المعادن يقدر يبيع زئبقاً ولا أحد يقدر يشتره».

ينكي دُنيا

مصطلح تركي بمعنى الدنيا الجديدة، أو العالم الجديد، (ينكي وتلفظ يني بمعنى جديد) أطلقه العثمانيون على الأمريكتين، ولكن يفهم من الرحلة أنه لم يكن يطلق إلا على بلاد المكسيك فحسب. قال مثلاً في ص 47 بلاد «ينكي دنيا (المكسيك)»، وقال في ص 98 «جنود اسبنيولية جاءوا من ينكي دنيا ليفتشوا عن قرصان البحر»، وتتظر ص 98 و 101.

ألفاظ دخيلة وعامية

في رحلة القس خدر الكلداني إلى رومة

في سنة 1909 قصد الأب لويس شيخو مصر، في رحلة لم يعين غرضها، على أنها لم تكن بعيدة عن الأهداف الثقافية التي نذر مجلته (المشرق) من أجلها، فكان أن زار كنيسة الكلدان في القاهرة، حيث التقى بخادمها صديقه الخوري بطرس عابد، فأطلعته هذا على مخطوطة نادرة بخط مؤلفها، هو القس خدر الكلداني الموصل، تتضمن وقائع رحلة شقيقة قام بها في شتاء سنة 1719 من مدينته الموصل إلى روما، ووصف فيها باختصار ما شاهده في طريقه إليها، ثم فصل القول في مشاهداته في روما نفسها، وعلى الفور قدر الأب شيخو أهمية هذه الرحلة من النواحي التاريخية والاجتماعية والعمرانية، فعكف على نسخ نسخة منها لنفسه، بغية نشرها في مجلته العتيقة (المشرق).

وما أن عاد إلى وطنه بيروت، حتى عكف على دراسة ما نسخته بتأن، فما كان منه إلا أن أرسل إلى كل من البطريرك عبد يشوع خياط، والمطران أدي صليبا (العلامة الذي عرف باسم أدي شير) رئيس أساقفة سعرت آنذاك، والقس بطرس نصري الكلداني الموصل، وكلهم كان مؤرخاً معنياً بتتبع تاريخ كنيسته، له باع طويل في عالم المخطوطات والوثائق، فضلا عن علماء آخرين لم يُسمِّهم، يسألهم أن يتفضلوا عليه بما لديهم من معلومات عن صاحب هذه الرحلة، فلم يكن من هؤلاء الفضلاء إلا أن كتبوا له، منفردين، معلومات مهمة بهذا الشأن. ومن المؤسف أنه لم ينشر نصوص تلك الرسائل، ولو فعل لكانت وثائق عالية القيمة من علماء كبار من ذلك العصر، إلا أنه فضل أن يلخص مضامينها في نبذة واحدة يدرجها في صدر تلك الرحلة، وهكذا فإننا لا نعلم طبيعة ما اعتمده أولئك الفضلاء من مصادر وروايات في كتابة تلك الترجمات التي أوردوها في رسائلهم إلى الأب شيخو، لا سيما وأن نحو قرنين مضيا منذ ان سجل وقائعها صاحبها، وإن كان يظهر أنها جاءت متفقة في خطوطها الرئيسية، بدلالة أنه لم يشر إلى اختلاف ما في مصادرها، كما أنه لم يشر إلى هويات الأشخاص الآخرين الذين بعثوا برسائلهم، وما هي أهمية ما أضافوه إليها من تفاصيل مكملة. وعلى أية حال، شجعت تلك

الرسائل الأب شيخو على العناية بالرحلة نفسها ونشرها في مجلته، فنشرها تباعاً على أربعة أقسام من المجلد الصادر في سنة 1910 فبلغ عدد صفحاتها 34 صفحة على النحو الآتي

القسم الأول ويشغل الصفحات من 581 إلى 592 منها صفتان ونيف في ترجمة المؤلف ووصف المخطوطة.

القسم الثاني ويشغل الصفحات من 656 إلى 668

الفصل الثالث ويشغل الصفحات من 735 إلى 744

الفصل الرابع ويشغل الصفحات من 835 إلى 843

والرحلة بخط مؤلفها نفسه، ومن المؤسف أنه لم يكملها لسبب لا نعلمه، فلبثت ناقصة بل مبتورة، مما دعا بنشرها شيخو إلى أن يعلن لقرائه في آخرها عن أمله في أن يجد أحد من كلدان الموصل نسخة أخرى منها في مكتبة البطريركية الكلدانية في الموصل «فيها تتمه هذه الرواية»⁽¹⁾ هذا مع أن المخطوطة التي نقل منها هي بخط المؤلف نفسه، أي أنه هو المسؤول عن نقصها لا غيره من الناسخين.

ولبت رحلة القس خدر حبيسة هذه النشرة أكثر من قرن كامل، لم يعثر على ما يكمل نصها المفقود، أما ترجمة مؤلفها فقد أضاف كتاب فضلاء إليها معلومات جديدة، من واقع ما وقفوا عليه من مؤلفاته، لا سيما تلك الخاتمة التي دونها في نهاية معجمه اللغوي، فبدت أكثر وضوحاً وتكاملاً مما بدت لقراء المشرق قبل نحو قرن. وخلاصة ما يستفاد من مصادر ترجمته⁽²⁾ أنه ولد في تشرين الثاني سنة

(1) المشرق، السنة 10، ص 843

(2) مجلة المشرق، المجلد 3 السنة 1901، ص 852 و السنة 1910، ص 581-583 و بطرس نصري الكلداني: ذخيرة الأذهان، الموصل 1913، ج 2 ص 315-316 و بطرس نصري وأدي صليبا إبراهيم: نبذة تاريخية عن بعض مشاهير الكلدان الكاثوليك، مجلة المشرق المجلد 4، بيروت 1901 ص 847-855 و شيخو: المخطوطات العربية لكعبة النصرانية، مجلة المشرق 21، 1923، ص 16، ويعقوب سركيس: مباحث عراقية، بغداد ج 1، 1948، ص 396، و كراتشكوفسكي: الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم، القاهرة 1963، 762-763، وألبير أبونا: أدب اللغة الآرامية ص 533-537 وسليمان الصائغ: تاريخ الموصل ص 120 ومجلة النجم الموصلية سنة 1936 ص 288 ورفائيل بابو إسحاق: تاريخ نصارى العراق ص 146 وبهنام فضيل عفاص: القس خدر، مجلة بين النهرين، العدد 17، السنة 7،

1679⁽¹⁾ في محلة مار ايشوعياي التي تسمى أيضاً (مار عوديشو) من محلات الموصل القديمة، ولا نعرف شيئاً عن أسرته، إلا أن اسم أبيه (المقدسي هرمز البناء الموصلية) يكشف عن أنه ولد لأب كان يعمل في صنف البنائين في الموصل، وهي حرفة اختص بها العديد من مسيحيي مدينته، وكان عدد منهم يعيش في محلته. وتذكر المصادر أنه رسم قسيساً في تلك المحلة، وأنه أنصرف إلى دراسة لغات عدة، حتى تزلج من اللغة العربية والكلدانية والتركية، ولكنها لا تذكر أين درّسها، إذ لم تكن ثمة مدارس تُعلّمها في مدينته عهد ذلك، فلا يبق إلا أن نذهب إلى أنه تعلمها إلى حد الإتقان بجهوده الذاتية وحدها، وبالدرس على أهل العلم أينما وجدهم، حيث كان «مغرمًا بالمطالعة والتعليم»⁽²⁾. ومن الواضح أنه استهواه العلم لأننا نجده، بعد أن بلغ مبلغاً منه، يقوم بخطوة جريئة وجديدة، وهي افتتاح مدرسة يكون هو مديرها ومدرسها، ولما كنا لم نسمع عن وجود مدرسة سابقة عليه في الموصل تختص بأولاد المسيحيين، فيمكننا القول أنها كانت الرائدة في مجالها، ولم تشهد الموصل مثلها حتى افتتح الآباء الدومنيكان مدرستهم فيها بعد نحو نصف قرن تقريباً، وبتشجيع منه أيضاً. وعلى الرغم من أهمية هذه التجربة في تاريخ التعليم، وريادتها المطلقة في مجالها، إلا أننا لا نعلم طبيعة الدروس التي كان يُدرّسها فيها، والفئة العمرية التي كانت تتعلم فيها، ويظهر من قائمة خطية أثبت فيها أسماء طلبتها، أنها كانت تضم في آخر العهد بها 56 طالباً، وأن عدداً منهم كانوا من الشمامسة، مما دل على أنهم لم يكونوا صغاراً، وهو ما يعني أن مناهج الدرس كانت على مستوى عال نسبياً.

وتفيدنا قائمة أخرى سجلّ فيها عنوانات الكتب التي كانت عنده في الموصل، قبل أن يغادرها بصفة نهائية إلى روما كما سيأتي، بأنها تضم ثلاثين كتاباً مخطوطاً، منها كتب في النحو العربي وعلوم الصرف بالعربية، وكتب أدبية، منها كلية ودمنة لابن المقفع، وكتب سريرية وكرشونية، منها أسفار مقدسة، وكتب رهبانية، وقصص ديني

1989، ص18- 27 وكتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن

2009، ص150- 131

(1) لم يعين المطران ادي شير تاريخها إلا بأنها جرت "في مبادئ القرن الثامن عشر". المشرق

المجلد 3 السنة 1901، ص852

(2) المشرق 581

وغير ذلك، فهذه هي الموضوعات الرئيسية التي كانت تُدرّس فيها، فلم يكن غريباً أن يتقاطر الطلبة للإنتظام في سلكها من الموصل وكركوك وحتى بغداد .

وعمد هو إلى اختيار أحد الشامسة النابهين من طلبته ليكون «الرئيس والخليفة عليهم»، ولا يبعد أن يكون قد اقتبس هذا النظام مما درجت عليه تنظيمات الحرفيين المعروفة بالأصناف، حيث يكون لرئيس الصنف (خليفة) أو (خلفة) يساعده في إدارة شؤون الصنف، لقد أدرك خدر مدى حاجة المجتمع إلى وجود تعليم بهذا المستوى من التنظيم، ولا أدلّ على نجاح مدرسته في مهمتها واضطراد الإقبال عليها من استمرارها في أداء مهمتها مدة ثلاثين عاماً متواصلة⁽¹⁾، على الرغم من أنها كانت تقوم على جهده وحده.

قدّر المجتمع الموصل، التوافق دوماً الى المعرفة، هذه التجربة الرائدة، فلم تثر اعتراضاً أو نقداً من أحد، بل قبولاً وترحيباً، وكان يمكن أن تستمر مدة أطول لولا ما أخذ يواجه مؤسسها من نقد وتجريح في شخصه، لا في مدرسته، ويعود ذلك إلى ذبوع أمر تردده على بعثة الآباء الكبوشيين، التي اتخذت من الموصل مقراً لها سنة 1700، وصارت تسعى الى نشر الكتلثة بين ظهرائي النساطرة من أهلها، فاتهم بميله الى الكتلثة، وهي تهمة خطيرة لمن كان في موقعه الديني والتعليمي، ومما أدى إلى توتر العلاقات بينه وبين البطريرك النسطوري إيليا مروكي، أن قساً لبنانياً مارونياً يدعى أندراوس إسكندر قدم الى الموصل في كانون الأول من سنة 1719 موفداً من البابا كليمنتوس الحادي عشر (1700-1721م) بهدف شراء الكتب المخطوطة كيما يرسلها إلى الفاتيكان تعزيزاً لخزانة كتبها هناك، وكان قد تجوّل في مصر والشام للغرض نفسه، ونظراً لما عُرف به القس خدر من معرفة بعالم المخطوطات، فإنه قصده طالبا مساعدته في الحصول على بُغيته، فما كان من الأخير إلا أن وضع كل خبرته في خدمة هذا المُوفد، مقدراً أهمية عمله، مما مكن الأخير من شراء «كل ما انتهى من الكتب العربية والسريانية والكلدانية»، ولم يكتف بهذا فحسب، وإنما استضافه، وخادم له يدعى الشماس ميخائيل بن حوا

(1) نحن لا نشك في تعيين سنة ولادته لأنه أدرجها بنفسه في رحلته، كما لا نشك أيضاً في سنة مغادرته الموصل سنة 1723، فقد عينه هو بالدقة، وقد ذكر أنه غادرها وله 45 سنة، ولكن ما يثر الشك، ما ذكره شيخو أنه درس في مدرسته مدة 30 سنة، لأنه إذا طرحنا هذا الرقم من سنة 1724 يكون عمره يوم افتتح مدرسته 15 سنة.

الحلبي، ضيافة كاملة في بيته مدة شهرين، اعتنق هو خلالها الكثلكة بصفة كاملة. وحته ضيفه الماروني على الجهر بإيمانه الجديد، فشرع في توجيه طلبة مدرسته إلى الكثلكة، بل أرسل الى بطريك آمد الكلداني يوسف الثاني يعلن له عن ذلك، وأرسل الى البابا رسالة بيد مؤفده المذكور يطلب تعيين كاهن كاثوليكي للموصل، فما كان من بطريك آمد إلا أن رشح القس خدر ليكون أسقفاً على الموصل.

أثار هذا الترشيح حفيظة أتباع البطريرك النسطوري إيليا العاشر، لا سيما من الفلاحين في ألقوش، مما أدى إلى هياجهم عليه، وعلى مؤفد بطريك آمد، مطرانها باسيلوس، فما كان من الأخير إلا أن غادر الموصل بسرعة، بينما أضطر القس خدر إلى الإختباء لدى بعض معارفه ثم الإقامة الجبرية في بيته، مدة عام كامل لا يخرج منه، في الوقت الذي صادر فيه البطريرك إيليا مدرسته⁽¹⁾. ولما لم تجد محاولته للتصالح مع البطريرك في دير هرمزد، فإنه عمد إلى الفرار من الموصل، وهو في الخامسة والأربعين من العمر، خوفاً على حياته، او تخلصاً من اضطهاد خصومه، فغادرها خفية في آب سنة 1724 و قصد ماردين، بنية زيارة بيت المقدس، إلا أنه انصرف عن نيته تلك، واتجه الى إسكندرونة، ومن هناك اتجه إلى روما بحراً، فاستغرقت رحلته، منذ مغادرته وطنه وحتى دخوله إليها، عاماً تقريباً.

رحلته الى روما

سجل القس خدر وقائع هذه الرحلة بايجاز شديد، مقتصراً فيها على ذكر أسماء، ونبذ قصيرة، عما كان يمر به من مراحل الطريق، حتى وصوله الى روما، في رسالة وضع لها العنوان المطول الآتي

(قصة أحوال القس خدر والمصيبة التي جرت على رأسه، وبسببها هرب من الموصل، وانطلق إلى مدينة رومية ليحتمي بها لأجل الإيمان الكاثوليكي)

ويبلغ عدد المراحل التي مر بها 40 مرحلة، منها 27 في البر و 13 في البحر، وهي:
الموصل - خان إسماعيليات - أسكي موصل - تلموز - قلعة عين ماء - تختكان - دمير قابي - الجراحية - نصيبين - ماردين - مغارة الفرس - دعيمي - ددا - قرقين - مغارة أوران - مغارة العسلي - الجلاب - الرها (اورفه) - خان جار ملك

(1) رحلته ص 585

- البيرة - المزار - جمغورلي مغارة - تخترين - حلب - حوار - شيخ مندو - جسر
مراديس - الإسكندرونة - قبرس - قرمان - جزيرة رودس - جزيرة كنديا -
كوجك درمالي - جزيرة مورا - جزيرة لمبيدوزي - بلد البربر - جزيرة سردينيا -
كورسكا - أليكورنه - بيزا - جبده فيكه - رومية (روما)

وبهرته المدينة بكنائسها القديمة وتمثيلها وذخائرها وآثارها ومعالمها
التاريخية واحتفالاتها، وقدر له أن يحضر وفاة البابا بندكتوس الثالث عشر
(1724-1730) وانتخاب خلفه كليمنت الثاني عشر (1730-1740)، وكانت
حياته في روما مجالاً مناسباً له للتأليف والدرس فضلاً عن نشاطاته في سبيل
نشر الكتلكة في بلاده عن طريق إرسال الرسائل.

ولعل أهم ثمرات ذلك النشاط أنه نجح في إقناع البابا بندكتس الرابع عشر
بإرسال بعثة من الآباء الكرمليين إلى الموصل، ليكملوا ما كان قد بدأ به في مجال
التعليم والخدمة العامة، فضلاً عن التبشير بالكتلكة، وهي البعثة التي سيكون
لنشاطاتها أكبر الأثر في تاريخ الموصل الثقافى والاجتماعي منذ وصولها الى هذه
المدينة وحتى عهد قريب⁽¹⁾.

وتوفي هو في 30 كانون الأول سنة 1571 موصياً لصديقه القس يوسف بهنام
الموصللي بما كان يقنتيه من مخطوطات، يظهر أنها كانت تمثل كل ما خرج به من
هذه الدنيا.

مؤلفاته

تنوعت آثار القس خدر بين اللغة، والتاريخ الكنسي، والشعر الديني
والوجداني، فكان منها:

1- معجمه الكبير الذي سماه (معدن الكنوز في كشف الرموز) في ثلاث لغات
هي العربية والكلدانية والتركية، ويظهر أنه أراد به تيسير تعليم الكلدان الذين لا
يعرفون غير العربية، لغتهم الأم، فضلاً عن التركية لغة الدولة والحكم. ويقع المعجم
في مجلدين كبيرين، ويبلغ عدد الكلمات المشروحة 1240 كلمة، وتوجد منه خمس

(1) ينظر بهنام سليم حبابه: الآباء الدومنيكان في الموصل اخبارهم وخدماتهم 1750م،

نسخ، إحداهما في البطريركية الكلدانية في العراق، وأخرى، في مجلدين، في دير الشرفة في لبنان تحت الأرقام 14/4 و14/5، والثالثة في المكتبة الفاتيكانية برقم 1885. وكان القس سليمان الصائغ قد وقف على النسخة الأولى فعرف بها في مجلته النجم سنة 1936، واطلع بهنام فضيل عفاص على نسخة الشرفة فعرف بها تعريفاً حسناً، تناول فيه منهجه وأهميته، كما نقل شيئاً من مقدمته. وثمة نسخة رابعة في المكتبة الشرقية للأباء اليسوعيين في بيروت برقم 149 ونسخة خامسة في ديار بكر نوه بها أدي شير سنة 1901⁽¹⁾، ثم أنه انصرف بعد ذلك إلى وضع تكملة للمعجم المذكور (عربي-سرياني)⁽²⁾، ومن هذه التكملة ثلاث نسخ، الأولى في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 256، والأخريان في المكتبة الفاتيكانية⁽³⁾ تحت رقم 493 عربي، و195 سرياني.

بذل خدر الموصلية في تأليف معجمه الضخم هذا، الثلاثي اللغات، جهوداً مُضنية استغرقت عدة سنوات، وحين أدرك أنه لن يمتد به العمر لكي يتولى طبعه بنفسه، وقف مبلغاً جسيماً من المال يكفي غيره لطبعه بعد وفاته⁽⁴⁾، وعلى الرغم من ذلك كله، فإن أحداً لم يهتم بتنفيذ هذه الوصية، وبقيت رغبته التي أراد بها «خدمة بني جنسه» على حد قول ادي شير، لا تجد من يفار على تحقيقها منذ وفاة صاحبها، مدة تزيد على القرنين ونصف القرن وحتى اليوم. فلا أقل من أن ندعو إحدى المؤسسات العلمية المعنية بالتراث السرياني في بلادنا إلى العمل على نشر هذا المعجم غير المسبوق، وأن يتخذ أحد الباحثين موضوعاً لرسالة أكاديمية، فريادته تستحق ذلك بلا ريب، أو في أقل تقدير تصوير نسخه من العالم تيسيراً لمراجعيه.

2- تاريخ كنسي موجز، محفوظ في مخطوطة في مكتبة برمنكهام (كما في فهرس منكما 246).

3- مجموعة الصلوات الختامية المسماة (حونامات) مرتبة على الحروف. في مكتبة الرهبانية الكلدانية في العراق.

(1) مجلة المشرق، بيروت المجلد 3 السنة 1901، ص 852

(2) قال شيخو أنه سرياني عربي. المخطوطات العربية لكعبة النصرانية، المشرق 21، 1923، ص 16.

(3) ينظر شيخو: المصدر السابق.

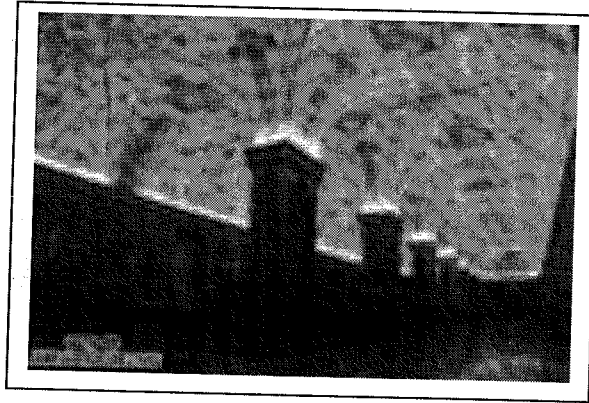
(4) أدي شير: البحث السابق.

4- تسيحات وصلوات بالعربية (وتسمى ميامر ومداريش) كانت محفوظة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ببغداد (وقد آلت هذه المكتبة إلى دار المخطوطات العراقية).

5- ميامر أخرى بالخط السرياني الشرقي. أشار إليها ألفونس منكنا، على ما ذكره ألبير أبونا في كتابه (أدب اللغة الآرامية ص537).

6- قصائد بالعربية والكلدانية نظمها في مدح السيدة العذراء، نشرها لويس شيخو في مجلة المشرق (المجلد 7، السنة 1904، العدد 23).

هذا إضافة إلى ترجمته عدداً من الكتب من العربية إلى الكلدانية، ومن الأخيرة إلى العربية، ومن الإيطالية إلى اللغتين معاً، وكلها يتناول موضوعات تعليمية دينية وأخلاقية وإرشادية. وقد عرّف بها بهنام فضيل عفاص مشكوراً.



مكتبة الفاتيكان

رحلته الى روما

أما رحلته الى روما، فإن مما زاد من أهميتها، فضلاً عما تقدم، أنها ضمت أيضاً معلومات استقاها الرحالة من مشاهدات قس يدعى دون جورجيو، كان قد قام برحلة تبشيرية مع راهب آخر إلى الهند، وبلاد جين وماجين (الصين ومنغوليا)، وبلاد الملبار، وبلاد الهند الشرقية.

كتب القس خدر رحلته هذه بلغة عربية سليمة، ومع ذلك فإنها انطوت على عشرات من الألفاظ العامية والدخيلة التي كانت متداولة في عصره، واضطر أن يضعها مقابلاً لألفاظ إيطالية لم يجد سواها ليعرّبها به. وقد استخرجنا هذه

الألفاظ، ورتبناها على حروف المعجم، وحاوَلنا التعريف بأصولها، لتكون مما يستدرك به على المعاجم العربية⁽¹⁾، وذلك على النحو الآتي:

* * *

أباطور

معرب Emperor وعربيه هو بسلطان، وهو مصطلح اسلامي محض استعمله السلاجقة والمغول والعثمانيون وغيرهم. قال في ص 842 «يجيء سلطان أباطور أي سلطان» كما انه استعمله بمعنى ملك، مثل سلطان إسبانيا، وسلطان النمسا كما في ص 744، وبمعنى زعيم، حتى لو كان زعيماً للطلبة، كما في ص 713، يقول «فالذي يغلب بينهم يملك السلطنة».

اخترط

لفظ استعمله بمعنى سلّ، مأخوذ من الفعل خَرَطَ، وهو فصيح له معان شتى أقربها : خرط العود، أي قشره وسوّاه، وانتزعه.. فاخترط السيف سلّه من غمده، قال في ص 744 «ويقوم ويخترط سيفه ويُمسكه بيده مسلولاً».

أرماح

جمع عامي لكلمة رمح، وصحيحها رماح، وقال في ص 739 أنها من الأسلحة التي يُزوّد بها «زمرة العسكر» إذ أن «زمرة العساكر مزودة بالحديد والزلوخ والأرماح».

أساوير

جمع عامي لكلمة سوار، وهو ما تزين به المرأة رسغها، وفصيحها أساور. قال في ص 836 «الفتيات يلبسون (يلبسن) أساوير الذهب».

اسكوت

عملة رومانية. قال في ص 667 «تكلّف على ما سمعنا لهذه الحفلة خمسين ألف اسكوت Scude روماني، وسماه قرشاً» فقال في ص 839 «قرشاً أسكوت

(1) سبق أن أعدنا دراسة عن مثل هذه الألفاظ مما ورد في رحلة الياس بن حنا الموصلية الكلداني سنة 1668 بعنوان (الفاظ دخيلة وعامية في رحلة الموصلية الكلداني للقارة الأمريكية)، ونشرت في هذه المجلة العدد 54، تشرين الاول 2016 ص 36-51.

روماني» وقال «كل اسكوت عشر جوليات، والجُوليّة هي البغدادية السالكة في الموصل» (تنظر مادة بغدادية)

أسكول

استعملها مقابلة لكلمة مدرسة. قال في ص584 «كونك صاحب إسكول، ولك جاه بين الناس» وقال في ص585 «ضبطوا الأسكول من يده» وقال أيضاً «يمكن أولاد الأسكول أن يأتوا باطمئنان ويتعلموا في مدرستي». وقال في ص741 «والبنات لهن معلمات نساء أصحاب أسكول. كما استعملها أيضاً مقابلة لكلمة مَكْتَب، قال في ص581 «أراد أن ينشئ أسكولاً أي مكتباً». وقال «القس خدر صاحب الأسكول»

أطلع

عامية بمعنى (أخرج). قال في ص588 «أطلعوا لنا التذاكر الجدد».

آغا

فارسية بمعنى السيد والضابط في الجيش الانكشاري، جاء اللفظ مقترناً بالسباهية (تنظر هذه المادة) فقال في ص730 «السباهية والأغوات».

أرواق

الرواق هو السقيفة في مقدمة البيت، يجمع على أروقة ورُوق، وجمعها هو جمعاً عامياً على أرواق. قال في ص657 «خلق عظيم في الهيكل والأرواق وحوش الكنيسة» وفي ص738 «الشباك الذي على أرواق مار بطرس»، كما جمعها أيضاً على رواقات فقال في ص660 «وذلك البستان حوله رواقات».

أوضة

كلمة تركية بمعنى (حُجرة)، كانت مستعملة في العاميات العربية في العراق والشام ومصر، وتلفظ (أوده) بدال مضخمة ولذلك فإنها تكتب أحياناً بشكل (أوضة). قال في ص737 «وبنوا فيها أوضات من خشب وقماش للكردينالية».

ايش

عامية فصيحها (أي شيء). قال في ص584 «أقضي لك ايش ما تريد».

باطرية

لفظ أخذَه من الإيطالية Padre بمعنى الأب، وكتبها بالطاء وبالذال. قال في ص589 «قدسنا خمسين قداساً عند الباطرية في كنائسهم». وقال «ونزلنا في كنيسة الإفرنج عند البادري» وقال أيضاً «وفي الكنيسة الواحدة التي هي للبادرية الكبوشية».

بِخَشَشَ

فعل عامي من بخشيش، فارسية، بمعنى الإنعام، والعطية، والهبة. قال في ص665: «والذي يغسلون رجله يَبْخَشِشُونَهُ نصف قرش» و«يجيء البابا ويفسل أرجلهم ويَبْخَشِشُهُمْ كل واحد ذهباً».

براً

عامية عربية مأخوذة من بر، وتعني خارج. يقول في ص585 «ما يقدر يطلع برا بيته».

بَرْدَه

كلمة تركية بمعنى الستار والحجاب. استعملها بهذا المعنى بقوله في ص742 «وينصبون في الكنيسة بَرْدَه أي بين البنين والبنات»

برنجبية

صنف من الأغوات، أي من ضباط الجيش. قال في ص731 «والبرنجبية أعني الأغوات»

برنير

رداء يشبه الروب. قال في ص744 «حاجب يمسك ذيل البرنير الذي عليه».

البغدادية

ضرب من القروش المتداولة في الموصل، يساوي قرشاً صاعاً⁽¹⁾ وثلاث القرش تقريباً، وهو ما يعدل 55 بارة⁽²⁾، سمى بها عملة إيطالية كانت تعرف بالجولية،

(1) القرش الصاع يتألف من 40 بارة.

(2) كتابنا: الموصل في العهد العثماني، النجف 1975، ص557.

فقال في ص 659 «وقد صرفوا على هذه الحراقة أي برج الورق خمسة عشر ألف قرش اسكوت روماني، وكل اسكوت عشر جوليات، والجولية هي البغدادية السالكة في الموصل».

بوسطة

أخذها من الايطالية posta أي البريد. قال «وتعشينا ونمنا في لوستريا البوسطة» ص 840 يعني الدار المعدة لاستراحة المسافرين في محطة البريد (وتتظر مادة لوستريا). قلنا: ولعله اول من استعمل هذا اللفظ بالعربية.

بِيرِق

لفظ تركي بمعنى الراية والعلم، وهو قريب من معنى السنجق إلا أنه أكبر، ولذا فإنه ينصب في الميدان، اما السنجق فهو أصغر، يرفعه قادة الصنوف. قال في ص 637 «وينصبون بيارق وتبقى العساكر مسلحة».

تَبَعِيَّة

لفظ عامي يعني به: بالتتابع. قال «وهكذا يفتحون كل مكتوب بالتبعية»

تفريش

لفظ عامي اطلقه على ضرب من البلاط، الذي تفرش به أرضيات الحجرات والقاعات عادة، يظهر انه يشبه البلاط المعروف في العراق بالفرشي. قال في ص 664 «وثقت أماكن كثيرة من الهيكل من بلاط تفريشه. قلنا: وعُرب اللفظ بالبلاط مطلقاً».

تُفْنِك

لفظ تركي بمعنى البندقية، وقد تُخَفَّفَ إلى تُفْك، قال في ص 742 «والأجناد ماشين وبأيديهم التفنكات».

تقاعد

تقاعدَ لغةً التقاعس والتكاسل، ولكنه استعملها بمعنى مختلف هو الالتزام، فقال في ص 584 «تقاعد بخرجيتها» أي التزم بنفقتها

تَنَشُّطٌ

عامي وفصيحه نَشَطُ أي عمل بجد وحيوية فقال في ص 744 «ويتشطلوا بمثله على الدرس» أي يتخذون مثالا لهم في الدرس.

جَاب

اللفظ فصيح وله معان شتى ليس منها المعنى العامي ولا من أصله، فجاب هذه من (اجي به أجي ب). قال في ص 584 «أن أجيب ولَدَيْن» ، وقال في ص 658 «فالملوك المسيحيون قلعوا الدرجات من أورشليم وجابوها إلى رومة». وفي ص 137 «وجابوا لهم معلمين».

جَرِيْمَةٌ

فصيحتها ما يقترفه الانسان من جُرم، وهو الذنب والجنابة، ولكنه يستعملها بمعنى (الغرامة) التي يفرضها الحاكم على المجرمين، أو المقترفين ذنباً، وهذا مأخوذ من جَرَمَ بمعنى قطع، ومنه في العامية البغدادية: جَرَمَني أي قطع مني، او كلفني ما لا أطيق. فيقول في ص 584 «أن يسلموه بيد حاكم الموصل ليحبسه ويعذبه ويأخذ منه جريمة كبيرة»، وقال في ص 485 «فطلب مني البَطْرَك ستين قرشاً جريمة فرضيت»، وقال في ص 589 «أعطت طائفة الموارنة جريمة نحو أربعة آلاف قرش».

جَنَازِيرٌ

هي السلسلة، وتسمى في عامية العراق زنجيل. قال في ص 689 «وحبسَ منهم كثيراً في الجنازير» أي حبسهم مقيدين بها.

جَوَاوِيشٌ

جمع جاووش، لفظ عسكري تركي يقابل بالعربية عريف. قال في ص 742 «خلف البابا أولاً الجواویش لابسين الأحمر وعلى رؤوسهم الريش وكانوا راكبين الخيل».

جَوَوقَةٌ

هي الجماعة، واستعملها بأنها الجماعة من الجنود، فقال في ص 743 «والأجناد ماشين وبأيديهم التفنكات، كل جوقة بجوقتها».

جيرنا

عامية، فصيحها أجربنا، من أجار أي أغاث وأنقذ. قال في ص 659 «جيرنا وخلصنا منه بحولك وقوتك».

حرّاقة

لفظ عامي فسّرهُ هو بقوله «الحرّاقة أي برج الورق» ووضّح معناه فقال في ص 659 «ركّبه من ورق» «وملأ الورق باروداً وزيّنه بحلي الذهب كلها ورق». قلنا: ويُسمّى اليوم: ألعاب نارية، وفي العراق: صعّاديات⁽¹⁾. وقد وردت في رحلة الياس الموصلّي الكلداني بما يدل على أنها سلاح ناري يطلق نوعاً من القذائف.

حلينا

عامية، وأصلها حللنا، بمعنى نزلنا.. قال «حلينا في خان إسماعيليات» و«حلينا في تختكان» وقال «حلينا في الجراحية» (ص 587) وهكذا في مواضع عدة (ص 587)

الخَراج الجديد

الخَراج ضريبة تؤخذ على الأرض الزراعية. ولكنه استعملها بمعنى (الضريبة) مطلقاً، أو (رسم الدخول إلى مكان ما). قال في ص 588 «فمسكونا فيها على الخراج الجديد وتعوّقنا خمسة عشر يوماً».

حُنفاء

جمع حنيف، وهو - لغة - لفظ فصيح له معان شتى، منها المائل عن الباطل إلى الدين الحق، واستعملها هو بمعنى مخالف، قريب من الهرطقي والكافر. قال في ص 731 «ويرتد في أيام رئاسته الهراطقة إلى الإيمان المستقيم والحنفاء والكفرة إلى إيمان المسيح».

خَرَجِيَّة

عامية من خرج، المأخوذة من أخرج، أي أنفق، فهي النفقة. قال في ص 584 «ولم يدعهما يخرجاً شيئاً» أي يُنفق شيئاً من المال. وينظر معناها في رحلة الياس الموصلّي (بحثنا السابق)، وهي هناك بمعنى مصروف جيب.

(1) ظن رحالتنا أنها تملأ باروداً، والصحيح أنها تملأ بمواد كيميائية فتحدث عن استعمالها دويماً وضيء

دَرَابِزِين

الحاجز على جانب السلم يمنع الصاعد عليه من السقوط، واستعمله هو بمعنى السلم نفسه. قال في ص 657 «وصعد على درابزين في مكان عال في الكنيسة»، وقال في ص 659 «وجعل حول البرج درابزينات».

دَسْتُور

فارسية بمعنى العهد. قال في ص 592 «وهناك جددنا اعتقادنا وأخذنا ورقة دستورنا لتُقَدَّس في جميع الكنائس»، ويقارن برحلة الياس الكلداني ص 114 حيث وردت اللفظة بمعنى قريب.

رَبَوَات

الرَبْوَة لغة الزيادة، واصطلاحاً الجماعة من نحو عشرة آلاف. قال في ص 665 «يَصْرِفُونَ على الزوار ألوفاً وربوات».

رَحَاة

عامية فصيحها رَحَى، وهي آلة طحن الحبوب. قال «وفيها رحاتين وبساتين ومياه كثيرة» (ص 588)

زَلُوخ

لفظ فصيح بمعنى الطريق البعيد، ولا صلة لهذا بسياقه في الرحلة، فسره لويس شيخو بأنه الدروع التي يرتديها العساكر، فهو يقابل كلمة (زرذ) قال في ص 736 «عساكر مسلحة مزودة بالزلوخ والحديد يحرسونه»، وفي ص 739 «زمرة العساكر مزودة بالحديد والزلوخ والأرماع».

زَنْبِيل

لفظ من العامي الفصيح، أصله: الوعاء، والقفة الكبيرة، قال في ص 637 «ويأتون بزنبيل مغطى بحير».

زِيَاح

الزياح عند المسيحيين طواف بأشياء مقدسة، كالأيقونات أو القربان، داخل الكنيسة أو خارجها. قال في ص 652 «وأبصرت في رومية الزياحات التي عملوها

كل يوم»، وقال في ص 652 «عملوا له زياًحاً لا يصير مثله في الدنيا» و«نزلوه من سرّيته بهذا الزياح» و«وطلعوا أمامهم بالزياح والسناجق والصلبان» وفي ص 663 «في أول ساعة من النهار يعملون زياًحاً عظيماً» وفي ص 770 «وهذا الزياح الأخير يصير مثل زياح السلاطين»، والمصدر «تزييح» (ص 743). ويقارن برحلة الياس الكلداني ص 50.

سالك

استعمله بمعنى مُتداوّل، او رائج، فقال في ص 659 «والجولية هي البغدادية السالكة في الموصل»

سباهية

فارسية من سباهي، وهو الفارس، وفي المصطلح العثماني الفارس الاقطاعي الذي يخرج الى القتال مقابل منحه قطعة معينة من الأرض، تسمى (تيمار)، والسباهية هم الفرسان. وورد ذكرهم في الرحلة مقترنين بالأغوات، وهم الضباط عامة، فقال «السباهية والأغوات» وفي موضع آخر ما يفهم منه أنهم داخلون ضمن مصطلح الأغوات نفسه، الذي يضم انواعاً من الأصناف العسكرية الأخرى.. قال في ص 731 «وكان البابا جالساً على كرسي ذهب يحمله حصانان أبيضان والسباهية والكوليزية والبرنجبية أعني الأغوات».

سكبانية

جمع سكبان، لفظ فارسي لصنف من الجيش العثماني، من (سك) بمعنى كلب، و(بان) بمعنى حافظ أو مراقب، أطلق هذا الاسم في أول عهد الدولة العثمانية على الذين يحرسون كلاب السلطان، ويحملون له البنادق، ويلحقون الطرائد، ثم أدمجوا في الجيش الإنكشاري، وصار قائدهم (سكمن باشي) أكبر مساعدي قائد الانكشارية، ونظراً لمهارتهم في الإصابة بالبنادق صار السكمانى هو الهدف، واشتق العامة من اسمه الفعل (سقم، سكم) أي هدّف، وأصاب الهدف. وجعله رحالتنا مقابلاً لكلمة soldat فقال في ص 742 «وخلفهم السؤلدات أي السكمانية» وقال أيضاً «احتاجوا إلى أن يجيبوا أجناداً من السؤلدات وفي أيديهم الحربات». والسؤلدات كلمة فرنسية تعني الجندي.

سَنَجَق

لفظ تركي بمعنى الراية، قال «والشمامسة في أيديهم العلامات والسناجق والصلبان» (ص657). وقال «ولكل رهبة سنجقها» (ص663) وقال أيضاً «اجتمع له جميع الرهبانيات بسناجقهم» (ص730)

شاطر

الشاطر كلمة عربية فصيحة تعني الداهية والماكر، لكنه استعملها بمعنى النابه، وهو المعنى الشائع في العاميات العربية الحديثة، فقال في ص742 «ويجمعون الأولاد الشاطرين غاية ما يمكن من كل مدينة»، وقال في ص743. «ويدخلون الأولاد الذين اشتهروا بشطارتهم»

شال

عامية بمعنى حَمَل، أي حَمَل أمتعته، كناية عن الانتقال من مكان إلى آخر. قال في ص588 «تعشيننا وقمنا شلنا ودخلنا مدينة الرها».

شِقْفَة

بمعنى القطعة. قال في ص585 «ولوا قَطَعْتَ جِسمي شِقْفاً شِقْفاً»، وقال في ص652 «أرانا شِقْفَة من عكاز هارون الكاهن».

شلموث

سريانية بمعنى اعتراف، أو شهادة. قال في ص585 «أكتب له شلموثاً».

شيخ مشايخ

مصطلح عربي يطلق على زعيم عام لمجموعة من القبائل المتحالفة أو المتحدة، لكنه عده مرادفاً لمصطلح الوزير الأعظم، فالشيخ هنا هو الوزير. قال «شيخ مشايخ رومية أعني الوزير الأعظم» (ص732)

صريخ

من العامي الفصيح، بمعنى صِراخ. قال في ص739 «وصل صَرِيخهم إلى السماء».

الصفرة

لفظ عامي، فصيحه سفرة، وهي مائدة الطعام أو الطاولة. قال في ص 637
«طاولة مثل الصفرة».

صلبوت

لفظ سرياني بمعنى الصليب. قال في ص 662 «ويكشفون فيها صلبوتاً من
خشب».

صلح، يصلح

الكلمة فصيحة ولكنه استعملها بمعنى يصطليح، وبصالح. قال في ص 585
«أرادوا أن يصلحوني مع البطرك».

طبلخانة

مصطلح عثماني، من طبل العربية وخانة الفارسية بمعنى المكان والدار، وهو
مصطلح معناه فوج الموسيقى العسكرية التي تختص بالضرب على الطبول في اثناء
توجه الجيش الى ساحة القتال، وقد تسمى في الجيش العثماني (مهترخانه). قال
في ص 730 «ويمشي بالزياح والهلاي والطبلخانة»، وقال في ص 743 «وفي تلك
الساعة تضرب الطبلخانة ويهتفون بالأبواق»

طشت

من الفارسية، وهو الإناء المعد للغسيل ونحوه، معربه طست، قال في ص 677
«والكلس كان في طشت من الفضة».

عرضحال

تركيب تركي من لفظين عربيين، ظل شائعاً في العاميات العربية. أتخذ بديلاً
لما كان يعرف في العهود الاسلامية باسم (شكاية) و(ظلامه) ونحو ذلك. قال في
ص 591 «وقدمنا عرضحال للمجمع المقدس».

عيّد

عامية بمعنى (احتفل بالعيد). قال «وعيّدنا عيد القيامة».

غُرَاب

سفينة حربية تتميز بالطول، يظهر انها كانت تختص بالقراصنة. قال في ص510 «وجاء علينا غراب من القرصان».

طُعْمَة

لفظ فصيح بمعنى الجماعة، ولكنه استعمله بمعنى آخر بوصفه عنصر بنائي يشبه ان يكون جزءاً علوياً من مذبح الكنيسة أو قبر لقديس. قال «رأس طغمة المذبح، وهو من حديد مزخرف بالذهب» (ص660) «وعلى طغمة رأس قبر مار بطرس ثلاث ذخائر» (ص661).

طوب

هو المدفع لكنه استخدمه دلالة على أنه غيره. قال «والطوبات والمدافع محشوة بالبارود» (ص637).

العَرَبَانَات

جمع عربي، عامية دخيلة، وأصلها من التركية (آربة) قال في ص591 «وركبنا على عربانة وسافرنا»:

وقال «يجيء خدام الكردينالية راكبين على الكروسات والعربانات وحاملين طعام الكردينالية» (ص638 و839)

فاتول

لفظ عامي، أصله من فتل أي التف على نفسه، واستعملها للدلالة على ضرب من الابواب التي تدور على محور عمودي، قال في ص638 «فيجيئون إلى الدواليب الفاتولة ويدخلونه منها» «وعلى كل فاتول يجلس واحد من حكام البلد ومطران وعساكر». قلنا: وقد عرب هذا الاسم بالياب الدوار⁽¹⁾.

فورطنة

عامية، وفي عامية العراق (فَرطنة)، وأصلها من الفصحى: فرتنة، وهو هياج

(1) كوركيس عواد: الذخائر الشرقية، ج5 ص 366، الفاظ الحضارة.

البحر من عصف الرياح ، واستعملها بهذا المعنى فقال في ص 590 : ثم جئنا إلى كورسيكا وصارت علينا فورطنة».

فرمان

لفظ تركي يعني الامر، واصطلاحا الامر الصادر عن السلطان حصراً، على خلاف (البيورلدي) الذي يصدر عن الولاة خاصة، قال في ص 743 «ويعطيه البابا فرماناً يجعله شريفاً».

فشك

لفظ تركي بمعنى الإطلافة التي تندفع من البندقية بفعل إلهاب البارود. قال في ص 667 «وأحاطها بالفشك والبارود». قلنا: ما يزال اللفظ معروفاً في العامية العراقية للدلالة على إطلاق البنادق القديمة، وفي العامية المصرية ان الفشك هي الإطلاقات المزيفة التي تقتصر على إحداث صوت عال دون أثر.

فلش

عامية عراقية بمعنى نقض ولكنه استعملها بمعنى فكّ وفكّك، فحينما تحدث عن ميّت لُفِل بالكتان والقماش قال «وأخيراً فلشوه» ص 736.

قَرْمُط

لفظ عامي فصيح، مستعمل في عامية العراق بمعنى ضيق، وأصله : قارب، ومقمرط بمعنى متقارب. قال «وفيه دعائم معرومة مفتولة مقرمطة مزخرفة تخطف بصر الناظرين» (ص 665)

قوناغ

كلمة تركية تعني المحطة في الطريق، حيث تنزل القوافل بين مرحلة وأخرى، ثم تطور معناها إلى المرحلة مطلقاً، قال في ص 584 «قرية ألقوش البعيدة مقدار قوناغ واحد عن الموصل»

قاثوليق

هكذا يكتب كلمة (كاتوليك). يقول في ص 589 «وما قدر أحد من القاثوليين أن يساعده» (ص 583) و«قام بعض الشبان من القاثوليين».

كاروز

كامة كلدانية تعني المبشر، مأخوذة من الفعل (كرّز) بمعنى بَشَرَ. قال في ص542 «كان كاهناً معلماً كاروزاً قديساً».

كرز

كرز لفظ ارامي بمعنى بشر، ولكنه استعمله بمعنى (تكرّس) أي جلس على كرسي مؤسسة ما، واستقر في رئاستها. قال في ص584 عن بطريك النساطرة «وتكرز بطريكاً في دير الريان هورميز» (وهو دير الريان هرمزد).

كروان

لفظ فارسي بمعنى القافلة، عُرِبَ قديماً بقيروان. قال في ص587 «حليّنا في الجراحية وخليّنا هنا الكروان».

كروسة

كلمة أخذها من الإيطالية، وفسّرها بأنها الهُدُج نفسه، فقال في ص743 «ويركب على كروسة أي على الهودج»، وقال في ص730 «والوزير الأعظم قدام كروسته وتمشي حوله العساكر» (ص730) وقال في ص743 «ويجيء هو راكباً على الكروسة ويدخل الكنيسة».

كليس

أخذها من الإيطالية Calessi ولم يجد لها ما يقابلها إلا (عربانات). قال «فاستكرينا كليسين» ص839

كليج

أخذها من اللغة الإيطالية Collegiu، والظاهر أنه فعل ذلك لأنه لم يجد ما يقابلها بالعربية، قال في ذكره أحد القسس الوافدين إلى روما أنه «سكن في كليج بونطي ستيتو» ص835، وقد عُرِبَت الكلمة في أواخر القرن التاسع عشر بكلمة (كُليّة) القريبة منها لفظاً ومعنى.

كوليزية

اسم لأحد صنوف الجيش، قال في ص731 «وكان البابا جالساً على كرسي ذهب يحمله حصانان أبيضان والسباهية والكوليزية والبرنجبية أعني الأغوات»

لُوسْتَرِيَا

أخذها من الإيطالية Osteria بمعنى حانة. وعدها مرادفة لكلمة مَيْخَانَه الفارسية المستعملة في بلاده. قال في النص السابق «لُوسْتَرِيَا البوسطة التي هي الميخانَه» ص 840 (وتنظر مادة ميخانَه)

مَارِسْتَان، بِيْمَارِسْتَان

كلمة فارسية مركبة من مار المخففة من بيمار بمعنى مريض، وستان بمعنى مكان، فهي دار المرضى، حيث يستشفون، وانتشر استعمالها في الحضارة الإسلامية على نحو واسع. وقد استعملها بهذا المعنى فقال في ص 659 «المارستانات أعني بيوت المرضى» وفي ص 665 «وفي هذه الكنيسة بيمارستان فيه خير كثير».

مَالِج

أداة مكونة من سطح مستو له مقبض، يستعمله البنائون في صقل الجدران المبيضة بالكلس. قال في ص 657 «الطشت من فضة والمالج من ذهب»، و«صقلها بمالج الذهب في الكلس».

مَحْرَمَةٌ

هي المنديل كما يعرف في عاميات الشام، ولا يعرف في العراق. قال في ص 661 «صورة وجه المسيح على مَحْرَمَةٍ».

مَرِّينَا

عامية فصيحها (مررنا) قال في ص 590. «ثم مرينا على جزيرة سردينيا»

مَعْرُوم

لفظ عامي، أصله من الفصيح عَرِمَ، أي قوي وعظيم. قال في ص 665 «وفيه دعائم معرومة مفتولة»

مَغَاوِر

جمع عامي لمغارة بمعنى الكهف، وفصيحته: مغاور.

ملا، مَلِينا

عامية، فصيحها (ملأنا). قال «وملينا أوعيتنا منها ماء»

مُنْعَم

مصطلح اتخذه للدلالة على أداء المرتل حين ينغم كَلماً دينياً. قال في ص 739 «وكان المُنْعَمُونَ يرتلون أنعاماً تقية».

مَيْخَانَه

عامية دخيلة من الفارسية والتركية، ميوان بمعنى الضيوف، وخانه بمعنى الدار، فهي دار الضيافة، وانحدر معناها في العامية العراقية الى حانة الخمر. واستعملها هو بمعنى دار الاستراحة المعدة للمسافرين، حيث يجدون فيها الطعام والشراب والمبيت. قال «تغدينا في مَيْخَانَه» ص 839 وقال «وتعشينا ونمنا في لوستريا البوسطة التي هي المَيْخَانَه» ص 840

نَزْرِيْت

كلمة إيطالية بمعنى المَحَجَّر الصحي. قال في ص 591 «وَنَزَلْنَا فِي النَزْرِيْت وفيه صلينا صلاة رمش الأحد» و «ثم في النزريت عشرين يوماً». ووضع إلياس الكلداني مصطلح (بيت التطهير) مقابلاً له، كما ورد في رحلته ص 35، وهو المعروف اليوم بالكرنيتين، وهذا مصطلح ايطالي أيضاً شاع في بعض العاميات العربية في القرن التاسع عشر.

هَلَاي

لفظ مأخوذ من الكلمة العبرانية (هليلويا) بمعنى سَبَّحُوا، أذكروا الله! وقال لويس شيخو في تفسير اللفظ أنه كلمة فارسية يُراد بها التهلل وصوت الفرح. وورد في الرحلة مقترناً بالزياح (انظر هذه المادة) قال في ص 710 «ويمشي بالزياح والهلاي»، وفي ص 730 «ثم يطلع بزياح وهلاي»، وفي الصفحة نفسها «يصير هلاي أكبر».

وَدَى

عامية بمعنى (ذهب به)، أصلها أَدَى، أي دفع وأعطى، قال في ص 584 «أودَّيه معي ليتعلم العلوم».

يازجي

كلمة تركية تعني الكاتب. قال في ص 637 «وَجَنَّبُهُمْ يَأْزِجِي يُدَوِّنُ الْأَسْمَاءِ»

يحوط

عامية فصيحها يحيط. قال في ص 657 «خَلَقَ لَا يَحُوطُ بِهِ إِحْصَاءٌ».

محتويات الكتاب

5	المقدمة
11	من هو المؤرخ؟
21	رؤية في كتابة التاريخ، تحضير التجربة التاريخية
25	تحقيق المخطوطات العلمية
41	معالم ومدن
43	اكتشاف مركز المدينة المدورة
57	الباب الوسطاني وما حوله
87	جامع القبلانية وريث مدرسة الطب المستصيرية
111	تاريخ بجوي مصدراً لمعالم بغداد في القرون المتأخرة
121	مدرسة جامع السلطان دورها وتعيين موقعها
131	مئذنة اليوسفية بقية من مدينة عباسية مندثرة
137	اكتشاف قبر الخليفة المستعصم بالله العباسي
149	دير العاقول حيث ضرع المتنبّي
171	أصول تسميات القرى في ديالى
185	قرى ديالى ونواحيها في العصر العثماني، دراسة في وثائق عثمانية
251	سامراء في القرون المتأخرة
275	حالة تكريت الاقتصادية في العصر العثماني
291	كربلاء في القرنين 16 و17م بحسب الوثائق العثمانية
301	عنكاوا في القرن السادس عشر
319	مصر في كتابات المؤرخين العراقيين في العصر العثماني
331	علماء واعلام
333	أبو هاشم وحزبه

- 365 ابن نجيم الحنفي وفكرة التوارث الدولي
- 379 الدور السياسي لعلماء بغداد في العصر العثماني
- 391 محمد أمسن السويدي دفين بريدة
- 419 خليل ونه سيرته، رحلاته، آثاره
- 439 سليمان الصائغ مؤرخاً، تاريخ الموصل نموذجاً
- 455 الأديب الطبيب محمد أمين بك آل باسين المفتي
علماء بيت المقدس في القرن الحادي عشر الهجري، التكوين الاجتماعي-
- 503 النشاط الثقافي في
- 525 جرمانوس فرحات كما يتجلى في ديوانه
- 547 أدب الرحلات
- 549 نصوح السلاحى مطراقي زاده
- 573 رحلة عالي بك إلى بغداد
- 595 من الموصل الزاهرة إلى ديار بكر العامرة
- 609 رحلات فضل الله المحبي إلى الديار الرومية والمصرية
- 623 رحلة من نابلس إلى اسلامبول سنة 1257هـ / 1851م
- 633 الرحلات العربية مصدراً لدراسة العمارة العثمانية في بلاد الشام
الألفاظ الدخيلة والعامية في رحلة الموصلى الكلداني إلى القارة الأمريكية
سنة 1668م
- 659 ألفاظ دخيلة وعامية في رحلة القس خدر الكلداني إلى رومية سمو سنة
1724
- 691 1724
- 715 فهرس الكتاب
- 717 فهرس الأعلام
- 734 فهرس المدن والامكنة
- 756 مصطلحات عسكرية وحضارية

الاعلام

- ابتهاج الراضي 662
 ابراهيم اغا بن الشيخ حسب الله 205
 ابراهيم افندي دفتردار زاده 113
 ابراهيم الخياري 345، 639، 646، 649، 655
 ابراهيم الدروبي 105، 404
 ابراهيم العطار السمرري 271
 ابراهيم اليازجي 526
 ابراهيم باشا الصدر الاعظم 117
 ابراهيم باشا بن محمد علي باشا 328، 387
 ابراهيم باشا والي الموصل 448
 ابراهيم بك بن محمد أمين بك ال ياسين
 المفتي 455-475، 500-502
 ابراهيم بكتاش 104
 ابراهيم بن ادهم التميمي 237
 ابراهيم بن جعفر السامري 270
 ابراهيم بن خليل بن فياض 231
 ابراهيم بن خليل ونة 429، 436، 433
 ابراهيم بن عيد الرحمن الخياري 634
 ابراهيم بن موسى الكاظم 557
 ابراهيم فصيح الحيدري 330، 389، 390، 458
 ابقراط 27
 ابن ابي صادق النيسابوري 27
 ابن ابي عذبية 125
 ابن الاثير 152، 341، 443-445، 452
 ابن البطار 34
 ابن البلدي 31
 ابن الجزائر القيرواني 31، 35، 36
 ابن الجزري 37
 ابن الدبيثي 90، 92، 111
 ابن الساعي 87، 88، 89، 111، 116، 138،
 139، 143، 144، 146، 319
 ابن العبري 87، 139، 453
 ابن العماد الحنبلي 366
 ابن الفوطي 88، 111، 116، 125، 138، 319، 370
 ابن الفياض العاقولي 153
 ابن الكازروني 139، 143، 319، 143،
 ابن النجار 126
 ابن النفيس 26
 ابن الهائم 38
 ابن اياس الحنفي 324، 369
 ابن بطوطة 89، 92، 127، 139، 141،
 144، 251، 443
 ابن جبير 90، 123، 127، 134، 151
 ابن جرير الطبري 152، 319، 344، 458
 ابن حوقل 156، 251
 ابن خلكان 94، 95، 163، 334، 337، 452
 ابن خياط، خليفة 344
 ابن رسته 152
 ابن سغد، كاتب الواقدي 333، 344
 ابن سينا 33، 35، 475
 ابن شهاب الزهري 334
 ابن طباطبا الطقطقي 89، 139، 142، 144، 345
 ابن طولون الصالحي 164، 165
 ابن طولون الصالحي الدمشقي 151
 ابن عابدين 365
 ابن عبد المعطي الاسحاقي المنوي 374
 ابن عبد ربه 338، 339، 348
 ابن عثمان بنت ابي جدير 333
 ابن عنبة، أحمد بن علي 333، 334
 ابن عوض المغربي 29
 ابن فضل الله العمري 34، 155
 ابن قاسم الاشبيلي 31
 ابن قتيبة 337، 347
 ابن كثير 123
 ابن ماجة 334
 ابن مسكويه 21
 ابن منظور 138

- أبو الريحان البيروني 26
 أبو الريحان البيروني 36
 أبو السعود المقدسي 624، 625، 657
 أبو الفرج الأصفهاني 453
 أبو الفيض السلمي 365
 أبو الوفا القرشي 125
 أبو الوفا بن عبد الصمد بن محمد العلمي 512
 أبو بكر أفندي، قاضي بغداد 166
 أبو بكر الرازي 36
 أبو بكر الشامي 123
 أبو بكر النحوي البنارقي 154
 أبو بكر بن أحمد بن صلاح الدين العلمي 512
 أبو جعفر المنصور 45، 46، 57، 152
 أبو حاتم الرازي 363
 أبو حنيفة الدينوري 150
 أبو حنيفة، النعمان الإمام 575
 أبو سعيد أسعد زاده 612
 أبو سفيان 345
 أبو سورة 162، 163
 أبو علي صاحب الرجال 99
 أبو كرب الضرير 339
 أبو منصور الصباغ، شمس 93
 أبو ميلم الخراساني 357
 أبو نصر بن عبد الباقي الانصاري 125
 أبو السعود العمادي 517
 أبو قراط 38
 أحسان عباس 270
 أحمد أبو العباس بن المستعصم 141، 143، 146
 أحمد آغا بن عبد اللطيف بك 204
 أحمد أفندي آل المتولي 166
 أحمد أفندي العمري 338
 أحمد أفندي بن علي أفندي 209
 أحمد الجلائري، السلطان 238
 أحمد الرفاعي، السيد 593
 أحمد السبتي بن هارون الرشيد 91
 أحمد السعيد دمردأش 36
 أحمد العتيكي 167
 أحمد الغمري 375
 أحمد الفاكهي المكي 518
 أحمد القلقشندي، شهاب الدين 367
 أحمد باشا الجزائر 326
 أحمد باشا الكهية 225
 أحمد باشا الكوبرلي 99
 أحمد باشا بن حسن باشا، والي بغداد 74، 247، 78
 أحمد باشا كوجك، والي بغداد 609
 أحمد باشا مؤسس جامع الأحمدية 581
 أحمد باشا والي بغداد 196
 أحمد بك ابن الأفندي 471
 أحمد بن إبراهيم آغا سمين 199
 أحمد بن إسماعيل الكوراني 616
 أحمد بن حامد الفخري 256
 أحمد بن زين ابن نجيم المصري
 أحمد بن سعيد شريف مكة 385
 أحمد بن صالح بن عمر العلمي 512
 أحمد بن صلاح الدين العلمي 512
 أحمد بن عبد المنعم الواسطي 175
 أحمد بن عبد الغني الراوي 403
 أحمد بن عبد الكريم الخطيب 271
 أحمد بن عبد الله الغرابي 85، 322، 323، 324
 أحمد بن علي ابن الساعاتي 98
 أحمد بن علي ابن عنبة 92
 أحمد بن محمد البغدادي 124
 أحمد بن محمد الطبري 475
 أحمد بن محمد القدوري 95
 أحمد بن محمد سيف الدين السامري 270
 أحمد بن مفرج بن عيسى المقدسي 519
 أحمد بن يونس المصري 365
 أحمد جليبي بن محمد الارناؤوط 197
 أحمد جليبي بن محمد الجليبي 239

- احمد خان الدنبلي 256
 احمد زكي 153
 احمد سوسة 85، 86، 90، 140، 141، 152،
 156، 159، 160
 احمد شلبي 373
 احمد صقر 333
 احمد عبدالرحيم مصطفى 189، 275
 احمد عيسى 34
 احمد يوسف الحسن 37
 ادوار القش 33
 أدورد جنر 469
 ادي شير 451، 691، 693، 697
 أدي صليبا ابراهيمنا = ادي شير
 ارسلان باشا 100
 ارسلان بن علي الدوه جي 220
 أرشيدوس بن الشمساس حتا 449
 ارطغرل السلجوقي 122
 اسامة النقشبندي 619
 اسحاق بن بطرس عبدال 453
 اسحاق بن عمر بن أبي اللطف 609
 اسطفان الدويهي الماروني 525
 أسعد بن إسماعيل العظم 641، 650
 اسعد طلس 406، 410، 417، 650
 الاسفرائيبي 362
 أسماء خاتون بنت مصطفى اغا بن خليل اغا
 199، 229
 اسماء خاتون زوجة عبدالوهاب رضوان اعا
 زاده 215
 اسماعيل الصفوي، الشاه 113
 اسماعيل باشا البغدادي 506، 509، 510، 515
 اسماعيل باشا امير العمادية 72، 79، 85
 اسماعيل بن الحاج أمين ونة 421
 إسماعيل بن الحسن الجرجاني 474
 اسماعيل بن مصطفى الكلتبوي الرومي
 الحنفي 596
 اسماعيل وهبة 433
 اسيا بنت محمد جلبي 201
 آسية خاتون بنت السيد علي القادري 222
 الاشعري 363
 الاصفهاني، ابو الفرج 349
 اصيل الدين بن نصير الدين الطوسي 92
 افرام رحمانى 452
 اقبال الدولة بن النواب شمس الدين 593
 اقبال الشرابي 89، 139
 اكرم ضياء العمري 344
 آلاتين أصدوريان 594
 ألبير أبونا 451، 691
 ام المستصم 143
 أم سلمة بنت ابي هاشم 334
 ام كلثوم بنت احمد افندي 224
 امام فولي بن شمس الدين 216
 امين الدين بن عبدالعال الحنفي 365
 امين الدين مرجان 197، 200، 205، 214،
 220، 563
 اندراوس بن مقدسي عبدالله الكلداني 663
 اندرواس اسكندر 691
 انستاس ماري الكرملي 31، 33، 667
 انطون رياط 656، 662
 أنطونيوس الكبير 534
 أنوسنت الحادي عشر، البابا 661، 662
 أنوش بنت ميرزا بن كرم 239
 اوينهايم 257، 260، 262، 365
 اوليا جلبي 505
 اويس الجلائري، السلطان 71
 ايشوعدناح البصري 150، 453
 إيشوعياب ابن المقدم 552
 ايشوعياب الإربلي 444
 ايشوعياب الخامس 90
 ايليا العاشر، البطريرك 695
 ايليا برشنايا 151

- ايليا مروكي 694
 بادجر 306
 باز، الشريف 384
 باسيلوس، المطران 695
 بدج 105، 112
 بدر الدين الحسن بن علي الغزي
 بدر الدين القراييف 619
 بدر الدين محمد بن رضي الدين الغزي
 الدمشقي 616، 634
 براكلسوس 475
 برهان الدين الكركي 366
 بروين بدري توفيق، الدكتورة 29
 بشار عواد معروف، الدكتور 93، 116، 127
 بشيراغا بن عبدالله 231
 بشير فرنسيس 158، 257
 بطرس البستاني 526
 بطرس حداد 286، 561، 660
 بطرس نصري الكلداني 451، 663، 691، 692
 بطليموس 26
 بكتاش خان 119
 بكر بن وائل بن قاسط 606
 بكر صوباشي 116
 يكنكهام 72، 84، 85، 199، 230، 234، 235
 البلخي 156
 بندكتس الثالث عشر، البابا 696
 بهاء الدين توري 199
 بهجت بك ناظر الديون 576
 بهروز الخادم 123
 بهنام سليم حبابة 696، 663
 بهنام فضيل عقاص 692، 697
 البوزجاني 31
 بولاق زاده مصطفى باشا 113
 بولس شيخو 150
 بيان بن سمعان التميمي 363
 بيوس السادس، البابا 659
 تاج الدين ابو الوفا 167
 تافرنييه، جان باتست 257
 الترمذي 334
 تريافي غازي حسن باشا 113
 تقي الدين القرقشندي 507
 تقي الدين باشا 590
 توفيق السمعاني 446
 توفيق فكرت 454
 توماس فشر 526
 التيفاشي 38
 تيمورلنك 237
 تيمورلنك 252
 جادر آل دغيمش 426
 جار الله الزمخشري 467
 جاسم مهاوي 253
 جالينوس 37
 جان روسو 259
 جان فييه 307، 309، 310، 602
 جب ويوون 189
 جبرائيل حنوش أصفر 97
 جرجي زيدان 467، 526
 جرمانوس فرحات 525-545
 جستينان، الانبراطور 530، 605
 جعفر اغا ضابط خراسان 215
 جعفر خياط 263
 جقمق، السلطان 514
 جلال زاده نشانجي 113
 جمال الدين سرور 337، 347
 جمال الدين، الامير 219
 جميل باشا 604
 جميل موسى النجار 264، 265
 جورج حوراني 688
 جوزييه سبستاني 659
 جون اشتر 261
 جون كينير 259

- جونز، فيلكس 86، 98، 105، 158، 168، 116،
263، 259
- حسين باشا الجليلي، الحاج 448، 449،
659، 606، 459، 551
- حسين باشا السلاحدار 78، 89
- حسين بن سلمان الخطيب في شهرين 230
- حسين بن صالح تشريباية 209
- حسين بن عبدالرحمن الخطيب 271
- حسين بن عبدالله الغرابي 201، 203، 229،
251، 241
- حسين بن عبدالله الكاتب 99
- حسين بن علي العشاري 384
- الحسين بن علي بن ابي طالب 338
- حسين بن عيالله الشيرواني 402
- حسين بن نوح القمري 27
- حسين جليبي ونة 420
- حسين علي محفوظ، الدكتور 142
- حسين يوردايدن، الدكتور 552
- حليل اغا بن مصطفى 201
- حمدان بن هذيل العلاف 334
- حمود الثامر 328
- حميد مجيد هدو، الدكتور 256
- حنين بن اسحاق 27، 37، 38
- حيدر بن صيغة الله الحيدري 457
- خالد النقشبندي 394
- خالد بن عبدالله الفهري 362
- خالد بن علقمة 333
- خالد عبداللطيف 259
- خجة خان بنت احمد اغا قنطان اغاسي 215
- خدر الموصللي، الفس 691، 692، 693، 696،
697
- خديجة بنت خليل جليبي 229
- خديجة خاتون بنت علي اغا 228، 234
- خسرو باشا 649
- خضر اغا بن الجاد محمد صالح 248
- خضر بن الحاج ابراهيم 221
- خضير المشداوي 38
- جيسمونيدي 453
- حاجي خليفة 84
- الحارث بن عبدالمطلب 349
- حازم البكري 31
- حازم المفتي 596، 595، 597
- حافظ احمد باشا، والي بغداد 118
- حافظلة الخليل 404
- حبيب بن الملا علي خطيب سامراء 271
- حببية بنت عبدالله 419، 421
- حسن أفندي بن عمر أفندي 450
- الحسن البصري 376
- الحسن البوريني 612
- الحسن العسكري 251، 267
- الحسن المهلي 251
- حسن باشا الصغير، والي بغداد 165
- حسن باشا والي بغداد 193، 256، 380
- حسن بك الكبير الجلائري 252
- حسن بك بن صالح بك عبدالرحمن باشا زاده
248
- حسن بك زاده أفندي 112
- الحسن بن سهل 152
- الحسن بن علي بن ابي طالب 338، 523
- الحسن بن محمد بن الحنفية 362
- حسن بن محمود المقدسي 519، 520
- حسن بن مصطفى جاوش 217
- حسن حسني الموصللي القاضي 595-608
- حسن كامل الصيرفي 153
- حسن مفتي الموصل 456
- حسنى خاتون بنت عبدالله 200
- حسين الحموي 36
- حسين القادري 195
- حسين امين 93
- حسين باشا 100

- 420 رباب عبدالمحسن الكاظمي
 635 رجاء محمود السامرائي
 231 رحمة خاتون بنت محمد بك
 38 رزوق فرج رزوق
 104، 103، 102 رسول حاوي الكركوكلي
 382، 328 رشاد الامام 503
 138، 137، 88، 87 رشيد الدين فضل الله
 38 رشيد الصالحي
 581، 261 رشيد باشا الكوزلكي
 121، رضي الدين بن شرف الدين الشيباني
 216
 605 رفاعة رافع الطهطاوي
 90 رفائيل بابو اسحاق
 215 رفعت افندي جادرجي زاده
 172 روبرت ماك آدمز
 692 روفائيل بابو اسحاق
 460 روفائيل بيداويد
 636 رياض عبد الحميد مراد
 333 ربيعة ام الحارث بنت الحارث
 105 زاره
 100 زامباور
 593 زبيدة، زوج الخليفة هارون الرشيد
 175 زرار توفيق صديق، الدكاور
 421 زكريا بن عبد الوهاب الملا خضر
 367 زكريا عميرات
 126، 124 زكي الدين المنذري
 199 زكية خانم بنت نجم الدين افندي
 571، 142، 141، 91 زمرد خاتون
 251، 226 زمزم خاتون بنت علي القادري
 227، 194 زمزم خاتون بنت محمد اغا
 339 زيد بن حسن
 109، 110، 111، 575 زين احمد النقشبندي
 365 زين الدين ابن ابراهيم ابن نجيم المصري الحنفي
- 141، 95، 91 الخطيب البغدادي
 270 خليل الخطيب بن محمد السامري
 202 خليل بشه بن ابراهيم
 513 خليل بن ابي الوفا الدجاني
 437-420 خليل بن الحاج اسماعيل ونة
 222 خليل بن السيد ابراهيم الفرج
 505 خليل طوطح
 434، 419، 7 خليل ونة
 27 الخوارزمي
 620 خير الدين الزركلي
 651 خير الدين المفتي
 73 دابر الهولندي
 31 داو سلمان علي
 29 داود الانطاكي
 599 داود النقشبندي الخالدي
 263، 248، 194، 166، 409، 398، 581 داود باشا، والي بغداد
 112 داود بك بن جعفر جلبي
 358 داود بن علي
 474 داود بن عمرا الأنطاكي
 27 الدخوار الدمشقي
 265، 260 درور، الليدي
 238 درويش احمد بن الملا حسين بن غيب الله
 197 درويش بن غريب
 512 درويش بن سليمان بن محمد الدجاني
 234 دقل، الشيخ
 561 دويريه
 454 دوغال
 460، 454 دومنيكو لانزا
 698 دون جورجو
 262، 259، 255، 253 ذبيح الله المحلاتي
 63 الراشد بالله
 36 رامزي رايت
 451 راميشوع

- زين الدين البقادري 192، 193، 194، 200، 218،
 220، 221، 222، 234، 241، 244، 245،
 زين الدين قاسم ابن قطلوبغا 124، 365
 زين نور الدين 386
 زينب خاتون بنت عبدالفتاح افندي المفتي 219
 ساطع الحصري 276
 سامي سعيد الأحمدي، الدكتور 662
 سيستاني 660
 سبط ابن الجوزي 91، 141
 السجزي 37
 سديد الدولة الجلائري 89
 سراج الدين المخزومي الرفاعي 97
 سراج عثمان 469
 سعاد هادي العمري 84
 سعد الدين أبو السعادات بن محمد الخالدي
 الديري 514
 سعدون اغا 199
 سعدي المالح 314
 سعيد الديوه جي 455، 606
 سعيد باشا بن سليمان باشا، والي بغداد 104،
 199، 228
 سكيئة بنت الحاج محمد اغا 200، 215
 سلام الشماع 50
 سلامي افندي 604
 سلجوقة خاتون الاخلاطية 569
 سلمان بن ناعس 204
 سلمان قطاية 31، 35
 سلمة بن بحير 350، 353
 سليم افندي 380
 سليم الأول، السلطان 324، 327، 369،
 370، 371، 549، 645
 سليم الثالث، السلطان 420
 سليم الدمشقي عطار زاده 597
 سليم النعيمي، الدكتور 455
 سليم طه التكريتي 85، 199
 سليمان افندي بجوي 111-119
 سليمان الخضير 366، 367
 سليمان الصانع 7، 419-454، 596، 597،
 297، 691
 سليمان القانوني، السلطان 111، 115، 118،
 119، 505، 648، 649
 سليمان باشا الجليلي 449، 464
 سليمان باشا الكبير، والي بغداد 102، 103،
 104، 105، 501، 579، 580
 سليمان بن احمد الخطيب 105
 سليمان بن عبد الملك 344، 347، 349، 350
 سليمان فائق 104، 409، 410
 السمعاني 153
 سنان باشا، والي دمشق 644، 645
 سنبل بن قتيبة الاربلي 88، 89، 138، 143
 سهيل صابان 306، 311
 سيدي علي، امير البحر 119، 257
 الشابشتي 157، 345
 شارل روسو 377
 شاه رخ 253
 شاه لبنى شمس الضحى الايوبية 143، 144،
 145، 146
 شرف الدين البلقيمي 365
 شرف الدين هارون الجويني 145
 شعيب الحريفيشي 272
 شكر الله خليفة 377
 شكري الفضلي 454
 شمدن آغا 601
 شمس الدين السكرجي 579
 شمس الدين سامي 99، 423، 454
 شموئيل جميل 453
 شهاب الدين ابن الخيمي 436
 شهاب الدين المقدسي 453
 شهاب الدين بن معتوق الموسوي 463

- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم 363، 335
شير بن بيرام 305
صادق بك بن سليمان باشا 203، 214، 221، 239
صافية بنت احمد 199
صالح احمد العلي، الدكتور 31، 148
صالح افندي 266
صالح افندي دباغ زاده الموصلية 597
صالح السعدي الموصلية 432
صالح الشنيب 290
صالح باشا المستاري 640، 649
صالح بن اسماعيل الخاصكي 214
صالح بن الحاج ولي 214، 234
صالح بن حسن بن عبدالله الخياط 251
صالح بن مدرك 363
صالح بن نصر الله بن سلوم 474
صالح جليبي ونة 420، 421
صالح صائب افندي 266
صالحة بنت السيد علي البندنجي 204
صالحة بنت علي السويدي 402
صبيح ناظم، الدكتور 552
صبغة الله الحيدري 457
صبيح بن عبدالله 90، 91
صديفي حمدي 287
صديق الدمولوجي 449، 450، 468
صديق بك الجليلي 449
صفوك شيخ شمر الجريا 387، 488
صفي الدين ابن عبد الحق 87، 89، 154، 161
صفية بنت جويجي 206
صلاح الدين الايوبي 143، 145، 511، 627
صلاح الدين عثمان هاشم 663
صنع الله الديري 515
طارق الحمداني، الدكتور 85، 90، 140، 140/209، 672
- طالب بن ابي هاشم 334
طاهر بن الحسين 48
طعان بن حبيب 217
الطغرائي 31، 38
طلحة بن احمد بن طلحة العاقولي 153
طه الباليساني 634، 636، 643، 650
طه بن صالح بن يحيى الديري 514
طومان باي، السلطان 325، 327، 369، 377
الطيب بن احمد الدير عاقولي 153
الطيرواني 444
ظهير الدين ابن الكازروني 89
ظهير الدين عبدالرشيد الولوالجي 366
عارف العارف 505
عالي بك 8، 573
عائشة خاتون بنت درويش الحيدري 247
عائشة خاتون بنت محمود افندي آل نظمي 207، 244، 245
عباس العزاوي 85، 105، 127، 237، 258، 261، 264، 267، 395، 337، 384، 400، 417، 423، 424، 434، 466، 573
عباس بن رجب البغدادي 98، 199، 207
العباس بن عبد المطلب 345
عباس بن علي المكي 258
عباس بن محمد بن فتاح 204
عباس حلمي القصاب 272، 400
عبد الباقي باشا الجليلي 449
عبد الحميد بن الصباغ البغدادي 426
عبد الحميد عبادة 406
عبد الرحمن ابن الجوزي 61، 84، 85، 91، 122، 141، 146، 153، 162
عبد الرحمن الكردي، وقاري 430
عبد الرحمن باشا، والي بغداد 201
عبد الرزاق البيطار 597
عبد الغني ال جميل 330
عبد الغني النابلسي 635، 636، 640، 652

- عبدالكريم المصري 619
عبد اللطيف داود 287
عبد الله بن فخر الدين 461
عبد المجيد بن عبد الله سحر 93
عبد الوهاب بن خليل ونة 415
عبد الوهاب بن عبدالقادرالبرزنجي 227
عبد الوهاب بن مصطفى آل المتولي 166
عبد الوهاب عبد الرزاق ونة 420
عبد بشوع خياط 691
عبد علي بن ناصر الحويزي 322
عبد العزيز بن ابراهيم السامري 270
عبد الباقي بن عبدالرحمن الخرزجي 517
عبد الجواد آل طعمة 253
عبد الحق قاضي لواء ديالى 230
عبد الحميد افندي الشيخ علي، القاضي 167
عبد الحميد الأول، السلطان 466
عبد الحميد الثاني، السلطان 596
عبد الحميد العلوجي 148
عبد الحميد عبادة 85، 100، 103، 106، 557، 579
عبد الرحمن ابن الجوزي 93
عبد الرحمن افندي آل جميل 251
عبد الرحمن الرحبي مفتي الشافعية 391
عبد الرحمن السويدي 85، 256، 270، 380، 383، 457، 395، 284
عبد الرحمن العمادي 619
عبد الرحمن القادري 195
عبد الرحمن باشا الجليلي 501
عبد الرحمن باشا والي مصر 323
عبد الرحمن بن احمد بن هاشم 250
عبد الرحمن بن الحاج محمود ونة 419
عبد الرحمن بن المستعصم 141
عبد الرحمن بن زين العابدين 202
عبد الرحمن بن شكر بن عبد الله 203
عبد الرحمن بن عبد السلام كما الدين
اللمغاني 126
عبد الرحمن حلمي العياصي السهروردي
419، 403، 271، 254
عبد الرحمن ونة 422، 420
عبد الرحيم بن ابي اللطف 517، 519
عبد الرحيم بن حسين العراقي 411
عبد الرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم 373
عبد الرزاق البيطار 393، 595
عبد الرزاق بن عبدالقادر البرزنجي 227
عبد الرزاق بن عبدالقادر الكيلاني 218، 222
عبد الرزاق كمونة 267
عبد الرواق بن درويش احمد 224
عبد السلام بن ادريس المراكشي 435
عبد الشكور القاضي بخراسان 230
عبد الصمد بن عمر العلمي 512
عبد العزيز، السلطان 406
عبد العزيز افندي القصاب 266
عبد العزيز القادري، نقيب الاشراف 195
عبد العزيز، السلطان 389، 390، 606
عبد الغني ال جميل 388، 386، 248
عبد الغني النابلسي 650
عبد الفتاح الواعظ 271
عبد الفتاح باشا الجليلي 327، 459، 460
عبد القادر أبو السعود المقدسي 623، 625، 636
عبد القادر البغدادي 322
عبد القادر الدنا 275
عبد القادر الكيلاني، الشيخ 97، 98، 117،
166، 167، 195، 323، 232، 225، 241، 432
عبد القادر المقدسي 643، 652
عبد القادر باشا زيادة 427، 433
عبد القادر بن عثمان الطوري 367
عبد القادر بن محمد العلمي 512
عبد القادر بن الحاج عبد الله القنديليجي 198
عبد الكريم الجيلي 339

- عبدالمجيد، السلطان 406، 625
عبدالمملك بن مروان 345
عبدالوهاب الشعрани 366
عبدالوهاب عزام 158
عثمان افندي بن مراد العمري 78
عثمان برتوافندي 208، 222
عثمان بك بن سليمان الجليلي 395، 409،
430، 425
عثمان بن سند 103، 328، 329، 382، 430
عجم محمد 380
عرفة بن أحمد الدجاني 513
عز الدين السويدي 28
عز الدين بن ابي الحديد 396
عز الدين علم الدين 397
عزالدين بن ابراهيم ابن زريق الكوفي 127
عزت افندي اوغلو 216
عصام الدين عثمان العمري 468، 455، 465
عصام محمد الشحادات 264
عطا ملك الجويني 71
عطار الحاسب 26
عفاف عبدالرحمن ونة 420
علاء الدين بن عبدالوهاب افندي 250
علاء الدين علي الاريلي 93
علاء الدين علي السكرجي 579
علاء الدين، الخواجة 219
علم الدين بن ربيع بن سليمان 510
علي اسحاق عبداللطيف 37
علي اغا بن سنان اغا 201
علي افندي بن مراد 226، 228، 229، 244، 250
علي الأجهوري 611
علي البصري 586
علي السيد الجرجاني 27
علي السيد علي 503، 507
علي الشبراملسي 611
علي العمري 448
- عبدالكريم بن الهيثم العاقولي 153
عبدالكريم جليبي بن الحاج محمود 204
عبدالله ابو هاشم 338
عبدالله افندي العمري 597، 599
عبدالله افندي بن الحجازي الحلبي 436
عبدالله الجبوري 410
عبدالله السمان 436
عبدالله السويدي 257، 258، 634، 636،
640، 642، 648، 653، 655، 391، 357
عبدالله العاقولي جمال الدين 154
عبدالله الغياث البغداودي 90، 140، 145، 209،
219، 575
عبدالله الناصري 391
عبدالله باشا والي بغداد 380
عبدالله بك الشاوي 198، 224، 215، 386
عبدالله بك بن الحاج محمد اغا 225
عبدالله بن ابراهيم الشميسان 406
عبدالله بن ابي هاشم 334
عبدالله بن احمد النسفي 367
عبدالله بن الحاج محمد عمر الراوي 430
عبدالله بن الحارث بن نوفل
عبدالله بن العباس بن عبد المطلب 345، 353
عبدالله بن حرب الكندي 363
عبدالله بن عمر بن حرب الكندي 361
عبدالله بن عمير 351
عبدالله بن فتح الله الغرابي 85، 320
عبدالله بن فخر الدين، الفخري 456
عبدالله بن محمد بن علي، ابن الحنفية، ابو
هاشم 333-363
عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن
ابي طالب 363
عبدالله جمال الدين العاقولي 164
عبدالله قاضي بغداد 202
عبدالله مخلص افندي 266
عبدالله بن محمد أمين بك 501

- علي القادري نقيب الاشراف 190، 192، 200، 202، 225، 228، 245
 عماد الدين الاصبهاني 125
 عمر آغا 251
 عمراغا ضابط خراسان 215
 عمر الفرضي 619
 عمر باشا متصرف شهرزور 604
 عمر باشا، والي بغداد 101، 238، 204، 239، 386
 عمر بن عبدالرحمن الفارسي 402
 عمر بن محمد بن أبي اللطف 508
 عمر بن محمد بن عبدالله العليمي 91
 عمر رضا كحالة 509
 عمر شهاب الدين البكري السهروردي 70، 72، 195، 200، 207، 592
 عمرو بن متى 453
 عميد الدولة ابن جهير 77
 عناية الله الصائغ بن العاقولي 164
 عواد بن حسين الوسطي 197
 عون بن ابي هاشم 334
 عياض بن غتم 606
 عيد الحافظ بصيري زاده 608
 عيسى آل حمادة 533
 عيسى بن صبغة الله الحيدري 457
 عيسى بن علي بن عبدالله 346
 عيسى صفاء الدين البندنجي 95، 96، 98، 203
 عيسى فتوح 533
 عين علي افندي 189، 276
 غياث الدين السلجوقي 123
 غياث الدين بن حميد 247
 غياث الدين محمد بن فضل الله، الوزير 247
 فاروق ابو زيد 380
 فاروق حنا 308، 313
 فاطمة بنت محمد بن عبدالله بن العباس 333
 فاطمة خاتون بنت بكتاش 206
 فاطمة خاتون بنت عبدالله 239
 فاطمة خاتون زوجة المقتفي 125
 علي القادري نقيب الاشراف 190، 192، 200، 202، 225، 228، 245
 علي الهادي 251، 255، 267
 علي الهادي 251
 علي باشا اللاظ، والي بغداد 78
 علي باشا قائم مقام بغداد 247
 علي باشا، والي بغداد 468، 578
 علي بدري السويدي 391
 علي بك الكبير 327
 علي بن ابي بكر الفرغاني 368
 علي بن ابي طالب ع 164، 334
 علي بن الحسين ع 342
 علي بن الشيخ حسن 206
 علي بن العباس المجوسي 475
 علي بن حسن بن أحمد الهكاري 511
 علي بن رضوان 26
 علي بن سليمان الديلمي المالكي 365
 علي بن عبدالعزيز 202
 علي بن عبدالله بن العباس 346
 علي بن علي بن يحيى ابن ناصر العلوي 125
 علي بن محمد الحميري 410
 علي بن محمد السمري 98، 99
 علي بن محمد سعيد السندي 393
 علي بن مراد افندي 250
 علي بن مرتضى العلوي الاصفهاني 124
 علي بن ياسين القره غولي 209، 248
 علي دده 113
 علي رضا باشا اللاز 128، 387، 388، 389
 علي علاء الدين الالوسي 392، 392، 396، 399
 علي علاء الدين عطا ملك الجويني 143
 علي كهية بن مصطفى 221
 علي مبارك 365، 366، 638
 علي مهدي محمد 84
 عليوي بن الحاج عبدالقادر 250
 العماد الحنبلي 508

- فاطمة خانم بنت احمد بك 233
فالتر هنتس 157, 155
فان فلوتن 361
فخر الدين الرازي 609, 362, 327
فضالة بن نمار 350
فضل الله بن محب الله الحموي 609, 234
610, 611, 612, 634, 635, 655
فتشنسو، الرحالة 286
فؤاد افرام البستاني 361
فؤاد جميل 259, 106
الفونس منكنا 697
فيصل الاول، ملك العراق 441, 439
فيض الله القادري 195
فيوله 105
قاسم القيسي 105
قاسم الوتري 4025
قاسم بن صلاح الدين الخاني الحلبي 408
قانسوه الغوري، السلطان 324
قس بن ساعدة 437
قسطنطين، الامبراطور 605
قصي آل فرج 446
كاظم الدجيلي 591, 590, 400, 391
كامل العملي 505, 504, 155
كراتشكوفسكي 692, 663
كريستوفر كولومبس 473
كسارة بن حسين 209
كلثوم بنت مصطفى 248
كلسم خاتون بنت اسماعيل اغا 225
كلمنت الحادي عشر، البابا 694
كلوديوس ريج 199
كليمنت التاسع، البابا 666, 662, 661
كليمنت الثاني عشر، البابا 696
كمال الدين الجيزاني 175
كمال الدين طاشكويري زاده 619
كمال السامرائي، الدكتور 31
- كوثر نجيب 309
كوركيس عواد 345, 273, 257, 158 / 90
409, 429, 435, 458, 600
كيتوبوقا 137, 87
كيخسرو بيك بن محمود باشا الجاف 240
كيراتاسيوس، البطريك 541
لايارد 454
لسترنج 60, 95, 156, 443, 604, 605
لطف الله الخازن بن خواجه شمس الدين 207
لطف الله الكلباكاني 99
لويس شيخوخو 691, 692, 693, 697
ليلي الصباغ 506, 613
مار إيايا الحيري 444
مار جرجيس 533
ماردوسا 150
ماريوسف الحلبي 542
مارون عبود 544
ماسنيون 105
المأمون، الخليفة 48
المتبّي 161, 162, 163
مجمد امين بن عبدالرحمن العباسي
السهورودي 128
مجيد الشهاب التكريتي 287
مجيد بك والي طربزون 576
مجير الدين الحنبلي 504
محب الدين ابن النجار 91
محسن الامين 99
محفوظ العباسي 450
محمد بن زكريا، ابوبكر 475, 474
محمد محمود الصميدعي 396
محمد ابن الاكفاني السنجاري 31
محمد ابن الرئيس 429
محمد ابو البركات الاعرجي 595
محمد أبو السعود 624, 626
محمد أبو الفضل ابراهيم 152

- محمد بجوي افندي 616
محمد بدر الدين الفساني 366
محمد بديع بك بن محمد أمين بك 502، 501
محمد بن إبراهيم البوشنجي 462
محمد بن أبي اللطف 508
محمد بن ابي طالب الانصاري، شيخ الريوة 437
محمد بن أحمد الدجاني 513
محمد بن البزاز الكردي 517
محمد بن الحنفية 338، 335، 339، 357
محمد بن الرشيد 592
محمد بن بدر الدين الغزي 366، 367
محمد بن جهير، عميد الدولة 61
محمد بن خالد المروزي 152
محمد بن سعد بن عبدالله بن مصلح الديري 514
محمد بن صالح الدجاني 513، 517، 521
محمد بن عبد الرحيم بن أبي اللطف 510
محمد بن عبدالحق بن محمد أبي اللطف 509
محمد بن عبدالحليم البورسوي 616
محمد بن عبد الرحيم السويدي 401
محمد بن عبدالله التمرتاشي 366، 368
محمد بن عبدالله الهاشمي الكوفي 127
محمد بن عبد الملك الهمداني 95
محمد بن عبد المنعم الجوهري 508
محمد بن عبد الواحد ابن همام 368
محمد بن علاء الدين المزجاجي 395
محمد بن علي العباسي 341
محمد بن علي العلمي 511، 518
محمد بن علي بن جعفر 342
محمد بن علي بن عبدالله بن العباس 7
348، 349، 350، 352، 354، 351، 353
354، 356، 358، 357، 362
محمد بن علي بن قاسم البيروتي 402
محمد بن علي بن منصور الحصفطي 507
محمد بن علي جاووش 208
- محمد آغا بن حاجي جرجيس 604
محمد اغا بن احمد اغا 208
محمد اغا قزلار 639
محمد أفندي الأزهري الحموي الكيلاني 433، 426
محمد أفندي الموصللي شعار زاده 597
محمد افندي النقشيتندي القادري 608
محمد افندي بن عبدان افندي زاده 199
محمد افندي حمزاوي زاده 597
محمد أفندي عرب زاده 604
محمد الارناؤرط 637
محمد الامين 48
محمد التاهلاتي 435
محمد الحزماوي 635
محمد الخالدي الديري 516
محمد السلجوقي، السلطان 77
محمد السماوي 25
محمد الششتاوي 372
محمد العبدلي الطبيب 468
محمد الغزي 637، 644، 649، 653
محمد القادري النوري 608
محمد امين افندي مفتي الحلة 409
محمد امين الحلواني 102
محمد امين السويدي 6، 391
محمد أمين المحبي 609، 613، 614
محمد أمين باشا الجليلي 459، 460، 465
محمد امين بك ال ياسين المفتي 7، 455-502
محمد أمين بن خيرالله الخطيب العمري 449، 455، 458، 464، 502
محمد أمين زاده 105
محمد باشا ، الوزير الاعظم 78
محمد باشا ابو نبوت 618، 658
محمد باشا السلحشور 247
محمد باشا رشيد كورجي 449
محمد باشا ميركور 444، 451

- محمد بن علي لن عبدالله بن العباس 335
 محمد بن عمر بن محمد العلمي 512, 511
 محمد بن عيسى الديرى 516
 محمد بن فخر الدين الاقسرائى 28
 محمد بن محمد ابن النحاس البغدادي 125
 محمد بن محمد الزبيدي الحنفي 395
 محمد بن مراد ابو الفضل 401
 محمد بن مصطفى كهية 203
 محمد بن موسى المسيلي 520, 519
 محمد بن موسى بن علاء الدين العسلي 515
 محمد بن يوسف ابو اللطف 518, 515
 محمد بن يوسف الهروي 27
 محمد بهجة الاثري 101, 103, 123
 محمد تاج الدين بن مصطفى 624
 محمد ثريا 99, 100, 102, 104
 محمد جميل روزياني 200
 محمد خيلاني زاده 199
 محمد رشيد باشا 233
 محمد رشيد قاضي بغداد 391
 محمد رؤوف الشبخلي 84
 محمد سامي عبد الحميد 377
 محمد سري الدين 620
 محمد سعيد الراوي 92, 104, 105, 105, 106
 272, 389, 392, 398, 403, 458, 581
 محمد سعيد السويدي 391-419
 محمد سعيد الطنطاوي 635
 محمد سعيد القادري 391
 محمد سعيد بك بن ياسين افندي زاده 501
 محمد سليم بك بن محمد أمين بك 501, 502
 محمد سيد كيلاني 335
 محمد شاكر الموصلى 599
 محمد شفيق افندي 266
 محمد صادق نشأت 87
 محمد صالح السهروردي 102, 105, 107
 191, 222, 255, 264, 205, 219, 225
 محمد صالح العباسي 264
 محمد صالح جليبي 229
 محمد طاهر شريف افندي قاضي بغداد 217
 محمد عبد الحق اللكنوي 366
 محمد عبدالعزيز مرزوق 552
 محمد عبدالله القدحات 47
 محمد عبد المحسن السهروردي 128
 محمد عبد المنعم العريان 127
 محمد عزتي 612
 محمد علي الانسي 312
 محمد علي الرافعي 367
 محمد علي الشوكاني 617
 محمد علي بن عبداللطيف 204
 محمد كبريت المدني 634, 637, 652
 محمد مخلص ملا زاده 165
 محمد نافع المصرف 166
 محمد نجم الدين الانصاري 619
 محمد نوري الموصلى 499
 محمد هليل المرادي 635
 محمد يوسف حسن 38
 محمود ابراهيم 503
 محمود ابن قاضي سماونة 368
 محمود ابو الثناء الالوسي 293, 294, 410, 595
 596, 605
 محمود افندي بن السيد عبدالقادر بن مراد
 افندي 222
 محمود افندي بن رؤوف افندي آل المتولي 166
 محمود الثاني، السلطان 190, 241, 406
 421, 432, 624, 625, 629
 محمود الجليلي، الدكتور 466, 469
 محمود بسيوني خفاجي 38
 محمود بك آل شريف بك آل ياسين المفتي 456

- محمود بن احمد الزنجاني 126
 محمود بن عبدالله 229, 208
 محمود بن محمد، شهاب الدين الخفاجي 611, 610
 محمود حسين الامين، الدكتور 85, 259, 561
 محمود شكري الألوسي 85, 96, 100, 103,
 105, 106, 164, 330, 384, 386, 387
 392, 398, 400
 محيي الدين بن محيا العباسي 127
 المختار بن ابي عبيدالله الثقفي 337, 342, 340
 مخرم بن يزيد 122
 مدحت باشا، والي بغداد 64, 74, 79, 129,
 167, 390, 478, 577, 581, 585
 مراد الثالث، السلطان 112
 مراد الخامس، السلطان 390
 مراد الرابع، السلطان 78, 102, 112, 166,
 591, 610
 مراد بن الحاج نعمة 217
 مراد جليبي 641
 مرتضى بك بن مصطفى بك الكردي
 الدمشقي 372
 مرتضى نظمي زاده 84, 89, 94, 95, 96,
 98, 100, 165, 252, 256, 579
 مرعي بن يوسف الكرمي 517, 518, 519, 520
 مريم بنت الحاج عبد الله النعمة 419, 421
 مريم بنت سيد ابراهيم 204
 مريم بنت طربوش 659
 المسترشد بالله 61, 63, 64, 87
 المسترشد بالله 77
 المستضيء بالله 91, 141
 المستظهر بالله 61, 63
 المستعصم بالله 87, 90, 92, 137-148
 المستنصر بالله 93, 561
 المستنجد بالله 62, 124
 المستوفي القزويني 154
 مسعود بن سعد اليزدي الحنفي 124
 المسعودي 152, 319, 342, 348, 352
 المسعودي 319
 مسكويه 152
 مشيحا زخا 453
 مصطفى اغا دار السعادة 618
 مصطفى افتدي بن حمد 205
 مصطفى افندي بن الملا محمد افندي 198
 مصطفى الاول، السلطان 638, 642
 مصطفى الرابع، السلطان 420
 مصطفى الطويل 105
 مصطفى القضاض 127
 مصطفى بن فخر الدين العلمي 512
 مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي
 167, 168, 634, 258, 284, 635, 640, 643,
 650
 مصطفى بن محمود افندي القره داغي 240
 مصطفى جواد، الدكتور 85, 89, 90, 127,
 139, 140, 141, 143, 270, 270
 مصطفى شاكر 347
 مصطفى شريف العاني 31
 مصطفى عاصم باشا 580
 مصطفى قبالان باشا، والي بغداد 94, 96,
 98, 99, 100
 مصطفى كامل قاضي الموصل 599
 مصطفى مراد الدباغ 623, 625
 مصطفى وفي جميل زاده 599
 المعتصم بالله 258
 معروف اغا السلاحدار بن عبدالله 231
 مغيث الدين محمود بن محمد السلجوقي 124
 المقتفي بالله 62, 63, 77
 المقداد الكندي 175

- ناظم العمري 501
 ناظم باشا ، والي بغداد 590
 نافع توسا 602
 نائلة بنت محمد امين السويدي ، 402 ، 405
 نائلة خاتون بنت عبدالرحيم 215 ، 248
 نائلة خاتون بنت عبدالله 248
 نبوخذنصر 570
 نبيلة عبدالمنعم 152
 نجم الدين الغزي 610
 نجم الدين الواعظ 105
 نجيب الدين السمرقندي 471 ، 473
 نجيب باشا ، والي بغداد 200 ، 244 ، 245
 نصوح افندي مطراقي زاده 115 ، 116 ، 244 ، 244
 253 ، 549
 نصير الدين الطوسي 92 ، 152
 نظام الملك 121
 نعمان افندي متولي الأغممية 576
 نعمان بن احمد الاعظمي 105
 نفيس بن عوض الكرمانلي 473
 نقولا سيوفي 454
 النهروالي 327
 نوري الجراح 663 ، 666
 نوري عبدالحميد العاني 219 ، 252
 نوما المرجي 444
 نيبور ، كارستن 85 ، 86 ، 100 ، 257 ، 561 ، 564 ، 571
 نيجهولت 261
 نيقولا سيوفي 451
 هادي بن حبيب بن خليل 229
 هارون الخادم 123
 هارون الرشيد 48 ، 69 ، 141
 هاشم الوتري 435
 هبة الله البقلي 365
 المقدسي 152 ، 156
 المقرئزي 360
 ملك احمد باشا ، والي بغداد 100
 الملك الأشرف موسى بن الملك العادل 613
 ملكشاه الاول بن الب ارسلان ، السلطان 121 ، 122 ، 123 ، 164 ، 606
 المنشي 305
 المنشي البغدادي 263 ، 228 ، 600 ، 612
 منصور الغزواني 612
 منير العبيدي 206 ، 223 ، 227 ، 243
 المهدي عيد الزاضية 517 ، 634
 مهدي الرجائي 92 ، 142
 المهدي ، الخليفة 46 ، 58
 موستراس 264 ، 265
 موسكاتي 361
 موسى الخالدي ، قاضي العسكر 624
 موسى الفادري البندنجي 203
 موسى الكاظم ع 267
 موسى كاظم نورس 165 ، 205 ، 252 ، 409 ، 579
 مولود أحمد 289 ، 290
 مؤيد الدين ابن العلقمي 116
 ميخائيل عواد 152
 ميسرة النبال 351 ، 354
 مينان 454
 نابليون بونابرت 327
 نابي خاتون بنت عبدالله 228
 ناجي معروف ، الدكتور 93 ، 151
 نادرشاه 78 ، 196 ، 448 ، 451
 ناصر الدين الحسيني المدرس في سامراء 272
 ناصر الدين القاجاري 260
 ناصر عبدالرحيم حسين 112
 الناصر لدين الله 62 ، 63 ، 66 ، 91 ، 123 ، 126 ، 141 ، 571

- يعقوب بكر 688
 يعقوب بن السيد يوسف الكيلاني 222
 يعقوب بن الليث الصفار 152
 يعقوب سركيس 158، 276، 420، 591، 660، 662، 663، 667، 692
 يعقوب صروف 526
 يعقوب قاضي بغداد 202
 اليعقوبي 84، 152، 153، 163، 319، 344، 358
 يوحنا الطريد الموصلية 444
 يوسف ابن اسماعيل، ابن منكو اللمغاني 126
 يوسف ابن الكتبي 93
 يوسف اغا 199
 يوسف افندي السويدي 391
 يوسف الثاني، البطريك 695
 يوسف العطا 105، 106
 يوسف اليان سركيس 366
 يوسف باشا الوزير الاعظم 326
 يوسف باشا شمدين اغا 601
 يوسف بك بن داود باشا 225
 يوسف بن احمد الاوالي 410
 يوسف بن الشيخ محمد علي 224
 يوسف بن محمد الشريبي 436
 يوسف بن محمد أبي اللطف 509، 517
 يوسف بن محمد الشريبي 425
 يوسف بن محمد العبادي السامري 270
 يوسف تمر خان 203
 يوسف داغر 544
 يوسف درويش عوانمة 503
 يوسف سبط ابن الجوزي 90
 يوسف كتعان افندي 266
 يوليوس ولهاوزن 360
 يونس ابراهيم السامرائي 272، 273، 263
 يونس افندي كمال الدين مفتي الموصل 597
 يونس بن ضبيان 355
 هبة الله بن علي السامري 270
 هدايت باشا 590
 هرزفيد 105
 هند بنت ابي سفيان 349
 هندوشاه النخجواني 219
 هولاکو 87، 88، 89، 115، 137، 138
 واصل بن عطاء 334
 وانا احسان إلهي 35
 وليد الاعظمي 145، 386، 457
 وليد النقيب 595
 الوليد بن عبد الملك 340، 342، 343، 346، 356، 359
 الوليد بن يزيد 344، 345، 346، 348
 الياس بن حنا الموصلية 9، 798، 659
 ياسين افندي المفتي 455
 ياسين بن خير الله العمري 94، 97، 100، 288
 325، 326، 327، 328، 431، 455، 456، 457
 467، 468، 474، 601
 ياسين ونة 421
 ياقوت 70، 71، 91، 122، 140، 141، 152
 156، 158، 160، 196، 205، 220، 242
 223، 267، 352، 419-444، 453
 ياور افندي كاتب فارسي زاده 216
 يحيى المفتي الموصلية 456
 يحيى باشا الجليلي 468
 يحيى بن المظفر بن الحسن بن بركة البغدادي 125
 يحيى بن درويش الدجاني
 يحيى بن زكريا المعصراني 515
 يحيى بن زكريا، شيخ الإسلام 610
 يحيى بن شرف النووي 413
 يحيى بن قاسم التكريتي 124
 يحيى بن ماسويه 31، 38

الامكنة والبلدان

- ابوكدره 244, 242, 241
 الاجيلح 178
 احمد مزيان، قرية 173
 الاخيضر 58
 ادنه كوي 224, 208
 الادهم 239
 اذريجان 510
 اربيل 85, 120, 131, 134, 175, 311, 315, 316
 450, 636
 الاردن 340
 ارسوف 550, 626, 628
 أرغني 606
 أركلي 615
 الارميلات 178
 أزمير 100, 573
 ازنيق 626
 اسبانيا 540, 683, 659
 استانبول 72, 167, 337, 423, 435, 385, 421, 509, 550, 574, 616, 624, 626, 630, 636
 أستراغون 550
 اسطه احمد، قرية 173
 اسكدار 550, 626, 628, 629
 الإسكندرونة 573, 695, 696
 الاسكندرية 326, 377, 423
 الاسكندرية في العراق 270
 أسكي سرايه، بتستانبول 630
 اسكي موصل 695
 اسماعيل محميميد، قرية 173
 أصبهان 125
 اضالية 626, 627
 اضطريرد 151, 153
 اعدادية الكرخ للبنات 594
 الاعظمية 49, 90, 140, 145, 582
- ابراهيم الضاحي، قرية 173
 ابراهيم بك، قرية 176
 ابراهيم مهدي صالح، قرية 173
 ابراهيم يحيى، قرية 173
 ابو نخل 181
 ابو الخنازير 182
 ابو تينة 182
 ابو جراد 183
 ابو جسرا 183, 190, 191, 192, 228
 وينظر: باجسرا
 ابو جسرا ابو جريش 191
 ابو جسرا الحساوية 191
 ابو جسرا السعيدات 191
 ابو حصيوه 178
 ابو خميس 182
 ابودهلاية 179
 ابو زهرة 220, 225
 ابو سباع 182
 أبو سمك 165
 ابو شجاع، مزرعة 166
 أبو شهر 574
 ابو صيدا 182, 183, 192, 225, 226, 238, 244
 ابو صيدا الصغيرة 193
 ابو صيدا الكبير 243
 ابو صيدا الكبيرة 192, 193, 243
 ابو ضبع 182
 ابو طابة 191, 193
 ابو ظبي 31, 258, 363, 636, 550, 552
 ابو عاكول 182
 ابو عجل 182
 ابو فياض، قرية 175
 ابو كدره 226
 ابو كرمه 194, 226, 244

- ايوان الطب في المستصرية 87، 92، 93، 98، 94
- الباب الابيض 73 وينظر: باب الوسطاني،
باب الظفريه
- باب الأزج 592
- الباب الاظلم 71 وينظر: باب الصلية،
الباب الشرقي
- باب البستان 61
- باب البصرة 47، 57
- باب البصلية 64، 556 وينظر: باب باب
كلوادي، الباب الشرقي، الباب الاظلم
- باب البيض بالموصل 444
- باب الجسر ببغداد 560، 567
- باب الحلبة 62، 71، 117
- باب الخندق ببغداد 557، 558
- باب السلطان 64، 57، 66، 115، 116، 577
وينظر: باب المعظم
- باب الشام 47، 57
- الباب الشرقي 64، 82، 87، 115، 118،
137، 556، 577، 590، 591
- باب الشمال 253
- باب الصغير بدمشق 613
- باب الطلسم 66، 68، 71، 80، 82، 83، 84،
117، 556، 563، 577 وينظر: باب الظفريه
- باب الظفريه 64، 60، 62، 66، 67، 68،
71، 77، 122، 137
- باب العامه 61
- باب الفراديس 650
- باب القاطون، سامراء 259، 260
- باب الكرخ 95
- باب الكوفة ببغداد 47، 57
- باب المحول 99
- باب المراتب 62، 64
- الباب المشؤوم = باب الخندق
- الاعوات 176
- ام التمر 181
- ام الحمام 183
- ام الحمور 217
- ام الحوالي 182
- ام الرمان 182
- ام جمل 182
- الامام 175
- امام جيزاني 194
- امام دور 284
- امام عباس 175
- امام عسكر 175
- امام قرانية 244
- امام منصور 175
- الامام ويس 175
- امانة بغداد 43
- امجد باشا، قرية 176
- أمد 995
- أمد = ديار بكر
- امريكا 661
- امريكا الجنوبية 683
- الاناضول 370، 369
- أنطالية 423، 424
- أنقره 552
- أهرام الجيزة 118
- اوانا 252، 253
- اوربا 99، 112، 538
- اوربا الشرفية 370
- اورشليم 701
- اورفه = الرها
- ايا صوفيا 28، 37
- ايح قلعة = قلعة بغداد
- ايران 87، 510، 549
- ايطاليا 661
- ايلجي خاني 113

- الباب المظلم 118 وينظر: الباب الاظلم،
 باب الصلية، الباب الشرقي، باب كلواذى
 باب المعظم 64، 66، 71، 75، 116، 122،
 557، 566، 577، 581، 582
 وينظر: باب السلطان
 باب الملطوش، سامراء، 259
 باب الناصرية، سامراء 259
 باب النهر 556
 الباب الوسطاني 57، 60، 64، 71، 72، 73،
 75، 76، 77، 78، 79، 81، 117، 122، 122، 592،
 وينظر باب الظفيرية
 باب بدر 61
 باب بغداد 259، 260
 باب حرب، مقبرة 593
 باب خراسان في الرصافة 49
 باب خراسان في مدينة المنصور 47، 49، 57
 باب زويلة 325
 باب سوق الثلاثاء 69
 باب كلواذى 64، 71، 82، 87، 118، 137،
 556، 577
 باب لكش بالموصل 444
 بابا بلاوي 215
 باتاس 309
 باجسرا 172، 190، 197، 250
 البارودخانه باستانبول 73
 باريس 28، 116، 454
 بازول احمد بك 176
 باسورين 445
 باصيدا 183، 190
 باعقوبا 183
 بافخاري 44
 باقدرا 241 وينظر: ابو كدره
 باورمان 224
 البتراء 340
 بتليس 573
- البحر الاحمر 370
 البحر المتوسط 370
 بحر مرمرة 626
 بحركة 314، 318
 بدنية 344
 البدنية، اراضي 250
 بدورية 194، 220، 221
 برمحولة 219
 البرازيل 665
 البرتغال 661
 برج العجمي 117
 البرداية 182
 البردر 626
 بردل 626
 برقانية = بركنية
 برقة 369
 برقنية 183، وينظر: بركنية
 برقنية 246
 بركة القطراني 654
 بركة البداوي 654
 بركة الحاج 118
 بركة جب يوسف 653
 برنيج 154
 بروانه 196
 بروانه حمدانية 196
 بريدة، نجد 329، 399، 401
 بريطانيا 385
 البسفور 629
 البصرة 150، 155، 167، 270، 287، 328،
 328، 384، 385، 574
 بعرورة 284
 بعشيقا 445، 458، 491، 462، 464
 بعقوبا 119، 172، 175، 177، 180، 186،
 189، 190، 196، 197، 198، 199، 205
 208، 209، 219، 224، 242، 270

بغداد	7, 6, 28, 29, 31, 45, 47, 48, 177
بني زيد	48, 47, 45, 31, 29, 28, 7, 6
بني سعد	99, 89, 87, 85, 84, 61, 60, 58, 57, 49, 204
بهدينان	94, 95, 97, 98, 100-106, 107, 111-
بهرز	119, 132, 134, 137, 128, 128, 152, 158, 172, 198, 204, 205, 209, 242
البو عكله	162, 163, 165, 166, 209, 190, 256, 220, 177
البو عواد	225, 151, 199, 200, 343, 244, 252, 177
البوجواري	257, 259, 264, 271, 270, 284, 305, 177
بودجة	273, 379, 380, 381, 382, 385, 386, 174
بودليانا	389, 392, 398, 396, 404, 411, 417, 28
بوزجة = بودجة	419, 420, 421, 574, 288, 305, 403, 207
بوليفيا	406, 407, 419, 420, 421, 456, 458, 661
بومباي	550, 554, 555, 560, 563, 595, 574, 574
بومبي	648, 695, 660, 694, 407
البغدان	549
البغليل، أراضى	207
البقاع	92, 142
بقلي، أراضى	199
بكر اغا، قرية	176
بلاد الروم	609
بلاد الشام	8, 329
بلاد الصين الجنوبي	683
بلاد المغرب	325
بلاد جين وما جين	698
بلاد روزين	175, 199, 200
بلاشة	253
البلاليق	286
بلد	420
بلد البرير	696
بلدروز = بلاد روزين	
بلغراد	112, 550
البلقاء	348, 352
بنارق	153, 154
بندنيجين (ينظر مندليجين، مندلي)	
بنما	661
بني جعفر	253
بيروت	87, 93, 110, 116, 127, 154, 382, 377, 367, 275, 270, 264, 256
بيرة	643, 207, 696
بيرو	661
بيت لحم	653
بئر رميض	166
بيت جبرين	655
بيت المقدس	503-524, 607
بيت اشكفيل	150
بيت آراماي	150
بوناس أيرس	665
بيزة	696
بيزع	182
بيسان	607
بيعة سوق الثلاثاء	90
البيمارستان الصلاحي	504
تابية الاغا	74
تابية الباب الوسطاني	
تابية التراب	74
تابية الشيخ عمر	74

- تالفة الفتح 73
 تاجفة 242
 التاجفة، قرفة 208، 226
 تبرفز 550
 التحوفة 180، 207
 تخترفن 696
 تختكان 695
 ترب الرصافة 90، 140
 ترفة أطف افوب الانصارف 624
 ترفة الشفخ عبدالقادر الكفلافن 592
 ترفة شمس الضحف الاطففة 144، 145
 الترفك 216
 تكة 423
 تكرفف 252، 257، 258، 264، 275-290
 تكة الحاج بكفاف 202
 التكة الخالففة 394
 تكة الرفعافة بفبل لبنان 654
 تكة السفد على البنفنفف 204
 تكة السفد كاسب 201
 تكة الشفخ موسى فف منفلف 203
 تكة المولوفة ببفداد 383
 تكة المولوفة بدمشق 649
 تكة اوووان 201
 تل ابو سمك ، قرفة 168
 تل ابو صخفر، قرفة 160
 تل اطفض، قرفة 178
 تل افرم، قرفة 178
 تل اسمر، قرفة 178
 تل الامفلف، قرفة 178
 تل البناف، قرفة 284
 تل الذهب، قرفة 284
 تل السعففة، قرفة 207
 تل العلفق، قرفة 261
 تل القماز ، قرفة 158، 159
 تل الملاقط، ثرفة 235
 تل النصففة، قرفة 235
 تل النعمان 155، 156، 162
 تل فسفن 284
 تل خشم الافمر، قرفة 178
 تل كطففة ، قرفة 170
 تل كرسفل 241
 تل مسفر 191
 تل مومرس 284
 تلطفف 600، 601
 تلموز 695
 تلول الافر 167، 168، 159، 161، 167
 تلول الشاعورة 170
 تمرخان، ارفض 203
 الففورة، مرفة 70
 فوفاف 112
 فوفس 424، 429، 502
 الففانوفة المرفكفة ببفداد 580
 ففنة الخفالة ببفداد 129
 فامع الشرفاء بفمص 645
 فامع ابراهفم بن اأهم 656
 فامع ابن عربف 645
 فامع اطف افوب الانصارف 628
 فامع افرم افنفل ببفداد 209
 فامع الافمففة ببفداد 203، 325، 581
 فامع الازفك 64
 الفامع الازهر 321، 374، 382/510، 611
 فامع الافرفة 87، 383
 فامع الأكراف بفمص 645
 فامع الامام الافظم اطف فنففة 118، 209،
 ، 148، 239، 271، 277، 593
 الفامع الأموف بدمشق 613
 فامع البفر بدمشق 644
 فامع الفاولف 656، 657
 فامع الفراف بدمشق 613، 622
 فامع الفرفة 128

- جامع الحيدر خانه 194
جامع الخاصكي 209, 102
جامع الخلفاء 70, 91, 132 وينظر: جامع
القصر
جامع الرملة الكبير 627
جامع السربحنص 645
جامع السلطان ببغداد 123-130
جامع السليمانية بدمشق 648, 657, 658
جامع السيد سلطان علي 229, 593
جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني 119, 294,
196, 202, 228, 234, 244, 446,
جامع الشيخ عمر السهروردي 70, 71, 72,
73, 74, 75, 76, 78, 79, 200
جامع العادلية 248
جامع العاقولي 164, 165
جامع القبة الخضراء 47, 48
جامع القبانية 89, 90, 92, 93, 94, 95, 96,
97, 98, 99-105, 106, 108, 109, 110
جامع القصر 91, 134, 127, 216, 217,
جامع القطيفة 615, 644
الجامع الكبير في ديار بكر 607
الجامع الكبير في مندلي 204
جامع المهدي بالرصافة 90, 140
جامع النصرينابلس 657
جامع النعمانية ببغداد 206
الجامع النوري بالموصل 606
جامع الوزير ببغداد 89
جامع الوصي = جامع الحرية
جامع يعقوبية 197, 198, 205, 215
جامع بهرز 205
جامع حسية 656
جامع حسين باشا السلاحدار في بغداد
102, 247
جامع حمص الكبير 644
جامع داقوق 131
جامع درب دينار 89
جامع رأس العين 644
جامع سامراء 123
جامع سراج الدين 97
جامع سلمان الفارسي 167
جامع سليمان بن خالد في ديار بكر 606
جامع سنجار 131, 134
جامع شهاب الدين أحمد بن عثمان 656
جامع شهربان 230
جامع علي افندي 205, 224, 226, 242,
جامع كوجك عمر اغا = جامع بهرز
جامع مرجان 69
جامع معروف الكرخي 593
جامع يافا الكبير 657
الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة 406
جامعة الحكمة ببغداد 409
جامعة الروح القدس 526
جامعة شيكاغو 172
جاوشية 208
جاي كنكر 240
الجبايلة 177
جبال الشراة 348
جبرائيل الكشكري 150
جبل 162
جبل شمر 401
جبل لبنان 654
جدول العامرية (في دياالي) 200
الجديدة 188, 219, 575
الجديدة (قرب دير العاقول) 153
جديدة الاغوات 208, 209 / 575/
جديدة الشط 208, 575
جديدة خضر باشا 209
الجراحية 695
جرجرايا 156
الجرف الاحمر 225

- حد بوزجة 241
حد مزيد 241
حد مزيد ، قرية 220
حد مكسر 216
حدبثة 404، 287
الحديد، قرية 177
حديقة البلدية = حديقة النجيبية
حديقة النجيبية 578
حراسان 341، 241
حريتيلة 191
حربي 257، 253، 252
الحرم الإبراهيمي 624
الحرم القدسي 624
حرم سرية 253
حريسان = خراسان
حزانة الشريف الزيدي 91، 92
حزانة يعقوب سرقيس 509
حسان كوله، ارض 221
حسب الله الناصر، قرية 173
الحسر العباسي في زاخو 601
حسن حمزة، ارض 198
حسية 641
حسين خليل علي، قرية 173
حسين عناد، قرية 173
حصار (اي قلعة) دلي يوسف في مندلي 204
حماية 253
حصرون 525
حصن كيفا 574
الحقاير 179
حلب 100، 119، 270، 420، 423، 425،
431، 533، 540، 541، 542، 513، 525،
529، 533، 540، 541، 610، 641، 659،
542، 696
الحلة 119، 270، 550
الحلفاية 182
جرف النداف 180
الجزائر 424
الجزيرة ، قرية 180
جزيرة ابن عمر 574، 510
الجزيرة العربية 330
جزين 543
جسر الشغور 615
جسر الشهداء 580، 560
جسر المأمون 580
جسر الموصل 457
جسر بغداد 560
جسر مراديس 696
الجلاب 695
جلب 388
جلبي، قرية 344
جلجولية 620، 626
جمال جاسم حسين، قرية 173
جمعورلي مغارة 696
جواد البشو ، قرية 173
جواد كاظم ذنون، قرية 173
الجوسق 253
جيحون 419
جيزان 175
الجيزاني 194، 228
جيزاني الامام 175
جيزاني الجول 175
جيزاني ثعلب 175
حامد حميش، قرية 173
حامد سلمان السعدون، قرية 173
حان السندقلي 629
حان بيلان 649
حان محمد باشا 615
حائل 401
حبيب الخيزران، قرية 175
الحجاز 635، 267، 258

- حلوان 190
حماة 655, 654, 652, 404
حمادي سلطان سعيد، قرية 173
حمام سراي بيروت 652
حمام علي 465, 286
حمام مصطفى باشا بدمشق 652
حمام مندلي 201
الحمادات 574
الحمدانبة 196
حميرين، جبل 224
حمص 641, 506, 645, 640
حميد ابراهيم، قرية 173
حميد الرشيد، قرية 173
حميد السبع، قرية 173
الحميمة 352, 351, 350, 346, 342, 340
حوار 696
حوارة 340
حوران 505
حوى 284
الحويش 180
حي الشيخ عبدالقادر الكيلاني 388
حيدر اباد 124, 122
حيدر عريبد، قرية 173
الخاتونية أراضى 193
الخالص 205, 181, 180, 176, 175, 114
209, 219, 221, 228, 229, 246, 333
250, 334
خان اسعد باشا العظم في حماة 654
خان إسماعيليات 695
خان الحاج وجيه 250
خان الخرنيني 284
خان الزبيب 641
خان الشغور 649, 640, 639
خان العظم 641
خان الغرابي 286
خان القطيفة 641, 615
خان اللد 643, 629
خان المزراقجي 284
خان المفتي بالموصل 456
خان المواصلة 580
خان النبك 643, 641
خان اليوسفية 131
خان بريح 643
خان بني سعد 205, 204
خان بيرام زاده 615
خان تومان 641
خان جب يوسف 640
خان حارملك 695
خان حسية 641
خان حمص 641
خان شيخون 637
خان مرجان 197
خان معرة النعمان 641
خان يني شهر 629
خانقين 240, 215, 214, 176
خانقين 550
الخانوقة 286
خرالتاج 168
خرالهيدير 216
خرالوحش 172
خراسان 218, 216, 215, 208, 192, 190
356, 354, 342, 245, 229, 223, 224, 220
خريش، قرية قرب نابلس 515
خرق البروانة 196
خرمآباد 216
خرنابات 218, 217, 216
الخرارعة 177
خزانة كتب القبلانية 105
الخرزج، قرية 177
خسته خانه المجيدية 578

درب أبي خلف 95	الخضيرية 207
درب الزنجير 87	خلف حسين، قرية 173
درب السلسلة 87	الخليج العربي 330
درب المسعودة 87	خندق بغداد 118
درب النهر 70	خندق سور بغداد الشرقية 63، 67، 69، 75،
درب دينار الصغير 87، 89	77، 79، 84
درب دينار الكبير 87، 90، 541	الحوالص 218، 219
الدرعية 329	خوي 256
دركنة 308	الخويلص 180
ديركنك 239	الداثر 244
دعيمي 695	دار الخلافة العباسية 60، 61، 87، 88،
الدفترخانة ببغداد 560	91، 114، 115، 137، 138
دقلي 232	دار الخلافة في القاهرة 366
دلي عباس 177، 227	دار السلطنة السلجوقية 121، 126، 128
دلي عباس = دلب عباس	دار الشريف الزيدي 92
الدليم، قرية 177	دار الشفاء المرجانية 189، 200، 205،
دمشق 91، 119، 120، 127، 128، 291، 395،	214، 220
270، 342، 344، 346، 391، 393، 395،	دار القرآن المستنصرية 87
397، 395، 350، 505، 506، 511،	دار الكتب المصرية 31، 636، 631
512، 513، 610، 612، 616، 636، 652	الدار المثمنة 89، 114
دميرقابي 695	دار المحاكم المدنية ببغداد 560
الدنيا الجديدة (قارة امريكا) 471	دار المخطوطات العراقية 95، 97، 104،
ده شيخ 203، 221	125، 697
دهوك 445، 601	دار المشرق 526
الدواليب، قرية 180	دار الوثائق القومية في القاهرة 387
دوب الجمل 218	دار كعب 95
دوخلة 98، 176، 219، 221	الداركية 218، 219
الدور العليا 264	الدامغة 227
دورة، قرية 194، 218، 220	دائرة الكمرک ببغداد 580
دوري = دورة	الدباغية 177، 209
الدولاب، قرية 180	دجيل 242، 252، 253، 265، 420
ديار بكر 99، 112، 117، 550، 573، 577،	الدحلة 178
595، 597، 604، 605	الدخالة 165، 170
ديالى 118، 171، 173، 186، 192، 194،	دخن 182
196، 189، 215، 222، 224، 286، 344،	ددا قرطين 695

- 173 رشيد الكيطان، قرية
 الرصافة 49، 58، 61، 90، 96، 140، 141، 577
 رضوى، جبل 335
 رفيدة 631
 رقاق الشيخ دقل 234
 رقة ابن دحروج 115
 رقة الرحي 192
 رقة الزهيرات 225، 234
 رقة العواشق 234
 رقة القاطع 232
 رقة المخيسة 192، 244
 رقة دوب الكلب 234
 رقة رحبة 222، 223
 رقة مودة حسام 234
 الركة 179
 ركة ابو جصرة 191
 الرملة 326، 626، 646
 الرها 695
 الروم ايلي 611
 روما 256، 453، 538، 539، 659، 660، 661
 662، 696، 701
 رومانيا 550
 رومية = روما
 رومية الكبرى 532
 روميلي حصار 616
 الرويضات 266
 الرياض 306
 الزاب الاعلى 150
 زاخو 602
 الزادمار، قرية 216
 زاعونى = زاغنية
 زاغنية 183، 208، 223
 زاغنية الصغيرة 224
 زاغنية الكبيرة 224
 الزاوية 191
- دير الريان هرمزد 444، 695، 711
 دير الشرفة 451
 دير العاقول 149-169
 دير القديس اندرياس 630
 دير اليشع النبي 541
 دير أنطونيوس 540
 دير سعيد 444
 دير قزحيا 536، 541
 دير قنى 150، 154، 155، 157، 159، 160، 161
 دير كرسا 151
 دير لويزة 534
 دير مار أنطونيوس 534
 دير مار ايليا 444
 دير مار يوحنا في لبنان 544
 دير مرت مورا 522
 دير يوحنا بشوعسبيوان 452
 الدير، قرية في نابلس 513
 الدير بونة 602
 ديلتاوه 214، 215
 الدلمية، أراضي 225
 رابعة بنت احمد بن المستعصم 145
 الرافقيات 218، 221، 222، 226، 245
 رازقية 222
 راوتدوز 587
 رباط البصير 504
 الرباط الزمني 504
 رباط السيدة زمرد خاتون 141، 142، 144، 146
 رباط الكرد 504
 رباط المارديني 504
 الرباط المنصوري 504
 الربيض الأعلى بالموصل 444
 رحبة 222
 رحبة جامع القصر 70
 رحبة مدينة المنصور 47

- 630 سراي هميون
 696 سردينيا
 284 السعاوية
 227 سعديية
 649 سعسع
 173 سعود ذياب، قرية
 251، 200 سقاية سكيئة خاتون ببغداد
 180 السكرانات
 620، 119 سلانك
 256 سلماس
 173 سلمان الورور، قرية
 619 سلمية
 598، 394، 176 السليمانية
 219 السليمانية، قرية في ديالى
 419 سمرقند
 601 سميل
 228 سنيقية
 445 سنجار
 626 السندقلي
 575، 284، 182 السندية
 234، 228 سنسل
 229 سنسل ابودهن
 229 سنسل الخيلاني
 229 سنسل الرشادة
 229 سنسل العكيدات
 229 سنسل القلعة
 229 سنسل امام عباس
 229 سنسل حمادة
 229 سنسل طنبورة
 177 السواعد، قرية
 369 السودان
 49 سور الرصافة
 59 سور المستعين
 70، 64، 62، 61، 60 سور ببغداد الشرقية
 556، 555، 117، 115، 80، 78، 76، 74، 71
 576، 561
- 624 الزاوية الرفاعية بالقدس
 650 زاوية المغارية قرب طرسوس
 224 زرباطية
 537، 535 زغرئا
 638 الزنبقية
 238، 224 زنكاباد
 176 الزهاوي، قرية
 225 زهرة، قرية
 192 الزهيرات
 225 زهيرات
 180 الزوية
 450 زيروه
 209 زينية
 450 زيوه كان
 89 ساحة الرصافي
 69 ساحة النهضة
 529 ساحة فرحات في حلب
 61 ساحة مرجان
 226 السادة
 226 ساطي
 98، 93، 92 ساعة المدرسة المستنصرية
 194 سافية قصب
 575، 286، 286، 251 سامراء
 663 سانئا ماريا
 192 ساور الكليية
 220 سبيلخانة ارسلان في الاعظمية
 182 سدر
 652، 637 سراقب
 630 سراي أسماء خاتون باستانبول
 624 سراي السلطان
 579 سراي ببغداد
 630 سراي بكشطاش
 652 سراي بيروت
 603 سراي زاخو
 630 سراي شراش يالسي

- 284 السيد محمد ، مزار
 سيسبانه 182
 شاخه العزبة 246
 شاخه مهروت 250
 شارع اسامة بن زيد 60
 148 146 ، 128 شارع الامام الاعظم
 شارع الخلفاء 64
 شارع الخلنجي 99
 شارع الرشيد 64
 شارع الشيخ عمر 71 ، 70
 شارع القشلة 87
 شارع المأمون 89
 شارع المتبهي 87
 شارع المستنصر 122
 شارع المنصور 96 ، 95
 شارع النهر 50
 شارع طه ببغداد 599
 شارع المأمون 561
 الشام 258 ، 319 ، 351 ، 420 ، 549 ، 634 ،
 636 ، 652 ، 655 ، 643
 الشراة 351 ، 353
 الشرحلط 284
 580 شركة لنج للمراكب البخارية
 شريعة الميدان 586
 شريعة كدري 242
 شط الاعمى 161
 شط جلولاء 207 ، 192
 شط حراسان= نهر خراسان
 شطب 173
 شفتة 198 ، 229
 الشقراء 329
 الشقراق 183
 شلقوش 550
 شهربان 190 ، 193 ، 197 ، 228 ، 230 ، 231 ،
 286 ، 264 ، 245 ، 338
- سوربغداد الغربية 102 ، 567
 سوردار الخلافة 60 ، 61 ، 62
 سورسامراء 259
 سوريا 650
 سوق الاربعاء بالموصل 444
 سوق البزازين بالموصل 87 ، 97
 سوق الثلاثاء ببغداد 69 ، 89 ، 89 ، 563
 سوق الخفافين 87
 سوق الريحانيين 562
 سوق السراي 87
 سوق السرجخانه 87 ، 94 ، 96 ، 97 ، 102
 سوق السلطان 563 ، 582
 سوق الشعارين بالموصل 444
 سوق الشورجة 562
 سوق الصفاير 87
 سوق القبلاية 108 ، 110
 سوق القتابين بالموصل 444
 سوق القندرجية 97
 سوق المدرسة 62
 سوق الميدان 87 ، 563
 سوق الهرج 87 ، 96 ، 582
 سوق باب الاغا 87
 سوق بغداد 45 ، 57
 سوق بهرز 206
 سوق قزازخانه قي مندلي 202
 سوق يحيى 62
 السويدي ، قرية 176
 سويدية 229
 سوفيية 229
 سويقة غالب 95
 سيب بني قوما 153
 السيد جابر ، قرية 173
 السيد سلطان علي ، قرية 175
 سيد عواد ، قرية 173
 سيد لان ، قرية 224

- طرسوس 654، 653
 الطريق السلطاني 209
 طريق المنصورية 214
 طريق خراسان 190، 191، 194، 197، 205،
 214، 224، 224، 224، 224، 222، 223، 232
 طريق كشكة وويل 238
 طريق محمد بن القاسم 84
 طسوج النهروان الاعلى 151
 الطفرية، محلة 69
 طمشوار 112
 طه العلوان، قرية 173
 طه جميل، قرية 173
 طه، العزاوي، قرية 173
 طوب أبو خزامة 591
 الطوز 286
 طول كرم 515
 الطويلة 215
 الطفرية، محلة 71
 العاصمية 233
 العاقولية 154
 العاقولية 87، 154، 164
 العالم الجديد 689
 عانة 328
 عانة 287، 328
 العبارة 183
 عباس جاسم، قرية 173
 عبد الرزاق، قرية 188
 عبد الكريم جاسم، قرية 173
 عبد الجبار وحسين حمادي، قرية 173
 عبد الحسين الحاجم، قرية 173
 عبد الحميد، قرية 173، 220
 عبد الرزاق، قرية 222
 عبد الله الحسوني، قرية 173
 العراق 8، 88، 112، 127، 128، 149،
 153، 167، 171، 188، 189، 207، 226
- شهرزور 286
 الشورجة 70
 الشوك 182
 الشوكة، اراضي 225
 شوهاني حمدان 175
 شوهاني داود سلوم 175
 شوهاني علي العبدالله 175
 الشويخرات 231
 شيبان، قرية 177
 الشيخ ابو جوان 207
 الشيخ دقلي، قرية 188
 الشيخ عمر، قرية 175
 شيخ مندو 696
 الشيخ، ارض 221
 شيربك، قرية 176
 شيكاغو 90
 شيلي 661
 الصافي، منعطف في دجلة 167
 الصافية 160، 161، 162، 163
 صالح اغا، قرية 176
 صبار منهل، قرية 173
 الصرافية 59
 صريفين 253
 الصعيد 324، 325، 326، 533
 صفيرة، قرية 178
 الصقور، قرية 177
 الصلح الاعلى 151
 الصورة 152
 الصيادة 153
 صيدلية المدرسة المستنصرية 93
 الضابطية 176
 الضلوعية 287
 ضياء الدين بن محمد عيسى الهكاري 510
 طلاق كسرى 594
 طرابلس 541، 652

233	عنه بكى = العنبيكية	385, 339, 328, 325, 320, 400, 252, 230
401	عنيزة	456, 439, 428, 439, 423, 400, 389
177	العوادل، قرية	712, 704, 701, 671, 667, 636, 599, 471
224, 228, 182	العواشق	153 العراق
235, 234	العواشق الصغيرة	635 العراق
235, 234	العواشق الكبيرة	219 العراقات
180	العويجة	عراقيب الشاعورة 168
643	عيشة	عراقيب سالم 168
655, 653	عين التجار	العزبة 224, 216
657, 654	عين الزرقاء	عزيز همالة، قرية 173
573	عينتاب	العزيزية 152, 154, 158, 161, 167, 169
235	الغالبية	العسكر، حي في سامراء 267
177	الغويرات	عشارة 386
656, 326	غزة	العطيفية 57, 49
182	الغزلانات	عقار المدرسة ببغداد 87
177	الغزية	العقبة 340
209	غلامية	العقبة، قرب زخو 603
173	غني مساعد، قرية	عقد الصفافير 105
661	غواتيمالا	عقد القبلائية 105
177	الغوالبة، قرية	عقد فاضي الحاجات 70
694	الفاثيكان	العقر 327, 234, 606
173	فارس طارش، قرية	عقر (العكر) 229
207	فازانية (قرزانية)	عقرة = العقر
284	الفتحة	عكا 326
607	فحل	العلائية 626
87	فراشا	العلوان ارض 344, 194
285	الفرحاتية	علوان العنصوص، قرية 173
661	فرنسا	علي مذري، قرية 173
661, 624	فلسطين	علياوة 234
615	فلعة المضيق	العمادية 450, 308, 241, 209
284	فلعة مكحول	عمارة الدفتردار 237, 87
270	الفلوجة	عمان 646, 505, 504, 503, 349, 47
173	فليح حسن الجاري، قرية	عموط 603
627	الفندق	العنبيكية 234, 233
661	فنزويلا	عنك 179

- قبر السري السقطي 593
قبر السيد ابو خميس 176
قبر السيدة تاجة 651
قبر الشريف الزيدي 94
قبر الشيخ ريحان 651
قبر الغزال 563
قبر القعقاع التميمي 176
قبر المستعصم بالله 89
قبر ام رابعة 145، 146
قبر برهان الدين 97، 98
قبر تاج العارفين 167
قبر ثوبان 645
قبر حمزة شريف 197
قبر دانيال 207
قبر رابعة 146
قبر سعد بن ابي وقاص 651
قبر سلمان الفارسي 167
قبر شاهلبنى شمس الضحى = قبر ام رابعة
قبر عبدالله العاقولي 164
قبر عثمان الكردي 651
قبر علي بن ادريس البغثوبي 176
قبر كعب الأحبار 645
قبر محمد السرجاوي 651
قبر محمد العلمي 651
قبر محمد بن احمد الوتري 94، 96، 97، 107
قبر مسعود المغربي 651
قبر وحشي 645
قبر ص 626، 630، 696
القدس 624، 695
قراح ابن رزين 69، 69
قراح ابي الشحم 69
قراح ظفر 69، 71
قرارة 179
قرلح القاضي 69
قرمان 696
- فيلكه ، جزيرة 328، 696
قادر بك، قرية 176
قادسية دجلة 284
قادش، ميناء 663
قارة 643
القارة الأمريكية 471
القازاني، أراضى 207
القاطع، قرية 216، 232
القاطول الكسروي 158، 167، 168
قاقون 655
القاهرة 31، 28، 37، 38، 87، 112، 139،
143، 152، 153، 189، 320، 323، 324،
333، 337، 338، 341، 366، 320، 323،
324، 324، 323، 372، 367، 366، 320،
395، 372، 406، 407، 429، 503، 509،
511، 538، 552، 574، 609، 613، 614
القاهرة 89، 609
القبية ، قرية 180، 192، 237
قبة ابراهيم 237
قبة الشواني 284
قبة الشيخ عبدالقادر الكيلاني 119
قبة ملا عبدالله الصالحي 239
قبر ابي الحسن علي 592
قبر ابي الغيث بن جميل 176
قبر ابي بكر الخوارزمي الحنفي 95، 96
قبر ابي بكر الشبلي 592،
قبر ابي سورة 162
قبر ابي يزيد البسطامي 656
قبر احمد السبتي 141
قبر احمد بن حنبل 593
قبر أحمد بن محمد القدوري 94، 95، 96،
97، 107
قبر الامام ابي حنيفة 140

- القرطيفة 168, 165, 615, 641, 649
 قلعة حسية 656
 قلعة ابورياش 284
 قلعة الامام الاعظم 118, 119
 قلعة البنت 284
 قلعة البئر 119
 قلعة الزركشي 119
 قلعة الطيور 119
 القلعة العتيقة في مندلي 202
 قلعة القدموس 657
 قلعة القطراني 655, 656
 قلعة المضيق 639
 قلعة بغداد 115, 116, 118, 389, 557, 558, 581
 قلعة جبار 284
 قلعة حسية 655
 قلعة عين ماء 695
 قلعة قاقون 655
 قلعة معان 655
 قم 142
 القنيطرة 649, 653
 قنيطرة بالموصل 444
 القوش 710
 قوصرى 241
 قونية 100, 423
 القيارة 286
 قيسارية 627
 الكاظمية 592
 كاغد خانه استانبول 216
 كامبرج 258
 كامل جاسم، قرية 173
 كبية 228
 كدري 241
 كريلاء 119, 550
 الكرخ 95, 99, 517, 577
 قره آمد 604
 قره بوغدان 550
 قره دبة 224, 238, 239
 قره فقوش 449
 قرية ابراهيم المذكور، قرية 173
 قرية السنديا 194, 228
 قرية القصيرين 181
 قرية الكبية 241
 قرية دورة الوقف 179
 قرية ذيابة 182
 قزانية 221, 239
 قزلباط 240
 القسطنطينية 8, 321, 370, 424, 598, 610, 612, 614
 قسنطينة 436
 قشلة بغداد 579
 قصب 181
 قصر التاج 114, 122
 قصر الحربن يوسف 443
 قصر الخليفة في سامراء 261
 قصر العاشق 257, 258, 357, 259, 261
 قصر الفردوس، 69, 114
 القصر الناصري 578
 قصر باب الذهب 46, 49
 قصر بكتاشي خان 115
 قصر حرب بن عبد الله 444
 قصر دوله بقجة 625
 قصر رزوق عبود 589
 قصر سمكة 253, 357
 قصر شبيب 656
 قصر يوسف بك ببغداد 579
 قصيبة 181
 قصيبة 240
 القصير 615
 القصيم 329, 399

- لبنان 142
 لبنان 451, 452, 523, 526, 533, 538,
 539, 543, 544, 659, 697
 لطيف حمدي، قرية 173
 اللفمانية 175
 لمبيدوزي، جزيرة 696
 لندن 28-36, 359, 406, 449, 428, 582
 اللهيبي، قرية 177
 ليدن 152, 155, 360
 مار كبريل 150
 ماردين 603, 604, 573, 606, 695
 مالطة 540
 ماشستر 406
 المتحف البغدادي 561
 متحف الاسلحة القديمة 79
 المتحف البريطاني 662, 663
 المتحف العسكري 579, 592
 المثمنة 137
 مجدد، قرية 242
 المجر 99, 112, 113
 مجلة السنك 118
 المجمع العلمي العراقي 258, 284
 المحادر 285
 المحكمة الشرعية ببغداد 164, 166, 196,
 224, 245
 المحكمة الشرغية بالقدس 514
 المحكمة الصالحية 611
 المحكمة العسكرية العليا الخاصة 579
 محلة ابي حنيفة 91
 محلة البصلية 118
 محلة الدسافيل 425
 محلة الدنكجية 89
 محلة السراي في بعقوبة 217
 محلة السور في ديار بكر 607
 محلة السيد عبدالله، 70
- كرخ سامراء 251
 كردستان 445, 587
 كركوك 238, 239, 286, 587, 694
 الكرتينة (المحجر الصحي) 129, 130, 630
 كريت 99
 كريم عباس، قرية 173
 كريم ناصر، قرية 173
 كسروان 538
 الكسليك 526
 كشكويل 224
 الكعبة المكرمة 417
 كفري 239
 كلواذي، قرية 11, 118
 كلية اصول الدين الجامعة الاسلامية 396
 كليس 573
 كندا 526
 كنديا، جزيرة 696
 كنعان 177
 كنعان = مهروود
 كنيسة درب ديتار 89
 الكهريز، قرية 180
 كهية، قرية 176
 كوبا 661
 الكويت 151, 162, 164
 كوتاهية 626
 كوجك درمالي 696
 كورسكا 696
 كوريكجة 233
 الكوفة 45, 135, 339, 340, 346, 358
 كولومبيا 661
 الكويت 272, 395, 400, 401
 كيبزة 626
 كيطان الذرب، قرية 173
 الللازقية 423
 لايبزك 264

- المدائن 167، 155، 168
 مدرسة الاوزاعي 654
 المدرسة الطشمترية 504 \ 126، 124، 121
 مدرسة ابي حنيفة 658
 المدرسة الاسعدية 194
 المدرسة الاصفهانية في بغداد 504
 مدرسة الأمير سعادة الرسائلي 560
 المدرسة الامينية بدمشق 610
 المدرسة الأوحديّة بالقدس 513
 مدرسة الإيلينس ببغداد 446
 المدرسة التنشئية ببغداد 130، 89
 المدرسة التتكرية 505
 المدرسة الجاولية 504
 المدرسة الحسروية بحلب 648
 المدرسة الحسنية بالقدس 510
 المدرسة الحميدية في سامراء 272
 المدرسة الخاتونية ببغداد 321
 المدرسة الداودية 194
 المدرسة الدرويشية في دمشق 610
 المدرسة الزيركية ببغداد 126
 مدرسة السكبانية باستانبول 616
 المدرسة السليمانية ببغداد 580، 579، 103
 مدرسة الشيخ عيد القادر الكيلاني 422، 421
 المدرسة الصلاحية 504
 مدرسة الصنائع 594، 578
 المدرسة العثمانية 509، 505
 المدرسة العصمتية ببغداد 144
 المدرسة العلائية الشاطئية 579، 560
 المدرسة العلمية في سامراء 272
 المدرسة العلية ببغداد 578
 مدرسة الغرابي ببغداد 242
 المدرسة الفنارية بالقدس 510
 مدرسة القبلانية ببغداد 105، 104، 103
 مدرسة القلندرخانه 616
- محلة الشط ببغداد 206
 محلة الصفاخير 244
 محلة الطوب 251
 محلة العيواضية 581، 122، 59
 محلة الفضل 70
 محلة الكريمات 115
 محلة اللوزية 70
 محلة المخرم 121
 محلة المقتدية 70، 190، 193، 196، 197، 228، 207
 محلة النصّة 145
 محلة باب الشيخ 70، 419، 421
 محلة بويافجي 204
 محلة جديد حسن باشا 563
 محلة حظائر الشوك 89
 محلة خضر الياس 391، 392، 570
 محلة رأس القرية 593
 محلة سوق السلطان 87
 محلة عقد الصخر 89
 محلة قصر عيسى 62
 محلة قمر الدين، 70
 محلة قنبر علي 388
 محلة مشهد الامام ابي حنيفة 125
 محمد رضا، قرية 173
 محمد عبد الكريم، قرية 173
 المحمرة 591
 محمود الزكم، قرية 173
 محمود شناوة، قرية 173
 المحمودية، 131
 المحمودية، في ديالى 225
 المحولة 180
 محولة جواريش 219
 المختارة 70
 مخلص بك، قرية 176
 المغيسة 226، 192، 181

- 651 مزار الاوزاعي
 651 مزار الشيخ حابس
 645 مزار الشيخ قسيم
 651 مزار الشيخ قسيم
 237 مزار الشيخ يحيى
 651 مزار عبدالله المغاوري
 655 المزاريب
 680، 581 مستشفى الغرباء
 512، 504، 510 المسجد الأقصى
 261 المسجد الجامع في سامراء
 87 مسجد الحظائر
 90، 92 مسجد الشريف الزيدي
 235 مسجد الغالبية
 250 مسجد الوجيهية
 382 مسجد خضر الياس
 404 مسجد خضر الياس
 221 مسجد قرية الرازقيات
 568 مسجد قمرية
 246، 207 مسجد ههب
 423، 270 المسيب
 173 مشحال حمزة، قرية
 157 مشرعة الكحال
 89 مشرعة درب دينار
 254، 253، 252، 251 المشهد العسكري
 262، 261، 255
 145، 141، 92، 91 مشهد النذور
 145 مشهد عبيدالله بن عمر الاشرف
 90، 176 المشيرية
 286 المصايد
 371، 370، 369، 330، 319، 143 مصر
 387، 363، 420، 500، 515، 510، 549
 667، 636، 635، 616، 609
 145 مصلى العيد
 344 المصودة
 663 مطران السريان في جلب
 515 المدرسة القيتباية
 410 المدرسة المأمونية بالقدس
 205، 189، 133، 200، 205، 513، 240، 220
 98، 97، 93، 92 المدرسة المستنصرية
 126، 127، 164، 560، 580
 124، 130 المدرسة المغيثة
 510 المدرسة الملكية بالقدس
 616 مدرسة المنلا الكوراني
 505، 504 المدرسة النحوية
 505، 504 المدرسة النصرية
 87 المدرسة النظامية
 130 مدرسة باب الطاق
 123-130 مدرسة جامع السلطان
 121، 123-130
 164 مدرسة زمرد خاتون
 252، 200 مدرسة سكيئة خاتون بيغداد
 130، 129 مدرسة متوسطة الغربية
 402 مدرسة محمد امين السويدي
 228 مدرسة نابي خاتون بيغداد
 573 مدلولو
 167، 165 مديرية الاوقاف ببغدا
 579 مديرية الشرطة العامة
 202، 95، 80، 49، 43، 6، 349، 406، 450
 177 المراسمة، قرية
 324 مرج دابق
 573 مرسين
 437، 423 مرقد أبو الجاسم بنهر المسيب
 102 مرقد الامام الحسين ع
 102 مرقد الامام علي ع
 206، 205 مرقد النبي دانيال في بهرز
 70 مرقد عمر البكري السهروردي
 409، 385، 119، 28، 28 المخطوطات
 220 مريجية
 696 المزار

مكتبة الدراسات العليا بآداب بغداد 697
 مكتبة الدكتور هاشم الوتري 429
 مكتبة السيد محمد سعيد الراوي 408، 272
 مكتبة الفاتيكان 698، 697
 المكتبة الفخرية بالقدس 6243
 المكتبة القادرية 271، 380، 400، 402، 410، 413
 مكتبة المتحف العراقي 406
 مكتبة المطرانية الكلدانية بالموصل 691
 المكتبة الوطنية باريس 697
 مكتبة برلين 467
 مكتبة برمنكهام 697
 مكتبة جامعة تورنتو 526
 مكتبة جامعة صلاح الدين 402
 مكتبة جامعة كمبردج 635
 مكتبة جون رايلند 406
 مكتبة دار التربية الاسلامية 272، 400، 413
 مكتبة داود الجلبي 466
 مكتبة عباس العزاوي 429
 مكتبة عباس حلمي القصاب 272، 310، 413
 مكتبة قصر يلدز 552
 مكتبة مدرسة الخياط بالموصل 450
 مكتبة مدرسة عبدالرحمن الجلبي 469
 مكتبة ناظم العمري 501
 المكسيك 661، 689
 المكيطيمة، مئذنة 131، 134
 مندلي 175، 221، 229
 مندلي 175، 200، 201، 202، 203، 221، 229
 المنصورة 221، 244
 المنصورية 177، 208، 233، 245
 منصورية البستان 245
 منصورية الجبل = ادنه كوي
 منظره باب بدر 61
 مهدي الفتة، قرية 173

المطرانية الكلدانية في العراق 697
 معرة النعمان 641
 معلتاي 445
 معهد المخطوطات العربية 469
 مغارة العسلي 695
 مغارة الفرس 695
 مغارة اوران 695
 مقابر قریش 125
 مقام ابو العباس في فلسطين 628
 مقام الاربعين في تكريت 258
 مقام الخضر في فلسطين 628
 مقام الشيخ جنيد 628
 مقام جابر بن علي الهادي 192
 مقام صيدون 652
 مقبرة الامام ابي حنيفة 127
 المقبرة السهلية 128
 المقبرة الشونيزية 146، 593
 مقبرة الشيخ جنيد 146
 مقبرة الصحابة بديار بكر 607
 مقبرة الغزالي 69، 563
 المقبرة الملكية 145
 مقبرة اليهود في بغداد 69
 مقبرة باب ابرز 69، 71
 مقبرة باب المعظم 128
 المقبرة لوردية 71
 مقر المجلس التأسيسي العراقي 581
 المقطوع، اراضي 225
 مكة المكرمة 384، 385، 386، 405، 450
 المكتب العسكري الإعدادي ببغداد 580
 مكتب الهند 662، 663
 مكتبة احمد بن محمد امين الراوي 272
 المكتبة الازهرية 371، 347
 مكتبة الاوقاف ببغداد 392، 416، 417
 340، 405، 409، 410، 411، 590، 612
 مكتبة الأوقاف بالموصل 450، 499

نهر اراضي البغيل 207	المهدية 70
نهر الاحيمر 245	مهروت 177, 190, 191, 195, 228, 234
نهر الأردن 530	251, 241
نهر الاسحاقي 276	مهروء = مهروت
نهر التين 182	المهيجر 285
نهر الجامع في مهروت 250	مورا، جزيرة 696
نهر الجديدة 241	المورة 329
نهر الجسيني 285	موش 573
نهر الحفزية 167	الموصل 150, 157, 258, 285, 326, 327
نهر الخالص 66, 69, 122, 122, 209, 227, 233	388 -419, 454 -510, 599, 597, 659
نهر الخانات 245	662, 673, 695, 696, 701
نهر الدرب 245	الميدان ببغداد 225, 203, 581, 590
نهر الدورة 220	المثدثة المظفرية 131, 134
نهر السور في مندلي 203	ميصيح 221
نهر السوق في مندلي 201	نابلس 626, 628, 630
نهر الشيخ 234, 238, 245	نابولي 473
نهر الشيخ 221	النافكر 470
نهر الصافي 167	النبك 643, 645, 648
نهر الصافية 161, 166	نجد 7
نهر العاصي 639, 640, 641, 650	النحف 99, 119, 152, 158, 275, 258
نهر العظيم 284, 575	333, 388, 459, 504, 550
نهر الغضبان 656	التحالة 177
نهر القاطول 168	نحر باب الدرب 245
نهر القطنية 168	نصيبين 606, 695
نهر القورج 77	النعمانية 155, 156, 162, 244, 245
نهر الكبير، قرية 180	نكية خاصكي سلطان 505
نهر المجرة، قرية 180	نلال كوركمان 199
نهر المحولة 191	النمسا 698
نهر المخيسة 243	نهر ابو خنازير 234
نهر المرادية 207	نهر ابو زاوية 206
نهر المسيب 437	نهر ابو سوسة 243
نهر المعلى 69, 122	نهر ابو طبول 250
نهر المنصورية 214	نهر ابو عرابيد 250
نهر المؤذن 250	نهر ابي عتاب 99
	نهر ادني في متدلي 203

- نهر اليوسفية 135، 131
 نهر بازي 207
 نهر باغ في مندلي 203
 نهر بدنية 344
 نهر برده 650
 نهر بطونية 191
 نهر بلاوي 238
 نهر بين 69، 66، 122
 نهر تدارة 218
 نهر جاسم 243
 نهر جاير 198
 نهر جلالي 239
 نهر جلواء 197، 218، 236، 243
 نهر جنبي في مندلي 201، 202
 نهر حد مكسر 218
 نهر حمزة 234
 نهر خر السمك 195
 نهر خرابة 238، 246
 نهر خراسان 121، 196، 216، 219، 226، 242، 237، 235، 224
 نهر خريسان = نهر خراسان
 نهر خط الفتح 168
 نهر دجيل 261
 نهر دقلستان 239
 نهر ديالي 151، 207
 نهر ساطي 191، 193، 236
 نهر سلطانية، قرية 180
 نهر سورا 163
 نهر سيد لان 238
 نهر شاهي 206
 نهر صيدلان 224
 نهر غيبة 218، 241
 نهر فلشت 204
 نهر قبة 246
 نهر قره بولاق 224
 نهر قصبه 244، 446
 نهر كرخايا 47، 99
 نهر كشكول 239
 نهر كنجري 230
 نهر كنكرد 221
 نهر كيسان 206
 نهر ماديان 239
 نهر ماريان 239
 نهر مختارية 241
 نهر مسير 230
 نهر مقري 246
 نهر مكي 230
 نهر مهرود 228، 244
 نهر ميارزية 224
 النهروان 151، 152، 154، 158، 160، 165، 168، 169، 200، 228، 241
 النهروان الاسفل 151، 156
 النهروان الاعلى 151
 النهروان الاوسط 151، 152
 النوبة 369
 نينوى 470
 هارونية 199، 230
 الهاشمية 45
 هيب 207، 235، 244، 245، 246، 247
 هكار 510
 الهكارية 470
 الهلالية، قرية 177
 همانية 150، 161
 همدان 87، 550
 همينية = همانية
 الهند 406، 414، 574، 698
 هور، قرية 247
 هور ابو براح 168
 هور ابو سمك 170
 هور ابو غريب 167

اليكورونا 696
اليمن 164، 369
يني شهر 626
يوركشاير 526
يوسف بك، قرية 176
اليوسفية 131، 134

مصطلحات عسكرية وحضارية

اجزاخانه 664
ارمغانات بمعنى الهبة 664
اسكوت وهي عملة رومانية 669
الإسكيم 528
اغا 700
آفجة 195، 230، 215، 250، 275، 276،
311، 315
الالتزام 193
اميرالاي 112
انقار 305
اوضة بمعنى الحجره 666
اولاق بمعنى ساعي البريد 666
بارة وهي القطعة من الفضة 667
باليمز، مدفع 117
برده بمعنى الستروالحجاب 701
برنجية، صنف من الاغوات 701
بشت، ضرب من الاردية 289
بشكاش، وهي الهدية والاحسان 668
بلوص، الصكوك 372
البلوك، بمعنى الفوج 1190
البندق 62
بوسطة 701
بويه خانه 188
بيت التطهير بمعنى الحجر الصحي 668
بيت المسسبك بمعنى المصهر 686
تختروان 669
ترسانة، دار الصناعة 113

هورابوقصيب 167
هورالتاج 165، 167
هورالشيخ سعيد 250
هورالعدلية 165، 169
هورقصيبة 241
الهورة 241
الهويدر 216، 247، 248، 251
الهويره 179
هيت 287
وادي الحصان، قرية 182
وادي الرمة 399
وادي العوسج، قرية 182
وادي الفرس 286
وادي التفط في مندلي 203
وادي جهنم 284
وادي عزون 626
اليواديش 177
وادي قزحيا 533
وارت (قلعة) 113
واسط 151، 152، 155، 146، 162، 163
وان 100
الوجيهية 229، 234، 250، 251
وزارة الدفاع في بغداد 383، 557
الوزيرية، قرية 176
الوسطاني 72
الوطن العربي 5
وقف، قرية 88، 138
الولايات المتحدة 662
ونة 456
الوند، قرية 251
الوندية الصغيرة 251
الوندية الكبيرة 251
ويسية 351
يافا 626، 627
يرك 627

- زعامت 189
 الزهري = السفلس
 زياح الطواف بأشياء مقدسة 676، 705
 الزبون 582
 ساليانه 189
 سباهية 706
 سبق ، ويفتي الرسول المسرع 676
 سردار 113، 202
 سردار 202
 سكبانية 382، 706
 السكة خانه 676
 أسكلة 665
 سليخ ، بمعنى الرسول 157
 سميرية 62
 سنابك ضرب من السفن 677
 سنجق 706
 السوارية 129
 سيارة ، صرب من السفن 142
 شختور ضرب من السفن 617
 شداخة 59
 شغل العينة 262
 شيخ بتدر 209
 الشيشخانة ، ضرب من البنادق 289
 الصليبوت وهو الصليب 708
 ضابط البلدة 202، 263
 ضربزن، مدفع 118
 طابة الكرة 678
 عرادة 59
 عربانة وهي العجلة 680
 عرش 681
 العلوقة 509، 684
 العمر بمعنى البيت 151
 غراب، ضرب من السفن الحربية 709
 غرش رومي 193
 غليون ضرب من السفن 681
 أسكول بمعنى المدرسة 700
 تغار 315
 تغار 311، 312، 315
 تفنك 72
 تفريش نوع من بلاط الارضيات 702
 التقاعد بمعنى الالتزام 702
 توابي، جمع تابية 116
 التيمار 112، 189، 275، 370
 جاووش 669
 جتاري، بمعنى الخيمة 582
 جماعات 277-279
 جوجح الجسر من الحبال 671
 جولك 277
 جيكولاتته وهي الشوكوىته 671، 703
 حراقة وهي ضرب من السفن 673، 703
 حمال باشي، كبير الحمالين 214
 خداوندكار ضرب من الاوزان 674
 خربوت العقلة في طرف الحبل 673
 خمس ميري 193، 198
 درابزين 705
 دستور وهو العهد والميثاق 705
 ديوان البائرات 219
 الذراع السوداء العباسية 84
 رسم اسبنج 314
 رسم باد هوا 315
 رسم بستان 314
 رسم بناك 313
 رسم تعداد الخانات 188
 رسم جنايات 315
 رسم سرتغار كيالية 188
 رسم طابو 314
 رسم عروس 315
 رسم كواره 315
 رسوم عرفية 315
 رقاقات، جمع رقة وهي الارض المتخفضة 192

- غوشة بمعنى الاضطراب 682
القايغ، زورق 289
القراح، الارض المنخفضة 66
القرش البغدادي 701
قفطان اغاسي 215
قناق ، قوناغ بمعنى المرحلة من السفر 710, 682
كارخانه : المعمل 684
كاروز بمعنى مبشر
كاكاو 672
كتخدا 305, 220
كتخدا فلاح 195
كخية = كتخدا
كرنتينة : المحجر الصجي 129
كروسة بمعنى العربية 711
كليج المعهد العلمي 711
كوكا 685
كوليزية وهو صنف من الجند 711
كوميدية بمعنى الملهاة 685
كيله 311
لوستريا بمعنى الحانة 712
مأصر 152
مالكانه 189, 191, 200, 214, 223, 230, 232, 240, 250
مجرد بمعنى عازب 305
المحاسبة بمعنى المصادرة 686
مرطبان ضرب من الاواني 686
مقاطعة 188
منظرة 61
ميخانة بمعنى دار استراحة
ميرميران 189
الميل عند الحنفيه 123
نزریت وتغني المحجر الصحي 713
- نضرات بمعنى جماعات 190
النقرة من الذهب والفضة 256
النواخذة رب السفينة 688
هادور (اهزوجة) 62
وزنة 195
الوقف 32
يازجي وهو الكاتب 714
يدك بمعنى المقود 689
الينكجرية ، الانكشارية 374
ينكي دنيا بمعنى العالم الجديد 689

دراسات تراثية
في البلدان والتراجم وأدب الرحلات

دراسات تراثية في البلدان والتراجم وأدب الرحلات- الجزء الثاني

المؤلف: د. عماد عبد السلام رؤوف

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى ٢٠١٩م-١٤٤٠هـ



مكتب التفسير

للطبع والنشر

أربيل - الشارع الثلاثيني قرب المنارة المظفرية

+964 750 818 08 66

www.al-tafseer.com

tafseeroffice@yahoo.com

 /TafseerOffice

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مكتب التفسير

رؤوف، عماد عبد السلام

دراسات تراثية في البلدان والتراجم وأدب الرحلات- الجزء الثاني، د. عماد عبد السلام رؤوف (المؤلف)

٧٦٤ ص.

٢٤*١٧ سم

١-التاريخ ٢٠-الرحلات. أ.العنوان. ب.السلسلة

ISBN: 978-9922-620-30-5

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة - إقليم كردستان (٢٤٥) لسنة ٢٠١٩

"الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعتبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر"

خط الغلاف : نوزاد كوبي

دراسات تراثية

في البلدان والتراجم وأدب الرحلات

الجزء الثاني

د. عماد عبد السلام رؤوف



بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد، فهذا هو الجزء الثاني من كتابنا (دراسات تراثية)، وهو ينطوي على ثلاثة محاور، فالمحور الأول تناول جوانب متنوعة من الحياة الاجتماعية، من خلال ثماني دراسات مستقلة، اختصت الأولى بدراسة المؤلفات البغدادية التي اتخذت من الأسرة موضوعاً للبحث في التاريخ الاجتماعي، وهو منهج نادر لم نجد من اتبعه قبل بدايات القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، وتناولت الثانية أسرة بغدادية نجدية الأصل استقرت في بعض محلات الكرخ واشتهرت بتجارة الخيل وغيرها، معتمدة على بعض وقفيات أفرادها، فكانت هذه الأسرة أنموذجاً دلاً على نمط الحياة لغيرها من الأسر المهاجرة التي اتخذت من بغداد وطناً لها في القرن المذكور، وتطرقت الدراسة الثالثة الى نظام الأصناف في العراق في العصر العثماني، وكان هذا النظام ينتظم الفئات المنتجة في المدينة الإسلامية ويحدد مكانتها في المجتمع وبين غيرها من الفئات. وتناولت الدراسة الرابعة ضرائب صنف القصابين في العراق من خلال وثيقة خطية مهمة رفعها أحد العاملين في هذه الحرفة الى والي بغداد علي رضا باشا لإعفائه من الضرائب التي كانت تثقل كاهله، فكشفت بذلك عن أنواع هذه الضرائب وطبيعتها ومقاديرها. وإذا كانت هذه الدراسات قد تناولت جوانب من العلاقات الاجتماعية في المدينة، فإن الدراسة الخامسة اختصت بالعلاقات الزراعية في العراق إبان القرن الثاني عشر للهجرة، مستندة الى عددٍ من الوثائق الخطية التي تضمنت أنواعاً من العقود المسماة عقود المغارسة، عقدها بعض الولاة مع مزارعي منطقة الحلة في جنوب بغداد. أما الدراسات السادسة والسابعة فتناولتا واقع الخدمات العامة التي قامت بها المرأة في العراق في مدينتي بغداد والموصل، من خلال تحليل معطيات مئات من الوثائق الوقفية المحفوظة في دوائر الأوقاف، وتتوع هذه الخدمات بين إنشاء المساجد والمدارس وخزائن الكتب والسقايات والحمامات والخانات والقناطر وغير ذلك. وتتناول آخر دراسات هذا المحور المصطلحات الحضارية التي شاعت في فلسطين في القرن 11هـ/17م من خلال مجموعة كبيرة من الفتاوى الشرعية التي

أفتى بها فقيه كبير من أهل الرملة، منتهية الى تقرير أن كتب الفقه تصلح أن اكون مصدراً مهماً لكتابة التاريخ في عصر كاتبها .

واختص المحور الثاني بالوثائق والسجلات بوصفها المادة الأولى من مواد كتابة التاريخ، وهو يستوعب ثماني دراسات، تعرض أولاها لأهم مجموعة وثائقية في بغداد، وهي سجلات المحكمة الشرعية القديمة، التي تضم في طياتها عشرات الألوف من الأحكام الشرعية في مختلف القضايا التي كانت تُعرض على قضاة بغداد المتعاقبين في القرنين الأخيرين من عصر الدولة العثمانية في العراق، وتضم الدراسة فهرسة دقيقة لهذه السجلات، مع نماذج لبعض ما تنطوي عليه من قضايا متنوعة، ويزيد من أهمية هذه الفهرسة أن عدداً كبيراً من السجلات أُلّف بعد ذلك في أثناء حوادث الفوضى التي عمّت بغداد في سنة 2003. أما الدراسات التالية من هذا المحاور فتتناول بالبحث والتحليل نماذج عدة من وثائق متنوعة كان لها الدور الأساس في الكشف عن أسرار وخفايا غير معروفة من التاريخ، في العراق ولبنان ومصر، منها وقييات غير منشورة، ورسائل سرية، ومنشورات سياسية، وجميع تلك الوثائق عثرنا عليه في أثناء بحثنا ولم يُنشر من قبل.

وتناول المحور الثالث قراءات في مخطوطات، أكثرها لم يُنشر بعد، وإثنتان منها نشرناهما أخيراً، وهو يستوعب عشر دراسات، الأولى لمخطوطة مهمة في المكايل والموازن والأطوال، من القرن الثامن للهجرة، تعد أول رسالة مستقلة في هذا العلم، والثانية في مخطوطة فريدة لمثقف بغدادى اختصر فيها نسخة من كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)، تختلف في منهجها عن النسخة المطبوعة، وهذا هو موطن أهميتها، والثالثة تضمنت محاولة مبكرة لفهرسة عشر خزائن للكتب في بغداد، قام بها عالم معروف هو نعمان خير الدين الألوسي في أواخر العهد العثماني في العراق، والرابعة لمخطوطة فريدة في تعليم صنف (البلطجية)، وهو واحد من الصنوف العسكرية المهمة في جيوش العصر العثماني، لكن إسمه اتخذ معنى مختلفاً اليوم، والخامسة بعنوان (ذيل على تاريخ مصر لمرتضى بك الكردي الدمشقي)، وهو مؤرخ عَفَلَ عن ذكره المؤرخون، مع أنه أرخ لحقبة حافلة من تاريخ مصر في القرن الثاني عشر، وقد عُنيت هذه الدراسة بإلقاء الضوء على سيرته، ومنهجه، وأهمية تاريخه من النواحي السياسية والاجتماعية والإقتصادية وغيرها، والسادسة لمخطوطة تضمنت

وقائع رحلة قام بها صاحبها من بغداد إلى استانبول، في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة، وكشف فيها عن التغييرات التي طرأت على طرق المواصلات بين هاتين المدينتين في ذلك العهد، أما الدراسة السابعة فتضمنت قراءة في مخطوطة فريدة بعنوان (ورود حديقة الوزراء) لعالم بغدادي لم يُعرف مؤرخاً من قبل، هو محمد سعيد السويدي، من الأسرة السويديّة التي أنجبت العدد الجم من المؤرخين والمؤلفين، وتكمن أهمية النص في أنه يعتمد على شهادة عيان مؤلفه عن تاريخ بغداد في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر للميلاد)، ويكشف عن خفايا جانب من عصر الماليك لا سيما في عهد أولهم سليمان باشا المعروف بأبي ليلة. أما الدراسة الثامنة فهي لمخطوطة بخط مؤلفها تبحث في تاريخ بغداد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد) من خلال الترجمة لعدد من أعلامها عهد ذلك من الولاة والعلماء وزعماء القبائل وحتى الموسيقيين. وأما الدراسة التاسعة فتختص بمخطوطة (نزهة المشتاق في علماء العراق) وهو نص جديد في تراجم أعلام العراق من العلماء والأدباء والشعراء في القرن الثاني عشر الهجري، لم ينشر من قبل. بينما تناولت الدراسة الأخيرة مخطوطة فريدة بخط مؤلفها عثرنا عليها في إحدى الخزائن الخاصة، وهي تتناول ظاهرة الغلاء التي أصابت الموصل سنة 1878، وتمثل هذه المخطوطة أول نص في التاريخ الإقتصادي كتبه مؤرخ عراقي في العصر العثماني كله.

وينطوي المحور الأخير من هذا الجزء، على دراستين في مجال التصوف، الأولى تسعى إلى تقديم تفسير سياسي للظاهرة الصوفية من خلال تتبع مسار كل من الواقع السياسي والفكر الصوفي في العصور الإسلامية، والأخرى تناولت سيرة متصوف بارز، هو عبد الكريم الجيلي، حياته، ورحلاته، ومؤلفاته، مع معجم بمصطلحاته الصوفية.

ولابد من القول أخيراً أن هذه الدراسات تمثل مختارات مما كتبناه فحسب، وثمة غيرها تركنا جمعه إلى مناسبة أخرى إن شاء الله، وهو - تعالى - من وراء القصد.

عماد عبد السلام رؤوف

11 تشرين الثاني 2016

دراسات اجتماعية

بيوتات بغداد

في دراسات المؤرخين المحدثين

يُولي مؤرِّخ المدينة المعاصر - وهو المعنيُّ بدراسة تطور العلاقات الاجتماعية لمدينة ما، وما يرتبط بها من ظواهر اقتصادية وثقافية معقّدة - عنايةً خاصّةً بتاريخ الأسر التي سكّنت تلك المدينة، بوصفه يكشف عن جملة من الظواهر؛ منها: أن معرفة الأصول القومية التي انحدرت منها تلك الأسر يكشف عن التركيب القومي لمجتمع تلك المدينة، ويوضّح نسب ذلك التركيب إلى حدّ ما.

كما إن معرفة الانتماءات القبليّة للأسر يُبين نوع المجتمعات البشرية التي يتألّف منها مجتمعُ المدينة، وبذا يُمكن للمؤرِّخ - أو حتى عالم الاجتماع - تفسير كثيرٍ من الظواهر التي يتّصف بها ذلك المجتمع، وطبيعة ردود أفعاله إزاء التحديات الحضارية المختلفة.

إن معرفة المدن والمناطق التي انحدرت منها تلك الأسر، يُلقي الضوء على طبيعة المؤثرات الحضارية التي تؤثر في مجتمع المدينة المذكور، وتوضّح - إلى حدّ كبير - أصول تلك المؤثرات، بتحديد الأماكن التي انطلقت منها.

ومن شأن تحديد تاريخ هجرات الأسر إلى المدينة أن يُبين الحقب التي شهدت زيادةً في الهجرة إلى تلك المدينة، من التي لم تشهد مثل تلك الزيادة، وإذا ما لوحظ أثر العوامل السابقة؛ من معرفة الأصول القومية، والقبليّة، والمكانية؛ يكون ميسوراً معرفة الطريقة التي تكوّن على وفقها مجتمعُ المدينة المذكورة.

ومن ناحية أخرى فإن معرفة المهن والحرف التي امتهنتها الأسر - سواء أكانت دينية أم علمية أم إدارية أم غيرها - توضّح طبيعة النشاط الاقتصادي، ومعايير الواجهة الاجتماعية في عصر ما.

كما إن تحديد الأماكن التي سكنتها الأسر في المدينة، من شأنه أن يرسم خارطة توضّح توزيع الفئات الاجتماعية المختلفة في محلات المدينة، وتبيين الأسباب التي دعت كلّ فئة إلى اختيار محلة معيّنة مستقرّاً لها.

ثم إن دراسة الأعلام الذين خرّجتهم كلُّ أسرة، والمجالات التي نبغوا فيها، يُساعد على فهم ظاهرة توارث الخصائص الثقافية والمهنيّة لأبناء المدينة الواحدة، وهو ما يمنح المدينة ملامحها الخاصة بين المدن.

ولنا أن نلاحظ أن التاريخ للأسرة لم يكن أحدَ الضروب البارزة لكتابة التاريخ في العصور الإسلامية، فلم نقرأ أن مؤلفاً رتبَ أعلامه على وفق أسرهم، وإنما جرت العادة على ترتيبهم وفقاً لمدارسهم الفكرية، أو لمجالات تخصصهم، أو على وفق السياق الزمني لوفياتهم، أو -

في الأقل - بحسبِ حروف المعجم، والمجال الوحيد الذي ذُكرت فيه أسماء الأسر هو كتبُ الأنساب، فحينما يُشير مؤلفٌ معنيٌّ بالنسبِ إلى عددٍ من الرجال الذين ينتظمهم خطأً نسبٌ معينٌ؛ يذكر أحياناً الاسم المشترك، الذي عرفوا به في عهده؛ كأن يقول: (وهم المعروفون بآل كذا)، وإن أشار إلى أبيهم قال: (وهو الذي يُعرف ولده ببني كذا)، وقد يكتفي مؤلفو كتبِ المُشجرات النسبية - (وهي التي تصل بين الآباء والأبناء بخطوط) - بوضع لقب الأسرة فوق أسماء الرجال الذين يجمعهم عمودٌ نسبٍ واحد، في حَقبةٍ محددة⁽¹⁾.

وفي تقديرنا، فإن اتخاذ (الأسرة) بوصفها الوحدة الاجتماعية الصغرى، موضوعاً للكتابة التاريخية، أو أساساً لترجمة الأعلام؛ قد لا يرقى ظهوره في أقطارنا العربية إلى أبعد من القرن الثاني عشر للهجرة - (الثامن عشر للميلاد) - وهو قد اتخذ شكلَ مؤلفاتٍ مُستقلةٍ يؤرِّخ كلَّ منها لأسرةٍ معينة، أو أنه اتخذ من جمع تراجم أسرٍ عديدةٍ موضوعاً لكتاب.

وعلى الرغم من ازدهار كتابة التاريخ في بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة؛ فإن أحداً من المؤرخين لم يدوّن لنا قائمةً بأسماء الأسر البغدادية التي عاصرها، فضلاً عن أن يتحدث عن تاريخها، وهكذا بتنا لا نعلم من سكن في هذه المدينة إبّان القرون المتأخرة؟ وما هي أصول أولئك الذين سكنوها؟ وما طبيعة نشاطاتهم الاقتصادية، واتجاهاتهم الفكرية.. إلخ؟

وأولُ قائمةٍ بأسماء تلك الأسر وردتْنا صدفةً! أي إنها لم تكن نتيجةً لعملٍ مؤرِّخٍ ما، وإنما جاءت عَرَضاً في ثنايا قصيدةٍ بائيةٍ طويلةٍ من بحر البسيط، لشاعرٍ بغدادي، هو السيد محمد جواد السياهبوش (توفي سنة 1247هـ/1831م)

(1) وفي وسعنا أن نعد كتاب (الأصيلي) لابن طباطبا الطقطقي (المتوفى بعد سنة 701هـ/1301م)؛ (مخطوطة مصورة لدى الدكتور حسين علي محفوظ)، نموذجاً بيئاً لهذا النوع من الكتب.

هجا فيها - دونما إفتداع غالباً - عدداً كبيراً من بيوتات بغداد، لأسباب تتعلّق بموقف هذه الأسرة أو تلك منه، فسجّل - بهجوه أو مدحه - وجودها في عهد نظم قصيدته (سنة 1239هـ / 1823م)، ومن نافلة القول: إن القصيدة لا تقدّم معلومات عن هذه الأسر غير أسمائها، ومع ذلك فإن أهميتها تتمثّل في انفرادها بذكر تلك الأسماء، التي ما كنا لنعرّف أكثرها لولا أن وردت في القصيدة المذكورة.

يبلغ عدد أبيات القصيدة 93 بيتاً، ومطلعها: (1)

لَا تَبْتَغِي غَيْرَ فَضْلِ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ وَمَنْ يُؤْمَلْ عَطَاءَ اللَّهِ لَمْ يَخِبْ

ويبلغ عدد الأسر التي أُشير إليها في ثنايا القصيدة إحدى وأربعين أسرة، رُتبت على غير سياق محدّد؛ وهي:

- 1- آل مخلف.
- 2- آل الشالجي.
- 3- آل المرآياتي.
- 4- آل كُبة.
- 5- آل عيشة.
- 6- آل المزراقجي.
- 7- آل الباجه جي.
- 8- آل زهرة.
- 9- آل دُلة.
- 10- آل المَعَلجي.
- 11- آل الدامر جي.

(1) توجد نسخة خطية من هذه القصيدة في دار المخطوطات العراقية ببغداد، وفي خزائن كتب خاصة نُسخ أخرى، وانظر عن ناظمها عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق ج2 ص132، وقد حقّق السيد زين أحمد عبدالله النقشبدي هذه القصيدة من نسخ عدة، وعلق عليها ونشرها في كتاب بعنوان (الأسر البغدادية في القرن التاسع عشر الميلادي من خلال القصيدة البغدادية)، بغداد 2014.

- 12- آل الطاطاني.
- 13- العَطَّطِيُّونَ (آل عطا).
- 14- آل القيمجي.
- 15- آل وَثَّة.
- 16- آل الدَّرَقْزَلِي (الدَّرَكْزَلِي).
- 17- آل عَرْمُوش.
- 18- بيت الفارسيَّة (بيت كاتب الفارسية، أو بيت الفارسي).
- 19- آل سلطان حَمُود (سلطان حمودة).
- 20- العَوْدَدِيُّونَ (آل العَوَّادِي).
- 21- بنو الرَّهَّبِي (آل الرحيبي).
- 22- الجَلْجِيونَ (آل الجلجي).
- 23- المكاريون.
- 24- آل حَرِيَاء (آل الحَرِيَاوِي).
- 25- آل الجَرَجَفِي (آل الجرجفجي).
- 26- آل القَشْطَينِي.
- 27- الرَّفْرِفيونَ (آل رَفَّة).
- 28- آل الأورفلي.
- 29- آل قَهْرِيَّة.
- 30- آل مَصْبَغَة.
- 31- آل سَنَد.
- 32- آل كَافِل الحَسين.
- 33- بنو البيري.
- 34- آل طَلِيقَانِي (آل الطالقاني).
- 35- آل بني عيسى (آل السيد عيسى).

36- آل زركوشة (آل الزركشي).

37- النيل فروشي.

38- أزارقة.

39- مليّة (آل الملي).

40- عمشة⁽³⁾.

بيد أن أول نصّ تاريخي يتناول بالبحث بيوتات بغداد المعروفة، هو الكتاب الذي عنوانه (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة)؛ لمؤلفه الشيخ عبدالرحمن حلمي بن محمد عبدالمحسن العباسي السهروردي (المتوفى سنة 1287هـ / 1870م)، فقد تحدّث هذا المؤرّخ عن ستّ وستين أسرة بغدادية، تُعدّ - فيما يظهر - من أبرز أسر المدينة وأكثرها شهرة، وهي:

1- بيت أحمد شكري.

2- بيت السيد فتاح.

3- بيت رفة.

4- بيت الملا إسماعيل.

5- بيت الدباغ.

6- بيت الملا سليمان الجوّره بجي.

7- بيت أوده باشي.

8- بيت السيد حسين رفة.

9- بيت معروف.

10- بيت مصطفى أغا.

11- بيت فتحي الموصلي.

12- بيت علاوي.

13- بيت فشتي.

14- بيت مصطفى.

15- بيت شيخ عمر.

- 16- بيت إبراهيم نديم .
- 17- بيت السويدي .
- 18- بيت العشاري .
- 19- بيت الأعظمي .
- 20- بيت مهدي جلبي .
- 21- بيت عبدالرحمن الأعظمي .
- 22- بيت اليمنجي .
- 13- بيت عبدالرزاق الشبخلي .
- 24- بيت الشوشة جي .
- 25- بيت أمين .
- 26- بيت محمد رفيع .
- 27- بيت الرواف .
- 28- بيت تاتار اغاسي .
- 29- بيت الخاصكي .
- 30- بيت نائب بغداد .
- 31- بيت بكتاش .
- 32- بيت وهب أغا .
- 33- بيت عبود .
- 34- بيت البرزنجي .
- 35- بيت ينكجري أفنديسي (وهم آل الرهاوي، أو آل الأورفلي) .
- 36- بيت النقيب .
- 37- بيت الحاج طه .
- 38- بيت العشاري (أشار إلى بعض رجالته في موضوع سابق) .
- 39- بيت الراوي .

- 40- بيت عبدالكريم أفندي.
- 41- بيت القيّار.
- 42- بيت الفنّهرة.
- 43- بيت مصطفى الخليل.
- 44- بيت الحاج صالح.
- 45- بيت يوسف بك.
- 46- بيت عزير أغا.
- 47- بيت الحاج حبيب.
- 48- بيت رضوان أغا.
- 49- بيت نائب زاده.
- 50- بيت السؤيدي (أشار إلى بعض رجالاته في موضوع سابق).
- 51- بيت محمود بن زكريا النقيب.
- 52- بيت محمد سعيد المفتي.
- 53- بيت يحيى المزوري.
- 54- بيت مرزا أغا.
- 55- بيت أغا زاده.
- 56- بيت الجاويش.
- 57- بيت خليل أفندي (الدفتري).
- 58- بيت بكتاش.
- 59- بيت الدوري.
- 60- بيت متولي الدور (وهم آل السهروردي).
- 61- بيت محمد سعيد نقيب بغداد.
- 62- بيت الحاج رسول أفندي.
- 63- بيت الدرّكزلي.

64- بيت الحيدري.

65- بيت الشاوي.

66- بيت صَمَناجي زاده.

67- بيت المفتي.

وموطن أهمية كلامه عن هذه الأسر، أنه ضمَّه معلومات ذات فائدة حقيقية في دراسة منشئها، والمدن التي انحدرت منها، فقال في كلامه على بيت السيد فتاح: إن رجاله من بلدة الموصل، ووطنوا بغداد سنة 1236هجرية، ووصف بيت الدباغ بأن أصلهم من الموصل سكَّنوا بغداد سنة 123هـ، ووصف بيت الجوره بجي بالموصلي، فعرفنا بأصلهم، ومثله ما ذكره عن بيت فتحي الموصلي وبيت علاوي؛ إذ قال عنه: من البيوت الموصلية، وقوله عن بيت البرزنجي: إنهم من أهل بَرزَنجة، وعن بيت السويدي: إنهم من أهل قرية الدور العليا، وعن بيت الرواف: إنهم من أهل نجد، وعن بيت عبود: إنهم من أهل الموصل جاؤوا إلى بغداد.

ومثل هذه المعلومات تُفيدنا في تحديد تواريخ هجرة الأسر إلى بغداد، فضلاً عن مناطق هجرتها، مما يفتح مجالات جديدة للبحث في تاريخ الهجرات الاجتماعية، وآثارها الاقتصادية والسياسية إبان ذلك العصر.

ويزيد من أهمية هذه القائمة، أنه أشار في مواضع عديدة إلى المهن التي اشتهرت بها تلك الأسر، وصلة ذلك بالعوامل التي أدت إلى هجرتها إلى بغداد، ومن تحليلنا للمعلومات التي أوردها عن الخلفيات الاقتصادية لتلك الأسر؛ توصلنا إلى أنه ذكر⁽¹⁾:

• 28 أسرة من العلماء.

• 13 أسرة من الموظفين، وأرباب المناصب العسكرية (أغوات).

• 13 من التجار وأهل الحرّف.

• 4 أسر من الوجهاء.

• 8 أسر لم تحدّد مهنتها.

(1) نسخة بخط مؤلفها لم يختَر لها عنواناً، وهي في مكتبتنا، وقد حقّقناها وعلّقنا عليها ونشرناها (بغداد 1996).

ومنهج عبدالرحمن حلمي في عرضه للأسر البغدادية في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (18م)؛ يتحدث في جملة من الأمور؛ أهمها: إشارته إلى موطن الأسرة الأولى ومهنتها - على ما ذكرنا - والتتويه بأبرز رجالاتها، مع التطرق إلى ما حازته تلك الأسر من سمعة طيبة ومجد، ويُشير - في بعض الأحيان - إلى صلة رجال الأسرة بالسلطة، وإلى طبيعة ارتباطها بأسرته، من علاقات ووشائج مختلفة.

وقبل أن يتوفى عبدالرحمن حلمي بسنة واحدة، وضع عالم بغدادي ذائع الصيت - هو إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري، (توفي سنة 1300هـ/ 1882م) - كتاباً مهماً في تاريخ بغداد والبصرة ونجد، بعنوان (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد)، ضمَّنه فصلاً كبيراً في (بيان البيوت الطيبة من ذوي العلم، والسيف، والقلم، والتجارة، في بغداد في عصرنا هذا)⁽¹⁾.

وتحدث في هذا الفصل على ست وتسعين أسرة؛ هي:

- 1- بيت الحيدري.
- 2- بيت القادرية.
- 3- بيت الشاوي.
- 4- بيت عبدالله بك الربيعي.
- 5- بيت كُوسَه دَفْتَرْدَار.
- 6- بيت العَلْقَبَنْد.
- 7- بيت سُمَيْكَه.
- 8- بيت الحاج إسماعيل المفتي.
- 9- بيت أحمد الطَّبَقْجَلِي.
- 10- بيت محمد سعيد المفتي.
- 11- بيت عبدالله بن مرتضى المفتي.

(1) طبع ببغداد دونما تحقيق سنة 1961.

- 12- بيت الرَّحبي .
- 13- بيت الخطيب .
- 14- بيت جميل .
- 15- بيت ياسين المفتي .
- 16- بيت رَفَّهُ .
- 17- بيت السويدي .
- 18- بيت الراوي .
- 19- بيت الشوَّاف .
- 20- بيت بكتاش أفندي .
- 21- بيت مدلج .
- 22- بيت شطِّي .
- 23- بيت أحمد النائب .
- 24- بيت عبدالرحمن الروزبهاني .
- 25- بيت الحاج أسعد أفندي .
- 26- بيت فرهاد .
- 27- بيت عبدالباقي العمري .
- 28- بيت عبدالرحمن أفندي الأعظمي .
- 29- بيت الإمام عبدالله .
- 30- بيت جرجيس .
- 31- بيت الأوسي .
- 32- بيت السيد عبدالغفور المشاهدي .
- 33- بيت سيد محمود الأورقلي .
- 34- بيت إسماعيل كَهْيَه .
- 35- بيت محمود كَهْيَه .

- 36- بيت خليل أفندي الدفترى.
37- بيت علوش أفندي.
38- بيت علوش.
39- بيت درويش أغا القائم مقام.
40- بيت نعمان أفندي القائم مقام.
41- بيت بكر كهيه.
42- بيت أحمد أفندي الزندى.
43- بيت الزهاوى.
44- بيت صالح أغا رئيس الكتاب.
45- بيت عبدالجليل بك.
46- بيت عبدالرحمن الأورفلى.
47- بيت صاري كهيه.
48- بيت حسن بك.
49- بيت الجرجفجى.
50- بيت طويق.
51- بيت نظمي زاده.
52- بيت الروزنامجى.
53- بيت أحمد أفندي المصرف.
54- بيت السيد رحمة الله الجيبه جى.
55- بيت عمر أغا الجيبه جى.
56- بيت الغرابى.
57- بيت القشطينى.
58- بيت مينه.
59- بيت عرموش.

- 60- بيت وزنكر.
- 61- بيت الباجه جي.
- 62- بيت الملا عبدالرزاق.
- 63- بيت دڙه.
- 64- بيت الحاج سعيد البقال.
- 65- بيت الأدهم.
- 66- بيت سَند.
- 67- بيت الوتري.
- 68- بيت الإمام.
- 69- بيت عطا.
- 70- بيت هاشم.
- 71- بيت المزرقي.
- 72- بيت كُبه.
- 73- بيت سيد عيسى.
- 74- بيت شالجي موسى.
- 75- بيت القيمقي.
- 76- بيت المراياتي.
- 77- بيت الخاصكي.
- 78- بيت الأعرجي.
- 79- بيت جلال.
- 80- بيت المعملجي.
- 81- بيت سيد يحيى.
- 82- بيت القصابجي.
- 83- بيت هلال.

- 84- بيت الدامرِجي .
 85- بيت كُزَيْرخان .
 86- بيت يوسف جَبرة .
 87- بيت جبرة أصفر .
 88- بيت إلياس عيسى .
 89- بيت عزره صرّاف باشي .
 90- بيت سُوميخ .
 91- بيت ساسون .
 92- بيت أبي قبلاغ .
 93- بيت بحر .
 94- بيت كُرْجي .
 95- بيت الطالقاني .
 96- بيت التوكمه جي .

فهذه القائمة - كما ترى - أوسع مما أورده عبدالرحمن حلمي، وأكثر شمولاً، كما أنها ضُمَّت لأول مرة أسراً نصرانية وأخرى يهودية، ولم يجمع بينهما إلا العيش المشترك والمواطنة في هذه المدينة.

وفضلاً عن ذلك، فإن ما كتبه الحيدري يمثل تطوراً محسوساً في منهج دراسة الأسر، فهو - على خلاف سابقه - أكثر اهتماماً بالأنساب التي تنتمي إليها الأسر؛ فبيت الحيدري - وهم أسرة المؤلّف - ينتمون إلى الإمام موسى الكاظم، بواسطة الشريف أحمد الأعرابي، وبيت الشاوي ينتسبون إلى شاوي بك، من آل شاهر شيوخ قبيلة العبيد، وبيت فرهاد من أولاد أبي بكر الصديق، ومثلهم بيت الخاصكي، وبيت علوش من عشيرة القراغول وغير ذلك.

وهو - من ناحية أخرى - يُبدي اهتماماً بالغاً بذكر المدن التي تتحدر منها تلك الأسر، فبيت كوسه دفتر دار من أهالي إسلامبول، وبيت الحاج إسماعيل المفتي من أهالي «سُرّ من رأى»، ومثلهم آل خطيب الإمام الأعظم، وبيت الطبقجلي

من أهالي حديثة من نواحي عنة، وبيت عبدالله بن مرتضى من أهالي بَهْرَز من قرى بغداد، وآل الرحبي من أهالي الرحبة، وهي رحبة الشام، وبيت الراوي من أهالي راوه من نواحي عنة (عانه)، وبيت الشواف من أهالي الدير، وبيت فرهاد أصلهم من كركوك، والأصل الأول من عبدلان في نواحي الأكراد، وبيت عبدالباقي العمري من الموصل، وبيت جرجيس من أهالي عانه، وبيت الألوسي هم في الأصل من أُلوس قرب عانه، وبيت الباجه جي في الأصل من أكابر الموصل وغير ذلك.

كما أننا نجد شديداً العناية بتحديد المهن والوظائف التي اشتهرت بها أكثر الأسر التي تحدثت عنها، فبيتُ سميكة مثلاً بيت علم وتقوى، وصلاح وخيرات، وتجارة، وبيت الحاج إسماعيل المفتي بيت علم، وبيت الطبقجلي بيت علم وسيادة، ومثله بيت محمد سعيد المفتي، وبيت عبدالله بن مرتضى المفتي، وبيت ياسين المفتي، وغيرهم.

ومن ذلك قوله عن بيت الراوي: إنهم بيت فضل وعلم وتجارة، وعن بيت فرهاد: إنه بيت تجارة وخيرات وميراث، وعن بيت عرموش: هو بيت عزّ وتجارة، ومثل ذلك قوله عن بيت كُبة: هو بيت عظيم في التجارة، وعن بيت سيد عيسى: هو بيت تجارة وافية، وغير ذلك كثير.

ويحرص الحيدري على التويه ببعض أعلام الأسر التي يتحدث عنها، متطرقاً الى سبب شهرتهم، ووظائفهم، كما نجده يتطرق إلى وصف ما آل إليه أمر هذه الأسر في عهده، فبيتُ الرُبَيْعي مثلاً بقي منهم بعض النُجباء، وبيت العَلْقَبَند لم يبقَ منهم إلا رجل صالح من طلبة العلم، وبيت الحاج إسماعيل المفتي لم يبقَ منهم الآن أحد، وصارت ديارهم بلاقع، وبيت محمد سعيد المفتي بقي منهم بعض الطلبة، وبيت الحاج بن مرتضى المفتي لم يبقَ منهم أحدٌ سوى بعض العُصبة من أهل الكسب، وبيت الرحبي لم يبقَ منهم إلا بعض العامة، وبيت رِفّه بقي منهم بعض التجار، وبيت مدلج لم يبقَ منهم إلا بعض ذوي الأرحام، وغير ذلك مما نحسبه قد انفرد بذكره عما سواه من المؤرخين.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أُلّف العلامة محمد سعيد الراوي (ت 1936م) كتابه الضخم المسمّى (تاريخ الأسر العلمية في بغداد)⁽¹⁾، على وفق منهج

(1) نسخة مخطوطة بخط مؤلفها، مصورة لدينا، وقد حقّقناها وعلقنا عليها ونشرناها (طادار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، 1997، وطلد الدار نفسها 2007).

جديد اختاره، زواج فيه بين الحديث عن الأسرة، والترجمة لعلمائها؛ فاختار أن يُورِّخ للأسر العلمية الرئيسية في بغداد، خلال الترجمة للنابهين من أبنائها، وبهذا لم يُعَنِّ بالأسر التي لم يشتهر أبناؤها بعلم أو أدب، وإن عُرِفَت بالتجارة والوجاهة مثلاً، بل إننا نجدُه يغفل - عامداً - عن الترجمة لبعض البارزين من تلك الأسر، لا سيما المعاصرين له، فيمِرُّ بهم بسرعة دونما تفصيل، لا لأمر سوى لعدم اشتهارهم - كأسلافهم - بشيءٍ من علم وأدب.

ولم يقف في بحثه عند نطاق زمني محدد، كأن يُترجم لأبناء القرن الذي عاش فيه، أو القرن السابق عليه، وإنما تتبَّع جذورَ تلك الأسر - موضوع بحثه - فترجم لأسلافها الأوائل، ومنهم من عاش في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، وحددَ بذلك الصلات النسبية التي ربطت بينهم، وطبيعة الاهتمامات العلمية والأدبية التي ورثوها لأبنائهم، ومع ذلك فإنه لم يَشَأْ أن يجعل من (الأسرة) وحدةً موضوعية يُورِّخ لها بمَعزِلٍ عن الترجمة لأبنائها؛ ولهذا فإن تراجمه - وإن توزَّعت على أسر محددة - لكنها ظلت - إلا في حالات معينة - خلوًا من مقدمات تاريخية تبحث في تلك الأسر نفسها، بينما توزَّعت تلك المقدمات في ثنايا تراجم بعض البارزين من أبنائها، فكتب عن نسب أسرته - آل الراوي - ووضح صلاتها بالأسر الأخرى، في خلال ترجمته لأول من اختاره للترجمة من رجالها، وهو السيد حسين أفندي الراوي (المتوفى سنة 1165هـ/1751م)، وكتب عن نسب السادة الحيدرية، وقدمهم إلى العراق، والمواطن التي استقرُوا فيها، ضمن ترجمة لأول من قَدِمَ من رجالهم إلى العراق، وهو السيد صبغة الله الحيدري (المتوفى سنة 1187هـ/ 1773م)، ولكن ذلك لم يَمْنَعه من أن يعود - بعد أن فرغ من الترجمة لأبنائه وأحفاده - لترجمة العلماء من أسلاف صبغة الله المذكورة، حتى انتهى إلى أول من وقَد من ما وراء النهر - حيث موطن الأسرة الأول - إلى العراق، ونظير هذا ما فعله في تاريخ أسرة السويديين، حين تناول شيئاً من التاريخ في ترجمة للشيخ عبد الله السويدي، وهو أول من اشتهر بالعلم من رجالها، وعُرف بهذا اللقب، وإن سبقه في الإقامة ببغداد جيلان قبله.

وما دَوَّنَه من نسب الألوسيين ومواطنهم الأولى في ترجمة السيد أبي الثناء محمود الأوسي (المتوفى سنة 1270هـ/1855م)، وهو أول من نال الشهرة العريضة من رجالاتهم، وإن لم يكن أولهم إقامة في بغداد.

ويمكننا أن نتتبع هذا المنهج في كلامه على آل جميل، وآل الشواف، وآل الطبّجلي، فقد تكلم على هذه الأسر في أثناء ترجمته للبارزين الأوائل من رجالها، لكننا نلّمح أن المؤلّف طوّر منهجه في القسم الأخير من كتابه، فكتب مقدّمات مهمّة مستقلة في تاريخ بعض الأسر موضوع البحث.

ومن الواضح أنه ما فعل ذلك إلا لإحساسه بضرورة تقديم فذلّكة، وتقديم عام للأسر المذكورة، وهو ما تجلّى في بحثه عن النقباء من الأسرة الكيلانية، فقد تتبّع فيه جذور مؤسسة نقابة الأشراف في بغداد منذ أن تولّأها أحفاد السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد)، ومثل هذا ما فعله بصدد آل الشاوي أيضاً، فإنه قدّم لتراجم رجالهم بمقدمة مستقلة، تكلم فيها عن نسبهم ومنزلتهم العامة بين القبائل، وما عرفوا به من الشجاعة والبأس.

والمؤلّف - بعد هذا - شديد الاهتمام بتوضيح ما يصل بين مترجميه من دواعي القرابة والمصاهرة، وهو ما يتجلّى بوضعه مشجرتي نسب لأسرتين ترجم لأبنائهما؛ هما: آل الراوي من السّواهيك، وآل الشاوي من حمير، وتشبيته العديد من المعلومات النسبية بشأن الأسر الأخرى، بما يمكن أن يكون سبباً في وضع (شجرات نسب) لها، تفيد في تقويم صلاتها الاجتماعية.

وفي الوقت نفسه تقريباً أُلّف باحث شاب - سيكون له شأن فيما بعد - هو الشيخ محمد بهجة الأثري، (المتوفى سنة 1996م) كتاباً مستقلاً في تاريخ أسرة علمية واحدة، هي الأسرة الألوسية، التي برزت في بغداد في مفتتح القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، فتكلم عن نسبها، وترجم لأعلامها، ولا سيما منهم: السيد محمود شكري الألوسي، الذي تلمذ المؤلّف على يديه، ويظهر أن الأثري أراد بهذا الكتاب أن يكون جزءاً من موسوعة كبيرة، تضم تراجم عدد كبير من أعلام العراق، عنوانها «أشهر مشاهير العراق في العلم والأدب، والسياسة والرئاسة، والظرف والفنون الجميلة، منذ القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد)»⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن منهج الكتاب يلتزم قواعد الترجمة للأعلام - كما توضّحت في تراجم الألوسيين - فإن نظرة لبّت محتوياته المقترحة، تُظهر أنه

(1) أعلام العراق بغداد 1341هـ.

احتوى تاريخاً لأسر بغدادية بذاتها؛ منهم: آل السويدي، وآل الحيدري، وآل الرحي، وآل الخضير وغيرهم.

ومن المؤسف أن هذه الموسوعة النافعة لم يُكتب لها الظهور، باستثناء ما اختص منها بالألوسيين على ما أشرنا إليه.

ويأتي كتاب إبراهيم بن عبدالغني الدروبي البغدادي (ت 1959م)، الذي سمّاه (البغداديون أخبارهم ومجالسهم)⁽¹⁾؛ ليقدم آخر صورةٍ لأسر بغداد بتاريخها، وصلاتها، ومجالسها، وأعلامها قبل أن تعصف بها رياح التغيير الاجتماعي بعيد قيام ثورة تموز 1958م⁽²⁾. وبالرغم من عنوان الكتاب غير المُفصّل عن مضمونه تماماً، فإنه غطى تاريخ أسر بغداد إبّان النصف الأول من القرن العشرين، مع مقدمات ضرورية عن تاريخها قبل ذلك، وأكثر تلك الأسر ممن وقّد إلى بغداد واستقرّ فيها، خلال القرنين الأخيرين.

ومثلما فعل الحيدري من قبل، تناول الدروبي في كتابه الحديث عن أسر بغداد الإسلامية والنصرانية واليهودية على حدّ سواء، فبلغ عدد هذه الأسر 223 أسرة؛ منها أسر نصرانية، وأخرى يهودية؛ وذلك على النحو الآتي:

أسر مسلمة:

تتألف 202 أسرة تنتمي إلى أصول قومية مختلفة، أكثرها من العرب، وبعضها من الترك والكرد والمماليك، وهم الذين انحدروا من أصول كُرجية في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة (18م) وغيرهم، وقد سكن معظم هذه الأسر في الجانب الشرقي، ومنهم من سكن الجانب الغربي، وعرف بعض هذه الأسر باسم (بيت) وبعض آخر (آل)، بينما ترجم لقسم آخر باسم أعلام الأسرة البارزين؛ وهم:

- 1- السيد علي الكيلاني نقيب الأشراف، 2- السيد سلمان الكيلاني، 3- السيد عبدالرحمن الكيلاني، 4- السيد محمود حسام الدين الكيلاني، 5- السيد داود ضياء الدين الكيلاني، 6- السيد حسن سالم الكيلاني، 7- السيد عبدالله الكيلاني وأحمد الكيلاني، 8- السيد إبراهيم سيف الدين الكيلاني 9- السيد موسى شرف الدين الكيلاني، 10- السيد محيي الدين الكيلاني، 11-

(1) طبع ببغداد سنة 1958.

(2) فرغ من تأليفه في رمضان 1377هـ/ آذار (مارس) 1958م.

السيد عبدالقادر الكيلاني، 12 - السيد أحمد السيد ياسين الكيلاني، 13 -
 السيد محمد حامد الكيلاني، 14 - السيد حسين ناصر الدين الكيلاني، 15 - آل
 الواعظ 16 - آل السويدي، 17 - أبو الثناء محمود الأوسى، 18 - آل الجميل، 19
 - آل الشاوي، 20 - آل الطبجللي، 21 - آل الحيدري، 22 - الشيخ عبدالرحمن
 الروزيهاني، 23 - الشيخ طه الشواف، 24 - عبدالملك الشواف، 25 - قاسم
 البياتي، 26 - عبدالرحمن الأدهمي، 27 - عبدالباقي العمري، 28 - الحاج حسن
 الهندي، 29 - عبدالغفار الأخرس، 30 - صالح التميمي، 31 - بيت عطا، 32 -
 الشيخ إبراهيم الراوي، 33 - بيت دلة، 34 - بيت السنوي، 35 - الشيخ
 عبدالوهاب النائب، 36 - السيد عباس القصاب، 37 - آل القشطيني 38 - الشيخ
 محمود الديملاني، 39 - القاضي الشيخ عبدالحميد الشيخ علي، 40 - داود
 السعدي، 41 - آل عبدالجليل بك، 42 - بيت الزبيق، 43 - الشيخ سليمان الفغام،
 44 - بيت الوسواسي، 45 - بيت الحنيني، 46 - بيت المدلل، 47 - سليمان
 الصالح، 48 - بيت الرئيس، 49 - السيد محمد سعيد المصطفى الخليل، 50 -
 بيت الربيعي، 51 - الحاج حسن الكوله 52 - سليمان فائق، 53 - الحاج إسماعيل
 شطي، 54 - الشيخ عيسى البندنجي، 55 - آل الأورفلي، 56 - بيت سميقة، 57
 - درويش أغا القائم مقام، 58 - عبدالغفور المشاهدي، 59 - نعمان أغا
 القائم مقام، 60 - آل الوتري، 61 - آل القلعه لي، 62 - آل مدلج، 63 - آل
 الخضير، 64 - آل القيارة، 65 - آل عزير أغا 66 - طاهر جلبي آل الراضي، 67
 - محمد درويش بن عزيز، 68 - آل القيماقجي، 69 - آل التتار، 70 - أمير اللواء
 محمد باشا الدياربكري، 71 - بيت الباجه جي، 72 - الملا عبدالحميد الضاحي،
 73 - آل البرزنلي، 74 - آل ثنيان، 75 - الشيخ عبدالحليم الحافاتي، 76 - آل
 الدفتري، 77 - معروف الرصافي، 78 - عبدالعزيز المطير، 79 - الشيخ
 عبدالسلام الشهير بالشواف، 80 - آل العمري، 81 - الشيخ قاسم الغواص، 82 -
 إبراهيم بك المميز، 83 - آل شاكر أفندي، 84 - الحاج أمين كاتب الخزينة، 85 -
 آل الكتخدا، 86 - آل المصرف، 87 - بيت سند، 88 - السيد أحمد خطيب
 الأعظمية، 89 - بيت العلقبند، 90 - آل مامو، 91 - آل عارف أغا، 92 - آل
 الروزنامه جي، 93 - آل فرهاد، 94 - آل الفارسي، 95 - آل الجادرجي، 96 -
 رفعت بك ينكجري آغاسي، 97 - آل الجيبه جي، 98 - بيت متولي الأعظمية، 99
 - آل الجوريه جي، 100 - آل رئيس الكتاب، 101 - بيت الرحبي، 102 - غلام

- رسول الهندي، 103 - بيت كوسه دفتردار، 104 - آل الزهاوي، 105 - فهمي
المدرس، 106 - الشيخ أمجد الزهاوي، 107 - الشيخ رشيد الكردي، 108 -
الشيخ محمد أمين الكردي المعروف بالملا معنوي، 109 - بيت البزركان، 110 -
حسين أفندي الغرابي، 111 - آل البقال، 112 - الحاج محمود التحميسي، 113
- أيوب اليتيم، 114 - عبدالله الخياط، 115 - بيت ونة، 116 - بيت الخطيب،
117 - آل متولي سليمان باك، 118 - السيد أحمد الراوي، 119 - السيد إبراهيم
البرزنجي، 120 - آل رفة، 121 - فتاح باشا، 122 - الشيخ رضا الطالباني، 123
- بيت الشيخلي، 124 - بيت الشابندر، 125 - آل سلطان حمودة، 126 - آل
الرحأل، 127 - آل شيخ الحلقة القادرية، 128 - بيت الريزه لي، 129 - الشيخ
أسعد الدوري، 130 - الشيخ أحمد الفكيكي، 131 - آل القره غولي، 132 - آل
يمنجي علي، 133 - الشيخ خالد النقشبندي، 134 - الشيخ أبو بكر عبدالرحمن
بن أبي بكر المصنف، 135 - أحمد أفندي التكية، 136 - الشيخ داود النقشبندي،
137 - طه جلبي، 138 - توفيق وهبي بك، 139 - قاسم القيسي مفتي بغداد، 140
- الشيخ نعمان الأعظمي، 141 - عبدالفتاح المدرس، 142 - آل الوتار، 143 - آل
الحاج خالد الجلبي، 144 - الشيخ محمد شريف العاني، 145 - آل بابان، 146 -
السيد خضر أفندي الطائي، 147 - الحاج محمود جلبي التكريتي، 148 - السيد
أمين الأعظمي، 149 - ياسين باشا الهاشمي، 150 - آل مصطفى سليم جلبي،
151 - الدكتور ناجي بك الأصيل، 152 - السيد طه الراوي، 153 - بيت العسايف،
154 - بيت الدرکزلي، 155 - آل ملوكي، 156 - آل الشيخ قادر، 157 - الحاج
علي والحاج أحمد الشيخلي، 158 - الحاج حمدي الأعظمي، 159 - الشيخ محمد
القرلجي، 160 - السيد عبدالحميد الأتروشي، 161 - آل البسأم، 162 - السيد
حسن البغدادي، 163 - عبدالله الشيخلي، 164 - الشيخ عبدالرحمن الزبير، 165
- آل شلال القيسي، 166 - السادة الهيتاويين، 167 - جميل صدقي الزهاوي،
168 - أسعد أفندي الموصللي المدرس، 169 - السيد أحمد السيد عثمان الخطيب،
170 - الشيخ نوري الشيرواني، 171 - توفيق بك البرزنجي، 172 - أسرة الشوكة،
173 - الشيخ خضر بن عباس العجاج، 174 - محمد باشا الداغستاني، 175 -
محمد بك أكريبوز، 176 - السيد حسن الصدر، 177 - آل كبة، 178 - بيت
شالجي موسى، 179 - بيت المراياتي، 180 - الشيخ شُكر، 181 - أحمد الظاهر،
182 - بيت المزرقي، 183 - الممّله جي، 184 - بيت القيمجي، 185 - بيت

الطالقاني، 186 - علي كافل حسين، 187 - بيت الجرجفجي، 188 - آل
الدامرجي، 189 - بيت السيد عيسى، 190 - بيت الحاصكي، 191 - آل
الشالجي، 192 - السادة الحلاويين، 193 - السيد حسين يحيى، 194 - الشيخ
كاظم الدجيلي، 195 - السيد جواد السياهبوشي، 196 - بيت السوز، 197 - بيت
جلال، 198 - آل الدجيلي، 199 - آل المولى، 200 آل حسين النجم الطائي، 201 -
آل الشيببي، 202 - آل الفكيكي.

البيوت النصرانية:

تناول 10 بيوت، أكثرها من أصول موصلية، وبعضها من أصول حلبية،
وأرمنية، وجميعها يسكن الجانب الشرقي من بغداد، وهي:
203 - آل عيسائي، 204 - آل غنيمية، 205 - يعقوب سركيس، 305 الأب
أنستاس الكرمللي، 223 - آل عواد، 208 - آل مسكوني، 209 - سكندر اسطيفان،
210 - بيت جرجي، 211 - بيت نازو، 212 - بيت مراد الشيخ.

البيوت اليهودية:

تناول 11 أسرة، جميعها من أصول بغدادية قديمة، وهي تسكن جميعاً
الجانب الشرقي:

213 - مناحيم دانييل، 214 - عززه مناحيم دانييل، 215 - الحاخام ساسون
خضوري، 216 - أنور شأوول المحامي، 217 - مير بصري، 218 - داود سمره،
219 - يوسف الكبير، 220 - نعيم زلخة، 221 - إبراهيم حبيم، 222 - روبين
بطاط، 223 - صالح قحطان.

وكان شرط الدروبي في اختيار أسرته يتمثل في وجود (مجلس) خاص بها، يؤمّه
الناس في أوقات محدّدة، على وفق عادة البغداديين عهد ذلك، ومعنى هذا أنه جمع
في كتابه كلّ الأسر التي تمتعت بشيء من الوجاهة والنبيل والصيت؛ إذ إن إقامة
مثل تلك المجالس كان شأن الأسر المذكورة عادة، هذا مع ملاحظة أنه تكلم عن
مجالس لأفراد بارزين، ولكن لا أسر لهم.

ولقد توسّع الدروبي - بالنسبة إلى سابقه - في الحديث عن بيوتات بغداد
في عهده، فتكلم عن نسب البيت، وانتمائه القومي، والأصول القبلية التي ينحدر
منها، وتاريخ وفوده إلى بغداد، وسبب ذلك غالباً، والمحلات التي سكنها، ومن خرج

منه من الأعلام، والمجالات العلمية والاجتماعية التي نبغ فيها، وصلاته بأبناء الأسر الأخرى، وما أثر عنه من ميراث؛ كوقف مسجد، أو خزانة كتب، أو مدرسة مثلاً، وما قيل فيه من شعر، وتواريخ، ومواضع دُفِن أفراده.

اعتمد الدروبي في إعداد مادته العلمية على عددٍ من الكتب، أكثرها كان مخطوطاً في عهده؛ مثل (عنوان المجد) للحيدري، ومجاميع في التراجم، كما اعتمد أحياناً على معطيات سجلات المحكمة الشرعية في بغداد، والتي كان مطلعاً - بحكم عمله في هذه المحكمة - عليها، فضلاً عما كان يستقيه من رجال الأسر نفسها من معلومات خاصة، وما كانوا يُطلعونه عليه من وثائق تتعلق بأسلافهم؛ لذا جاء كتابه موثقاً إلى حدٍ كبير، وقد زاد من أهميته ضياًغ أكثر الأصول التي اعتمدها، من وثائق وروايات، وانفراده - من ثم - بإيراد ما نُقِل عنها.

والمهم أن كتاب الدروبي كان آخر الأعمال المطبوعة التي تناولت بالبحث في تاريخ الأسر البغدادية كلها في صعيد واحد؛ فإن جميع ما صدر بعده من كتب ودراسات اقتصر على أسر محلّة أو حيّ بذاته.

من ذلك ما كتبه الدكتور حسين علي محفوظ (المتوفى سنة 2009م)، حينما عرّف - في دراسة شاملة - ببيوتات قصبّة الكاظمية - قُرب بغداد - على عهده، وقد شغلت هذه الدراسة معظم الجزء الثالث من الكتاب المسمّى (موسوعة العتبات المقدسة) الصادر سنة 1970م⁽¹⁾؛ فأعد جدولاً بأسماء الأسر الحسينية في الكاظمية وهي كما قدرها: (23) أسرة، كما أثبت عمود النسب الذي تتفرع منه هذه الأسر.

ثم إنه تناول أسماء الأسر الحسينية، فبلغت عنده (53) أسرة، موضحاً نسب كل مجموعة منها، وخصّ الأسر الموسوية بمبحثٍ خاصٍ استوعب فيه أسماء (37) أسرة، وأوضح - أيضاً - أعمدة نسبها.

وبعد أن نوّه المؤلف بهذه الأسماء والأنساب، تناول - بشيء من التفصيل - الكلام على بيوتات الكاظمية، مقسماً إياها إلى ثلاث فئات: الأولى هي البيوتات العلمية، وعدتها (53) أسرة، والثانية هي بيوتات الخُدّام والسُدنة، وعدتها عنده (36) أسرة، والثالثة هي بيوتات التجار وأهل الحرف وغيرها، وسماها البيوتات المعروفة، وقد تناول (86) أسرة.

(1) الصفحات 63-158.

وكلامه عن هذه الأسر يتراوح تفصيلاً واختصاراً بين عدة صفحات، وسطر واحد، حسب أهمية الأسرة، وما هو متوفّر عنها من معلومات، على أن الطابع العام للبحث يتّسم بالتركيز الشديد، فهو يذكر أحياناً نَسَبها، إن كان لها نسبٌ معروف، كما يُشير إلى مواطنها الأولى قبل هجرتها إلى الكاظمية، والمواضع التي سكنتها في مهجرهم الجديد، وما تفرّعت إليه من أسر، وبعض ما نُسب إلى أفرادها من أعمال مهمة، وهو يُورد - في أحيان قليلة - مشجّرات صنعها بنفسه لبعض تلك الأسر لتزيد صلات أبنائها وضوحاً.

وفي سنة 1984 أصدر الدكتور هاشم الدبّاغ الأعظمي كتاباً جمع بين التاريخ والمأثور الشعبي، بعنوان (الأعظمية والأعظميون)، تكلم فيه عن أسر الأعظمية مرتبة على وفق المراحل التاريخية التي وفدت فيها إليها؛ فالقسم الأوّل يختصُّ بأسرها الأصلية، وهي التي ثبت وجودها في الأعظمية قبل دخول السلطان مراد الرابع بغداد سنة 1048هـ/ 1638 وما بعدها، وقد تكلم فيه على 112 أسرة.

أما القسم الثاني، فقد تناول فيه أسر الأعظمية بعد عام 1247هـ/ 1831م - أي: بعد الطاعون والغرق الذي داهم بغداد في ذلك التاريخ، ويبلغ عددها 114 أسرة - بينما استوعب القسم الثالث الأسر التي استقرت في الأعظمية منذ عام 1900، ويبلغ عددها 84 أسرة، أما القسم الرابع، ففيه تعريفٌ بالأسر التي استوطنت الأعظمية بين الحريين العالميتين 1918 - 1945، ويبلغ عددها 245 أسرة.

ومنهج الدبّاغ يتّسم بالإيجاز الشديد، فهو لا يزيد على ذكر اسم الأسرة، وما اشتهرت به من كُنية أو لقب، والمدن التي انحدرت منها أحياناً، وأسماء أبنائها على وفق طريقة (المبسوط) التي يعرفها النسّابون خاصة، مع فارق واحد هو أن هذه الأسر لا تتصل بنسب واحد، وإنما تنتهي إلى أنساب مختلفة مستقلة غالباً.

وأثار صدور كتاب (بغداد كما عرفتها) الذي ألفه الدبلوماسي العراقي السابق الحاج أمين المميّز (المتوفى سنة 1997م)، سنة 1985، وخصّ فيه محلّته القديمة (الدنجية) بعناية كبيرة؛ اهتمام بعض الفضلاء بتاريخ محلاتهم التي نشأوا فيها⁽¹⁾.

(1) طبع ببغداد سنة 1978، وقد ناشد مؤلّفه الحاج أمين المميّز قدامى البغداديين أن يكتبوا عن المحلات التي نشأوا وترعرعوا فيها، وعن الشخصيات التي عاصروها، وعن المعالم التي شاهدوها، وعن بغداد أيام طفولتهم وصباهم وشبابهم، في الأسلوب الذي يختارونه.

فلم تمض إلا سنواتٌ قلائل، حتى كتب أنور عبدالحميد الناصري كتاباً مستقلاً عن محلة (سوق الجديد)، وهي من محلات الجانب الغربي من بغداد، فأرُخ فيه لأسرٍ عديدة كانت تسكن محلته؛ أبرزها: آل القشطيني، وآل العَلوي، وآل خضير، وآل جمهور، وآل الحسن، وآل الهدبان، وآل هندي، وآل الناصري، وآل جرجيس، وآل النقشبندي، وآل النُور جِي، وآل الجعفري، وآل وهب، وآل الشوَّاف، وغيرهم.

وتتفاوت الأحاديث عن هذه الأسر سعةً واختصاراً، والغالب عليها الاختصار، بل الاقتصار أحياناً على الترجمة الموجزة لأبرز رجالها ممن عاصرهم المؤلف نفسه في بعض مراحل حياته، وهو إذ لم يتخذ لنفسه منهجاً محدداً في الكتابة عن تواريخ تلك الأسر، فلأنه أراد - فيما يظهر - أن تأخذ مكانها كجزء من النسيج الاجتماعي العفوي لمحلته، ومن هنا ترك القلم ليُعرف بكل أسرة دونما سياق أو منهج مُطرد.

وفي الوقت نفسه، كتب السيد شاکر جابر البغدادي (المتوفى سنة 2007م) كتابه المُعنون (من تاريخ الكردية الشرقية)⁽¹⁾، وهو كتاب قصد به استيعاب تاريخ هذا الحي الواسع من بغداد الشرقية، منذ العهود القديمة وحتى العصر الإسلامي، فالعصر الحديث.

وقد خصَّص أجزاءه الأخيرة وهي التي لم تُطبع بعد، لدراسة أسر هذا الحي، فأفرد فصلاً خاصاً بأنساب السادة الهواشم، مرتباً إياهم على النحو الآتي:

- الأسر الحُسَينية، وعدتها 13 أسرة.
- الأسر الحُسَينية وعدتها 27 أسرة، وهي تضم أسراً زيدية وأعرجية وموسوية.
- الأسرة العباسية.

ثم إنه بحث في تواريخ الأسر الأخرى، وحدد أنسابها، ومهنتها، والمواطن التي هاجرت منها، والمحلات التي سكنت فيها في الكردية الشرقية، ورتب ذلك كله على حروف المعجم، فجاءت دراسته مستوعبة لتواريخ 436 أسرة، منها 272 أسرة بغدادية سكنت محلات هذا الحي، ومنها 165 أسرة سماها كردية أصلية، والأخرى وافدة في عهود متأخرة، وتنتمي هذه الأسر إلى أصول عشائرية مختلفة،

(1) طُبِعَ الجزآن الأولان ببغداد سنة 1990، ويقعان في مجلد واحد، وقد فرغ مؤلفه من إعداد ثلاثة أجزاء تالية، تضم تاريخ الأسر التي قطنت الكردية الشرقية على ما أخبرني هو بذلك.

عدنانية وقحطانية، فمنها 45 أسرة من زبيد، و40 أسرة من خفاجة، و43 من بني سعد، و22 من طَي، و15 من ربيعة، إضافة إلى 52 أسرة لم تكتمل المعلومات عن أنسابها، و45 أسرة من النصارى، و26 أسرة من اليهود.

ومن الجدير بالذكر أن الدراسة تناولت باهتمام مهَن تلك الأسر ووظائفها الاجتماعية، من أصحاب بساتين، وتجار، ووزراء، وغيرهم.

وفي العقد الأخير من القرن العشرين وبدايات القرن الحالي تضافرت جهودٌ متنوعة للبحث في تواريخ الأسر البغدادية، وأغلب تلك الجهود لم ترَ لنور النشر سبيلاً بعد، من ذلك ما كتبه الباحث جميل الطائي في كتابه عن محلات بغداد، الذي عتونه (موسوعة تاريخ محلات بغداد وأسرها، الجانب الشرقي)؛ حيث جاء هذا الكتاب، الذي صدر منه الجزء الأول (بغداد 2004، 296ص)، من أجزاء عدة، متضمناً عدداً كبيراً من البيوتات، يبلغ نحو السبعمئة بيتاً، وتتوزع هذه البيوتات زمناً على حقبة تبدأ من سنة 1048هـ/ 1628م وحتى سنة 1958م كما تتوزع مكاناً في نحو 56 محلة هي أبرز محلات بغداد في خمسينيات هذا القرن.

وقد اختص الجزء الأول بالبحث في جانبٍ من محلة باب الشيخ، إحدى كُبريات محلات الجانب الشرقي من بغداد، وتناول من خلال هذا البحث تواريخَ أسرٍ بارزة من أهل المحلة؛ منها: الأسرة الكيلانية، وآل الطيار، وآل التكرلي، وآل الأدهمي، وآل الواعظ، وآل البكري، وآل غلام، وآل علقبند، وآل وثة، وآل الرحبي، وآل الشيخ قادر، وآل الجادر، وآل الشالجي، وآل الكيارة، وآل النقشلي، وآل دلّة، وآل علّو، وآل القاضي، وآل الجوراني، وآل الراضي، وآل السكوتي، وآل ملّوكي، وآل وريد، وآل الوطني، وآل شنشل، وغيرهم.

وأرّخ الباحث قيس عبدالقادر الشخلي لمحلة باب الشيخ، وتناول من خلال تاريخه لها دراسة الأسر القديمة التي استوطنت المحلة في العصر العثماني، مُعتمداً - بصفة رئيسة - على الوثائق، والقسمات، والإعلامات الشرعية، وقد بلغ عدد الأسر التي أرّخ لها 120 أسرة، كثير منها لم يترجم له أحدٌ من قبل؛ مثل: العبّوسي، وآل الحوراني، وآل طيفور، وآل المخزومي، وآل الخزرجي، وأسر أخرى أشارت إليها المصادر السابقة إشارات عابرة؛ مثل: آل القيّارة، وآل الدركلي، وآل الجراح، وآل التكرلي، وآل زبير، وآل غلام، وآل الرّحبي، وآل الطيّار، وآل دلّة، وآل

الأدهمي، وآل ملوكي، وآل ونة، وآل الريزه لي، وآل المدفعي، وآل الشالجي، وآل الجاووش، وآل حموش، وآل الخطيب، وآل النقشلي، وغيرهم.

ووضع الباحث رفعت مرهون الصفار كتاباً مستقلاً عن محلة صبايخ الال وما جاورها من محلات بغداد وبغداد الشرقية، ضمَّنه جدولاً بأسماء أسر المحلة والأصول العشائرية التي تتحدّر منها، ويبلغ عدد هذه الأسر أكثر من مائة أسرة؛ منها مثلاً: آل كبة، آل أبي التمن، آل القاموسي، آل الغبان، آل الصفار، آل الخاصكي، آل العينة جي، آل الخضري، آل المراياتي، آل علش، آل حبة، آل شكاره، آل البغدادي، آل الجواد، آل البير، آل رحمة الله، آل زلزلة، آل الملائكة، آل تويج، آل حمّندي، آل الخياط، آل الشماع، آل أبو الأقالم، آل مكية، آل البصام، آل الطويل، آل كافل الحسين، آل الراضي، آل الخنلي، آل البعلي، آل الشالجي، آل سلبي، آل طعيمة، آل صندوق، آل السيد عيسى، آل الشديدي، آل الأعرجي، وغيرهم من الأسر البغدادية القديمة التي استوطنت تلك المحلة وجوارها، وكان لها وجود إبّان النصف الأول من القرن العشرين.

ثم إنه وسّع هذا الكتاب بأن أضاف إليه دراسات أخرى عن محلات مختلفة في شرقي بغداد، اتبع فيه منهجه نفسه في ذكر أسماء الأسر فيها، وقد طُبِع الكتاب بعنوان (تاريخ محلات بغداد).

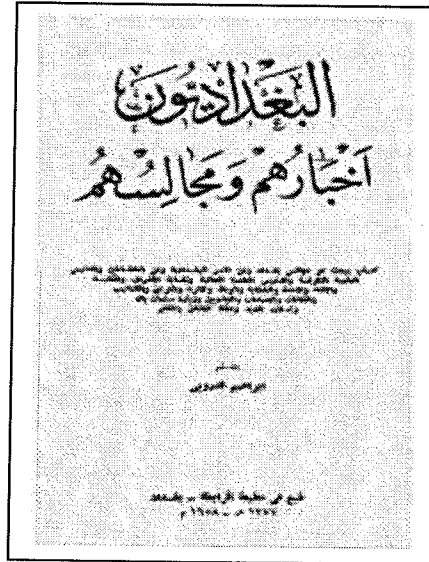
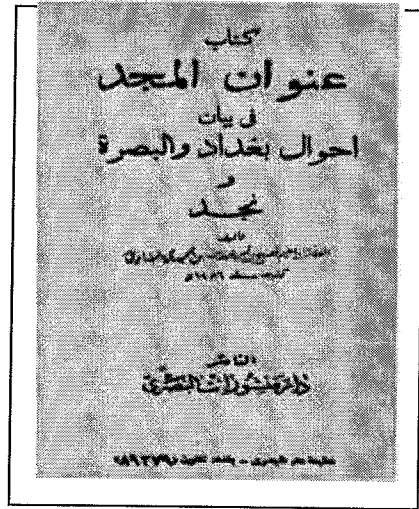
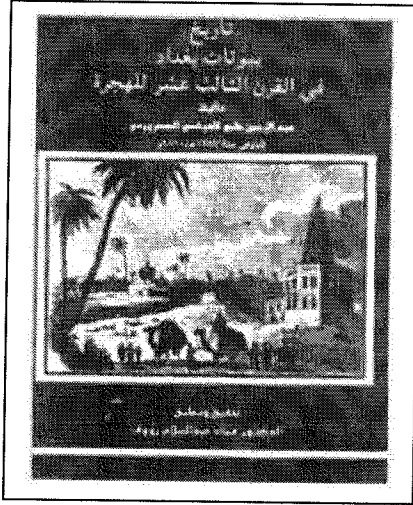
وبحثاً عن مناجم معلومات جديدة قمنا بجرد سجلات الوقفيات، والحجج، والإعلامات الشرعية المحفوظة في أرشيف وزارة الأوقاف ببغداد؛ فاستخرجنا منها قائمة بأسماء نحو ثلاثمائة أسرة بغدادية، كان لها وجود في المدينة في الحقبة الممتدة من سنة 894هـ/1488م (وهي تاريخ أولى الوقفيات المحفوظة)، وحتى نهاية العصر العثماني، وقد أثبتنا إزاء اسم كل أسرة أسماء رجالها الذين وردوا بصفتهن من الواقفين أو المتولين أو الشهود، وتواريخ الوقفيات والوثائق الشرعية التي سجلت ذلك، إضافةً إلى أسماء محلات بغداد التي سكنوها أحياناً.

ونشرنا تلك القائمة في آخر كتاب (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة) لعبدالرحمن حلمي، الذي قمنا بتحقيقه والتعليق عليه⁽¹⁾، وكثيراً من هذه الأسر لم يرد أسماؤه في الكتب المتقدمة مما دلّ على أنها تقع خارج نطاق ما

(1) الصفحات 119-140.

وَضَعُوهُ مِنْ شُرُوطٍ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِلْأُسْرَةِ أَصْلٌ قَدِيمٌ، أَوْ مَجْلِسٌ مَعْقُودٌ، أَوْ فَضْلٌ مَشْهُورٌ، وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، فَإِنْ عَدَدَا غَيْرَ يَسِيرٍ مِمَّا تَضَمَّنَتْهُ تِلْكَ الْقَائِمَةُ لَمْ يُسْمَعْ بِهِ مِنْ بَعْدُ، مِمَّا دَلَّ عَلَى انْقِرَاضِهِ نَتِيجَةً لظُرُوفٍ مُتَنَوِّعَةٍ.

وَلَا نَشْكُ فِي أَنْ مَنَاجِمَ جَدِيدَةً مِنَ الْمَعْلُومَاتِ لَمَّا تَزَلَّ تَنْتَظِرُ الْبَاحِثِينَ فِي هَذَا الْجَانِبِ الْمُهْمِ مِنْ جَوَانِبِ تَارِيخِ بَغْدَادِ الْاجْتِمَاعِيِّ، تَأْتِي فِي مَقَدِّمَتِهَا سَجَلَاتُ الْمَحْكَمَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي بَغْدَادِ، الَّتِي تَغْطِي وَثَائِقَهَا الْقَرْنَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ بِكُلِّ تَفْصِيلٍ، وَالْحَاوِيَةَ عَلَى عَشْرَاتِ الْأُلُوفِ مِنَ الدَّعَاوِي وَالْقَسَامَاتِ وَالْحُجَجِ وَالْعُقُودِ الشَّرْعِيَّةِ؛ مِمَّا يَفِيدُ الْبَاحِثَ فَائِدَةً كَبِيرَةً.



آل الرواف في بغداد

(القصيمات) عشائر وحمائل هاجرت من موطنها القصيم في نجد الى بغداد في العصر العثماني، واتخذت من جانب الكرخ من بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) مستقراً لها، حيث تحالفوا هناك مع بعض فروع قبيلة شمر، تعرف بالشامرة، مكونين اتحاداً عشائرياً باسم (عقيل)، وبلغ من كثرتهم وشدة بأسهم أن عُرف الجانب الغربي كله باسم هذا الإتحاد، فقليل له (صوب عقيل)، والصوب هو الجانب، وكان هذا الجانب يعرف قيل نسبته إليهم باسم (قرش ياخا) وهو مصطلح تركي يعني حرفاً (ذاك الصوب)⁽¹⁾ أو الصوب المقابل، وقد سعى ولاة بغداد إلى تفكيك هذا الاتحاد بأن عينوا لكل من القصيمات والشامرة زعيماً، فأدى ذلك إلى التباعد التدريجي بين الزعامتين، وفي الحوادث التي صاحبت حصار القوات العثمانية القادمة القضاء على حكم المماليك وإسقاط حكم آخر ولاتهم داود باشا سنة 1247هـ/1831م بدا جلياً مدى ما آلت إليه حالة الاتحاد من الإنقسام، حين وقفت القصيمات إلى جانب زعامات المماليك، ساندة لهم في الدفاع عن بغداد، بينما وقفت الشامرة إلى جانب القائد العثماني علي رضا باشا اللارز، قائد القوات المهاجمة للمدينة، والمعادية لتلك الزعامات⁽²⁾.

ونظراً لانفتاح طرق ذلك الجانب على بوادي العراق الغربية الجنوبية فقد تولوا تنظيم رحلات الحج وخدمة الحاج بين بغداد وبلاد الحرمين، وهي طرق صعبة المسالك تجتاز بوادي نجد لا سيما مناطق القصيم وجبالها ومضائقها، فكانوا الأدرى بتلك السبل والفجاج، والأقدر على حماية الحاج من الأخطار التي تهدد السالكون فيها، ومن تلك الحمائل أسرت اتخذت تجارة الخيل بين العراق ونجد والهند، مهنة لها تتوارثها جيلاً بعد جيل، تعلم أسرارها، وأنواعها، وأسعارها، فكانت لها في الكرخ أسواق معلومة، يقصدها الولاة والأمراء، في عصر كانت الخيل وسيلة النقل السريعة

(1) ينظر ياسين بن خير الله العمري: غرائب الأثر في حوادث ريع القرن الثالث عشر، الموصل

1359هـ/1940م ص60

(2) سليمان فائق بك: مرآة الزوراء في سيرة الوزراء، ترجمه من التركية موسى كاظم نورس

بعنوان (تاريخ بغداد)، بغداد 1961، ص98 و99.

في حالي السلم والحرب معاً، ولها في الحالين رُغاب وطلاب⁽¹⁾، كما عرفوا بتجارة المواشي بوجه عام. فحازت من الخبرة في هذا المجال ما أكسبها ثروة إفتقرت بإحترام الناس لما كانوا يتصدقون منها على وجوه الخير المختلفة.

ومن الأسر القصيمية الشهيرة في بغداد آل الرواف، الذين اتصلت مآثرهم بتاريخ هذه المدينة حتى نسب إليهم حي كبير من أحيائها، وقد تألفت هذه الأسرة، أصلاً، من أربعة بيوتات كانت تقيم في ضاحية لبلدة (العيينة) قرب الرياض في نجد، تجتمع في أب واحد هو محمد، وهي 1- آل عبدالرحمن 2- آل عبد الله 3- آل إبراهيم 4- آل موسى. وفي سنة 1170هـ/1756م شاء القدر أن يتفرق أهل العيينة في البلاد، بسبب ما أصاب بلدتهم من الجذب والوباء، فكان أن تفرقت بيوتات آل الرواف كمثل غيرها من أسر البلدة. وقصد كل بيت حذباً يبعدهم عنها، ومن تلك البيوتات آل عبد الرحمن، الذين قصدوا بلدة (القَصِيم) واستقروا فيها، وعملوا في مجال تجارة الماشية بين نجد والعراق والشام، فضلاً عن إمرة حُرَّاس قوافل الحجيج، فأثروا، وتوسعت أعمالهم حتى اقتضت أن يكون لهم من يديرها في هذه البلاد، فكان أن هاجر محمد بن عبد الرحمن بن محمد من القصيم قاصداً بغداد، حيث اتخذها مستقراً له ولذريته فيما بعد⁽²⁾. ومن الراجح أن هجرته إليها جرت في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (أواخر القرن الثامن عشر للملاد)، وعملوا كغيرهم من مواطنيهم بتجارة الخيل والمواشي، أما آل موسى فقد غادروا إلى الأحساء، والظاهر أن منهم من وجد طريقه إلى بلدة الزبير قرب البصرة، حيث أنشأوا فيها مسجداً نُسب إليهم، فغرف بمسجد موسى الرواف. ومن آل عبد الله من لحق بأعمامهم، فهاجر محمد بن عبد الله إلى الشام حيث استقر في دمشق، وهكذا وجدت الأسرة نفسها، في جيل واحد، قد تفرقت بين مراكز التجارة المهمة في نجد والأحساء وبغداد ودمشق، ولا شك في أن

(1) أصيبت هذه التجارة بالفتور إثر قيام السلطات العثمانية بمنع تصدير الخيل إلى الهند.

ينظر: رحلة عالي بك إلى بغداد، في الجزء الأول من هذا الكتاب

(2) شهادة موثقة بقلم الشيخ محمد بن عبد اللطيف، نشرها محمد بن ناصر العبودي في كتابه: معجم

أسر بريدة، الرياض، دار التلوثة، 1431هـ/2010، ج 8 ص 210. ويورد الفاضلان عبد الرزاق الصانع وعبد العزيز العلي رواية أخرى عن منشأ ثروة محمد بن عبدالرحمن المذكور، حيث قالوا أن أصله من بريدة من بلدان القصيم في نجد، وأنه هاجر إلى بلدة الزبير القريبة من البصرة، وكسب شهرة في قصة له تروى عن أنه عثر على كنز كبير، وكان محسناً، فنذر أن يبني مساجد شتى في البلاد التي يمر بها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. إمارة الزبير بين هجرتين، ج 1 ص 239.

هذا الإنتشار كان من شأنه السيطرة على شؤون تجارة الخيل والمواشي في فينا في هذه البلاد، مما كان يزيد في ثروتهم ويُقوي مركزهم الاقتصادي إلى حد كبير. على أن ذلك لم يشغلهم عن أعمال البر والخير، فعرفوا حيثما استقروا بكثرة مبرأتهم، واتبانهم أبواب الخير، من بذل للمعروف وإنشاء المساجد أو الإنفاق عليها.

ففي بغداد حقق محمد بن عبد الرحمن، الذي تقدمت الإشارة إليه، نجاحاً محموداً في مجال التجارة، لا سيما في تجارة الخيول الأصيلة، كما اشتهر بأعمال البر، فعُرف باسم (الحاج محمد جلبي)، والجلبي لقب كان يختص به ذوو المكانة الاجتماعية من كبار التجار في ذلك العصر. وكان من أعلام أسرته أيضاً (حسن جلبي الرواف) و(عمر الرواف) ولا نعلم صلتها النسبية⁽¹⁾ به.

وعدهم عبد الرحمن حلمي السهروردي من بيوت السُرّة في بغداد، فقال «بيت الرواف هو من بيوت التجارة، وهو من أهالي نجد» ثم قال «وهو بيت عز وخيرات»⁽²⁾.

وقد وقفنا في أثناء بحثنا في وثائق ذلك العهد على وثيقة مهمة بالعربية تتعلق ببعض أوجه الخير التي قامت بها هذه الأسرة الكريمة، وهي تتضمن وقفية لسيدة تدعى خديجة خاتون بنت عبد الله آل شريف جلبي، زوجة الحاج محمد جلبي بن عبد الله الرواف المذكور، على خمسة مساجد في بغداد ومسجد واحد في بلدة الزبير من أعمال البصرة، مؤرخة في الخامس من ذي الحجة سنة 1236 للهجرة (2 أيلول 1822م). وفي إشارة لعبد الرحمن حلمي السهروردي، وقد تولى الإشراف على الوقفية، أنها وقفت «جميع أملاك» زوجها⁽³⁾ مما يعني أنه وهبها هذه العقارات فعادت هي فوقفتها بموجب الوقفية المذكورة.

وتوضح الوقفية العقارات الموقوفة على النحو الآتي:

1- ثلاث بساتين تقع خارج الباب الشرقي من بغداد، تحد الأولى نهر دجلة وبستان أحمد أفندي النائب، وبستان مهدي الشماع بن حسين، وبالطريق العام. وتحده الثانية بالطريق العام، وبستان أحمد أفندي النائب، وبستان خليل بن محمد

(1) ورد إسماهما في الوقفية موضوعة الدراسة كما سيأتي.

(2) عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي، تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، ص 39-40

(3) تاريخ بيوتات بغداد ص 39

البستاني المستجدة. وتحد الثالثة، وهي البستان المستجدة بمزرع أحمد أفندي النائب، وبمزرع السيد مهدي المذكور، وبالمزرع الذي هو تبع لهذه البساتين الثلاث. وترتيب هذه البساتين في الوقفية يدل على أن أصلها، وهي الأولى، كان يقع على شاطئ نهر دجلة رأساً، وهذا أمر طبيعي لأن دجلة هو موردها الوحيد، أما البستان الثانية فهي مُستجدة، تتصل بالأولى، بينما تتصل الثالثة بالثانية وقد استجدت بعدها، وهذا يشير إلى أن غرس البساتين بدأ من جهة النهر ومضى باتجاه الشرق في عهد يسبق زمن الوقفية بمدة لا تتجاوز جيل واحد في أكثر تقدير، وهذا ما يفهم من وصفها بالمستجدة. وكانت وقفية سابقة، مؤرخة في القرن الحادي عشر (17م) قد وصفت كل هذه النواحي بأنها أرض بيضاء، أي لا زرع فيها، فضلاً عن تكون مغروسة بالنخيل، وهذا يكشف عن أن عملية غرس البساتين حوالي بغداد جرت في القرن الثاني عشر (18م) تحديداً، وهو القرن الذي شهد نوعاً من الإستقرار السياسي منذ أن تولى والي بغداد القوى حسن باشا حكمها في مفتتح ذلك القرن، وتولى ابنه أحمد باشا، ثم أخلافه من مماليكهما ذلك الحكم في الحقبة اللاحقة، وحتى نهاية عهدهم في منتصف القرن التالي. زفد اشترت السيدة خديجة هذه البساتين الثلاث فعرفت منذ ذلك الحين ببساتين الرواف، ثم جرى استبدال هذه الموقوفات بالنقد سنة 1930، فنهضت على الفور محلة سكنية باسمها عدت في حينه من الأحياء الراقية في ضواحي بغداد النَّزهة، يحدها من الشرق شارع أبي نواس المحاذي لشاطئ دجلة، ويشقُّها من الغرب شارع السعدون الذي عبَّ بعد ذلك التاريخ بمدة قليلة، ومن أبرز المعالم الحالية فيها فندق بغداد الواقع على شاطئ دجلة وعمائر كبيرة أخرى.

2- دار تقع في محلة النقاشين من محلات بغداد، تتألف من (دار الحرم) و(ديوان خانة) محدودة بالطريق العام وبيدار الواقفة وياحة الإسطبل (حوش الآخور) والحمام وبالمطبخ الخارجي للدار، وبيدار مريم شقيقة الواقفة، ويحد الحرم- أي حرم دار الواقفة- بدار مريم المذكورة، وبيدار محيي الدين، وعبد القادر أفندي إبن صبغة الله، وبيدار الحاج محمد الأعظمي، وبيدار الجوخجي، وبيدار يونس، وبيدار موشي اليهودي. وتوضح هذه المعالم سعة دار الواقفة، فهي تتألف من دارين- كأكثر دور السراة عهد ذلك- الأولى للأسرة، وهو الحرم، والآخر لضيوف صاحب الدار ومجلسه، وهو الديوان خانة، هذا فضلاً عن اسطبل مخصص لخيول أصحاب الدار وضيوفهم، وحمام، وكان وجود حمام مستقل في دور ذلك العصر أمراً نادراً ولا وجود له إلا في

دور كبار سرأة المدينة، أما (المطبخ الخارجي) فهو يدل على وجود مطبخين في الدار، أحدهما داخل الدار وآخرهما خارجه، ومن غير المحدد وظيفة الأخير، ويمكن أن يكون لخدمة الضيوف خاصة وإخراج الصدقات من الطعام. وتحيط بالدار ستة دور مستقلة أخرى، أحدها لسيدة تدعى مريم، وهي شقيقة الواقفة، والأخرى لأشخاص عدة، بينها دار لوكدي من يدعى صبغة الله، ولا نعلم هوية الأخير، ولعله العلامة صبغة الله الحيدري، أحد كبار علماء بغداد عهد ذلك. ومن اللافت للنظر وجود جار يهودي لهذه الدار، وهو أمر يدل على أن الأخير كان يعيش في المحلة نفسها التي يعيش فيها جيران له مسلمون، على الرغم من وجود محلة خاصة باليهود في بغداد. أما محلة النقاشين فلا نملك من النصوص ما يدل على موقعها، فهي المرة الوحيدة التي يرد فيها اسمها، والمفهوم أنها كانت من محلات الجانب الشرقي من بغداد، فجميع المعالم الواردة في الوقفية تقع في هذا الجانب، وعليه فإنها لم تكن تقع في الجانب الغربي حيث دور سرأة النجديين.

أن ريع هذه العقارات يُنفق، بحسب نص الوقفية، على الواقفة نفسها، بينما يتولى زوجها الحاج محمد جلي الرواف التولية على الوقف، وبعد وفاتها يؤول الريع إليه وإلى أولاده من بعده، وواضح من هذا النص أن خديجة هذه لم يكن لها، أو لزوجها، حتى تاريخ الوقفية، أولاداً ذكوراً أو إناث، يمكن أن تُسند إليهم التولية بعد وفاة زوجها، ولذلك فإنها أطلقت لهذا الزوج أن يسندها إلى من يختارهم من أولاده الذين سيؤلدون له من بعد، من زوجة أخرى يختارها، فإذا ما انقرض الجميع فتؤول التولية إلى أحد (الصلحاء من أهل بغداد)، ويظهر أن التولية انتقلت فعلاً إلى من له هذه الصفة، فقد ذكر الشيخ الأديب عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي أن جميع أوقاف هذه السيدة «تحت توليتي حسبما شرطت سنة 1236 هجرية [1820م]»⁽¹⁾.

شرطت الواقفة في حال إنقراض الذرية أن يُنفق ريع الوقفية على عدة مساجد يتولى المتولي على الوقف الإنفاق عليها، هي:

- 1- مسجد السادة. تُعين الوقفية موقعه بأنه في الطريق بين الطاق الأظلم وسوق السنك ودار الملا عبد الفتاح بن عبد الله المفتى ببغداد، ودار خميس الصباغ بن جويد، ونجدية مملوكة زوجة كريم، ودار اولاد محمد سعيد الدباغ.

(1) تاريخ بيوتات بغداد ص 40.

والطاق الأظلم هو مبنى الباب الشرقي أحد ابواب بغداد العباسية، ويقرب أن يكون اسمه ترجمة للفظ التركي (قرانلق قابي) اي الباب الأسود او الأظلم، أما سوق السنك، فهو في المحلة المعروفة بهذا الاسم، والسنك لفضة تركية تعني الذباب سميت به لكثرتة في أنحاءها، حيث كانت أرضها تُزرع بالبصل وتسمد بالسماد الطبيعي. ولذلك عُرف الباب المذكور في العصر العباسي بباب البصلية⁽¹⁾، وإشارة الوقفية الى السوق تدل على بداية انتشار العمران في هذه الأرض الزراعية.

2- مسجد النعماني. وهو قريب من سابقه، وتُعين الوقفية حدوده بأنه يقع بين الطريق العام والخاص، ویدار ريمة ورثة الشيخ جمعة الكركوكي الدباغ، والسيد عبد الله الزرقلوني، ویدار ورثة الحاج فارس الدباغ». ويظهر أن المساحة التي كانت تشغلها هذه الدور تتصف بالسعة، فقد لاحظ السيد محمد سعيد الراوي (المتوفى سنة 1354هـ/ 1936م) أن «أمامه عَرَصَة، وكانت من أوقافه، فاغتصبها بعض من لا يخاف الله، أيام الحكومة العثمانية زمن الحرب العامة، ولما احتلت الحكومة الإنكليزية بغداد سجّلها باسمه، ثم باعها لجمعية نصرانية شادت عليها كنيسة باسم الرهبان الكرمليين المرسلين»⁽²⁾، وكان قد وصفه السيد محمود شكري الألوسي (المتوفى سنة 1342هـ/ 1924م) بأنه «من مساجد بغداد القديمة، فيه منارة بيضاء مطلة على الطريق». وذكر عبد الحميد عبادة (المتوفى سنة 1349هـ/ 1930م) أن والي بغداد داود باشا عمّر هذا الجامع سنة 1239هـ، 1823م أي بعد ثلاث سنوات من تاريخ الوقفية⁽³⁾. وقد آل الجامع إلى الخراب فجدد سنة 1354هـ/ 1935م، ثم هدمته الأوقاف وبنته بعمارة أصغر من سابقتها سنة 1391هـ/ 1971م. ولما يزل هذا الجامع قائماً⁽⁴⁾.

3- مسجد ظهير الدين. ذكر أنه يقع في محلة خان الحايك (الحياك)، وأنه محدود بالطريق العام من الطرفين، ویدار سبتي بن حسين كليب، ویدار ورثة الحاج خميس المعماري. قلنا: وهو مسجد قديم لا تعرف هوية منشئه يقع بين محلة المربعة ومحلة الحاج فتحي، حيث كانت تقع تلك المحلة المندثرة⁽⁵⁾.

(1) نقض هذا الباب في سنة 1937م وكان موقعه في أرض (ساحة التحرير) الآن.

(2) محمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2005، ص 139

(3) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2004، ص 414.

(4) العقد اللامع ص 414

(5) وقد عرف المسجد فيما بعد بمسجد نور الدين نسبة الى مجددده سنة 1259هـ/ 1840م

محمد نور الدين ويظهر من الابيات التي نقلها الالوسي (مساجد 81) من على جداره انه

كان اميرا حاز على رتبة الوزارة واصله من دمشق الشام.

4- مسجد دكاكين حَبُوب. ذكر أنه مسجد صغير، وأنه محدود بالطريق الخاص، وبدار صالح البقال، وبدار الشيخ رجب، وبدار الحاج بكر والي، وحمد السعيدي. قلنا: يقع هذا المسجد في محلة بالاسم نفسه، تنسب إلى خمسة دكاكين، يظهر أن مالكتها يدعى (حَبُوب)، وقد تقلصت هذه المحلة في تاريخ لاحق، حتى غدت عقداً من عقود محلة المربعة، وعند فتح شارع الخلفاء سنة 1957 دخلت في أرض الشارع، في المنطقة الممتدة بين أمانة بغداد ووزارة التجارة⁽¹⁾.

5- جامع اللحسائي في محلة رأس القُرَيَّة، قرب خان العادلية. نُسب هذا المسجد إلى اسم دفينه الشيخ محمد بن أحمد الأحسائي الحنفي المتوفى سنة 1083هـ/1672م، وكان عالماً فاضلاً مصنفاً له مؤلفات كثيرة في الفقه والنحو والمنطق⁽²⁾. ثم اتخذه الشيخ خالد النقشبندي المتوفى سنة 1242هـ/1826م، تكية له، وعمرها، فنُسبت إليه باسم (التكية الخالدية) ثم صارت مسجداً جامعاً ولما يزل عامراً، وهو يقع في محلة رأس القُرَيَّة، من محلات الجانب الشرقي من بغداد.

6- مسجد الرُواف، هو المسجد الوحيد الذي يحمل اسم الأسرة، ويقع خارج بغداد، وذكرت الوقفية أنه واقع في بلدة الزبير بسوق البزازين، ومحدود بالطريق العام وبدار علي النجار وبدار علي الحساوي (الأحسائي). قلنا: وهذا هو مسجد موسى الرواف الذي أشرنا إليه من قبل، وقد أشار ابن الغملاس الزُبيري الى هذا المسجد ونوّه بإثنين من الأئمة فيه هما محمود سنة 1347هـ/1928م ومحمد بن عثمان البغادة، اي البغدادى⁽³⁾.

وشرطت الواقفة أن يُنفق من ريع الوقف المذكور على الجهات الآتية، (بالقرش الرايج بغداد)، وهو نقد فضي يعادل 10 بارات، أي ريع القرش الصاغ، الذي يعادل 40 بارة. وذلك على النحو الآتي:

المبلغ بالقرش	أوجه النفقة
15	إمام مسجد السادة
100	المؤذن
50	ساقى الماء

(1) كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد 2005 ص56.

(2) المحبي: خلاصة الأثر ج4 ص313 وعبادة: العقد اللامع ص360 والراوي: خير الزاد ص112.

(3) ابن الغملاس: تاريخ الزبير والبصرة، بتحقيقنا، عمان دار دجلة 2005، ص40 و42.

الشيرج والقناديل والحصران في مساجد النعمانى وظهير الدين ودكاكين حُبُوب	40
الأئمة والمؤذنون والخدمة والأباريق في مساجد النعمانى وظهير الدين ودكاكين حبوب	240
قراءة القرآن سنوياً	400
أضحية للواقفة	50
أضحية لزوجها محمد جلي الرواف	50
أضحية إلى مُعتقى زوجها: عنبر وياقوت	50
لكل مُعتق سنوياً	500
ثمار البساتين على الفقراء والمساكين	500
الناظر على الوقف	100
لتعمير العقارات الموقوفة وتنمية الوقف	المتبقى

من الوقفية نسختان، الأولى مُدَيَّلة بعبارة تفيد أنها مسجلة في المحكمة الشرعية في بغداد في السجل 16 والصحيفة 47 والعدد 112، وقد وقفنا على نسخة منها في مجموعة لدينا تضم نسخ من وقفيات بغداد، والأخرى مسجلة في وزارة الأوقاف في بغداد (ديوان الوقف السنّي اليوم) في السجل 2 الصفحة 57.

ذُيِّلت الوقفية المسجلة في المحكمة الشرعية باسم القاضي في بغداد في حينه وهو (الحاج خليل رشدي القاضي بمدينة بغداد المحروسة)، بينما نجد اسم قاض آخر في النسخة المسجلة في الأوقاف هو (محمد رفيع بن حسين)، ويمكن تفسير ذلك الاختلاف بأن الوقفية أعيد تسجيلها بعد سابقتها بعشرة أيام، فهي مؤرخة في 15 ذي الحجة 1236هـ.

وفيما يأتي نص هذه الوقفية:

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذي أوقف الواقفين الواثقين على مناهج الخيرات، لسلك مباح المسرات، ووفق العالمين بأحاسن الطاعات، والصلاة على محمد النبي الكريم، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.

وبعدُ، فأني قد وقفتُ وأبَدتُ وحَبَسْتُ ثلاث قطع البساتين الواقعة خارج الباب الشرقي من بغداد، تحد الأولى نهر دجلة، وبستان أحمد أفندي النائب، وبستان مهدي الشماع بن حسين وبالطريق العام، وتحده الثاني بالطريق العام وببستان أحمد أفندي النائب، وببستان خليل بن محمد البستاني المستجدة. وتحده الثالثة وهي البستان المستجدة بمَزْرَع أحمد أفندي النائب، وبمَزْرَع السيد مهدي المذكور، وبالمَزْرَع الذي هو تبع لهذه البساتين الثلاثة.

ووقفت أيضاً الدار الواقعة في بغداد، محلة النقاشين، التي هي عبارة عن دار الحرم والديوان خانه، المحدودة بالطريق العام، وبادارنا حوش الآخور والحمام، وبمطبخنا الخارجي، وبادار مريم شقيقة الواقفة. ويحد الحرم بدار مريم المذكورة، وبادار محيي الدين وعبد القادر أفندي إبنى صبغة الله، وبادار الحاج محمد الأعظمي⁽¹⁾، وبادار الجوخجي، وبادار يونس، وبادار موسى اليهودي، وفقاً صحيحاً شرعياً على نفسها، ومن بعدها يكون الوقف والتولية إلى زوجها الحاج محمد الرواف، وعلى من سيولد له من نسله وعقبه، وإذا انقرضوا تُصَرَّف غلّة الوقف على:

[المسجد الاول، وهو] المسجد المسمى مسجد السادة، الواقع في الطريق بين الطاق الأظلم وسوق السنك، وبادار الملا عبد الفتاح بن عبد الله المفتى ببغداد، وبادار خميس الصباغ بن جويد، ونجدية مملوكة زوجة كريم، وبادار اولاد محمد سعيد الدباغ.

ويحد المسجد الثاني، وهو المسجد المسمى مسجد النعماني بالطريق العام والخاص وبادار ريمة، ورثة الشيخ جمعة الكركوكي الدباغ، والسيد عبد الله الزرقلوني، وبادار ورثة الحاج فارس الدباغ.

ويحد الثالث، وهو مسجد ظهير الدين الواقع في محلة خان الحايك، وبالطريق العام من الطرفين، وبادار سبتي بن حسين كليب، وبادار ورثة الحاج خميس المعماري.

ويحد الرابع وهو مسجد دكاكين حبوب، وهو صغير، بالطريق الخاص وبادار صالح البقال، وبادار الشيخ رجب، وبادار الحاج بكر والي، وحمد السعيد.

(1) وهو أحد الشهود على هذه الوقفية كما سيأتي.

وجامع اللّحسائي في راس القُريّة، قرب خان العادلية.

ويحد المسجد السادس وهو مسجد الرواف الواقع في الزبير بسوق البزازين وبالطريق العام وبيدار علي النجار وبيدار علي الحساوي.

والمتولي على هذه الأوقاف بعد الإنقراض للأعلم والأصلح من علماء بغداد يَصْرِفُ نَماءَ الوقف في كل سنة أولاً على خُدّام المساجد المذكورة، يعطى للإمام في مسجد السادة الأول مائة وخمسين قرش رايح بغداد، وللمؤذن مائة قرش رائج بغداد، ولساقي الماء خمسين قرش رائج بغداد، وللشيرج والقناديل والحصران أربعين قرش رائج بغداد، ويعطى لكل مسجد من مسجد النعماني، ومسجد ظهير الدين، ومسجد دكاكين حبوب مائتين وأربعين قرش رايح بغداد، تُصْرَفُ على الأئمة والمؤذنين والخدمة، وللحُصْرُ والأباريق، وينفق أيضاً من غلّة هذا الوقف خيرات للواقفة، كل يوم ختمة قرآن تماماً، في كل سنة أربعمائة قرش رائج بغداد، وللأضحيات الثلاثة في كل سنة خمسين قرشاً رايح بغداد، واحدة للواقفة، والثانية لزوجها الحاج محمد الرواف، والثالثة على روح عنبر وياقوت، مُعْتَقِي زوجها الحاج محمد الرواف، وعلى ما تناسل منهما. وأن يُعْطَى لكل واحد منهما في السنة خمسمائة قرش رائج، وبعد وفاتهما على نسلهما بالسوية بلا ترتيب، وبعد الانقراض يرجع هذا المبلغ وينفق أيضاً من ثمر البساتين الثلاثة خمسمائة قرش رايح بغداد في كل سنة على الفقراء والمساكين، والناظر على المتولي العام والمُعْتَقَات أو نسلهما إن عَدَمَا أو عَدَم نسلهما فالصلحاء من أهل بغداد هو الناظر، وله في كل سنة من نَماء هذا الوقف مائتا قرش رايح بغداد، والفضلة تُصْرَفُ على ترميم المساجد والبساتين والديوان خانه والحرم، ويُشْتَرَى من الفضلة بعض الدكاكين ويضاف على الوقف⁽¹⁾، فاطلب تسجيل تقريري بالوقف المذكور، والحكم بصحّته وفق شروطه. وبعد الترافع بالوجه الشرعي [أقر] هذا الوقف ولزومه، بخصوصه وعمومه، عالماً بالخلاف الجاري بين الأئمة الأسلاف، حكماً شرعياً، ويسجل ذلك في اليوم الخامس من ذي الحجة الشريف سنة 1236 في السجل 16 والصحيفة 47 والعدد 112 وأنا الفقير إليه عز شأنه الحاج خليل رشدي القاضي بمدينة [بغداد] المحروسة).

(1) يلاحظ هنا اعتماد الواقف في تنمية وقفه على العقارات ذات الطابع التجاري داخل المدينة، بدلاً من الأراضي الزراعية

دُيِّلت الوقفية بأسماء عدد كبير من الشهود هم:

- 1- السيد فتاح صادق الموصلية⁽¹⁾
- 2- رُوَّاف زاده السيد عمر جليبي
- 3- ملا إسماعيل⁽²⁾ إمام جامع الصياغين⁽³⁾
- 4- دباغ ملا عمر⁽⁴⁾
- 5- داود آغا بن ملا سليمان جوريجي⁽⁵⁾
- 6- رواف زاده السيد حسين جليبي
- 7- عبد الوهاب بن مصطفى آغا
- 8- حمو بن حاج يونس الموصلية
- 9- محمد أمين إبراهيم يتيِّم⁽⁶⁾

(1) نوه عبد الرحمن حلمي السهروردي بفضل أسرته فقال «هو بيت سيادة وفضل، ورجاله من بلدة الموصل، استوطنوا بغداد قبل سنة 1236هـ/1820م وأخذوا بالبيع والشراء وصار لهم حظ وافر والله أعلم، واشتهر من أهل هذا البيت السيد فتاح صادق المعروف بالموصلية، وهو رجل صالح محبوب» تاريخ بيوتات بغداد ص27.

(2) هو الشيخ إسماعيل بن مصطفى الموصلية، هاجر إلى بغداد شاباً، حيث أكمل دراسته على كبار مشايخها، وتوفي سنة 1302هـ/1884. علي علاء الدين الآلوسي: الدر المنتثر ص93-95 ومحمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر ص136، وأثنى عليه السهروردي بقوله «هو من أهل الفضل والعلم والصلاح.. صارت له شهرة فائقة بفضلته وصلاحه» تاريخ بيوتات بغداد ص28-29.

(3) جامع الصياغين أو جامع الصاغة ويعرف أيضا بجامع الخفافين، أقدم مسجد مائل في بغداد اليوم شيد في العصر العباسي، أنشأته السيدة زمرد خاتون سنة 599هـ/1202م، وكان يعرف عصر ذلك بمسجد الحظائر.

(4) قال السهروردي «أصلهم من الموصل، سكنوا بغداد سنة 1223هـ تقريباً، وظهر [فيهم] الرجل الصالح ملا عمر الدباغ».

(5) آل الجوربه جي أسرة من وجهاء بغداد، أصلها من الموصل، وكان لها مجلس في دارهم في محلة رأس القرية في شرقي بغداد، وترددت أسماء رجالهم شهوداً على عدد من وقفيات بغداد. ينظر تاريخ بيوتات بغداد ص30 وهامش المحقق.

(6) جد هذه الأسرة هو إبراهيم بكتاش اليتيم (بالتصغير) شغل أمانة الإفتاء في بغداد، وتولى التدريس في مساجدها، ووقف جميع ممتلكاته على مسجد النورة في كرخ بغداد، ومسجد

- 10- أمين أفندي سُويدي زاده⁽¹⁾
 11- ملا محمد عُشاري⁽²⁾
 12- الحاج محمد أعظمي⁽³⁾
 13- الحاج عبد الرحمن أعظمي⁽⁴⁾ بن الحاج محمد
 14- ملا عبد الرزاق شيخلي⁽⁵⁾
 15- محمد بن حاج درويش شوشه جي⁽⁶⁾

في محلة الحديثيين في الموصل، ابراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، ص 146-148.

(1) هو العلامة المؤرخ الأديب محمد أمين بن علي السويدي، المولود في بغداد سنة 1240 والمتوفى في بريدة في طريق أوبته من الحج سنة 1246هـ (1785-1830هـ). تقدمت سيرته في هذا الكتاب ج 1 ص 391-417 بعنوان (العلامة محمد أمين السويدي دفين بريدة).

(2) نوه عبد الرحمن حلمي السهروردي ببيته بقوله «بيت علم وفضل في بغداد، من رجاله الملا محمد العشاري». تاريخ بيوتات بغداد ص 32، والعُشاري نسبة إلى موطن الأسرة الأول، وهو بلدة (عُشارة) الواقعة على ضفة نهر الخابور، وكانت تتبع في العصر العثماني لواء دير الزور من ألوية ولاية حلب.

(3) قال السهروردي (تاريخ بيوتات بغداد ص 37) «بيت الأعظمي بيت فضل وديانة من رجاله الحاج محمد الأعظمي» قلنا: ومحمد الأعظمي هذا هو السيد محمد أفندي بن السيد جعفر أفندي الأعظمي، الوارد اسمه شاهداً على وقضية محمد سعيد باشا المؤرخة في 6 صفر 1230هـ.

(4) ثوه السهروردي به وقال أنه: الحاج عبد الرحمن بن الحاج محمد الأعظمي. تاريخ بيوتات بغداد ص 37.

(5) قال السهروردي أن «بيت ملا عبد الرزاق الشيخلي من بيوت العلم، ومن رجاله عبد الرزاق المذكور» تاريخ بيوتات ص 38، وكان لهم مجلس حافل في دارهم في محلة الحيدر خانة . البغداديون ص 156-157.

(6) قال السهروردي «بيت الشوشه جي بيت تجارة، من رجاله محمد مصلح بن الحاج داود نعمة»، والشوشه: الزجاج والبلور. تاريخ بيوتات بغداد ص 38.

نظام الاصناف في العراق

ابان العصر العثماني

كان من الآثار المباشرة لحركة نمو المدن العراقية في العصر العثماني، وبخاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد)، وما نجم عنها من نشاط متزايد في الحياة الاجتماعية لسائر الشرائح والفئات. أن تعاضم دور التنظيمات الاجتماعية القائمة بما من شأنه أن يحقق نوعاً من التضامن داخل كل شريحة أو فئة، وداخل المجتمع ذاته ككل، فكان بروز دور تلك التنظيمات سمة عامة من سمات القرنين الاخيرين للعهد العثماني في العراق، لها دلالتها وأهميتها.

وتختلف مهمة هذه التنظيمات بين مدينة وأخرى اختلافات واضحة، يرجع أغلبها إلى طبيعة تكوين المدينة الاجتماعي والاقتصادي، كما تختلف أيضاً في وضوح إنتماؤها للطبقات الاجتماعية التي نشأت عنها، وعلى هذا فإن أبرز تنظيمات هذا العهد، وهي: نقابات الأشراف، والطُرق الصوفية، وأصناف الحرفيين⁽¹⁾، كان يفتقر إلى الحدود الفاصلة بينها عملياً، وهذا ما يؤكد حقيقة أن بعض التنظيمات قد فقد مبررات قيامه الأولى، واتخذ في هذا العهد مبررات أخرى مُستمدة من تطور المجتمعات المدنية المختلفة، كما يؤكد أيضاً أن جميع هذه التنظيمات قد أمسى يُمثل - في جوهره - مصالح الطبقات الدنيا من تلك المجتمعات، فالأشراف والطرق الصوفية والأصناف، كانوا يرتبطون - بصفة رئيسية - بمصالح طبقة واحدة تقريباً، وهي طبقة العامة، على تنوع فئاتها، فكان تعاضم أهمية هذه التنظيمات، منسجماً تماماً مع تعاضم دور تلك الطبقة وازدياد ثقلها السياسي والاقتصادي في الحياة العامة في مدن العراق آنذاك.

وفيما يتعلق بنظام (الأصناف) نجد أن تزايد النشاط الحرفي في المدن العراقية خلال القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، وتطور العلاقات الانتاجية

(1) الصنف لغة: الطائفة من كل شيء، وكل ضرب من الأشياء صنف على حدة، وقد أورد المؤرخون القدامى كلمة (صنف) على نحو يدل على أنها استخدمت للتعبير عن الجماعات الحرفية في المجتمعات الإسلامية، وهي ما كان يشار إليه بأصحاب المهن، وأهل الصنائع، وأرباب الحرف. ينظر عبد العزيز الدوري: نشأة الأصناف والحرف في الإسلام، مجلة كلية الآداب ببغداد، 1(1959) ص141.

بين الحرفيين من جهة، والتجار والفلاحين من جهة أخرى، قد أدى إلى تعاظم أهمية الأصناف باعتبارها تنظيمات إقتصادية - إجتماعية ذات أسس أخلاقية خاصة، تحمي أصحاب كل حرفة من التعدي، وتضمن مستوى مقبولاً للحرفة، وتحدد أسعار منتجاتها، وتنظم العلاقة بين الدولة وأرباب الحرف.

وكان من الطبيعي أن تضم هذه الأصناف أكثر الطبقات في المجتمع العراقي آنذاك نشاطاً وإنتاجاً، وأن تؤدي دورها في تماسك ذلك المجتمع إلى حد كبير. وكان شيوخ الأصناف يكون في المناسبات العامة، الأعيان والأمراء⁽¹⁾

ومن المهم أن نذكر أن علاقة هذه التنظيمات بالطرق الصوفية كانت علاقة وثيقة ومتداخلة تماماً. وقد لاحظ بعض الباحثين مدى تأثير هذه الطرق في نظام الأصناف⁽²⁾، إلا أنه من غير الواضح، على وجه التحديد، طبيعة العلاقة بين النظامين إبان العهد الذي ندرسه، فبينما نجد أن الطرق تحث أتباعها على إمتهان الحرف وإتقان الصنائع⁽³⁾، وتجعل من العمل قيمة أساسية من قيمها، وتضفي عليه عمقاً روحياً خاصاً، فإننا نجد الأصناف تتجه لأن تكون طرقاتاً بذاتها، مستعيرة من الطرق الصوفية أغلب شعائرها وتقاليدها وروحانياتها المميزة لها، مثل المواكب الخاصة بأتباعها، ومواسمها في زيارة قبور مؤسسيها وأوليائها المفترضين وسلاسل مشايخها وإجازاتهم المتوارثة⁽⁴⁾، فكان للأصناف بوصفها تنظيمات إجتماعية، احتفالاتها ومواكبها ومواسمها الخاصة بكل منها. وتعد هذه الإحتفالات من أهم مظاهر الحياة

(1) المصدر نفسه والصفحة.

(2) Lewis, B, Islamic Guilds, Economic History Review vol. VII, PP. 28, 29

(3) لاحظ النظام الداخلي للطريقة الرفاعية في: أبو الهدى الصيادي: الطريقة الرفاعية (بغداد 1969) ص 88-92، وقد عرف هذه الطريقة بأنها «اتخاذ حرفة للمعيشة من طريق حل، وقد عد ذلك الامام الرفاعي رضي الله تعالى عنه سلوكاً وأوصى أتباعه بذلك وبالغ بالوصية» ونقل عن الشيخ سكران البعقوبي (نسبة إلى بعقوبا قرب بغداد) قوله: «اعمل ولو ببيع الابرة والجرة، واقصد بها الطاعة لاوامر نبيك يبارك لك في عملك وتثاب وإياك والكسل» ونقل عن أحمد الرفاعي قوله: «احترف بما تصل اليه قوتك وبيبلغه امكانك ادنى حرفة من الاعمال والصنائع.. انسجوا وشى صنعاء ويز فارس وخز اشبيلية بين سوارى أروقتكم بهذه القرية واجمعوا بين صنائع العرب والفرس والروم..» وانظر أيضاً عبد المجيد الخادمي: شرائط النقشبندية (مخطوط في مكتبة جامعة القاهرة) وابراهيم فصيح الحيدري، عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد (بغداد 1961) ص 130.

(4) أوليا جلبي سياحتنامه سي، استانبول 1314هـ، ج 1 ص 513 و 499 - 500.

الاجتماعية للصنف، ودليلاً على تضامن أعضائه، وغالباً ما يكون الاحتفال عند وصول موكب أبناء الصنف إلى مرقد الولي (البيير) الذي ينسب الصنف اليه تأسيس حرفته ويعدده حامياً له⁽¹⁾، بل بلغ التداخل بين النظامين أن طريقة صوفية عُرِفَتْ في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر للميلاد)، كانت تشتق اسمها (وهو: الشاكردية)⁽²⁾، من الاسم الخاص بالمبتدئين في الحرف (شاكرد)⁽³⁾.

ومن المرجح أن يكون هذا التشابه بين النظامين الإجتماعيين راجع إلى تأثرهما كليهما، بنظام (الفتوة) الذي عُرِفَ في بعض أقطار العالم الاسلامي، وشهد تطوراً ونضجاً واضحاً في بغداد في نهاية العصر العباسي، وكانت الفتوة، هذه، تنظيمات اجتماعية شعبية ضمت اليها أهل الصنائع في المدن الاسلامية، وتميزت بضوابط أخلاقية رفيعة، مثل المروءة والكرم والايثار⁽⁴⁾، وكان منها أيضاً من عُرِفَ بالشطار

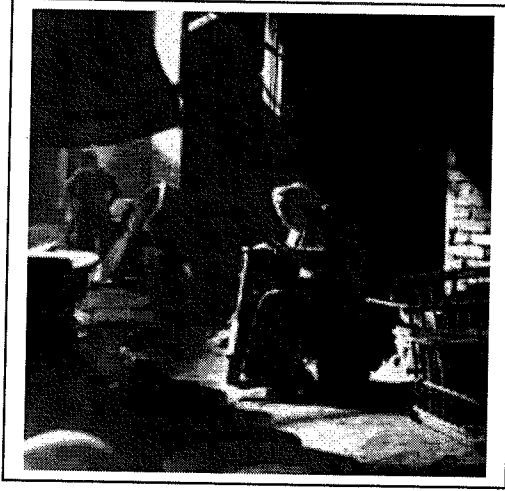
(1) من ذلك مثلاً أن جميع قصابي بغداد كانوا يحتفلون، في مواسم معينة، بزيارة الضريح المنسوب إلى (جومرد القصاب) في احد احياء بغداد الشرقية. وأن صنف الخياطين ببغداد، كان يزور بكامل هيئته، كل عام، قبر من يدعى بالسيد ادريس (في الكرادة الشرقية وسط مزارع خارج بغداد) على اساس انه كان رئيساً للخياطين أو حامياً لهم، فكانوا على ما وصف بعض معاصريهم «يحججون اليه وهم بكامل ملابسهم الجديدة المزركشة، بما كانت تجري عليه سنن الازياء في ذلك الوقت». وكان ثمة زيارة عامة يقوم بها عدد من الأصناف إلى ضريح الصحابي سلمان الفارسي في بلدة سلمان باك (عند المدائن القديمة) وهي احتفال يظهر التضامن العام بين أهل الحرف، على اختلاف اختصاصاتهم، فسلمان، على ما يذكر أوليا جلي، الحامي الرئيس لعموم أهل الحرف، ومنه تسلسلت اجازات الأصناف إلى اصحابها.

(2) رحلة نيبور الكاملة ص225

(3) أولياً جلي سياحتنامه سي، ج1 ص604.

(4) يؤكد محمد بن أبي المكارم ابن المعمار البغدادي على أهمية قيم الفتيان وأخلاقهم، ويجعل من المروءة شرطاً أساسياً للفتوة، ويذكر مائتي خصلة يندب الفتى لفعالها، ونقل عن الجنيد البغدادي التعريف الآتي: (الفتوة كف الأذى، وبذل الندى، وترك الشكوى)، (كتاب الفتوة، تحقيق مصطفى جواد وآخرين، بغداد 1960 ص 153 و 168 و 256 - 261) وهذه الاخلاق هي التي دفعت بعض الباحثين، مثل (Hammer) إلى القول بأن نظام الفروسية الاوربي مقتبس من هذا النظام. ويرى تشنو ان حركة الفتوة بدأت حركة فروسية ارستقراطية، ثم تحولت إلى أن تكون حركة الطبقة المتوسطة في القرن 13 الميلادي، وأخيراً هبطت في القرن 15 إلى ان اصبحت حركة العوام، وهكذا اندمج الفتيان بنقابات الحرف (عبد العزيز الدوري: الأصناف والحرف الاسلامية، مجلة القضاء، (بغداد 1952) ص 12 ويرى كوبرلي أن الفتوة هي التي قلدت الطرق الصوفية في أركانها ومواسمها، وذلك قبل ان يغلب عليها

والعيارين، وتتسم فتوتهم بسمة عملية عنيفة، لها اثر اجتماعي ثوري، وسياسي في بعض الأحيان⁽¹⁾. لقد أخذت الطرق الصوفية من (الفتوة) معظم تقاليدھا وانظمتھا الداخلية ومظاهرها الاجتماعية، وعليه فقد كان من المنتظر أن يكون لكل من الصنف والفتوة والطريقة، تأثيرات متبادلة، فتأخذ الاصناف الضوابط الاخلاقية الرفيعة من أهل الفتوة، وتأخذ الطرق الصوفية اصطلاحاتها منهم.



صانع الأواني في بغداد (صورة قديمة)

من ذلك أن شيوع استعمال لفظ (الشيخ) لرئيس الصنف قد أخذ عن حركة الفتوة، وحل محل اسم (الرئيس)، وظهور شعائر احتفالية معينة مثل (الشدة) وهو الإحتفال بشدة المئزر على الصانع كدليل على دخوله للصنف، على نحو شبيه بشدة (الخرقة) للصوفي إشارة إلى دخوله الطريقة، ومثل انتساب كل صنف إلى أحد الصحابة أو الأولياء (ويسمى: بئر) بوصفه حامي الصناعة أو الحرفة وشيخها الروحي الأول⁽²⁾. وكان فقيه عالم من أهل القرن العاشر للهجرة قد سئل «فيما يعتقد أرباب

طابع الصناعة بانضمام (صبيان أرباب الحرف) اليها. انظر محمد فؤاد كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة ص 110 - 111.

(1) ثمة تفاصيل مهمة عن صلة الفتوة بحركة العيارين والشطار التي ظهرت في العراق منذ القرن الثاني للهجرة (الثامن للهجرة) وحتى اواخر العصر العباسي في: عبد العزيز الدوري: نشوء الاصناف والحرف في الاسلام، مجلة كلية الآداب (بغداد 1959) ص 157.

(2) جب وبوون: المجتمع الاسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة 1971، ج2 ص 123.

الحرف من أن كل من لم ينسب حرفته إلى صاحبها الذي اخترعها لا يُعتد به ولا يحل له تعاطيها ويحرم عليه تناول أجره عمله فيها، كالخياطة إلى إدريس، والنجارة إلى نوح، والحلاقة إلى سلمان الفارسي، وسياسة الخيل إلى قنبر، ويعتقدون ذلك شيئاً يسمى الشد عندهم، وهو أن يجتمع أهل الحرف الذين في البلدة، فيُعد لهم من يريد الشد عندهم طعاماً ولغيرهم ممن حضر المجلس» وعد الفقيه هذه المعتقدات والاحتفالات من البدع لأنه من شأنها أن ترهق من يقوم بها من الفقراء مالمَّا مما يضطره إلى الاستدانة⁽¹⁾ وهو ما دعاه إلى الإفتاء بمنعها.

يتميز (الصف) عن التنظيمات الاجتماعية الأخرى، بتكوينه الهرمي المحكم الذي يرأسه غالباً (شيخ) منتخب من الأساتذة (الاسطوانات) البارزين في الصف، ويجمع في منصبه أكثر من وظيفة، مثل: أمين صندوق، وكاتب. ولعل من أهم مميزات هذا التكوين إبان القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد) في العراق، تأثيره الواضح بالنظام العائلي السائد في تلك الحقبة، فكان أن تحولت مشيخة الصف إلى منصب وراثي محض، تتوالاه في كل حرفة أسرة معينة مبرزة في صفها⁽²⁾، على أن ذلك كان يستلزم موافقة أساتذة الصف مما يبقي صفة الانتخاب. وبظل الشيخ في منصبه مدى الحياة ما لم يصدر منه ما يوجب إبداله بسواه، ومن المحتمل أن يُعرف هذا الشيخ باسم كهية، أو كَتخدا⁽³⁾، وهو لقب بقي معروفاً في المدن العراقية حتى مطلع القرن العشرين. ويتولى الشيخ أو الكتخدا مسؤوليات عديدة فيما يتصل بأعضاء صفه، فهو يُشرف على شؤونهم الإدارية والمالية، ويحل النزاعات بينهم، ويرأس هيئة الإدارة، ويرعى المراسيم والحفلات، ويقوم بالنظارة الدائمة على أحوال الصف، وتمثيل مصالحه لدى السلطات، ويشكل (الأساتذة) وهم (الأسطوانات) القسم الرئيسي من الصف، ويتمثل بأرباب الحرف

(1) خير الدين الرملي: الفتاوى الخيرية لنفع البرية، القاهرة 1300هـ، ص 235.

(2) نيقولا سيوييف: مجموع الكتابات المحررة على ابنية الموصل، تحقيق سعيد الديوه جي، بغداد 1956، ص 57 حاشية.

(3) الكتخدا، وتخفيفه: كهية: كهيا، كاهية، اصطلاح فارسي مركب بمعنى صاحب الدار، وهو يطلق على وظائف متعددة متنوعة، منها مساعد الوالي ومعاونه. ويلاحظ ان محلات المدن العراقية الرئيسية، مثل بغداد والموصل والبصرة، كان يرأسها، في العصر العثماني، رؤساء يحملون لقب كتخدا هذا. سجلات الدولة العثمانية Tapu Defteri، سجلات ولاية بغداد، دفتر 1028، ورقة 361 وولاية الموصل دفتر 195 و 660 ومدينة البصرة دفتر 282 ورقة 442.

وأصحاب المشاغل اليدوية، وأصحاب العمل للفئات الأخرى من الصنف مثل الصناع والمبتدئين⁽¹⁾، وقد ظلت تلك الفئة هي المسيطرة على أحوال الحرفة، حتى بعد انهيار نظام الأصناف في بدايات القرن العشرين.

ويلى الاستاذ - عادة - من يُعرف باسم (الخليفة) أو (الخلفة) وهو ينوب عن أستاذه في العمل أحياناً، ويتبعه، ويتعلم منه، ثم (الصانع)، وأخيراً المبتدئ (الشاكرد) الذي يلتحق بالعمل طلباً لتعلمه فهو أشبه بالتلميذ لأستاذه. ولقد ظل المصطلحان الأولان مستخدمين في الحياة الحرفية في العراق حتى عهد قريب، بل إلى الآن أحياناً، أما مصطلح (الشاكرد) فقد لاحظنا أنه اطلق، في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر للميلاد)، على طريقة صوفية، لا على فئة معينة من أهل الحرف، وفي الواقع فأنا ما زلنا في حاجة إلى معلومات عن هذه الناحية.

ولقد كُفّلت قوانين العصر لأعضاء الأصناف، مكانة خاصة تميّزهم عن غيرهم من أهل المهن الأخرى في المجتمع، فنرى أن فقيهاً بغدادياً من أهل القرن الحادي عشر (السابع عشر الميلادي)⁽²⁾ يميز بين نوعين من الأجراء، وهما الأجير المشترك (وهو الذي يستحق الأجرة بالعمل لا بتسليم النفس) والأجير الخاص (وهو الذي يستحق الأجر بتسليم نفسه في المدة المتعاقد عليها وإن لم يعمل)⁽³⁾ فالحدّاد والنسّاج والطبيب هم أجراء مشتركون لأنهم يقومون بأعمال خدمة لعدد مختلف من الناس في الوقت الواحد، وهم لذلك يتمتعون بالحقوق الهامة المكفولة لهذا النوع من الأجراء، وأهمها توفر استقلال شخصياتهم من عملائهم، فهم - بحسب هذه القاعدة - أرباب عمل حقيقيون، وليسوا أجراء عاديين.

ويقدم الفقيه البغدادي المذكور أمثلة متنوعة على ما كان سائداً من حقوق حرفيي الأصناف في عهده. فمثلاً لا يُسأل الحارس المستأجر لحفظ الخان اذا ما

(1) انظر جب ويون ج 2 ص 124 - 125 وكوبرلي: مصدر سابق 101 و Massignon مقالة sinf

في Enc. Of Islam

(2) غانم بن محمد البغدادي الحنفي المدرس في المدرسة المستنصرية (توفي سنة 1620م/

1030هـ): مجمع الضمانات في مذهب الامام ابي حنيفة النعمان (مخطوط في مكتبة

الأوقاف المركزية ببغداد).

(3) مجمع الضمانات، الورقة 10

سَرَقَ ولا يطالب بتعويض «لأنه يحفظ الأبواب، أما الأموال فهي بيد أربابها»⁽¹⁾، وصاحب الخان المستأجر لحفظ الأمتعة غير مسؤول إذا ما سطا سارق على أمتعته أثناء غيابه، وكذلك لا يدفع الحريق، مثل: النساج والحداد والقصار (المشتغل بقصر ألوان الملابس) والديباغ، تعويضاً عن شئ فقد من محل حرفته أو تلف بغير سبب منه، حتى لو ترك محله ذاك في وقت كثر فيه اللصوص⁽²⁾، وجعل للحرفيين الذين لعملهم أثر الصباغ حقاً في الاحتفاظ بالسلعة عند مماطلته بالسعر، وهو ليس مسؤولاً عنها إذا ما تلفت أو فقدت⁽³⁾، وأعفى الأطباء والجراحين عموماً من مغبة أعمالهم إذا ما هلك مرضاهم، دون سبب منهم واضح⁽⁴⁾، كما أعفى الملاحين من المسؤولية إذا ما غرقت سفنهم المحملة ببضائع غيرهم، حتى وإن كان غرقها بسبب عطب فيها⁽⁵⁾.

أما الأجير الخاص، فهو على ما تدل الأحكام الخاصة به، تابع للحريق، وهو في الغالب مُستأجر لديه، ولهذا فليست له شخصية خاصة به عن مخدومه، وهو يستحق أجرته منه في كل الاحوال، حتى في حالة تعطله عن العمل⁽⁶⁾ لانه محسوب عليه ولا مورد له من سواه. ويبدو أن هذا الأجير لم يكن في معظم الأحيان إلا تلميذ الحريق أو صبيّه، إذ يؤكد البغدادي على عدم قيام المعلم، أو الأستاذ، بضرب صبيّه، أو تلميذه، إلا بإذن أبيه أو وليّه⁽⁷⁾، وإذا ما أذن للصبي بالترقي إلى مرتبة (الصانع) اختلف وضعه القانوني، فيتحمل عند ذلك مسؤولية كاملة تجاه رب عمله (الحريق) فهو يعوض ما يفقد منه أو يتلفه من سلع على عكس زميله غير المأذون، الذي يتحمل عنه مخدومه مسؤولية أعماله كافة⁽⁸⁾.

ويحدد مؤلف عراقي مجهول، في مخطوطته عن تقاليد صنف الحلاقين كتبت في القرن الثاني عشر، ما يجب ان يكون عليه (الحريق) الذي هو عنده (المزِين) باثني عشر شرطاً، هي:

(1) المصدر نفسه، الورقة 15.

(2) المصدر نفسه

(3) المصدر نفسه، الورقة 22 (ضمان الصباغ).

(4) المصدر نفسه، الورقة 25 فصل (ضمان الفصاد ومن بمعناه).

(5) المصدر نفسه، الورقة 26 فصل (ضمان الملاح).

(6) المصدر نفسه، الورقة 14 فصل (في الأجير).

(7) المصدر نفسه، الورقة 22 فصل (ضمان المعلم ومن بمعناه).

(8) المصدر نفسه، الورقة 14.

- 1- أن لا يخدم أستاذاً ما خدم أستاذاً ولا هو داخل في معرفة الاستاذين (كذا).
 - 2- أن يخدم أستاذاً عارفاً بأركان الصناعة وقواعدها وشروطها حتى يضع كل شئ في موضعه من الشروط والقواعد ولا يُنكر على أستاذه لئلا ينكر عليه.
 - 3- أن يكون مع الناس حاضراً في خدمتهم وناصحاً لهم ومحترماً لهم ومُعزاً لهم وقائماً بحقوقهم.
 - 4- أن يأخذ العهد والبيعة من يد أستاذه ويستأذنه ويطلب منه الرخصة في الصناعة.
 - 5- أن يعيش بالكد الحلال ويقنع به وإن كان قليلاً.
 - 6- أن يكون مواظباً على الفروض الخمسة في الأوقات الخمسة ويكون صاحب عبادة وذكر لله تعالى على كل حال وإن يكون حامداً شاكراً ذاكراً لله تعالى قانعاً بما قسم الله له.
 - 7- ترك الهوى وحفظ النفس والتكبر بل يكون متواضعاً خاشعاً خاضعاً عفيفاً لطيفاً.
 - 8- أن يكون إذا رأى [شعر] رأس أحد من المسلمين طويلاً يُزينه ولا يُخجله في الثمن، فإنه ربما يكون لا يملك الثمن في وقته ذلك، بل إذا أعطاه شيئاً أخذ منه بالقبول والبركة قليلاً كان أو كثيراً، وأن يعطه شيئاً لا يطالبه فربما يكون صفر اليدين.
 - 9- أن ينظر إلى الغني والفقير بعين واحدة ويكون في خدمتهم سواء.
 - 10- أن يُفرق بين المؤمن والمنافق فإذا حَضَرَهُ (كذا) مؤمن ومنافق فيقدم المؤمن على المنافق.. وإذا حضر شريف وعامي فيقدم تزيين الشريف لشرفه.
 - 11- أن يكون إذا رأى في جسد إنسان عيباً وخللاً فلا يظهره على الناس بل يكتمه ويستره.
 - 12- أن يكون عارفاً بقواعد الصناعة عارفاً بشرايطها وأركانها وما يحتاج اليه في صنعته⁽¹⁾.
- ويحدد صاحب المخطوطة المذكورة طبيعة العلاقة بين الصانع الحرفي (المُزِين) وأستاذه، فيقول: «يجب عليه أن يكون في خدمة أستاذه كالميت بين يدي المُغسَل،

(1) مجهول: رسالة في حلاقة الرأس، مخطوط في المكتبة القادرية ببغداد، الورقة 12-18.

والصانع لا يكون صاحب حُجَّة على أستاذه، ويجب على الأستاذ أن يُعلم صانعه النصيحة، وأن يذهب به إلى المرشد الكامل حتى لا يبقى للصانع حق على أستاذه. وله - أي لأستاذه - أن يمنع صانعه من اللعب والطرب واللهو، ولا يفتاض على صانعه من غير ذنب، ولا يضره بغير سبب، ولا يعمل في تعليمه له تقصيراً، وإذا كان عند أستاذه معرفة غريبة يُعلِّمها لصانعه، وكلما كان عنده من الصنائع يظهره عليه، ولا يخرج الصانع من عند أستاذه إلا بإذنه⁽¹⁾.

ويبدو أن الرقابة على الأصناف والحرف ازدادت إبان العصر العثماني، فخضعت الأصناف إلى إشراف مُوحَّد، وذلك بان جُعِلت تحت (مشيخة) عامة واحدة، وفُرضت عليها الضرائب بالضمان أو بالالتزام، فكان للحرف ضامن ملتزم أمام حكومة الولاية بتحصيل الضرائب على أهل الأصناف، وهو أمر أدَّى إلى أن يُسمَّى شيخ الأصناف مسؤولاً أمام الضامن مباشرة، وليس أمام الحكومة⁽²⁾. ويفهم مما أورده المؤرخ الموصلية محمد أمين العمري (توفي سنة 1201هـ/1786م) انه كان على هذا الشيخ أن ينظم حساباته في (دفتر) خاص يبين فيه ما يُنفقه وسبب انفاقه، وانه كان عليه أن يُقدِّم دفتره إلى الضامن ليُشرف بنفسه على سير الأمور المالية للأصناف بأسرها⁽³⁾.

وكان لكل نوع من الأصناف قانون خاص يعرف به (الدستور) تتعلق أحكامه بالأمور المالية للصنف وبخاصة ما يتصل بتحديد أجور الصناع، وتقدير كمية الانتاج، والضرائب المفروضة على الصنف. وتكشف سجلات ولاية البصرة العثمانية (القرن العاشر/السادس عشر الميلادي) عن وجود عدد كبير من (دساتير العمل) هذه، فكان هناك دستور للقصابين وللدبَّاغين وللخصَّافين⁽⁴⁾ وللعطارين، ولدلالي الأقمشة والعقاقير، وكان هناك أيضاً دستور لصبَّاغِي الغُزول وغيرها يحدد أسعار الصبَّاغ، وآخر للملاحين⁽⁵⁾.

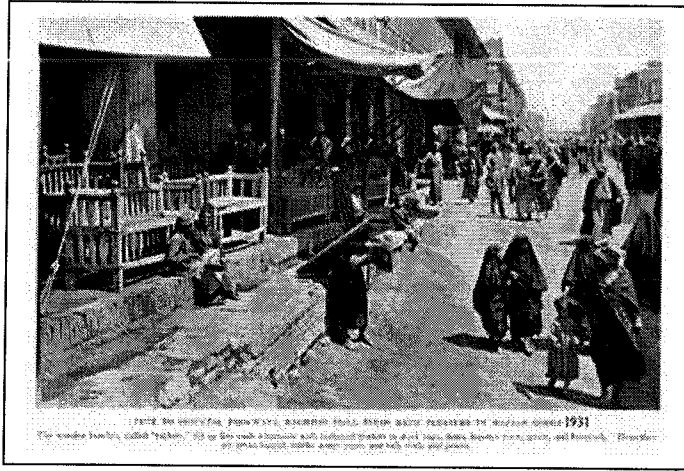
(1) المصدر نفسه، الورقة 21.

(2) كتابنا: الموصل في العهد العثماني، النجف 1975، ص 291.

(3) منهل الاولياء ومشرَب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل 1967، ج 1 ص 132.

(4) الخصَّاف المشتغل بكبس التمور.

(5) الأرشيف العثماني، سجلات ولاية البصرة، دفتر 282، الورقة 425-429.



مقاه وأسواق في بغداد (صورة قديمة)

ويقدر إهتمام واضعي (دساتير العمل) بالأمور المالية للأصناف، فإنهم أغفلوا توضيح دورها الاجتماعي في المدينة، ووضعها الإداري فيها. ففي الوقت الذي كانت فيه أصناف معظم المدن العثمانية تخضع لإشراف موظف خاص يدعى المحتسب، أو (احتساب آغاسي) مُوكل من قبل قاضي المدينة بتدقيق الموازين ومراقبة السوق⁽¹⁾، فإن معطيات مصادرتنا المحلية تخلو من الإشارة إلى هذا المنصب الهام، وإن تكن تشير إلى وجود ضريبة باسم (الاحتساب) تؤخذ على أساس النسبة الشرعية 40/1⁽²⁾.

وكان على الأصناف أن تؤدي، متضامنة، أنواعاً من الضرائب الحرفية إلى الملتزمين (الضامنين) الذين يفوضون حق إستيفائها بالمزايدة السنوية، وتعرف هذه الضرائب بالتمغا، أو الطغمة، وقد تدخل في هذه الطريقة من الالتزام دور

(1) الظاهر ان اولئك المحتسبين كانوا لا يعينون في مناصبهم إلا في المدن التي فيها قاض، وهم يقومون بتحصيل مختلف الرسوم على السلع والصفقات التجارية، كما كانت لهم سلطة القضاء في شؤون الاصناف بسرعة خلافاً للقاضي الذي تخضع أحكامه لاجراءات شرعية، انظر جب وبيون: المجتمع الإسلامي والغرب ج 2 ص 130-131 ونقولاً زيادة: الحسبة والمحتسب في الاسلام، بيروت 1963، ص 31-41 ويلاحظ شابروول أن بعض الطوائف (الأصناف) في القاهرة كان يخضع لإشراف آغا العزيان والمحتسب، وللأخير حق الاشراف الخاص على المواد الغذائية. انظر: شابروول: دراسة في عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ترجمة زهير الشايب القاهرة 1976، ص 288.

(2) عباس العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية، بغداد 1959، ص 50.

الصناعة العامة التي يملكها الصنف برمته، كأن تكون على المصايغ (بويه خانة) ودور النسيج (ابريسم خانة) ومواقد النار لإذابة ألقار (القيبر خانة) والمخابز (يمك كارخانة) والممالح، وفُرضت أيضاً على الدكاكين والأسواق⁽¹⁾.

وكان لتزايد النشاط الاقتصادي في مدن العراق، في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (أواخر القرن الثامن عشر للميلاد)، أثره في زيادة أهمية ضمان الأسواق والمرافق الاقتصادية وما يدره ذلك من أموال، فسجّل (إلتزام) سوق الغزل ببغداد، وهو السوق المختص ببيع الغزول اللازمة للنسيج، زيادة سنوية مستمرة خلال السنوات زيادة سنوية مستمرة خلال السنوات 1212 - 1216هـ/1767-1801م على النحو الآتي⁽²⁾.

2250	1212
4000	1213
4500	1214
5000	1215
5400	1216

وبلغ من نفوذ السلطة السياسية على شؤون الأصناف، أن تولّى الوالي نفسه إدارة تلك الشؤون أو الإشراف عليها من النواحي المالية، وهو ما كان يحدث في الموصل إبان القرن الثالث عشر للهجرة (القرن التاسع عشر للميلاد)، حيث كانت عملية البيع تجري بين الأصناف بالدين، بضمانة الوالي نفسه، ويحتفظ الأخير بسندات الصفقة في خزانة الولاية⁽³⁾، ويحدد صاحب تاريخ ماردين⁽⁴⁾ أواسط القرن الثاني عشر تاريخاً لقيام السلطات المحلية بالاقتراض المنظم من الأصناف، ومن ثم بدايةً جدية لتدخلها في شؤونها المالية مباشرة. فيقول في ترجمة (الخزينة كاتبي محمد أفندي) متسلم ماردين، وكانت يومذاك جزءاً من ولاية بغداد «ثم حكّم الخزينة كاتبي محمد أفندي سنة 1155هـ/1742م، وحكّمه أربع سنين.. وهو الذي

(1) سجلات ولاية البصرة، دفتر 282 ورقة 425.

(2) المحكمة الشرعية ببغداد، سجل 6 قديم، ورقة 34.

(3) مجهول: القوانين السلفية، مخطوط في دار المخطوطات العراقية ببغداد، الورقة 18.

(4) عبد السلام المفتي المارديني: تاريخ ماردين، مخطوط في دار الكتب المصرية، الورقة 141.

أبدع الدّين على أهل الحرفة، وكان يعطيهم بذلك صكاً مختوماً، فإذا أراد أداء دينه أعطي من الأموال ما أراد بمقدار ما يريد كما هو المعتاد في هذا الزمان».



سوق قديم ببغداد سنة 1914

ويبدو أن للأسباب المالية والإدارية دورها في ضم عدد من الأصناف المتشابهة حرفها، ضمن صنف واحد. إذ تشير نصوص تاريخية⁽¹⁾ إلى أنه كان في الموصل سبعة أصناف، يرأسها شيخ يُعرف باسم (شيخ الأصناف السبعة). وأغلب الظن أن تحديد عدد الأصناف بسبعة فقط، لم يكن إلا تحديداً رسمياً، هدفه توحيد إدارة كل مجموعة من الأصناف المتقاربة المهن، في صنف واحد رئيس، تسهياً للإشراف على الحرف العديدة التي كانت منتشرة في ولاية الموصل آنذاك، وضم الجميع تحت (مَشِيخة) عامة واحدة⁽²⁾. وليست ثمة معلومات دقيقة عن عدد الأصناف في المدن العراقية إبان العصر العثماني، ويقدم لنا مؤلف فقهي مهم، كتب في القرن الحادي عشر (السابع عشر للميلاد)⁽³⁾

(1) امين العمري: منهل الاولياء ج1 ص142-143.

(2) كان عدد الاصناف في حلب المجاورة (72) صنفاً، وعلى كل واحد شيخ (توتل: وثائق تاريخية عن حلب، بيروت 1958)، ويذكر الجبرتي نحو 70 أو 72 (صنف) في القاهرة، وهو يماثل ما كان موجوداً في حلب (جب ويوون ج2 ص139) ومن المحتمل ان يكون هذا الرقم عددا تقليدياً للأصناف في أكثر من مدينة، منها الموصل ذاتها، وذلك على افتراض ان وجود سبعة اصناف فيها يمثل اختزالاً شكلياً للعدد المذكور، أما القسطنطينية فقد كان فيها (1001) صنفاً، وهو عدد رمزي كما يبدو، يشكلون 57 شعبة. انظر أوليا جلبي سياحتنامه سي ج1 ص604 الى 669.

(3) غانم البغدادي: مجمع الضمانات، الورقة 7-25.

عرضاً لأسماء الحرف الرئيسية القائمة في عهده والتي تبلغ الأربعين، ويمكن القول استناداً إلى ما يصفه المؤلف من الوضع القانوني الخاص بكل نوع من الحرف، بأن هذه الحرف كانت تشكل (أصنافاً) قانونية قائمة بذاتها، وأصحاب تلك الحرف هم:

القصّابون، الطّبّاخون، الطحّانون، الخبازون، النساجون، الحياك، الخياطون، القصّارون، الصباغون، الصياغ، الصيّقليون (صاقلو السيوف)، الفصّادون، الحجّارون، الختانون، الكحالون (أطباء العيون) البياطرة، الملاحون، الوراقون، الغلافون، الكتّاب، الإسكافيون، الخفافون، النجّارون، الدلالون، السماسرة، البياعون، النحاسون، دلالو الأراضي، الحُرّاس، الخانيون (اصحاب خانات التجار)، المكاريون والحمالون.

ومن الواضح أن هذه القائمة أغفلت أصنافاً أخرى من الحرفيين مثل السقائين والنحاسين والأطباء والحدادين.. الخ، وأنها لم تذكر إلاّ قسماً يسيراً منهم فقط⁽¹⁾. ويعقد الرحالة التركي أوليا جلبي، في كتاب سياحته، (وكان قد زار بغداد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري) فصلاً خاصاً بـ(الحرف والصناعات) ببغداد، لكنه لا يشير إلى أكثر من خمسة أصناف رئيسية، هم صنّاع السروج، والصاغة، والخياطون، والحدادون، وصنّاع السيوف⁽²⁾.

وقد استخلصنا من نصوص الوقفيات التي وقفها بغداديون خلال العصر العثماني، أسماء الاسواق المنسوبة الى ما كانت تختص به من حرف مختلفة، فبلغت نحو خمسين سوقاً، ابرزها اسواق:

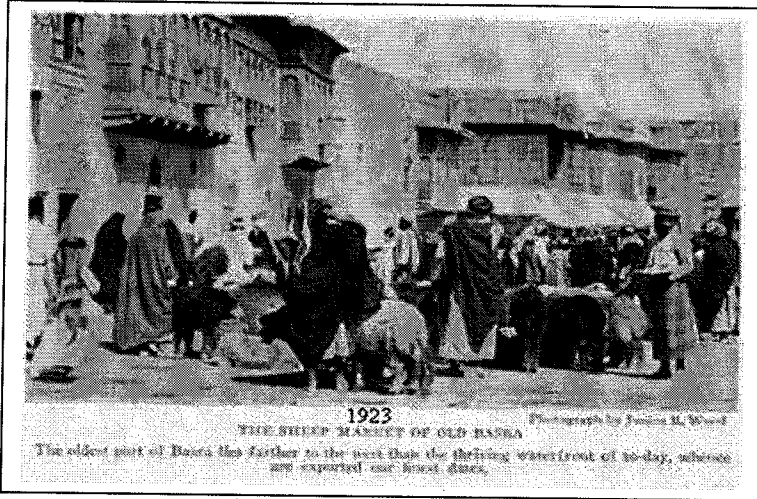
اسكيجيلر (باعة المواد القديمة)، الاطرقجية (باغة الامتعة المستعملة)، البزازين، البقالون، البلطه جية، البلانجية، التّمارة، الجبقجية، جوخجية، الحدادين، الحرير، الخرده فروشيه، خونداقجية، الخياطين، الدقاقين، الدنكجية، الدهانة، السبزه راتجية، السراجين، السريرجية، الشعربافية، الصباغين، صبايغ الآل، الصحاحيف،

(1) ثمة أنواع من الحرفيين، اشار اليهم المؤلف، لا يدخلون -فيما يبدو- ضمن الهيئة الاجتماعية للمدينة، وانما هم ريفيون، وان كانوا يؤدون خدمات معينة لاهل المدن، مثل: الرعاة، ورعاة البقر، ويشير أوليا جلبي الى اختصاص الفلاحين باستانبول بصنف مستقل، ينتسب الى احد الاولياء (الأبيار - جمع بير) وهو منصور القطان المدفون في المدائن جنوب بغداد (اوليا جلبي سياحتنامه سي 1 ج 1 ص 589) على أن هذا الصنف كان لا يشمل -فيما يبدو- الا الفلاحين القاطنين في المناطق المحلية من العاصمة (جب ويوون ج 2 ص 213).

(2) أوليا جبي سباحتنامه سي ج 4 ص 422.

الصفارين، الصياغ، العطاطير، الغزل، القزازين، القطن، الفحم، الذهب، القوافين. وثمة حرف اخرى كثيرة يزوالها أصحابها في أسواق مشتركة، او اسواق تتسب الى محلات او اعلام⁽¹⁾.

وتشير قائمة أحياء بغداد وعقودها التي وضعها الكوماندر فليكس جونز في سنة 1846، إلى نحو سبعين صنفاً متميزاً مستقلاً⁽²⁾، وتشمل أغلب ما تحتاجه المدينة، في ذلك العهد، من منتوجات وخدمات مختلفة⁽³⁾.



سوق لبيع المشية في البصرة القديمة 1923

وزاد من أثر الأصناف في الإدارة وفي توجيه الحكام، إنضمام معظم الحرفيين إلى أورطاط (فرق) الجيش الانكشاري المرابطة في المدن العراقية⁽⁴⁾ وإداؤهم، من

(1) كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط: 2، الوقف السني، بغداد، 2016، ص 827-361

(2) Jones. F.. Selection from the Rrcord of Bombay Government (Bombay 1954) pp. 312. 338

(3) ذكر الشيخ جلال الحنفي في كتابه (الصناعات والحرف البغدادية) بغداد 1966، جملة كبيرة من تلك المهن والحرف، تؤلف نحواً من ثلاثين مجموعة حرفية، اغلبها مما كان معروفاً في القرن التاسع عشر.

(4) يذكر روسو (Rousseau) ان سكان بغداد كانوا يتكونون بأسرهم من الانكشارية الذين يقومون بممارسة التجارة والصناعة (جب وبيون ج 2 ص 140) ويمكن القول ان الوضع نفسه كان موجودا في كل من الموصل والبصرة، حيث يذكر الاب دومنيكولانزا (Lanza) في معرض كلامه على الموصل، ان «كل الاتراك (يقصد المسلمين) تقريباً ينتسبون إلى احدى الاورطاط

خلال تلك الأورطات، أدواراً مختلفة انحدر بعضها إلى مستوى الفوضى والتخريب، وتشير وثائق عثمانية ترقى إلى أواخر القرن العاشر الهجري (16م) إلى أن تلك الظاهرة بدأت في وقت مبكر، ففي سنة 985هـ/1571م أصدر السلطان حكماً إلى أمير أمراء بغداد يقضي بعدم تغيين (المحليين) في سلك القوات المسلحة⁽¹⁾، وبلغ من خطورة هذه الظاهرة أن فئات غير منضبطة صارت تُدخل نفسها في عداد هذه القوات، فيرتكبون بإسمها أنواعاً من التعديات. ويؤشر حكمٌ موجه إلى قاضي الموصل في سنة 1119هـ/1707م إلى أن بعض الناس من سكان الموصل صاروا يذهبون إلى بغداد وإلى كركوك، وحينما يعودون إلى بلدهم يدعون أنهم صاروا في عداد سلك الإنكشارية، ويقومون بتشكيل جمعيات للإفساد والتخريب، ويطلب الحكم بملاحقة هؤلاء ومعاقبتهم⁽²⁾. وفي سنة فني عام 1191هـ/1777م، عرّض (عامّة البلد) في ماردين، على السلطان عبد الحميد الأول، إعادة تشكيل أوجاغ (صنف) للانكشارية كانت الدولة قد استحدثته في البلدة في أول عهدهما فيها ثم ألغته «والتمسوا أن يخرطهم في سلك الينكجارية (الانكشارية) ويراعوا شروطها العرفية كما هو القانون المعتاد، ويكونوا من عسكر السلطان كسائر البلاد، وعرضهم من ذلك أن يكونوا على الإتفاق لئلا يجور عليهم أهل البغي والنفاق، مع أن التدابير لا تغلب التقادير.. فأجابهم السلطان إلى ما طلبوا وأدخلهم في هذا الأوجاغ، ثم أنهم شرعوا بالزنا وشرب الخمر، وتعاملوا بأنواع الفسق والفجور، فمنهم من كان يمنع حقوق العوام، وبطل بينهم الشرع وحكم الحكام، وصاروا كأنهم عمالقة من بني حام.. ثم أنهم هجموا يوماً على الويوّده (متسلم وحاكم) عرب علي اغا، وقتلوه وقتلوا خزينة داره سليمان أغا⁽³⁾. وفي عام 1225هـ/1810م لبس أهل الأسواق ببغداد سلاحهم وعزموا على قتل قائممقام المدينة، ولم يثبثهم عن عزمهم سوى إستعانة القائم مقام المذكور بقوات القبائل المجاورة⁽⁴⁾.

ليحتموا بواسطتها من الغير» (مذكرات دمنيكو لانزا، ترجمة روفائيل بيداويد، الموصل 1952، ص 58 حاشية).

(1) الأرشيف العثماني، دفتر مهمة 20 ص 81 في 8 صفر 985

(2) الأرشيف العثماني، دفتر مهمة 115 ص 255 في أواخر ربيع الآخر 1119

(3) تاريخ ماردين، الورقة 144.

(4) ياسين العمري: غرائب الاثر في ربع القرن الثالث عشر، الموصل 1940، ص 120.



سوق السرجخانة القديم في بغداد

على أنه تجدر الإشارة هنا الى ان الأصناف لم تستطع ان تبلغ في فعاليتها السياسية حداً يمكنها من الاستحواذ على السلطة في المدن. حقيقة أنهم كانوا دوماً عنصراً له أهميته من الناحية الاقتصادية، إلا أنهم لم يتمتعوا بنفوذ سياسي مؤثر على نفس المستوى⁽¹⁾. ولقد بقيت طبقة التجار، بما لها من تحكم في تصدير السلع المنتجة وتوريد مواد التصنيع الخام، تمارس سيطرتها على السوق المحلية، ومن ثم على وضع الأصناف الاقتصادي نفسه. وبوصول تلك الطبقة، في بعض المدن العراقية إلى السلطة السياسية⁽²⁾، وتمكنهم في البعض الآخر من التأثير على تلك السلطة⁽³⁾، فإن سيطرة التجار على الأصناف أصبحت ذات مدلول سياسي أيضاً، إذ باتت طبقة التجار تشكل حائلاً فعالاً يقف بين الأصناف وبين السلطة السياسية ويمنعها من نيل إمتيازات رئيسية كالتالي نالتها مثيلاتها في أوروبا، وهو أمر كان من شأنه أن يجعل نظرة هذه الأصناف إلى السلطة البلدية والمركزية مشوبة بكثير من الشك والريبة⁽⁴⁾، وأن تتضافر

(1) Bonne, Alfred : state and Economic in the Middle East. P, 50.

(2) وهو ما حدث في ولاية الموصل في عهد آل الجليلي.

(3) وهذا ما حدث في ولاية بغداد ابان عهد المماليك.

(4) Bonne, A. OP. Cit., P. 51

مع التنظيمات الإجتماعية الأخرى، كالطرق الصوفية والتجمعات الشعبية التي تقودها نقابات الأشراف، في الوقوف أمام تلك السلطة. على أن مثل هذا الموقف لم يكن يمنع - أحياناً - من أن تتخذ الأصناف موقفاً مؤيداً للسلطة المحلية المتمثلة بنظام المماليك، وبخاصة عند تعرض هذا النظام لمحاولات السلطة المركزية العثمانية في التدخل في الشؤون الداخلية للولايات العراقية. من ذلك ما حدث سنة 1192هـ/1778م، حينما انضمت الأحياء التي تمثل مراكز ثقل هذه التنظيمات، وهي باب الشيخ (مركز قيادة الطرق الصوفية ونقابة الأشراف) والشورجة (مركز تجمع التجار والحرفيين) ورأس القُرية (مركز الأسواق)، إلى جانب القيادة المملوكية البغدادية، مناوئين بذلك محاولة الدولة العثمانية فرض وإل دخیل على الولاية⁽¹⁾. وحينما أعلنت تلك التجمعات تأييدها لحكم المماليك إزاء جيش الدولة المركزية الذي يقوده علي رضا باشا سنة 1247هـ/1831م لذلك لم يكن غريباً أن تفرض الدولة الضرائب الفادحة، بل الغرامات، على الأصناف إثر سقوط نظام المماليك، عقاباً لها على موقفها المساند لهذا النظام. ويذكر المؤرخ عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي (توفي 1287هـ/1870م) ناقلاً عن أبيه الذي عاصر زوال المماليك ودخول علي رضا باشا بغداد أن الأخير «وضع ضرائب على التجار والبزازين والخفافين والحدادين والعطارين وغيرهم من الوجوه والأغنياء، فالذي لم يدفع يُحبس ويُضرب»⁽²⁾.

وعلى الرغم من الطابع الديني الصوفي الذي كان يسود الأصناف إبان هذا العهد، فقد ضمت الأصناف المذكورة مختلف الطوائف الدينية دونما تمييز إداري يذكر، وذكر عبد الرحمن السهروردي في نصه المتقدم أن علي رضا باشا لم يميز في فرضه الضرائب بين «أهل» الإسلام واليهود والنصارى». وكان معظم تلك الأصناف منظماً بحسب التخصصات المهنية المميزة للطوائف الدينية المختلفة، فمهنة الصيدلة والصياغة، إلى جانب معظم التجارة في المواد الغذائية، كانت حكرًا على المسلمين، في حين كانت الصيرفة والتجارة في الذهب والفضة من نصيب

وللمقارنة بين الاصناف في أوروبا والشرق الاسلامي، أنظر: ماسنيون، لويس: الهيئات الحرفية والمدنية الاسلامية. مجلة المورد 3 (بغداد 1973) ص 18-19.

Economic history of the Middle East, P. 30 Hersbiac, Z.Y.. Introduction to the Modern

(1) عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، ص 51

(2) تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، ص 71.

أصناف يغلب عليها الذميون، وبلغ هذا التخصص في الأصناف حد أن كانت مهن معينة، مثل صياغة الفضة والتطعيم بالمينا حكراً على طائفة الصابئة، بينما بقيت صياغة الذهب بيد المسلمين، وظل نحت الرخام مهنة خاصة بالنصارى في الموصل، في حين اختص المسلمون بعملية البناء والعمارة.



سوق الصفارين في بغداد

ويبدو أن للعلاقات القبليّة دورها أيضاً في تنظيم التخصصات المختلفة للأصناف، وهو أمر معقد اختصت به مدن العراق إبان العصر العثماني، وبخاصة في القرن الثالث عشر (التاسع عشر الميلادي)، حين اشتدت الهجرة القبليّة والريفية إلى المدن. وفيما يأتي نماذج لهذه الحالة الاجتماعيّة في مدينة بغداد⁽¹⁾:

الحمالون: عشيرة أبو مُفْرَج.

العلوّجية (وهم أصحاب منائر المنتوجات الزراعيّة، أو أسواق الجملة): عشيرة الكروية.

الحماميون والحمالون: عشيرة أبو عَجِيل.

الطباخون: عشيرة بني عَز.

العكّامون (وهم خدم القوافل وحراسها) عشيرة أبو صقر والجنابيون والسواكن.

صناع الحُصْر: عشيرة الجعيفر

(1) محمد خورشيد: سياحته عامه حدود، ط. حجر استانبول، ص 213-216.

أهل الاطعمة (الأكمكجيون): جماعة الفلاحات.

المكاريون: جماعة الوشاحات.

القصابون: عشيرة المهديّة.

الفحامون: عشيرة جميلة.

بوابو (حراس) المخافر: عشيرة البوشبل.

ولم يقتصر هذا الوضع على بغداد فحسب، بل تعداها إلى مختلف المدن العراقية كالحلة⁽¹⁾ وكركوك⁽²⁾ وغيرها.

ولم يقف نمو طبقة التجار وسيطرتها على السوق المحلية عند حد ممارسة نفوذها على الحياة السياسية فحسب، بل تعداه، في القرن المذكور، ولاسيما في النصف الثاني منه، إلى أن يُوسَّع أولئك التجار نشاطهم متعاونين مع الجاليات الاجنبية، أو من يرتبط بمصالحها كالأرمن واليهود وبعض الأسر المسيحية الحلبية، فيفتحون بذلك الأسواق المحلية على مصراعيها، أمام البضائع الصناعية الأوربية الرخيصة. وهكذا فقد احتلت تلك البضائع الأسواق مُنافسة الإنتاج المحلي على نحو خطير، وانخفض في الوقت نفسه، استيراد الخامات نصف المصنوعة التي يحتاجها الحرفيون عادة في أعمالهم، وخاصة منها الغزول والأصباغ (النيلة) مما أدى إلى ركود مضطرب في الحياة الإقتصادية والإجتماعية للأصناف عامة، فانخفض -مثلاً- عدد ورش النسيج في بغداد من 12.000 معمل في منتصف القرن التاسع عشر إلى بضع مئات في بداية القرن العشرين⁽³⁾، ومثل ذلك ما حدث في البصرة، حيث اختفت تقريباً صناعة أنواع من النسيج المحلي عُرفت بها، وفي الموصل أيضاً، التي طالما اشتهرت بقماشها (الموصلين) الثمين. ويزداد استيراد الأواني المعدنية المطلية من أوروبا، تقلصت صناعة النحاس المحلية إلى حد كبير⁽⁴⁾، بعد أن وصفت في القرن الثامن عشر بأنها تفوق المصنوعات الأوربية إتقاناً وجودة⁽⁵⁾، وعجزت صناعة النفط المحلية والأسفلت في (مندلي) و

(1) خورشيد باشا ص 300.

(2) المصدر نفسه ص 228.

(3) كوتولوف، ل ن: ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق، ترجمة عبد الواحد كرم، بغداد

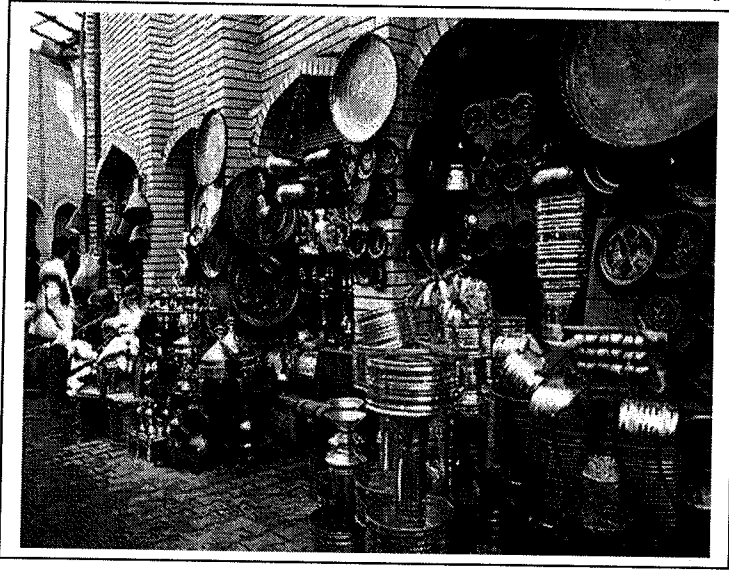
1971، ص 81

(4) المصدر نفسه ص 81.

(5) جاكسون: مشاهدات بريطاني عن العراق سنة 1767، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ص

105 ويذكر هذا الرحالة أنه شاهد في الموصل عدداً كبيراً من مصانع النحاس والحديد، وأن

(هيت) من منافسة نفط باكو والولايات المتحدة، فاعلقت سنة 1901 العين النفطية في مندلي، وهي التي كانت تبعث بمنتجاتها حتى ذلك الحين إلى بغداد.



جانب من سوق الصفارين ببغداد

ولقد أضرَّ هذا الوضع بمصالح طبقة الحرفيين بشكل عام، وأضعف من تنظيماتها إضعافاً شديداً. وشهدت أواخر القرن التاسع عشر ضموراً بالغاً في دور الأصناف، وفي أوائل القرن العشرين قامت بعض الاصناف باضرابات عامة مطالبة بزيادات في الأجور، ولعل أول اضراب نسمع به في بغداد، حدث في أواخر سنة 1912، حين اجتمع دباغو الأعظمية قرب بغداد في أحد ردهات مشغلهم مطالبين -فيما يبدو- بزيادة في الأجور، إذ ما أن زاد رئيسهم (الكتخدا) رواتبهم حتى «عدّكوا عن غايتهم شاكرين له»⁽¹⁾. ويلاحظ أن هذا الإضراب لم يكن ضد السلطة أو من يمثلها وإنما ضد رئيس الصنف، مما دلّ على أن حالة من التفكك أخذت تعمل على تدمير ما تبقى من نظام الاصناف التقليدي، تاركة المجال أمام تنظيمات جديدة، أكثر تمثيلاً لظروف المرحلة التالية وحاجاتها، لتحل محلها في قيادة حركة العمل في العراق الحديث.

كميات كبيرة من مختلف المواد التي تصنع من هذه المعادن كان يتم ارسالها عبر نهر دجلة نحو الجنوب حتى البصرة، بالإضافة إلى كميات هائلة من النحاس غير المشغول ترسل من المناطق الجبلية إلى الجنوب.

(1) مجلة لغة العرب 1912.

ضرائب صنف القصابين في العراق

القرن التاسع عشر

دراسة في وثائق جديدة

يشعر الباحث في تاريخ العراق الحديث بفداحة النقص في المعلومات المتاحة عن النظم الضريبية في العراق، وهو أمر من شأنه أن يُبقي جوانب مهمة من الحياة الاقتصادية - ولا سيما ما يتعلق بموارد الولايات العراقية - غامضة، وفي حاجة إلى ضوء يوضح مشكلاتها ومقاديرها ومصادرها، ولا يقل الأمر خطراً بالنسبة للحياة الاجتماعية؛ لما للضرائب من أثر في طبيعة العلاقة بين السلطة والسكان، ويمكن أن يُعزى سبب ذلك النقص إلى أن الضرائب بتقديرها وحسابها وجبايتها من الأمور المعقدة التي كانت تتجاوز فهم أكثر المؤرخين، وحتى الذين كانوا يتعرضون لها يكتفون - غالباً - بملاحظة آثارها الاجتماعية، أو ما كان يصحب جبايتها من عسف وقهر، ولا شك في أن دراسة جادة للنظام الضريبي في عهد ما يستوجب الإطلاع على السجلات الرسمية والدفاتر والوثائق الخاصة به، وهو ما لم يكن متاحاً لأغلب المؤرخين.

ومما زاد في فداحة الأمر، أن جميع ما كان مُودعاً في سراي بغداد من (سجلات الخزينة وأوراقها) مما يرقى إلى القرون الثلاثة الأولى من العصر العثماني وحتى نهاية عهد المماليك - فقد أو تُلّف؛ نتيجة الكوارث الطبيعية والإتلاف المتعمد في أثناء الفوضى الناشئة في ولاية بغداد سنة 1247هـ/1831م⁽¹⁾، ولم يجر الاحتفاظ بما تخلف من الوثائق حتى أواخر العصر العثماني⁽²⁾.

ومن ناحية أخرى، فإن كثيراً من السجلات والوثائق، على فرض وجوده، لا يسجل جميع ما كان مفروضاً من ضرائب منظورة، فبعض تلك الضرائب كان يُفرض من مسؤولين أدنى درجة، دون علم أو مراقبة الجهات المالية الأعلى، بل إن أكثر ضروب ذلك النوع من الضرائب لم يكن يُسجل أصلاً، وفي أفضل الظروف كان يمنح دافعها تذاكر (وهي الوصولات بلغتنا العصرية) لا يعرف مدى دقتها، وهذه التذاكر مُعرضة - بالطبع - للتبديد والضياع في كل حين⁽³⁾.

(1) سليمان فائق: مرآة الزوراء، ص 177.

(2) بحثنا: واقع الوثائق العثمانية في بغداد، من هذا الكتاب.

(3) ومما يؤكد هذا المعنى أنه توجد في المكتبة القادرية ببغداد (مضبطة) يوضح موقعها أنهم دفعوا الرسوم المستحقة عليهم ويُطالبون التأكد من سجل الرسوم، تاريخها 1116هـ/1704م كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ج4، بغداد 1980، ص304.

وتُقدِّم المؤلفات الفقهية المتأخِّرة ومجاميع الفتاوى⁽¹⁾ معلومات لا بأس بها عن (الضرائب الشرعية)، إلا أن تلك المؤلفات لا تتطرق إلى الضرائب العرفية، وحتى بعد إصدار القوانين والأنظمة المالية العثمانية، فإن أكثرها لم يكن يُعبّر عن الصورة الحقيقية للنظام الضريبي المُطبَّق في مدن العراق وريفه⁽²⁾.

ومن هنا بات على الباحث في تاريخ الضرائب إبان تلك العهود، أن يتلمَّس طريقه بيده؛ وذلك بالبحث عن الوثائق المالية حيثما وجدت، وبأية صورة كانت؛ لعلها تُلقى ضوءاً على ذلك الجانب المهم من تاريخ العراق المالي والاقتصادي.

ولقد أسعدنا الحظ بالوقوف على وثيقتين تاريخيتين⁽³⁾ لهما أهمية بالغة في الكشف عن أنواع من الضرائب والرسوم العرفية مما كان مُطبَّقاً في العراق في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، والوثيقة الأولى عبارة عن (عَرَضَاحال) رَفَعَه رجلان من فئة العلماء، من أهل مدينة الحلة، إلى والي بغداد علي رضا باشا اللاظ سنة 1247هـ/1831م يَطْلُبَان فيه إصدار أمره بإعفائهما من رسوم محدَّدة كانا يَدْفَعَانها عن دكان قصاب يَمْلِكانه في تلك المدينة، بينما كتبت الوثيقة الأخرى في الجهة العُلَيَا من الورقة نفسها، وهي عبارة عن أمر للوالي (المسمَّى بالتركية بيورلدي) يتضمَّن الإستجابة الكاملة للطلب المرفوع إليه، ونص (العرضحال) كالآتي:

(المعروض إلى حضرة أفندينا ولي النعم، أيد الله به الدين، وجعل العلماء ياحسانهم لمدهم نايلين

إن للداعين في الحلة قصاب نرجو من مراحمكم الوافية، وإحسانكم الكافية، الرُخصة العالية بأن يذبح مستأجره فيه يومياً خمسة رؤوس من الغنم، أو جاموسة، أو جملاً، أو بقرة، وألا يتعرَّضه أحد من ملتزمي المومخانة والقصابخانة وميدان الثيران والمطايا بطلب شحم ورسوم المومخانة ورسوم القصابخانة ورسوم الميِّدان، ولا يُطلب عيضية، ولا يُرمى غنم أو جاموس أو بقر عليه، وألا يُمنع من شراء غنم أو جمال أو جاموس أو بقر في الحلة، وألا يتعرَّض بكافة العوارض والتكاليف، وأن يُصان من جميع التَّعديّات، وألا يُطلب ملتزمو المقاطعات المذكورة

(1) مثل: (نتيجة الفتاوى) و(فتاوى علي أفندي) و(فتاوى بهجة أفندي)؛ انظر عباس العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية (بغداد 1958) ص 55.

(2) المصدر نفسه، ص 107-108.

(3) نسخة مصوَّرة لدينا، وكنا قد صوَّرناها عن الأصل الذي يحتفظ به أحد باعة المخطوطات في بغداد سنة 1980.

التزامه عن الداعين، ونرجو الترحم ببيورلدى شريف بذلك خطاباً لخادمكم أمير
الحلة، أيد الله دولتكم إلى ممر الأيام، وخذ سعادتكم إلى انقراض الأعوام
الداعي محمد أسعد، الداعي محمد سعيد مفتي بغداد سابقاً).

أما الأمر الصادر من الوالي، والمسمى (بيورلدى)⁽¹⁾، فقد كتب بخط مائل على
الجهة اليسرى من أعلى الوثيقة، ونصه:

(الذي يُعلم به أمير الحلة قد رخصنا أن يُذبح بالمكان المذكور يوماً خمسة
رؤوس غنم، أو جاموسة، أو جملًا، أو بقرة، وعفونا عن الرسوم المذكورة، فينبغي أن
تَمنع ملتزمي المُوخانة والقصابخانة والميدان عن التعرض بطلب الرسوم
والعبيدية، ورمي المواشي عليه، ولا تدعهم يتعرضون قصابه بطلب التزامه، ولا بطلب
شحم، ولا يمنعونه عن اشتراء مواشي بالحلة، ولا يمدون يداً عليه من طرف
العوارض والتكاليف وسائر المواد من كل الوجوه، وتُصونه من التجاوز والتعدي من
جميع الجهات، وتبقى بيورلدينا بأيديهم، وفيه الكفاية، 6 من (رمضان) سنة 1247).

ويشير هذان النصان (العرضحال والبيورلدى) اهتمام الباحث من أوجه عدة:
فهما أولاً صدرًا في عهد والي بغداد علي رضا باشا، أول وال عثماني يتولاها بعد
إسقاط نظام المماليك، بيد أن تاريخ البيورلدى المبكر (وقد صدر في أول سني حكمه)
يدل على أنه جرى في غايته وأسلوبه وشكله على وفق ما كان يصدر في عهد المماليك
السابق، ولا يبعد أن يكون ذلك جرى بتوسط حاكم الحلة، وهو آنذاك محمد أسعد
النائب (حكمها من 1247 إلى 1253هـ/ 1831 - 1837م)⁽²⁾، الذي سبق أن قام بمهمة
مماثلة حين توسط سنة 1243هـ/ 1827م لأديب مصري بإيصال عريضته إلى والي
بغداد السابق داود باشا، وكانت تتضمن إعفاءه من بعض التجاوزات والرسوم، والعمل
لدى داود لإصدار أمر بذلك الإعفاء⁽³⁾، وفي الواقع أن هذا الرجل، وإن كان يدين
بمنصبه لعلي رضا، إلا أنه يمثل امتداداً لتقاليد المماليك في الإدارة والحكم، حتى إنه
دفع حياته ثمناً لما اتهم به من مُمالة لتلك التقاليد⁽⁴⁾.

(1) مصطلح تركي، يعني: تفضل بكنا.

(2) كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1992،
ص 296.

(3) العزاوي: المصدر السابق، ص 106-107.

(4) انظر عثمان بن سند: مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، بتحقيقنا، ط2: بيروت 2010م،
ص 81 و 486 و 576، وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، ج 2 ص 224 و 314.

ولنا أن نلاحظ أن العرضحال يسمي حاكم الحلة المذكور (بأمير الحلة)، وكذا ورد على لسان علي رضا باشا، ويظهر أن هذا اللقب كان موروثاً من عهد أن حكم الحلة أمراؤها من آل عبدالجليل، وهي الأسرة العربية التي تولت الحكم فيها، بصفة وراثية، منذ سنة 1115هـ/1703م وحتى سنة 1232هـ/1816م، وإلا فلم يكن محمد أسعد إلا إدارياً عينه علي رضا نفسه.

وموقعاً العَرْضَحال، رجلان نعرف أحدهما جيداً، وهو الحاج محمد سعيد نائب زاده، أحد كبار علماء بغداد في عصره (توفي سنة 1273هـ/1856م)، وكان قد أفتى في الحلة عدة سنوات قبل أن يصبح مفتياً للحنفية في بغداد سنة 1246هـ/1830م⁽¹⁾، أما الآخر، فلم يوقع إلا باسمه الأول، وهو محمد أسعد، والراجح أنه محمد أسعد أفندي، الأخ الأصغر للمفتي (توفي سنة 1271هـ/1854م) وكان قد أفتى في الحلة عدة سنوات أيضاً⁽²⁾، فعلاقة الرجلين بالحلة واضحة، ويظهر أنهما تملكا دكاناً فيها، وأنهما أجراه لقصاب، وكتباً ذلك العرضحال لإعفائه من رسوم عدة، مما يرجح أنهما كانا يشاركانه الريح بنسبة معلومة، وهو ما نفهمه من طلبهما بأن (يذبح مستأجره فيه). وتدلل استجابة الوالي لذلك الطلب بحذافيره على منزلة الرجلين؛ كونهما من العلماء المفتين، وأنه هو الذي عين محمد سعيد مفتياً ببغداد في أول توليه الحكم فيها.

يوضح العرضحال حقيقة أن جميع الرسوم المستحصلة في ذلك العهد، كانت تُجبي من ملتزمين، على وفق نظام الالتزام الذي كان سائداً في الدولة العثمانية عامة، ومن المعروف أن أول بيان رسمي يعد بإلغائه، وهو (خط كلخانة) صدر سنة 1255هـ/1839م⁽³⁾، أي: بعد تاريخ العرضحال بنحو ثماني سنوات، وفي الواقع فإنه لم يُلغ عملياً إلا في أوائل القرن العشرين.

-
- (1) محمود شكري الألوسي: المسك الأذفر، ج1، بغداد 1930، ص96.
(2) المصدر نفسه ص (100)، ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، بتحقيقنا، ط:2 بغداد 2007 ص173، وجاء في كتاب (نزهة الادباء) لمحمد أمين السهورودي، بتحقيقنا، دار الزمان بدمشق 2016 ص 85 ما نصه «وأما محمد أسعد أفندي فقد عزلوه أيضاً من إفتاء الحلة، وأخذ يزرع هو وأخوه محمد سعيد أفندي المار الذكر بعض النهران، التي كانت بأيديهما من قبل، والآن فقد تهيئنا الى الخروج من بغداد، ليسكننا الحلة».
(3) جاء في هذا البيان: لكن أصول الالتزامات المضرة المعتبرة من ضمن أسباب الخراب التي لم يظهر منها ثمرة نافعة في أي حال لم تزل جارية الآن، فيلزم بعد الآن تعيين خراج مناسب

ويُطالب العرضحال بالإعفاء من تسديد الرسوم الآتية، وهي:

أولاً- رَسْمُ المُوْمَخانة: وهي لفظة تركية مُركَّبة من (مُوم) وتعني الشمع، و(خانة) التي تعني الدار والمكان، فهي مكان الشمع، أو دار تصنيعه، وبما أن الكلام لا يتعلَّق بالشمع أصلاً، فالمقصود به هنا - فيما نرى - المكان الذي تُصنع فيه الشموع من الشحم خاصَّة، أو الذي يُستخْلَص فيه الشحم لأغراض مختلفة، مثل الإضاءة وغيرها، ولا تُصرِّح الوثيقة بمقدار ما كان يُستوفى من رَسْم بهذا الاسم، ولكن من الواضح أنها كانت رسوماً نقدية؛ لأن الوثيقة تُميِّز بين هذا الرسم والشحم الذي كان يتوجَّب على القصاب تقديمه إلى الملتزمين.

ولا تَمُدُّنا مصادر الحَقبة بمعلومات عن الموقع الذي كانت تَحْتلُّه هذه (المُوْمَخانة)، ومقدار ما تُنتجُه من مواد، والذي نرجِّحه - بناءً على قرائن عدة - إنها كانت مملوكة لِنِصف القصابين بذاته، وهو نوع من المِلْكِيَّة الجماعية التي اِخْتَصَّ بها نظام الأصناف الحرفية في العصر العثماني، مثلها في ذلك مثل: (البُويخانة = المصبغة) و(السَرَجخانة = دار تصنيع الجلود) في مدن أخرى، وواضح أنه كان لهذه الدار مُلتزم مهمته جمع الرسوم الخاصة بها من الصِّنْف، بيد أن ذلك يُثير السؤال التالي: إذا كانت المُوْمَخانة ملكاً لِنِصف القصابين، فلماذا يطالب أصحاب العرضحال من الوالي إعفائهم من أداء الرسم إلى ملتزمها؟ وليس من حلِّ لهذا الإشكال إلا بافتراض أن الملتزم كان يدفع ما يجمعه من رسوم للسلطة، بوصفها تمثِّل حصة السلطة المذكورة من أموال الصِّنْف نفسه.

ثانياً- رسم القصابخانة: وهي لفظة مُركَّبة من (قصاب) وتعني (الجزَّار) بلغة أهل العراق، و(خانة) التي تقدِّم معناها، فتكون مهمتها مماثلة لمهمة (المجزرة) في وقتنا الحاضر، ويظهر أن رسماً مُعيَّناً كان يُفرض على المواشي التي يجري ذبحها في هذه الدار؛ ولذا فقد كانت تُمنَح بالالتزام، وإذ يَطْلُب صاحبا العَرْضحال إعفاءهما من هذا الرسم، فإن ذلك يدلُّ على اختصاص الدار بالذبح مُطلقاً، ويؤكد هذا المعنى

على قدر اقتدار وأملاك كل فرد من أفراد أهالي المملكة، انظر محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت 1977، ص254.

التماسهما أن يذبح مستأجر الدكان في دكانه عدداً محدداً من المواشي، فذلك وحده ما يعفيه من دفع رسم القصابخانة، ولو كان جائزاً الذبح خارج الأخيرة لأمكن التخلص من ذلك الرسم أصلاً، ويمكننا أن نتصور عائدة هذه المجزرة كانت لصنف القصابين، مثلها في ذلك مثل (المومخانة).

ولا تشير الوثيقة إلى مقدار ذلك الرسم، والظاهر أنه لم يكن قليلاً، ففي رسالة قوجي بك المؤلفة في سنة 1041هـ/1632م شكوى مرة من ارتفاع الرسوم المقررة على رؤوس الغنم، فبينما كانت تُقدَّر في أواخر القرن العاشر للهجرة (السادس عشر الميلادي) بنحو نصف آقجة (وهو الدرهم الفضي العثماني)، زادت على يد المستوفين في القرن التالي إلى ضعف ذلك المبلغ، ثم إلى 7 أو 8 آقجات، وقد عدَّ مؤلف تلك الرسالة هذه الزيادة غاية المنتهى من الظلم والاعتداء، فصار الأمر مما لا يُطاق⁽¹⁾.

ثالثاً- رسم الميدان⁽²⁾: واضح من سياق العرضحال أنه المكان المخصَّص لعرض الماشية وشرائها، وكان ثمة رسم يُستحصل من ثمن الماشية المُشتراة؛ ولذا فقد منح الميدان لأحد (الملتزمين) ليتولَّى جمع تلك الرسوم.

ومطالبة صاحبي العرضحال إعفاءهما من الرسم المذكور يدل على أن جزءاً منه كان يتحمَّله المشتري، وإلا فالمنطق يقضي أن يكون الرسم على البائع، وهو القابض للثمن، ولا تمدنا الوثيقة بما يوضِّح مقدار ذلك الجزء، وطريقة تقاسم الرسم، وما إلى ذلك من تفاصيل، ويظهر أنه لم يكن مسموحاً لأصحاب الدكاكين من القصابين شراء الماشية من خارج (الميدان) المخصَّص لهذا الغرض؛ ولهذا يطلَّب صاحب العرضحال السماح لهما بتجاوز ذلك المنع، بشراء الغنم أو الجمال أو الجاموس أو البقر في الحلة، ولا معنى لهذا الطلب إذ لم يكن شراء المواشي من غير المكان المخصَّص لها، يعني حرمان الملتزم (والسلطة) من الرسم المُشار إليه.

(1) العزاوي: تاريخ الضرائب 116.

(2) الميدان اصطلاح يقصد به المكان، أو الساحة المخصَّصة لعرض الجيش حصراً؛ ولذا فإنه يقع غالباً قريباً من قلعة المدينة، أو (القشلة)؛ أي: ثكنتها، والظاهر أن ميدان الحلة استغل في هذه الحقبة، ليكون مباءة لعرض الماشية؛ نظراً لموقعه المهم وتوسطه المدينة، وفي هذه الحالة يمكننا أن نتصور وجود المنشآت الأخرى ذات الصلة بذبح الماشية، كالقصابخانة والمومخانة في موضع قريب من هذا الميدان.

رابعاً- ضريبة باسم (عیدیة): لم تُحدّد طريقة دفعها، والظاهر أنها كانت ضريبة موسمية، تُدفع في عيد الأضحى، حين يكثر الذبح، وربما في عيد الفطر أيضاً، ومن المحتمل أنها بلغت شيئاً مذكوراً، بحيث لم ينسَ صاحبها العرضحال طلب إعفائهما منها.

خامساً- ثَمّة رسوم لم تُحدّد أسماؤها: عدّها العرضحال أنواعاً (من العوارض والتكاليف) و(التعدي) وأضاف إليها البيورلدى عبارة (التّعدي من جميع الجهات).

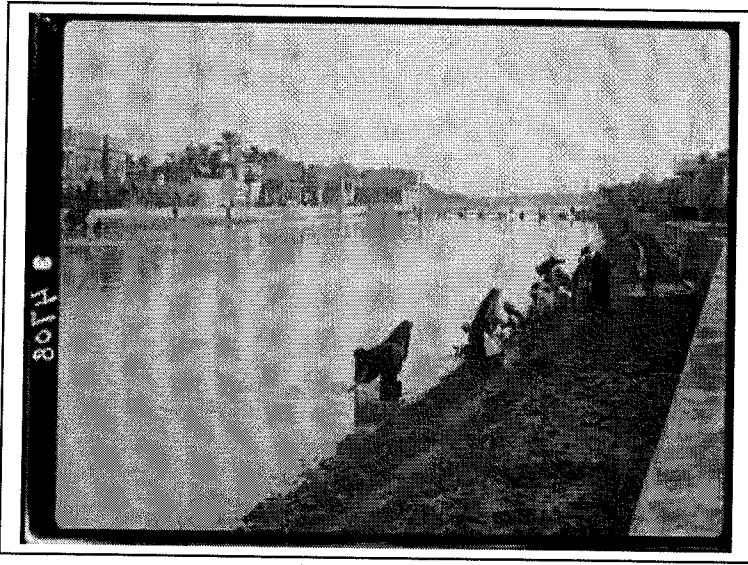
سادساً- يَطْلُب صاحبها العرضحال إصدار أمر يقضي بعدم (رمي غنم أو جاموس أو بقر عليه)؛ أي: مستأجر دكانهما، وهذا يعني أنه كان يكلف بشراء ما لا حاجة له من الماشية، مما يُسبب تلفه، وخسارة ثمنه، فضلاً عن ربحه، والظاهر أن هذا التكليف كان يجري العمل به من أجل تحقيق أكبر ربح ممكن للتمتزم الميدان والجهات المستفيدة الأخرى، كالمومخانه والقصابخانه، لكنه يأتي - في الواقع - ضاراً بمصالح القصابين أنفسهم؛ لأن من شأنه زيادة العرّض على الطلب.

ويلاحظ أن كاتب العرضحال لم يرفّع طلبهما إلى أمير الحلة أو حاكمها، وإنما قدّماه إلى والي بغداد مباشرة، ولا تفسير لهذا الأمر إلا على أحد الوجهين الآتين: إما أن مسألة الإعفاء من تلك الرسوم تستدعي صلاحية أوسع مما للأمير المذكور، أو أن الكاتبين لم يشاءا - لأمر ما - تقديم طلبهما إلى الأخير، وفضلاً تجاوزوه إلى المسؤول الأعلى عن الحلة في ذلك العهد، وفي الحالة الأولى لا يبعد أن يكون لحاكم الحلة يد في رفع العرضحال إلى والي كما ذكرنا من قبل، خاصة وأنه ليس في البيورلدى مؤاخذه تدل على أن صاحبي الطلب قد تجاوزا مرجعها المباشر، أو تخطياً سلسلة مراجعها كما نقول في هذه الأيام، وهو ما يدل على اعتياد الناس على رفع ظلامتهم، أو عرائضهم، إلى المرجع الأعلى، حتى في الأمور التفصيلية - كما في هذا العرضحال.

ويلاحظ أيضاً أن إجابة والي على العرّضحال جاءت واضحة، ومليئة للطلب بكل تفاصيله، وقد اتخذت الموافقة شكل أمر رسمي (بيورلدى) كتب في الجهة اليسرى من أعلى الورقة التي تضم العرضحال نفسه، وكان متبّعاً ترك فراغ في أعلى الطلبات التي تُقدّم إلى المراجع العليا؛ لئلا يتسنى للمرجع كتابة مطالعته، أو أمره، حسب كل حالة، وتاريخ البيورلدى هو السادس من شهر رمضان سنة (1247هـ/1831م).

وتُشير الوثيقة نَفْسُها إلى استمرار تَمَتُّعِ صاحِبِ العِرضِحال بالإعفاءات المذكورة حتى ما بعد نحو ثلاثة عشر عاماً من صدور البيورلدى، فَتَمَّةُ حاشية بخط البيورلدى نفسه، على الجهة اليمنى من أعلى العِرضِحال، تقول: (ينبغي أن يعمل بموجب هذا البيورلدى، وفيه الكفاية)، وهي مؤرَّخة في 13 جمادى الأولى سنة (1259هـ / 1842م)، ويظهر أن أصحاب الطلب قد أكدوا ما بأيديهم من أمر، بعرضه على الوالي علي رضا مجدداً على تلك العبارة القاطعة.

ولا شك في أن القصاب الذي تخصصه هذه الإعفاءات كان واحداً من قصابي الحلة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد)، فما فُرِضَ عليه من رسوم وضَّحتها الوثيقة، كان مفروضاً على زملاء مهنته أيضاً، وبمعنى آخر: إنها تُختصُّ (بصنف القصابين) بصفة التنظيم الحر في الذي يُنظَّم أهل تلك الحرفة ويدافع عن مصالحهم في ذلك العصر، فالوثيقة تكشف بصورة غير مباشرة، عن أزمة أهل الأصناف في موقفها من السلطة من جهة، ومن نظام الالتزام من جهة أخرى.



الحلة في الثلاثينيات من القرن الماضي، نسوة يغسلن الثياب على شاطئ الفرات، وجسر المدينة العائم، وجانب من دور المدينة على الجانبين

صور من العلاقات الزراعية في العراق

إبان القرن الثامن عشر

دراسة في وثائق تاريخية جديدة

لتاريخ العلاقات الزراعية أهمية خاصة في دراسة تاريخ العراق الاجتماعي والاقتصادي إبان العصر الحديث، ذلك أن هذه العلاقات تمثل الخلفية الاقتصادية المباشرة لتطور المجتمع في الريف الزراعي، كما أنها من جهة أخرى تمثل الخلفية غير المباشرة لتطور الاجتماعي، بل والسياسي أيضاً، في المدينة نفسها. وصعوبة دراسة هذه العلاقات تكمن في أنها تستند - بصفة وحيدة تقريباً - إلى الوثائق الزراعية، بخلاف الحال عند دراسة أحوال المدن في تلك الحقبة، حيث يسد المؤرخون المعاصرون بعض النقص في مواد البحث الأولية بما يدونونه من تواريخ مختلفة، فإن اهتمام المؤرخون كان قاصراً، بصفة عامة، على (المدينة) دون أن يمتد إلى الريف، بعلاقاته وأوضاعه وتركيبه الاجتماعي والاقتصادي.

ووفقاً للقاعدة التاريخية القائلة بأن (لا تاريخ بغير وثائق) فإن جوانب مهمة من أحوال الريف تبقى دون تاريخ أصلاً، وسبب ذلك يعود إلى أن قسماً كبيراً من علاقاته الزراعية لم ينظم بموجب وثائق بالمرّة، وإنما جرى بحسب الأعراف السائدة في الحقب السابقة، والاتفاقات الشفوية فحسب، وليس لتعليل هذه الظاهرة بعسير، فوسط حالة من الأمية المطلقة كانت تسود الريف ومعظم مجتمعات المدن، يصبح من الصعب تنظيم مثل هذه الوثائق التي تستدعي دراية مَعَيَّنة في أمور (المعاملات). وفي ظل انقطاع الصلات الحقيقية بين المدينة والريف، وغيبة الأولى عن ممارسة دورها الفعلي خارج أسوارها أو جوارها على الأكثر، تصبح العلاقات الزراعية القائمة بين الفلاحين أو العشائر الزراعية، والقبائل البدوية، علاقات مبنية على أساس توازن القوى عملياً، دون أن تستند في تثبيتها إلى صيغ قانونية مدونة.

ولما كانت سعة الأرض الزراعية في العراق أكثر بكثير من حجم الكثافة السكانية فيها، لا سيما في تلك الحقبة (حيث لم يزد عدد السكان الريفيين الذين يعتمدون على الأرض للزراعة والرعي على نصف المليون تقريباً)⁽¹⁾ فإن مساحات كبيرة من تلك

(1) محمد سلمان حسن: التطور الاقتصادي في العراق، التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي 1864-1958، بيروت 1965، ص 52.

الأراضي لم تكن تعاني (مشاكل زراعية) أصلاً، ومن ثم لم تكن ثمة حاجة -غالباً- إلى تثبيت حدود ملكيات المزارعين وحقوقهم في وثائق مُصدّقة مُلزِمة. ومن ناحية أخرى فإن أنواعاً مختلفة من العلاقات الزراعية، لا سيما المغارسة، لم تكن منطبقة في أحيان كثيرة على القواعد الشرعية، مما كان يحول دون توثيقها، فإذا ما كتبت واحتيج إلى تصديقها لدى جهة شرعية، استعين على هذا الأمر بما يُعرف (بالحيل الشرعية) حتى يمنح ذلك (شكلاً) شرعياً يجوز الإعراف به والمصادقة عليه.

ويزيد من صعوبة البحث في هذه الوثائق ودراستها، أنه لم يكن ثمة تصنيف خاص بها حتى بعد مصادقتها من طرف المحكمة الشرعية، فلا تميّز سجلات المحاكم الشرعية بين الوثائق الزراعية وغيرها من الوثائق المتنوعة الأخرى، كالأحوال الشخصية والوقفيات وعقود البيع والشراء وسائر المعاملات، ولذا فإننا نجد عقود المزارعة والمغارسة والمساقاة واستئجار الأرض الزراعية وبيعها والعمل الزراعي، مختلطة مع غيرها من الوثائق بشكل يصعب تمييزها إلا بعد دراستها وتحليل محتواها.

وعلى الرغم من أن عدد هذه الوثائق، بافتراض وجودها جميعاً، لا يغطي -في تقديرنا- المساحات الزراعية التي كان يجري فيها التعامل أصلاً إلا بنسبة ضئيلة جداً، فإن من شأن ما تبقى منها - إذا ما دُرِسَ ونُشرَ - الكشف عن جملة أمور مهمة في تاريخ التطور الاجتماعي والإقتصادي للعراق إبان العصر العثماني، فهي توضح طبيعة الملكية الزراعية في الريف، وسبل انتقالها وتحولها، وأنماط العلاقات التعاقدية بين مالك الأرض والفلاح من جهة، وبين الحكومة ومالك الأرض من جهة أخرى، وطبيعة واجبات الفلاحين تجاه المالك وأنواعها، ومقدار أجور العمال في الحقل أو البستان، ونسب مقاسمة الحاصل. ولا ريب في أن دراسة كهذه ضرورية تماماً لفهم تطور المدينة ذاتها، فكثير مما كانت تتعرض له المدن من ظروف هذا التطور، تكمن أسبابه في أعماق الريف. كما أن غير قليل مما كان يصيب الريف من تبدل في علاقاته الزراعية كان يرجع في أصوله إلى ما كان يمر به مجتمع المدينة من تغيرات.

ولقد عثرنا في أثناء بحثنا في هذا المجال على جملة من الوثائق التاريخية التي تكشف لأول مرة عن أنماط من التعامل الزراعي كانت سائدة في ريف العراق إبان القرن الثامن عشر، وفيها إشارات مهمة إلى عددٍ من الظواهر والأعراف الشائعة في الريف الزراعي في خلال تلك الحقبة.

وهذه الوثائق مكتوبة بلغة عربية، تتفاوت قوة وضعفاً، وفيها من الألفاظ والمصطلحات ما لا يستهان به، كأسماء بعض العملات وتحديد أقيامها، ومقاييس الطول المستعملة في تلك الايام، وما الى ذلك من أمور تفيد الباحث في تاريخ العراق الإقتصادي على وجه خاص. وهي محفوظة في المكتبة القادرية ببغداد⁽¹⁾.

ويمكن تصنيف هذه الوثائق على النحو الآتي:

الوثائق (1) و(2) و(3) ثلاثة عقود مفارسة بين سعيد بك بن سليمان باشا والي بغداد بولاية أبيه، وبوكالة محمد سعيد بك، وبعض الفلاحين، على غرس مقاطعات من أرض الهندية قرب الحلة، مؤرخة في سنة 1213هـ / 1798م.

(4) عقد ضمان أو التزام بمعنى إجارة للأرض ووساطة زراعية بين والي بغداد وأحد الملتزمين، لقرى في الحلة، مؤرخ في السنة نفسها.

(5) عقد مزارعة بين والي بغداد وعشيرة البو هيكل على زراعة منطقة محددة من أرض مقاطعة الهندية، مؤرخ في السنة نفسها.

(6) عقد عمل زراعي بين الحاج محمد سعيد أفندي قاضي الحلة واثنين من الفلاحين على العمل في أحد البساتين في الحلة، مؤرخ في السنة نفسها.

(7) (8) عقد بيع يرد على عقار بين المرأة (خانة بنت جمعة) بوكالة الحاج عباس بن أحمد، واثنين من الفلاحين، على بستان في قرية أم العتايق من قرى الحلة. مؤرخ في سنة 1220 هـ (1805م).

وترقى هذه الوثائق الى عهد والي بغداد سليمان باشا الكبير (1194-1217هـ/1780-1802م) وخلفه علي باشا (1217-1222هـ/1802-1807م) اي الثلث الاخير من حكم المماليك في العراق (حكما من 1162 الى 1247هـ/1749-1831م)⁽²⁾ وهي الحقبة التي شهدت تحول المماليك فيها من فئة بيروقراطية - عسكرية تعتمد

(1) كنا قد وضعنا فهرساً مفصلاً بمخطوطات هذه المكتبة ووثائقها، انظر الآثار الخطية في المكتبة القادرية، 5 أجزاء (بغداد 1974، 1980).

(2) ينتمي المماليك الى أصول جيورجية، جلبوا رقيقاً في عهد والي بغداد القوي حسن باشا في مطلع القرن الثامن عشر، واتخذهم هذا الوالي، وابنه أحمد باشا من بعده، جيشاً له وموظفين، وأثبتوا من المقدرة ما مكنتهم من تولي الحكم سنة 1162هـ/1749م وشمل حكمهم بغداد والبصرة وشهرزور، بينما قوى نفوذهم في ولاية الموصل، وتوالى على الحكم منهم عشرة ولاة كان آخرهم داود باشا الذي عزل سنة 1247هـ/1831م.

في معاشها على ما تتقاضاه من خزينة الولاية من رواتب، الى طبقة مالكة لها مواردها الاقتصادية من ملكياتها العقارية الواسعة، وزاحمت خلالها الطبقات المالكة الأخرى، لا سيما تلك التي تمثل الملكيات الزراعية الكبيرة مصدر ثروتها الأساس. ويفهم من استقراء الوقفيات العديدة التي وقفتها أسر المماليك على مساجد بغداد، وعلى ذرايرهم، أن تلك الأسر كانت تتجه في استثمار أموالها في اتجاهين رئيسيين: الأرض، والتجارة. وكان معظم أصحاب الأموال يوزعون استثماراتهم تلك، بنسبة متعادلة تقريباً، بين الملكيات الزراعية والملكيات المتعلقة بأعمال تجارية بحتة⁽¹⁾. ويظهر أن شيوع عقود المغارسة بين المماليك والفلاحين، في هذه السنين، كان يعود إلى رغبة المماليك في زيادة استثمارهم للأراضي الزراعية الواسعة التي بحوزتهم بهدف تحقيق أكبر ربح ممكن لاعادة توظيفه في مجالات تجارية وعقارية داخل المدن نفسها.

وفيما يأتي نصوص هذه الوثائق المهمة، ننشرها كاملة، ملحقين كل وثيقة منها بما تقتضيه من تحليل ودراسة⁽²⁾.

الوثيقة (1) [عقد مغارسة]⁽³⁾

«سبب تحرير هذه الوثيقة الشرعية، والنميقة الصريحة المرعية، يُعرب مضمونها عن ذكر ما هو: أنه قد حضر الرجل المدعو محمد بن حمد بطووعه وحسن اختياره من غير جبر ولا إكراه، وطلب المغارسة الآتية ذكرها مع حضرة أفندينا الأسعد الأمجد سعيد بك المجد،⁽⁴⁾ نجل الوزير الأعظم، والدستور المكرم، حضرة أفندينا ولي النعم سليمان باشا والي بغداد المفخم، أدام الله تعالى دولته، في مقاطعة الهندية الواقعة في جانب الشامية قرب الحلة المحمية. على أن يُغارسه في زراعة بستان مشتملة على نخيل وكروم وآصال وأشجار. وحيث أن النقيب سعيد بك المومى إليه لم يبلغ حينئذ حد الحلم، تصدى لهذا العقد حضرة أفندينا المشار اليه بحسب ولايته الخاصة عليه، فأقر

(1) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوطة لدى المؤلف).

(2) أشكر الدكتور عدنان أحمد العزاوي على مساعدته إياي في دراسة هذه الوثائق من الناحية القانونية.

(3) العنوانات من وضعنا.

(4) سعيد بك (باشا فيما بغداد) ولد سنة 1205هـ (1790م) فيكون عمره عند كتابة هذه الوثيقة سبعة أعوام، تولى الحكم ببغداد سنة 1228هـ/1813م بسبب تأييد زعماء المماليك له، اثر خلافه مع عبد الله واليها السابق، واستمر في الحكم حتى تمكن داود افندي دفتر داره (باشا فيما بعد) من عزله، بتأييد الدولة المركزية، ثم قتله سنة 1232هـ/1816م وتوليه الحكم مكانه.

للمغارس المذكورة من أرض المقاطعة المزبورة أربعة آلاف ذراع طولاً بذراع الكرياس،⁽¹⁾ وألفي ذراع عرضاً، مُعَيَّنة عند المغارس المذكور محمد، فباعه بحب ولايته الميمونة من الأرض المذكورة، المفروزة خُمسيها مشاعاً غير مقسوم، بمبلغ قدره وبيانه ألف قرش رايح، فصارت هذه الأرض المرسومة مشتركة بينهما بطريق الشيوخ: ثلاثة أخماس الى جانب المشار اليه سعيد بك، وخمسان للمغارس المذكور. ثم أن المزبورة يقتضي لها بناء جدران ووزع أشجار ونخيل وفسلان، وتعاهد بسقيها وحفر سواقيها ومساقيتها وغرسها وخدماتها. فقوّم بناء جدرانها وقيمة أشجارها وفسلانها بقيمة معينة، فسلم المغارس محمد المذكور ما يترتب على استحقاقه قيمة بناء الجدران وقيمة الأشجار والفسلان، الى جانب شريكه سعيد بك المومي اليه، ليصرفها مع مصارف استحقاقه من بناء الجدران وإشراء الأشجار والفسلان. ثم أن محمد المذكور أجر نفسه الى مدة عشرين سنة من جانب المومي اليه بالمبلغ المتقدم ذكره، وهو ألف قرش قيمة خمسي الأرض المذكورة، على أن يعمل في هذه الأرض جميع ما يطلب من الفلاحين في البساتين من الغرس والسقي والرفس⁽²⁾ وحفر السواقي والمساقى وتعاهدا بالحفظ والخدمة. [و] بمنه وكرمه تعالى جميع ما يحصل من نماء هذه المغارسة يقسم على خمس حصص، ثلاث منها لجانب المشار اليه سعيد بك، وحصتان للمغارس المذكور.

ثم أن الحاكم الموقّع اسمه أعلى الكتاب⁽³⁾ حكم بصحة المغارسة حكماً شرعياً مرعياً صحيحاً. وكان ذلك في اليوم الثالث والعشرين من شهر صفر الخير لسنة ثلاث عشرة ومائتين وألف.

تحليل الوثيقة

1- إن ظاهرة إثبات عقود المغارسة كتابة بهذا التفصيل ظاهرة تستلقت النظر في هذه الحقبة، إذ كان المعتاد حتى في ظل القانون المدني أن يصار الى اتفاق شفاهي، وهو الأمر الذي كان سبباً في ضياع حقوق المغارسين غالباً.

(1) ذراع الكرياس، ويساوي على الأرجح ما عرف بالذراع العامة، وهذه كانت تساوي 04، 54 سم . فالترهننتس: المكاييل والأوزان الاسلامية ص89، ترجمة كامل العسلي، عمان 1970، فيكون طول الأرض (216,60) متراً، وعرضها (1088) متراً. أي تسعة دونمات وبعض الدونم.
(2) الرفس لغة: الصدمة بالرجل في الصدر (تاج العروس. رفس) واصطلاحاً لدى أهل العراق: التسميد .
(3) ليس على الوثيقة اسم هذا القاضي، وأغلب الظن انه السيد رائف ابو بكر، وكان قد تولى قضاء بغداد في تلك السنة، واستمر فيه الى جمادى الآخر سنة 1214هـ / 1799 م .
ابراهيم الدروبي : أخبار قضاة بغداد (مخطوط) .

2- إن عقد المغارسة عند الحنفية بخلاف المذاهب الإسلامية الأخرى⁽¹⁾، عقد فاسد، أي انه لا ينعقد وإنما يكون الحكم على أن الشجر لرب الأرض وللمغارس قيمة غرسه يوم الغرس وأجر مثل عمله، وللمغارس قيمة غرسه يوم الغرس وأجر مثل عمله، أي أجر المثل⁽²⁾. والحيلة الشرعية الواردة في الوثيقة هو أن يبيع صاحب الأرض الى العامل او المغارس بثمن معلوم، ثم يأذنه بإنفاقه في غرس نصيبه. ومما يؤكد انطواء هذا العقد على حيلة شرعية هو أن بدل البيع قرر بذات المبلغ المقرر للمغارس كأجر له عن الغرس.

3- ان الشيوخ شرط واجب به لصحة العقود الزراعية عموماً كالزراعة والمساقاة، وبهذا المعنى نصت المادة 1444 من مجلة الأحكام العدلية «يشترط أيضاً كما في الزراعة ان تكون حصة العاقدين في عقد المساقاة جزءاً شائعاً كالنصف والثلث».

الوثيقة (2) [عقد المغارسة]

«السبب الداعي لتحرير الكتاب الشرعي، والأمر الباعث لتسطير الخطاب المرعي هو: أنه حضر الرجل المدعو عمران بن عسكر، وطلب المغارسة والشركة الآتي ذكرهما مع حضرة جناب الأكرم الأفخم سعيد بك المفخم نجل الوزير المبجل حضرة أفندينا سليمان باشا، أدام الله أيام سعوده، ومتعنا والأنام بطول بقائه ووجوده. وحيث أن المومى اليه سعيد بك لم يبلغ حينئذ، تصدى عنه والده الوزير المشار اليه فوكل من جانب الاكرم مصرف⁽³⁾ بابه الحاج محمد سعيد أفندي⁽⁴⁾

(1) عقد المغارسة لدى المذاهب الاسلامية الأخرى، وبخاصة المالكية، عقد جائز ومشروع بل نظمت احكامه لدى الأخيرين بشكل يكفل حقوق المغارسين .

(2) انظر التفاصيل في عدنان أحمد العزاوي : العلاقات الزراعية في القانون العراقي، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة بغداد 1976، ص 12-18.

(12) سليم رستم باز : شرح المجلة، بيروت 1923، ص 766 .

(3) المصرف، موظف يتولى حساب النفقات والواردات في عهد المالك، واسم الوظيفة المصرفية، والمصرفدارية، والمصرفخانة: دار المصرف .

(4) تولى المصرفية في عهد سليمان باشا الكبير، ثم تولى (دفتردارية) بغداد، حتى عزله عنها والي بغداد عبد الله باشا سنة 1225هـ/1810م، ولكنه عاد فعينه كخدا بغداد وكالة لمدة شهر واحد سنة 1226هـ/1811م وكان مقرباً من سعيد باشا ومن أعوانه، فلما تولى داود باشا الحكم سنة 1232هـ/1816م وقتل سعيد باشا لاحق مقربيه وأعوانه، فقتل منهم محمد سعيد المذكور، وارسل رأسه، مع الآخرين، الى استانبول. وكانت لمحمد سعيد دار تقع قرب السراي . رسول الكر كوكلي: دوحة الوزراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت، ص 253، 277 .

المحترم وكالة مطلقة، بشهادة الأكرمين: لطف الله أفندي⁽¹⁾، ومحمد بك شاوي زاده⁽²⁾ المحترمين، فحضر الوكيل المومى اليه وأحضر المغارس المزبور، وافرز له من أرض مقاطعة الهندية طولها ذراع بالذراع الحديد البغدادي الكرياسي⁽³⁾ وعرضها ثمانمائة ذراع بالذراع المذكور، فباعه نصفه مشاعاً غير مقسوم بمبلغ قدره ألف قرش من الرايج في الوقت، بيعاً صحيحاً شرعياً. ثم انهما اتفقا على ان يفرسا جميع الأراضي المزبورة نخلأ وأصلاً من الميواة⁽⁴⁾ أنواعاً، ويصرف كل منهما على قدر استحقاقه وما يخصه من بناء الجدران وقيمة التال⁽⁵⁾ والأشجار، فلما تم ذلك أجز المزبور حسين نفسه من البيك المشار اليه بأن يقوم بجميع ما يحتاج اليه البك المشار اليه من الغروس المذكورة من السقي والحرث والتحويض والتسميد والتلقيح والتعكيس والتركيس وحفر الحقبور⁽⁶⁾ للتال والأصال، من تاريخ الورقة

(1) هو لطف الله أفندي، من مدينة كركوك أصلاً، عاش في بغداد، وتلقى العلم فيها، وعين كاتباً فرئيساً للديوان (ديوان الأثناء) ببغداد في عهد واليها سليمان باشا الكبير، وعرف بعلمه في الرياضيات، حتى ان داود باشا درس على يديه هذا العلم، وتوفى سنة 1216هـ/1801م، أي بعد شهادته على هذه الوثيقة . عثمان ابن سند : عبد القادر الشهراباني، تذكرة الشعراء، الأصل الكامل بتحقيقنا، بغداد 2002، ص356-361 وعثمان بن سند: مطالع السعود بتحقيقنا، ص198، 277، 538 وومختصره لامين الحلواني، القاهرة 1371، ص 172 .

(2) محمد بن عبد الله بن شاوي من أمراء قبيلة العبيد في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر . تولى عدة سفارات دبلوماسية بين بغداد وايران، وعرف بدهائه وحنكته، وكانت ثمة خلافات بينه ووالي بغداد سليمان باشا الكبير، فارسله هذا في بعض المهمات الصعبة طلباً للتفاوض مع الوهابيين، وبعد عودته اتهمه منافسوه بالميل الى الوهابيين، حتى اذا ما تولى علي باشا الحكم سنة 1217هـ امر بخنق محمد بك الشاوي مع أخيه عبدالعزيز بك، فخنقا ودفنا في محرم 1218هـ/1803 في منطقة قريبة من الموصل . مطالع السعود ص 142-149، 158، 313، 319، 347، 348، ومختصره ص 21، 26، 40، 44، 51، 72، ودوحة الوزراء ص164، 165، 207، 213، 224 وابن سند : سبائك المسجد ص82 .

(3) ذراع الحديد، نوع من الأذرة، يبلغ 25 أصبعاً شرعياً، كان يستخدم في مصر والحجاز كذراع بز، وطولها هو 58، 187 سم، والظاهر أن كاتب الوثيقة أراد ان يميز ما عناه بالذراع الحديد عن غيره مما يحمل الاسم نفسه، فوصفه بالبغدادي الكرياسي، وقد تقدم ان الذراع الكرياسي هو 54 ، 04 سم، ولا ندري ان أراد به مجرد وصف للأخير، ام انه نوع مستقل من الأذرة . هنتس : المكايل والأوزان 87 .

(4) الميواة : فارسية، وتعني الفاكهة، وما تزال مستعملة أحياناً في العاميات العراقية .

(5) التال : فسلان النخل .

(6) كذا .

الى مضي عشرين سنة بالمبلغ المطلوب من قيمة نصف الأرض المزبورة، وذلك ألف قرش . فبمن الله تعالى وبمنه إذا بعث بالنماء والخير من الغروس المذكورة يقسم الحاصل مناصفة، نصف لحضرة افندينا البك المومى اليه، ونصف للمزبور عمران . وأما ما يزرعه المزبور عمران من الخضر والمخاضير والقطن والحنطة والشعير وأنواع الحبوب والمخاضير فهو له خاصة دون البيك المشار اليه، بيعاً وشراكة صحیحتان صریحتان شرعیتان مرعیتان، جرت بینهم بالطوع والرضا .
 وكان ذلك في سلخ ربيع الأول ثلاثة (ثلاثة) عشر ومائتين والف .





تحليل الوثيقة

1- إن عقد البيع الوارد على الأرض يتضمن في حقيقته عقد مغارسة توصل اليه العاقدان من خلال الحيلة الشرعية، أي الوصول الى إجراء عقد المغارسة من خلال عقد بيع صوري . ويؤكد ذلك أن المغارس استوفى مبلغاً لقاء الغرس يقابل مبلغ البيع، إضافة الى ان اقتسام الأشجار والثمر تم بذات النسبة التي تم بها الإتفاق .

2- ان اقرار الحق للمغارس مآلاً، أي بعد إعمال الحيلة الشرعية بنصف الأرض والشجر يمثل حكماً جديراً بالملاحظة، لأن إثبات الحق بنسبة كهذه قد كرس في فترة متأخرة، وعلى وجه التحديد بصدور القانون 117 لسنة 1970.

الوثيقة (3) [عقد مغارسة]

«وجه تحرير السند الشرعي: هو أنه قد استأجرتُ من جناب الأفخر الأفخم الحاج محمد سعيد بك، مصرف حضرة افندينا ولي النعم، كثير الجود والكرم، الدستور المكرم والمشير المفخم، الذي فاضت سحائب جوده على الخاص والعام، والي

ولاية بغداد مدينة السلام، سليمان باشا يسر الله له من الأمور ما شاء، ولا زالت أغصان اقباله خضراء مورقة، وبحار سعاداته ممتلئة متدفقة، وكل بحسب ولايته على مخدمه الأفخم الأعظم ائفدينا سعيد بك المحترم، بشهادة صاحب المجد والعرفان، وكاتب الديوان الأكرم لطف الله ائفدي المحتشم، وشهادة النقيب الأديب الأمدج الأمجد الأكرم محمد بك⁽¹⁾ المحترم : الأرض البيضاء⁽²⁾ المتصلة بنهر الهندية، التي طولها ألفا ذراع بذراع الكرياسي، وعرضها ألفا ذراع كذلك، الى مضي تسعين سنة بأجرة معينة قدرها الفا قرش استيجاراً صحيحاً شرعياً . ثم بترضينا فسخت الاستيجار في نصف الأرض المذكورة فسقط نصف الأجرة المسطورة . ثم تشاركت مع جناب المشار اليه بحسب وكالته، على أن يضع من مال الأجرة التي بذمتي خمسمائة قرش وانا أضع مثلاً، ونخلط المالين خلطاً لا يتميز، ونشتري بها تالاً أنواعاً، وأغصاناً أضراباً، من جميع انواع التال والأصال، ونغرسه في الأرض المذكورة. ثم بعد ما تم أمر المشاركة، استأجرني جناب المشار اليه بحسب وكالته الشرعية لخدمة ما يخصه من نصف الغرس المذكور من التال والأصال الى المدة المذكورة، ولبناء وحفر السواقي والتسميد وقطع الأغصان اليابسة [و] التلقيح والتطين والتركيس والتعكيس وسائر الخدمات المعلومة بين ارباب المغارسات بأجرة معينة قدرها خمسمائة قرش. وقد قبلت ذلك الاستيجار بالأجرة المذكورة الى مضي المدة المسطورة، واذا جاءت الثمرة بإذن الله تعالى تقسم مناصفة، نصف لأئفدينا الأكرم سعيد بك المحترم، ونصف لنا . وعلى هذا وقع الرضا والقبول .

وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة الثالثة عشر بعد المائتين والف».

تحليل الوثيقة

1-إن صيغة الاجارة هي صيغة غير مألوفة خاصة من حيث مدة هذه المغارسة، وهي تسعين سنة، اضافة الى اقترانها بالتزام المؤجر مآلاً بالغرس، وهو لا يقع ضمن التزامات المستأجر عادة. والأمر لا يعدو ان يكون حيلة شرعية أريد بها الاتفاق على الغرس واقتسام الارض والشجر بين المالك ومن قام بالغرس. ولكون

(1) هو محمد بك الشاوي المتقدم ذكره في الوثيقة السابقة .

(2) الأرض البيضاء : هي الأرض الجرداء التي لا نبت فيها .

الأحكام المرعية في المذهب الحنفي لا تجيز عقد المغارسة، فإن الحاجة قد مست الى مثل هذه الحيلة لتمرير هذا التصرف.

2- يلاحظ أن العقد لا يرتب أية حقوق عينية للمغارس أن يدعي بأي حق من الحقوق المتصلة بالملكية، ويقتصر مركزه الشرعي على كونه مستأجراً فقط، ينتهي حقه بإنهاء المدة المتفق عليها بالوثيقة. ويلاحظ أن المدة قد قررت على النحو الوارد بالعقد اي 90 سنة للوصول الى نتائج مقارنة لتلك النتائج المتوخاة عادة من المغارسة دون الاصطدام بالأحكام الفقهية الحنيفة التي لا تقر هكذا عقد أصلاً .

3- يلاحظ أن هذا العقد هو بين ذات الأطراف الوارد ذكرهم في العقد السابق، وبنفس الشهود والتاريخ وينصب على ذات المنطقة، وهو أمر قد يفهم منه بأن محل العقد هو واحد في الحالتين، ولكن تعددت هذه العقود لضمان حقوق العاقدين في ظل واقع قانوني لا يجيز مثل هذا التصرف أصلاً، بحيث يصار الى الاستعانة بهذا المستند اذا اتضح عدم شرعية او اصولية المستند الأول.

4- يستشف من هذه الوثيقة وما سبقها ان التعامل بالمغارسة كان أحد ضروب التعامل الزراعي الشائعة في العراق، او على الأقل في هذه المنطقة، علماً بان عقود المغارسة لم تعرف في بعض البلدان الاسلامية الأخرى، كمصر مثلاً .

الوثيقة (4) [عقد ضمان أو التزام ووساطة زراعية]

«وجه تحرير التمسك : بأن عليّ وفي ذمتي لباب حضرت أفندينا - أدامه الله تعالى - من الدين اللازم والحق الثابت مبلغاً قدره من الغلال ثمانية عشر تغار ونصف حنطة، وخمسة وعشرين تغار⁽¹⁾ شعير، وذلك عن طلب ضابط الحلة علي جليبي⁽²⁾، الحنطة عن بقية ضمان الحبوب والشهابية، والشعير عن بقية ضمان

(1) التغار، والطغار، وزن شائع في العراق، وهو يعدل 20 وزنة عراقية والوزنة 4 أمانان باليمن العراقي، والمن ست حقق بالحنة البقالي، والحنة أربع أواق بقالي. ويزن الطغار 2165 كيلو غراماً و 125 درهماً (وهي خمسا الكيلو تماماً). ابراهيم سليمان العاملي: الأوزان والمقادير، صور 1962، ص 80-82 .

(2) هو علي جليبي بن خليل جليبي بن اسماعيل بن محمد ياسين جليبي، من الأسرة الحاكمة في الحلة، والمعروفة في فترة تالية على التاريخ الوثيقة بأل عبد الجليل (شجرة عائلتي الجليبية والبيكات في بغداد والحلة، مخطوطة لدى المؤلف) تولى حكم الحلة سنة 1207 و 1209 هـ والبيكات في بغداد والحلة، مخطوطة لدى المؤلف) تولى حكم الحلة سنة 1207 و 1209 هـ (1792-1794) ثم عزل عنها، وأعيد اليها بعد نحو سنتين، وهذه الوثيقة تشير الى وجوده

الحمزاوية، دين قرضه حسنة في ذمتي يستحق أداءه ووفاءه حين الطلب . وأعطيت هذه التمسك سنداً في 10 ر 1213 .
عن اقرار المصبح⁽¹⁾ .

تحليل الوثيقة

1- إن عقد الضمان الوارد في العقد لا ينصرف إلى معنى التزام الضريبة، وإنما هو صيغة من صيغ الايجار الشائعة في التعامل الزراعي المحلي، خاصة في ميدان البستنة. ويبدو أن بدل الإجارة قد حُدّد سلفاً بمقادير معينة من الحبوب .
2- يستدل لتقريب معنى الضمان الوارد في الوثيقة الى المعنى الذي اسلفنا، أن الضمان قد اقتصر على مساحة زراعية معينة فقط، والغالب ان يجري الالتزام على كامل المنطقة. ويمرّز هذا الإستدلال أن البديل قد اختلف في الحالتين، فهو حنطة في الاول، وشعير في الآخر.

الوثيقة (5) [عقد مزارعة]

«الباعث لتحرير الشرطنامة هو أنه: قد رخصنا ناقلين الشرطنامة البو هيكل على النزول بقاع الهندية من نصف أبو طرفة الى خان الدندان ويسمّون⁽²⁾ شتوي صيفي والبزّر والسكك⁽³⁾ والمساحي⁽⁴⁾ بالمناصفة، نصف على الباب⁽⁵⁾، ونصف عليهم، والمساعدة على الباب وما عليهم منها شيء. وأعطينا لسكتهم⁽⁶⁾ عشرين جوق⁽⁷⁾ مطلق

-
- حاكماً سنة 1213هـ، واستمر في منصبه حتى عزله عنه كتخدا بغداد علي باشا سنة 1214هـ/1799م . دوحة الوزراء ص 211 .
- (1) كان ملتزماً للهندية، وقد ورد اسمه بهذه الصفة في وثيقة مرسله اليه من والي بغداد سليمان الكبير تاريخها سنة 1216هـ/1801م، وهي محفوظة في المكتبة القادرية .
- (2) يسقم : يزرع .
- (3) السكك جمع سكة، وهي حديدة الفدان (القاموس المحيط . سك) .
- (4) المساحي جمع مساحة، وهي اداة حفر التربة وقلبها، وأورد اسمها ابن سيدة في المخصص 25/11 ولم توردها المعاجم العربية الأخرى .
- (5) الباب : يريد الحكومة .
- (6) يريد : للمقيمين في الأرض لأجل زراعتها من أبناء العشيرة .
- (7) الجوق: الجماعة من الناس (القاموس المحيط . جوق) وبالفارسية : الجوخ، بالمعنى نفسه، ويبدو ان المقصود بها هنا كمية معينة من المحصول .

مُعاف⁽¹⁾، ولشيخ المشايخ صاحب المضيف خمسة أجاوق أيضاً مطلق مُعاف، وبقية الأجاوق اربعة، والخامس مطلق للفلايح⁽²⁾ على المعتاد. وحين الحاصل، بعد اخراج البزّر، تقسم عايد زراعتهم نصفين، نصف للباب، ونصف لهم. وأن يعمرّون بالمحل المذكور بساتين. ونقل التال على الباب، ونقل الأصال على المرقومين، ومعتادهم من البساتين المذكورة على معتاد بني خيكان⁽³⁾. وأعطيناهم هذه الشرطنامة سنداً بيدهم.

تحليل الوثيقة

- 1- يلاحظ ان التعامل الزراعي المنصوص عليه في هذه الوثيقة ليس بتعامل مباشر بين صاحب الأرض ومزارعين، وإنما جرى تعيين الطرف المتعاقد مع صاحب الأرض إجمالاً، وهو عشيرة البو هيكل دونما تخصيص .
- 2- إن هذا التعامل قد يفسر لنا - الى حد ما - الصيغة التي تمت بها عملية التسوية التي أجريت في فترة لاحقة، حين كانت الأرض تسجل باسم الشيخ فلان وجماعته .
- 3- إن هناك إشارة الى تقرير حصة من الحاصلات الى المضيف، وهو تعامل استمر العمل به حتى عهد غير بعيد، سبق إصدار قوانين الإصلاح الزراعي الأولى.
- 4- يُفهم من صيغة الترخيص، وهي صفة إدارية، الى أن العقد قد تم بين الوالي بصفته الرسمية، أي بين الدولة، والبو هيكل . وقد يفسر ذلك بأن الدولة كانت مالكة في الأصل لهذه المساحة الصالحة للزراعة، وهو الأمر الذي يمكن أن نبني عليه وجود ملكية مستقلة للدولة، تستقل عن ملكية الوالي الشخصية، وعن ملكيات الاشخاص.

(1) أي معفو من الضرائب .

(2) الفلايح، والفلح، جمع فلاح عند العامة في العراق .

(3) بنو خيكان : مجموعة عشائر مختلطة من اصول عدة، وكانوا يعدون من العشائر الملحقة باتحاد قبائل المنتفق. أما رؤساؤهم فيمتون الى ربيعة. ومواطنهم الاولى في نواحي عكبة وكرمة بني سعيد والجبايش، ثم انحدر قسم منهم للإقامة بين المدحتية وناحية القاسم من نواحي الحلة، وما زال هذا القسم مقيماً هناك، ومن الواضح -بناء على ما اورده الوثيقة- ان انتقال بني خيكان الى هذه النواحي جرى في فترة قريبة من تاريخ العقد . عباس العزاوي: عشائر العراق 4، بغداد 1956، ص 58 و 62 .

- 5- أن العقد لم يتضمن مدة معينة للاستغلال، وهو ما قد يفهم منه أن هذا العقد يحمل طابع الامتداد أو الاستمرارية.
- 6- ثمة إشارة في الوثيقة الى معنى الاشتراك في مصاريف الانتاج، كما يستبان من عبارة «مناصفة مصاريف البذر والسكك والمساحي (أدوات الحرث)».
- 7- ثمة اشارة في الوثيقة الى معنى الالتزام بالتسليف من قوله «المساعدة على الباب» اي على صاحب الارض.
- 8- اقتصت الوثيقة ببيان تكاليف المغروسات، فجعلت نفقات التال من واجبات صاحب الارض، والأصل من واجب المتعاقدين الآخرين.
- 9- يلاحظ أن الحصص الثلاثين الواردة في الوثيقة قسمت على النحو التالي:
20 حصة لعشيرة البوهيكل، وهي ما تمثل نسبة الثلثين من نسبة النصف المخصصة للزراعة أصلاً، اما النصف الثاني، وهو ما يقابل مجموعة هذه الحصص فللوالي .
- 9 حصص لشيخ المشايخ صاحب المضيف، 1 للفلايح، ويبدو أن المقصود بهم العمال الزراعيين الذين تمس الحاجة اليهم في بعض فترات الزراعة كوقت البذار ووقت الحصاد .

الوثيقة (6) [عقد عمل زراعي]

«وجه تحرير التمسك : هو أنه أنا نجم بن محمد، وحسين بن علي، ومشعل، [نُقِر] بأن علينا وفي ذمتنا لناقل السند الشرعي جناب الأكرم الحاج محمد سعيد افندي قاضي الحلة من الدين اللازم، والحق الواجب، مبلغاً قدره ونصابه مائة وخمسين رايج بغداد⁽¹⁾ دين في ذمتنا متكافلين⁽²⁾ متغامرين، الحي يؤدي عن الميت، والخاضر يؤدي عن الغائب، وهي عن مساعدة فلاحه في بستان الكبيرة المزملة، بشرط ان نفلح في البستان، ونتقيد بخدمتها خدمة تصلح لها، ونزرع بها صيفي وشتوي على حدودها، ويعطينا عوض خدمتنا كل واحد نصف تغار شعير تمويت⁽³⁾

(1) أي : قرش رايج بغداد .

(2) في الأصل : متكافلين .

(3) تمويت : أطفاء .

ما نطالب، وخمس منامج⁽¹⁾ مخيرات . وعلى هذا وقع الرضا بيننا، واعطيناه الوثيقة سنداً بيده لوقت الحاجة في 17 ر (ربيع الاول) 1213 .

تحليل الوثيقة

1- يبدو ان العقد ينصرف الى التعاقد مع بعض الفلاحين في البستان المشار اليها في الوثيقة في ظل وجود مساقى (اي فلاح بستان) يقوم بهذه المهمة، بحيث تأتي جهود المذكورين في العقد مكمله لجهود ذلك المساقى في العناية بالبستان. والتعبير الوارد فيها (مساعة فلاحه) يعزز هذا المعنى.

2- إشارة الوثيقة الى معنى التضامن بين المكلفين بأداء الالتزام بمعنى أن للمتعاقد الآخر أن يطالب أيأ منهم يختاره للإيفاء بالالتزامات المترتبة عليهم جميعاً دون ان يضطر الى تجزئة الحق.

الوثيقة (7) [عقد بيع يرد على عقار]

«السبب الداعي لتحرير الكتاب الشرعي، والأمر الباعث لتسطير الخطاب المرعي : هو أنه قد حضر كل من المدعويين، وهما محمد وعليوي ابنا حميد ابي خشوت، وباعا بالبيع البات القطعي الشرعي، من وكيل رافعة هذا الكتاب الشرعي، الحاج عباس بن احمد، وهو اشترى وابتاع منهما بمال موكلته المدعوة (خانة بنت جمعة) دون غيرها، ما هو للبايعين المزبورين وملكهما ويبيدهما وتحت تصرفهما الى حين صدور هذا البيع منهما، وذلك ثمانى حصص من أصل خمس وأربعين حصة من جميع فلاحاني البستانة المعروفة بأم الخستاوي، الواقعة في قرية العتايق⁽²⁾ المشتملة على نخل وأشجار وتال وفسلان، وأرض وكرد على الفرات العظمى⁽³⁾، المحدودة بحدود الأربعة: الأول مغارسة ذياب البلبوص، والثاني طريق العذار⁽⁴⁾، والثالث بعضاً

(1) كذا في الأصل .

(2) قرية العتايق: قرية على شط الحلة، من الجانب الغربي، ذكرها الفيروزآبادي (ت 817/1315م) بقوله «بلدة شرقي الحلة المزيدية» القاموس المحيط، ط بولاق 1301، ج3 ص254 وهي معدودة من أخصب قرى الحلة وقد انتقلت، في الربع الاول من القرن العشرين، الى ملكية الاسرة المعروفة بأل سامي بك .

(3) يريد : شط الحلة .

(4) العذار : اسم يطلق على القرى الواقعة على ضفتي نهر الحلة في الجهة الجنوبية والشمالية من الحلة، ويمتد من أعالي اطلال بابل الى اسفل قضاء الهاشمية . يوسف كر كوش الحلي : تاريخ الحلة، النجف 1965، ج2ص153 .

سجاجة، وبعضاً الباغجات⁽¹⁾ اللاتي من وراء القرية، وبعضاً الطريق المار الى الفرات العظمى، والرابع الفرات العظمى، بثمن معين ومبلغ معين، قدره ونصابه مائتا قرش رومي من عين الشوشي الكبير⁽²⁾ المضروب بسكة السلطان سليم خان، عبارة عن القرش تسع تفاليس من رايج مدينة بغداد، مقبوضة في يد الوكيل المزيور الحاج عباس في مال موكلته المزيورة خانة، الى يدي البائعين المزيورين بالوفاء والتمام، بيعاً وابتياًعاً صحيحين صريحين شرعيين مرعيين، مشتمل على الايجاب والقبول، والتخلية في الطرفين في اليدين، واسقاط العُبن والخيار، صدر انهما في حال الصحة والاختيار من غير إكراه ولا إجبار، فيوجب ذلك حكم بصحة البيع، وصار جميع ما وقع عليه عقد البيع ملكاً من املاك الموكلة المزيورة خانة، وحقاً من حقوقها تتصرف به كيف تشاء وحيثما تشاء، كتصرف المُلَّاك بأملاكهم وذوي الحقوق بحقوقهم، من غير مانع ولا منازع لها في ذلك . ثم غب صحة البيع وقبض الثمن إصطلحت المشتريه مع البايعين وابرأت ذمتها إبراءً عاماً وأبرءاً ذمتها أيضاً ابراءً عاماً، ولم يبق لكل فريق عند الآخر دعوة ولا طلبه بوجه من الوجوه .

(1) الباغجة، مركبة من باغ : جنة، جه : أداة تصغير، فتكون، جنينة، والمقصود بها اصطلاحاً مزرعة البقول كالسلق واللفت والشوندر الخ . داود الجليبي : كلمات فارسية في عامية الموصل، بغداد 1960، ص 19 .

(2) هذه إشارة فريدة الى نوع من العملات المستعملة في العراق في القرن الثامن عشر، ليس ثمة معلومات مؤكدة عنه لحد الآن، فالقرش الرومي اسم يطلق على القرش الصاغ، وهو عملة فضية عثمانية، كانت تعدل 40 بارة (عملة فضية صغيرة)، بينما ثمة نوع آخر من القروش، هو القرش الرائج، ويعدل ربع القرش الصاغ، أي عشر بارات، وإشارة كاتب الوثيقة (من عين الشوشي الكبير) قد تحمل الى الظن انه عنى ما كان يعرف بالقرش العين، وهو نوع من القروش كان يضرب من الفضة الخالصة، ويعدل في القرن الثامن عشر قرش صاغ وثلاث القرش، أي 54 بارة (كتابنا : الموصل في العهد العثماني، النجف 1975، ص 557) ومما يعزز هذا الرأي ان فيليكس جونز اشار في منتصف القرن التاسع عشر الى ان قيمة الشوشي 56 (قرشاً) فالظاهر أنه اراد بما سماه قرشاً البارة عينها . (بغداد في سنة 1853، ترجمة عبد الوهاب الأمين، مجلة المورد عدد (2)، 3، 1974، ص 80) لتقاربها الشديد مع عدد البارات في القرش العين، وعلل صاحب محيط المحيط تسمية الشوشي بأنها نسبة الى نقش فيه كالشوشة (الشوشة : الرأس) وصرح بافرنجية هذه العملة (ولعله استند في ذلك على اساس ان العملة العثمانية ليس فيها صور لرؤوس الملوك خلافاً للنقود الاوربية) وتابعه في هذا آخرون (عباس العزاوي : تاريخ النقود العراقية 169 والكرملي: النقود العربية 179) وتصريح كاتب الوثيقة بأنها مضروبة بسكة السلطان سليم خان، ينفي افرنجيتها .

وكان ذلك في الرابع والعشرين من شوال السنة عشرين ومايتين والف

عن قبول

عن قبول

محمد

الوثيقة (8)

«هو أنه قد حضر الرجل المدعو الحاج عباس ابن أحمد الوكيل عن المرة⁽¹⁾ المدعوة خانة بنت جمعة المياحي، وكالة مطلقة على الدعوى على الرجلين المدعويين محمد وعليوي ابني حميد ابي خشوت بالبستانة المعروفة بمال المياحي، الواقعة في قرية العتايق من أعمال الحلة السيفية. وان المزبور الحاج عباس وموكلته بعد ذلك قد اصطلحا معهما وإبراء ذمتهما من الطرفين في البستانة المزبورة، ما عدا ما كتبها لها بذلك حجة إبراء عاماً مُسقط لجميع الدعاوى وحاسم لجميع الآثام، بحيث لم يبق للموكلة المزبورة عندهما من خصوص البستانة المذكورة دعوة ولا طلبية ما عدا ما باعها من الحصص المذكورة في حجتها، وكذلك هما أبرءا⁽²⁾ ذمتهما إبراءً عاماً مُسقط لجميع الدعاوى، وحاسم لجميع الآثام، بحيث لم يبق لهما عندها دعوة ولا طلبية بوجه من الوجوه، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر شوال السنة عشرين ومايتين والف .

عن قبول

عن قبول

تحليل الوثيقتين

1- إن ظاهر النص ينصرف الى إبرام عقد بيع بين طرفين متعاقدين، ولقد تم تعيين محل العقد بشكل مفصل تجنباً للجّهالة والغرر، لا سيما وأن الشريعة الاسلامية لا تعرف مفهوم الشكلية في العقود (كالتسجيل في السجل العقاري الجاري به العمل الآن) مما يقتضي تعيين المحل تفصيلاً، لأن هذا العقد هو ما سيكون المحرر الوحيد الذي يثبت هكذا بيع .

(1) المرأة.

(2) في الأصل : ابراء .

2- يلاحظ أن العقد يؤكد صراحة على العناصر الواجبة لصحة التراضي، أحد اركان العقد، خاصة بما يتعلق بسلامة الإرادة من العيوب، والمعبر عنها بالوثيقة بالإكراه .

3- إن الشرط الأخير يفيد معنى المخالصة، حيث يُقر كلا الطرفين باستيفاء كامل حقوقهما من الآخر، ومن ثم إسقاط اية مطالبة قضائية مستقبلا بهذا الشأن .

4- يلاحظ أن الوكالة عن المرأة لا تعني عدم أهليتها لإبرام هذه العقود، لأن المرأة ذات اهلية شرعاً شأنها شأن الرجل في إبرام العقود المختلفة، بل أن ذمتها مستقلة بالكامل عن ذمة زوجها . خلافاً لما هو متبع حتى الآن في بعض الدول الاوربية .

من تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد

كلما ذُكرت مشاريع الخدمة العامة التي قامت بها المرأة في العراق، بل في تاريخ الإسلام، إلتمعت في وجدان الباحث مآثرة تلك السيدة الكريمة زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد في توفير مياه الشرب للحاج في طريق الحج، في مشروع عملاق ما زالت معالمة باقية حتى اليوم، إلا أن تلك المآثرة لم تكن هي الوحيدة في مجال ما قدمته المرأة في العراق في مجال الخدمة العامة ونافع الأعمال، وإنما تلتها مآثر أخرى قامت بها نساء صالحات في ذلك المجال النافع.



مشروع السيدة زبيدة لارواء الحجيج في مكة

ويهدف هذا البحث إلى تقديم مدخل لدراسة تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد منذ أواسط العصر العباسي وحتى نهاية عهد الدولة العثمانية، من خلال دراسة نماذج من المشاريع الخدمية المهمة التي أنشأها، أو شاركن في إنشائها، وهي موزعة على خمسة محاور رئيسية:

- 1- إنشاء المساجد والجوامع والوقف عليها.
- 2- إنشاء المدارس ودور القرآن والوقف عليها.
- 3- إنشاء الربط والزوايا والوقف عليها.
- 4- إنشاء الخدمات الصحية والبلدية.
- 5- وقفيات على أعمال خير متنوعة.

ولا شك في أن قيام هذه المبادرات يدل على تفهم كثير من النساء - في أكثر الحقب ركوداً- لحاجات مجتمعاتهن الأساسية، وإنشاء المساجد أو الوقف عليها كان يمثل تأكيداً على صلة المسلم بربه بإقام الصلاة في أوقاتها، وتأسيس المدارس العديدة كان يمثل في الواقع تقديراً لحاجة المجتمع إلى العلم والثقافة، وإنشاء الرُّبَط والزوايا، كان يمثل تقديراً لحاجة فئات من العباد والصالحين إلى مأوى لهم، ومن ناحية أخرى فإن وقف الأوقاف الكثيرة على الفقراء والمحتاجين والأرامل والأيتام يقف دليلاً على تفهم مشاكل تلك الفئات والتعاطف معها، ومن ثم فإن ذلك كله يسجل مقداراً عالياً من (الوعي) لدى أولئك النسوة الصالحات.

وليس (الوقف) مجرد إيجاد مصادر ثابتة لتمويل مشاريع معينة، وإنما هو يتجاوز ذلك إلى إنشاء مؤسسات حقيقية تخدم المجتمع وتقدم النفع العام، فوقف أراضي زراعية ودكاكين، وخانات تجارية، ودور، في وقفية ما، يستلزم إدارة كفوءة وأمانة في آن واحد. ولقد سعى أصحاب الوقفيات إلى اختيار (مُتولِّين) تجتمع فيهم هاتان الصفتان لإدارة مشاريعهم من بعدهم، إلا أن سعة الوقف كان يستلزم دون ريب موظفين آخرين (ناظر، محاسب، ساعي، مُعقَّب... الخ) وهو ما يعني تكوين مؤسسة فعلية، مستقلة في مصادر ثروتها تعمل من أجل تحقيق أهداف الوقف.

ولم يكن دور إدارات هذه المؤسسات قليلاً بأية حال، ففي المجالات التعليمية كان المتولي يمارس صلاحيات واسعة في اختيار المدرسين، واختبارهم، وفي عزلهم إن اقتضى الأمر ذلك، وفي قبول الطلبة، وتوفير الخدمات لهم، مما نص عليه الوقف. أما إدارة المشاريع المخصصة للخدمة الاجتماعية، مثل مساعدة الفقراء والأرامل والأيتام، فكان على المتولي أن يسعى لرعاية من يستحق العون بحسب المواصفات التي حددها الوقف، وتشمل تقديم الطعام، والكساء، وتخصيصات مالية أحياناً.

وعلى الرغم من صعوبة إدارة مؤسسات كهذه، ودقتها فإن المجتمع لم يرَ بأساً في أن تتولاها سيدات عُرفن بالكفاءة والأمانة، لذا فقد حفلت الوقفيات بأسماء نسائية بصفتهم (مُتولِّيات) لإدارة الوقف، وهو ما يعني أن عدداً كبيراً من المؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية كانت تتولاها المرأة باستقلال تام، نظراً لما يتمتع به الوقف نفسه من حصانة واستقلال، حتى أن المرء ليحترق حقاً كيف استطاعت نساء في مثل تلك الظروف أن يتولين مؤسسات خدمية كثيرة الموارد، متنوعة المصادر، مختلفة الخدمات ولفترات غير قليلة من الزمن.

وتحتل بغداد نسبة عالية من مشاريع الخدمة العامة التي أنشأتها نساء فضليات على امتداد تاريخها الطويل وذلك على النحو الآتي:

أولاً: إنشاء المساجد والجوامع والوقف عليها

مسجد الحظائر

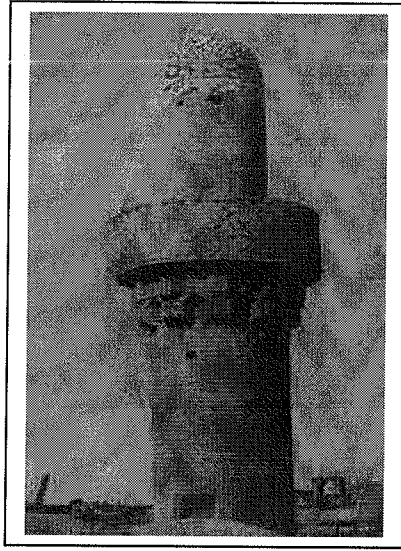
أنشأته السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله (566-575هـ/ 1170-1180م) في موضع نزه من شرقي بغداد، إلى الجنوب قليلاً من مبنى المدرسة المستنصرية، مُطل على شاطئ دجلة عند مَشْرَعَة عُرْفَت، عصر ذلك، بمشْرَعَة المُرْمَلَات، والمزملات هي السقايات الموقوفة على الواردين من أبناء السبيل، وما زال مبنى هذا المسجد حتى يومنا هذا شامخاً بقبابه المعقودة على الطراز العباسي البديع، وبمئذنته المزججة الرشيقة التي تعود إلى عهد إنشائه، وتتميز هذه المئذنة بالأجر الأزرق المزجج الذي يزين أعلى قبتها، وقد نُسب هذا المسجد أولاً إلى حظائر الشوك، أي أماكن حفظه وبيعه وقوداً، التي كانت بقريه، ثم عرف في العهود المتأخرة بجامع الصاغة الخفاف في هذا السوق في العهود التالية⁽¹⁾. وقد وصف السيد محمد سعيد الراوي هذا الجامع بقوله «هو جامع وسط في السعة والكبر، له مُصَلَّى كبير مُطل على نهر دجلة.. وعلى يمين هذا المصلى مصلى صغير بباب معقود، وفيه باب يؤدي إلى المصلى الكبير، وهو مُعد للشافعية، وفيه مئذنة واقعة غربي المصلى، وعلى يمين الداخل إلى صحن الجامع غرف تحتية إحداها مدرسة.. فيه مدرس وخطيب وإمام ومؤذن وخادم»⁽²⁾.

وكعادة هذه السيدة في الإشراف المباشر على شؤون مؤسساتها، اختارت بنفسها الشيخ عمر بن يوسف بن محمد بن نيروز البغدادي (541-611هـ/ 1145-1214م)⁽³⁾ ليكون إمام مسجدها، وكان هذا شيخاً صالحاً كثير العبادة⁽¹⁾ «خيراً ثقة»⁽²⁾ على ما وصفه معاصروه.

(1) محمود شكري الألويسي: مساجد بغداد وآثارها، بغداد 1345، ص112 وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2005، ص341-345. ومحمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2006، ص95-100.

(2) خير الزاد ص96-97.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام الطبقة 62، الترجمة 33.



مئذنة جامع الخفافين

وقد وجدت في هذا المسجد خزانة كتب قديمة تضم نواذر المخطوطات. وصفها السيد محمود شكري الألوسي بأنها تشتمل على مخطوطات قديمة العهد، والكثير منها تلف بتداول الأيدي⁽³⁾، وسجل السيد نعمان خير الدين الألوسي أسماء نحو ستين كتاباً منها في فهرس خاص وقفنا عليه ونشرناه⁽⁴⁾، ومن تلك المخطوطات كتب جادة، أي كتب منهجية مما كان يدرس في المدارس الإسلامية، وكتب في الحكمة وعلم الحيوان والطب والأدب وغير ذلك، ومن بقايا هذه الخزانة شرح صحيح مسلم للنووي بخط بديع محلي بالذهب، مخطوط سنة 900هـ، وبظهره وقفية المخطوط⁽⁵⁾.

مسجد السيدة بنفشة خاتون ببغداد

أمرت السيدة بنفشة بنت عبد الله زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي (566-575هـ / 1170-1180م) بإنشاء مسجد كبير بسوق الخبازين من سوق الثلاثاء عند عقد الحديد ببغداد «فعمر عمارة فائقة وكُسي» وجرى افتتاحه في النصف من شعبان من سنة 573هـ/1177م، وكان أول من أم فيه بالناس الشيخ عبد الوهاب بن

(1) ابن الفوطي تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب، تحقيق مصطفى جواد ج 817/4

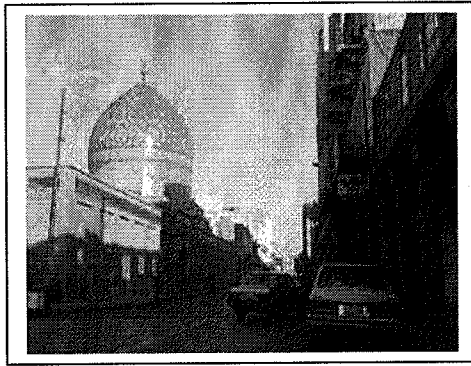
(2) مصطفى جواد: في التراث العربي 72/1 نقلًا عن تاريخ ذيل تاريخ بغداد.

(3) مساجد بغداد وآثارها 42.

(4) فهرست مكاتب بغداد الموقوفة، بتحقيقنا، الوقف السني ببغداد 2013، ص 170-173.

(5) الدروي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، 321.

العبيي (وهو زوج إبنة العلامة أبي الفرج ابن الجوزي)، وكان يقرئ فيه القرآن أيضاً. قال محمد بن سعيد بن الدبيشي الواسطي في ترجمته «وأقرأ القرآن الكريم وأمّ بالناس في الصلوات بالمسجد الذي أنشأته بنفسها عند عقد الحديد»، وقال ابن النجار في ترجمته: «وكان يُصلي إماماً بالمسجد الجديد بسوق الخبازين عند عقد الحديد»⁽¹⁾. وسوق الخبازين هو المحلة التي عرفت في العصور التالية بسوق باب الآغا القديم، تمييزاً عن درب فراشة الذي عرف فيما بعد بسوق باب الآغا، ثم عُرف القديم منهما بمحلة العاقولية نسبة إلى جامع العاقولي هناك. ولبث مسجد السيدة عامراً لكنه عُرف في العصر العثماني بجامع الحيدرخانة نسبة إلى المحلة التي أحاطت به، ثم أمر والي بغداد داود باشا بنقضه وتوسعة أرضه بضم بعض الدور إليه، وشيد على هذه الأرض جامعا كبيرا عرف بالحيدرخانة أيضاً سنة 1242هـ، وأضاف إليه مدرسة عُرفت بالداودية نسبة إليه وخزانة فخمة للكتب⁽²⁾. ويعد هذا الجامع انموذجاً لعمارة الجوامع البغدادية في العصر العثماني.



جامع الحيدرخانه (مسجد بنفشا القديم)

جامع الوفائية

يقع هذا الجامع في السوق المسمى قبل نحو قرن بالكبابجية ثم بسوق البزازين وبسوق العبيي (جمع عباءة)، وهو جامع قديم لا تُعرف هوية مؤسسته، او مُجددته، على وجه اليقين، وذهب بعض الباحثين⁽³⁾ أنها السيد وفا خاتون من نساء الجلاليين

(1) ابن الساعي: جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، ص113 وهامش المحقق ص 114.

(2) تذكرة الشعراء، بتحقيقنا، بغداد 2002، ص273.

(3) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج2 ص335.

المتوفاة سنة 761هـ، بينما ادعى بعض المتأخرين في إعلام شرعي متأخر أنها السيدة وفا خاتون بنت أحمد افندي من نساء القرن العاشر الهجري (16م)، وأنها وقفت عليه عدداً من الدكاكين لتتفق وارداتها على تعمير الجامع وترميمه ودفع رواتب العاملين فيه، مدعياً أنه من ذريتها، وسماها السيد عباس بن رجب البغدادي «السيدة وفا العباسية» رجماً بالغيب⁽¹⁾.

وقد وصفه السيد محمود شكري الالوسي في أوائل هذا القرن بأنه «من مساجد بغداد القديمة العهد، فيه مصلى صغير وفناء واسع وحُجر»⁽²⁾، ووصفه عبد الحميد عبادة بقوله «جامع قديم تقام فيه الجُمع والأعياد والصلوات الخمس.. وإدارة شؤون هذا الجامع من قبل متوليه»⁽³⁾ وقال السيد محمد سعيد الراوي أنه «مشمّل على مُصلى صغير، أمامه رواق مُسقّف بالخشب، وفيه فناء واسع وبعض الحجر»⁽⁴⁾.

وما زال هذا الجامع عامراً بالمصلين حتى يومنا هذا.

جامع الوزيرية

أنشأت السيدة خاتون بلاسم جامع الوزيرية في المحلة التي كانت تعرف بهذا الاسم من محلات بغداد القديمة، وهي غير حي الوزيرية الحديث الذي نشأ بعد هذا التاريخ بأكثر من قرنين، ووقفت جميع القطعة المعروفة ببيت دراج على المسجد لخدمة منفعة دائمة وثواب غير منقطع وصارت القطعة والغرس وقفاً على المسجد المشهور في محلة الوزيرية وعلى الخدمة وذلك في محرم 1149هـ / ايار 1736م⁽⁵⁾.

جامع الست نفيسة

ينسب هذا الجامع إلى السيدة نفيسة القشطيني من أهل القرن الثاني عشر للهجرة، ويقع في المحلة المعروفة باسمه قرب شريعة خضر الياس في كرخ بغداد، المسماة قبلاً بمحلة الحجاج. ونفى السيد محمد خلوصي الناصري أن تكون مؤسسته

(1) كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد، بغداد 2006، ص36.

(2) مساجد بغداد وآثارها ص54

(3) العقد اللامع ص348.

(4) خير الزاد ص100-101.

(5) وزارة الاوقاف (الوقف السنوي اليوم) سجلات الاوقاف ج I ص119 وسنرمز الى هذه المجموعة من الوقفيات قيما يأتي بكلمة (الوقاف) إلتماساً للاختصار.

هي السيدة نفيسة المذكورة، وقال أن مؤسسها هو محمد سعيد القشطيني الأول، أو هو محمد سعيد المشهور بالحاج سعودي التكريتي، قلنا: فإن لم تكن هي المنشئة، ففي أقل تقدير أنها عمرته وجدته، فنسب إليها. ووصف السيد محمد سعيد الراوي هذا الجامع بأنه «يضم حجرة للتدريس، وخزانة للكتب، وقفت فيها الكتب الغالية، وجعلتها لتدريس فقه الإمام الشافعي رحمه الله، كما يظهر من تلك الكتب الموقوفة التي معظمها كان في الفقه الشافعي، وقد رأيت كثيراً منها بعيني.. وأنه مشتمل على مصلى واسع، فيه حجرة للإعتكاف والخلوة، وأمام المصلى صُفَّة، وشمالي الصُفَّة حجرة فيها قبور»⁽¹⁾.

وقفية حُسنى بنت عبد الله على جامع عمر السهروردي

وقفت السيدة حُسنى بنت عبد الله بن فتحي من سكان قرية بلاد روزين، وهي بلدة (بلدروز) الحالية في محافظة ديالى، من مضافات مدينة بغداد، الباغجة التي تملكها في القرية المذكورة (المشتملة على ثلاثين شجرة نخل والمعروفة ببستان محمد وعبد الله فتحي) على تعمیر مرقد الشيخ ابي حفص شهاب الدين عمر السهروردي (المتوفى سنة 632هـ) ببغداد، بموجب وقفيتها المؤرخة 28 ذي القعدة 1157هـ/23 تشرين الثاني 1745م⁽²⁾.

جامع عادلية الصغير

أنشأت هذا الجامع السيدة عادلية خاتون⁽³⁾ بنت والي بغداد الوزير أحمد باشا بن والي بغداد حسن باشا، وكان يقع في المحلة التي عرفت (بالدنكجیة) من محلات الجانب الشرقي من بغداد⁽⁴⁾، فنُسب إليها⁽¹⁾، شيدته سنة 1160هـ/1747م إحياء لذكرى والدتها كلرخ خانم.

(1) خير الزاد ص398 والعقد اللامع ص482.

(2) سجلات الاوقاف ج1 ص10.

(3) افردنا كتابا مستقلا في سيرة هذه السيدة بعنوان (عادلية خاتون صفحة من تاريخ العراق) طبع ببغداد سنة 1997 ووسعناه واضفنا اليه مواد جديدة ووثائق مهمة وطبع في دمشق سنة 2015.

(4) يذكر الحاج أمين المميز، وهو الذي عاش سني طفولته وصباه في هذه المحلة بأنه سمع من الشيبية والعجائز انها نسبت الى جهاز يعرف بالدنك منصوب في دكان في عقد الصخر (قريب من سوق الصفاير حالياً) ويستعمل لتهبيش التمن، وهو عبارة عن صخرة كبيرة مشدودة الى ذراع طويل من الخشب يشبه العتلة، فيرفع الصخرة عدد من العمال ثم يهون بها على التمن فتهبشه (أي تفصل السحالة عن حبات التمن الصحيحة) ببغداد كما عرفتها، ببغداد 1985، ص90.

وقد وصف الحاج أمين المُمَيِّز هذا الجامع، كما رآه في صباه، بما يأتي «هو يتكون من الحَرَم (يريد المصلى أو بيت الصلاة) والطارمة الواقعة أمامه، وغرفة الامام، وغرفة الخادم والمرحاض. وتتوسطه حديقة صغيرة فيها ثلاث نخلات»⁽²⁾.

ووصفه في مفتتح هذا القرن السيد محمود شكري الألوسي بقوله: «هو مسجد صغير حَسَنَ الوضع، قرب الجسر اليوم في الجهة الشمالية منه، وهو من المساجد التي تقام فيها الجُمُوع والأعياد وسائر الصلوات، وقد تداعى للسقوط فجدد عمارته متولي أوقافه سنة ثمان عشرة بعد الثلاثمائة والألف»⁽³⁾(1900م).

وقال السيد محمد سعيد الراوي: «هو جامع صغير واقع على يسار السالك من سوق الصَّفارين الى طريق الجسر عند منتهى الدرب الواقع أمام بناية مطبعة الحكومة»⁽⁴⁾. وهو جامع مشتمل على مصلى وصُفَّة أمامه، وحجرتين عند مدخل الباب على يسار الداخل متجهة بابهما نحو القبلة. ويُدَار هذا الجامع من قبل المتولي الذي يلي أوقاف جامع العادلية الكبير، وهو أيضاً من أبنية المرحومة صاحبة الخيرات عادلة خاتون بنت الوزير فاتح همدان أحمد باشا، وزوجة المرحوم الوزير الخطير سليمان باشا صاحب الخيرات رحمة الله عليهم أجمعين⁽⁵⁾.

وكانت على باب هذا الجامع لوحة من الرخام، كتبت عليها ثماني أبيات دالية، تؤرخ بناءه بحساب الجُمَل، وقد طُمست معالم البيتتين الأولين منذ زمن بعيد، وبقيت الأبيات الستة التالية، وسجلها الألوسي⁽⁶⁾ وعباده⁽⁷⁾ والراوي⁽¹⁾ على النحو الآتي:

(1) أشار السيد عباس بن رجب البغدادي إلى هذه المسجد باسم مسجد الدنكجية، وقال: وهو معمور، ومن آثار المرحومة عادلة خاتون. نيل المراد في أحوال العراق وبغداد، فصل نشرناه في كتابنا (مساجد بغداد في كتابات الأجداد) ص45.

(2) بغداد كما عرفتها ص 180-181 ولما تزل إشتان من هذه النخلات باسقنان في موضعهما ولم تمسهما يد القطع، على الرغم من ازالة الجامع نفسه، وكان ذلك بسعي محمود بذله المرحوم الاستاذ الحاج أمين المميز لدى امانة بغداد في حينه لتبقى شاهداً على مكان ذلك الجامع الشريف.

(3) مساجد بغداد وآثارها، بتهديب الشيخ محمد بهجة الآثري، بغداد 1341هـ، ص45-46.

(4) هي البناية التي شغلها مطبعة الحكومة ثم أصبحت مقراً لمديرية الآثار العامة، وقد أصبحت منذ 1970 متحفاً للموروث البغدادي باسم (المتحف البغدادي).

(5) خير الزاد ص233.

(6) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص45.

(7) العقد اللامع ص274.

لقد أشبَعَتْهَا الحَادَثَاتُ وَرَدَّهَا إِلَى صَدْفِ الْأَجْدَاثِ بَعْدَ السَّنَا الرَّدَى
 فَعَمَّرَ أَهْلُوهَا لَهَا أَيَّ مَسْجِدٍ عَلَى غَيْرِ تَقْوَى اللَّهِ لَنْ يَتَشَيَّدَا
 أَمَانٌ وَلَا خَوْفٌ، وَرُشْدٌ وَلَا عَمَى وَخَيْرٌ وَلَا ضَرٌّ، بِهِ أَشْرَقَ الْهُدَى
 فَصَفَّوْا بِهِ صَفْوَ الْقُلُوبِ وَلَمْ يَزَلْ تَرَاهُ لِأَبْصَارِ الْمُصَلِّينَ أَثْمَدًا⁽²⁾
 فَلَمَّا زَهَى بِنْيَانِ بَابِ دَخُولِهِ لَنَا وَجَلَى مَاءٌ لُضْمَانَ مِنَ الصَّدَى
 هُنَاكَ اقْتَبَسْنَا آيَةَ الذِّكْرِ أَرْخَوْا لِرَبِّ السَّمَا الْهَادِي أَدْخَلُوا الْبَابَ سَجْدًا
 (1161)

إلا أن من المؤسف أن تُرفع هذه اللوحة هي أيضاً بعد تعميره الذي سبق إزالتها كلية. وإذ تشير الأبيات المذكورة إلى أن أهل سيده ما قد عمروا لها هذا المسجد⁽³⁾، فإن أبيات أخرى بالتركية، كانت قد حُررت على رُخامه وضعت فوق مُصلاه، صرّحت بأن تلك السيدة هي كُلْرُخ خاتون، وإن ابنتها السيدة عادلة خاتون هي التي عمّرت الجامع إيفاء لحقوقها عليها. وعجز التاريخ هو: (فَبِنْتُ لَّهِ دَاراً لِلْعِبَادِ الصَّالِحِينَ). وحسابه: سنة 1168هـ.

وهذه الأبيات، هي إحدى روائع ما خطته يد الخطاط المُجَوِّدِ إسماعيل الأنوري البغدادي⁽⁴⁾، من كبار خطاطي بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة (18م)، ولم يكن

(1) خير الزاد ص234

(2) الاثمد هو حجر الكحل الذي يجلو البصر.

(3) ظن المرحوم السيد محمد رؤوف الشبخلي ان السيدة التي تشير إليها هذه الأبيات هي عادلة خاتون نفسها، وعليه فقد ذهب إلى أنها توفيت قبل سنة 1161 ولكنه لم يستطع تفسير الإشارة إليها بوصفها على قيد الحياة في الأبيات التي على جامع العادلية الكبير المبني بعد الجامع الصغير المذكور، فقال أن تواريخها بعد تاريخ هذا الجامع الصغير لم يذكر فيها وفاتها بل العكس يؤكد أنها على قيد الحياة، فمن يحل لنا هذا المشكل؟، المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة بين سنة 1270-1360هـ، البصرة 1977، ص87، قلنا: وسبب هذا اللبس أن المؤلف المذكور لم يرجع إلى الأبيات التركية التي تصرح باسم كُلْرُخ خاتون.

(4) هو السيد إسماعيل بن مصطفى الأنوري البغدادي، أخذ الخط عن كبار خطاطي عصره، وسافر إلى استانبول للأخذ عن خطاطيها، وتوفي هناك في شهر رجب سنة 1189هـ/1775م. انظر ترجمته في وليد عبد الكريم الأعظمي: جمهرة الخطاطين البغداديين ج2، بغداد 1989، ص595-596.

مصير اللوحة بأفضل من سابقتها، فقد أزيلت منذ عهد بعيد⁽¹⁾، وانفرد عبادة بتسجيل ما كان عليها من أبيات.

ونلاحظ أن الوقفية المؤرخة في غرة جمادى الأولى سنة 1162هـ/19 نيسان 1749م على جامع العادلية الصغير تضمنت تخصيص راتب يومي لمحافظ المكتبة، وذكرت عناوين بعض الكتب في التفسير والفقہ وغير ذلك، فضلاً عن المصاحف الشريفة، مع أنها خلت من اشارة الى وجود مدرسة، او مدرس، وليس في نص الوقفية التالية (المؤرخة في سنة 1171هـ/1175م) ما يدل على وجود مكتبة في هذا الجامع، وإنما صرّحت بوجودها في جامع العادلية الكبير حيث توجد مدرستها، فعمل الواقعة نقلت كتبها الى ذلك الجامع بعد حين. وكان عباس العزاوي قد أشار إلى وجود مدرسة في هذا الجامع، سماها (العادلية الصغيرة) لكننا لم نقف على أحد من مدرسيها⁽²⁾.

وعلى الرغم من التعميرات التي قام بها متولو الوقف، فإن قراراً صدر بإزالة الجامع من الوجود، لغرض توسيع شارع المأمون الذي يفضي الى جسر المأمون (جسر الشهداء الحالي)، فكان أن نُقض الجامع برمته، وأدخلت أرضه في الشارع المذكور. وفي سنة 1382هـ/1963م قام متولو الوقف، بإنشاء جامع جديد، أكبر سعة، وأفخم بناءً، على قطعة أرض تبلغ مساحتها 2873 متراً مربعاً، ويشغل الجامع منها نحو 1500م مربع، وهو يتسع لنحو أربعمئة مصلي، ولأنه من أوقاف عادلة خاتون أصلاً، عُرف هذا الجامع باسم هذه السيدة المحسنة⁽³⁾.

وللجامع قبة ومئذنة ومغسل وداران للإمام والخطيب، فضلاً عن مقر لجمعية الآداب الإسلامية⁽⁴⁾، وأنشئت إلى جانبه قاعة كبيرة للمناسبات الدينية والاجتماعية. وتقع الباب الرئيسية في جهة الشمال، وهو مبني بالأجر الاعتيادي المكسو بالأجر الأزرق، وقد كتب في أعلاه ما نصه:

(مسجد السيدة عادلة بنت أحمد باشا جدته مديرة الأوقاف العامة سنة

1382هـ/1962م)

(1) تحطمت هذه اللوحة في أثناء تعمير الجامع سنة 1320هـ/1902م.

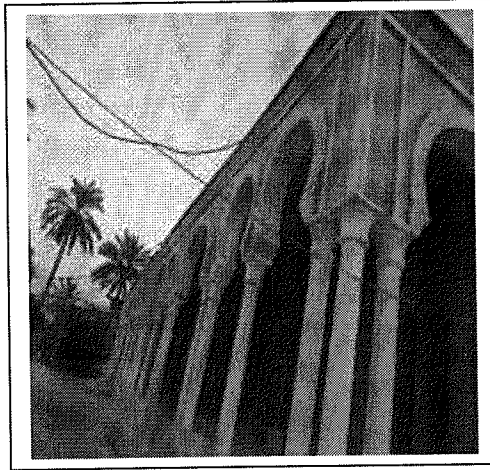
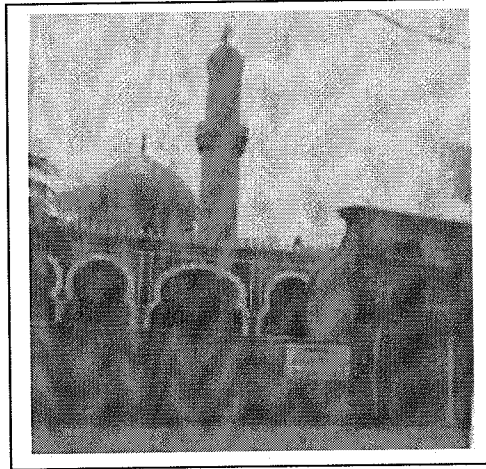
(2) تاريخ العراق بين احتلالين ج6 ص334.

(3) تولى تصميم الجامع المهندس الحاج عبد الله الصغير، وتولى الإشراف على تشييده المرحوم

المهندس عبد الغني شندالة رئيس المهندسين في الأوقاف المتوفى شهيداً سنة 1970م.

(4) جمعية خيرية ثقافية تأسست في أيلول من سنة 1946.

كما يوجد باب آخر صغير بالجانب الشمالي الشرقي كتب في أعلاه بالكاشاني ما نصه (جامع عادلة خاتون 1382هـ/1967م). وأمام بيت الصلاة طارمة تقوم على ستة أعمدة أسطوانية من الكونكريت تعلوها عقود مزخرفة على الطراز الأندلسي. وفي أعلى الطارمة إفريز كتب عليه بخط بديع الآيات الكريمة من قوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال (36) رجالاً لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار (37) ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب (38) والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده) (سورة النور آية 36-37-38-39)



الرواق الأمامي لجامع العادلية الصغير الجديد

جامع العادلية الكبير

هذا هو ثاني جامع تقوم بإنشائه السيد عادلة خاتون في بغداد، وقد استغرق بناؤه السنوات 1163-1168هـ/1749-1754م كما دلت عليه الكتابات التذكارية التي عليه. ووصفه السيد محمود شكري الألويسي بقوله: «فيه مصلى واسع ومنارة شامخة⁽¹⁾، وفيه مدرسة في الطابق الذي فوق الباب، وخزانة كتب، وبعض الحجَر. أنشأته صاحبة الخيرات والمبررات عادلة خاتون بنت أحمد باشا الذي تولى إيالة بغداد اثنتا عشر سنة وذلك من سنة تسعة وأربعين ومائة والى السنة الحادية والستين⁽²⁾، وكان زوجها أحد موالى أبيها، وهو سليمان باشا.. وكانت هي من أهل التقوى والصلاح مُحبةً لأهل العلم والزهد كثيرة الصدقات. ولوالدها مآثر مبرورة ومساعٍ مشكورة، وهو الذي حافظ بغداد وقاوم نادر شاه ملك الفرس من استيلائه على العراق .. وكان الفراغ من عمارة هذا المسجد ومدرسته سنة ثمان وستين مائة والى الف.. وهذا الجامع الى اليوم مشيد الأركان، رصين الجدران، تقام فيه الجمع والأعياد، وفيه مدرس وخطيب وإمام ومؤذن وخدم، مفروش مصلاه بأحسن الفرش، له أوقاف كثيرة⁽³⁾».

ووصفه الشيخ عباس بن رجب البغدادي (المتوفى 1334هـ/1915م) بقوله: «مسجد عادلة خاتون من بنات وزراء بغداد السابقين، وهو جامع جمعة، وفيه مدرسة ومئذنة، وإمامان شافعي وحنفي⁽⁴⁾».

وأطنب السيد محمد سعيد الراوي في الحديث عن هذا الجامع، فقال: «هو الجامع الواقع على شارع النهر تجاه دار المحكمة الشرعية، يبعد عن جامع الصاغة⁽⁵⁾

(1) من غير المحدد تاريخ انشاء هذه المئذنة، فقد وجدنا كتابة بالأجر المزجج على حوضها تشير الى سنة 1229هـ/1814م فلعلها أنشئت في هذا التاريخ، او أن تعميراً أجري عليها في السنة المذكورة.

(2) هذه هي ولايته الثانية في بغداد، وقد امتدت من 8 رجب 1149هـ/12 كانون الأول 1136م إلى 24 شوال 1160هـ/29 تشرين الأول 1747م. كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991ص63.

(3) مساجد بغداد وآثارها ص 43.

(4) نيل المراد في أحوال العراق وبغداد، فصل حققناه ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد، ص27.

(5) هو جامع الخفافين المعروف في العصر العباسي بجامع الحظائر.

قدر ربع ميل .. وهو جامع مشتمل على مصلى واقع على يمين الداخل اليه، ومنارة عالية واقعة على الركن الغربي للمصلى، وعلى يمين باب المصلى رواق صغير لصلاة من فاتته صلاة الجماعة فيصلي هناك منفرداً. وعلى يسار الداخل الى الجامع درج يُصعد به الى المدرسة المطلة على الشارع. ويوجد بعض حُجر في الجهة الشمالية والشرقية للجامع مُعدّة لسكنى الفقراء. أنشأت هذا الجامع صاحبة الخيرات والمبرات عادلة خاتون بنت أحمد باشا المعروف بفتح همدان.. وقد كانت هذه الخاتون المرحومة من الصلاح والتقوى على جانب عظيم، كثيرة الصدقات، محبة لأهل العلم والصلاح... ولا يزال الجامع هذا مشيد الأركان قائم البنيان، غير أنه أصبح منحطاً عن الطريق أكثر من نصف قامة، بسبب تعديل الطريق وتعبيده، وقد اعتنت به دائرة الاوقاف بعد وضعها يدها عليه وعلى أوقافه... وقد كانا يُداران من قبل المتولين ابراهيم افندي المذكور [المميز] ثم ابنه عبد الوهاب⁽¹⁾ ثم ولده⁽²⁾.. وفيه من الموظفين مدرس وإمام وخطيب ومؤذن وخدام، وهو مفروش بأحسن البُسَط وأوقافه كثيرة⁽³⁾.

وكانت ثمة أبيات تُورخ بناء الجامع. حُضرت على لوح من رخام ثبتت على بابه، وهي⁽⁴⁾:

ألا لله من بيت مُعلى	مُعدّ للإقامة والصلاة
بناءً أسسه تقوى ودين	ينيف على الخورنق من جهات
فنعم الجامع الوضّاح يزهو	كبدر في الليالي الحالكات
تنوّر بالعبادة فهو يُزري	بأنوار النجوم الزاهرات
بنّته بمالها أمّ المعالي	عقيلة قومها بنت السّراة
سليلة أحمد المرحوم رب الـ	محامد والعلى مولى الكفاة
وزوجة مفخر الوزراء حنف العـ	دا فلاق هامات الكّمة
سليمان) الزمان الأصف القرم	فتى الفتيان ممدوح السّمات

(1) الصحيح أن عبد الوهاب هو ابن قدوري بك.

(2) هو عبد القادر بن عبد الوهاب.

(3) خير الزاد ص 102-111.

(4) نقلها الألووسي والراوي وعبادة بلفظ واحد.

ألا يا دهرُ فافخر أنتَ حقاً
 كريمةً قومها في كل مجد
 ومُطعمَةٌ اليتامى والبرايا
 تُجددُ كلَّ يومٍ فعلَ خيرٍ
 وتُعمّرَ مسجداً لله يبقَى
 وهذا الجامعُ الأسنى بنته
 وقد جعلتْ ثواباً كانَ منه
 ليحيا ذكرها في الدهر دوماً
 حماها ربنا من كلِّ سوءٍ
 وضاعفَ أجرها في دارِ خلدٍ
 ولما أن تكملَ قيل: أرخ
 بعادلة الرضا أم الصلات
 وغرة دهرها ذات الهبات
 وكاسية الأرامل والعراة
 ومن حسنى صنيع الصالحات
 جزاء الخير في يوم النجاة
 ترومُ به ثوابَ المُحَسِّنات
 لوالدها الرضا ذي المكرمات
 وتذكر في الحياة والممات
 بعزٍ دائمٍ طولَ الحياة
 ووفائها جزاءَ القانتات
 ألا يا تم حيَّ على الصلاة

(1163)

وثمة أبيات أخرى، على باب مصلاه الغربي، كتبت بالأجر المزجج (القاشاني)

هذا نصها:

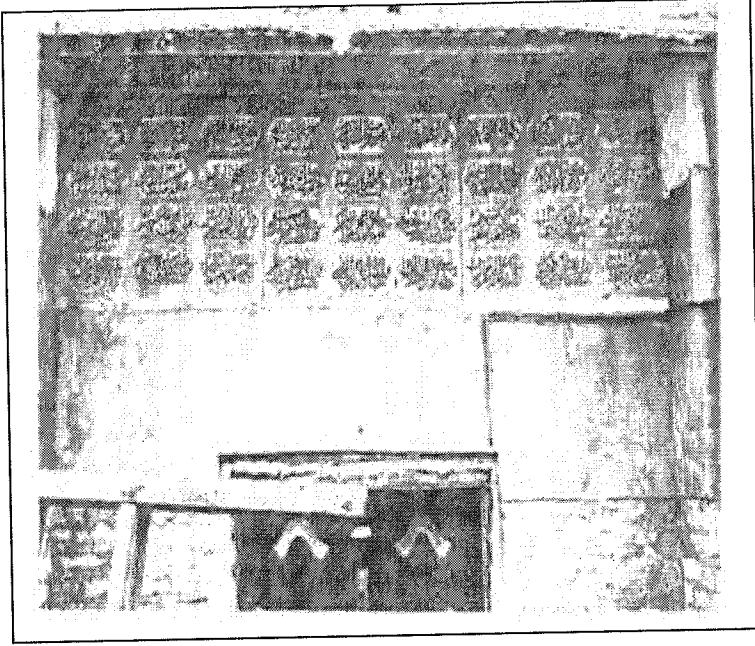
على تقى الرب المتين	ذا جامعٌ مؤسسٌ
بنته للدين المبين	بنت الوزير أحمد
مخدومة للمؤمنين	عادلة كريمة
في حفظ رب العالمين	دامت بعزٍ دائم
فتعم دار المتقين	تاريخه جاء الهنا

(1168)

وقد حُررت تحت هذه الأبيات ما نصه: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (لا عز إلا بطاعة الله تعالى). أما المنبر فقد كتبت عليه، بالأجر المزجج. قوله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال [36] رجالاً لا

تُلْهِهِمْ تِجَارَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَأَقَامِ الصَّلَاةَ وَآتِ الزَّكَاةَ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ
الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ [37] لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [38]] وذلك سنة 1168.

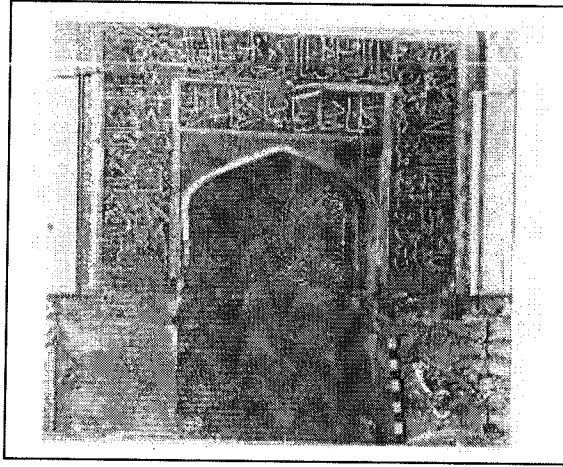
وكانت ثمة أبيات بالتركية، بالمعنى نفسه، كتبت على رخامة في أعلى الباب
الواقعة عكس القبلة. والكتابات تشير إلى تجديد جرى على الجامع سنة
1312هـ/1895م. إلا أن أكثر هذه الأبيات والكتابات أزيل في أثناء التعميرات اللاحقة.



أما محراب الجامع القديم فقد كان مكسوًّا بالأجر المزجج، زين داخله بزخارف
نباتية يحيط بها شريط على شكل مربعات تقريبية، وفي أعلاه كتبت الآية (كَلِمًا دَخَلَ
عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ) ويحيط به شريط كتابي عريض كتبت عليه الآية (فِي بُيُوتِ أَذْنِ
اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)، وفي آخره التاريخ (1168).

وفي وقفية صادق بك بن سليمان باشا المؤرخة في غرة جمادى الآخرة سنة
1233هـ/1817م شهادة لسيد حسن إمام العادلية، وإشارة إلى أن مما وقفه الواقف
المذكور «المزرعة المعروفة بمزرعة دوب هندي الواقع قرب المنطقة المحدودة من جهة
بأرض وقف جامع العادلية»⁽¹⁾.

(1) كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة ص132.



المحراب القديم لجامع العادلية الكبير

وفي سنة 1330هـ/1911م وُسِّع الطريق المقابل لباب الجامع، وهو الذي كان يعرف بسوق راس القُرَيَّة⁽¹⁾، ثم عُرِفَ بشارع النهر فشارع المستنصر، فهدمت الباب ورفعت عنها الرخامة المحررة عليها الأبيات المتقدمة، التي مطلعها (ألا لله من بيتٍ مُعلًى.. إلخ).

وكان ثمة سطر يعلو جدار الجامع وخطوط على محرابه ومنبره بخط الخطاط الشهير صبري بن مهدي⁽²⁾.

ويؤه عيادة بوقضية قديمة لعادلة خاتون تاريخها سنة 1160هـ/1747م وقفت فيها على هذا الجامع أوقافاً معلومة، وإنها شرطت التولية لنفسها في الحياة وبعدها لأولادها، وإذا انقضوا فالغلة⁽³⁾ توصل إلى فقراء المدينة المنورة بتعيين رجل أمين يوصلها، وتعيينه مَنوط الى القاضي، وحكم بهذه الوقفية القاضي مومه زاده السيد

(1) تقع محلة راس القُرَيَّة على دجلة، وتحيط بها محلات باب الاغا والدهانة والسبع اباكار، وهي قديمة عرفت باسمها هذا منذ العصر العباسي وكانت تضم في ذلك العصر قصور الخلفاء والامراء ودور الدولة، وكان ابرز قصورها الشاطئية قصر التاج الذي اصبح المقر الرسمي للخلافة العباسية، وعرف سوقها في العصر العثماني باسم سوق (قرية باشي) وهي ترجمة تركية لذلك الاسم، وكثرت فيها الخانات التجارية، ومن معالمها أيضاً بيت القضاة في المحكمة الشرعية وجامع العادلية وخان العادلية المذكور مما أنشأته عادلة خاتون. كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد 2004 ص67.

(2) الدروبي: البغداديون ص278.

(3) الصواب: فضلة الغلة.

أحمد حسيب في 18 ذي الحجة سنة 1160هـ (21 كانون الأول 1747م)، وقد شهد فيها عدة أشخاص كرام، منهم أحمد أفندي المصرف، ورئيس البوابين (قبُوجيلر كَتخُداسي) حسين آغا، والكُمرُكجي علي أفندي، وأحمد آغا بن محمد آغا كَتخُدَا، وعمدة الكرام صاحب السعادة محمد باشا، ورئيس الجواويش كَتخُدَاي جاوشان إبراهيم آغا.

والظاهر أن هذه الوقفية هي أولى وقفيات عادلة خاتون، وقد غيرتها في الوقفيتين التاليتين المؤرختين في سنة 1167هـ/1752 سنة 1171هـ/1757م، ولا شك في أن أحد أسباب التغيير يكمن في كونها لم تُتجب خلال المدة التالية من يمكن أن يتولى أوقافها الكثيرة، وسنجدها في الوقفية الاخيرة تُعَيّن للتولية ابن عمتها محمد صالح بك بن عبد الرحمن باشا⁽¹⁾، ومن بعده أولاده وأولاد أولاده⁽²⁾، وهي لم تفعل ذلك إلا بعد أن تجاوزت سن الإنجاب ويئست من أن يكون لها وريث.

وتشير وقفية سنة 1171هـ الى العقارات الكثيرة التي وقفها على جامعها ومدرستها. ومنها بستان خارج باب المعظم، وهي بستان الصرافية، وثلاثة خانات تجارية، ومقهيان في جانبي بغداد الشرقي والغربي، ودكاكين عديدة وأسكلة خشب، و ساقية، وبئر، ودولاب⁽³⁾.

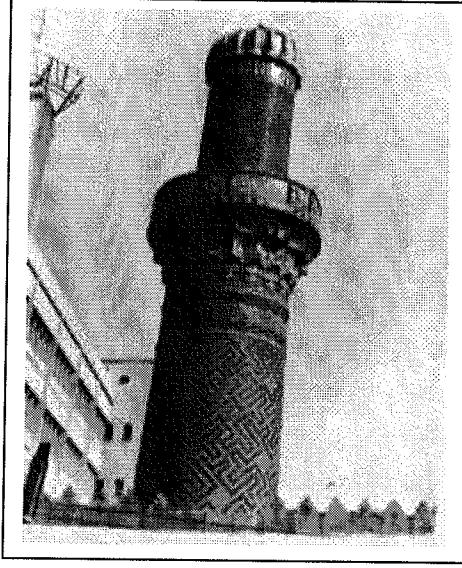
ويبلغ من عناية أهل الخير بالوقف على هذا الجامع، أن أحد مماليك أحمد باشا بن حسن باشا، ويدعى بشير آغا، وقف سنة 1175هـ/1761م. أي في حياة الواقفة نفسها، عقارات عديدة منها «مزرعته المسماة بدولاب الفحامية، ومقاطعة خارج باب الإمام الأعظم على نهر دجلة على لوازم جامع العادلية الكبير، وقد اشترط أن يقوم ثلاثة قراء بتلاوة القرآن العظيم الشأن في جامع عادلية الشريف المنشأ لخيرات المغفور له المشار إليه أحمد آغا طيب الله ثراه، الواقع قرب محكمة مدينة بغداد دار السلام، على أن يتولى اثنان منهم يومياً جزءاً من القرآن الشريف لكل واحد، ويتلو الثالث يومياً [سورة] ياسين الشريف المذكور بعد ضمة إلى واردات ذلك الجامع» مما يدل على جسامة الأموال التي كانت مخصصة للانفاق على هذه المنشآت النافعة.

(1) تسميه الوقفية: امير امراء شهرزور وكركوك. وكان قد تولى شهرزور (مركزها كركوك) من محرم سنة 1143هـ الاسرة الحاكمة ص240.

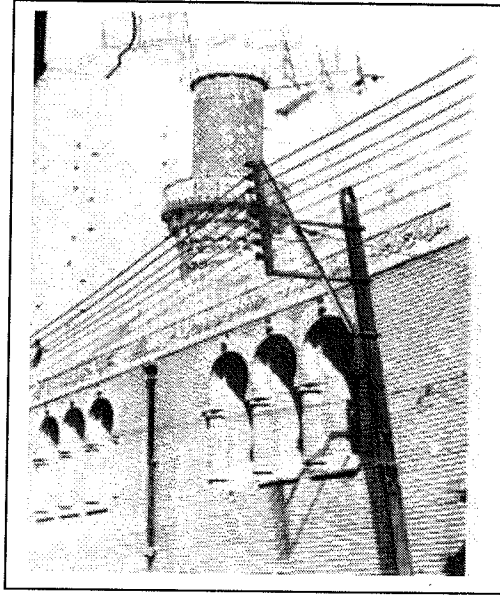
(2) وهم الذين سيعرفون، فيما بعد، بأل المُمَيَّر.

(3) نشرنا هذه الوقفيات في ملاحق كتابنا (عادلة خاتون)..

وقد أعاد متولو الوقف بناء الجامع كلياً سنة 1937م⁽¹⁾. ولما يزل الجامع عامراً
حتى يومنا هذا.



مئذنة جامع العادلية الكبير

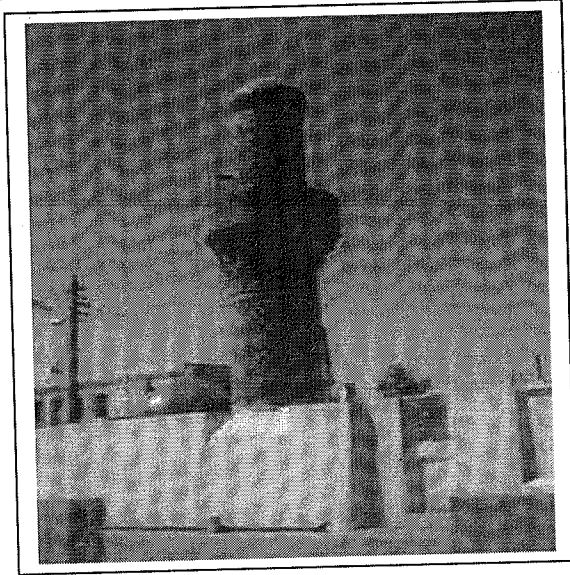


جانب من جامع العادلية الكبير

(1) مجلة لغة العرب، السنة 1937، ص317.

جامع النعمانية

انشأته السيدة الحاجة فاطمة خاتون بنت بكتاش بن السيد ولي سنة 1185هـ/ 1719م، في محلة الشط من محلات الجانب الشرقي من بغداد قديماً (كان هذا الجامع يقع مقابل مبنى البريد المركزي القديم ويلصق المدرسة الثانوية المركزية) وألحقت به سقاية، وعيّن فيهِ عدداً من العاملين ورتبت لهم الرواتب، منهم: الإمام والخطيب والواعظ وستة مؤذنين ومؤذن المحفل والمشعلجي (الموكل بالإنارة) وخادم السقاية والكّاس وحامل السيف والكليدار وغيرهم. ووقفت لذلك عدداً من العقارات منها خان الصاغرجية في سوق رأس الجسر ببغداد، ويشتمل على ثلاثين حجرة، والمقهى قرب الخان، والدكاكين الاربعة القريبة من الخان، والمقهى والمخبز الواقع مقابل (كلخان الكيجه جية)⁽¹⁾، والدار الملاصقة للمخبز، والدكان المتصلة بالدار، والدكان الملاصق لمدرسة الوفاية، ودار الحرم قرب الجامع، والديوان الصغير، وحصص عديدة من بساتين في قسبة مندليجين (مندلي) وفي مقاطعة الخالص، وذلك بموجب وقفيته المؤرخة في شعبان سنة 1185هـ/ 6 تشرين الثاني 1771م⁽²⁾.



مئذنة جامع النعمانية

(1) الكله خانه المعمل والكجه جيه معمل اللباد .

(2) سجلات الاوقاف ج 14 ص 176 .

مسجد حاجية خاتون

مسجد كان يقع في محلة الامام طه⁽¹⁾ في الجانب الشرقي من بغداد، أنشأته السيدة حاجية خاتون بن محمد، وأوقفت عليه أوقافاً كثيرة تشتمل على دكاكين وساتين في بغداد وخارجها، منها دكاكين في سوق السلطان (قرب الميدان)، وأخرى في سوق الطويل، وخان قرب المصبغة، واقع بين جامع الصياغ (وهو جامع الخفافين) وشاطئ دجلة، وباغجة (حديقة) الشماع في قصبة الإمام الاعظم، وباغجة أخرى في القصبية نفسها، ويستان نهر علياوه في مندلي مع الأرض الخالية والمعروفة ببستان جميلة.

وقد اشترطت هذه السيدة المحسنة التولية على أوقافها لنفسها، ثم لأولادها ثم «للأعلم من في البلد» يأخذ اربعة أخماسه ويُصرف الباقي الى المسجد، وسجلت الوقفية في جمادي الاولى سنة 1187هـ/24 تموز سنة 1773م⁽²⁾.
وتوفيت الواقفة سنة 1207هـ/1792م.

وقفية رحمة بنت أمين على مسجد التسابيل ببغداد

مسجد قديم ينسب الى المحلة المحيطة به، وقفت عليه السيدة رحمة بنت الحاج امين الملا خضير الدكان الواقع في سوق العطارين (وهو سوق الشورجة اليوم) بحسب وقفيتها المؤرخة في 10 صفر 1234هـ/10 كانون الاول 1818م⁽³⁾.
فكان ذلك الوقف سبباً في تعميمه في السنة التالية⁽⁴⁾.

(1) محلة قديمة كانت تقع بين محلتي الدشتي والعاقلية نسبت الى مسجد فيها بهذا الاسم وقد دخل معظم المحلة في ارض ساحة الامين (حيث تمثال الرصا في اليوم) وبقي منها جزء فيه مسجد الامام طه نفسه.

(2) سجلات الاوقاف ج3 ص13 وعبادة: العقد اللامع ص 282-283 وقد هدم هذا الجامع ونقلت جهته إلى جامع الصليخ الجديد، حيث أصبح جامعاً تقام فيه الجمع والأعياد. ينظر إبراهيم السامرائي: تاريخ مساجد بغداد الحديثة ص268 وفي دليل خارطة بغداد المفصل ص299 ورد اسم الواقفة (حاجية خاتون)

(3) الاوقاف ج4 ص149.

(4) مساجد بغداد وآثارها 78.

وقفت خديجة خاتون على مساجد بغداد والزيبر:

عينت السيدة خديجة خاتون آل شريف جلبي بعدد من المساجد في بغداد، ومسجد واحد في بلدة الزيبر، فوقفت ثلاثة بساتين غناء تقع خارج الباب الشرقي ببغداد وهي التي تعرف ببساتين الرواف⁽¹⁾، نسبة الى زوجها الحاج محمد الرواف من وجوه أهالي نجد، ودار واقعة في محلة (النقاشين)⁽²⁾ قرب جامع مرجان، على نفسها ثم زوجها المذكور وذريتها ثم على خمسة مساجد ببغداد هي:

- 1 مسجد السادة في محلة السنك «بين الطاق الاظلم وسوق السنك».
- 2 مسجد النعماني، وهو غير جامع النعمانية، ويقع في محلة السنك أيضاً
- 3 مسجد ظهير الدين في محلة (خان الحياك).
- 4 مسجد دكاكين حبوب (في محلة دكاكين حبوب)
- 5 مسجد الأحسائي في محلة رأس القرية (قرب خان العادلية). وهو الذي عرف بالتكية الخالدية لإقامة الشيخ خالد النقشبندي فيه.

ومسجد واحد في بلدة الزيبر يسمى بمسجد الرواف ويقع في (سوق البزازين) هناك وبلغ مجموع ما خصصته من أموال على هذه المساجد مبلغاً كبيراً هو (1740) قرشاً رائجاً من القروش البغدادية المستعملة عهد ذلك، تنفق سنويا على إعمارها ودفع رواتب الأئمة والمؤذنين والعناية بتوفير الماء الصالح للشرب فيها ووقود الاضاءة أيضاً⁽³⁾ وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في 15 ذي الحجة 1236هـ/15 أيلول 1820م.

وقفية السيدة أسماء على مسجد ظهير الدين

مسجد قديم لا يعلم أول انشائه يقع بين محلتي المربعة والحاج فتحي⁽⁴⁾ من محلات شرقي بغداد، أوقفت عليه السيدة أسماء بنت علي المزين دارها الكائنة في

(1) استبدلت هذه الوقفيات بالنقد وبيعت واصبحت اليوم محلة كبيرة تعرف بمحلة الرواف.

(2) نسي اسم هذه المحلة اليوم.

(3) الاوقاف ج2 ص56.

(4) في وقفية الواقفة جاء تعريفه بأنه الواقع في محلة الحياك.

محلة الحياك، وصدرت بذلك الحجة الشرعية المؤرخة 35 صفر سنة 1236هـ/
1820م⁽¹⁾.

مسجد محبوبية خاتون

أنشأته الحاجة محبوبية خاتون في الجانب الشرقي من بغداد سنة 1237هـ/
1821م⁽²⁾.

وقفية عائشة بنت عبد القادر على مسجد آل مدلج

كان الشيخ مدلج الصغير بن ظاهر بن أحمد الرحبي، المدرس في جامع الشيخ
عبد القادر الكيلاني (المتوفى سنة 1081هـ/1670) قد أنشأ سقاية للواردين ألحقها
بمسجد أنشأه في محلة الشيخ عز الدين الجديداي (قسم من محلة السنك فيما
بعد). وفي سنة 1240هـ/1824م وقفت السيدة عائشة خاتون بنت الشيخ عبد القادر
مدلج بستاناً في قصبة الكاظمية على مصالح المسجد بموجب الوقفية المؤرخة في 27
ذي القعدة من السنة المذكورة⁽³⁾.

وقفية رحمة بنت عبد الكريم جليبي على جامع خضر بك ببغداد

أنشأ هذا الجامع خضر بك بن عبد الله جليبي بن أحمد جليبي من آل عبد الجليل
بك امراء الحلة في القرن الثاني عشر للهجرة (18م) سنة 1200هـ/1785م في محلة
في بغداد كانت تعرف بكموش حلقة، أي الحلقة الذهبية، ثم نُسي اسم هذه المحلة
وعدت جزءاً من محلة قنبر علي. وألحق بجامعه هذا مدرسة وخزانة للكتب⁽⁴⁾.
ويتميز الجامع بمئذنته الصغيرة الجميلة.

وفي سنة 1212هـ/1797م عُيّنت السيدة الحاجة رحمة خاتون بنت عبد الكريم
جليبي من الأسرة نفسها بهذا الجامع فوقفت عليه حصصها من بساتين الحاج شهاب
وعباس بن محمد النجم وعلي السلطان والحاج عبد المطيري، ونصف شاطئ أحمد،

(1) وقد عرف المسجد فيما بعد بمسجد نور الدين نسبة الى مجددده سنة 1259هـ/1840م
محمد نور الدين ويظهر من الابيات التي نقلها الالوسي (مساجد 81) من على جداره انه
كان اميرا حاز على رتبة الوزارة واصله من دمشق الشام.

(2) محمد بهجة الاثري: فوائت مساجد بغداد واثارها 143

(3) مجموعة من وقفيات بغداد

(4) العقد اللامع ص 234 .

ونصف شاطئ المحوس، وذلك بحسب وقفيتها المؤرخة في 10 رمضان سنة 1239هـ/10 آيار 1823م⁽¹⁾.

وتوفيت الواقة سنة 1246هـ/1830م⁽²⁾. أما الجامع فلما يزل عامراً.

مسجد فاطمة خاتون في بغداد

أوصت السيدة فاطمة خاتون بنت عبد الله ان تُحوَّل دارها في محلة الصابونجية ببغداد، بعد وفاتها الى مسجد، ووقفت عليه بستاناً لها في قرية قزانية (من اعمال بعقوبة)، وشرطت أن تخصص غلة هذا البستان للإنفاق على إمام المسجد الشريف، ومؤذنه، وعلى الفراش، والكناس، وموقد الشموع، والخادم، والاباريقي، ولسائر الخدام، وعلى مفروشات المسجد وتعميره وترميمه، وأن تكون التولية عليه للسيدة عائشة خاتون بنت أحمد اغا، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في ربيع الآخر سنة 1246هـ/أيلول 1830م⁽³⁾.

وقفية الحاجة محبوبة خاتون على جامع حسين باشا ببغداد

وقفت الحاجة محبوبة خاتون، زوجة سليمان باشا⁽⁴⁾. جملة من العقارات على ذريتها، وبعد انقراضهم على الفقراء والمساكين، ثم على جامع حسين باشا السلاحدار، في محلة الحيدر خانة ببغداد، وتشمل هذه العقارات دكاكين في باب خان الدكة، ودكان في سوق الخفافين، ودكان في سوق هرج، ودكان في سوق قنبر علي، ودكان وزور خانة⁽⁵⁾ في محلة قنبر علي، والعلوة الكبيرة والعلوة الصغيرة، والبستان في علاوي الطهماسية⁽⁶⁾ في قسبة الحلة، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في ذي الحجة 1257هـ/كانون الثاني 1843م⁽⁷⁾.

(1) الأوقاف ج 5 ص 70.

(2) ابراهيم الدروبي: البغداديون ص 341.

(3) الأوقاف ج 2 ص 23.

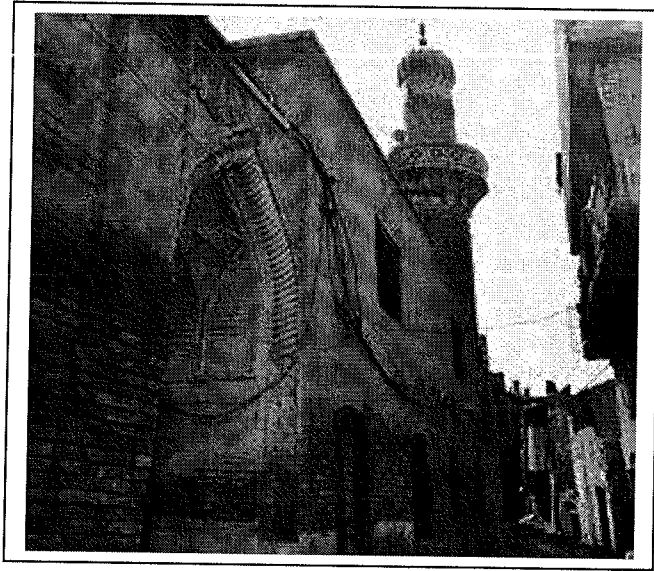
(4) هو سليمان باشا المعروف بالصغير، وقد حكم العراق من 1222 إلى 1225هـ/1807-1810م.

(5) الزور خانه مصطلح من الفارسية : زور بمعنى قوة، وخانه بمعنى المكان والبيت، فهو المكان المخصص لالعب القوى، وهذه اول اشارة الى وجود مثل هذه الاماكن في بغداد.

(6) كذا وردت في الوقفية، وتعرف اليوم بالطهمازية بالزاي، وهي قرية في ضواحي الحلة، تتبع

ناحية الخواص من نواحي محافظة بابل وتنسب إلى نهر بهذا الاسم.

(7) الأوقاف ج 2 ص 76.



جامع حسين باشا

مسجد أسماء خاتون

انشأت السيدة أسماء خاتون بنت الوزير يوسف باشا⁽¹⁾ وزوجة والي بغداد الوزير علي رضا باشا⁽²⁾ مسجداً في محلة (البُنْجِيَّة) ببغداد محدوداً بملك محمد اغا كشييش زاده، وبملك محمد كهية، وبالقاطرخانة، وبطريق عام، وعرفت هذه المحلة فيما بعد، بشارع الزهاوي (يتفرع من شارع الرشيد ويصل الى سراي بغداد القديم)، عند شقه واختراقه معالمها .

ولقد وقفت هذه السيدة على مسجدتها المذكور الدكاكين بشرقي بغداد لإدامة الإنفاق على عمارته ثم على فَرشِه وشيرجه وجميع ما يقتضي له، ثم على الخادم والمؤذن والإمام. وتتوزع هذه الدكاكين قرب حمام الباشا وفي سوق (الجُبُّجِيَّة) وسوق الميدان وسوق هرج.

(1) شغل منصب الصدارة العظمى في عهد السلطان عبد الحميد الأول. وقد ذكر مؤرخ المماليك سليمان فائق في كتابه (مرآة الزوراء) الذي ترجم الى العربية باسم تاريخ بغداد، ص 182 ان علي رضا ترك زوجته ابنة يوسف باشا في حلب حين قدومه منها إلى بغداد، والذي يظهر لنا من هذه الوقفية، أنها جاءت إلى بغداد لتقف هذه الأوقاف.

(2) تولى بغداد من 1247هـ (1842-1821م).

وسجلت وقفيتها في 25 شعبان 1258هـ/22 أيلول 1842م⁽¹⁾. وعند توسيع شارع الزهاوي، نقض المسجد وادخل في نطاق الشارع الجديد.

مسجد عائشة خاتون

أنشأته السيدة عائشة خاتون بنت معروف، وكان يقع مقابل جامع الأزبك في محلة الطوب من محلات شرقي بغداد⁽²⁾ وقريباً من جامع المرادية، وصفه السيد محمد سعيد الراوي بقوله «مشمتم على مُصلّي، وصُفّة أمامه، وفيه إمام وخدام، وموقعه في محلة الطوب، وإدارته من قبل الأوقاف»⁽³⁾ ولا يُعلم تاريخ إنشائه. وذكر عبد الحميد عبادة في حاشية له على كتابه (العقد اللامع)⁽⁴⁾ «لعلها عائشة خاتون بنت أحمد باشا، وزوجة عمر باشا والي بغداد». قلنا: وهذه هي الأخت الصغرى لعائلة خاتون المقدم ذكرها في الكلام على جامعي عادلة خاتون، ولكن اسم أبيها يختلف عن أسم أبي تلك السيدة.

وقفية خاتون على مسجد الخطيب ببغداد

سَعَت السيدة آسية بنت الحاج إسماعيل أفندي في تعمیر مسجد خَرَب كان يقع في محلة الشيخ الخلاني، وعُرف بمسجد الخطيب⁽⁵⁾، فوقفت في صفر سنة 1261هـ/ شباط 1845م نحو نصف كَرَادَة⁽⁶⁾ البوشاهين في الكَرَادَة الشرقية، ونصف البستان

(1) الاوقاف 83/2.

(2) في فوائت مساجد بغداد واثارها للشيخ محمد بهجة الاثري انه يقع في محلة الطوف بالفاء بغربي بغداد،

(3) خير الزاد ص 271

(4) ص 180

(5) كان هذا المسجد يقع في أرض ساحة الخلاني اليوم، سمي بمنزل الشهداء، وينسب إلى آل الخطيب، وهي الأسرة التي تولت الخطابة جيلاً بعد جيل في جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة، قال إبراهيم فصيح الحيدري «بيت الخطيب، وهو بيت فضل وسيادة، وهم خطباء الجامع الأعظمي، وهم من أهالي سر من رأى»، عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، ص 93. قلنا: وتجتمع هذه الأسرة في نسبها بعشيرة أبو عيسى العلوية السامرائية، وبالسادة آل التاتار في بغداد.

(6) الكرادة: الأرض التي تسقى من النهر بواسطة الكرود، وهي الدولاب الذي يدار بالدواب.

المستجدة هناك حسبة لله، وشرطت أن تنفق فضلة النماء في «عمارة المسجد الخراب الواقع في محلة الشيخ الخلاني - عليه الرحمة- الشهير بمسجد بيت الخطيب»⁽¹⁾.

مسجد نائلة خاتون

أنشأتها السيدة نائلة خاتون بنت عناية الله آغا بن أحمد افندي سنة 1261هـ/1845م في محلة الحيدر خانة بشرقي بغداد، ووقفت عليه البستان الكائن في قرية الحاج قره من مضافات بغداد، وشرطت أنه في حال خراب هذا المسجد ولم يبق من يصلي فيه تُصرف غلته في عمارة مساجد المسلمين.

وقفية مريم وعائشة بنتي محمد الباجه جي على جامع الصاغة

شاركت السيدتان مريم وعيشة (عائشة) بنتا الحاج محمد جلبي الباجه جي أخاهما الحاج عبد الرحمن جلبي، في وقف جملة من العقارات المهمة على مصطفى بن سليم مُعتق الحاج بكر الباجه جي وعلى ذريته، وبعد انقراضهم تنفق غلة الوقف على مصالح جامع الصاغة (أو الصياغ) وهو جامع الخفافين المعروف قديماً بجامع الحظائر الذي شيده السيدة زمرد خاتون (انظر هذه المادة) وجاء في نهاية الوقفية «وإذا خرب ولم يبق من يصلي فيه فألى فقراء مدينة السلام».

وتتألف هذه العقارات من نصف دار تقع في مقابل الكُمرِك في البصرة، وربع الدارين والديوانخانته والحرم الواقعين في محلة آل عيسى في كربلاء، وربع الخان الواقع في محلة آل زُحَيْك في البلدة نفسها، وربع بزارة الشيرج، وربع بزارة الصابون الداخلة فيها، وربع الدكاكين الملاصقة لهما، وربع بزارة السيلان الواقعة في سوق العباس، وربع بزارة السيلان الواقعة في محلة آل فايز في البلدة نفسها. وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في 24 رجب هـ/30 تموز 1845م⁽²⁾.

وقف عادلة خاتون على جامع نازنده خاتون

وقفت السيدة عادلة خاتون بنت عناية آغا جميع أملاكها ببغداد على أولادها وذريتهم وبعد انقطاعهم تكون غلة الوقف على مصالح جامع نازنده ببغداد (انظر هذه المادة) بموجب الوقفية المؤرخة 25 شوال سنة 1272هـ/1855م.

(1) الاوقاف ج3 ص127

(2) الاوقاف ج3 ص137.

وتوفيت الواقعة في سنة 1287هـ/1870م.

جامع الحاجة منورة خاتون ببغداد

أنشأته الحاجة منورة خاتون بنت عبد الله⁽¹⁾، من سكنة محلة الطوب⁽²⁾ في محلتها، ووقفت عليه بتاريخ 25 ذي الحجة سنة 1277هـ/5 تموز 1861م حصتها البالغة ثلاثة أسهم من أصل خمسة أسهم من القرية والبساتين المعروفة بقرية (ديله) قرب قضاء الحلة، وبساتين بسبس قرب قزانية من أعمال مندليجين (مندلي)، واشترطت أن تُصرف غلة الوقف على تعمير الجامع الشريف المذكور، وتُصرف من الفضلة الباقية مبلغ قدره 1750 قرشاً صاعاً سنوياً الى جهات الوعظ والإمامة والخطابة، ومبلغ 750 قرشاً صاعاً سنوياً لراتب جهة التدريس، بينما خصصت رواتب أخرى لقارئ الدور والمؤذن والكناس والفرّاش وموقد القناديل وناقل الماء، والمسؤول عن السبيلخانة⁽³⁾.

وقفية نازلي خاتون على جامع حسين باشا ببغداد

وعُيّنت نازلي خاتون بنت عبد الغني بالإنفاق على جامع حسين باشا في محلة الحيدرخانه ببغداد (تأسس سنة 1085هـ/1674م) فأوصت في وقفيتها المؤرخة 21 شوال 1277هـ/14 نيسان 1863م، أن تُؤجر ما تملكه من عقارات وهي دكان في سوق الصياغ بلصق خان جفان، ودكان في سوق الخفافين، وحصتها من الدكان الواقع في سوق البزازين، ومن بستان ركن الواقعة في مندليجين (مندلي)، والدار الكائنة في محلة

(1) هي منور خاتون زوجة والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير (حكم من 1193 إلى 1217هـ/1778-1802م) وأم ولده صالح بك، وتوفيت سنة 1269هـ/1852م. أنشأت هذا الجامع سنة 1267هـ وكان يضم مدرسة أيضاً، هدم هذا الجامع في 1966م وبقيت منه مئذنته، ثم أنشئت في أرضه مدرسة، ينظر العقد اللامع ص221، ومساجد بغداد ص221.

(2) سميت هذه المحلة بالطوب والطوبجية نسبة إلى وجود قشلة (ثكنة) للطوبجية (المدفعيين) فيها، وتحتل اليوم أرضاً على يسرة شارع الخلفاء من جهة القادم من باب المعظم، وقد زالت هذه الثكنة منذ عهد بعيد، ونسي اسم محلتها أيضاً، وهي غير محلة الطوب الكائنة في أرض دار الكتب والوثائق مقابل مبنى وزارة الدفاع.

(3) الأوقاف ج2 ص50. وقد أبطلت هذه الوقفية فيما بعد.

كوكنظر ببغداد، وأن يعطى ثلاثة أرباع الغلة إلى من يلي الإمامة والخطابة في الجامع المذكور، بينما يعطى الربع الباقي الى المتولي على الوقف نفسه⁽¹⁾.

وقف الحاجة حسنة على جامع الخيني

من مساجد الكرخ القديمة، يقع في محلة سوق الجديد، جدد عمارته سنة 1292هـ/1873م الشيخ عبد الله بن صالح من آل حُنين النجديين، فُنُسب اليه⁽²⁾.

وتولت السيدة الحاجة حسنة بنت الحاج حسين وقف الدار الواقعة في محلة جامع عطا الكرخي/وتخصيص ريعها للانفاق على مصالح المسجد المذكور، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 29 شعبان سنة 1291هـ/1872م/27تموز 1881⁽³⁾.

وتوفيت الواقعة سنة 1212هـ/1894م.

وقد وصف السيد محمد سعيد الراوي هذا الجامع بقوله «عبارة عن مصلى في قبلي المسجد، بين يديه صُفَّة، وعلى يسار الصُفَّة دَرَج يُرتقى فيه إلى سطحه، وفي وسط الدَرَج حجرة يسكنها إمام المسجد، وكان يقيم فيها بعض الغرباء من طلاب العلم الذين يتولون الصلاة إماماً، وكان الشيخ المذكور [يريد: عبد الله بن صالح] وبعض أهالي نجد يَصِلونهم من الزكاة أو الصدقة، ويكاد النجديون جميعهم يصلون في هذا المسجد ومسجد آل عطا وجامع آل عطا، لأن أئمة هذه المساجد لم يكن لهم راتب، والصلاة خلف ذي الرتب عند الحنابلة غير صحيحة، لذلك يقصد النجديون الحنابلة في الصلاة هذه المساجد». ويقع هذا المسجد قريباً من جامع الشيخ صندل، وما زال عامراً، وقد جده أحد أحفاد الواقف تجديداً شاملاً سنة 1380هـ/1960م⁽⁴⁾.

(1) الأوقاف ج2 ص112.

(2) الاوقاف ج12 ص7 وذكر الشيخ هاشم الأعظمي في تاريخ جامع الإمام الاعظم ومساجد الأعظمية، بغداد 1965، ج2، انها اشتهرت بالكرم واطعام واكساء المحتاجين وكان لها مجلس يحضره البارزون من رجال الولاية والعلماء والوجهاء والحاجة البارة تحسن القراءة والكتابة والأدب ولها خط جميل .

(3) الاوقاف ج17 ص52.

(4) خير الزاد ص556. وينظر مساجد بغداد ص114 والعقد اللامع ص491.

وقف أمونة بنت محمد على جامع بنات الحسن ببغداد

مسجد قديم في محلة رأس القرية ببغداد، نسبت إليه المحلة التي حوله، وترددت الإشارة إليه منذ منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (19م) ووصف في أوائل ذلك القرن التالي بأنه مسجد جمعة فيه مشهد يُزار، وله مئذنتان⁽¹⁾.

وفي 9 ذي القعدة سنة 1314 هـ / 12 نيسان 1896م وقفت السيدة أمونة بنت محمد بك بن اسماعيل بك الدار الواقعة في زقاق كاتب العربية من أزقة محلة رأس القرية على نفسها، ثم على نساء سمّتهن، وبعد وفاتهن تكون الغلة -بعد التعمير- أقساماً منها إلى أربع تهليل في السنة، في الليلة السابعة والعشرين من رمضان المبارك، وفي ليلة عيد الأضحى، وإلى قراء القرآن، على أن يكون ثواب ذلك مهدي إلى روح الواقفة، وما بقي من الغلة يصرف إلى ماء وشيرج وبعض اللوازم المقتضية إلى جامع بنات الحسن الكائن في محلة رأس القرية.

ولم تكف الواقفة بذلك وإنما أضافت في وقتين ملحقتين دكاناً في محلة جامع عطا، وداراً في زقاق بنات الحسن، لتضم غلتهما إلى إيراد الوقف.

ووقفت صفية خاتون بنت يوسف بن الحاج مصطفى داراً في محلة رأس القرية على أعمال البر، ومنها تعمير وترميم جامع بينات الحسن في المحلة المذكورة، بموجب وقفيتها المؤرخة في 16 ذي القعدة 1322هـ/1904م.

جامع هيبه الله بنت عبد الرحمن في بغداد

أنشأته ضمن مبرات أخرى السيدة الحاجة هيبه الله خاتون بنت عبد الرحمن افندي بن محمد افندي سنة 1336هـ / 1917م في «أرض بستان السبخة الشهيرة ببستان الصباغ الكائنة في محلة النصّة في الاعظمية» (قرب دائرة البريد القديمة في الاعظمية). وعلى الرغم من عدم اتمام البناء يوم تسجيل وقفيتها، وهو 12 ربيع الاول من سنة 1336هـ/ 27 كانون الاول 1917 فانها عيّنت في مسجدتها إماماً وعدداً من الموظفين وقراء القرآن الكريم وقنديلجي (وهو الموكل بقناديل الجامع)، ومؤذن، وخادم، وسبيلي (وهو الموكل بالسبيل خانة اي السقاية) وحددت لهم رواتبهم.

(1) عباس بن رجب: نيل المراد في في أحوال العراق وبغداد، فصل ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد، ص25

وقد تم الفراغ من هذا المسجد وملحقاته في السنة التالية، وتوفيت الواقعة سنة 1337هـ/1919م⁽¹⁾.

ثانياً: إنشاء المدارس والوقف عليها

مدرسة ترکان خاتون

هي ثالث مدرسة أنشئت في بغداد إبان العصر العباسي⁽²⁾. أمرت ببنائها السيدة ترکان خاتون الجلالية، زوجة السلطان ملكشاه السلجوقي، المتوفاة سنة 487هـ/1094م في الجانب الشرقي من بغداد، عند دار السلطنة السلجوقية، (أي في أرض محلة العلوازية الحالية). وكانت هذه السيدة موصوفة بالحزم والشهامة، باشرت الحروب، ودبرت الجيوش، وقادت المعارك⁽³⁾. وبقيت مدرستها عامرة أهلة، وإن لم نعلم من مدرسيها أحداً، حتى أواخر القرن الخامس للهجرة (11م) إذ أمر بنقضها الخليفة المستظهر بالله العباسي سنة 496هـ/1097م مع ما جاورها من منشآت⁽⁴⁾.

مدرسة بنفش الشاطئية ببغداد

من أجل مدارس بغداد وأشهرها في العصر العباسي، أنشأتها السيدة بنفش بنت عبد الله زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي (566-575هـ/1170-1180م) في موضع نزه كان يُعد من أحسن محال بغداد وأعمارها في أواخر العصر المذكور، فهي تُطل على دجلة من ناحية، وتجاور باب المراتب، أحد أبواب دار الخلافة العباسية المهمة من ناحية أخرى، وحوّلها كانت دور القادة والوزراء والأدباء ومخازن الغلال⁽⁵⁾.

وكان أصل هذه المدرسة داراً لنظام الدين أبي نصر المظفر بن علي بن جهير وزير المقتضى بأمر الله، ثم استملكها السيدة المذكورة وجعلتها مدرسة، ووقفت عليها الأوقاف لإدامة الإنفاق عليها⁽⁶⁾.

(1) العقد اللامع ص59 وابراهيم الدروبي: البغداديون ص344 وهاشم الأعظمي: تاريخ جامع الإمام الأعظم ج2 ص58.

(2) المدرستان الاوليّتين هما 1- مدرسة مشهد ابي حنيفة وقد افتتحت في 27 جمادي الاخرة سنة 459هـ 2- المدرسة النظامية وقد بناها الوزير نظام الملك وافتتحت في 10 ذي القعدة من سنة 451هـ اي بعد افتتاح المدرسة الاولى بنحو اربعة اشهر وثلاثة عشر يوماً.

(3) المنتظم ج9 ص84.

(4) المنتظم ج9 ص135.

(5) ياقوت: معجم البلدان.

(6) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج8 ص510.

وقد اشتهرت السيدة بنفسها بالخير والصلاح، وعُرفت بمبرراتها العديدة، والخدمات النافعة لأهل بغداد في عصرها، فأشاد بها معاصروها، وترجم لها المؤرخون. قال ابن الساعي البغدادي في ترجمته لها «مولاة الإمام المستضيء بأمر الله -رضي الله عنه- كانت من خواصيه و سراريه، لها المكانة الرفيعة عنده، والمنزلة العالية والحكم النافذ والأمر والنهي، وكانت صالحة كثيرة الخير، فائضة المعروف، متفقدة للفقراء والمساكين، كثيرة الصدقة والبر، جعلت دارها بأسفل البلد على شاطئ دجلة مدرسة ووقفها على الحنابلة، ووقفت عليها وقوفاً»⁽¹⁾. وترجم لها يوسف سبط ابن الجوزي بقوله: «كانت كريمة صالحة، كثيرة الصدقات والصلوات، عمّرت الرّبط والمساجد والجسر ببغداد، وتصدقت بأموال كثيرة على العلماء والفقراء...»⁽²⁾.

وقد حرصت هذه السيدة المحسنة على اختيار أفضل العلماء ليدرس في مدرستها، فكان ان اختارت اولاً أبا جعفر ابن الصباغ، ثم ما لبثت بعد أيام ان سلمت المدرسة الى اشهر علماء بغداد في عصره، الفقيه المفسر المؤرخ، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (510-597هـ/1116-1200م) مما دل على ثقافتها ورعايتها المباشرة لشؤون المؤسسة التي أنشأتها. ويتولي هذا العالم شؤون التدريس، جرى افتتاح المدرسة بصورة رسمية، وكان ذلك في 15 شعبان من سنة 570هـ/1175م. ولقد أرخ ابن الجوزي نفسه هذه المناسبة بقوله «وتقدم الى يوم الخميس المذكور بذكر الدرس فيها، فحضر قاضي القضاة ابو الحسن بن علي الدامغاني، وحاجب الباب، وفقهاء بغداد، وخُلت عليّ خلعة، وخرج الدعاة بين يدي والخدم، ووقف أهل بغداد من باب النبي إلى باب المدرسة كما يكون في العيد وأكثر، وكان على باب المدرسة ألوف، والزحام على الباب، فلما جلستُ لإلقاء الدرس، عُرض كتاب الوقف على قاضي القضاة، وهو حاضر مع الجماعة، فقرأ عليهم، وحكم به وأنفذه، وذكرت بعده الدرس فألقيت يومئذ دروساً كثيرة في الأصول والفروع، وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله»⁽³⁾.

ومن الذين زاروا هذه المدرسة، وشاهدوا معالمها، والتقوا بمدرستها وأعجبوا بتدريسه، الرحالة الأندلسي ابن جبیر، الذي وصل بغداد سنة 580هـ/1185م. قال واصفاً مجلس تدريسه «ومن أبهر آياته وأكبر معجزاته أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراءة بالقرآن وعددهم نيف على العشرين قارئاً، فينتزع الإثنان منهم او الثلاثة آية من

(1) جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء ص 113.

(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان 8/510.

(3) المنتظم ج 10 ص 253

القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا زالوا يتناوبون آيات من سور مختلفات الى ان يتكاملوا قراءة... فإذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن في إيراد خطبته عَجلاً مُبتدراً، وإفراغ في الأسماع من ألفاظه دُرراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته، فقرأ وأتى بها على نسق القراءة لها، لا مُقدماً ولا مؤخراً، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها.. ثم أنه بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب إشتياًفاً، وذابت لها النفوس احتراقاً، الى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كلُّ يلقي ناصيته بيده، ويمسح على رأسه داعياً له.. وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل، وتطير اليه الرقاع فيجواب أسرع من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل»⁽¹⁾.

وتوفيت الواقعة في 29 ربيع الاول من سنة 598هـ/كانون الاول 1201م ودفنت في احتفال مهيب داخل تربة السيدة زمرد خاتون (القبة المنسوبة للسيدة زبيدة) المجاور لقبر معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد⁽²⁾.

أما المدرسة فيبدو انها اندثرت في العصر المغولي⁽³⁾ ولم نعد نقرأ عنها خيراً.

مدرسة زمرد خاتون

مدرسة أمرت بإنشائها السيدة زمرد خاتون، أم الخليفة الناصر لدين الله، وزوجة الخليفة المستضيء بأمر الله، وهي التي اشتهرت بحبها لفعل الخير، وبكثرة منشأتها النافعة، ووفرة ماتقف عليها، وقد أشاد بذكرها المؤرخون فوصفها ابن الساعي بأنها «كانت كثيرة المعروف»⁽⁴⁾ وترجم لها ابن قتيبو الإربلي فقال: « كانت من أرغب النساء في فعل الخير وأكثرهن له فعلاً، ولها بر وافضال، فضلت به أمثالها في الصدقات الجارية وعمارة المساجد والمشاهد والأربطة والمدارس وغير ذلك مما لا خفاء فيه عن نظر المتأمل»⁽⁵⁾. ووصفها سبط ابن الجوزي بقوله: «كانت صالحة كثيرة المعروف والصدقات، دائمة البر. والصلوات، متفقدة لأرباب البيوت. حجّت وانفقت

(1) رحلة ابن جبير ص 176

(2) جهات الأئمة الخلفاء ص113 وابن الساعي: الجامع المختصر في عيون التواريخ وأعين السير، تحقيق مصطفى جواد، ج9 ص89 وابن الأثير: الكامل ج9 ص258.

(3) كتابنا مدارس بغداد في العصر العباسي ص192

(4) ابن الساعي: الجامع المختصر، ج9 ص122.

(5) سبط بن قتيبو الاربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص280.

ثلاثمائة ألف دينار - على ما بلغني - كان معها نحو من ألفي جمل، وتصدقت على أهل الحرمين، وأصلحت البرك والمصانع، وعمرت التربة عند قبر معروف الكرخي والمدرسة التي الى جانبها وأوقفت عليها الأوقاف»⁽¹⁾.

وكان افتتاح مدرستها المذكورة في يوم الخميس التاسع عشر من شوال سنة 589هـ/19 تشرين اول 1193م، بعد ان اوكل امر التدريس بها الى أبرز علماء بغداد آنذاك، هو فخر الدين محمد بن ابي النوقاني، «وكان بارعاً في الفقه حسن الكلام»⁽²⁾ ويقول يوسف سبط ابن الجوزي في حوادث تلك السنة: «وفيها فتحت المدرسة التي الى جانب تربة والده الخليفة عند معروف الكرخي، وحضر أرباب الدولة وعمل سماط عظيم وسُلمت الى النوقاني فدرس بها»⁽³⁾.

ولقد ألحقت هذه السيدة الفاضلة بمدرستها داراً لسكنى المدرس فيها، وحُجراً يقيم فيها جماعة من الطلبة، على نحو يشبه الأقسام الداخلية اليوم⁽⁴⁾، وأجرت للجميع الرواتب الحسنة. وبلغ من عنايتها بها، وشدة اهتمامها بشؤونها، أنها أمرت ببناء قبة لها بجوارها، لتكون لها مدفناً فتجاورها ميتة كما عُنيت بها في حياتها، وهي تلك القبة المخروطية العالية التي لما تزل قائمة في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، والمعروفة خطأ بقبر الست زبيدة. وتدل تراجم مدرسي المدرسة على المستوى العلمي الفائق الذي أرادته هذه السيدة لها، فجميعهم كان عالماً، فاضلاً، واسع المعرفة، كثير التصانيف، معروفاً بالورع. كما تكشف ترجمة آخر المدرسين المعروفين لنا عن استمرار التدريس فيها حتى اوائل القرن التاسع الهجري (15م) ولا يستبعد استمراره بعد ذلك التاريخ أيضاً، دليلنا على ذلك وجود مبانيها قائمة بعد أن تحولت الى مسجد حتى سنة 1195هـ/1380م حين أمر والي بغداد سليمان باشا الكبير (1193-1217هـ/1780-1802م) بنقضها واستعمال أنقاضها في بناء سور بغداد الغربية، وقد وصف بناءها السيد محمود شكري الألوسي، بوصفها مسجداً بقوله: «كان واسعاً، رصين البناء قوي الاركان»⁽⁵⁾ فكان هذا آخر وصف لها في تاريخها الطويل.

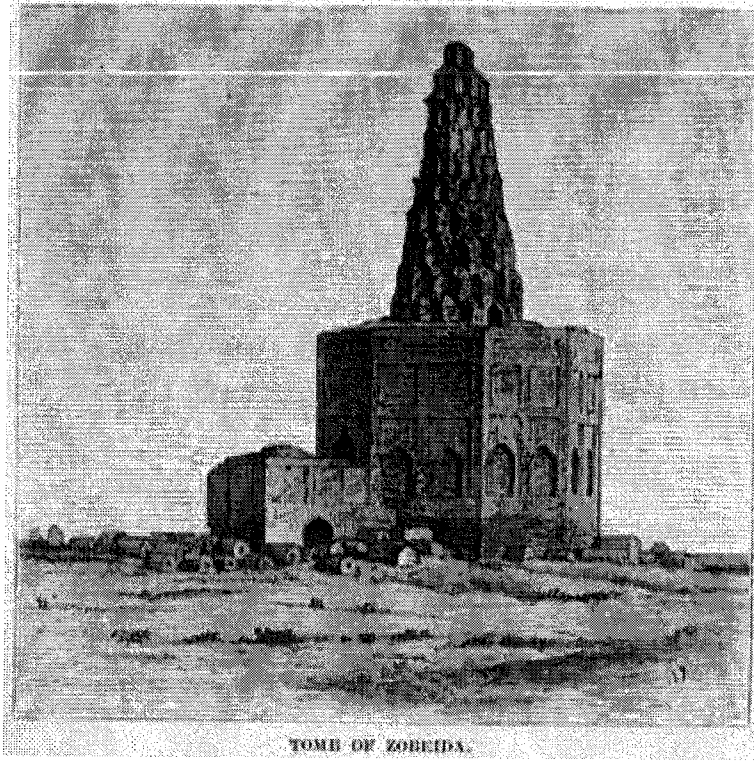
(1) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج8 ص513.

(2) ابن الصابوني: تكملة إكمال الإكمال في الكنى والأسماء والألقاب، تحقيق مصطفى جواد ص351. الحوادث 207.

(3) مرآة الزمان ج8 ص422.

(4) مدارس بغداد ص123

(5) مساجد بغداد واثارها ص125



TOMB OF ZOBIDA.

مرقد زمرد خاتون (صورة قديمة)

المدرسة البشيرية

أنشأت هذه المدرسة احدى نساء الخليفة المستعصم بالله (640-656هـ) المعروفة بباب بشير⁽¹⁾ لتدريس مذاهب الفقه على قاعدة المدرسة المستنصرية المنشأة سنة 631هـ/1233م، فكانت ثاني مدرسة يجري فيها التدريس على هذه القاعدة، ليس ببغداد فحسب بل في العالم الاسلامي أيضاً، ولقد استمر العمل في بناء المدرسة هذه ما يقرب من اربع سنوات (من 649 الى 653هـ/ 1251-1255م) ومن هنا نعلم مدى اتساعها وضخامة مبانيها. قال صاحب كتاب (الحوادث) يصف افتتاحها سنة 653هـ: «وفيها فتحت المدرسة البشيرية بالجانب الغربي من بغداد تجاه قطفتا،⁽²⁾ التي أمرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم، أم ولده ابي نصر المعروفة بباب بشير، وجعلتها وفقاً على المذاهب الأربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية، ووقفت عليها

(1) نسبة الى خادم بابها المسمى بشيرا

(2) محلة كبيرة ذات اسواق، مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي -رضي الله عنه- بينها وبين دجلة اقل من ميل، وهي مشرفة على نهر عيسى. ياقوت: معجم البلدان.

وقوفاً كثيرة قبل فراغها، وكان فتحها يوم الخميس ثالث عشرين جمادي الآخرة، وحضر الخليفة وأولاده فجلسوا سطحها، وحضر الوزير وأرباب المناصب ومشايخ الربط والمدرسون. وكان المدرس بها سراج الدين النهركلي أفضى القضاة وشرف الدين عبد الله بن استاذ الدار ومحي الدين ابن الجوزي ونور الدين محمد بن الغري الخوارزمي الحنفي وعلم الدين أحمد بن الشرمساحي المالكي، وعملت وظيفة عظيمة وخلع على المدرسين المذكورين وعلى الناظر بها ونواب العمارة والفراشين وخدم القبة، وأنشدت الأشعار وكان يوماً مشهوداً⁽¹⁾.

ويظهر من بعض النصوص التاريخية أن للمدرسة البشيرية هذه خزانة حاكمة بالكتب ذات خازن خاص، مختص بأمورها، وفهارس مكتوبة بطريقة حسنة، قال عبد الرزاق ابن الفوطي في ترجمة فخر الدين ابو اسحق بن حسن بن عبد الله البغدادي الأديب «الشيخ الأديب الكاتب، صاحب الاخلاق الحميدة والاداب الغزيرة، كتب بخطه الصحيح، وهو الذي تولى كتابة فهرست المدرسة البشيرية على طريقة حسنة، وذلك في سنة أربع عشرة وسبعمائة»⁽²⁾.

وتدلنا تراجم مدرسيها ومعيديها على استمرار التدريس في هذه المدرسة حتى اواخر القرن الثامن للهجرة (14م)⁽³⁾.

اما السيدة الواقعة فقد توفيت سنة 652هـ/1255م.

دار القرآن البشيرية

امرت ببنائها السيدة المعروفة بباب بشير من نساء الخليفة العباسي المستعصم بالله على شاطيء دجلة بغربي بغداد، وافتتحتها في سلخ شعبان من سنة 652هـ/1255م⁽⁴⁾، اي قبل افتتاح مدرستها بنحو سنة واحدة، وكانت على ما ترجح تشبه دار القرآن التابعة للمدرسة المستنصرية، وذلك لرغبة السيدة باب بشير بتقليد نمط المدرسة المذكورة بكل مرافقها ونظمها. وممن تولى مشيخة هذه الدار الشيخ محب الدين احمد بن يوسف بن احمد بن عكبر العلوي الكرخي البغدادي، وكان عارفاً باللغة مؤرخاً⁽⁵⁾. ويبدل تاريخ وفاته،

(1) كتاب الحوادث ص324

(2) تلخيص مجمع الاداب ج 4 الترجمة 1900، وانظر نفس المصدر، الترجمة 1899.

(3) ترجمنا لهم في كتابنا مدارس بغداد ص205-217.

(4) كتاب الحوادث ص319.

(5) تاريخ ابن الوردي 2/278.

وهو سنة 721هـ/1321م، على استمرار التدريس في هذه الدار الى النصف الاول من القرن الثامن للهجرة (14م) في اقل تقدير، ومن الراجح عندنا ان مبنائها تحول بعد ذلك الى مسجد هو الذي عرف بمسجد السيف⁽¹⁾ وقد ازيل هذا المسجد سنة 1965م.

المدرسة العصمتية

وفي سنة 671هـ/1272م انشأت السيدة شمس الضحى بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن ايوب، ارملة ابي العباس احمد بن الخليفة المستعصم (المقتول شهيداً في واقعة بغداد) وزوجة علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب ديوان العراق، مدرسة بجوار مشهد عبيد الله بن عمر العلوي المعروف بمشهد النذور⁽²⁾، ووقفتها على المذاهب الاربعة، على قاعدة المدرسة المستنصرية، فكانت أول مدرسة تنشأ على هذه القاعدة منذ احتلال المغول بغداد. وقد اختارت هذه السيدة لمدرستها افضل مدرسي بغداد في تلك الحقبة العصبية من تاريخها، وهم القاضي عز الدين محمد بن جعفر البصري، وعفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي، وشرف الدين داود الجيلي، ومجد الدين المعروف بشقير الواعظ، وتم افتتاح المدرسة في احتفال كبير وزعت به الخلع على الجميع، واطعم فيها الحاضرون⁽³⁾.

ولا شك في انها وقفت على المدرسة أوقافاً جمة، لأننا نعلم أنها جعلت النظر فيها، اي في شؤون المدرسة، لصدر الوقوف، وهو متولي اوقاف بغداد، شهاب الدين علي بن عبد الله، وجعلت الإشراف عليه الى من ولي قضاء القضاة ببغداد⁽⁴⁾.

وقد اثنى صاحب كتاب الحوادث على هذه السيدة فقال «كانت كثيرة الصدقات والاحسان والمبرات، وكانت تحب اهل بغداد وترعى مصالحهم وتقوم في حوائجهم وتساعدهم»⁽⁵⁾.

(1) بحثنا: دار القرآن البشرية وهل هي مسجد السيف القديم. جريدة البلد عدد 1749 (10 تشرين الثاني 1965).

(2) تقع بقايا هذا المشهد اليوم في محلة النصبة بالاعظمية ويعرف بقبر ام رابعة، وهي كنية السيدة المذكورة، اذ هي والدة رابعة ابنة ابي العباس احمد بن المستعصم وقد دفنت رابعة بجوار والدتها سنة 685هـ.

(3) كتاب الحوادث ص408.

(4) كتاب الحوادث ص406.

(5) كتاب الحوادث ص446.

توفيت سنة 678هـ/1279م ودفنت في تربة اعدتها لنفسها بجوار مدرستها المذكورة⁽¹⁾.
واستمرت المدرسة قائمة بمهمتها العلمية والثقافية نحو نصف قرن. بعد وفاتها
في الاقل، ومن المحتمل انها توقفت عن تلك المهمة لما اصابها من الغرق العظيم سنة
725هـ/1225م، فقد ذكر ابن الوردي في تاريخه⁽²⁾ انه مما انهار في ذلك الغرق مدرسة
عبيد الله، وان خزانة الكتب التي بها غرقت «وكانت تساوي اكثر من عشرة الاف دينار».

المدرسة الايكيجية

من مدارس بغداد، انشأتها في منتصف القرن الثامن الهجري (14م) السيدة
مخدوم شاه، الملقبة (ايكجي) والى لقبها نسبت وقد وصف المؤرخ البغدادي عبد الله
بن فتح الله الغيائي هذه المدرسة بقوله انها «مدرسة عظيمة»، ولكنه لم يزد في
توضيح جوانب عظمتها. ووصفت مؤسسها بأنها من الاميرات صاحبات الشأن
والرأي الصائب والفصل في المهمات⁽³⁾.

المدرسة الوفائية

تقع هذه المدرسة في الجامع الذي شادته السيدة وفا خاتون في سوق الكبابجية
بشرقي بغداد، وكانت تشغل عدة حجر تطل على فناء الجامع نفسه. وقد ورد في
الاعلام الشرعي المؤيد لما جرى به «التداول القديم»⁽⁴⁾ ان هذه السيدة رتبت راتباً، من
الاقواقف العديدة التي وقفها للمدرس في جامعها، مما دل على ان المدرسة هي من
انشأتها ايضاً.

واستمر التدريس في المدرسة طيلة العصر العثماني، درس خلاله فيها عدد غير
قليل من العلماء علمنا منهم مصطفى العلقبند المتوفى سنة 1228هـ/1813م⁽⁵⁾.

مدرسة صالحة خاتون بنت عبد القادر الرحبي ببغداد

كان اصل هذه المدرسة دارا تشتمل على «حوش خارج» في اسفله بيت وايوان
وزهر كبير (كذا) وباغجة (حديقة) نخل، وحوض، وبئر. وفي علوه كوشكان وايوانان،

(1) كتاب الحوادث ص446.

(2) تاريخ ابن الوردي ج2 ص378.

(3) التاريخ الغيائي بتحقيق طارق الحمداني، بغداد 1975، ص93.

(4) الدروبي: البغداديون 232

(5) الاوقاف 61/1

وعلى حوش داخل فيه اربعة بيوت واىوانان وبيت تتور وباغجة نخل وبئر وكرد كوشك،
تعرف قديماً بمحلة عز الدين، من محلات بغداد الشرقية.

وقد أمرت السيدة سالحة خاتون بنت الشيخ عبد القادر الرحبي بتحويل الحوش
الخارج الى مجلس علم يحضره طلبة العلم من ذريتها وغيرهم، يشبه أن يكون مدرسة،
بينما جعلت الحوش الداخل مسكناً للعيال. ووقفت لادامة هذه الدار، بمرافقتها الثقافية
المذكورة، أوقافاً جمة، منها حصة تبلغ النصف من دكانين ونصف في سوق السلطان
(سوق الهرج الحالي)، ومنها نصف كرد الوجيلاني عند نهر الزعفرانية المعروف بنهر
قرارة، وسدس المزرعة المعروفة بدوب النخالة، وبستان في الاعظمية تعرف بالرحبية،
وربع فدان في ارض الشالجية، ومثله في ارض الغرابية من هور عقرقوف، وذلك بموجب
وقفيته المؤرخة في 21 ذي الحجة سنة 1118هـ/ 27 آذار 1707م⁽¹⁾.

مدرسة سَكينة خاتون

من مبرات السيدة سَكينة خاتون بنت الحاج محمد العباسية، أنها أنشأت مدرسة
ببغداد، في الجهة الجنوبية من السراي مُطلّة على سوق السراّجين، «جعلتها للخيرات»
وأنفقت عليها من خالص أموالها، ثم أنها وقفت عليها جملة من العقار، منها نصف
عقر المرادية في ناحية الخالص، وسبعة اسهم من أصل الستة عشر سهماً من مقاطعة
الويسية، وسبعة أسهم من أصل ثمانية من جدول العامرية في «قرية بلاد روزين» (التي
عرفت فيما بعد باسم بلد روز) وذلك في شهر ذي الحجة 1140هـ/ 1727م.

ثم انها وقفت عليها الدارين الواقعتين في محلة شالي قولي دلال ببغداد، وهي
التي سميت محلة جديد حسن باشا، واشترطت أن يُصرف الحاصل من ايجارها سنة
بعد أخرى على مصاريف المدرسة المذكورة⁽²⁾.

المدرسة العادلية في بغداد

ألحقت السيدة عادلة خاتون بنت والي بغداد أحمد باشا بجامعها المسمى جامع
عادلة خاتون او العادلية الكبير⁽³⁾ مدرسة لتدريس العلوم في المعقول والمنقول، وكانت
هذه المدرسة تشغل عدداً من الغرف في الطابق الأعلى من الجامع، وضمّت اليها

(1) السجلات القادرية (مخطوط)

(2) الاوقاف 21/1

(3) الاوقاف 122/2

خزانة للكتب لتكون عوناً لطلبتها ومدرسيها على حد سواء، وحددت عدد طلبتها بخمسة عشر طالباً، وهو عدد كبير قياساً الى المدارس الاخرى، ورتبت الرواتب للمدرس، ولحافظ المكتبة، والمخصصات اليومية للطلبة. وبلغ من اهتمامها بأمر هذه المدرسة أنها كانت تشرف بنفسها على شؤونها وتتعهدها بالناية، وقد ميّزت طلبتها بأن جعلت لهم سمات (باجات) خاصة يحملونها على صدورهم، كتب عليها (طلبة المدرسة العادلية ببغداد)⁽¹⁾ وهو ما انفردت به بين واقفي المدارس كافة.

ولقد درّس في هذه المدرسة، عبر الحقب المتعاقبة، صفوة من أشهر علماء بغداد، منهم السيد محمود شكري الالوسي، والسيد صبغة الله الحيدري، والشيخ نجم الدين الواعظ، والشيخ محمد افندي الحاج حمد العسايف وغيرهم.

أما المكتبة فقد تفرّقت كتبها منذ أمد بعيد، ونقل المتولي ما تبقى منها الى داره، فعاثت بها الإرضة هناك «حتى اصبحت لا ينفع بها».

مدرسة جامع الصياغ

أشأ هذه المدرسة، في جامع الصياغ (جامع الخفافين المعروف قديماً بجامع الحظائر) الحاج ابو بكر الباجه جي الموصلي سنة 1205هـ/1790م. وفي سنة 1212هـ/1797م قامت أربع سيدات بغداديات صالحات هن:

أ- الحاجة حوى خاتون بنت الحاج عثمان افندي.

ب- زينب بنت الحاج مصطفى.

ج- عائشة بنت عمر الباجه جي.

د- لطيفة بنت عمر الباجه جي.

بأنشاء خزانة كتب في المدرسة ضمت كتباً عديدة، كما أنهن - حرصاً منهن على ادامة الانفاق على هذه المدرسة وملحقاتها- وقضن جملة من الأوقاف التي تتألف «من دور ودكاكين وعقارات وأراض وما اتصل بها من بناء وأشجار ونخيل متنوعة» على النحو الآتي:

- في بغداد: دكان واقع في سوق الصفاير، ودكان عند (القلغ)⁽²⁾ وأربع دكاكين في سوق الخفافين، وخان مشتمل على حجر عديدة وساحة في سوق الصياغ.

(1) البغداديون ص321

(2) كلمة تركية بمعنى مركز الشرطة.

- في البصرة: دار مقابل كمرك البصرة، وأرض عند باب الرباط من أبواب مدينة البصرة، وقطعة أرض معروفة بالشوآكة.

- في كربلاء: دار مشترك بالنصف مع الحاج احمد بك الشاوي، يتألف من ديوان خانة وحرم ووزارة داخلها «بزارة للصابون» وخمس دكاكين، وخان، ونصف بستان وربع بستان آخر.

وقد جعلت الواقفات في المدرسة مدرسين اثنين، لكل منهما 120 قرش رائج بغداد سنويا وقارئ للقرآن، وحافظ لأجزائه. وذلك بموجب وقفيتهم المؤرخة في سنة 1212هـ/1717م⁽¹⁾.

مدرسة نبي خاتون

أنشأتها السيدة نبي خاتون بنت عبد الله، زوج والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير (1193-1217هـ/1780-1802م)، ووالدة والي بغداد سعيد باشا (1228-1232هـ/1813-1812م)⁽²⁾ في السوق الجديد من (الميدان) بالجانب الشرقي من بغداد سنة 1236هـ/1820م، ووقفت عليها عقارات عديدة في قرية السنديّة التابعة لناحية الخالص، وفي قسبة الإمام الأعظم (الأعظمية)، وفي منطقة أم العظام في الجانب الغربي، ودكاناً قرب حمام الكمرك (بجوار المدرسة المستنصرية)، وآخر في سوق السباهية⁽³⁾، أثبتتها في وقفيتها المؤرخة في 28 رجب 1237هـ/1821م⁽⁴⁾.

المدرسة الخاتونية

من أشهر مدارس بغداد وأهمها في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (19م) أمرت بإنشائها السيدة عاتكة خاتون بنت السيد علي نقيب الأشراف ببغداد (المتوفى سنة 1228هـ/1813م) وزوجة السيد محمود بن زكريا نقيب الأشراف أيضاً (المتوفى سنة 1258هـ/1842م) في موضع قريب من جامع الشيخ عبد القادر

(1) الاوقاف 87/3-8

(2) شاركت هذه السيدة في الحكم وأسهمت في توجيه سياسة زوجها وولدها، وبعد مقتل الأخير، اعتزلت الناس، وتركت الحياة العامة، ثم شرعت بجملة من الأعمال الخيرية النافعة. ينظر: سليمان فائق: مرآة الزوراء في سيرة الوزراء (المسمى تاريخ بغداد)، ص51، وكتابه: تاريخ المماليك الكولة مند في بغداد، ترجمة نجيب الأرمنازي، بغداد 1961، ص49.

(3) السباهية هم الفرسان بحسب نظام التيمار العثماني.

(4) مجموعة من وقفيات بغداد.

الكيلائي، مقابل له، ووقفت عليها العقارات الكثيرة لتضمن بقاءها ودوام نفعها . منها بستان، ورحى للماء خارج بغداد، ودار وبستان (باغجة) بأتصال الجامع المذكور/ ودكاكين في سوق الشورجة وسوق الخفافين، وعلوة للبصل، وذلك بموجب الوقفية الصادرة بتاريخ 20 جمادي الاولى سنة 1235هـ/1819م.

وتدل نصوص هذه الوقفية المهمة على مبلغ عناية السيدة عاتكة بمدرستها، وبشؤون العاملين فيها، فقد رتبت لها مدرساً، وعشرة طلاب علم، ومعيداً للدرس، وفراش، وكناس، وقندلجي، ومحافظ للكتب، وحددت لهم رواتب مجزية، وجعلت لكل طالب علم فضلاً عن المخصصات النقدية، ما يكفيه من الخبز والرز والخضروات والقهوة والشيرج للإضاءة وغير ذلك من المواد العينية.

كما ألحقت بمدرستها سقاية كبيرة لتوفير مياه الشرب لطلبتها ولسائر الناس في تلك المحلة، وشرطت لادامتها مبلغاً سنوياً محدداً.

وبلغ من اهتمام الواقفة بخزانة كتب مدرستها أنها أوكلت أمر حفظها والعناية بها الى أحد العلماء ببغداد يومذاك، هو الشيخ عبد الكريم جليبي دله، وقد أرسلته لغرض تنمية كتبها وتزويدها بكل هو طارف وتالد الى الآستانة، وبلاد الشام، ومصر، لشراء كتب مخطوطة ومطبوعة، ولما وصلت الكتب الى بغداد حفظتها في خزانات من خشب ووقفها على مدرستها، وكتبت على ظهر كل كتاب منها عبارة (وقف المدرسة الخاتونية) وتحتها ختم (عاتكة خاتون).

وقد درس في هذه المدرسة علماء أعلام، أولهم الشيخ العلامة علاء الدين الموصللي، وتخرج منها العلامة السيد محمود شهاب الدين الالوسي صاحب تفسير (روح المعاني) إذ أجزى من شيخه علاء الدين الموصللي إجازة علمية عامة، وقد أعدت السيدة عاتكة خاتون -بهذه المناسبة- وليمة فخمة دعت اليها جميع العلماء والأشراف والتجار للحضور الى المدرسة ليشهدوا حفلة تسليم الإجازة. ووصف الالوسي نفسه هذه الحفلة في كتابه (غرائب الإغتراب) بقوله: «ولما بلغت من العمر إحدى وعشرين سنة جمع لشهود إجازتي علماء بلدتي شيخي علي علاء الدين، فكان يوم الجمع مشهوداً ومشهوراً أفاض على العدو شروراً، وكان ذلك في المدرسة الخاتونية قريباً من الحضرة القادرية»⁽¹⁾.

(1) غرائب الاغتراب ص30

وظلت المدرسة مزدهرة بطلاب العلم الى أن داهمها الغرق والطاعون اللذان عما بغداد سنة 1246هـ/1830م فتخرّبت، وتشعثت، ولم تعد صالحة للتدريس، ولذا نُقل التدريس الى المدرسة القادرية القريبة. ومع ذلك فقد لبثت بقايا المدرسة شاخصة الى أن أزيلت تماماً عند شق شارع الملك غازي سنة 1957م.

أما الواقعة المحسنة فكانت وفاتها بدمشق، في طريق عودتها من مكة حاجة، ودققت في مسجد شيدته هناك، عرف بمسجد عاتكة خاتون، سنة 1245هـ/1829م⁽¹⁾.

مدرسة نازندة خاتون

أنشأتها السيدة نازندة خاتون بنت مصطفى اغا زوجة والي بغداد حافظ علي باشا (1217-1222هـ/1802-1807م) في محلة الحيدر خانة من محلات بغداد الشرقية، ورتبت لها مدرساً وإمامين ومؤذنين ومحافظ كتب (مما يدل على وجود خزانة كتب فيها) وقارئ دور، وقندلجي، ومسجد، ورئيس محفل، وكناس، وبواب المصلى، وبواب الجامع، وواعظ شهر رمضان، وممجد في ليالي رمضان.

ولم يحدد عدد الطلبة في هذه المدرسة، لكن الواقعة خصصت لهم نفقة باسم (نفقة الطلبة) تقدر بأربعة آلاف قرش كل سنة، تُدفع لهم عيناً على شكل خُبز وشمع، فضلاً عن رواتب العاملين في هذه المؤسسة، وهي رواتب عالية إذا ما قيست برواتب أمثالهم من العاملين في المؤسسات التعليمية والدينية المشابهة، فبلغ راتب المدرس ثمانية آلاف قرش رائج، ومحافظ الكتب ستمائة قرش، ولماء السبيل في سقايتها ألف وثمانمائة قرش. ووقفت للإنفاق على ذلك كله أوقافاً جمّة، هي جميع بستان الجلبيّة في البصرة، وجميع الخان الشهير بخان الباشا مع الدكاكين الثمانية المتصلة به الواقع في قصبة الحلة الفيحاء «وقفاً صحيحاً شرعياً على مصالح الجامع الذي أنشأته الخاتون. مع المدرسة الكائنة فيه إنشاءً لوجه الله» في وقفيّتها المؤرخة في شعبان من سنة 1263هـ/1846م⁽²⁾.

وتوفيت الواقعة سنة 1284هـ/1866م⁽³⁾.

(1) البغداديون ص333-335.

(2) المصدر نفسه.

(3) البغداديون ص339.

مدرسة مُنور خاتون

كانت هذ المدرسة في الأصل ثكنة للمدفعية تعرف بقشلة الطوبجية، وبتصالها من جهة الطريق المؤدي الى حمام المالح قهوة [خانها]، فاشترتها السيدة مُنور خاتون زوجة والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير 1192-1217هـ/1778-1802م وجعلتها جامعاً وألحقت به مدرسة، وعيّنت في المدرسة مدرساً هو الشيخ عبد الوهاب بن عبد الفتاح بن محمود بن حجازي، وكان عالماً نابهاً له تصانيف عدة، وتوفي سنة 1313هـ/1895م، وخصصت ثمة حجرات لسكنى الطلبة⁽¹⁾. وقد كتب على باب الجامع أبياتاً تشير إلى تاريخ بنائه وبانيه⁽²⁾ وهي:

جامعٌ للأنوار لاحٌ محررٌ في جبين الزوراء الله أكبر
أسسته على التقى من حلالٍ فحكى المسجد الحلال المُطهر
زوجُ فرد الزمان أعني سليمٍ ان أبا صادق الوزير المُظفر
هي أم الخيرات ذات المبرأ ت التي في ذرا المنابر تُذكر
قلتُ إذ أكملته بالخير أرخ (جامعٌ للأنوار شادت مُنورٌ)

1267

ومن مآثر هذه السيدة أنها ألحقت بمدرستها خزانة حوت جملة وافرة من الكتب. ووقفت على الجميع عدة أراضٍ ومُسَقَّفات، منها الأراضي الواقعة في الحلة المسماة علاجية وهمينة ونصف البستان المسماة بسين⁽³⁾.

ويلاحظ أن تاريخ الوقف جاء سابقاً على تاريخ الفراغ من بناء هذه المنشآت بمدة غير قليلة، وتاريخ الوقفية هو سنة 1241هـم 1825م بينما تاريخ إتمام البناء هو سنة 1267هـ/1850م.

وقد استمر التدريس قائماً في المدرسة إذ تعاقب على التدريس فيها نخبة من أشهر علماء بغداد، منهم العلامة عبد الوهاب النائب (1269-1354هـ/1852-1925م)

(1) عباس بن رجب: فصل من كتابه (نيل المراد في أحوال العراق وبغداد) في كتابنا (مساجد بغداد في كتابات الأجداد) ص42.

(2) الآلوسي: مساجد بغداد ص34 والعقد اللامع ص212 وخير الزاد ص292.

(3) البغداديون ص338.

والشيخ حسين فوزي، والشيخ كمال الدين الطائي، والشيخ عبد القاهر بن عبد الرزاق خطيب جامع أبي حنيفة، وهو آخر من تولى التدريس فيها.

مدرسة نائلة خاتون ببغداد

أنشأتها السيدة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم اغا سنة 1291هـ/1874م تجاه جامع الحيدر خانة ببغداد، وألحقت بها مسجداً وخزانة كتب ضمّت نوادر المخطوطات في مختلف العلوم، وعيّنت فيها مدرساً ومأموراً ومؤذناً وخادماً ومحافظةً للكتب، ووقفت لإدامة الإنفاق عليها عقارات عديدة، منها أربعة بساتين في قرية الهويدر من أعمال بعقوبة، وحصتها البالغة ثلاثة أرباع نخيل وأشجار البساتين المعروفة بعلاف وخشخشية في الحلة، والتي أرضها من الأراضي الأميرية، ونصف الحصة الشائعة من النخيل وسائر الأشجار من بساتين فنبان في قرية الحاج عبيد من أعمال الحلة، والتي أراضيها أميرية أيضاً، وكذلك الخانين الكبير والصغير المعروفين باسم خان الدفتردار⁽¹⁾ قرب سوق سرير جيلر (صناع الأسرة)، والدكاكين الأربعة، والحصة الشائعة البالغة الربع من المخزن الواقعة باتصال الخانين المذكورين.

ودار الحرّم الواقعة في المحلة المذكورة، وبساتين عديدة في قسبة بدره، ومندلي، ودار في محلة جديد حسن باشا.

وشرطت أن تُصرف غلة هذه العقارات أولاً على تعمير المواضع التي تحتاج الى عناية من المدرسة، ثم ينفق ما تبقى على النحو الآتي:

75 قرش صاغ شهرياً للإمام

50 قرشاً صاغ شهرياً للمؤذن

300 قرش صاغ سنوياً لتلاوة الوترية في ليالي رمضان

300 قرش صاغ سنوياً لسقاء الماء في المدرسة

720 قرش صاغ سنوياً لحافظ الكتب في المدرسة.

وشرطت أن يتراوح عدد الطلبة «ممن هم فقيري الأحوال، أو غريبي الدار» بين خمسة طلاب وعشرة، «وأن يعطى لكل واحد منهم يومياً قرشان صاغ»، وأن يعطى

(1) شيدت على أرض هذين الخانين عمارة الدفتردار.

لكل طالب أربعمائة درهم من الشمع للإضاءة، وأوقفت عليها كتباً مخطوطة وغير مخطوطة⁽¹⁾.

وذكر عبادة في وصفه هذه المدرسة «كان جلوس الطلبة وتدريس المدرس في طاق كبير مُطل على الطريق، مُزَيَّن بالمرآة، ومطلي جدرانها بالأصباغ الملونة. ولما وَسَّعت الجادة العمومية أخذ لها الدار الملاصقة له والمقابلة لها، والتي هي من جملة أوقافها، فتهدمت ثم بُنيت جميعاً مجدداً سنة 1340هـ/1921م»

ونقل أبياتاً كانت على باب هذه المدرسة تتضمن بيت التاريخ، وهي:

دَعْ ذكر نازنَدَه في وقتها	وما بنته من بناء نبيل
وانظر إلى ما قد بنت بعدها	نائلة الخير بباع طويل
وأوقفت لله ما قد أوقفت	مدرسةً ليس لها من مثيل
وشيدت أركانها حسبةً	والله يجزيها الجزاء الجميل
وأصبح العلم مقيماً بها	مخيماً ليس يريد الرحيل
ليهنها إن سلكت فعلها	في طرق الخيرات قصد السبيل
قد قلتُ لما أرسلت أُرخوا	(نائلة الخير نالت مُراد الجميل)

1291

وتوفيت الواقعة سنة 1294هـ/1877م.

وكان من حظ هذه المدرسة أن تعاقب على التدريس فيها عددٌ من كبار العلماء ببغداد، منهم العلامة اسعد افندي الدوري، ومفتى بغداد العلامة قاسم القيسي، والشيخ محمد القزليجي، والعلامة الشيخ نجم الدين الواعظ، وكل منهم تخرج على يديه نخبة من خيار الطلبة الذين تولوا مختلف المناصب الثقافية والشرعية في العراق⁽²⁾.

(1) العقد اللامع ص252.

(2) العقد اللامع ص255.

ثالثاً: إنشاء الربط والزوايا والوقف عليها

رباط فاطمة للنساء

أنشأته السيدة فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلوية، المتوفاة سنة 521هـ/1127م، وكانت واعظة متعبدة محدثة، تتلمذ عليها العلامة ابن الجوزي صغيراً إذ سمع منها كتاب (ذم الغيبة) لإبراهيم الحري، ومن مجالس ابن سمعون روايتها عن ابن النور عنه، ومسند الشافعي وغير ذلك، وترجم لها، وقال: «لها رباط تجتمع فيه الزاهدات»⁽¹⁾.

رباط بَنَفْشا للنساء

أنشأته السيدة بَنَفْشا بنت عبد الله زوجة الخليفة المستضيء بالله العباسي، في سوق كان يعرف بسوق المدرسة، قريباً من المدرسة النظامية بشرقي بغداد، وقد جعلته للنساء الصوفيات. وجرى افتتاحه في الأول من رجب سنة 573هـ/24 كانون الاول 1177م، وأوكلت إدارته الى أخت أبي بكر الصوفي شيخ رباط الزوزني، أحد مشاهير الصوفية في ذلك العهد⁽²⁾.

رباط المأمونية

أمرت ببنائه السيدة زُمردُ خاتون، وافتتحته سنة 579هـ/1183م⁽³⁾. وكان يقع في محلة المأمونية شرقي بغداد فنسب اليها، ويظهر أن هذه السيدة لم تشأ أن تقتصر مهمة رباطها على العبادة والإعتكاف - كما هي مهمة الكثير من أمثاله - وإنما أرادت أن يكون داراً للثقافة والعلم. فألحقت به خزانة كتب حوت كتباً قيمة، عرفنا منها واحداً، هو كتاب (الفنون) لأبي الوفاء ابن عقيل البغدادي، يكاد يؤلف، وحده، خزانة كتب قائمة برأسها فقد قُدر عدد مجلداته بمائتي مجلد وقيل 470 مجلداً.

رباط الأصحاب

أنشأته السيدة زُمردُ خاتون أيضاً بجوار مشهد عبّيد الله العلوي (حيث دفن الخليفة المستعصم بالله فيما بعد، وهو في الأعظمية اليوم) وتعهده بالعناية، فحين

(1) المنتظم ج10 ص 27.

(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج5 ص365.

(3) المصدر نفسه ج8 ص48.

أصابه الغرق سنة 646هـ/1248م وهُدم، تولّت هذه السيدة تجديده، وإعادته على ما كان عليه أول مرة، وجرى افتتاحه سنة 650هـ/1252م. قال صاحب كتاب الحوادث في حوادث تلك السنة «وفتح الرباط الذي أمرت بتجديده أم الخليفة الناصر، مجاور مشهد عبيد الله عليه السلام، وعمل فيه دعوة، وكان قد تشعّث منذ الغرق وأجري على ما كان عليه أولاً»⁽¹⁾.

رباط الفيروزيّة

أنشأتها عائشة ابنة الخليفة المستجد بالله المعروفة بالفيروزيّة (المتوفاة 640هـ/1242م)، وكانت صالحة مُسنّة بكرةً، رأت عدة من الخلفاء، أباه المستجد بالله، وأخاه المستضيء، وابن أخيها الناصر، وابنه الظاهر، وابنه المستنصر، ثم ابنه المستعصم، وقيل أنها قاربت الثمانين، وبنّت ببغداد رباطاً يُعرف بها⁽²⁾.

رباط السيدة هاجر في بغداد

أمرت ببناء هذا الرباط السيدة هاجر زوجة الخليفة المستنصر بالله، وام الخليفة المستعصم بالله، آخر الخلفاء العباسيين، المتوفاة سنة 646هـ/1248م، الى جانب تربة (مدفن) أنشأتها لنفسها في شارع ابن رزق الله احد شوارع الجانب الغربي من بغداد⁽³⁾ واستغرق بناؤه عدة سنين بعد وفاتها إذ جرى افتتاحه كما يذكر صاحب كتاب الحوادث سنة 650هـ/1252م. قال في حوادث تلك السنة «وفيها فتح الرباط المستجد الذي أمرت أم الخليفة المستعصم بعمارته الى جانب تربتها بشارع ابن رزق الله وحضر الوزير وكافة أرباب الدولة وكان الخليفة في سطحه وعملت فيه دعوة عظيمة وخُلع على كل من تولّى عمارته»⁽⁴⁾.

والسيدة هاجر هي، كما وصفها ابن طباطبا الطقطقي «من بنات الناس»، أي من عامة الشعب، أصلها من بندنجين (مندلي الحالية) وكانت «ذات بُرج وُسك»⁽⁵⁾

(1) كتاب الحوادث 305.

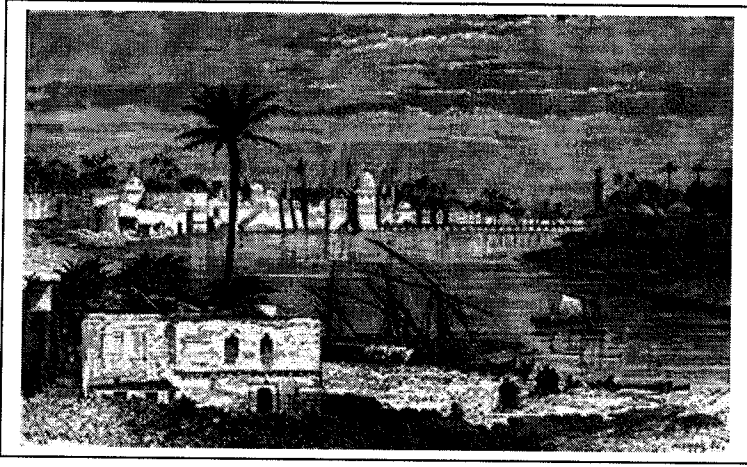
(2) المنتظم ج 10 ص 250.

(3) كان هذا الشارع مجاوراً لنهر عيسى الآخذ من نهر الفرات والنافذ بين دروب الجانب الغربي الى دجلة عند جامع قمرية في الكرخ.

(4) كتاب الحوادث ص 304.

(5) ابن طباطبا الطقطقي: الأصيلي الورقة 127.

ووصفها صاحب الحوادث بأنها «كانت راغبة في فعل الخيرات والمواصلات⁽¹⁾ للفقراء،
حجّت في خلافة ولدها وتصدقت في تلك السنة بأموال كثيرة»⁽²⁾.



بغداد سنة 1837

يظهر عن يمين الصورة جامع قمرية، وعن يسارها قلعة بغداد، تتلوها مباني
السراي وفصور الماليك، فجامع الوزير، ثم جسر بغداد العائم، فجامع الاصفية
وبعده المدرسة المستنصرية

رباط العِصْمِيَّة

ومن مبرات السيد شمس الضحى الأيوبية، أنها أنشأت إلى جوار مدرستها
المعروفة بالعِصْمِيَّة، عند مشهد عبيد الله بن عمر، رباطاً للمتصوفة، وجرى افتتاح
هذا الرباط مع المدرسة سنة 671هـ/1272م⁽³⁾.

وقفية خوري بنت منصور على تكية الحاج بكتاش

وقفت السيدة خوري بنت منصور، من أهالي قسبة بَندِنِجِين (مندلي) البستان،
المعروف باسم بستان سُويد في البلدة المذكورة على (تكية) الحاج بكتاش ولي، على أن
يُنْفَق المتبقي من الغلة على تعمیر البستان نفسه، وذلك بموجب وقفيها المؤرخة في
جمادي الاولي 1113هـ/تشرين الاول 1701م.

(1) المواصله هنا: المحبة وبذل الصلات.

(2) كتاب الحوادث ص262.

(3) كتاب الحوادث ص408

وقفية صالحة بنت السيد علي البندنجي على تكية البندنجي ببغداد

تكية مشهورة ببغداد، أنشأها الرجل الزاهد السيد علي البندنجي (المتوفى سنة 1186هـ) في شرقي جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ببغداد، والحق بها مدرسة لطلاب العلم، ووقف على مصالح التكية والمدرسة بعض العقارات في قسبة مندلي (بندنجين) و«شرط أن يكون المتولي عليها أعلم تلميذ فيها».

وفي سنة 1257هـ/1841م وقفت السيدة صالحة بنت السيد علي البندنجي بعض الأملاك على مصالح التكية، وهي جميع البستان الشهيرة ببستان رجب الواقعة على نهر السُّوق من قسبة بِنْدَنجِين، وكذا قطعة البستان الشهيرة بقطعة فاطمة خاتون الواقعة في المحل المذكور، وشرطت أن يرجع ثلث نماء الوقف بعد وفاتها «الى فقراء تكية والدها المرحوم السيد علي البندنجي»⁽¹⁾ يصرفه لطعامهم وشرابهم، وبعد انقراض ذريتها تعود غلة الوقف جميعاً الى فقراء التكية المذكورة. وقد سُجِّل ذلك في 14 صفر من السنة المذكورة⁽²⁾.

وقفية أم كلثوم على تكية البندنجي ببغداد

ووقفت السيدة أم كلثوم خاتون بنت أحمد أفندي، من سَكَنَة كركوك، الثمن الشائع من نهر صيدلان الواقع في ناحية زَنَكِبَاد «على تكية المرحوم ساكن الجنان السيد علي مندليجي الواقعة قرب محلة حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد»⁽³⁾، بموجب وقفيتها المؤرخة في 3 ذي الحجة 1226هـ.

وقف مريم بنت إبراهيم على مصالح تكية البندنجي ببغداد

وفي سنة 1325هـ/1907م وقفت السيدة مريم بنت حسين من أملاكها الدار الواقعة في فَضْوَة عَرَب من محلات باب الشيخ، وبساتين ودكاكين في قسبة مندلي على ذريتها، ثم على مصالح مرقد السيد حسن الكائن في فضوة عرب، وبعد الإنقراض تكون الغلة والتولية بيد شيخ السجادة في تكية السيد علي البندنجي، وسجلت الوقف في 3 من رجب من السنة المذكورة⁽⁴⁾.

(1) يلاحظ الفارق الزمني بين تاريخ وفاة السيد علي البندنجي وتاريخ وقفية السيدة صالحة.

(2) سجلات الاوقاف ج1 ص131.

(3) الأوقاف ج17 ص53

(4) الأوقاف ج4 ص175.

رابعاً: الخدمات الصحية والبلدية

مستشفى أم المقتدر

أشأته السيدة شَغَب، زوجة الخليفة المعتضد بالله، وأم الخليفة المقتدر بالله، في سوق يحيى على دجلة من الجانب الشرقي ببغداد (من أرض الأعظمية اليوم) وافتتحته أول محرم سنة 306هـ/14 حزيران 918م. وكانت ادارة المستشفى الطبية بيد رئيس الأطباء في عصره وطبيب الخلفاء، سنان بن ثابت بن قُرّه الحراني المتوفى سنة 231هـ/942م، فهو الذي يُعَيِّن الأطباء في المستشفى ويشرف عليهم، أما الإدارة المالية فكانت بيد يوسف بن يحيى المنجم، ولم يكن ثمة تداخل بين عمل الإدارتين، وقد بلغت النفقة على هذا المستشفى في كل شهر ستمائة دينار (وهو مبلغ ضخم بحسب أسعار ذلك العصر)⁽¹⁾.

قنطرة السيدة بنفشأ وجسرأ في بغداد

من أعمال السيدة بنفشأ بنت عبد الله زوجة الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1180م) ذات النفع العام في بغداد، أنها أمرت ببناء قنطرة على نهر عيسى في الجانب الغربي من بغداد، وكان هذا يأخذ من الفرات ويصب في دجلة، وتسير فيه السفن، كما أمرت بعقد جسر جديد يصل بين أعلى دار الخلافة العباسية في الجانب الشرقي وما يقابله من الجانب الغربي، وهو باب الرقة حيث بستان الخلفاء⁽²⁾.

دار الشفاء الإيكية

أنشأها السيدة مخدوم شاه الملقبة (إيكية) في منتصف القرن الثامن للهجرة (14م) واليها نسبت، وكانت على جانب دجلة في الجانب الشرقي من بغداد⁽³⁾.

بيت القضاة في بغداد

أنشأت عادلة خاتون (1112-1188هـ/1700-1774م) بنت والي بغداد احمد باشا، قرب المحكمة الشرعية ببغداد، داراً خصصتها لسكنى القضاة الذين كانوا يقدمون إلى بغداد، ولم يكن ثمة دار تختص بهم قبل ذلك، وقد ذهب بعض الكتّاب إلى

(1) ابن القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص122 وابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1 ص272.

(2) ابن الساعي: جهات الأئمة الخلفاء ص113.

(3) التاريخ الغياثي ص93.

أنها أنشأت أيضاً مبنى المحكمة الشرعية نفسه⁽¹⁾، بينما تشير النصوص الوقفية والتاريخية إلى أن هذا المبنى يرقى إلى عصر سابق على عادلة خاتون إذ أشير إليه في وقفية حسين افندي المؤرخة سنة 1089هـ/ 1686م وفي وقفته المؤرخة في سنة 1100هـ/ 1688م⁽²⁾. وذكر الشيخ عبد الله السويدي أنه كان يتلقى العلم في أول شببته في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة (18م) في المدرسة الأحسائية (جامع التكية الخالدية فيما بعد) على شاطئ دجلة «على يسار محكمة القاضي»⁽³⁾، فما وقفته عادلة خاتون كان الدار التي خصصته لإقامة القضاة، وكلهم كان يقدم إلى بغداد من مدن أخرى، وليس مبنى المحكمة نفسه⁽⁴⁾.

وذكر السيد محمد سعيد الراوي أن الدار التي وقفها على سكنى القضاة كان في الأصل دارها⁽⁵⁾، وهي إشارة مهمة يؤيدها الدروبي حين نوه بأن هذه الدار «كان قصرها الذي تسكنه بجنب المحكمة الشرعية»⁽⁶⁾. ومن الراجح أن تكون قد عمرت المحكمة تعميراً شاملاً، أو أعادت بناءها على هيئة جديدة. ولاحظ الراوي أن المحكمة ليست من أوقافها كما يقول بعض الناس ظناً، لأن وقفية الجامع تنطق بالمحكمة الشرعية، وتعتبرها حداً من حدود ما وقفته، وقد كانت المحكمة قبل وجود الجامع المذكور وأوقافه.

وقد بقي الحال كذلك حتى أواخر العصر العثماني وأوائل عهد الدولة العراقية، غير أن دار سكنى القضاة تداعت ولم تعد صالحة للسكن، ومع أن المحكمة الشرعية بقيت تزاوّل أعمالها في المبنى القديم، فإن البناء نفسه أصبح، في ثلاثينيات القرن العشرين آيلاً للسقوط ومعرضاً للخطر.

(1) ذكر عبادة أنها «شرطت أن تكون محلاً للقضاء ولسكن القضاة»، ولم نجد في وقياتها ما يدل على هذا الشرط. العقد اللامع ص 355 والآلوسي: مساجد بغداد وآثارها ص 45.

(2) محمد سعيد الراوي: خير الزاد، تحقيقنا في ص 109.

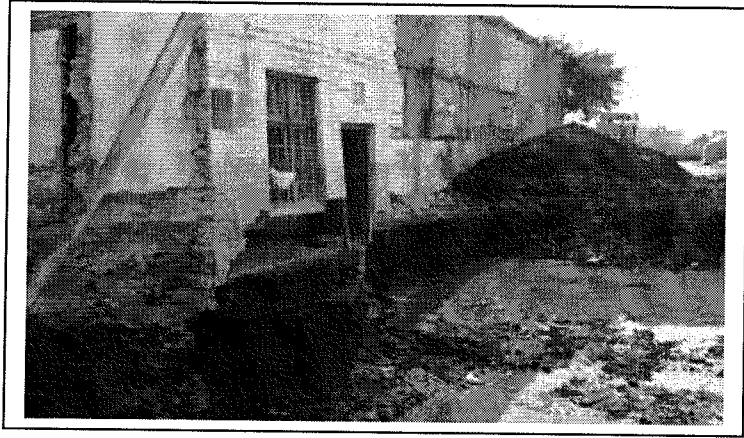
(3) النفحة المسكية في الرحلة المكية، بتحقيقنا ص 70.

(4) وكان آخر من سكن تلك الدار من القضاة هو المرحوم محمد سعيد الحديثي قاضي بغداد الأسبق، وسمي الحمام المجاور للمحكمة الشرعية لهذا السبب (حمام القاضي)، وهو من أوقاف ليلى خاتون بنت جواد آغا، وقد هُدم هذا الحمام وبُني في مكانه سوق التجار حالياً. المميز: بغداد كما عرفتها ص 168 والدروبي: البغداديون ص 125.

(5) خير الزاد ص 109.

(6) فهرست الوقفيات المسجلة في سجلات المحكمة الشرعية، الورقة 341ب. ونرجح أن تكون قد أنشأت قصرها هذا بعد وفاة زوجها سليمان باشا، إذ كان الولاة يسكنون حتى عهده في قصر مخصص لهم على شاطئ دجلة بينه وبين سراي الحكم.

وفي سنة 1352هـ/1934م شيدت وزارة العدلية (العدل) بناءً جديداً للمحكمة في موقع المبنى القديم.



مكان المحكمة الشرعية بعد نقضها وإزالة أنقاضها سنة 2012

وكانت الواقعة قد دُفنت في مقبرة الإمام أبي حنيفة، وعند تجديد المحكمة، أقيم في وسط باحة المحكمة الشرعية القديمة قفص كبير ليضم رُفاتها بعد نقله من موقعه الأول. وقبل المباشرة بالهدم والبناء جرى الإتفاق بين المتولين السابقين من آل المميز، وبين وزارة العدلية، على تخصيص إحدى حُجرات المبنى الجديد لنقل الرُفات إليها، وقد تم ذلك سنة 1934، ونُقل الرُفات إلى حجرة خاصة تقع على الجهة اليسرى من مدخل المحكمة، ثم استخدمت هذه الحجرة - مع وجود القبر- مخزناً لسجلات المحكمة مدة من الزمن.

ولقد ظلت هذه المؤسسة النافعة تقوم بمهامها الإجتماعية لأهل بغداد منذ عهد الواقعة، وسُميت محكمة الأحوال الشخصية في الرصافة. وفي سنة 2012 رأت الجهات (المسؤولة) أن تستفيد من موقعها المهم لأغراض تجارية بحتة، فكان أن أزلت مبناها بالكامل، وشيِّدت على أرضها سوقاً مقللاً (قيصرية)، فزال بذلك معلّم مهم من معالم بغداد ارتبط بتاريخها نحو أربعة قرون أو يزيد.

سقاية عادلة خاتون في جامعها الكبير

ومن مبررات عادلة خاتون أنها أنشأت سقاية كبيرة لتزويد جامع العادلية الكبير والمنشآت المجاورة، فضلاً عن سائر الناس، بمياه الشرب. وكانت تلك السقاية تتألف من بئر عميقة تقع عند الشاطئ النهر، مقابل شريعة المحكمة، قد نُبِت فيها دولا ب

(كرد) تحركه الدواب، فيرفع الماء من البئر إلى قناة عالية، مبنية على عقود من الآجر، أنشئت بجوار الزقاق النافذ من الشريعة المذكورة حتى تقطع، على قنطرة معقودة، درب رأس القريّة فيجري الماء فيها حتى يصل إلى حوض خاص في الجامع، يستقي منه الناس، ودون أن تمسه يد سقاء قط. وقد ورد في وقفيته المؤرخة في سنة 1171هـ/1767م أن مما وقفته على جامعها ومدرستها البئر والدولاب على دجلة والساقية القديمة الممتدة إلى الجامع الشريف المقابلة⁽¹⁾، وأنها شرطت لـ «من يخرج الماء من البئر» راتباً يومياً قدره خمسة عشر آقجة، فضلاً عن عشرين آقجة للسقاء. وقد أوقف العمل في الكرد بعد تزويد الجامع والمنشآت الأخرى بالماء الصافي بواسطة الأنابيب المعدنية الحديثة والمضخات⁽²⁾.

سقاية عادلة خاتون في جامعها الصغير

أنشأتها في مسجدها المعروف بالعادلية الصغير في محلة الدنكجية القديمة، على طريق الجسر القديم (جسر المأمون فالشهداء حالياً) وخصّصت راتباً لمن يقوم برفع الماء من بئر الجامع قدره خمسة عشر آقجة، وعشرين آقجة للسقاء⁽³⁾. وكان على باب المسجد لوحة من الرخام عليها ستة أبيات دالية فيها إشارة إلى السقاية وتاريخها، منها:

فلما زهى بُنيانُ باب دُخوله لنا وجلى ماءً لضمآن من الصدى
هناك اقتبسنا آية الذكر أرخوا لربّ السّما الهادي أدخلوا الباب سجداً

(1161)

سوق القيسرية

أنشأته السيدة عادلة خاتون أيضاً، وكان هذا السوق يقع قريباً من سوق البزازين أحد أسواق الجانب الشرقي من بغداد⁽⁴⁾، في طريق ضيق عرف بطريق المصبغة، وقد وقفت فيه دكاكين أشير إليها في وقفيته، ووصفها أمين المميز بأنها

(1) ينظر نص الوقفية في ملاحق كتابنا (عادلة خاتون) الطبعة الثانية.

(2) كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، بغداد 2002 ص 112.

(3) عبادة: العقد اللامع وكتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب ص 111.

(4) كتابنا: معالم بغداد ص 219.

شيدت على أرض مساحتها تقرب من مائتي متر مربع، ولها مدخل يؤدي إلى فناء بمساحة 5x5 متر تقريباً. وفي المدخل سلّمان يؤديان إلى الطابق العلوي، ويحيط بالفناء عدد من الدكاكين ومرافق، بينما يحيط الطارمة العليا عدد من العُرف (مُسافرخانه) أي فندق. ويعلو الفناء سقف تتوسطه كوة ذات مزاغل أشبه بالشبابيك مفتوحة من جهاتها الأربع، وذلك للتهوية ودخول أشعة الشمس⁽¹⁾.

خان عادلة خاتون في قوش تبة

تقع بلدة (قوش تبة) على الطريق المؤدي من بغداد إلى أربيل، على مسافة لا تتجاوز 30 كم عن مركز الأخيرة، وقد نُسبت البلدة إلى تل عال مجاور سُمي بهذا الاسم، ويعني تل الطير، وهي اليوم بلدة زاهرة متنامية.

وقد ذكر نيبور أن الفضل في تأسيس بلدة قوش تبه، يعود إلى هذه السيدة وإلى أبيها والي بغداد أحمد باشا، فقال في رحلته «وقرية قوش تبه تسمى خان عادلة أيضاً، ومع أن جميع أراضي هذه المنطقة كثيرة الخصب إلا أنها كانت إلى قبل بضعة أعوام صحراء قاحلة، خالية من السكان، ما خلا بعض الأكراد الذين يتجولون فيها في أوقات معلومة من السنة، وقد أمر أحمد باشا والي بغداد بحضر بئر وإقامة دار للراحة في هذا المكان وذلك لتسهيل الطريق على السعاة وموظفي البريد. كما أمرت ابنته عادلة خاتون بتشديد خان لتأمين راحة المسافرين والمستطرقين».

وأصدر الباشا فرماناً⁽²⁾ يقضي بمنح الحرية وحق زرع الأراضي المحيطة بهذا المكان لكل من يرغب السكنى فيها من الفلاحين، و«بهذه الطريقة تكونت قرية كبيرة في مدة وجيزة من الزمن»⁽³⁾.

ويُعد خان عادلة خاتون في قوش تبة أنموذجاً واضحاً على مجموعة الخانات التي أنشأتها هذه السيدة المحسنة في أنحاء مختلفة أخرى من العراق، فهو يشغل مساحة مستطيلة في جنوبي القرية، ويتألف مبناه من مدخل حصين، حيث يبلغ ثخن الجدار الخارجي نحو المتر، وإذا دُكف زائرُه إلى الداخل رأى حجرة مقببة،

(1) بغداد كما عرفتها ص105.

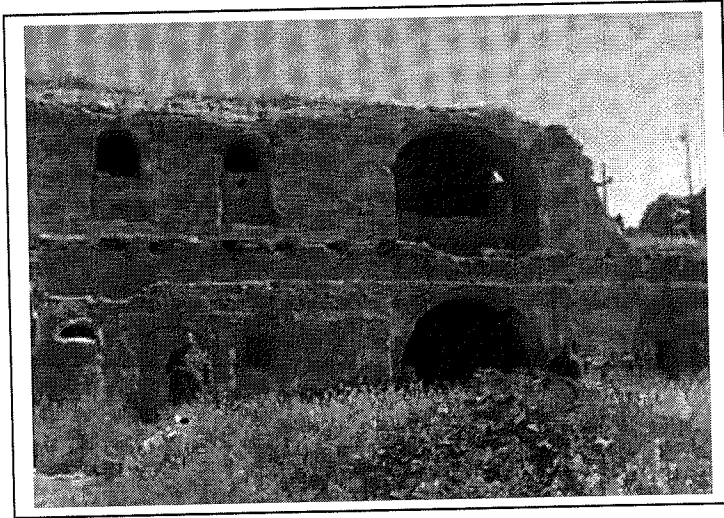
(2) الفرمان هو الأمر الصادر من السلطان حصراً، وكان الأولى ان يسميه (بيوراولدي) وهو مصطلح تركي بمعنى (تفضل به) وكان يختص باصداره الولاية.

(3) نيبور: رحلة ص89.

يُنْفذ من يسارها عبر إيوان عال إلى فسحة مستطيلة مكشوفة، وإذا نفذ إلى اليمين رأى مخرجاً لحجرة مشابهة لكنه مغلق حالياً، أما إذا تقدم إلى الإمام فسينفذ من خلال عقد عال إلى رواق صغير على هيئة الحجرة السابقة يطل من واجهته على فناء واسع، وعن يمينه حجرة مقببة لها نافذتان، أما عن يساره فحجرة مقببة مشابهة لسابقتها، ولها نافذتان تطلان على الفناء، وثمّ سلم عال يبدأ بالصعود من مكان في مدخل الحجرة اليمنى المشار إليه سابقاً ويدور فيصل بالصاعد إلى الطابق العلوي، ويتخذ هذا الطابق في تصميمه وارتفاعه ومواد بنائه هيئة الطابق المذكور، ففيه حجرة مقببة وتوجد عن كل من يمينها وشمالها حجرتان مشابھتان.

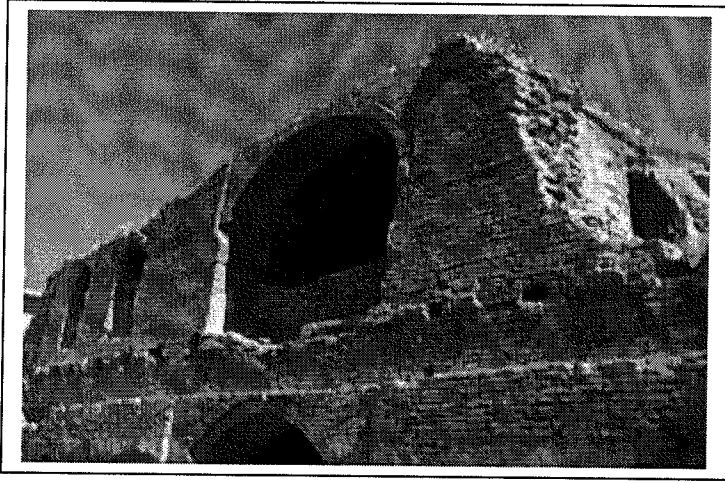
وثمة جناحان يتصلان بجناح المدخل هذا من يمين وشمال، فأما الذي من يمينه فيتألف من حجرتين مقببتين تتصل كل منهما بالأخرى، أعدت لتكون مطبخاً للنازلين في الخان، وثمة مرفق صحي في نهاية هذا الجناح. أما الذي عن الشمال فيتألف من إيوان كبير، يظهر أنه أعد لراحة الناظرين. وقد أضيفت في وقت متأخر ثلاث حجرات إلى هذا الجناح، من طابوق نبيء وفُصل الإيوان المذكور بجدار في وسطه.

وفناء الخان يتخذ شكل مستطيل كبير، بلط القسم القريب من جناح المدخل بالأجر الفَرَشِي، وفي وَسَطِهِ آثار بئر للماء، وثمة صف من حُجُرَات وأواوين في الجهة المقابلة من الخان، نُقِضَ ولم يبق منه إلا بقايا تتصل بسور الخان.



خان عادلة خاتون في قوش تبة- جناح المدخل (تصوير المؤلف)

بني الخان بقطع من الأجر المفخور، حسن الصنع، من حجمين مختلفين، وقد أحيطت نوافذ الطابق العلوي بإفريز يعلو عقده تاج تساقط معظمه.



خان عادلة خاتون في قوش تبة- جناح المدخل (تصوير المؤلف)

ذكرنا أن الخان يبعد عن مركز أربيل، أي قلعتها الأثرية، نحو ثلاثين كيلو متراً، ومعنى هذا أن عادلة اختارت أن تنشئ خانها على بعد مرحلة كاملة من أربيل، والمرحلة ما كانت تقطعه القوافل في النهار الواحد، وتقدر بخمسة فراسخ، ويساوي الفرسخ 6 كم، ولنا هنا أن نتساءل: وماذا عن المراحل الأخرى في طريق يبلغ نحو 400 كم، فيها الكثير من المفاوز والقفار، إن منطق الأشياء يقضي أنها أنشأت خانات أخرى على طول هذا الطريق، لأنه لا يعقل أن تنشئ خاناً في قوش تبة، وتترك سائر الطريق خالياً من أي منزل يمكن أن تبيت فيه القوافل، أو تحتمي فيه من أي تهديد محتمل، وإلا لا يكون لخانها في قوش تبة أي جدوى عملية إذاً، وقد أسعدنا الحظ أن وقفنا على إشارة مهمة تدل على وجود خان في بلدة آلتون كوبري⁽¹⁾، على الزاب الأسفل، وهي بلدة تبعد عن خان قوش تبة بنحو 30 كيلو متراً أيضاً، أي مسافة مرحلة كاملة، ومجرد وجود هذا الخان يدل على احتمال وجود خانات أخرى بين كل مرحلة وأخرى، لا سيما في الفضاءات التي تقع في

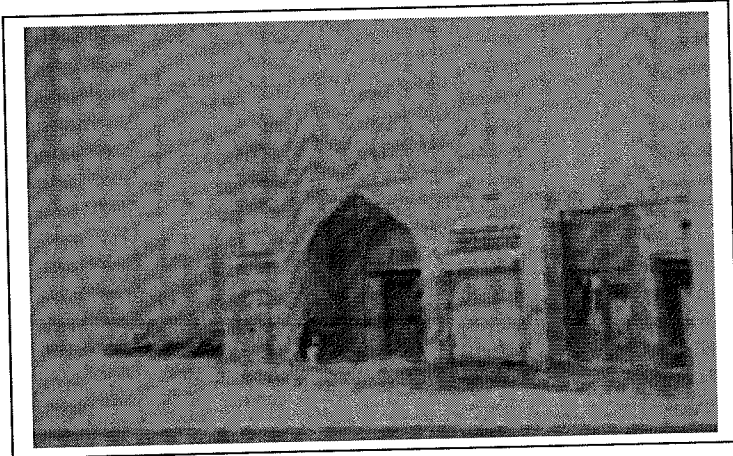
(1) ذكر الرحالة ليكلاما في أثناء مروره بالبلدة أنه كان ثمة خان في آلتون كوبري «كان سابقاً كاروان سراي جميل واليوم مهدم»

Lyclama, voyage en Russie, au Caucase et en Perse, dans la Mesopotamie le Kurdistan, 1866-1867 et 1868, Amsterdam, P.88.

خارج المدن. ومن المؤسف أننا لا نمتلك معلومات كافية عن تلك المنشآت وما آل إليه مصيرها، نظراً لسكوت الرحّالين عن ذلك، وهنا علينا أن نتذكر أنه حتى خان قوش تبه، على أهميته وضخامته، ما كنا نسمع به لولا ما نوه به الرحالة نيبور من إشارة فريدة بشأنه.

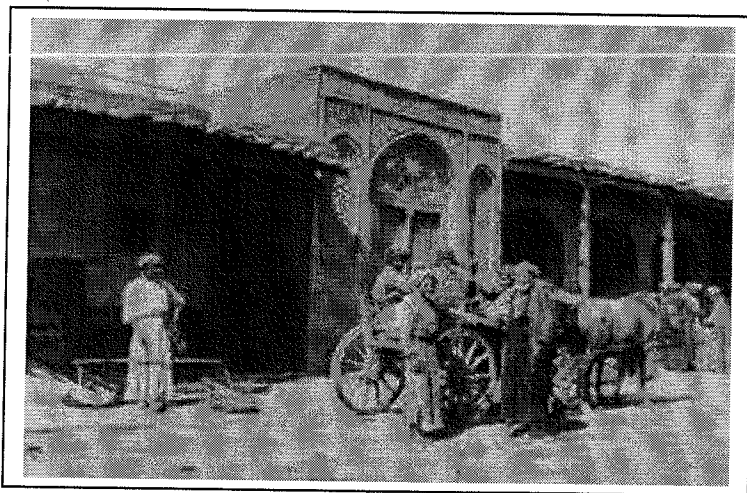
خان المحمودية

ومن مبررات عادلة خاتون أنها أنشأت خان المحمودية الذي يصفه نيبور بأنه بين خان النص وخان آزاد، على طريق الحلة، وقد نشأت عند هذا الخان على الفور قرية تُسبب إلى الخان، فقبل لها المحمودية، ومر بها نيبور في 5 كانون الثاني سنة 1766م، فقال «قرية المحمودية التي بنتها قبل بضع سنوات فقط عادلة خاتون زوجة سليمان باشا»⁽¹⁾. وقد نمت هذه القرية في القرن التالي حتى أصبحت بلدة كبيرة، واليوم هي مدينة مهمة تعد مركز قضاء باسمها تابع لمحافظة بغداد.



أما الخان فهو أنموذج آخر على الخانات التجارية التي أنشأها عادلة خاتون، من حيث المتانة والسعة ووفرة الخدمات، وهو في تصميمه العام شبيه بالخان الذي أنشأته في قوش تبه، ويمكن وصف عمارته بأنه يشغل أرضاً مستطيلة، له مدخل عال يتألف من طابقين، يبرز عن سور الخان الخارجي، ويوجد في الطابق الأرضي ايوان كبير من الخارج، مُدبب الرأس، ينفذ منه، من خلال باب، إلى الداخل، ويعلو الباب من الداخل عقد مدبب، وهو مفتوح على فناء الخان.

(1) رحلة نيبور ص 148.



أما الطابق العلوي فيوجد فيه ايوان مشابه للإيوان الأرضي، ولكن لا يوجد على جانبيه جناحان كما في خان قوش تبة، وإنما يزين هذا الطابق من خارجه، صف من الزينة الآجرية على هيئة أووين صغيرة مصممة، وثمة نافذتان على شكل عقدين مديبين عن يمين الباب الخارجية وشمالها. ويحيط بالفناء أووين معقودة على شكل نصف دائري يبلغ عددها (34) إيواناً في جهتيه الشمالية والجنوبية يقابلها (40) إيواناً أخرى في الجهتين الشرقية والغربية، وأمام كل ايوان معلق وحلقة حديدية مثبتة بعمود من الخشب تستخدم لربط الحيوانات. ويتوسط الفناء أيضاً، مصليان بشكل مستطيل يرتفع كل منهما نحو 1,5 م عن سطح الأرض وقد فرشت أرضيتهما بالطابوق الفرشي⁽¹⁾، وتتقدم أووين الخان سقيفة خشبية مغطاة بالحُصر تستند على دعائم من الخشب، وكانت مُعدّة لسكنى من ينزلون فيه واستراحتهم. وفي وسط الخان كان ثمة بئر يستخدم لإرواء الناس والدواب. ويلاحظ أن الخان يخلو من موضع خاص بالدواب عن شمال المدخل، كما في قوش تبة، وإنما تربط الدواب في ركن يلي المدخل من الداخل مباشرة. والبناء كله مشيد بالآجر المفخور، ويحجم واحد في أغلبه، مما يدل أنه أعد خصيصاً لبنائه، ولم يكن منقولاً من مبان أخرى.

ما زال الخان شاخصاً، وقد أحاطت بجدرانه صفوف من الدكاكين، وهو يعد أكثر المواقع التراثية أهمية في مدينة المحمودية الآن.

(1) علي هادي المهداوي، موقع على الأنترنت.

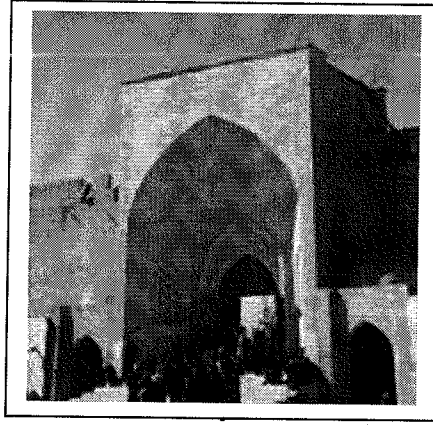
تعمير جامع الكوفة

لم تقتصر عناية عادلة خاتون على إنشاء أو تعمير الخانات التجارية في الطرق الخارجية، وبناء الجوامع والمدارس ومشاريع الخدمات العامة في المدن، فحسب، وإنما سعت إلى تعمير بعض المعالم الإسلامية الكبرى في العراق، ومن أهم تلك المعالم مسجد الكوفة الشهير، وكان هذا المسجد الكبير قد أصابه، بعد اندثار الكوفة نفسها في القرون المتأخرة، شيء كثير من الإهمال، فتشعثت أركانه، وتهدم جانب كبير من جدرانه الخارجية، وتعطلت وظائفه، حتى وصفه نيبور، وقد مر به سنة 1179هـ/1765م، بـ «الجامع المتهدم»، وصار يؤدي- في أكثر تقدير- دور محطة على طريق زوار النجف الأشرف، فعمدت هذه السيدة إلى صيانة المسجد، وترميم جدرانه، وكانت جدرانه من ناحية الشمال الغربي قد انهارت بالكلية، فأعادت هي تشييدها، وبحسب نيبور فإنها رمت بعض تلك الجدران وشيدت البعض الآخر، ثم أن همتها انصرفت إلى العناية ببعض المشاهد التاريخية والمقامات الدينية التي يضمها الجامع، وإحداث إضافات فيه، من ذلك أنها أمرت بإنشاء بناية صغيرة ذات قبة واحدة، قرب الجامع ضمت عدة مواضع مهمة، ومن المعلوم أن ضخامة هذه الجدران المفرطة وارتفاعها كان يستلزم نفقات كبيرة وجهداً بالغاً عهد ذلك⁽¹⁾.

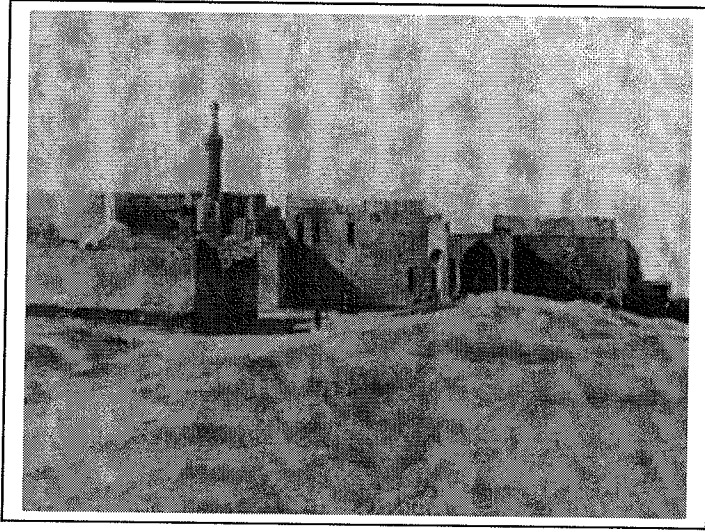
وإذ أشاد نيبور بهذه الأعمال، فإنه ذكر أن من قامت بها عادلة خاتون زوجة سليمان باشا، وقال «التي توفيت منذ بضع سنوات»، وهذا غريب فعلاً، لأنه زيارته لهذا المسجد كانت في يوم 22 كانون الأول سنة 1765م ويوافق 9 رجب 1179هـ، بينما كانت وفاة عادلة في سنة 1188هـ/1774م، ويظهر أنه أراد أنها بنت ما بنت قبل بضع سنين، فهذا يتسق مع ما ذكره عن قرية المحمودية التي مرَّ بها بعد أقل من اسبوعين من هذا التاريخ⁽²⁾، وهكذا يكون إنشاؤها لهذه الأماكن في أواسط العقد السابع من ذلك القرن تقريباً.

(1) في سنة 1290هـ/1873م نزل الكوفة بعض الناس وبنوا فيها بيوتاً من القصب على ضفة الفرات اليمنى، فكانت تلك البيوت نواة لحركة عمرانية نامية، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى عدَّت الكوفة ناحية تابعة لقضاء النجف. كتابنا: الأسر الحاكمة ص351.

(2) رحلة نيبور ص1148.



بوابة مسجد الكوفة



مسجد الكوفة (صورة قديمة)

سقاية سُكينة بنت محمد

أنشأت هذه السقاية الحاجة سُكينة (وتعرف أيضا باسم سكي) بنت محمد في مسجد كانت تتولاها أسرتها منذ سنة 1048هـ/1638م، وموقعه في الأرض التي شغلها قشلة بغداد، وكان موضع السقاية منه مما يلي باب الجامع من شرقيه في السوق، ورتبت من يُعنى بالسبيل (مُسبلاً) وسقاء ماء إلى حوض السبيل، وشرطت للأول يوميا خمس آقجات وللثاني ست آقجات، ولبثت هذه السقاية قائمة حتى

هُدِمت في عهد ولاية مدحت باشا سنة 1286هـ/1868م، وقيل أن كتابات أثرية حطمت في أثناء هدمها⁽¹⁾.

سقاية وهبي خاتون ببغداد

أنشأتها السيدة وهبي خاتون بنت عبد الله «في سوق المرحوم عبد الله باشا» ببغداد، ولا نعرف مكان هذا السوق، ووقفت لتعميرها والانفاق على سائر لوازمها من العقارات الحديقة الواقعة في ناحية بدرية من مضافات مدينة بغداد، عند خرق البكتاشية، والحديقة الواقعة في قرية زرباطية التابعة للناحية المذكورة حسبة لله تعالى، وذلك في 20 ذي الحجة سنة 1179هـ/24 كانون الثاني 1782م⁽²⁾.

سقاية فاطمة خاتون على جامع النعمانية

أنشأت فاطمة خاتون بنت بكتاش بن ولي مسجدها الذي عرف بجامع النعمانية، نسبة إلى زوجها وهو متوليه، نعمان آغا، وذلك سنة 1185هـ/1771م، ووقفت عليها، وعلى الجامع أوقافاً جمّة، وكان موضع السقاية من المسجد قرب بابها يُطل شبّاكها على الطريق، وفي سنة 1322هـ/1902م أعاد من اسمه عبد الحميد تعمير السقاية وكتب على رخامة فوق شبّاكها ستة أبيات دالية، من نظم الشاعر عبد الرحمن البناء، في ثلاثة أسطر، وبيت التاريخ هو

ترى الكوثر الصايف عليه مؤرخاً ورودك حوض السلسبيل حميداً

سقاية نابي خاتون

أنشأتها السيدة نابي خاتون بنت عبد الله، زوجة والي بغداد سليمان باشا الكبير، باتصال مدرستها المتقدمة (تنظر هذه المادة) سنة 1236هـ/1820م، ووقفت عليها عقارات جمّة أثبتتها في وقفيتها المؤرخة في 28 رجب 1237هـ/1821م⁽³⁾.

سقاية أمينة خاتون

أنشأتها السيدة أمينة خاتون، إحدى المحسنات ببغداد في العصر العثماني، وكتبت

(1) العقد اللامع ص 277 وكتابتنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، بغداد 2001، ص 178.

(2) الأوقاف ج 10 ص 57.

(3) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط)

على جدارها أبيات يفهم منها تاريخ الإنشاء وهو سنة 1210هـ/1799م. وهذه الأبيات هي:

راق ومنه طاب نفساً وارده	ذا سلسبيلٌ ماؤه سلسلٌ
شرابه يروي العطاش بارده	زلاله عذبٌ فراتٌ سائغٌ
موصولة لشارب عوائده	عينُ الرضا قد سلسله صافياً
نافعة والخير صاف شاهده	خيراته أمينة من ربية
تاريخه حوض (صفت موارده)	مُرصعاً بجوهر العقد أتى

1214

سقاية نازنده خاتون

أنشأتها السيدة نازنده خاتون بنت مصطفى آغا (توفيت سنة 1284هـ/1867م) وافتتحها سنة 1263هـ/1846م⁽¹⁾، وكانت تقع في الجامع الذي شيده في محلة الحيدرخانه، قريبة من شارع الرشيد، يطل شباكها على الطريق، وخصصت لها من الأوقاف العيدة التي وقفتها مبلغاً قدره (1800) قرشاً رائجاً للإنفاق على صيانتها، وتزويدها بالماء على الدوام⁽²⁾. قال السيد محمد سعيد الراوي واصفاً الجامع «وأنشأت فيه سقاية للمارين والعابرين، مطلة على الطريق»⁽³⁾ وذكر أنها كتبت على جدارها هذه الأبيات⁽⁴⁾:

لنازنده خاتون المحامد قد غدا	لها عند ذكر الصالحات ثناء
فكم عمّرت لله بيتاً وكم بها	بجير قلوب المُعدمين بناء
لأعمالها المرّضاة عند إلهها	من الصدقات الجاريات بقاء
فذي بقعةً من بعض آثار برّها	بها منهلٌ عذب المياه صفاء

(1) إبراهيم الدروبي: البغداديون ص340.

(2) مجموعة من وقفيات بغداد.

(3) خير الزاد ص260

(4) عبادة: العقد اللامع ص172 وخير الزاد ص263.

أعدت لوراد السبيل فأرخوا (بموردها للشاريين شفاءً)

1263

وقد تعطلت هذه السقاية منذ أن لحق الخراب الجامع نفسه، في أوائل القرن العشرين⁽¹⁾.

وقفية عائشة بنت عبد القادر على سقاية آل مدلج

كانت السيدة عائشة بنت عبد القادر آل مدلج الرحبي، قد وقفت سنة 1240هـ/ 1670م بستاناً في الكاظمية على مصالح السقاية التي أنشأها جدها الشيخ مدلج (المتوفى سنة 1081هـ/1670م) في محلة عز الدين الجديداي (قسم من محلة السنك اليوم) وأضافها إلى المسجد الذي أنشأه هناك وتعهدهت أسرته بالعناية من بعده⁽²⁾.

وقف كلي بنت علي في بغداد

أنشأ رجل يدعى عيفان بن صالح البناء، حماماً فنسب إليه، وكان يقع في جانب من محلة الفضل، فعرفت المحلة لشهرته باسم (الفضل وعيفان)، بل عد ما حوله محلة قائمة بذاتها، ثم أن الحاجة (كلي بنت علي) اشترت هذا الحمام سنة 1309هـ/ 1891م ووقفته على ابنتها عواشة، وابن زوجها الحاج توفيق بن الحاج محمد، ثم على أولادهم من بعدهم، وبعد الانقطاع «إلى الفقراء والعلماء القاطنين في بغداد»⁽³⁾.

سقاية نافعة خانم في بغداد

ومن المشاريع الخيرية ذات النفع العام، السقاية التي أنشأتها السيدة نافعة خانم بنت والي بغداد محمد رشيد باشا الكورنكي (1268هـ/1851-1856م) في محلة الميدان ببغداد لإرواء المارة وأبناء السبيل، وبعد وفاة هذه السيدة تولت أمها السيدة فاطمة خانم بنت أحمد بك، وهي زوجة الوالي المذكور، بإدامة الإنفاق على هذا المشروع الخيري إذ وقفت عليه سنة 1280هـ/1863م جملة من أملاكها في نواحي ديالى، وهي نصف الحصاة الشائعة من عقارات قرية (عنه بكلي) وهي التي عرفت

(1) أعادت الأوقاف بناء ليكون مدرسة دينية باسم (مدرسة نازنده خاتون). ثم شيدت وزارة الأوقاف مدرسة بالاسم نفسه في شارع المغرب بين ساحتي الرباط والمغرب وأجرتها إلى وزارة التربية، وشغلتها (مدرسة المتميزات).

(2) المصدر نفسه.

(3) العقد اللامع ص300.

بالعنكبكية، من اعمال الخالص، ونهر بوازير مع توابعها «لتأمين بذل الماء لآبناء السبيل وسائر عباد الله وإرواء العطاشى، وأن يصرف عند الاقتضاء لتطهير وتنظيف قنوات السبيلخانة (السقاية) ولتعميرها ولسائر ما يلزم لها من مصاريف» وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 17 ذي الحجة سنة 1280هـ/25 ايار 1864م⁽¹⁾.

سقاية نائلة خاتون

من مبرات السيدة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم آغا أنها أنشأت على الطريق المؤدية الى قسبة الأعظمية، ضمن البستان المعروف بالبراني، سقاية لإرواء العطاشى في تلك الناحية، ووقفت عليها غلة قطعتي أرض ميرية برانية وشطانية، وشرطت أن «تصرف الغلة على تعمير المحلات المحتاجة للتعمير من السبيلخانة (السقاية) التي بنتها وأنشأتها.. والكائنة في بستان البراني المار الذكر، وكذلك لتعمير المقابر الكائنة في نفس المكان، ولتعمير الموقوفات نفسها، وأن يتم وضع حباب وسائر ما يلزم في السبيلخانة المذكورة، وما يبقى من فضلة الغلة يُصرف منها سنوياً تسعمائة قرشاً صاغاً الى شخص مستحق يُعين سبيلجياً (ساقياً) وخداماً في السبيلخانة المذكورة، ويقوم ببذل الماء لعباد الله وإرواء العطاشى، وذلك أثناء اداء الوظيفة المذكورة» بموجب وقفيتها المؤرخة في 8 ربيع الثاني 1291هـ/26 ايار 1874م⁽²⁾.

وجعلت الواقفة من هذه السقاية مدفناً لزوجها مراد افندي، المتوفى سنة انشائها، ثم مدفناً لها بعد وفاتها سنة 1294هـ/1877م. وقد بقيت السقاية قائمة للنفع العام حتى إزالتها عند توسعة شارع الامام الأعظم سنة 1935 ونقل رفاة دفينها الى مقبرة الامام الاعظم. ولما بنى السيد عبد الحميد الدهان جامعه على قطعة ارض كانت تعود الى هذه الواقفة بنى فيه سقاية، وبنائها موجود الى اليوم⁽³⁾.

سقاية عطية بنت محمود آغا في جامع العاقولي

أنشأتها السيدة عطية بنت محمود آغا بنت عبد الله سنة 1310هـ/1892م باتصال جامع العاقولي في شرقي بغداد، ووقفت عليها داراً في محلة جديد حسن باشا، وشرطت إخراج ثلاثمائة قرش من الأقباج الصحيحة لتلافي اجرة نقل الماء الى

(1) الاوقاف ج2 ص92

(2) مجموعة من وقفيات بغداد.

(3) كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ص124-125.

السبيلخانة (السقاية) في جامع العاقولي الشريف، وأن يُعطي كذلك الى من يقوم بايفاء خدمة السبيلخانة المذكورة ثلاثمائة قرش صاغ في العام» وذلك في وقفيتها المؤرخة في 21 صفر/19 ايلول من تلك السنة⁽¹⁾. ولم يبق للسقاية اثر، وقد علمت ممن عاصرها⁽²⁾ أنها زالت في الاربعينات من القرن الماضي.

سقاية عطية بنت محمود اغا في جامع عثمان أفندي

وحيثما انتفت حاجة جامع العاقولي إلى الماء الذي وقفته هذه السيدة المحسنة، ولعدم وجود ماء في مسجد عثمان أفندي، فإنها اشترطت أن يصرف ريع الدار التي وقفته لإنشاء (سبيلخانه) في مسجد عثمان أفندي الواقع في محلة جديد حسن باشا، وأن يصرف سنوياً مبلغ ثلاثمائة غرش بالأقجات الصحيحة لمصاريف نقل وإيصال الماء إلى السبيلخانه المذكورة، وأن يصرف إلى الخدم والعاملين في خدمة السبيلخانه مبلغ ثلاثمائة غرش سنوياً كذلك⁽³⁾.

سقاية فطيم بنت محمد في بغداد

ووقفت السيدة فطيم بنت الحاج محمد بن عبد الله بستاناً لها في قضاء خريسان وثلاثة دور ونصف في محلة الميدان، ونصف دار أخرى في محلة البارودية ببغداد، على نفسها ثم -من بعدها- تصرف غلة الأملاك المذكورة على ترميمها وترميمها، والفاضل منها يُصرف منه أربعون قرشاً صاغاً على السبيلخانة (السقاية) التي ستشئها، الكائنة في محلة كوكنظر، من ماء وأواني للشرب وغير ذلك، ويُعطى في كل شهر قرشاً صاغاً لمن يلي خدمة السبيلخانة المذكورة، هذا فضلاً عن تخصيصها مبلغاً من المال لتلاوة القرآن الكريم بموجب وقفيتها المؤرخة في 12 جمادى الاولى سنة 1324هـ/5 تموز 1906⁽⁴⁾.

سقاية هيبية الله في بغداد

أنشأتها السيدة الحاجة هيبية الله خاتون بنت عبد الرحمن أفندي بن محمد أفندي (المتوفاة سنة 1337هـ/1919م) في سنة 1336هـ/1917م وكانت تقع باتصال

(1) مجموعة من وقفيات بغداد.

(2) خالي عبد القادر سعيد.

(3) كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ص 270-271.

(4) معالم بغداد ص 5.

مسجدها الكائن في محلة النصّة في الاعظمية (قرب دائرة البريد اليوم) وعيّنت فيها «سبيلياً موكلاً بشؤون السبيل خانة (السقاية)» ورتبت له راتباً جارياً⁽¹⁾.

سقاية صفية خاتون

أنشأتها السيدة صفية خاتون بنت محمد أفندي بن مفتي بغداد الشهير عبد الغني أفندي آل جميل⁽²⁾، في باب جامع آل جميل⁽³⁾ في محلة قنبر علي، ووقفت أربعة دكاكين واقعات في سوق الخياطين، وشرطت أن يعطى (350) قرشاً لتصرف على لوازمها وذلك في سنة 1315هـ/1898م.

وتوفيت الواقعة سنة 1322هـ/1904م ودفنت في الجامع المذكور.

وقفية حصّة خانم آل الزبيق على وجوه الخير

وقفت السيدة حصّة خانم بنت عبد الله جليبي بن الحاج سليم جليبي الزبيق حصتها في الحمام الواقع في محلة الفحامة، وفي الحديقة وبئر الماء والخرابة الكائنة في المحلة المذكورة، على وجوه الخير، في وقفيتها المؤرخة في 7 ذي القعدة سنة 1331هـ/1913م.

خامساً: وقفيات على اعمال خير متنوعة

ثمة وقفيات كثيرة قامت بها نسوة فضليات على مختلف وجوه الخير، مثل الإتفاق على الفقراء، ومنهم فقراء الحرمين الشريفين، وفقراء من نجد، وعلى قراءة القرآن، وعلى الذرية، وعلى أشخاص بذواتهم، منهم علماء، وطلبة علم، ومماليك، وعلى إطعام الطعام، وأعمال بر أخرى، منها :

الموقوف	التاريخ	الواقفة
دار في محلة إمام طه	رجب 1254	خجّة خاتون بنت عيسى

(1) مجموعة من وقفيات بغداد.

(2) توفي سنة 1279هـ/1863م.

(3) جامع صغير، يقع تجاه بيت عبد الغني آل جميل، ويضم قبور أسرته، أنشأه محمد أفندي آل جميل والد المفتي عبد الغني، وذكر السيد محمد سعيد الراوي أن «فيه مصلى صغير واقع على يمين الداخل إليه، أمامه صفة صغيرة، وعلى شمال الداخل حجرة معدة لجلوس الإمام، الذي هو خطيب أيضاً، وعلى يسار الداخل حجرة متخذة تربة لآل جميل» خير الزاد ص305.

3 دور، دكان، في محلة امام طه	17 شعبان 1303	مريم خان بنت محمد
دكان في محلة امام طه	6 جمادى الأولى 1317	فاطمة بنت حمودى بن قاسم
دراران في محلة باب الآغا	4 ذى القعدة 1306	رقوشة بنت مصطفى بن احمد
دار في محلة امام طه	6 رمضان 1309	رازقية بنت عبد الرزاق بن عباس
6 كاكين في محلة باب الاغا	12 ذى الحجة 1311	آمنة بنت ولي بن بابا
دار في محلة باب الآغا	22 ربيع الآخر 1329	رحمة بنت جواد بن ابراهيم
عقار في سوق الصغير في باب الآغا	1337	فاطمة بنت سيد حسين
دكان في سوق الجوخجية في باب الآغا	ربيع الأول 1229هـ	زهوة بنت عبد الوهاب المزراقي
دار في محلة البارودية	13 رجب 1331	عيشة بنت حسين آغا بن حسن
دار في محلة البارودية دار في محلة الميدان	12 جمادى الأولى 1324	فطيم بنت الحاج محمد بن عبد الله
دار ودكان في محلة البارودية	16 شوال 1339	مريم بنت غريب بن عبد الله
داران ودكانان في محلة البارودية	1 شعبان 1317	بهية بنت أمين بن عبد الرحمن
دار في محلة البارودية	10 جمادى الأولى 1369	نورية بنت يوسف بن على
دار في محلة بنى سعيد	23 شوال 1368	فرحة بنت فاضل بن خلف
دار في محلة جديد حسن باشا	25 محرم 1292	صفاتي (حفاتي) بنت نعمان آغا
دار في محلة جديد حسن باشا	3 ربيع الآخر 1296	أموش بنت على آغا بن خلف
دار في محلة جديد حسن باشا	11 ذى الحجة 1307	رازفية بنت محمد آغا
دار في محلة جديد حسن باشا	23 شوال 1318	خميسة بنت عبد الله

دار في محلة جديد حسن باشا	23 شوال 1318	سعيدة بنت عبد الله
دار في محلة جديد حسن باشا	15 شعبان 1320	عائشة بنت معروف آغا
دار في محلة جديد حسن باشا	28 صفر 1324	حليمة بنت عبد الله بن عبد الرحمن
عقارات عديدة	21 ذي القعدة 1328	صلوحة بنت عبد بن حسن خيوكه
داران في محلة جديد حسن باشا	سلخ ربيع الآخر 1326	مريم خانم بنت الحاج عبد القادر أرييلي
دار في محلة جديد حسن باشا	15 جمادى الآخرة 1330	تاجه خانم بنت أحمد أفندي بن علي القصيب
دار في محلة جديد حسن باشا	7 ذي القعدة 1331	حصه خانم بنت عبد الله جلي الزيبق
دار في محلة جديد حسن باشا	13 جمادى الآخرة 1320	منورة خانم بنت عبد الفتاح بن حبيب آغا
عقارات عدة في محلة جديد حسن باشا	17 جمادى الآخرة 1339	فاطمة بنت السيد أحمد أفندي منيفة بنت السيد محمد أمين بن أحمد أفندي زينب بنت علي آغا بن عبد الله
دار في محلة جديد حسن باشا	19 شوال 1341	شفيقة بنت مصطفى بك بن محمد
حصه في دار في محلة الحاج فتحي	30 ذي القعدة 1315	طيبة بنت إبراهيم بن إدريس
دار في محلة الحاج فتحي	23 جمادى الآخرة 1347	عطية بنت أحمد بن عبد الله
دار في محلة الحيدر خانه	28 رجب 1308	حبيبة بنت محمد

دار في محلة الحيدر خانة	23 ربيع الآخر 1328	أمينة خاتون بنت ابراهيم بن علي
دار في محلة الحيدر خانة	23 شعبان 1329	ماهية خانم بنت الحاج علي آل الشهيد
دار في محلة الدشتي	غرة ربيع الأول 1321	درويشة بنت جاسم بن مهدي
دار في محلة الحيدر خانة	23 جمادى الأولى 1341	زهوة بنت السيد يوسف بن عبد الحلیم
دار في محلة الدنكجية	12 جمادى الآخرة 1167	أسمى خاتون بنت داود
عقارات كثيرة في بعقوبا	28 رمضان 1925	أمينة خانم بنت عبد القادر بك بن رستم بك
خان في محلة الدهانة	29 شعبان 1369	خديجة بنت السيد عيسى
دار في محلة راس القرية	9 شوال 1281	حليمة بنت عبد الله أفندي
اسطبل في محلة راس القرية	سلخ صفر 1317	أسماء خانم بن عبد الرحمن الروزيهاني
4 دور في محلة راس القرية	28 ذي القعدة 1319	صفية خانم بنت عبد الرزاق جليبي المزارقي
دار في محلة راس القرية	16 ذي القعدة 1322	صفية خاتون بنت يوسف بن مصطفى
باقجة في محلة راس القرية	4 رمضان 1338	زهو بنت حسين بن علو
دار في محلة راس القرية	6 ذي الحجة 1342	خديجة بنت هداوي بن جاسم
دار في محلة راس القرية	30 ذي الحجة 1356	خديجة بنت الحاج خليل جليبي
دار في محلة سبع أبارك، و6 دكاكين، وآخور (اسطبل)	22 رجب 1333	أمينة خاتون بنت الحاج عبد الرحمن جليبي الباجه جي

دار في محلة سبع أبار	21 جمادى الآخرة 1342	فطومة بنت مصطفى
دار في محلة الست هدية	13 شعبان 1323	سلطانة بنت موسى بن عبد الله
حصتها من خرابة في محلة السنك، بستان في محلة باب الشيخ	21 جمادى الأولى 1320	زمزم خاتون بنت علي افندي نقيب الأشراف
دار ونصف مقهى ونصف دكان في محلة باب الشيخ	4 شعبان 1331	أمة الله خانم بنت الحاج محمد صالح الشبخلي
نصف دكان في محلة سوق الغزل	8 ربيع الأول 1329	رقوشة خاتون بنت محمد بن الحاج سلمان
دار في محلة سوق الغزل	15 رجب 1348	خديجة خانم بنت خليل بن أمين جلبي
دار في محلة السيد عبد الله	12 جمادى الأولى 1324	فطيم بنت خالد بن حمودي
دار في محلة شاه قولي دلال	1244	عائكة خاتون بنت عمر أهدي
دار في محلة سراج الدين دار في محلة الميدان	11 جمادى الأولى 1330	عبودة خاتون بنت محمد جواد الغرابي
داران في محلة سراج الدين	22 جمادى الأولى 1352	فاطمة بنت محمد جواد الغرابي
دار في محلة باب الشيخ	20 شعبان 1343	عبودة بنت درويش بن ملا مصطفى
سها م في دار في محلة باب الشيخ	5 شوال 1343	بهية خانم بنت عبد القادر بن مراد الكيلاني
خان، أربعة دكاكين، مقهى، في محل الشيخ نجم الدين	24 ذي الحجة 1147	خانم خاتون بنت حسين

فاطمة خاتون بنت عبد الله	ربيع الآخر 1246	دار في محلة الصابوتجية
آمنة خاتون بنت عبد الوهاب آغا بن رضوان آغا	8 ذي القعدة 1325 8 ذي الحجة 1325	عقار في محلة الصابونجية دار ودكانان في محلة الفضل
فاطمة بنت الحاج حمودي		دكان في محلة إمام طه
عائشة خاتون بنت محمود أفندي بن محمد أفندي آل نظمي	6 جمادى الآخرة 1247	عدة مزارع وقرى في الراشدية وهبهب
كلثوم بنت سلمان بن موسى	17 رجب 1330	داران في محلة الطوب، منشآت أخرى
نوري خاتون بنت مصطفى	2 جمادى الآخرة 1266	دار في محلة العاقولية
حبيبة بنت خضير	4 شعبان 1277	دار في محلة العاقولية
زمزم خاتون بنت محمد آغا	16 ربيع الثاني 1288	حصص عديدة في الخالص
رحمة خاتون بنت الحاج بكر	5 جمادى الآخرة 1280	دار في محلة العاقولية
فضلة بنت عبد الله	17 ذي الحجة 1307	دار في محلة العاقولية
حنيفة بنت خضر آغا بن قاسم آغا	26 ذي الحجة 1323	دار في محلة عيفان
عائشة بنت أرناؤوط	17 شوال 1186	دار في محلة قاضي الحاجات
زهرة بنت حسين بن حسن	14 ذي الحجة 1305	دار في محلة قمر الدين
آمنة بنت ولي بن علي	13 شوال 1307	دار في محلة قنبر علي
جموعة بنت عنبر بن عبد الله	9 شعبان 1339	دار في محلة قنبر علي
آمنة بنت محمد النجار	17 جمادى الأولى 1339	دار في محلة قنبر علي

دار وكاكين في محلة قهوة شكر	17 ذي القعدة 1315	سكنة بنت الشيخ صالح بن مهدي
حمام المالح، وكلخان، ويتر في محلة الفضل	29 شوال 1310	اسمى بنت عباس
حمام ودكان ودار في محلة الفضل	2 ذي القعدة 1309	كلي بنت علي
دار في محلة الفضل	25 محرم 1320	
دار في محلة الفضل	12 شعبان 1313	زهرة خاتون بنت عبد الله
		مريم خان بنت محمد جان
دار في محلة الفضل	5 ذي القعدة	أمونة بنت محمد بن حمام
دار في محلة الفضل	21 محرم 1320	زهرا خانم بنت أحمد آغا بن عبد الله
دار وحصة من دار أخرى في محلة الفضل	10 ربيع الأول 1326	أمونة بنت الياس بن فارس
داران ودكانان في محلة الميدان	15 ربيع الآخر 1313	فاطمة خانم بنت حسين باشا بن فيض الله
دار في محلة الميدان	26 شوال 1333	زهرة بنت طاهر بن معروف
دار في محلة الميدان	11 جمادى الأولى 1334	مريم بنت شيخو بن عبد الله
دار في محلة الهيتاويين	17 شعبان 1307	فاطمة بنت السيد هاشم بن أمين
دار ودكاكين في محلة السيف ودار في محلة الشواكة	7 رجب 1322	سكنة بنت علي
دار في محلة جامع عطا	13 جمادى الآخرة 1335	منيرة خانم بن عبد الفتاح بن حبيب آغا

نشعة بنت مال الله الجميلي	2 جمادى الأولى 1341	دار في محلة جامع عطا
آمنة بنت جاسم بن مهدي	27 شعبان 1322	دار في محلة سوق الجديد، دار في محلة المشاهدة
سكينة بنت باقي آغا	20 ربيع الآخر 1325	دكان وأسكلة الأحطاب في محلة سوق الجديد
لطيفة بنت قدوري بن علاوي	25 جمادى الآخرة 1340	دار في محلة سوق حمادة
عطية بنت محمد المعروف بالسعد	أوائل ذي القعدة 1337	حصتها من العلوة الكائنة في محلة الشيخ بشار
اسبريمة يوسف	10 جمادى الآخرة 1189	دكان في سوق اسكيجيلر
فظومة بنت قاسم	1 جمادى الآخر 1270	حصتها من دكان في سوق الأطرقيجية
مريم بنت الحاج عبد الله نعمة	13 جمادى الآخر 1305	دكانان في سوق البزازين
صالحة بنت السيد عيسى بن مصطفى	6 ربيع الاول 1337	دكان في سوق البزازين
فاطمة بنت السيد هاشم	17 شعبان 1307	دكان في سوق الشورجة
أسمه بنت الحاج أحمد النعلجي	6 ذي القعدة 1304	7 دكاكين
فاطمة بنت السيد حسين	اوائل ذي القعدة 1337	دكان في سوق الصفاير
محبوبة خاتون بنت عبد الله	20 شعبان 1229	دكان في سوق الصياغ

دكان في سوق الهرج ومنشآت أخرى	20 ربيع الأول 1223	آمنة بنت الحاج ابراهيم التكريتي
خان، مقهى قرب جامع العادلية	2 رمضان 1295	نجو بنت الحاج عبد القادر

من تاريخ الخدمات النسوية العامة في الموصل

كان للمرأة الموصلية مبادرات مهمة في مجالات أعمال الخير، حيث تكشف لنا الوقفيات القديمة، المرتقبة إلى العصر العثماني، والكتابات الأثرية الموجودة، أو التي وصلتنا نصوصها عن طريق المصادر التاريخية، وكُتِبَ التاريخ والرحلات، عن جوانب مهمة مما عانيت المرأة به إبان القرون المتأخرة، ويتركز معظمه في مجالات الخدمة الثقافية والاجتماعية وهي⁽¹⁾:

1- إنشاء المساجد والوقف عليها.

2- إنشاء المدارس والوقف عليها.

3- وقف الأوقاف للإنفاق على الفقراء والمساكين.

وستناول، في هذا البحث، نماذج مما وقفنا عليه من هذه المشاريع النسوية النافعة، في الحقبة الممتدة من بدء السيطرة العثمانية وحتى نهاية القرن الماضي وذلك كما يأتي:

1- إنشاء المساجد والوقف عليها:

جامع رابعة خاتون الجليلية

أنشأته سنة 1180هـ/1766م، السيدة رابعة خاتون بنت والي الموصل اسماعيل باشا الجليلي (1139-1140هـ/1726-1727م⁽²⁾) في محلة (شارسوق) في مدينة

(1) ساعدت المرأة الموصلية الرجل في سعيه الدائب لتوفير أسباب المعيشة لاسرتهما، فكانت المرأة في الريف تعمل في مجالات شتى مثل تهبيش القمح، واستخلاص الزيت من الحليب، وجمع العلف للحيوانات، والعمل في طواحين الحبوب، وكان الغزل من أهم مهام ربة البيت، سواء اكان ذلك في الريف أم في المدينة، وعد المجتمع الموصل عدم معرفة المرأة بالغزل عيباً لا يفتقر في تربيتها المنزلية، ووصفت المرأة الكاملة بطول ما تغزله من خيط. فكانت المرأة بذلك ركناً أساسياً في الاقتصاد الموصل الذي يعتمد على تصدير المنسوجات اعتماداً كبيراً، لذلك كان الرجل - عند اختيار شريكة حياته- يفضل المرأة العاملة على المرأة الغنية. ومن الجدير بالذكر أنه كان للمرأة دور مهم في الاحداث الكبرى التي عاشتها الموصل، فقد شاركت النساء بحماس عظيم في الدفاع عن المدينة في أثناء حصار نادرشاه لها سنة 1156هـ/1744م. انظر كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف، 1975، ص356-360.

(2) هو أول ولاية الجليليين في الموصل، شارك في الحملة العسكرية التي جهزها والي بغداد أحمد باشا لفتح همذان، وكان قبل توليه الحكم ملتزماً بضمان الضرائب على أصناف الحرف في الموصل،

الموصل، والتي عرفت فيما بعد بالرابعة نسبة إلى الجامع نفسه، وعينت فيه اماماً، وخطيباً، وواعظاً، ومؤذناً، وأربعة مكبرين، وكناساً، وفراشاً، وقنديلجي، وسقاء للماء⁽¹⁾. كما الحقت به مدرسة، وعينت لها مدرساً.

ووقفت على ذلك كله «ماهو بيدها وملكها وتحت تصرفها» من عقارات مختلفة، منها حصتها في رحاة (رحى) باببوخت، على نهر الخوصر، ودكاكين عديدة في سوق التبن من أسواق الموصل، ودكاكين الحدادين، وقهوة (مقهى).

وعينت متولياً على إدارة الوقف ابن أخيها والي الموصل يومذاك محمد أمين باشا الجليلي، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 27 شعبان سنة 1181هـ/1767م⁽²⁾. وتوفيت الواقعة في 17 رمضان سنة 1211هـ/1796م، وقد أصاب الجامع، في السنين الأخيرة⁽³⁾، الخراب، فأهمل شأنه، وتصدعت جدرانها، وانقطعت الصلاة فيه.

جامع العراقدة في الموصل

أنشأته السيدتان فتحية خاتون وعائشة خاتون من نساء الجليليين سنة 1194هـ/1780م في محلة حمام المنقوشة بالموصل⁽⁴⁾.

وفي سنة 1204هـ/1789م وقفت السيدة فتحية خاتون عقارات عديدة تشمل دكاكين في سوق الصياغ، والسوق الكبير، و (قهوة خانة) في سوق الشيخ عبد الله المكي للإفناق على هذا الجامع وتأثيثه ودفع راتبي الإمام والمؤذن. وسجلت ذلك كله في الوقفية المؤرخة في أواسط جمادى الآخرة سنة 1204هـ/شباط 1789م⁽⁵⁾.

وكان أحد ثلاثة انفقوا على انشاء فناطر لجسر الموصل سنة 1133هـ/1720م. أنظر عنه: محمد أمين العمري: منهل الاولياء ج1 (الموصل 1968) 146، وياسين العمري: الدر المكنون ص580 مخطوطة المتحف البريطاني). وكتابنا: الموصل في العهد العثماني ص53-54.

(1) محمد الجليلي: مجموعة وقفيات الموصل جمعها بخطه وهي لدى الدكتور محمود الجليلي

رحمه الله (مخطوطة)، وقد سمح لي بتصوير نسخة منها لمكتبتي الخاصة

(2) نقولا سيويج: مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل، تحقيق سعيد الديوه جي،

الموصل 1956، ص36-38 وفيه مجموع ما حرر على جدران الجامع من كتابات أثرية.

(3) كان هذا في سنة 1989.

(4) من محلات الموصل التي لما نزل تعرف بهذا الاسم، وتنسب الى نقوش كانت تزين حمامها،

سيويج: مجموع الكتابات ص 166.

(5) مجموعة وقفيات الموصل

ولما يزل هذا الجامع عامراً حتى اليوم.

مسجد العقبة

أنشأته زوجة والي الموصل الغازي محمد أمين باشا الجليلي (المتوفى سنة 1189هـ/1775م⁽¹⁾) كما هو مكتوب في لوحة من المرمر مثبتة على بابه، وعُيّنت بالإتفاق عليه، سيدة موصلية أخرى هي آسية خاتون بنت الحاج سليمان أغا، زوجة والي الموصل سليمان باشا الجليلي (المتوفى سنة 1211هـ/1796م) فوَقفت عليه، في شهر ربيع الآخر سنة (1216هـ/1791م) جميع «القهو خانة الشهيرة بقهوة خانة الانبار الواقعة بقرب حمام العليل المشتمل على رواق طويل ورواق صغير وحوش القهوة خانة الواقعة بسوق الصغير.. وأيضاً أرض بسيطة.. في سوق الصغير»، وشرطت هذه المحسنة، أن يعطى من ريع الأملاك الموقوفة للمؤذن في شهر 80 صاغة، وللإمام في كل شهر 160 صاغة، وللمتولي في كل شهر 60 صاغة، وأن يُصرف ما يتبقى من الريع على عمارة المسجد وتأثيثه، وعلى «المستحقين من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل»⁽²⁾.

جامع المحمودين

سعت السيدة زوجة والي الموصل محمد باشا الجليلي (حكم 1204-1221هـ/1779-1806م) وأم والي الموصل محمود باشا الجليلي (حكم 1224-1225هـ/1809-1810م) إلى انشاء جامع مزار يعرف باسم حامد ومحمود⁽³⁾، وفي سنة 1211هـ/1796م، أشركت ولدها محمود باشا بالأمر، فتم بناؤه في السنة التالية.

قال المؤرخ ياسين بن خير الله العمري في حوادث سنة 1212هـ: وفيها أحدثت أم الخيرات أم الامير محمود بك، زوجة محمد باشا الجليلي، جامعاً للصلاة والخطبة في مقام حامد ومحمود، وبنّت فيه مدرسة، وأوقفت عليه أوقافاً، وجعلت المتولي ولدها محمود بك، والمدرس عزيز الكردي.

(1) تولى الموصل مرات عدة في السنوات 1166-1169هـ/ 1752-1755م، و 1169-1170هـ/ 1755-1756م، و 1172هـ/1758م، و 1173-1174هـ/1759-1760م، و 1175-1182هـ/ 1761-1768م، و 1189هـ/ 1775م، أنظر عنه أمين العمري: منهل الأولياء ج 1 ص 166-175 وياسين العمري: منية الأدباء، تحقيق سعيد الديوه جي (الموصل 1955) 84 وكتابتنا الموصل في العهد العثماني 64-78.

(2) مجموعة وقفيات الموصل .

(3) وكان هذا المزار قد عمرته سيدة ذكرت- في كتابه تذكارية في اعلا بابه- أنها والدة الحاج احمد بن الحاجي صالح الدرويش سنة 1135هـ/ 1722م، سيوفي: مجموع الكتابات ص 89.

وقد دفنت هذه السيدة وولدها في فناء الجامع⁽¹⁾، ولما يزل هذا الجامع عامراً حتى اليوم، وهو يعرف أيضاً بجامع الحامدين، وبه تعرف المحلة التي يقع فيها⁽²⁾.

جامع النعمانية

شاركت السيدة عائشة خاتون سنة 1212هـ/1797م أخاها نعمان بك (والي الموصل فيما بعد)⁽³⁾ بن سليمان باشا الجليلي في إحياء مسجد السرج خانة القديم في محلة السرج خانة من محلات مدينة الموصل بعد أن «آل إلى الانهدام وقارب الانعدام» فهدماه، وأعادا بناءه مسجداً جامعاً للجمع والأعياد والأوقات، وعيّننا فيه عدداً من الموظفين لإدارة مرافقه والعناية به، منهم إمام، وخطيب ومؤذن، وقراء، وكليدار، ومكبرون، وموكلون بالإضاءة، وبمياه الشرب وغيرهم، ورتبنا لهم الرواتب.

ولقد وقف الواقفان، للإنفاق على ذلك كله، عقارات جمّة في الموصل وأعمالها، وكانت حصة السيدة عائشة منها كبيرة، منها «القهوة التي في سوق الصياغ الشهيرة بقهوة ابن خروفة» و«سدس حمام القلعة، ودكاكين عدة في أسواق الموصل»⁽⁴⁾ ولازال الجامع بفضل تلك الأوقاف عامراً بالمصلين⁽⁵⁾.

جامع الحاجة فاطمة الخياط

يقع هذا الجامع في محلة المكأوي، أنشأته السيدة المحسنة الحاجة فاطمة بنت يحيى أفندي الخياط سنة 1212هـ/1797م والحققت به مدرستين، الأولى كتّاب لصغار الطلبة، والأخرى تختص بتدريس الفقه للكبار، وكانت للجامع أوقاف متعددة، منها قرية في (النافكر)، وسبعة دكاكين من سوق الصرافين، وثلاثة بيوت في محلة رأس الكور. وقد أصابه في منتصف القرن العشرين إهمال أدى إلى انهدام قبته سنة 1962م، فأعاد بناءه الدكتور زين الدين سنة 1409هـ/1989م، وهو عامر بالمصلين⁽⁶⁾.

(1) سعيد الديوه جي: جوامع الموصل في مختلف العصور (الموصل 1963) ص 223.

(2) ياسين العمري: منية الأدياء ص 105.

(3) تولاهما من 1221 إلى 1223هـ/1806-1808م. كتابنا: الموصل في العهد العثماني ص 91.

(4) انظر عنه: سيوي: مجموع الكتابات المحررة ص 23 والديوه جي جوامع الموصل ص 226-228.

(5) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة)

(6) اعتمدنا في هذه المعلومة على الكتابة التذكارية المثبتة في أعلى بابه، وعلى إفادة المرجوم الحاج محمد السراج، أحد أقدم الساكنين في جواره، وهو الذي كان يحتفظ بالوثائق

وقف حمرة خاتون على فقراء جامع النبي جرجيس

وقفت السيدة حمرة (حمراء) خاتون⁽¹⁾ بنت الحاج صادق آغا، وزوجة والي الموصل الشهير الحاج حسين باشا الجليلي⁽²⁾، ثلاثة أرباع الدكاكين الواقعة على حافة الخندق بقرب جامع الأغوات في الموصل على عمارة جامع النبي جرجيس، وأن «يؤخذ كل ليلة جمعة لحم للشورية التي تطبخ في الجامع حضرة نبي الله جرجيس (عليه السلام) وتفرق على الفقراء «الساكنين في الجامع الشريف» وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في 10 من شهر شعبان سنة 1213هـ/1798م⁽³⁾.

وقف فردوس خاتون الجليلية على سقاية جامع النبي يونس

عُنت السيدة فردوس خاتون بنت يحيى آغا الجليلي، زوجة حسن بك (باشا) والي الموصل، بمشكلة توفير المياه الصالحة للشرب للمصلين في جامع النبي يونس على تل التوبة، في الجانب الشرقي من الموصل. وكان ارتفاع التل الذي يقع عليه الجامع من ناحية، وبعده النسبي عن شاطئ نهر دجلة، يمثل مشكلة حقيقية لقاصدي الجامع من الزوار والمصلين فضلاً عن العاملين فيه. ويظهر أن توصيل المياه إلى سقاية الجامع كان يستلزم مالاً لم يكن من الميسور دفعه من واردات الجامع نفسه، لذا فقد وقفت هذه السيدة المحسنة «الريع من بستان الزيتون الشهيرة ببستان الزعامة في قرية باعشيقية من قرى الموصل المحروسة لسقاية الماء الذي ينقل من نهر دجلة إلى جامع حضرة نبي الله يونس عليه السلام في كل يوم للشرب ولخدمة الزوار

الخاصة بانتفاضة الموصل سنة 1255هـ/1839م. وهي الوثائق التي اعتمدها في بحثنا (أضواء على انتفاضة الموصل المنسية في سنة 1839م) في هذا الكتاب.

(1) سيدة محسنة عرفت بصلاحها ولها موقف إنساني محمود، نوه به ياسين العمري في حوادث سنة 1154هـ/1741م (زبدة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية، بتحقيقنا، ط:2، دمشق 2017، ص 72) وتوفيت سنة 1213هـ/1798م.

(2) تولاها ثماني مرات، أولاهما سنة 1143هـ/1730م وآخرها سنة 1171-1172هـ/1757-1758م، وكما تولى ولايات عديدة أخرى، عرف بحسن تدبيره وسياسته الرشيدة وعدله، واشتهر بدفاعه المجيد عن مدينته إزاء حصار نادر شاه لها سنة 1156هـ/1743م. انظر عنه: منهل الأولياء 1/144 ومنية الأدياء 81-85، 207-209 وياسين العمري: الدر المكنون في المآثر الخالية من القرون ص 586 (مخطوطة المتحف البريطاني) والموصل في العهد العثماني 62-64 و 102-115.

(3) مجموعة وقفبات الموصل.

والدراويش الساكنين في الجامع المشار اليه»، وكان تسجيلها لهذا الوقف النافع في شهر محرم سنة 1215هـ/ ايار 1800م⁽¹⁾.

وقفية زينب خاتون بنت عبد الله على جامع زقاق الحصن

ووقفت السيدة زينب خاتون بنت عبد الله على جامع زقاق الحصن⁽²⁾ في محلة السرج خانة بالموصل، أوقافاً جمّة للإنفاق عليه، وعمرته تعميراً شاملاً وذلك سنة 1235هـ/ 1819م.

وكتب على باب الجامع :

عمارة جامع الخيرات فاقت وطبتم فادخلوها خالدين
قد تطوعت بعمارت الجامع الحاجة زينب خاتون إبتغاءً لمرضاة الله تعالى
1235⁽³⁾.

وفي سنة 1373هـ/ 1954م هُدم أكثر الجامع وأدخل أكثر من نصف مساحته في شارع الفاروق، ثم اعيد بناؤه مجدداً.

وقفية خيرى خاتون على جامع عمر الأسود

أنشأ هذا الجامع من يدعى عمر الأسود بين سنتي 1091 أو 1093هـ/ 1680-1682م، فنُسب اليه وربما سمي (جامع شهر سوق)، لوقوعه في وسط المحلة المعروفة بهذا الاسم من محلات الموصل القديمة.

وفي سنة 1239هـ/ 1823م أصاب الجامع الإهمال، فوقفت عليه السيدة خيرى خاتون عقارات، وعينت له متولياً، فرمم بعض أقسام الجامع، وبنى فيه منارة مزينة بقطع الآجر المزجج⁽⁴⁾، ولا يزال هذا الجامع عامراً بالمصلين⁽⁵⁾.

(1) مجموعة وقفيات الموصل.

(2) نسبة الى حصن قديم هناك، كان المغول قد أنشأوه بعد احتلالهم الموصل سنة 660هـ، واتخذ مقراً لحكومة الموصل حيناً من الدهر، واقيم في أرضه- فيما بعد- سراي الموصل ومسجد وحمام. والزقاق الذي يمتد أمام الحصن من السراج خانة الى الجامع النوري هو زقاق الحصن. انظر سعيد الديوه جي: جوامع الموصل ص160

(3) سيوي: مجموع الكتابات 25.

(4) الديوه جي: جوامع الموصل 164.

(5) سنة 1986

جامع الخاتون

أنشأته السيدتان مريم خاتون بنت والي الموصل محمد باشا الجليلي (حكم 1204-1221هـ/1789-1806م) وأمها هيبية الله خاتون بنت عبد الله، في محلة حوش الخان في الموصل، سنة 1241هـ/1825م، وشاركهما في عملهما هذا محمد أمين بك محمد باشا الجليلي⁽¹⁾. وكانت أرضه قبل بنائه خالية من العمارة، ويقول المرحوم سعيد الديوه جي: «ولا ندري هل أن الجامع أنشئ على آثار مسجد قديم أم أنشئ على غير هذا».

وعلى الرغم من إدخال أقسام من أرض الجامع وبنائه في شارع نينوى على أكثر من مرحلة من مراحل شقه وتوسيعه، فإن الجامع بعمارته الرئيسية ظل عامراً بالمصلين حتى يومنا هذا⁽²⁾.

وقفية مريم خاتون الجليلية على مسجد الصوفية

عنيت السيدة مريم خاتون بنت أحمد باشا الجليلي والي الموصل (1227-1237هـ/1812-1821م) بهذا المسجد الذي كان يعرف أيضاً بمسجد عبد المقيم، وذلك في وقفيتها المؤرخة في أواسط شهر ذي الحجة من سنة 1251هـ/1835م، فقد عينت راتباً للمدرس يقدره المتولي على أوقافها، وأن يدفع من ريع تلك الأوقاف، وتشمل دكاكين في قيصرية العباجية المطلة على سوق البارودجية من جهة، وعلى سوق الجبوقية من جهة أخرى، بينما يوزع سائر الريع على ذريتهما فاذا ما انقرضوا، يفرق «على المستحقين من الفقراء والمساكين»⁽³⁾.

وقف رقية خاتون على مسجد الخُضري:

وفي سنة 1278هـ/1861م وقفت السيدة رقية خاتون بنت محمد أفندي الشهير بابن المصرف، الساكن في محلة (عبدو خوب) من محلات مدينة الموصل، الدكان الذي تملكه في سوق الصفارين، على مصالح مسجد الحاج محمود أفندي بن عبد الجليل الخضري، بموجب وقفيتها المؤرخة 3 من شهر شعبان من السنة المذكورة⁽⁴⁾.

(1) سيوي: مجموع الكتابات 36 والديوه جي: جوامع الموصل، ص 239-241.

(2) كتب هذا سنة 1986

(3) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(4) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة)

تجديد فاطمة بنت محمد لمسجد الصوفية

مسجد قديم كانت فيه جهة تدريس- كما يفهم من وقفية السيدة مريم خاتون الجليلية (انظر هذه المادة)، وقد تطوعت لتجديده سنة 1326هـ/1908م السيدة فاطمة بنت محمد، فكتبت على باب مصلاه النص الآتي⁽¹⁾:

(تطوعت بعمارته تقرباً إلى الله تعالى وابتغاء جنته ورجاء رضوانه ومغفرته فاطمة بنت المرحوم محمد في غرة شوال سنة 1326).

وقف مريم خاتون على جامع العراقدة

خصصت السيدة مريم خاتون بنت إبراهيم بك بن نجيب بك، من سكنة محلة الرابعة في الموصل، قسماً من ريع ما أوقفته «لكل من يكون مدرساً في المدرسة الكائنة في مسجد العراقدة الواقع في محلة المنقوشة من محلات المدينة المذكورة» بموجب وقفيتها المؤرخة 20 من شهر جمادي الآخر سنة 1329هـ/1911م، فأظهرت بذلك رغبتها في رفع شأن العلم والعلماء⁽²⁾.

جامع يحيى الإمام

يقع هذا الجامع في حي المنصور، من ضواحي مدينة الموصل، تطوعت بعمارته السيدة الصالحة الحاجة وهيبية بنت خليل سنة 1388هـ/1968م.

جامع المصطفى

يقع هذا الجامع في حي الشهداء، من ضواحي مدينة الموصل، وقد تطوعت ببنائه السيدة الصالحة الحاجة والية الصفو سنة 1405هـ/1984م.

تعمير صديقة بنت أحمد بكر لمسجد حمام السراي

مسجد في محلة زقاق الحصن، كان قديماً يقع داخل الحصن الذي أسسه المغول قريباً من السراي، ومنه اكتسب اسمه، كما عرف أيضاً بمسجد (شيخ الأصناف السبعة) نسبة لمن عمره، وكانت عليه كتابة أثرية تشير إلى أن الشيخ يونس عمره سنة 1057هـ/1647م، وأنه رُمِّم سنة 1345هـ/1926م⁽³⁾، ثم ما لبث أن أهمل، كما أهمل

(1) نقولا سيوفي: مجموع الكتابات ص209.

(2) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة)

(3) أنظر سيوفي: مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل ص26 و 170.

رباط قديم مجاور له، ينسب إلى السيدة نفيسة (رضي الله عنها)، فكان أن تطوعت السيدة صديقة بنت أحمد بكر حمو الحاج خليل رحمها الله لتجديده سنة 1405هـ/ 1985م، تجديداً شاملاً فأعادت بناء المسجد وأثنته تأثيثاً حسناً، وشملت عنايتها مزار السيدة نفيسة أيضاً. وثبتت على كل من المنشأتين كتابة تؤرخ قيامها بهذا العمل النافع.

2- انشاء المدارس والوقف عليها:

المدرسة الرابعة:

أنشأتها السيدة رابعة خاتون بنت والي الموصل اسماعيل الجليلي المتوفاة سنة (1217هـ/1802م)، في جامعها الكبير الذي شيده سنة 1180هـ/1766م في محلة شارسوق من محلات الموصل القديمة⁽¹⁾ وكانت تشرف بنفسها على سير التدريسات في المدرسة، فُتعيّن من تراه أهلاً للتدريس، وتعزل من لا تراه كذلك⁽²⁾. وأول من درّس بها شيخ القراء الشيخ سعد الدين بن أحمد بن مصطفى البصير المتوفى سنة 1188هـ/1774م، والشيخ مصطفى الصباغ المتوفى سنة 1200هـ/1785م، ومن المتأخرين الشيخ محمد آل دباغ، والشيخ صالح الجوادي بن إسماعيل شيخ القراء بالموصل⁽³⁾.

مدرسة جامع المحمودين

أنشأتها زوجة الوزير محمد باشا الجليلي سنة 1212هـ/1797م في جامع المحمودين الذي عمرته⁽⁴⁾، والكائن في المحلة المنسوبة إليه من محلات مدينة الموصل. وضمت اليها خزانة كتب حفظ الزمان 35 مخطوطاً منها⁽⁵⁾، يرقى أقدمها إلى القرن التاسع للهجرة، وهي تتوزع على موضوعات القرآن الكريم والحديث الشريف والفقهِ والطب والأدب⁽⁶⁾.

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) من ذلك انها عزلت الشيخ مصطفى الصباغ وكان يدرس النحو والفقهِ والفرائض والحساب، وكان سبب عزلها إياه ما بلغها عنه من «قلة المعلوم، وعدم الضبط، وسوء الحفظ». محمد أمين العمري: منهل الأولياء 267/1.

(3) سعيد الديوه جي: مدارس الموصل في العهد العثماني، مجلة سومر، بغداد 1962، ص 84.

(4) تقدم الكلام على هذا الجامع.

(5) أحصى منها داود الجليلي 28 مخطوطاً. مخطوطات الموصل ص 91-92.

(6) سالم عبد الرزاق أحمد: فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل، 8 (الموصل 1983) 331-344.

مدرسة الحجّيات

تقع هذه المدرسة في محلة القنطرة، قرب سور الموصل القديم، وهي من المدارس المستقلة عن المساجد في الموصل، أنشأها الحاجة عادلة خاتون وأختها الحاجة فتحية خاتون ابنتي والي الموصل عبد الفتاح باشا الجليلي (1183-1185هـ/1769-1771م) سنة 1241هـ.

وقد عُنيَت الواقفتان بتوفير أجواء الدرس الملائمة في مدرستهما، فأضافتا إليها قسماً داخلياً يتألف من عدة حجرات لإقامة الطلبة، وخصصتا لكل حجرة نفقة مالية شهرية، وتخصيصات عينية من الشمع في أيام الشناء⁽¹⁾، كما ضمتا إليها خزانة كتب غنية بالكتب الخطية النادرة في التفسير، والحديث، والحكمة، والفقه، واللغة، والنحو، والادب، والطب، والفلك، وغير ذلك. وعينا لهذه الخزانة موظفاً خاصاً بعنوان (كتب خانجي) يعنى لها ويتقاضى راتباً شهرياً⁽²⁾.

وجعلت الواقفتان للمدرسة ناظراً يرفع شؤونها المختلفة، مستقلاً بها عن المتولي الذي يدير ما عليها من وقف، ومن ثم فإنهما فصلا بين الإدارتين المالية والإدارية لهذه المؤسسة، ويلاحظ أيضاً إنهما حددا راتب المدرس بثلاثين غرشاً، وهو ما يزيد عن راتبي المتولي والناظر مجتمعين، مما دلّ على رجحان كفة المالىين على الإداريين خلافاً لأكثر الوقفيات الأخرى.

وقد رصدت الواقفتان المحسنتان، للإنفاق على مدرستهما ريع ما يملكان وقفاً صحيحاً شرعياً ثابتاً، وهو بيت سكنهما، والحمام الشهير بحمام باب البيض، وبلغ من حبهما للعلم وتقديرهما لأهله. انهما أوصيتا بدفنتهما عند وفاتهما في رحاب هذه المدرسة، وبالفعل فإنهما دُفنتا جنباً إلى جنب، داخل الحجرة التي يدخل منها إلى خزانة الكتب، ولقد أصاب الخراب هذه المدرسة وهجرت، وسكنت بعض الأسر في أقسام اقتطعت منها.

المدرسة النعمانية

شاركت في إنشائها سنة 1212هـ/1797م السيدة عائشة خاتون بنت والي الموصل سليمان باشا الجليلي⁽³⁾، وتقع في الجامع الذي شيده، وأخوها نعمان بك (باشا فيما

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) داود الجليبي: مخطوطات الموصل 98-120.

(3) تولاهما اربع مرات (1185-1189هـ/1771-1775م) و (1189-1190هـ/ 1775-1776م) و

(1191-1197هـ/1777-1783م) و (1200-1204هـ/1786-1789م).

بعد) في محلة السراج خانة من محلات الموصل، وعينا فيها مدرساً، وجعلا الإنفاق عليها مما وقفاه على الجامع من عقارات عديدة، وكانت للسيدة عائشة حصة كبيرة في تلك الأوقاف⁽¹⁾.

وضم الواقفان إلى مدرستهما خزانة كتب احتوت على جملة وافرة من الكتب في العقائد والحديث والفقه واللغة والمنطق والأدب والتاريخ والفلك وغير ذلك⁽²⁾، بقي منها اليوم (55) كتاباً مخطوطاً، آلت جميعاً إلى مكتبة الأوقاف العامة في الموصل⁽³⁾.

المدرستان الحسينيتان

من مبرات السيدة فردوس خاتون بنت يحيى أغا الجليلي أنها شاركت زوجها حسن بك (الذي كان والياً على الموصل فيما بعد) بن الحاج حسين باشا الجليلي في إنشاء إحدى أهم المدارس في الموصل ابان القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي). وهي المعروفة بالمدرسة الحسينية نسبة إلى زوجها المذكور.

وتعد وقفية هذه⁽⁴⁾ المدرسة من أكثر الوقفيات التي وصلتنا تفصيلاً ودقة، فقد سعى الواقفان إلى توفير أفضل الخدمات للعاملين في مؤسستهما الثقافية وللطلبة «الطالبين للإستكمال»، وكانت المدرسة تتألف بحسب رغبتهما من قسمين منفصلين، عدتتهما الوقفية مدرستين قائمتين بذاتهما، الأولى «لأجل تدريس علوم النقلية والعقلية» والخرى «لأجل تدريس القراءة والتجويد»، فتكون الأخيرة، أشبه -من حيث طبيعتها- بدور القرآن المتخصصة بعلوم القرآن الكريم، التي ظهرت في العصور الإسلامية الوسيطة.

ومن حسناتهما انهما ألحقا بمدرستهما خزانة كتب كبيرة، احتوت على جملة وافرة من الكتب، في التفسير والقراءة والحديث، والفقه، وأصوله، والتصوف، والمواعظ، والعقائد، واللغة والأدب ودواوين الشعر، والطب، فضلاً عما يعرف بكتب الجادة، أي الكتب المنهجية البحتة، وتشمل النحو والمنطق والهندسة وما إليها⁽⁵⁾ وجعلا لكل طالب علم حجرة خاصة.

(1) تقدم الكلام على هذا الجامع.

(2) داود الجليبي: مخطوطات الموصل 224-227.

(3) فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف في الموصل 7/273-283.

(4) نشرنا نص هذه الوقفية في كتابنا الموصل في العهد العثماني، الملحق العاشر ص 540-544.

(5) عد الدكتور داود الجليبي منها في كتابه مخطوطات الموصل (ص 120-139) 317 كتاباً مخطوطاً.

ورتباً لجميع العاملين في هذه المدرسة، وللطلبة، والرواتب الكافية، وذلك على النحو التالي:

- 1- مدرس العلوم العقلية والنقلية 120 صاعاً⁽¹⁾ يومياً.
- 2- مدرس علم القراءة 80 صاعاً يومياً.
- 3- كليدار الكتب خانة (أمين المكتبة) 28 صاعاً يومياً.
- 4- كليدار المدفن (السادن) 4 صاعات يومياً.
- 5- تالي جزء من القرآن لروح الواقفين 8 صاعات يومياً.
- 6- خادم السبيل (السقاية) 20 صاعاً يومياً.
- 7- 6 من الطلبة، لكل طالب 8 صاعات يومياً.
- 8- قابجي (بواب) المدرسة 24 صاعاً يومياً.
- 9- ماء سبيل خانة (ماء الشرب) 360 صاعاً يومياً.

وحدد الواقفان لكل موظف واجباته بكل دقة ووضوح، فالمدرس يقرأ درسه كل يوم، على أن يكون أول دروسه في علم الأخلاق، ثم بعده باقي العلوم، و(الكتاب جي) يمسح الكتب كل ثلاثة أيام مرة من الغبار، ويكنس الكتاب خانة (المكتبة). والسبيل خانة جي (الموكل بمياه الشرب) يغسل مزملة السبيل خانة كل شهرين. ولا شك أن إدامة مدرسة كهذه تتطلب أموالاً جمة، وعناية فائقة، لذا فقد وقف المنشئان، حسن بك وزوجته السيدة فردوس، عقارات مهمة لهذا الغرض. وكان حصّة السيدة فردوس أن وقفت ما آل إليها بالإرث الشرعي من والدها يحيى أغا الجليلي «من القيصرية الشهيرة بقيصرية علي أفندي بجميع ما اشتمل عليها من البناء في السوق الكبير⁽²⁾ من أسواق الموصل المحروسة، (وال) نصيب المنتقل إليها من رحاة باببوخت المذكورة، وهو من كل أربع وثلاثين سهماً سهماً واحد»⁽³⁾.

(1) الصاع: عملة عثمانية صغيرة كانت تساوي 4 فلوس من النحاس في تلك الأيام. كتابنا الموصل في العهد العثماني ص 561-563.

(2) السوق الكبير، ويعرف اليوم بسوق السراجين.

(3) وكان زوجها حسن بك (باشا) قد وقف حصته من الرحى المذكورة، وتقع على نهر الخوصر في شرق الموصل.

وقد سُجِلت الوقفية في غرة شعبان سنة 1232هـ/1816م.

أما المدرسة نفسها فقد لبثت منهلًا لطلبة العلم في الموصل أجيالاً متعاقبة، وشغلت مبناها مؤسسات تعليمية مختلفة، هي على التوالي: المدرسة الإسلامية، المدرسة الفيصلية، المدرسة الفيصلية الوقفية، المتوسطة الفيصلية الدينية، متوسطة الارشاد الدينية، مدرسة الارشاد الاعدادية الدينية، المدرسة الدينية، ابتدائية الاوقاف الإسلامية، وذلك من خلال المدة الواقعة بين سنتي 1924-1973م.

وقد آلت مخطوطاتها الكثيرة إلى مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، وبقي منها 84 كتاباً⁽¹⁾.

مدرسة فتحية خاتون

أنشأت السيدة فتحية خاتون بنت سليمان أغا مدرسة في مدينة الموصل عرفت باسمها، ووقفت لإدارتها حصتها من خان الشط⁽²⁾ وتوابعه، والدكان الواقعة في قيصرية البابوجية العتيقة، وشرطت للمتولي عشر الرُبع من غلة الوقف، بينما خصصت الباقي للانفاق على لوازم المدرسة، وذلك في وقفيتها المؤرخة أوائل رمضان سنة 1271هـ/أيار 1855م⁽³⁾.

مدرسة الخاتون:

أنشأتها السيدتان مريم خاتون بنت والي الموصل محمد باشا الجليلي، وأمها هيبه الله خاتون بنت عبد الله، في الجامع الذي شيده في الموصل، وعرف بجامع الخاتون سنة 1241هـ/1825م. وشاركهما في ذلك محمد أمين بك بن محمد باشا أَلْجَلِيلِي⁽⁴⁾.
فعرفت المدرسة بالأمينية نسبة إليه.

وضما إليها خزانة للكتب حَوَّت كتباً في التفسير والحديث والعقائد والفقهِ وأصوله والأدب، وكتباً مدرسية مختلفة⁽¹⁾. بقي منها الآن (64) كتاباً مخطوطاً، وقد آلت هذه الكتب إلى مكتبة الأوقاف العامة في الموصل⁽²⁾.

(1) انظر فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل الجزء الاول، خزائن حسن باشا الجليلي (الموصل، طبعة 1، 1982).

(2) يرقى هذا الخان الى سنة 1122هـ/1710م كما تبين ذلك كتابة اثرية فوق بابه (نيقولا سيوفي: مجموع الكتابات المحررة على ابنية الموصل 125).

(3) الاوقاف 165/8.

(4) تقدم الكلام على هذا الجامع.

وقفية أسماء خاتون غصيبة على مدرسة الصائغ

تتسب هذه المدرسة إلى مؤسسها التاجر عبد الرحمن جلبي بن محمد الصائغ سنة 1250هـ/1834م، وهي تقع في محلة الإمام إبراهيم من محلات مدينة الموصل القديمة، وقد ألحق بها خزانة كبيرة تحوي المئات من نوادر المخطوطات⁽³⁾.

وفي سنة 1300هـ/1882م وقفت السيدة أسماء خاتون بنت عبد الرحمن غصيبة حصصها في خان الجفت الكبير قرب سوق باب الجسر «على مصالح المدرسة المشهورة بمدرسة عبد الرحمن جلبي بن محمد الصائغ المعلومة مشتملاتها وحدودها، الواقعة في محلة إمام إبراهيم من تعميرها وسائر لوازمها الضرورية، فإذا فضل شيء بعد مصاريف المدرسة المذكورة، يقسم على وجوه البر».

3- وقف الأوقاف للإنفاق على الفقراء والمساكين وبعض أوجه الخدمة الاجتماعية العامة

وقفية فتحية خاتون الجليلية على الفقراء:

سعت السيدة فتحية خاتون بنت عبيد آغا الجليلي إلى العناية بشؤون الفقراء والمساكين في مدينتها الموصل، فوقفت لهذا الغرض بعض حصصها في «الخان الواقع على نهر دجلة» وفي «الخان الشهير بخان عبيد آغا» والرحى الواقعة قرب ترجيلة وحمام عبيد آغا، وقهوة الإمام، وقهوة خانة باب الجديد، ويساتين لها في مدينة الموصل.

ولم تكتف بذلك، وإنما أوصت ببيع ثلث ما تملكه من عقاراتها السكنية مع ثلث ما تتركه من الأموال ليشتري بالثمن مسققات، يُصرف ريعها في كل سنة على المستحقين من الفقراء والمساكين، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في أواسط جمادي الآخرة سنة 1204هـ/شباط 1789م⁽⁴⁾.

وقف زينب خاتون بنت يونس آغا على الفقراء

وسعت السيدة زينب خاتون بنت الحاج يونس آغا إلى تخصيص مبالغ كبيرة من

(1) داود الجلبي: مخطوطات الموصل 79-82.

(2) سالم عبد الرزاق: فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل 7 (الموصل 1983) 335-356.

(3) داود الجلبي: مخطوطات الموصل 150-151.

(4) مجموعة وقيات الموصل (مخطوطة).

أوقاف رصدتها في مدينة الموصل للتخفيف عن كاهل الفقراء المنقطعين، في وقفية تعد من أكثر الوقفيات سخاء لهذا الغرض النبيل، ففي 6 من شهر ذي الحجة سنة 1229هـ/1813م وقفت السيدة المحسنة ما تحت يدها من حصص في العديد من مرافق المدينة الاقتصادية وتشمل: حمام، وخانات تجارية، ورحى قرب قرية باببوخت على نهر الخوصر، ومقاهٍ، وقيصريات، ودكاكين كثيرة في أسواق مختلفة، وبستان خارج المدينة، ومنشآت اقتصادية أخرى، وشرطت أن تتفق واردات هذه المرافق، وهي كثيرة، على من يسكن الموصل من الفقراء المنقطعين⁽¹⁾.

وقف السيدة خديجة خاتون على الفقراء والمساكين

وقفت السيدة خديجة بنت الحاج صادق أغا ما تملكه من أسهم في عدد من المنشآت الاقتصادية في مدينة الموصل على بعض وجوه الخير سنة 1232هـ/1816م، وتشمل هذه الوجوه، شراء الأضاحي في عيد الأضحى، وإيقاد الشموع في ليالي رمضان للتراويح، وتوفير مياه الشرب، وانفاق الباقي «على المستحقين من الفقراء والمساكين»⁽²⁾.

وقف عادلة خاتون بنت عبد الرحمن على وجوه الخير

وفي جمادى الآخرة 1233هـ/1817م وقفت السيدة عادلة خاتون بنت عبد الرحمن أغا ما تملكه من أسهم في المقهى الواقع في سوق الميدان بالموصل مع دكانين مُخرَجَتين منها لتتفق على بعض أوجه الخير التي حددتها في وقفيتها، وهي التضحية في أعياد الأضحى، وتوفير مياه الشرب في كل ليلة جمعة، وقراءة القرآن الكريم، وتفريق ما يتبقى على الفقراء والمساكين والمستحقين⁽³⁾.

وقفية الحاجة حمرة خاتون وكريمتها اسمه خاتون وعدله خاتون على الفقراء في الموصل

وقفت الحاجة حمرة خاتون بنت الحاج صادق أغا، وكريمتها اسمه (اسماء) خاتون وعدله (عادله) خاتون بنتي سعد الله باشا الجليلي⁽⁴⁾ والي الموصل السابق،

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(3) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(4) تولى الموصل من 1225 الى 1227هـ/1810-1812م.

جملة كبيرة من الاوقاف الدارة على أنفسهم، واذا ما توفيت واحدة، يرجع نصيبها إلى الباقيات، وبعد انقراضهن جميعاً «ترجع الوقوف إلى المستحقين من الفقراء والمساكين وطلبة العلم».

وتتألف هذه الوقفيات من دكان قيصرية ... (1) وقهوة خانة في محلة (عبدو خوب) مع سردابين تحتها، وبستان في قرية نينوى تعرف ببستان البنات، مع بئر، وأشجارها هناك، وأخرى في القرية نفسها، مع بئرها، وأشجارها، وأكثر من نصف البستان المعروفة ببستان سعد الله باشا الكائنة في طرف القبلة من البلدة، مع بئر، وأشجار، وقصر البستانجي، ودكاكين ومعصرة وبيت فوق المعصرة في محلة اليهود، وأكثر من النصف في ثلثي قيصرية السراجين مع ثلاثة دكاكين خارجها، ونصف قيصرية المطريانة الواقعة في ميدان القلعة، و قسم من بستان (2) على نهر الخوصر، وأكثر من نصف الملك الواقع في محلة الشيخ محمد عليه الرحمة، وخصص مختلفة في بستان علي أفندي، والفسيل الملاصق له، ومن خان عبيد أغا، ومن خان شيخ [الأصناف] السبعة، والمعصرة الواقعة خارجه، وذلك بموجب وقفيتين المؤرخة في أواسط ذي القعدة 1244هـ/حزيران 1828م (3).

وقف خديجة خاتون بنت نعمان أغا على وجوه الخير

شاركت السيدة خديجة خاتون بنت الحاج نعمان أغا، سنة 1244هـ/1828م زوجها الحاج حسين أغا بن الحاج صادق أغا، في وقف حصتها في خان الشط والكمرك وتوابعه، وخان عبيد أغا وتوابعه، في مدينة الموصل، على أوجه الخير والبر، وتشمل شراء الأضاحي في عيد الأضحى، والانفاق على «المستحقين من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام».

ثم عادت هذه السيدة فوفقت منفردة سنة 1255هـ/1839م، حصتها من الخانين المذكورين، مع دكاكين لها في ميدان باب الجسر، بلصق الكمرك، وفي السوق الكبير في الموصل، على أوجه الخير المشابهة، وتشمل - فضلاً عن تقديم الأضاحي - إيقاد الشمع

(1) فراغ في اصل الوقفية.

(2) فراغ في اصل الوقفية، واثبتنا ما رجحناه.

(3) الاوقاف السجل 9ص56.

في ليالي رمضان لأجل صلاة التراويح واطعام الفقراء والمساكين في ليالي القدر والأشرف (يقصد الأيام المُشرَّفة)، وتوفير مياه الشرب في هذه الليالي، وإنفاق الباقي «على المستحقين من الفقراء والمساكين»⁽¹⁾.

وقف عدلة خاتون على الفقراء

ووقفت السيدة عدلة (عادلة) خاتون بنت أحمد أفندي بن السيد عبيد أفندي، من سكنة محلة الكاوي في الموصل، ثلث مالها، بعد وفاتها، للفقراء والمساكين، وأوصت أيضاً أن تصرف غلة الدكان الذي تملكه في محلة السراج خانة على الفقراء والمساكين، بموجب وقفيتها المؤرخة في 16 ذي القعدة 1300هـ/19 أيلول 1882م⁽²⁾.

وقفية مريم خاتون بنت احمد بك على الفقراء:

ووقفت السيدة مريم خاتون بنت أحمد بك الآي بك بن عبد الله، من سكنة محلة جامع جمشيد في الموصل، دارها «التي هي عبارة عن حوشين داخل وخارج..» على بعض سكان محلتها، وبعد انقراضهم «يرجع الوقف المذكور للفقراء والمساكين» بموجب وقفيتها المؤرخة في 27 جمادي الآخرة سنة 1304هـ/24 آذار 1886م⁽³⁾.

وقفية دولة بنت فتحي على أعمال البر والفقراء

ووقفت السيدة دولة بنت الحاج فتحي بن ياسين الصباغ، من سكنة محلة باب النبي في الموصل، دارا لها في محلة سوق الصغير، والنصف الشائع الذي تملكه من دار أخرى في محلة باب السراي من محلات مدينة الموصل، على أعمال البر والخير، إذ شرطت أن يُنفق من غلة الوقف - بعد تعميره - على من يعظ الناس، وعلى قارئ القرآن في جامع الأغوات خلال شهر رمضان من كل عام. وأن تشتري في الشهر نفسه شمعتان توقدان في «المحل المحتاج من الجوامع والمساجد»، وأضحيتان في عيد الأضحى، على أن يقسم المتبقي من الغلة «على الفقراء والمساكين» بموجب وقفيتها المؤرخة في 28 شعبان 1310هـ/16 آذار 1893م⁽⁴⁾.

(1) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة).

(2) وزارة الاوقاف، السجل 9 ص 39.

(3) وزارة الاوقاف، السجل 14 ص 141.

(4) وزارة الاوقاف، السجل 10 ض 44.

وقفية خُدوجة بنت علي المفتي على الفقراء:

ووقفت السيدة خُدوجة (خديجة) بنت علي المفتي بن أحمد أفندي، الساكنة في محلة جامع جمشيد في الموصل، حصتها الشائعة في الدكان الكائن في سوق الصرافين «على الفقراء والمساكين في المواسم والأيام الأشراف» بموجب وقفيتها المؤرخة في 25 صفر 1315هـ/20 أيلول 1892م⁽¹⁾.

ثم أنها عادت، ووقفت حصتها الشائعة في دكائين آخرين، أولهما في محلة السراج خانة، وثانيهما في سوق العتمة، وشرطت أن تُعطي غلة الأول إلى إحدى نساء محلتها وذريتها، وبعد انقراضهم تعطى «إلى الفقراء والمساكين»، أما الثاني فتعطى نصف غلته إلى «الفقراء والمساكين» والنصف الآخر إلى المتولين على الوقف نفسه، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في 17 صفر 1317هـ/28 حزيران 1898م⁽²⁾.

وقفية فاطمة بنت وحيد على الفقراء

ووقفت السيدة فاطمة بنت وحيد آغا الدار الكائنة في محلة امام عون الدين في الموصل حسبة الله، وشرطت في وقفيتها المؤرخة في 30 جمادي الاولى سنة 1350هـ/12 تشرين الاول 1931م على المتولي أن يبتاع في كل عيد أضحي «كبشين من الضأن ويوزع لحومها على الفقراء والمساكين. وان يبتاع المتولي (تتكة) كاز واحدة في شهر رمضان لادارة أي مسجد شاء أثناء صلاة العشاء والتراويح» كما خصصت هذه الواقعة سلفاً من المال على الفقراء «وفي بدء الشتاء من كل سنة يبتاع المتولي خمسة وعشرون ذراعاً خاماً وخمسة وعشرون ذراعاً كتان يعدله قيصا (قمصان) يوزعها على المحتاجين للكسوة. ويبتاع حسب الموسم عنباً وحلاوة مع خبز، بقدر ما يبقى عنده من ريع الدار، ويوزع ذلك على الفقراء»⁽³⁾.

وقفية مثيلة الصراف على الفقراء:

وقفت السيدة مثيلة بنت عبد اللطيف الصراف دارها الكائنة في محلة سوق الصغير بالموصل على وجوه من الخير، فجعلت ربع ريع الوقف ونصف الربع إلى

(1) وزارة الاوقاف، السجل 14 ص55.

(2) وزارة الاوقاف، السجل 14 ص61.

(3) وزارة الاوقاف، السجل 10 ص84.

خدمتها، والربيع إلى أخيها، على أن يشتري بالربيع ونصف الربع الباقي في كل سنة بقرتان، وأربعة أكباش، وتضحى في أول يوم عيد الاضحى من كل سنة، ويشتري في فصل الشتاء، كل سنة عشرة قمصان وعشرة عباات ويعطي ذلك للفقراء والمساكين، وصينية بقلادة توزع على الصائمين في رمضان من كل سنة، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة 24 شوال 1366هـ/9 أيلول 1947م⁽¹⁾.

خاتمة

بلغ عدد المؤسسات الثقافية والدينية التي قامت المرأة بإنشائها في مدينة الموصل، إبان العصر العثماني وحده، نحو اثنين وعشرين مؤسسة، بين مسجد ومدرسة ودار قرآن، ويمثل هذا العدد أكثر من نصف منشآت المدينة المشابهة، خلال العصر نفسه، ويكشف هذا الاحصاء عن الاسهامات الواسعة للمرأة في مجالات الحياة العامة لمدينتها آنذاك.

ولنا أن نلاحظ مما تقدم في هذا البحث وفرة الموقوفات التي خصصتها للإنفاق على تلك المنشآت الخدمية النافعة، وتنوعها، بين قرى زراعية كاملة، وأرحاء، وآبار، وأسواق، ودكاكين، وخانات تجارية، وحمامات، ودور سكنية، وهو ما يشكل ثروة حقيقية تتفق، وفق شروط الواقفات، لضمان ديمومة المؤسسات وترميمها وصرف رواتب العاملين فيها.

وفي الواقع، فإن دور المرأة لم يقتصر على التأسيس او الإنفاق فحسب، وإنما امتد ليشمل اختيار العاملين، وتحديد رواتبهم واختصاصاتهم، وانتقاء أفضل المدرسين للعمل في المدارس التي أنشأتها، وعزلهم عند التأكد من نقص كفاءتهم، كما يلاحظ اهتمامها، بوجه عام، بوقف الكتب، فقد ألحقت -كما تدل الوقفيات- خزائن حفلت بالعديد من الكتب، وبينها ما هو نادر ونفيس في بابها، تيسيراً على المدرسين والطلبة للحصول على ما يحتاجونه من مصادر البحث والدرس. بل بلغ من حب بعض الواقفات للعلم، انهن أوصين بأن يدفن في مدارسهن التي أنشأنها أو في الحجرات التي تضم خزائن كتبها الخاصة.

(1) وزارة الاوقاف 37/9.

وسعت أكثر الواقفات إلى توفير مستوى معقول لمعيشة العلماء والطلبة على حد سواء، فكان أن خصصن مبالغ محددة للانفاق المستمر على شراء الشمع اللازم للاضاءة، وتيسير ماء الشرب والغسل، وتوفير الطعام، بل والتدخل أحياناً بتحديد أصنافه.

وفي مجال الخدمة الاجتماعية، سعت المرأة إلى وقف الأوقاف الكثيرة للانفاق على أوجه الخير، منها شراء الأضاحي في الأعياد، وإيقاد الشمع لاضاءة المساجد، وتوفير مياه الشرب فيها، وإطعام المساكين والأرامل والأيتام، بل والتدخل أحياناً بتحديد أصنافه. وإكسائهم بحسب فصول السنة، وغير ذلك من أوجه الخير.

إن رصد أعمال كهذه، لهو أمر جدير باعادة النظر في التقويم السائد لدور المرأة في تقديم الخدمات العامة لمجتمعها، ابان العصور الماضية، وهو يقدم محفزاً للباحثين في استجلاء هذا الدور المشرف في كل مكان.

دور الجماهير في صعود الموصل

سنة 1156هـ/1743م

مقدمة

لعل أكثر الإتجاهات حداثة في مجال الدراسات التاريخية تلك التي تحاول تبيان دور الشعوب في صنع الحدث، أو- في الأقل- دور(القوى التحتية) في المجتمعات الإنسانية التي تدفع بعض الأفراد، أو الفئات، إلى صنع ذلك الحدث. بل ربما ذهبت بعض الإتجاهات إلى معالجة ردود الأفعال العفوية لتلك القوى، في مواجهة تحدٍ ما، ودراسة العوامل الخفية لهذا الموقف أو ذلك الفعل، عن طريق مقارنة ردود أفعال تلك القوى عبر حقب متعددة، أو مقارنتها مع غيرها من القوى المشابهة في مناطق وأمم أخرى، وهذا ما دعا بعض المؤرخين المحدثين إلى الإعلان عن أن المؤرخ تواجهه في كل لحظة حاجة مستمرة للنفوذ إلى (أسرار القوى الجماعية) التي تشكل حياة المجتمع والأفراد المكونين لذلك المجتمع في أية لحظة في التاريخ⁽¹⁾.

وهكذا فقد امتدت يد البحث، وفق هذه النظرة العلمية، إلى حقب التاريخ المختلفة، فحاولت استيضاح دور حركة الشعب، أو الناس العاديين، في رسم صورة حدث ما، وفي تقرير نتائجه أيضاً، كقيام ثورة، أو تغيير نظام سياسي، أو تحرير بلاد محتلة، أو الوقوف في وجه تحدٍ خارجي، أو داخلي. الخ، مما لم تكن ملامح الشعب ظاهرة فيه من قبل، أو أنه كانت مخفية وراء دور هذا القائد العسكري، أو زعامة تلك الأسرة.

إن البحث في عوامل خفية كهذه يشبه ما يقوم به الجيولوجي في البحث عن الحركات التي تحدث في الأعماق السحيقة من باطن الأرض، والتي تتجم عنها تغييرات جسيمة على سطحها، كانهجار البراكين فجأة، أو زوال الجزر، أو تغيير المعالم الظاهرة، وهو أيضاً يشبه عملية التقيب عن الأسس الخفية من البناء، لا مجرد تبين ملامحه الخارجية.

وبما أن البحث في الأعماق ليس مُيسراً كغيره من ضروب البحث الأخرى، فربما استعان الباحث في عمله بما لم يفكر في استعماله أسلافه من المؤرخين السابقين،

(1) جفري براكلو: الإتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت 1984، ص118.

كعلوم الاجتماع، وعلم النفس الجمعي، والاقتصاد، وغير ذلك من علوم مساعدة تهديه إلى غايته.

ولا نشك في أن واقعة حصار الموصل من قبل الجيوش الإيرانية سنة 1156هـ/1743م هي من أكثر اللحظات التاريخية التي عبرت فيها القوى الشعبية عن نفسها في حدث ذي طابع سياسي وعسكري، حتى أنه من الصحيح القول بأن هذه اللحظة يمكن أن تكون نموذجاً دراسياً مهماً صالحاً لتبين ردود أفعال القوى المذكورة، إزاء ما مثله الغزو، ثم الحصار، من تحدٍ خارجي عنيف، ومن المهم أن نذكر هنا أن الخروج بنتائج علمية، ومحددة، لا يمكن أن يكون إلا بدراسة اللحظات التاريخية التي سبقت تلك الواقعة، أي دراسة التطورات الداخلية العميقة، التي مر بها المجتمع الموصل، منذ نصف قرن في أقل تقدير.

القوى الشعبية والسلطة

فمنذ أوائل القرن الثامن عشر، وربما قبله أيضاً، كانت القوى الشعبية الموصلية قد نجحت في إصعاد أسر ذات تراث ديني وثقافي، إلى مواقع الزعامة الحقيقية للمدينة، وكان آل العمري، تلك الأسرة الموصلية القديمة، يمثلون الأنموذج الأبرز لمثل هذا النوع من الزعامة المحلية، وفي الواقع كانت هذه الزعامات قادرة على منافسة ممثلي السلطة العثمانية المركزية، أو مقاومتها إن استدعى الأمر ذلك، ذلك لأنها تقف على نفس القاعدة الاقتصادية التي تقف عليها تلك السلطة، وتقوم هذه القاعدة على ملكية إقطاعية محلية قوية⁽¹⁾. ويتملكها العديد من القرى الزراعية المنتجة في ريف الموصل، فأصبحت منافستها، أو مقاومتها، للنظام الإقطاعي- العسكري- الإداري العثماني فعالة ومؤثرة، بل أنها أصبحت تمثل القوى الشعبية الموصلية وتسيطر من ثم على أحياء مهمة من مدينة الموصل نفسها، وقادرة على إثارة الاضطرابات في وجه الولاية كلما شكلوا تهديداً لمصالح السكان، وبالفعل فإنها أعلنت الثورة غير مرة على الوالي العثماني سنة 1123هـ/1711م⁽²⁾، وسنة 1138هـ/1725م⁽³⁾.

-
- (1) ينظر: كتابنا الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975، ص 41
(2) ياسين العمري: زبدة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية، بتحقيقنا ص 61، والعمري أيضاً: منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل 1955، ص 79.
(3) محمد أمين العمري: منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، ج 1، الموصل 1968، ص 141.

ودامت الثورة في المرة الأخيرة نحو ستة أشهر كاملة، ويكشف دوامها لهذه المدة عن مدى شعبيتها.

ويمكن القول أن تلك الأسر استطاعت أن تكون نوعاً من (الإقطاعية الوطنية) مقابل إقطاعية الدولة المركزية، وكان هذا أول تحرك سياسي مؤثر للقوى الشعبية في الموصل ضد سيطرة العثمانيين عليها في أوائل القرن السادس عشر.

تجلى روح الديانة

بيد أن النضال الذي قادته (الإقطاعية الوطنية) سرعان ما أخذ يضر بمصالح قوى شعبية أخرى كانت أهميتها الاقتصادية آخذة بالنمو في الوقت نفسه، فقد أدى استتباب حد أدنى من الأمن في المنطقة، إلى استعادة المدينة نشاطها الاقتصادي الذي يفرضه عليها موقعها الجغرافي، فنمت طبقة الحرفيين بتطبيقاتها الاجتماعية المحكمة المسماة بـ(الأصناف)، كما نمت أيضاً طبقة التجار بنفوذها الواسع في سوق المدينة وعلاقاتها الممتدة إلى المدن الأخرى⁽¹⁾، وكان طبيعياً أن يضر الصراع الدائر بين القوتين الإقطاعيتين، المركزية والمحلية، بمصالح هذه الطبقات الجديدة، فمركز ثقل الإقطاعية الوطنية هو الريف، بينما مركز ثقل الطبقات المذكورة في المدينة، وكان انتقال الصراع إلى داخل الأخيرة يعني إغلاق الأسواق، وتوقف الإنتاج، وتعطيل التجارة، وغير ذلك من الأنشطة الاقتصادية المدنية، فكان لابد لجماهير الحرفيين والتجار إصعاد الزعامات الأكثر تمثيلاً لها إلى المستوى السياسي المؤثر، وهكذا فقد جرى تولي الأسرة الجليلية مقاليد الزعامة الشعبية العامة لتلك الجماهير، وهو الأمر الذي مهد لها الوصول إلى السلطة السياسية للمدينة، والإحتفاظ بمقاليدها مدة تزيد على القرن (1139-1248هـ/1726-1834م) ولم يكن التغيير يعني، في أحد جوانبه، إلا نجاح القوى الشعبية مرة أخرى في اختيار قيادتها الممثلة لمصالحها، وانتقال الزعامة من (الإقطاعية الوطنية) التي كان يمثلها العمريون وحلفاؤهم، إلى ما يمكن أن نسميه (البرجوازية الوطنية) التي كان يمثل مصالحها الجليليون وحلفاؤهم.

وكان وصول القوى الشعبية إلى السلطة السياسية قد عجل في عملية تحوّل أخرى كانت تجري في فرق الجيش الإنكشاري المتخذة مواقعها في محلات المدينة

(1) ينظر: الموصل في العهد العثماني ص285-311.

الرئيسية، وخالصة ذلك التحول أن أعداداً غفيرة من السكان، ومعظمها من أبناء الحرفيين، قد أخذت بالانضمام إلى الفرق المذكورة، مستغلة ضعف الإدارة المركزية للجيش الإنكشاري، وبهذا أصبحت هذه الفرق، منذ النصف الأول من القرن الثامن عشر، لا تعني إلا أصناف الحرفيين بأزياء إنكشارية⁽¹⁾، وبهذا نجحت جماهير الموصل، أو قواها الشعبية، مرة ثالثة في الاستحواذ على السلطة الاقتصادية، بفرقها (أورطاتها) الخمس الموجودة في الموصل، فاستوت لها بذلك السيطرة على السلطات السياسية (السراي) والعسكرية (الإنكشارية) فضلا عن التنظيمات الاقتصادية (الأصناف) والثقافية (العلماء)، وهكذا فإن من المجافة للواقع التاريخي، البحث في تلك المرحلة بالذات، عن خطوط تفصل بين هذه السلطات، لا سيما ما يتعلق بصناعة القرار السياسي، وعليه فليس من الممكن تصور موقف شعبي، قد يتناقض أو حتى يختلف، عن موقف أي من السلطات والقوى المذكورة، وبخاصة السلطة السياسية. وفي الواقع فإن (روح المدينة) كانت تتخلل كل شيء فيها، وتتمثل في تلك العلاقات الاجتماعية والإقتصادية المتينة بين فئات السكان، من ولاة وتجار وحرفيين وعلماء وضباط وجنود محليين، فلقد كانت الموصل كلاً واحداً له أوجه مختلفة، وليس إتحاداً أو توازناً بين أجزاء، وكان ذلك، على وجه التحديد، هو مبعث قوتها، وسر صمودها، في طول أيام الحصار الشاقة الطويلة.

المشاركة في قبول الحرب

إن دور الموصلين في ذلك الحصار إذن، هو دور الجماهير لا أقل ولا أكثر، ليس من فرق بين وال وجندي وتاجر وحرفي ومثقف، وهذا في الوقت نفسه هو منشأ الصعوبة عند الحديث عن دور محدد لأي من هؤلاء. فمن الناحية السياسية فإن مجرد الحديث عن الموصلين بعيداً عن دور قائدهم الحاج حسين باشا الجليلي يعني تجريد القوى الشعبية الموصلية من زعامتها الشرعية، وإذ سمي الموصليون هذا الوالي القائد - كما يذكر دومنيكو لانزا - بأبيهم⁽²⁾، يعني أن العلاقة بينه وبينهم كانت تسمو

(1) نيبور: رحلة نيبورالي العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الأمين، بغداد 1965، وينظر جب وبون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى،

القاهرة 1970، ص 92، والموصل في العهد العثماني ص 144-246.

(2) دومنيكو لانزا: الموصل في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الإيطالية رفائيل بيداويد، الموصل 1952، ص 52.

على أي اعتبار طبقي، أو أسري، أو إداري مفروض، فهي علاقة أبوية أولاً، ولا يهم- بعد ذلك- بأي إطار تكون.

وفي ظل العقلية السياسية السائدة في تلك العهود، لم يكن مألوفاً على الإطلاق أن يكون للجماهير الشعبية كلمة، أو رأي، في القرارات الرئيسة التي يفترض أن تخص الدولة مباشرة، كإعلان حرب، أو عقد هدنة، أو توقيع إتفاق ما، وإنما كان ذلك من مهام السلطان وحده، ومن يختارهم ممثلين له، من ولاية وقادة كبار، ولكن الوالي حسين باشا الجليلي لم يكن ممثل السلطان وحده، وإنما كان يمثل جماهير الشعب في الوقت نفسه، فإنه خرق هذا العرف عامداً، تاركاً لأدنى الفئات في المجتمع الفرصة لإبداء الرأي في أكثر الأمور فصلاً وأهمية.

وذكر الشيخ فتح الله القادري⁽¹⁾، أن الحاج حسين باشا الجليلي، حينما وردت إليه أنباء تحرك نادر شاه بجيوشه الضخمة نحو الموصل، دعا إلى اجتماع جماهيري حاشد في دار الحكم، أي سراي المدينة، ولم تكن الدعوة مقترنة بأي قوة أو إلزام، بوصفه والياً، إذ يذكر:

فنادى في الناس هلموا واقبلوا
إن تسمعوا قولي وإلا فاهملوا

فكان مجرد حضور الناس إلى المكان المحدد، في الموعد المضروب، مع ترك الخيار لهم بعدم الحضور، يمثل أول استفتاء شعبي حول ضرورة اتخاذ موقف جماعي موحد

(1) أرجوزة في حصار الموصل، نشرها سعيد الديوه جي في ملاحق منية الأدياء ص242-272 ثم أعاد نشرها مستقلة بعنوان (ملحمة الموصل)، الموصل 1965، وتصور هذه الأرجوزة دور الجماهير الموصلية في أثناء الحصار بشكل يزيد تفصيلاً هلى ما أورثته المصادر التاريخية الأخرى، ومن الواضح، من الأرجوزة نفسها، أن اطلاع ناظمها كان دقيقاً على مجريات الحصار والصمود، وسنعمتد هنا على النشرة المستقلة لها، ومن الجدير بالذكر أنه من غير المحدد تاريخ هذا الاجتماع الشعبي المبكر، ولكن يفهم من الأرجوزة التي انضردت بالإشارة إليه، أنه سبق توجه نادرشاه إلى بغداد، ومعنى ذلك أنه جرى في أعقاب أول تغيير أحدثه نادرشاه في خطته، حينما أوقف عملياته في الشرق، وشرع يخطط لمهاجمة الدولة العثمانية، وكان قد جرى ذلك في ذي الحجة 1155هـ/كانون الثاني 1742م، وهذا ما يؤكد رواية طه بن يحيى الباليساني (في رحلته التي دونها بعد الحرب بسنة واحدة) بأن أفراداً من داخل جيش نادرشاه «أرسلوا خفية إلى أهل الموصل الخبر أن طهماس (يريد نادرشاه) مراده غدا وفي وقت كذا يأتيكم كذا، أصحوا أن أعمالوا جهدكم (رحلة طه الكردي الباليساني، بتحقيقنا، ط2، أربيل 2007) وإذ ذكر ياسين العمري في الآثار الجلية أن استعداد الموصليين جرى بعد أن تحققوا من قدوم نادرشاه في ذي الحجة 1155هـ/1742م، يكون ذلك الاجتماع قد عقد في أحد أيام الشهر المذكور، ولا يذكر محمد أمين العمري هذا الاجتماع.

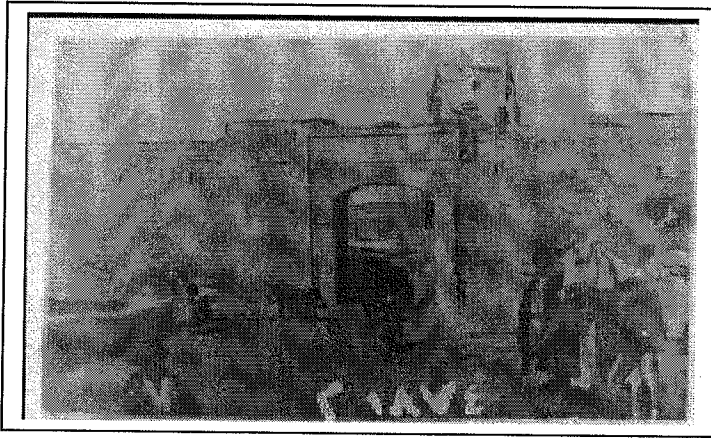
من الأحداث، كما أن حضورهم «لسماع قوله» يعني أيضاً، قبولهم، في هذا الاستفتاء الحر، به، ليس بوصفه والياً رسمياً معيناً من قبل الدولة فحسب، فهذا أمر لم يكن يحتاج إلى استفتاء، وإنما كزعيم شعبي، أو ك (أب) كما يذكر لانزا.

وفي الاجتماع الكبير لم يطرح الوالي رأيه، وإنما طلب من الجماهير التي حضرته رأياً، يقول القادري⁽¹⁾:

وقال: يا ناس فما التدبير؟ ما الفعل ما القول وما التقرير

واكتفى هو بتقديم تقرير فني حول إمكانات المدينة العسكرية، وبحسب القادري فإن ذلك التقرير جاء واقعياً تماماً، وبعيداً عن أي مبالغة في تقدير حصانة المدينة ومنعتها، وإنما قدم الحقائق كما هي، أو كما تبدو فعلاً، فالسور (مدثور)، والخندق (من قدم مهجور) و(آلة الحصر) معدومة، وهكذا فقد واجه الجماهير بالحقائق، بكل ما كانت تبدو عليه من قتامة، مكتفياً بنصيحة، لا بأمر، بأنه لم يفقد الأمل بقدره الله على التدخل لصالحهم، إذا ما قاموا، متكاتفين متوحدين، لا فرق بين خواص وعوام، بإنجاز ما أشار إليه التقرير من مواطن ضعف وخلل⁽²⁾.

فلتخرج الخواص والعوام كذا خطب، وكذا إمام
نحفر خندقاً ونبني سوراً ونحفظ العيال، ثم الدوراً



أحد أبواب الموصل القديمة

(1) ملحمة الموصل ص8.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

ولا نشك في أن مواجهة الجماهير بالحقائق المجردة، كان الخطوة الصحيحة الأولى في طريق المشاركة الفعلية في اتخاذ القرار، وهو ما أدى - من ثم - إلى إطلاق كل طاقاتهم في سبيل تنفيذ ما توصلوا إليه من رأي مشترك. لقد أدركت الجماهير، بفطرة سليمة، أن المُستهدف الأول هو وجودها نفسه، ومصير أجيالها المقبلة، قبل أن يكون نظاماً أو سلطاناً، فكان تعبير (حفظ الأولاد) و(العيال) و(الأطفال والعيال) و(الدور) هو السائد على ألسنة الموصليين، وهو ما أدى إلى إحساس كل واحد منهم، بأن الحركة إن هي إلا حركته هو، وأنه اتخذ قراره بنفسه في وجوب الدفاع عن مدينته حراً بلا إكراه⁽¹⁾، وإن مصيره الشخصي ومصير أسرته مرتبط بنتائج قراره. ووفقاً لهذه الروح هيأت المدينة قواها واستعدت للمجابهة العسكرية.

وحينما أرسلت الدولة العثمانية مفتياً إلى الموصل يحمل فتوى شيخ الإسلام بوجوب محاربة الإيرانيين، فوجئ هذا المفتي بتهمك الجماهير الموصلية، فقد كانت هذه الجماهير أكثر وعياً مما افترض شيخ الإسلام، وبواعث الثبات والمقاومة أكبر شأناً مما أودع في تلك الفتوى. ويشير القادري إلى أن الناس طلبوا منه، إن كان صادق المقال، أن يثبت ليشاركهم القتال⁽²⁾، وهي إشارة مهمة، لأنها تدل على أن الناس كانوا يدركون، وهم يعيشون في عصر الفتاوى السياسية، أنه لا قيمة لقول دون عمل وقاتل. ولم تفت أنباء استيلاء نادرشاه، على كركوك وأربيل، وتوجهه إلى الموصل، من عضد الموصليين، بل زادت من تماسكهم، ودعا الوالي الجليلي الجماهير مرة أخرى إلى اجتماع حاشد، واجهها فيه بالوقائع المحددة، كما وردت إليه، وفي لحظة توحد وتلاحم شعبي حقيقي، أكد أن وحدة القيادة بالشعب - في حقيقة الأمر - وحدة عضوية. يقول القادري في أرجوزته معبراً عن فحوى ذلك الخطاب:

فنحنُ منكم، ثم أنتم منّا فلا تخافوا فشلاً وجُبنا

وعرضكم عرضي، وأنتم مني وطفلكم طفلي، خذوا ذا عني

وفي 21 رجب 1156هـ/9 أيلول 1743م وصلت طلائع الجيش الإيراني إلى القرى القريبة من الموصل، محرقة مهلكة مدمرة، ووفدت إلى المدينة سفارة من مقر الشاه في أربيل يرأسها مفتي كركوك السابق، وتحمل رسالة كتبها ملا باشي علي أكبر، الرئيس

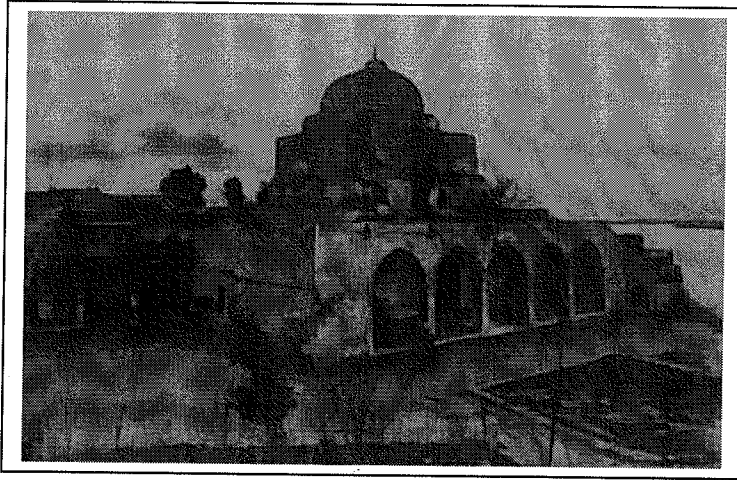
(1) من أرجوزة في وصف الحصار للسيد عبد الله الفخري. ينظر عثمان عصام الدين العمري:

الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، تحقيق سليم النعيمي، بغداد 1974 ج1 ص306.

(2) المصدر نفسه ص14.

الديني للإيرانيين إلى مفتي الموصل، يحاول فيها استمالة الموصلين بتصوير الحرب على أنها وسيلة لحسم نزاع عقائدي مع السلطان العثماني لا شأن لمدينتهم فيه.

ومع أن أمر الرد على رسالة كهذه، كان يقع ضمن صلاحية الوالي وحده، إلا أنه فضل مرة أخرى اللجوء إلى ما يمكن تسميته بالدبلوماسية الشعبية، فدعا (سكان المدينة على اختلاف طبقاتهم) إلى اجتماع كبير في الفضاء الواقع خارج باب السراي، أحد أبواب السور الجنوبية، قريباً من الجامع الأحمر⁽¹⁾، أحد أقدم المساجد الأثرية في الموصل وأهمها. وبدلنا اختيار الفضاء موضعاً للإجتماع على ضخامة عدد الجماهير التي جرى توقع مجيئها إلى حضوره. وعند الجدار القبلي للجامع الأثري، تمت تلاوة الرسالة التي بعث بها نادرشاه على مسامع الجمهور المحتشد، وكما كان متوقعاً، تعالت الهتافات من كل ناحية تدعو إلى ضرورة التمسك بالمدينة إلى الرmq الأخير، وإلى تفضيل الموت في الحرب على الاستسلام المشين⁽²⁾.



الجامع الأحمر (المجاهدي)

حيث اجتمع الموصليون لاتخاذ قرار الدفاع والمقاومة

(1) يقع هذا الجامع على شاطئ دجلة، في جنوبي الموصل القديمة، أمر بإنشائه مجاهد الدين قيمان سنة 576 كما شهدت بذلك كتابة أثرية قرأها نيبور سنة 1766م، وسمي بالجامع المجاهدي نسبة إليه، ثم عرف في القرون المتأخرة بالجامع الأحمر بسبب لون مصلاه، كما عرف بجامع الخضر، جرى تجديده غير مرة. ينظر سعيد الديوه جي: الجامع المجاهدي، مجلة سومر، المجلد 11، الجزء 1955.

(2) منية الأدباء ص180.

وعلى إثر ذلك الاجتماع، صيغت رسالة جوابية احتوت على أكبر قدر ممكن من معاني الإباء والشجاعة واستصغار العدو⁽¹⁾، ووضح «أنه لن تسلم المدينة وفيها إنسان حي، ولن يرتكب أحد منا دناءة التسليم ولا يتحمل ذل مثل هذه الخيانة»⁽²⁾، وانتهزت الجماهير هذه الفرصة فبايعت قائدها «على القتل وقد تحالفوا لا يقضن منا أحد». ولسنا نريد هنا أن نستعرض واقع الحصار نفسه، بصفحاته المتعددة، فذلك ما يخرج عن نطاق بحثنا والغاية التي توخيناها من هذا البحث.

اعداد ساحة المعركة

وكان تحصين المدينة، الذي تعرض للإهمال إبان القرون الأخيرة، يمثل أول متطلبات التعبئة، فانطلقت الجماهير (الخواص والعوام) إلى قضاء الموصل لترميم ما تصدع من أسوارها، وتجديد ما اندثر من حصونها، وما إنردم من خنادقها. ويشير القادري إلى أن خروج الناس كان (على الإطلاق)، وأن واحداً لم يستثن نفسه لأي سبب كان، وبضمنهم تلك الفئات التي اعتيد على عدم زجها في المعارك، كالعلماء والعلويين، وذوي المهن الدينية البحتة، كالخطباء وأئمة المساجد. ويذكر ياسين العمري أن الذين خرجوا هم أهل الموصل: الكبير والصغير، والغني والفقير، والعزيز والحقير. ويمكننا أن نتوصل من الإشارة إلى إغلاق الحوانيت والأسواق، إلى أن أغلب من خرج للعمل كان من أهل الحرف والكسبة والباعة والتجار، أي من كانوا يُسمون بالعامّة، ويلاحظ أن خروجهم لم يكن عشوائياً، وإن كان عفويّاً، إذ يذكر محمد أمين العمري أن الوالي «نصب على كل صنف من الناس واحداً من المتقدمين عنده»⁽³⁾، وهو ما يدل على أن حركتهم كانت تجري في نطاق تنظيماتهم الحرفية المعروفة بالأصناف. وفي مدينة الموصل، ذات نشاط حربي وتجاري كبير، كان أغلب السكان منتظمين في أصناف، وكان لكل صنف جمهوره المتمثل بعامّة الفعلة والخلفات، وقيادته المنتخبة المتكونة من شيخه وكهيته (أي نائبه) ومجلس الصنف الذي يضم الأسطوات⁽⁴⁾، ولا نشك في أن أصناف البنائين والحجّارين والمعماريين والصقالين والجصاصين والمكاريين والخشابين والنجارين كانت في مقدمة تلك الأصناف العاملة، وقد تعاملت قيادة

(1) نشرها سعيد الديوه جي في ملاحق منية الأدباء.

(2) سالنامه الموصل لسنة 1325هـ، ملاحق منية الأدباء، ص 274.

(3) منهل الأولياء ج 1 ص 152.

(4) بحثنا: الملامح الاجتماعية لنظام الأصناف في العراق إبان العصر العثماني، من هذا الكتاب

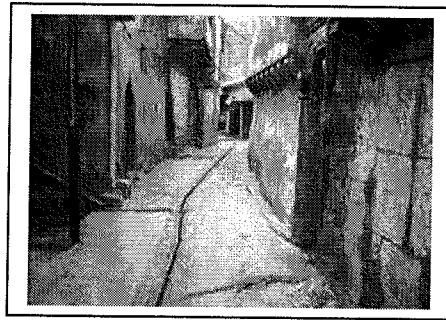
الولاية مع جماهير الأصناف وفقاً لأصنافهم، وكل ما في الأمر، أنها عينت على كل صنف مشرفاً عنها، من أجل تخطيط العمل وتنظيمه، وإقامة التنسيق بين الأصناف نفسها في إنجاز الأعمال المناطة بها .

وبتوجيه من القيادة الموصلية انطلقت الجموع إلى خارج أسوار المدينة لتزيل الروابي والأكمام المحيطة بها، وتجعلها قاعاً صافياً، خشية من أن يتخذها الأعداء سبباً في التسلط على داخل المدينة، ولنا أن نتصور ضخامة الأعداد التي خرجت ليلاً وهي تحمل معاولها، و(زنايلها)⁽¹⁾، لتحيل مثل تلك المرتفعات أرضاً مستوية خلال وقت قصير⁽²⁾.
يقول القادري⁽³⁾:

ثم ترانا في ظلام الليل نرفع زنببلاً كهطل السيل
وتسمع الصياح والضجيج كانما في مكة حجيج

الإعداد المعنوي

وكان للفنانين نصيبهم من التعبئة، أو التهيئة لها، فقد صدحت في فضاء المدينة أصوات الآلات الموسيقية، من الطبول والبوقات والنايات والمزامير⁽⁴⁾، وإذا افترضنا أن جانباً من ضاربي الطبول ونافخي الأبواق كانوا من فرقة الموسيقى العسكرية، المعروفة باسم (المهترخانه)، فإن النايات والمزامير كانت آلات شعبية تماماً، تبنى بأن عازفيها لم يكونوا إلا موسيقيين عاديين من عامة أهل الموصل وفنائها .



عوجة (زقاق) في الموصل القديمة

(1) الزنبيل: السلة الكبيرة التي تحاك من جريد النخل.

(2) ملحمة الموصل ص9.

(3) المصدر نفسه ص9.

(4) المصدر نفسه ص10.

الإعداد المالي

ولما كانت أعمال ضخمة كهذه تستلزم أموالاً جمة، تزيد على إمكانات الخزينة المحلية، فقد تسارع الموسرون إلى بذل الأموال للإنفاق على مستلزمات التحصين المختلفة. وعلى الرغم من أننا لا نملك معلومات عن الفئات التي أنفقت، ومقدار المبالغ المنفقة، ففي وسعنا القول أن الأمر شمل جميع البيوتات الموسرة، والتجار، وشيوخ الأصناف، وذلك أن حكومة الولاية قد اعتادت، في حالات الضرورة، دعوة أولئك الموسرين للإنفاق على المشاريع الخدمية ذات النفع العام، وهو ما عبر عنه القادري بقوله⁽¹⁾:

بذلنا جهداً، وصرفنا مالا لحفظ الأولاد والعيالا

إن مشاركة الموسرين بالتبرع من أجل الإنفاق على مستلزمات المعركة المقبلة يكشف عن حقيقة مهمة، وهي أن إعداد هذه المستلزمات لم يكن يجري على سبيل السخرة، مع أنه لو جرى ذلك لما عد الأمر غريباً، فالمعركة قادمة والدفاع عن المدينة واجب أهلها، إلا أن المبادئ، على نبهها، لم تكن مبرراً للتجاوز على الحقوق.

تأمين الغذاء

وبعد أن أنجزت أعمال التحصين والحفر، واستردت المدينة منعتها، أسرع الشعب، بتوجيه من قيادته، في حملة حصاد الغلال، بهدف خزن الغذاء الكافي للسكان في أثناء الحصار المقبل. ولم تكن الحملة بالأمر الميسر بأي حال، فحصاد كميات ضخمة من القمح في مساحات واسعة من الحقول، وبسرعة استثنائية مع ضيق الوقت، ثم نقلها، وهذا الأصعب، من القرى التي في شرقي الموصل إلى المدينة عبر جسر عائم وحيد، كان أمراً صعباً، لا سيما وأن هذا الجسر كان مشغولاً في الوقت نفسه بعبور أعداد كبيرة من أهل تلك القرى الفارين إلى المدينة للإحتماء بأسوارها، ومنهم عيال وأطفال لهم «عويل وصراخ». ويصور القادري هذه الحملة على أنها كانت صورة أخرى من صور التلاحم الشعبي، منقطع النظر، إذ قال⁽²⁾:

فأخرج الناس إلى الحصاد أجابوا بالسمع بلا عناد

(1) المصدر نفسه ص 11.

(2) المصدر نفسه ص 13.

وقال: دوسوا⁽¹⁾ ثم ذروا وانقلوا غلتكم وأحذروا نصحي تهملوا

مما دل على أن الذين قاموا بحملة الحصاد الكبرى تلك، لم يكونوا من فلاحي القرى فحسب، وإنما شاركهم من خرج إليهم من جماهير المدينة، وهم الذين سبق أن شاركوا في حملة البناء والتحصين من قبل. ولم تقتصر عملية خزن الغذاء على القمح فحسب، وإنما تم نقل كميات كبيرة من الخشب ربما بوصفها مصدر طاقة للطبخ ونحوه، فضلاً عن البقول⁽²⁾.

وحينما تفقق ذهن نادرشاه عن خطة جديدة تعتمد على إضعاف معنويات الموصلين عن طريق قطع مياه الشرب عنهم، بتحويل مجرى الماء الذي منه يستقون، لم يعدم الشعب توفير هذه المياه من مصادر أخرى مختلفة، ومن ثم «بقي الجميع كما كانوا في طابيات الحصن الحصين معتصمين بالصبر الجميل»⁽³⁾.

إعداد السلاح

وجرياً على أسلوب تنظيم الحملات الشعبية، جرى إعداد حملة أخرى لإصلاح قطع السلاح المتوفرة في المدينة، ومن الراجح أن هذه الحملة شملت آلات الحصار، كما وصفها تقرير الوالي القازيقي، فضلاً عن المدافع والأسلحة النارية والعادية الأخرى⁽⁴⁾. وبدل توزيع الوالي قطع السلاح من (التفك)⁽⁵⁾ والسيوف على الجماهير وتقسيم كميات البارود فيما بينها⁽⁶⁾، عن طبيعة المعركة كما فهمتها القيادة والجماهير معاً، فمسؤولية الدفاع لن تكون على عاتق الجيش النظامي وحده المتمثل بفرق الإنكشارية فحسب (رغم أن هذه الفرق لم تعد إلا أهل الموصل حصراً)، والحرب لن يتولاها الجنود المحترفون على الأسوار وفي الأبراج الحصينة، وإنما هي معركة الشعب كله، وعلى هذا ينبغي للسلاح أن يكون بأيدي الجميع، دونما تمييز.

(1) داس الزرع، تعبير عامي موصلية، بمعنى درسه.

(2) في النسخة المطبوعة من أرجوزة القادري ورد اللفظ بشكل (ثقل) ولكن المحقق ذكر أنه في

نسخ أخرى من الأرجوزة ورد بشكل (بقل) ونرى أن اللفظ الأخير هو الأنسب للسياق.

(3) تقرير حسين باشا ص 283.

(4) ملحمة الموصل ص 13

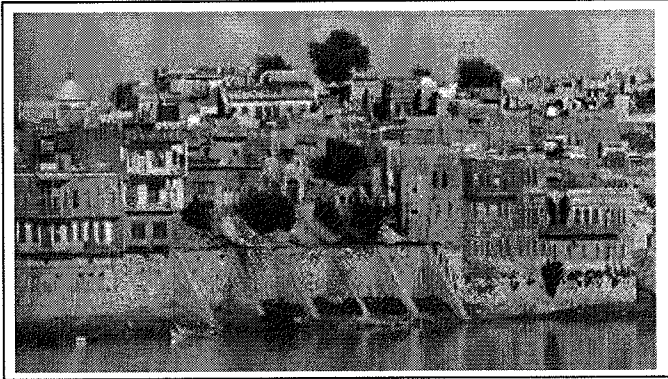
(5) التفك والتفك: البندقية والبنادق.

(6) المصدر نفسه.

التطوع الشعبي للقتال

ويمكن القول أن جميع ما حدث بعد ذلك من وقائع كان يعبر بجلاء عن حالة نادرة من التماسك الاجتماعي، فلم نسمع بانتماء غير الإنتماء إلى المدينة، ولم يكن ثمة هدف إلا الثبات ودفع العدوان. واندمجت قوى الشعب المسلحة، والقوات النظامية والقيادة العليا، بحيث يعسر على الباحث أن يضع أي خط فاصل بين هذه القوى، ولاشك في أن القوات النظامية لم تكن تكفي للمقاومة الفعالة، فهذه القوات لا تزيد على ستة آلاف أو سبعة آلاف مقاتل في أقصى تقدير، بينما احتاجت الموصل إلى عدد يفوق هذا بأضعاف لتواجه جيشاً قدر بنحو ثلاثمائة ألف جندي. ولما كان عدد السكان في داخل المدينة قد بلغ نحو (50000) نسمة⁽¹⁾، يضاف إليهم من قدم إليها من أهل القرى⁽²⁾، فإن المجموع كان يصل إلى (70000) أو (80000) نسمة. ونستطيع القول بأن عدد من كان يستطيع حمل السلاح من هؤلاء كان لا يقل عن (20000) أو (30000) رجل، وهو أقصى ما تستطيعه مدينة محاصرة أن توفره من جنود، وهكذا فقد كانت الموصل كلها في المعركة، وقد كشفت مجريات الحصار والعمليات العسكرية التي رافقتة عن أهمية هذا العامل في رسم نتائج جميع الوقائع وصفحاتها المتعاقبة.

ولما لم يكن جميع المتطوعين مدربين على استعمال السلاح، لا سيما في مثل هذه المعركة الحاسمة، فقد عمدت القيادة الموصلية إلى تكليف فئة من العسكريين «يُعلِّمون طرق الجهاد» و«يهدون ناساً سبل الرشاد»⁽³⁾.



جانب
من
محلات
الموصل
القديمة

(1) كتابنا: الموصل في العهد العثماني ص 318-319.

(2) حبش بن جمعة: مذكرات خطية نشرها روفائيل بيداويد في ملاحق مذكرات لانزا: الموصل في القرن الثامن عشر ص 94.

(3) ملحمة الموصل.

المشاركة في القتال

ويبرز دور (العاكر) النظامية في معركة الخيالة الخفيفة التي جرت عند مشارف الموصل بين (عساكر الإسلام المنصورة) بقيادة عبد الفتاح الجليلي (700 أو 800 فارس)، أخي والي الموصل وبين قوة كبيرة من الجيش الإيراني، قدرت بنحو عشرة آلاف مقاتل، وفيما عدا هذه المعركة، لم يعد ثمة دور مستقل لهذه القوات⁽¹⁾، إلا بوصفها جزءاً من قوى المدينة كلها، العسكرية والمدنية على حد سواء، ولم نعد نسمع إلا إشارات إلى (الناس) و(أهل الموصل) و(رجال الموصل) و(الجميع).

لقد استتفر الوالي الجليلي الشعب للقتال، فخرج الجميع حاملين ما يملكون من أنواع السلاح.

ويقول القادري عن لسان حسين باشا الجليلي:

فقوموا يا قومي إلى السلاح
وصاح فينا صائح: الفلاح!
وأعطي لكل مقاتل دوره في المعركة، فلم يكن ثمة جزء من الأسوار إلا وعليه مقاتل:

ورثب الناس على البروج
وما ترى في السور من فروج

وحينما بدأ نادرشاه هجومه بقصف المدينة «بالمدافع الكبار والقنبر»⁽²⁾ في 8 شعبان 1156هـ/ 25 أيلول 1743م، كان أهل الموصل على الأسوار، مرابطين في الليل والنهار، لا يفترون عن الاستغفار. ولم تميز إطلاقات الجيش الهاجم بين أحد من أهل الموصل، فقد صارت المدافع تطلق قنابلها من إثني عشر جانب على داخل المدينة. ويصف تقرير رسمي أثر تلك الإطلاقات بقوله إن «قطعها الهدامة للبيوت تسلب الراحة، وأصواتها الشبيهة بالصواعق تمثل حلول يوم القيامة»⁽³⁾. ووصف مؤرخ موصل أن الناظر كأنه كان يرى «أن السماء أمطرت ناراً على الأرض، وهاجت

(1) في تقرير حسين باشا (ص 281) إشارة إلى أن هذه القوات كانت تضم قوات من الدلاة (جمع دلي وهي كلمة تركية تعني حرفياً المجنون)، ويقصد بهم المندفعون في خوض غمار المعركة، واللوند، وهي فرقة من القوات المجندة محلياً، وأغوات الأندرون، أي الضباط التابعون للسراي، إلا أن هذه الأسماء لم يعد لها أي ذكر في صفحات القتال التالية.

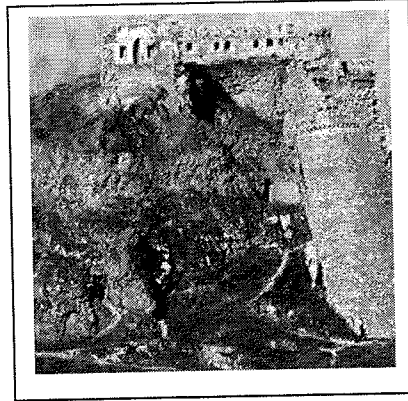
(2) زبدة الآثار الجليلة ص75

(3) هذا التقرير رفعه كل من محافظ الموصل حسين باشا القازيقجي، ووالي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي، ملاحق منية الأدباء ص277.

الحرب، وماجت الأرض، وعلا الصراخ، وكثر الرعد كالصواعق». وذكر أن هذه الإطلاقات هدمت كثيراً من الدور، و«دثرت بيوتاً لا يحصى لها عدد وأهلكت أنفساً كثيرة»⁽¹⁾. ولكن آثارها على الروح المعنوية للشعب كانت مختلفة تماماً، يقول هذا المؤرخ «ومع ذلك ما هالت قلوب الناس الغازين (أي المجاهدين) بل كلما زاد عليهم شديد ضرب المدافع والقنابر، إزدادوا شجاعة وثباتاً، وعلت أصواتهم بالتكبير والتوحيد للجليل الجبار إلى أن صاروا يعومون في بحر من نار كمثل طيور السمندر»⁽²⁾.

الالتفاف الشعبي حول القيادة

وبعد ثلاثة أيام من القصف المتواصل، لاح للعيان فشل الصفحة الأولى من الهجوم في ترويع السكان بالقنابل لحملهم على الاستسلام، وافتتح نادرشاه الصفحة الثانية بتكثيف الهجوم بالمدفعية الثقيلة على برج (باشطابية) الأثري، حيث مقر القيادة الموصلية، وتمكنت قواته من إحداث ثغرة جسيمة فيه «تمكن الخيالة من اجتيازها فضلاً عن الرجالة»، فكان أن أمر الوالي الجليلي بسد الثغرة على الفور، وتولت فرقة معدة لهذا الغرض من البنائين، تسمى (المعمارية) العمل، فضلاً عن سائر (الناس) وجازف هو بنفسه «وأحجار السور تهوى عليه كالطر»⁽³⁾ ليحثهم على الإسراع بسد الثغرة، «فكلما انفتح جانب من السور سدوه بفرارات التراب، ووضعوا أجسام القتلى بدلاً من الحجارة» فأنقذت شجاعته، فضلاً عن الموقف الشعبي المساند، الموقف، وتم إحكام البرج من جديد.



برج باش
طابية حيث
مقر قيادة
الحاج
حسين باشا
الجليلي

(1) منهل الأولياء ج 1 ص 154 و155.

(2) المصدر نفسه. وتقرير حسين باشا الجليلي ص 282.

(3) المصدر نفسه ج 1 ص 156.

وتوالى هدير المدافع خمسة أيام أخرى دون انقطاع، قُدِّر ما ألقى على الموصل خلالها بأربعين ألف أو خمسين ألف قنبلة مدفع، ومائة ألف قذيفة هاون، وكان الوالي الجليلي «من أول الليل إلى النصف الأول يدور حول البلد والبروج، ويقوي المجاهدين من الغزاة والثبات على الأعداء»⁽¹⁾ ثم يقوم ولداه مراد ومحمد أمين بالسهر على الحصون حتى الصباح.

وازاء مقاومة الموصلين واستعدادهم عمد الإيرانيون إلى تكتيك عسكري كان متبعاً في حصار المدن المنيعَة في ذلك العصر، وهو حفر أنفاق طويلة تحت الأرض، تتصل بأسس الأسوار، تسمى (ألغاماً)⁽²⁾ وتحشيتها بالبارود وتفجيرها لهدم تلك الأسوار، وهكذا فإنهم حضروا أنفاقاً من ناحية مرقد الشيخ قضيبي البان، في خارج باب سنجار، وحشوها باروداً، إلا أن ذلك لم يؤد إلى الغاية المرجوة، إذ انفجر نفقان على الذين فوقهما، ولم يصل أثرهما إلى دعائم سور الموصل، فزاد ذلك في ارتفاع معنويات المدافعين، و«ثبت أهل الموصل أحسن ثبات»⁽³⁾. ويصف القادري حال أهل الموصل في تلك الأيام الحاسمة بقوله⁽⁴⁾:

فالتجأ الناس نعم للصور وفوضوا الأمر إلى الغيور
وأخلصوا لله بالنيات ووطنوا الروح على الثبات

قتال النفس الأخير

ولما لم يُجد القصف، ولا قطع المياه، ولا إطالة أمد الحصار، في الفت في عَضُد الجماهير المدافعة عن مدينتها، بدأت الصفحة الثالثة والأخيرة من العدوان، وذلك بالهجوم الكبير على الأسوار بأفواج كثيرة من الجند، تحمل نحو ألف سلّم عال أعدت لتسلقها، وفي الواقع، فإن جماهير الموصل عبّرت في صد هجوم السلالم هذا عن أروع معاني البسالة والتماسك الاجتماعي، فحينما صد الجنود في الأسوار والمزاغل هجوم متسلقي السلالم بوابل من نيران بنادقهم، وبالقنابل

(1) منهل الأولياء ج1 ص155.

(2) أصل كلمة لغم: لقم، لأن البارود كان (يلقم) في أفواه الأنفاق.

(3) المصدر نفسه ص103.

(4) ملحمة الموصل ص14.

اليدوية، وبالسلاح الأبيض، بل والحجارة⁽¹⁾، وأوقعوا بمن كان في الخنادق، هبطت جماعات من الموصلين لتفتك بمن وجدوهم في أسفل السور، فدارت معارك في الخندق «بالخناجر والسيوف»، وجرى سحب سلالم المهاجمين من على السور، وكان كل واحد منهم كأنه أسد ضار⁽²⁾. ويصف مؤرخ معاصر، هو محمد أمين العمري، تلك الساعات العصيبة من تاريخ الموصل بقوله⁽³⁾:

فنزّل المسلمون وانقضوا عليهم انقضاض الشهب على الشياطين، وأعملوا فيهم السيف البتار، وفتكوا منهم ما لا عدد له، ولحق الغازون من خارج السور أثر الملحدين، كأمثال الذئب، وقتلوا منهم ما لا يحصى عددهم، وأوقعوهم بالذل والخيبة، وكان يوماً على الكافرين عسيراً»

أذابت حمى الدفاع عن المدينة والاستبسال المتناهي عن كل حجر فيها، كل فرق بين من هو جندي في الجيش، وبين من هو فرد عادي من العامة، فلم نعد نقرأ عن جنود نظاميين، وإناس متطوعين، وإنما نقرأ عن (مسلمين) و(غزاة) و(شجعان موحدين) فحسب، يقاتلون بوصفهم كتلة مترابطة واحدة.

وفي مساء ذلك اليوم «هبت نسائم النصر»⁽⁴⁾ إذ تأكد لنادرشاه، بما لا يقبل الشك، خسارة جيشه المعركة نهائياً، وعدم جدوى الوقوف تحت أسوار المدينة الصامدة، لتلقي المزيد من الخسائر، بينما كانت بوادر التملل السياسي قد أخذت تبين في داخل إيران نفسها. وفي اليوم التالي جرت مفاوضات قصيرة حول الانسحاب، أريد بها الحفاظ على ما تبقى من ماء وجهه إزاء جنده⁽⁵⁾، وبانتهاء ذلك، شرع الجيش الإيراني بالانسحاب غير مُخَلَّف وراءه إلاّ ذكريات الفشل والهزيمة المرة⁽⁶⁾.

(1) تقرير حسين باشا، مصدر سابق ص282. وياسين العمري: الدر المكنون، الورقة 594.

(2) تقرير حسين باشا ص286.

(3) منهل الأولياء ج1 ص159

(4) تقرير حسين باشا ص288.

(5) وافق نادرشاه على إخلاء جميع الأراضي التي احتلها. رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء ص51.

(6) انسحب نادرشاه عن الموصل في 4 رمضان 1156هـ/21 تشرين الأول 1743م. ياسين العمري: غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص182.



نادرشاه

خاتمة

لقد كشفت مجريات معركة حصار الموصل سنة 1156هـ/1743م عن أنها كانت - بالدرجة الأولى- معركة شعب يدافع عن وجوده، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وجميع ما ادعاه نادرشاه من أسباب الحرب، كشف الشعب بطلانه وزيفه. ولقد أدرك الموصليون، منذ اللحظة الأولى، أن الدفاع عن مدينتهم يبقى مسؤوليتهم هم، قيادة وجيشاً وشعباً، قبل أن تكون مسؤولية السلطان العثماني. لذا فقد استمات الجميع، دون انتظار لجيش أو مدد عثماني، من أجل الدفاع عن مدينتهم، ولذلك فإن النصر كله كان للجماهير الموصلية، على اختلاف أطرافها. ولم يجد مُعد التقرير الرسمي عن الحصار من فضل يُعزّيه إلى السلطان سوى (دعواته المباركة)!

لقد كانت- كما سماها باحث معاصر⁽¹⁾ بحق- (ملحمة الموصل) كل الموصل، وهي بذلك تعد أنموذجاً نادراً لمدى ما يمكن أن تؤديه روح المدينة، المعبرة عن تماسك جماهيرها ووحدتها، من دور مؤثر في الإستجابة للتحديات⁽²⁾.

(1) المرحوم سعيد الديوه جي، صفحة العنوان لأرجوزة القادري سنة 1965.

(2) ذكر الأديب البغدادي محمد بن عبد الغفور الرحبي في ترجمته للسيد عبد الله الفخري أن له منظومة «في وقائع نادرشاه وما نتج منها ومحاصرته للحدباء ورحيله عنها وعدم نياله منها ما أراد، ولم يحصل له مُتمناه ومُراد، إذ هي محروسة بعين عناية الملك المتعال، والأفهي وقعة تشيب لها الأطفال، وتذك الجبال، وتذهب العقول، وتحير الفحول، وقى الله شرها، وبرّد حرّها، ودفع ضرّها، فألف هذا الفاضل الذي فاق الأوائل هذه الأرجوزة، وجعلها ميدان تلك الوقعة والحروب والنوائب». غاية المشتاق في علماء العراق (مخطوط)

أضواء على انتفاضة الموصل المنسية سنة 1839 م

عاش المشرق العربي إبّان إعادة الحكم العثماني المباشر إليه في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، منعطفًا مهمًا في تاريخ تطوره السياسي والحضاري العام، تمثل بزوال حكوماته المحلية شبه المستقلة عن الإدارة العثمانية المركزية، ومن ثمّ ضياع آخر أمل بالاستقلال. ونتيجة لانفتاح البلاد على التجارة الرأسمالية الأوربية، قُضِيَ على إمكانات تطورها الإقتصادي المستقل، ومهدّ الطريق لهيمنة اقتصادية أجنبية متزايدة، سرعان ما اتخذت بُعداً سياسياً ملحوظاً، واقتترنت بجملة من الظواهر الاجتماعية المعقدة.

ومن ناحية أخرى شهد المشرق العربي قيام دولة محمد علي في مصر، بما تمثّله من روح عصرية جديدة، ووصول الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي إلى بلاد الشام، وإحرازه الإنتصارات السريعة على القوات العثمانية؛ ليضم هذه البلاد إلى مصر في دولة واحدة، ومن الطبيعي أن تؤدي تلك المتغيرات الجديدة إلى بعث الأمل لدى الفئات العراقية المعارضة لإعادة الحكم العثماني المباشر، للتخلص من السيطرة العثمانية، وهكذا فقد شهدت مدن العراق قيام انتفاضات شعبية متعددة، عبرت في واقع الأمر عن رفض السكان عودة السيطرة المباشرة على مدنهم، بما تعنيه من أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة، وقد بلغ من عنف هذه الانتفاضات وامتدادها، أنها كادت - في بعض اللحظات - أن تقضي على الوجود العثماني نفسه، أو أن تخرجه إلى حد كبير، كما تدل مجرياتها على اختصاصها بقيادات ذات تجربة وبأس، وحسن تقدير للمواقف السياسية عهد ذلك، ففي بغداد شبت الثورة في الجانب الشرقي في 27 ذي الحجة 1247 (آخر أيار 1832 م) بزعامة مفتي المدينة عبدالغني آل جميل⁽¹⁾

وتشير التقارير إلى أن نصف أهل بغداد كانوا في ثورة على واليها علي رضا باشا اللاظ (1247-1258هـ / 1831 - 1842م)⁽²⁾ (ولم يتم القضاء على الثورة إلا بعد

(1) عباس العزاوي؛ تاريخ العراق بين احتلالين، 14/7.

(2) دار الوثائق القومية والتاريخية بالقاهرة، محفظة 238 عابدين، وثيقة رقم 68 تقرير لوحيدي أفندي عن يوم 8 ربيع الآخر 1248هـ/4 تشرين الاول 1832م.

قصف مراكزها بالمدفعية، والتككيل بالثوار، وحرّق دُورهم⁽¹⁾، ولم تكد الثورة أن تنتهي حتى نشبت ثورة أخرى في الجانب الغربي من بغداد، قامت بها عشيرة عقيل النجدية التي سبق وأن اتّفق زعمائها مع القيادة المصرية في الشام، ونجح علي رضا في القضاء على الثورة بعد استعمال مدفعيته مرة أخرى⁽²⁾.

وفي البصرة شكل الثوار قيادة جديدة تحت زعامة عزيز آغا متسلم المدينة السابق، وحاول الأخير إزاحة علي رضا باشا عن حكم بغداد بالقوة⁽³⁾ إلا أن محاولته لم تنجح بسبب الأوضاع الدولية⁽⁴⁾.

تدل الشائعات التي انتشرت بين الناس في تلك الآونة على مدى ضعف السلطات العثمانية، وحراجة موقف علي رضا، فقد أُشيع أنه اعتصم بقلعة بغداد⁽⁵⁾، وأنه فرّ من المدينة⁽⁶⁾ وأنه لقي مصرعه⁽⁷⁾، وأن أهل بغداد عزلوا الوالي الذي نصبته الدولة العثمانية عليهم، وعينوا مكانه والياً من بينهم؛ إبراهيماً لميلهم إلى مصر⁽⁸⁾، ولم تقتصر الثورة على المدن الرئيسية فحسب، وإنما امتدت إلى ما سواها من المدن والقصبات، فأظهر متسلم (عانه) طاعته للحكومة المصرية، وأعلنت (هيت) انضمامها إلى جانب مصر⁽⁹⁾، فزاد ذلك من حراجة الموقف العثماني في بغداد، حتى قيل: إن «كل البلاد الواقعة بين بغداد وحلب منتظرون قدوم العساكر المصرية المنصورين»⁽¹⁰⁾، وأكد

(1) العزاوي؛ المصدر السابق 15/7، وعبدالعزيز سليمان نوار؛ تاريخ العراق الحديث، (القاهرة 1968)، 452.

(2) الوثائق القومية، محافظة 246 عابدين، وثيقة 65 بتاريخ غرة شعبان 1248هـ/ 24 كانون الثاني 1832م والعزاوي؛ المصدر السابق 29/7، وانظر: عبدالرحمن حلمي السهروردي؛

تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، بتحقيقنا (بغداد 1996) ص71.

(3) 1832هـ/ أيار 1248 في محرم 198 ووثيقة رقم 235 لوثائق القومية، ملاحظة

(4) العزاوي؛ المصدر السابق 25/7.

(5) الوثائق القومية، محافظة 235 الوثيقة السابقة.

(6) الوثائق القومية، محافظة 250 الوثيقة رقم 480 في 2 ذي الحجة 1250هـ/ 2 أيار 1835.

(7) الوثائق القومية، محافظة 235 وثيقة رقم 198 محرم 1248هـ/ أيار 1832م.

(8) الوثائق القومية، دفتر معية تركي وثيقة 823.

(9) الوثائق القومية، محافظة 238 عابدين، الوثيقة العربية رقم 262 مراسيم إلى شيوخ القبائل

العراقية في 24 ربيع الآخر 1248هـ/ أيلول 1832م.

(10) الوثائق القومية، محافظة 238 عابدين، وثيقة 68 تقرير وحيد أفندي في 8 ربيع الآخر

1248هـ/ 4 تشرين الأول 1832م.

التقرير الذي رفعه قنصل إنكلترا في بغداد «أن هذه الولاية هي الآن في أشد حالات البؤس والضيق تحت حكم علي باشا، وأنظار الشعب العربي متجهة في المحبة نحو إبراهيم) يريد: إبراهيم باشا قائد الجيوش المصرية في الشام⁽¹⁾»

وفي الموصل كانت الأسرة الجليلية التي حكمت الموصل مدة قرن تقريباً⁽²⁾، تتحين الفرص لاسترجاع حكمها بعد أن أودت السياسة العثمانية المركزية بحكم آخر ولاتها يحيى باشا الجليلي، وقد أقام الأخير في حلب متابعاً أخبار تقدم الجيش المصري، وهزائم العثمانيين إزاءه، ويظهر أن اتفاقاً قد جرى بينه وبين القيادة المصرية بوساطة حليفه الشيخ صفوك الفارس شيخ مشايخ شمر الجريا؛ إذ ما أن قارب إبراهيم باشا دخول حلب، حتى غادرها يحيى باشا متجهاً مع حليفه صفوك نحو الموصل، وكانت المدينة تعيش فترة قلق واضطراب آنذاك بسبب عجز الدولة العثمانية عن حمايتها إزاء الأخطار المجاورة⁽³⁾.

وتشير بعض الوثائق إلى أنه «استولى على الموصل بمساعدة بعض سكانها⁽⁴⁾»؛ مما دلّ على وجود كتلة، أو حزب، مؤيد له في الثورة على الدولة العثمانية، وإن هذا الحزب كان من القوة؛ بحيث لم يبق بيد المتسلم المنصوب من قبل علي رضا إلا حي واحد فقط، وهو قريب من السقوط، وأن يحيى باشا أعلن بصراحة أنه يحكم الموصل بأمر من دولة إبراهيم باشا لا بأمر الدولة العثمانية⁽⁵⁾.

وإذ يذكر الوكيل السياسي البريطاني في بغداد الكولونيل تايلر Taylor، أنه كان في الموصل حزب قد أخذ جانب مصر⁽⁶⁾، فمن الراجح أن يكون هذا الحزب هو الذي استند إليه يحيى باشا في فرض سيطرته على المدينة، ولم يستطع العثمانيون القضاء

(1) من تايلر القنصل الإنكليزي في بغداد إلى كامبل القنصل الإنكليزي في الإسكندرية، بتاريخ 6 تشرين الثاني 1833؛ داود بركات: البطل الفاتح إبراهيم 94.

(2) انظر عن حكم هذه الأسرة لولاية الموصل كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975.

(3) المصدر نفسه، ص 202 - 203.

(4) الوثائق القومية، من إبراهيم باشا يكن إلى إبراهيم باشا بن محمد علي في 9 جمادى الأولى 1248هـ/4 تشرين الثاني 1832، محفظة 239 وثيقة رقم 73.

(5) الوثيقة نفسها.

(6) عبدالعزيز نوار؛ تاريخ العراق الحديث، القاهرة 1968، ص 194.

على حكمه إلا بعد اتباعهم سياسة إشغال حليفه صفوك في نزاعات قبلية مستمرة⁽¹⁾، ويعزله تمّ القضاء على آخر الحكومات المحلية شبه المستقلة في العراق، وفرضهم الإدارة المباشرة عليه.

وكنا لا نعلم مصير هذا الحزب المؤيد لزعامة الجليليين، وللإدارة المصرية في الشام، بعد انتهاء حكم يحيى باشا الجليلي، حتى وقفنا على وثيقة مهمة تتضمن تقريراً سرياً بعث به أحد ضباط الجيش المصري إلى إبراهيم باشا في الشام سنة 1255هـ/1839م، تحدث في بعض فقراته عن انتفاضة كبيرة قام بها الموصليون في تلك السنة، وقد جاء في التقرير ما يأتي⁽²⁾ «جواب الشيخ الموما إليه (هو حمود جَسَّار) الأول بخصوص علي باشا (اللاظ) ، فإنه بتاريخ 35 ص (صفر 1255)، قد وكل بغداد فريق باشا⁽³⁾ وملا علي⁽⁴⁾، وهو توجه إلى الموصل بينه وبين بغداد مقدار اثني عشر يوماً، ومعه من العساكر مقدار سبعة آلاف من الجهادية وغيرهم، وكان وصوله في ثاني من ربيع الأول، وحصل بينه وبين أهل الموصل وقعة، فقتل من أعيانهم اثنين وسبعين شخصاً، وسيّر من العلماء سبعة إلى نواحي البصرة من دون ذنب، غير أنه يخبر على أنهم كاتبوا سعادة أفندينا إبراهيم باشا، ومبغضون إلينا...»

فهذا النص يكشف على أن (الوقعة) المذكورة لم تكن - في حقيقة الأمر - إلا انتفاضة شعبية عارمة، شارك فيها عددٌ كبير من أعيان المدينة وزعمائها؛ لأنه ليس مألوفاً أن يُعدم هذا العدد الكبير منهم، ما لم تكن قد شملت المدينة بأسرها، وباتت تهدد الوجود العثماني هناك نفسه.

وتدل معاقبة العلماء بنفيهم إلى البصرة، على مشاركتهم الفعلية في حوادث الانتفاضة؛ إذ لولا تلك المشاركة وجديتها، لما تعرّضوا إلى النفي والتبديد، ولقد حاول

(1) الموصل في العهد العثماني، 206.

(2) الوثائق القومية، محفظة 267 عابدين، وثيقة حمراء من خورشيد إلى الباشمعون في غرة جمادي الآخرة 1255هـ/ 12 آب 1839.

(3) لم تقف على هوية فريق هذا في مصادر الحقبة.

(4) هو المعروف بالملا علي الخصي، وكان يتولى وظيفة (كتخدا الحرم)، فقدمه علي رضا باشا وجعله بمنزلة قائد الجيش، ومسؤولاً عن ضرائب العشائر، واشتهر بظلمه؛ العزاوي المصدر السابق، 49/7.

والي الموصل العثماني تطبيق التجنيد الإجباري، مستهدفاً تحقيق أمرين معاً، أولهما : زيادة القوات العثمانية المتجهة لإسناد الجهد العسكري الرئيس في أعالي الفرات ضد الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا، وثانيهما : التخلص من القيادات الموصلية السابقة، والمؤيدة لحكم الجليليين، وضرب زعامتها بالقضاء على تشكيلاتها العسكرية، فكان ذلك كله من الأسباب التي أدت إلى سرعة انتشار الانتفاضة وعنف مواقفها من السلطة المذكورة.

كما يكشف التقرير أيضاً عن أن زعامة الإنتفاضة كانت تتصل سراً بواسطة الرُّسل، بقيادة إبراهيم باشا؛ بغية تنسيق المواقف بينهما، وهذا يدل على أنه كان للزعامة المذكورة تقديرها للظروف الخارجية، ورغبة في توظيف الظروف لصالحها، وفي الواقع فإن توقيت الانتفاضة نفسه يدل على دقة هذا التنسيق، فهي قد حدثت في أواسط شهر صفر سنة 1255هـ الموافق لأوائل أيار من سنة 1839م، وفي هذا التاريخ كان إبراهيم باشا في حلب يهيئ قواته العسكرية وحلفاءه من القوى المحلية العربية للقاء العثمانيين في نزيب (في الغرب من بيرة جك) حيث دارت - بعد أقل من شهرين⁽¹⁾ - المعركة الشهيرة المنسوبة إلى هذا المكان (24 حزيران 1839م).



ابراهيم باشا في مقدمات معركة نزيب

وبالنظر لقرب الموصل من حلب، ووجود قوى حليفة فيها لها تجربة سابقة في الانتفاض على الحكم العثماني أيام ولاية يحيى باشا الجليلي الأخيرة - فإن من المعقول أن تكون ثمة اتصالات قد جرت بين القيادة المصرية في حلب، وزعامة

(1) انظر: عبدالرحمن الرافعي؛ عصر محمد علي (القاهرة ط3، 1951)، 310 - 323، وبيير كربتيس؛ إبراهيم باشا، (ترجمة محمد بدران القاهرة 1937)، ص 229-248.

الانتفاضة في الموصل لتوقيت القيام بتلك الانتفاضة، على ما يشير إليه التقرير المذكور؛ إخراجاً للموقف العسكري العثماني بوجه عام.

وإذا كان هذا التقرير قد كشف - على سبيل الإجمال - عن حدوث الانتفاض على الحكم العثماني أيام ولاية يحيى باشا الجليلي الأخيرة، فإن كثيراً من تفاصيله بقي غير معروف، يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي.

وكان من حسن التقدير أننا وقفنا في أثناء بحثنا عن وثائق بعض الأسر الموصلية القديمة، على نبذة تاريخية مخطوطة، ذات سمة أسرية، بعنوان (تاريخ آل السراج في الموصل)، نقلها السيد محمد بن داود السراج، في سجل كبير يحتفظ به في داره في مدينة الموصل⁽¹⁾، فاذا بها تتضمن تفاصيل مهمة لم تُعرف من قبل عن هذه الانتفاضة الشعبية، وقد عزز السيد محمد بن داود هذه النبذة بتوضيحات مهمة - مما يحفظه بقوة حفظ ملحوظة - عن أسلافه، وعند دراسة هذه النبذة والروايات المكمل لها، تأكّدت لنا أهميتها بوصفها تلقي ضوءاً جديداً على تلك الانتفاضة.

تدور معطيات النبذة حول شخصية قائد الانتفاضة، أو أحد أبرز قادتها، وهو عبد الكريم بن سبتي بن محسن، وكان سبتي هذا شيخاً على فخذ البوحمد أحد فرعي قبيلة الخزاعل في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، وتشير شجرة نسب الخزاعل إلى أنه ابن محسن بن محمد بن حمد بن عباس بن محمد بن مهنا⁽²⁾، وأكثر أبنائه تولّى مشيخة عشيرته، جيلاً من بعد جيل، يوم كانت تسيطر على جميع الأراضي الواقعة في الجهة اليسرى من فرات الديوانية (صوب الجزيرة) أيام عمرائها، وقد تولى هو رئاسة عشيرته بصورة رسمية سنة 1212هـ (1797م)⁽³⁾ في حياة عمه حمد الحمود شيخ الخزاعل ذائع الصيت،

(1) إن نسبه كاملاً هو: محمد بن داود بن محمد بن أحمد بن عبدالكريم بن جاسم بن عبدالكريم بن سبتي، وتقع النبذة في صفحتين، نقلها من أوراق خطية كانت لدى أسرته.

(2) كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة (بغداد 1992) شجرة الخزاعل ص 208.

(3) كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، (بغداد 1992)، شجرة الخزاعل، ص 208.

وبينما تذكر بعض المصادر الخطية أن لسبتي ولداً اسمه ظاهر⁽¹⁾، تشير النبذة الخطية إلى أن له ابناً آخر هو عبدالكريم المذكور⁽²⁾.

وفي الوقت الذي يشير فيه مؤلف غير معروف إلى «أن سبتي لقي مصرعه غريباً في نهر المُسرَّهَد (الغراف) سنة 1228هـ (1813م)، عندما كان في حرب على قبيلة المنتفق⁽³⁾، تصرَّح النبذة بأنه توفي في الموصل سنة 1243هـ (1827م)، وسبب هذا الاختلاف - على ما يوضحه السيد محمد بن داود راوياً عن أبيه - أن سبتي توجه بجيشه القبلي في أثناء المعركة التي حدثت بين المنتفق والعثمانيين، إلى مساندة المنتفق، وهناك حُوصِر من قبل القوات العثمانية النظامية والقوات القبلية المساندة لها، فاضطر إلى إلقاء نفسه بفرسه إلى نهر المسرهد (الغراف)، مما أدى إلى غرق الفرس، وعند بحث الخزاغل عنه، وجدوا فرسه ميتة على شاطئ النهر، فظنوا أنه غرق، أما سبتي نفسه، فإنه نجا من الموت ليقع أسيراً بأيدي القوات العثمانية، فأبعده السلطات العثمانية إلى الموصل؛ حيث سُجِن هناك أحد عشر عاماً، والتحق به في تلك الأثناء ولده عبدالكريم وأمه، وكانت الأخيرة من قبيلة العبيد النازلة قرب الموصل آنذاك، فأقامت وولدها في منازلهم، وصادف أنه كان في صحبة سبتي في سجنه أحد شيوخ العبيد الثائرين، وهو حسين آل هندي من إحدى حمائل فخذ البوشاهر من أفخاذ قبيلة العبيد⁽⁴⁾، فتوسط الأخير - بعد أن أطلق سراحه - لدى السلطات العثمانية لكي تغفو عن سبتي، وتم ذلك بالفعل سنة 1239هـ (1823م)؛ أي: بعد أن قضى في السجن نحو أحد عشر عاماً، ولم تمض إلا أربع سنين حتى توفي، فدُفِن في جامع إمام إبراهيم أحد جوامع مدينة الموصل القديمة⁽⁵⁾.

عاش عبدالكريم في كنف أخواله من البوشاهر العبيديين حتى بلغ رشده، فتزوج من إحدى بنات خاله، فأنجبت له طفلاً واحداً دُعي (جاسم)، وسكن هو في

(1) حمود الساعدي؛ دراسات عن عشائر العراق، الخزاغل (النجف 1974)، ص 115.

(2) المصدر نفسه، 65، عن كتاب مخطوط غير معروف المؤلف.

(3) شجرة عبدالكريم آل سبتي من عشيرة آل حمد المعروفين بآل السراج، (مخطوطة)

(4) حمود الساعدي؛ المصدر السابق، ص 64.

(5) يذكر عباس العزاوي (عشائر العراق 143/3) أن رئيس آل هندي كان يُقيم في عهده في منطقة الحويجة.

مدينة الموصل في محلة من محالها تُعرف بالمكاوي⁽¹⁾، وهناك اشتهر أمره، وذاعت بين الناس أخبار كفاءته وشجاعته، فاختره أهل المحلة شيخاً لهم، على الرغم من أنهم كانوا من عشائر مختلفة، أهمها الزهيرات والشهوان، والبوحمدان والبُدش⁽²⁾، وغيرهم .

وكانت محلة المكاوي تُعد واحدة من المحلات التي اتخذت منذ القرن الثاني عشر (الثامن عشر للميلاد) موطناً لإحدى أكبر فرقتين إنكشاريتين في الموصل، وهي الفرقة السابعة والعشرون، المعروفة بالتركية باسم (يكرمي يدي)⁽³⁾، وبموجب ما أصاب نظام الإنكشارية نفسه من تغير، وانقطاع إمداده بالجند الجديد منذ زمن بعيد، فقد أصبح منتسبو هذه الفرق هم أهل المحلات التي توجد فيها حصراً، بمعنى أن الفرق لم تعد تمثل إلا مصالح السكان أنفسهم - من تجار، وحرفيين، وأصحاب المهن الأخرى - ومن هنا يفهم سبب ولائها لزعامة الجليليين المحلية طيلة قرن كامل من الزمن، ولم يؤدي الإلغاء الرسمي لنظام الإنكشارية سنة 1241هـ (1825م) إلى زوال أسماء هذه الفرق، وإنما ظلت لحين تمثل القوى المسلحة لأبناء المحال التي كانت تتشكل منها، وهكذا فقد عدَّ عبدالكريم بن سبتي بموجب زعامته لأهل محلته، زعيماً للفرقة (يكرمي يدي) أيضاً، وإذ كان لكل فرقة أو محلة علمها الخاص، أصبح عبدالكريم يسمى (بيرقداراً)، فهو زعيمها وحامل رايتها في أثناء الملمات، وممثلها لدى القوى الأخرى.

وفي الواقع، فإن لهذه الفرقة تراثها العسكري الحافل في إسنادها لزعامة الجليليين، ومن المرجح أن تكون هي التي أسندت يحيى باشا الجليلي عند

(1) يقع هذا الجامع في محلة تنسب إليه، فيقال له: محلة الإمام إبراهيم، وإبراهيم هذا هو الأمير إبراهيم السهراني الجراحي، وكان معاصراً للشيخ عدي بن مسافر، وهو الذي أنشأه، وفي الجامع مقبرة فيها بعض قبور متأخرة لآل الصابونجي وغيرهم، ولم أعثر بينها على قبر سبتي الخزعلي، فالظاهر أنه اندرس منذ عهد سابق، انظر نيقولا سيوي؛ مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل؛ تحقيق سعيد الديوهجي (بغداد 1956)، 70 - 72.

(2) لمَّا تزل داره موجودة حتى اليوم، إلا أنها قُسمت - بحسب الإرث - إلى عدة دُور، وقد ظل أحفاده من آل السراج يقيمون فيها حتى السنين الأخيرة، وانظر عن محلة المكاوي: أسامة غاندي، على موقع البيت الموصلية

(3) البدش: فخذ من عشيرة البوحمدان.

استعادته حكم الموصل، ممثلاً لإبراهيم باشا بن محمد علي سنة 1249هـ/1834م، وعرفتها الوثائق البريطانية المعاصرة - لذلك السبب - بحزب مصر، فمن الطبيعي أن تكون محلة المكاوي وجوارها من محلات الميدان ورأس الكور - حيث يستقر زعماء الفرقة المذكورة والفرق المتحالفة معها - مؤهلة للقيام بالثورة كلما سنّحت الفرصة، فاذا أضفنا إلى تلك الأسباب العامة، الأسباب الشخصية المتمثلة بموقف عبدالكريم، ووالده سبتي وأخواله من العبيد المناوئ للوجود العثماني - يكون من المفهوم: لم كانت هذه المحلات قاعدة الانتفاضة ومقر قيادتها ومنطلقها في الوقت نفسه.

وتعد محلات المكاوي ورأس الكور والميدان، وإمام إبراهيم - الجزء الأكثر كثافة وأهمية من محلات الموصل في القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد)⁽¹⁾، ويتميز موقعها بأنه يحتل معظم شاطئ دجلة، وهو ما يعني توفر طرق مواصلات جيدة لها، كما أنها تقع قرب سراي المدينة؛ حيث لا تفصل بين هذه المؤسسة والنهر سوى محلة الميدان، وتكتظ هذه المحلات بالأزقة (المسماة محلياً بالعوّجات) الضيقة، والتي تسهل السيطرة على مداخلها عند الملمات، وإذا أضفنا إلى ذلك كله ارتفاعها النسبي عن مستوى سطح المدينة، ومن ثم إشرافها على أكثر المحلات الأخرى - تبين لنا أهمية أن تكون هذه المحلات منطلقاً للانتفاضة شعبية مسلحة عنيفة، تشارك فيها فئات عديدة من السكان.

وإذا سكت التقرير السري المنوه به آنفاً عن أسماء قادة الانتفاضة، فإن النبذة الخطية تنوّه بوجود زعامات أخرى، إضافة إلى عبدالكريم بن سبتي، منها رجال من آل نوح، وهم فرع من حمولة آل الهندي من البوشاهر العبيديين الذين كانوا يسكنون محلة رأس الكور الواقعة إلى الجنوب من المكاوي، وتربطهم بعبدالكريم

(1) وكان والي بغداد إسماعيل باشا قد نفاهم إلى الموصل سنة 1148هـ/1735م، أما الفرقة الأخرى المكافئة لها في العدد والأهمية، فهي المسماة أوطوزبير: أي: الفرقة رقم 31، هذا بينما يقل مجموع منتسبي الفرق الثلاث المتبقية: أوننجي (الفرقة 10)، واللي ايكي (الفرقة 52)، واللي سكر (الفرقة 58) عن مجموع منتسبي الفرقتين المذكورتين؛ ينظر عبدالرحمن السويدي؛ حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بتحقيقنا، بغداد 2003، ص404، وياسين العمري؛ الدر المكنون في المآثر الخالية من القرون، مخطوطة المتحف البريطاني، الورقة 294.

صلة المصاهرة، ونحن نعلم أن حسين الهندي كان ثائراً في وجه العثمانيين منذ وقت سابق، وأنه كان مسجوناً في سجن الموصل يوم جيء بعبدالكريم إليه سنة 1228هـ (1813م)، ولكننا لا نعلم تاريخ ثورته وماهية أسبابها، ومن المحتمل أنه اعتُقل أثناء الاضطرابات المسلحة التي صاحبت السنين الأخيرة من حكم الجليليين، والتي كان من أسبابها محاولة السلطة العثمانية القضاء على هذا الحكم، وضرب القوى المساندة له⁽¹⁾.

ولما كنا نعلم بوجود عشائر أخرى، كانت تقيم في هذه المحلات - منها الشهوان، والبو حمدان والبُدش - سبق لها أن أيدت زعامة عبدالكريم بن سبتي، فإن من المنطقي أن زعماء هذه العشائر كانوا يُعدون زعماء لهذه الانتفاضة أيضاً، ويدل قيام السلطة العثمانية بإعدام (72) ونفي (7) من زعمائها على سعة الانتفاضة وضخامة عدد المشاركين فيها.

وليس من المحدد الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الانتفاضة الكبيرة، غير القسوة الشديدة التي واجهتها بها السلطة العثمانية، وهي قسوة بلغت حد استخدام المدفعية والجيش النظامي نفسه، وفي ذلك يقول القس (المطران فيما بعد) سليمان الصائغ: «أنه لما ثارت أهالي الموصل وأبوا قبول القانون العسكري وتنفيذه، أرسل إليهم أحد أعوانه يدعى قاسم أفندي؛ ليدعوهم إلى الطاعة، ويقنعهم في الإذعان إلى القانون العسكري، فلما أقبل رسوله إلى الأهالي، ثاروا

(1) تعد محلة المكاوي من المحلات الكبيرة، يحدها من الشمال محلة عبديو خوب، ومن الغرب محلة جامع جمشيد، ومن الجنوب محلة رأس الكور، ومن الشرق نهر دجلة، ومثلها مساحة محلة رأس الكور التي تقع إلى الجنوب منها، وتمتد هذه المحلة من نهر دجلة شرقاً إلى محلة جامع جمشيد غرباً، وتمر أجزاءها الغربية بشارع النبي جرجيس، وشارع عارف السماك، وتعد أعلى المحلات في المدينة القديمة؛ حيث يبلغ ارتفاعها 34م فوق سطح البحر، تليها محلة المكاوي، أما محلة الميدان، فتقع إلى الجنوب من محلة رأس الكور، وإلى الشرق من محلة باب النبي، وإلى الشمال من باب الطوب، وإلى الشرق من نهر دجلة، وتعد من أشهر محلات المدينة القديمة وأكثرها أهمية؛ من حيث طبيعة موقعها، والمنشآت التي كانت موجودة فيها، وبالقرب من هذه المحلات محلة إمام إبراهيم، وهي صغيرة تحيطها محلات: باب النبي، وجامع جمشيد، والمكاوي ورأس الكور؛ انظر: د. هاشم خضر الجنابي؛ التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة (الموصل 1982، ص 95-96)

عليه وقتلوه، فأحضر محمد باشا (اينجه بيرقدار والي الموصل آنذاك) عشرين مدفعاً صَوَّبَهَا على المدينة، ثم أرسل عليها بعض الكتائب النظامية، فدخلوها ونهبوا أسواقها، وسفكوا دماء أبرياء كثيرين، ثم أمسك بعضاً من وجوهها، وأرسلهم نفيًا إلى البصرة⁽¹⁾»

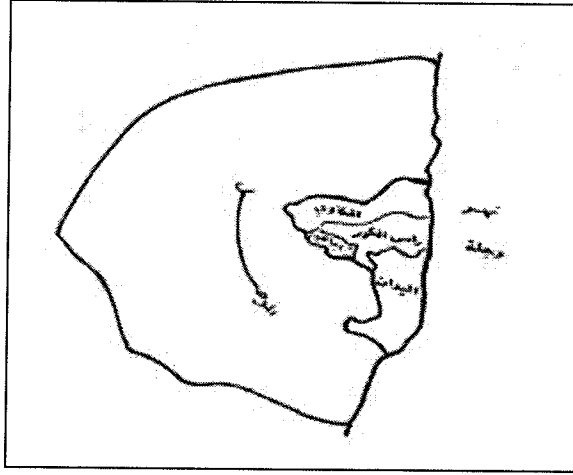
والذي نراه أن مسألة رفض القانون العسكري لم تكن إلا غطاءً أرادت به السلطة تغطية الأسباب الحقيقية للانتفاضة ودوافعها الكامنة في المجتمع الموصل، وفي الظروف الدولية على حد سواء، لقد أدرك محمد باشا اينجه بيرقدار هذه الحقيقة، وهو ما يفسر قسوته وبطشه بالأبرياء، من غير المؤهلين لأداء الخدمة العسكرية أصلاً، ومن المؤسف أننا لا نملك معلومات عن الأشخاص الذين قُتلوا أو نُفوا، باستثناء واحد منهم، هو عبدالكريم بن سبتي نفسه؛ لأن النبذة الخطية تشير صراحة إلى أنه «اعتقل في تلك المعركة، وأصبح في قبضة الأتراك، ولم نعرف ما جرى له بعدها؛ لأنهم أخذوه إلى إسطنبول»، وفي هذه المدينة تضيع أخبار عبدالكريم، ويُنسى أمره، فلا نعلم ما إذا كان قد سُجن أو أُعدم، وعلى أية حال، فإنه لم يُعد إلى الموصل مرة أخرى.

على الرغم مما كان يبدو توقف الانتفاضة، والقضاء على زعمائها، فإن جمرها لبث مُتقدماً في النفوس جيلاً آخر، من ذلك أن حفيداً لعبدالكريم بن سبتي، هو أسعد بن جاسم⁽²⁾، ورث زعامة محلته وتأييد أهلها، فاختره بيرقداراً؛ أي: حاملاً للوائها، واتفق الأخير مع رفاق له، منهم محمد آل ياس الزهيري من عشيرة الزهيرات التي تسكن الموصل، وكان هذا (بيرقدارا) هو أيضاً لمحلته، فعرف الثوار من ثمَّ بالبيرقدارية نسبة إليهما، بيد أن خبر التكتل الجديد تسرب إلى أسماع السلطة العثمانية، فأرسلت قوة عسكرية حاصرت مساكن الثوار، وتم إلقاء القبض على أسعد «وجماعة البيرقدارية»، وألقوا بهم في السجن، وكان منهم محمد آل ياس الزهيري، فتمكن الأخير من الفرار بنفسه من السجن، بينما بقي أسعد وجماعته في سجنهم، وحكم على أسعد بالاعدام، فنُفذَ شنقاً، أما رفاقه، فقد

(1) كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، 242 - 245.

(2) تاريخ الموصل، 213 - 214.

حكم عليهم بالسجن، وبهذا انتهت آخر الانتفاضات التي قام بها الموصليون إبان
العصر العثماني.



الملحق 1: المحلات النائرة في مدينة الموصل

ألفاظ حضارية في فلسطين

من القرن السابع عشر

تُعد الفتاوى المصدر الأول لعلم الفقه، حيث كانت هذه الفتاوى تمر في ثلاثة مراحل في الأقل حتى تصل الى صورتها الأخيرة، وهي كتاب فقه. وأولى تلك المراحل جمع الفتاوى نفسها، والغالب أن يكون كاتبها، أي المفتي، هو من يقوم بذلك، وثانيها ترتيبها على حسب القسمة الاصلية للفقه، العبادات ثم المعاملات وهكذا، وثالثها تجريد الفتاوى نفسها من آثار زمانها ومكانها، فتُحذف تواريخها، وتسقط أسماء المستفتين، وأسماء من وردت الإشارة اليهم في ثناياها، فلا يبقى إلا جسم القضية وحدها، وهو حكم المفتي فيها، وقد يتولى آخرون، من المؤلفين، أو من بعض طلبة المفتي، هاتين المهمتين الأخيرتين، فيخرج الكتاب وهو حاو للمسائل دون أولياتها، دافعاً بالعلماء وطلبتهم الى الوقوف على الأحكام الفقهية وحدها مجردة من التفاصيل التاريخية التي تحيط بها، والتي تخرج عن إهتمام الفقيه الذي تتحصر غايته في البحث عن حكم سابق يفيد منه في القضية المعروضة عليه.

على أن كتب الفقه تجد اليوم من يهتم بها غير الفقهاء، إذ يعدها المؤرخ مصدراً أساساً يتعرف من خلاله على جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع موضوع بحثه، ربما سكت عنها المؤرخون، وهو من ثمّ معني بتتبع تلك الأوليات التي أهملها مؤلف الكتاب الفقهي أكثر من الحكم المستخرج منها، فتلك الأوليات تمثل على نحو صادق الدواعي الواقعية التي أدّت بالمستفتي الى عرض مشكلته على الفقيه المفتي، طالباً حكمه، وتكشف عن هويته الاجتماعية، والفئة أو الطبقة التي ينتمي إليها، والمدينة والحي الذي يسكن فيه، كما أنها تصرح بأسماء خصومه في المشكلة التي تواجهه، بحسب طبيعة سؤاله، إن كانوا ذوي نفوذ ما أم إناس عاديين، وتكشف عن هوياتهم غالباً، والتاريخ الذي كتبت فيه أحياناً، وما إلى ذلك من شؤون متنوعة تمثل مصدراً حقيقياً لدراسات تاريخية مختلفة.

ومن ناحية أخرى فإن لغة الفتاوى نفسها تمثل مصدراً مهماً لدراسة تطور اللغة في عصر كاتبها، فالفقيه المفتي يضطر في أحيان كثيرة إلى اختيار ألفاظ ومصطلحات من واقع الحياة في عصره طلباً لأن تكون فتواه مفهومة تماماً لدى المستفتي، بل أنه يختار

ألفاظ الأخير ومصطلحاته نفسها في رَدِّه عليه، مبتعداً إلى حد ما عن استعمال المصطلحات
الفقهية التقليدية التي ربما لا تحتفظ بالدرجة نفسها من الوضوح لغير الفقهاء.

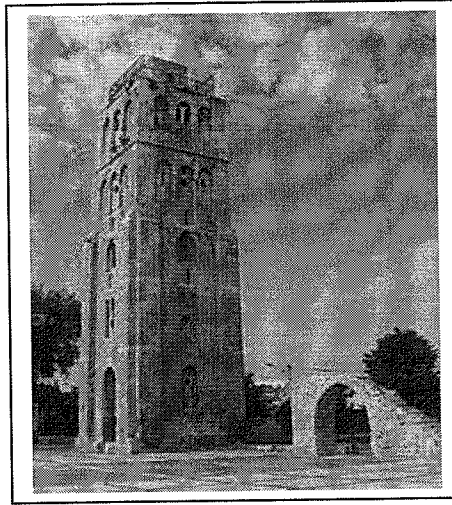
ويمثل كتاب (الفتاوى الخيرية)⁽¹⁾، أنموذجاً بيّناً للكتاب الفقهي الذي يقف في
مرحلة وسطى بين مرحلة جمع الفتاوى الصادرة عن الفقيه المفتي، وتبويبها بحسب
التقسيم التقليدي للفقه، وبين مرحلة تجريدها من كثير من أولياتها التاريخية التي
استندت إليها، والإبقاء على الحكم دون سؤال طالبه، ومن ثم فهو يستحق وقفة من
المؤرخ الدارس لبيئته وعصره.

والكتاب يقدم تلخيصاً أميناً ودقيقاً للفتاوى الذي أفتى بها فقيه كبير، هو خير
الدين بن أحمد بن علي بن زين الدين ابن عبد الوهّاب الأيوبي، العليمي، الفاروقي
الرملي، الحنفي⁽²⁾، وهو علامة متبحر في علوم عصره، من أهل فلسطين، ولد في
مدينة الرملة في سنة 993 هـ/1585م، وتلقى معارفه الأولية في مدينته، حيث قرأ
القرآن وجوّده على يد الشيخ موسى بن حسن القُبي، ثم رحل سنة 1007 إلى القاهرة،
مع أخ له للدرس في جامعها الأزهر، وكان لهما أخ أكبر تقدمهما في الدرس هناك،
فاستقرت إقامته في القاهرة ست سنوات، لازم فيها الجامع الأزهر ملازمة تامة،
متلقياً العلم على أيدي كبار علمائه، ومالت نفسه لدراسة الفقه الحنفي، مع أنه كان
قبل ذلك شافعيّاً، فأخذه عن جماعة من كبار فقهاء الحنفية، منهم الشيخ عالم
الأزهر عبد الله بن محمد النحري، وسراج الدين محمد بن محمد الحانوتي، والشيخ
أحمد بن محمد أمين بن عبدالعال وغيرهم، وقرأ الأصول على محمد ابن بنت
محمد، ومحمد بن بنت الشلبي، وأخذ الحديث عن أبي النجا سالم السنهوري، محدث
الأزهر وجماعة، والقراءات على عبد الرحمن البهني، والنحو على الشيخ أبي بكر

(1) سماه البغدادي (الفتاوى السائرة) . وقد طبع في المطبعة الاميرية في بولاق، 1300هـ وهو
في جزأين في مجلد واحد، يشغل الأول 250 ص، والثاني 244 ص، وثمة طبعه على الحجر،
يظهر انها طبعت في باكستان، كتب عليها انها طبعت في القاهرة في 1376هـ الجزء الأول في
في 295 ص والجزء الثاني في 295 ايضاً. ومنه نسخ خطية في دار الكتب المصرية، فهرس
دار الكتب ج1 ص448 وفي المكتبة الأزهرية، فهرس الازهرية ج2 ص265

(2) ترجم له ولده صالح محيي الدين ترجمة مختصرة متضمنة في مقدمة كتاب (الفتاوى
الخيرية) كما ترجم له المحيي ترجمة ضافية في خلاصة الاثر ج2 ص134-138 واسماعيل
باشا البغدادي: هدية العارفين ج1 ص358 وايضاح المكنون ج2 ص499 والزركلي: الاعلام،
بيروت 2002، ج2 ص227 وكحالة: معجم المؤلفين ج4 ص132

الشنواني وغيره، وقرأ الفرائض، وأكثر التردد على الشيخ فائد، وهو ولي مشهور ذاع صيته في عصره. ويسرت له إقامته الطويلة في الأزهر فرصة نسخ عدد كبير من الكتب مما كَوَّن نواة مكتبته، وقد أجازه معظم من دَرَس على يده من العلماء، وعاد إلى وطنه الرملة حيث تولي فيها التدريس والإفتاء والزراعة، حتى أنه غرس ألوفاً من الأشجار المختلفة من الفواكه والتين والزيتون و الكروم، «وكانت خيراته عامة على أهله وأتباعه وجيرانه بل على أهل بلده»⁽¹⁾، هذا مع حسن خلق وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، حتى وفاته - رحمه الله - في 27 رمضان سنة 1081هـ/6 شباط 1671م تاركاً وراءه ولدين صالحين، عُرف أحدهما بالعلامة، فضلاً عن عشرات الألوفا من الفتاوى الناضجة التي عالجت مشاكل بيئته وعصره، وعددًا كبيراً من الطلبة الذين تتلمذوا على يديه، ممن تولى معظمهم المناصب العلمية والشرعية في مدن الشام المختلفة، إضافة إلى مؤلفات مهمة منها (مظهر الحقائق الخفية من البحر الرائق في فروع فقه الحنفية) و(حاشية على الأشباه والنظائر) و(حاشية على جامع الفصولين) و(لوائح الأنوار على منح الغفار) و (حواش على شرح كنز الدقائق لليني) وحواش على (تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق) لعثمان بن علي الزيلعي و(ديوان شعر) و(مطلب الأدب وغاية الأرب) ورسائل مختلفة وغير ذلك⁽²⁾.



الجامع القديم في مدينة الرملة

(1) خلاصة الأثر ج2 ص358

(2) هدية العارفين ج1 ص358

وطارت شهرته في الفقه، فصار مقصداً للمستفتين الذين يقصدونه بأسئلتهم مباشرة او يبعثون بها اليه من المدن الأخرى، منها دمشق والقدس والخليل ونابلس ويافا وغزة واستانبول. وتتاول هذه الأسئلة قضايا فقهية بالغة التنوع تتعلق بالحياة الشخصية والأسرية والتربوية والأخلاقية والتعليمية والمالية والتجارية والزراعية وغيرها، فكان يجيب عليها جميعاً بمستوى واحد من إتقان الإجابة وجودة الصياغة، والفهم العمق وسعة الأفق والإطلاع، تُعينه على ذلك مكتبة ضخمة من مصادر الفقه، لا سيما الفقه الحنفي منه، فهو حريص على أن لا يُبين رأيه في قضية مطروحة إلا بعد أن يستوفي فيها رأي من سبقه من فقهاء مذهبه وفقهاء المذاهب الأخرى، دون تعصب لمذهب أو لرأي فقيه بذاته. وكثيراً ما نجده يستأنس بعدد كبير من المصادر الفقهية في جواب قصير على سؤال واحد، فتم ذلك عن سعة إطلاعه عليها وقدرته على استدعاء ما فيها من نصوص وأحكام. وقد أشاد المحبي بخزانة كتبه الغنية فقال «حصل من الكتب شيئاً كثيراً ينوف على الألف ومائتين مجلد، غالبها من نفائس الكتب ومشاهيرها من كل علم»⁽¹⁾.

وكتابه الذي ضم مختارات من فتاواه، هو كغيره من كتب الفتاوى، يقدم أولاً عرضاً وافياً لسؤال طالب الفتوى، تحت عنوان (سئل)، ثم يليه حكمه فيها تحت عنوان (أجاب)، ومن الواضح أن مادة الكتاب، استتدت في ركنيها هذين على نُسَخ ثانية من فتاويه، غير التي يقدمها للسائلين، كان يحتفظ بها، في سجل خاص، كما كان يفعل المفتون عادة. على أن خير الدين لم يكن هو الذي رتبها ولخصها، وإنما من فعل ذلك هو ولده محيي الدين صالح، وكان عالماً بالفقه أيضاً، فقد قام باختيار موفق لما وجده يستحق التلخيص، متبعاً أربعة شروط وضَّحها في المقدمة القصيرة التي كتبها، وهي أن لا تتناول الفتوى أمراً عادياً تتاوله المفتون من قبل، وإنما هو «ما قل وجوده في الأسفار»، وبالمقابل فإنه لم يورد تلك الفتاوى التي تتناول القضايا نادرة الحدوث وإنما ما «كثر وقوعه في غالب الديار»، ومع أن هذه الفتاوى لا توجد في أبواب كتب الفقه، وإنما تفهم من «كتب الأصحاب» أي أصحاب مذهب أبي حنيفة.

واستمر في عمله حتى إذا بلغ الفتاوى الخاصة بالمهر، أي حتى ص 37 من الكتاب (بحسب المطبوع)، توفيه فجأة، فلبث العمل ناقصاً في بدايته، فقام أحد طلبة خير الدين النابهن، وهو إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبدالعزيز، بإستئذانه في إكمال

(1) خلاصة الاثر ج2 ص134

ما بدأ به ولده صالح، فأذن له، واستأنف العمل حتى بلغ به نهايته، وقد بلغت صفحاته نحو خمسمائة صفحة كبيرة شاملة لجميع أبواب الفقه، وهو عمل كبير مُجهد، لكنه لم يلخص جميع ما أفتى به شيخه، وإنما اقتصر على «نزر يسير من جم غفير». وحينما أمته أطلق عليه اسماً شاملاً هو (الفتاوى الخيرية لنفع البرية)، وأثنى عليه بقوله «مولانا شيخ الإسلام والمسلمين، خاتمة الفقهاء المحققين، أوجد الزمان، في فقه أبي حنيفة النعمان، وحيد الدهر، وفريد العصر، سيدي ووالدي الخير الدين المنيف، ومن هو خير محض كإسمه الشريف».

ومما زاد من أهمية هذه الفتاوى، طبيعة المرحلة التاريخية التي عاشها صاحبها، فهو قد عاصر أول ظواهر ضعف الدولة العثمانية، وتردي أحوالها العامة، ولهذا نجده شديد الإنتقاد لتلك الظواهر، مثل تفشي رشوة القضاة الذين كانت ترسلهم الدولة لتولي القضاء في بلاده، أو جهلهم، وتدهور نظام التيمار العسكري- الإقطاعي، واستيلاء من يسميهم بالمتغلبين على القرى، وكثرة الضرائب غير الشرعية المفروضة على المزارعين في القرى، واضطرارهم الى ترك أراضيهم الزراعية وقراهم، وهيمنة القبائل البدوية على الريف وقطعها الطرق، وتدهور الزراعة، والإستيلاء على أراضي الوقف، والتعدي على الممتلكات الموقوفة، وكثرة اللصوص، وما إلى ذلك.

وفضلاً عن ذلك ففي الكتاب كثير من الألفاظ والمصطلحات الحضارية، عامية ودخيلة ومحلية، شاع استخدامها في وطن المؤلف فلسطين، أو في بلاد الشام عامة، في ذلك العصر، وهي خليط من كلمات ذات أصول فصيحة، ومولدة، ومصطلحات عثمانية وفارسية، بل وكلمات عامية لا يُعرف لها أصل.

وكنا قد عُنينا - منذ سنوات عدة- بهذا الكتاب، فاستخرجنا من تضاعيفه عدداً لا بأس به من هذه الألفاظ والمصطلحات، وحاولنا أن نفسر معانيها ونتبع أصولها، وربناها على حروف المعجم، مما يمكن أن يستدرك به على المعاجم العربية، وذلك على النحو الآتي:

أرض سلطانية

أرض رقبته للسلطان، بصفته ممثلاً للدولة. قال في ج 2 ص 185 هي الأرض المباحة للزراع. على أن ذلك لم يمنع أن تجرى من هذه الأرض في تيمار. قال «أرض سلطانية لبيت المال، جارية في تيمار شخص أجرها مزارعها».

أستاذ القرية

من غير الواضح كون أستاذ القرية هو نفسه شيخ القرية. قال في ج 1 ص 244 « أسلمهم حمسين قرشاً أسدياً مقرضاً يستحق وفاؤها في الموسم المرقوم، وذلك بكفالة فلان أستاذ القرية مالا».

أسكلة

اللفظ مأخوذ في الأصل من (صقاله) العربية، وهي اللوح الصقيل الذي يتخذ واسطة صعود الملاحين وأرباب السفن وحماليها من الرصيف إلى سفنهم، ثم أطلق على الموانئ حيث مراسي السفن نفسها، وربما أطلق اسم أسكلة على البلدات الواقعة على ساحل البحر، فقال في ج 2 ص 106 «أسكلة يافا». والأسكلة غير الفرضة التي تعرف بأنها سلطانية، أي الميناء الذي تشرف عليه وتديره الدولة مباشرة.

أمين بيت المال

رئيس بيت المال أو ممثله في الولايات العثمانية، فله حق الإستيلاء على عقارات المتوفين الذين لا وارث لهم، وغلل المتوفين من أصحاب التيمارات. قال في ج 1 ص 97 «إمرأة ماتت ولها ابن مفقود، فوضع أمين بيت المال يده على عقار من تركتها فباعه» ولما سئل في ج 1 ص 17 «إذا مات أحد الجند بعد أن أدركت الغلة والزيت من القرى التي فيها تيماره، فهل ذلك حقه ولورثته المطالبة أم لا، أم لأمين بيت المال، أم لمن وجه السلطان التيمار له»، فلم يوافق على أي من هذه الخيارات.

أوقاف مصرية

هي أوقاف السلاطين المماليك في بلاد الشام، أصبحت - بعد سقوط دولتهم سنة 924هـ/1517م - تحت نظارة (ناظر عام) يُنصبه السلطان العثماني، ومثلها الأوقاف في مدينة القدس. قال في ج 1 ص 188 «الواقع في الديار الشامية من الأوقاف المعروفة بالأوقاف المصرية من أن السلطان ينصب ناظراً عاماً».

بابوج

لفظة من الفارسية بابوش وهو خُف أو حذاء من دون رقية، معناه غطاء القدم. قال في ج 1 ص 78 ان مما تدعي به الزوجة من كسوتها بابوجان. قلنا: ولما يزل هذا اللفظ مستعملاً في عاميات أهل العراق.

بازار باشا

كذا كتبها وهو يريد: بازار باشي، أي رئيس السوق، قال في ج 2 ص 25 «فوزنه بازار باشا فوجده عشر أواق».

باقورة

الباقورة هي البقر بلغة أهل اليمن، كما في لسان العرب، واستعملها بمعنى القطيع من البقر، قال في ج 2 ص 141 «راع يرعى باقورة ضاع منها بقر في مرعى»، و«لم يردّها رعاة الباقورة مع قدرتهم على ردها». و«بقار انتشرت باقورته في القرية»

بندق

لفظ فصيح يعني لفظاً الثمر المعروف، واصطلاحاً مقذوف بحجمه شاع استعماله في الصيد في القرن السادس الهجري، يقذف من خلال النفخ بأنبوبة ضيقة خاصة، وحينما جرى اختراع البندقية صار هذا المقذوف، وقد أصبح يصنع من الرصاص، يُقذف بفضل إلهاب البارود من خلال أنبوبة مشابهة، بل عُرفت البندقية نفسها نسبة إليه. انتشر استعمال البندقية في القرن العاشر للهجرة، إذ ترددت الإشارة إليها في تضاعيف هذه الفتاوى، قال في ج 2 ص 69 «جماعة يضربون البندق حول مَطهر، أصابت بندقة وجه صغير فبضعته». وسمى البندقية بندقة كما في ج 2 ص 215 حيث قال «رجل صوّب بندقة نحو رجل ليرميه بها»⁽¹⁾.

بوقات

جمع عامي لكلمة بوق كما في ج 2 ص 126، وفصيحتها: أبواق. قال «فضربوا على بابه طبولات وبوقات»

بياري

لفظ عامي، مأخوذ من التركية أبيار، وتعني سقاء وملاء⁽²⁾. قال في ج 1 ص 160 «ساقية مُسبّلة يتعاطى إدارتها ومصالحها رجل بإذن ناظرها بسمى بياريًا»

(1) سأل أحدهم محمد بن عبد الله التمرتاشي، وهو من أهل غزة، ومعاصر لخير الدين الرملي (ولد 939 وتوفي 1004هـ/ 1532-1596م) عن جواز تحريم الضرب بالبندق فأجاب بنعم.

فتاوى التمرتاشي، مخطوط في المكتبة الأزهرية الورقة 132.

(2) أمين خوري: رفيق العثماني، بيروت 1894.

بيورلدي

مصطلح تركي بمعنى (تفضّل بكذا)، وهو أمر صادر عن الصدر الاعظم والولاية غالباً⁽¹⁾، بخلاف الفرمان الذي يصدر عن السلطان، والمسمى بالأمر الشريف. قال في ج2 ص38 «واطلعوا من جانب سعادته ما يسمى بيوؤلدي بعدم سفّهم بموجب الأمر الشريف».

تُرجمان

الترجُمان من يُترجم الكلام من لغة إلى أخرى، واستعمله هو بما يفهم منه أنه كان يعمل وكياً للقاضي في استيفاء أموال غير شرعية. قال «قاضي ظالم أمر ترجمانه الموكل بأخذ ما يسمونه محصولاً (أنظر هذه المادة)» ج2 ص148

تيماري

نسبة إلى تيمار، وهي قطعة معينة من الأرض يمنحها السلطان لفارس مقابل خروجه إلى الحرب عند استدعائه إليها، وربما كلفه بمهام مدنية في أوقات السلم، وكان على هذا الفارس أن يجهز تابعاً له، أو أكثر، يخرج معه عند استدعائه إلى الحرب. ويتضح مما ذكره في ج2 ص148 أن التيماري صار يبعث بتابعه إلى الحرب بديلاً عنه. قال أن تيمارياً «أقرض مزارعاً حنطة وشعيراً وذرة فزرع ذلك في أرضه وسافر المزارع فاستأسره أهل الحرب». وعلى الرغم من أن منح التيمار هو من حق السلطان وحده فإن الناس تواضعوا في زمانه على بيعه بالمال، مما دفعه إلى الإفتاء بتقرير أن «الإستحقاق للتيمارات بإعطاء السلطان لا دخل لرضا الغير». ويفهم مما ذكره في ج1 ص221 أن أصحاب التيمارات كانوا يدفعونها للناس بالمزارة. قال في ج1 ص210 «الأراضي التي لببت المال ويدفعها أرباب التيمارات مزارعة للناس بالثلث والربع.. لا تورث ولا يجوز لهم بيعها»

جُبَاة المحلات

هو المكلفون بجباية الضرائب المفروضة على المحلات في المدن. وعد شهادتهم غير مقبولة لعدم تورعهم عن الحرام. كما في ج2 ص25

(1) سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 2000 ص70

جاويش الكنائس

الجاويش كلمة تركية تعني العريف في قوات الانكشارية، ومن الواضح أنه كان مكلفاً بالاشراف على أمن الكنائس أو حمايتها. قال في ج 2 ص 87 «رجل إدعى على جماعة من أهل الذمة أن له بذمتهم على سبيل القرض الشرعي كذا من القروش تسلموها ودفعوها لجاويش الكنائس».

جزة

تكررت الإشارة الى جرار زيت الزيتون، ولكنه لا يعني به الجرة التي هي الخابية، وإنما هو معيار معلوم من الزيت كما في ج 1 ص 239

جرصن

لفظ عامي لم تقف على أصله، ويفهم مما ذكره في ج 2 ص 201 انه آلة لفتح الكوى في الجدران، قال «رجل أخرج جرصناً الى طريق العامة وفتح به كوة»

الجملون

سقف محذب على هيئة سنام الجمل ومنه أخذ اسمه، قال في ج 1 ص 179 «وقد وقع في حوانيت الجملون بالغورية»

جوخدار

مصطلح عثماني مركب من لفظ (جوخ) القماش الثمين المعروف، ودار بمعنى صاحب، فهو الموكل بشباب السلطان، ويعد أحد كبار رجال خدمته، وواضح مما ذكره خير الدين ان للقاضي في الولايات العثمانية جوخداره ايضاً. قال في ج 1 ص 140 «وقد أخذ القاضي الفلاني وجوخداره جميع ذلك [المال] بغير حق».

جورجية

فئة من ضباط الينكجيرية أصلها شوربه جية، من شوربه العربية، وجي أداة النسبة إلى عمل وحرفة، فهم المسؤولون عن توزيع الشورية للجند في ثكنات الينكجيرية، وكان الجوريجي واحداً ممن تعهد إليهم مهام أمنية⁽¹⁾. وفي ج 2 ص 150 أن

(1) جب ويونون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة 1971، ج 2 ص 185.

رجلاً ذا شوكة وتغلب تعدى على رجل «وانتسب إلى بعض الجورجية» زيادة في شوكته.

حاكم سياسي

يظهر أنه الحاكم العُرفي، أو حاكم العُرف، نفسه، بخلاف الحاكم الشرعي الذي هو القاضي⁽¹⁾. كما يلاحظ أن من معاني تيمار: السياسة. قال في ج 2 ص 44 «رجل متهم بقتل أخيه ففتش حاكم السياسة عليه»، وقال في ج 2 ص 45 «لورثة الدافع المطالبة بما دفع مورثهم للحاكم السياسي». وقال في ج 2 ص 197 «ويدعى على الأخ أه شكا عليه لحاكم سياسي فغرمه مالاً». وفي ج 2 ص 153 ذمّي سعى إلى حاكم سياسة يغرم على سعائته فغرمه. ورجل مسكه حاكم سياسة يغرم بالسعاية. وفي بعض الحالات التي أفتى فيها ثمة تداخل بين صلاحيات الحاكمين، وكان لحاكم السياسة أعوان ولكن منهم من لا تقبل شهادته لأنه لم يكن «يتوقف عن الحرام، ولا ييال من أين اكتسب المال». كما في ج 2 ص 25. وفي ج 1 ص 245 أن رجلاً أراد الخروج من بلده بسبب ما أخذه منه حاكم سياسة. قال في ج 1 ص 88 «إذا كان حاكم العُرف ليس به عسف، والسياسة نوعان، سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر» وسكت عن النوع الآخر منها⁽²⁾.

حاكورة

الحكر لغةً الحبس، واصطلاحاً حبس السلعة بانتظار الزيادة في سعرها. واستعملها هو بمعنى الأرض المحتكرة من طرف جماعة. قال في ج 2 ص 155 : حاكورة بين جماعة أرضاً وغراساً باع أحد الشركاء حصته فيها. وفي ج 2 ص 78 ان الحاكورة قسم من أقسام البيت. قال معدداً أقسام بيت «العلية الكبيرة والثلاث خلوي مع الحاكورة ليده وليدهم المطبخ» أو هي قطعة أرض ملحقة به. ففي ج 1 ص 201 «دار موقوفة مع حاكورة ملاصقة لها» وجمعها حواكير كما في ج 1 ص 234.

(1) من معاني لفظ تيمار: سياسة. رفيق العثماني ص 97.

(2) تردد هذا المصطلح في فتاوى التمرتاشي، بما يفهم منه أن أحكام حاكم السياسة كانت بعيدة عن العدل والإنصاف. فقال في الورقة 119 «زيد شكا على عمرو لبعض حكام السياسة» وفي الورقة 121 «رجل مسكه حاكم سياسة فأكرهه بالضرب والحبس على الإقرار بشيء فأقر به. وفي الورقة 95 «رجل اعتدى على آخر وشكا إلى حاكم السياسة».

حق حطب

ضريبة غير شرعية كان يتعين على أهل القرى دفعها في موعد محدد من كل عام. كما في ج 1 ص 247 والظاهر أنه كان يدفع مقابل ما كان يحصل عليه أهل القرية من أحطاب للوقود.

خان

لفظ يطلق على النزل، الذي ينزل به التجار والمسافرون غالباً، وقد اطلقه على الدور السكنية عامة. قال في ج 2 ص 159: الخانات وهي الدور.

خراج المقاسمة

اسم لنوع من الملكية يحوزها التيماري، يتقاسم فيها الفلاح والمالك، وهو هنا التيماري، محصولها بنسبة معينة. قال في ج 1 ص 67 «وأما ما هو من أرض خراج المقاسمة كما في بلادنا فهو متعلق بالخارج كالعشر لتعلقه به» فإذا قام فلاح بزراعة هذه الأرض ولا يعطي خراج المقاسمه فعليه أن يدفعها إلى التيماري ولأخير إخراجها منها. ولكن لا يجوز أن يتجاوز التيماري «الحق والشرع»، فيقسم غلتها بالربيع «حسب عاداتها»، كما لا يجوز توزيع ما فصله على قراريط أهل القرية، وإنما وفقاً للخارج، أي جملة، على وفق النسبة الثابتة المتفق عليها (تنظر مادة فصل).

خزانة

من أجزاء البندقية، مخصص لخرن البارود فيها. قال في ج 2 ص 196 «رجل أخذ بيده بندقية مجرّبة ثم وضعها وبعد استقراره وقع مشخاصها على خزانها فأورّت وقتلت شخصاً». وهذا الوصف قريب مما سماه محل البارود حيث قال في ج 2 ص 215 «لما ضربه أصاب النار فألقاها على محل البارود فخرجت البندقية بفعله». وفي ج 2 ص 208 أن رجلاً «خرجت من بُندقته .. فأصابت فرس صلحبه .. وكان قد قذح زناده فلم يُوره، ولم يعلم ما سبب خروجها، هل هو من ريح حملته من الفتيلة نار فألقتها على محل الخروج».

خَفْرِيَّة

الخَفْر لغة الكفيل والحافظ (لسان العرب)، والخفير المجير، واصطلاحاً: الحارس. واستعملها هو بمعنى الحراس الذين يرافقون القافلة. قال في ج 2 ص 136:

«جميع ما دفعوه بإذنهم للخفزية من مالهم أم من مال الجمالة». أو الذين يحرسون المحلة. وقال في ج1 ص247 «الحارس للمحلة التي يسمى في ديار مصر الخفير».

خلو

عامية، وهو مبلغ من المال يُدفع للحصول على محل تجاري. قال في ص179 أنه «الواقع في غالب الأوقاف المصرية والأوقاف الرومية في الحوانيت وغيرها». وفي عامية مصر: خلو رجل.

خلوة

الخلوة هي المعتكف الذي يخلو فيه العابد الى ربه، واستعملها هو بمعنى الغرفة التي تقع في الطابق العلوي من البيت، فقال في ج2 ص79 «العلية الكبيرة والثلاث خلاوي»، وفي ج2 ص129 الغرفة التي يقيم فيها طالب العلم من مدرسته. وجمعها: خلاوي. وتكون عادة في الطابق العلوي من المدرسة. وفي ج1 ص167 «مدرسة لها بواب يسكن في خلوة من خلاويها».

خميسية

ضريبة غير شرعية، لم يتوضح معنى اسمها، كان يدفعها المزارعون في القرى إلى المقاطع مع خدم كانوا يؤدونها إليه كما في ج2 ص127، وفي ج1 ص247 أنها واحدة من عدة ضرائب ضريبة كان يتعين على أهل القرى دفعها في ثلاث دفعات بين ربيع الأول وذو القعدة من كل عام .

درجة رملية

هي الساعة من الزمن، إشارة الى الساعة الرملية التي تأخذ من الوقت ساعة كاملة لكي ينساب الرمل من جزئها الأعلى الى جزئها الأسفل. قال في ج1 ص151 «تؤخذ أجرتها من المقاطع دفعة واحدة، ويكتب الكاتب دفتر الوقف في أقل درجة رملية».

دزدارية

اسم وظيفة من دزدار، المركبة من دز الفارسية بمعنى القلعة، ودار بمعنى صاحب، فيكون معناها محافظ القلعة. ينظر ج2 ص19.

دَسْت

لفظ فارسي له معان شتى، وبالعربية الملابس، استعمله بمعنى الصندوق الذي توضع فيه الملابس ونحوها. قال في ج 2 ص 145 «كان له دستان من ثياب».

دفتردار

مصطلح عثماني مركب من دفتر، وهو السجل، ودار بمعنى صاحب، فيكون معناها الموكل بالتسجيل والمقصود تسجيل العقارات في الدولة، وفي نهايات القرن العاشر الهجري (السادس عشر للميلاد) صار لكل ولاية دفتردار يقوم بتنظيم الشؤون المالية في الولاية⁽¹⁾. قال في ج 2 ص 79 «وكيل دفتردار خزينة الشام».

دياس

لفظ عامي فصيحه دوس، والمقصود به دوس الحاصل في الحقل. قال في ج 2 ص 148 «وصار يستعمل البقر في الحرث والدياس».

روماني

نوع من الملكية الزراعية، عُرس زيتوناً تكون غلته لبيت المال، وهذا الزيتون «مفوض للإمام أو نائبه، إن شاء عمّره لبيت المال من مال بيت المال، ومرد جميع الخارج في بيت المال، وإن شاء عامل عليه بحصة من الخارج» ويدفع عنها غارسها ما عيّن عليها من الخراج، كما في ج 1 ص 67.

زعيم

لفظ عربي، وفي الإصطلاح العثماني رتبة لضابط كبير من السباهية، يُمنح إقطاعاً متوسطاً بين إقطاعات النظام الإقطاعي العثماني المسمى (تيمار)، ويكون زعيماً لعدد من السباهية في أثناء الحرب. قال في ج 2 ص 35 «جماعة إسباهية بمدينة نابلس قيل لهم كُتبتهم للسفر (يعني الحرب)، فأذنوا لزعمائهم المتوجهين للسفر أنهم إذا اجتمعوا بحضرة صاحب السعادة حاكم دمشق المأمور بالسفر. الخ».

سباهي

وهو التيماري نفسه (تنظر هذه المادة) لفظ تركي بمعنى الخيال والفرس، كانت الدولة تمنحه قطعة أرض متفاوتة في دخلها بحسب طبقته في نظامها الإقطاعي،

(1) صابان ص 114

ويسمى أديانها (تيمار) ومنه اكتسب النظام اسمه، فقيل له نظام التيمار، يليه (الزعامت) (الخاص) والأخير أعلاها دخلاً، ويُخصَّص للسلطين عادة . وهذا الإقطاع لا يُباع لأنه يُعد ملكاً للدولة، وإنما يُمنح صاحبه ضرائبه فقط، بوصفها دخلاً شخصياً له مقابل أدائه واجباته العسكرية والمدنية. قال في ج 2 ص 69 «الأرض ليست ملكاً حتى يدعى الملكية، وواضع اليد كذلك، ليس له فيها ملك، وإنما هو مأمور بتناول خراجها مقاسمة أو وظيفة». ومثل ذلك قوله في ج 1 ص 45 أنها «أراضي بيت المال يُسلك بها مسلك أرض الوقف.. والأراضي الآن في أيدي المزارعين ليست ملكاً لهم وإنما مزارعون فيها لانقطاع مالكيها.. وأن الأراضي التي لبيت المال والناس تزرعها على الثلث أو الربع أو الخمس ونحو ذلك»، بل «إذا لم تطق الخمس بأن كانت أرضاً قليلة الربع كثيرة المؤن، بحيث لو قرر عنها الخمس تعطلت، ولا يفضل لربها شيء بعد المؤن، كان يخسر من ماله، ينقص عن المؤن»، كما في ج 1 ص 97. وعرف هذه الأرض بقوله في ص 61 أنها «أراضي بيت المال التي يقطعها السباهي نظير عطائه في الديوان»، بل لاحق له أن يقلع غرس زيتون بها مباح لأهل القرية سابقاً ولاحقاً.. إذ هو ليس بمالك، إنما له تناول أجزاء المعين له من جانب السلطان لا إتلاف ما فيه ضرر على بيت المال» كما في ج 1 ص 67. وفي ج 2 ص 36 ملاحظة مهمة عن دلائل فساد هذا النظام في عصره، من الناحية العسكرية في الأقل، حيث قال أن السباهية كانوا يدفعون مالاً إلى الوالي حتى يستثيهم من الذهاب إلى الحرب عند استنفارهم، وصار منهم من يفرض لنفسه خراجاً على القرية بوصفه هو «المتكلم على القرية»، على الرغم من عدم وجود خراج عليها أصلاً. ج 1 ص 97.

سلطاني

ضرب من النقد العثماني. قال في ج 1 ص 140 « كان للوقف تحت يدي مائة قرش بدل عن بستان له، وخمسة وسبعون سلطانياً كانت بدمه رجل».

سُوباشي، صوباشي

مصطلح تركي قديم معناه الحر في قائد جيش (صو تعني جيشاً، وباشي بمعنى رئيس) وعربه العرب قديماً ب(شباشي) وكان الصوباشية يُكلفون بحفظ الأمن في المدن في عهد سلاجقة الروم⁽¹⁾، ثم عدوا في عصر الدولة العثمانية ضباطاً في قوات

(1) جب وبوون ج 2 ص 187

الينكجيرية (الانكشارية)، مسؤولون عن الأمن في المدينة. وفي الاقاليم كان السوباشي يُعد قائداً في جيش التيمار⁽¹⁾. قال في ج 2 ص 26 أن جماعة استولوا على مدينة الخليل «وقاتلوا صوباشي المدينة»⁽²⁾. وفي ج 2 ص 142 «واتهمه أن سوباشي أودع عنده ثلاثة آلاف من القروش». وفي ج 2 ص 25 «فطلب السوباشي تسطير ذلك» يريد كتابة محضر بما وقع.

سياسة

تكليف غير شرعى كان على أهل القرية تقديمه إلى صاحب الأرض، كما في ص 98، والغالب أن له علاقة بالحاكم السياسي أو حاكم سياسة (تنظر هذه المادة).

شنبر

لفظ من التركية جنبر، بجيم مثلثة، بمعنى الطوق والقمطة، والدائرة⁽³⁾. وواضح مما ذكره في ج 1 ص 78 انه من أردية المرأة المتزوجة، فقد قال انه مما تدعى به الزوجة كسوة لها، ولم يوضح شكل هذا الرداء ووظيفته.

شعال

لفظ يقصد به من يتولى إشعال القناديل في مسجد ونحوه. قال في ج 1 ص 153 «وقف ضاق ريعه عن الصرف إلى مستحقه من خُطبة وأئمة ومؤذنين وشعّالين وبوابين وتوير».

شوال

لفظ عامي من التركية : جوال، عُرّب قديماً بجوالق⁽⁴⁾، وهو الكيس الذي يُعبأ فيه الحب أو الدقيق ونحوه. جمعه شوالات . قال في ج 1 ص 232 «رجل اشترى من آخر ثلاث شوالات، ثتان صفقة واحدة».

صبرة

لغة الكومة من الطعام. أو الكمية بلا وزن ولا كيل، وفي الحديث أنه (صلى الله عليه وسلم) نهى عن بيع الصبرة من التمر لا يُعلم مكيلتها من الكيل المسمى للتمر.

(1) خليل اينالچق: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ص 605

(2) ومن ذلك ما ذكره التمرتاشي إذ قال في الورقة 86 «رجل اتهمه صوباشي المدينة بأخذ خشبه».

(3) رفيق العثماني ص 113

(4) رفيق العثماني ص 102.

وأطلقها هو على الكمية من الأرز كما في ج 2 ص 150 إذ قال «صبرة إرز»، ومن الحنطة، فقال في ج 1 ص 21 «باعه صبرة حنطة». وفي ج 1 ص 233 «رجل اشترى من آخر غراتر معلومة من صبرة كبيرة» وفي ج 2 ص 20 «باع لهما البائع المذكور صبرة بلا وزن».

ضمادة

في لسان العرب هي خرقة تُلف على الرأس عند الإدهان والغسل ونحو ذلك. وقال هو في ج 1 ص 78 انها مما تدعى به الزوجة نفقة لها ولم يوضح شكلها ومادتها ووظيفتها.

طبخة

من التكاليف غير الشرغية التي يتوجب على أهل القرى تقديمها الى اصحاب أراضيتهم، كما في ج 1 ص 98.

طبولات

جمع عامي لكلمة طبل كما في ج 2 ص 126 وفصيحتها: طبول

عالول

يفهم مما ذكره في ج 2 ص 148 أنها الحضيصة التي تخصص لعيش الأبقار. قال «رجل له عالول بقر وضع فيه قرصية فحلها منه رجل».

عريف

لفظ فصيح، معناه (العليم)، ولكنه في المصطلح العثماني ضابط في جيش الينكجارية (الإتكشارية) مهمته نقل الأخبار بسرعة دون المشاركة الفعلية في الحرب، ويسمى (عريف بروازي)⁽¹⁾. وعد خير الدين العرفاء ممن لا تُقبل شهاداتهم. فقال في ج 2 ص 25 «شهادة مشايخ القرى وجباة المحلات والعرفاء» لا تقبل. وأن شهادة «المعرفين في الممالك، والعرفاء في جميع الأصناف» لا تقبل لأنهم فسقة. فالمعرف هذا غير العريف، وإذا كان المقصود بالأصناف أصناف أهل الحرف في المدن، فإن المعنى غير واضح.

عصوبة

عامية محلية، قال في ج 1 ص 89 أن من عادات الفلاحين أن يخطف رجل بنتاً ويدخل بها على شيخ القرية قائلاً: بيني وبينها عصوبة!

(1) صابان ص 152.

عُلوْفَة

عامية من العُلف الذي تغلفه الدواب، وكان يمثل نوعاً من المخصصات المالية التي تعطى للفرسان في أول عهد الدولة العثمانية لإطعام دوابهم، ثم صار اسماً للرواتب التي تمنح لأفراد الينكجيرية وبعض الموظفين الرسميين⁽¹⁾، ويسمون (علوفه لي) أي أصحاب الرواتب⁽²⁾. ترددت الإشارة إليها بوصفها رواتب مقررة في وقييات الواقفين. قال في ج 1 ص 151 «صارت علوفات الفقراء على حكم التوزيع». و«شرط الواقف للمتولي وأرباب الشعائر من العلوفات»⁽³⁾، و«نص السلطان في براءتي على أن لي من العلوفة كل يوم كذا وكذا».

عُهْدَة

لفظ معناه لغة اليمين والميثاق، واصطلاحاً الإتفاق بين صاحب الأرض والزراع على قسمة الحاصل المسمى خراجاً. قال في ج 1 ص 100 «إذا أخذ خراج المقاسمة من الزراع مدة سنين فاستحقت الأرض بأن ظهرت وفقاً أرسادياً، هل يؤخذ من الزراع ثانياً أم لا، ويخرجون من العُهْدَة».

عوارض سلطانية

مصطلح عثماني، يعني الطوارئ، وهي الضرائب المفروضة على الرعية عند حدوث الطوارئ⁽⁴⁾، وأصبحت تدفع على شكل رسوم ثابتة، أو غرامات، قال في ج 1 ص 244 «رجل اشترى بيتاً لم يدر أن عليه عوارض سلطانية وقت شرائه» وفي ج 1 ص 187 أن وقفاً «سكّنه أحد الموقوف عليهم بالغلبة فصار يدفع عنه مغارم سلطانية كالعوارض ونحوها».

عَوْنَة

عامية، بمعنى أعوان. قال في ج 1 ص 140 «واخذ القاضي وعونته المال أخذ اللصوص»

(1) صابان ص 155

(2) محمد علي انسي: الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت 1320، ص 377. وينظر جب وبيون ج 2 ص 248

(3) قال التمرتاشي «يكون ذلك التدريس لعلوفته لصاحب البراءة السلطانية الموافقة لشرط الواقف». الفتاوى، الورقة 64.

(4) صابان ص 127.

عيدية

ضريبة غير شرعية، يظهر أنها كانت تُقدّم في أحد العيدين، كان يدفعها المزارعون في القرى إلى المقاطع مع خدمات كانوا يؤدونها إليه كما في ج 2 ص 127 وعدها في ج 2 ص 119 من «العوائد الظلمية» وأفتى ببطلانها. وفي ج 1 ص 247 أنها واحدة من عدة ضرائب كان يتعين على أهل القرى دفعها في ثلاث دفعات آخرها في ذي القعدة من كل عام.

غلة دار

مصطلح من غلة العربية، ودار الفارسية بمعنى صاحب. قال في ج 2 ص 69 «لم تجز الدعوى على أكار الوقف وغير الوقف، وكذا غلة دار الوقف وغير الوقف إذا ثبت أنه أكار أو غلة دار»، وهذان ليسا ناظرا وقف، إذ «لا تصح الدعوى في الوقف على غير ناظره».

غربية

ضريبة غير شرعية كان يتعين على أهل القرى دفعها في موعد محدد من كل عام. كما في ج 1 ص 247 ولم تقف على وجه التسمية.

غليون

من التركية قاليون⁽¹⁾، وهو ضرب من السفن الكبيرة، وجمعها غلايين، ذكره في ج 1 ص 219 .

فاخورة

بيت شني الآجر والفخار. في ج 2 ص 151 سيلاً جرى من ماء المطر فدخل في فاخورة شخص فأتلف بعض فخاره. وينظر ج 1 ص 115.

فتح المنجل

ضريبة غير شرعية، يظهر أنها كانت تؤخذ عند البدء بالحصاد، كان يدفعها المزارعون في القرى إلى المقاطع مع خدمات كانوا يؤدونها إليه كما في ج 2 ص 127

(1) رفيق العثماني ص 223.

فردة قماش

مصطلح عامي، وهي القطعة من القماش، وتسمى في العراق (طولاً)، قال في ج2 ص46 «رجل أرسل إلى آخر فردة قماش مصري وفي داخلها أربعون غرشاً».

فرسية

ضرب من الثياب لم نعلم إلى أي شيء نُسب. قال قي ج2 ص106 «رجل أرسل إلى بواب وكالة الرملة حملاً من ثياب فرسية».

فريكة

لا معنى لها في اللغة والاصطلاح، ولكنه استعملها بما يظهر أنها جنس من البهائم. قال ج2 ص149 «في حراث أخذ بهيمة رجل .. وأخذها حراث آخر ودفعها لصبي يعقل معه سكين، قائلاً له هات له فريكة فأخذها الصبي وهربت منه فتحرها بسكين».

فصل

هو شيء معلوم من المال يضره القسام على أراضي القسم التي يزرعه الناس بالحصة، وذلك على وجه الحزر والتخمين، ولا يطابق ما يخص حصتهم بل يزيد تارة وينقص بأخرى. وقال «ما يفعله بعض القسام مع المزارعين ويسمونه فصلاً أمر خارج عن الشرع الشريف» ج1 ص97.

(تنظر مادة خراج المقاسمة)

فلاحة

الفلاحة لغة حرفة الفلاح، وهو الذي يشق الأرض للحراث (لسان العرب)، ولكنه اصطلاحاً كما في ج1 ص100 «ما يفعل الآن من الأخذ من الفلاح، وأن يزرع، ويسمى ذلك فلاحة، وإجباره على السكن في بلدة معينة، ليعمر داره ويزرع الأرض»، وعد ذلك حراماً.

قرش

عملة عثمانية من الفضة، أخذ اسمها من الألمانية Groschen ضربت في الأصل بوزن 6 دراهم، ثم انخفضت قيمتها في العقود التالية⁽¹⁾، وتكررت الإشارة إليها في هذه

(1) انستاس الكرملي: النقود العربية وعلم النميات، القاهرة 1938 ص181 و99، و139 وعباس العزاوي: تاريخ النقود العراقية، بغداد 1958، ص148.

الفتاوى بوصفها عملة رئيسة من الوقف والمعاملات الاخرى، وقد سجل خير الدين انخفاضها في عهده فقال في ص 198 «فاللازم عليه غرة نصف عشر الدية، قدرها خمسمائة درهم، بحساب القروش الان، ستة وخمسين قرشاً تقريباً».

قرش أسدي

أشار في مواضع عدة منها ج1 ص243 و ج2 ص20 إلى ضرب من القروش سماها «قروش أسدية»، وسماها في ج1 ص242 «القطع القروش الأسدية» وهي عملة ذات أصل هولندي كانت قيمتها تساوي ثلث العملة الذهب العثمانية⁽¹⁾.. ولكنها ظلت متداولة حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر⁽²⁾.

قرصية

كانها دابة تربط في حضيرة كما في ج2 ص148(تنظر مادة عالول).

قطعة مصرية

نقد من النحاس، كل عشر منها كانت تساوي قرشاً صاغاً⁽³⁾. قال في ج2 ص124 «استأجر حماماً بإثنتين وعشرين قطعة مصرية»، وقال في ج2 ص106 «رجل دفع لآخر ثلاثة قروش قطعاً مصرية» وقال في ج1 ص77 «وقدره كل يوم ثمانية قطع مصرية».

قنّواتي

عامية محلية، يظهر أن صاحبها كان مكلفاً بتنظيف المجاري، وُعدت «من الصناعات الدنيئة»، ولذلك كانت قرينة لمهنة الزبال. كما في ج2 ص26

قهُوجية

تكليف غير شرعي عدّه من الظلم الذي لا أصل له، كان يؤديه الفلاحون برسم ضيافة صاحب الأرض عند مقاسمة الخراج. ج1 ص98

(1) صابان، ص178

(2) د. محمد منجد الحزماوي: النقد الاجنبي في مدينة القدس وقرائها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دراسة من خلال سجلات محكمة القدس الشرعية، مجلة الجامعة الاسلامية، المجلد 15، العدد2، حزيران 2007 ص376

(3) الكرملي: النقود العربية، ص185

قوآسية

القوآس هو الرامي بالقوس، ثم أطلق على الهدف بالسلاح الناري، واشتق منه الفعل قوَّص بمعنى أصاب الهدف، كما أطلق على الحارس الشخصي. ويفهم مما ورد في ج1 ص98 أن القوآسية ضريبة، أو تكليف غير شرعي، كان على أهل القرية تقديمها لصاحب الأرض. وعده من الظلم الذي لا أصل له. ج1 ص98

كردار

مركب من لفظين، كر وأصلها كار الفارسية بمعنى عمل، ودار بمعنى صاحب، ويقصد به اصطلاحاً العامل في الحقل ونحوه. ج2 ص194 وفي ج2 ص163 هو المزارع الذي ليس له حق القرار، وهو أن يحدث في الأرض بناءً أو غرساً أو كبساً من تراب 161

كسر الفدان

دراهم يأخذها السباهي (أنظر هذه المادة) من قوم مهاجرين مقابل إعفائهم من العود الى وطنهم الأصلي. ج2 ص185 وقال في د2 ص151 «وفيما تأخذ الظلمة ويسمونه كسر الفدان» وأفتى أنه حرام قطعي.

لحافة

اللحاف لغة كل غطاء يتدثر به، واستعمله هو في ج2 ص149 بمعنى ما يغطي جذع الشجر من غطاء وقشر. قال «كز غصنه في لحافته أو شقها في ركزه في نفسها في وضع القطع فأنثر».

كيالة

ضريبة، أو تكليف غير شرعي، وعده في ج1 ص98 من الظلم الذي لا أصل له، ومن المحتمل أنها رسم كان على أهل القرية تقديمه الى صاحب الأرض عند كيل محصول قريتهم.

مارس

لا وجود لها في المعاجم، ويظهر انها أداة للفرس. قال في ج1 ص232 «جماعة استعاروا من آخر مارساً لزرع المقات وأعاروه مثله لزرع القطن» وفي ج2 ص136 أن رجلاً أجر لرجل آخر مارسين من أرض بأجرة معلومة.

مال طنطور

ضريبة غير شرعية كان يتعين على أهل القرى دفعها في موعد محدد من كل عام. كما في ج 1 ص 247 ولم نقف على معناها.

مباشرة

من التكاليف غير الشرعية التي يتوجب على أهل القرى تقديمها الى اصحاب أراضيهم، كما في ج 1 ص 98.

مبطقة

لا ذكر لها في المعجم، وقد تكون أرضاً يزرع فيها البطيخ، قال في ج 2 ص 141 في كلامه عن البقر «في بقار انتشرت باقورته في القرية فوقعت في مبطقة إنسان فأتلفته».

متكلم

المتكلم على القرية هو صاحب الحق في أرضها أو حاصلها. قال في ج 1 ص 67 «ضيعة موقوفة على جهات متعددة .. هل لأحد المتكلمين على أحد الجهات الموقوفة الضيعة عليها أن يختص بها» وفي ج 1 ص 97 عد السبأهي هو «المتكلم على القرية» و«الناظر متكلم على وقف». وفي ج 1 ص 146 «يطالب المتكلم على المدرسة بحصة بيت المال».

مجديّة

ضريبة غير شرعية كان يتعين على أهل القرى دفعها في موعد محدد من كل عام. كما في ج 1 ص 247 ولم نقف على معناها.

محصول

اللفظ فصيح لكنه قصد به في ج 2 ص 148 : مبلغاً من المال كان بعض القضاة الظلمة يستوفونه بواسطة وكلائهم.

مدبسة

بيت صناعة الدبس كما في ج 1 ص 245

مُرْتَقِق

لفظ فصيح بمعنى الملحق بشيء ما ، واستعمله هو بمعنى المرافق الصحية خاصة. قال في ج 2 ص 79 «ولهما بالمطبخ والمُرْتَقِق وساحة الدار تكون مشتركاً».

مِشْخَاص

أداة لإلهاَب البارود في البُنْدُقِيَّة. قال في ج 2 ص 196 «رجل أخذ بيده بندقيَّة مجرَّبة ثم وضعها وبعد استقراره وقع مِشْخَاصها على خزانها فأورَّت وقتلت شخصاً».

مَصْبِنَة

البيت الذي يُصنع فيه الصابون . قال في ج 1 ص 129 «ناظر وقف أهلي جعل طاحونة الوقف مصبنة»

معاليم

جمع معلوم، وهو الراتب المقرر بحسب الواقف. قال في ج 2 ص 46 «جماعة وكَلُوا رجلاً في قبض معاليمهم من ناظر وقف».

مِيقَاتِي

الموكل بضبط مواقيت الأذان في المسجد. قال في ج 1 ص 153 «وينبغي إلحاق المؤذنين بالإمام وكذا المِيقَاتِي لكثرة الإحتياج إليه».

مِيمِيَّة

لفظ عامي محلي لضربٍ من البيوع يسمى بالمصطلح الفقهي بيع تلجئة، وهو بيع صُوري يلجأ إليه البائع في ظروف معينة مضطراً . قال في ج 1 ص 221 «رجل باع من آخر شجر زيتون بيع تلجئة ويسمونه بقري فلسطين بيع ميمية، فتصرف فيه المشتري والآن مُنكر كونه بيع تلجئة، ويدعي أنه يقع جد وحقيقة».

وقف أرصادي

هي الأرض التي يقفها السلطان. قال في ج 1 ص 100 «أرض قرية قسمها الربيع، وهي وقف أرصادي من حضرة السلطان».

وقف أهلي

هو الوقف الذري نفسه. قال في ج 1 ص 122 «وقف أهلي وقفه أبو الوفا على نفسه ثم على أولاده الذكور والإناث».

وكس

الوكس لغةً هو النقصان. قال في ج 2 ص 160 هل تحل القسمة ويلزم المال المجعول مع الأوكس أم لا؟ أي الأشد نقصاناً.

ياظبية

لفظ تركي، يُلفظ يازجيه، بزاي مفخمة، جمع يازجي: وهو الكاتب، اسم لتكليف غير شرعي عده من الظلم الذي لا أصل له. ج 1 ص 98.

وثائق وسجلات

واقع الوثائق العثمانية في بغداد

فتح العثمانيون العراق على مرحلتين رئيسيتين، الأولى بقيادة السلطان سليم الاول، وتم خلالها السيطرة على الموصل وشمال العراق سنة 921هـ/ 1516م. وأخرى بقيادة السلطان سليمان القانوني، وفيها تمت السيطرة على أنحاء العراق الأخرى، وبضمنها بغداد، سنة 941هـ/ 1534م وبذلك عرف العراق أولى مؤسسات الإدارة العثمانية المباشرة، وعلى الرغم من تعرض عهد السيطرة العثمانية لفترة انقطاع محدودة، (من 1032 إلى 1048هـ-1622-1638م) إلا أن أسس الإدارة وفلسفتها ظلت مستقرة بشكل عام، فلم تتعرض إلى تغيير يُذكر حتى مطلع القرن الثاني عشر (الثامن عشر للميلاد) حين أخذت بغداد تستعيد، تحت حكم واليها القويين حسن باشا وابنه احمد باشا، السيطرة المركزية على أنحاء العراق تدريجياً، حتى إذا ما انتصف القرن المذكور كان العراق كله، باستثناء ولاية الموصل، قد أمسى تحت إدارة بغداد (بدء من 1163هـ-1760م). وفي الحقبة التالية تولى المماليك في بغداد إدارة تلك الانحاء بشكل شبه مستقل عن الإدارة العثمانية العامة، بيد أن سقوط حكمهم سنة 1247هـ-1831م أدى إلى عودة الإدارة العثمانية المباشرة من جديد إلى العراق، لتلبث فيه، وإن تعرّضت إلى تغييرات بسبب محاولاتها تحديث أجهزتها بل وفلسفتها، حتى نهاية الحكم العثماني نفسه.

وكان طبيعياً أن تتخلف عن هذه الإدارة، خلال المدة الطويلة التي تولّت فيها البلاد، مجموعات ضخمة من الوثائق الرسمية تتناول مختلف الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، منها على سبيل المثال صور من الكتب المتبادلة بين الولاة والباب العالي، وبين الولاة وبين حكام المدن الثانوية التابعة لهم، وزعماء القبائل، وتشمل أيضاً السجلات المالية المحلية، وفيها التفاصيل الدقيقة عن واردات الولايات ومصاريفها ومراسلات الولاة مع حكام الدول والقوى المجاورة، والدول ذات التمثيل الدبلوماسي والتجاري في العراق، وغير ذلك من شؤون مهمة لدارس تاريخ العراق إبان تلك العهود.

وتزيد هذه الوثائق أهمية في العهد الذي شهد فيه العراق تأسيس الإدارة المملوكية المحلية، ففي هذا العهد كان الولاة يمارسون صلاحيات واسعة في تصريف

شؤون ولاياتهم دون الرجوع إلى الدولة المركزية إلا في أمور مهمة محددة، وهو ما يعني عدم تصور وجود صور من وثائقهم في أرشيف الباب العالي على أهميتها.

ويمكننا أن نتعرف على أهمية تلك الوثائق وفائدتها العلمية مما نقله عنها المؤرخون المعاصرون، الذين أتاحت لهم فرصة الإطلاع على نصوصها والإفادة منها في تواريخهم، أمثال عبد الرحمن السويدي في (حديقة الزوراء)⁽¹⁾ وعثمان بن سند في (مطالع السعود)⁽²⁾ ورسول حاوي الكركوكلي في (دوحة الوزراء)⁽³⁾ وسليمان فائق في (مرآة الزوراء)⁽⁴⁾، فقد أورد هؤلاء المؤرخون نصوص ووثائق عالية القيمة أكثرها مما كان يُتبادل بين ولاية بغداد وحكام إيران حول مختلف الشؤون السياسية والعسكرية، ومنها ما تم تبادله مع زعماء الوهابيين في نجد، ومعلومات استمدت من سجلات مالية تتعلق بجوانب من الحياة الاقتصادية وغيرها، وقد صرح أكثر هؤلاء بأنهم ينقلون معلوماتهم من وثائق رسمية وسجلات، فالكركوكلي يشير إلى (السجلات العامة) و (السجلات المختصة)⁽⁵⁾، وسليمان فائق يذكر في تقييمه للحياة الاقتصادية إبان عهد المماليك أنه يستند إلى ما عثر عليه من أدلة وسجلات⁽⁶⁾.

ومن المؤسف أن أدت حوادث الفوضى والاضطراب، فضلاً عن العوامل الطبيعية إلى ضياع أغلب الوثائق الرسمية وتبديدها، فتعرضت بغداد إلى احتلال إيراني في السنوات 1032هـ-1638م، وتعرضت البصرة إلى احتلال مماثل سنة 1108هـ-1696م وسنة 1190هـ-1776م، وتكررت مدهامة القوات الإيرانية لمدن العراق الشرقية، مما أدى إلى إتلاف السجلات الخاصة بشؤون الإدارة المختلفة، أما نتيجة الفوضى التي تشيع- عادة- في مقرّات الحكم إبان تلك الظروف المضطربة، وأما نتيجة الإتلاف المتعمد لها وسيلةً لطمس معالم تلك الإدارة ومظاهر السيادة العثمانية بشكل عام.

(1) بتحقيقنا، مطبوعات المجمع العلمي ببغداد 2003 ص20.

(2) بتحقيقنا، الطبعة الثانية، الدار العربية للموسوعات ببيروت 2010 ص48.

(3) انظر مثلاً ص67، 71، 79، 73، 74، 76، 78، 86، 96، 110، 111، 126، 133، 200، 208.

(4) 209 (ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت 1963).

(5) انظر مثلاً 173 (ترجمة موسى كاظم نورس. بغداد 1962 ونشر بعنوان تاريخ بغداد).

(6) دوحة الوزراء ص131 و157 و224.

(6) مرآة الزوراء 173.

وكان للكوارث الطبيعية نصيب في ذلك أيضاً، فيذكر المؤرخ سليمان فائق أنه في سنة 1346هـ-1830م أدى انتشار الطاعون في بغداد إلى «تلف سجلات الخزينة وأوراقها مما تعذر معه معرفة الإيرادات والصرفيات التي كانت على عهد المماليك بصورة دقيقة»⁽¹⁾ وفي أثناء الاضطراب الذي ساد سراي بغداد في الأيام الأخيرة لحكم داود باشا آخر ولاية المماليك وتولي بعض الناس «نهب الخزينة بمن معهم وأشعلوا النار في الداخل»⁽²⁾ فكانت الوثيقة بذلك من أهم ضحايا تلك الكوارث، وهدفاً لها في أكثر الأحوال.

وكانت (الدفتر خانة) من أكثر الدوائر العثمانية حرصاً على وثائقها لما تضمنه من قيود ملكيات الأراضي والعقارات العامة، وقد وفقنا على ما يفيد تعيين موقعها من بغداد، فإذا بهذا الموقع قد شغلته دوائر رسمية أخرى، في أزمنة تالية، فلم يُعلم مصير تلك الأرفف من السجلات التي حوتها تلك الدار من قبل⁽³⁾.

وفي عهد الدولة العراقية، أضيف عامل آخر إلى عوامل ضياع الوثائق العثمانية، وهو ما يمكن ملاحظته في شيوع شعور عام بأن الدولة الجديدة قد نسخت في فلسفتها وأحكامها وقوانينها الدولة العثمانية السالفة، ومن ثم لم يبق من مبرر لحفظ وثائقها وسجلاتها العديدة كلما استعيز عنها بوثائق جديدة، وهكذا تبددت وثائق المعارف والمالية والبلديات والجيش والشرطة. فمنها ما حرق عمداً، ومنها ما أصابه التلف نتيجة حفظه في سراديب دوائر (السراي) الرطبة، والقريبة من النهر⁽⁴⁾ وبذا ضاعت ثروة تاريخية لا تقدر بثمن للباحث في تاريخ العراق إبان تلك القرون.

ولقد عُنينا - منذ زمن - بتتبع مظان ما تبقى من الوثائق العثمانية في بغداد خاصة،

(1) المصدر نفسه 177.

(2) سليمان فائق: تاريخ المماليك الكولة مند في بغداد (ترجمة محمد نجيب ارمنازي، بغداد 1961)، ص 69.

(3) كانت الدفتر خانة تشغل آخر مباني قشلة بغداد، وقد اشغلت موقعها بعض المدارس العسكرية العثمانية، ثم امست تابعة للمحاكم التابعة لوزارة العدل، انظر تعليقنا على: عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة (بتحقيقنا، بغداد، ص 115).

(4) ذكر لي الأستاذ ميخائيل عواد، وكان سكرتيراً لوزير المعارف (التربية فيما بعد)، أكثر من ثلاثين سنة، ان في إحدى حوادث ارتفاع منسوب مياه دجلة، نزل الماء في سراديب وزارة المعارف حتى امتلأت به، فأدى ذلك إلى غرق اكداس كبيرة من الوثائق القديمة كانت تصل بارتفاعها إلى السقف، ومن ثم تلفها الكامل، فما كان الا أن رفعت وألقيت في دجلة.

فتبين لنا ان هذه الوثائق تنقسم بحسب طبيعتها، والأماكن التي وجدت فيها، إلى المجموعات الآتية:

اولاً: مجموعة الأوقاف:

تحتفظ وزارة الأوقاف العراقية بمجموعة من الوثائق الخاصة بالأوقاف الخيرية والذرية، أضافت إليها، في العقود المتأخرة، ما استحصلت عليه من نسخ مصورة ومنقولة، من أصول الوقفيات التي لها تعلق بالعراق مما هو محفوظ في أرشيف الوقفيات في تركيا، فشكلت هذه الوثائق، بمجموعها ثمانية عشر سجلاً كبيراً تضم (3406) وثيقة. وبعض هذه الوثائق مكتوب أصلاً باللغة العربية، بينما ترجم البعض الآخر من اللغة التركية العثمانية، ويمكن القول بأنها تمثل أقدم مجموعة وثائقية في العراق، حيث تضم وثائق ترقى إلى القرن الثامن للهجرة، فالقرون التالية، حتى نهاية العصر العثماني فالعهد الملكي، بمعنى أنها تغطي نحو ستة قرون كاملة من تاريخ العراق. وهي مدة طويلة لا تدانيها فيها أية مجموعة أخرى، وبضمنها سجلات المحاكم الشرعية التي لا ترقى إلى ابعده من أواخر القرن الثاني عشر للهجرة.

تبرز أهمية هذه الوثائق من نواحي عدة، فمن الناحية الاقتصادية تضم معلومات ذات شأن عن طبيعة الأراضي والعقارات، من بساتين وحقول وأراض غامرة وقرى وخانات وأسواق ودكاكين، وقفها أهل الخير على ما أنشأوه من مؤسسات خيرية أو على ذرايبهم، فتوضح ما كانت تدُّره من دُخول، وأوجه أنفاقها، وأنواع العملات المستعملة في عهدها، ومقادير رواتب فئات مختلفة من العلماء والقضاة والمدرسين والمتولين وغيرهم، مما يلقي أضواءً على تطور الملكية العقارية داخل المدن وخارجها ومستويات الدخول، والنشاطات الاقتصادية في زراعة وتجارة وصناعة. وما إلى ذلك من شؤون. ومن الناحية الاجتماعية، توضح الوثائق أنواع الخدمات العامة في المدن العراقية، مثل إنشاء المساجد والمدارس والربط والملاجئ والسقايات وما أوقفه الموسرون على الفقراء والأرامل واليتامى والمحتاجين لإطعامهم وأكسائهم وهو ما يكشف عن روح التكافل الاجتماعي في المدينة العراقية ابان تلك العهود. كما توضح الوثائق أيضاً دور المرأة في مثل هذه الأعمال، من خلال الوقفيات السخية التي وقفتها على مختلف شرائح المجتمع، وهو دور كبير لا يمكن الاستهانة به في أية حال. وتكشف بعض الوقفيات الذرية الخاصة عن طبيعة العلاقات الإنسانية والقانونية، داخل الاسرة الواحدة عهد ذاك.

أما الناحية الثقافية، فتتجلى فيما تحفل به تلك الوقفيات من أسماء مدارس ودور القرآن التي أنشأها محبو الثقافة وما وقفوه عليها من أموال بهدف دوام العناية بها بعدهم، كما تشمل أيضاً معلومات متنوعة عن الفئات التي كانت تشتغل بالعلم والتعليم كالمدرسين والطلبة ومناولي الكتب وخزانتها والمعيدين والمقرئين وغيرهم، وتفاصيل مهمة عن طرق إدارة تلك المؤسسات وصلاحيات المشرفين عليها بحسب شروط الواقفين، وتتضمن بعض الوقفيات تفاصيل أكثر دقة عن خزائن الكتب الموقوفة، وفهارس ما تحويه من كتب مما يقدم مادة خصبة للباحث في تاريخ التربية والتعليم والثقافة إبان تلك العهود.

وللوثائق أهمية خطوية خاصة، فإن فيها معلومات لا تقدر بثمن عن القرى الزراعية في العراق، بوصفها قد احتوت على أراض و عقارات موقوفة، وكثيراً من القرى ما كنا نعلم تاريخ وجوده لولا أن ورد اسمه في تلك الوقفيات، كما أنها ضمّت أيضاً معلومات لا تقل أهمية عن تطور خطط المدن الرئيسية، وبخاصة بغداد، ففيها تتحدد للقارئ مواقع مساجد ومدارس ومحلات وأسواق ودروب وخانات وأبواب وعقود ودور حرفية (ورش). وجسور وقناطر ومشارع (جمع مشرعة وهي الشريعة) وقلاع وتكنات وحمامات، مما يكشف عن أسمائها القديمة، وما كان يشغل أرضها من مواقع بائدة، وما آل إليه حالها في الأزمان التالية، حتى يمكن القول أن دراسة الخطط بغداد في العهود المتأخرة لا يمكن أن تجري ما لم تستند أولاً على معطيات تلك الوثائق المهمة.

وتحمل الوقفيات دائماً أسماء القضاة الذين صادقوا على مندرجاتها وأسماء الشهود الذين شهدوا عليها وعناوين وظائفهم، وبما أنهم عادة من وجهاء المدينة وعلمائها، فإن الوقفيات تدلنا على كثير من التفاصيل الخاصة بتلك الفئات، كما أنها تحتوي على معلومات مهمة تفيد في معرفة تاريخ الأسر التي تميزت بعلم وفضل ومال، وأعلامها، وأصولها، ومصادر ثرواتها وما إلى ذلك من شؤون.

ثانياً: مجموعة الطابو:

كانت الدفترخانة هي المسؤولة قانوناً عن تنظيم شؤون الإقطاعات الزراعية-العسكرية في الريف، وقد وجدت في بغداد، منذ أول عهدها بالسيطرة العثمانية دائرة (دفتر خانة) محلية تتبع (الدفتر خانة العامرة) أي المركزية في العاصمة، وإثر إلغاء هذه الإقطاعات في النصف الأول من القرن التاسع عشر، أصبحت مهمة تلك الدائرة

مختصة بمتابعة رسوم الأراضي وإصدار سندات الملكية بشأنها، أما سندات ملكية العقارات داخل المدن فكانت تختص بها المحكمة الشرعية عادة⁽¹⁾.

وإثر صدور قانون الأراضي العثماني سنة 1275هـ/1858م والتعليمات المتعلقة به، استحدثت دائرة جديدة تتولى شؤون الملكية العقارية باسم (دائرة الدفتر الخاقاني) وربطت بها دوائر محلية بالاسم نفسه في مراكز الولايات المهمة، ومنها بغداد.

وأصبح من واجبات (الدفتر الخاقاني) في بغداد تطبيق القوانين والأنظمة والتعليمات النافذة بشأن إدارة الأملاك والأراضي والنفوس، وما كان مختصاً منها سندات التصرف بالأملاك والأرض وتثبيت حق ملكيتها رسمياً إضافة إلى واجبات أخرى⁽²⁾ وبما أن السياسة الاقتصادية للدولة كانت تستهدف منذ عهد مدحت باشا تسجيل أكبر مساحة ممكنة من أرض العراق بأسماء المالكين الجدد، فقد كان من الطبيعي أن تتخلف عن هذه الدائرة وبسرعة كميات كبيرة من الملفات التي ضمت أوليات عمليات المسح، والتسجيل وتثبيت الحدود، وتحديد العائدية، ومتابعة انتقال الملكية وما إلى ذلك من شؤون أقرها القانون الجديد.

وبما أن أكثر تلك الملكيات قد جُدد تسجيله في عهدي الاحتلال البريطاني والدولة العراقية، فقد فقدت الملفات القديمة الخاصة بها قيمتها القانونية، ومن ثم تعرضت -تدرجياً- إلى الإهمال والتكديس في أقبية دائرة الدفتر الخاقاني، التي عُرفت باسم الطابو. ثم أنها كُدمت -على غير ترتيب معين- في أكياس كبيرة من الخيش (كواني) قدرنا عددها، يوم رأيناها سنة 1982 تحتل الطابق الأوسط من عمارة الدفتردار الكائنة في مدخل شارع المستنصر، بأكثر من مائة كيس يختص بعمليات تسجيل الأراضي في الريف، وقد سَعِينَا في حينها لنقلها إلى المركز الوطني للوثائق، فلم نجد لسعيننا هذا أي صدى، بذريعة أن المركز لا يملك مساحة تكفي لحفظ هذه الكمية الكبيرة من الأكياس.

(1) انظر نجاتي اقطاش وعصمت بينارق: الأرشيف العثماني (ترجمة صالح سعداوي، عمان 1986، ص339-335) ودائرة المعارف الإسلامية، مادة تيمار بقلم ديني.

(2) د. عماد احمد الجواهري: تاريخ مشكلة الأراضي في العراق (بغداد 1978) 45-47 وغانم محمد علي: النظام المالي العثماني في العراق، أطروحة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل، كلية الآداب 1989)، ص49، 53.

أما سجلات التسجيل الخاصة بالمدن فقد كان حظها أفضل، إذ بقيت محفوظة في دوائر التسجيل العقاري (الطابو) ليُرجع إليها في الحالات التي تتطلب ذلك.

ومن حسن التقدير، أن مجموعة من تلك الوثائق قد انتقلت مؤخراً إلى أمانة الوثائق في دار الكتب والوثائق فأصبحت بذلك متاحة للباحثين، وتتألف المجموعة من 114 ملفاً، تضم نحن (13842) وثيقة، جميعها باللغة التركية العثمانية، وتغطي هذه الوثائق مناطق واسعة من الولايات العراقية: بغداد والموصل والبصرة وأبرز المدن والنواحي التي تتكرر الإشارة إليها كربلاء والديوانية والدليم والكوت وخانقين وبدرة وجصان ومنذلي والجزيرة وخرسان (خريسان) والعزيزية وعانة والنجف والخالص والعمارة والمحمودية والحلة والسليمانية وكركوك.

وأقدم سجلات هذه المجموعة يرقى إلى سنة 1287هـ (1870م) وهي سنة المباشرة الفعلية بتسجيل أراضي العراق في أيام ولاية مدحت باشا (1286-1289هـ/1868-1872م) ويختص هذا السجل بالمعاملات الخاصة بالأنهار الواقعة غرب الخالص، وثمة نقص واضح في السجلات التي تغطي السنين التالية حتى نهاية القرن الثالث عشر للهجرة (19م)، ومن المحتمل أن يكون سببه هو ضياع تلك السجلات أو تلفها أو عدم نقلها إلى أمانة الوثائق. وترقى السجلات المتبقية إلى ما بين سنتي 1300هـ/1882م و1333هـ/1915م.

وفي الواقع فإن التاريخ الأول يمثل البداية الفعلية لإصلاح نظام دوائر الطابو إذ أبدلت الأصول القديمة في منح سندات متعددة وتقرر إعطاء سند واحد في كل قطعة، واستخدمت دفاتر جديدة لتسجيل المعاملات عليها، فضلاً عن إجراء تغييرات أخرى مهمة⁽¹⁾.

تبحث سجلات الطابو، فيما تضمنه هذه المجموعة منها، في شؤون متنوعة ذات صلة بالأرض وملكيته، منها مثلاً ما يختص بمبالغ الحاصلات المرسلة من الولايات العراقية إلى وزارة الداخلية العثمانية، ومحركات صادرة من المدن العراقية حول معاملات الطابو وسجلات خاصة بالأراضي والعقارات الأميرية في المدن المذكورة، وأخرى حول نوعية ومقادير الأراضي والبرقيات الصادرة من الولايات العراقية حول معاملات التملك، ومحركات صادرة حول الموضوع نفسه، وسجلات بالسندات

(1) الجواهري، المصدر السابق، 46.

الرسمية الخاصة بالأراضي والمقاطعات المعنية، وغير ذلك من أمور. وتضم تلك السجلات، فيما تضمنه من وثائق، معلومات مهمة عن حجج الأراضي في كثير من المدن والنواحي العراقية، وأسماء المالكين، مع الإشارة إلى أسماء عشائرتهم أو ألقابهم أحياناً، مما يفيد في معرفة أصولهم الاجتماعية والاقتصادية، كما أنها توضح أبعاد الأرض التي صدر بشأنها سند الملكية بقياس الدونمات وأجزائه، وتوضح حدودها من أنهار ومزارع وتلال ومعالم طبيعية وصناعية أخرى، مما يكشف عن كثير من المعالم والشواخص البائدة في تلك النواحي. وفضلاً عن ذلك فإنها تتضمن تقدير أسعار الدونم الواحد من الأرض بحسب السنين المتعاقبة، وما يتعلق بحقوق وراثتها المقاطعات المختلفة، وأسماء الوارثين، ومبالغ إيجار أراضي القرى الزراعية، والمشاكل الحاصلة بين مالكيها الجدد بحسب السندات وزرّاعها من العشائر المقيمة فيها، وأسماء الأعضاء المنتخبين لمجلس إدارة الولاية، ورواتب موظفي مركز الإدارة وملحقاتها، وبراءات ذمهم، وما له صلة بشؤون نقلهم وعزلهم، ومزادات بيع العقارات، وحجز الأموال وانتقال الأراضي، وعرائض عديدة تتضمن شكاوى على موظفين في الدائرة المذكورة، وبعضها مكتوب على هيئة قصيدة، أو قطعة أدبية، ومذكرات حول معاقبة بعض الموظفين المتلاعبين تصل إلى حد الإعدام أحياناً، وغير ذلك من شؤون، تفيد الباحث في الأحوال الإدارية والتطور الاقتصادي وأثره في الحياة الاجتماعية في العراق ابان القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد).

ثالثاً- سجلات المحكمة الشرعية في بغداد

احتفظت المحكمة الشرعية بالرصافة بمجموعة مهمة من السجلات المرتقية إلى العصر العثماني في العراق، يبلغ عددها (680) سجلاً وهي توثق الحقبة الممتدة من سنة 1198هـ/1783م وحتى نهاية العصر العثماني واحتلال بغداد سنة 1336هـ/1917م⁽¹⁾.

(1) كنا قد سعيينا منذ سبعينات القرن الماضي إلى نقل هذه السجلات، لاسيما ما يختص منها بالعصر العثماني، من الحجرية المذكورة التي لم تتوفر فيها أيأ من شروط الحفظ الآمن، إلى دار الكتب والوثائق، بوصفها المكان الأفضل لحفظها، والأولى بذلك قانوناً، ولكن الموافقة على ذلك النقل لم تكن تحصل بسبب ممانعة المحكمة نفسها مرة بعد مرة، بحجة حاجتها إليها في عملها اليومي، وحينما أفرغت المحكمة الحجرية من سجلاتها لتخصص لبقبر عادلة خاتون (ينظر: من تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد في هذا الكتاب) على ما طالب

وتتفاوت أعداد صفحات كل من هذه السجلات، فتبلغ لصفحات القديمة منها (حتى سنة 1300هـ/1882م) ما بين 84 و 150 صفحة، في حين يستقر عدد صفحات السجلات التالية (حتى نهاية العصر) على 200 صفحة، وكلها مجلد تجليداً محكماً على النمط القديم. وبعض هذه السجلات يتضمن نحو مائة معاملة، بينما يرتفع عدد المعاملات في سجلات أخرى إلى نحو ألف معاملة، وعلى الرغم من اختلاف مقاييس السجلات، إلا أن السمة العامة لها أنها طولانية بشكل مفرط، حيث يتراوح عرضها بين 13 و 16 سم، وطولها بين 41 و 45 سم.

ولغة السجلات الغالبة هي التركية العثمانية، ولكنها تحتوي أيضاً على وثائق عديدة كتبت بالعربية، بل ثمة سجلات برمتها مكتوبة بالعربية وحدها.

وكتاب هذه السجلات هم قضاة بغداد أنفسهم، وهم - عادة - يتولون مناصبهم لمدة قصيرة (سنة أو سنتين) لذا فإنها مكتوبة بخطوط عديدة، لكنها جميلة غالباً، وتوجد في الصفحة الأولى من كل سجل بيانات باسم القاضي الذي يتولى التسجيل فيه، وأولهما فرمان توليته في منصبه، وتاريخ ذلك، وموضوع السجل، والزمن الذي يوثقه، وتوقيع القاضي نفسه، الذي هو غالباً على نمط واحد يتكرر لدى جميع القضاة.

به الحاج أمين المميز، المتولي على أوقافها المصفاة، لم تجد المحكمة مكاناً في مبنائها لحفظ تلك السجلات، ومن هنا سعينا لدى دار الكتب والوثائق بطلب نقلها إلى إحدى قاعاتها وحفظها فيها، وكنا يومذاك عضواً في الهيئة الاستشارية للدار، فما كان من المحكمة إلا أن وافقت على الطلب المذكور، فنقلت وصارت في متناول الباحثين. وكنا قد أعدنا دراسة وفهرسة للسجلات المذكورة تحت عنوان (سجلات المحكمة الشرعية في بغداد وأهميتها في دراسة تاريخ العراق الاجتماعي والاقتصادي)، قدمناها إلى هيئة كتابة التاريخ في العراق سنة 1982، ثم نشرناها في مجلة المورد التراثية التي تصدر في بغداد، العدد 2، السنة 12، 1983. وقد أخبرنا الدكتور بشير إسكندر مدير عام الدار سابقاً، في لقاء به في شتاء 2012 أن تلفاً كبيراً أصاب هذه السجلات في أثناء حوادث الفوضى التي رافقت، وأعقبت، الاحتلال الأمريكي لبغداد سنة 2003، وأن عملية ترميم تجري الآن لصيانة ما تبقى منها، أما المحكمة الشرعية نفسها فقد نثض مبنائها وشيدت على أرضها سوقاً مقللاً (قيصرية)، لبيع الملابس الجاهزة.

ونظراً لأن الفهرسة التي قمنا بها هي الأولى، والوحيدة التي جرت لهذه المجموعة النفيسة من الوثائق، قبل أن تمسها يدي الإتلاف والتخريب، رأينا أن من المفيد نشرها ليفيد منها الباحثون في وثائق العراق إبان هذه الحقبة المهمة من تاريخه.

تتقسم السجلات بحسب ما كان عليها وضعها في قسم الملفات في المحكمة الشرعية إلى مجموعتين رئيسيتين، هما:

أولاً- المجموعة العامة:

وأقدم سجلات هذه المجموعة عهداً، يرقى إلى 20 رمضان سنة 1198هـ/ 1783م، وليس للمحكمة علم بالسجلات السابقة على هذا التاريخ، ويعزى تنظيم معظمها إلى والي بغداد سليمان باشا الصغير (1223-1225هـ/ 1808-1810م).

وتتميز هذه المجموعة عن سواها بأنها تحمل أرقاماً متسلسلة بحسب أزمانها، باستثناء واحد، هو أن أقدم سجلاتها، المتضمن وثائق سنة 1198هـ يحمل الرقم 6 من المجموعة، وكان الواجب أن يحمل أول أرقامها، ويحمل سجلان منها رقماً متكرراً واحداً، كما توجد عدة سجلات ضائعة يكشف عنها الترقيم الموجود على المجموعة، وهو ترقيم قديم يرقى إلى العصر العثماني.

إن عدد السجلات كما يفهم من أرقامها كان (446) سجلاً، بينما لا يوجد منها في الوقت الحاضر إلا (419) فقط، وأهمية هذه المجموعة تكمن في أن قسماً كبيراً منها يرقى إلى ما قبل عهد التنظيمات العثمانية في العراق، وهي حقبة أدت فيها المحكمة الشرعية دوراً متميزاً في الحياة الإدارية والاجتماعية والاقتصادية، باعتبارها الجهة الوحيدة المختصة بتوثيق مختلف الشؤون الرسمية والشعبية، فبيها فرامين تعيين الولاة وتجديد تعيينهم، وسائر الفرامين الموجهة اليهم بشأن أمور عامة مهمة، وأوامر الولاة أنفسهم، وأوامر الصدور العظام وشيوخ الإسلام، وأنواع المكاتبات الرسمية، كالتي تختص بتصفية أموال الموظفين الرسميين بعد عزلهم، والتدقيق في معاملات الولاة، والأوامر العسكرية والإدارية وغيرها. كما أن فيها تسجيلات دقيقة أحياناً لأسعار بعض المواد، ومقادير ما كان يجبي من الضرائب بأنواعها، وضمان (التزام) أصناف الحرفيين وسائر مرافق المدينة الاقتصادية، كالأسواق والحمّامات ودور النسيج والصناعات، وتتضمن أيضاً وقفيات لعدد كبير من المساجد والمدارس، ورواتب العاملين فيها، والتدقيق في شؤون المتولين عليها من حيث الوارد والصادر، ومقدار ما كان يُنفق على تعمیرها، ويدخل في ذلك أجور العمال وأثمان المواد، وأنواع المعاملات العقارية من شراء وبيع ورهن واستبدال واستئجار، يتعلق معظمها بقصور ودور ودكاكين وخانات وأسواق، حُدثت معالمها وأبعادها. وقسم من تلك المعاملات

خاص بمدن تقع في خارج بغداد كما تشمل على وثائق تتعلق بالعلاقات الزراعية في الريف، كعقود المغارسة، والمساقاة والمزارعة، والعمل الزراعي، والضمان، ودعاوى بشأن ملكية اقطاعات متنوعة في أنحاء مختلفة من العراق، واعفاءات من رسوم مختلفة، حددت بدقة. ودعاوى قتل بين الأفراد والعشائر، وأخرى مرفوعة من طوائف مسيحية مختلفة بشأن بعض الكنائس وغيرها، ومعاملات مالية لعدد من الصيارفة اليهود، وبيانات بتخصيص رواتب لشخصيات بارزة من خزينة بغداد، وأخرى بشأن شركات تجارية ومضاريات. هذا فضلاً عن عقود النكاح والمواريث وتصفية التركات وشراء الممالك وعتقهم وما يتصل بذلك من شؤون تخص الاسرة والمجتمع العراقي في ذلك العصر.

والرقعة الجغرافية التي تتولى شؤونها محكمة شرعية بغداد واسعة نسبياً، فهي تشمل فضلاً عن مدينة بغداد ذاتها، مدن وسط العراق وقراه وريفه، كالحلة، والنجف، وكربلاء، وحديثة، وعانة، وهيت، وراوة، وكركوك، وأربيل، وبعقوبة، ومنها قرى دائرة، وأنهار مندروسة، وأرض تُسيت أسماؤها في حقب لاحقة.

وفيما يلي قطعة من أول فهرس كنا قد أعدناه للسجل الاول من سجلات هذه

المجموعة:

رقم الصفحة والقضية	الموضوع	التاريخ	ملاحظات تشمل لغة القضية والعملات المستخدمة
ص 2 ق 1	إشعار بتعيين إسماعيل قاضياً في بغداد	27 رمضان 1198	بالتركية
ص 2 ق 2	نص فرمان تعيين إسماعيل قاضياً في بغداد	4 شعبان 1198	بالتركية
ص 3 ق 1	حجة شرعية باستبدال وقف من قبل متوليه الحاج قاسم يشمل دكاكين وقهوه خانه في راس القرية	8 ذي القعدة 1198	بالتركية

بالعربية، زر محبوب	غير مؤرخ	عقد زواج حسين آغا بن الحاج حسن بياسة بنت طعان بوكالة الحاج علي الموصلي	ص 3 ق 2
بالعربية، تومان، ربيات صغار	21 ذا 1198	عقد زواج محمد بن علي من سكنة بنت أحمد بوكالة ملا كاظم بن محمود	ص 3 ق 3
بالتركية	23 (غير واضح بسبب التصوير)	حجة بتعيين لجنة لتنفيذ وصية عائشة خاتون بنت فضلي من سكان بغداد	ص 3 ق 4
بالعربية، قرش رومي	25 م 1199	عقد زواج عبد المهدي بن الحاج قنبر من سكنة بنت عبد الواحد بوكالة ابراهيم اغا بن عبد الله	ص 4 ق 1
بالتركية.	12 م 1199	حكم شرعي لفض نزاع سقط فيه قتل بين عشيرتي بني سعد والدفاعمة	ص 4 ق 2
بالعربية، تومانات بغداد	25 ص 1199	عقد زواج الملا نعمان بن ابراهيم من خميسة بنت بيرة بوكالة حمود بن السيد علي	ص 4 ق 3
بالتركية، غرش رومي	27 ص 1199	دعوى ملا عبد الله بن شهيد الوصي على ابنته أمينة لرفع زينب ووكيلها السيد أيوب بن السيد أمين الأدهمي عن تركة عثمان شهيد	ص 4 ق 4

ص 4 ق 5	اعلام شرعي بوفاة زوج زينب بنت محمد في اثناء الغوغاء	غير مؤرخ	بالتركية
ص 5 ق 1	قائمة بالمهمات العسكرية الموجودة في قلعة بغداد الواردة من الطوبخانة العامرة باستانبول تتضمن اسماء أسلحة نارية خفيفة.	غير مؤرخة	
ص 5 ق 2	حكم برفع يد مصطفى بن ملا حسن عن بستان التوث في نهر جرف الأحمر بناء على دعوى عباس بن حمزة على مصطفى بن ملا حسن بأن البستان هي لابن عمه محمود وأن مصطفى ضبطها من غير وجه حق.	27 محرم 1199	
ص 6 ق 1	دعوى برد مبلغ في ذمة فياض بن سلمان إلى حسين بن قاسم	25 دا 1199	بالتركية، غروش رومي
ص 6 ق 2	تحرير تركة الحاج علي بن عبالله الباجه جي وبيعها في سوق السلطان لصالح بيت المال، وتتضمن قبان وصناديق وسجاد ونقود	28 ذا القعدة 1199	بالتركية، غروش رومي
ص 7 ق 1	فرمان إلى والي بغداد وقاضيهما بوجوب إظهار الزينات وإطلاق المدافع ابتهاجاً بولادة ولد للسلطان محمود	اواخر رمضان 1199	بالتركية

بالتركية	غير مؤرخ	كتاب من الوالي بشأن تنفيذ فرمان المذكور	ص 8 ق 1
بالتركية	ذ 1199	دعوى السيد مصطفى بن السيد اسماعيل على السيد يحيى بن السيد حسين بتسليمه ماشيته	ص 8 ق 2
بالتركية	12 ربيع الآخر 1199	عقد شراء خديجة خانم بنت سليمان باشا والي بغداد لعقار واقع في محلة شاه قولي دلال في بغداد في مجلس شرعي من وكيل الباليوز بوكالة مفتي الحنفية الحاج اسماعيل أفندي وتقيب الأشراف الحاج عبد الرحمن أفندي، وشهد على البيع عدد من سراة بغداد بينهم المفتي والنقيب والخطيب السيد طه ودرويش أفندي امام قسبة الأعظمية وعبد الله أفندي كليدار الإمام الأعظم وحسن أفندي بن حسين أفندي الرحيبي وعبد الله أفندي بن محمود أفندي مفتي الحلة سابقاً والحاج محمد جميل أفندي بن عبد الجليل والحاج محمد سعيد أفندي بن	ص 8 ق 9

		عبد الجليل والحاج مصطفى سميكة والحاج حسين جليبي قصار زاده وعبد الله جليبي بن الحاج يوسف الأعظمي وملا مصطفى أفندي مدرس الوفائية وغيرهم.	
بالتركية، غرش	13 ربيع الآخر 1199	مصادقة على شراء خديجة خانم بنت سليمان باشا والي بغداد لعقار في محلة شاه قولي دلال بوكالة مفتي الحنفية الحاج اسماعيل افندي ونقيب الأشراف عبد الرحمن افندي، في آخرها أسماء الشهود من بينهم مفتي الحنفية والنقيب وسيد طه افندي الخطيب ودرويس أفندي الإمام وعبد الله افندي الكليتدار ولطف الله اغا وطوبجي محمود اغا ومحمد الخطيب ينيكجري افنديسي وعربه نجي باشي الحاج مصطفى اغا	ص10 ق1
بالتركية	15 ر 1199	حكم ببراءة ذمة ملا ابراهيم إمام جامع النعمانية الوكيل عن فاطمة خاتون زوج عجيمي زاده	ص10 ق1

		بكر اغا من حق التزامه ومن كافة المعاملات لعائشة خاتون بنت شاهين اغا وفي آخره اسماء الشهود موسى بك شاوي زاده وأحمد اغا بن عثمان اغا وأحمد اغا جاوش كهييه سي وجواد بن ملا فتحي.	
بالتركية، غرش	25 ذ 1199	حكم لسليمان آغا بن خضر بك برفع يد درويش أفندي بن حمزة جليبي عن تركة المتوفى أحمد أفندي بن مصطفى أفندي	ص10 ق3
بالتركية	6 حا 1199	حكم لكلثوم بنت ماجد برفع يد فضلي أوغلي حسن عن تركة زوجها المتوفى هاشم بن محمد درويش وهو حجل من الذهب	ص11 ق1
بالتركية	17 جا 1199	حكم برد مبلغ	ص11 ق2
بالتركية	غير مؤرخ	إعلام لحضن بنت محمد بتسليم مصاغ ذهب لفاطمة بنت محمد العكيلي وإثبات وقف عقار في محلة الشيخ بشار بشهادة عباس آغا بن هاشم اغا وياسين بن (..) ومصطفى بن سليمان وتبنيه	ص11 ق3

بالتركية (كتب بخط ساذج يختلف عن خط سائر السجل)	1 جمادى ... 1199	إعلام بتسديد حسين مبلغ إلى درويش أفندي المحاسبجي الوصي على تركة أحمد أفندي بن مصطفى أفندي.	ص12 ق22
بالتركية	2 ج 2 1199	إعلام بلزوم البرء والتوفيق لما تسببه فلح شاهين بن درويش من اعتداء على اراضي باعث الإعلام فارس بن درويش في قرية ينكجة من توابع الخالص	ص12 ق23
بالتركية	3 ج 3 1199	إعلام برفع يد عباس بن عمر من سكة بغداد عن تركة عائشة بنت علي وبيان حصص سائر الورثة	ص12 ق24
بالعربية	(غير واضح)	عقد زواج محمد آغا على الشب شفيقة خاتون بنت عبد الله بوكالة مصطفى آغا بن عبد الله على مهر معجل قدره مائة ذهب زر محبوب وجارية سوداء ومعجل قدره مائة وخمسون ذهبا زر محبوب وجارية سوداء	ص12 ق (غير مرقمة)
بالعربية	20 رمضان 1200	عقد زواج فتاح بن عبد الله والباكر صالح بنت ابراهيم بوكالة الحاج صالح بن الحاج أحمد على مهر	ص12 ق (غير مرقمة)

	معجل قدره مائة وخمسين قرشاً رومياً ومؤجل قدره مائتي قرشاً رومياً	
--	--	--

2- المجموعات المتخصصة:

وتحتفظ المحكمة، فيما عدا السجلات المذكورة، بـكُدس كبير من السجلات الرسمية لا يضمها تسلسل واحد، أو موضوع معين، وبعد دراستها تبين أنها تتكون من عدة مجموعات، تتناول كل مجموعة موضوعاً محدداً، ويحتفظ بعضها بأرقام متسلسلة أحياناً، ومتقطعة غالباً، لذا فقد قمتُ بفرز هذه السجلات إلى مجموعات متخصصة بحسب وحدة الموضوعات التي تتناولها.

إن ظاهرة تنظيم السجلات المتخصصة تعد إحدى أهم الظواهر الإصلاحية التي طرأت على عمل المحكمة الشرعية، ويمكن إرجاعها -بحسب سجلات المحكمة نفسها- إلى سنة 1265هـ/1848م حين أفرد أول سجل خاص بضبط الدعاوى عن السجل العام للمحكمة، ويقترن هذا التاريخ بفترة تولي محمد نجيب باشا الحكم في بغداد (1258-1265هـ/1842-1848) وهي الفترة التي شهدت أول تطبيق للتشريعات العثمانية القضائية في العراق.

وهذه المجموعات هي:

أ- سجلات الوكالات وتتألف من (24) سجلاً تغطي الفترة الممتدة من 17 جمادي الآخرة سنة 1332هـ/1920م ويحمل بعض هذه السجلات أرقاماً لكنها ليست متسلسلة بحسب السنين.

ب- سجلات ضبط الدعاوى: وتتألف من (118) سجلاً تشمل مختلف الدعاوى المرفوعة إلى المحكمة من 7 محرم 1265هـ/1848م إلى 24 ربيع الثاني سنة 1326هـ/1908م، ويحمل أغلبها أرقاماً متسلسلة مما يكشف عن فقدان بعضها، كما أن قسماً منها لا يحمل أرقاماً البتة.

ج- سجلات الفرامين والأوامر وتتألف من (11) سجلاً وتشمل عدداً كبيراً من الفرامين والأوامر (أمر نامات) الصادرة من السلاطين العثمانيين والصدارة العظمى وبعض الدوائر الرسمية إلى ولاية بغداد، كما تشمل أيضاً أوامر مختلفة من شيوخ الإسلام وبعض الدوائر الشرعية العثمانية كمجلس التدقيقات الشرعية

وأمناء الفتوى موجهة إلى قضاة بغداد . وأول هذه السجلات مؤرخ في 11 شعبان 1283هـ/1866م وآخرها ينتهي في 23 نيسان 1918، وهي غير مرقمة .

د- سجلات القيود الخاصة وعددها أربعة سجلات تغطي الفترة من 27 محرم 1321هـ/1903 إلى 14 شوال 1330هـ/1911م .

هـ- سجلات القسامات الشرعية: وهي (17) سجلاً، تحمل أرقاماً متسلسلة، وتغطي الفترة من 17 ربيع الثاني 1306هـ/1888م إلى 25 شعبان 1336هـ/1918م وتتضمن بيانات مهمة عن الزوجات والاولاد مما يقدم فوائد جمة عن تكوين الاسرة العراقية الاجتماعي والاقتصادي ابان تلك الحقبة .

و- سجلات عقود الزواج: وتتألف من (65) سجلاً وهي تحمل ارقاماً متسلسلة في الاصل، ولكن فقد منها بعضها، وعلى أية حال فان ارقامها غير متفقة مع ترتيبها الزمني وهي تغطي الفترة الممتدة من 2 رجب 1269هـ/1852م وحتى رمضان 1335هـ/1917م، وفيها معلومات طريفة عن مبالغ (المهور) المُعجّلة منها والمؤجلة، وأمور أخرى تكشف عن جملة تفاصيل تخص وضع المرأة الاجتماعي في العراق، ومستويات المعيشة بشكل عام ابان ذلك العهد .

ز- السجلات الديون (ادانات): وتوجد منها خمسة سجلات لا تحمل أرقاماً، أولها مؤرخ في 12 جمادي الاولى 1306هـ/1889 وآخرها مؤرخ في 28 ذي القعدة 1318هـ/1900م وهي تتضمن مقادير ديون عدد كبير من الوجهاء والتجار وما يتصل بذلك من التفاصيل التي تفيد في دراسة الأحوال المالية والاقتصادية لتلك الفئات .

ح- سجل النفقات والمخالعات: وتوجد منها ستة سجلات لا تحمل أرقاماً، أولها مؤرخ في 18 شوال 1322هـ/1904 وآخرها في 19 شوال 1339هـ/1921م وهي خاصة بشؤون (النفقة) وما يتصل بها من أمور مالية تفيد في معرفة المستويات المعيشية للفرد والاسرة في العراق آنذاك .

ط- سجلات التبليغات:

ويوجد منها سجلات، يبدأ أولها في 11 ربيع الثاني 1315هـ/1897م وينتهي آخرها في 1 جمادي الآخرة سنة 1325هـ/1907م وهما يحتويان على التبليغات الصادرة عن المحكمة في شؤون متنوعة .

ي- سجلات المبيعات والرهنيات: ويوجد منها سجلات يبدأ أولهما في 7 شوال 1301هـ/1883م، وينتهي آخرها في 5 جمادى الأولى 1328هـ/1909م وهما يحتويان على جملة أمور تتعلق بالحياة المالية والاقتصادية في العراق آنئذ.

ك- سجلات متفرقة: وهي أربعة سجلات، تحمل تواريخ مختلفة، يبدأ أولها في 8 جمادى الأولى 1247هـ/1831م وينتهي آخرها في 23 ربيع الأول 1330هـ/1911م. وهي تتضمن وثائق متنوعة عن التزام مقاطعات، وشؤون الجنائيات، والتركات وغير ذلك، ومعظمها لا يحمل أرقاماً.

ل- سجلات محكمة شرعية الأعظمية: وهي ثلاثة سجلات، تتناول أموراً متنوعة مما كان يعرض على المحكمة الشرعية في الأعظمية في الفترة الممتدة من 3 ذي القعدة سنة 1301هـ/1883م إلى 14 ربيع الآخر 1332هـ/1913م مثل الوكالات وعقود الزواج وضبط الدعاوى.

ولما لم يكن في المحكمة الشرعية سجل أو فهرست يتضمن أرقام هذه السجلات وتواريخها وموضوعاتها، فقد قمت بدراستها وتصنيفها على النحو الآتي:

المجموعة العامة

1- المجموعة العامة

رقم التسلسل	الزمن	
1	19 محرم 1214 - 2 ربيع الثاني 1215	
2	14 جمادى الآخرة 1215 - 25 ربيع الثاني 1216	
3	19 محرم 1214 - 11 جمادى الأولى 1215 وسلخ شوال 1217	
4	12 ربيع الأول 1219 - 5 صفر 1223 ومن 24 ذي الحجة 1225 - 3 شعبان 1236	
5	25 ذي القعدة 1221 - 7 رجب 1224	
6	20 رمضان 1198 - 29 ذي الحجة 1230	يضم معاملات متفرقة تعود

للسنوات 1198-		
1230-1224-1201		
	28 شوال 1225 - 26 شوال 1229	7
	25 ذي الحجة 1229 - 6 ذي الحجة 1230	8
	1 محرم 1231 - 15 شعبان 1231	9
	6 ذي الحجة 1231 - 1 جمادى الآخر 1233	10
	7 جمادى الأولى 1233 - 12 ذي القعدة 1233	11
	20 ذي الحجة 1234 - 12 ذي القعدة 1233	12
	23 محرم 1235 - 20 ذي الحجة 1235	13
	غرة شعبان 1236 - 12 صفر 1237	14
	غرة جمادى الآخرة 1237 - 9 جمادى الآخرة 1238	15
	10 جمادى الآخرة 1238 - 16 جمادى الأولى 1239	16
	30 رجب 1239 - 1 جمادى الآخرة 1240	17
	غرة جمادى الآخرة 1240 - 20 جمادى الأولى 1241	18
	5 شوال 1241 - 28 جمادى الأولى 1242	19
	غرة جمادى الآخرة 1242 - 30 جمادى الآخرة 1242	20
	6 جمادى الآخرة 1242 - 30 جمادى الأولى 1244	21
	غرة جمادى الآخرة 1244 - 30 جمادى الأولى 1244	22
	21 جمادى الآخرة 1245 - 28 جمادى الأولى 1246	23
	28 رجب 1246 - 23 رمضان 1247	24
	28 جمادى الأولى 1247 - أول ربيع الأول 249	25
	24 ذي الحجة 1256 - 29 ذي القعدة 1257	26
	24 رجب 1256 - 29 ذي القعدة 1257	27
	غرة ذي الحجة 1257 - 11 جمادى الآخرة 1259	28
	13 ذي القعدة 1260 - 21 جمادى الأولى 1261	29
	21 جمادى الأولى 1261 - 5 محرم 1262	30
	5 محرم 1262 - 29 ربيع الأول 1262	31

	28 ربيع الأول 1262 - 18 رجب 1263	32
	14 ذي القعدة 1262 - 3 شعبان 1263	33
	11 شوال 1262 - 4 ربيع الثاني 1264	34
	7 بيع الثاني 1264 - 8 شعبان 1265	35
	2 ربيع الثاني 1265 - 21 جمادى الآخرة 1266	37
	12 شوال 1266 - 28 ذي الحجة 1266	38
	28 ذي الحجة 1266 - 12 ربيع الثاني 1267	39
	15 ربيع الثاني 1267 - 6 شعبان 1267	40
	20 رمضان 1267 - 30 ذي الحجة 1267	41
	1 محرم 1268 - 23 ربيع الأول 1268	42
	17 صفر 1268 - 9 محرم 1268	43
	1 جمادى الآخرة 1268 - 11 رمضان 1268	44
	26 ذي الحجة 1268 - 24 محرم 1269	45
	12 ربيع الأول 1268 - 17 جمادى الآخرة 1269	46
	12 جمادى الآخرة 1268 - 28 شوال 1269	47
	23 محرم 1269 - 28 ربيع الأول 1269	48
	28 ربيع الأول 1269 - 29 جمادى الآخرة 1269	49
	28 جمادى الآخرة 1269 - 28 شوال 1269	50
	17 جمادى الآخرة 1269 - 3 ذي القعدة 1270	51
	2 ذي القعدة 1269 - 10 صفر 1270	52
	10 صفر 1270 - 24 جمادى الآخرة 1270	53
	23 جمادى الآخرة 1270 - 16 رمضان 1270	54
	4 ذي الحجة 1270 - 27 محرم 1272	55
	23 رمضان 1270 - 20 صفر 1271	56
	20 صفر 1271 - 20 جمادى الأولى 1271	57
	20 جمادى الأولى 1271 - 20 شعبان 1271	58
	21 شعبان 1271 - 22 ذي الحجة 1271	59

	24 ذي الحجة 1271 - 13 ربيع الثاني 1272	60
	16 ربيع الثاني 1272 - 25 رجب 1272	61
	26 رجب 1272 - 30 شوال 1272	62
	25 شوال 1272 - 9 محرم 1272	63
	27 محرم 1273 - 16 ذي القعدة 1273	64
	21 ربيع الأول 1272 - 17 جمادى الآخرة 1273	65
	10 محرم 1273 - 1 ربيع الأول 1273	66
	17 جمادى الآخرة 1273 - 22 شوال 1273	67
	23 شوال 1273 - 26 صفر 1274	68
	16 ذي القعدة 1273 - 14 شوال 1275	69
	27 صفر 1274 - 15 جمادى الآخرة 1274	70
	15 جمادى الآخرة 1274 - 21 رمضان 1274	71
	21 رمضان 1274 - 6 محرم 1275	72
	6 محرم 1275 - 8 ربيع الثاني 1275	73
	15 جمادى الآخرة 1275 - 5 ذي القعدة 1275	74
	11 شوال 1275 - 5 ذي الحجة 1276	75
	5 ذي القعدة 1275 - 27 صفر 1276	76
	27 صفر 1276 - 2 جمادى الآخرة 1276	77
	لا يوجد	78
	13 رمضان 1276 - غرة محرم 1277	79
	9 ربيع الآخرة 1277 - 29 ربيع الآخرة 1277	80
	18 صفر 1277 - 20 صفر 1278	81
	21 ربيع الثاني 1277 - 23 رجب 1277	82
	23 رجب 1277 - 21 شوال 1277	83
	22 شوال 1277 - 15 محرم 1278	84
	13 محرم 1278 - 16 ربيع الثاني 1278	85
	19 صفر 1278 - 19 رجب 1278	86

87	12 ربيع الثاني 1278 - 25 شعبان 1280
88	20 رجب 1278 - 20 شوال 1278
89	19 شوال 1278 - 22 ذي الحجة 1278
90	24 ذي الحجة 1278 - 23 صفر 1279
91	26 صفر 1278 - 5 ربيع الثاني 1279
92	29 ربيع الأول 1279 - 27 ربيع الثاني 1279
93	25 رجب 1279 - 15 ذي الحجة 1279
94	24 رجب 1279 - 12 رمضان 1279
95	15 ذي الحجة 1279 - 28 صفر 1280
96	1 ربيع الأول 1280 - 4 جمادى الأولى 1280
97	4 جمادى الأولى 1280 - 20 رجب 1280
98	24 رجب 1280 - 5 شوال 1280
99	5 شوال 1280 - 22 ذي القعدة 1280
100	1 رمضان 1280 - 7 شعبان 1282
101	22 ذي القعدة 1280 - 10 صفر 1281
102	7 صفر 1281 - 7 ربيع الثاني 1281
103	18 ربيع الآخر 1281 - 17 جمادى الآخرة 1281
104	13 جمادى الآخرة 1281 - 23 شعبان 1281
105	23 شعبان 1281 - 1 ذي القعدة 1281
106	3 ذي القعدة 1281 - 18 محرم 1282
107	19 محرم 1282 - 12 ربيع الأول 1281
108	14 ربيع الأول 1282 - 1 جمادى الأولى 1282
109	14 ربيع الثاني 1282 - 17 جمادى الآخرة 1282
110	27 جمادى الآخرة 1282 - 6 رمضان 1282
111	18 جمادى الآخر 1282 - 16 شوال 1282
112	17 رجب 1282 - 5 ذي الحجة 1282
113	9 شعبان 1282 - 18 ذي القعدة 1284

	8 ذي الحجة 1282 - 25 صفر 1283	114
	1 ربيع الأول 1283 - 24 جمادى الآخرة 1283	115
	19 شوال 1283 - 14 محرم 1284	116
	20 محرم 1284 - 20 ربيع الآخر 1284	117
	23 ربيع الآخر 1284 - 9 رجب 1284	118
	4 رجب 1284 - 1 ذي القعدة 1284	119
	1 ذي القعدة 1284 - 15 صفر 1285	120
	13 ذي القعدة 1284 - 17 محرم 1287	121
	11 صفر 1285 - 18 جمادى الأولى 1285	122
	17 جمادى الأولى 1285 - 28 شعبان 1285	123
	25 شعبان 1285 - 3 محرم 1286	124
	3 محرم 1286 - 27 جمادى الأولى 1286	125
	2 جمادى الأولى 1286 - 28 جمادى الأولى 1287	126
	21 جمادى الأولى 1286 - 11 ذي القعدة 1286	127
	9 ذي القعدة 1286 - 3 ربيع الثاني 1287	128
	27 شوال 1287 - 4 صفر 1290	129
	9 ربيع الأول 1287 - 17 رمضان 1287	130
	18 رمضان 1287 - 3 صفر 1288	131
	3 صفر 1288 - 8 جمادى الآخرة 1288	132
	8 جمادى الآخرة 1288 - 5 ذي الحجة 1288	133
	15 جمادى الآخرة 1288 - 14 ذي القعدة 1288	134
	7 ذي الحجة 1288 - 27 صفر 1289	135
	14 صفر 1289 - 25 جمادى الآخرة 1289	136
	29 جمادى الآخرة 1289 - 19 شوال 1289	137
	10 شوال 1289 - 27 ذي الحجة 1289	138
	27 ذي الحجة 1289 - 4 ربيع الأول 1290	139
	25 محرم 1290 - 18 ربيع الثاني 1291	140

141	4 ربيع الأول 1290 - 20 ربيع الثاني 1290
142	24 ربيع الثاني 1290 - 14 جمادى الآخرة 1290
143	18 جمادى الآخرة 1290 - 7 شعبان 1290
144	6 رمضان 1290 - 30 شوال 1290
145	1 ذي الحجة 1290 - 23 صفر 1291
146	19 صفر 1291 - 8 جمادى الآخرة 1291
147	9 ربيع الثاني 1291 - 2 شعبان 1291
148	15 ربيع الثاني 1291 - 9 ذي القعدة 1291
149	3 شعبان 1291 - 7 شوال 1291
150	8 شوال 1291 - 21 ذي القعدة 1291
151	26 ذي القعدة 1291 - 5 صفر 1292
152	3 صفر 1292 - 27 صفر 1297
153	3 صفر 1292 - 27 ربيع الأول 1292
154	28 ربيع الأول 1292 - 20 رجب 1292
155	18 رجب 1292 - 20 رجب 1292
156	16 رجب 1292 - 21 رمضان 1292
157	26 رمضان 1292 - 15 ذي القعدة 1292
158	20 ذي القعدة 1292 - 19 ذي الحجة 1292
159	26 محرم 1293 - 17 ربيع الأول 1293
160	25 محرم 1392 - 2 ذي القعدة 1292
161	25 محرم 1292 - 17 شوال 1292
162	16 ربيع الأول 1293 - 5 جمادى الآخرة 1293
163	6 جمادى الآخرة 1293 - 23 رجب 1293
164	9 رجب 1293 - 20 رمضان 1293
165	24 شعبان 1293 - 1 ذي القعدة 1293
166	20 ذي القعدة 1294 - 14 ربيع الأول 1295
167	17 ذي الحجة 1293 - 18 صفر 1295

	20 شوال 1293 - 24 ذي القعدة 1294	168
	17 ذي القعدة 1294 - 9 محرم 1294	169
	17 محرم 1294 - 3 ربيع الآخر 1294	170
	3 ربيع الأول 1294 - 10 رجب 1294	171
	9 جمادى الأولى 1294 - 10 رجب 1294	172
	12 رجب 1294 - 4 رمضان 1294	173
	8 رمضان 1294 - 21 شوال 1294	174
	27 شوال 1294 - 21 محرم 1295	175
	29 ربيع الأول 1295 - 14 محرم 1296	176
	10 جمادى الأولى 1295 - 29 رجب 1295	177
	4 ربيع الثاني 1295 - 4 جمادى الآخرة 1295	178
	22 رجب 1295 - 9 رمضان 1295	179
	20 رمضان 1295 - 17 ذي القعدة 1295	180
	(مربوط به أوامر صادرة من شيخ الإسلام إلى محكمة شرعية بغداد في خلال المدة من 13 شعبان 1303 إلى 9 ربيع الأول 1307)	
	5 محرم 1296 - 17 صفر 1296	181
	19 محرم 1296 - 24 صفر 1296	182
	13 صفر 1296 - 17 صفر 1296	183
	9 ربيع الأول 1296 - 17 صفر 1296	184
	2 ربيع الأول 1296 - 16 ربيع الثاني 1296	185
	12 ربيع الثاني 1296 - 9 جمادى الأولى 1296	186
	19 جمادى الأولى 1296 - 23 جمادى الآخرة 1296	187
	24 جمادى الآخرة 1296 - 2 شعبان 1296	188
	30 رجب 1296 - 8 شوال 1296	189
	2 شعبان 1296 - 9 شعبان 1296	190
	10 رمضان 1296 - 21 شوال 1296	191

192	24 شوال 1296 - 5 ذي القعدة 1296
193	14 ذي القعدة 1296 - 18 ذي الحجة 1296
194	19 ذي الحجة 1296 - 6 محرم 1297
195	8 محرم 1297 - 13 صفر 1297
196	4 صفر 1297 - 4 ربيع الأول 1297
197	4 ربيع الأول 1297 - 5 ربيع الثاني 1297
198	27 ربيع الأول 1297 - 8 ربيع الأول 1297
199	لا يوجد
200	24 ربيع الثاني 1297 - غرة جمادى الآخرة 1297
201	25 جمادى الأولى 1297 - 6 رجب 1297
202	24 جمادى الآخرة 1297 - 7 شعبان 1297
203	2 شعبان 1297 - 24 رمضان 1297
204	4 شعبان 1297 - غرة صفر 1298
205	26 شعبان 1297 - 6 ذي القعدة 1297
206	7 شوال 1297 - 22 ذي القعدة 1297
207	5 ذي القعدة 1297 - 5 محرم 1298
208	4 صفر 1298 - غرة ربيع الأول 1298
209	27 صفر 1298 - 24 محرم 1298
210	5 ربيع الأول 1298 - 6 ربيع الثاني 1298
211	5 ربيع الأول 1298 - 23 ربيع الثاني 1298
212	6 ربيع الثاني 1298 - 21 ربيع الثاني 1298
213	2 جمادى الآخر 1298 - 19 جمادى الآخرة 1298
214	15 جمادى الآخرة 1298 - 4 رمضان 1298
215	14 رجب 1298 - 7 رمضان 1298
216	8 رمضان 1298 - 29 شوال 1298
217	20 رمضان 1298 - 20 صفر 1298
218	19 شوال 1298 - 15 ذي الحجة 1298

	5 ذي القعدة 1298- 8 محرم 1299	219
	17 ذي الحجة 1298- 8 ربيع الأول 1299	220
	30 ذي الحجة 1297- 17 صفر 1298	221
	14 محرم 1299- 26 ربيع الأول 1299	222
	14 صفر 1299- 15 شوال 1299	223
	25 ربيع الأول 1299- 20 جمادى الأولى 1299	224
	19 جمادى الأولى 1299- 20 جمادى الأولى 1299	225
	29 جمادى الأولى 1299- 9 رجب 1299	226
	25 رجب 1299- 9 رمضان 1299	227
	9 رمضان 1299026 شوال 1299	228
رقم السجل مكرر	9 ذي القعدة 1301- 24 رجب 1301	228
	21 شوال 1299- 22 ربيع الثاني 1300	229
	28 شوال 1299- 29 ذي القعدة 1299	230
	29 ذي القعدة 1299- 10 محرم 1300	231
	5 محرم 1295- 19 ربيع الأول 1295	232
	17 ذي القعدة 1295- 23 ذي الحجة 1295	233
	10 محرم 1300- 21 صفر 1300	234
	22 صفر 1300- 4 ربيع الثاني 1300	235
	3 ربيع الثاني 1300- 15 جمادى الأولى 1300	236
	14 جمادى الأولى 1300- 21 جمادى الآخرة 1300	237
	16 جمادى الأولى 1300- 22 ذي القعدة 1300	238
	21 جمادى الآخرة 1300- 6 شعبان 1300	239
	30 رجب 1300- سلخ شوال 1300	240
	4 شعبان 1300- 8 شوال و 28 شعبان 1300	241
	9 شوال 1300- 25 شعبان 1300	242
	2 ذي القعدة 1300- 7 ذي الحجة 1300	243
	8 ذي القعدة 1300- 112 ذي القعدة 1300	244

	7 ذي الحجة 1300 - 17 محرم 1301	245
	26 محرم 1301 - 20 ربيع الأول 1301	246
	17 محرم 1301 - 4 ذي القعدة 1301	247
	5 صفر 1301 - 2 شعبان 1301	248
	8 ربيع الأول 1301 - 17 ربيع الثاني 1301	249
	20 ربيع الثاني 1301 - 24 جمادى الأولى 1301	250
	20 جمادى الأولى 1301 - 24 جمادى الأولى 1301	251
	15 رجب 1301 - 27 رجب 1301	252
	10 شعبان 1301 - 7 شوال 1301	253
	13 شعبان 1301 - 26 شوال 1301	254
	25 شعبان 1301 - 7 شوال 1301	255
	26 شوال 1301 - 24 ذي القعدة 1301	256
	13 محرم 1302 - 18 صفر 1302	257
	14 صفر 1302 - 7 جمادى الأولى 1302	258
	15 ربيع الثاني 1302 - 15 ربيع الأول 1310	259
	9 جمادى الأولى 1302 - 19 رجب 1302	260
	22 جمادى الآخرة 1302 - 19 رجب 1302	261
	5 رجب 1303 - 9 شوال 1303	262
	21 رجب 1302 - 20 ذي الحجة 1302	263
	7 شوال 1302 - 20 ذي الحجة 1302	264
	لا يوجد	265
	5 ذي القعدة 1302 - 28 ربيع الأول 1303	266
	20 ذي القعدة 1301 - 15 محرم 1302	267
	20 ذي القعدة 1301 - 20 جمادى الأولى 1302	268
	7 ذي الحجة 1302 - 20 ربيع الأول 1303	269
	7 صفر 1303 - 8 جمادى الآخرة 1304	270
	16 ربيع الأول 1303 - 17 جمادى الآخرة 1303	271

	13 شوال 1303 - 17 ذي الحجة 1303	272
	2 جمادى الأولى 1303 - 6 صفر 1304	273
	6 ذي الحجة 1303 - 5 ربيع الأول 1304	274
	27 صفر 1304 - 13 ذي القعدة 1304	275
	29 صفر 1304 - 6 جمادى الآخرة 1304	276
	20 ربيع الأول 1304 - 14 شوال 1304	277
	3 جمادى الآخرة 1304 - 9 رمضان 1304	278
	29 رمضان 1304 - 19 ذي الحجة 1304	279
	12 ذي القعدة 1304 - 10 ربيع الأول 1305	280
	28 ذي القعدة 1304 - 19 شعبان 1305	281
	19 ذي الحجة 1304 - 5 ربيع الأول 1305	282
	7 ربيع الأول 1305 - 27 جمادى الآخرة 1305	283
	27 جمادى الآخرة 1305 - 11 شوال 1305	284
	12 رجب 1305 - 12 محرم 1306	285
	1 رمضان 1305 - 25 ذي الحجة 1305	286
	10 شوال 1305 - 26 ذي الحجة 1305	287
	29 محرم 1306 - 7 رمضان 1306	288
	8 صفر 1306 - 13 محرم 1309	289
	9 صفر 1306 - 14 شعبان 1306	290
	غرة صفر 1306 - 15 جمادى الآخرة 1307	291
	غرة صفر 1306 - 4 شعبان 1309	292
	24 جمادى الآخرة 1306 - 7 ذي القعدة 1306	293
	28 شعبان 1306 - 21 ذي الحجة 1307	294
لا يوجد		295
	16 صفر 1307 - 28 جمادى الآخرة 1307	296
	7 ربيع الثاني 1307 - 8 شعبان 1307	297
	27 جمادى الآخرة 1307 - 18 ذي القعدة 1307	298

	4 شعبان 1307 - 26 شوال 1307	299
	6 ذي القعدة 1307 - 25 ربيع الأول 1308	300
	غرة ذي القعدة 1307 - 24 محرم 1308	301
	26 محرم 1308 - 13 جمادى الأولى 1308	302
	25 ربيع الأول 1308 - 13 جمادى الأولى 1308	303
	8 جمادى الأولى 1308 - 27 رجب 1308	304
	17 رجب 1308 - 2 رمضان 1309	305
	24 رجب 1308 - 15 ذي القعدة 1308	306
	14 شعبان 1308 - 20 ذي الحجة 1308	307
	22 ذي الحجة 1308 - 2 ربيع الأول 1309	308
	21 ذي الحجة 1308 - 8 ربيع الأول 1309	309
	لا يوجد	310
	3 ربيع الأول 1309 - 10 رجب 1309	311
	14 ربيع الأول 1309 - 22 رمضان 1309	312
	28 رمضان 1309 - سلخ محرم 1310	313
	4 ذي القعدة 1309 - 11 ربيع الأول 1301	314
	4 ذي القعدة 1309 - 27 محرم 1310	315
	29 محرم 1310 - 27 ربيع الأول 1310	316
	11 صفر 1310 - 24 ربيع الأول 1310	317
	10 صفر 1310 - 7 ربيع الآخر 1311	318
	14 ربيع الآخر 1310 - غرة ربيع الأول 1311	319
	6 ربيع الأول 1311 - 9 ربيع الآخر 1312	320
	لا يوجد	321
	سلخ ذي القعدة 1311 - 27 ذي الحجة 1312	322
	15 جمادى الأولى 1312 - 25 محرم 1313	323
	لا يوجد	324
	لا يوجد	325

	22 محرم 1313 - 19 شوال 1313	326
	20 محرم 1313 - 23 رجب 1314	327
	8 شوال 1313 - 12 محرم 1314	328
	23 شوال 1313 - 17 ربيع الأول 1314	329
	14 محرم 1314 - 13 جمادى الأولى 1314	330
	19 ربيع الثاني 1314 - 7 ذي الحجة 1314	331
	22 ربيع الأول 1314 - 20 محرم 1315	332
	16 ذي الحجة 1314 - 18 ربيع الأول 1315	333
	12 محرم 1315 - 5 جمادى الآخرة 1315	334
	10 ربيع الأول 1315 - 23 جمادى الآخرة 1315	335
	4 جمادى الآخرة 1315 - 5 ربيع الأول 1316	336
	20 رجب 1315 - 12 محرم 1316	337
	17 ذي الحجة 1315 - 7 ربيع الآخر 1316	338
	21 صفر 1316 - 27 جمادى الأولى 1317	339
	4 ربيع الأول 1316 - 4 ذي الحجة 1316	340
	غرة ربيع الآخر 1316 - 2 رجب 1316	341
	22 جمادى الآخرة 1316 - 21 ذي القعدة 1316	342
	22 ذي القعدة 1316 - 13 صفر 1317	343
	9 ذي الحجة 1316 - 18 ذي القعدة 1317	344
	16 صفر 1317 - 25 جمادى الأولى 1317	345
	26 جمادى الأولى 1317 - 11 رمضان 1317	346
	غرة جمادى الآخرة 1317 - 9 ربيع الأول 1318	347
	27 رمضان 1317 - 30 محرم 1319	348
	23 ذي القعدة 1317 - 30 محرم 1319	349
	20 محرم 1318 - 12 جمادى الأولى 1318	350
	10 جمادى الأولى 1318 - غرة شعبان 1318	351
	10 شعبان 1318 - 20 ذي الحجة 1318	352

353	16 رمضان 1318 - 17 شعبان 1321
354	9 ذي الحجة 1318 - 17 ربيع الأول 1318
355	15 محرم 1319 - 25 ذي القعدة 1319
356	22 ربيع الأول 1319 - 8 جمادى الآخرة 1319
357	20 جمادى الآخرة 1319 - 5 شعبان 1319
358	4 شوال 1319 - 3 صفر 1320
359	20 ذي القعدة 1319 - 20 رجب 1320
360	29 محرم 1330 - 27 ربيع الأول 1320
361	18 ربيع الأول 1320 - 23 جمادى الآخرة 1320
362	8 جمادى الأولى 1320 - 24 جمادى الأولى 1321
363	11 جمادى الآخرة 1320 - 8 شوال 1320
364	9 شوال 1320 - 14 ذي الحجة 1320
365	17 ذي الحجة 1320 - 8 ربيع الأول 1321
366	12 ربيع الأول 1321 - 2 محرم 1321
367	28 جمادى الأولى 1321 - 6 شعبان 1321
368	23 جمادى الأولى 1321 - 6 شعبان 1321
369	14 شعبان 1321 - 3 محرم 1322
370	8 رمضان 1321 - 14 صفر 1326
371	16 ذي القعدة 1321 - 12 ربيع الآخر 1322
372	15 ربيع الآخر 1322 - 18 ذي الحجة 1322
373	7 ذي القعدة 1321 - 7 غرة محرم 1332
374	7 ربيع الآخر 1322 - 17 شعبان 1322
375	15 شعبان 1322 - 22 ذي القعدة 1322
376	23 ذي القعدة 1322 - 17 صفر 1323
377	سلخ ذي الحجة 1322 - 3 رمضان 1322
378	18 صفر 1323 - 15 جمادى الأولى 1323
379	15 جمادى الأولى 1323 - 20 رمضان 1323

	17 رمضان 1323 - 28 ذي القعدة 1323	380
	15 رمضان 1323 - 13 شعبان 1324	381
	29 محرم 1324 - 16 جمادى الآخرة 1324	382
	19 جمادى الآخرة 1324 - 18 ذي القعدة 1324	383
	13 رمضان 1324 - 15 جمادى الأولى 1325	384
	18 ذي القعدة 1324 - 29 ربيع الأول 1325	385
	29 ربيع الأول 1325 - 13 رجب 1325	386
	19 جمادى الأولى 1325 - 28 محرم 1326	387
	16 رجب 1325 - 17 ذي القعدة 1325	388
	5 ذي القعدة 1325 - 25 محرم 1326	389
	28 محرم 1326 - 10 رمضان 1326	390
	غرة صفر 1326 - 14 ربيع الآخر 1326	391
	19 ربيع الأول 1326 - 16 جمادى الآخر 1326	392
	1 ربيع الآخر 1326 - 16 محرم 1327	393
	3 ربيع الآخر 1326 - 11 ربيع الأول 1330	394
	15 جمادى الآخرة 1326 - 13 رمضان 1326	395
	15 رمضان 1326 - 24 شوال 1326	396
	1 محرم 1327 - 9 محرم 1327	397
	10 جمادى الأولى 1327 - 29 رجب 1327	398
	10 جمادى الآخرة 1327 - 9 صفر 1328	399
	25 رجب 1327 - 15 شوال 1327	400
	13 شوال 1327 - 2 صفر 1328	401
	4 محرم 1328 - 25 ربيع الأول 1328	402
	16 صفر 1328 - 25 ربيع الآخر 1328	403
	29 ربيع الأول 1328 - 15 ربيع الثاني 1328	404
	24 ربيع الآخر 1328 - سلخ رجب 1328	405
	27 ربيع الآخر 1328 - 21 ذي الحجة 1328	406

407	27 رجب 1328 - 21 ذي القعدة 1328
408	22 ذي القعدة 1328 - 22 ربيع الأول 1329
409	18 ذي الحجة 1328 - 22 جمادى الأولى 1329
410	18 ذي الحجة 1328 - 22 جمادى الأولى 1329
411	1 محرم 1329 - 21 رمضان 1330
412	ربيع الأول 1329 - 21 جمادى الآخرة 1329
412	29 جمادى الأولى 1329 - 20 محرم 1329
413	25 جمادى الآخرة 1329 - 15 ذي القعدة 1329
414	8 شوال 1329 - 23 ربيع الأول 1330
415	16 ربيع الأول 1330 - 16 رجب 1330
416	15 ربيع الثاني 1330 - 23 جمادى الآخرة 1331
417	4 رجب 1330 - غرة جمادى الأولى 1331
418	17 رجب 1330 - 18 ذي القعدة 1330
419	28 شوال 1330 - 18 ذي القعدة 1330
420	16 ربيع الأول 1331 - 10 جمادى الآخرة 1331
421	18 ربيع الثاني 1331 - 9 شعبان 1331
422	7 جمادى الآخرة 1331 - 16 شعبان 1331
423	غرة شعبان 1337 - 25 شعبان 1332
424	13 صفر 1329 - 22 ربيع الأول 1332
425	27 ربيع الأول 1332 - 10 محرم 1333
426	13 شعبان 1331 - 23 ذي القعدة 1332

ب- المجموعات المتخصصة

رقم السجل	أ- الوكالات الزمن
17	17 جمادى الآخرة 1301 - 6 شوال 1319
-	12 جمادى الأولى 1306 - 10 شوال 1322

	26 شعبان 1306 - 25 جمادى الآخرة 1307	3
	28 محرم 1309 - 25 صفر 1310	13
	7 ربيع الثاني 1310 - 30 ذي الحجة 1311	8
	6 محرم 1312 - 12 ربيع الثاني 1313	15
	26 ربيع الآخر 1313 - 29 ذي الحجة 1314	-
	7 محرم 1316 - 28 صفر 1317	36
	29 صفر 1317 - 25 صفر 1318	-
	4 ربيع الأول 1318 - 4 غرة شعبان 1319	33
	5 شعبان 1319 - 20 محرم 1321	39
	12 حماد الأولى 1321 - 6 رمضان 1321	29
	غرة جمادى الآخرة 1322 - 21 ذي القعدة 1323	48
	2 شعبان 1325 - 2 محرم 1329	-
	10 ربيع الآخر 1326 - 12 رجب 1326	58
	20 ذي الحجة 1327 - 28 ربيع الأول 1329	67
	22 ربيع الأول 1329 - 21 ربيع الثاني 1331	-
	9 جمادى الآخرة 1329 - 9 غرة ذي القعدة 1329	71
	29 ربيع الأول 1329 - 12 رجب 1330	77
	7 جمادى الأولى 1330 - 22 شعبان 1331	8
	7 ربيع الآخر 1310 - 30 ذي الحجة 1331	8
	25 ربيع الثاني 1332 - 15 رجب 1333	-
	17 ربيع الثاني 1334 - 29 رمضان 1336	-
	21 ذي الحجة 1337 - 19 محرم 1339	-
	ب- ضبط الدعاوى	
	7 محرم 1265 - 18 شوال 1265	-
	9 محرم 1270	-
	24 ربيع الأول 1291 - 14 جمادى الأولى 1291	76
	غرة جمادى الأولى 1291 - 22 جمادى الأولى 1298	129

	21 ربيع الثاني 1298 - 11 جمادى الآخرة 1298	137
	4 ذي القعدة 1299 - 28 ذي القعدة 1299	150
(هذا السجل والذي يليه لفترة زمنية واحدة)	23 جمادى الأولى 1307 - 29 رمضان 1397	155
	17 جمادى الأولى 1307 - 29 رمضان 1307	156
غير مرتب زمنياً	غرة صفر 1300 - 19 ربيع الثاني 1283	162
	28 ذي القعدة 1300 - 30 ذي الحجة 1300	174
	25 شوال 1301 - 16 ذي القعدة 1301	185
	غرة صفر 1303 - 20 ربيع الثاني 1308	-
غير مرتب زمنياً	6 شوال 1307 - 2 محرم 1306	214
	3 محرم 1306 - 20 ربيع الثاني 1308	215
	13 ذي القعدة 1306 - 22 صفر 1307	-
	2 جمادى الآخرة 1306 - 2 رجب 1306	217
	2 رجب 1306 - 22 شعبان 1306	218
	9 ربيع الأول 1307 - 16 رمضان 1307	219
	15 جمادى الأولى 1307 - 2 محرم 1306	221
	6 شوال 1307 - 2 محرم 1306	222
	غرة رجب 1307 - 17 شوال 1307	222
	9 صفر 1309 - 28 جمادى الأولى 1309	227
	7 شوال 1309 - 9 محرم 1310	229
	21 رجب 1310 - 18 ربيع الأول 1311	232
	10 ربيع الأول 1311 - 17 ذي الحجة 1311	233
	16 ذي الحجة 1311 - 3 شعبان 1312	234
	8 رجب 1313 - 23 محرم 1314	236
	27 ذي القعدة 1313 - 21 شعبان 1314	238
	13 محرم 1314 - 24 شعبان 1314	239

	18 ذي الحجة 1314 - 5 ربيع الثاني 1315	240
	27 ذي الحجة 1314 - سلخ صفر 1317	241
	28 محرم 1315 - 26 رجب 1315	242
	8 ربيع الثاني 1315 - 28 ذي القعدة 1315	243
	28 رجب 1315 - سلخ ربيع الآخر 1316	244
	27 ذي القعدة 1315 - 17 جمادى الأولى 1316	245
	27 ذي القعدة 1315 - 17 جمادى الأولى 1316	246
	5 جمادى الآخرة 1316 - 17 ربيع الأول 1317	247
	16 شوال 1316 - 4 ذي الحجة 1317	248
	28 ذي القعدة 1316 - 22 جمادى الآخرة 1317	249
	27 ذي القعدة 1316 - 23 محرم 1324	250
	9 جمادى الآخرة 1317 - 24 صفر 1318	251
	19 شوال 1317 - 17 شعبان 1318	252
	2 ربيع الأول 1318 - 23 محرم 1326	253
	19 رجب 1318 - 24 ربيع الأول 1319	-
	19 شعبان 1318 - 15 ربيع الآخر 1320	255
	28 ربيع الأول 1319 - 23 شوال 1319	256
	24 ربيع الآخر 1319 - 24 شوال 1319	257
	18 شوال 1319 - 28 جمادى الأولى 1322	-
	23 شوال 1319 - 28 ربيع الآخر 1320	-
	28 ربيع الآخر 1320 - 29 رجب 1321	260
	24 جمادى الأولى 1320 - 20 رجب 1321	261
	28 شعبان 1320 - 20 رجب 1321	262
	9 ذي الحجة 1320 - 17 شوال 1321	263
	28 ربيع الأول 1321 - 22 ربيع الآخر 1321	264
	14 رجب 1321 - 5 جمادى الآخرة 1323	265
	28 شوال 1321 - 21 شعبان 1322	-

	23 شعبان 1322 - 27 ذي الحجة 1322	-
	23 صفر 1322 - 27 ذي الحجة 1322	267
	29 ربيع الأول 1322 - 7 رمضان 1322	268
	18 ذي الحجة 1322 - محرم 1324	269
	9 رمضان 1322 - 7 ربيع الثاني 1323	-
	9 ربيع الثاني 1323 - 14 محرم 1325	272
	12 جمادى الآخرة 1324 - 14 محرم 1325	-
	5 جمادى الآخرة 1324 - 5 ذي الحجة 1324	273
	7 شعبان 1324 - 23 ربيع الأول 1326	274
	6 ذي الحجة 1324 - 13 جمادى الأولى 1329	-
	26 جمادى الأولى 1325 - 10 محرم 1326	276
	11 جمادى الأولى 1325 - 24 ربيع الثاني 1326	-
	17 ذي الحجة 1325 - 27 رجب 1326	-
	10 شوال 1326 - 12 ذي القعدة 1327	-
	20 محرم 1326 - 28 جمادى الأولى 1327	-
	29 جمادى الأولى 1326 - 21 محرم 1327	-
	30 جمادى الأولى 1326 - شوال 1326	-
	10 شوال 1326 - 12 ذي القعدة 1327	280
	11 ربيع الآخر 1327 - 3 ذي القعدة 1327	281
	4 ربيع الثاني 1327 - 14 ذي القعدة 1327	282
	7 جمادى الأولى 1327 - 12 جمادى الأولى 1338	-
	23 صفر 1327 - 15 رجب 1330	-
	15 ذي الحجة 1327 - 12 شعبان 1329	-
	17 ذي الحجة 1327 - 21 شعبان 1328	-
	8 شعبان 1327 - سلخ ذي القعدة 1327	-
	23 رجب 1327 - سلخ ذي القعدة 1327	284
	8 جمادى الأولى 1327 - سلخ ذي القعدة 1327	286

	27 ربيع الآخر 1328 - 29 ربيع الأول 1329	287
	9 جمادي الأولى 1328 - 14 ربيع الأول 1329	288
	9 رجب 1328 - 12 ربيع الأول 1330	289
	8 رجب 1328 - 23 ربيع الأول 1330	250 (1290)
	9 جمادي الأولى 1328 - 14 ربيع الأول 1329	-
	22 ربيع الأول 1329 - 24 شعبان 1330	-
	12 ربيع الثاني 1329 - 4 رمضان 1330	-
	25 ربيع الأول 1329 - 23 ربيع الأول 1330	292
	13 رجب 1329 - 13 ربيع الأول 1330	293
	14 محرم 1330 - 15 صفر 1331	294
	24 ربيع الأول 1330 - 24 ربيع الأول 1331	296
	21 رجب 1330 - 9 ربيع الثاني 1331	298
	4 ذي الحجة 1330 - 9 جمادي الأولى 1331	299
	10 جمادي الأولى 1331 - 27 صفر 1332	300
الرقم مكرر	28 ذي الحجة 1330 - 24 جمادي الآخرة 1331	300
	21 صفر 1331 - 3 رجب 1332 .	-
	21 صفر 1332 - 9 جمادي الأولى 1334	-
	10 جمادي الأولى 1331 - 27 صفر 1332	303
	13 رجب 1331 - 15 رجب 1332	305
	25 صفر 1332 - 9 جمادي الأولى 1332	306
	10 ربيع الأول 1332 - 3 شعبان 1324	307
غير مرتب زمنياً	4 ذي القعدة 1333 - 6 جمادي الأولى 1331	309
الرقم مكرر	21 ربيع الأول 1333 - 2 ذي القعدة 1333	300
	14 جمادي الأولى 1331 - 8 جمادي الآخرة 1332	320
	21 جمادي الآخرة 1330 - 26 محرم 1331	-
	4 شعبان 1332 - 23 ربيع الثاني 1332	-

	27 ربيع الثاني 1333 - 25 شعبان 1333	-
	21 جمادى الآخرة 1330 - 26 محرم 1331	-
	4 شعبان 1332 - 23 ربيع الثاني 1332	-
	27 ربيع الثاني 1333 - 10 جمادى الأولى 1334	-
	4 ذي القعدة 1333 - 1 جمادى الأولى 1334	112
	5 شوال 1334 - 21 ذي الحجة 1337	-
	19 ذي الحجة 1334 - 4 ربيع الأول 1332	-
	12 شعبان 1334 - 28 رمضان 1335	-
نصفه الأول بالتركية والنصف الآخر بالعربية	12 جمادى الآخرة 1324 - 28 جمادى الأولى 1337	-

ج- سجلات الضرامين والأوامر

رقم السجل		
-	11 شعبان 1283 - 23 شوال 1291	
-	17 ذي الحجة 1291 - 25 رمضان 1298	
-	17 شعبان 1298 - 27 شعبان 1302	
-	22 ذي القعدة 1307 - 1316	
-	5 ذي الحجة 1318 - 13 شعبان 1322	
-	10 شعبان 1322 - 22 شوال 1326	
-	16 ذي الحجة 1326 - 11 محرم 1329	
-	غرة جمادى الأولى 1327 - 11 رمضان 1331	
-	20 رجب 1328 - 6 ذي القعدة 1332	
-	22 شوال 1332 - 23 نيسان 1918	يعاصر هذا السجل فترة احتلال بغداد
-	سجل يتضمن صور من حجج صادرة من محاكم عثمانية مختلفة لسنوات عدة	

د- سجلات القيود الخاصة

رقم السجل	
-	27 محرم 1321- 29 جمادى الأولى 1322
-	19 ذي القعدة 1329- 27 جمادى الأولى 1328
63	5 رمضان 1327- 8 جمادى الأولى 1328
67	4 ربيع الاول 1330- 14 شوال 1330

هـ- سجل القسّامات

رقم السجل	
1	17 ربيع الثاني 1306- 1 رمضان 1307
2	29 شوال 1312- 28 رمضان 1314
3	27 شوال 1311- 12 شوال 1315
4	15 شوال 1315- 8 صفر 1318
5	20 صفر 1318- 10 صفر 1320
6	11 صفر 1320- 17 ربيع الاول 1321
7	20 ربيع الاول 1321- 14 رمضان 1322
8	15 رمضان 1322- 25 رجب 1323
9	25 رجب 1323- 16 ربيع الاول 1325
10	17 ربيع الاول 1325- 25 ربيع الآخر 1326
11	26 رجب 1326- 17 جمادى الأولى 1327
12	لا يوجد
13	13 جمادى الأولى 1328- 30 رجب 1329
14	1 شعبان 1329- 24 ربيع الاول 1330
15	24 ربيع الاول 1330- 27 ربيع الثاني 1331
16	5 ربيع الثاني 1331- 5 ربيع الاول 1332
17	6 ربيع الاول 1332- 19 صفر 1334

18	19 صفر 1334 - 25 شعبان 1336 (5 حزيران 1918)	يعاصر هذا السجل احتلال بغداد سنة 1917 ولذلك فان نصفه بالتركية، والنصف الآخر بالعربية
----	---	--

و- سجلات عقود الزواج

رقم السجل		
2	1 رجب 1269 - 17 جمادى الآخرة 1271	
3	19 جمادى الأولى 1271 - 19 صفر 1272	
4	20 صفر 1272 - 14 رمضان 1274	
-	17 ربيع الآخر 1273 - 24 شوال 1273	
-	25 شوال 1273 - غرة شعبان 1275	
7	9 شوال 1275 - 2 رجب 1277	بالعربية
8	غرة شعبان 1277 - 19 ربيع الآخر 1279	
10	18 ربيع الآخر 1279 - 25 ذي القعدة 1280	بالعربية
-	18 ربيع الاول 1282 - 19 جمادى الآخرة 1283	
-	24 جمادى الأولى 1282 - 29 ذي الحجة 1284	
11	22 ذي القعدة 1286 - 15 ربيع الاول 1282	غير مرتب زمنياً. بالعربية
14	غرة محرم 1285 - 12 جمادى الأولى 1286	
15	13 جمادى الآخرة 1286 - 12 (س) 1287	
-	13 ذي القعدة 1288 - 12 محرم 1290	

16	غرة محرم 1290 - 26 ذى الحجة 1290	بالعربية
17	غرة محرم 1291 - 4 ذى القعدة 1291	بالعربية
19	19 شوال 1292 - 25 محرم 1292	
20	24 محرم 1293 - 8 محرم 1294	
21	19 جمادى الاخرة 1295 - 28 صفر 1296	
22	1 ربيع الاول 1296 - 29 رمضان 1297	
23	6 شوال 1297 - 4 ربيع الاول 1298	
24	6 ربيع الاول 1298 - 24 صفر 1299	
26	25 صفر 1299 - 26 صفر 1299	
27	27 صفر 1300 - 25 محرم 1301	بالعربية
28	25 محرم 1301 - 28 ذى القعدة 1301	
29	1 ذى الحجة 1301 - 28 محرم 1303	بالعربية
30	غرة صفر 1303 - 14 جمادى الاخرة 1304	
31	22 جمادى الاخرة 1304 - 3 جمادى الاخرة 1305	بالعربية
32	4 جمادى الاخرة 1302 - 19 محرم 1306	

قرية القاطع المندثرة في ديالى في وثيقة وقفية

من الوثائق التاريخية التي وقفنا عليها في أثناء بحثنا في أصول عهد الدولة الصفوية في العراق، وثيقة مهمة مؤرخة⁽¹⁾ في غرة شهر ربيع الأول من شهور سنة 929 (18 كانون الثاني سنة 1523هـ) فهي ترقى إلى السنة الأخيرة من حكم الصفويين في العراق (في الفترة الأولى من 914 إلى 930 هـ/1508-1523م)، وكانت بغداد يومذاك تحت حكم إبراهيم خان، أمير قبيلة موصلو الكردية⁽²⁾.

والوثيقة المذكورة عبارة عن حجة شرعية مكتوبة بحسب الأسلوب التقليدي السائد آنذاك في كتابة الصكوك والحجج الشرعية، وتكشف عن ظروف نشوء إحدى القرى الزراعية في شمال مدينة بعقوبا، كانت تعرف باسم (القاطع)، وموقع هذه القرية وأراضيها - كما تحدده الوثيقة- بين نهر طريق خراسان (وهو نهر خريسان الحالي) شرقاً، ونهر ديالى غرباً، وبين القرية المعروفة بحد مكسر شمالاً، وأراضي قرية خرناباد (خرنابات الحالية) في محافظة ديالى.

وهذه المواقع التي حددتها الوثيقة بدقة شديدة، ما زالت معروفة حتى اليوم، فيما عدا قرية القاطع ذاتها التي لم يبق من آثارها غير اسمها يحمل هور أو مستقع هناك، يُعرف بركة الكاطع (بكاف فارسية) وهو يمتد من شمال قرية خرنابات حتى جنوبي قرية العبارة، متصلاً شرقه بنهر خريسان، ويحمل هذا الهور اسم القرية المذكورة مما يدل على أنها كانت قريبة منه إلى حد كبير، ونحن نرجح أن تكون ركة القاطع المذكورة في الوثيقة نفسها هذا الهور، فإن الرُكة، أو الرِقة، كل أرض إلى جنب وادٍ يسنقر عليها الماء أيام المد ثم ينضب⁽³⁾.

(1) عثرت على هذه الوثيقة بين أوراق جدي المرحوم المحامي محمد رؤوف العطار (المتوفى سنة 1965).

(2) كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991 ص21-29

(3) القاموس المحيط ج2 ص229

ولسنا نعلم ما جرى لقرية القاطع هذه بعد إعمارها في مطلع القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد)، ولا في أي عهد اندثرت أو انقطع ذكرها، ومن الملاحظ أن المنطقة المحدودة بنص الوثيقة خالية من المستوطنات إلا من قريتين صغيرتين، أولهما قرية (العبارة) والأخرى قرية (الدورين)، وتقع الأولى عند الطرف الأعلى لهور القاطع، بين نهر خريسان والمرقد المنسوب إلى الإمام محمد بن علي. وتقع الثانية إلى الجنوب من (حد مكسر)، فإن لم تكن القرية قد اندثرت فعلاً، فلا يبق أمامنا إلا افتراض وراثة إحدى القريتين المذكورتين لموقعها. ونحن نرى أن قرية العبارة أولى بهذا الاحتمال، وذلك لقربها الشديد من رقة الكاطع، ولأن اسمها يفيد معنى العبور، والمقصود به عبور الهور أو المستنقع نفسه، وهو الذي عرف بالقاطع لقطعه الأرض الممتدة بين حد مكسر وخرنابات، فموقع القرية إذن له علاقة وثيقة بوجود الهور (الرقة) نفسه (انظر الخارطة).

وتبين الوثيقة أن «جناب الصدر المعظم، الماجد المكرم، افتخار الصواحب في العالم، ملاذ المساكين في الأمم، الغني عن الألقاب بعلو الشأن ومزيد الكرم.. الصدر رضي الدين ابن الصدر شرف الدين الشيباني، فد عمد إلى الأراضي التي حدد معالمها في وثيقته، فقام بإحيائها من بعد مواتها، وأجرى فيها الماء، وساق إليها من حرثها وزرعها وصيرها قرية غناء، بعد أن كانت خراباً مقفرة، تسكنها السباع والذئاب، فصارت بذلك ملكاً له ولذريته من بعده، بموجب الحقوق المترتبة على مبدأ إحياء الأرض الموات.

ولا تمدنا المصادر بشيء عن مؤسس القرية هذا، وإن كنا نفهم مما أحيط به من ألقاب، أنه كان من طبقة الصدور، وهم ملتزمو الأرض الذين كانوا يتولون ضمان الأرض الزراعية مع قيامهم بتولي الإدارة والحكم فيها، وهي طبقة نشأت بعد الإحتلال المغولي للعراق في القرن السابع للهجرة، وتأسيس الإدارة الإيلخانية فيه⁽¹⁾. وهذا النظام يشبه في كثير من جوانبه ما عرف بنظام (التيمار) الإقطاعي العسكري⁽²⁾، والذي يشمل تطبيقه أجزاء كبيرة من الولايات العراقية فيما بعد.

(1) ينظر د. جعفر خصباك: العراق في عهد المغول الإلخانيين، بغداد 1968، ص 81-84
(2) نظام عثماني كانت له آثار بعيدة على الحياة العسكرية والزراعية والإدارية في الدولة العثمانية، وهو يقوم على أساس إلزام صاحب الإقطاع (ويسمى سباهي أي فارس) أن يؤدي الخدمة العسكرية لقاء تمتعه برسوم إقطاعه، وأن يتولى السلطات الإدارية في هذا الإقطاع

ففي الوثيقة إذاً تأكيد على استمرار نظام الصدور الإداري في الريف الزراعي طيلة الفترة المضطربة التي استمرت من مطلع القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) وحتى عهد التنظيمات العثمانية الجديدة لأراضي العراق في منتصف القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد). ونلاحظ أيضاً أن هذا الصدر كان من أهل البلاد أنفسهم لا من الأقوام الغازية التي تولت على العراق في تلك القرون، فهو عربي، شيباني، ورث منصبه من أبيه الذي كان صدرًا أيضاً، ولا ريب في أن كثرة الألقاب التي أضفيت عليه تدل على مدى أهميته وعظم منزلته في ذلك العهد.

وفي الوثيقة ما يدل على أن الصدر المذكور كان يتولى شؤون الحكم والإدارة في المنطقة التي تقع فيها القرية المحيية، وذلك أن الوثيقة جاءت خلواً من أي إشارة إلى الحاكم الذي إذن لصاحب الأرض بإحيائها، مع أن عدم وجود هذا الإذن كافٍ لإبطال شرعية عمله في ذلك الإحياء، لا سيما في فقه الشيعة الإمامية الذي يدين به حكام العراق آنذاك من سلاطين الدولة الصفوية⁽¹⁾، ولا تفسير لهذا الأمر إلا أن يكون هو نفسه حاكماً للمنطقة متولياً لشؤونها الإدارية.

وتمتد منطقة إدارته لتشمل أنحاء الخالص وطريق خراسان القديم (خريسان فيما بعد) والبندنجين (مندلي حالياً) فهذه المناطق كانت منذ أول العهد المغولي الإلخاني مدمجة في إدارة صدر واحد، وتعرف باسم (الأعمال الشرقية)⁽²⁾.

وأما محرر الوثيقة، والشاهد على ما فيها، فهو - بحسب لقبه - من أهل كربلاء، ينتمي إلى ذرية الحسين بن علي (ع). والظاهر أنه كان يتولى إحدى الوظائف الدينية الكبيرة التي تؤهله تحرير مثل هذه الوثائق الشرعية. وكونه من أهل كربلاء ينسجم مع طبيعة العصر، حيث كان العراق خاضعاً للسلطة الصفوية على ما مر بنا. والأسلوب المنمق الذي كتبت به الوثيقة يدل على ثقافة الرجل الأدبية الرفيعة وحسن ترسله في

في حالة السلم، وتنقسم اقطاعات إلتيمار إلى ثلاثة أنواع بحسب ما يقدمه كل نوع من واردات مالية، وهي خاص وزعامت وتيمار. ينظر خليل اينالجبك: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة د. عبد اللطيف الحارس، بيروت 2007 ص 159، و 224 (1) لا يجوز الإمامية إحياء الأرض الموات إلا بإذن الإمام أو نائبه، أو المرجع الديني، أو السلطان المسلم المبسوط اليد، وفي هذا يذكر صاحب الجواهر «لا يجوز لأحد الإحياء من دون إذن الإمام وأنه إجماعي عندنا». الشيخ محمد حسن: جواهر الكلام ج 6 ص 194

(2) ابن الفوطي (منسوب إليه): كتاب الحوادث، بتحقيقنا ود. بشار معروف، بيروت ص 361

الإنشاء، ولعله كان أديباً مرموقاً في عهده، مشهوراً لدى معاصريه، إلا أن أخباره ضاعت بضیاع أخبار ذلك العهد وآثاره.

نص الوثيقة

الحمد لله الذي جرت أنهار عيون معرفته في قلوب أهل الإيمان، وأخضرت المقضرات وتشققت بسيل نعمة شقائق النعمان، واهتزت بوابل كرمه وصيب ديمه وتمايلت فنون الأفنان، واكتسى الدوح خلع السحاب الهامر وأورقت الأشجار وأثمرت الأغصان، وماست عرائس الآيات بقلائد الأزهار، وصفقت المياه في الغدران، وغنت الأطيار على أفنان الأشجار، وترافقت ذوائب العيدان، ورجعت الشحارير بأصوات المزامير وناح الحمام، وصاح كل نشوان، أحيا الموات البائرات وساق إلى عمارتها بأحسن القضاء والتقدير، وتيسر كل مخلوق لما خلق له وهو اللطيف الخبير، ودبر الأمور بقدره، وأيسر به التقدير والتدبير.

فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير، فبيناً ترى الأرض مفضرة البقاع، مظلمة الضياع، مستهلكة في الضياع، تسكنها الضباع، وتأوي إليها السباع، يخاف من سلوكها الإنسان، ويستقر في وهادها الجان، لا يمر بها المرء إلا وهو خائف غير متمالك، ولا يسلكها سالك إلا وهو مستغرق في المهالك، فقطاع الطريق قد اتخذوها وطناً، ومردة الشياطين قد جعلوها مسكناً، يقرأ خلالها إذا مر السالكون، ويتلوا خوفاً من شرها النازلون (ربنا أخرجنا منها، فإن عدنا فإنا ظالمون)⁽¹⁾، إذ ساق الله تعالى إليها بعض الأبرار، ووفق لعمارها خيرة من الأخيار⁽²⁾، فبذل جهده وماله في إجراء المياه إليها، ونصب رجاله للتعب والنصب عليها، فلم يكن غير قليل حتى رأيتها كأنها جنة تتمايل في غلايل الحسن والجمال، أو كمروس تتخايل بقلائد البهاء والكمال، قد تلالاً وجه لألائها وعبقت فوائح وردها الأريج، وتلا لسان حالها آمنة من كل أمر مريج (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)⁽³⁾

(1) سورة المؤمنون آية 108

(2) الإشارة هنا إلى الصدر رضي الدين الشيباني، المحررة باسمه هذه الوثيقة.

(3) الحج آية 5

أحمده على ما غمرنا من فيض عطاياه، وأشكره على ما أولانا من جزيل نعمائه،
والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيد أنبيائه، وخالصة أحبائه، وعلى خيرة
أوليائه، وصفوة خلّص أصفياؤه، والطاهرين من آله المعصومين من خلفائه.

وبعد، فإن جناب الصدر الأعظم، الماجد المكرم، افتخار الصواحب في العالم، ملاذ
المساكين في الأمم، الواثق بعناية الله السحاب (كذا)، الصدر رضي الدين ابن الصدر
شرف الدين الشيباني، زاد الله شأنه قدراً، وأعظم له ثواباً وأجراً، عمد إلى الأرض
المعروفة بركة القاطع، والأرض المعروفة بالقاطع، الواقع ذلك كله بطريق خراسان، بين
قرية حد مكسر وبين قرية خرناباد، المحدود ذلك كله بشط ديالة، وبأرضين قرية
خرناباد المذكورة، وبشط طريق خراسان، ونهر الشواخير⁽¹⁾، وبالشرعية البيضاء،
وبأرضين قرية حد مكسر، بعد أن كانت من البائرات الخراب، المعهودتان بسكنى
السباع والذئاب، المقفرة الجوانب، المحفوفة بالمكاره من كل جانب، فغمرها بعمارتها
كروضة تميز حسناً، وجعلها بعد الخراب والخلو كقرية غناء، وأجرى الماء في أرجائها
وأطرافها، وساق عوامل الحرث في حواشيها وأكنافها، فصار من رآها ينشد بلسان
الحال، ويقول ناظرها بجارحة المقال شعراً:

جنة زاهية قد أصبحت	هذه الأرض فما أحسنها
كوكب السعد عليها طالع	وانسكاب الماء قد زينها
عمّر الله لها غامرها	والذي عزّ من استوطنها

فصارتا بذلك ملكاً له بالحق ودليله، وحقاً من حقوقه، لقول نبي الله ومصطفاه
وخليله (من أحيأ أرضاً مواتاً فهي له)، فضلاً من الله ورسوله، فيجب على حكام
الإسلام، وولاة الأنام، والعلماء الأعلام، والخواص والعوام، أصلح الله شأنهم على
مرور الأيام، أن لا يزاحموا الصدر المشار إليه في هذه الأرض، وعليهم تمكينه من

(1) لم نعلم موقع هذا النهر، ومن البعيد أن يكون هو نهر الشويخرات الحالي، ور بما هو امتداد
قديم له، أو نهر آخر مستقل، وذلك لبعده نهر الشويخرات المذكور عن الأرض المحددة في
الوثيقة، فهو يقع إلى الغرب من نهر ديالى، بينما تقع هي في غربه والمسافة بينهما غير
بسيرة، ويتفرع نهر الشويخرات الحالي من نهر الخالص.

التصرف فيها بالطول والعرض، لتبقى في ملكه وملك ورآئه إلى يوم النشور والعرض،
ومن زاحمه فيها أو في شيء منها، فقد خالف الشرع الشريف، وخرج من سمت الدين
المنيف.

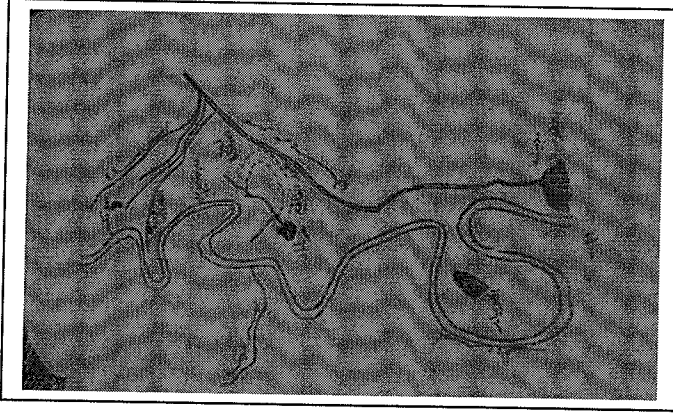
وكتب في غرة ربيع الأول من شهور سنة تسع وعشرين وتسعمائة، والحمد لله
وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

حرره شاهداً بما فيه:

العبد الأقل

حسن بن علي بن طوغان الحسيني الحائري

أصلح الله شأنه.



خارطة لمنطقة الارض التي جرى إحيائها

وثيقة تكشف عن مشروع رحلة الأمير فخر الدين السرية الى مكة

حينما كنت أقوم بفهرسة المخطوطات المودعة في مكتبة دار التربية الإسلامية، الكائنة يومذاك في مبنى خاص بمدرستها في جانب الكرخ من بغداد، في شتاء سنة 1974، إطلعتُ على مخطوط قديم مجلد⁽¹⁾، يضم مجموعة من الرسائل، قد تُخَنّ مَجَلِّده غلافه الداخلي بأوراق لصقت بمادة صمغية، على هيئة طبقات، وإذا بورقة أُلصقت على الغلاف الأول من داخله، كُتبت فيها بخط معتاد وثيقة في غاية الأهمية تكشف سراً مهماً سككت عنه المصادر التاريخية المعاصرة، ولم تشر إليه من قريب أو بعيد.

والوثيقة هي نسخة منقولة حرفياً من رسالة سرية مؤرخة في أواسط ذي الحجة سنة 1034هـ/ 4 أيلول 1625م، كتب في أعلاها بالخط نفسه العبارة الآتية (صورة مكتوب مولانا الشريف محسن سلطان مكة المشرفة، جواب الأمير فخر الدين ابن مَعَن، وكان طلب منه أمان وراي أنه مراده الحج بجماعة يسيرة)

وشريف مكة هذا هو الشريف محسن بن حسين بن حسن، من آل أبي نَمِي، وكان أولاد عمه قد اختاروه للشرافة في يوم الخميس رابع محرم من سنة 1034هـ/ 16 تشرين الأول 1624م، ووصل الفرمان القاضي بإقراره في منصبه في 14 رمضان من العام نفسه/ 19 حزيران 1625⁽²⁾، أما الأمير فخر الدين فهو أمير لبنان الشهير، فخر الدين بن قرقماز المعني الثاني، المعروف بالكبير 980-1044هـ/ 1572-1635م أقوى أمراء الدولة العثمانية في عصره⁽³⁾. وتاريخ الرسالة تال لتاريخ تعيين الشريف بنحو

(1) عماد عبد السلام رؤوف: الآثار الخطية في دار التربية الإسلامية ببغداد، مجلة المورد، بغداد، المجلد 5 العدد 2 (1977) ص 266-267. ويحمل المخطوط العدد 156 من مجموعة مفتي سامراء عباس حلمي القصاب.

(2) تقي الدين محمد الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2007.

(3) تنظر سيرته في مصادر عصره، وأبرزها أحمد بن محمد الخالدي الصَفدي: لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، ضبط وتنظيم أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت 1969، وعيسى إسكندر المعلوف: تاريخ

ثلاثة اشهر، مما يدل على أن الأمير قَصَدَ أن يخاطبه بمجرد إقراره في منصبه،
والظاهر أنه كان يثق بشخصه غير ثقته بسابقه الشريف إدريس وإن كان من الأسرة
نفسها .



الأمير فخر الدين المعني

ونص الرسالة هو الآتي:

الحمد لله رب العالمين

إن أشرف ما يُهدى من الحرَم، وألطف ما يُهدى من مهبط الوحي والكرم، هو
تُحَفَ التحيات المباركة المكية، وأظرف التسليمات المتداركة المسكية، إلى حضرة
الجناب العالي، عين الأماثل والآمال، فخر الأمراء المكرمين، زخر الكرام المُعظَّمين، ذي
الشمائل الحميدة، والخصائل المجيدة، الأمير الكبير العظيم الشهير، حضرة الأمير
فخر الدين ابن معن، أدام الله إجلاله، وبلغه آماله، ونهيه إليه -أدام الله نعمه عليه-
إنه قد وصل الكتاب الميمون، وفُهم منه المضمون، وما ذكرتموه من الإخلاص وحميد
الإختصاص، فعندنا لكم مثل ذلك، سَلَّكَ اللهُ بكم أحسن المسالك، وما أشترتم إليه
ونبّهتم عليه، من عقدكم النية على حج البيت الحرام، وزيارة المشاعر العظام، فالله
تعالى يهيئ لكم اسباب ذلك، ويهديكم إلى أداء المناسك.

وأما طلبكم منا الأمان والدخول في العُهدَة والضمان، فما كان من جانبنا فأنتم
آمنون وللسلامة غانمون، وأما من جانب السلطنة العلية، أدامها الله على كافة البرية،
فما لنا طاقة أن نجير عليها، ونحمي من لم يكن يستند إليها، ودخولكم للحج لا يخفى

الأمير فخر الدين المعني الثاني، ط2، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1966. وينظر
عزيز الأحديب: فخر الدين مؤسس لبنان الحديث، بيروت، دار الكتاب اللبناني

ولو جئتم بشرذمة قليلة، وطايفة غير جزيلة، فربما يقع ما لا أرضاه لكم ولا ترضونه لأنفسكم، فإن وثقتهم منهم بميثاق، وأمنتهم من نزاع وشقاق، فمرحبا بكم، وبوصولكم إلى بلد ريكم، وبدون ذلك لا يمكننا أن ندخل لكم في العُهد، إذا وصلتكم إلى هذه البلدة، فإننا خُدام السلطنة الشريفة، وحكامهم في هذه البلدة المنيفة، فالعذر ظاهر، والبرهان باهر، وقد أوضحنا لكم المراد، وبيّنا لكم سبيل الرشاد، فما ترونه لايقاً بنا وبكم إغفلوه، وما ترونه غير مناسب بنا وبكم إغفلوه، والسلام على الدوام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، آمين.

تحريراً في أواسط ذي الحجة الحرام سنة 1034

المحب المخلص محسن بن الحسين

ونقش خاتمه [وهو]

(ومن أحسن ديناً ممن أحسن وجهه لله وهو محسن).

وواضح من العنوان التي كتب في أعلى الوثيقة أن رسالة شريف مكة جاءت جواباً على رسالة سابقة أرسلها الأمير فخر الدين إليه يطلب منه موافقته على أن يحج في تلك السنة «بجماعة يسيرة»، وبهذا المضمون لا يبدو الأمر مهماً على النحو الذي يتطلب فيه موافقة الشريف، بل كان الأولى أن يوجه الأمير رسالته إلى السلطان العثماني يطلب موافقته، بوصفه مسؤوله الأعلى، فهذا هو التقليد السائد عهدذاك، ولكن قراءة محتويات الرسالة نفسها تكشف لنا سر إرسالها إلى الشريف محسن دون غيره. وهو أمر لا علاقة له بأن يكون حجّه بجماعة يسيرة أو كبيرة مطلقاً، وإنما في رغبته بإخفاء أمر رحلة الحج، وجعلها سرية تماماً فلا يصل خبرها إلى السلطان من قريب أو بعيد. فلماذا هذه السرية إذن؟

إن الجواب على هذا السؤال أوضحته السيرة السياسية للأمير فخر الدين نفسه، إذ لم يكن هذا الأمير عادياً من أمراء لبنان الذين دانوا بالولاء للعثمانيين، وإنما كان حاكماً إستثنائياً بكل مقاييس عصره، يمتلك مشروعاً طموحاً يتجاوز حدود إمارته إلى نواح واسعة من بلاد الشام، أو بلاد الشام كلها، بما فيها لبنان، واستطاع بما أوتي من دهاء سياسي أن يحصل على موافقة السلطات العثمانية على هذا التوسع غير المسبوق، بوصفه الحاكم الأقدر على حماية هذه البلاد من الأخطار

الخارجية والثورات الداخلية، والأكثر إخلاصاً للدولة من الأمراء والولاة الآخرين. وعلى الرغم من آيات الولاء التي كان يُبديها، فإنه لم يكن ليتردد في الإتفاق مع دول أوروبا على مسانده في مشروعه، وفي مقدمتها إمارة توسكانيا في إيطاليا، حيث عقد معاهدة حربية - تجارية مع أميرها فرديناند الأول دي ميديتشي، وأبدى تعاوناً مع مشاريع إسبانيا في البحر المتوسط، وكانت الأخيرة تمثل خطراً حقيقياً، نظراً لقوتها العسكرية ووفرة أساطيلها وبعدها للعالم الإسلامي، فضلاً عن احتلالها لأجزاء مهمة من المغرب العربي. وكانت محالفتها تمثل نفاذ الخطر الأوربي إلى الداخل الإسلامي، لا سيما المناطق القريبة من الأقاليم المركزية للدولة العثمانية، وكان مشروع (المعنى) يقضي أيضاً بالتوسع شمالاً نحو تخوم تلك الأقاليم، ومنها ولايتا حلب وانطاكية، المتاخمتان لحدود الأناضول الطبيعية، والمسيطرتان على منافذه المؤدية إلى داخله. وقد حقق الأمير (المعنى) توسعه هذا بهدوء، من خلال مصاهراته للأمراء في لبنان، ثم تحالفه مع والي حلب علي باشا جانبولاد، الذي كان يملك نفوذاً في تلك النواحي شجعه على التمرد على الدولة العثمانية، ثم بالتحالف مع والي دمشق وغيره من الولاة المجاورين، ومحاولته مد نفوذه حتى جنوبي فلسطين⁽¹⁾.

ومن ناحية أخرى فقد سعى فخر الدين إلى إنشاء جيش قوي حديث، وتقوية حدوده بتأسيس القلاع وتزويدها بالمدفعية والجيش. وهكذا غدا انتزاع بلاد الشام من العثمانيين يمثل المحور الأساس لمشروع فخر الدين الطموح.

على أن طموحاته لم تقف عند هذا الحد، كما تكشف عن ذلك الوثيقة التي هي موضوع هذه الدراسة. حيث يظهر منها أن فخر الدين أرسل رسالته إلى شريف مكة لتتضمن طلبين في الأقل، أولهما ما تسميه الرسالة (الأمان)، وما يسميه العنوان في أولها بـ(الراي والأمان)، وهو مصطلح يُقصد به الدخول في أمان من أرسلت إليه وحمايته، وفي الواقع، فإن الأمير لم يكن بحاجة إلى هذا الطلب حقيقة، فمن كان يحكم بلاد الشام كلها لم يكن بحاجة إلى من يحميه في رحلة حجه، ولا يتوضح معنى هذا الطلب إلا من خلال طلبه الآخر، وهو (الدخول في العهدة والضمان) وهذان

(1) تنظر التفاصيل حول هذا التوسع في أسامة محمد أبو فحل: علاقة فخر الدين المعني الثاني بالزعامات المحلية الفلسطينية وموقف الدولة العثمانية منه 999 - 1043هـ/1590 - 1633م. غزة 2006.

المصطلحان يتجاوز معناهما محض تقديم الحماية لتحقيق الأمان لشخصه وأتباعه، وإنما يشيران إلى عهدٍ أو معاهدة، أي عهدٍ أو معاهدة، يتضمن التزامات معينة للطرفين المتعاهدين، وتقدم ضمانات لتنفيذها، وهذا يعني أن الأمير فخر الدين كان يطلب من الشريف دخوله في معاهدة، وهو ما توضحه عبارة الشريف بالاعتذار عن دخوله في العهد، في حال وصول الأمير سراً إلى مكة، أي أن السبب الحقيقي وراء وصوله إليها هو أن يعرض على شريفها دخوله فيها، وهو ما يكشف السبب وراء سرية رحلته.

ونرى أن من شأن هذه المعاهدة أن تحقق أمرين، أولهما إكمال سلسلة المعاهدات والاتفاقات التي عقدها الأمير مع الأمراء والولاة المجاورين لحماية حدوده لتشمل هذه المرة حدوده الجنوبية، وثانيهما مدّ نفوذه إلى الحرمين الشريفين بما يمثل تهديداً خطيراً لهيبة الدولة العثمانية بوصفها الحامية لهما.

تضمنت الرسالة الجوابية لشريف مكة عبارات تقليدية فيها ترحيب ظاهر بالأمير، واعتذار في الحقيقة عن قبول مشروعه، فهو يعلم أن تعليقه الموافقة على الدخول في معاهدته، بمصالحة الدولة العثمانية والوثوق منها بميثاق أمر مستحيل عملياً، فمشروع الأمير التوسعي أصبح الآن واضحاً لدى السلطان، وهو مراد الرابع، ونوايا الأمير بدت مكشوفة أكثر من أي وقت مضى، ومن ثم فليس معقولاً أن يقبل السلطان منه ميثاقه فهو لم يعد يثق به أصلاً.

ثم أن تقديم شريف مكة نفسه على أنه مجرد حاكم من أتباع السلطان، لا يخرج عن أمره، يجعل من غير المجدي للأمير أن يجعل منه حليفاً له في مشروع يتحدى فيه الدولة العثمانية. وقول الشريف أنه لا طاقة له على أن (يجير أحداً على الدولة، ويحمي من لم يستند إليها)، يدل بوضوح على أن رسالة الأمير كانت تحمل دعوة إليه بحماية ظهره إذا ما ثار على الدولة، ولم يعد يستند إليها، أي استقل عنها.

وتتصل الوثيقة بأمر آخر، وهو حقيقة ما يدين به الأمير فخر الدين من معتقد، فمجرد رغبته بالحج، وقبول شريف مكة بحجه، بعد أخذه بموافقة الدولة، يؤكد أنه كان مسلماً، اشتهر أمر إسلامه بين معاصريه، يسند هذا قيامه ببناء المساجد في إمارته، هذا مع أن مصادر ترجمته تؤكد أنه كان درزياً بالولادة، بل أن منها ما يشير إلى أنه كان مسيحياً مارونياً، ولا تفسير لهذه الروايات المختلفة في تقديرنا إلا بالقول

بدرزيتة أولاً، فهذا دين آبائه، ثم انه اعتنق الإسلام على مذهب أهل السنة حين قلّدتَه الدولة العثمانية أمر إمارته واعترفت بسيادته، ثم أظهر تعاطفه مع المسيحيين لرغبته في كسب تأييد الدول الأوروبية له في أزمته مع الدولة العثمانية⁽¹⁾.

وهكذا كشفت الوثيقة عن أول مشروع لأمير عربي في الاستقلال عن الدولة العثمانية، بالاستعانة بعون أوربي، وهو بهذا مجرد نسخة مبكرة من مشروع الشريف حسين في إعلان المملكة العربية بعون بريطاني في اثناء الحرب العالمية الأولى.

(1) أرسلت الدولة العثمانية إليه حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا الكجك، يرافقها اسطول بقيادة جعفر باشا، وبعد عمليات عسكرية عدة قبض عليه وأرسل الى استانبول حيث اعدم في 13 نيسان 1635م.

وقفيات سليمان باشا الكبير نموذجاً لوقف الكتب في بغداد

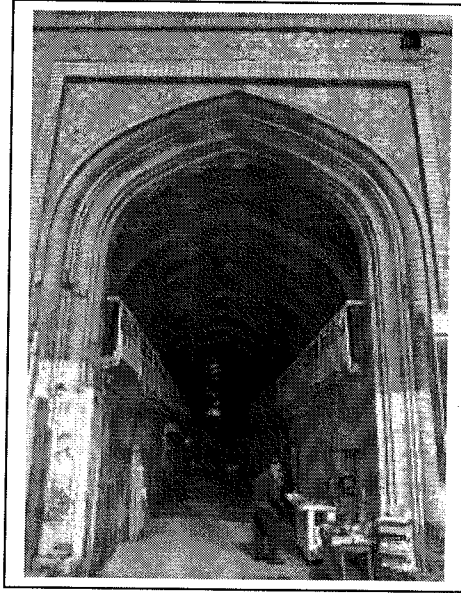
يحتل وقف الكتب مكانة متميزة بين مجالات الوقف المختلفة في الحضارة الإسلامية، ذلك أنه على خلاف تلك المجالات، يتجاوز أن يكون صدقةً جاريةً فحسب، إلى أن يكون سبيلاً للعلم الذي يُنتفع به أيضاً، فيتمثل فيه ركنان من أركان عمل الإنسان بعد موته⁽¹⁾، ومن هنا كان وقف الكتب، أياً كانت أعدادها، مجالاً طيباً يؤبّد فيه أهل العلم ما لديهم منها، ومن ثم يبقى نفعها مستمراً على مرّ الأحقاب، وإذا كان وقف المساجد والمدارس والمنشآت الخدمية لا يستطيعه إلا الأغنياء والموسرون، فإن وقف كتابٍ أمر يستطيعه العالم والمتعلم بيسر، ومهما قلّت موارد أحدهما وضعفت إمكاناته المادية، فيكفي أن يقف كتبه الخاصة على مدرسة أو مسجد أو طالب علم حتى ينال من الأجر الكثير.

وفي عصر كان الكتاب فيه مخطوطاً عزيزاً، في كل نسخة منه آثار من عرق ناسخه أو مؤلفه، وقد أنفق فيه الوقت الكثير الذي يتجاوز الشهور الطوال بحرّها وبردها، كان وقف كتابٍ في خزانة ما عملاً مهماً فعلاً في مجال نشر العلم والثقافة، ففي تلك الخزائن يجد القارئ سبيلاً للإطلاع على كتب التعلم، أو ما يسمى بكتب الجادة، التي يحتاجها في درسه، وفيها يمكن له أن يتخذ من كتابٍ ما موضوعاً لشرح أو تعليق أو تدبير، فيسهّل بذلك سبيل الإفادة منه بحسب مستوى طلبته وثقافته بيئته، وفيها أيضاً يمكن أن يكثّر عدد النسخ من الكتاب الواحد بنسخه من قبل ناسخ محترف، أو طالبٍ نبه، فيحول ذلك دون إنقراض الكتاب في حالة أن يكون رهين نسخة وحيدة منه، فضلاً عن أن يكون تكثير نسخه سبباً في انتشار الكتاب في عدة أقطار، متجاوزاً حدود بلد مؤلفه، أو مالكه، فيفيد منه طلبه العلم في كل مكان، وليساهم في تعميق الثقافة المشتركة في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من الشروط المشددة التي وضعها الواقفون على استعارة الكتاب، حفظاً له من الفقد والضياع والتلف، وتعيينهم الموظفين الذين تُوكل إليهم العناية به،

(1) إشارة إلى الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

من حَفْظَة، وفراشين، إلا أن كل ذلك لم يكن كافياً لحفظ الكتب على وفق ما أرادها واقفوها. ولعل أهم أسباب هذه الظاهرة المؤسفة هو الجهل بالوسائل التي تبقى الكتاب سليماً، في بيئة تغلب عليها الرطوبة العالية، حيث تُبنى خزائنها في مساجد قريبة من النهر، وتكثر فيها الحشرات القارضة وفي مقدمتها حشرة (الإرضة) التي لا يمنعها عن الفتك بما تجده منها شيء، هذا فضلاً عن إهمال المتولين وعَفَلْتهم، وما كانت تتعرض إليه مدينة السلام من حوادث غرقٍ داهم بين حين وآخر، وكوارث بيئية وبشرية مختلفة. وهكذا ضاعت تلك الخزائن التي وقفها الواقفون، وتبعثرت محتوياتها، فلم يصلنا من خزائن جوامع الأصفية، والمصرف، والحاج أمين الباجه جي، والحاج نعمان الباجه جي، والعاذلية الكبير، والسيد سلطان علي، ومُنور خاتون، وعاتكة خاتون، وخضر بك، والحاجة هَيَّيت خاتون، والغرابية، و حسين باشا، والداوودية، و نائلة خاتون، وعمر السهورودي، والأحمدية، وغيرها، إلا القليل، أو وصلتنا أسماء تلك الخزائن فحسب دون محتوياتها.



سوق للكتب في بغداد

ومن المؤكد أنه كان لجميع تلك الخزائن فهارس تقيّد فيها عناونات كتبها، حفظاً لها من الضياع والتبدد، إلا أن يد الحدّثان امتدت إليها هي أيضاً فأفنتها أو أخفتها هنا أو هناك، ولا شك في أن دراسة تلك الفهارس- لو وجدت- من شأنها أن تقدم فوائد جمة لدارسي تاريخ الحركة العلمية والثقافية في العراق، بما تكشف عنه من

الاهتمامات الثقافية لطلبة تلك العهود، وأنواع ما كانوا يتلقونه من مناهج، وطبيعة ما يرجعون إليه من مصادر. كما أنها، من ناحية أخرى، توضح حدود ذلك الزاد الثقافي في المهم الذي اغتذت هذه المدينة منه على مر الأحقاب، وتوضح لنا عنوانات كتب قيمة، احتوت عليها هذه الخزانة أو تلك، ثم فقدت أو تفرقت في خزائن الخافقين، وتزيد معلوماتنا عن الكتب، عناوينها، ومؤلفيها، وشرائحها، ومُحشّيها، مما يمكن أن يشكل استدراقات إضافية على الببليوغرافيات المؤلفة في هذا المجال.

أولاً: وقفية كتب سليمان باشا على جامع جديد حسن باشا

ومن الوثائق المهمة التي تُعد أنموذجاً لوقفيات الكتب في بغداد في العصر العثماني، ووقفية والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير⁽¹⁾، المؤرخة في 7 ذي الحجة سنة 1197هـ/1782م فقد وقف بموجبها خاناً قرب السراي ودكاكين عديدة وخانين في بغداد، وحمّامين في قسبة حضرة الإمام الحسين وعلوة متصلة بالسبيل خانة مع مخازنها الخمسة المحدودة بتكية البكتاشية⁽²⁾، على مصالح جامع جديد حسن باشا،

(1) هو سليمان باشا المعروف بالكبير، (وبالتركية بِيوك) بدأ حياته متسلماً مملوكاً لمحمد أفندي المارديني متسلم ماردين، ثم رحل إلى بغداد ملتحقاً بخدمة سميّه سليمان باشا أبي ليلة أول ولاية الماليك، وبرزت مكانته في عهد عمر باشا، فعينه هذا متسلماً للبصرة غير مرة في السنوات 1177-1190هـ/1763-1778م) وأثرت عنه إصلاحات مهمة فيها، كما أدى دوراً كبيراً في الدفاع عن البصرة في أثناء حصار الزنديين لها، وأشاد بذكره المؤرخون، ونال سليمان منصب ولاية بغداد بعد خروج حسن باشا منها سنة 1191هـ/1780م، حيث دام حكمه 22 سنة، استطاع خلالها القيام بأعمال عمرانية مختلفة ذات نفع عام، منها، عدا ما تناولناه في هذا البحث، إعادة بناء جامع الخلفاء (جامع القصر القديم في العصر العباسي) وتجديد عدة جوامع ببغداد، وقيامه بأعمال عمرانية واسعة في المدن والقصبات العراقية خارج بغداد، و توفّي سنة 1207هـ/1802م. ينظر رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت بلا تاريخ، ص154 وعثمان بن سند: مطالع السعود، بتحقيقنا، بيروت 2009، ص93-100، 105-109، 182-217، 248، 275، 281، 220-240، 521-538. وعبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، بتحقيقنا، بغداد ط2/ 1987، وسليمان فائق: مرآة الزوراء، نشر بعنوان (تاريخ بغداد)، ص15 وتاريخ جودت، استانبول 1303، ج2 ص92 وياسين العمري: غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد 1969ص189، والدر المكنون، مخطوط، وزبدة الآثار الجليلة، بتحقيقنا، دمشق 2017 ص34، 104، 107، 115، 118، 120، 125، 165، وروضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار، بتحقيقنا، بيروت 2011، ص40-43.

(2) ورد التعريف بهذه الاماكن في وقفية المدرسة السليمانية. وينظر كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط:2، بغداد 2016، ص504 .

المقابل لسراي بغداد، وكان قد وقف في وقفية تالية، مؤرخة في سنة 1196هـ/1781م، مجموعة كبيرة من الكتب على هذه المدرسة، وتثير هذه الوقفية جملة من الملاحظات سنعرضها على النحو الآتي:

1- الوقفية في أصلها وثيقة رسمية من النوع المسمى (بيور أولدي) وهي الأوامر التي تصدر عن الولاة في الشؤون المختلفة، ولكنها تحمل في أول مقدمتها مُصادقة قاضي بغداد فيض الله أفندي، وفي آخرها أسماء الشهود، وهم ستة من علماء وأعيان بغداد، وتتضمن الفدلكة الفقهية التقليدية في وقفيات ذلك العصر، والمتمثلة بالخصومة الشكلية عند القاضي بين الواقف وبين المتولي الذي عينه، وهو دفتردار بغداد السابق عبد الله بك، بشأن رجوع الواقف عن وقفه، على أساس رأي بعض الفقهاء بعدم جواز وقف المنقول، وتمسك المتولي برأي فقهاء آخرين بجوازه، وإقرار القاضي الرأي الأخير، فأصبح للبيورلدي حكم الوقفية.

2- اختار الواقف وكيلاً عنه لمراجعة المحكمة من فئة المماليك الذي قُدِّر لهم حكم بغداد في ذلك العصر، كان يتولى وظيفة (دفتردار) بغداد سابقاً، وهو منصب كبير يعنى صاحبه بحفظ سجلات الأراضي وتدقيقها. وقد وكل هذا عنه لطف الله أفندي كاتب الديوان⁽¹⁾.

3- إن الشهود الذين اختارهم الواقف هم :

أ- الحاج سليمان بك الشاوي⁽²⁾

(1) هو ابن ولي أفندي كاتب الديوان الكركوكي الأصل البغدادي الموطن، ترجم له عبد القادر الشهراباني، وأثنى على علمه وأدبه، وعين تاريخ ولادته في سنة 1161هـ/1748م وذكر له أنموذجات من شعره بالتركية، منها قصيدة يمدح فيها والي بغداد سليمان باشا الكبير. تذكرة الشعراء، الأصل الكامل بتحقيقنا، ص356-361، ومختصره بتحقيق أنستاس ماري الكرمللي ص43. وقال محمد أمين السهروردي في ترجمته «له مجلس علم وأدب، كثير الكتب، ذا ولع بجمعها» نزهة الأدباء، بتحقيقنا، دمشق 2015.

(2) هو سليمان بن عبد الله بن نصيف بن شاوي، ولد ترجيحاً في العقد الرابع من القرن الثاني عشر للهجرة، ونشأ ببغداد، ودرس على كبار شيوخها، حتى صار يعد من علمائها البارزين، والشعراء المجودين، وألف تصانيف أدبية ونحوية مهمة، نال لقب بك وظهر دوره السياسي بعد أن قتل عمر باشا والي بغداد أباه عبد الله بك غدرا سنة 1187هـ/1769م، فثار عليه، واشترك معه أخوته، ولبثت نتائج هذا الحادث مجهولة، والظاهر أنه لبث خارجاً على الحكومة حتى مقتل عمر باشا نفسه، وبعد ذلك أخذ باستعادة دوره في شؤون الحكم، وكثرت عليه الدسائس حتى

ب- مفتي الحنفية

ت- مفتي الشافعية

ث- نقيب الأشراف في بغداد

ج- إمام جامع الامام الاعظم ابي حنيفة

ح- خضر بك⁽¹⁾

خ- حبيب الشاوي⁽²⁾

فهؤلاء هم نخبة من أعيان بغداد وعلماؤها، ومما يلفت النظر أن الواقف جعل ترتيبهم على غير القاعدة البروتوكولية في ترتيب أمثالهم، حيث جعل أولهم هو الحاج سليمان بك الشاوي، وكان الأولى تقديم النقيب أولاً، أو في الأقل المفتيين، لكونهما من فئة العلماء، ولا يدل ذلك إلا على المكانة الفريدة التي كان يحتلها سليمان بك الشاوي في سراي بغداد، وقريه من سليمان باشا.

4- إن الوقفية تضمنت ملحقاتاً كبيراً بعنوانات الكتب الموقوفة، واللافت للنظر أنها تتألف من ثلاث مجموعات يبلغ عدد مجلداتها 427 مجلداً، هي:

الأولى: تتألف من 372 مجلد، كل مجلد يتضمن مخطوطاً مستقلاً، وثمة مجلدات عدة تؤلف كتاباً واحداً، بينما توجد أخرى تضم أكثر من كتاب، وهي نادرة. ولا تذكر الوقفية مصدر هذه المجموعة، على خلاف المجموعتين الأخريين.

الثانية: تتألف من 26 مجلداً، ذكر في أولها أن الواقف اشتراها من (خليفة الروزنامه جي أحمد أفندي). وتضم هذه المجموعة مجلدين، أولها صحيح البخاري،

أغتيال من طرف والي بغداد سليمان باشا المذكور سنة 1209هـ ينظر عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص84 ومحمد سعيد السويدي: ورود حديقة الوزراء ص98-104، 107، 126-132، 139-147، ودوحة الوزراء ص142 و194 و198 ومطالع السعود ص106 و142 و150 و205 و229-241-244 و277 و279 و284 وروضة الاخبار في ذكر أفراد الأخيار، ص32، 44-49، وزبدة الآثار الجليلة ص118، 123، 165 والسهروردي: لب الأبواب ص178-181 ومجلة لغة العرب، بحث لعباس العزاوي ج9 ص104، 491.

(1) هو خضر بك بن عبد الله جلبي بن احمد جلبي من آل عبد الجليل أمراء الحلة في القرن الثاني عشر للهجرة، وقد تولى هو حكمها من 1162 إلى 1172هـ.

(2) هو حبيب بن عبد الله الشاوي اخو سليمان المذكور شاهدا في هذه الوقفية.

والآخر شرح المطالع، أهدهما الملا خليل الموصلبي، ولم نقف على هويته بين معاصري سليمان باشا.

الثالثة: تتألف من 27 مجلداً، ذكر في أولها أن الواقف اشتراها من (الحاج إبراهيم) ولم يزد بذكر اسم أبيه ولقبه، فلم تتيسر لنا معرفته.

5- يغلب على الكتب الموقوفة علوم العقائد والمنطق والحكمة وهي ما كان يُعرف بالعلوم العقلية، ثم علوم الحديث والفقه والعربية، وهي ما عُرف بالعلوم النقلية، هذا مع كتب متفرقة في العلوم الأخرى كالفلك والطب لا سيما في المجموعتين الأخيرتين.

6- من الواضح أن فهرسة المجموعات الثلاث هي من إعداد رجل واحد، له علم بصناعة الكتاب، وبشكل عام فإن هذه الفهرسة تتضمن مجموعة من البيانات تقرب ان تكون من عناصر الفهرسة الحديثة للمخطوط، هي:

أ- عنوان الكتاب، وفي الغالب فإنه يُثبت من هذا العنوان اسمه المختصر، أو شهرته بين أيدي العلماء والطلبة، مثل (المصباح) و(الإيضاح) و(الكشاف) و(قاموس) دون أن يذكر العنوان كاملاً، فهذا هو الذي جرت عليه العادة عصر ذلك.

ب- اسم المؤلف، وقد توخى فيه الإختصار على السياق نفسه، مثل (بيضاوي) و(خيالي) و(باقلاني).

ج- حجم الكتاب، كقوله (صغير) و(كبير) و(كامل) و(الرُبع) و(الثُمن) أو (كامل) والراجح عندنا أنه يقصد بالورقة الكبيرة ما كان يعرف بالقطع البغدادي الكامل، وعرضها ذراع واحد، وطولها ذراع ونصف، وقطع النصف هو نصفها، والرُبع رُبعها، والثمن ثمنها. ولكنه نوه بنوع من المساحات هو (الوزير) وتبلغ مساحته 24×16 سم، و(الوزير الخفيف) ولعله هو ما يعرف بالوزير الصغير، وتبلغ مساحته 22×14 سم⁽¹⁾، ونحو ذلك.

د- وصف الخط أحياناً كقوله (بخط حسن) و(خطه جميل)، دون تعيين نوع الخط.

هـ - نوع الغلاف ولونه، كقوله (خفيف) و(مقوى)، (من الإبري) وهو ورق رقيق ملون، و(أحمر) و(أصفر) و(أخضر) و(أبيض)، و(أحمر وأطرافه أسود) و(غلاف أسود واحمر مع اطار) و(غلافه قطيفة)، و(غلافه من الروغن) وهو الجلد اللامع.

(1) أحمد شوقي منين ومصطفى طوبي: معجم مصطلحات المخطوط العربي، الرباط 2006 ص113.

و- زينة الكتاب، كقوله (مُجَدَّوْل بالذهب) و(مُجَدَّوْل بالسرخ) وهو اللون الوردى،
(وَمُجَدَّوْل بالزعفران) وما إلى ذلك من أوصاف.

ز- الكتب المؤلفة من عدة مجلدات يذكر بأي باب يبتدئ المجلد وبأي باب ينتهي،
ولا يذكر لغة الكتاب إلا في حالة أن يكون بغير العربية، وهي الفارسية حصراً.

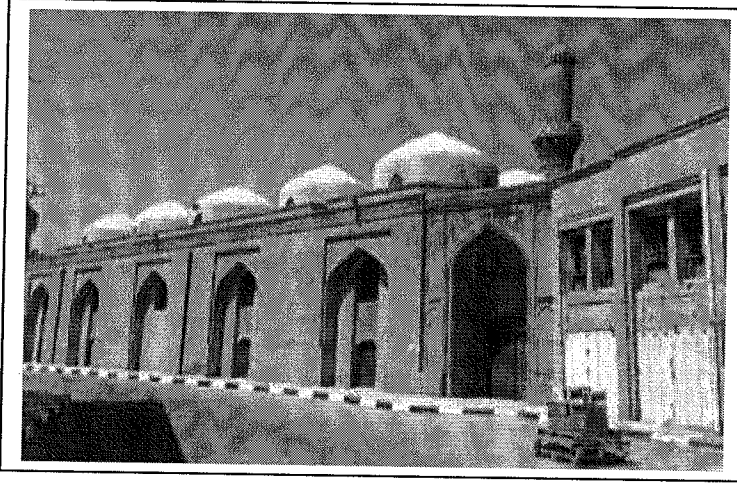
ح- عيوب الكتاب كقوله (ناقص من أوله).

ط - عدد مجلداته أو أجزائه.

7- وقف سليمان باشا هذه الخزانة على المدرسة الملحقة بجامع السراي المسمى
بجديد حسن باشا بعد أن قام بتجديد الجامع وتعميره، وكان هذا الجامع في أصله
مسجداً أنشأه الخليفة الناصر لدين الله في أواخر القرن السادس للهجرة، ثم قام
بتجديد بنائه السلطان سليمان القانوني فعرف بالجامع السلیماني نسبة إليه، ثم أعاد
بناؤه على نحو شامل والي بغداد الوالي حسن باشا (1116-1136هـ/1704-1723م)
فسمي بجامع جديد حسن باشا، تمييزاً عن جامع آخر أنشأه من قبل من يُدعى
الوزير حسن باشا بن محمد باشا الطويل سنة 1008هـ/ 1518م، وتشير الوقفية إلى
أن سليمان باشا قام بإنشاء هذا الجامع وتعميره، وفي الواقع فإن عمله اقتصر على
التعمير لأنه كان موجوداً قبله كما يدل اسمه، أما «المدرسة الشريفة» الواقعة داخل
الجامع فيحتمل أنها المدرسة التي أنشأها السلطان سليمان القانوني ونسبت إليه في
أثناء إعادة عمارة الجامع في القرن العاشر للهجرة، أو أن تكون منسوبة إلى سليمان
باشا المذكور نفسه، لأننا وقفنا في مكتبة الأوقاف ببغداد على نسخة بالتركية من
مخطوطة (جامع الأنوار في تراجم الأبرار) من تأليف المؤرخ البغدادي مرتضى نظمي
زاده، كتب عليها أنها من أوقاف سليمان باشا على المدرسة السلیمانية في سنة
1198هـ/1783م، وإذ سبق هذا التاريخ تأسيس سليمان باشا المدرسة السلیمانية
بست سنوات، فمن الراجح أن المقصود بها مدرسة أخرى حملت الاسم نفسه.

8- نص الواقف على أن الغاية من وضع كُتبه في هذه المدرسة أن «يطالعتها
ويستفيد منها طلاب العلم»، أي طلبة المدرسة المذكورة، وأن تكون خزانة الكتب هذه
«بمعرفة ونظارة فخر المدرسين أحمد أفندي بن محمد أفندي»، وهو الذي كان يتولى
التدريس في المدرسة، ولا نملك ترجمة لهذا المدرس، إلا أنه من الراجح من لقبه أن يكون
أحد مدرسي بغداد البارزين، أهله علمه أن يوئى مهمة التدريس في هذا الجامع المهم.

9- ان تاريخ الوقفية هو 22 ل (شوال) من سنة 1196هـ/29 ايلول 1787م، أي بعد اربع سنوات من تاريخ تولي سليمان باشا بغداد سنة 1192هـ/1783م، ومعنى ذلك أن تعمير الجامع ومدرسته وجمع الكتب ووقفها كان في بدايات حكمه، الذي امتد حتى سنة 1217هـ/1802م . ولم تكن هذه الخزانة هي الوحيدة بين مبرّاته العلمية، فقد أنشأ في سنة 1207هـ مدرسة مستقلة سميت (المدرسة السليمانية) سيرد الكلام عليها فيما يأتي. وأعاد بناء جامع الخلفاء الذي يرقى إلى العصر العباسي، وجامع القبلانية، وجامع الفضل⁽¹⁾.



جامع السراي في بغداد جده سليمان باشا

وفما يأتي نص هذه الوقفية:

صورة بيورولدي الوزير المكرم سليمان باشا تسجيل الكتب الشريفة المحررة في السجل مع وقفيتها في موضعها وتبقى في يده في 22 ل سنة 1196

[مصادقة القاضي]⁽²⁾

حكمتُ بصحة وقف هذه الكتب المرسومة أسمائها في هذا الطرسي، وحكمتُ بلزوم هذا الوقف في ضمن دعوى صحيحة صدرت من المتولي والواقف، وأنا الفقير اليه -جل شأنه- فيض الله القاضي بمدينة بغداد المحروسة عُفى عنه .

(1) ومن اعماله العمرانية الاخرى خارج بغداد، تعميره بلدة كوت العمارة، وسورها، وتعمير أسوار البصرة، وبلدة الزبير، والحلة، وماردين، وأنشأه قلعة قرب الموصل. مطالع السعود ص339-341.

(2) هذه العنوانات المحصورة بين معقوفات من وضعنا .

[مقدمة الوقفية]

حمدٌ موفور، وثناءٌ غير محصور، الى فاطر جميع الأمور، وباعث من في القبور، والواقف على ضمائر بني آدم، وكاشف سرائر العالم، والى أعتابه المقدسة أليق وأحرى، والذي جعل قلوب المؤمنين مزينة ومحلاة بأنوار الكتب الالهية، وجعل عيون المسلمين مكملة ومحللة بكل الهداية الذهبية القدسية.

ومئات الألوف من الصلوات والتسليمات إلى الروح المفتوحة⁽¹⁾ لمصباح الوجود، ومفتاح دفائن السخاء والوجود، أعني به كزيدة⁽²⁾ الأنبياء، وقدوة الأولياء، الرسول المُجتبى محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، الذي نظام العالم وانتظام أحوال بني آدم، قائم على شرعه ودائمه. وعلى آله وأصحابه وأولاده وأحبابه، الذين كل منهم وقف وجوده لحفظ الكتب الالهية، وبذل المجهود في ضبط الأحاديث النبوية، وأصبحوا متولى جهات الدين، والناظر الشريف لسيد المرسلين في تشييد الدين، وتبيين الطريق المبين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وبعد، فإن الباعث على تحرير وتسطير هذا الكتاب المُستطاب، الصحيح النصاب، وهذا الخطاب النزيه النصاب، هو أن والي بغداد والبصرة الحالي، الدستور المكرم، المشير المفخّم، نظام العالم، مدير أمور الجمهور والأمم، رافع أعلام العدل والإنصاف، دافع ظلام الظلم والإعتساف، آصف دوران الظلام، باسط الأمن والأمان، ناموس السلطنة القاهرة، ناطور الخلافة الباهرة، حادي المعالي والمآثر، جامع أنواع المكارم والمفاخر، المحفوف بصنوف الملك العلام، حضرة سليمان باشا، يسر الله تعالى له من الخير ما يشاء، ولا زالت آيات عزه وجلاله في صفحات الأيام والشهور مسطورة، ورايات مجده وإقباله في طبقات الأعوام والدهور منشورة، قد وكل عنه الوكيل الشرعي قدوة الأمثال والأوان، شرف الصدور والأعيان، مقبول به أهل الديوان، صاحب الفهم والإذعان، صاحب النجابة، لطف الله افندي، الذي أقر، حسب وكالة موكله المذكور، في مجلس الشرع الشريف الأنور، بحضور المتولي المنصوب، والمُعَيّن لأجل التسجيل الشرعي للوقف الآتي بيانه، عمدة أرباب التحرير والقلم، وزيدة أصحاب التسطير والرّفم، دفتردار بغداد السابق، صاحب النجابة عبدالله بك، الثابت

(1) كذا في الاصل وربما كان الصحيح (المنفوحة).

(2) كزيدة فارسية بمعنى المختار.

توليته بشهادة فخر الأماجد والأكابر، سعادة الحاج سليمان بك الشاوي، وفخر الأماثل والأكارم، صاحب النجابة خضر بك، أقرراً تماماً، منشئاً الكلام قائلاً: إن من الملاحظ بعين الاعتبار، أن هذه الدنيا ظالمة ولا أمان لها ومصيرها الفناء، ولذا فإن مؤكلي صاحب الخيرات والمبررات، الوزير المشار إليه، قد وقف وحبس في حالة كون تصرفاته الشرعية نافذة، كُتِبَ التفاسير الشريفة، وكتب الأحاديث النبوية، والكتب الفقهية المعتمدة، و الكتب العربية المجلدة بجلد نفيس وبالغلة .مجلدا وكذا مجلداً، المحررة في صفحات أخرى التي هي منسلكة في سلك ملكه الصحيح، واشتراها من أطيح أمواله، وهي الكتب المحررة في ذيل هذا الدفتر الموقع عليه والمختوم.

[شروط المكتبة]

وقد اشترط مؤكلي أن توضع الكتب المذكورة في المدرسة الشريفة الواقعة داخل جامع جديد حسن باشا مقابل السراي، والذي أنشأه وعمّره مجدداً، ليطلعها ويستفيد منها طلاب العلم بمعرفة ونظارة فخر المدرسين هذا، فضيلة أحمد أفندي بن محمد أفندي الذي يقوم بالتدريس في المدرسة المذكورة لطلبة العلوم. وقد اشترط لزوم عدم إخراج الكتب المذكورة النفيسة من مكتبتها الى الجامع او الى الخارج قطعاً، وكذلك عدم إخراج الكتب الأخرى المبيّنة أدناه من الجامع، وإذا راجع أي أحد بشأن الكتب المذكورة، وطلب مطالعتها، فان[ه] لا يُمنع من ذلك، مع عدم إدخار الوسع في انتفاع الناس بها، بشرط استعارتها ورهنها، وعدم تبديلها أو تغييرها .

[المصادقة على الوقفية]

ويعد التصديق المعتمد فإن مؤكلي المشار إليه، وجه كلامه الى مسمى آخر قائلاً: إن وقف الكتب التي هي من قبيل المنقولات أمر غير جائز لدى بعض الفقهاء، وغير لازم، ولذا شرعت بالرجوع عن الوقف وأطلب إعادة الموقوفات الى ملكية مؤكلي، وذلك حسب وكالتي، وأطلب تنبيه المتولي الى رفع يده عن الكتب المذكورة وتسليمها إلي حسب وكالتي. وتصدى المومى اليه الى الإجابة الصائبة عليه قائلاً: ولو أن هذا الوقف غير جائز وغير لازم لدى بعض الفقهاء الكرام، ولكنه صحيح لدى بعض المشايخ، وصحته تستلزم اللزوم، ولذا فإنني لممتنع عن التسليم. وترافع الطرفان في حضور حضرة الحاكم موقّع صدر الكتاب -طوبى له وحسن مآب- وطلب الفصل وحسم النزاع، وإن الحاكم المومى اليه - أسبغ الله نعمه عليه - حكم على قول من يراه بصحته ولزوم الوقف المذكور، حكماً صحيحاً شرعياً، فمن بدّله فإنما إثمه على

الذين يبدلون، وإن الله سميع عليم. تحريراً في الثالث والعشرين من جمادى الأولى لسنة ست وتسعين ومائة والف.

شهود الحال: فخر الأماثل والأوان سعادة الحاج سليمان بك الشاوي
فخر العلماء الكرام مفتي الحنفية فضيلة إسماعيل افندي
فخر العلماء الكرام مفتي الشافعية فضيلة محمود افندي
فخر السادات فضيلة وسيادة السيد عبد الرحمن أفندي نقيب الأشراف
إمام عتبة الأعظمية⁽¹⁾ درويش افندي
كليدار عتبة الأعظمية عبد الله افندي الراوي
فخر الأوان خضر بك
فخر الأوان حبيب بك الشاوي.
الكتب الموقوفة من قبل سليمان باشا⁽²⁾

- 1- قرآن عظيم الشأن، حجم صغير مُجدول، ويخط حسن جلد 1.
- 2- تفسير البيضاوي، أوائله مُحسَّن حجمه وزيري، جلد 1.
- 3- تفسير معالم التنزيل، حجمه ربع وزيري، ومحلّى بالذهب، جلده أسود، ومغلف، جلد 1.
- 4- تفسير الكشاف، مجدول، حجمه نصف كامل، ومُذهَّب، جلد 1.
- 5- صحيح البخاري الوافي، مكتوب بماء الذهب، حجمه ربع كامل، جلد 1.
- 6- صحيح مسلم، حجمه كامل، مجدول بالسرخ، كامل، جلد 1.
- 7- صحيح مسلم، كامل آخر، حجمه ربع، جلد 1.
- 8- تفسير البيضاوي، حجمه وزيري، مجدول بالذهب، جلد 1.
- 9- مصابيح شريفه كامل حجمه وزيري. مجدول بالذهب جلد 1.
- 10- مصابيح شريف، حجمه كامل، جلد 1.

(1) يقصد جامع الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان.
(2) اضفنا الارقام التسلسلية التي تتقدم عنوانات الكتب .

- 11- مشكاة المصابيح، حجمه كامل خفيف، جلد 1.
- 12- حديث اربعين، حجمه صغير، نصف ربع، جلد 1.
- 13- شرح المصابيح السنة للقاضي البيضاوي، حجم صغير وزيري، مجدول بالذهب، جلد 1.
- 14- شرح اربعين لابن حجر، حجمه كامل خفيف، جلد 1.
- 15- شرح السنة، تأليف الإمام بغوي. جلده من المقوى، حجمه ربع، جلد، جلد ثاني في نهاية ابن الأثير، حجمه ربع، غلافه أحمر، جلد 1
- 16- تنبيه الانام في بيان علوم سيد الأنام. حجمه ربع، جلده أسود، مجدول بالذهب، جلد 1.
- 17- أذكار نووي، جلده اسود، حجمه ربع، جلد 1.
- 18- زبدة البيان في تفسير القرآن، حجمه وزيري، مجدول بالذهب، خط جميل، الى سورة النجم، غلافه احمر، جلد 1.
- 19- تفسير بالتركية، غرابيزاده، حجم وزيري كامل، مجدول بالسرخ، غلافه أسود، جلد 1.
- 20- حاشية الطيبي على الكشاف، من سورة آل عمران الى سورة مريم، بالفارسية، حجمه ربع، كامل، غلافه أصفر، جلد 1.
- 21- حاشية الكشف على الكشاف، حجمه ربع كامل، غلافه أحمر، جلد 1.
- 22- حاشية عصام الدين علي البيضاوي، حجم وزيري، فلدي حباري، جلد 1.
- 23- أسباب نزول القرآن، حجم خفيف، غلاف احمر، جلد 1.
- 24- حاشية سيد شريف على الكشاف، حجم صغير وزيري، غلافه احمر، جلد 1.
- 25- الجزء الاول من تفسير حسين الكاشفي، حاشية سيد شريف على الكشاف حجم صغير وزيري غلافه احمر جلد 1.
- 26- الجزء الاول من تفسير حسين الكاشفي لسورة الفاتحة، مجدول، حجمه ربع كامل بدون غلاف مجلد 1، الفارسية.
- 27- حاشية بهاء الدين عاملي على البيضاوي، بالفارسية، مجدول، حجمه ربع كامل بدون غلاف، مجلد 1.

- 28- حاشية بهاء الدين عاملي على البيضاوي، بالفارسية، حجمه صغير، غلافه احمر جلد 1.
- 29- أيضاً حاشية بهاء الدين علي البيضاوي، حجمه وزيرى، غلافه أسود، جلد 1.
- 30- تفسير مشكل القرآن، مجدول بالزعفران، حجمه ربع، غلافه أحمر، جلد 1.
- 31- دُرر العزيز، حجمه ربع كامل، وزيرى، غلافه أحمر، جلد 1.
- 32- ابراهيم حلبى، كبير الحجم وزيرى، غلاف احمر مُذهَّب، مجدول بالسرخ، جلد 1.
- 33- فتوى البزازى، حجمه كبير، كامل. غلافه احمر جلد 1.
- 34- الملا مسكين، شرح كنز الدقائق، حجمه وزيرى صغير، غلافه أسود، جلد 1.
- 35- ملتقى الأبحر، حجمه صغير وزيرى، غلافه أسود، جلد 1.
- 36- باقلانى، شرح الملتقى، مجدول بالذهب، غلافه من الروغن، حجمه وزيرى. جلد 1.
- 37- ابراهيم قره مانى، مجدول بالذهب، حجمه وزيرى، غلافه أسود. جلد 1.
- 38- الأشباه والنظائر، مجدول بالسرخ، ربع، غلافه مقوى. جلد 1.
- 39- الجزء الاول من جوهرة شرح القدورى، من كتاب الطهارة الى كتاب المساقاة، بالفارسية، حجمه ربع، كامل، مجدول بالسرخ، غلافه أحمر، جلد 1.
- 40- الجزء الثانى من الجوهرة من كتاب النكاح الى كتاب الفرائض، حجمه ربع، كامل، وزيرى، غلافه احمر، جلد 1.
- 41- شرح مجمع البحرين لابن ملك، حجمه كامل، غلافه أحمر، جلد 1.
- 42- فتوى أبو السعود الاسكوي، حجمه كامل، غلافه احمر، بالفارسية، جلد 1.
- 43- الجزء الاول من فتاوى الهندية من كتاب الطهارة الى كتاب القضاء، بالفارسية، مجدول بالذهب، حجمه كامل، غلافه أحمر، جلد 1.
- 44- الجزء الثانى من فتاوى الهندية من كتاب الشهادات الى الفرائض، بالفارسية، مجدول بالذهب، حجمه كامل، غلافه أحمر وأطرافه أسود، جلد 1.
- 45- مقدمة ابي الليث، غلافه أسود، حجمه ربع كامل، جلد 1.
- 46- الجزء الأول من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيرى، مجدول بالسرخ، من كتاب الطهارة الى اخر كتاب الحج غلافه أحمر، جلد 1.

- 47- الجزء الثاني من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيرى، مجدول بالسرخ، من كتاب النكاح الى اخر كتاب، غلافه احمر جلد 1.
- 48- الجزء الثالث من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيرى، من كتاب الدعوى، مجدول بالسرخ، غلافه أحمر، جلد 1.
- 49- الجزء الرابع من كشف الرمز في شرح منظومة الكنز، حجمه كامل، وزيرى، غلافه احمر، من كتاب الاقرار الى كتاب الفرائض، مجدول بالسرخ جلد 1.
- 50- فتاوى قاضيخان، حجمه ربع، غلافه احمر جلد 1.
- 51- فتاوى قاضيخان، حجمه كامل، وزيرى، مجدول بالسرخ، غلافه احمر جلد 1.
- 52- شرح العيني على كنز الدقائق، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 53- الجزء الاول من منح غفار، حجمه كامل، غلافه احمر، مجدول بالسرخ، من كتاب الطهارة الى آخر كتاب الوقف، 1.
- 54- كتاب هداية وفقه، حجمه ربع، غلافه أحمر، جلد 1.
- 55- فتاوى اسكوبي افندي، حجمه ربع، غلافه احمر، جلد 1.
- 56- شرح شرعة الاسلام، حجمه كامل، أسود، خفيف، جلد 1.
- صدر الشريعة، حجمه ربع كامل، غلافه أحمر، محشى، جلد 1.
- 57- كنز الدقائق، حجمه كامل، وزيرى، غلافه احمر، جلد 1.
- 58- الدقائق ايضاً، حجمه ربع كامل، وزيرى، غلافه أسود، جلد 1.
- 59- البرذوي في اصول الفقه حجمه ربع غلافه مقوى جلد 1.
- 60- البرذوي في اصول الفقه ايضاً حجمه دون الربع غلافه اسود جلد 1.
- 61- صدر الشريعة ايضاً حجمه دون الربع غلافه احمر جلد 1.
- 62- فتاوى علي افندي شيخ زاده حجمه ربع غلافه احمر جلد 1.
- 63- مبرة الفتاوى حجمه ربع وزيرى غلافه اسود جلد 1.
- 64- تحفة المبتديء حجمه صغير مجدول بالذهب غلافه احمر جلد 1.
- 65- درر المختار في شرح تنوير الابصار، مجدول بالذهب، حجمه ربع، وزيرى، غلافه احمر، ومغلف بالأسود، جلد 1.

- 66- فتاوى انقروي، حجمه كامل وزيري، مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.
- 67- الجزء الاول من الخلاصة، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 68- المختار حجمه ربع خفيف، غلافه مقوى، جلد 1.
- 69- فتاوى علي افندي، حجم كامل وزيري، غلافه اسود، جلد 1.
- 70- شرح الوقاية برجندي، حجمه دون الربع، جلده اخضر، مجدول بالسرخ، جلد 1.
- 71- الجزء الاول من الملتقط، حجمه ربع وزيري خفيف، مجدول بالسرخ، جلد 1.
- 72- قاموس، حجمه كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 73- صحاح الجوهرى، حجمه وزيري، غلافه اسود، جلد 1.
- 74- اختري، حجمه دون الكامل، غلافه احمر، مجدول بالسرخ، جلد 1.
- 75- كنز اللغة، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 76- مغرب اللغة، حجمه دون الربع، ثخين، غلافه احمر، جلد 1.
- 77- حياة الحيوان، حجمه دون الكامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 78- ديوان الادب في فنون العرب، حجمه ربع كامل، غلافه اسود، جلد 1.
- 79- المسنطرف، حجمه وزيري، مجدول بالذهب، غلافه اسود، جلد 1.
- 80- سير التي برؤماق (بالتركية معناه: سيرة ذو الاصابع الستة) حجمه وزيري، غلافه اسود، مجدول بالذهب، جلد 1.
- 81- الجزء الاول من الفتوحات المكية، مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.
- 82- الكبريت الاحمر في التصوف، حجمه كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 83- ترجمة قانون الطب، حجمه كامل وزيري، غلافه احمر، جلد 1.
- 84- شرح المواقف حجمه ربع كامل غلافه احمر جلد 1.
- 85- أربعين حديث نووي، مع شرح، حجمه صغير، غلافه احمر، جلد 1.
- 86- شرح المنادى على الجامع الصغير، حجمه كامل وزيري، غلافه احمر، جلد 1.
- 87- الصواعق المحرقة، حجمه دون الربع، غلافه صغير وردي، جلد 1.
- 88- درر العز، حجمه ربع وزيري، غلافه احمر، جلد 1.

- 89- شرح المواقف، حجمه ربع كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 90- صحاح الجوهرى، ربع كامل، غلافه اسود، جلد 1.
- 91- الربع الاول من ربيع العبادات، الفتاوى لابن حجر، غلافه احمر، جلد 1.
- 92- الربع الثانى من ربيع المعاملات، فتاوى ابن حجر، احمر، جلد 1.
- 93- الربع الثالث من النكاح وباب آخر في الفتاوى لابن حجر، غلافه احمر، جلد 1.
- 94- عيون الاثر، حجمه كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 95- شرح جامع الصغير، مجدول بالذهب، حجمه ربع وزيرى، غلافه اسود، جلد 1.
- 96- النصف الاول الى النهاية من ابن الاثير، مجدول بالذهب، غلافه احمر، حجمه كامل وزيرى، جلد 1.
- 97- أنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، مجدول بالسرخ، حجمه كامل، غلافه احمر. جلد 1.
- 98- محلي شرح المنهاج، فقه الشافعية، مجدول بالذهب، غلافه احمر.
- 99- منح الغفار، حجمه وزيرى مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.
- 100- الجزء الثانى من منح الغفار، حجمه وزيرى، مجدول بالسرخ، غلافه احمر، جلد 1.
- 101- الربع الاول من تحفة ابن حجر غلافه اسود حجمه ربع جلد 1.
- 102- الربع الثانى من تحفة ابن حجر غلافه اسود حجمه ربع جلد 1.
- 103- الربع الثالث من تحفة ابن حجر غلافه اسود قطيفة جلد 1.
- 104- جامع الرموز شرح الوقاية، حجمه كامل، غلافه احمر، جلد 1.
- 105- فتاوى النقشبندية، غلافه اسود، جلد 1.
- 106- تفسير حسين الكاشفى، حجمه ربع كامل، بالفارسية، جلد 1.
- 107- جلد ثانى ازنجاوى، حجمه ربع كامل، غلافه مقوى، جلد 1.
- 108- الجزء الثانى من حاشية شيخ زاده على البيضاوى، غلافه قطيفة، وزيرى، جلد 1.

- 109- الجلد الثالث من حاشية شيخ زاده على البيضاوي، حجم دون الربع وزيري، غلافه حطاني، جلد 1.
- 110- الجلد الرابع من حاشية شيخ زاده على البيضاوي، حجم دون الربع وزيري، غلافه حطاني، جلد 1.
- 111- الجزء الخامس من حاشية شيخ زاده علي البيضاوي، غلافه وزيري، جلد 1.
- 112- الجزء الاول من شرح شهاب في الشفاء للقاضي عياض، حجم ربع وزيري، غلافه ابيض جلد 1.
- 113- الجزء الثاني من شرح شهاب في الشهاب، حجم ربع وزيري، غلافه احمر، جلد 1.
- 114- الجزء الاول من البدائع، حجم ربع، غلافه اخضر، جلد 1.
- 115- الجزء الثاني من البدائع، حجم ربع، غلافه اخضر، جلد 1.
- 116- الجزء الثالث من البدائع، حجم ربع، غلافه اخضر، جلد 1.
- 117- الجلد الاول من فتح القدير، حجم ربع وزيري، غلافه اسود، جلد 1.
- 118- الجزء الثاني من فتح القدير حجم ربع وزيري غلافه اسود جلد 1.
- 119- حاشية عبد الجبار زاده على الهداية، حجمه ربع وزيري، مجلد بالذهب، غلافه اسود، جلد 1.
- 120- بداية متن الهداية، حجمه دون الربع، غلافه ارغواني، مجلد بالذهب، جلد 1.
- 121- عناية الهداية، ربع كامل، مجلد بالسرخ، غلافه اخضر غامق، جلد 1.
- 122- شرح الخراج لابي يوسف عليه الرحمة، حجم ربع، غلافه اسود، جلد 2.
- 123- القدوري، حجمه ربع، غلافه اسود سادة، جلد 1.
- 124- الجزء الاول من الجوهرة، حجم وزيري، غلافه احمر، جلد 1.
- 125- شرح النخبة لابن حجر.
- 126- شرح مجمع البحرين لابن ملك، حجم وزيري كامل، غلافه اسود، جلد 2.
- 127- سلامي في علم الفرائض، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

- 128- كنز الدقائق، حجم وزيرى كامل، غلاف اسود، جلد 1
- 129- حلى صغير، حجم وزيرى، غلاف مقوى، جلد 1.
- 130- ملتقى الابحر، حجم ربع مقوى، جلد 1.
- 131- الاشباه والنظائر، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 132- شرح الجزوية في علم القراءة، حجم ثمن، غلاف مقوى، جلد 1.
- 133- الطريقة المحمدية، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 134- الفردوس في علم الحديث، حجم ربع، غلاف أصفر، مقوى، جلد 1.
- 135- صدر الشريعة، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 136- جامع الفتاوى، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 137- الشجرة النعمانية، حجم ثمن، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.
- 138- النصف الاول من الدرر، حجم ربع، غلاف اصفر، جلد 1.
- 139- تنوير الابصار، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 140- تلويح شرح التتحيح في علم الاصول، حجم وزيرى كامل، غلاف اسود،

جلد 1.

- 141- الربع الأول من جامع الاصول، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 142- الربع الثامن من جامع الاصول، حجم وزيرى، غلافه احمر، جلد 1.
- 143- درة التاج، حجم ربع كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 144- شرح الشاطبية لابي شامة، حجم وزيرى كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 145- ترتيب زيبا، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 146- تذكرة الأولياء، حجم ربع، مقوى، جلد 1.
- 147- نهاية ابن الاثير في علم غريب الحديث، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 148- الشمائل الشريفة، حجم ثمن مربع، غلافه اسود، جلد 1.
- 149- كنز الدقائق، حجم ثمن، غلاف اسود، جلد 1.
- 150- حجرى على الاشباه والنظائر، حجم ربع، غلاف سرخ، جلد 1.
- 151- نصف مبسوط الرحبي، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.

- 152- النصف الأول من المستخلص في شرح الكنز، حجم كامل، غلاف اسود،
جلد 1.
- 153- شرح الرضي على الكافية، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 154- حاشية الكشف عن الكشاف، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 155- شرح القهستاني، حجم ربع، غلاف اسود، مجلد جلد 1.
- 156- صحيح البخاري، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 157- حاشية عبد الحكيم علي البيضاوي، حجم ربع كامل، وزير، غلافه
اسود، جلد 1.
- 158- شرح الهياكل في علم الحكمة، حجم ربع كامل مربع، غلافه احمر، جلد 1.
- 159- شرح العقائد للملا جلال ومعه حاشية، حجم صغير، وزير، غلاف
احمر، جلد 1.
- 160- شرح النسفية للملا سعد الدين، معه قباني حجم صغير مربع، غلاف
مقوى ابيض، جلد 1.
- 161- شرح الهداية في فن الحكمة، حجم صغير، غلاف مقوى ابري، جلد 1.
- 162- كتاب الدعاء الحسيني في فن الحكمة، حجم كبير كامل، غلاف مقوى
ابيض، جلد 1.
- 163- حاشية فخر الدين سماكي على الهداية، حجم صغير، غلاف مقوى
ابيض، جلد 1.
- 164- شرح حكمة العين، حجم وزير، غلاف اسود جلد 1.
- 165- حاشية ميرزا جان على حكمة العين، حجم صغير، وزير، غلاف مقوى
جلد 1.
- 166- حاشية خفري على شرح التجويد، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 167- شرح اشارات الحكمة، حجم ربع كامل، تأليف الطوسي، غلافه اصفر،
جلد 1.
- 168- تهافت الفلاسفة، حجم وزير، غلاف احمر، جلد 1.
- 169- مفتاح العلوم للسكاكي، حجم وزير، غلاف اسود، جلد 1.

- 170- اطباق الذهب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 171- شرح الهداية آخر، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.
- 172- شرح الضوء، حجم صغير، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.
- 173- ابن الناظم شرح الفقيه، حجم وزيرى، احمر، جلد 1.
- 174- خبيصي، حجم دون الربع، غلاف اخضر، جلد 1.
- 175- لب الالباب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 176- عبد الغفور حاشية شرح جامي، حجم صغير وزيرى، غلاف اسود، مجلد 1.
- 177- حاشية زيارى في الاستعارة، حجم ربع خفيف، غلاف ابيض مقوى، جلد 1.
- 178- حاشية عصام جامي، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 179- الهندي شرح الكافية، حجم دون الربع، غلاف مقوى اخضر، جلد 1.
- 180- عبد الله يزدي، التذهيب، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 181- الحسام الكاتي معه حاشية محي الدين، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 182- جامي، شرح كافية، حجم ربع، غلاف اصفر، مقوى جلد 1.
- 183- المفصل، حجم دون الربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 184- شرح خالد ازهرى، حجم ربع خفيف، غلاف احمر، جلد 1.
- 185- عبد الله يزدي في الخطاب، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 186- شرح شمسية، حجم دون الربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 187- آخر شرح شمسية، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 188- حاشية سيد علي شرح شمسية، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 189- محي الدين علي حسام كاتي، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.
- 190- الخطاب في المطول، حجم صغير، وزيرى، غلاف مقوى، جلد 1.
- 191- سيد المطول، حجم دون الربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 192- المطول، حجم ربع وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 193- شرح مختصر التلخيص معه شرح الاجرومية، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.

- 194- شافية، حجم ربع، غلاف مقوى اخضر خفيف، جلد 1.
- 195- سعد الدين تفتزاني الروض، حجم دون الربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.
- 196- شرح ابنية في علم الصرف، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 197- سيد شرح شمسية، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد .
- 198- جاربردي شرح شافية، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 199- آخر جاربردي في شرح شافية، حجم دون الربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 200- سيد حاشية المطالع، حجم ربع كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 201- عصام وضع، مع شرانشي، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 202- مقولات في الحكمة، حجم دون الربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 203- تذكرة في علم الهيئة، حجم صغير، اخضر، جلد 1.
- 204- شرح حكمة العين، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.
- 205- فتاوى مع برهان، حجم دون الربع، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.
- 206- آخر فتاوى مع برهان، حجم صغير وزيرى، غلاف مقوى، جلد 1.
- 207- عصام استعارة، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.
- 208- سير في المطول، حجم وزيرى، غلاف اخضر، جلد 1.
- 209- مغنى الاكراد، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 210- شرح المفتاح ملا سعد الدين، حجم ربع كامل وزيرى، جلد 1.
- 211- مغنى اللبيب، حجم كامل وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 212- حاشية مغنى اللبيب، حجم دون الربع، غلاف مقوى سرخ، جلد 1.
- 213- آخر مفصل، حجم كامل وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 214- عبد الله يزدي علي الخطابي، حجم صغير، غلاف اصفر، جلد 1.
- 215- اثبات الواجب، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.
- 216- شرح مختصر المنتهى في علم الاصول، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 217- شرح مختصر المنتهى، اوله ناقص، وكذا آخره، حجمه صغير، غلاف اصفر، جلد 1.

- 218- شرح المختصر في المنتهى في علم الاصول، حجم صغير، غلاف اسود،
جلد 1.
- 219- حاشية ابهري على شرح المختصر في علم الاصول، حجم دون الربع،
غلاف مقوى ابيض، جلد 1
- 220- آخر فتاوى مع برهان، حجم صغير وزيرى، غلاف مقوى، جلد 1.
- 221- عصام استعارة، حجم ربع، غلاف مقوى اصفر، جلد 1.
- 222- سيد في المطول، حجم وزيرى، غلاف اخضر، جلد 1.
- 223- مغنى الأكراد، حجم ربع، مقوى ابيض، جلد 1.
- 224- شرح المفتاح ملا سعد الدين، حجم ربع كامل، وزيرى، جلد 1.
- 225- مغنى اللبيب، حجم كامل وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 226- حاشية مغنى اللبيب، حجم دون الربع، غلاف مقوى سرخ، جلد 1.
- 227- آخر مفصل، حجم كامل وزيرى، احمر، جلد 1.
- 228- عبد الله يزدي علي الخطابي، حجم صغير، غلاف اصفر، جلد 1.
- 229- إثبات الواجب، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.
- 230- شرح مختصر المنتهى في علم الاصول، حجم وزيرى احمر، جلد 1.
- 231- شرح مختصر المنتهى، اوله ناقص وكذا آخره، حجمه صغير، غلاف
اصفر، جلد 1.
- 232- شرح المختصر في المنتهى في علم الاصول، حجم صغير، غلاف اسود،
جلد 1.
- 233- حاشية أبهري على شرح المختصر في علم الاصول، حجم دون الربع،
غلاف مقوى ابيض، جلد 1.
- 234- كتاب التبيين في فقه الشافعية، حجم ربع كامل، غلاف مقوى ابيض،
جلد 1.
- 235- الجزء الثالث من انوار الفقه، فقه شافعي، كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 236- جزء أول من شرح المنهاج للسبكي، حجم ربع كامل، غلاف مقوى اصفر،
جلد 1.

- 237- عمالة شرح المنهاج، فقه شافعي، حجم ربع كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 238- مجموعة كتاب في علم الفرائض، مع شرح تعليم المتعلم، و خلاصة الحاجة، جلد 1.
- 239- كتاب الأبواب في علم الصرف، حجم ربع خفيف، غلاف احمر، جلد 1.
- 240- قره بادي شفاء بالفارسية، في علم الطب، حجم دون الربع، غلاف اصفر، جلد 1.
- 241- متن وضعية مع نموذج، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 242- كتاب التقويم في معرفة التتجيم، حجم صغير، اصفر، جلد 1.
- 243- مجموعة رسائل عربي وأدب، حجم ربع كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 244- كتاب فارسي في علم الطب كفاية المنصوري، حجم صغير، غلاف اسود، جلد 1.
- 245- سعد الدين مع خيالي، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 246- شرح منار ابن مالك في علم الأصول، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 247- شرح الفقه الاكبر علي الفارسي، حجم ربع صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 248- حاشية خطائي على المختصر، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 249- غريب القرآن، حجم ربع وزيري، جلد احمر، جلد 1.
- 250- سر الصناعة، حجم ربع كامل، غلاف اسود، مجلد 1.
- 251- الفوائد الغياثية، في علم المعاني والبيان، حجم صغير، غلاف احمر، جلد 1.
- 252- المفصل، حجم ربع، غلاف اسود واحمر مع اطار، مجلد 1.
- 253- هداية الاعتقاد، حجم كامل، غلاف مقوى ابري، جلد 1.
- 254- التحصيل، ربع وزيري، غلاف احمر، جلد 1.
- 255- شرح السراجية، حجم ربع، غلاف اسود، مجلد 1.
- 256- مجموعة كتب ورسائل عديدة، حجم دون الربع، غلاف اصفر، جلد 1.
- 257- الدررة الشنوانة على شرح الاجرومية، غلاف احمر، جلد 1.
- 258- حاشية حلب ازاز، حجم ربع غلاف، مقوى ذهبي، جلد 1.

- 259- درة الفواص، حجم وزيري، غلاف مقوى ذهبي، جلد 1.
- 260- شرح جفميني، حجم ربع، غلاف مقوى مذهب، جلد 1.
- 261- حاشية مصري علي سعد الدين، حجم ثمن، غلاف احمر، جلد 1.
- 262- شرح الآداب للحنفي مع شرح الفتاوى، حجم ثمن، غلاف مقوى ومذهب، جلد 1.
- 263- شرح قطر الندى، حجم ثمن، احمر، جلد 1.
- 264- متن تجريد العقائد، حجم ثمن، غلاف مقوى، جلد 1.
- 265- شرح التهذيب، حجم ربع، غلاف مذهب مقوى، جلد 1.
- 266- إيساغوجي مع حاشية سعد الله حجم، ربع، غلاف مذهب ومقوى، جلد 1.
- 267- شرح مختصر التلخيص، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 268- صحاح الجوهري في اللغة، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 269- نصف تفسير الجلالين، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 270- بيان الناسخ والمنسوخ، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 271- تنوير الأذهان والضمائر شرح الاشباه والنظائر، غلاف وزيري احمر، جلد 1.
- 272- ظواهر الجواهري في الأشباه والنظائر، حجم وزيري، غلاف اسود، جلد 1.
- 273- توضيح أصول الحنفية حجم ربع غلاف مقوى جلد 1.
- 274- شرح المواقف حجم وزيري غلاف احمر جلد 1.
- 275- الجزء الخامس من فتح الباري شرح البخاري حجم وزيري غلاف احمر جلد 1.
- 276- الجزء السابع من فتح الباري، حجم وزيري، احمر جلد 1.
- 277- حاشية حامد، غلاف مقوى، مجلد 1.
- 278- الكشف، حجم كبير، غلاف احمر، مجلد 1.
- 279- صراع مختصر الصحاح حجم وزيري غلاف احمر جلد 1-
- 280- الشفاء في حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، حجم ثمن، غلاف اسود، مجلد 1.

- 281- شرح الشمائل لابن حجر، ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 282- شرح الوقاية لابن ملك، حجم كامل، غلاف اصفر، مجلد 1. (290)
- 283- المطول، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 284- حسن جلبي على المطول، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.
- 285- كُستان، غلاف احمر، مجلد 1.
- 286- ذخيرة الملوك بالفارسية، غلاف احمر، مجلد 1.
- 287- حاشية عصام على البيضاوي، حجم ربع وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 288- شرح المفتاح للعلامة محمود الشيرازى، حجم نصف كامل، غلاف احمر،
جلد 1.
- 289- فتاوى خير الدين، حجم وزيرى، غلاف اسود مجلد 1.
- 290- تحفة المؤمنین في علم الطب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 291- مقامات الحريرى، حجم ربع كامل، غلاف اسود، مجلد 1.
- 292- شرح المقامات للمطرزى، حجم ربع كامل، غلاف اصفر، جلد 1. (300*)
- 293- مغنى اللبيب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 294- إيضاح الاصلاح، حجم ربع، احمر جلد 1.
- 295- حاشية اللارى، حجم وزيرى، غلاف اسود، مجلد 1.
- 296- حاشية مير ابو الفتح على التهذيب، ثمن، غلاف اصفر، مجلد 1.
- 297- حاشية عصام الدين على صدر الشريعة، حجم ربع، غلاف احمر، جلد .
- 298- حاشية يوسف القره باغى شرح الملا جلال، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.
- 299- حاشية المصرى على سعد الدين، حجم ربع وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 300- الوضعية الكبرى، حجم ثمن، اسود، مجلد 1.
- 301- حاشية محي الدين مع القره باغى على حسام كاتى، مجلد 1.
- 302- كتاب الايضاح على تلخيص المفتاح، حجم ربع، غلاف صديدي اللون،
مجلد 1.

- 303- حاشية محمد امين جهة الوحدة مع حاشية ابراهيم خير، غلاف احمر،
حجم ربع، مجلد 1.
- 304- حاشية عبد الله حيدر علي قول احمد، حجم وزيرى، غلاف خفيف
احمر، جلد 1.
- 305- شرح المطالع، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 306- حاشية السيد على شرح المطالع، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 307- حاشية نملية على الخيالي، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 308- المطول، حجم وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 309- شرح ابن النجم على المنار، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 310- حاشية عبد الغفور، حجم وزيرى، غلاف اسود، مجلد 1.
- 311- ايساغوجي، مربع، غلاف اصفر، مقوى جلد 1.
- 312- شرح المختصر، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 313- جامي، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 314- تركيب خالد، نصف ربع، غلاف اسود، مجلد 1.
- 315- شرح التهذيب، حجم وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 316- إثبات الواجب، مربع، غلاف مقوى، مجلد 1.
- 317- ايساغوجي، مربع، غلاف اصفر مقوى، مجلد 1.
- 318- حسن جلبي على المطول، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.
- 319- ابن عقيل شرح الألفية، حجم ربع، غلاف احمر، مجلد 1.
- 320- نسخة بست باب في علم الاسطرلاب، ونسخة فتحية علي قوشجلر في
علم الهيئة، حجم نصف الربع، غلاف احمر، مجلد 1.
- 321- شرح گلشن راز، حجم وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 322- جزء منظومة نهاية، حجم كامل، غلاف اسود، مجلد 1.
- 323- سعدي جلبي علي البيضاوي، حجم وزيرى، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.
- 324- شرح التجريد في علم الحكمة، غلاف احمر، حجم ربع، جلد 1.

- 325- شرح الكافية في علم الصرف، ربع، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.
- 326- الجزء الأول من البخارى قسطلاني، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 327- الجزء الثانى من البخارى قسطلاني، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 328- الجزء الثالث من البخارى قسطلاني، حجم وزيرى، مجلد 1.
- 329- الجزء الرابع من البخارى قسطلاني، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 330- الجزء الخامس قسطلاني علي البخارى، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 331- الجزء الخامس قسطلاني علي البخارى، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 332- شرح المراح، حجم ربع، غلاف اصفر مقوى، جلد 1.
- 333- تفسير كبير آخر، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 334- شرح الصدور في احوال اهل القبور للسيوطى، حجم غلاف احمر، جلد 1.
- 335- شرح امالي لعلي القارى، غلاف اسود، حجم ربع، مجلد 1.
- 336- نخبة الفكر، حديث شريف، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 337- النسفية في العقائد حجم وزيرى غلاف مقوى جلد 1.
- 338- مثير العزم في العقائد، غلاف اسود، جلد 1.
- 339- شرح الألفية للسيوطى، نحو، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 340- الوايف في متن الكايف، فقه، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 341- منبه المصلى، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 342- شرح متن التلخيص للخلخالى، معان وبيان، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 343- الإظهار في النحو، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 344- حل الرموز ومفاتيح الكنوز، حجم وزيرى، غلاف مقوى، مجلد 1.
- 345- شرح خالد، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 346- عيون الاخبار، حديث شريف، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 347- شرح الكنز، الجزء الاول، حجم وزيرى غلاف مقوى جلد 1.
- 348- نزهة القلوب مع رسالة شيخ شهاب الدين، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.

- 349- شرح غزنوي، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 350- شرح برئية ومعه تفسير متشابهان، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 351- كتاب السبعيات، مواعظ، حجم ربع، غلاف اسود
- 352- منهاج القاصدين، مواعظ، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 353- شفاء شريف، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 354- مقدمة ابو الليث، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 355- على القارى شرح حديث الاربعين، حجم وزيرى، غلاف احمر، مجلد 1.
- 356- حاشية على الشمسية في المنطق، حجم ربع، غلاف اسود، مجلد 1.
- 357- لسان الحكام فتوى، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 358- نقض المحصل في علم الكلام، حجمه ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 359- اختلاف المذاهب، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 360- شرح السراجيه فرائض، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 361- الكفاية- فقه- حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 362- تاريخ البلدان، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 363- جواهر الحكم، ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 364- شرح حصن الحصين، حجم ربع، غلاف مقوى، جلد 1.
- 365- المختار، فقه، حجم وزيرى، غلاف اسود، جلد 1.
- 366- جزء من شرح المقاصد، كلام، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 367- شواهد النبوة بالفارسية، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 368- شرح اللمع، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 369- جزرية، حجم نصف ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 370- نسخة مجهولة المؤلف في علم التوحيد، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 371- نسخة في علم الحكمة لداود الحسن، حجم ربع، غلاف مقوى ابيض، جلد 1.
- 372- حاشية الفخر على الهداية، حجم نصف ربع، غلاف ابيض، جلد 1. 381

الكتب التي اشتراها صاحب الدولة والي بغداد سليمان باشا من خليفة الروزنامه
جي احمد افندي ووضعتها في المدرسة:

- 373- شمائل شريف، حجم ثمن، مربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 374- كنز الدقايق، حجم ثمن، غلاف اسود، جلد 1.
- 375- حموي على الاشباه والنظائر، حجم ربع، غلاف سرخ، جلد 1.
- 376- نصف مبسوط سرخسي، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 377- النصف الاول من المستخلص شرح الكنز، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 378- شرح رضا على الكافية، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 379- حاشية الكشف على الكشاف حجم كامل غلاف احمر جلد 1.
- 380- شرح فهرست، حجم ربع، غلاف اسود، جلد 1.
- 381- صحيح البخاري، اهداه خليل الموصلي، حجم كامل، غلاف احمر، جلد 1.
- 382 - حاشية عبد الحكيم، حجم كامل، غلاف اسود
- 383- حاشية عصام على صدر الشريعة، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 384- مقامات الحريري حجم ربع كامل غلاف اسود جلد 1.
- 385- شرح مقامات الحريري للمطرزي، حجم ربع كامل، غلاف اصفر، جلد 1.
- 386- حاشية لاري، حجم وزير، غلاف اسود، جلد 1.
- 387- مغنى اللبيب، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 388- ايضاح الاصلاح، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 389- حاشية مير ابو الفتح، حجم ثمن، غلاف اصفر، جلد 1.
- 390- حاشية يوسف قره باغي شرح الملا جلال، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- 391- حاشية مصري علي سعد الدين، حجم ربع وزير، غلاف وزير، جلد 1.
- 392- الوضعية الكبرى، حجم ثمن، غلاف اسود، جلد 1.
- 393- حاشية محي الدين مع قره باغي علي حسام كاتي، جلد 1.
- 394- كتاب الايضاح على تلخيص المفتاح، حجم ربع، غلاف صديدي اللون، جلد 1.

- 395- حاشية محمد امين على جهة الوحدة مع حاشية ابراهيم حيدر، غلاف احمر، بحجم ربع جلد 1.
- 396- حاشية عبد الله حيدر على قول احمد، حجم وزيرى خفيف، اصفر، جلد 1.
- 397- شرح المطالع، اهداه الملا خليل الموصلى، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 398- حاشية السيد على شرح المطالع، حجم كامل، غلاف مقوى، جلد 1.
- 399- حاشية نمليه على خيالى، حجم ربع، غلاف احمر، جلد 1.
- الكتب التي اشتراها صاحب الدولة والى بغداد سليمان باشا من الحاج ابراهيم ووضعها في المدرسة:
- 400- المطول، حجم وزيرى، غلاف احمر، جلد 1.
- 401- شرح ابن نجيم على المنار حجم مربع غلاف احمر جلد 1.
- 402- حاشية عبد الغفور حجم وزيرى غلاف اسود جلد 1.
- 403- ايساغوجي حجم مربع غلاف اصفر مقوى جلد 1.
- 404- شرح مختصر التلخيص حجم وزيرى غلاف اسود جلد 1.
- 405- جامي حجم وزيرى غلاف احمد جلد 1.
- 406- تركيب خالد نصف حجم مربع غلاف اسود جلد 1.
- 407- شرح التذهيب حجم وزيرى غلاف احمر جلد 1.
- 408- اثبات الواجب حجم مربع غلاف مقوى جلد 1.
- 409- دفعه ايساغوجي، حجم مربع غلاف اصفر مقوى جلد 1.
- 410- حسن جليبي على المطول حجم ربع احمر جلد 1.
- 411- ابن عقيل شرح الالفية حجم ربع غلاف احمر جلد 1.
- 412- نسخة بست باب في علم الاسطرلاب، ونسخة فتحية على قوشجي في علم الهيئة، حجم ربع، غلاف احمر جلد 1.
- 413- شرح كلشن راز، حجم وزيرى، جلد 1.
- 414- النصف الاول من منظوم النهاية، حجم كامل، غلاف اسود، جلد 1.
- 415- سعدي جليبي علي البيضاوي، حجم وزيرى، غلاف اصفر، مقوى جلد 1.

416- شرح التجريد في علم الحكمة، غلاف احمر، حجم ربيع، جلد 1.

417- شرح الكافية في علم الصرف، حجم ربيع، غلاف اصفر، جلد 1.

427- شرح البخاري للقسطلاني، حجم وزير، غلاف احمر، جلد 1. 19

نقلت هذه الوقفية من السجل الرابع عشر القديم للوقفيات ص 157 وترجمت الى اللغة العربية من قبل السيد حبيب الهرمزي.

ثانياً: وقفية سليمان باشا الكبير على مدرسته

في سنة 1207هـ/1792م أنشأ سليمان باشا الكبير مدرسة متكاملة، غير ملحقة بمسجد، سميت بالمدرسة السليمانية، وكانت هذه المدرسة تقع في مكان قريب من سراي الحكم في بغداد، بين مسجدين، الأول جامع الشيخ أبي النجيب السهروردي، حيث يوجد قبره ومدرسته، وجامع النعمانية الذي شيده سيدة محسنة، هي فاطمة بنت بكتاش بن ولي قبل نحو عقدين من ذلك التاريخ، وتحديدًا سنة 1185هـ/1771م، وقريباً منها كانت المدرسة العلية التي أنشأها والي بغداد علي باشا، سنة 1176هـ/1762م أي قبل نحو ثلاثة عقود، على أرض شغلتها من قبل المدرسة العلانية التي شيدها علاء الدين علي بن عبد المؤمن السكرجي سنة 694هـ/1294م⁽¹⁾، على أن العناية الفائقة التي بذلها سليمان باشا بإنشاء مدرسته ميزتها على أكثر مدارس بغداد فضلاً عن المدارس المحيطة أو القريبة منها.

ويفهم مما ورد في نص وقيتها أنها كانت تتألف من فناء مفتوح، في صدره إيوان، وتحيط بالفناء ثماني حجرات، ولها طابق علوي فيه غرفتان في الأقل، وبما أن المدرسة كانت تضم جناحاً لمبيت الطلبة، فلنا أن نتصور أن هذا الجناح هو الذي كان يشغل هاتين الغرفتين، فقد جرت العادة في المدارس الإسلامية أن تخصص غرف الطابق العلوي لسكناهم، وإيوان آخر، وحجرة تستغل كمكتبة، وبحسب التقاليد نفسها فإن الإيوان كان يستخدم مكاناً للتدريس صيفاً، بينما تستخدم حجرة خاصة للتدريس في الطابق الأرضي. وثمة ثلاث حجرات تحتها لا يمكن التكهّن بوظيفتها، ويمكن أنها كانت تستغل لغرض التدريس، أو لإقامة المدرس، وثمة مرافق أخرى، منها حجرة خاصة بالأباريقي، عند بابها، وهو الموكل بملء الأباريق المخصصة لمياه الشرب، وربما (الحبوب) الفخارية أيضاً حيث يحفظ الماء لغرض تبريده صيفاً، وسرداب كبير،

(1) كتابنا: المدرسة العلية في بغداد، بغداد، 1986، ص 32.

وسلم يؤدي إلى الطابق العلوي، ومزملة ذات حوض حجري، يحفظ فيه الماء، ويصب منه من خلال فتحات فيه. وقد وصف عبادة حال المدرسة في أوائل القرن العشرين بقوله «إن هذه المدرسة اليوم على بنائها القديم، غير أنه قد أصلح بعض ما تهدم منها، وإدارة شؤونها اليوم بيد الأوقاف»، وقال عباس بن رجب، وهو يصفها في أوائل ذلك القرن أيضاً «المدرسة الشهيرة بالسليمانية من آثار المرحوم سليمان أبي سعيد باشا، وهي معمورة»⁽¹⁾. وتعاقَبَ على التدريس فيها أربعة من كبار علماء بغداد، هم عبد القادر السليمانى، ومحمد فيضي الزهاوي، وابنه محمد سعيد الزهاوي، ثم أمجد الزهاوي، وقد تولى الثلاثة الأواخر منهم إفتاء بغداد على التعاقب. اتخذت في خمسينات القرن الماضي مقراً لرابطة العلماء، وكان لهذه الرابطة الفضل في تأسيس العدد الكبير من الجوامع في بغداد⁽²⁾.

ويمكن أن نعد باب المدرسة أنموذجاً على فخامة بناء المدرسة الزائلة، فهو عال، تعلوه سبعة أبيات بالتركية، مكتوية بخط الثلث على قطع من الآجر المزجج بلون أزرق، وتصف الأبيات المدرسة بأنها قصر، وتشيد بحسن وضعها، وبخزانة كتبها التي تضم كتباً نفيسة لتدريس العلوم العقلية والنقلية، وفي آخرها بيت التاريخ، وهو (حبذا مدرسة علم هي زهى جاي هدا) 1206، ويعلو هذه الأبيات زخرفة تتمثل بصفوف من المشكاوات الأجرية البارزة. وللباب مدخل على هيئة إيوان عريض مدبب، تزينه حلية بنائية تتألف من ضفيرة محززة، ومن المؤسف أن معظم مباني هذه المدرسة أزيل قبل نحو نصف قرن، فلم يتبق منها إلا بقايا إيوانها الداخلي، وهذه البوابة الأثرية الجميلة، ثم تهدم أولهما في ثمانينات القرن الماضي، بينما هُدم الباب في 2006، وأزيل في الوقت نفسه مبنى جامع النعمانية المجاور، وبقيت منه مؤذنته الجميلة، ثم أدمجت أرضه بأرض المدرسة السليمانية الزائلة، وشيد عليهما مسجد حديث احتل المساحة كلها، باسم (مسجد السليمانية) ولما يزل عامراً والحمد لله.

وتكشف الأوقاف التي خصصها سليمان باشا على مدرسته عن جسامة العقارات التي كان قد اشتراها أو أنشأها ووقفها عليها، وتشمل مجموعة من المنشآت التجارية في بغداد وفي النجف، تتمثل بخانات كبيرة، وأسواق (قيصريات)، ودكاكين، ومقاهٍ،

(1) كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الإجداد، بغداد 2006، ص 46.

(2) كتابنا: محمد سعيد الزهاوي، مفتي بغداد، أربيل 2009، ص 8.

وأراض زراعية خارج أسوار بغداد الشمالية، وأخرى في الجانب الغربي منها. وعيّن أوجه الانفاق، ومقادير رواتب الموظفين، والترميم، وجعل راتب المدرس 125 آقجة.

المكتبة

وقف سليمان باشا على مدرسته مجموعة كبيرة من الكتب بلغ عددها 445 كتاباً، وهو عدد قريب من عدد الكتب التي وقفها على مدرسة جامع جديد حسن باشا، وعيّن لها موظفاً خاصاً باسم حافظ الكتب وعيّن له راتباً يومياً قدره 45 آقجة. وشرط ان «توضع في المدرسة، وبالأخص في المكتبة، وتكون بيد حافظ الكتب، يتصرف بها مستقلاً، فيحفظها ويحرسها، ويهتم بذلك، ولا يسوغ له أن يُخرجها من المدرسة البتّة، وإذا احتاج المدرس، أو الطلاب، أن يطالعوا في المدرسة فلهم ذلك. وبعد إتمام مهمتهم يعيدونها إلى محلها، ويضعونها بمكانها، وأن تُضمّن الكتب التي تفقد من حافظ الكتب». وقد ذكر إبراهيم الدروبي أن الواقف «ألحق بالمدرسة مكتبة عظيمة فيها نوادير المخطوطات القديمة»⁽¹⁾.

وتتألف الكتب من 24 مجموعة، يختص كل مجموعة منها بعلم محدد، وذلك على النحو الآتي:

العدد	نوع العلم
2	المصاحف
11	القراءة والتجويد
41	التفسير الشريف
43	الأحاديث الشريفة
3	لغة الأحاديث الشريفة (غريب الحديث)
6	في أصول الأحاديث الشريفة (مصطلح الحديث)
25	متون الفقه
46	شروح الفقه

(1) البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، ص 300.

7	الفرائض
11	أصول الفقه
18	العقائد
22	التصوف
7	الفقه الشافعي
1	الفقه الحنبلي
26	الكلام والعقائد وأصول الدين
10	اللغات
21	التاريخ
9	الأدب
15	الصرف
46	النحو
5	الوضع والإستعارة وآداب البحث
21	المعاني والبيان والبديع
21	المنطق والحكمة
17	الحكمة الطبيعية
57	الحكمة الرياضية والحساب والاسطرلاب والهيئة والهندسة
5	الطب
445	المجموع

ومثلاً فعل في وقفته السابقة، فإنه صنع لهذه الكتب فهرساً مفصلاً شمل «أسماءها ورسومها وحجومها وقطع جلودها ومخطوطاتها وتعريفها» جعله ذيلاً ملحقاً بالوقفية، إلا أننا لم نقف على هذا الذيل، فلم يبق لنا إلا الإحصاءات العامة التي احتوتها الوقفية ذاتها.

ومما يلفت النظر هذا التنوع الكبير في أنواع العلوم التي تتوزع عليها الكتب، وشمولها جميع أنواع المعرفة المتاحة في ذلك العصر، ففضلاً عن العلوم المتصلة بالشريعة، مما كان يدرس في المدارس وحلقات العلماء، فإن الأعداد الكبيرة من كتب الحكمة الطبيعية، والحكمة الرياضية، والحساب والاسطرلاب والهندسة، والطب، يجعل من هذه الخزانة دار كتب متكاملة فعلاً، تتجاوز ما كان يُدرّس عادة في مدارس ذلك العصر، وإذ كان للمدرسة مُدرّس واحد، يتقاضى مُرتبه من وارداتها، فإن علينا أن نتساءل: على من كان الطلبة يتلقون هذه العلوم، ولفائدة من وقفت أصلاً، لا سيما وأن الواقف منع إخراج أي كتاب إلى خارج مدرسته، ولا يبيح لنا إلا أن نفترض أن علماء آخرين لهم تخصص بهذه العلوم كانوا يترددون إلى المدرسة لإلقاء محاضرات فيها، إذ لا يعقل أن يتولى مُدرّس واحد تدريس كل هذه العلوم، وفي هذه الحال، سيكون من المعقول أن ترتب لمحاضرات العلماء الآخرين مواعيد، على وفق جدول معين، وسينتهي كل عدد من المحاضرات بمنح المدرس طلابه النابهين إجازات، على وفق تقاليد الإجازة العلمية عصر ذلك، أو ما يسمى في يومنا هذا بالشهادات، وهذا ما يجعل المدرسة أقرب إلى المدارس الحديثة إلى حد ما، ولا شك في إن هذه الأمور تحتاج إلى بحث في ضوء الإطلاع على وقييات علمية وثقافية أخرى.

وعلى الرغم من سخاء هذه الوقفية⁽¹⁾، والشروط الصارمة التي وضعها الواقف فيما يتعلق بخزانة الكتب الغنية التي ضمتها، إلا أن شيئاً من الإهمال أخذ يسري إليها، فتناقص عدد تلك الكتب، حتى لم يبق منها في أواخر القرن الثالث عشر شيئاً يعتد به، فعد السيد محمد آل جميل (المتوفى سنة 1318هـ/1900م) مكتبة المدرسة السلিমانيّة، ومكتبة جامع جديد حسن باشا، مما أنشأه هذا الوالي، من بين المكتبات التي «لا يوجد منها ولا كتاب واحد»⁽²⁾.

(1) لم يمض على تأسيس المدرسة ثلاث سنوات حتى وقف سليمان باشا وقفية أخرى في 23 ذي القعدة 1210هـ/1795م على المدرسة السلیمانيّة اشتملت على سوق ملاصق لسوق القزازين، والمحادد لسوق القبوقجية، والمتضمن 33 دكاناً ومخزناً وخاناً، ثم وقف أحد المحسنين وهو أحمد أفندي بن زين الدين بن علي على المدرسة السلیمانيّة في 28 جمادى الأولى سنة 1213هـ/1798م، وقفية أخرى، اشتملت على عقارات في بغداد والخالص والأعظمية.

(2) جريدة الزوراء، 12 شباط 1287 رومي. وذكر السيد محمد سعيد الراوي أن «في هذه المدرسة أنواع الكتب العلمية المخطوطة والمطبوعة محفوظة معتنى بها» خير الزاد ص154. والذي نراه أن هذه الكتب هي ما وقفه العلماء من آل الزهاوي، الذين تولوا التدريس في المدرسة لثلاثة أجيال، لا سيما مكتبة العلامة محمد سعيد الزهاوي، وقد نقلها الشيخ أمجد الزهاوي إلى مكتبة دار

وأصل الوقفية باللغة التركية، وقد نقلها إلى اللغة العربية المرحوم المحامي عباس العزاوي⁽¹⁾.

[مصادقة القاضي في أعلا الوقفية]

حكمت بصحة هذا الوقف ولزومه، بخصوصه وعمومه، عالماً بالخلاف بين الأئمة الأسلاف، السيد محمد هاشم، القاضي ببغداد المحروسة

[نص الوقفية]

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة الوقفية]

حمداً غير محدود، وثناء غير معدود، لواجب الوجود، ومُفيض الخير والوجود، الواهب لخاص عباده زينة العقل الراسخ، وحلية الشرع الناسخ، فجعلهم مُزَيَّنِينَ بها ومُحَلِّين فيها، وكَحَلَّ عيون بصائرهم بكُحْلِ الهداية جَلَّأها، متى سلَكوا مسالك رشاده، وجعل التوفيق رفيقهم، وهداهم لتمهيد أساس المعاش وتحقيقه، والورود العميم الورود، على روح صاحب المقام المحمود، ومصباح سرمد الوجود، ومفتاح خزانة السخاء والوجود، أعني المختار بين الأنبياء والرسل، وهادي السُّبُل، الرسول المجتبي محمد المصطفى عليه أفضل الصلوة وأكمل التحيات، المرجو شفاعته ولطفه وكرمه، والمأمول لأصحاب المعاصي والآثام، يوم يُؤخذ المجرمون بالنواصي والأقدام. والتحيات الوافرة، والتسليمات العميمة لأرواح آله وأصحابه الطيبين، وذريته وأحبابه الطاهرين، الذين كل منهم واقف على الحديث الشريف، المرء يستظل تحت ظل صدقة⁽²⁾، فيختار أن ينفق أمواله وأرزاقه، وينثرها في سبيل الله، فيرجحها على سائر الأفعال، عليهم رضوان الله الملك الأكبر.

التربية الإسلامية، حيث لبثت محط عناية القائمين على هذه الدار حتى اليوم، وقد قمنا بفهرستها هناك، ونشرنا الفهرس في مجلة المورد التراثية، بغداد 1977، وأعدنا نشره في كتابنا محمد سعيد الزهاوي، حياته ومخطوطاته، أربيل 2009. ومما يؤكد أن هذه الكتب لا علاقة لها بما وقفه الواقف سليمان باشا الإشارة إلى ضمها كتباً مطبوعة.

(1) تقع هذه الترجمة في 13 ورقة، وقد أهداها الى جدي المحامي محمد رؤوف العطار، وكان صديقاً له.

(2) الحديث (وَأَيْمًا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ) مسند عقبة بن عامر حديث 195.

ويعد، فلا يخفى على أرباب الألباب، وأصحاب الآراء، أن هذه الدنيا الغدارة، دار بوار لا تبقى ولا تدّر من بناء، وأن مقيمها مشرف على الإرتحال، ونعيمها مترقب الزوال، وهي مسكن للمصائب، ومغنى النوائب، فليست محل إقامة وسرور، ولا محل راحة الوجود، ظاهرها باهر مبین، ولباس الحياة عارية، والإنسان الكامل من أخلص العبادة لخالقه بمقتضى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)⁽¹⁾ فلا يغفل، وفي حال العافية يتفكر برأي رشيد، وتدبير سديد، فيزرع بذور الخيرات في مزرعة الدنيا بمقتضى (الدنيا مزرعة الآخرة)، فيحترث بذور الحسنات، ويحصل الملكات القدسية، ويرى تكميل المعارف الأنسية، فيبذل جهده وطاقته في هذا الباب، ويتحلى بمحاسن الأفعال، ويتزكى بالأعمال الحسنة، ليكون في المحشر محشوراً بهيئة بهية، وفي دار النعيم مسروراً بنعيم مقيم.

وعلى ذلك، لاحظ بكمال المرتبة، صاحب الخيرات والحسنات، وطالب المبرات والصدقات، حلال مشكلات الخطوب، ودفاع معضلات الكروب، موفق خبايا الأمور، المدبر بعميق الشعور، مفتاح كنوز التوفيق، مريد الخير للبلاد والعباد، ذو الحمية على فقراء بغداد خاصة، الداعي لحدود الله، المانع رسوم الملاهي، الوالي ذو الشأن لبغداد والبصرة، الوزير المتيقظ الباهر النصرة، ولي النعم، عليّ الهمم، جزيل الأيادي، عميم الكرم، صاحب الدولة والعناية سليمان باشا، أعلى الله شأنه، وصانه مما شأنه، لا زالت أقطار العراق في الآفاق مشرقة بأتوار معدّته، ومناشير الأمن منشورة على صفحات الأيام بدولته، ما أحسن الله رب الأملاك، حلّت عظمته، وعلت قدرته، عليه من نعم جميلة، ومنّ جزيلة، لم يعفل الأمر الشريف (أحسن كما أحسن الله إليك) وراعى بإدراكه السريع، وقلبه السليم (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)⁽²⁾، ومشى بمقتضى مضمون الحديث الشريف (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، علمٌ يُنتفع به، أو صدقة جارية، أو ولدٌ صالح يدعو له)، فرغب أن يسلك في سلك أرباب الحينات الجارية، وأصحاب الصدقات الباقية، فقد وكل وهو في حال نفاذ تصرفاته الشرعية، بالإقرار بالوقف الآتي البيان، الصادر من طرفه الباهر للشرف، بالوكالة الثابتة بالثبوت الشرعي، بشهادة قدوة العلماء الكرام، مفتي بغداد حالياً، ذي الفضيلة الحاج إسماعيل أفندي، ومفتي الشافعية حالياً ذي السماحة محمد أمين أفندي، وقدوة

(1) الذاريات 56.

(2) النحل 95.

السادة النجباء الكرام، نقيب الأشراف حالاً، ذي السيادة السيد الحاج عبد الرحمن أفندي، وخطيب الإمام الأعظم حالاً، والهمام الأكرم رحمه الله، ذي السيادة السيد طه أفندي، وسادن الإمام الأعظم حالاً عبد الله أفندي الراوي، ونائب الحلة حالاً الحاج محمد صالح أفندي. وعهد الوزير المشار إليه بالوكالة إلى خازنه، فخر الأمثال والأقران، عبد الله آغا ابن سليمان، وأن الواقف المشار إليه، نصب في مجلس الشرع الشريف الأنور، ومحفل الدين البين المطهر، لأجل التسجيل، وإجراء لوازم وتكميلها، دفتري بغداد حالاً، عمدة أصحاب التحرير والقلم، وزيدة أرباب التسطير والرقم، ذا النجابة السيد عبد الغفور أفندي، فأقر بمحضره إقراراً صحيحاً شرعياً، واعترف اعترافاً صحيحاً مرعياً، قال:

[وصف المدرسة]

إن موكلي الوزير المشار إليه قد وقف ما هو تحت تصرفه الآن العرصة التي بناها وأنشأها مدرسة، وهي الكائنة بمدينة بغداد دار السلام، في محلة الشيخ نجيب الدين قدس سره المعين، المحدودة من جهة بالمسجد الشريف العزيز المشار إليه، ومن جهة بجامع النعمانية المنيف، ومن أخرى بالعرصة التي هي ملك موكلي⁽¹⁾، وبالطريق العام، وتحتوي على حُجرتين تحتانيتين في يسار بابها من جانب القبلة، وحُجرتين فوقانيتين، وإيوان، وفي يمينها خزانة الكتب، وفي يسارها غرفة التدريس، وتحتها ثلاث حجرات، وسرداب كبير، وياتصالها حجرة، وفي شمالها إيوان كبير، وياتصاله حجرة صغيرة طولانية، وفوقها سلم، وفي وسطه حجرة منيرة طولانية، وعن يمين الباب سلم وتحت حجرة للأباريقي، ومزملة حجرية، وفي الناحية الشمالية طاقان صغيران يقال لهما (نيمكار)⁽²⁾، وساحة تبلغ عشرين ذراعاً ونصف الذراع، وعشرين ذراعاً عرضاً، ذلك ما تشتمله المدرسة، فوقها الوزير المشار إليه خالصة لوجه الله رب العالمين، ومخلصة لمن لا يضيع أجر المحسنين، وحبسها حبساً صريحاً مرعياً.

(1) انتقلت ملكية هذه العرصة إلى حسين خيوكه، المعروف بحسين كهية، وحينما توفي باعها وصيه السيد أحمد أفندي خطيب الإمام الأعظم، إلى الحاجة نازدة خاتون، وشيد عليها والي بغداد عبد الرحمن باشا المدرسة الرشدية العسكرية سنة 1296هـ/1879م، وبعد الاحتلال البريطاني جعلت مدرسة للمعلمين، ثم معملاً عسكرياً بريطانياً، لكنه احترق، فأنشأت وزارة المعارف في أرضه المدرسة الإعدادية سنة 1340هـ/1927م، ولما نزل هذه الإعدادية عامرة حتى اليوم. العقد اللامع ص144.

(2) مصطلح فارسي من نيم بمعنى نصف، وكار بمعنى عمل.

[العقارات الموقوفة]

ثم أخرج من سلك ملكه خان السرايين الواقع بقرب السراي في مدينة بغداد، بما يشتمل عليه من الحد الفوقاني والتحتاني، بحجره المعلومة وتوابعه ولواحقه، وكذا ما يتصل به في سوق السراجين من الدكاكين التي هي بصفين، في صف منها خمسة عشر دكاناً وقهوة، وياتصالها دكة ونصف دكان، المحدودات بالحدود الأربعة، أحدها دار مصطفى آغا طويق زاده، وثانيها دكاكين المزيور، ومن جهة أخرى العرضحالاتية⁽¹⁾، ومن جانب آخر الطريق العام، وتجاهها في الصف الآخر ثمانية عشر دكاناً متصلة بدكة القهوة المذكورة، المحدودات من جهة بالسراي، ومن أخرى بدكان وقف الإمام عبد الله عليه الرحمة، ومن جهة ثالثة بباب السراي، وأخرى بالطريق العام. وأيضاً خان المدرسة⁽²⁾ المعروف بهذا الاسم، وهو الخانان الواقعان ببغداد في رأس الجسر، المحدودان بسوق الخياطين⁽³⁾ والخردة قروشية⁽⁴⁾، وبالكمرك⁽⁵⁾، وبدجلة العظمى، وبسوق التحميس. وأيضاً خان التتن الذي باتصاله مع مخزنه الذي اتخذ قيصرية، وبقرب باب الكمرك⁽⁶⁾، المحدود من جهة بالخان المذكور، ومن أخرى قسماً بقهوة السيد أحمد الأورفه لي، ومن جهة بسوق وقف الشيخ شهاب الدين عليه الرحمة⁽⁷⁾، وبشارع السوق، وبدكان درويش قاسم، وبالقهوة التي هي وقف جامع الصاغة⁽⁸⁾، ومن جهة أخرى بالطريق العام، وهذه القيصرية المتخذة جعلت بها بابان أحدهما بقرب الكمرك،

(1) مصطلح من العربية (عرض حال)، وهم كاتبو العرائض التي يرفعها الناس إلى السلطات، وهذه هي المرة الوحيدة التي يرد ذكر هذه المهنة في العصر العثماني، كونهم لهم مكان محدد في سوق قريب من السراي.

(2) هي المدرسة المستنصرية التي أنشأها الخليفة المستنصر بالله، وحينما أهمل أمر التدريس منها، تحول فناءها المتسع إلى خانين، هما اللذين وقفهما الواقف هنا.

(3) هو السوق الذي عرف بسوق البزازين.

(4) مصطلح فارسي بمعنى باعة الخردوات.

(5) شغل كمرك بغداد في العصر العثماني جانباً من مبنى المدرسة المستنصرية.

(6) هو باب المدرسة المستنصرية نفسه.

(7) أنشأ هذا السوق والي بغداد حسين باشا السلاحدار سنة 1086هـ/ 1657م وجعله وقفاً على مشروع كبير لايصال مياه الشرب من شاطئ دجلة، عند شريعة الميدان، إلى السقاية التي أنشأها عند جامع الشيخ عمر السهروردي عند سور بغداد الشرقية.

(8) وقد سمي في وقت تال بجامع الخفافين، وما زال يعرف بهذا الاسم، وهو أقدم مسجد عامر في بغداد، وكان يعرف في العصر العباسي بمسجد حظائر الشوك، شيدته السيدة زمرد خاتون المتوفاة سنة 599هـ/ 1202م، زوجة الخليفة المستضيء بالله العباسي، وقد جدد مرات عديدة.

والأخرى برأس السوق الموقوف على ساقية الشيخ شهاب الدين عليه الرحمة، ويتصل بهذه القيصرية الدكان الذي نصفه محدود من جهة بدكان ملا أحمد، ومن أخرى بالقيصرية المذكورة، ومن جهتيه بالسوق السلطاني⁽¹⁾ والمنتهي به، والمتخذ داخله قهوة، وبابه من رأس السوق وقف لساقية الشيخ المشار إليه، وبباب القيصرية المذكورة وقد فتح عند اتصالها، ويقع تجاه حان جفال زاده⁽²⁾، والتي النصف الآخر الدكان على حاله، فصار دكاناً، وأضيف ذراع ونصف سلطاني من دكان ملا أحمد الواقع باتصاله إلى القيصرية، وكذا حديقة السيد أحمد آغا المحتوية على دارين، وأشجار مثمرة وغير مثمرة، ونخيل وفسيل، المحدودة من جهة بهور الغرق⁽³⁾، وبحديقة العيوازية⁽⁴⁾، وبدجلة العظمى، وبحديقة جامع العادلية الشريف⁽⁵⁾، وتقع خارج باب الإمام الأعظم⁽¹⁾ الذي

(1) لم تتوضح هوية هذا السوق، ولكن وردت الإشارة إليه في وقفية الحاج حسين أفندي بن عبد الله المؤرخة في 26 محرم 1098هـ/1686م.

(2) خان كبير أنشأه والي بغداد سنان يوسف باشا جفاله زاده (998-999هـ/1586-1597م) وعرف أيضاً بخان الصاغة بسبب إشغال أهل هذه المهنة بعض دكاكينه، ثم كان أن اشتراه اليهودي مناحيم صالح دانيال وشركاؤه فنقضوه وشيدوا مكانه سوقين جديدين، عرفا بسوق دانيال، ولم يبق من الخان المذكور سوى لوحة من القاشاني المزجج بالأزرق كتبت عليه عبارة تفيد إنشائه سنة 999هـ. العقد اللامع ص331. وكان هذا الخان يعد من حدود السوق الذي أنشأه حسين باشا السلاحدار وفقاً على ساقية الشيخ عمر السهروردي.

(3) هور الغرق: هور كبير وردت إشارة إليه في وقفية ارسلان باشا بن علي الديوه جي المؤرخة في 3 رجب 1169هـ بوصفه الحد الذي ينتهي إليه البستان البرانية التي وقفت على مسجد الشيخ محمد الطيار، كما أشير إليه في وقفية بشير آغا معتق والي بغداد الوزير أحمد باشا على جامع العادلية المؤرخة في 8 جمادى الأولى سنة 1175هـ حيث جاء فيها أنه «وقف مقاطعة الوقف القديمة الواقعة خارج باب الإمام الأعظم في الجهة الشمالية من قسبة الإمام المشار إليه بجوار نهر دجلة العظمى.. والمحدود شرقاً بالطريق العام المعروف باسم طريق ينيجه المكون الحد الفاصل بين هور عرق وأراضي الدواليب الأخرى». قلنا وقد لبثت بقية من قصب هذا الهور موجودة في ساحة المجمع العلمي العراقي حتى سنة 1970 حيث أزيلت عند الشروع بتشييد مبنى المجمع الحالي.

(4) بستان كبيرة أشير إليها في وقفية صادق بك بن سليمان باشا على ذريته في غرة جمادى الآخرة سنة 1233هـ وهي تقابل بستان له، وتعرف أيضاً باسم العيوازية والعلوازية، وهي من محلات بغداد اليوم.

(5) كانت السيدة عادلة خاتون بنت والي بغداد الوزير أحمد باشا، وزوجة واليها سليمان باشا الأول الملقب بأبي ليلة، قد أنشأت جامعين في بغداد، أولهما جامع العادلية الصغير وكان يقع

هو أبواب حصن المدينة، وكذا النصف الآخر من الحديقة المتصلة بها، وهي حديقة العيوازية المحدودة بالحديقة المذكورة⁽²⁾، وبدجلة العظمى، وبالطريق العام، وبهور الغرق، وتحوي أشجاراً مثمرة، وبئراً مطوية، وكذا الحديقة التي بقرب جامع القمرية⁽³⁾، ودار الحرم بجميع ما تشتمل عليه من توابع ولواحق المحدودة بالحدود الأربعة، وهي من بعض الجهات الطريق العام الوارد إلى دجلة العظمى من جهة جامع قمرية، ومن البعض الآخر قهوة حبيب بك بن عبد الله بك الشاوي، وبعضاً دار ملك الحاج داود، وبعضاً المنزل المملوك للحاج عبد الكريم بك، وبعضاً دار طعمة، والطريق العام المار من جهة خضر الياس، وينتهي بدجلة العظمى.

وكذا الخانان الكبير والصغير المتصل بعضهما ببعض، مع القهوة والبزارخانه والسوق الكائنات كلها في قسبة الحسين رضي الله عنه، من مضافات بغداد، المحدودات قبلة بحديقة السيد محمد غياث، ودار عباس التي أرضها تعود لآل دراج، وملك محمد صالح الكاتب، وأيضاً خرائب وقف آل دراج، وجبلا بأمالك الكاتب محمد صالح، ومحمد ذنولي، ومريم بنت ابن عرب، وغربا بملك السيد مرتضى النقيب، وبالطريق العام. وإن الخان الكبير فيها المشتمل على ساحة بعرض 40 ذراعاً من جهة الغرب، و35 ذراعاً قبلة وجبلاً، وفيه 33 حجرة فوقانية، و13 تحتانية، وفيه اصطبل مستدير من أطرافه الثلاثة، وفيه بئر ماء، وأما الخان الآخر الصغير فيحتوي على ساحة طولها من جهة القبلة والجبل 45 ذراعاً، وعرضاً من جهة الشرق والغرب

في أرض مرآب الرصافي، مقابل مبنى المتحف البغدادي، وجامع العادلية الكبير، ويقع في رأس القرية على شارع النهر (المستنصر) مقابل مبنى المحكمة الشرعية القديمة (أزيلت سنة 2012)، وبينما ظل الجامع الأخير ماثلاً حتى اليوم، أزيل الجامع الأول بسبب توسعة شارع المأمون المؤدي إلى الجسر، فسعى متولوا وقفيتها إلى إنشاء جامع حديث باسم جامع عادلة خاتون في الطرف العلوي للأرض الواسعة التي وقفها على جامع العادلية الصغير الزائل، والمعروفة باسم أرض أو بستان الصرافية.

- (1) وقد عرف فيما بعد بباب المعظم وهو الباب الشمالي لبغداد وكان يعرف، منذ تشييده في أواخر العصر العباسي ولمدة بعده، بباب السلطان بسبب مقابلته دار السلطنة السلجوقية وموقعها في أسفل محلة العلوازية الخالية، هدم هذا الباب سنة 1923م.
- (2) يريد بستان الصرافية التي كانت موقوفة على جامع العادلية الكبير، وفي طرفها الأعلى شيد جامع عادلة خاتون الحديث.
- (3) هذه الحديقة هي يقوم على أرضها اليوم مستشفى الولادة في الكرخ في الجانب الغربي من بغداد.

33 ذراعاً، وفيه 25 غرفة فوقانية، و8 تحتانية، ومن ثلاثة أطرافه آخور⁽¹⁾ مستدير مع بئر ماء، وأما البزارخانه فإنها تحوي غرفتين فوقانيتين، ومخزناً تحتانياً، وساحة مع بئر، وكذا بين الخان الكبير والبزارة مخزن بطول 19 ذراعاً، وبعرض 6 أذرع. وأما السوق فهو بطول 21 ذراعاً، وبعرض 14 ذراعاً، وداخله قهوة ملاصقة للخان، ويشتمل على 7 دكاكين. وكذا العقارات الكائنة بمقابل المحال المذكورة، المحدودة بملك الدده، والحاج علي، وبمطبخ تكية البكتاشية⁽²⁾، وبتكية البكتاشية المذكورة، وبملك السيد دخيل، وبالطريق العام. والبزارة الأخرى داخلها مخزن وحوش، ونصف بئر ماء المشترك مع السيد دخيل، وثلاثة دكاكين وقهوة.

[وقف الكتب]

وأيضاً الكتب التي داخل المكتبة تحت تملك مؤكلي الوزير المشار إليه، المبين أوصافها وأسمائها ورسومها وحجومها وقطع جلودها ومخطوطاتها وتعريفها بموجب المرفق المبين في ذيل الكتاب، وهي: جلدان من القرآن العظيم، مجلدان ومجدولان و11 جلدأ في علم القراءة والتجويد و41 جلدأ في التفسير الشريف و43 مجلدأ في الأحاديث الشريفة و3 مجلدات في لغة الأحاديث الشريفة و6 مجلدات في أصول الأحاديث الشريفة و25 جلدأ في المتون الفقهية الشريفة و46 جلدأ في شروح الفقه الشريفة. و7 مجلدات في علم الفرائض و11 جلدأ في أصول الفقه الشريف و18 جلدأ في الفقه الحنبلي و24 جلدأ في التصوف و7 مجلدات في فقه الشافعي. و1 جلد في فقه الحنبلي. و26 مجلدأ في علم الكلام والعقائد وأصول الدين. و10 مجلدات في اللغات. و20 مجلدأ في التاريخ. و9 مجلدات في الأدب. و15 جلدأ في علم الصرف. و46 جلدأ في النحو. و5 مجلدات في علم الوضع والإستعارة وآداب الحديث. و21 جلدأ في علم المعاني والبيان والبديع. و21 جلدأ في الحكمة والمنطق. و17 جلدأ في الحكمة الطبيعية. و57 في الحكمة الرياضية والحساب والأسطرلاب والهيئة والهندسة. و5 مجلدات في علم الطب. فيكون من حيث المجموع 445 مجلدأ من الكتب.

(1) الآخور: تركية بمعنى اصطبل.

(2) تكية كانت تقع عند باب القبلة على يمين الداخل الى الصحن الحسيني وعرفت ايضا بتكية الدده نسبة للقب مؤسسها ودفينها، عبد المؤمن دده، ومن أهم من دفن فيها الشاعر التركي الكبير فضولي.

[رواتب موظفي المدرسة]

والحاصل أن المدرسة المذكورة، والعقارات المحدودة المرقومة، والكتب المرسومة، كل هذه أطرحها الوزير المشار إليه من ملكيته، ووقفها حسبة لله تعالى، وفقاً صحيحاً مؤبداً، وحبسها حسباً صريحاً مخلداً، وشرط وحدد وعين ذلك بأن العقارات المرسومة تؤجر بأجر مثلها، فيؤخذ من غلتها

للمدرس يوماً 125 آقجة⁽¹⁾.

ولحافظ الكتب 45 آقجة.

وللفراش 15 آقجة.

وللبواب 15 آقجة.

وللأباريقي 10 آقجة.

و40 آقجة للشمع والزيت، وللشراب والأقداح والأباريق تصرف بنظارة المدرس.

ولسيد الشهداء... 30 غرشاً رومياً⁽²⁾.

وبمرور الأيام إذا احتاجت المدرسة المرسومة تعميراً، فإنه تُعمر من فضلة غلات الوقف ما يلزم للتعمير والترميم، وبقية غلات الوقف تقسم بين أولاد حضرة الوزير المشار إليه، وأولاد أولاده طبقة بعد طبقة، ونسلاً بعد نسل، للذكر مثل حظ الأنثيين، وبعد الإنتراض- حاشا ثم حاشا!- تُصرف غلة الوقف المرسوم على فقراء المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأشرف التسليمات، وأن يكون الواقف المشار إليه متصرفاً مستقلاً، وبمقابل التولية يأخذ مائتي آقجة وما دام مكتسباً بكسوة الحياة أبقاه الله إلى مديد الزمان، تبقى التولية بيده، ويتولاها بنفسه مدة بقاءه في هذه الدار الفانية، وله حق أن يرى عامة أمور الوقف المزبور، فيتعهد مصالحه المذكورة، ويعزل

(1) آقجة نقد عثماني يعزى ضربه إلى السلطان أورخان سنة 729هـ/1335م، ومعنى آقجة (المبيضة) أي البيضاء لغلبة الفضة على معدنها، ثم انخفضت قيمتها بانخفاض نسبة الفضة في عيارها، في عهد الواقف، إلى دون النصف. ينظر كتابنا، الموصل في العهد العثماني، النجف 1975، ص524.

(2) الغرش الرومي، ويسمى أيضاً القرش الشامي، ضرب من الغروش، مرتفع القيمة، كان يساوي في عهد الواقف قرشاً (عين) ثم انخفضت قيمته في عهد داود باشا حتى بلغ ثلاث قروش عين، واستمر بالانخفاض بعد ذلك. ينظر الموصل في العهد العثماني، ص555-560.

وينيب أرباب الوظائف، وأن يزيد في المصارف، ويبدل وغير ويستبدل، ويحول ويكثر سائر الأمور منفرداً ومستقلاً ما دام لابساً ثوب الحياة، فيقوم بالتولية المشار إليه، وبعد أن يفارق حياته، ويجيب داعي لقائه بربه، يتولى أرشد أولاده التولية، وأن يأخذ من غلة الوقف ماأتي آقجة على ما هو مشروط.

[شروط المكتبة]

والكتب الموصوفة، والمرسومة، والمعدودة، توضع في المدرسة، وبالأخص في المكتبة، وتكون بيد حافظ الكتب، يتصرف بها مستقلاً، فيحفظها ويحرسها، ويهتم بذلك، ولا يسوغ له أن يخرجها من المدرسة البتة، وإذا احتاج المدرس، أو الطلاب، أن يطالعوا في المدرسة فلهم ذلك. وبعد إتمام مهمتهم يعيدونها إلى محلها، ويضعونها بمكانها، وأن تُضمّن الكتب التي تُفقد من حافظ الكتب.

[المصادقة على الوقفية]

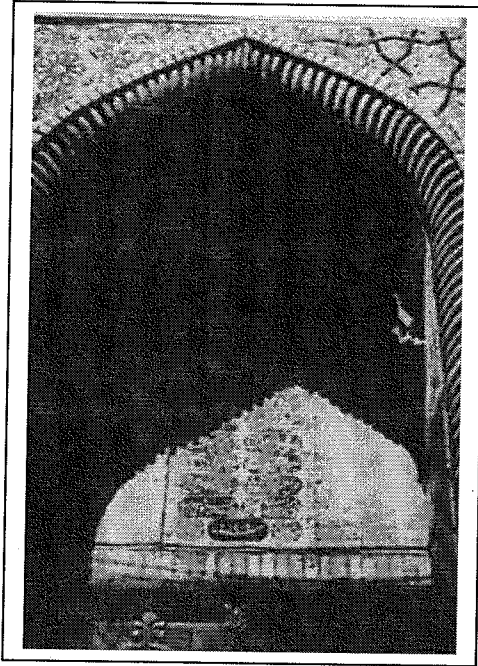
وبعد أن بين هذه القيود والشروط، سلّم المدرسة المذكورة، والعقارات المحدودة المرقومة، والكتب الأنفة الذكر، إلى المتولي الموما إليه السيد عبد الغفور أفندي، فتسلمها وقبضها، وعند التصديق الشرعي، وتحققه شفاهاً، وتأييد المتولي الموما إليه ذلك، فإن وكيل الواقف المشار إليه عبدالله آغا، أعاد الكلام، مبيناً أن موكلي الواقف الوزير المشار إليه أسبخ - الله نعمه عليه - رأى إن وقف العقار والمنقولات لا يلزم، وأن القضية خلافية، فتصدى للنزاع - وهو عارف به، كما هو قول الإمام الأعظم والهمام الأكرم، النعمان بن ثابت الكوفي، جُوزي خير الجزاء، وهو من المجتهدين الذين أسسوا أركان الاجتهاد، واستتبط الأحكام على بنيان قويم، من أن الوقف صحيح وغير لازم، وأما الإمام الثالث محمد بن الحسن الشيباني، فإنه يرى وقف المنفعة على نفسه ما يجعل الوقف غير صحيح، فدعا أن يرجع موكّلي عن الوقف فرجع، ومن ثم أدخل المدرسة المذكورة والعقارات والكتب المذكورات إلى ملكيته، وطلب استردادها، وقال ذلك وتوجه نحو المتولي، وأدى إلى المحاجة والمشادة، فعارضه المتولي مُتّبِعاً آداب البحث، والأسلوب الحكيم المُوَلِّ عليه، فوجه خطابه إليه، وامتنع من قبول ما أبداه، وبين له أن قول الإمام الأول أبي حنيفة ما ذكر بالوجه المبسوط، ولكن الإمام الثاني أبا يوسف فإنه يرى صحة الوقف بمجرد القول بوقف فيكون معتبراً، والإمام الثالث محمد بن الحسن الشيباني يرى لزوم الوقف بالتسليم إلى المتولي يصبح صحيحاً لازماً، وعلى رأي الإمامين الهمامين لا يصح الرجوع عن الوقف، ولا يسوغ شرعاً رجوع الوزير

المشار إليه، مما أدى إلى النزاع بينهما، فترافعا وطلبا من حاكم الشرع الموقع في صدر الكتاب، طوبى له وحسن مآب، أن يفصل النزاع ويحسمه، إن حاكم الشرع المشار إليه رأى أن تمهيد قواعد الخير أولى، وتشديد مباني الوقف أخرى، عالماً بالخلاف، ومُراعياً لما يجب رعايته في الحكم بالأوقاف، فحكم أولاً بصحة الوقف، وثانياً حكم حكماً شرعياً، وقضى قضاء صريحاً مرعياً بلزومه، وأن يكون حبساً صريحاً محتماً، فمن بدله بعدما سمعه، فإثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم، وأجر الواقف على الحي الجواد الكريم، تحريراً في اليوم الثاني من شهر شوال المكرم سنة ست ومائتين وألف هجرية.

الشهود:

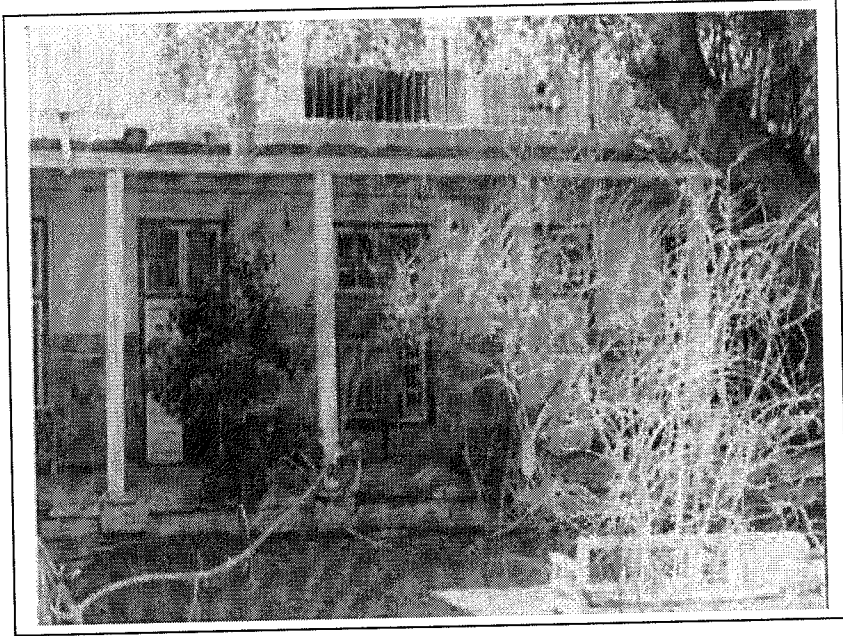
- 1- تقيب الأشراف حالاً صاحب السيادة السيد الحاج عبد الرحمن أفندي بن المرحوم السيد فيض الله أفندي
- 2- مفتي الشافعية حالاً صاحب السماحة محمد أمين أفندي بن المرحوم عبد السلام أفندي
- 3- مفتي الحنفية حالاً صاحب الفضيلة الحاج إسماعيل أفندي بن المرحوم الحاج محمد أفندي
- 4- نائب الحلة حالاً صاحب الفضيلة الحاج محمد صالح أفندي بن المرحوم عبد اللطيف أفندي
- 5- سادن الإمام الأعظم حالاً صاحب الفضيلة عبد الله أفندي بن الحاج محمد أفندي الراوي
- 6- خطيب الإمام الأعظم صاحب السيادة السيد طه أفندي
- 7- محمد أمين أفندي ابن محمود أفندي مفتي الشافعية
- 8- السيد سلمان أفندي بن المرحوم السيد عبد الله أفندي
- 9- صاحب الفضيلة محمد أسعد أفندي بن عبد الله أفندي آل صبغة الله أفندي
- 10- صاحب النجابة أحمد بك بن صالح بك
- 11- حسن بك بن صالح بك

- 12- صاحب النجابة الحاج صالح آغا بن عبيد الله آغا آل عبد الجليل
- 13- الحاج أبو بكر بن رمضان الموصللي
- 14- ملا عبد الرزاق بن محمد أفندي
- 15- السيد أبو بكر ابن السيد إسماعيل أفندي القادري
- 16- الحاج عبد الله الأعظمي بن حسين
- 17- السيد أيوب بن السيد أمين الأدهمي
- 18- حموش آغا بن الحاج يوسف
- 19- السيد أحمد بن السيد حسين الموصللي
- 20- إبراهيم آغا المحضر باشي بن عبد الله آغا
- 21- ملا عبد الرحمن بن ملا مصطفى
- 22- إسماعيل النائب ببغداد

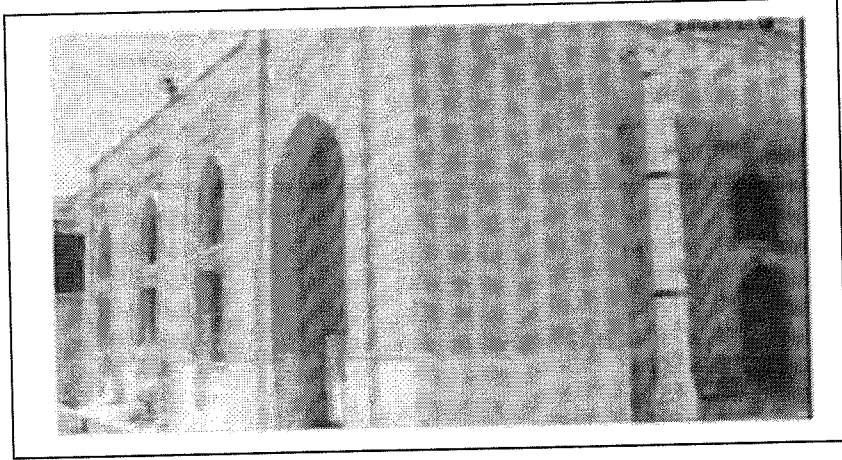


الكتابة التذكارية على بوابة المدرسة السليمانية المندثرة

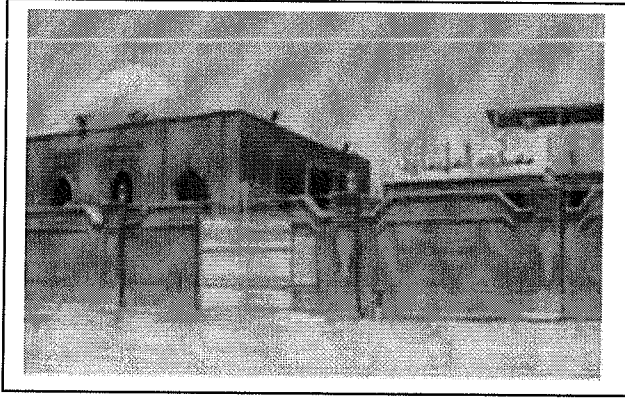
بعدهة كاتب البحث 1989



بعدهة كاتب البحث 1989



مسجد السليمانية الحديث (حيث كانت تقع المدرسة السليمانية)
بعدهة السيد زين النقشبندي



مسجد السليمانية الحديث

وقفية داود باشا

نص وتحقيق

ولد داود باشا في مدينة تفليس عاصمة جيورجيا سنة 1188هـ/1774م، وقيل سنة 1190هـ/1776م، وسرقه النخاسون من أهله ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وجيء به إلى بغداد، حيث اشتراه مصطفى بك الربيعي أحد وجهاء بغداد عهدذاك. ثم وهبه هذا إلى خزنदार بغداد سليمان بك، حيث شرع داود بتلقي العلم على كبار علماء المدينة حتى نال الإجازة العلمية من أكثرهم، كما نبغ في الأدب، ونظم الشعر البليغ بالعربية⁽¹⁾ والتركية. يقول إبراهيم فصيح الحيدري «وقد درّس هذا المشير قبل وزارته وفي أثنائها العلوم النقلية والعقلية ثلاثين سنة، وأخذ عنه عدة أعلام». ولما صار سليمان بك (باشا) والياً 1193-1217هـ/1779-1802م عين داود في منصب (الدفتردار) وهو المسؤول عن سجلات الولاية ووارداتها من الضرائب الزراعية خاصة، فلبث فيه إلى نهاية ولاية سعيد باشا بن سليمان باشا (1228-1231هـ/1813-1815م)، ولما بلغه سعي هذا الوالي إلى عزله، سارع هو بالخروج من بغداد تائراً، حيث التمس العون من أمراء البابانيين في شهرزور، وكتب إلى الدولة يُعلمها بضعف سعيد وسياسته الطائشة، ملتمساً توجيه الحكم إليه، فنجح في إقناع الدولة بوجاهة مطلبه، وحصل بالفعل على فرمان يقضي بعزل سعيد باشا وبتعيينه هو والياً على بغداد وتوابعها، ودخل بغداد والياً في 2 محرم 1232هـ/21 كانون الأول 1811م، وقد تميز عهده باهتمام واسع بالحركة العلمية والأدبية، تجلّى بظهور عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء، وبنشاط حركة التأليف في معظم علوم العصر، وكانت هذه الحركة تحظى بتشجيع داود باشا نفسه.

ومما تميّز به أيضاً عنايته بالحركة العمرانية، فكان أن جدّد، ووسع، معظم مساجد بغداد، وألحق ببعضها المدارس وخزائن الكتب، كما أنشأ عدداً من المنشآت العامة ذات النفع العام، ووقف عليها العقارات العديدة لينفق من ريعها على تلك المنشآت⁽²⁾. وتُعد

(1) تنظر نماذج عديدة من شعره بالتركية في عبد القادر الشهرباني: تذكرة الشعراء، بتحقيقنا، بغداد 2002، ص 39-56.

(2) ألف في سيرته كتابان مستقلان، هما (مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود) لعثمان بن سند البصري الوائلي، و(دوحة الوزراء في سيرة الوزراء) لرسول حاوي الكركوكلي، وترجم له ولعاصريه من الأدباء عبد القادر الشهرباني: تذكرة الشعراء، وقد تقدم، وتناثرت أخباره في

وثائق الوقفيات الخاصة به نصوصاً بالغة الأهمية ليس في تاريخ ما أنشأه أو جده منها، وإنما في الكشف عن تفاصيل ثروته من العقارات المتنوعة المتمثلة بما سجلته تلك الوثائق.

وعلى الرغم من أن أعمال داود العمرانية شملت معظم مساجد بغداد القائمة في عهده، إلا أنه تبقى إعادة بنائه لجامع الحيدر خانة أكبر أعماله العمرانية وأهمها على الإطلاق.

يرقى أصل هذا الجامع الى عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي، وكان يتوسط بحسب خطط ذلك العهد محلة واسعة وكثيفة السكن من محلات بغداد هي محلة سوق الثلاثاء وكان هذا السوق يمتد من سوق السلطان، حيث برز سوق الميدان في القرون التالية، حتى يصل الى باب دار الخلافة العباسية، وهو باب النوبي، الواقع قرب جامع مرجان العالي، وقد عُرف في عهد تأسيسه بمسجد درب الخبازين لوقوعه في مدخل درب كبير اشتهر بكثرة الخبازين فيه، ثم عرف الدرب في العهد العثماني بمحلة العاقولية نسبة الى جامع وقفه ودفن فيه العلامة جمال الدين عبد الله العاقولي المتوفى سنة 728هـ/1328م. ومن الواضح أن خراباً عم هذا المسجد حتى صار أرضاً خالية، فطمع بالاستيلاء عليها بعضهم، فما كان من أحدهم ويدعى (حسن) إلا أن أسس فيها مسجداً جديداً، سنة 1207هـ/1792م أطلق عليه اسم محلته فعرف بمسجد الحيدر خانة⁽¹⁾

التفت داود باشا الى هذا المسجد، فأنشأ فيه مدرسة، ووقف عليه عقارات كثيرة في وقفيات عدة مؤرخات بتواريخ مختلفة.

كتب المعاصرين، في مقدمتهم محمد الامين السهروردي في (نزهة الادباء)، بتحقيقنا، ص62- 97 وسليمان فائق: مرآة الزراء في سيرة الوزراء، وألف في سيرته من المحدثين الدكتور عبد العزيز سليمان نوار كتاباً بعنوان (داود باشا والي بغداد) القاهرة 1968، والدكتور يوسف عز الدين رسالة بعنوان (داود باشا ونهاية عهد المماليك)، بغداد 1967.

(1) ينظر محمود شكري الألووسي: مساجد بغداد وآثارها، تهذيب محمد بهجت الأتري، بغداد 1924، والألووسي نفسه: مقتطفات جمعها أنستاس الكرمل في كتابه (اللمع التاريخية) حققه طارق الحمداني وحكمت رحمان، بغداد 2015، ص98- 105 وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، ص242 ومحمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، ص242 وإبراهيم الدروبي: البغداديون، بغداد 1958 ص304 وكتابتنا معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط2، بغداد 2016 ص178-182.

ففي وقفيته المؤرخة في غرة محرم 1234 هـ/30 تشرين الأول 1818م نقرأ أنه «أما بعد فإن الوالي على أمور ولاية بغداد والبصرة وشهرزور الحالي الوزير المكرم.. داود باشا.. وكل عنه.. المسجل الشرعي محسن أفندي بن صالح أفندي.. وأقام بمواجهة المتولي المسجل الشرعي عن الوزير المشار إليه.. نجيب آغا بن عبد الله.. قائلًا: إن موكلي قد وقف الأملاك التالية المنسلكة في سلك ملكه، وهي: الدار المشتملة على غرفتين وإيوان وبستان أشجار نخيل، المحدودة من جهة بالأرض البسيطة الداخلة في بستان يوسف بك- أطلال الله عمره- ومن جهة بطريق الإمام الأعظم، ومن جهة بدريونة بستان القصر.

وكذلك المقهى والدكان الملاصقان مع الدار المذكورة، قرب الإمام الأعظم رضي الله عنه، وعلى الطريق. وأخرجها من ملكه - حسبة لله تعالى- ووقفها على السبيلخانة التي أنشأها ملاصقة للعقارات المذكورة، وقفاً مؤبداً وحسباً مخلداً. وأنه اشترط أن توجر المقهى والدكان المذكوران إلى ساقى السبيلخانة المذكورة أبداً، وأن يواظب على سقي عباد الله، وأن تكون فضلة غلة الوقف، بعد التعمير والترميم مع المتولية عليه إلى مدبرته فخر المخدرات أمة الله خاتون، ومن بعدها تصرف الفضلة المذكورة لصالح المدرسة التي أنشأها ووقفها الواقف الوزير المشار إليه في سوق الحيدرخانة، وتكون التولية على الوقف إلى متولي المدرسة المذكورة..».



جامع الحيدرخانة

وقد نقض ما حوله من أسواق بسبب فتح الشارع العام سنة 1916 (صورة قديمة)

وفي وقفه المؤرخة في 4 صفر من السنة نفسها /29 تشرين الثاني 1818م نقرأ أنه وقف عقارات متنوعة فضلا عن مواد منقولة، وكتب، هي « .. الدكاكين الأربعة الواقعة في سوق الحيدرخانة، من أسواق بغداد، المحدودة من جهة بملك الملا أحمد، ومن جهة بملك أمين آغا الجادرجي، ومن جهة بملك الحاج حسين، ومن جهة بشارع السوق، والملاصقة والمتصلة بعضها ببعض. وكذا المحل الملاصق لتلك الدكاكين والخانات الموجودة فيه، وهي: جدر⁽¹⁾ كبير من النحاس، وسطل كبير، وجدر زند لعمل الحلاوة، وجدر زند آخر، وجدر بابير، وجدر أبو كردان، ورحاتي واحد، وأربعة زناجير، وبشت، وجدعة مع زنجير، وميزان كبير، وتسعة حباب، وخوان كبير، ومسحاة واحدة، وتكة واحدة، وبكرة، وشب جدعة، ومعال واحد، وكبنك.

وكذلك المقهى الواقع في سوق الحيدرخانة، والمحدود من جهة بملك أيتام عساف، ومن جهتين بملك أمين آغا فندق زاده، ومن جهة بشارع السوق، وكذلك الدكان الواقع في سوق الحيدرخانة، المحدود من جهة بدكان وقف مدرسة ولي النعم، ومن جهة بملك قره محمد، ومن جهتين بالطريق العام.

وكذلك الدكان الواقع في سوق دنكجيلر⁽²⁾، والمحدود من جهة بملك فيض الله بن عبدالله آغا، ومن جهة بملك الحاج محمد، ومن جهة بملك عمر بن عبدالله، ومن جهة بشارع السوق.

وكذلك الدكاكين الثلاثة الملاصقة، والمتصلة بعضها ببعض، الواقعة في سوق الزنجير، والمحدودة من جهة بشارع السوق.

وكذلك الكتب المعتبرة من الفقه ستة عشر مجلداً، والحديث الشريف عشر مجلدات، ومن المعاني والكلام ثلاثة مجلدات.

وان .. الوزير المشار إليه قد أخرج هذه الأملاك من ملكه حشبة لله تعالى، ووقفها على المدرسة الشريفة التي وفق إلى إنشائها وبنائها في سوق الحيدرخانة ..»

وفي وقفه المؤرخة في 15 شوال 1234هـ /16 آب 1819م «وقف ما هو تحت تصرفه التام، ومنسلك في ملكه، وهو الحصة البالغة تسعة أسهم من مجموع إثنا عشر

(1) عامية، يريد: القدر

(2) تقدم التعريف بأكثر هذه المواضع في دراستنا عن وقفية سليمان باشا الكبير، كما سيرد التعريف بها في تعليقتنا على الوقفية الجامعة لداود موضوعة الدراسة

سهماً من البستان المعروفة بإسم بستان الفصر الواقع في قسبة الأعظمية، والمحدود من جهة بدجلة العظمى، ومن جهة ببستان سليمان بك آل فخري، ويساقية الشيخ شهاب الدين - قدس سره المتين- الموقوفة على بستان الوقف، ومن جهة ببستان الملا رجب، ومن جهة بالطريق العام.

وكذلك البئر الواقع في دولاب بستان القصر، والمشارك مع الملا رجب وإسماعيل. وكذلك خمسة أسهم وربع السهم من أصل تسعة أسهم من الجماعة. وكذا تمام قطعة الأرض المحتوية على دولاب نبعية وشجرتي نخل، الواقعة في القسبة المذكورة، والمحدودة من جهتين بأملك ولي النعم، والملا رجب بن سليمان، ومن جهة بملك مصطفى بن أحمد، ومن جهة بطريق العام. وقد تفضل موكلي فحدد شروط وقيود الوقف، فاشتراط أن يؤجر الوقف المذكور من قبل المتولي سنة فسنة، وأن يُصرف من الغلة المتحصلة للتعميرات المقتضية في الوقف، وتعطى فضلة الغلة إلى أم ولد موكلي فخر المخدرات .. ماه جين خاتون بنت عبدالله، ومن بعدها إلى أولاد ماه جين خاتون.. وبعد انقراض الجميع.. يرجع الوقف المذكور ويلحق ويضم إلى أوقاف المدرسة الشريفة التي وفق الوزير.. إلى إنشائها وبنائها..».

وفي وقفيته المؤرخة في 10 جمادى الآخرة من السنة 1234هـ/نيسان 1819م نقرأ أن «الوكيل نجم آغا بن عبدالله.. أقر .. قائلًا: إن موكلي الوزير المشار إليه قد وقف.. المقهى المعروف بإسم مقهى عباس أفندي الواقع في محلة عباس أفندي، من محلات مدينة بغداد، المحدود من جهتين لملك الملا حسين، ومن جهتين بالطريق العام.

وكذلك طاقم الحاجات الموجودة في المقهى المذكورة، وهي: ستة تخوت، وخمسة حصران جديدة، وأخرى قديمة مستعملة، وخمسة .. وأربع سجاجيد وإحرام واحد، وكركم كبير، وثلاثة أباريق وطاسة كبيرة، وصينيتان، ومقطع.

وكذلك دكان البقال الواقع في المحلة المذكورة المحدود من جهتين بملك الملا حسن كراوي، ومن جهة بملك المي حسن توتونجي، ومن جهة بالمقهى المذكورة، وكذلك دكان القصاب، ودكان الحلاق الملاصقين لدكان البقال المذكور، وكذلك طاقم الحاجات الموجودة في دكان البقال، وهي: خوان و.. وأن موكلي الوزير المشار إليه قد أخرج هذه الأملاك من ملكه ووقفها - حسبة لله تعالى- على مدبرته فخر المخدرات أمة الله خاتون، واشتراط التولية إليها بيدها ما دامت حية. ومن بعدها يعود هذا الوقف

ويلحق ويضم بوقف المدرسة الشريفة التي وفق الوزير الواقف المشار إليه إلى إنشائها
وبنائها في سوق الحيدر خانة ..».

وفي الوقفية المؤرخة في 2 ربيع الأول سنة 1235هـ/18 كانون الأول 1819م أنه
«وقف الأملاك المنسلكة في سلك ملكه، وهي الدكان الواقع في سوق جُبوقجيلر من
أسواق مدينة بغداد، والمحدود من جهة بدكان جامع الوزير، ومن جهة بوقف بملك
فاطمة خان، ومن جهة بدار خجة، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في
خان الكمرک، المحدود من جهة بخان المدرسة الآتية الذكر، ومن جهتين بملك اليهودي
المسمى الخواجة عبدالله، ومن جهة بشارع السوق، وكذلك الدكان الواقع في سوق
القزازين، والمحدود من جهة بدكان القزاز الشيخ مهدي، ومن جهة بملك محمد أمين
آغا الأعرج، ومن جهة لخان الدوكمة، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في
سوق قطني، المحدود من جهة بملك الحاج مرزه جان، ومن جهة بملك الحاج محمد
جلال، ومن جهة بخان الإبريسم، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في
سوق خان بكر المحدود من جهة بدكان وقف الرسول الأكرم والجناب المحترم صلى الله
عليه وسلم، ومن جهة بدكان عبدالله بن الحاج علي بن قره، ومن جهتين بشارع السوق.

وكذلك الدكان الواقع في سوق بكر المذكور، المحدود من جهة بدكان وقف حضرة
قطب العارفين الشيخ عبدالقادر الكيلاني - قدس سره العزيز-، ومن جهة بجامع
المرجانية، ومن جهة بدكاكين الحاجة فاطمة والحاجة زينب بنتي الحاج إبراهيم، ومن
جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في سوق العطارين، المحدود من جهة بدكان
سيد عيسى، ومن جهة بدكان إسحاق، ومن جهة بخان اليهود، ومن جهة بشارع
السوق.. ووقفها وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً، واشترط أن تؤجر دكاكين الوقف المذكور من
قبل المتولي سنة فسنة، وأن يصرف من الغلة المتحصلة للتعميرات المقتضية في الوقف
المذكور.. واشترط الفضلة الباقية من الغلة إلى نجله المحترم النجيب يوسف بك- أطال
الله عمره- وبعد انقراض الجميع والعياذ بالله فيرجع الوقف ويلحق ويضم إلى أوقاف
المدرسة الشريفة التي وفق الموكل.. إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدر خانة ..»

وفضلاً عما تقدم، فإنه وقف في 4 رجب الفرد سنة 1234هـ/28 نيسان 1819م
عقارات أخرى هي «النصف الشائع من قطعة البستان المنخرطة في سلك ملك موكلي
عن طريق الشراء الشرعي من أحمد آغا بن عبدالله الأندروني بموجب حجة شرعية،
والواقعة في قرية خشخشية الواقعة بناحية الحلة، من مضافات مدينة بغداد،

والمحدودة من جهة لبستان الإمام محمد عليه الرحمة، ومن جهة ببستان عمران بن حسن، ومن جهة ببستان ميتافيش، ومن جهة بالفرات العظمى، وكذلك وقف الربيع الشائع في قطعة البستان الواقعة في القرية المذكورة، والمحدودة من جهة بالفرات العظمى، مع جميع شروب ودروب وسواقي ومساقى وعامر وغامر القطعتين.. وقد اشترط أن يُوجَر الوقف المذكور إلى الغير سنة فسنة من قبل المتولي بما يعادل أجر مثله، وأن يصرف الثلثان من الغلة المتحصلة إلى فقراء مدينة بغداد، ويهدى ثوابه إلى الروح الطاهرة للشيخ شهاب الدين قدس سره المبين، ويصرف الثلث الآخر من الغلة إلى عزيز آغا بن عبدالله، ومن بعده يكون الثلث مشروطاً إلى أولاد عزيز آغا وأولاد أولاده.. وبعد انقراض الجميع والعياذ بالله من ذلك، يرجع ثلث الغلة المذكورة ويلحق بوقف المدرسة الشريفة التي وقف موكلي.. إلى بنائها وإنشائها في الحيدرخانة».

وفي الوقفية المؤرخة في 3 رمضان سنة 1235هـ/13 حزيران 1820م «وقف الأملاك المنسلكة والمنخرطة في سلك ملكه لحين صدور الوقف منه، وهي: الحديقة المسماة حديقة جديد الواقعة في قرية إمام جيزاني من قرى الخالص، والمحدودة من جهة ببستان الجديد، ومن جهة ببستان التُّكي، ومن جهة بقرية جيزاني، ومن جهة بساقية قصب، ومن جهة بالطريق العام، مع جملة توابعها ولواحقها وأخرجها من سلك ملكه.. وقفاً مؤبداً وحسباً مخلداً.. وأن الموكل الوزير.. قد اشترط ضم والحق ورجوع هذا الوقف إلى أوقاف المدرسة التي وفق إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدرخانة».

وفي وقفيته المؤرخة في 18 ذي الحجة سنة 1235هـ/25 أيلول 1820م أضاف إلى وقفياته السابقات «الدكان والمخزن المتلاصقين الواقعين باتصال خان التمر، والمحدودين من جهة بالخان المذكور، ومن جهة بباب الخان، ومن جهة بدكان حسين آغا، ومن جهة بشارع السوق. وكذلك الدكان الواقع في سوق الأطرقيجية المحدود من جهة بملك محمد آغا بن حسين خورماتي، ومن جهة بدكان وقف جامع القبلائية، ومن جهة بالجامع المذكور، ومن جهة بشارع السوق، وقد اشترط موكلي جعل هذه الأملاك راجعة وتلحق وتضم إلى وقف المدرسة التي وفق موكلي الوزير، الإفلاطوني التدبير، إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدرخانة، بموجب الشروط والقيود المصرح بها في وقفيته الكبيرة للمدرسة المذكورة».

وزاد في وقفيته المؤرخة في 7 رجب سنة 1236 هـ «دكان الخباز الواقع في السوق الواقع قرب المصبعة، من أسواق بغداد، المحدود بالمصبغة المذكورة، ومن جهة بشارع

السوق النافذ، إلى دجلة العظمى، ومن جهة بالقشلة الخامسة والثلاثين، ومن جهة بشارع السوق، وهو الدكان المشتمل على إيوان وثلاث غرف ومحل صنع الخبز، وكذلك وقف دكان الكبابجي الواقع بإتصال الدكان المذكور، والمحدود من جهة بدكان سيد حمود سريرجي، ومن جهتين بدكان الخبز المذكور.. واشترط أن تؤجر الأوقاف المذكورة من قبل المتولي سنة فسنة، وأن تصرف الغلة إلى مصالح المرقد الشريف للشيخ حبيب العجمي، قدس سره العزيز، واشترط أن تكون التولية على هذا الوقف بيد متولي المدرسة الشريفة التي وفق الواقف المشار إليه إلى بنائها وإنشائها في سوق الحيدرخانة».

أما في وقفه المؤرخة في 2 صفر سنة 1236 / 8 تشرين الثاني 1820م فقد «وقف وحبس خان الزوار الذي كان في الأصل إسكلة، والذي هو منسلك في سلكه وملكه، والواقع بدار محمد بن قره باجق، ومن جهة بملك معروف بن رجب، ومن جهة بملك عزيزة بنت كاظم، ومن جهة بالطريف العام، مع توابعه ولواحقه، وأخرجه من ملكه ووقفه حسبة لله تعالى وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً. وقد أمر واشترط أن تعود غلة هذا الخان المذكور إلى غلة المحترم صاحب النجابة يوسف بك.. وبعده إلى أولاده.. وبعد انقراض الجميع.. يعود الوقف المذكور ويضم ويلحق بوثق المدرسة التي وفق الوزير إلى إنشائها وبنائها في سوق الحيدرخانة..»

ثم أنه وقف في وقفه المؤرخة في 7 شعبان من السنة نفسها / 9 نيسان 1821م «الدكان الواقع في سوق البزازين من أسواق المدينة المذكورة، والمحدود من جهة بخان الدوكمة، ومن جهتين بدكان ورثة الحاج خليل عرموش زاده، ومن جهة بشارع السوق. وكذا الدكان الواقع في سوق الأَطْرَقِجِيَّة، المحدود من جهة بدكان رئيس كتاب الكمرک الحاج صالح آغا، ومن جهة بدكان محبوبة خاتون، ومن جهة بدكان الخياطين، ومن جهة بشارع السوق، مع جملة توابع الدكانين.. وقد تفضل واشترط أن تؤجر الأوقاف المذكورة سنة فسنة من قبل المتولي. وبعد الصرف للتعميرات المقتضية للوقف من الغلة المتحصلة يعود الباقي من الغلة إلى .. نجله يوسف بك.. وبعده لأولاده.. وبعد إنقراض الجميع يرجع الوقف ويلحق بأوقاف المدرسة التي وقفها الواقف.. التي أنشأها وبنائها في سوق الحيدرخانة»

وفي كل وقفية كان داود يزيد في العقارات شيئاً يقفه عليه، ولم ينفك مهتماً به حتى أنه اشترى بعد نحو تسع سنين ما كان يحيط به من دور سكنية، ثم أنه نقض الجميع، وأنشأ على أرضه جامعاً جديداً كبيراً، سمي باسم سابقه، ولكنه أضاف إليه

مدرستين عرفتا بالمدرسة الداودية نسبة الى اسمه. ومن الواضح أن داود وقع عليه اختياره ليكون جامعه الرئيس الذي يقترن باسمه، مقتدياً في ذلك بما فعله الولاة الكبار السابقون، الذين أنشأوا جوامع خلدت أسماءهم، مثل المرادية، الذي أنشأه مراد باشا (978هـ/1570م)، والقبلائية، الذي أنشأه قبلان مصطفى باشا (1087هـ/1676م) والوزير، من إنشاء الوزير حسن باشا الاول (1008هـ/1100م)، وجديد حسن باشا الذي أنشأه حسن باشا (1133هـ/1720م) مؤسس نظام المماليك، وآخرها المدرسة السليمانية التي أنشأها الوزير سليمان باشا الكبير.

يُعد جامع الحيدرخانه أنموذجاً بارزاً لما بلغه فن العمارة في بغداد في عهد المماليك من تطور، وقد تأثر في عمارته بجامع الأحمدية، الكائن في صدر محلة الميدان والمقابل للقلعة الداخلية، وهو الجامع الذي أنشأه أحمد باشا كتحدا والي بغداد سليمان باشا الكبير، سنة 1210هـ/1795م والأخير هو سيد داود ومولاه، ومقتداه في حكمه وسياسته. فجاء جامعه شبيهاً بجامع الأحمدية حتى يمكن القول أنهما من عمل معمار واحد. وهما يتميزان بوجود قبة عالية بصليّة الشكل تغطي معظم مُصلّاه، وتقوم على رقبة مرتفعة، ذات نوافذ طولية، وقبتين ثانويتين شبيهتين بها لكنهما أصغر حجماً، وذلك بديلاً عن صفوف القباب المنخفضة التي التزم بها مهندسو الجوامع السابقة، إضافة الى طارمة عالية تقوم على أووين عالية متناظرة، ومئذنة رشيقة سامقة ذات حوض واحد ترتفع من يمين المصلى مباشرة. ولا اختلاف بين الجامعين إلا في القبة الرئيسية، فإنها في جامع الحيدرخانه أكثر سعة. ولكل من الجامعين فناء متسع، تحيط به من جوانبه صفوف من حجرات كانت تستغل لاغراض متنوعة، ففي جامع الحيدرخانه كانت هناك مدرستان على ما ذكرنا، وقد ألحقت بهما خزانه كبيرة للكتب وعين لها حافظ مسؤول عنها بحسب وقفيته. ويتميز الجامع بالزينة الفائقة التي تكسو قبابه ومئذنته وأووينه من قطع الاجر الملون والذي يمثل زخارف نباتية مورقة وموردة، وهي تشبه الى حد بعيد تلك الزينة التي تكسو جامع الأحمدية، مما يبعث على الظن أن مصدر الزينتين واحد.

ضم داود باشا وقفياته السابقة على مسجد الحيدرخانه القديم إلى وقفيته الجديدة، المؤرخة في سنة 1243هـ/1828م. على جامعه الذي أحدثه، فصارت وقفية واحدة، شاملة لكل ما وقفه من وقفيات والشروط السابقة نفسها، لاغياً بذلك العمل بتلك الوقفيات بصفة مطلقة.

وتشمل تلك الوقفيات مجموعة كبيرة من العقارات التجارية والزراعية في بغداد
 واطرافها وفي مدن أخرى، على النحو الآتي:

المكان	العدد	نوع العقار
سوق الحيدرخانة	1	دكان
مقابلة لجامع الحيدرخانة	19	دكان
متصلة بجامع الحيدرخانة	11	دكان
مقابلة لجامع الحيدرخانة	1	قهوة
سوق الحيدرخانة	1	بزارة (مخزن حبوب)
سوق الحيدرخانة	2	دكان
مقابلين للدكاتين السابفين	2	دكان
سوق الحيدرخانة	1	دكان
قرب خان جفان	1	دكان
سوق قاضى الحاجات	7	دكان
سوق الأطرقجية	1	دكان
سوق الأطرقجية	1	دكان
سوق الأطرقجية	1	دكان
سوق الدنكجية	1	دكان
سوق الدنكجية	1	دكان
سوق الزنجير	1	دكان
سوق الشورجة	1	دكان
سوق المرجانية	1	دكان
سوق الدنكجية	1	دكان
سوق الدنكجية	3	دكان

سوق الشورجة	1	دكان
سوق المرجانية	1	دكان
سوق العطارين	1	دكان
سوق العطارين	1	دكان
سوق رأس القرية	1	دكان
سوق الدفتردار	1	دكان
سوق الخفافين	1	دكان
سوق الجبوقحية	2	دكان
سوق الصاغة	1	دكان
سوق البزازين	1	دكان
سوق الشعريافية	1	دكان
سوق بكر	1	دكان
سوق بكر	1	دكان
سوق التمر	1	دكان
قرب المصبغة	1	دكان
قرب المصبغة	1	دكان
سوق البزازين	1	دكان
سوق القبلاية	1	دكان
سوق القبلاية	1	دكان
سوق السراجين	4	دكان
سوق البزازين	1	دكان
سوق الوفائية	1	خان
سوق الوفائية	1	خان
سوق الشورجة	1	علوة

سوق الشورحة	2/1	علوة
رأس الجسر الغربي	1	علوة
سوق الحيدر خانة	1	قهوة
سوق الحيدر خانة	1	قهوة
سوق الحيدر خانة	1	قهوة
سوق الميدان	1	قهوة
رأس الجسر الغربي	2/1	قهوة
رأس الجسر الغربي	2/1	علوة
رأس الجسر الغربي	2/1	خان
قرب المصبغة	1	دكان
سوق الوفاية	2	دكة
سوق المرجانية	1	دكة
سوق البزازين	1	دكة
سوق القبلاية	1	دكة
غربي قسبة الإمام الأعظم	1	بستان الفريجات
غربي قسبة الإمام الأعظم	2	كرد الفريجات
الخالص	1	بستان الجديدة
الخالص	1	بستان التوث
الخالص	1	نهر قصب
شرقي قسبة الإمام الأعظم	1	بستان القصر
طريق أبو صيدا	1	مزرع
طريق أبو صيدا	1	أرض بسيطة
طريق أبو صيدا	1	بستان الحاج صالح

بستان الحاج نور	1	طريق أبو صيدا
ساقية	1	طريق أبو صيدا
بستان الياس بن خضر	1	طريق المحمودية
عقر هور الجيبه جى	1	طريق المحمودية
عقر هور الزعفرانية	ثلث	الزعفرانية
مزرع	1	طريق أبو صيدا
أرض نهر قرية اللحمه	1	الدجيل
أرض نهر العواضر	1	الدجيل
أرض الموح	1	الدجيل
خان	1	أربيل
بستان	1	قرية الهاشمية
بستان	4 أسهم	الخالص
رحى	1	قرية قره تبة
عقر أبو دبس	1	المحمودية
بساتين	9	يظهر أنها في طريق المحمودية

ويظهر وفقاً لما تقدم، أن أكثر الموقوفات هي عقارات ذات طابع تجاري، تقع في أسواق المدينة، فثمة 3 خانات تجارية، واحد منها في أربيل، و84 دكاناً، و4 علوات، و6 مقاه، و4 دكات، و1 بزاره كلها في بغداد، فيكون مجموعها 92 عقاراً، وتتوزع أغلب هذه العقارات في الجانب الشرقي، وهو الأكثر كثافة بينما لا تزيد هذه العقارات في الجانب الغربي عن أربعة فحسب.

أما العقارات الزراعية فهي 31 عقاراً، تنتوع بين هور، ومزرع، وكرد، ونهر، وساقية، ورحى، وأرض فضاء، وهي تنتوزع على جانبي دجلة، ولا يبعد أقصاها عن مركز بغداد بأكثر من أربعين كيلومتراً⁽¹⁾.

(1) جرت العادة على تعيين رواتب الموظفين في عهد المماليك بالقرش الزائج، وهو يعدل ربع قيمة القرش الصاغ، وبما أن القرش الأخير كان يساوي 40 بارة، فالزائج كان يساوي 10 بارات، وهذه

يمثل ميل الاستثمار الى القطاع التجاري على حساب القطاع الزراعي والرعي، في هذه الوقفية، ظاهرة عامة من أهم الطواهر الاقتصادية في عهد المماليك، ولا سيما في عهد داود باشا، وهي ظاهرة طبعت آثارها على مجمل الحياة الاجتماعية في البلاد، حيث أصبح التجار، لا الاقطاعيون، هم الطبقة الأقوى والاكثر ثقلا وتأثيراً. وبعد أن كانت الثروة والنبالة تتمثل بتملك القرى والأراضي الزراعية، أصبحت - كما تكشف هذه الوقفيات- تتمثل بالدكاكين والخانات بل وحتى المقاهي. وبحسب الوقفية يجري توزيع الاموال المستحصلة من هذه العقارات على عدد كبير من العاملين في الجامع، وذلك على النحو الآتي:

اسم الوظيفة	مبلغ الراتب بالقرش البغدادي الرائج
المدرس	300
الخطيب	200
الواعظ	100
إمام عدد 2	400 (لكل إمام 200)
قرأء عدد 4	40 (لكل قارئ 10)
مؤذنون عدد 4	250 (لكل مؤذن 72 و 1/2)
معيد درس الواعظ	30
حافظ الكتب	100
مُشعل القناديل	50
من بيده المفاتيح	145
مُناول السيف للخطيب في أيام الجمعة	30
كنّاس	100

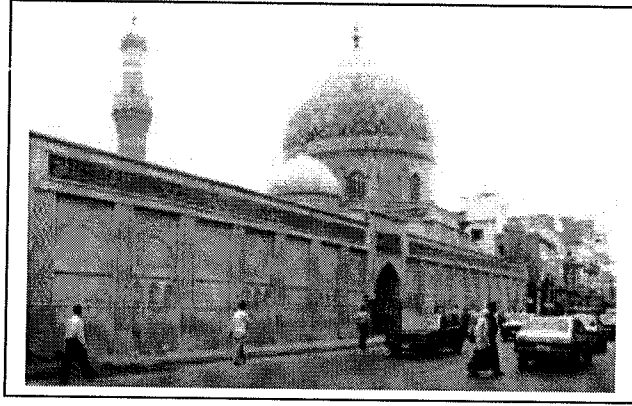
كلها من الفضة، بينما تساوي كل بارة اربعة فلوس نحاس. ومن الصعب تحديد القوة الشرائية لهذه العملات في ذلك العهد، بسبب الانخفاض المستمر لعيار الفضة فيها من حين إلى آخر، ولأسباب أخرى. ينظر كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، الملحق 15.

80	الإبريقي
50	مناول الماء للشاربين
50	من يرش أرض الجامع بالماء
360	سقاء
30	من يأتي بالقناديل للجامع
25	من يأتي بالأباريق للجامع
50	المعمار
100	مدرس جامع حبيب العجمي
50	مؤذن جامع حبيب العجمي
35	خادم جامع حبيب العجمي
35	أباريقي جامع حبيب العجمي
1000	المتولي على الوقف
2755 ⁽¹⁾	مجموع الرواتب

وعلى الرغم من أن جامع الحيدر خانة يبدو هو المقصود بهذه الوقفية، إلا أنها تشمل في نصها جامع آخر قي الجانب الغربي، هو جامع حبيب العجمي، الذي كان داود قد أعاد بناءه في ذلك التاريخ.

كما أن نص الوقفية مَنَح المتولي للوقف حق الإنفاق على كل ما يراه نافعا «في سائر وجوه الإنتفاعات»، بعد إخراج مبلغ الرواتب على الجامعين المذكورين، ويعني هذا أن له أن يُنفق على جميع ما أنشأه من الجوامع والمساجد التي لم يخصصها بوقفية بذاتها. ويعني أيضاً ان المبلغ المستخلص من العقارات الموقوفة يزيد على ما هو مخصص للإنفاق على الجامعين بشيء كثير .

(1) في الوقفية 2820 قرشاً.



جامع الحيدرخانة بعد تجديد واجهته وإزالة صف الدكاكين الموقوفة في هذه الواجهة

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة الوقفية]

الحمد لله الذي جعل جنّته وقفاً على عباده المؤمنين، ووزّع رحمته رفقاً بالطائعين والعاصين، وأبرز ما أجرته الإرادة بأيدي قدرته، وأحكم ما أظهرته على وفق حكمته، فخلق الإنسان أشرف الموجودات، وميّزه بمزايا على البريات، ومكّنه من الدنيا ما هو الأنفع له والأحرى، ووعدّه إن زهد فيها يتحفه خيراً منها في الأخرى، واستخلصه لعبادته واصطفاه، وكلفه بما اختار له وارتضاه، فبذلك أرسل فيه من نوعه الرسل مبصرين ومُنذرين، وهادين إلى معالم الحق الواضح المستديم، وكان منهم واسطة العقد وبيت الحمد، إمامهم الأفضل ومقتداهم الأكمل، الآخر بعثاً وإرسالاً، والأول مجداً وأفضالاً، خاتم خزانة الإرسال، فاتح أبواب الكمال، أعمهم إرسالاً، وأتمهم أقوالاً، وأفضلهم بلاغاً، وأسرعهم إبلاغاً، وأقواهم برهاناً، وأفصحهم بياناً. فقام بأعباء الرسالة حتى أودي قبساً لقابس، وحبس نفسه على تمهيد طرق العدالة، فله دَرّة من حابس، فعمّت رسالته الأسود والأحمر، وبلغت دعوته الأصغر والأكبر. اللهم فصلّ عليه وعليهم صلاة موقوفة على أرواحهم، مُزينة لأشباحهم، وعلى آله وآلهم وأصحابهم، الذين وقفوا نفوسهم على اتباع الحق ونصرته، وتشبيد ركن الدين ورفعته، وعلى التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فيقول العبد المفتقر إلى عفو رب العباد إبراهيم بن محمد أفندي القاضي في مدينة السلام بغداد⁽¹⁾:

(1) عين هذا القاضي ببغداد سنة 1242هـ/1826م بموجب الفرمان المؤرخ شوال من العام نفسه (إبراهيم الدروبي: قضاة بغداد ص224 مخطوط).

إن حضرة ولي النعم، ومُبيد الزور والنقم، الوزير الكبير، والبدر المنير، أبو الفتوحات الناصر لدين الله داود باشا، والي بغداد، لما علم أن الوقف من أشرف الطاعات، وأجل القربات، حتى قصر الله تعالى نيل البر عليه، كما نص عليه المفسرون، فقال عز وجل (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ). ولذلك لما سمع هذا الخطاب، المعنون بالصواب، أبو طلحة رضي الله عنه، دبَّت فيه أريحية الطاعة، فانخرط من بين الجماعة، وبادر إلى وقف أحب أمواله إليه، أعنى (بيرحاء) حديقة له مشهورة، وجنة له معمورة⁽¹⁾. ووقف سيدنا عمر بن الخطاب رض الله تعالى أرضاً بخيبر أصابها بأمره صلى الله عليه وسلم، وهو أول وقف في الإسلام⁽²⁾، ثم جرى على سنته الخاص والعالم، ووقف صلى الله عليه وسلم أموال (مخيريق) التي أصابها في السنة الثالثة⁽³⁾. وقال صلى الله عليه فيما رواه مسلم في صحيحه: (إذا مات مسلم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، والمراد بالصدقة الجارية الوقف باتفاق أكثر العلماء الأعلام والأئمة هداة الإسلام. وجاء عن جابر رض الله عنه: انه ما بقي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد له معذرة حتى وقَّف.

[شروط الوقفية]

أحبُّ أن يقتضى سنة سيد المرسلين، وينخرط في أولئك الواقفين الصالحين، فبنى جامعاً ومدرسة واقعين في الجانب الشرقي من مدينة بغداد، في محلة الحيدرخانة ووقفهما، ووقف عليهما أوقافاً يأتي ذكرها، وذلك في سنة 1234، وكتب وقفية ذلك مختومة بخواتيم قضاة بغداد⁽⁴⁾، وقد دُوِّنت بحروفها وألفاظها في الدفترخانه. وقد

(1) قال الإمام احمد: حدثنا مالك، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، سمع أنس من مالك يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء - وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضَّعها يا رسول الله حيث أراد الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بخ ذلك مال رابع. ينظر ابن كثير في تفسير الآية.

(2) في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله لم أصب مالاً قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخيبر، فما تأمرني به؟ قال حبس الأصل وسبل الثمرة. ينظر تفسير ابن كثير

(3) ينظر سيرة ابن هشام ج 2 ص 89 طبعة مؤسسة علوم القرآن

(4) وكان داود باشا قد وقف على جامع ومدرسته عدداً من الوقفيات في تواريخ مختلفة، ثم وحدها وضاف عليها في وقفيته الأخيرة هذه.

شرط فيها شروطاً متعددة، من جملتها أن شرط لنفسه الإدخال والإخراج، والزيادة والنقصان، والتغيير والتبديل. ولما كان هذا الشرط جائزاً قد صرح بجوازه جماعة من فقهاء السادة الحنفية، القائلين بأن شرط الواقف كنعن الشارع، منهم صاحب الواقعات⁽¹⁾، فإنه نقل عن قاضيخان⁽²⁾ أنه قال: أجمعوا على أن الواقف إذا شرط الاستبدال لنفسه في أصل الوقف يصح الوقف ويملك الاستبدال، ومنهم صاحب در المختار⁽³⁾ في شرح تنوير الأبصار⁽⁴⁾، حيث قال: وجاز جعل غلة الوقف والولاية لنفسه عند الثاني وعليه الفتوى، وجاز شرط الاستبدال به أرضاً أخرى انتهى. ومنهم خير الدين في فتاواه⁽⁵⁾ فإنه قال فيها: سئل فيما إذا وقف رجل وقفاً على نفسه أيام حياته، ثم من بعده على أولاده الموجودين يومئذ وسماهم، وعلى من يحدث له من الأولاد الذكور والإناث بينهم على الفريضة الشرعية، ثم من بعدهم على أولادهم ما تناسوا، وبعد الانقراض إلى جهة بر متصلة. وشرط شروطاً من جملتها أنه شرط لنفسه الإدخال والإخراج والزيادة والنقصان والتغيير والتبديل كما بدا له، وإن تناهى له ذلك أو تسلسل شرط الصحيح معتبر فله الإدخال والإخراج إلى آخر ما قال، وقال الطرسوسي في أنفع الوسائل⁽⁶⁾: أما استثنائه في أن يزيد متى رأى زيادة، وأن يخرج من صدقته متى شاء إخراجها منها، وأن يدخل فيها من شاء فيه إدخاله فيها، ويُنقص من شاء أن يُنقصه منها، مما كان جعله له، فقد جوز هذا من أجاز الوقف من أصحابنا ومن غيرهم إن شاء الله تعالى إلى غير ذلك من النصوص.

(1) يريد كتاب (واقعات المفتين) تأليف عبد القادر بن يوسف، المعروف بقدري، المتوفى سنة 1083هـ، وهو في الفقه الحنفي. الزركلي الاعلام ج4 ص172.

(2) يريد كتاب (فتاوى قاضيخان) تأليف فخر الدين حسين بن منصور الأورجندي الفرغاني الحنفي المتوفى سنة 592هـ

(3) الصحيح (الدر المختار)، وهو من تأليف محمد بن علي بن محمد الحصكفي، المتوفى سنة 1088هـ، في فقه الحنفية، ص369 من طبعة دار الكتب العلمية في بيروت 2002، بتحقيق عبد المنعم خليل.

(4) تنوير الأبصار وجامع البحار، تأليف محمد بن عبد الله بن أحمد الغزي، المتوفى سنة 939هـ، في فقه الحنفية

(5) هو الكتاب المسمى (الفتاوى الخيرية) في الفقه الحنفي، نسبة لصاحب الفتاوى خير الدين الرملي بدأ بجمعها ابنه محيي الدين من أهل القرن الحادي عشر للهجرة. وأتمها تلميذه إبراهيم بن

إسماعيل الرملي سنة 1081 والنص في الورقة 124 من طبعة حجر القاهرة 1376

(6) هو كتاب أنفع الوسائل في تحرير المسائل، ويعرف بالفتاوى الطرسوسية، تأليف نجم الدين إبراهيم بن علي بن أحمد الطرسوسي المتوفى سنة 758هـ، القاهرة

أراد حضرة الواقف الوزير، حفظه العلي الكبير، في سنة 1243 الألف ومائتين وثلاثة وأربعين من هجرة سيد المرسلين، زيادة في الوقف وتغييره، فاشترى دوراً ملاصقة للجامع المذكور والمدرسة، فأدخله فيها، وخلط الجميع وعمرها جامعاً كبيراً، وعمر فيه مدرستين، وحجراً لطلبة العلم، فعند ذلك أبقي حضرة الوزير المشار إليه -أسبغ الله تعالى نعمه عليه- ما وقفه سابقاً على وقفه، ووقف ما ألحقه أخرى من العقارات، وجعل العمل على هذه الوقفية الأخيرة، فان رأي الناظر في هذه الوقفتين شيئاً مغايراً لما في الوقفية الأولى، فيجب عليه أن يتبع ما في هذه الوقفية، ولا يعبأ بما في الوقفية الأولى، وكذلك الكلام في جميع الوقفيات الآتية، والعقارات الموقوفة أولاً وأخراً:

[العقارات الموقوفة]

هي القهوة الواقعة في سوق الحيدر خانة⁽¹⁾ في الجانب الشرقي من مدينة السلام بغداد مقابل الجامع المذكور⁽²⁾، المحدودة بالطريقين العامين⁽³⁾، وبيدار الملا عثمان، إمام جامع الوزير⁽⁴⁾، بن عبد الرحمن الجوهرى، وبالغرف ملك ولي أغا بن عبد الله.

والتسعة عشر دكاناً المتصلة بالجامع المذكور⁽⁵⁾، المحدودة به وبيابه وبالطريقين العامين.

والأحد عشر دكان والقهوة والبزارة⁽¹⁾، المقابلات للدكاكين الملاصقات للجامع

- (1) سوق الحيدر خانة، في عهد الواقف، هو السوق الملاصق لواجهة جامع الحيدر خانة نفسه، وفيه بابه الرئيس، في أرض شارع الرشيد اليوم، وكان سوقاً مقبياً مبنياً بالاجر على عقود يستند كتفها الايسر على جدار الجامع المذكور، وقد نقض هذا السوق عند فتح شارع الرشيد سنة 1916، ولم يتبق من آثاره إلا أكتاف عقوده، ثم أزيلت هذه أيضاً وشيد صف من الدكاكين الصغيرة المستندة الى واجهة الجامع الأمامية، ثم سدت هذه الدكاكين أيضاً بجدار من الاجر المزين بأشكال هندسية عند تعميره في اواخر الستينات.
- (2) يريد جامع الحيدر خانة، ويشغل ارض هذه القهوة اليوم صف المحلات التجارية على الجانب الايمن من شارع الرشيد.
- (3) يقصد بهذين الطريقين سوق الحيدر خانة نفسه، وطريق مواز له، مستند اليه، يقع من جهته الغربية، وموقعه اليوم في ارض شارع الرشيد أيضاً.
- (4) هو الجامع الكائن على شاطئ دجلة، بينه وبين سوق القنطرة، أنشأه الوزير حسن باشا والي بغداد سنة 1008 هـ، ولم يتبق من مبناه السابق غير الكتابة التذكارية التي تقع على بابه النافذ إلى سوق السراجين، وهي تحمل تاريخ بنائه واسم مؤسسه حسن باشا.
- (5) هي الدكاكين المستندة الى واجهة جامع الحيدر خانة المطلة قديماً على سوقه.

المذكور⁽²⁾، والمحدودات بالطريقين العامين، وبدكان مصطفى بك الربيعي⁽³⁾، وبدار أمين آغا الجادرجي، وبدار معروف آغا السلاحدار سابقاً، ابن عبد الله.

والدكانان الواقعان في سوق الحيدر خانة، الملاصقان المحدودان بالطريقين العامين، وبدكان الحاج محمد بن أوسته ابراهيم، وبدار أحمد آغا بن محمد آغا، وبدار كتحدا بغداد.

والدكانان المقابلان للدكانين المذكورين⁽⁴⁾، المحدودين بالطريق العام، وبالطريق الخاص، الشهير بدريونة⁽⁵⁾، وبقهوة محمود أفندي بن ملا محمد ينكجري أفندي سابقاً، وبدار أبناء أستاذ معروف.

والدكان الواقع في سوق الحيدر خانة أيضاً، المحدود بالطريق العام وبالطريق الخاص، وبدكان أيتام الحاج مصطفى وبدار يوسف النصراني.

والقهوة الواقعة قرب الدكان المذكور، المحدودة بالطريق العام، وبالطريق الخاص، وبدكان حسين بن علي، وبدار محمد بن خلف. وقطعة الأرض المقابلة للقهوة، التابعة لها، المحدودة بالطريقين العامين، وبدار حبيب آغا بن عبد الله من الطرفين.

والدكان الواقع قرب خان جفان⁽⁶⁾، مقابل سوق الصياغين، المحدود بملك نابي خاتون⁽⁷⁾، والدة المرحوم سعيد باشا والي بغداد سابقاً، وببابه، وبالطريق العام.

(1) موضع خزن البذور.

(2) يريد المتصلات به من جنوبه، حيث تقع قهوة حسن العجمي اليوم، فالدكاكين الاحد عشر التي تقابلها هي التي تمتد من الجهة المقابلة حتى مدخل شارع المتتبي اليوم تقريبا، ولم يكن هذا الشارع يتصل بشوارع الرشيد عهد ذلك.

(3) مصطفى بك بن علي الربيعي، من أعيان بغداد في عهده، وهو الذي اشترى داود باشا حينما جلب هذا إلى بغداد رقيقاً، وباعه أو وهبه إلى سليمان باشا الكبير والي بغداد. وهو الجد الأعلى للواء نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة بعد ثورة 1958. وتقع دور آل الربيعي في مدخل محلة العاقولية، في أدنى جامع الحيدر خانة.

(4) اي في الجانب الايمن من شارع الرشيد اليوم.

(5) الدرريونة: تصغير كلمة درب، وهي شائعة في عامية بغداد، والظاهر انه ثمة سقط بعدها أضع اسم هذه الدرريونة.

(6) خان جفان: هو الخان الشهير الذي شيده والي بغداد جفاله زاده سنان باشا والي بغداد من 995 إلى 998هـ/ 1586 إلى 1001هـ/ 1590-1593م) وقد تقدم التعريف به.

(7) سيدة جركسية من المماليك، صارت زوجة والي بغداد سليمان باشا الكبير، وتدخلت بعد وفاته في شؤون الحكم، على عهد ولاية ولدها سعيد باشا، حتى صارت تولي هذا وتغزل ذلك، وكانت

والخان، والعلوة⁽¹⁾، والسبعة دكاكين الواقعة في سوق قاضي الحاجات⁽²⁾، التي هي من محلات الجانب الشرقي من مدينة السلام بغداد. أما الخان فمحدود بملك سيمون الذمي ولد شمعون، وملك شهاب بن حسين، ويملك اروني الذمي، وبالطريق العام. وقد اشتمل على سبعة وعشرين حجرة، منها تحتانية ومنها فوقانية، وعلى أواخر⁽³⁾، وطارمات⁽⁴⁾، وبئر معينة مائي. وأما العلوة فمحدودة بقهوة سارة خانم بنت المرحوم سليمان باشا⁽⁵⁾، والطريق العام، وبالخان المذكور من الطرفين، ومشملة على سرداب ومخزن وطارمة وبئر معين.

أما السبعة دكاكين فمتلاصقات، ومحدودات بالخان المذكور، بالعلوة، وبباب الخان، والطريق العام.

ودكان ودكة الواقعات في سوق الوقائية⁽⁶⁾، الذي هو من جملة أسواق الجانب الشرقي من مدينة السلام بغداد، المحدودات بالدكان الموقوف على جامع علي أفندي⁽¹⁾، وبدكان وقف حضرة الوزير الواقف، وبالطريقين العامين.

السبب في تحريض ولدها على عزل الدفتردار داود أفندي، مما دفع الأخير إلى الثورة ثم تولي حكم الولاية، بتأييد عثماني، وقتل سعيد باشا المذكور سنة 1230هـ. وتقرغت بعد نكبتها هذه لأعمال الخير، فأنشأت مدرسة وسقاية في بغداد سنة 1237هـ. وتوفيت في الطاعون الذي داهم بغداد سنة 1246هـ امرأة الزوراء ص 50 والبغداديون ص 346.

(1) العلوة: هي موضع بيع المنتجات الزراعية بالجملة.

(2) ينسب هذا السوق إلى مسجد قديم يضم قبراً لأحد الصالحين، ويرى عبد الحميد عبادة أنه قبر أبي محمد بن أبي القاسم بن المظفر الشهرزوري، المعروف بقاضي الخافقين، ومنه عرف بقاضي الحاجات، وكان قد توفيت ببغداد سنة 538هـ ودفن بمقبرة باب أبرز، وصار موضعه يعرف في نهاية العصر العباسي بعقد المصطنع، العقد اللانع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، ص 297.

(3) أواخر: جمع آخور وهي كلمة تركية معناها اسطبل.

(4) الطارمة: هي السقيفة.

(5) هو والي بغداد سليمان باشا الكبير، وأمها نابي خاتون، تزوجها والي بغداد سليمان باشا الصغير سنة 1223هـ، وبعد مصرعه، تزوجت من محمد آغا بن عبد الله آغا مهردار داود باشا سنة 1239هـ، وتوفيت سنة 1252.

(6) هذا السوق هو جزء من سوق البزازين عرف بسوق الوقائية نسبة إلى المدرسة الوقائية (التي أنشأها وفا خاتون الجلآثرية) الكائنة هناك، وكان يعرف حتى أوائل القرن العشرين بسوق الكبابجية لتكاثر دكاكين الشوائين في ذلك الطرف من السوق.

والدكان الواقع في سوق الأطرقيجية⁽²⁾، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدودة بدكان مصطفى بن محمود، وبدكان محمود بن عبد الكريم، وسوق الخياطين⁽³⁾ وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الاطرقيجية أيضاً، المحدود بدكان محمد آغا بن حسين آغا الخرمتلي، وبدكان وقف القبلانية، والجامع المذكور⁽⁴⁾، وبالطريق العام.

والدكان في سوق الاطرقيجية أيضاً، المحدود بدكان صالح آغا باش كاتب الجُمرك، وبدكان محبوبة خاتون بنت عبد الله، ويسوق الخياطين، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الدنكجية⁽⁵⁾، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدود بدكان ... الله بن عبد الله، وبدكان درويش آغا القائم مقام⁽⁶⁾، ويملك عمر بن عبد الله، وبالطريق العام.

(1) أنشاه الحاج علي أفندي بن مراد أفندي في محلة البارودية في بغداد، وأوقف عليه أوقافاً عديدة، من العقارات، بحسب وقفيته المؤرخة في 8 جمادى الأولى 1133. وقد نقض هذا الجامع عند شق شارع الملكة عالية (شارع الخلفاء حالياً) وشيد بدله جامع حديث باسمه على يمين هذا الشارع بالنسبة للمتوجه الى باب المعظم.

(2) الاطرقيجية هم باعة المواد المستعملة، ويظهر من وقفية داود باشا والي بغداد المؤرخة في 18 ذي الحجة 1235 ان هذا السوق كان محادداً لجامع القبلانية الزائل وكان يفايل واجهة المدرسة المستنصرية. كما يظهر من وقفية فطومة بنت قاسم المؤرخة في 10 جمادى الآخر 1270 ان السوق كان قريباً من خان جفان

(3) يفهم من وقفية الحاج حسين أفندي بن عبد الله (الغرابي) المؤرخة 26 محرم 1098، ان سوق الخياطين كان قريباً من سوق البزازين. بينما اشير اليه في وقفية آمنة بنت الحاج ابراهيم التكريتي المؤرخة في 20 ربيع الأول 1223 بوصفه من حدود دكان موقوف في سوق الهرج، (وهو سوق الهرج القديم) مما دل على كون السوقين في منطقة واحدة.

(4) هو جامع القبلانية أنشأه والي بغداد الوزير قبالان مصطفى باشا سنة 1087هـ، وكان يشغل أرض دار الطب وابوان الساعات التابع للمدرسة المستنصرية، ينظر الجزء الاول من هذا الكتاب ص87

(5) هو السوق الرئيس لمحلة الدنكجية، وفيه كان يجري تهبيش التمن بواسطة آلة تعرف بالدنك، واليها نسب السوق، فالمحلة حوله ويقع السوق اليوم في ارض مرآب الرصا في السيارات.

(6) القائم مقام هو من ينصبه الأعيان غالباً في مقام الوالي بعد عزله من الولاية وحتى مجيء وال جديد. وذكر سليمان فائق أن درويش آغا هذا كان من ابناء المماليك، وأن الولاة يعهدون اليه بوظيفة (الكتخدا) من وقت لآخر، وعندما يغيبون عن البلد يجعلونه قائماً بمقامهم في تصريف الأمور. مرآة الزوراء ص95.

والدكان الواقع في سوق الدنكجية أيضاً، المحدود بدكان أحمد ابن الحاج أسبر،
وبدكان درويش بدر بن أحمد بدر، وبدكة ناحوم اليهودي، وبالطريق العام.

والثلاث دكاكين المتلاصقات، الواقعات في سوق الزنجير⁽¹⁾ من أسواق الجانب
الشرقي من مدينة بغداد، المحدودة بباب خان جفان، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الشورجة، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد،
المحدودة بدكان محمد أمين أفندي مدلج زاده⁽²⁾، وبدكان عبد النبي اليهودي، وبيدار
الياهو اليهودي، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق المرجانية⁽³⁾، من أسواق الجانب الشرقي من بغداد،
المحدود بدكان عبد اللطيف آغا بن أحمد آغا إسماعيل كهيه زاده⁽⁴⁾، وجامع مرجان
وببابه، وبالطريق العام.

والدكة التي تحتها مخزن، المقابلة للدكان المذكورة بدكان الحاج عبد الله بن الحاج
مصطفى أفندي، وبدكان مصطفى بن صالح، وملا سليمان، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق العطارين⁽⁵⁾، من أسواق الجانب الشرقي من بغداد،
المحدود بالطريق الخاص أولاً وثانياً، وثالثاً بدكان محمد أمين آغا الطوبال، ورابعاً
بالطريق العام.

(1) هو السوق الذي عرف في أواخر العصر العباسي بدرب السلسلة، ويقع متعامداً مع سوق
البزازين⁽¹⁾. ومقابلاً لسوق الصاغة في عهد الواقف.

(2) آل مدلج أسرة قديمة نزلت من أطراف الشام إلى بغداد، وتولى جدها الشيخ مدلج الصغير بن
ظاهر بن أحمد الرحبي (المتوفى سنة 1081هـ/1670م الافتاء في بغداد، وكان لأحفاده مآثر
علمية وخيرية كثيرة، منها انشاؤهم مسجداً سنة 1184هـ/1770م. ينظر البغداديون ص 80.

(3) نسب هذا السوق إلى المدرسة المرجانية، لوقوعه عند بابها، وتنسب المدرسة إلى مؤسسها
الخواجة مرجان، حاكم بغداد من طرف الدولة الجلائرية.

(4) كان إسماعيل آغا من قادة المماليك البارزين، تقلد منصب (كتخدا) في عهد والي بغداد عمر
باشا وعبد الله باشا، وصار مرشح المماليك لمنصب الوالي في أثناء ثورة البغداديين سنة
1190هـ/1776م على عبد الله باشا المذكور، المعروفة بفتنة عجم محمد، وكان مهياً عرف
بدمائة خلقه ومجلسه الحافل، وورث عنه ابنه أحمد آغا مكانته، أما عبد اللطيف بن أحمد آغا
فقد تولى منصب قائم مقام مندلي، وتوفي سنة 1311هـ/1893م. ينظر عبد الرحمن السويدي:
تاريخ حوادث بغداد والبصرة، بتحقيقنا، ص 69، 73-91 والدروبي: البغداديون ص 123.

(5) هو جانب من سوق الريحانيين القديم المعروف في العصر العباسي، وتتداخل حدوده، بحسب
العهود المتتالية، بسوق الشورجة، وسوق البقالخانة.

والدكان الواقع في سوق العطارين أيضاً، المحدود بدكان السيد عيسى⁽¹⁾، وبدكان إسحاق اليهودي، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق رأس القرية⁽²⁾، من أسواق الجانب الشرقي من بغداد، المحدود بدكان حسين بن الافغاني، وبمخزن ياسين آغا محضر آغا بن عبدالرحمن، وبدكان وقف المسجد، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الخفافين، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدود بدكان نعمان بك الشاوي، وبدكان عثمان آغا بن الحاج خضير الأعظمي، وبسوق الزنجير، والطريق العام.

والدكانان اللذان تحتهما مخزنان واقعان في رأس الجسر الشرقي، المحدودان بباب الجسر القديمة⁽³⁾، وبدكان محمد جلال، وبجامع الأصفية⁽⁴⁾، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الجوبقية⁽⁵⁾، من أسواق الجانب الشرقي من مدينة بغداد، المحدود بدكان وقف جامع الوزير، وبدكان عمر آغا مير آخور زاده، وبتار أيتام يعقوب آغا اللاوند سابقاً⁽¹⁾، وبالطريق العام.

(1) هو السيد عيسى بن مصطفى بن محمد الشهير بالعطار، وآل السيد عيسى أسرة حسنية اتخذت هذا الموضع من الشورجة متجراً ومسكناً لها، وترتبط بنسبها بعدد من الأسر الحسنية في بغداد

(2) رأس القرية جزء من محلة القرية (بالتصغير) إحدى محلات دار الخلافة العباسية، وعرف السوق فيما بعد بشارع النهر، لموازاته نهر دجلة، ثم سمي رسمياً بشارع المستنصر.

(3) هو درب يؤدي إلى الجسر الوحيد في بغداد في العصر العثماني، يقع بين جامع الاصفية والمدرسة المستنصرية، وله عند النهر باب خشبية كبيرة، حيث كان ثمة سور عال يحيط ببغداد من جهة النهر، وقد عرفت هذه الباب في مصادر العصر بصوقابي، أي باب الماء.

(4) نسب هذا الجامع إلى لقب كان داود باشا يعرف به هو (أصف الزمان)، وكان داود قد شيده سنة 1241هـ أي قبل عام واحد من انشائه جامع الحيدرخانة موضوع هذه الوقفية، في أرض كانت تشغلها قبل ذلك تكية لأتباع الطريقة المولوية تعرف بالمولاخانه، أو المولويخانه، وقد أنشئت هذه التكية في مطلع عهد الدولة العثمانية في العراق على أرض دار القرآن التي أنشأها الخليفة المستنصر بالله باتصال المدرسة المستنصرية. وكان الجامع مشمولاً بوقفية داود باشا هذه.

(5) جبوق كلمة تركية تعني اصطلاحاً الغليون الذي يحشى بالتبغ، وذكر الشيخلي أن هذا السوق هو نفسه سوق القندرجية أي سوق السراجين المحادد لجامع الوزير. ينظر: المعجم التاريخي لبغداد القديمة، البصرة 1970، ص 153.

والدكان الواقع عند باب الخان، المقابل لسوق الصياغين⁽²⁾، المحدود بخان عبد الله اليهودي، وبدكان ...، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق البزازين، المحدود بدكان الحاج مهدي قزاز باشي⁽³⁾ سابقاً، وبدكان محمد أمين آغا الطوبال، وبخان الزرور، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق الشعربافية، المحدود بدكان الحاج ميرزا خان التبريزي، وبدكان الحاج محمد جلال، وبخان الإبريسم⁽⁴⁾، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق بكر⁽⁵⁾، المحدود بدكان وقف الرسول صلى الله عليه وسلم، وبدكان على بن الحاج عبد الله القره غولي⁽⁶⁾، وبالطريق العام من الطرفين.

والدكان الواقع في السوق المذكور، المحدود بدكان الشيخ عبد القادر الكيلاني، وجامع مرجان، وبدكان الحاجة فاطمة، والحاجة زينب بنتي الحاج إبراهيم، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق التمر، والمخزن اللاحق به، المحدودان بخان التمر⁽⁷⁾ وببابه، وبدكان حسين آغا ابن الحاج يوسف آغا إيتمكجي باشي⁽¹⁾ سابقاً، وبالطريق العام.

(1) اللاوند: اسم فرقة عسكرية تجند محلياً.

(2) كان الصاغة يشغلون في هذا العهد معظم دكاكين خان جفان حتى عرف ايضاً بخان الصاغة، وذلك بعد أن زاحمهم الخفافون (صانعو الخفاف الأحمر) في سوقهم السابق غتد جامع الصاغة الذي عرف فيما بعد بسوق الخفافين.

(3) كبير تجار الحرير.

(4) كان هذا الخان واقعاً في سوق البزازين، وتعود ملكيته الى أحد مفتي بغداد وهو الحاج محمد أمين أفندي الزند بحسب الإعلام الشرعي المؤرخ في 21 شوال 1277 الصادر باسم نازلي بنت عد الغني.

(5) كان هذا السوق متصلاً بخان الاورثمة (أي الخان المغطى وهو خان مرجان) ولا يعرف لمن نسب. جاء في وقفية الحاج محمد بن عثمان الحرباوي المؤرخة في 1337هـ/1919م، أنه وقف دكاناً في سوق بكر يحده من طرف خان مرجان، ومن طرف شارع السوق.

(6) هو الجد الأعلى لعبد المجيد محمود، الوزير في العهد الملكي، 1909-1992. ينظر مذكرات عبد المجيد محمود، بتحقيقنا، لندن 2006، ص25.

(7) خان قديم للتمر يقع قرب مشرعة تنسب إليه فتعرف بشريعة خان التمر، وقد عرف هذا الموضوع في اواخر العصر العباسي بباب التمر، وباب سوق التمر ايضاً. كتاب الحوادث المنسوب لابن الفوطي، بتحقيقنا مشاركة مع د. بشار معروف ص41) وفي عهد قريب من زمن الواقف تتردد اشارات الى محلة صغيرة باسم محلة خان التمر. منها وقفية الحاج جواد بن دلي فتحى المؤرخة في 28 صفر 1235.

والدكان الواقع في سوق البزازين، المحدود بخان الزرور⁽²⁾، وبدكان الحاج خليل عَرْمُوش⁽³⁾ بالطريق العام.

والقهوة الواقعة في سوق الميدان⁽⁴⁾، المحدودة بملك إبراهيم آغا ابن النُقْطَجي، وبملك الحاج عمر آغا طويق زاده، ويخندق قلعة المدينة، وبالطريق العام.

ونصف علوة المُخَضَّر، ونصف القهوة ونصف الخان الصغير، المشتركات مع ورثة مصطفى الخليل، الواقعة في الجانب الغربي من مدينة السلام بغداد، قرب رأس الجسر المحدودات بالطريق العام، وبعلوة محمد الطاهر الجبوري، وبخان اسماعيل آغا ابن وهيب، وبسوق البَلْطَجية⁽⁵⁾، وبملك ورثة مصطفى الخليل⁽⁶⁾.

والدكان الواقع قرب المصبغة⁽⁷⁾ في الجانب الشرقي من بغداد، المحدود بالطريق العام، النافذ إلى الدجلة العظمى، وبالطريق العام الخير⁽¹⁾ وبيدار المصبغة، وبقشلة اوتوزبيش⁽²⁾، المشتمل على إيوان وثلاث حجر، وكُرْخانة خبز⁽³⁾.

(1) مصطلح تركي من (ايتمك) بمعنى طعام و(جي) اداة نسبة الى حرفة، فهو معناه رئيس موردي الطعام لأفواج الانكشارية.

(2) ويعرف بخان الدكمة، أنشئ في عهد السلطان سليم الثاني (974-982) كما دلت الكتابة على الأجر المزجج التي على بابه.

(3) هو الجد الأعلى لآل حمادي، من أسر بغداد القديمة، عرف بوقفه المؤرخة في 1112هـ/1767م وبمجلسه الحافل، وتوفي سنة 1214هـ/1799م. البغداديون ص72.

(4) هو جانب من السوق الذي عرف في العصر العباسي بسوق السلطان، وقد وردت الاشارة الى شارع سوق الميدان في وقفية محمد بك دفتردار بغداد على جامع بابا كركر في غرة محرم 1081، وأنشأ احمد باشا الكهية (المتوفى سنة 1210)، فيه جامعاً كبيراً، ووقف عليه الحاج عبد الله بك بن الحاج احمد آغا منشآت عديدة، منها علوة في خندق القلعة الداخلية، وثلاثة مقاه في الميدان قرب الجامع المذكور. فلعل الوقفية تشير الى احدها.

(5) من صنوف القوات الانكشارية. ينظر (قراءة في تعليم البلطجية) من هذا الكتاب.

(6) أسرة تحدر أسلافها من مدينة حماة، إلى حديثة، ثم استقرت في بغداد، في النصف الأول من القرن الحادي عشر للهجرة، وأول اجدادها فيها السيد اسماعيل الحموي، الذي تولى الإفتاء ببغداد، ومصطفى بن خليل هذا هو حفيده. وورثة الأخير هما علي آغا والحاج محمد آغا. وقال عبد الرحمن السهروردي عن هذا البيت «هو من بيوت الأغوات في بغداد»، تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، بتحقيقنا، ص49.

(7) هي المصبغة التي كانت تصبغ فيها الاقمشة والملابس (وقد شغلت أرض دار الشفاء التي أنشأها الخواجة امين الدين مرجان وتحولت فيما بعد الى المقهى المعروفة بقهوة المصبغة) وقد عرفت هذه المشرعة في العصر العباسي الاخير بمشرعة الصباغين، مما دل على توارث

والدكان المتصل بالدكان المذكور، المحدود بالدكان المزبور، وبدكان سيد حميد السريرجي⁽⁴⁾، وبشارع السوق، المشروط من إجارتها خمسمائة قرش إلى مصارف جامع حبيب العجمي⁽⁵⁾، وذلك بأن يُعطي منها مائة قرش إلى مُدرّسه، وخمسين قرش إلى إمامه، وخمس وثلاثين قرشاً إلى مؤذنه، وخمس وثلاثين قرشاً إلى خادمه، وخمس وثلاثين قرشاً إلى الذي يملأ الأباريق، والباقي من الخمسمائة قرش المذكورة يصرف إلى القناديل والشيرج والأباريق والحيال والحصران والدلو وغير ذلك من المصاريف.

والذي بقى من الأيجار بعد الخمسمائة يضم إلى أوقاف جامع الحيدرخانة.

والدكان الواقع في سوق البزازين، المحدود بدكة الوقف الراجعة الى الحاج صالح بك نجل المرحوم سليمان باشا⁽⁶⁾، وبدكان السيد أحمد بن السيد علي وبالطريق العام. والدكان الواقع في سوق القبلائية، المحدود بدكان الوقف، الراجع إلى الحاج صالح بك ودكّة ودكان المذكور بالطريق العام.

والقهوة والعلوة الواقعتان قرب سوق الشورجة، المشتركة مع أحمد آغا بغداد آغاسي⁽¹⁾ مناصفة، المحدودتان بجامع الخلفاء وبالطريق العام من أطرافها الثلاثة.

المكان وظيفته عبر الازمان المتطاولة. ويسمى أيضا سوق الصباغين، وكان ينسب الى هذه المصبغة سوق ينتهي عند شاطئ دجلة بمشرعة (شريعة) تسمى شريعة المصبغة أيضاً.

(1) كذا في الاصل، ولعلها: الاخر أو الأخير.

(2) أوتوزيش: اي الخامسة والثلاثون بالتركية، وهو اسم فرقة إنكشارية كانت تتخذ من تكة هناك مقراً لها.

(3) الكرخانة: مصطلح فارسي عثماني من (كار= عمل) و(خانه= دار) فيكون معناه دار الصناعة وهي هنا بمعنى الفرن.

(4) كان جانب من هذا السوق، وهو المسمى بسوق الوفائية، وبسوق الكبابجية، يعرف أيضاً بسوق السرجية، وهم صانعو الأسرة.

(5) هو الشيخ الزاهد حبيب العجمي، المتوفى في البصرة حدود سنة 140، وقبره عند مشهد طلحة بن عبيد الله هناك، زاره ابن بطوطة سنة 727، فهذا القبر منسوب إليه. وقد جدد والي بغداد الوزير داود باشا آثاره وعمر الجامع عنده سنة 1235 ثم انه وقف «على مصالح مرفد الشيخ حبيب العجمي» دكان خباز في السوق الواقع قرب المصبغة ودكان بإتصاله، في شارع السوق المذكور». كما في وقفيته المؤرخة في 7 رجب 1236.

(6) هو سليمان باشا الكبير والي بغداد، وصالح هذا هو أصغرأبنائه، وقد ولاه قادة المماليك منصب قائم مقام بغداد في أثناء حصار بغداد وعزل داود باشا سنة 1247، ثم لقي مصرعه في ميدان بغداد على ايدي جند علي رضا باشا الذي اقتحم المدينة .

ونصف العلوة المشتركة مع المفتى، الواقعة في سوق الشورجة، المحدودة بعلوة عمر آغا، وبيدار يوسف عاشور، وبالطريقين العامين.

والدكان الواقع في سوق الدفتردار، المحدود بدكان الحاج مظهر بن عبد الله، وبدكان دروش بك بن الحاج أحمد بك، وبيدار المرحوم عبد الله باشا⁽²⁾، وبالطريق العام.

والأربع دكاكين المتلاصقة، الواقعة في سوق السراجين، المحدودات بدكان محمد آغا بن أفندي خزينة كاتب سابقاً، وبيدار درويش بك بن الحاج أحمد بك، وبالسرائي الخارج المنسوب إلى حضرة والي بغداد⁽³⁾، وبالطريق العام.

والدكان الواقع في سوق باب الآغا⁽⁴⁾، المحدود بقهوة البروازي، ملك الحاج مصطفى القزنجي، وبدكان وقف الإمام الأعظم، وبيدار رستم آغا بن عبد الله⁽⁵⁾، وبالطريق العام. والدكانان الواقعان في سوق صبايغ الآل، المحدودان بدكان الحاج جواد أفندي، وبالطريقين العامين.

والدكان الواقع في سوق البزازين، قرب سوق العجمي⁽⁶⁾، من أسواق الجانب الغربي من بغداد، المحدود بأسكلة⁽⁷⁾ السيد حسين بن الملا محمد، وبالطريقين العامين. والدكة الواقعة في سوق الخفافين المحدود أولاً بالدقاقخانة⁽⁸⁾، وثانياً وثالثاً ورابعاً بالطريق العام.

(1) بغداد آغاسي، أي آغا بغداد، هو رئيس أفواج الانكشارية فيها، وإلى تكنته نسبت محلة باب الآغا الشهيرة من محلات الجانب الشرقي من بغداد.

(2) هو والي بغداد 1226-1228هـ/1810-1813م

(3) لم يتعين لنا موقع هذا السراي، وفي الغالب فإنه يشغل دائرة المحاكم السابقة (وكانت داراً لدفتردار بغداد، وقد سكنها داود باشا حينما تولى هذا المنصب).

(4) كان ثمة سوقان باسم باب الآغا، الأول باب الآغا العتيق، ويقع في مدخل محلة العاقولية حيث سوق الامانة اليوم، وهو الذي اشتهر بخبزه الفاخر، وباب الآغا الجديد، وهو الذي ما زال يعرف باسمه حتى اليوم.

(5) من قادة المماليك، تولى منصب (كتخدان) في عهد داود باشا. ينظر مرآة الزوراء ص 92، 104، 115.

(6) سوق ومحلة يقعان قرب رأس جسر بغداد العتيق، ولا يعرف إلى أي عجمي نسب هذا السوق.

(7) الاسكلة هنا هي موضوع بيع الخشب وخزنه.

(8) في وقفية داود باشا المؤرخة في غرة محرم 1234 على مدرسة جامع الحيدرخانة ان مما وقفه هذا الوالي «الدكان والدكة الواقعين في سوق الدقاقين المحدودين من جهة بدكان علي

والبستان والكردان⁽¹⁾ الشهيران بالفريجات⁽²⁾، الواقعان غربي قصبه الامام الأعظم، المحدودان بكرد الثعالبة المنسوب إلى السيد أحمد مفتي الشافعية سابقاً، وبالذجلة العظمى، وبكرد إبراهيم آغا النفطجي، وبمزرع أحمد أفندي الطبجلي مفتي الحنفية سابقاً⁽³⁾، وبالطريق العام.

والبستان الشهيرة ببستان الجديدة⁽⁴⁾، الواقعة في قرية الجيزان، من قرى نهر الخالص.

وبستان التوت بالقرية المذكورة. ونهر قصب، وبالطريق العام.

والبستان الشهيرة ببستان القصر⁽⁵⁾، الواقع شرقي قصبه الإمام الأعظم، المحدودة بالذجلة العظمى، وبستان سليمان بك فخري زاده⁽⁶⁾، وبوقف ساقية الشيخ شهاب الدين السهروردي، وببستان الملا رجب بن سليمان، والطرق العام.

وأرض المزرع المحدودة بالبستان المذكورة، المشتملة على نخلتين.

وأرض البسيطة.

ونصف البستانين⁽¹⁾ المشتركين مع الملا سليمان، الواقعتين في طريق أبي صيدة الكبيرة، المحدودة أولهما، وهي المشهورة ببستان الحاج صالح. ونهر الحمر، وبستان

أفندي ومن جهة بدكان ايتام الكتخدا خالد آغا". وورد في وقفية ياسين بن خلف بن عبد الله المؤرخة في 22 ربيع الآخر 1211 إنه وقف منزلاً في محلة الصباغين والدقاقين الخام في بغداد، مما يفهم منه ان سوق الدقاقين كان من مشتملات محلة الصباغين، ويتصل سوق الصباغين بجامع الوفاية في نهاية سوق البزازين.

(1) الكردان: مشى كرد وهو آلة رفع المياه من النهر.

(2) أرض منسوبة الى فخذ الفريجات من عشيرة الزبيد، وتقع مقابل التاجيات (جزيرة بغداد السياحية حالياً). شاد فيها والي بغداد الوزير داود باشا قصره.

(3) جد آل الطبجلي الأسرة المعروفة في بغداد، ترجم له ياسين العمري فقال أنه «مفتي بغداد وعالمها وحرها، كان أول كاتب للدفترخانة، ثم ولي الفتوى، وتوفي سنة 1213» غاية المرام ص263.

(4) بالتركية (ينكيجه).

(5) وقف داود باشا بستان القصر الواقعة في جوار قصبه الاعظمية وذلك في وقفيته المؤرخة 11 شعبان 1236.

(6) هو سليمان أفندي بن حامد أفندي آل الفخري، من أسرة نقباء الموصل العلويين، سافر إلى بغداد حيث صار من رجال حكومة واليها سليمان باشا الكبير، فولاه هذا أوقاف الحرمين في الموصل. غاية المرام ص36.

الحاج علي بن عبد الله، وببستان الحاج صالح بك. وبستان الحاج حسن بن فهد،
وثانيهما المشهورة ببستان الحاج نور بن الرشيدية وبالطريق العام.

والساقية، وبستان الياس بن خضر، والخيط، وعقر هور الجيبة جي، المحدود
بأرض العليمية، وتتل جماش أبي رأسين، ويخان آزاد⁽²⁾ وبالجدلة العظمى.

وثلاث عقر هور الزعفرانية⁽³⁾، المحدود بأرض قرارة⁽⁴⁾ المتصلة بالجدلة إلى
شاطئ جمال الدين، ومن اسكلة المخلط إلى أرض الناصرية وما بينهما دياالى، وبأرض
الغرابية⁽⁵⁾، وتتل محمد، إلى دوب النخالة⁽⁶⁾، وإلى تلول بخش.

وأربعة أسهم وربع سهم من أصل أثني عشر سهماً من جميع أراضي نهر قرية
اللجمة الواقعة في مقاطعة الدجيل، المحدودة أولاً بطريق القرية الذي بين توث الحاج
يعقوب والشطيطة، ويقرب معها إلى المهد الذي بين الثلاث سدرات الكائنات في
الأرض البسيطة، وهي أرض عبارة ديوان، والحد الثاني ينتهي إلى شطيطة سيد
مصطفى وسلطان، وثالثاً من الحدود وبياري الشطيطة من الجهة الشرقية التي تمتد
على نهر الصخرية، إلى بزايذ نهر جرجيس عند طريق الإمام، والرابع منه إلى نهر
المسمى بالعلي.

(1) في الاصل: البستان.

(2) خان واسع حصين بين بغداد وبلدة اليوسفية، يظهر انه نسب الى رجل يعرف بهذا الاسم،
كانت القوافل تتخذة محطة واستراحة لها، وأزيلت معالمه في تسعينات القرن الماضي تعدياً-
على الرغم من اثريته- فلم يبق له من أثر سوى بئر. وكانت القرية التي نشأت عنده قد
سميت، منذ سبعينات ذلك القرن، بقرية الحرية.

(3) الزعفرانية قرية قديمة ورد اسمها في العصر العباسي، ووصفت بأنها تحت كلواذي (الكرادة
الشرقية) وقد اندثرت القرية، ووردت الاشارة إلى هذا الهور في وقفية السيد زين الدين
القادري المؤرخة في سنة 978هـ/1570م وكانت مياه دجلة تفيض إليه، ثم أطلق اسمها رسمياً
على مزرعة تجريبية هناك، ثم شملت التسمية الأحياء السكنية التي أنشئت حولها. كتابنا:
الأصول التاريخية لمحلات بغداد، ط2، بغداد 2013 ص96

(4) هي المنطقة المعروفة بجسر دياالى، بين بغداد والمدائن، وكانت تعرف في العصر العباسي ببند قریش.

(5) الغرابية مزرعة واقعة في جوار بغداد على نهر دجلة، ومحدودة من جهة بأرض كريات، ومن
جهة بهور زعفرانية، ومن جهة بتل محمد، ومن الجهة الرابعة بنهر دياالى، كما في الإعلام
الشرعي المؤرخ 16 جمادى الأولى 1282.

(6) أشير في وقفية زمزم خاتون بنت علي أفندي نقيب الأشراف المؤرخة في 21 جمادى الأولى
1320 الى «عقر دوب النخالة خارج باب الشرقي».

وثلاثة أسهم وثمان السهم من أصل أثنى عشر سهماً من جميع أرض نهر قرية الغواضر الواقع في مقاطعة الدجيل، المحدودة بنهر جمالية بلد. ونهر بني سعد، وبأرض الزاوية، وبالذجلة العظمى.

وسهم واحد من أصل عشرة أسهم من جميع الأرض الواقعة في ناحية الدجيل المتصلة بأرض غواضر الشهيرة بأرض الموح، المحدودة بالجرف الذي ينتهي إليه مزرع نهر غواضر غرباً، وبأرض العبار جنوباً، وبأرض بني سعد شرقاً وبالجرف أيضاً قبلة. والخان الواقع في بلد أربيل، المحدود بدكاكين صالح النجار، وبدكاكين الحاج عبد الله بك، وبدكاكين الكبابجي.

والبستانان الواقعتان في قرية الهاشمية⁽¹⁾، وناحية الخالص، المحدودة إحداهما بملك ناصر وبالطريق العام، وبملك إبراهيم بن حسين، وبملك محسن بن سليمان، وثانيهما بالطريق العام، وبملك عبد القادر بن حسين آغا.

والرحي الواقعة في قرية تبة⁽²⁾ بطريق زنكباد، وبنهر صارجق رحي عمر آغا وبأرض المزرع الراجعة للميري. ونهر الرحي المذكورة من الطرفين.

وعقر النهر المعروف بأبي دبس، الواقع في مقاطعة المحمودية، المحدود أولاً بنهر أبي عوسج، وثانياً أرض مقاطعة المحمودية، وثالثاً الأرض الشهيرة بأرض الحميرة، ورابعاً التلول في أراضي الإسكندرية.

والتسع بستين: الأولى بستان كوت وشبيب، والبستان الثانية بستان إبراهيم وظاهر وثامر، والبستان الثالثة الشهيرة ببستان كاظم وحمادي، والبستان الرابعة بستان خضر ومحمد وخلف أولاد عابد، والبستان الخامسة بستان زورر وناهض وطارش، والبستان السادسة المسماة بستان جايد وأبيه حسين حمد الله، والبستان السابعة بستان مظلوم وحاجم، والبستان الثامنة بستان جاسم الدجيلأوي وعكرش، والبستان التاسعة بستان غالي ومحمد.

(1) لعلها بلدة الهاشمية في محافظة بابل، وتقع في الفرات الاوسط، على نهر الفرات، على بعد 130 كم من بغداد.

(2) بلدة تقع في قضاء كفري في شمال مدينة المقدادية وتبعد عن مركز محافظة ديالى حوالي 40 كم ويعني اسمها التل الاسود.

وقف الجميع وقفاً صحيحاً شرعياً خالصاً لوجه الله تعالى على الجامع المذكور المسمى بداودية.

وجعل الوزير الواقف التولية على الوقف والنظارة، فبدأ بنفسه أيام حياته، وشروط أن تؤجر هذه العقارات بأجر مثلها سنة واحدة، ويبدأ من غلتها بعمارتها وعمارة الجامع المذكور، ثم بمصارف الجامع والمدرسين الذين فيه، ثم يعطى من الغلة في كل سنة ألفان وثمانمائة وعشرون قرشاً من القروش الرائجة البغدادية وظائف للمدرس والخطيب وللواعظ وللإمام ولخدام الجامع والمدرسين منها، للمدرس ثلثمائة قرش، وللخطيب مائتا قرش، وللواعظ مائة قرش، وللإمامين أربعمائة قرش، لكل إمام مائتا قرش، وللقراء الأربعة الذين يقرؤون القرآن فوق المحفل يوم الجمعة أربعون قرشاً، لكل واحد منهم عشرة قروش، وللمؤذن الذي يؤذن ويبلغ فوق المحفل يوم الجمعة ثلاثون قرشاً، وللمؤذنين الأربعة يؤذنون في أوقات الصلوات الخمس مائتان وخمسون قرشاً، لكل مؤذن إثنان وسبعون قرشاً ونصف قرش، ولمعيد درس الواعظ ثلاثون قرشاً، ولمن يحافظ كتب المدرسة مائة قرش، ولمن يشعل القناديل ويصلح حالها خمسون قرشاً، ولمن بيده مفاتيح أبواب الجامع ويكس داخل الجامع مائة وخمسة وأربعون قرشاً، ولمن يناول السيف للخطيب يوم الجمعة، ويأخذه منه بعد انتهاء الخطبة ثلاثون قرشاً، ولكناس الجامع الخارجي مائة قروش، وللأبريقي الذي يملأ الأباريق ماء للمتوضئين ثمانون قرشاً، ولمن يناول الماء للشاربين من الماء المسبّل للشرب خمسون قرشاً، ولمن يرش أرض الجامع بالماء خمسون قرشاً، وللسقاء الذي يأتي بماء الجامع في كل يوم عشرة قرب ثلثمائة وستون قرشاً، ولمن يأتي بقناديل الجامع ويُنورها ثلاثون قرشاً، ولمن يأتي بالأباريق للجامع خمسة وعشرون قرشاً، وللمعمار الذي يتعهد الجامع، ويعمل فيه ما يحتاج إليه من الترميم خمسون قرشاً. ثم إذا فضل شيء من الغلة بعد العمارة والمصارفات فالفضلة له -أدامه الله تعالى- ينتفع بها في سائر وجوه الإنتفاعات، من غير مشارك له في ذلك ولا منازع له فيما هنالك.

[شروط التولية]

ثم جعل التولية والنظارة من بعده إلى الأرشد فالأرشد من أولاده، وأولاد أولاده، وهكذا ما تتاسلوا وتعاقبوا، وشروط -حفظه الله تعالى- أن يأخذ المتولي الذي شرطت له التولية من فضلة الوقف ووظيفة تولية، ألف قرش، ويكون في الباقي كأحدهم في

الإستحقاق، وشرطاً أن تكون فضلة الغلة من بعده بعد التعمير والمصارفات لأولاده الذكور والإناث، للذكور مثل حظ الأنثيين، ما داموا موجودين في قيد الحياة، لا يستحق أحدٌ من أولادهم منهم في فضلة الوقف شيئاً. فإن انتقل أحد منهم من دار الفناء إلى دار البقاء، وخلف أولاداً ذكوراً فقط، أو أنثاءً فقط، أو مختلفين واحداً أو أكثر، وخلف أولاد ابنٍ كان قد توفي قبله، وأولاد بنت كانت قد توفيت قبله، فيرجع نصيبه فقط إلى أولاده، وأولاد ابنه وبنته، الموجودين حينئذ للذكور مثل حظ الأنثيين، وإن انتقل أحد منهم ولم يخلف ولداً، ولا ولد ولد، ولا أسفل من ذلك، فيرجع نصيبه إلى أخوته وأخواته المشاركين له في الاستحقاق، بالذكر مثل حظ الأنثيين. وإذا انتقلت ولم تخلف أولاداً، سواء كان لها زوج أم لا، فيرجع نصيبها إلى إختها وأختها المشاركين لها في الإستحقاق، للذكر مثل حظ الأنثيين، ثم إذا انتقل أولاد حضرة الواقف الصليبيون بأجمعهم -والعياذ بالله تعالى- فترجع فضلة غلة الوقف إلى أولاد أولاد الذكور والإناث، للذكر مثل حظ الأنثيين، وأولاد أولاد أولاده، الذين توفي أبائهم قبل استحقاقهم، فيشاركون مع أعمامهم وإخوانهم، للذكر مثل حظ الأنثيين. وشرط أن يكون أولاد البنات داخلين في الورد مشاركين لأولاد الأبناء في الإستحقاق حتى أنه لو خلف الابن بنتاً وخلفت البنت ابناً يكون لإبن البنت سهمان ولبنت الإبن سهم واحد. وشرط أن يكون الحكم في هذه الطبقة الثانية كالحكم في الطبقة الأولى على الوجه المشروح. وإن انقرضت الطبقة الثانية جميعها -والعياذ بالله تعالى- يكون الحكم في الطبقة الثالثة كالحكم المشروح في الطبقة الأولى، وهكذا ما تناسلوا وتعاقبوا على الوجه المشروح. وشرط حضرة الوزير الواقف أن يدخل في جملة أولاده الموقوف عليهم أمهات أولاده أن يكن كالبنيات في الإستحقاق، ويكون حكمهن في جميع الطبقات كحكم البنات ما دمن هن موجودات في قيد الحياة. وشرط أن من تزوجت من أمهات أولاده فليس لها نصيب في الوقف المذكور. ثم إن انقرضت الذرية بأجمعهم -والعياذ بالله تعالى- وبقي من أمهات الأولاد واحدة أو أكثر، فيعطى من الغلة للباقي من أمهات الأولاد ما كُن يأخذن مع الذرية، والباقي يعطى للمعتقين والمعتقات والمُدبرين والمدبرات، وأولادهم وأولاد أولادهم، وهكذا ما تناسلوا وتعاقبوا، للذكر مثل حظ الأنثيين، الذين هم من ممالك حضرة الواقف المشار إليه، وممالك أولاده أولاد أولاده وهكذا. وشرط أن يكون المتولي من هؤلاء الأرشد فالأرشد، وأن المتولي بعد أن يأخذ

الوظيفة المشروطة يكون كأحدهم في الاستحقاق في فضلة الوقف، ثم إذا انقضى
المعتقون والمعتقات، والمدبرون والمدبرات، ولم يبقى منهم أحد، ولا من نسلهم أحد،
يكون الوقف راجعاً إلى العلماء وطلبة العلم والصلحاء، الذين يسكنون في الجوامع
والمدارس. ويكون أمر التولية راجعاً إلى حاكم الشرع الشريف، يختار واحداً من العلماء
الأمناء وينصبه متولياً على الوقف المذكور.

ثم أن حضرة الوزير الواقف المشار إليه، وكُل محمد آغا بن محمود أفندي، خزينة
كاتبي سابقاً، وجعله متولياً للمخاصمة، وسَلَّمه العقارات الموقوفة، فقبضها قبضاً أمثالها .

ثم وكُل حضرة الوزير الملا محمد نجيب، بأن موكله حضرة الوزير رجع عن الوقف
المذكور، مدعياً بأنه غير لازم عند الإمام أبي حنيفة، إذ الوقف عنده كالعارية جائزة غير
لازمة فيرجع عنه، لأن الوقف عنده حبس العين على ملك المالك، فلا يلزم إذا كان غير
محكوم به، فطلب إرجاع العقارات إلى ملك موكله، فنازعه محمد آغا الوكيل الآخر،
مدعياً لزومه، محتجاً بقول الإمامين أن الوقف لازم، وإن لم يحكم القاضي بلزومه، لأن
الوقف عندهما حبسٌ على ملك الله تعالى، وصرف منفعة الوقف على من أحبه
الواقف، والفتوى على قولهما كما صرح بذلك فقهاء الحنفية. فحكمتُ بصحة الوقف
ولزومه وعدم جواز الرجوع، مع علمي بالخلاف الجاري بين الأئمة الأشراف، فصار
وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً بحيث لا يباع ولا يوهب ولا يُعار ولا يُقسَّم ولا يُملَّك، فمن
بدله من بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم.

وكان ذلك في غرة شهر رجب الأصب الواقع في السنة الثالثة والاربعين في الألف
والمائتين للهجرة النبوية⁽¹⁾.

نمَّقه الفقير إليه عز شأنه

إبراهيم بن محمد القاضي بمدينة بغداد

(1) الموافق 17 كانون الثاني سنة 1828م.

أسماء ومعالم غير اسلامية في وثائق وقفية بغدادية

تحفظ وزارة الأوقاف في بغداد سابقاً (ديوان الوقف السني اليوم) بمجموعة من السجلات التي تضم كمية كبيرة من الوثائق الوقفية التي ترقى إلى عصر الدولة العثمانية في العراق، الممتد من دخول السلطان العثماني سليمان القانوني بغداد سنة 1538 وحتى خروج العراق من يد العثمانيين في أعقاب الحرب العالمية الأولى سنة 1917.

ومن المهم القول أن أكثر هذه الوثائق هو نسخ منقولة من سجلات المحكمة الشرعية في بغداد، ويرقى أقدم تلك السجلات الى سنة 1188هـ/1774م، أما الوثائق المرتقية الى العهود السابقة على ذلك التاريخ فهي نسخ منقولة عن أرشيف الأوقاف الإسلامية في استنبول، أو من مصادر أخرى مختلفة.

وتشمل هذه الوثائق الوقفيات التي وقفها أصحابها على أنواع من المؤسسات الدينية والخيرية والخدمية، كما تشمل الحجج الشرعية التي تمنح لبعض من يطلبها إثباتاً لوقف وقفه أحد أسلافه، إضافة إلى الإعلّامات الشرعية التي هي بيانات تصدر عن المحكمة بخصوص وقف عقار ما وتمتوليه وحقوق المستفيدين من الوقف وما إلى ذلك.

وتقدم هذه الوثائق للباحث فوائد تاريخية شتى، لا يمكن الحصول عليها من المصادر الأخرى، ففيها نقرأ أسماء معالم المدينة: حصونها، ومؤسساتها العسكرية والمدنية، ومحلاتها السكنية، وأسواقها، وخاناتها، ومقاهيها، وحماماتها، ومشاريع مياه الشرب فيها، وبساتينها وما آلت إليه في العصور اللاحقة. وعلى الرغم من أن هذه الوثائق تختص بالأوقاف الإسلامية حصراً، فقد لاحظنا أنها لا تخلو من اشارات عَرَضية إلى أسماء ومعالم لأشخاص يتبعون الديانتين المسيحية واليهودية، بحكم التجاور الشديد بين عقارات أتباع الديانات الثلاث في المدينة الواحدة. وتفصيل هذا الأمر، أن المحاكم الإسلامية لم تكن تعتمد أصلاً الخرائط في تسجيل حدود العقارات، كما تحددها اليوم خرائط (الكادسترو) التي تثبت من خلالها حدود أي

عقار بأرقام ثابتة، وإنما هي تعتمد، بديلاً عن ذلك، تحديدها من خلال تعيين أسماء المالكين المجاورين، فيُسجَلُ مثلاً أن فلاناً وقف داراً محدودة من الجهة الأولى بـدكان عمرو، ومن الجهة الأخرى بـدكان زيد، ومن الجهة الثالثة بدار آخر، ومن الجهة الرابعة الشارع العام أو الطريق الخاص أو السوق، وهكذا تفيدنا الوقفيات، ليس في معرفة الحدود الجغرافية لعقار ما فحسب، وإنما في معرفة طبيعة النسيج الاجتماعي للمحلة ومن ثم للمدينة كلها، من خلال تتبع أسماء مالكي العقارات المتجاورة في المكان الواحد، على أنها بالمقابل تفتقر غالباً إلى توثيق مساحة العقار الموقوف، وإلى الأسماء الكاملة للمالكين، ومن ثم فإن الوجود القانوني لهذه العقارات معرض دوماً إلى الضياع، بحكم وفاة أصحابها، أو وفاة وارثها، أو تعرض المحلة إلى كوارث عامة من غرق وأوبئة وهو ما حدث مثلاً عقب غرق بغداد وطاعونها سنة 1188هـ/1774م وسنة 1247هـ/1832 حين ضاعت حدود المحلات فضلاً عن حدود العقارات فيها. ولا يمكن توثيق أي عقار مرة أخرى إلا من خلال الإستعانة بالشهود من وجوه المحلة أو السوق التي يقع فيها، واستحصال (الحجج الشرعية) القائمة على توثيق تلك الشهادات، وحتى هذه الحجج فإنها مُعرضة إلى ما تعرضت إليه أصول الوقفيات نفسها ما دامت توثق ببياناتها وما يترتب عليها من حقوق المالكين بالأسلوب السابق نفسه.

وكنا قد تفحصنا جميع هذه الوثائق منذ عقدين من السنين، ويبلغ عددها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وثيقة، في أثناء اعدادنا بعض الدراسات الخططية عن مدينة بغداد في العصر العثماني، واستخرجنا من مندرجاتها مادة ثمينة كانت موضوعاً لكتاب أصدرناه في سنة 2000 بعنوان (معالم بغداد في القرون المتأخرة)⁽¹⁾.

المسيحيون

توزع المسيحيون في محلات مختلفة من بغداد، ربما كانت محلة الميدان أقدمها، إذ برز وجودهم في هذه المحلة في أوائل القرن السابع عشر حتى نُسبت إلى أحدهم محلة قائمة بذاتها، وسبب ذلك يعود إلى أن السلطان العثماني مراد الرابع أراد مكافأة رجل من الأرمن الأرثوذكس يدعى كيورك نزارتيان، أي جورج الناصري، يشغل وظيفة

(1) كان هذا الكتاب يشغل 450 صفحة، وقد أصدرنا طبعة جديدة مزيدة ومنقحة منه، تشغل نحو

860 صفحة، وصدرت عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف السني سنة 2016.

مهمة في جيشه، هي (طوبجي باشي) أي كبير المدفعيين، وذلك لما أبداه من اخلاص في عمله، في أثناء حصار السلطان بغداد وفتحها إياها في 19 شعبان 1048هـ/25 كانون الأول 1638م، بعد أن كانت بيد الصفويين، فما كان منه إلا أن منحه رخصة بناء كنيسة في محلة الميدان القريبة من القلعة، فأصبحت هذه الكنيسة تعرف، ومحلتها، باسمه⁽¹⁾. وقيل أيضاً أنه رجل من أرمن ديار بكر، انحدر الى بغداد، وتمكن بما حازه من نفوذ في عهد أحمد باشا والي بغداد (1136-1147هـ/1723-1734م) أن يضع يده على كنيسة قديمة، في محلة الميدان، شادها النساطرة في عهد الاحتلال الصفوي (1032-1048هـ/1632-1638م) وتحويلها إلى بني جلده ومعتقده من الأرمن الأرثوذكس، فعرفت الكنيسة وجوارها به⁽²⁾. هذا مع أن الرحالة التركي أوليا جلبي أشار إلى وجود كنيسة للأرمن قرب الميدان، في سنة 1061هـ/1650م⁽³⁾ أي قبل ولاية أحمد باشا المذكور بنحو قرن في أقل تقدير. وعلى الرغم من الاختلاف بين الروايتين فإن مضمونهما يبقى واحداً كما ترى.

وكان من معالم محلة الميدان عقد يسمى (رأس الكنيسة)، أشير إليه في وقفية رقوشة خاتون بنت محمد بن الحاج سلمان، المؤرخة في 8 ربيع الأول 1329هـ/1911م. فقد نصت الوقفية على أن الزقاق المنسوب الى محمد جلبي يقع «في عقد رأس الكنيسة في الجهة الخلفية لوقف آل القلعة لي»، وهذه الأسرة كانت من الأسر القديمة في بغداد وتتولى أوقاف جامع القلعة فنسبت إليها.

وكان ثمة عقار باسم (وقف الكنيسة) ولا ندري إلى أي كنيسة يعود، فإن الواقفين لم يكونوا يميزون بين هويّات الكنائس، وقد وردت الإشارة إليه في وقفية علي بن كاظم الملا حسن على أعمال البر، حيث جاء فيها أنه وقف «جميع الدكان الواقع في سوق الجَوْخِجِيَّة المحدود بوقف الكنيسة، وبدكان محمد سعيد الشبخلي وأخوته أولاد مصطفى جلبي، وبخان الذهب، وبالطريق العام» وذلك في وقفيته المؤرخة في 29 شعبان 1314هـ/1896م.

(1) بطرس حداد: كنائس بغداد. الأعمال الكاملة، بغداد 2017، ص338.

(2) روفائيل بابو اسحاق: كنائس بغداد في العهد العثماني، مجلة سومر 1964، ص285

(3) أوليا جلبي سياحتنامه سي ج4 ص419

وفي القرن الثامن عشر أخذ المسيحيون في بغداد يختارون تجمعاتهم في محلات متفرقة، خارج مستقرهم الأول في محلة الميدان، وتوزعت كنائسهم في أطراف الميدان، وفي سوق الغزل، وفي الشورجة، وفي أحد عقود محلة رأس القرية عرف (بعقد النصارى)، و(عقد الكنائس). وعلى الرغم من تسمية العقد هذه، فإن من الواضح أنه كان أصغر من أن يستوعب جميع المسيحيين في المدينة، ولذلك فقد وجد المسيحيون انتشارهم في محلاتها الأخرى، مما ذكرنا.

من ذلك ما جاء في وقفية صفية خاتون بنت يوسف المؤرخة في 16 ذي القعدة سنة 1281هـ/1863م من أنها وقفت دارها في محلة رأس القرية، وعيّنت جيرانها فكان منهم (من جهة اليمين والخلف بدار فتوحي بن يوسف الميداني، ومن اليسار بشورا بن استيفان)، وهذا مسيحيان أولهما من مدينة (ميادين) السورية الواقعة على نهر الفرات⁽¹⁾.

وبشكل عام فإن الوقفيات تكتفي عند ذكر غير المسلمين بالإشارة إلى إسمائهم الأولى فقط، وفي أحيان قليلة كان يُنص على أنهم من أهل الذمة، وهو مصطلح يطلق على غير المسلمين عامة. من ذلك مثلاً أن وقفية الوزير داود باشا والي بغداد على مدرسة جامع الحيدر خانة المؤرخة في غرة رجب 1243هـ/1827م أشارت إلى سوق الحيدر خانة بوصفه من حدود تلك المدرسة، حيث أنه وقف سبعة دكاكين في السوق المذكور باتصال المسجد الواقع في غرب المدرسة، المحدودة من جهة بديكان كاتب العربية عبد الباقي چلبي، ومن جهة بديكان عُرف صاحبه ب(الذمي جرجو)، ومن جهة بالمسجد ومن جهة أخرى بشارع السوق. فجرجو هذا مسيحي، واسمه مخفف من جرجي، أو جورج.

وأشارت وقفية الوزير داود باشا والي بغداد على مدرسة جامع الحيدر خانة المؤرخة في غرة محرم 1234 إلى أن من حدود سوق الحيدر خانة من جهة الغرب ملك محمد آغا، ومن جهة أخرى شارع سوق الحيدر خانة، وبعضاً ملك كاظم، ومن جهة ملك (ياسف الذمي القونداقجي)، ومن جهة بملك الملا محمد قنچق، كما في وقفيته

(1) عرفت ميادين في العصور الإسلامية باسم (الرحبة) وتقع على بعد 45 كيلومترا من مدينة دير الزور، في الجهة الجنوبية الشرقية منها.

المؤرخة في غرة محرم 1234. فهنا ذكر اسم هذا الذمي ولكنه لم يذكر دينه، والغالب انه مسيحي، أما القونداقجي، فمصطلح تركي يعني مُصلِح الأسلحة النارية.

وفي وقفيته المؤرخة في غرة رجب 1243هـ/1827م أشير الى سوق الحيدرخانة بوصفه من حدود تلك المدرسة، حيث ورد انه وقف «الدكان الواقع في السوق المذكور المحدود من جهة بملك الذمّي ياسف، ومن جهة بملك علي بك زاده، ومن جهة بالطريق الخاص، ومن جهة بشارع السوق».

ومن ذلك أيضاً أن خاناً تجارياً يسمى خان (جون) أشير اليه في وقفية الحاج محمد جواد بن الحاج علي كافل حسين المؤرخة في 28 جمادي الآخر 1294هـ/1877م بوصفه من حدود دكان وقفه الواقف المذكور في سوق الجوخه چية في بغداد، والاسم لمسيحي ولا ريب، لكنه لم يكن محلياً، وإلا لكان اسمه حنا، او يوحنا، كما هو معلوم.

ونجد في أحيان أخرى أن الواقف ينص على الهوية الدينية لمن يرد اسمه في وقفيته، من ذلك أننا نقرأ في وقفية حليلة خاتون بنت عبد الله أفندي أنها وقفت «الدار الحرم والديوانخانة في محلة رأس القرية المحدودة بدار الحاج عبيد وبار ورثة السيد عبد القادر وبار ورثة الحاج خليل وبار يوسف النصراني وبالطريق العام» فنصت بذلك على هوية جاراها يوسف هذا ولكنها بالمقابل لم تنوه باسم أبيه. وذلك في وقفيتها المؤرخة 9 شوال 1281هـ/1863م.

وفي وقفية الحاجة نجو بنت الحاج عبد القادر الحاج عبد الهادي أنها وقفت «خان صغير، والمقهى المتصلة به، والملاصقين أحدهما بالآخر، المحدودين بدار وقف جامع العدلية، ومن جهة بدار الواقفة، وايضا بدار المسيحي أغاكيم، واستيفان ولدي خضر، ومن الجهة الرابعة بالطريق العام» وذلك في وقفيتها المؤرخة في 12 رمضان 1295هـ/1878م، فهنا نصت الوقفية على اسمي مالكي الدار واسم أبيهما وهويتها الدينية.

ومثل ذلك ما ورد في وقفية الحاج سلمان بن صالح بن شبلي من أنه وقف عقارات كثيرة منها «ودار خرية في محلة الميدان، محدودة بالطريق العام، وتتم بالدكاكين الثلاثة العائدة الى الوقف الهمايوني، وبالطريق العام، وبار (عبد الجبار

أفندي الأوقات⁽¹⁾ بن عيسى المسيحي)، وبخان صالح آغا اليوزباشي، وذلك في وقفته المؤرخة في 23 محرم 1324 (1906م)»، فهذه الوقفية نصت على اسم الواقف واسم أبيه وهويته الدينية واسم مهنته، وهي المحاماة.

ومن المؤكد أن ابرز المعالم المسيحية هي الكنائس، وكان لهذه الكنائس أوقاف من عقارات تجارية ينفق من غلتها على شؤونها المختلفة، وتدلنا الوقفيات عن تقارب، بل تداخل عجيب بين هذه العقارات الموقوفة وبين عقارات موقوفة خيرية وذرية إسلامية، ففي وقفية الحاجة فاطمة خاتون بنت سعد الله آغا بن حسن على ذريتها أنها وقفت دكاناً في سوق الهرج العتيق محدوداً من جهة بـ(دكان الوقف المشروط لفقراء كنيسة الأرمن)، ومن جهة بـ(دكان اليهوديين مناحيم سلمان دانييل ومناحيم صالح دانيال، ومن جهة بـ(دكان ورثة اليهودي اسحق سكمَن، ومن الجهة الرابعة بالطريق العام، في وقفيتها المؤرخة 23 شوال 1304هـ/1886م، فهذه البقعة الصغيرة من سوق الهرج ضمت في وقت واحد ملكيات متجاورة مختلفة المالكين من الديانات الثلاث، فهؤلاء المالكون هم جيران، ولا شك أنهم كانت تحكمهم علاقات الجيرة المألوفة بين الجيران.

ومثل هذه الجيرة نجدها في وقفية الحاج أحمد چليبي بن حمادي بن رغله آل المدلل المؤرخة في 20 ربيع الآخر 1321هـ/1903م حيث أشير فيها الى مقهى وقف الكنيسة، بوصفه من حدود دكان يمتلكه يهودي اسمه عبد الله، في سوق باب الآغا محدوداً بـ(دكان آل الرحبي، وهذه الأسرة من أسر بغداد القديمة وقد خرج منها عدد من القضاة والعلماء.

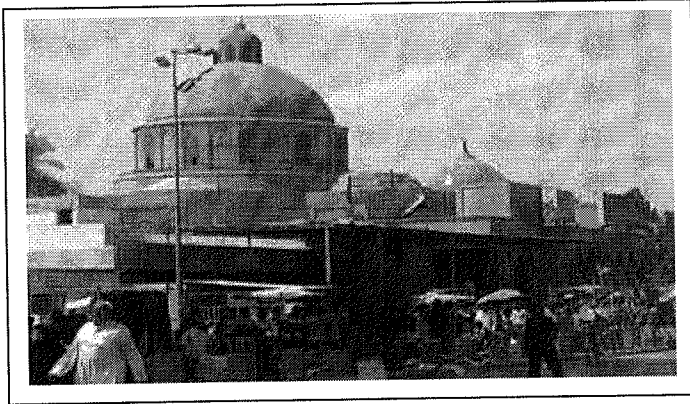
ومثل ذلك ما نقرأه في وقفية فطومة بنت مصطفى المقيمة في محلة سبع أبكار، فإنها وقفت داراً في المحلة نفسها برقم 185/24 تسلسل 242، محدوداً جبهةً بالطريق العام، ويميناً بدار صفية بنت يوسف، ويساراً بدار ورثة خضير بن سعودي، وخلفاً بدار الوقف العائدة الى الكنيسة، على وجوه البر، في وقفيتها المؤرخة في 20 جمادى الآخرة 1342هـ/6 شباط 1924، فدار الوقف على الكنيسة إذاً، كانت تجاور، حائطاً بحائط، دار الجارتين فطومة وصفية، فضلاً عن جيرانهم ورثة خضير، مما يؤكد أنهم كانوا قد قبلوا هذه الجيرة بما يترتب عليها من علاقات اجتماعية.

(1) كلمة مأخوذة من الايطالية (أفوكاتو) وتعني: المحامي.

وفي وقفية الحاجة زهوة بنت الحاج عبد الرزاق المزراقجي المؤرخة في ربيع الأول 1339هـ/15 تشرين الثاني 1920، أنها وقفت نصف دكان في الجادة السابعة من محلة باب الآغا، محدود من أحد جوانبه «بوقف كنيسة السريان».

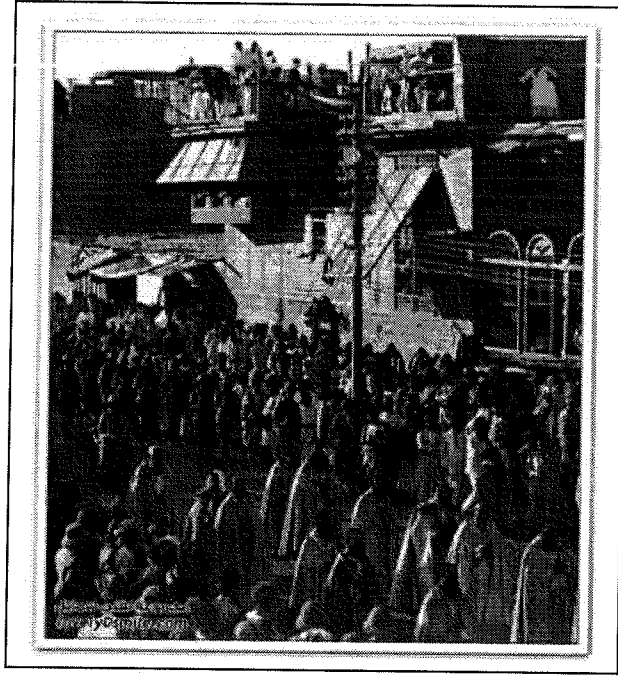
وفي وقفية فطوممة بنت قاسم المؤرخة في 10 جمادى الآخر 1270 أنها وقفت «دكانا عائداً الى كنيسة النصارى» يقع سوق الأترقجية المحادد لخان جفان (وهو المعروف اليوم بسوق دانيال).

ولم يكن ثمة ما يمنع أن يبيع بعض المسلمين داراً أو أكثر لمسيحي ليشيد عليها كنيسة، ففي محلة (جامع الخلفاء) أي محلة سوق الغزل، باع رجل يدعى محمود بن أحمد الرهاوي دارين متجاورين إلى أحد الأرمن الكاثوليك يدعى (لوقا الأضرومي)، وكان هذا يرغب في جعلهما كنيسة، وقد سُجِّلت واقعة البيع هذه في سجلات المحكمة الشرعية بتاريخ 1215هـ/1800م فما كان من الأخير إلا أن نقض الدارين ودمجهما معاً في أرض واحدة شيد عليها كنيسة لبثت تؤدي خدماتها إلى أبناء طائفته مدة ست وثلاثين سنة، وورد اسم (محلة جامع الخلفاء) في وثائق هذه الكنيسة، وكان ذلك باسم بطريرك الأرمن غريغوريوس بطرس كوبليان. ومن الملفت للنظر حقاً أن تسجيل البيع في سجل المحكمة الشرعية كان يعني مصادقة قاضي بغداد على الشراء في ذلك الوقت، على الرغم من القرب الشديد بين موقع هذين العقارين وبين أكبر جوامع بغداد في ذلك العصر، وهو جامع الخلفاء المسمى في العصر العباسي بجامع القصر كونه كان المصلى الرسمي للخلفاء العباسيين عدة قرون⁽¹⁾.



كنيسة الكرمليين المقابلة لجامع الخلفاء

(1) كتابنا: مؤرخون سريان محدثون، بيروت 2015، ص 127.



موكب احتفالي مسيحي في بغداد

اليهود

كان لليهود، كما تكشف الوثائق الوقفية، حضور أقوى في المحلات التي شهدت وجود أسواق وخانات ونشاطات تجارية، ففي وقفية الحاج عبد الرسول بن مهدي، المؤرخة في 15 ذي القعدة 1314هـ/ 1896م، أن الواقف المذكور وقف على أعمال البر، مصبغة الوقف، وعرف حدودها بأنها «محدودة من بعض جهاتها بديكان منشي شعشوع وديكان عبد القادر وشريكه، وبالطريق العام». فهذه هي أول إشارة إلى آل شعشوع الأسرة اليهودية المهمة في عالم التجارة، والتي ستزداد شهرتها في السنين التالية.

ومن المعالم التجارية اليهودية في سوق الشورجة خان روبيل، فقد أشير في الإعلام الشرعي المؤرخ في 9 جمادى الآخرة 1317هـ/ 1899م إلى أن هذه السوق كانت تضم من المعالم: خان روبيل، وخان الباجه جي، وخان آخر وقفه الحاج عباس بن الحاج مهدي بن محمد شكرجي.

وتكشف وقفية جميلة بنت سليم أغا عن وجود دور سكنية لليهود في محلات أخرى من بغداد، منها محلة القراغول، حيث ورد فيها أنها وقفت سهامها الواقعة في

الدار الكائنة في محلة القراغول المرقمة 74/33، «المحدودة من الشمال الشرقي بالطريق العام، ومن الشمال الغربي بدار عزيزة ساسون، ودار سعيد علي، ومن الجنوب الغربي دار نعيمة وحسيبة بنتي حسين، ودار نعيمة بنت سمعون، ومن الجنوب الشرقي دار يوسف عزرا، ويتم بدار بهية عبد الرحمن». على وجوه البركما في وقفيتها المؤرخة في 20 ربيع الآخر 17/1360 ميس 1941. فهاتان السيدتان اليهوديتان، نعيمة بنت سمعون، وعزيزة بنت سمعون، ويوسف بن عزرا، كانوا جيراناً لعدد من دور المسلمين من سكنة محلة واحدة، هي محلة القراغول.

وفي الوثيقة المؤرخة 15 رجب 1233هـ/1827م إشارة إلى بيع الحاج إسماعيل بن الحاج مصطفى، الأصيل عن نفسه، والوكيل عن ورثة المتوفى مصطفى أعا بن الحاج مرتضى، داراً حدد مواصفاتها بدقة، في محلة اسمها خواجه سلمان، في بغداد، إلى الياهو ولد الياهو ولد هارون اليهودي، وان الأخير قبل البيع واشترى لزوجته نُوعم بنت عبد النبي بنت خاتون اليهودي هذا الدار المبلغ المذكور وبذلك «صار جميع هذه الدار كلها بتوابعها ومرافقها وكافة حقوقها لهذه المرأة اليهودية المذكورة تتصرف في جميع هذه الدار كلها كما تشاء بلا منازع»⁽¹⁾.

وفي محلة قنبر علي وقفت عايشة خاتون بنت السيد محمود داراً، محدودة من ثلاث جهات بدار محمد صالح آغا، ومن الرابعة بدار (ابراهيم ولد حردون) وبالطريق الخاص، على وجوه البر، في وقفيتها المؤرخة 14 جمادى الآخرة 1277هـ/1859م. فابراهيم بن حردون كان من سكنة المحلة، يجاوره فيها دار الواقعة ودار محمد صالح آغا المذكور.

ومن خانات اليهود البارزة خان كان يملكه ورثة (دينوس)، وهي أسرة يهودية برزت في مجالات التجارة والمال، وكان هذا الخان يقع بحسب وقفية الحاج محمد أمين چلبي بن الحاج محمد سعيد چلبي بن الحاج مصطفى الشبخلي المؤرخة في 6 جمادى الاولى 1296 هـ/ 1878م في سوق خان بكر من أسواق بغداد⁽²⁾.

(1) سجلات المحكمة الشرعية، السجل 30، الورقة 12

(2) ذكر عباس بغدادي أن سوق الصفاير ينتهي بخان كرجي او خان شلش كما يسميه البعض، أما اسمه الآن فهو الحريري، فقد اشتراه السيد تقي الحريري من مالكيه اليهود بيت دنوس أصحاب سينما الزوراء، وقد هدمه الحريري وشيده سوقاً. (بغداد في العشرينات، بيروت 1998، ص158).

ومن خانات اليهود أيضاً خان عبد الله اليهودي، وقد وردت الإشارة إليه في وقفية داود باشا المؤرخة في غرة رجب 1243هـ / 1827م بوصفه من حدود خان آخر واقع في سوق الصياغين.

ووقفت آمنة بنت ولي بن علي الساكنة في محلة قنبر علي، الدار الواقعة في المحلة المذكورة، المحدودة أولاً بدار الحاج طه القهوة چي، وثانياً بدار عبد الله اليهودي، وثالثاً بدار مريم بنت الطرف، ورابعاً بالطريق العام، في وقفيته المؤرخة في 13 شوال 1307هـ / 1889م.

ولا ندري ما إذا كان صاحب هذا الدار، عبد الله اليهودي، هو صاحب خان عبد الله اليهودي المتقدم في وقفية داود باشا أم غيره.

وأشير إلى خان باسم (خان اليهود) في وقفية رحمة بنت الحاج أمين الملا خضر على مسجد الخضيرى (المعروف بمسجد التسايل) المؤرخة في 10 صفر 1234هـ / 1818م بوصفه من حدود دكان وقفته في سوق العطارين في بغداد، وهذا السوق كان امتداداً لسوق الشورجة نفسه.

وفي وقفية الحاج محمد جواد بن الحاج علي كافل حسين المؤرخة في 28 جمادى الآخرة 1294هـ / 1872م أن هذا الخان من حدود الدكان الواقع في سوق العطارين.

وادعى عبد الهادي بن سيد علي بن سيد حسين بن السيد يحيى أن الخان المرقم 46 الواقع في محلة الصنافير، المحدود بأمالك الحاجة نومة بنت الحاج أسعد، والحاج محمد العسافي وبجدار الجامع (أي جامع؟)، ودار إلياهو حسقيل، وبالطريق العام، كان ملكاً لسيد علي، ثم وقفه على أعمال الخير، فحكمت المحكمة بصحة الوقف، وذلك بموجب الإعلام الشرعي المؤرخ في 6 شعبان 1315هـ / 1897م.

فهذا الاعلام يكشف أن الياهو بن حسقيل كان من سكنة محلة الصنافير، وليس مالكاً لمرفق تجاري فيها فحسب. كما أن داره كانت مجاورة لجدار جامع هناك، ومع ذلك لم يثر ذلك التجاور حفيظة المحكمة فضلاً عن جيران الجامع نفسه.

وثمة خان آخر لليهود في سوق العطارين، جاء في وقفية رحمة بنت الحاج أمين الملا خضر على مسجد الخضيرى المؤرخة في 10 صفر 1234هـ / 1818م أنها وقفت «جميع الدكان الواقع في سوق العطارين ببغداد، المحدود بملك أحمد أغا بن اسماعيل كهية، وبملك مهدي بن مصطفى، وبخان اليهود، وسقفه الخان المزبور».

ووقف الوزير داود باشا والي بغداد دكاناً في هذا السوق، ففي وقفيته المؤرخة في 10 ربيع الأول 1234هـ/1818م أنه وقف الدكان محدود بدكان محمد أمين أفندي مدلج، وبدكان عبد النبي اليهودي، وبار الياهو اليهودي، وبالطريق العام.

ومن معالم سوق السريرجية خان الدفتردار (الذين شيدت على أرضه عمارة الدفتردار الحديثة) خان مناحيم دانيال، فقد ورد في وقفية الحاجة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم على مدرستها المؤرخة في 9 ربيع الآخر 1291هـ/1874م، أن مما وقفته هذه السيدة «خان الكبير والصغير، المعروف باسم خان الدفتردار في سوق سريرجيلر، المحدود من جهة بخان مناحيم ولد سلمان دانيال، ومن جهة بالدجلة العظمى، ومن جهة بالطريق النافذ الى الدجلة، وبعضاً بأسكلة ورثة ولي الحاج فتحى المعلومين، ومن جهة بالطريق العام».

وكنا قد أشرنا الى أن في وقفية الحاج أحمد چلبي بن حمادي بن رغله آل المدلل المؤرخة في 20 ربيع الآخر 1321هـ/1903م اشارة الى دكان يمتلكه يهودي اسمه عبد الله، اذ جاء فيها انه وقف «دكاناً في سوق باب الآغا محدوداً بدكان آل الرحبي، وبدكان يهودا بن عبد الله، ويوسف، وبمقهى وقف الكنيسة، وبالطريق العام.

وكان في مدخل سوق الشورجة ثكنة عسكرية عرفت باسم سراي الينكجيرية (وهم الانكشارية) اتخذها آغا هذه القوات مقراً لدائرته، فعرفت الثكنة باسم باب الآغا، وغلب هذا الاسم على المحلة المجاورة (وكانت تسمى بمحلة فراشة) فسميت بمحلة باب الآغا، وهذه القشلة هي التي تحولت، بعد انقضاء عهد الانكشارية، إلى دار تملكها الأرمني كريكور كيورك إسكندر وإخوانه، وظلت تعرف حتى سبعينات القرن التاسع عشر بدار القشلة، وكانت مقابلة لمحلة الرواق القديمة المرتقية الى العصر العباسي، اي المكان الذي يشغله اليوم مبنى بنك الرافدين المقابل لمدخل الشورجة⁽¹⁾.

ويمكننا ان نخرج من هذه النصوص الى جملة من النتائج هي

1- إن غير المسلمين، من المسيحيين واليهود، كانوا يشكلون جزءاً من النسيج العام لمجتمع المدينة، لهم وجودهم في محلاتها المختلفة، وليس في محلة معينة خاصة بطوائفهم فحسب، وصحيح أنه كان للمسيحيين محلة تنسب اليهم هي عقد النصرارى

(1) كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، الطبعة الثانية، ص453.

او عقد الكنائس، إلا أن وجودهم لم يكن منحصراً بهذه المحلة دون غيرها، فقد كشفت الوثائق عن وجودهم في محلات أخرى أيضاً، منها الميدان والقراغول وقنبر علي والشورجة وسبع أبارك وغيرها. وينطبق هذا الحال على اليهود أيضاً، حيث لم تكن (محلة التوراة) تمثل حياً مغلقاً عليهم، مثل محلات (الكيوتو) التي عرفت في المدن الأوربية⁽¹⁾، وإنما كانت حياً تجارياً يزوره الناس يومياً لأغراض التجارة من مختلف الديانات، ومن جهة أخرى، كان لليهود انتشارهم في محلات بغداد المختلفة، لا سيما في المحلات التي كانت تضم اسواقاً، مثل الشورجة، والبزازين، وباب الآغا، والصفافير، وكان منهم من يقيم في تلك المحلات بعيداً عن محلة التوراة التي تمثل أكبر تجمع لهم في بغداد، ولكن ليس التجمع الوحيد فيها. ومن الواضح تماماً انه لا المجتمع الاسلامي ولا السلطة كان وراء نشوء ذلك التجمع أصلاً.

2- أقام المسيحيون، واليهود أيضاً، في دور تجاور دور مواطنيهم من المسلمين، إلى حد أن عدت دورهم حدوداً تُعرّف من خلالها دور أولئك الجيران. ومن الطبيعي أن تنشأ، في ظل ذلك التجاور، علاقات جيدة من التعاون والتعايش والمشاركة. ونرى أن هذه الملاحظة ترد على نظرية برنارد لويس في فهمه لنظام الملل العثماني، حين تصور أن المدينة الشرق- أوسطية كانت تتألف من مجتمعات منفصلة يختص كل منها بملة معينة لا يصلها بالملل الأخرى شيء يذكر⁽²⁾. وهي النظرية التي تبناها وروج لها كُتّاب

(1) منطقة يعيش فيها، طوعاً أو كرهاً، مجموعة من السكان يعدهم أغلب الناس خلفية لعرقية معينة أو لثقافة معينة أو لدين، وقد أنشئت هذه الكيوتوات في روما أولاً، ثم انتشرت في مدن أوربية أخرى. وكان الكيتو هو الحصن الذي يعيشون داخله؛ كي يحافظوا على هويتهم، ويدافعوا عن أنفسهم من خطر الاضطهاد المحتمل في أي وقت.

(2) في 1980، بدأ برنارد لويس بتكليف من وزارة الدفاع الأمريكية بوضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة دول الشرق الأوسط جميعاً، أو كلا على حدة، (ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الإفريقي.. إلخ)، ثم تفتتت كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية. وفي مقابلة أجرتها وكالات الإعلام مع برنارد لويس في 20/5/2005 صرّح بأنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والاسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطهم أو التأثير بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم. ينظر فيوليت داغر: عوامل حرق نهضة الشعوب المستضعفة، على موقع (اللجنة العربية لحقوق الإنسان) نشر في 31 آذار 2013 .

ومؤرخون، في عقد الثمانينات من القرن العشرين، وهم (يُروَّجون) لنظام سياسي - اجتماعي مقبل، مشابه لما تصوره أنه (نظام ملل)، تدور كل ملة، أو طائفة، في عالم خاص لا يجد ما يصله بالعالم الأكبر، وهو الوطن، من الوشائج إلا القليل أو لا يجد .

3- لم يكن سكنى غير المسلمين في أماكن قريبة من جوامع المسلمين مدعاة اعتراض أحد عليهم، أو اعتراض السلطة، فقد وجدنا القاضي في المحكمة الشرعية يصادق على عقود شراء مسيحيين ويهود لعقارات تجاوز جوامع رئيسة، الى حد التماس أحياناً، دونما بيدي اعتراضاً يذكر.

4- لم تكن السلطة مهتمة بذكر الهوية الدينية للملكي العقارات، ولذلك لم يكن ثمة تقليد محدد بشأن هذا الأمر، والظاهر أنه ترك لاختيار الواقفين، فمرة تستخدم الوقفية مصطلح (الذمي) ومرة (النصراني) وثالثة (المسيحي) وفي أكثر الحالات لا يذكر اي مصطلح مميز، ويكتفى بذكر الاسم فحسب، أو الحرفة في أحيان نادرة.

5- وتأسيساً على هذا فإن السلطة لم تكن مَعْنِيَةً بالتدخل في شأن هويات المالكين في حالات إنتقال الملكية او عند استئجار العقارات لمدد طويلة، حتى لو كانت تلك العقارات أوقافاً إسلامية بحتة، دليلنا على ذلك أنه سمح لإمرأة يهودية، تدعى (رفقة نورائيل) أن تستأجر سنة 1261هـ / 1845م بالإجارة الطويلة، دار الشفاء التي أنشأها حاكم العراق الجلائري الخواجة أمين الدين مرجان سنة 760هـ/1358م، ووقف عليها العقارات الكثيرة، ومنها خان مرجان الشهير، لتحويلها إلى مقهى يُنفق من ريعه على مدرسة يهودية أنشأتها باسم (تلمود نوره)⁽¹⁾، فعرفت هذه الدار، منذ ذلك الحين، باسم قهوة المصبغة نسبة إلى سوق الصباغين القريب، أو باسم قهوة الشط لإطلالها على النهر، وهكذا الأمر في عقارات موقوفة أخرى.

والخلاصة أنه لا بد للباحث من اعتماد الوثائق بصفة رئيسة في تقرير نتائج قد تتبني عليها فتاعات خطيرة، بدل أن يطلق القول جُزَافاً من أجل تمرير أفكار يُراد بها تشويه حاضرنا فضلاً عن مستقبل أجيالنا .

(1) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، ص345-346.

ومحمد رؤوف الشبخلي: المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة، ص206.

من داود باشا إلى نقيب كربلاء

لعهد ولاية المماليك في العراق (1162-1247هـ/1749-1831م) أهمية خاصة في تاريخ العراق ابان القرون الأخيرة، وذلك لما اتسم به هذا العهد من تغيرات مختلفة شملت معظم مناحيه، وعلاقات سياسية واجتماعية معقدة نشأت بين مختلف القوى فيه، وبخاصة ما اضطلعت به بغداد من دور متميز في إدارة شؤون المدن العراقية الأخرى، بعد أن كان هذا الدور غير واضح، أو فاتراً، في العهد السابق من الحكم العثماني.

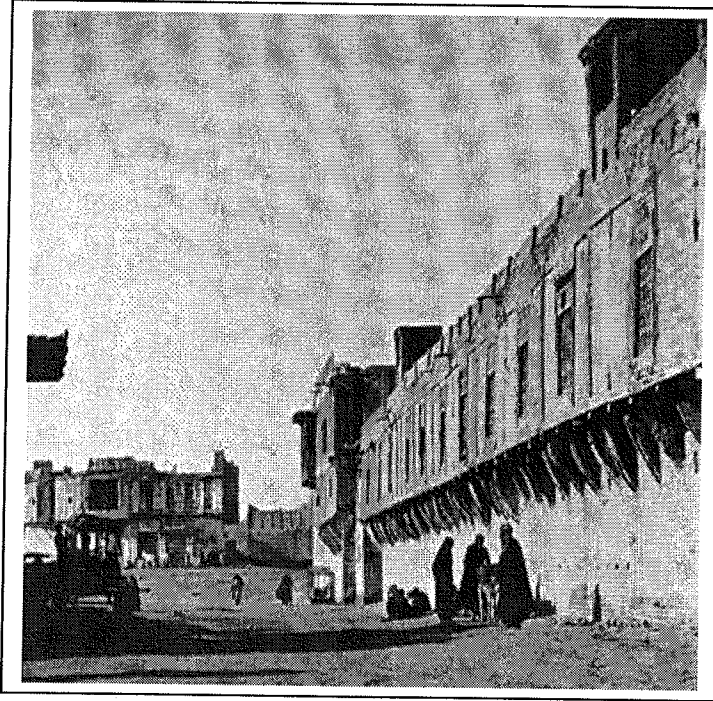
وقد أبدت بغداد نفوذاً متفاوتاً على جميع الأسر الحاكمة آنذاك، مثل الجليليين في الموصل، والبابانيين في قلا جولان ثم في السلمانية، والبهدينانيين في العمادية، وآل عبد الجليل في الحلة، وآل الملالي في النجف، والنقباء والسدنة في كربلاء، وغيرهم.

ولكن هذا النفوذ أخذ بالتعاضم السريع كلما اقترب عهد المماليك من نهايته، لا سيما في عهد آخر ولاتهم داود باشا (1232-1247هـ/1816-1831م)، فتم إزاحة جميع تلك الأسر الحاكمة بعد صراعات ونزاعات عديدة، وبذل كل مسعى لاستبدال تلك السلطات المحلية بسلطة بغداد المركزية.



جامع الحيدر خانة في بغداد الذي اعاد بناءه داود باشا

ومن المدن التي سعى داود باشا لفرض سيطرته المباشرة عليها، مدينة كربلاء، التي كانت تتمتع تلك الحقبة، بحكومة محلية، ثلاثية المظهر، يترأسها نقيب الأشراف، وسادن الحضرة الحسينية، وحاكم يُعيّنه والي بغداد، وكانت الحياة السياسية في المدينة تتشكل على وفق توازن هذه القوى، حيث يتنقل مركز الثقل السياسي بين النقيب والسادن، بينما يمنح ممثل الوالي العثماني، شكل الحكم العثماني للمدينة فحسب.



كربلاء صورة قديمة

ولما كانت خطة داود باشا تتلخص بالإخلال بهذا التوازن عن طريق نقل السلطة الحقيقية في المدينة إلى ممثله فيها، فقد عين حاكماً جديداً هو (فتح الله خان) وزوده بحامية ألبانية (ارناؤوطية) قُدِّر عدد أفرادها بنحو (500) جندي. وكان طبيعياً أن تشكل هذه القوة الجديدة خطراً كبيراً على الزعامة التقليدية في المدينة. وساعدت الأعمال غير المسؤولة للحامية الألبانية على تأليب الرأي العام ضد الحاكم الجديد، مما أدى إلى اغتيال الأخير في أوائل محرم سنة 1237هـ/تشرين الاول 1821م.

وطالب نقيب الاشراف بإحداث تغيير إداري يكفل للزعامة المحلية نفوذها السابق أو بعضه في الاقل، وذلك بتعيين سادن الحضرة الحسينية السيد محمد علي آل طعمة⁽¹⁾ معاوناً لحاكم البلدة الذي سيتولى منصبه مستقبلاً.

وما أن وافق داود باشا على هذا الطلب، حتى قدم النقيب⁽²⁾ طلباً آخر لإسناد سدانة الحضرة الحسينية (وكانت قد شغرت بعد نقل سادنها إلى منصبه الجديد) إلى زوج ابنته السيد محمد علي بن محمد موسى شرف الدين الشهير بأبي ردين، وأيد كل من السيد محمد حسين آغا بُزرك الشهرستاني، ونقيب أشراف بغداد السيد علي بن محمود القادري الكيلاني⁽³⁾ هذا الطلب، فاستجاب داود باشا اليه، مشروطاً على السادن الجديد والنقيب التعاون مع الحاكم الذي عينه حديثاً، ويدعى علي أفندي، على تسليم قتلة الحاكم السابق فتح الله خان، إلا أن بوادر النزاع بين السادن والنقيب من جهة، والحاكم من جهة أخرى، لم تنته بعد، إذ سرعان ما اغتيل علي أفندي نفسه، مما جعل داود باشا يصمم على فتح المدينة واخضاعها بالقوة⁽⁴⁾.

ويبدو أن الزعامة المحلية، ممثلة بالنقيب والسادن، شعرت بخطورة نوايا داود باشا، ففضلت تجنب الصدام المسلح بالطرق الدبلوماسية واتباع سبل تهدئة الخواطر، وكتب نقيب الاشراف رسالة، أرفقها بهدايا، إلى سليمان آغا أحد مقرّبي داود باشا يهنؤه فيها بمنصب (كتخدا البوابين) الذي ناله. واذ كان قد مضى على هذا التعيين خمسة أشهر، فمن الواضح أن رسالته وهداياه كانت تهدف إلى إزالة ما يكون قد وقع في النفوس من تكدر بسبب اغتيال علي أفندي من ناحية، وجس نبض داود باشا نفسه من ناحية أخرى.

وعلى الرغم من أهمية هذه الرسالة بالنسبة إلى ما جرى بعدها من أحداث، إلا

(1) هو السيد محمد علي بن عباس آل طعمة، تولى السدانة من 1218 إلى 1240هـ، وقد شغل منصبه نائباً للمتولي في سنة 1237-1238هـ. كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991، ص366.

(2) هو السيد حسين بن مرتضى آل دراج، وكان قد نال منصبه في 23 شوال 1234هـ/1810م.

(3) هو السيد علي بن محمود بن علي بن فرج الله، ولي النقابة سنة 1225هـ/1810م.

(4) تفاصيل هذه الاحداث في: محمد ابراهيم الهمداني: كاشف الاعجاز (بالفارسية) وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج6 ص287-288 ومحمد حسن الكليدار: مدينة الحسين ص119-206.

أن أحداً من المؤرخين لم ينقل لنا شيئاً من محتوياتها، ولكننا وقفنا، في أثناء إطلاعنا على بعض المجاميع الخطية⁽¹⁾، على نص الرسالة التي أجاب بها سليمان أغا⁽²⁾ كتخدا بوابي داود باشا على رسالة نقيب الأشراف المذكورة، ومنها يفهم فحوى هذه الرسالة ومرماها.

ويلاحظ أن رسالة سليمان أغا جاءت مبهمة في مطالبها، لا تخرج عن التأكيد على نقيب الأشراف بإخراج مُسببي الفتن من (أرياب الزينغ والعناد) من البلدة، ونحن نعلم أن المقصود بهؤلاء هم قتلة علي أفندي، وربما فتح الله أيضاً، من حكام المدينة السابقين. وعلى أية حال فإن رسالة سليمان أغا، بعدم إشارتهما إلى أسماء اشخاص بعينهم، أو مطالبتهما بتحديد نوع العقاب المطلوب، قد تركت مجال العمل مفتوحاً للنقيب وأولي الأمر ليتدبروا أمرهم في هذه المسألة.

وتحتوي الرسالة أيضاً جملة من عبارات التهديد والوعيد، في حالة عدم تنفيذ الطلب المذكور، مما يؤكد أنها لاتمثل رأي سليمان أغا باعثها، وإنما رأي داود باشا نفسه.

ويفهم من الرسالة أن وفداً كريلاًياً قدم إلى داود باشا في فترة سابقة، وأن عفواً صدر من الأخير عن أحداث جرت قبلها، ولكنها لا تشير إلى تاريخ صدور هذا العفو، وماهية الأحداث التي أدت إليه، بيد أننا نرجح أن صدوره كان بعد حادثة اغتيال (فتح الله خان) مباشرة، فلقد سبق أن ذكرنا أن داود استجاب لمطلبين رفعهما نقيب كريلاء، بعد تلك الحادثة، هما تعيين أحد أعوانه معاوناً للحاكم، وتعيين زوج ابنته سادناً للحضرة الحسينية، فلا يُعقل أن تكون استجابته قبل اصدار عفو شامل عما سبق من أحداث مهمة. وعلى هذا يكون وصول الوعد وصدور العفو في أحد أيام الفترة الممتدة من أول سنة 1237هـ/1821م وهو تاريخ مقتل فتح الله خان، إلى أوائل سنة 1238هـ/1822م وهو تاريخ مقتل علي أفندي، فبعد الحادث الأخير كانت نية داود باشا قد تبدلت على ما يفهم من رسالة سليمان أغا بوضوح.

(1) مجموعة السيد عبد الفتاح الادهمي واعظ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني (مخطوط منه نسخة في مكتبة المرحوم عباس العزاوي، اطلعنا عليها ولده المرحوم فاضل سنة 1971).

(2) تولى منصبه وكالة سنة 1239هـ، كتابنا: الأسر الحاكمة، ص 83.

وتاريخ الوثيقة، كما جاء في المجموعة الخطية التي تحتويها، هو 10 لـ (شوال) سنة 1239هـ/1824م، فهي اذن اول وثيقة تفصح عن نوايا داود باشا وخططه، وهي الخطط التي بدأ تنفيذها عسكرياً منذ سنة 1241هـ/1825م واستمرت حتى نهاية حكمه، وعرفت باسم (وقعة المناخور) ثم استؤنفت في عهد نجيب باشا (1258هـ-1265هـ/1842-1848م).

والوثيقة من إنشاء الشيخ عبد الفتاح الادهمي⁽¹⁾ (توفي سنة 1246هـ/1830م) ولعلها بخط يده، كتبها بأمر سليمان اغا المذكور. ثم انه نقل صورتها في مجموعته الخطية ضمن ما نقله اليها من نماذج منشآته الادبية.

وفيما يأتي نص هذه الوثيقة، عدا ديباجتها فانه أضرب عن نقلها:

(وثانياً: وصلنا كتابكم وأسرنا خطابكم، حيث كان مشتملاً على صدق ووداد مُعين، وتهنئة لو لم تستعجل بها لكان ذلك أحسن⁽²⁾، وأما هديتكم فقد وصلت، وبخير القبول قد اتصلت

ثم انكم قبل هذا قد وفدتم نحو الحضرة العلية، ووردتم من مناهل حياض رياض الرخاء أعذب الموارد السنية، وفزتم بحسن النظر، وحزتم من الإكرام ما لم يكن يخطر في قلب بشر، ونشرت رايات القبول بحسن الشمول لمن أساء واقترف، وبرز التوقيع الغالي من الباب الرفيع العالي: عفا الله عما سلف، على أن تسلكوا أنهج المسالك، وتتركوا الأمور المؤدية إلى الوقوع في المهالك، وأن تصفوا تلك البقعة الشريفة من كدورات الأراذل، وتلقوا عن محاسنها المنفية مساويهم التي ليس تحتها من طائل ونراكم بعد الإقرار أنكرتم، وبعد الإقبال أدبرتم، وصرتم من

(1) هو عبد الفتاح بن محمد أمين بن محمد صالح الأدهمي، ولد ببغداد من أسرة حسينية نزحت من هيت على الفرات، وأخذ العلم عن علماء بغداد، ومنهم أبيه، وسافر إلى دمشق حيث أخذ عن بعض علمائها، وتولى التدريس في مدرسة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، والوعظ في جامع، وكان أديباً، وله ميل إلى التصوف، وله مؤلفات منها (البهجة الجليلة في المشايخ النقشبندية) وغيره. مصطفى الواعظ: الروض الأزهر ص15-70 ومحمود شكري الأوسي: المسك الأذفر ص260 وكتابتنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2009، ص232.

(2) يشير متهمكاً إلى ان التهنئة جاءت بعد خمسة أشهر من تسنمه منصبه.

الخصال الذميمة في مرح وفير، وعدتم إلى أقبح ما كنتم عليه، (أفأمن الذين
مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَشْعُرُونَ)⁽¹⁾.

أما والذي لا مؤثر في الوجود سواه، ولا معبود في الحقيقة إلا، لئن لم تنتهوا
عن خلفكم ومينكم، ولم تُخرجوا هؤلاء الأراذل من بينكم، لنَعْقِدَنَّ عليكم رايات
العزم، مُطْرَزة بطراز العز والبها، ولنأتينكم بجنودٍ لا قبل لكم بها، ولنَسْلِنَنَّ تلك
الحضرة المنورة، ونصوننَّ تلك الأستانة المطهرة، كما تُسَلُّ الشعرة من العجين،
وكما يُصان عن المؤذيات الجنين، ثم نخرب الديار، ونقطع من الأصول فروع
النخيل والأشجار، ونسفك دماء الكبار والصغار، ولانبقي منكم إبدأ ديار. وها نحن
قد أنذرناكم، وبعد الإنذار خيرناكم، وهذا جزاء كل مجرم، ومن يهن الله فما له
من مكرم ولأجل إفادتكم بالحال، وإطلاعكم على حقيقة الأحوال، حررنا قائمة
النصيحة والتذكير، لدى وصولها بعون الملك القدير، أن تُشَمَّرُوا عن ساعد الجد
والإجتهد، وتخرجوا عنكم أرياب الزيغ والعناد، وتجلبوا رضا حضرة أفندينا ولي
النعيم، وتمتثلوا أمرنا فإنه لكم أسلم، والسلام

سليمان كتخداي بوابين

(1) النحل 45.

من كتحذا بغداد إلى أمير المنتفق حول تداعيات الحروب الوهابية في شرقي الجزيرة

تُعد حملات الوهابيين على مدن العراق وباديه في أواخر القرن الثامن عشر (أوائل الثالث عشر للهجرة) من الأحداث المهمة التي تركت آثارها على مجمل الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية في العراق في خلال القرون الأخيرة، فلقد أدت العمليات العسكرية المفاجئة التي تعرضت إليها مدن العراق الجنوبية والفراتية، وبخاصة تلك التي تقع على حافة البادية مثل النجف وكربلاء والزيبر وعانة⁽¹⁾، إلى تداعيات مختلفة في بنيان المجتمعات العراقية هنالك، وبخاصة ما يتعلق منها بعلاقة حكومة المماليك بشيوخ القبائل العربية، وموقف المماليك من المسألة القبليّة بشكل عام.

فبعد أن كانت سياسة المماليك تحوم، منذ عهد حسن باشا مؤسس نظامهم⁽²⁾، حول هدف واحد، هو تفكيك وحدة القبيلة، وخلق المناسبات لإضعاف ارتباطها بغيرها من القبائل وتقليل أهميتها العسكرية، فإن ظهور الخطر الوهابي غير هذه السياسة إلى الضد تماماً، حيث سعت حكومة المماليك إلى محاولة تجميع القوى القبليّة من جديد، وإسنادها بدعم رسمي كبير، بهدف اتخاذها سداً بوجه قوة الوهابيين، وكان نصيب إتحاد قبائل المنتفق⁽³⁾ من آثار هذه السياسة الجديدة كبيراً،

(1) رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء (ترجمة موسى نورس) وابن بشر: عنوان المجد ص122. ولع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ص90 وياسين العمري: غرائب الأثر ص57.
(2) حكم من 1116 إلى 1136هـ/ 1704-1723م.

(3) بنو المنتفق قبيلة عربية قديمة كان لها شأن سياسي في منطقة البصرة في القرن العاشر للميلاد (الرابع للهجرة) واستطاع شيوخها أن يحكموا البصرة فترات متقطعة في العهدين الجلائري والتركماني ثم لف الغموض تاريخهم القبلي بعد ذلك، حتى عاد اسمهم ليطلق في القرن السادس عشر للميلاد (العاشر للهجرة)، على اتحاد قبلي قوي تكوّن في منطقة الفرات الأوسط، فقبيل بدء العصر العثماني تمكن الشريف حسن، وهو رجل من أشراف الحجاز أن يوحد بين ثلاث قبائل عراقية، هي آل الأجدود، وآل مالك، وآل سعيد، ويتولى هو زعامة (إمارة) الاتحاد الجديد، الذي عرف بإمارة المنتفق، وقد شكلت أسرة الشريف المذكور، بزعامتها الاتحاد، قوة مرهوبة الجانب، سيطرت على القسم الجنوبي من حوض الفرات وشط العرب سيطرة تامة في ظل السيادة العثمانية، وعرفت الأسرة بآل شبيب، ثم بآل السعدون.

انظر: سليمان فائق: مرآة الزوراء ص145 وتأريخ المنتفق حاشية لعلّي الشرقي ص72-73 ويعقوب سرقيس: مباحث عراقية 8/1 و72 و202.

يتناسب مع ضخامة حجمها، وموقع (ديرتها) المهم، المسيطر على بوادي العراق الجنوبية، وما ينضوي تحت لوائها من قبائل وعشائر عديدة. ويذكر سليمان فائق أنه حينما استولى الوهابيون على الحَرَمين الشريفين «انجبرت ولاية بغداد آتئذ على التغامض عن أعمال رؤساء عشائر المنتفق، لكي يوسعوا ويزيدوا قواهم، فيتمكنوا من إخماد فتنة الوهابية»⁽¹⁾.

وكان من نتائج هذه السياسة، أن زادت سطوة المنتفق على منطقة البصرة وقراها، وملكوا جميع ما يحيط بها من أماكن فيما عدا مدينة البصرة ذاتها، وقرية أو اثنتين⁽²⁾، واضطرت حكومة المماليك إلى إغضاء الطرف عن أعمال المنتفق السابقة، فأقرت شيخهم، ثُوَيَني بن عبد الله علي إمارته، فكان ذلك اعترافاً منها أيضاً بأعماله التالية⁽³⁾. وفي عام 1213هـ/1798م جهَّز ثُوَيَني، إثر حملة وهايية على الأحساء⁽⁴⁾، جيشاً كثيفاً من قبائل المنتفق وأهل الزبير والبصرة ونواحيها، وجميع بوادي الضفير وبني خالد، وسار معه أسطول من البصرة، لاستخلاص الأحساء، إلا أن اغتيال ثُوَيَني نفسه كسر الحملة، فتفرق جيشه، واستولى الوهابيون على مدافعه ومعداته⁽⁵⁾، فكانت تلك الحادثة سبباً في إضعاف هيبة المنتفق في العراق نفسه، واضطرت حكومة المماليك ببغداد، إزاء تلك التطورات، إلى توجيه مشيخة المنتفق إلى رجل مُحَنِّك عُرِفَ بحذره وطول أناته، هو حُمُود⁽⁶⁾ بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع الشيببي، ابن أخي ثُوَيَني لأمه⁽⁷⁾، فكانت مدة تولِّي هذا الشيخ منصبه، على ما تذكر المصادر، من أحفل جهود العلاقات

(1) سليمان فائق: تاريخ المنتفق ص14.

(2) تاريخ المنتفق ص15.

(3) دوحة الوزراء ص204-215 وعثمان بن سند: مطالع السعود ص 82 و89-93، 175-179،

182، و202، 203، 210، 212، 216، 218، 221، 23 وابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد

112/1 وياسين العمري: الدر المكنون، ورقة 652.

(4) ابن بشر: عنوان المجد ص107 وفيلبي، جون: تاريخ نجد (ترجمة عمر الديراوي) ص65، 83.

(5) دوحة الوزراء ص204 وابن بشر: عنوان المجد 112/1، وفليبي ص94.

(6) ويعرف بحمود الثامر، وقد استمرت إمارته إلى سنة 1242هـ/1826م، وخاض خلالها عدداً

من المعارك، ومنها معركته المشهورة التي انتصر فيها على عبد الله باشا والي بغداد وقتله،

ممهداً لسعيد باشا بن سليمان باشا الكبير الوصول إلى منصب الولاية. وقد عمي في أواخر

أيامه وتوفى في بغداد ودفن في غربها، أنظر مباحث عراقية 6/1-7.

(7) مطالع السعود ص 221 ومختصره ص61.

الملوكية- المنتفعية بالتعاون والتنسيق بين قوى الطرفين، كما أنها- في الوقت نفسه- من أشد العهود ارتباكاً وقلقاً، نظراً لما كان سببه الوهابيون من خطر على وجودهما معاً، فإذا أضفنا إلى ذلك كله اختلاف مصالح الطرفين، وتباعد مواقفها السابقة، لاحظ لنا صعوبة دراسة هذه الفترة التاريخية، وحاجة الباحث فيها إلى مزيد من الضوء للكشف عن ظروفها ومخفياتها .

وكنا قد عثرنا، أثناء بحثنا في ذلك العهد، على وثيقة مهمة⁽¹⁾، هي رسالة رسمية موجهة من علي باشا كتحدا (مساعد ونائب) والي بغداد سليمان باشا الكبير⁽²⁾ وقائد جيش الماليك، إلى الشيخ حمود الثامر أمير قبائل المنتفق، تكشف عن جوانب خفية من طبيعة العلاقات بين الطرفين في فترة الغزوات الوهابية.

وتأريخ الوثيقة، كما ورد في آخرها، هو 23 ربيع الأول سنة 1216هـ/1801م، أي قبل نحو تسعة شهور من حادثة هجوم الوهابيين بقيادة سعود بن عبد العزيز على مدينة كربلاء في يوم عيد غدِير خم 18 ذي الحجة من العام نفسه⁽³⁾. وليس في المصادر أية إشارة إلى مثل هذه الرسالة، وإنما يورد رسول حاوي الكركوكلي، في أخبار السنة المذكورة⁽⁴⁾، خبراً عن رسالة أرسلها حمود الثامر نفسه إلى سليمان باشا الكبير والي بغداد «يخبره أن سعود بن عبد العزيز وجموعاً غفيرة من الوهابيين انحذروا نحو العراق»⁽⁵⁾، غير أن الكركوكلي لا يزيدنا تفصيلاً عن محتويات هذه الرسالة، أو تأريخها، لذا فنحن لا نعلم- على وجه الدقة- ما إذا كانت سابقة على رسالة الكتحدا التي بأيدينا أم لاحقة لها، وأن كان الإحتمال الأول هو الأرجح، نظراً لخلو رسالة الكتحدا من أية إشارة إلى رسالة سابقة لحمود، فضلاً عن أن فيها ما يشير إلى أنها كُتبت، وعلي الكتحدا وجنده معسكرون في مكان ما خارج بغداد، منذ شهرين من

(1) ضمن مجموعة خطية في المكتبة القادرية ببغداد .

(2) من الشخصيات السياسية العسكرية البارزة في تأريخ العراق في عهد الماليك، نال منصب كتحدا) المهم، مع رتبة (مير ميران) سنة 1211هـ/1796م، ثم تولى الحكم بعد وفاة سليمان باشا الكبير سنة 1217هـ/1802م واستمر والياً حتى مقتله سنة 1222هـ/1807م.

(3) ميرزا محمد تقي الكاشاني: ناسخ التواريخ، مجلد القاجارية ص63 والخونساري: روضات الجنات ص353 و516 ورحلة أبي طالب خان (ترجمة مصطفى جواد) ص385.

(4) دوحة الوزراء ص216.

(5) دوحة الوزراء ص216.

تأريخ كتابتها، فإذا ما علمنا، إستناداً إلى الكركوكلي أيضاً، أن الكتخدا أضطر، في
مفتتح سنة 1216هـ (أواسط سنة 1801م)، إلى قضاء ثلاثة أشهر تقريباً في بلدة
(شفاثا) جنوب كربلاء، تحسباً لغارة الوهابيين المتوقعة⁽¹⁾، فيكون قد كتبها في أثناء
مكوته في هذا المكان، أي قبل أن يرسل إليه حمود برسالة التحذير المذكورة ببضعة
أشهر.

وتكشف رسالة علي باشا الكتخدا عن جملة معلومات مهمة بصدد موقف
الماليك من حركة الوهابيين من جهة، ومن حمود الثامر أمير المنتفق من جهة أخرى،
حيث يفهم مما أورده المذكور أن من اسمه عبد المحسن⁽²⁾ أرسل يطلب لجنده رصاصاً
وباروداً من متسلم⁽³⁾ البصرة بهدف الدفاع عن بلدة (الزبير)، والظاهر أنه كان نازلاً
بالقرب منها، إلا أن متسلم البصرة حوّل طلبه هذا إلى والي بغداد، الذي استغرب من
الطلب، على اعتبار أن منطقة البصرة داخلة في نطاق دفاع حمود نفسه، كما أنها
قريبة من مواقع الماليك، ولعله يشير هنا إلى معسكر الكتخدا في شفاثا.

ويبدو أن سكان الزبير⁽⁴⁾ كانوا يطالبون، نظراً لاضطرارهم عدم ترك بلدتهم، إلى
زيادة في الأرزاق المخصصة لهم، وأن حموداً أبلغ متسلم البصرة بذلك، بيد أن رد علي
باشا جاء موضحاً ضعف موقف الماليك العسكري والمالي، حيث تضمنت رسالته
جملة من الاعتذارات والتبريرات، هي:

(1) المصدر نفسه ص214.

(2) ليس في الرسالة ما يوضح علاقة عبد المحسن هذا بحمود، وحقيقة دوره، وعليه فليس
واضحاً تماماً لماذا أختار علي باشا حموداً ليخاطبه بشأنه، ويبيد أن يكون عبد المحسن بن
سرداح شيخ بني خالد وحليف المنتفق، لأن وفاته كانت قبل هذا التأريخ، في حدود 1201
وقيل 1204هـ.

أنظر: مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ص67-71.

(3) متسلم البصرة في هذه الأثناء هو سليم بك، وقد تولى منصبه من 1216 إلى 1217هـ. مطالع
السعود ص242، 243، 272-276، 280، 245، 379 ومختصره للحلواني 70، وكتابنا: الأسر
الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق، ص405.

(4) وكان يتولى حكم بلدة (الزبير) في هذه الأثناء إبراهيم بن ثاقب آل وطبان وقد عينه حمود
الثامر سنة 1213هـ واستمر في منصبه إلى سنة 1237هـ. عبد الرزاق الصانع وعبد العزيز
العلي: إمارة الزبير بين هجرتين، الكويت 1985، ج1 ص68 وحسين خلف الشيخ خزعل:
تأريخ الكويت السياسي 93/1.

1- أن حكومة المماليك لا تجد من المال ما يكفي لتغطية نفقات حمود وطلباته بسبب إرسالها الحصة المالية المفروضة عليها إلى الدولة العثمانية.

2- أن حكومة المماليك محتاجة إلى مبالغ ضخمة لإنفاقها على جيشها الذي يقوده علي باشا الكتخدا والمتجمع في (شفاثا) منذر شهرين، خاصة وأن إيرادات البصرة لا تكفي لتغطيتها.

3- أن التعبئة المعلنة في البصرة تكلف حكومة المماليك مالا أيضاً.

4- أن مبالغ وفيرة أرسلت إلى حمود الثامر نفسه، من قبل، بصفة رواتب لجنده.

وأسلوب الرسالة يكشف عن ضعف موقف المماليك بوجه عام، فهو مزيج من التودد والاعتذار، وهذا مظهر واضح من مظاهر اعتماد المماليك على القبائل العربية، وبخاصة اتحاد قبائل المنتفق، في درء الأخطار التي كانت تهدد العراق إبان فترة الغزوات الوهابية في أوائل القرن التاسع عشر، على ما أشرنا إليه من قبل.

ويلاحظ أن الرسالة مكتوبة بلغة عربية ركيكة، وفيها من الألفاظ والتعابير العامية غير قليل، وهي بذلك أنموذج على لغة الموظفين العثمانيين في العراق في عهد المماليك.

نص الوثيقة

(أزكى السلام التام بمزيد المودة والإكرام، ومديد التوقير والاحترام، إلى جناب قدوة القبائل والعشائر، عمدة البطون والعمائر، شيخ مشايخ المنتفق، الأخ سلّمه الله تعالى وأعانه، وأكرمه ولا أهانه.

أما بعد، فالباعث لتحرير كتاب المودة، هو أنه في هذه الدفعة وردّتنا معروضات من أخينا الأكرم متسلم البصرة، ومن الجملة مُرسل لنا قائمة أخيك عبد المحسن التي مُرسلها إليه على خصوص الرصاص والبارود لأجل سقمانية⁽¹⁾ النجادة⁽²⁾، ومحمر عن حال أهل قصبه سيدنا الزبير رضي الله تعالى عنه، بأن قبل هذا كان

(1) السقمانية تقدم توضيح هذا المصطلح في هذا الكتاب، والمقصود به هنا الهدافون أو القناصة بالبنادق مطلقاً.

(2) يرید القوات النجدية الملتحقة بقيادة حمود الثامر.

سبب جلب معاشهم من الخارج، وأن الان انقطعت أسباب معيشتهم، ومقصوده توجيه معيشتهم⁽¹⁾، ومُكثِر في التمر بمثل هذا التقريب، وحيث أن المسلم المومى إليه ما هو ممارس حال ذلك الطرف، بناء على ذلك مُرسل القائمة المذكورة لطرفنا، ولما عُرِضت على الحضرة العلية⁽²⁾ استغرب هذا التحرير من أخيك، حيث أولاً: مثل جنابك مُعتمد حضرة أفندينا ولي النعم- أيده الله تعالى- وسلاحه بذلك الطرف، ولا قاعد يُقصر بأمر المحافظة المطلوبة. وثانياً: أهل القصة المرقومين إلى الآن ما بيّن عليهم أحد ولا قصدهم عدو، فهذا حالهم والعياذ بالله تعالى إذا قصدهم العدو كانت يصير حالهم (كذا)، وقد تيقنا أنهم بوقت اللازم ما ينفعون، لأنهم لو قد ظهر العدو عليهم وقصد السوء معهم فإن البصرة قريبة منهم وجنابك غير بعيد عنهم، واحنا أيضاً⁽³⁾- بعونه تعالى- ما نغفل من طرفهم، ولكن هل مال⁽⁴⁾ الذي ذكره أخيك فإنه المعلوم جنابك كيفية ترادف المصارف الذي اتفقت على الحضرة السنية، أولاً: شيء كُلّي راح إلى جانب الدولة العلية. والثاني: صار لنا مدة شهرين بهل⁽⁵⁾ مكان، وبمعيّتنا هل أكثر عساكر وفيرة، ويومية يقتضي لأجل مصارفهم مبالغ خطيرة، ومدة أقامتنا متمادية، ومصارفنا لم تزل متزايدة، ومع هذا بالبصرة أيضاً تعينوا أهل كثير سقمان ويريد لهم شيء كلي مصارف، ولجانبك كذلك توجه مبلغ وافز لأجل مشاهرة⁽⁶⁾ السقمان. غير هذا فإن مقتضيات سائر اللوازم ما يحيط بها الحصر، وليس الخبر كالعيان. وإن كان أهل قسبة سيدما الزبير-رضي الله تعالى عنه- يريدون إدارتهم فوق هذه الأشياء ليست بمقدور أحد فهذا تكليف ما لا يُطاق. ومجزومنا أن جنابك ما يوافق على زيادة كلوفة الحضرة العلية ولكن إنكان⁽⁷⁾ يقتضي لهم إعانة بشيء يسير وما فيه صعوبة علينا ولا زيادة كلوفة، فقد تحرر من طرفنا إلى المومى إليه المسلم بك عليه، وإنكان⁽⁸⁾

(1) يريد: روايتهم وعلوفاتهم.

(2) يريد والى بغداد سليمان باشا الملقب بالكبير.

(3) يريد: ونحن أيضاً.

(4) يريد: هذا المال.

(5) يريد: بهذا المكان.

(6) المشاهرة: الرواتب الشهرية.

(7) يريد: إن كان.

(8) إن كان

قصدهم إدارة حالهم ما دامت الحرب⁽¹⁾ قائمة، فهذا حال غير ممكن التيسير ولم نرى له وجه تدبير⁽²⁾. فعاد جنابك تتأمل، فإن عرفتَ اكتفاء المرقومين بشيء من غير كلوفة كُليّة، فكما ذكرنا أنه تحرر إلى المومى إليه على تدبيره، لأن يا أخي إيراد البصرة معلوم جنابك ولا هو خَفي عليك، وتعرف مصارف الدونمة⁽³⁾ وغيرها ما يقوم بها الإيراد، وإذا بقي منه بعض زيادة فهو أيضا يصير لازم لأجل مصارفتنا بهذا الطرف، والألمجوزم جنابك إن المال ما يعز على النفس، ولو تيسر الإمكان منه ما كما نشح فيه بمثل رَدع هل باغي⁽⁴⁾ الباغي المردود المخدول، فإذا صار معلوم جنابك يقتضي أن ترسل (صالح السحاب) لَطرفنا حتى نتذاكر معه على تمشية مثل هذه الأحوال وغيرها بما يناسب مصلحة الأمور. ولأجل ذلك حررنا كتاب المودة وأرسلناه بمنّه تعالى، عند الوصول والاطلاع على المضمون بعد هذا، فلا تقطع الإعلام والأخبار الحادثة منَطرفنا⁽⁵⁾ على الدوام، وحُص جنابك منا بالسلام.

المحب

علي باشا كتخداي بغداد

23 (ربيع الأول) 1216

(1) الحرباء: يريد الحرب.

(2) هذه الفقرة غير واضحة لنا، حيث لم نفهم حقيقة طلب أهل الزبير (إدارة حالهم) ما دامت الحرب قائمة.

(3) الدونمة: السفن البحرية أو الأسطول.

(4) يريد: هذا الباغي.

(5) يريد: من طرفنا.

آراء بشارة تقلا السياسية في تقاريره السرية

كان تأسيس جريدة الأهرام حدثاً مهماً في تاريخ الصحافة المصرية بل العربية عامة، فعلى الرغم من كثرة الجرائد اليومية والعربية المعاصرة لها، فإنها استطاعت، بنشاط مؤسسيها، أن تبرز أكثر تلك الصحف في رصد ما يحدث ومتابعته من ناحية، وفي حيدتها الفكرية ونضجها السياسي من ناحية أخرى، وفي عصر كانت الحياة الصحفية تشكو الكثير من المراهقة بل الفوضى، أثبتت الأهرام أنها الأكثر رسوخاً بين غيرها من الصحف، ربما أنها لم تكن الأعلى صوتاً، لكنها الأقوى على إقناع القارئ وكسب ثقته. ولا شك في أن لشخصية المؤسسين وثقافتهم دوراً بارزاً في أن تبدأ الصحيفة مسيرتها على هذا النحو، ومن هنا لابد صار لزاماً على الباحث أن يتوقف عند سيرة مؤسسي الجريدة الأخوين بشارة وسليم تقلا، الشابين اللبنانيين اللذين ولدا في (كفر شيما) في لبنان، ثم انتقلا إلى مصر وعاشا في الإسكندرية، لكن أفقهما كان، منذ اللحظة الأولى لصدور الصحيفة في 1876، أكثر سعة وامتداداً ليشمل أقطارا عربية أخرى، وأكثر رغبة في التطور، إذ ما لبثت الجريدة الاسبوعية أن تحولت بعد شهرين فقط إلى جريدة تصدر كل يوم⁽¹⁾.



بشارة تقلا

(1) ينظر يونان لبيب رزق: الأهرام ديوان الحياة المعاصرة، مركز تاريخ الأهرام، القاهرة، 1993. و أنور الجندي: الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية، مطبعة الرسالة، القاهرة 1962 وأديب مروة: الصحافة العربية منذ نشأتها وتطورها، دار مكتبة الحياة، بيروت 1961.

وكان من حسن طالعنا، في هذا المجال، أن وقفنا على ثلاثة تقارير كتبها بشارة تقلا إلى صديقين له، نظن أنها لم تنشر من قبل، وهي

التقرير الأول

مقدمة

محفوظ في الارشيف العثماني باستانبول، أوراق يلدز، رقم القسم 18، رقم الاوراق 553/509، رقم الظرف 93، رقم الكارتون 38.

كتب بشارة هذا التقرير في القاهرة في 12 نوفمبر سنة 1886م. وأرسله إلى رجل يدعى يوسف افندي، لم تتوضح لنا هويته، وقد وصفه بأنه صديقه.

ويتضمن التقرير معلومات وتحليلات عن مجمل الأوضاع في مصر والسودان ويمكن تلخيصه على النحو الآتي:

1- افتتاح التقرير بإبداء الولاء المطلق للدولة العثمانية وللسلطان، وهو عبدالحميد الثاني .

2- إن تدهور الأحوال الإقتصادية في مصر جاء نتيجة الاحتلال البريطاني

3- تقدم الثورة المهدية في السودان واستقطابها ولاء عدد من سكان الصعيد .

4- تغافل بريطانيا عن هذه الأوضاع لتكون حجة لها في السيطرة على مصر، لا سيما بعد اضطرار المصريين إلى طلب مساعدة بريطانيا ضد التقدم السوداني «وهو ما يغير شكل المسألة المصرية» .

5- ضرورة الوقوف بحزم ضد هذا التدهور وتوضيح مخاطر هذه السياسة للدوائر البريطانية .

6- نتيجة لضعف سياسة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) كامل باشا وميوله البريطانية فهو يدعو ان يتولى السلطان بنفسه، وهو هنا عبد الحميد الثاني، هذه المهمة .

6- يحذر من قدوم رجل فارسي اسمه سليم افندي يدعي انه انكليزي التبعة، ليصدر جريدة في مصر، ويرى ان الغاية من قدومه الى مصر هي التجسس على الحركة الوطنية وتقديم المعلومات الى سلطات الاحتلال البريطاني .

7 - تكليفه بالحصول على كتاب في التاريخ من لبنان .

وفيما يأتي نص هذا التقرير

القاهرة في 12 نوفمبر أفرنجي سنة 86 [1886م]

صديقي وعزيزي يوسف أفندي.

ورد كتابكم الكريم، وكان لوروده شأن في فؤاد من لايفتر عن ذكركم، وما أفدتموه من الأمور تُطالع بكمال الدقة والاهتمام، وإننا متفقون معكم رأياً ومبدأً بوجوب دوام تقديم الأدعية الخيرية بطول عمر وبقاء إقبال الحضرة العلية المقدسة السلطانية، ووجوب بذل ما عزَّ وهان لأجل خدمة صوالح البلاد بصدقة⁽¹⁾، وإن من يتحلى بحلل الصداقة والاستقامة خدمة سيدنا ومولانا الخليفة الأعظم الشريف، وخدمة سلطنته السنية، فلا يكون خاسراً. أي نعم!، إن ما أتى في كتابكم المذكور هو عين الحق وكل الصدق وليس عليه مرد، وهو شأننا وعليه نسير والله الموفق. فهذا هو طريقنا سرنا عليه منذ بداية المسألة المصرية وسنداوم السير ولا يصدنا بحول الله أمر، كيف لا ونار بلادنا المصرية منذ حلول الجنود الانكليزية في تأخر واضمحلال، وكلما طال زمن الحلول زادت المسألة صعوبة والبلاد أضراراً، فإن مصر التي كانت قبل دخول الانكليز اليها زاهية بساية⁽²⁾ ظل الله في الأرض، لم تعد كما كانت، فرواج تجارتها أمس أصبح كساداً، ووفور الدراهم أصبح قليلاً، والمضايقة كل يوم في ازدياد، ولا نعلم كيف تكون العاقبة. وترونا في كل عدد من الأهرام نبسط حقيقة الحالة دون مبالاة بغيظ الإنكليز وكدرهم منا، فما نُبدي إلا ما فرض علينا من واجبات الذب عن الوطن.

أما مركز الإحتلال فينبىء بالوبال⁽³⁾، فالسودانيون يداومون التقدم دون من يصدُّهم وقوتهم ذات شأن، وكثيرون من أهالي الصعيد ينضمون اليهم، وذلك كرهماً

(1) يريد: بصدق.

(2) ساية فارسية، تعني ظل.

(3) على الرغم مما أبداه بشارة تقلا من كره شديد للأنكليز وتأييده الثورة العرابية في بدئها إلا أنه انقلب على هذه الثورة بعد فشلها في تحقيق أهدافها. ينظر محمود محمد شاکر) وأقول نعم، موقع طريق الاسلام)، إذ نقل عن أحمد عرابي حديثه عما لقي في سجنه بعد هزيمته: «وبعد ساعة جاء ليزورني بشارة تقلا، مُحَرَّر جريدة الأهرام، وظننت أنه قدّم ليعزيني، ويبيدي عواطفه نحوي، وقد كان ممن يدينون بمبديتنا قبل الحرب، وقد أقسم بدينه وشرفه أنه واحد منا، وأنه يعمل لحرية وطننا، وقد عددناه في الحق من الوطنيين، ولكنه لما دخل علي توفَّح أشد التوفَّح، ثم قال: أي عرابي، ماذا صنعت؟ وماذا حلُّ بك؟ ورأيت أن الرجل خائن ولا شرف له». ونرى ان بشارة كان هنا متطابقاً مع موقف السلطان العثماني غير المؤيد للثورة، وموقف الذين كانوا يرون ان عرابي، او فشل في الدفاع عن مصر، كان سبباً في احتلال البريطانيين إياها. يقول الإمام محمد عبده «لم تكن الثورة من رأبي.. نصحت عرابي بالاعتدال، وقلت له: إنني أرى أن بلاداً

بالإنكليز الذين يتظاهرون بعدم الإعياء، وإن ذلك عن سياسة، فيقال لهم أن دوام القلاقل والحالة الحاضرة تُخوّلهم سبباً لدوام الحلول⁽¹⁾، فيدعون أن مصر لا تزال محتاجة لوجودهم لأجل المحافظة على الأمنية والراحة العمومية، وقد برح من أفكارهم أن نجاح السودانيين ودوام تقدمهم، لا سيما إذا احتلوا مصر العليا، يجعل الاهالي المسلمين دون استثناء أن ينضموا اليهم، فيتغير وجه المسألة وشكلها، وتصبح البلاد في مركز حرج يصعب بعدئذ إصلاح شؤونها، ومن يعلم إذا تم ذلك كيف تجري التقادير، وهل تقدر مصر أن تلم شملها بزمن قريب. وإني أرى انه قبل الوصول الى هذه الدرجة من الخراب فبسعى قليل وسياسة حازمة يمكن الوصول الى حل موافق، فإن مركز إنكلترة، والمعلوم من مأموريتها حق المعرفة، كل ذلك أسباب قاطعة تجبر الانكليز لأن يُسلّموا بوجود تركهم البلاد المصرية، إذا كانت الأيادي التي تمتد لمخابرتهم فعالة ومستتدة على عضد وسياسة حازمة مخلصه، وذلك مما لا نؤمله من وزارة كامل باشا⁽²⁾ الانكليزي المبدأ والمشرب، ويا حبذا لو كان صاحب البلاد بها⁽³⁾ الذي يهيمه أكثر من سواه رغد رعاياه واستقلال بلاده، يطلع بذاته على حقيقة الحالة، وسر فرح عبيده المصريين بما اشتهر عن عظمتها من قوة الفكر وشدة الذكاء مع حسن التدبير، وهيئات من أين لنا ذلك، ودون الوصول مراحل، فعلياً أن نداوم سيرنا ولا نعود عن صرحه، والله الموفق الى خير السبيل.

أخبركم أن صديقنا سليم افندي فارسي، قد حضر مع والده الى قطرنا المصري، وبوصوله قدّم بواسطة قونسلاتو انكلترة دعوى بخصوص جريدة مُدعياً كونه إنكليزياً، وقد عجبنا من هذه الدعوى وكيف مع مظاهرتة⁽⁴⁾ بالتابعية العثمانية يقدم على مثل ذلك، وأمسينا في شك من حقيقة إخلاصه للدولة والوطن، ونخشى من أنه يُخبر سراً ما يقف عليه من المعلومات الى مأموري الانكليز، فقبح الله من كان ظاهر غيره. هذا ما أكتبه الآن فهل لك أن تفيدني على ما يهمني من الحوادث لديكم؟ وأجيب عني بلثم أذيال من يحق لكل عثمانى صادق أن ينتمي اليه ويفتخر بوجوده،

أجنبية ستحتل أرضنا، وأن لعنة الله ستقع على رأس من يكون السبب في ذلك. محمد عمارة: الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده، دار الشروق، القاهرة 1993، ص614.

(1) الحلول هنا: التدخل والاحتلال.

(2) هو الصدر الاعظم في الدولة العثمانية 1885-1891م.

(3) يعني السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م.

(4) يريد: تظاهره.

أسهم الدولة والوطن الوزير الخطير دولتو جودت باشا الأفخم، وأن تعرض لديه ان سير الأمر في لبنان بوجود كويليان افندي يدعو [إلى] دقة النظر، وأن ترسل اليينا بالمجلد الأخير من تاريخه الشهير⁽¹⁾، وأن تعرفني متى يكون خروجكم من الآستانة العلية، وهل لا يزال يقترح المرور بمصر فنشاهدكم وتروي غليل الأشواق والسلام.

أخوك بشارة تقلا.

التقرير الثاني

مقدمة

محفوظ في الأرشيف العثماني بإستانبول، أوراق يلدن، نوع البحث: 3955
رقم القسم: 18، رقم الاوراق: 553/515، رقم الظرف: 93، رقم الكارتون 38.
كتب بشارة هذا التقرير بالعربية إلى صديقه أحمد جودت باشا⁽²⁾ ليرفعه إلى الجهات العليا في الدولة العثمانية، مرفقا إياه برسالة قصيرة ذات طابع شخصي .
وهذا التقرير مؤرخ في 3 ابريل (نيسان) 1894م. ويظهر من سياقه أنه كتبه في أثناء زيارة له الى برلين. وواضح انه يتضمن معلومات وآراء يمكن ان توصف بأنها خطيرة، وربما كانت خطورتها وراء إرساله من برلين وليس من مصر.

وخلاصة ما أورده في هذا التقرير الاتي

1- شراء الإنكليز ذمم أفراد من المصريين الذين عملوا في مجال الصحافة فروجوا إلى سياسة الاحتلال، لا سيما في السودان حيث وجدوا لهم مؤيدين بين زعمائهم.

(1) يريد من تاريخ جودت المسمى (تاريخ وقائع الدولة العثمانية).

(2) ولد سنة 1822م في إحدى مدن بلغاريا، وانتقل الى استانبول حيث درس العلوم العصرية، واجاد اللغتين العربية والفارسية الى حد أنه كان ينظم بهما، فضلا عن نظمه بالتركية، أظهر نبوغا في مجال الفكر التاريخي والقانوني فعين مساعداً للصدر الأعظم، مصطفى رشيد باشا، في أثناء إعداده للقوانين، كما بذل جهوداً جمة في مجالات الثقافة والتعليم، ثم أنه وضع تاريخا موثقا كبيرا باسم (تاريخ وقائع الدولة العثمانية) وشارك في لجان وضع القوانين العثمانية الجديدة، ومنح رتبة وزير، ولقب باشا، واختير لمنصب ناظر الحقائقية (وزير العدل) خمس مرات (1870,1875,1876,1879,1886) ولمنصب ناظر المعارف (وزير التربية) ثلاث مرات (1873,1875,1876) ولمنصب ناظر الداخلية مرة واحدة (1876)، وللأوقاف (1877) وللتجارة (1878) مثلها. كما عمل صدراً أعظم مدة عشرة أيام عام 1879، كما تولى عدداً من الولايات هي: حلب، وبروصة، ومرعش، ويانية، والشام مرتين. وتوفي سنة 1895.

2- أن «الجميع» كان يتهم رياض باشا رئيس وزراء مصر بالإتفاق مع الإنكليز كرهاً منه بالأتراك والأسرة الخديوية.

3- إذا استمر الأمر هكذا مما يؤدي إلى الإضرار «بالوطن والإسلام»، فإن من المحتمل أن يؤدي ذلك إلى تدخل الدولة العثمانية.

4- يتناول التقرير قضايا لا علاقة لها بمصر، ولكن تتعلق بلبنان وسوريا بوصفهما أقطاراً عثمانية، منها قضية استغلال ملتزمي ميناء بيروت العاملين فيه وجُلهم من المسلمين. وما كانت تنشره الصحف الإنكليزية عن قضايا الفساد في الإدارة العثمانية، وعلى الرغم من أنه مسيحي فإنه أظهر غيرة على حقوق المسلمين كونها أصبحت «مهانة ضائعة».

5- التحذير من سليم فارسي الذي أصدر جريدة في مصر مدعياً التبعية لبريطانيا، ويخشى أن يتكرر ذلك في الأقطار العربية الأخرى.
ونص الرسالة هو:

«مولاي صاحب الدولة والإقبال أحمد جودت باشا حضرتلري.

شرفني أمر سيدي العظيم فشكرته ودعوت، ولا أعجب من إلتفات دولتكم وقد تعودنا أن لا يكون لنا رعاية إلا بوساطتكم، لأنكم من أخلص الجميع وطنية، وأصدق الرجال في خدمة المولى سلطاننا الأعظم، فتقدرون الإخلاص والصدق ضالة عبدكم وعائلته قدرهما، ولهذا لا أعجب إذا نال أخي حبيب ترفيع رتبته الى الأولى من الصنف الثاني، واني سلفاً أقدم إمتناني أفندم. اعتقدوا مولاي اخلاصي، وحفظكم المولى وأبقاكم. قرينتي أحسن تقدم احتراماتها الى الفاضلة العالمة كريمتكم المصونة، شرفوني بأوامركم سيدي.

بشارة تقلا

(التوقيع). 3 ابريل 1894.».

اما التقرير فهذا نصه:

«تقرير

رأى الإنكليز أن الاستبداد وحده لا يكفي لبث مبادئهم، فاستخدموا أصفرهم وأصفر مصر في تعميم مبادئهم، ولهذا أمالوا إليهم أفراداً من المصريين يكتبون في

جرائد الإحتلال الكتابية المُعلية من شأن الانكليز، وأن لا مناص من حماية انكلترة، وهم يبيئون هذه الآراء في أكثر الأقسام العربية، وقد أفلحوا في السودان وأي فلاح، حتى أنهم يؤكدون أن زعماء السودان طوع أيدي الانكليز، وأن وقوف عباس باشا⁽¹⁾ على ذلك أغاظهم، وكان ما كان من مسألة الحدود. عباس باشا غير راض عن وزارته، وهذه قد ماتت أدبياً لا سيما عن المصريين. والجميع يقولون أن رياض⁽²⁾ متفق مع كرومر⁽³⁾ على ضياع مصر، لأنه يكره الأتراك والعائلة الخديوية، وأنا أخاف أن تكون تلك هي النتيجة ضد الوطن والاسلام، مما يضطر السلطنة الى عمل عظيم يحول دون أغراض الأعداء، وإلا كانت العاقبة وخيمة والله الواقعي.

وَرَدَنِي من بيروت، ولا سيما من المسلمين، رسائل مهولة ضد مُلتزمي مرفأ بيروت والوالي وكثيرين من الرجال في الآستانة، مضمونها إتفاق هؤلاء على إلزام تجار بيروت والمتعيشين بمشروع جديد يكتسب منه الملتزمون مائة ألف جنيه ويقتلون بها حياة البيروتيين ولا سيما المسلمين، وقد وقفتُ على رسائل فرنسية هنا لجرائد انكلترة بمصر وهي شديدة جداً تطعن برجال الحكومة البائعين حقوق الخزينة والأمة بدرُبهات أشبه بالجاري قبل وقوع دولة اليونان وغيرها، وان حقوق المسلمين مهانة ضائعة في أيدي أمثال هؤلاء الحكام، أما أنا فتمكنت من تأخير نشر هذه الرسائل مؤقتاً، ولكن إذا لم تصدر الأوامر المتعلقة بمنع ضياع أمثال هذه الحقوق الإسلامية والوطنية.

أرَبْنَا جرائد مصر هنا أضعاف ما يخافه رجال الآستانة من جريدة سليم فارسي،

(1) هو الخديوي عباس حلمي.

(2) هو مصطفى رياض باشا، ولد سنة 1834 بدأ حياته الإدارية في خدمة الحكومة المصرية سنة 1864 بوظيفة (مبيض) أي كاتب، في وزارة المالية، ثم تدرج في المناصب حتى عُين قائممقاما في دائرة (المعية السنوية) بمعية عباس الاول سنة 1869، ثم مديراً للجيزة سنة 1270، فمأمورا لإدارة الفيوم فقنا، ثم وكيلًا للمرور والسكة الحديد، فمأمورا لإدارة المنوفية، ثم عضوا في مجلس الأحكام، ثم أسند إليه منصب وزير الخارجية والزراعة سنة 1292، ثم الحقانية (العدل) وتولى رئاسة الوزراء ثلاث مرات، الأولى من 21 سبتمبر 1878 إلى 10 سبتمبر 1881، والثانية من 9 يونيو 1888 إلى 12 مايو 1891، والثالثة من 19 يناير 1893 إلى 15 إبريل 1894، وأثرت عنه اصلاحات جمة واستصدار قوانين مهمة، وتوفي سنة 1911م. ينظر أحمد زكي: كلمة على رياض باشا وصفحة من تاريخ مصر الحديث تتضمن خلاصة حياته، مؤسسة هنداوي، القاهرة 2014، ص22-28.

(3) المعتمد البريطاني في مصر من 1882 إلى 1906.

وخفنا أن تمتد هذه السياسة إلى الأقطار العربية امتداداً يعز على الجماعة تداركه وملافاة أضراره. وما دعاني إلى عرض هذه الحقيقة إلا إخلاصي لسلطاني وصدقي في خدمة وطني العزيز. والله الموفق».



احمد جودت باشا

التقرير الثالث

مقدمة

محفوظ في الأرشيف العثماني باستانبول، أوراق يلدز، رقم القسم 18، رقم الأوراق 553/569، رقم الظرف 93، رقم الكارتون 38.

كتب بشارة تقلا هذا التقرير بالعربية إلى صديقه احمد جودت باشا بتاريخ 12 آذار (مارس) سنة 1894.

ويتضمن التقرير الأمور الآتية:

1- أدت حادثة الحدود⁽¹⁾ إلى إضعاف ثقة المصريين، بل العرب في الشام والحجاز، بحكومة الخديوي وبالدولة العثمانية معاً. وهنا يدعو بشارة إلى ان تعمل

(1) كان الخديوي عباس حلمي قد زار أسوان في 15 يناير 1894 حيث أبدى للقائد العسكري الانكليزي كتشنر ملاحظات انتقد فيها كفاءة الجيش البريطاني، فما كان من الأخير إلا أن عدّها إهانة لهذا الجيش، وأبلغ اللورد كرومر، المندوب السامي البريطاني في مصر بالأمر، الذي ابلغه بدوره إلى الدوائر السياسية البريطانية في لندن مما أثار ثائرة الصحف البريطانية على الخديوي، وكانت النتيجة أن طلب اللورد كرومر منه أن يتراجع عما أبداه من

الدولة العثمانية على حسم ما يسميه (النازلة المصرية) أي قضية هيمنة بريطانيا على مقدرات مصر خشية من أن يؤدي ذلك الى تداعيات غير محمودة في استقرار الحكم العثماني في (الأماكن العربية) اي أنحاء الوطن العربي الأخرى، لاسيما سوريا والحجاز وبين النهرين (اي العراق).

2- ينقل حديثاً للسفير البريطاني في إستانبول، وقد اجتمع به في برلين، مفاده أن بريطانيا تهدد الخديوي بأنه اذا لم يسير مع السياسة البريطانية فإنها ستعمل على إقناع الدولة العثمانية بعزله وتنصيب حاكم آخر بدله، لتظهر للمصريين أنها هي الأمرة النهائية في مصر، دون أن تحتاج الى فرض الحماية على البلاد.

3- يظهر التقرير أن بريطانيا كانت تسعى في هذه السنة إلى عقد إتفاق مع فرنسا لتسوية المسألة المصرية، وقد جرى ذلك فعلاً بعد عقْد واحد من السنين، حينما عقد (الإتفاق الودي) بين الدولتين سنة 1904، فصار بمقتضاه أن تطلق بريطانيا يد فرنسا في مراكش، مقابل أن تطلق فرنسا يد بريطانيا في مصر.

4- أوضح التقرير عمق الأزمة التي نشبت بين الخديوي وبين مجلس النظار (مجلس الوزراء)، وهي أزمة معقدة فالخديوي لا يعزلهم خشية من معارضة المندوب السامي البريطاني كرومر لهذا العزل، ومع ذلك فالانكليز يكرهون المجلس، أما الشعب فيحتقرونه. ويتوقع بشارة انه سيجرى عزل الوزراء خلال وقت قريب. وقد جرى ذلك فعلاً في 15 ابريل من سنة 1894 اي بعد ثلاثة اشهر من (حادثة الحدود) المشار اليها، ويظهر من التقرير أن طلب كرومر عزل الوزراء جاء موافقاً لرغبة الخديوي أصلاً.

4- متابعة لموقف الزعامات السودانية الموافق للسياسة البريطانية في حلف وسواكن، والمناوئ لها في كسلا، حيث يسيطر عليها الايطاليون.

5 - طلب شخصي بترقية حبيب بك تقلا، اخي بشارة، «مكافأة لصدقه وتشجيعاً له في خطته هذه الوطنية».

ملاحظات بأن يصدر أمراً عسكرياً يثي فيه على الجيش البريطاني، فما كان من الخديوي عباس حلمي إلا أن انصاع إلى التهديد، ولم يكتف كرومر بهذا بل طلب منه أن يعزل النظارة (مجلس الوزراء) التي كان يرأسه رياض باشا، ويأتي بنوبار باشا بدلا منه. فكشفت هذه الحادثة وتداعياتها عن مدى ضعف الحكومة المصرية إزاء قوة بريطانيا واستبدادها. والذي يفهم من تقرير بشارة تقلا ان تداعيات هذه الحادثة كان لها امتداداتها في الاقطار العربية ولم تقتصر على مصر وحدها.

6- عزمه على اصدار جريدة بالفرنسية.

7- يكشف التقرير عن ولاء بشارة تقلا المطلق للدولة العثمانية وأمله في تؤدي دوراً محموداً في عرقلة مشاريع بريطانيا في الهيمنة على مصر، كما يوضح تعاطفه مع القضية الوطنية، مع عدم فقدانه الأمل في الخديوي في أن يؤدي دوراً مؤثراً في صالح هذه القضية. كتب تقلا آراءه هذه في تقارير سرية أرسلها الى السلطان العثماني من خلال صلاته الايجابية بصديقه جودت باشا .

والتقرير مرفق برسالة بالعربية، إلى جودت باشا، مؤرخة في 12 مارس 1894، ولم يتعين مكان كتابتها، ويفهم منها أن علاقة شخصية وعائلية كانت تربط بينه وبين من أرسلت إليه، وأن ثمة زيارات متبادلة بين العائلتين. وهذا نصها

«مولاي صاحب الدولة جودت باشا حضرتلري. الى مقام المولى أرفع عريضتي هذه ورجائي أن تحوز رعاية المولى ولا سيما لما تضمنته من الأحوال المصرية وارتباطها بالأحوال العربية أجمع، لاعتقادي أن دولتكم من أصدق العثمانيين وأخلصهم في خدمة الوطن والسلطان، رفعت مواجبي لدولتكم مراراً بواسطة عطوفتو عزت بك أفندي، وهذا أيها المولى لنذكركم بإخلاص الداعي الذي لايقدر عن ترديد الدعاء بحفظ ذاتكم المحبوبة. قرينتي تسأل خاطر دولتكم وتهدي كريمتكم الفاضلة مواجبتها ولم يمنعها عن مكاتبة حضرتها إلا شدة الأمراض مدة سنتين كما يعلم عزت بك، أما الآن فقد شفيت، وهي إذا لم تتمكن من الإعتذار وهذا الصيف شفاهاً قدمت مواجبتها كتابةً. شرفوني بأوامركم كعهدي، والأمر لوليه أفندم. بشارة تقلا (التوقيع) 12 آذار (مارس) 1894»

ونص التقرير هو:

«تقرير: إن حادثة الحدود الأخيرة أثرت تأثيراً سيئاً في جميع مصر لأنها برهنت أن الأمر الى الانكليز، وأن الخديوي ورجاله لاسلطة لهم ولا نفوذ، وأن لا أمل من مساعدة السلطنة السنية، حتى أن هذه الأفكار انتشرت في القطر المصري انتشاراً كانت نتيجته أن العباس⁽¹⁾ بسنتين خدم الانكليز أكثر من والده⁽²⁾ هذا بضعفه، والأول

(1) هو الخديوي عباس حلمي.

(2) هو الخديوي محمد توفيق بن إسماعيل.

باندفاعه. وقد ساعد الانكليز سكوت أوربا، وعدم اهتمام الدولة العلية. وأؤكد لدولتكم أن هذا التأثير كان لازمة وطنية في جميع الأماكن العربية سواء في الحجاز أو في سورية وما بين النهرين، لأن بريطانيا لا تعمد الدرهم والرجال في خدمة مصلحتها وأغراضها، ويساعدها على ذلك إستبدال بعض الحكام وظلم البعض، ولهذا أرى أن تتدارك حكمة جلالتة إصلاح الحالة، ولاسيما في الحجاز، حتى لا تؤثر أعمال مصر على أولئك الشعوب لقاء عدالة ولائها واهتمامهم بإنفاذ إرادة ولي النعم.

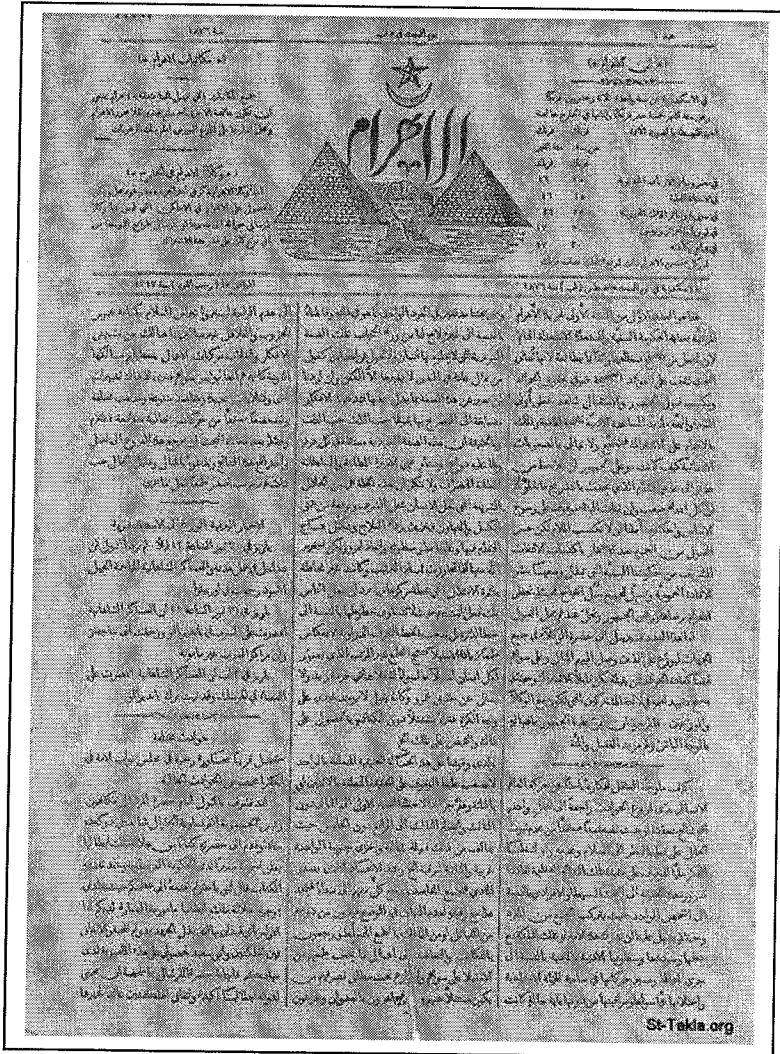
ومن أهم الأمور أن تستخدم السلطنة ما لديها من الوسائط لحسم النازلة المصرية حسماً يضمن مصالح الجميع، ويصون حقوق السلطنة، ولا أحسن من استخدام سفير انكلترا الحالي بالأستانة لأنه مسموع الكلمة في بلاده. وقد اجتمعت اليوم على مكاتب التيمس في برلين حضر لهُنا وقال لي بالحرف الواحد: اننا أرسلنا سفيرنا للأستانة للاتفاق مع السلطنة على أعمال مصر، بأن يكون قاعدة اتفاقنا ما يقرب من مذكرة السير وولف، فإذا رأينا استحالة السير مع خديوي مصر سألنا السلطنة تعيين والٍ لمصر كما كان في الروملي الشرقية قبل انضمامها الى بلغاريا، فاذا رفض السلطان الأعظم الاتفاق معنا استعملنا الاستبدال في أعمالنا المصرية، وأجرينا إرادتنا ليعرف المصريون أننا وحدنا الأمرون، وهذه الطريقة لا نعملها إلا بعد يأسنا من الإتفاق مع الدولة العلية وفرنسا، أما نحن فلا نضم مصر إلينا ولا ننادي بوضع الحماية، ولكن نقضي بإنفاذ أوامرنا وهي الحماية المطلوبة بدون تحمل أثقالها، وفتح مسألة أوربية أو شرقية، ولا يسع مصر إلا الخضوع لأوامر رجالنا كما حدث في حادثة الحدود. وقد وقفت من المذكور على أفكاره في سياسة أوربا وانكلترا، وخلاصتها ما لا يخرج عن معرفة دولتكم تقريباً. تلك هي ملحوظات عبدكم أرفعها لأهميتها وقد قدمتها دائماً في خطتي هذه الصادقة في خدمة الوطن العزيز والجناب السلطاني الأعظم.

عبدكم أخي حبيب تقلاً بك الذي أسأل له بواسطة دولتكم ترفيع رتبته الى رتبة أولى صنف ثاني مكافأة لصدقه وتشجيعاً له في خطته هذه الوطنية.

الخديوي ناظم على النظار، والإنكليز يكرهونهم والأهلون يحتقرونهم والأجانب يمقتونهم، ولكن كرومر لا يريد أن يسأل عزلهم حتى لا يعارضه الخديوي الذي لا يريد أن يعزلهم حتى لا يعارضه كرومر، ولكن يستحيل إطراد هذه الحالة طويلاً ولا بد من سقوط النظار الى آخر رمضان.

أكثر حركات السودان في جهات كسلا حيث رجال المعكرونة⁽¹⁾، وأما في حلف وسواكن فلا خوف منهم لأنهم في المحليين عمال الانكليز.

صممت اصدار جريدة فرنسوية في أواخر السنة الجارية إذا ساعدتني الأحوال⁽²⁾ وإذا زرتُ دار السعادة. عرضت الأمر على مسامعكم أفندم. (التوقيع)



(1) اشارة الى الايطاليين، الذين احتلوا كسلا سنة 1894، بعد دحرهم قوات المهديين في معركة كسلا، ثم أنهم انسحبوا منها في سنة 1897 ليدخلها الجيش البريطاني بالاتفاق مع اللورد كتشنر الحاكم البريطاني العام للسودان.

(2) في 1900 أصدر جريدة بالفرنسية Pyramides.

جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد

للجمعيات والأحزاب السياسية العراقية تاريخ حافل ابتدأت فصوله باحتلال القوات البريطانية الغازية العراق إبان الحرب العالمية الأولى، فقد شهدت المدن العراقية تكوين عددٍ من المنظمات، استهدفت مقاومة الوجود البريطاني الدخيل في العراق، وإنشاء السلطة الوطنية العربية على أراضيه. فتأسست في النجف سنة 1918 جمعية (النهضة الاسلامية) السرية، التي مهدت لثورة المدينة على الحكم البريطاني سنة 1919، ثم أعقبها تأسيس الفرع العراقي لجمعية (العهد) الشهيرة، في كانون الثاني من سنة 1919، و(جمعية حرس الاستقلال) في نهاية شباط من السنة نفسها. وكان لكل من هذه الجمعيات دوره المعروف في النضال الوطني التحرري في العراق آنذاك، ولا نستبعد أن تكون هناك جمعيات أخرى، عملت في هذا المجال، إبان تلك السنوات، ضاعت أخبارها بسبب سرّيتها الشديدة، أو بسبب الشكوك التي أحاطت بعملها، ولقصر عمرها الزمني⁽¹⁾.

ولقد وقفنا عند بحثنا في وثائق تلك الحقبة، على وثيقتين فريدتين⁽²⁾، باسم جمعية سرية عرفت بـ (جمعية الدفاع المقدس) يبدو أنها كانت تعمل في بغداد منذ أواخر العهد العثماني، واستمرت في عملها حتى بداية عهد الاحتلال.

(1) جاء في تقرير من تقارير الشرطة مؤرخ في 7 تموز سنة 1919 ان «كل عربي مسلم في بغداد لديه شيء من الثقافة كان ينتمي إلى جمعية لها فروع في جميع البلدان المهمة في العراق، وهذه جمعيات تسعى لاتحاد العرب ومناوئة للاجانب وغرضها طرد الانكليز وتأسيس حكم عربي» انظر: ايرلند، فيليب ويلارد: العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر خياط - بيروت 1949، ص 147-148.

(2) كانت هاتان الوثيقتان من مقتنيات خزانة الاب انستاس ماري الكرمللي (توفي 1947) في دير الابهاء الكرمايين ببغداد، وقد وهبها إلى الاستاذ ميخائيل عواد (المتوفى سنة 1995) على ما أخبرني الأخير في مكتبة المجمع العلمي العراقي سنة 1974، فلبثت في خزانته أمداً من الدهر، حتى آلت ضمن مجموعته من المخطوطات والوثائق، إلى مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب - جامعة بغداد، (نقلت مخطوطات هذه المكتبة إلى مكتبة المتحف العراقي، قسم المخطوطات، وهي اليوم دار المخطوطات العراقية) وفي أعلى الوثيقة الاولى تعليقة بخط الاب الكرمللي تقيد بأن هذا النص هو بعينه الذي علق على الحادث» وفي آخرها تعليقة له أيضاً نصها «علق في 29 آذار 1917»، والوثيقة مكسرة الاطراف، وبخاصة من طرفها الاعلى اليمين، من أثر انتزاعها - فيما يبدو- من الحادث

والوثيقة الأولى عبارة عن مُلصقٍ جداري، مكتوب بخط اليد بعناية ظاهرة، وتاريخه هو 29 آذار سنة 1917، أي بعد 18 يوماً فقط من احتلال البريطانيين بغداد، الذين دخلوها في 11 آذار سنة 1917. أما الوثيقة الثانية فهي نسخة بخط اليد أيضاً منقولة عن مُلصقٍ جداري آخر، وتاريخه اليوم السادس من حزيران سنة 1917، وبهذا تكون هذه الجمعية هي أول جمعية سرية لها نشاط في العراق بعد الحرب العالمية الأولى، واحتلال بغداد مباشرة.

ويفهم من الوثيقة المذكورة، في أسطرها الأولى، انه قد مضت على تأسيس الجمعية آنذاك خمس سنين، فيكون تاريخ إنشائها إذاً هو سنة 1912، أي في مدة حكم والي بغداد جمال بك (26 آب 1911 - 17 آب 1912م) أو خلفه محمد زكي باشا (13 تشرين الثاني 1912 - 22 آيار 1913م)⁽¹⁾، وكان هدفها آنذاك - على حد تعبيرها - هو «تقليص ظل الحكومة التركية عدوة التمدن والإخاء من هذه الأصقاع العربية، والاستعانة عنها بحكومة راقية تخلص البلاد من ذلك الإستبداد الأسود».

وتشير الجمعية إلى أنها مارست العمل المسلح في العهد العثماني، حيث كان لديها مخزن عامر بالقنابل، وتتسبب إلى نفسها مسؤولية إحراق مخزن الذخيرة (الجبة خانة) في تلك الايام، وكان هذا المخزن يقع في قلعة بغداد⁽²⁾، واذ لم نعثر على ما يفيد حدوث مثل ذلك الاحراق في السنين المذكورة، فليس من سبيل للتأكد من صحة هذا الادعاء، وإن كنا قد عثرنا على ما يدل على حدوث عدة حرائق خطيرة ببغداد سنة 1912، أحدهما في معمل عسكري، إلا أن هذه الحرائق لم يكن أي منها في القلعة، وليست لها صلة ما بمخزون الذخيرة فيها. وأهم تلك الأحداث هو الحريق الهائل الذي نشب في خان النفط الواقع في محلة العوينة، ودام أسبوعاً كاملاً، بلغ ما التهمته فيه النار ما يزيد على (13000) صندوق من النفط، و (250) صندوقاً من مادة (السبرتو) و (200) صندوق من البانزين، وكان هذا أعظم حريق عرفته بغداد، على ما

الذي الصقت عليه، أما الوثيقة الثانية فهي منقولة «من الأصل الذي علق على الحائط»، على ما جاء في تعليقه للكرمي أيضاً في أعلاها. ومن الملاحظ ان كلا من الوثيقتين خال من البسملة التقليدية.

(1) يعقوب سركريس: ولاية بغداد من سنة 1422هـ (1907م) إلى الاحتلال البريطاني (1917) مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 4 الجزء 1 (1956) ص 160-161.

(2) هي التي شيّدت في مكانها مباني وزارة الدفاع في عهد الدولة العراقية.

ذكر المعاصرون في عهد الدولة العثمانية⁽¹⁾. ولم تكد تمضي مدة قليلة، حتى نشب حريق هائل آخر في معمل (العبيّخانة) العسكري⁽²⁾، المخصص لإنتاج الاقمشة والألبسة العسكرية فاحترقت جميع الاقمشة المخزونة فيه، وقدرت الأضرار التي نجمت من جراء هذا الحادث بنحو (5000) ليرة عثمانية .

وفي الوقت الذي تسكت فيه المصادر عن بيان سبب هذه الحرائق المتلاحقة فإننا نلاحظ بأنها حدثت كلها في وقت واحد، وهو التاريخ الذي زعمت الوثيقتان بأنه تاريخ تأسيس الجمعية المذكورة، وان الحرائق أضرت بمواد ذات صفة عسكرية مهمة .

وفضلاً عن أسلوب العنف الذي تُذكرُ به (جمعية الدفاع المقدس) فإنها تشير إلى سلوكها أسلوباً آخر في العمل السياسي، هو نشر المبادئ القومية والسياسية العربية، على حد تعبيرها، الذي تعتبره واجب كل جمعية في العالم. ولهذا فإننا نجدتها توصي، في بعض مطالبها (بيان 29 آذار 1917) بضرورة مشاركة العرب من أبناء العراق بمصالح الحكومة الأهلية، وبوجوب جعل اللغة العربية لغة رسمية في العراق⁽³⁾، واعتبار الأمة العربية «كأمة راقية ذات مقام كما هو حقيقتها».

وعلى الرغم من أن هذه المطالب وطنية المظهر، فإن في الوثيقتين جُملة أمور من شأنها إثارة الريب حول نشأة الجمعية، وأهدافها، فالجمعية لا تخفي في أول بيان لها رأيها بأن «حكومة بريطانيا هي البديل المرغوب لحكومة الترك الدابرة»، وإن أعضائها كانوا ينشرون الأفكار المؤيدة لبريطانيا حتى قبل الإحتلال. وجميع مطالب الجمعية لا يصل إلى طلب استقلال البلاد، وإنما هي تقوم على اعتبار الإحتلال أمراً واقعاً لا مناص منه، ولهذا فهي تدعو إلى أمور من قبيل «معاملة الأهلين بالحسنى» و «إعطاء

(1) مجلة لغة العرب 12 (1912) ص 494 وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج 8 ص 230 وثمة حريق آخر في بغداد في التاريخ نفسه. انظر: عبد الكريم العلاف: بغداد القديمة ص 189.

(2) كان معمل (العباخانه) هذا يقع في محلة نسبت إليه، قريبة من محلة المربعة، أنشأه والي بغداد نامق باشا 1861، ووسعه واليها مدحت باشا 1869م، ثم أنشئ في أرضه أول محطة لتوليد الكهرباء سنة 1917. ينظر كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، ط2، بغداد 2013، ص 57.

(3) لما أتم الإنكليز احتلال العراق، كانت اللغة الإنكليزية هي اللغة المتداولة في الدواوين الرسمية، وقد بقيت هذه اللغة، لغة رسمية مدة حكم وزارة النقيب الأولى، وطرفاً من أيام وزارة النقيب الثانية، ولم تلغ إلا يوم 27 كانون الأول 1921 بقرار من مجلس الوزراء . عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية، صيدا 1965، ج 1 ص 56.

بعض الحرية للمطبوعات» و «حفظ الأمن العام» و «ملاحظة الأسعار الغذائية» ومشاركة بعض الاهالي في شؤون الحكومة .

وهذه المطالب، رغم طابعها العملي، فإنها لا تخرج في إطارها العام عما وعد به البريطانيون في البيان الذي أذاعه الجنرال مود قائد جيش الاحتلال بتاريخ 19 آذار سنة 1917⁽¹⁾، وسنجد أن بيان وليم مارشال، الذي خلفه في قيادة الجيش، في 11 تشرين الثاني سنة 1918⁽²⁾ يشابه في بعض بنوده، المطالب التي دعت اليها الجمعية قبله في بيانها المذكور بنحو ثمانية شهور، فمطالبة الجمعية باعتبار الأمة العربية «أمة راقية ذات مقام»، للرد على ما يبثه رجال جمعية الاتحاد والترقي من «أن الانكليز سوف يعاملون العرب في بغداد معاملتهم للطبقة المنحطة من الهنود» تكرر- في الواقع- ما زعمه مود في بيانه من أن مأمول بريطانيا والامم المتحالفة معها «أن تسمو الامة العربية مرة أخرى عظمة وصيتاً، وأن تسعى كتلة واحدة وراء هذه الغاية بالاتحاد والوثام».

أما مطالبة الجمعية «بمشاركة العرب من أبناء العراق الناهضين بمصالح الحكومة الاهلية»، فهي لا تخرج عما دعا اليه مود، حين أراد مشاركة عدد من العراقيين في الحكم، لأكسابه مظهراً شرعياً وطنياً زائفاً، فقال: «اني مأمور بدعوتكم بواسطة أشرفكم، والمتقدمين فيكم سنأ، وممثليكم إلى الاشتراك في ادارة مصالحكم الملكية (اي: المدنية) لمعاوضة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش، كي تتاضلوا مع ذوي قرياكم شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً في تحقيق أطماحكم المترامية!».

وتطالب الجمعية في بيانها الأول بعد الاحتلال، إعفاء الجنود العرب الذين انسحبوا مع القوات العثمانية الاخرى من وسط العراق، من حصر اسمائهم في سجلات السلطة المحتلة «لما فيه من الخطر في المستقبل اذ عدوا كأسرى حرب». وقد نص بيان مارشال على تحقيق ذلك حين «سمح لأسرى الحرب المعتقلين في الهند بالرجوع إلى أوطانهم، ما عدا الذين من الجيش التركي (أي العرب فقط) أما المطالبة «بملاحظة الأسعار الغذائية المتوقف عليها حالة الفقير والضعيف» فهي ما أشار اليه بيان مارشال المذكور ايضاً بقوله: «يوزع طعام وألبسة على فقراء بغداد والمدن

(1) نص البيان في: عبد الرزاق الحسني: العراق في دوري الاحتلال والانتداب، صيدا 1935،

ج 57-59.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

الأخرى، وتخفف القوانين الحالية بعض التخفيف». ولو وازنا بين كل الفقرات الواردة في بيان الجمعية الأول، وبين بيانات الاحتلال الصادرة قبله وبعده، لوجدنا أنهما كُتبا بروح واحدة تقريباً، هذا رغم زعم الجمعية بأنها ستلجأ إلى العنف «إذا لم يُلتفت إلى مطالبها الإصلاحية».

ويؤكد بيان الجمعية الثاني (6 حزيران 1917) على أن الجمعية لا تحمل عداً لبريطانيا، وإنما «أول صديقة صادقة لدولة بريطانيا بشرط أن لا يكون لها غير النوايا الحسنة نحو العراقيين»، وأنها تؤيد السياسة البريطانية طالما وافقت هذه السياسة حقوق الشعب الأساسية، دون أن تبين ما تعنيه بهذه الحقوق. وعلى الرغم من تصريح الجمعية، مجدداً بأن لجوعها إلى سبيل العنف غير بعيد، وأن أعضائها مستعدون للتضحية بأنفسهم في سبيل «تأييد حقوق الأمة وواجباتها»، فإن البيان الثاني يسكت هو أيضاً عن أي تلميح إلى الاستقلال، هذا مع أن بيانات الاحتلال نفسها لم تر حرجاً من التلويح به في بعض الأحيان.

ويهتم البيان المذكور إهتماماً خاصاً بمسألة مشاركة بعض الشخصيات الكبيرة من أهل البلاد في «تمشية أمور الحكومة المحلية بصورة موافقة للعدل والاستقامة»، وهو يرشح عشرة من تلك الشخصيات بأسمائها مؤكداً على عدم وجود أدنى صلة للجمعية بهم، سوى ما تعرفه عن كفاحهم ضد السلطة العثمانية.

والناظر إلى الأسماء المرشحة يلاحظ أنها تضم خليطاً عجيباً من شخصيات بعضها معروف تماماً وله تراثه الوطني والثقافي، والبعض الآخر مغمور ليس له ماضٍ يُعرف به أصلاً، ولا يجمع بينهم سوى أن أكثرهم كانت له مواقف مناوئة للسلطة العثمانية في أواخر عهدها في العراق، وأن بعضهم لقي عنتاً شديداً من تلك السلطة، بلغ حد أمرها بنفيه وإبعاده. وإذا تتبعنا تراجم المرشحين نجد أن بعضاً منهم عُرضت عليه مناصب مهمة فعلاً في السلطة المحلية التي أقامتها قوات الاحتلال وقبلها، والبعض الآخر أبقى المشاركة فيما دُعي إليه بأية صورة من الصور، مما يؤكد عدم وجود صلة ما بينه وبين ترشيح الجمعية له في بيانها المذكور، وواضح أن أولئك المرشحين كانوا ينتمون إلى الديانات الثلاث جميعاً: الإسلامية، والمسيحية، واليهودية، على النسب الآتية:

(6) مسلمون، ينتمون جميعاً إلى أسر مهمة أدت أدواراً مؤثرة في تاريخ العراق الحديث، ثلاثة منهم من العلماء الذين تولوا مناصب شرعية وإدارية وتجارية بارزة،

هم: 1- محمود شكري الآلوسي (عالم ومدرس)⁽¹⁾ 2- عبد المجيد بك الشاوي (أديب وإداري) 3- عبد الرحمن أفندي بن مصطفى جميل (عالم ومدرس) 4- السيد موسى الكيلاني (عالم ومن الملاكين) 5- حمدي أفندي الباجه جي (تاجر ووجيه)، وعبد اللطيف ثيان (صحفي).

(2) مسيحيان. وأولهما مطران الطائفة السريانية، ولم يُسمه، ولم يعين ما إذا كان مطران السريان الكاثوليك أم السريان الأرثوذكس، والراجح أنه قصد الأول منهما، وثانيهما تاجر أرمني عرف بنشاطه المناوئ للعثمانيين .

ولنا أن نلاحظ أن الوثيقة تلعب السيد محمد شكري الآلوسي باسم (سيادة) وهو اسم لم يكن يعرف به العلماء المسلمون، وإنما كانوا يعرفون باسم (شيخ) مطلقاً، بينما كان اسم (سيادة) يختص به المطارنة دون غيرهم فيعرف أحدهم باسم (سيدنا) تمييزاً له عن سائر الدرجات الكهنوتية.

(2) يهود. هم حاخام الطائفة اليهودية في بغداد، ومناحيم دانيال (تاجر معروف)

يمكننا القول اذن، بناء على ما تقدم، بأن الجمعية كانت:

1- لاتميل إلى أي استقلال سريع عن بريطانيا.

2- تريد تشكيل حكومة محلية من الأهالي (أو يشارك فيها الأهالي) تتولى تنفيذ

الاصلاحات التي تراها ضرورية، وربما كان ذلك تحت اشراف بريطانيا نفسها.

وإذا طرحنا جانباً أن تكون الوثيقتان من إصدار سلطة الإحتلال، أرادت بهما اظهار سياستها وكأنها استجابة لمطالب شعبية عامة، وافترضنا وجود الجمعية على ما أعلنت هي عنه، وأنها المسؤولة فعلاً عن إحداث الحرائق في المنشآت الحيوية ببغداد ابان العهد العثماني، فان الجمعية -كما نستنتج من كل ما عرضناه- كانت تضم بعض الفئات التي شعرت بأن مصالحها مرتبطة (بعد انقضاء الحكم العثماني في الاقل)، باستمرار وجود نوع من الإشراف البريطاني على الحكم في العراق، ولو إلى حين. ومن ناحية أخرى فإن اسم الجمعية نفسه لا يقع في ضمن سياق أسماء

(1) لا نستبعد أن تكون للأب أنستاس الكرمل، المالك الأول لهاتين الوثيقتين، يدٌ ما في هذا الترشيح، فقد جعلته الوثيقة في مقدمة المرشحين، وميزته باسم (سيادة) ومن المعروف تماماً مدى الصداقة التي ربطت الكرمل بالآلوسي، وهو ما توضحه الرسائل العديدة المتبادلة بينهما.

الجمعيات الوطنية التي أسسها العرب المسلمون عهد ذلك، لا سيما بإضافة صفة (المقدس) بعد اسمها الأول (الدفاع)، ولعل الايام تكشف لنا عن حقيقة هذه الجمعية، مما يلقي ضوءاً جديداً على تاريخ الجمعيات السرية في العراق.

الوثيقة الاولى علق على الحائط ببغداد في 29 آذار 1917

(هذا بلاغ للناس)

لقد مرّ على تأسيس جمعيتنا، جمعية الدفاع المقدس، ما يقارب الخمس سنين، ونحن نحارب في خلالها حكومة الأتراك بما ننشره بين الشعب من المبادئ القومية، والسياسية العربية. وما هو الواجب الذي تشكل من أجله كل جمعية في العالم.

وكانت أكثر مقاصدنا السياسة هي تقليص ظل الحكومة التركية عدوة التمدن والإخاء من هذه الاصقاع العربية، والإستعاضة عنها بحكومة راقية تخلص البلاد من ذلك⁽¹⁾ الاستبداد الأسود.

والذي نعرفه حقيقياً ان حكومة بريطانيا هي الجديرة بهذه الثقة. لذلك كنا ننشر بكل قوانا المبادئ الانكليزية بين أبناء العراق بصورة رشيدة حذراً من البوليس السري المعروف أمره من أبناء بغداد في تلك الايام.

وبما أن جمعيتنا من مبادئها أن تبقى سرية حتى ولو أصبحت بغداد أمريكا الثانية. لذلك⁽²⁾ نحن ننشر هذا البلاغ باسم جمعيتنا طالبين من حكومة الاحتلال إجراء مقرراته.

أولاً- جعل اللغة العربية لغة رسمية في العراق كما اللغة الانكليزية في ممالك بريطانيا الفخيمة.

ثانياً- مشاركة العرب من أبناء العراق الناهضين بمصالح الحكومة الاهلية بدون فرق بين الملل المختلفة في العقائد والنحل.

ثالثاً- ملاحظة الأسعار الغذائية المتوقف عليها حال الفقير والضعيف.

رابعاً- توصية جيوش المحتلة بمعاملة الأهلين بالحسن.

(1) في الاصل: ذلك.

(2) في الاصل: ذلك.

خامساً حفظ الأمانة⁽¹⁾ العمومية، نظراً لفقدانها في كل أيام الاحتلال.
سادساً- إعفاء الجنود العربية من التحرير الذي تعمله الحكومة الآن، لما فيه من
الخطر في المستقبل إذا عدوا كأسرى حرب.

سابعاً- ملاحظة الوشائيات التي يتذرع بها أرياب الأغراض للإيقاع بالغير.
ثامناً- اعطاء بعض الحرية للمطبوعات لرغبة بالوقوف الزائد على أفكار الأحرار
في العراق.

تاسعاً- اعتبار الأمة العربية كأمة راقية ذات مقام، كما هو حقيقتها، لا كما
يُدسّه جمعية الاتحاد⁽²⁾ من ان الانكليز سوف يعاملون العرب معاملةهم للطبقة
المنحطة من الهنود.

عاشراً- تقديم الشكر الزائد لدولة الجنرال سرفس مود⁽³⁾. قائد الجيوش
المحتلة على منشوره الأخير في خطاب البغداديين⁽⁴⁾، وتعريفه بالوقت نفسه أن
جمعيّتنا عربية عمرانّية وطنية فوضوية سرّية، بمعنى انها اذا لم يلتفت إلى مطالبيها
الإصلاحية ترجع إلى الفوضى سرّياً، والسلام.

باسم اعضاء جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد

الوثيقة الثانية علقت على الحائط ببغداد في 6 حزيران 1917

(الحق فوق القوة)

إن جمعية (الدفاع المقدس) ليست بعدوة لدولة بريطانيا حتى أخذت الحكومة
أسباب التفتيش عنها بواسطة الجواسيس والمراقبين، لا بل العكس إن جمعيّتنا من أول
واجباتها تمشّية السياسة الانكليزية بين العراقيين بصورة موافقة لحفظ حقوقهم
الأساسية، وما دامت الحكومة لها نية حسنة نحو أبناء هذه البلاد فلا يجب أن تلاحظ

(1) يريد: الامن.

(2) أي جمعية الاتحاد والترقي التي قاد رجالها الدولة العثمانية في اثناء الحرب العالمية الاولى.
(3) تولى قيادة الجيش البريطاني في العراق عقب وفاة سلفه الجنرال طاوزند في مايس سنة
1916، وتم له احتلال بغداد والمدن العراقية الأخرى، وتوفي متأثراً باصابته بالكوليرا في
مساء 18 تشرين الثاني سنة 1917.

(4) هو المنشور او البيان، المنوه به سابقاً، وقد أذيع بتاريخ 19/3/1917م.

من أعمال جمعيتنا التي مهدت إلى الجيش الانكليزي اقبال البغداديين يوم الاستيلاء، بما كانت تبثه في الخمس سنين الماضية في السياسة الحبيبة لحكومة الانكليز.

فجمعية الدفاع المقدس هي أول صديقة صادقة لدولة بريطانيا بشرط أن لا يكون لها غير النوايا الحسنة نحو العراقيين حذراً من ايجاد الأسباب التي كرهت الاتراك إلى جمعيتنا، وجعلت لنا طريقاً واسعاً لتمشية سياسة الجمعية ضد سياسة الاتراك الإجبارية.

على أن جمعيتنا لها خطة رشيدة في ترويج سياستها الوطنية، لا يخشى عليها من جلب أنظار الجواسيس والمراقبين، وبالوقت نفسه لا تبالي بالتهديد والوعيد لأن اعضاؤها⁽¹⁾ يفضلون الموت على الحياة في تأييد حقوق الامة وواجباتها، ولكن بالصورة السرية حسب نظام الجمعية الذي يجب العمل بموجبه.

ومتى حان وقت الضحية فالقنابل كثيرة في مستودع جمعيتنا السري، ولم ينقص منها سوى واحدة يوم احراق الجبّخانة⁽²⁾ في القلعة أيام الأتراك.

وقرار جمعيتنا الأخير الذي أوجب نشر هذا البيان، هو تأييد المطالب الإصلاحية التي أعلنتها جمعيتنا أولاً، والتي عملت الحكومة ببعض منها وتركت البعض الآخر بدون أن يكون لها عذر في ذلك الترك. وتكرار الطلب تمشية الاصلاحات الضرورية للبلاد، وتشريك أفراد العرب الناهضين بتمشية أمور الحكومة المحلية بصورة موافقة للعدل والاستقامة، وبعد كل هذا تحرّض⁽³⁾ جمعيتنا حكومة الإحتلال من الإعتماد على بعض المفسدين الذين يقفون عثرة سبيل الاصلاحات العمومية لأن هذا الاعتماد أوجب الإستياء العمومي الذي⁽⁴⁾ بدأت علائمه تظهر في الوجوه.

وإذا كانت الحكومة حتى الآن لا تعرف من تعتمد عليهم في مثل هذه الشؤون التي تحتاج إلى الكفاءة والاختيار، فيمكنها أن تعتمد على إناس ترشحهم جمعيتنا بدون أن يكون لجمعيتنا أقل علاقة بواحد منهم. ولكن الجمعية تعتمد في هذا الترشيح على الاختيار والتجربة والشهرة، وفيما نعرفه أن هذا الترشيح سوف يوافق الجميع لأن

(1) الصواب: أعضاؤنا.

(2) كلمة تركية مركبة من جبه: وتعني سلاح، وخانة: أي موضع ومكان.

(3) الصواب: تحذر.

(4) في الاصل الفت.

الذوات الآتية أسماؤهم ممن تهمهم مصلحة الحكومة الحاضرة، بالنظر لما صادفه أكثرهم من الإمتهان أيام الاتراك، والى الحكومة اسماؤهم:

1- سيادة محمود شكري الألوسي⁽¹⁾.

2- سيادة مطران الامة السريانية المسيحية.

3- سيادة خاخام الامة الاسرائيلية.

4- عبد المجيد بك الشاوي⁽²⁾.

5- عبد الرحمن افندي جميل.

6- سيد موسى افندي الكيلاني⁽³⁾.

(1) هو العلامة الشهير الشيخ محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، ابو المعالي، من اعلام النهضة الادبية والفكرية في العراق في العصر الحديث، وله مؤلفات جليلة شتى. ولد ببغداد سنة 1857 وتوفي فيها سنة 1924م. كان بطبعه بعيداً عن الاشتغال بالسياسة، وانتدبته الدولة العثمانية، في أول نشوب الحرب العالمية الاولى، للسعي لدى الامير عبد العزيز آل سعود للقيام بمناصرتها ضد الانكليز، لكنه أخفق في مسعاه، وعاد إلى بغداد ليعمل -كمعادته- في التأليف والتدريس، حتى احتلال بغداد سنة 1917 على يد الانكليز، فعرضوا عليه قضاء بغداد، فزهده فيه، وانقبض من مخالطتهم، ثم عرض عليه في أوائل تشكيل الحكومة المحلية المؤقتة الافتاء فرياسة مجلس التمييز الشرعي فالقضاء أيضاً، فالمشيخة الاسلامية، فرفض كل ذلك، وانصرف إلى اعماله العلمية البحتة حتى وفاته. وواضح ان ذكر الجمعية لاسمه جاء لما كان يتمتع به من احترام ومكانة كبيرة لدى العراقيين بوجه عام. انظر محمد بهجة الاثري: اعلام العراق ص 103-107.

(2) هو عبد المجيد بك بن حسن بك بن مسعود الشاوي العبيدي. أديب من أعيان العراق. ولد في بغداد سنة 1862، وارتقى في سلم المناصب حتى انتخب نائباً عن لواء العمارة في مجلس المبعوثان العثماني، وجدد انتخابه سنة 1912-13 و 1914-18 ولما ألغيت حكومة النقيب المؤقتة اختير وزيراً بلا وزارة (27 تشرين الأول 1920) وكانت قد عهدت اليه رئاسة بلدية بغداد منذ سنة 1919 فشغلها إلى كانون الثاني 1922، وهو أول رئيس لبلدية بغداد. ثم عين متصرفاً للواء الدليم (سنة 1922-1923) ثم نائباً عن الكوت في المجلس التأسيسي (1924) ثم نائباً عن الدليم في مجلس النواب العراقي الاول (تموز 1925) وعين عضواً بمجلس الاعيان (اول آب 1927)، وتوفي في بيروت في أيلول من العام نفسه. محمد صالح السهورودي: لب الالباب ج2 ص 170 و 175 ومير بصري: اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ج1.

(3) هو السيد موسى شرف الدين ابن نقيب الأشراف ببغداد السيد سلمان القادري الكيلاني، ولد سنة 1875 فيكون عمره عند سقوط بغداد 42 عاماً، وهو ابن أخي السيد عبد الرحمن الكيلاني، نقيب الأشراف، ورئيس أول حكومة عراقية في عهد الانتداب. وقد وصف بأنه «كان

7- ميخائيل افندي ياغجي⁽¹⁾.

8- مناحيم افندي صالح⁽²⁾.

9- حمدي افندي الباجه جي⁽³⁾.

10- عبد اللطيف افندي ثنيان⁽⁴⁾.

وبعد الوقوف على هذا البيان، يجب مراجعة عنوانه.

باسم اعضاء جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد

رجلاً فاضلاً معروفاً بالوداعة ولين الجانب... وقد توفي سنة 1931، ابراهيم الدروبي:
البغداديون، بغداد 1958، ص 17 - 18.

(1) هو ميخائيل بن روفائيل ياغجي (أو ياغجي) الأرمني البغدادي، ولد في 2 كانون الاول 1870 فيكون عمره عند احتلال بغداد 47 عاماً، اشتغل في بداية حياته بالتجارة، ثم سكن مدينة البصرة، وعند سقوط الدستور العثماني امرت السلطات العثمانية بنفيه، في سنة 1914 إلى (درسم) من أعمال معمورة العزيز، فأبعد إلى الموصل أولاً، وفيها صدر العفو عنه، فعاد إلى بغداد، وكانت وفاته فيها في 11 تموز 1930. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج 8ص286 نقلاً عن مجموعة محمد درويش الخطية، وحكمت رحمانى: نبذة نقلها لنا مشكوراً سنة 1977 عن كتابه غير المطبوع: أنساب نصارى بغداد.

(2) هو مناحيم بن صالح آل دانيال، كان من كبار وجوه الطائفة اليهودية في بغداد، وممن له شهرة في عالم المال والتجارة، وقد اختير عضواً في مجلس المبعوثان العثماني سنة 1877 وبعد تأسيس المملكة العراقية اختير عضواً في مجلس الاعيان غير مرة حتى وفاته سنة 1940.

(3) من أعيان بغداد، كان له نشاط معاد للعثمانيين في العراق، حيث ألف مع بعض العراقيين (النادي العلمي الوطني) سنة 1912، واستمر في نشاطه حتى نشوب الحرب العالمية الاولى، فاضطرته الظروف إلى ترك البلاد، وحل النادي، ثم عاد إلى العراق بعد انتهاء الحرب، وعين وزيراً للأوقاف في 26 حزيران سنة 1925 وتوفي سنة 1948 مير بصري: أعلام اليقظة الفكرية من 145 وعبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية ج 1ص5.

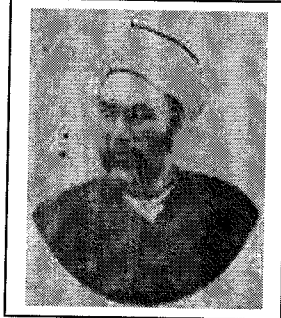
(4) صحفي أديب، ولد ببغداد سنة 1867، واشتغل بالصحافة، ثم أصدر على إثر اعلان الدستور العثماني جريدة الرقيب (28 كانون الثاني 1909) دعا فيها إلى مبادئ الحرية والدستور والاصلاح، واضطر إلى تعطيل جريدته في 1910 خوفاً من السلطات العثمانية، وخرج من العراق إلى الهند، ثم إلى الحجاز، وعاد إلى بغداد بعد زيارة مصر واسانبول، ويبدو أنه كان له نشاط معاد للعثمانيين، فقد اعتقل بعد نشوب الحرب العالمية الاولى في 10 تشرين الاول 1915، وابتعد إلى الموصل منفيماً إلى درسم، ثم عفي عنه وأعيد إلى بغداد، ولم نعلم مصيره اثناء احتلال بغداد، ولكن سلطات الإحتلال أبعدته إلى الفاو في اواخر سنة 1918 ثم عاد إلى بغداد، حيث عين مديراً للأوقاف من 1923 إلى 1924 ومن 1928 إلى 1929، وانتخب نائباً عن دياالى، ببغداد، وتوفي ببغداد سنة 1944. مير بصري: أعلام اليقظة الفكرية 78/1 وابراهيم الدروبي: البغداديون 105.



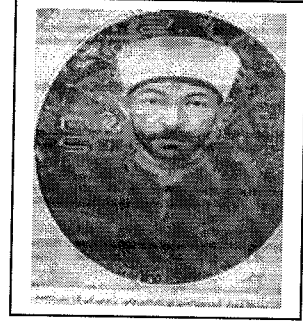
القوات الهندية البريطانية تسير في شارع الرشيد عند جامع الحيدرخانة



حمدي الباجه جي

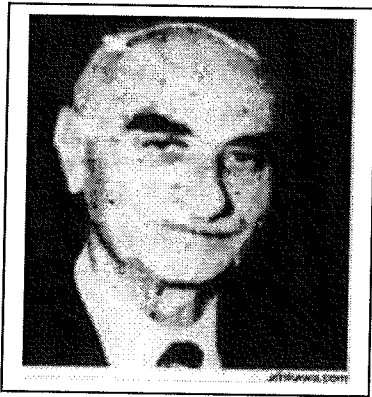


محمود شكري الآلوسي

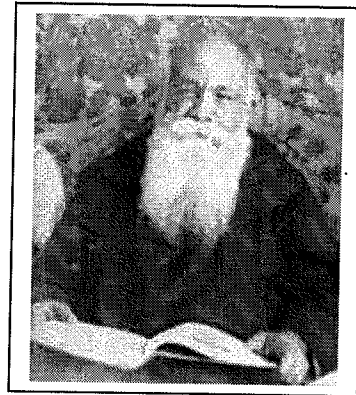


عبد الرحمن ال جميل

من مرشحي الجمعية



ميخائيل عواد الذي آل إليه البيانان



أنستاس الكرملي المالك الأول لبيان الجمعية

من مفكرة ضابط عراقي في الحرب العالمية الأولى

كثيرون هم العراقيون الذين ذهبوا إلى الجبهات الأوربية والروسية، في أثناء الحرب العالمية الأولى، فلم يعودوا إلى وطنهم، لا أحياءً ولا أمواتاً، بل فقدت آثارهم في ثلوج القفقاس، وفي مضائق الدردنيل، وفي البحر الأسود، فلم يصل إلى أهلهم حتى خبر موتهم، حتى بات مصطلح السُّوق إلى (السَّفَر بَر) أي الحرب، كابوساً يؤرق الشبان العراقيين، ويبعث فيهم مشاعر الخوف من المستقبل المجهول والموت شبه المؤكد.

كم من الذكريات المريرة لهؤلاء الشبان الذين ذهبوا، ضاعت بضياعهم هم، وكم من التفاصيل التاريخية كان يمكن أن تصلنا لو أنهم سجلوا ما رأوا، أو أن أحداً سجل ذكرياتهم عند عودتهم إلى وطنهم. ولذا فقد كانت سعادتنا كبيرة حينما عثرنا في دفتر أسود كبير، كان يحتفظ به الفنان محمد بن المثلث المعروف خالد الرحال، على صفحات كتبت بخط كبير الحرف، لرجل يبدو أنه كان في شيخوخته، كتب بعضها بقلم الحبر، والبعض الآخر بقلم الرصاص. وتضم هذه الصفحات بعض من ذكريات كتبها الضابط مهدي بن صالح بن سليم الرِّحَّال، وهو والد الفنان النحات المعروف خالد الرحَّال، في أثناء أداء واجبه العسكري ضابطاً عراقياً في الجيش العثماني، في خلال الحرب العالمية الأولى.

وتبرز أهمية هذه الصفحات، على قلة ما فيها، شجاعة هذا الضابط العراقي بين غيره من الضباط الذين ينتمون إلى شعوب أخرى، فهو قد حصل على تكريم من الجيش العثماني، ومن الجيش العراقي، ونُشر اسمه في جريدة الحرب العثمانية بوصفه من الضباط الذين تحلَّوا بصفة الشجاعة.

كما تُبين هذه الصفحات أيضاً سعة جبهات القتال، وتنوعها، التي قُدر لهذا الضابط العراقي أن يحارب فيها، فهو قد شارك في أول عهده في بعض الحركات العسكرية في منطقة الفرات الأوسط، ثم نقل للالتحاق بالجيش العثماني الرابع، وكان مقره في فلسطين، وهناك شارك في الهجوم على القطعات البريطانية المتمركزة في جبهة قناة السويس، ثم جرى نقله إلى أدرنه، ثم أعيد بعدها إلى غزة، وبعدها نقل إلى

أوريا، حيث حارب مع فرقتين عثمانيتين، هما الفرقتان 19 و20، من الجيش العثماني في منطقة جنّاق قلعة، للدفاع عن كليبولي. ثم نقل مع الفرقتين إلى مدينة بلغراد، عاصمة صربيا آنذاك، ومنها انتقلت الفرقتان، بالقطار، عبر جبال التيرول، والمجر، حيث شارك في الجبهة الأوربية هناك. وقد عمل مدة من الوقت تحت إمرة ياسين باشا الهاشمي، الذي عاد برفقته إلى استانبول، ثم إلى حلب.



جنود عثمانيون في معركة جنّاق قلعة

وبعد إعلان الهدنة، انضم إلى جيش الثورة العربية في سوريا، وهو المسمى (الجيش العربي السوري)، وفي دمشق شارك في النشاط السياسي للضباط العراقيين الداعين إلى تحرير العراق، وضمه إلى الدولة العربية الوليدة بقيادة أبناء الشريف حسين، وقد حضر بعض الاجتماعات التي كان ضباط الجيش يعقدونها في بيت جعفر باشا العسكري، وأقام في سوريا، ملتحقاً بالجيش العربي هناك حتى سقوط حكومة الملك فيصل الأول إثر معركة ميسلون سنة 1920. وقام بمهمة سياسية خاصة، حيث كلفته قيادة الجيش بالذهاب إلى بغداد لاستمالة الضباط العراقيين إلى حكومة فيصل، ويظهر أنه أدى المهمة بنجاح، فقد تشكلت بعدها نواة ما سُمي بالجيش العراقي، وعُين هو أمراً للواء المدفعية، فتشكل هذه النواة، كما تكشف المذكرات، جرى في دمشق، قبل أن يتأسس هذا الجيش رسمياً في بغداد في 6 كانون الثاني سنة 1921.

وفضلاً عن ذلك فإن المذكرات تكشف عن وقائع وأسرار لم يكشف عنها النقاب بعد، منها أن اجتماع الضباط العراقيين في دار جعفر العسكري، كان مخترقاً من ضابط بريطاني، يظهر أنه كان من المخابرات البريطانية، كان يأخذ موضعه في إحدى حجرات الدار، كما أن اثنين من حراس جعفر باشا كانوا يتجسسان على المؤتمرين. ومعلوماتنا عن حياة مهدي الرحال، قليلة، باستثناء ما تمدنا به مذكراته، وغاية ما نعلم عنه أنه يتحدر من أسرة عربية أصلها من راوة، على الفرات، وأن أمه تركية من مدينة كوتاهية، وأنه أب لأربعة أبناء، هم 1- خالد، وأمّه أرمنية تزوجها في أثناء وجوده في الأناضول في أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم طلقها فيما بعد، ولخالد ولد واحد هو محمد. و2- سرحان، وأمّه سورية، ولذا فهو ضابط شرطة برتبة لواء في سوريا، وله ولدان. و3- مشى وخذون، وأمهما عراقية، وللأول ولد اسمه محمد، وثلاث بنات، أما الثاني فهم محام، ولم يتزوج. وللرحال بنات، منهن زوجة الفنان النحات الراحل محمد غني حكمت.

ويلقى إبراهيم الدروبي ضوءاً على أسلاف الرحال إذ قال «آل الرحال بيتٌ عربي كريم من بيوت بغداد المعروفة وأسرها، أصل هذه الأسرة من بلدة راوة، من عشيرة أبو عبدالله، ويسمى بيت يحيى» ويوضح سبب تسميتهم بالرحال بأنه «لكثرة ترددهم في تجارتهم بين نجد والعراق والهند والحجاز وسوريا ومصر» فهي إذاً أسرة تجارية كبيرة أنجبت عدداً من التجار، وقد تطرّق الدروبي الى أحد أبرزهم، وأثنى عليه فقال «وقد اشتهرت هذه الأسرة بتاجر كبير من تجارها هو عبد الرحمن الرحال، عُرف بنزاهته وصدافته وأمانته، فكان بحق التاجر الأمين، وتوفي سنة 1255هـ/1839م». وأشار إلى ولد له اشتهر بالثراء والتجارة فقال «وأعقبه ولده سليم الرحال، وقد تملك هذا ثروة كبيرة ونال شهرة عظيمة، فكانت له سفن تمخر البحار والمحيطات لنقل البضائع والأموال بين العراق والهند وأطراف العالم، ولكن الزمن جفله بين عشية وضحاها من فقر الحال بمكان يرثى له، حيث أن سُفنه الكثيرة تعرضت لزوبعة هوجاء في عرض البحر فكانت شذر مذر... توفى سليم الرحال سنة 1296هـ، 1878م، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي. ثم أعقبه صالح الرحال وعلى الرحال، أما صالح فقد ترك مهدي بك الرحال، كان هذا زعيماً في الجيش العراقي، وقد أحيل للتقاعد، وهو الآن يمتهن الزراعة»⁽¹⁾. وبحسب أسرته فقد إحيل

(1) إبراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، ص 159-160.

على التقاعد في الثلاثينات من القرن العشرين، وكانت إحالته هذه بسبب رفضه الانصياع لأمر عسكري يقضي بقمع حركة شعبية في بلده راوة، وتوفي في سنة 1975.

يبدأ الضابط العراقي مذكراته معلناً عن اسمه كاملاً، وولادته بالتاريخ الرومي المتخذ آنذاك في الوثائق الرسمية العثمانية، وموطن أبيه وأمه، فيقول:

«إنى مهدي بن محمد صالح بن سليم الرحال، قد تولدت في بغداد سنة 1306 رومي، (1891م ميلادية) من عائلة عربية الأصل، ومن قرية راوة، عشيرة البو عبيد، وبيت والدتي من عائلة معروف آغا أمماً، ومن كوتاهية أباً. وكنت أول ولد من نسل الرحال».

ولا نعلم معنى قوله أنه أول من ولد من نسل الرحال، إلاّ فإن أباه وجدته سبقاه في هذا النسل بالطبع.

ثم يتطرق إلى دراسته في مدرسة أبي النجيب السهروردي ببغداد، ومنها في المدرسة الرشدية العسكرية، فالإعدادية العسكرية، وكلتاهما في بغداد، ثم سفره إلى استانبول لدراسة الهندسة العسكرية في مدرسة (المهندسخانه) فيقول: «وقرأت في مدرسة الحاج حسن مقابل نادي العسكري، جامع نجم الدين السهروردي».

ولا نعرف مدرسة باسم الحاج حسن هذا، ولكن تحديدها بأنها تقابل النادي العسكري (وهو الذي سمي فيما بعد بنادي الضباط، فنادي الضباط الأعوان، وقد أزيل أخيراً وألحقت أرضه بمؤسسة بيت الحكمة) يوضح أنها كانت مكتباً أو كُتاباً في الجامع الذي سماه بجامع نجم الدين السهروردي، والصحيح أنه جامع أبي النجيب السهروردي ومدرسته، وكان هذا الجامع، في أصله، المدرسة التي أنشأها الشيخ الصالح أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي البكري (المتوفى سنة 563هـ) على شاطئ دجلة، ثم شغل النادي العسكري المندثر جزءاً من أرضه الشاطئية، وفصلت الدرب النافذ من ساحة السراي، والمؤدي إلى مدرسة الصنائع (بيت الحكمة اليوم) بينه وبين هذا النادي.

ثم يقول: «وأدخلوني رشدية عسكرية ثم الإعدادية، ثم مدرسة المهندسخانة». والرشدية العسكرية، هي المدرسة التي أنشأها مدحت باشا سنة 1288هـ/1871م، وكانت تشغل آنذاك بناية الإعدادية المركزية حالياً، وتلاصق، من جهتها الشرقية

مدرسة أبي النجيب مارة الذكر، أما المدرسة الإعدادية، فهي الإعدادية العسكرية، وكانت تشغل المبنى الواقع في جنوب القشلة، والذي شغلته المحاكم المدنية حيناً من الدهر، حتى أخلته، فرمته الهيئة العامة للآثار والتراث في الثمانينات من القرن الماضي. وعلى الرغم من عدم إشارته إلى سفره إلى استانبول، فإن دراسته في (المهندسخانه) تصرح بذلك، فقد كانت هذه المدرسة، وهي بمستوى كلية، تقع في العاصمة العثمانية، دون غيرها من مدن الدولة.

وتشير المذكرات إلى أنه تخرج من المهندسخانة سنة 1908، برتبة ملازم ثان، وعين في صنف مدفعية الصحراء، في الأوردو (الفيلق) الثاني ومقره مدينة أدرنة، في القسم الأوربي من الدولة العثمانية. يقول «وفي 1908 أكملتُ التدريس، وصرت ملازماً ثان في مدفعية الصحراء (صحرا طوبجى) تحت رقم السجل 15-324 أي 1908، وقد جرى تعييني في فيلق الثاني بأدرنة».

ولكنه لم يلبث أن عاد إلى بغداد، متمتعاً بإجازة نظامية، وهو لا يذكر سبب عودته، والظاهر أنه أراد أن ينقل إلى مدينته بغداد، حيث يكون قريباً من أسرته، فيقول:

«وبعد أخذت إجازة لأزور أهلى في بغداد وجئت إلى بغداد، والتحقّت في لواء 35 صحراء، في بطارية جبلية سريع آتشلى. وتعينت في بغداد لواء 25 المدفعى، و27 هجرية (1910) ترفعت إلى ملازم أول». ومن المقرر إدارياً أن النقل من فيلق إلى آخر، لا يكون إلا بموافقات أصولية تصدر من القيادة العامة للجيش العثماني، وليس من قيادة الفيلق الذي يريد النقل إليه، فيبدو أنه استحصل على مثل تلك الموافقات بطريقة ما، أما في أثناء وجوده في أدرنة، أو بعد وصوله إلى بغداد. ولنا أن نلاحظ أن نقله هذا جاء في نفس التاريخ الذي تولى فيه محمد شوكت باشا ولاية بغداد في رجب سنة 1327هـ/ تموز 1909م، وكان هذا قائداً عسكرياً سبق أن تخرّج في المهندسخانة، وكان يشغل منصب (فريق المدفعية للفيلق الثالث)، فليس ببعيد أن يكون سبباً في نقل حسين الرحال، وهو المتخرج في صنفه نفسه، وفي مدرسته نفسها، إلى صنف المدفعية في المدينة التي تولاه.

وكانت أولى الحركات العسكرية التي قُدر للضابط الشاب أن يشارك بها، تلك التي قامت لقمع حركة عشائر الأيزج، في جنوب العراق، في سنة 1914، أي في مفتتح

الحرب العالمية الأولى، ثم نقل بعدها إلى الشام، حيث التحق بالجيش الرابع العثماني، وشارك في الهجوم العثماني على قناة السويس، وبعدها نقل إلى أدرنة، حيث الجيش الثاني الذي سبق أن التحق به، ومنها عاد إلى غزة، حيث ترقّع إلى رتبة عسكرية أعلى. يقول «وبعد مصادمة الأزيج بالناصرية 1914 جرى نقلي إلى لواء 25 بالشام، واستخدمت في سنة الأولى بالجيش أردو دردنجي وثم 1914 نقلت إلى لواء المدفعي العشرين، واشتركت في أول هجوم [على] قنال السويس، ثم صار انسحاب الجيش بعد هجومه في كانون الثاني، رجعتُ والتحقت في لواء أدرنة، ... في غزة .. (هذه الفراغات في الأصل) . وفي 1916 ترفعت إلى رتبة رئيس (يوزباشي)، ثم تعينت أمر جحفل الصغير المدفعي (كوجك عروب قومانداني) وقد أعلنت في 26 أيلول 1916 في جريدة الجيش العثماني تحت اسم بر تمثال شجاعت. واشتركت في حروب عاليحيا ثم فلسطين، ثم الهدنة الأولى» حروب أوروبا 1916-1918 تحت هذا العنوان، تحدث حسين الرحال عن مشاركاته في الحروب ضمن الجيش العثماني ضد نزول الجيش البريطاني في كليبولي، عند مدخل الدردنيل، وكان هجوم القوات البريطانية قد جرى في 19 شباط من سنة 1914، وكان من بين قادة القوات العثمانية، ياسين باشا الهاشمي، الذي يسميه ياسين البغدادي، وكان هذا قد تولى أمر إدارة وتدريب وحدات الفيلق العثماني المعسكرة في غاليبولي، هذا فضلاً عن مصطفى كمال باشا، الذي تسلم قيادة القوات العثمانية آنذاك. فيقول: «نحن معسكرون في كليبولي، ميناؤنا بولابر أسكله سي كمال (هنا كلمة غير واضحة، ويناسب أن تكون (وقائدنا مصطفى كمال)، وكان هذا القائد الأعلى للقوات العثمانية في كليبولي) المشهور ورجع الجيش فرقة 20، وقائد فرقة ياسين البغدادي، وفرقة 19 سداد بك. فرقة العشرين قائدها ايمهوف باشا، ومقره طومبه تبة في راس مضيق جناق قلعة».

وتذكر المصادر أن ياسين الهاشمي، ترقى بعد تراجع الحلفاء عن مضيق الدردنيل في كانون الثاني سنة 1916، إلى رتبة (عقيد ركن) وأن القيادة العثمانية أرسلته بعدها إلى غاليسيا، في الأراضي النمساوية، للحرب هناك، إلى جانب القوات الألمانية، ضد الجيش الروسي، فكان الرحال واحداً من الضباط الذين أُلحقوا بإمرة ياسين الهاشمي في تلك الجبهة، مُبلياً البلاء الحسن فيها .

وينتقل الرحال للحديث عن الحرب بين العثمانيين والروس في أوروبا الشرقية، فيقول: «تحركت القوة العثمانية فرقة 20 و19 بالقطار في أوزون كوبري، ووصلنا إلى بلغراد، واسترحنا مقدار 10 أيام في عاصمة صربستان (صربيا) وبعده ركبنا القطار قاطعين جبال تيروول ومجارستان (يريد: بلاد المجر، وهي هنكارييا) إلى زلوتاليا مبيججوف قوة مداخلة وتلقينا قطعاً ان المستحبة في الجبهة.

في 26 أغسطس صدمنا قطعات الروسية وأوقفنا تقدمها، [وكانت] قوة العثمانيين 4 فرق لواء 56 وفرقة العشرين لواء 61 (62) وقوة قوامها مجموعاً 42 ألف حربة، و8 بطاريات، 75 مع قوة سائدة بطرية 5 10 طويلة، 4 بطاريات صحرا 75 مجارية . (المجارية، بجيم مثلثة، فصيحها: المكارون، وهم سائقو الدواب والمغنيون بهم)

وفي..... (بياض في الأصل) جاء الروس بأربعة فرق كاملة، وهاجمنا ولكن قواته تمركزت بمكانها بعد أن أعطت ضابط مهمة، وانجرح عثمان بك أمر لواء 55 في بطنه.

أصول حرب الروس في الهجوم كنا جميعاً تقريباً نحس بهجوم الروس من استحضاراتهم، فكانوا يُسكّنوا حركاتهم قبل الهجوم. ويوم الهجوم يستحضرون بالرمي ترومبل بومباج دمان مقدار نصف ساعة وأكثر، ووزن القطعة أكثر من ثلاثة ساعات على الأكثر، ثم تتقدم قطعات الهجوم على خطوط متعددة . ثم يتقدم المشاة الهاجمة بكل سلون متنكية بنادقها وكما نقابلها برمي سريع وكثيف، وعلى الأكثر هجومهم لا ينجح، وبعده يسكن الجبهة لهجوم آخر، ويسمون هذا الهجوم هجوم كرنسكي.

كان الروس استعملوا المدفعية بكثافة على جبهتنا، وكان مدفعيتهم دقيقة الرمي وقوية وتفوق على مدافع قروب (كروب، مصانع ألمانية شهيرة عرفت بصناعة الأسلحة الثقيلة) وقريبة إلى أحوال الفرانساوي (يريد الأسلحة الفرنسية الصنع).

هكذا دامت حروب الموضوعية (يريد حرب الخنادق) مدة الشتاء ويُستثنى منها بعض أيام هجوم. في هذه الأيام أو في أول أيلول 1916 هجم الروس علينا مباغتاً ودخل في خنادقنا بعد حرب الحراب، وكنت في نصف الممعة ولا أدري بنفسى إلا أنني هربت من هذا الهجوم حيث كنت غير مسلح أبداً. (سبق أن أشرنا إلى أنه كان مهندساً في الجيش. العثمانيون كانوا يعتقدون أن أسلحة الصغير هي الذي تسوق حاملها

للقتل. (كذا ولعله يقصد: الأسلحة الصغيرة، غير الكفوءة) وفي هذه الأثناء مررت بمخاطر كُتُر حتى سكنت الجبهة. كان الروس يسموننا عثمانلي (الإسلام) أو تورسكي. وبعد مدة غير (كلمة غير واضحة، ويمكن أن تكون: مثبتة). رأينا من جميع جهة روسية النار تركزت على تمركز واستدامت النار مقدار ساعتين وحوادثها أن جيش الروس أعلن الشيوعية وياقى القوات (قرفته) (مبيجوق) ثم أعطوا جرائد ومطبوعات من جبهة الغرب لتوزعها على قطعات الروس، وقالوا أن لنين مرق في القطار إلى الشرق.

بهذه الأثناء زارنا فردريك ويلهم وتقرب إلى خطوط النار. وأرسل بعض الوسامات.

في 1916 أيلول أعلنوا في الأمر اليومي للفيلق وبه كثير من المدح لعملي وشجاعتني، وقد ترفعتُ إلى رتبة يوزباشي، وصرت من الضباط الشجعان (ممتاز) وقدتُ جحفاً صغيراً للمدفعية (كوجك محاربه سي طوبجي). أرسلوني لأثبت مواضع الدفاع للفيلق إحتياطاً (مداخلة موضعلري) وبعد معارك شرسة، استقر الرحال مؤقتاً في فينا، التي يكتبها (ويانه) على عادة الترك، وشاء القدر أن يمرض ضابط ركن الفرق العشرين التي كانت بقيادة ياسين باشا الهاشمي، فحل هو محله، وحينما انتقلت الفرقة إلى استانبول، كان الرحال من بينها، فلبثت الفرقة في العاصمة العثمانية مدة، وبعدها انتقلت إلى حلب. يقول: «في صيف 1917 وأنا في ويانه صدر أمر الرجوع إلى استانبول. وكان ياسين باشا موجوداً في ويانه أخذني بمعيته ضابط ركن الفرقة. حيث ضابط ركن الفرقة إسماعيل تمرض وأعطاني واجباته، وكنت أمضي ضابط ركن الفرقة. ونقلت الفرقة كاملاً إلى استانبول (ارن كوي) ثم إلى حلب. أيام الحرب كانت غربية في كل ساعة يتبدل الوضع، لا يمكن (كلمتان غير واضحتين)

إن جنود الروس ما قتلوا أسيراً عكس جنود الأتراك، حيث يوجد أمر فوج أعطى أوامر قال ما أريد أسير، أريد رؤوس (كُلله)

وجاء إعلان الهدنة بين دول الائتلاف، ودول الوسط، وبضمنها الدولة العثمانية، بمثابة نقطة تحول خطيرة في الوعي السياسي للضباط العراقيين خاصة، ففيها أدرك

هؤلاء الضباط أن لا سبيل لإحياء الدولة العثمانية، وإن جيوش الدول الأوروبية أخذت باحتلال أجزاء منها فعلاً، ومن ثم لا أمل في مواصلة الحرب في جيوشها، وكانت الدعاية للثورة العربية بقيادة الشريف حسين قد بلغت أشدها، ولذا أعلن أولئك الضباط الالتحاق بالجيش العربي السوري، بقيادة فيصل بن الحسين. وبينما تذكر موسوعة القوات العراقية المسلحة أن مهدي الرحال كان ضمن الضباط العراقيين الذين تركوا الخدمة في الجيش العثماني، بعد دخول الجيش العربي دمشق، في 1 تشرين الأول سنة 1918، أي قبل إعلان الهدنة في 31 تشرين الأول من تلك السنة، يذكر هو في مذكراته أنه التحق بالضباط العراقيين الذين كانوا في السويس، بعد إعلان الهدنة لا قبلها، يقول: «وبعد الهدنة التحقت مع العراقيين في السويس، والتحق بجيش العربي السوري برتبة مقدم، وراتب عشرين ليرة ذهب إنكليزية، وبقيت سنتين في سورية إلى سقوط فيصل. وجاءني مع الضباط العراقيين وفد العراقيين [كذا، ولعل تمام العبارة: الداعين إلى] استقلال العراق، ولذلك تجمعوا في دار المرحوم جعفر باشا في دمشق، مع الأسف ظهر اثنين من الضباط للتجسس علينا». وهذا الاجتماع الذي يشير إليه مهدي الرحال، هو نفسه الذي حضره علي جودت الأيوبي، وتحدث عنه في ذكرياته، إذ قال «اجتمعنا في دار المرحوم جعفر العسكري بمعظم الضباط العراقيين وبعض المدنيين، الذين كانوا يومئذ في دمشق، وفاتحناهم في الأمر، وشرحنا لهم ما آلت إليه حالتنا في سورية، وما هي عليه اليوم حالة العراق، وقررنا الذهاب إلى (دير الزور) لمحاربة الإنكليز» (علي جودت، ذكريات، بيروت 1967، ص 93) فيفهم مما يأتي، أن بريطانياً كان مختفياً في دار جعفر العسكري للإطلاع، فيما يبدو، على مجريات المؤتمر، وأن اثنين من حراس جعفر نفسه، كانا موضع شبهة لدى المؤتمرين. ومن الواضح أن سبب وجود أولئك الجواسيس هو رغبة البريطانيين في معرفة نوايا القادة العرب، والحكومة الفيصلية في سوريا، تجاه الوجود البريطاني في العراق، وقد تجلت هذه النوايا في قرار المجتمعين باتخاذ (دير الزور) ميداناً للصدام بالبريطانيين، يقول علي جودت «ولهذه الأسباب قررنا أن نذهب ونحارب حتى الموت لاسترجاع حقوقنا». وذلك على الرغم من تحالف قيادة الشريف حسين مع حكومة بريطانيا آنذاك في الحرب على الدولة العثمانية.

وعلى أية حال، فهذا الجزء من المذكرات يكشف عن ظهور أول بوادر شكوك العراقيين بموقف بريطانيا الحقيقي من الثورة العربية، وقضية استقلال العرب تحت زعامة الشريف حسين، خاصة وإن أنباء ثورة العشرين أخذت تتوارد على أسماعهم تباعاً. بل بلغ الشك منهم أنهم طالبوا جعفر باشا بفتح تحقيق مع هؤلاء المتسللين، الذين يسميهم في موضع آخر بالجواسيس. يقول «تجمع العراقيون بدمشق بعد إعلان سورية استقلالها، وذلك لأجل إعلان استقلال العراق تحت تاج آل الهاشمي عبد الله بن الحسين. وقد تجمّعنا في دار جعفر باشا وكان البريطاني مختفى في بيت جعفر في غرفة قال عنها جيداً لخفائها (كذا)، نسأله جعفر التحقيق كان اثنين من حراسه معنا مع اشتباهنا بهم ما تعرض عليهم أحد منا». وفي أثناء إقامته بدمشق، كلف بمهمة سرية، جرى التنسيق بشأنها بين قيادة الجيش العربي السوري، وضباط بريطانيين، بهدف السفر إلى العراق. وكانت ثورة العشرين قد اشتعل أوارها آنذاك، لاقتناع الضباط العراقيين الذين لم يلتحقوا بالجيش العثماني عند انسحابه من البلاد، بالالتحاق بالجيش العراقي الجديد. يقول: «في هذه الأيام جاءني أمر من وزارة الحربية السورية أن أروح إلى السكّط وأقابل کرنل ديقنبورت وثايلبة وأدفيست، وكلفني کرنل أن أروح أخدم في العراق، وجئت [إلى] ياسين باشا وأفادني : لا ترجع وحدك إلا مع العراقيين، وهكذا أجبته المومي إليه. ونلت وسام M.C مع إعلان اسمي في جريدة الوقائع اللندنية وذلك لالتحاق العراقيين جميعاً بجيش سمي الجيش العراقي، وقد تعيّنُتُ أمراً للبطارية الثانية الجبلية». لم يذكر الرحال المدة التي قضاها في العراق، ومدى نجاحه في مهمته العسيرة، ومن هم الضباط الذين وفق في إقناعهم بالالتحاق بالجيش العربي السوري في دمشق. بيد أن من المؤكد أنه عاد إلى دمشق سنة 1920، فإنه يذكر أنه حضر المؤتمر العراقي الأول الذي انعقد فيها في آذار من تلك السنة، وهو المؤتمر الذي طالب فيه الضباط العراقيون، وعراقيون آخرون، باستقلال العراق والاتحاد مع سوريا. ومن الملفت للنظر أنه يصرح بالتحاق الضباط العراقيين بجيش «سمى الجيش العراقي»، ويعنى هذا أن إطلاق هذه التسمية قد جرى قبل التأسيس الفعلي للجيش العراقي، في بغداد في السادس من كانون الثاني من تلك السنة. وتنفيذاً لمقررات الاجتماع الذي عقد في دار العسكري، التحق الرحال بالقيادة العربية في دير الزور، مقدماً إشارات مهمة عن دور بعض الزعامات القبلية هناك في

التصدي للبريطانيين فيقول: «ثم التحقت في دير الزور بالثورة، كان محمد الفتیان مع الدليم، وأنا مع مشرف الدندل، كان هذا رجلاً شريفاً بكل معنى الكلمة ورجل قتال». ولا يذكر لنا ما جرى بعد ذلك حتى وصوله إلى البصرة عن طريق السويس، والذي نرجحه أنه كان من بين الضباط الذين وقعوا، بعد فشل الثورة، أسرى بيد القوات الفرنسية التي أتمت احتلال سوريا، مسقطاً حكومة فيصل، فقامت هذه بنفيهم إلى جزيرة (أرواد) قرب الساحل السوري، وبعد ثلاثة أشهر، نقلوا إلى بيروت، ثم سُفروا بالقطار إلى دمشق، ثم جرى نقله، ضمن مجموعة من الضباط ونواب الضباط والموظفين المدنيين، يبلغ عددهم 111 رجلاً، إلى السويس، ومنها استقلوا مركباً يونانياً يدعى (ملتيادس) أبحر بهم إلى البصرة، حيث استقلوا القطار، حتى وصلوا إلى بغداد، عاقدین العزم على الانخراط بالجيش العراقي الذي كان يجري تأسيسه آنذاك . يقول: «رجعت بعد اليأس إلى بغداد عن طريق السويس- بصره، في مركب قديم جداً، وكنا نناهز المائة، وكلنا عراقيين، وصلنا البصرة ثم ركبنا القطار إلى بغداد».

وبوصول الضباط إلى بغداد، سجلوا أسماءهم في مديرية السجل العام (المعاملات الذاتية)، وبينما تذكر موسوعة القوات المسلحة العراقية أن هذه المديرية كانت تشغل بعض حجرات مبنى الباب الشرقي، يذكر الرجال أنه سجل اسمه في غرفة والي بغداد (السابق بالطبع)، بمعنى أن التسجيل جرى في بعض مباني السراي حصراً. يقول «سجلنا اسمنا في غرفة والي بغداد، وسجلونا في قائمة تُسمى جيش العراق».

وسرعان ما دب الخلاف حول مراتب الضباط، واحتساب أقدميتهم، ومن ثم مقدار راتب كل منهم، يقول «وقد بدأ أول قال وقيل بين الجماعة، وظهر الخلاف على الترتيب أولاً، وكان رئيس المخالفين عارف عانة وسعيد حقي، وتساوت المسألة واختفت الفروقات» ويذكر الرجال أنه سجل في صنف المدفعية، برتبة مقدم، يقول «وأدخلت برتبة مقدم في قائمة المدفعية في جيش العراق». لكن موسوعة القوات المسلحة العراقية تشير إلى أن أمراً قد صدر عن وزارة الدفاع بتأليف سرية النقلية الأولى في 24 تموز 1921، وأسندت أمريتها إلى وكيل القائد (الرائد) مهدي صالح الرجال، فشرع من فوره في تأليف هذه السرية في الثكنة الشمالية، وأنه استمر في

عمله إلى أن نقل إلى البطرية الجبلية الثانية. وكان نقله إلى هذه البطرية، قد جرى بعد أن انخرط في دورة خاصة بالمدفعية. فيقول «وأدخلونا وأنا معهم في دورة للمدفعية، وكان عددا 14 ضابط مدفعي» وفي أثناء التحاقه بالدورة، حدث أن تُوجَّ الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، ويعبر الرحال عن مشاعره إزاء هذا الحدث بقوله: «وقالوا أن فيصل جاء إلى بغداد، وقد تلقيناه بكل احترام وسرور، ثم صار تتويجه».

تمثل مذكرات المقدم مهدي الرحال نموذجاَ لضابط عراقي شجاع، تمكن بفضل صبره، وحسن تدريبه، أن يحارب في جبهات شتى، وفي ظروف بيئية مختلفة، بعيدة كل البعد عن بيئته في وطنه، كما تكشف - على الرغم من صغرها - عن جملة من الأسرار التاريخية غير المعروفة، فليس لنا بعد هذا إلا أن نتساءل: كم من المعلومات ضاعت، وكم من الأسرار اختفت بموت أصحابها، وكم من البطولات الشخصية والوطنية نُسييت بطي الدهر لسجل من قام بها، فلعل الزمن يسعد الباحثين بلقى ثمينة من هذا النوع، من أوراق وذكريات ومفكرات ووثائق، من شأنها إذا ما دُرست ونُشرت، أن تقيد الباحثين، وتكشف الطريق أمام المؤرخين.

قراءات في تراث مخطوط

الإيضاح والتبيان في المكيال والميزان

المؤلف :

هو ابو العباس أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع بن حازم⁽¹⁾ بن إبراهيم بن العباس الأنصاري المصري الشافعي، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة. وأضاف صاحب الشذرات⁽²⁾ الى ألقابه: البخاري، نسبة الى بخارى، في حين لم نجد في مصادر ترجمته الأخرى ما يؤيد هذه النسبة، بل يفهم منها أنه لم يغادر مصر في حياته إلا لأداء فريضة الحج.

ولد ابن الرفعة في القاهرة سنة 645 هـ، أي في السنين الأخيرة من حكم الأيوبيين، وكان في نشأته فقيراً الى الحد الذي اضطره للعمل كمُباشر⁽³⁾ في بعض جهات مصر. وعندما لامه أحد صلحاء عصره، هو الشيخ تقي الدين الصائغ، على عمله هذا - والظاهر انه توسّم فيه خيراً - اعتذر بالضرورة⁽⁴⁾. ويفهم من هذا أن ابن الرفعة لم يشغل بالعلم حتى بلوغه مبلغ الرجال، ويؤيد هذا الرأي أن عدداً ممن أخذ عنهم الفقه والحديث وسائر العلوم كانوا ممن توفّي في أواخر حياته أو نحو ذلك، مما دلّ على أنه تلقى العلم عنهم وهو كبير على خلاف المعتاد في تعليم الناشئة في ذلك العصر، وكل عصر.

أخذ ابن الرفعة بالتعلم بتشجيع من الشيخ تقي الدين الصائغ، فحضر مجلس قاضي مصر آنذاك، وأظهر فيه نبوغاً فريداً في البحث والتتبع، ثم مضى في اتمام علومه، فأخذ الفقه من كبار علماء عصره، منهم:

- 1- الشيخ جعفر بن عبد الرحيم بن احمد الحسني القنائي.
- 2- الشيخ جعفر بن يحيى المخزومي، ظهير الدين التزمّنتي⁽⁵⁾.
- 3- الشيخ سديد الدين عثمان بن عبدالكريم التزمّنتي المتوفى سنة 664.
- 4- القاضي عبد الوهاب بن خلف، ابن بنت الأعز، المتوفى سنة 665

(1) في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ط عيسى البايي 1964، ج 5 ص 1776 صارم بالصاد.

(2) شذرات الذهب، القاهرة 1350 ج 6 ص 22/6.

(3) المباشر هنا: الموظف. انظر القلقشندي: صبح الاعشى 3/ 452.

(4) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، بتحقيق محمد سيد جاد الحق القاهرة 1962. ج 1 ص 205

(5) نسبة الى تزمّنت من اعمال بني سويّف في مصر

5- القاضي محمد بن الحسين الحموي، ابن رزين. المتوفى سنة 656

7- محمد بن علي ابن دقيق العيد المتوفى سنة 702.

وسمع الحديث النبوي من جماعة، منهم:

8- عبد الرحيم الدميري، محيي الدين.

9- علي بن محمد الصواف.

تولى ابن الرفعة عدة مناصب شرعية مهمة بعد اتمامه تعليمه، وظهر نبوغه في الفقه بخاصة، فصار قاضياً في الواحات بمصر، ثم ولي أمانة الحكم ثم حسبة مصر (القاهرة) والوجه القبلي من عملها رداً من الزمن حتى وفاته⁽¹⁾.

ولم ينقطع - أثناء توليه أعماله تلك - عن التدريس والإفادة في المدارس المهمة المشهورة في مدينة القاهرة، فدرّس في (المدرسة المعزية) وفي (المدرسة الطبرسية)، وكان في تدريسه مثلاً للعالم المتواضع، والأب الحاتي، فكان «كثير الاحسان الى الطلبة بماله وجاهه، مساعداً لهم بما تصل اليه قدرته»⁽²⁾.

ويبدو أن وظائفه كانت تدرّ عليه دخلاً طيباً، مكنه من توظيفه في بعض المشروعات الاقتصادية، فكان له (مطبخ سكر)، وقد وقف شيئاً من امواله على (سبيل ماء) في السويس وهي احدى منازل الحاج⁽³⁾.

صنف ابن الرفعة جملة من الكتب المفيدة في مجال اختصاصه، وصلنا من أسمائها ما يأتي:

1- الكفاية (او كفاية النبيه) في شرح التبييه و (التبييه) أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة لدى الشافعية. قال صاحب كشف الظنون في وصفه «هو شرح كبير نحو عشرين مجلداً لم يعلق على التبييه مثله، مشتمل على غرائب وفوائد كثيرة»⁽⁴⁾ وقال الأسنوي «جمع فيه فأوعى»⁽⁵⁾.

(1) الاسنوي: طبقات الشافعية، بغداد 1970، ج 1 ص 601

(3) الدرر الكامنة 1/204.

(4) المصدر نفسه.

(1) كشف الظنون 91

(2) الاستوي: طبقات 1/601.

2- المطلب في شرح الوسيط، و (الوسيط) في فروع الفقه الشافعي للإمام أبي حامد الغزالي (ت 505 هـ). قيل انه بلغ ستين مجلدا ولم يكمل⁽¹⁾ فأكملة غيره⁽²⁾ والمباحث⁽³⁾.

3- النفائس في هدم الكنائس. وهو مختصر علقه في رمضان سنة 707 هـ⁽⁴⁾.

4- الايضاح والتبيان في المكيال والميزان. وهي الرسالة التي تقوم بنشرها.

توفي ابن الرفعة في ثامن عشر شهر رجب سنة 710 هـ (10 كانون الاول 1310م)⁽⁵⁾. وقد أثنى عليه معاصروه ومؤرخو سيرته الثناء الجميل. فقال السبكي «شافعي الزمان، ومن ألفت إليه الأئمة مقاليد السلم والامان... ولقد كان عصره محشواً بالأئمة إلا إنها سلمت وأذعنت.. سار اسمه في مشارق الأرض ومغاربها وطار ذكره ملء حواضرها وبواديها وقفارها وسباسبها، ذو ذهن لا يدرك في سرعة الإدراك»⁽⁶⁾. ووصفه بمثل ذلك الأسنوي، وقال «كان أعجوبة في استحضار كلام الاصحاب لاسيما من غير مظانه، وأعجوبة في معرفة نصوص الشافعي، وأعجوبة في قوة التخريج، ديناً خيراً محسناً الى الطلبة»⁽⁷⁾. وقال الياضي «حامل لواء الشافعية في عصره.. أحد الأئمة الأجلة علماً وفقهاً وديانة»⁽⁸⁾.

الرسالة:

ألف ابن الرفعة رسالته جملة واحدة في اليوم الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ثلاث وسبع مائة، (7 تشرين الاول 1303م) وعنوانها ب (الايضاح والتبيان في المكيال والميزان)⁽⁹⁾ وربما كان للسجعة أثر في هذا العنوان، وإلا فإنه قدّم الكلام في الميزان على كلامه في المكيال، وألحق به فصلاً في الأطوال، لم يشير اليه في العنوان

(3) كشف الظنون 2008 وفي شذرات الذهب انه في نحو اربعين مجلدا.

(4) الدرر الكامنة 1/ 204.

(5) شذرات الذهب 6/ 22.

(6) كشف الظنون 1966.

(7) الدرر الكامنة ج 1 ص 204

(8) طبقات الشافعية الكبرى ج 5 ص 177

(9) الاسنوي: طبقات ج 1 ص 601

(10) الياضي: مرآة الجنان، بيروت 1970، ج 4 ص 249

(1) هذا العنوان هو الذي تحمله مخطوطته المحفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة. وفي

ايضاح المكنون 185/1 وهدية العارفين 1/ 102.

أيضاً. وقد وردت الإشارة الى هذه الرسالة بعنوانات شتى، فسمّاها صاحب الدرر الكامنة (حُكم المكيال والميزان)⁽¹⁾ ودعاها الذهبي (التبيان) فحسب⁽²⁾ ونوّه بها الأسنوي بقوله (وله تصنيف لطيف في الموازين والمكاييل والأطوال)⁽³⁾. وإن قيامه بالجمع بين هذه المسائل، في رسالة واحدة، يدل على ريادته في هذا المجال، إذ لم نعرثر على من سبقه في ذلك. ولا شك في أن رسالته هذه هي من أوائل الرسائل المعروفة في علم الأوزان والمكاييل والأطوال، ولا أدل على ذلك من أنه لم يعتمد في مصادره رسائل و كتب مُفردة في هذا العلم، وإنما رجع الى كتب الحديث الشريف والفقّه رأساً، وهي المصادر الأصلية للمعلومات من هذه الامور. وقد حاول التماس معلومات من كتب غيرهم، فصرّح بنقله من كتب الهندسة لأنه لم يرَ في كتب أصحابه من الفقهاء ما يشفي غليله. واعترف أيضاً بشحة المعلومات عن مسائل الأطوال، ولذلك فإن ما كتبه عنها جاء مبتسراً الى حد كبير.

وللرسالة جانب مهم آخر، فإن مؤلفها عُنَى بالبحث في الأوزان والمكاييل التي كانت معروفة في عصره، فحدّد العلاقة بين هذه المقاييس وما آلت اليه لدى معاصريه. ولا نشك في ان هذا التحديد هو هدف رسالته وغايتها، نظراً للتغيرات الكثيرة التي طرأت على هذه المقاييس في القرون الاخيرة، وبخاصة في عهد الأيوبيين والمماليك، مما استدعي البحث في شرعية ما أحدثته هذه التغيرات في أمور تتعلق بالمسائل الشرعية من زكاة وصدقة وإجارة وبيع وغيرها. ويظهر أن ابن الرفعة استفاد من منصبه كمُحتسب في تحديد تلك العلاقة، مستنداً الى ما وجده من مقاييس قديمة، كانت محفوظة في دار الحسبة بالقاهرة.

اعتمد ابن الرفعة على الكتب المؤلفة في فروع الفقّه الشافعي غالباً، وقد صرح بعنوانات بعض مصادره، وأغفل ذكر معظمها، مكتفياً بأسانيد مُرسلة كقوله (نقل بعض مشايخي) و (قالوا) و (قال بعضهم) و (ذكر الأصحاب) و (بعض الناس.. قال).

فمن المؤلفين الذين صرّح بأسمائهم، أو نوه بذكر عناوانات كتبهم، نذكر:

1- الإمام الشافعي (ت 204 هـ) في (الأم).

(2) 204/1.

(3) النقود العربية (حرره: انستاس الكرمل، القاهرة 1929). ص 76

(4) طبقات الشافعية 601/1.

- 2- إسماعيل بن يحيى المزني (ت 264هـ) في (مختصر الام).
- 3- علي بن محمد الماوردي (ت 450 هـ) في (الاحكام السلطانية).
- 4- ابراهيم بن علي الشيرازي (ت 476 هـ) في (المهذب في الفروع).
- 5- محمد بن هبة الله البندنجي (ت 495 هـ) في بعض كتبه.
- 6- صاحب البحر (ولعله عبد الواحد الروياني المتوفى سنة 502 هـ).
- 7- عبد الحق بن عطية المحاربي (ت 542 هـ).
- 8- عبد الكريم الرافعي (ت 623 هـ) في (المحرر).
- 9- عماد الدين عبد الرحمن ابن السكري (ت 624 هـ).
- 10- يحيى بن شرف النووي (ت 677 هـ) في (المجموع شرح المهذب).

ونظراً لأهمية رسالة ابن الرفعة وريادتها في موضوعها، فإنها أصبحت مصدراً لغير واحد من المؤلفين في علم النقود والاوزان والمكاييل، فنقل عنها المقرئزي (ت 845 هـ) نصاً طويلاً عن نسبة الحبة الى المتقال، والدرهم، وهذه النسبة مما انفرد به ابن الرفعة وإن كان قد ذكر أنه نقلها عن «بعض الناس»، وهي تمثل الأساس النظري الذي تستند اليه الأوزان الإسلامية الشرعية. كما نقلها عنه، او عن المقرئزي، مصطفى الذهبي الشافعي من أهل المائة الثالثة عشرة.

من الرسالة نسخة خطية، محفوظة في دار الكتب المصرية برقم (1140) فقه الشافعي)، وهي تقع في سبع اوراق. ومكتوبة بخط حسن معتاد، ولعلها مما يرقى الى القرن العاشر للهجرة.

وقد عمدنا عند تحقيق هذه الرسالة، الى التزام الامور التالية:

- 1- رجعنا الى ما أشار اليه المؤلف من كتب ورسائل فقابلناه على المخطوطة للثبوت من صحة النقل، وأشرنا الى أوجه الاختلاف في الهامش.
- 2- عرفنا -بإيجاز- بأعلام المؤلفين وغيرهم ممن أستند اليهم المؤلف في بحثه.
- 3- أعدنا حساب المسائل التي أشار اليها المؤلف وقابلنا ذلك على النتائج المتحصلة لديه، واثبتناه في مواضعه.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن
الرفعة الانصاري الشافعي رحمه الله:

الحمد لله على نعمه المتوالية على مر الزمان، الأمر عباده - خصوصاً أولى الأمر
منهم - بالعدل والإحسان، والمفضل الأمة الحنيفة المحمدية على سائر الأديان، والمانح
أهلها بما فيه قوام الدين من حفظ الأموال التي جعلها في الحرمة ما للأبدان، إذ
نهاهم عن التطفيف في المكيال لأنفسهم وأمرهم بالقسط في الميزان، أمراً خاصاً بعد
إذ هو من جملة الأمر بالعدل والاحسان، ليعلم تأكده في نظره تأكيداً يقتضي تقريره
في الاذهان. فقال عز من قال في محكم القرآن مقروناً برفع السماء المذكورة في
معرض الاستان⁽¹⁾: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8)
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)﴾⁽²⁾ [الرحمن]. وتوعد المطففين في
الكيل لأنفسهم والمخسرين عند استبقاء الغير بالويل وهو من أودية النيران⁽³⁾. والصلاة
والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد ولد عدنان الذي جاء بالبينات والهدى
والبرهان، وعلى آله وصحبه المثابرين إمتثال أوامر القرآن، المتجنبين من نواهيها وما
قاربها حذراً من الوقوع في الخسران، رضي الله عنهم أجمعين وعن التابعين لهم
باحسان الى يوم الدين.

أما بعد، فإنه وقع في هذا الزمان، وهو عام ثلاث وسبعمائة للهجرة النبوية⁽⁴⁾،
إختلاف بين أهله المتولين لبعض أمره ونهيه في شيء وقع فيه التماس الفتوى طلباً
للتزود بزاد التقوى، وهو بيان الذراع والكيل والوزن بياناً يبلغ فيه الغاية القصوى.
فأحببت أن اجمع في ذلك ما حضر لي من ما وقعت من كلام أصحابنا⁽⁵⁾ فيه، مع
نبذة من كلام غيرهم مستمسكا فيه - انشاء الله - بحبله الاقوى، مبتدئاً بأصل يبنى،

(1) كذا في الاصل.

(2) الرحمن، آية 7-9.

(3) يشير الى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا

كَالُوهُمْ أَوْ وُزُّوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَّا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4)﴾ [المطففين]

(4) تقابل سنة 1303 ميلادية.

(5) يريد اتباع مذهب الشافعي.

هو: أنه لا يجوز تغيير ما قرره الشرع من الكيل والوزن بنقص ولا بزيادة كما دلَّ على ذلك قول مَنْ أوجب علينا العبادة وأرشدنا⁽¹⁾ (و 12) بلطفه للافادة، وحضَّ على اتباع أوامره الظاهرة، وما دلت على أنه أراد.

قال الله تعالى في كتابه المبين حكاية عن شعيب المأمور بالأبرار والبنين: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾⁽²⁾ [هود]، قال ابن القشيري في تفسيره⁽³⁾: وليس يريد الله - سبحانه وتعالى - بذلك إيفاء ما يُكال ويوزن لأنه لم يقل: أوفوا بالمكيال والميزان: بل أراد: لا تتقصوا حجم المكيال والميزان عن المعهود. وكذلك الصنجات⁽⁴⁾. وهذا وإن كان شرعاً من قبلنا فأصول شرعنا تقتضيه، فإن الله تعالى علّق بكل من الكيل والوزن أحكاماً في الزكاة وغيرها. وفي تجويز تغييرها تعطيل لما ورد به الشرع من ذلك، ويصير مجهولاً لا يهتدي إليه من يعرف صورة الحال. وإذا بقي ذلك لحاله، على الوضع الذي تقرر في صدر الإسلام، بقيت نصب الشرع معلومة، وأحكامه محررة، يعرفها من عرف الاصطلاح الأول ومن لم يعرفه. وإذا دلَّ على ذلك أصول شرعنا كان موافقاً لما وردت به الآية حاكية عن شرع من قبلنا، فإقتضى الاحتجاج به إتفاقاً. على إنا نقول [لو]⁽⁵⁾ لم نجد في أصول شرعنا ما يؤيد ذلك لكان أظهر الوجهين في الحاوي أنه شرع لنا، بل هو الذي نص عليه الشافعي - رحمه الله - في (الأم) في كتاب الإجارة⁽⁶⁾.

(1) في الاصل: لارشدنا.

(2) هود: آية 85.

(3) لم نتأكد من هذا التفسير ومؤلفه. ولعله (التيسير في التفسير) لعبد الكريم بن هوزان القشيري (ت 465هـ) أو (تفسير القرآن) لابنه عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري (ت 514هـ) أو لعله لغيرهما من القشيريين.

(4) الصنّج، والصنجة من الفارسية: سنجة، وتعني الحجز والوزن، ويراد بها العيار، واتخذت من الزجاج، وعرف استعمال الصنّج أول الأمر من المعادن، كالبرونز والحديد، ثم لتقدير اوزان السكة على وجه التحديد. ويحمل الصنّج عادة رسوم وكتابات تتضمن اسم الامير الذي صنعت برسمه، وثقلها، وآيات والفاظ دينية.

انظر عبد الرحمن فهمي محمد: صنّج السكة في فجر الاسلام (القاهرة 1957).

(5) الزيادة يقتضيها السياق.

(6) (الاجارات) باب من كتاب (البيوع) وليس كتاباً مستقلاً، ولم نقف فيه على هذا النص (كتاب الام، بولاق 1221هـ، ص 520).

وإذا عرفت ذلك، إنتقلنا بعده الى ⁽¹⁾ المكيال والميزان، وبدأنا ⁽²⁾ بالميزان لأن منه، إذا عُرِف، يُعرف حال المكيال. فنقول: المتفق عليه من أصحابنا - فيما وقفت عليه من كلامهم- ان المثقال من حين وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام. وعبارة ابن داود انه لم يختلف في الاسلام. وكذلك قال الشافعي فيه مع الدرهم ما قال، كما ستعرفه. قال الشيخ محي الدين النووي ⁽³⁾ رحمه الله: وزنته ثنتان وسبعون شعيرة من حب الشعير الممتليء غير خارج عن مقادير الشعير غالباً، (و) ان يكون مقطوع منه ما دقَّ وطال من طرفي كل شعيرة كما قيده غيره -كما ستعرفه-.

وإذا كان كذلك ⁽⁴⁾ كان صنجه سبع مثاقيل تعدل من الشعير الموصوف خمس مائة حبة (و2ب) وأربع حبات. وبعض الناس لم يضبط المثقال بذلك بل بحب الخردل البري إذ قال ما معناه: (ان) ⁽⁵⁾ الذي اخترع الوزن في الجاهلية ⁽⁶⁾ بدأ بوضع المثقال فجعله ستين حبة، زنة كل حبة منها مائة حبة من حب الخردل البري المعتدل. وكان صفة وضعه لذلك إن جعل يوزن المائة حبة من الخردل البري المعتدل. وكان صفة وضعه لذلك ان جعل يوزن المائة حبة من الخردل صنجة، ثم جعل يوزنها مع الخردل

(1) لعل (في) زائدة.

(2) في الاصل: وبدأ.

(3) هو الشيخ يحيى بن شرف بن سري النووي دمشقي الشافعي، محي الدين (ت 677 هـ) ولم يشر المؤلف الى عنوان كتابه الذي نقل منه، ولكن يفهم مما أورده النووي في كتابه الكبير المسمى (شرح المذهب) (مطبعة الامام بمصر) ان له رأياً مخالفاً لما نقله ابن الرفعة، فقد نقل، اي النووي، (ج 6 ص 16) من كتاب الاحكام للحافظ ابي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الازدي راي ابن حزم وخلاصته أن دينار الذهب بمكة وزنه ثنتان وثمانون حبة وثلاثة اعشار حبة من حب الشعير وعشر عشر حبة، وقد أيد النووي هذا الراي، وشك فيما عداه. والظاهر أنه أيد في كتاب آخر له القول بانه يزن ثنتين وسبعين شعيرة، وهو ما وقف عليه ابن الرفعة ونقله هنا.

(4) في الاصل : خمس.

(5) ما بين القوسين يشبه لفظ المقريزي في شذور العقود في ذكر النقود (النجف 1967) ص 5 ولم يذكر كلاهما مصدره.

(6) في المقريزي (ان الذي اخترع الوزن في الدهر الاول) ونسب مصطفى الذهبي (كان حياً 1256 هـ) الى ابن الرفعة قوله ان مخترع الوزن من اليونان (تحرير الدرهم والمثقال والرتل والمكيال، نشره استاس الكرملي، في كتابه (النقود العربية وعلم النبات) القاهرة 1939، ص 77، وليس في رسالة ابن الرفعة هذه، ما يؤيد انه قال ذلك.

صنجة أخرى ثم أخرى، فبلغ مجموع الصنج خمسة⁽¹⁾ حبات⁽²⁾ فعمل بوزنها صنجة نصف سدس مثقال، ثم جمع كل ذلك⁽³⁾ وجعل يوزنه صنجة ثلث مثقال مُترَكَّب من ذلك نصف مثقال، ثم مثقالاً ثم مثقالين، ثم خمسة⁽⁴⁾ مثاقيل، ثم عشرة ثم هكذا الى الألف، فاذا المثقال عنده بحبات الخردل الموصوف ستة الاف حبة. وسبعة مثاقيل تكون إثنين وأربعون ألف حبة، وعددها⁽⁵⁾ يعسر، فكذلك لم تعد منها الا مائة، ثم عد بها الى الوزن ما عادلها).

واتفق جميع النقلة على أن السبعة مثاقيل تعدل وزن عشرة دراهم من دراهم الاسلام التي استقر عليها الحال حين اتفق على ضربها، ولفظ الشافعي في ذلك في الأم، في الجزء الثالث في باب صدقة الورق⁽⁶⁾ وكذلك في المختصر⁽⁷⁾، فاذا بلغ الورق خمسة أواق⁽⁸⁾، وذلك مائة درهم بدراهم الاسلام، وكل عشرة دراهم من دراهم الاسلام، وزن سبعة مثاقيل ذهباً، مثقال الاسلام. فيكون زنة كل درهم من الشعير الذي وصفناه⁽⁹⁾ - بحسب⁽¹⁰⁾ ما سلف - خمسين حبة وخمسي حبة. وقد صرح به الإمام الرافعي⁽¹¹⁾ في كتاب الطهارة⁽¹⁾ حيث قال: اشتهر عن ابي عبيد القاسم بن

(1) في الاصل: خمس.

(2) في المقرئزي: خمس صنجات.

(3) في المقرئزي: ثم اضعف وزنها، وهو الصحيح والاصح من ذلك لو انه قال: اضعف وزنها مرتين.

(4) في الاصل: خمس.

(5) في الاصل: وعددها.

(6) الام ج2 ص23 (بولاق 1321) ولفظه (وكل عشرة دراهم من دراهم الاسلام سبعة مثاقيل من ذهب بمثقال الاسلام).

(7) يريد مختصر كتاب الام تأليف اسماعيل بن يحيى المزني الشافعي (ت 264 هـ) وقد طبع على هامش الام من الطبعة البولاقية المشار اليها، وورد هذا النص في ج1 ص 234.

(8) يريد الأواق الشرعية الموجودة في مكة في صدر الاسلام، لا الموجودة في مصر في عهده، وتبلغ الاوقية الشرعية المذكورة وزناً يساوي 40 درهماً.

(9) في الاصل: وضعناه.

(10) في الاصل: بحب.

(11) هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني الشافعي (ت 623 هـ) وهو من كبار فقهاء الشافعية، وله تأليف في التاريخ والتراجم والحديث فضلاً عن الفقه. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى 119/5.

سلام⁽²⁾ عن ابن شريح ان درهم الشريعة خمسون حبة وخمسا حبة، ويسمى ذلك درهم الكيل لأن الرطل الشرعي منه يتركب، ويتركب من الرطل المد، ومن المد الصاع. قال: وقال الفقيه عبد الحق بن اسماعيل بن عطية⁽³⁾: إن الحبة التي يتركب منها الدرهم هي حبة الشعير المتوسط التي لم تُقشَّر وتقطع من طرفها ما امتد. قال صاحب البحر⁽⁴⁾ (وانما⁽⁵⁾ جعل كل عشرة بوزن سبعة مثاقيل من الذهب لأن الذهب أوزن من الفضة⁽⁶⁾، فكأنهم أخذوا حبة من الفضة ومثلها من الذهب بالمساحة ووزنوهما فكان وزن الذهب زائداً على وزن الفضة مثل ثلاثة أسباع) فلذلك جعلوا كل عشرة دراهم يعدل سبعة مثاقيل لأن ثلاثة أسباع الدرهم إذا أضيفت عليه بلغت مثقالاً، فالمثقال إذا نقصت منه ثلاثة أعشاره بقي درهماً⁽⁷⁾. قال ابن داود: والعشرة مثاقيل تكون أربعة عشر درهماً وسبعا درهم⁽⁸⁾.

-
- (1) لم يشر الى عنوان الكتاب الاصل، وكتاب الطهارة الذي ينقل منه قسم من ذلك الكتاب، وهو (المحرر) في الفقه من اشهر كتبه.
- (2) ليس لهذا القول اصل في كتاب الاموال لابن عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ) ولعله نقله من غير هذا الكتاب.
- (3) كذا سماه المؤلف، وورد اسمه في مراجع ترجمته: عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي (ت 542 هـ) وهو لقبه، اندلسي، من اهل غرناطة عارف بالاحكام والحديث، وله كتاب في التفسير وآخر في ذكر مروياته، ولا ندري من أيهما نقل المؤلف الرافعي. انظر الزركلي: الاعلام 53/4.
- (4) لم يشر الى هذا المؤلف باسمه، ويوجد غير كتاب عنوانه بلفظ (بحر...) واغلب الظن انه من كتب الفقه الشافعي، واشهر كتاب منها تنطبق عليه هذه الصفة (بحر الذهب) في الفروع للشيخ عبد الواحد بن اسماعيل الروياني الشافعي المتوفى سنة 502 هـ، وقد وصفه صاحب كشف الظنون (ص 226) بانه (بحر كاسمه).
- (5) ما بين القوسين منقول من كلام المسعودي (نقله الشيخ ابراهيم سليمان ابراهيم سليمان العاملي: الاوزان والمقادير (صور 1963) ص28)
- (6) يبلغ الوزن النوعي للذهب 19,3 والوزن النوعي للفضة 10,5 أي أن نسبة الوزن بينهما يمكن ان تقوم بـ (1:2) بينما تعتبر النسبة الشرعية العرفية هي (7:10) كما في النص، و (2:3) كما في اصول اخرى، والفرق بينهما يسير، فدرهم الفضة على اساس النسبة الاولى 2,97 غراماً، وهو على اساس النسبة الثانية 2,82 غراماً (فالترهننس: الاوزان والمكاييل الاسلامية من 10) وكلا النسبتين عرّف في لاينطبق على وزنيهما الحقيقيين.
- (7) في الاصل : درهم.
- (8) وتساوي على وجه الدقة 14,285714 من الدرهم.

وبعض الناس قال: إنما قيل أن كل سبعة مثاقيل تعدل عشرة دراهم، لأن الواضع للاوزان جعل الدرهم ستين حبة. لكنه قال: إن كل عشرة دراهم تعدل زنة سبعة مثاقيل، فلزم من ذلك أن يكون جعل كل حبة من حبات الخردل سبعين حبة. ومنها ركَّب الدرهم فما فوقه الى الالف كما تقدم قبله في المثقال⁽¹⁾، وقد رأيتُه في بعض كتب الهندسة ولم أره في كتب أصحابنا .

والضبط بحب الخردل أحسن من ضبطه بحب الشعير لقلة التفاوت فيه. وعلى الجملة فقد قالوا: إنه كان في الجاهلية دراهم مختلفة، طَبْرِيَّة، وهي منسوبة الى بلد طبرية⁽²⁾ كما يشير اليه كلام صاحب التهذيب في كتابه الاقرار - وبَغْلِيَّة، وهي منسوبة الى بلد يقال له رأس البغل⁽³⁾ وخوارزمية، وغير ذلك.

(1) انفرد المؤلف بنقله هذا النص، ولذلك فانه صرح بنقله إياه من غير كتب الفقه، وهي المعتمدة في مثل هذه المباحث. وتذهب نصوص فقهية عديدة الى أن زنة الدرهم الشرعي هي 48 حبة، باعتبار انه يتألف من 6 دوانيق زنة كل منها 8 حبات (انظر مثلاً العاملي: الاوزان والمقادير ص 32). وبما ان حاصل ضرب 60 x 100 (وهو عدد حبات القمح المساوية لوزن حبة خردل واحدة) يساوي 6000 فان هذا العدد يمثل عدد حبات القمح في المثقال نفسه، على ما تقدم. وقد حل المؤلف الاختلاف بين الروايتين بأن اعتبر أجزاء حبة الخردل 70 x 100 ليصبح حاصل ضربيهما 4200 وهو عدد حبات القمح في الدرهم الشرعي. ومن هذا نرى ان الحبة تمثل شيئاً يختلف اختلافاً كبيراً باعتبار وحدة الوزن، فهناك حبة بمعيار الفضة وأخرى بمعيار الذهب، وحبة من المثقال وغيرها من الدرهم الخ. وانظر دائرة المعارف الاسلامية، مادة (حبة) بقلم E.V. Zambaur .

(2) طبرية: بلدية مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية.. من اعمال الاردن في طرف الغور. والنسبة اليها طبراني، لا طبري، والاخير منسوب الى طبرستان في ايران (ياقوت: معجم البلدان 4/ 18) وعلى هذا استند الاب انسناس ماري الكرملني في نفيه ان تكون الدراهم مما ضرب في طبرية، مؤكداً ضربها في طبرستان (النقود العربية وعلم النميات ص 24) ويؤيد هذا الراي ان الدراهم كانت مما يضربه الفرس لا الروم، وكانت الاردن جزءاً من املاك الدولة الرومانية، التي يجري التعامل فيها بالدنانير لا الدراهم.

(3) اختلف المؤرخون في سبب هذه النسبة الغربية، فذهب بعضهم الى ما ذكره المؤلف، وزاد عليه ان البلدة اسمها بغلى، وهي قريبة من الحلة (الكرملني: النقود العربية ص 22 عن مجمع البحرين) واطاف آخرون انها (مدينة قديمة من بابل يقال لها بغل متصلة ببلد الجامعين، وجد فيها حفرة فيها دراهم واسعة) المقريزي: شذوذ العقود تعليقة السيد علي بحر العلوم ص 50 عن السرائر لابن ادريس) ولم اقف على خبر هذه المدينة، ومن الثابت أن البابليين لم يتعاملوا بالنقود اصلاً وانما بأوزان الفضة، فالظاهر اذن أنها نوع من الدراهم الفارسية القديمة المستعملة في العراق آنذاك، يؤيد هذا قول المقريزي (هي من دراهم فارس) وذهب آخرون (شذوذ العقود، تعليقة

وكانت زنة الطَّبْرية - فيما قاله بعضهم- ثمانية دوانيق، وفيما قاله الجمهور أربعة. وزنة البغلية، فيما قاله الأول: أربعة دوانق، وفيما قاله الجمهور في كتاب الإقرار⁽¹⁾ وغيره: ثمانية دوانق، وزنة الدرهم الخوارزمي أربعة دوانق ونصف.

قال أصحابنا⁽²⁾: وكان غالب ما يُتعامَل به من أنواع الدراهم في عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) والصدر الأول بعده، نوعان من أنواع الدراهم، الطبري والبغلي. قال البندنجي⁽³⁾ وصاحب البحر حكاية عن رواية ابي عبيد القاسم بن سلام⁽⁴⁾: وكانت الزكوة تُجَب في صدر الاسلام في هاتين منها، فلما كان في زمن بني أمية أرادوا ضرب الدراهم فنظروا في التعقب⁽⁵⁾، فان هم ضربوا احدهما بمفرده أضر ذلك بأرباب الأموال أو أهل السهمين من الزكوة، فجمعوا الدرهمين (و3ب) وقسموهما درهمين فخرج من ذلك كل درهم ستة دوانق).

والدائق على المشهور من حبات الشعير الموصوف ثمان وخمسا حبة⁽⁶⁾. وقد زعم

السيد بحر العلوم عن برهان قاطع والمصباح ص49) الى انها منسوبة الى رجل اسمه رأس البغل، قيل انه ملك (أو رأس) اليهود، وانه ضربها بعد ان بنى بيتاً للنار في بعض مدن فارس (كذا مع انه كان يهودياً لا مجوسياً) وهذا يدل على ان ضربه لها كان في عصر قبل الاسلام، ولكن تشير رواية اخرى (شدور 48) الى ان رأس البغل هذا كان ضرباً مشهوراً ضربها عمر بن الخطاب على سكة كسروية في الاسلام. ولم تقف على خبر لرأس البغل هذا، على اهمية منصبه وعمله، في غير هذه الاشارة. مما يرجح كونها موضوعة تماماً، ونص الرواية على أنها سكة كسروية يشير الى انها منسوبة الى كسرى الاول الساساني (521- 579 للميلاد) فتكون قد ضربت في ذلك العهد اصلاً، ويجوز ان عمر ضرب النقود على شكلها، فعرفت باسمها، ولكن ليست ثمة نماذج من هذه الدراهم في متاحف العالم اليوم (عبد الرحمن فهمي محمد: فجر السكة العربية 31).

(1) يريد بكتاب الاقرار احد الكتب التي تنقسم اليها المؤلفات الفقهية الباحثة في الفروع، ويحتوي عادة - على فصول ومباحث، وليس مؤلفاً بعينه.

(2) يريد الشافعية.

(3) هو محمد بن هبة الله بن ثابت البندنجي الشافعي، المعروف بفتيحه الحرم. ولد في البندنجين

(مندلي الحالية قرب بغداد) وصحب ابا اسحاق الشيرازي، وجاور بمكة نحواً من اربعين سنة،

وتوفي باليمن سنة 495 هـ، ومن آثاره (الجامع) و(المعتمد) وكلاهما في فروع الفقه الشافعي، ولا

نعرف من ايهما نقل المؤلف. الزركلي: الاعلام 7/355 وكحالة: معجم المؤلفين 12/89.

(4) الأموال ص 524.

(5) في العواقب.

(1) اشار الى هذا المقريري (شدور العقود ص5) وقد ذكر المؤلف قبل سطور ان الدرهم الشرعي

يساوي ستة دوانق، وكان قد ذكر سابقاً أن هذا الدرهم يساوي خمسون حبة شعير وخمسان،

بعضهم أن الدائق كالدينار لم يختلف في جاهلية ولا اسلام، ونسب مثل ذلك الى ابن شريح في الدراهم لكن المذهب فيه خلافه .

وقد اختلف في الجامع بين الدرهمين وقسمهما درهمين، فذكر الماوردي: انه عمر (رضي الله عنه)⁽¹⁾، وقال غيره: انه زياد ابن أبيه، وقيل الحجاج في زمان عبد الملك بن مروان⁽²⁾. وإذا عُرِف ذلك خلص منه أن المراد عند الاختلاف في زيادة المثقال والدرهم، وبعضها الى ما ذكر من العيار فيه يقع الاعتبار، وسنذكر من قصة الرشيد مع الامام مالك (رضي الله عنه) ما يؤيد بعض ذلك ان شاء الله تعالى.

واما القول في المكيال، فالمألوف منه في عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) محل إقامته كما جاءت به الأخبار، الى المد، والفرق والعرق، فالمد على ما ذكره أصحابنا زنته رطل وثلاث بالرطل البغدادي. وقد ذكر أصحابنا أن الخليفة الرشيد حج ومعه أبو سيف -رحمهما الله تعالى- فلما دخل المدينة -على ساكنها افضل الصلاة والسلام والرحم- جمع بينه وبين الإمام مالك فسأل أبو سيف مالكاً عن الصاع، فقال: خمسة أرطال وثلاث. فانكر أبو يوسف ذلك لأن أبا حنيفة رحمه الله يرى أنه ثمانية أرطال بحديث ورد فيه ضعف أصحابنا، وأولوه على تقدير صحته⁽³⁾، فاستدعى مالك رحمه الله اهل المدينة وسأل كل واحد منهم أن يحضر صاعه معه، فاجتمعوا ومع كل واحد منهم صاعه، يقول: هذا ورثته عن ابي، وحدثني أنه ورثه عن جدي، وأنه كان يخرج به

فاذا قسمنا هذا الرقم على ستة كان الناتج ما ذكره هنا وهو ثمان حبات وخمسان، وفي مصادر اخرى ان الدائق يساوي ثماني حبات حسب (العالمي: الاوزان والمقادير ص 33) فيكون الدرهم اذن 48 حبة.

(1) الماوردي: الاحكام السلطانية (مصر 1960) ص 153 .

(2) ذكر ذلك الماوردي ايضاً ص 154 .

(3) نقل ابن سلام عن أبي عبيد سبب رأي أهل العراق من أن الصاع ثمانية أرطال ([إنهم سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغتسل بصاع، وسمعوا في حديث آخر أنه كان يغتسل بثمانية أرطال] الأموال ص 519 لذا حاول هنتس التوفيق بين رأي أهل العراق (وهو رأي أبي حنيفة) ورأي أهل الحجاز (ومنه رأي مالك والشافعي) معتبراً أن الـ خمسة أرطال وثلاث رطل مدني (نسبة إلى المدينة) تساوي ثمانية أرطال بغدادية (المكاييل والأوزان الإسلامية ص 63) وبهذا فلا عبرة في تأكيده على أن الرطل البغدادي كان يساوي الرطل الشرعي (ص 35) لأنه ذكر في موضع آخر أن الرطل كان يزن في المدينة رطلاً بغدائياً ونصفاً، وإذا ضربنا خمسة أرطال وثلاثاً في واحد ونصف ظهر أن الناتج هو سبعة وخمسة وستون (ثمانية تقريباً) وهذا يعني أن سبب الإختلاف بين الروایتين هو عدم تحديد وزن الرطل نفسه.

زكاة الفطر الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فوزنه الرشيد فاذا هو خمسة ارطال وثلاث، فرجع ابو يوسف الى هذا لظهوره واشتهاره في المدينة فعم.

واختلف النقلة في الرطل البغدادي، قيل: انه مائة وثمانية وعشرون درهماً، وقيل مائة وثمانية وعشرون واربعة اسباع درهم، وهذا الذي صححه النووي⁽¹⁾، وقيل مائة وثلاثون درهماً وهو الذي تقتضيه امداد الشيخ الامام ابي اسحاق صاحب المذهب⁽²⁾ والمصحح عند غيره، وهو الذي تقوى في النفس صحته بحسب التجربة، لأنه أحضر الى من يوثق به من الفقهاء العدول الورعين مُدّاً من خشب مخروط لم يتشقق ولم يسقط منه شيء، وأخبرني أنه عايره على مد الشيخ الامام العلامة محب الدين الطبري⁽³⁾ شيخ الحرم الشريف بمكة -حرسها الله تعالى- في وقته، وان الشيخ محب الدين المذكور ذكر انه عايره على مُد صحيح عنده بالسندانة معايير على ما عُوير به النبي (صلى الله عليه وسلم)، فامتحنه بما قال بعض أصحابنا وغيرهم ان به يقع المعيار وهو الماش والعدس، فوجدت كيله بهما⁽⁴⁾ يزيد عن الماش زيادة كثيرة يغلب على الظن أن القول فيه شيء، اللهم إلا أن يكون الماش والعدس بالبلاد المصرية أثقل من ذلك في غيرها، فيكون الخلل حصل في ذلك، ويبعدُ كل البعد أن يكون الرشيد قد عاير الصيعان المُحضرة اليه بذلك، لفقدان الجنسين⁽⁵⁾ في المدينة في الصدر الاول، كما دلت عليه الأخبار، ولأجل ذلك اعتبر من المُد⁽⁶⁾ المذكور بالشعير الصعيدي المُغربل المُنقى من الطين، وان كان فيه حبات من القمح يسيرة فصح الوزن المذكور به لكن من غير فرك الشعير ولا إسقاط شيء من جرمه، فكيل المُد المذكور ثم وُزن فجاء زنته

-
- (1) النووي، يحيى بن شرف الدمشقي الشافعي في كتابه (المجموع شرح المذهب) ج 6 ص 16.
 - (2) يريد الشيخ ابي اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشافعي المتوفى سنة 476هـ، وهو من اشهر فقهاء الشافعية في عصره، وولي تدريس النظامية ببغداد، وله كتب مهمة، منها (المذهب في الفروع) وقد طبع. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى 2/88.
 - (3) احمد بن عبد الله بن محمد الطبري المكي الشافعي، محب الدين، ابو العباس. فقيه له تأليف عديدة في علوم القرآن والحديث والفقه والسيرة، ولد بمكة سنة 615 هـ وتوفي بها سنة 694 هـ. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (القاهرة 1956) ج 1 ص 320.
 - (4) ربما كان من الصواب قوله: فوجدت كيله بهما يزيد على الشعير.
 - (5) يريد العدس والماش.
 - (6) كذا في الأصل، ولا وجه ل(من) هنا. (55) اي بالدرهم المصري.

ماية وثلاثة وسبعون درهماً وثلاث درهم بالمصري⁽¹⁾، ثم وزن من الشعير المقدار المذكور ووضع في المد المذكور فكان تقديره عن غير زيادة عليه، وكان ذلك بحضرة جماعة من أهل العلم الاخيار، فقرحت بذلك وفرحوا فرحاً شديداً. ومنه يظهر صحة قول من ادعى ان الرطل البغدادي مائة وثلاثون درهماً⁽²⁾، وبه يظهر أيضاً صحة صنع الدرهم الموجودة حينئذ بمصر المحروسة⁽³⁾. وان الذي يقع به العيار الشعير الصعيدي وما هو مثله في الحبة لا ما قيل من العدس والماش وغيرهما، والله اعلم.

واما الفرق -بالفاء- وتحريك الراء واسكانها- فهو ستة عشر رطلاً (و 4 ب) كما قاله العيني⁽⁴⁾ في كتاب الأشربة⁽⁵⁾، وأراد بالرطل الرطل البغدادي لانه جاء في رواية ابي داود في حديث كعب بن عجرة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال له: أو أطمع⁽⁶⁾ ستة مساكين فرقاً من زبيب⁽⁷⁾. وجاء في رواية البخاري ومسلم: أو اطعم⁽⁸⁾ ثلاثة

(1) اعتمد المؤلف في تجربته هذه على قاعدة ان المد يساوي رطلاً وثلاثاً، (من الشعير) ربما ان وزن المد $\frac{1}{21}$ 173 درهماً شرعياً على ما تأكد لديه عملياً، فانه طرح منه ثلثه، فكان الناتج هو 120 درهماً بالضبط. وقد اثبتت الدراسات الحديثة لصنع الدراهم المكتشفة (هنتس ص 11) ان وزن درهم الكيل الشرعي الواحد 125/غراما، فيكون وزن الرطل الشرعي هو 4,6,25 غراماً.

(2) تصريح المؤلف بتطابق وزني الدرهمين الشرعي والمصري في ايامه على ما اثبتته التجربة، يدل على استمرار العمل بالدرهم الشرعي حتى القرن الثامن للهجرة (16 م) في الاقل، على الرغم من تحديد الدرهم المصري في العهد الفاطمي ب 3,123 غراما ولا ندري الى عهد استمر الاخذ بالوزن الشرعي المذكور، الا ان الوزن الفاطمي هو الذي استمر في النهاية حيث يزن الدرهم في الوقت الحاضر حسب تقويم الحكومة المصرية الرسمي 2/12 غراما. (انظر المصدر المذكور ص12).

(3) هو محمود بن احمد بن موسى العيني الحنفي، بدر الدين (ولد سنة 762هـ، وتوفي سنة 855هـ) من كبار مؤرخي عصره ومحدثيه وفقهائه، وله مؤلفات شتى. انظر الزركلي: الاعلام 28/8 وكحالة: معجم المؤلفين 150/12.

(4) كتاب الاشربة احد اقسام كتابه الكبير الذي عنوانه (عمدة القاري في شرح البخاري) وهو مرتب بحسب كتاب صحيح البخاري وأبوابه.

(5) في الاصل: أو طعم.

(6) الاموال ص 520 وفيه: فرقاً من طعام.

(7) في الاصل: فدل على ذلك.

(8) صحيح مسلم، كتاب الحيض 41 والحج 83,82 وصحيح البخاري 6 واحمد بن حنبل 116/2.

أصح. فدل ذلك⁽¹⁾ على أن الفرق ثلاثة أصح⁽²⁾ إذ القصة واحدة، والثلاثة أصح⁽³⁾ أو ستة عشر رطلاً بالبغدادي⁽⁴⁾ كما ذكرناه والله اعلم.

وأما العرق -بالعين- فإنه ستون مداً⁽⁵⁾ أو خمسة عشر صاعاً، كما دل عليه حديث الأعرابي الذي جامع أهله في رمضان⁽⁶⁾.

وأما الأردب فلم يكن - فيما نعلمه- في محل إقامة النبي (صلى الله عليه وسلم)، بل هو من مكابيل مصر. قال صلى الله عليه فيما خرجه مسلم عن أبي هريرة⁽⁷⁾، منعت العراق درهمها وقفيها، ومنعت الشام مدها ودينارها -وهو بضم الميم واسكان الدال- ومنعت مصر أردبها ودينارها: وعدتم من حيث بدأتم، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه، وبهذا الخبر قال الامام في باب الشرط الذي يفسد البيع⁽⁸⁾: انه مكيال من مكابيل مصر، واللفظ من لغة أهله. وقيل: انه يسع⁽⁹⁾ اربعة وعشرين صاعاً،

(1) زيادة يقتضيها السياق.

(2) في سنن أبي داود، كتاب الطهارة 96: الفرق ستة عشر رطلاً.

(3) زيادة يقتضيها السياق.

(4) البخاري: صوم 30 نفقات 13 أدب 68، 95، الكفارات 2، 4 مسلم: صيام 91 أبو داود: صوم 27، طلاق 17 الدارمي: صوم 19 الموطأ 28، 29 ابن حنبل 208/2، وفي تحديد وزن العرق اختلافات اجملها القسطلاني في شرحه لصحيح البخاري بقوله (زاد ابن أبي حفصة فيه خمسة عشر صاعاً وفي حديث عائشة عنه ابن خزيمة فأتى بعرق فيه عشرون صاعاً، وفي مرسَل عطاء عند مسند: فأمر له ببعضه وهو يجمع بين الروايات، فمن قال: عشرين، اراد اصل ما كان فيه. ومن قال خمسة عشر اراد قدر ماتق به الكفارة. قال أبو هريرة أو الزهري أو غيره (والعراق المكتا) بكسر الميم وفتح القوفية: الزنبيل الكبير يسع خمسة عشر صاعاً). ارشاد الساري الى صحيح البخاري 306/2.

(5) مسلم: الفتن 32، أبو داود: الامارة 29.

(6) لم نتأكد من اسم الامام الذي اراد، واطلاق لفظ الامام الشافعي صاحب المذهب، والكتاب هو كتابه (الام)، ورغم ذلك فليس في هذا الكتاب (كتاب البيوع) مثل هذا النص، أو باب يحمل هذا العنوان.

(7) في الاصل: بيع.

(8) يريد في القاهرة دون غيرها من مدن مصر في عهده، فان القلقشندي اشار الى وجود عدد من الأردب في المدن المصرية، تتفاوت في سعتها تفاوتاً بينا. قال (وينواحيها بالوجهين القبلى والبحري أردب متفاوتة يبلغ مقدار الاربد في بعضها احدى عشرة ويبة بالمصري فاكثر) (صبح الاعشى في صناعة الانشا) 441/34.

(2) اي ارباع الوبيه.

والنووي اطلق حكاية ذلك، والتجربة تقتضي خلاف ذلك، فالاردب عندنا⁽¹⁾ ست وبيات، وكل ويبة أربعة ارباع⁽²⁾، فجملته أربعة وعشرين رُبْعاً، والرُبْع أكثر من الصاع بأكثر من الثلث ثلثين⁽³⁾. بل نقل بعض مشايخي⁽⁴⁾ رحمه الله عن قاضي القضاة سيد المتورعين عمادالدين بن السكري⁽⁵⁾ رحمه الله، حين كان يخطب بمصر خطبة الفطر، انه يقول في ضمنها: والصاع قد حان بأقداحكم هذه سالماً من الطين والعيب والفلت⁽⁶⁾، ولا يجري في بلدكم هذا الا القمح. لكن لما حضرنا من المد المتقدم ذكره الابيان⁽⁷⁾ منه أكبر كيلاً من القدح.

بل أحضر إلى أمداد آخر يذكر أهلها (انها)⁽⁸⁾ معايرة على ما عير على مد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فوجدت زيادة على المذكور، ومع ذلك لا تبلغ اربعة منها ربع وبيه بل تنقص بعضها كثيراً.

ووجدت في دار الحسبة بمصر حين وليتها⁽⁹⁾ كيلاً من نحاس مُفرغ واحدة⁽¹⁰⁾ (و 15) منقوش على دائره في ضمن سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم، عمل في ايام

(1) يريد الصاع الشرعي كما سيأتي.

(2) في الاصل : مشايخ

(3) هو عبد الرحمن بن عبد العلي المصري الشافعي المعروف بابن السكري، ولد بمصر سنة 503 وولي القضاء بالقاهرة وخطابتها، وحدث وافتي ودرس، وتوفي في سنة 624هـ ومن اثاره شرح صحيح مسلم، وغيره. كحالة: معجم المؤلفين 144/5.

(4) الفلت: لغة في غلط، وهو في الحساب خاصة (تاج العروس).

(5) الابيان: جمع ويبة.

(6) في الاصل: ان.

(7) الاصل: وليها.

(8) لعله يريد داخله.

(9) يريد الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين يوسف الايوبي بدأ حكمه نائباً عن ابيه في مصر، وعند وفاة ابيه بدمشق، استقل بملك مصر سنة 589 ودام في الحكم حتى وفاته سنة 595 هـ. ابن خلكان: وفيات الاعيان 214/1 وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 120/6.

(3) كذا في الاصل، وهو لا يتفق مع تاريخ ملك العزيز المذكور، لانه تولى الحكم بمصر سنة 589 كما ذكرنا، ويبعد ان يكون هذا في اثناء نيابته عن ابيه لانه ولد سنة 567 هـ، فيكون عمره في سنة عمل الكيل اربع سنين، ولم يكن قد عهد اليه بشيء آنذاك، ومن المحتمل ان يكون التاريخ الصحيح هو: سنة احدى وتسعين وخمس مائة.

الملك العزيز⁽¹⁾ خلد الله ملكه برسم الفقيه الامام العالم الزاهد شهاب الدين متولي حسبة المسلمين أعز الله احكامه. عُرِّ هذا المد على صاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، حرر على الاصل المُحَقَّق اعتبر بالماء الصافي فوافق وزنه بالماء ثلاثمائة وسبعة وثلاثين درهماً، وذلك بتاريخ الثامن من ربيع الاول سنة احد وسبعين وخمس مائة⁽²⁾.

والأردب المصري منه⁽³⁾ ويبة بالمصري والاردب منه يكون مائة واربعة وأربعين كيلاً⁽⁴⁾.

ووقع في نفسي أنه انما جعل⁽⁵⁾ (كذلك)⁽⁶⁾ لتكون نسبته من الأردب نسبة الدرهم من الرطل المصري اذ هو مائة واربعة درهما [او] اثنا عشر اوقية، كل اوقية اثنا عشر درهما، قال بعضهم: واتفق الناس على ان الرطل اثنا عشر اوقية وانما اختلفوا في قدر الأوقية ماهو، والله اعلم.

[الأطوال]⁽⁷⁾

وأما الذراع فلما أظفر به مُبيناً في كلام أصحابنا إلا في مسألة القصر⁽¹⁾، اذ قالوا: هي اربع بُرد، كل برید - على المشهور- اربع⁽²⁾ فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال بالهاشمي، ومجموع ذلك ثمانية واربعون.

(1) الضمير عائد الى المد.

(2) الضمير عائد الى المد ايضاً، وهذا يعني ان الويبة = 16 قدماً، وهو ما تجمع عليه المصادر: انظر هنتس.

(3) ايضاح ذلك: ان المد = $\frac{2}{3}$ قدح، فكان المد الشرعي المذكور يملئ بالحبوب، ويزاد عليه ثلثه فيحصل القدح، وبما ان الويبة = 16 قدحا، فان مضروب هذا العدد في عدد وبيات الاردب الواحد وهو = 6 = 16 قدحا في الاردب (وهو ما تؤكد المصادر ايضاً) وبما ان الاردب = 144 كيلة يكون القدح = $\frac{1}{5}$ كيلة، وتكون الويبة الواحدة = 24 كيلة. وربع الويبة = 6 كيلات. وقد تقدم قول المؤلف ان ربع الويبة يزيد على الصاع = 4 امداد، والمد $\frac{2}{3}$ قدح - كما تقدم - يكون الصاع الواحد = 2,6 قدحاً، بينما الربع = 4 اقداح، وهو يتفق مع نسبة الصاع من الربع التي ذكرها المؤلف تماماً.

(4) في الاصل: يجمل.

(5) زيادة يقتضيها السياق.

(6) اي مسألة السفر الذي يجوز فيه قصر الصلاة، وهي من المسائل التي تكلم عنها الفقهاء لتعلقها بامور العبادات.

(7) هذا العنوان من عندنا، ولم يشر إليه في عنوان الرسالة.

والميل الهاشمي منسوب الى هاشم بن عبد مناف بن قصي جد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانه الذي قدر أميال البادية وبردها، وهو بالخطى أربعة الاف خطوة⁽³⁾، كل خطوة ثلاثة اقدام، فالميل إذاً اثنا عشر الف قدم، وهو بالأذرع ستة الاف ذراع⁽⁴⁾، كل ذراع أربعة وعشرين اصبعاً معترضات، والاصبع ست شعرات، او ست شعرات من شعر البغل لأنها مناسبة. ولم يذكر الاصحاب مثل ذلك حيث تكلموا في ضبط الدرهم والمثقال بالشعير لأن العمدة تتم على الوزن، والعمدة هنا على المساحة، وهي تتضبط بشعر البغل، ومن ذلك يؤخذ الذراع عند النزاع في قدره. وقد ذكر الأصحاب الذراع في المسابقة لانه جاء ذكره في الخبر فيها. وذكره أيضاً في ضبط القلتين من الماء اذا اريد معرفتها في الارض من غير وزن. وتعرض له بعضهم في باب خراج السواد في ضبط الأجرية، وغير ذلك، لكنهم لم يتعرضوا لضبطه الا في الموضع الذي ذكرته والله اعلم بالصواب فيما ذكرناه وغيره. واليه المرجع والمآب.

قال المصنف رحمه الله: وكان تعليق هذه بجملتها في ليلة يسفر صباحها عن سادس عشرين شهر صفر سنة ثلاث وسبع مائة. وقد علقه لسيدنا ومولانا القاضي منصور بن سيد القباني غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

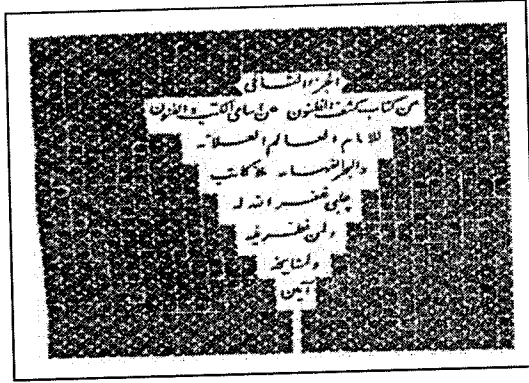
(1) كذا والصواب : اربعة .

(2) اختلف الاقدمون بشأن تحديد الميل واجزائه، ونقل ياقوت في معجم البلدان (1/36 دار صادر بيروت 1965) شيئاً من اختلافهم، وخلاصته ان بعضهم رأى ان الميل = 400 ذراع (الذراع 24 اصبعاً) ورأى اخرون 2333 خطوة باعتبار ان الفرسخ 7000 خطوة.

(7) لم يتعرض القدماء الى تحديد الخطوة بخلاف الذراع، وقد حدد المؤلف هنا نسبتها الى الذراع، فالميل = 4000 خطوة في تقديره، وهو = 6000 ذراع، او 12000 قدم، وهذا يعني ان الخطوة = 1/5 ذراع والذراع الواحد = 2 قدم.

(4) في الاصل : القضاي

نسخة غير معروفة من كشف الظنون يختصرها بغداداي من القرن الثالث عشر



لم يُنل كتاب بيليوغرافيا في عربي من الشهرة والثقة، منذ أن ألف ابن النديم (فهرسته) في القرن الثالث عشر للهجرة، ما ناله كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لمصطفى بن عبد الله المعروف بالحاج خليفة وبكاتب جلبي (المتوفى في القسطنطينية سنة 1067هـ/1656م). وعلى الرغم من أن محاولات مختلفة سبقت تأليف الحاج خليفة كتابه هذا، فإن الكتاب جاء نقلة كبيرة وواضحة في مجالات علم البيليوغرافيا. وذلك لما حشد به مؤلفه من عنوانات جمهرة ضخمة من الكتب والرسائل، وبما ألزم به نفسه من وصفها، وذكر مؤلفيها، وشرأحها، ومُحشّيها، وما عليها من علامات فارقة، كالعبارات التي تبتدئ بها أوائلها، وبعض من خطبها، وتحديد فنونها، وتقويم لبعضها، حتى غدا لا يستغني عنه محقق أو مفهرس، أو أي باحث في مجال تصنيف الكتب والمكتبات، ويمكن القول بأنه أول وليد لهذا العلم الحيوي يحمل سمات العصر الحديث، دقة وضبطاً وإحاطة.

وكان من آثار اهتمام الباحثين بهذا الكتاب، تعدد تذييلاتهم عليه، واستدراكاتهم ما فاته من عنوانات الكتب والرسائل المختلفة، أمثال حسن العباسي النبهاني الحلبي (1096هـ/1685م) ومحمد عزتي الإسلامبولي زاده (ت 1092هـ/1681م)، ونوعي أفندي (ت 1201هـ/1786م)، وأحمد طاهر حنفي زاده (ت 1217هـ/1802م)، ومحمد الأضروملي، وعارف حكمت (ت 1275هـ/1858م)، وإسماعيل باشا البغدادي (ت 1339هـ/1920م)⁽¹⁾.

(1) شهاب الدين النجفي المرعشي: مقدمة كشف الظنون (ط3 المط الإسلامية 1947).

ومن الباحثين الذين أولوا الكتاب عنايتهم، عالم بغدادي من أهل القرن الثالث عشر للهجرة (القرن التاسع عشر للميلاد)، دعا نفسه بـ (الحاج لطف الله بن عبد الله الخزندار)، وليست لدينا معلومات كافية عن حياة هذا العالم، إلا أننا نعلم أنه كان من فئة المماليك ببغداد، الذين استجلبوا إليها من جورجيا ليعملوا في الجيش والإدارة، وتوصلوا إلى حكم بغداد وتوابعها منذ سنة 1162هـ/1748م إلى سنة 1247هـ/1831م، ومنهم من نال حظاً جيداً من التعليم، ذلك إنه وصف نفسه بالكوله عند تملكه أحد المخطوطات⁽¹⁾، وهي كلمة تركية بمعنى المملوك، كما أننا نعلم أنه زار استانبول في بعض شؤونه سنة 1230هـ/1814م بدلالة شرائه مخطوطة منها في ذلك العام⁽²⁾، ثم قصد مكة حاجاً لتلقيه نفسه بعد ذلك التاريخ بالحاج، وأنه تولى منصب (خزندار) في حكومة المماليك على عهد والي بغداد محمد سعيد باشا (1228-1232هـ/1812-1816م) لإشارته إلى ذلك على ظهر بعض مخطوطاته⁽³⁾، ومنصب كهذا كان كفيلاً بتيسير سبل معيشة مريحة، لذا فقد كان لا يبخل في الانفاق على شراء الكتب، من ذلك أنه سجل على مخطوط اشتراه من استانبول قيمته⁽⁴⁾، وتبلغ 160 قرشاً رومياً، وهي قيمة عالية جداً قياساً إلى مستوى أسعار ذلك العصر. ولا نعلم تاريخ وفاته، إلا أنه كان حياً سنة 1245هـ/1829م، فإنه فرغ من تأليف بعض كتبه في هذا العام⁽⁵⁾.

(1) كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج5 (بغداد 1980) ص116.

(2) الآثار الخطية ج2 (بغداد 1977) ص87.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه. وعنوان المخطوط (رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق) لمحمود بن أحمد بدر الدين العيني الحنفي.

(5) عبد الله الجبوري: فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد، بغداد 1974، ج5 ص297 ويختلف مفهرسو كتبه في تحديد تاريخ وفاته، فهي تارة بعد سنة 1239هـ/1823م (أسامة النقشبندي: مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي، بغداد 1981، ص171) وأخرى سنة 1243 (عبد الله الجبوري: المصدر نفسه ج1 ص427)، وفي تذكرة الشعراء تأليف عبد القادر الشهرآباني، بنحقيقنا، بغداد 2002، ترجمة لرجل اسمه لطف الله أفندي المكتوبي، ولد سنة 1241هـ/1797م وأخذ العلم عن داود (باشا فيما بعد) فظهر نبوغه، فلما تولى داود ولاية بغداد عينه بمنصب مكتوبي (كاتباً للديوان) فاستمر كذلك حتى وفاته في الطاعون سنة 1241هـ/1825م. وفي مختصر لهذا الكتاب تحقيق الأب أنستاس ماري الكرمل، بغداد 1936 ص37 ترجمة للرجل نفسه، لا تخرج عما أورده صاحب الأصل، إلا أنه ذكر أنه توفي في الطاعون الذي داهم بغداد سنة 1246هـ/1830م وعلى الرغم من تعاصر صاحبي الترجمتين واشتغالهما في خدمة رجل وال واحد، فإننا نستبعد كونهما رجلاً واحداً، وذلك لأن مؤلف تذكرة

واهتمامات الخزندار العلمية متنوعة، تشهد له بذلك مؤلفاته الباقية، فمما وصلنا من آثاره كتابه (زبدة الطب) وهو في الأمراض والعلاجات، ويقع في 210 ورقة، فرغ منه في بغداد سنة 1239هـ/1823م⁽¹⁾، وكتابه (خزانات الروايات) في الفقه الحنفي، وهو في مجلدين كبيرين عدد أوراقهما 785 ورقة، فرغ من تصنيفه في شعبان 1243هـ/1827م، ويظهر منه أنه كان من أتباع مذهب الإمام أبي حنيفة، ويدل هذان الكتابان على طول باعه في البحث ودقته في ضبط الروايات وحسن اطلاعه عليها باللغتين العربية والتركية.

وقد تجلّى اهتمامه بعلم الببليوغرافيا بتأليفه مختصراً دقيقاً لكتاب كشف الظنون للحاج خليفة، وهذا المختصر هو موضوع دراستنا هذه⁽²⁾، ومن الملاحظ أن الكتاب، كسابقه، لم ينل اهتمام أحد من الباحثين، مع أنه خليق بالعناية نظراً لما يحتويه من فوائد جمّة.

ويفهم مما أورده في مقدمة كتابه أنه ألفه تلبية لرغبة أحد كبار رجال عصره، ولا يستبعد أنه عنى والي بغداد آنذاك داود باشا (1232-1247هـ/1816-1831م)، فإنه كان موظفاً عنده، قال «قد سألتني بعض من لا يسعني مخالفته ولا يمكنني مدافعتي أن استخرج من كتاب كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون لكتاب جلبي الرومي الإسلامبولي نبذة يسيرة فيما بكتب الفقه والنحو والصرف والتفسير والتواريخ وغيرها على ترتيب حروف الهجاء، فأجبتة إلى ذلك». وليس ببعيد أن يكون قد اقتنى نسخة من الكشف في أثناء إقامته باستانبول سنة 1230هـ/1814م، لكننا لم نقف على هذه النسخة في خزائن المخطوطات في بغداد، وكان تاريخ إنجازها لهذا العمل سنة 1244هـ/1828م على ما صرح بذلك في آخر النسخة الوحيدة من الكتاب، المحفوظة في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد، وهي مسوّدته بخطه، حيث قال «وفرغت من تسويده سنة ألف ومايتين وأربع وأربعين من الهجرة النبوية عليه أفضل الصلوة وأكمل التحية».

وعلى الرغم من تصريح المؤلف بأن عمله لم يكن يتجاوز استخراج نبذة من الأصل، أي تلخيصه، نافياً بذلك أي إضافة من نفسه، فإن مقابلتنا المختصر الذي

الشعراء نص على اسم أبي لطفي وهو أبو بكر المفتي الكركوكي، وأبو الخزندار كان مملوكاً على ما مر بنا ولا نستبعد أن يكون الرجلان قد توفيا في أثناء طاعون 1246هـ المذكور.

(1) مكتبة المتحف العراقي برقم 12385.

(2) يوجد تحت العدد 1778.

وضعه على الأصل المطبوع، أظهرت لنا جملة من اختلافات مهمة بينهما، مما يبعث على الظن أحد الاحتمالين الآتيين:

الأول: أن تكون هذه الاختلافات، وبضمنها إضافات، من عمل المُختصر البغدادي، أصلح بها الأصل، وأضاف عليه، بما اتصل به من معلومات في هذا المجال.

الثاني: أن تكون النسخة التي اعتمدها الخزندار تختلف بعض الاختلاف عن النسخ الخطية التي اعتمدها طابعو كشف الظنون.

والاحتمال الأخير أدنى إلى الصواب، وذلك لأن مؤلف المختصر لم يُشر -مطلقاً- إلى نيته وضع أية إضافة أو تعليق، بل أن هذه الإضافات وغيرها من تغييرات جاءت ضمن متن الكتاب ووفقاً لسياقه، وليس فيها ما يشعر بأنها مُدخلة على نصه.

ومن ناحية أخرى، فإن إشارة مؤلف المختصر إلى خطته في استخراج ما كتب في الفنون المختلفة «على ترتيب حروف الهجاء» قد يفهم منها أن النسخة التي اعتمدها من كشف الظنون لم تكن كذلك، أي غير مرتبة على الحروف أصلاً، وبما أن النسخة المطبوعة مرتبة على هذا الأساس فعلاً، فينبغي إذن أن تكون النسخة التي اعتمدها المؤلف البغدادي هي غير النسخ التي اعتمدها طابعو الكتاب فيما بعد⁽¹⁾.

وسوف نورد فيما يأتي نماذج مما تحفل به النسخة الخطية التي اعتمدها لطف الله الخزندار ببغداد، من زيادات وتعليقات وتغييرات، لا وجود لها في النسخة المطبوعة من هذا الكتاب البيلوغرافي المهم.

رأس مال النديم	رأس مال النديم للفاضل العريق أبي العباس أحمد بن علي بن بانه، وهو كتاب لطيف صغير الحجم كثير الفوائد، جمعت فيه أحسن الأخبار وعيون الأحاديث والأشياء المتشاكلة والمضاده والاتفاقات العجيبة والأمور الغريبة بما لا يستغني العالم المبرز عن معرفته ويتجمل به الأديب الفاضل في صناعته ويتزين بمعرفته النديم ويحاضر بذكره السميع
----------------	---

(1) طبع كشف الظنون في بولاق سنة 1274هـ/1857م، ثم في لايبزك ولندن باعتناء فلوكل سنة 1300هـ/1882م وفي استانبول سنة 1313هـ/1895م وسنة 1320هـ/1902م وسنة 1360هـ/1941م، وأعيد طبعه بالأوفسيت سنة 1387هـ/1967م.

المتوفى سنة 285	طبقات النحاة.. أول من صنف فيه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحو المتوفى سنة ست وثمانين ومايتين
لا وجود لهذه المادة	الكلمات الشريفة في تنزيه أبي حنيفة عن الترهات السخيفة للعالم نوح بن مصطفى الحنفي، أوله: الحمد لله الذي يقول الحق، ذكر فيه أنه سأل بعض إحيائه القونوي عما ذكر في وفيات الأعيان في حق مذهبه. فأجاب بأنه مكذب علي القفال نقلاً عن المغيث لإمام الحرمين فصنف في رده وبيان كذبه
المتوفى سنة 923 ثلاث وعشرين وتسعمائة	لطائف الإشارات.. للشيخ أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المتوفى سنة اثني وعشرين وتسعمائة
.. المتوفى سنة تسع وخمسين وثمانمائة	المرقاة الوفية في طبقات الحنفية للشيخ مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي المتوفى سنة 817 سبع عشرة وثمانمائة
المتوفى سنة تسع وتسعين وأربعمائة	المستتير في القراءات العشر البواهير لأبي طاهر ابن سوار أحمد بن علي البغدادي المتوفى سنة ست وتسعين وأربعمائة
وتوفي سنة 875 خمس وسبعين وثمانمائة	المصباح في النحو. وتوفي [علاء الدين علي بن محمد البسطامي] سنة إحدى وسبعين وثمانمائة
المتوفى سنة 338 ثمان وثلاثين وثلثمائة	معاني القرآن.. وأبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة 328 ثمان وعشرين وثلثمائة
وشرحه أحمد بن محمد الحلبي المعروف بابن الملا المتوفى في حدود سنة 99 تسعين وتسعمائة 1003	مغني اللبيب.. ومن شروحه شرح العالم أحمد بن الملا محمد الحلبي المتوفى سنة تسع وسبعين وتسعمائة
شرحه المولى شمعي ألفه	منطق الطير.. شرحه مولانا شمعي ألفه لاستدعاء

لاستدعاء حسن آغا المعروف بطرنقجي آغا المتوفى سنة 1005 خمس وألف وكان متقاعداً عن المدرسة بثمانين	حسن آغا المعريطويقي آغا في سنة خمس وألف، أوله: غرامي صحيح والرجاء فيه معضل
نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (وهو مرتب على السنين) لابن دقماق (لإبراهيم بن محمد بن دقماق المتوفى سنة 809 تسع وثمانمائة	نزهة الأنام في تاريخ الإسلام المرتب على السنين لإبراهيم بن محمد بن دقماق توفي سنة تسعين وسبعمائة
مرآة العجائب	مرآة العجائب في الكيمياء، مختصر لابن سينا أوله: الحمد لله رب العالمين

ولا يخل المختصر من تعليقات مفيدة استدرك فيها مؤلفه على أصل الكتاب في بعض مواضعه، كقوله عند الكلام على مادة (الأشباه والنظائر) في الفروع للفقير زين الدين ابن نجيم «قلت: ومن حواشيتها المدونة عليها الحاشية المتأخرة عن حواشيتها، وهي أحسنها وأنفعها وأفيدها جداً للسيد أحمد بن محمد الحنفي الحموي، أولها: لك الحمد يا من تنزهت ذاته عن الأشباه والنظائر».

وقوله عند الكلام على شروح القدوري «قلت: وشرح مختصر القدوري الشيخ قاسم بن قطلوبغا. وذكر فيه من أين أخذوا علمهم كذا في تاج التراجم للشيخ المذكور». وقوله عند الكلام على المقدمة الأزهرية في علم العربية «قلت: وشرحه أيضاً الشيخ العلامة علي بن إبراهيم الحلبي الشافعي شرحاً وسطاً ممزوجاً في مجلد سماه فرايد العقود العلوية لحل ألفاظ شرح الأزهرية، أوله: حمداً لمن رفع من انتصب لخدمة الفنون العربية».

وهكذا فإن الكتاب، بعد ما سقناه من نماذج، جدير باهتمام المشتغلين في مجالات البليوغرافيا، فهو من ناحية يقدم إضافات جديدة على كتاب موسوعي قديم، ومن ناحية أخرى يبرز جهد مؤلفه، ذلك الباحث البغدادي غير المعروف الذي غمطه عصره حقه من المعرفة والاشتهار.

أول محاولة لفهرسة المخطوطات في العراق

إن أول محاولة معروفة لفهرسة خزائن الكتب ببغداد، بل في العراق بعامة، هي ما قام به عالم بغداد وأديبها السيد نعمان خير الدين ابن المفسر الشهير العلامة محمود أبي التشاء الألوسي البغدادي (ولد سنة 1252هـ وتوفي سنة 1217هـ/ 1846-1899م)⁽¹⁾ بعنوان (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة)، وذلك بعد عودته من الحج سنة 1295هـ/1878م، على ما أشار هو في تعليقاته على بعض مخطوطات خزائنه، وخطه نستعليق جميل، وأتم فهرسة سائر الخزائن الأخرى العلامة السيد محمود شكري بن عبدالله الألوسي، وهو ابن أخي المؤلف (ولد سنة 1273هـ وتوفي سنة 1343هـ/ 1856-1924م)، وخطه معتاد، لكنه واضح.

يقع الفهرس في 147 ورقة، في كل منها 20 أو 21 سطراً، وبعمودين أحياناً. وكان السيد محمود شكري قد أهدى هذا الفهرس إلى صديقه دمشقي جميل العظم (المتوفى سنة 1452هـ/1933م)⁽²⁾ سنة 1330هـ/1912م، ومن الأخير انتقل إلى

(1) ولد ببغداد، وأخذ العلم على والده المفسر الشهير أبي التشاء شهاب الدين محمود الألوسي، وتأثر به، تولى في شبابه القضاء في بلاده، ثم قصد مكة للحج، ماراً بالقاهرة حيث طبع تفسير والده (روح المعاني) وقام برحلة أخرى إلى اسلامبول، اجتمع في أثناءها بعلماء الشام والأناضول، وعين بأمر السلطان عبدالحميد الثاني رئيساً لمدرسي بغداد، واعد إليه منصب التدريس في المدرسة المرجانية، بعد أن كان قد أخذ منه، فوفر له منصبه هذا فرصة للبحث والتدريس والقراءة، وألف كتباً عديدة في العقائد والردود والمواعظ واللغة والأدب والسير. تنظر ترجمته في كتابه: حديقة الورد في أخبار أبي التشاء شهاب الدين محمود، مخطوط ج 2 ص 33، ومحمود شكري الألوسي: المسك الأذفر، بغداد 1930، ص 110-116، ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية، بتحقيقنا، بغداد 1997، وإسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ج 2 ص 499، ومحمد بهجة الأثري: أعلام العراق ص 57-67، ومجلة لغة العرب ج 4 ص 343-346، 399-402، وإبراهيم الدروبي: البغداديون، أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958 ص 263 وغير ذلك.

(2) هو جميل بن مصطفى بن محمد حافظ بن عبدالله باشا العظم، أديب دمشقي، عني بالصحافة والتاريخ، ولد في استانبول ونشأ في دمشق وتعلم في مدارسها، وتعلم التركية والفارسية، وكتب الخط الجميل على اختلاف أنواعه، وولي أعمالاً حكومية في المعارف بدمشق وبيروت، واختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وأصدر مجلة (البصائر) الشهرية، واقتنى كثيراً من نفائس المخطوطات، وله مؤلفات مهمة من أبرزها (ذيل على كشف الظنون) في نحو ألف صفحة (وعقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون مصنفاً فمائة فاكثراً) خير الدين الزركلي: الأعلام.

العلامة القاهري أحمد تيمور باشا (المتوفى سنة 1348هـ/1930م)، ثم آل مع سائر
خزانة تيمور إلى دار الكتب المصرية في القاهرة.

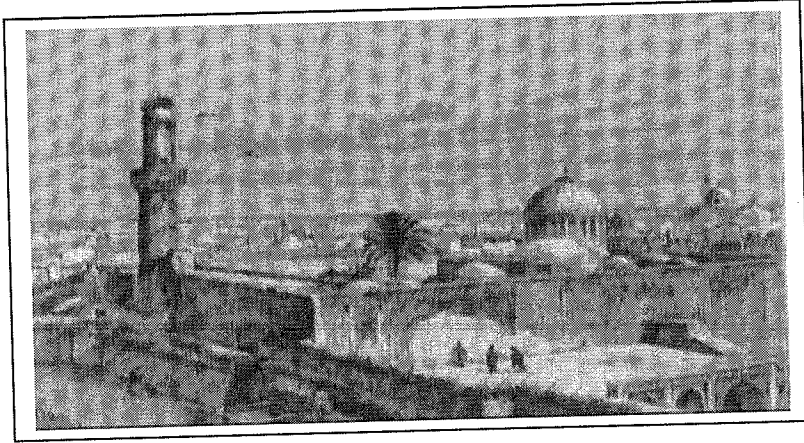
يتناول الفهرس مكونات عشر خزانات حافلة بالكتب، كانت ملحقة ببعض
مساجد بغداد ومدارسها العلمية، هي:

1- خزانة كتب المدرسة المرجانية. أفخم مدارس بغداد وأكبرها بعد المدرسة
المستصرية، أسسها الخواجة أمين الدين بن عبدالرحمن مولى الشيخ أويس خان
الأيلكاني الجلائري (حاكم بغداد من سنة 758 إلى سنة 765هـ ومن 769-774هـ)
وذلك في أول سنوات حكمه، ووقف عليها أوقافاً كثيرة، كما أثبت ذلك في الكتابة المحررة
على باب الخان الذي أنشأه بقربها، ومنها 24 دكاناً في سوق الريحانيين (سوق الشورجة
الحالي) و12 عصابة في السوق الجديد المجاور للمدرسة (وهو سوق الصرافين الذي
سُمي بشارع السُموعل) و19 دكاناً أخرى (كانت ملاصقة للمدرسة) وثلاثة خانات
ونصف (أحدها خان مرجان) ومواقع بالبدرية، وبالأمشاطيين ثلاثة دكاكين،
وبالمشرعة (مشرعة الإبريين في العصر العباسي وشريعة المصبغة فيما بعد) أربعة عشر
دكاناً وخاناً كبيراً من إنشاء الواقف، وبالحلبة (ساحة النهضة اليوم) 12 دكاناً وعصابة
وخاناً فيه 52 حجرة، وداراً ومداراً في محلة القصر بالجانب الغربي (محلة قصر عيسى
التي سُميت خضر إلياس) وخان الزاوية، ومداراً في الخليلات، وبالحریم دكان الكاغد،
وبساتين كثيرة بنهر عيسى ناحية عقرقوف، والقاطون، وبعقوبا، وبوهريز (بهرز)
وخانقين، وبسماية، ودولتآباد (دلتاوه المسماة الخالص) وبندنيجين (مندلي)، ومنطقة
بين جبل حمرين وخانقين وغيرها». وفي هذه الوقفية أنه شرط المدرسة لتدريس فقه
الإمامين أبي حنيفة النعمان ومحمد بن إدريس الشافعي⁽¹⁾.

وقد تعاقب على التدريس فيها كبار علماء بغداد، منهم عبدالله السويدي (توفي
سنة 1174هـ/1760م)، وعبدالرحمن الراوي (توفي سنة 1220هـ/1805م)، والمفسر
أبو الشاء محمود الألوسي (توفي سنة 1270هـ/1854م) والسيد نعمان خير الدين
الألوسي، مؤلف هذا الفهرس، والسيد محمود شكري الألوسي، وإبراهيم بن ثابت بن

(1) ينظر نص الوقفية في محمود شكري الألوسي: مساجد بغداد وآثارها، ص 67 والسيد محمد
سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، ص 207-215 وأحمد
سوسة ومصطفى جواد: دليل خارطة بغداد المفصل، بغداد، 1958، ص 220

نعمان الألوسي وغيرهم، وكلهم كان مؤلفاً مشهوراً له بالعلم الوافر، ممن ذاع صيته في العالم الإسلامي. وفي سنة 1200هـ/1785م عمّر والي بغداد سليمان باشا الكبير (1193-1207م/1779-1802م) بعض ما سقط من جدرانها ووسّع مصلاها، فعُرفت منذ ذلك الحين بجامع مرجان⁽¹⁾. وقد وصف السيد محمد سعيد الراوي الجامع بقوله «هو جامع مُحكم البناء، فسيح الأرجاء، راسخ الأساس متينه، مشيد الفناء قويمه، له باب تتاطح السماء في العلو والإرتفاع، مزينة أركانها وجدرانها بالنقوش المحفورة في أحجارها.. الخ»⁽²⁾. ووصف عباس بن رجب البغدادي المدرسة بأنها «كثيرة الأوقاف، وافرة الواردات، متينة البناء، رَحبة الأرجاء، رُوعي في طرزها المدرسة المستنصرية»⁽³⁾. على أن أكثر مباني المدرسة قد أزيل في أثناء بعض توسيعات شارع الرشيد، ولم يبق منها إلا بابها الأثري ومئذنتها اللذان يرقيان إلى عهد تأسيسها، وبعد أن كان الجامع يُدار من قبل مفتي بغداد أصبح تحت إدارة الأوقاف.



المدرسة المرجانية شيدت سنة 758

أما خزانة كتب المدرسة، فتتألف - بحسب الفهرس الذي أعده السيد نعمان الألوسي من ثلاث مجموعات، هي:

أ- مجموعة السيد نعمان خير الدين الألوسي. جمعها هو ووالده الإمام أبي الشاء محمود شهاب الدين الألوسي، المتوفى سنة 1270هـ، وقد عرفت بالخزانة

(1) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، ص318

(2) خير الزاد ص306

(3) مساجد بغداد في كتابات الأجداد، بتحقيقنا، ص34

العثمانية نسبة إليه، وبلغ عددها كما في فهرس خاص أعده لها 1400 كتاباً مطبوعاً ومخطوطاً⁽¹⁾، بينما بلغ عدد كتبها، كما في هذا الفهرس، موضوع بحثنا، 1337 كتاباً معظمها من المخطوطات، والباقي من المطبوعات النادرة. وكان عبدالحميد عبادة قد أشار إلى هذه المجموعة بقوله أن الألويسي «وقف جميع كتبه على هذه المدرسة، وهي تتوف على ألفي كتاب متنوعة في سائر العلوم، وأغلبها خط، وأوقف المومي إليه المرحوم على لوازمها أربعة دكاكين واقعات قرب المدرسة متصلة بظهر خان الأورثمة (خان مرجان)، وداراً في محلة سوق الجديد في الجانب الغربي، وأرضاً واقعة في هور عقرقوف تسمى الزبيدية. وشَرَطَ أن يُصَرَّفَ من غلَّتْها على التعمير، وما يبقى من الفضلة تعطى ليرة واحدة إلى محافظ هذه المكتبة، وأن يكون المحافظ من ذريته، وإذا انقرضوا فإلى متولي الأوقاف من قبل الدولة العثمانية⁽²⁾».



نفض جانب من المدرسة المرجانية سنة 1946

وزاد عدد الكتب بما أضافه إليها بعض العلماء التاليين، ففي سنة 1346هـ/ 1927م وقف رشيد حلمي بن معروف آل الأنكرلي داراً في محلة جامع عطا، من محلات الكرخ، على ذريته، «ثم على لوازم مكتبة جامع مرجان في بغداد، وتشمل تجليد الكتب الموجودة فيها، وشراء كتب جديدة، وضمها إليها لإستفادة المطالعين،

(1) ويقع هذا الفهرس في 33 ورقة، عبد الله الجبوري: مكتبة الأوقاف تاريخها ونوادير مخطوطاتها، بغداد 1969، ص53 وقد أشار إلى تسرب بعض المخطوطات النادرة من المكتبة قبل نقلها إلى مكتبة الأوقاف.

(2) عبادة ص371 وكتابتنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط2 بغداد 2016 ص590

على أن يعمل بموجب شروط وقف المكتبة..» وذلك في وقفته المؤرخة في 7 ربيع الآخر من تلك السنة⁽¹⁾. ووصف السيد عباس بن رجب هذه المكتبة بقوله «وفيها مكتبة جليلة»⁽²⁾.

ب- مجموعة ثمانية تبلغ عدتها 892 كتاباً.

ج- مجموعة ثلاثة تبلغ عدتها 842 كتاباً.

2- خزانة كتب جامع الصاغة. يقع هذا الجامع على شاطئ دجلة الشرقي، إلى الجنوب من المدرسة المستنصرية، وكان قديماً يعرف بمسجد الحظائر، نسبة إلى حظائر الشوك التي أنشأته في أرضها السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بالله، وأم الخليفة الناصر لدين الله، المتوفاة سنة 599هـ/1202⁽³⁾.

وفي وقفية الحاج أبو بكر الباجه جي أنه ألحق بالجامع المذكور مدرسة احتوت على خزانة كتب تشتمل على مخطوطات قديمة العهد.

ثم عُيّنت أربع سيدات بغداديات محسنات بالوقف عليه، فمما وقفنه، منشآت عديدة، منها خان متصل بالجامع (وهو الخان المعروف بخان الباجه جي)، ودكاكين متفرقة في بغداد وكربلاء والبصرة، وذلك في وقفيتهن المؤرخة في سنة 1212هـ⁽⁴⁾.

وفي سنة 1261هـ/1845م وقف عليه الحاج عبدالرحمن الباجه جي وعائشة خان ومريم بنت الحاج محمد جلي الباجه جي أوقافاً أخرى في البصرة وكربلاء، وتولى أبناء هذه الأسرة التولية عليه والإشراف على شؤونه⁽⁵⁾. ومن أشهر مدرسي هذه المدرسة العلامة الشيخ إسماعيل أفندي الموصلّي المتوفى سنة 1312هـ/1894م⁽⁶⁾.

وقد وصفه السيد محمد سعيد الراوي بقوله «هو جامع وسط في السعة والكبر، له مصلى كبير مطل على نهر دجلة.. وعلى يمين هذا المصلى مصلى صغير بباب

(1) معالم بغداد ص 227

(2) مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص 34

(3) تنظر الدراسة المعنونة (من تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد) في هذا الكتاب

(4) معالم بغداد ص 195

(5) عبادة ص 243

(6) عبادة ص 344

منفرد، وفيه باب يؤدي إلى المصلى الكبير، وهو معد للشافعية، وفيه مئذنة واقعة غربي المصلى، وعلى يسار الداخل إلى صحن الجامع غرف تحتية إحداها مدرسة، وفيه مدرس وخطيب وإمام ومؤذن وخادم»⁽¹⁾.

ويبلغ عدد الكتب المفهرسة في خزانة هذا الجامع 60 كتاباً، سوى الكتب المطبوعة. والظاهر أن هذه الكتب لم تكن إلا جزءاً يسيراً مما تضمه خزانة الجامع في العهود الماضية، فقد ذكر السيد محمود شكري الألوسي في كتابه عن مساجد بغداد «أن فيه خزانة كتب تشمل على مخطوطات قديمة العهد، وكثير منها تلف بتداول الأيدي عليها»⁽²⁾، ومثل هذا ما ذكره السيد محمد سعيد الراوي⁽³⁾. وقال إبراهيم الدروبي «وفي هذه المدرسة كانت مكتبة قيمة تضم نواذر المخطوطات، ومن بقاياها مخطوط لدى المتولي جواد جلبي كتاب شرح صحيح مسلم للنووي بخط بديع محلّي بالذهب، مخطوط سنة 900هـ وبظهره وقفية المخطوط»⁽⁴⁾.

3- خزانة كتب المدرسة الطبّجائية. كانت هذه المدرسة تقع في محلة العاقولية (درب الخبازين في العصر العباسي)، وهي في الأصل دار للعلامة محمد بن السيد أحمد أفندي بن إسماعيل بن خليل بن إسماعيل الحموي الحديثي الأصل، ثم البغدادي، الطبّجائي (المتوفى سنة 1265هـ/1848م)⁽⁵⁾. تولى التدريس فيها وتلمذ على يديه عدة من علماء بغداد، ثم أنه وقف وداره وجعلها مدرسة، ووقف كتبه عليها⁽⁶⁾. ووصف السيد محمد سعيد الراوي تلك الكتب بأنها «عديمة المثال، الحاوية لما لم تحوها مكتبة أحد من الأمثال»⁽⁷⁾، وتابع مصيرها فقال «أما كتبه فقد أُعْبِت فيها

(1) خير الزاد ص100

(2) مساجد بغداد وآثارها ص24

(3) خير الزاد ص98

(4) البغداديون أخبارهم ومجالسهم ص321

(5) عرف أبوه بالطبّججه لي لشكل عمامته، فطبق عربية معروفة، وجه أداة تصغير بالتركية، واليها نسب

(6) عبادة ص233 وينظر في ترجمته محمود شكري الألوسي: المسك الأذفر ص106-109 وإبراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد بلا تاريخ ص149 وإبراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، ص310 ومساجد بغداد وآثارها ص103.

(7) خير الزاد ص243

الأيدي حتى أصبحت المدرسة منها بلاقع». وقال إبراهيم الدروبي «فجعلها مدرسة عظيمة، وألحق بها مكتبة من نوادر المخطوطات»⁽¹⁾.

بلغ عدد ما وقفه من الكتب (285) كتاباً بحسب وقفيته التي سجلت في 16 رمضان 1269هـ/1852م، ولكن عدد الكتب التي ذكرها الفهرس موضوع البحث لم يزد على (242) كتاباً، وحينما قابلنا محتويات المكتبة على مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، تبين أنه لم يكن قد بقي من الكتب غير 77 كتاباً فقط، ولا تخلو من نوادر. ولا أثر للمدرسة الآن، ولكن شيدت من أوقافها عمارة من طابقين باسم (عمارة وقف الطبجلي)، وهي مشرفة على شارع الرشيد.

4- خزانة جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان. ضمت مدرسة هذا الجامع، منذ تأسيسها سنة 459هـ/1067م خزانة حافلة بالكتب، وردت أخبارها في تراجم العلماء الذين وقفوا عليها، أو أفادوا منها⁽²⁾. وقد تشعت الجامع ومدرسته في العهود التالية، وتعرض في أوائل القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) إلى تخريب شامل، فتولى السلطان العثماني مراد الرابع حين فتح بغداد بناءً وزاد في أوقافه، ثم تولى الولاة العثمانيون المتعاقبون عمارة الجامع بعد ذلك، كلما احتيج إلى عناية وتعمير، وذلك في السنوات 1085هـ/1614م، و1092هـ/1681م، و1171هـ/1757م. وفي سنة 1217هـ/1802م قام والي بغداد سليمان باشا الكبير بترميمه وأكساء رأس منارته بالذهب. وفي سنة 1288هـ/1870م أمر السلطان عبد العزيز بتوسيع فناءه، وتجديد ما تهدم منه، وأضاف إليه رواقاً، وعمر أبوابه. وتولى التدريس في مدرسته كبار علماء بغداد⁽³⁾، وقد ذكر عبادة عن أوقافه أنها «كثيرة ولا حاجة إلى ذكرها لأنها معلومة مضبوطة»⁽⁴⁾.

(1) البغداديون ص310

(2) كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد 1966، ص42

(3) ترجم لهم المرحوم الحاج وليد الأعظمي في كتابه: مدرسة الإمام أبي حنيفة. بغداد 1985، ومصطفى جواد: أول مدرسة في العراق، مدرسة الإمام أبي حنيفة، مجلة المعلم الجديد، العدد 6، بغداد 1940، ص33044.

(4) عبادة ص46 وينظر مساجد بغداد وآثارها ص20-25 وهاشم الأعظمي: جامع الإمام الأعظم ومساجد الأعظمية ج1 بغداد 1964،

بلغ عدد كتب خزانته التي ورد ذكرها في هذا الفهرس 406 كتاباً، ولا يشمل هذا العدد جميع ما كانت تحويه الخزانة، لأن المؤلف أشار إلى أنه لم يذكر غير نبذة من كتبها، مما دلّ على وفرة الكتب فيها ونفاسة محتوياتها. هذا بينما لم يتجاوز عدد ما نقل من هذه المخطوطات إلى مكتبة الأوقاف 140 مخطوطاً فحسب.

5- خزانة كتب المدرسة العلية. أسس هذه المدرسة والي بغداد علي باشا الشهيد سنة 1176هـ/1762م، وفيها دفن، وكنا قد توصلنا بأدلة أثرية، ومعمارية، وخططية، إلى أن هذه المدرسة، ورثت من حيث الوظيفة والتخطيط مدرسة سابقة على أرضها، أنشأها الأمير علاء الدين علي بن عبد المؤمن المعروف بالسكرجي، أخي الأمير شمس الدين السكرجي، والي العراق من سنة 693 إلى 694هـ/1293-1294م، ووصفت بأنها «جميلة البناء، شاهقة الأرجاء»، ونسبت إلى اسم مؤسسها فعرفت بالمدرسة العلائية. وكان الشروع في بنائها سنة 693هـ⁽¹⁾. ونظراً لإنشاء سور بغداد المطل على دجلة في العهود التالية، فقد أزيل الجناح الشاطئي منها، كما أزيلت معه المنشآت الشاطئية في بغداد، واستعمل آجرها في بناء سور بغداد المذكور، فالأجنحة الثلاثة المتبقية هي التي حولها علي باشا إلى المدرسة العلية بعد تغييرات أحدثها في عمارتها⁽²⁾. ووقف عليها داود باشا (1232-1247هـ/1816-1834م) بعض العقارات في الحلة. وممن تولى التدريس فيها العلامة مفتي بغداد محمد أمين بن محمد صالح الطبقجلي (توفي سنة 1299هـ/1881م)، والعلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي (توفي سنة 1308هـ/1890م)، وكل منهم كان مفتياً شهيراً، ومدرساً قديراً. وقد استمر التدريس في المدرسة العلية على النحو الذي أراده لها مؤسسها مدة مائة وأحد عشر عاماً تقريباً (109 عاماً شمسياً)، خرجت فيها أجيالاً من العلماء الذين تولوا مناصب علمية وشرعية مختلفة⁽³⁾.

(1) عبد الرزاق ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، تحقيق مصطفى جواد، دمشق 1962، مجلد 4 ص 1051.

(2) أفردنا كتاباً عن هذه المدرسة بعنوان (المدرسة العلية في بغداد) طبع ببغداد سنة 1988،
(3) في سنة 1287هـ/1871م اختار والي بغداد مدحت باشا أن يحول مبنة المدرسة ووظيفتها لتتحول إلى مدرسة للصنائع عي الأولى من نوعها في العراق آنذاك، وفي أوائل عهد الحكومة العراقية تحولت المدرسة إلى قصر أقام فيه الملك فيصل الأول فالملك غازي، واتخذت سنة 1938 لتكون مقراً للمجلس النيابي، حتى سقوط النظام الملكي، فمحكمة عسكرية خاصة،

بلغ عدد (النبذة) المفهرسة من كتب خزانة المدرسة العلية (69) كتاباً، ويظهر أن هذه النبذة لم تحط إلا بجزء يسير مما احتوته الخزانة المذكورة، وآخر من أشار إليها هو السيد محمود شكري الآلوسي، إذ قال واصفاً ما قام به مدحت باشا عند تحويله المدرسة إلى أخرى للصنائع، «ونقل ما كان فيها من الكتب إلى محل آخر»⁽¹⁾، ولكنه سكت عن تسمية هذا المحل، ومن ثم تبدد آخر أمل بمعرفة مصير الكتب وما آلت إليه. وقد ذكر الشيخ محمد صالح السهروردي أن مدحت باشا فرّق مكتبة المدرسة المذكورة على مكتبة مدرسة سليمان باشا (يريد المدرسة السليمانية القريبة منها) وغيرها⁽²⁾، ولكننا لم نعثر، في أثناء اشتغالنا بفهرسة المخطوطات وتتبع فهارس خزائن بغداد الخطية، على مخطوط واحد يحمل اسم المدرسة العلية، بل أننا تصفحنا معظم مخطوطات المدرسة السليمانية التي انتقلت إلى مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد علنا نجد بينها ما يحمل اسمها، فلم نعثر على بغيتنا، فترجح عندنا أن أياً من محتويات خزانة العلية لم يصل إلى زماننا هذا، وأنها فقدت في زمان مضى⁽³⁾.

6- خزانة كتب المدرسة القبلانية الملحقة بجامع القبلانية. كان هذا الجامع يقع في سوق الهرج، مقابل مدخل المدرسة المستنصرية. أسسه والي بغداد قبلان مصطفى باشا سنة 1088هـ، 1687م في أرض كان يشغلها إيوان الطب التابع للمستنصرية⁽⁴⁾. وقد تحدثنا عن هذا الجامع ومدرسته في دراسة مستقلة في هذا الكتاب .

7- خزانة كتب جامع الوزير. يقع هذا الجامع على شاطئ دجلة الشرقي، يحده شمالاً مبنى المحاكم سابقاً، وشرقاً سوق السراجين المحاذي لسوق السراي، شغلت أرضه في العصر العباسي المدرسة التنشئية التي أنشأها الأمير خمارتكين بن عبد الله من مماليك السلطان تنش السلجوقي في بغداد سنة 500هـ/ 1206م، كما أنشأ

ثم متحفاً عسكرياً سنة 1967، وأعيد تجديده سنة 1980 واتخذ قصراً كبيراً للثقافة والفنون، ثم أصبح مقراً لمؤسسة بيت الحكمة وما زال.

(1) مساجد بغداد وآثارها ص85

(2) جريدة العراق 5 تموز 1930

(3) المدرسة العلية ص50

(4) ذهبنا إلى هذا الرأي في بحثنا: جامع القبلانية، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 38-39، السنة 1971.

السوق المجاور والذي سمي بالعقار التتشي نسبة إليه⁽¹⁾. وينسب جامع الوزير إلى مؤسسه الوزير حسين باشا بن الوزير محمد باشا صوقلي، أنشأه سنة 1008هـ/1599م، ووصفه عبادة بأنه «جامع كبير ذو فناء واسع، ومصلى شامخ البناء، معقود بالحجارة والجص، متصلة عقادته على جداريه القبلي والخلفي، لا يستند وسطها على بناء⁽²⁾». ومثله ما ذكره السيد محمد سعيد الراوي إذ أشار إلى أنه كان في الأصل ذا قبة واحدة كبيرة، قدر قبة جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني». وذكر الرحالة أوليا جلبي الذي زار بغداد في أواسط القرن الحادي عشر للهجرة أن له قبة ومنارتين لا واحدة⁽³⁾، إلا أن إحدى المنارتين سقطت في وقت تال. وقد أزيل هذا الجامع بسبب إنشاء مقتربات جسر المأمون (وهو جسر الشهداء)، وبني على قسم من أرضه جامع حديث، ولم يتبق من بنائه القديم غير بابهِ الأثري وعليه تاريخ تأسيسه واسم مؤسسه. وفي الجامع مدرسة أسسها المشير أحمد توفيق باشا سنة 1277هـ/1860م وعين له العلامة طه السنوي مدرساً، ووصفت بأنها «مدرسة معتبرة»⁽⁴⁾.

ويظهر أن هذه المدرسة ضمت خزانة للكتب فقد نوه مؤلف الفهرس بعنوانات (126) كتاباً منها، ولكننا لا نعلم ما آلت إليه، كما لم يصل منها شيء إلى مكتبة الأوقاف.

8- خزانة كتب المدرسة المرادية. يقع جامع المرادية، أو جامع مراد باشا، في محلة الميدان قبالة قلعة بغداد الداخلية (إيج قلعة) وهي التي شغلت أرضها في عهد الدولة العراقية وزارة الدفاع. أسسه والي بغداد مراد باشا سنة 978هـ/1570م، وشيد فيه مئذنة مكسوة البدن- على نحو فريد- بقطع الأجر المزجج باللون، وقد أزيلت هذه الكسوة الجميلة في أواخر ثمانينات القرن الماضي، وأبدلت بزينة أخرى بالأجر وبعض قطع الأجر المزجج. ووقف والي بغداد أحمد باشا البوشناق خاناً على أرض هي من موقوفات مراد باشا، ومنشآت أخرى على الجامع المذكور بموجب وقفه المؤرخة في سنة 1099هـ/1687م⁽⁵⁾.

(1) كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي ص48-54

(2) عبادة ص368

(3) أوليا جلبي سياحته سي ج4 ص419

(4) مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص45

(5) عبادة ص121-126 وخير الزاد ص45-52 ومعالم بغداد ص148.

وكانت في مدرسة الجامع خزانة للكتب أحصى منها صاحب الفهرس (185) كتاباً، ولا نعلم ما آل إليه مصيرها، ولم يصل منها شيء إلى مكتبة الأوقاف في بغداد .

9- خزانة كتب المدرسة العُمريّة. أنشأ هذه المدرسة والي بغداد عمر باشا سنة 1090هـ/1679م، وكانت تقع على شاطئ دجلة الغربي، بلصق جامع قمريّة المرتقي بناؤه إلى سنة 626هـ⁽¹⁾. وأول من تولى التدريس فيها الملا نوح الحديثي، وتخرج فيها عدد من العلماء الكبار، منهم عبد الله السويدي، وأبو الثناء محمود الألويسي. ووصفها الألويسي بقوله أنها «مدرسة لطيفة الوضع على شاطئ دجلة، ومتصلة بجامع القمريّة، وكانت هذه المدرسة مجمع الفضلاء، ومثابة الأعلام»⁽²⁾. ووصفت خزانة كتبها بأنها «خزانة كتب يعجز عن وصفها اللسان»⁽³⁾. ثم أن إهمالاً أصاب المدرسة، فأعاد تجديدها الحاج عبدالقادر آغا أمر البحرية سنة 1320هـ/1901م، وأنشأ في مدخلها عقداً كبيراً من الأجر والجص، واتخذ فوقه دائرة رسمية له، ثم استعادتها الأوقاف مجدداً، واتخذت من مبنائها سنة 1930-1931 مدرسة ابتدائية، وانتهى بها الحال أخيراً إلى أن تلحق أرضها بإعدادية الكرخ للبنين⁽⁴⁾. وكان الأب أنستاس ماري الكرملّي قد لاحظ ما آل إليه مصير كتب هذه المدرسة، فظن أنها مدرسة جامع قمريّة لقربها منه، فقال «مكتبة جامع القمريّة، أغلب كتبها سرقت، وما تبقى منها لا يؤبه له»⁽⁵⁾.

وأحصى صاحب الفهرس من كتب هذه الخزانة (52) كتاباً. ولا يعلم مصير أي من كتبها.

(1) عبادة ص 484 ومساجد بغداد ص 114 وبحثنا: مسجد قمريّة في العمود العباسية، مجلة التربية الإسلامية، العدد 3، السنة 8، شباط 1966 وكاظم الجنابي: مسجد قمريّة تخطيطه وعمرانه، مجلة سومر، العدد 1 و2، المجلد 38 السنة 1972 وأنور الناصري: سوق الجديد ج 1 ق 2 ص 206-238،

(2) مساجد بغداد ص 34

(3) البغداديون ص 317

(4) عبادة ص 487 ومرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا ص 282 وخير الزاد ص 487 والبغداديون ص 392، وأنور الناصري: سوق الجديد ج 1 ق 3 ص 175-186.

(5) كتب ذلك في تقرير عن مكتبات بغداد نشره جرجي زيدان في كتابه: تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت 1967، ص 492.

10- خزانة كتب جامع الفضل. وموقع هذا الجامع في المحلة المنسوبة إليه من شرقي بغداد، وهي قسم من مقبرة باب أبرز في العصر العباسي، وكان أولاً مسجداً صغيراً بالقرب من قبر من يدعى الإمام محمد الفضل، فنقضه والي بغداد الوزير سليمان باشا الكبير سنة 1210هـ/1795م، ووسعه بشراء بعض الدور المجاورة له، وضم أرضها إليه، حتى أنجز سنة 1219هـ/1804م، وقد ألحق به مدرسة، ومن أشهر من تولى التدريس فيها الشيخ رسول بن أحمد الشوكي، والشيخ سعدي بن أمين الموصللي، وابنه داود السعدي، والشيخ سعيد بن عبدالقادر، والعلامة عبدالوهاب النائب، وسماه عبدالحميد عبادة بأزهر بغداد، تشبيهاً له بالجامع الأزهر في مصر، «لما اجتمع فيه كثير من الطلاب لتحصيل العلوم مما لا تجده في سائر المدارس والجوامع، ترى اليوم في هذا الجامع ست عشر حجرة، فإنها كانت مملوءة بالطلبة المحصلين المجدين.. وقد تخرج من هذه المدرسة الكثيرون من طلاب العلم في بغداد ما لا يحصى عددهم، فكنت ترى فيهم الحافظ والمكرر والمحرر والشارح والمحشي والشاعر والأديب...»⁽¹⁾.

ومن أوقافه خمس أراضٍ خرنابات، وقفها عليه مصطفى جاش بن إبراهيم سنة 1123هـ/1711م. ووقفت عطية خانم بنت درويش الحيدري أسهماً في أحد بستاتين ههب، ومثلها أسماء خانم بنت عبدالرحمن الروزيهاني، إذ وقفت بستاناً لها في ههب أيضاً سنة 1309هـ/1891م.

ضم الجامع منذ إنشائه خزانة كتب كبيرة، فيها أنواع الكتب، وعُيِّن لها (محافظ) يتولى شؤونها⁽²⁾.

ونوه مؤلف الفهرس بعنوانات (185) كتاباً في هذه الخزانة، إلا أن الكتب تبذرت، «حتى لم يتبق من المكتبة ولا ورقة والله أعلم بمصيرها»⁽³⁾.. وذكر الدروي أن في هذه المدرسة مكتبة العلامة الشيخ عبدالوهاب النائب وهي تضم نوادر الكتب المخطوطة والمطبوعة، وتضم أيضاً مكتبة [أخيه] العلامة الشيخ سعيد افندي [النقشبندي]، وقد نظمت لهاتين المكتبتين فهرساً عاماً⁽⁴⁾.

(1) عبادة ص 190-200

(2) عبادة ث 199

(3) عبادة ص 199

(4) البغداديون ص 320

يبلغ عدد كتب الخزائن بأجمعها، مما شمله الفهرس (4553) كتاباً، معظمها من المخطوطات، ومنها ما هو نادر الوجود، وتتفاوت طريقة الفهرسة بين أجزاء الكتاب تفصيلاً واقتضاباً، ففهرس كتب المؤلف في المدرسة المرجانية مرتب على عدة فنون على النحو الآتي:

- 1- الكتب الإلهية (وهي القرآن الكريم حصراً)
- 2- التفسير وما يتعلق به
- 3- القراءات
- 4- الحديث ونحوه
- 5- العقائد
- 6- أصول الفقه على المذاهب الأربعة
- 7- فقه الحنفية
- 8- فقه المالكية
- 9- فقه الحنبلية
- 10- فقه الشافعية
- 11- فقه الشيعة وغيرهم
- 12- المعاني والبيان والبديع
- 13- التصوف
- 14- آداب البحث
- 15- الوضع والإشتقاق
- 16- النحو والصرف
- 17- الأدب والعروض
- 18- التاريخ ونحوه
- 19- اللغة وما يتعلق بها
- 20- الفلسفة والطب والحساب والنجوم وما يتعلق بها

21- الآلات المجسمة

أما المجموعة الثانية من كتب المرجانية فتتألف من 976 كتاباً، وهي بخط السيد محمود شكري الألوسي، وقد فرغ منها في ربيع الأول من سنة 1327هـ، كما علق في نهاية الورقة الأخيرة منها، ورتبها على الموضوعات، على النحو الآتي:

- 1- التفسير
- 2- الحديث
- 3- أصول الفقه
- 4- فقه الحنفية
- 5- فقه الشافعية
- 6- الفتاوى
- 7- الفرائض
- 8- العقائد
- 9- التصوف
- 10- النحو
- 11- الصرف
- 12- المعاني والبيان
- 13- اللغة
- 14- المنطق
- 15- المناظرة والوضع
- 16- التاريخ
- 17- الأدب
- 18- الحكمة والهيئة
- 19- الوضع
- 20- الطب

أما المجموعة الثالثة فهي غير مرتبة على الموضوعات، وقد وضعت أرقام إزاء
عنوانات كتبها، إلا أن الموجود يبدأ من الرقم 33 مما يدل على سقوط ورقة من أوله.
ومعلومات هذه المجموعة على جانب من الاختصار، وهي تضم عناوانات 88 كتاباً.
وليس في كتب المدارس الأخرى ترتيب للكتب على الموضوعات، إلا قليلاً. وأحسن هذه
الفهارس من حيث دقة الوصف ووفرة المعلومات فهرس خزانة المؤلف، وهي الأولى من
خزائن المدرسة المرجانية، فقد ميّز بين ما هو مخطوط وما هو مطبوع، وذكر -غالباً-
نوع الخط، وما إذا كان بخط مؤلفه، وتاريخ النسخ، واسم الناسخ إن وجد، وما يتميز
به المخطوط من شروح وتصحيحات وزينة، بيد أن المؤلف لم يلتزم بذكر كل هذه
المعلومات عند حديثه عن خزائن المخطوطات المفهرسة الأخرى، وإنما أشار إلى بعض
منها كلما وجد ضرورة - في رأيه- إلى ذلك، وذكر في أحيان نادرة عدد أوراق
المخطوط أو عدة كراريسه، أما الكتب المطبوعة فقد ذكر في أغلب الأحيان مكان
طبعتها وتاريخه.

ومن المؤسف حقاً أن عدداً كبيراً من الكتب، لا سيما المخطوطات منها، ضاع أثره
ولم يتبق منه سوى عنوانه في هذا الفهرس، وإذا ما استثنينا خزانة المدرسة المرجانية
التي ضم أغلبها إلى مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد⁽¹⁾، فإن معظم محتويات الخزائن
الأخرى قد تفرقت وفُقد خبره، إلا كتباً قليلة منها وجدت طريقها إلى مكتبة الأوقاف أو
بعض المكتبات الأخرى، فمن الكتب المفقودة من خزانة جامع الوزير مثلاً كتاب (نسيم
الصبا) لأبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، وهو كتاب لم تذكره قوائم مؤلفات هذا
العالم قط، ولعله (نسيم السحر)، وديوان صالح التميمي، وديوان أبي فراس
الحمداني، وديوان أبي العلاء المعري، كتب عليه أنه «بخط قديم»، وديوان ملا كاظم
الأزري، وديوان ابن النحاس، وديوان صادق الفحام، وديوان قاسم البكرجي، وديوان
عثمان الخطيب الموصللي، وديوان البحراني، وشرح ديوان ابن أبي الحديد لابن
عصفور، وحديقة الورود في مدح أبي الشتاء محمود، والكمال في شرح الشافية لابن
مؤلفه، وجدول تاريخي لمحمد أمين بن خيرالله الخطيب العمري، وكشكول للعمري،
وتاريخ نخبة بهجة الزمان، في تاريخ مكة، وعنوان الشرف، وهو كتاب مهم في التاريخ،

(1) ومع ذلك فقد ضاعت منها كتب نوادر، حصرها د. عبدالله الجبوري في كتابه : مكتبة
الأوقاف ص57-60.

لياسين بن خير الله العمري، والعقد الثمين في مسائل الدين لمحمد أمين السويدي،
وحديقة الورود في مدح أبي الشتاء محمود، غير ذلك.

ومن كتب جامع القبلانية شرح لديوان المتبي، وتعليقات عليه، وديوان أبي فراس
الحمداني، وديوان أبي تمام، والذب عن الشيخ خالد النقشبندي لمحمد أمين السويدي،
وتاريخ العالم، وتراجم علماء العراق للرحبي، وهو نزهة المشتاق في تاريخ علماء العراق
لمحمد بن عبدالغفور الرحبي، وكتب في السير والتراجم والتصوف، وغير ذلك.

ومن كتب جامع الإمام الأعظم عشرون ديوان شعر لشعراء لم تذكر أسماءهم،
والآثار الباقية للبيروني، ومجموعة نفيسة من الكتب والرسائل في علم الفلك
والحساب وغير ذلك.

ومن خزانة المدرسة العلية كتاب (عمدة البيان في تصاريف الزمان) لياسين بن
خيرالله الخطيب العمري، والدرة المضية في أخبار مصر والقاهرة المعزية، وزهرة
اليساتين فيمن دفن بمصر من المحدثين، وبهجة الزمن فيمن عمّر مكة من آل عثمان،
وديوان ابن بكتاش في مدح والي بغداد سعيد باشا، وديوان ابن الأزري، وديوان السيد
عبدالله الحلبي، وديوان ابن النحاس، وديوان الحويزي، وديوان علي بن حسن الأعرج،
وديوان جعفر البحراني، وشرح نقاية السيوطي لمحمود البغدادي كاتب الينكجيرية،
وعجالة الراكب في مراجعة القاموس، وبيان فرق المعتزلة للعراقي، ونسخة من حديقة
الورود في مدائح أبي الشتاء محمود، ولعل من أنفس الكتب المفقودة تاريخ بغداد لابن
النجار، وكانت منه نسخة في خزانة جامع الفضل، ومختصر له بخط قديم في خزانة
المرجانية.

ومن كتب مدرسة جامع الفضل تراجم أدباء العراق، ولم ندر هوية مؤلفه،
واختلاف المذاهب لابن هبيرة، والإعلام بفضائل الشام، وديوان أبي فراس، ومنازل
الحاج، ومسالك الأبصار في محاسن الأمصار.

وغير ذلك من الكتب القيمة والنسخ المفيدة في البحث والتحقيق.

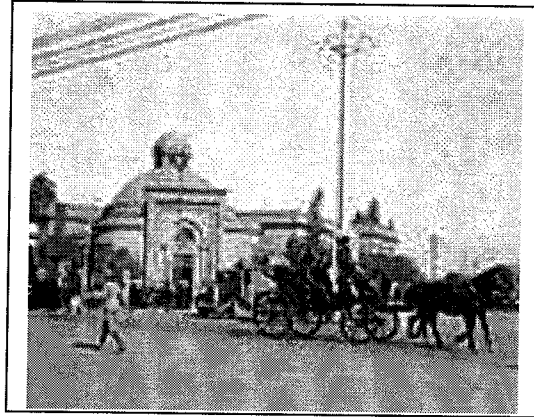
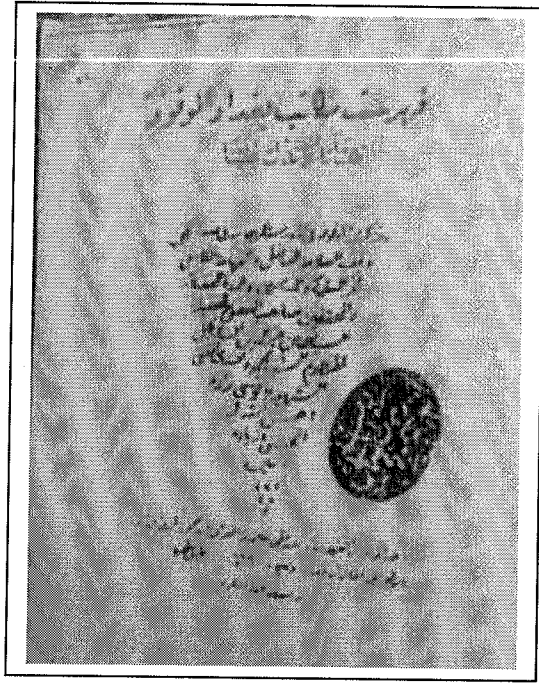
إن (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة) يفيدنا في التعرف على مصادر الثقافة
والمعرفة في المؤسسات العلمية ببغداد في العصر العثماني، وهو يكشف عما كانت
تزخر به تلك المؤسسات من كتب ورسائل مهمة ضاع أكثرها اليوم على الرغم من

قرب عهدنا بها . ومن المؤكد أن ما ضمّه الكتاب من فهارس ليس هو إلا لقسم قليل مما كانت تحتويه المدينة من خزائن كتب، فقد وصلت إلينا أسماء عددٍ آخر من الخزائن الضائعة لم يُحط بها هذا الفهرس . وكان السيد محمد آل جميل قد لاحظ ظاهرة فقد الكتب، وسجل أسماء بعض خزائنها المهمة في مقالة نشرتها جريدة الزوراء في 13 شباط من سنة 1287 رومية، حيث قال «ولا زال يتصاعد هذا الحال إلى أن غَدَت تلك المدارس التي كانت في الزمن القديم مملوءة من الكتب المتنوعة خالية من مجلد واحد، وعادت فارغة مثل فؤاد أم موسى... فمن جملة ما يقتضي أن يصير معلوماً لديكم أن إحدى هذه المدارس المعتبرة في بلدتنا، لا بل الأولى منها، مشهورة بالمدرسة العلية. وإن المدرسة كانت قديماً تحت إدارة رئيس العلماء، ويوجد في كتبها آلاف من الكتب الخزّوية القيمة، وبينما كان هذا الحال مشاهداً ينظر تحقيق كل واحد، وإذا من عشر سنين فُقدت تلك الكتب النفيسة، ولا يُعلم بيد من دخلت. ومع ذلك فأمثال مدرسة الأحمدية، والسليمانية، والقبلائية، والعدلية، والحيدرخانة، والأصفية، ومدرسة حسن باشا، من المدارس والجوامع، مع أن وظيفتها (يريد مخصصاتها المالية) تؤخذ، إلا أن الكتب القيمة المودعة فيها والخارجة عنها لا يوجد منها ولا كتاب واحد».

ولنا أن نلاحظ أن المؤلف إختصر عنوانات أكثر الكتب التي نوّه بها في فهرسته، وسبب ذلك يعود إلى رغبته في الإسراع بالعمل من جهة، ولأن هذه العنوانات - من جهة أخرى- كانت معروفة تماماً لدى علماء عصره، لكثرة نُسخها، وكونها من كتب الجادة، أي الكتب المتخذة لأغراض الدرس فحسب.

وعلى أية حال، فإن (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة) هو أول محاولة جادة لحصر تراث هذه المدينة العريقة من الكتب، وهذه المحاولة، وإن أعوزتها بعض قواعد الفن، وتخللها شيء من التقصير، فإن لها قَصَبَ السَّبْقِ في حقلٍ هو دون ريب من أهم حقول الدراسات التراثية وأكثرها جِدةً وحادثة⁽¹⁾.

(1) ثم أننا نشرنا هذا الفهرس، وصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف السني، بغداد 2014، في 254 ص.



المكتبة العامة في بغداد (صورة قديمة)

مخطوطة (تعليم البلطجية)

البلطجية، أو البالطه جية، كلمة تركية مكونة من مقطعين، (بالطه) وهي أداة قتال أو قتل أو قطع، تُصنع من الحديد عادة، أو من الحديد والخشب، وتتكون من قطعة من الحديد، حُد جانبها العريض، فأصبحت قادرة على قطع ما تُضرب به، وذراع صلبة من حديد أو خشب، تثبت فيها القطعة المذكورة، و(جي) وهي أداة نسبة إلى الحرفة، فيكون معناها حامل البلطة والمختص باستعمالها، ويقابل هذا المصطلح في الفارسية (الطبردار) الذي شاع في جيش المماليك في مصر بالدلالة نفسها⁽¹⁾.

نشأت جماعة البلطجية في الدولة العثمانية في القرن الخامس عشر؛ أي: منذ أول عهد الدولة، وكان يجري تجنيدهم من بين شبان (الدُوشرمة)، وهم الذين كانوا يُختارون من بين سكان البلقان للخدمة العسكرية في قوات (الينكجيرية) أو الإنكشارية، وتُعد مدة خدمتهم جزءاً من حياتهم العسكرية في هذه القوات، وأدخل بعضهم، في عهد تال، ضمن تشكيلات (السباهية)؛ أي: الفرسان، و(السلحادارية) وهم المختصون بمخازن السلاح، وأوكلت إليه مهام متنوعة، فكانوا (خبراء متفجرات) و(طلائع) للجيش، ثم أوكلت إليهم مهام متنوعة، لا سيما في حراسة قصور السلاطين في أدرنه، ثم في إستانبول، كما كانت تُعهد إليهم مهام أخرى، منها قطع الأشجار التي تعترض حملات السلاطين، وإطفاء الحرائق، وتزويد القصور بالحطب، ومنهم من كانت توكل إليهم بعض الواجبات الاحتفالية، فضلاً عن واجبات الحراسة⁽²⁾.

وكانت هذه التشكيلات تُتيح فرص إرتقاء بعض البارزين فيها إلى مناصب عالية ورئيسة في الدولة، حيث عُرف أصحابها بلقب (بالطه جي)، منهم سليمان بك بالطه

(1) يظهر أن البلطة كانت أحد الأسلحة التي يحملها الجنود العثمانيون إلى جانب أسلحتهم الأخرى، وهي تشبه من حيث الشكل والاستعمال (الساطور) و(الطبر).

(2) New editon, PP. 1003-1004 Boween, Harold, Baltadji. Encyclopia of Islam editon, وسهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 2000، ص65، ومع ذلك فليس فيما كتبه يالماز أورتونا عن تشكيلات الجيش العثماني إشارة إلى صنف بهذا الاسم، ينظر أورتونا: تاريخ الدولة العثمانية، إستانبول، مؤسسة فيصل، 1985.

أوغلي، الذي عاصر السلطان محمد الفاتح، وشغل منصب (قبودان)؛ أي: قائد الأسطول، وأدى دوراً مهماً في أثناء فتح القسطنطينية⁽¹⁾، ومنهم محمد باشا بالطه جي، وقد تولى بغداد سنة 956هـ/ 1549م وسنة 959هـ/ 1551م⁽²⁾، ومنهم سميّه محمد باشا بالطه جي، وهو من مشاهير القادة، تولى منصب الصدر الأعظم في سنة 1116هـ/ 1704م، وشارك قائداً في معظم الحروب المهمة في عهده⁽³⁾، وغيرهم.

وعلى الرغم مما أصاب معنى هذا المصطلح من تطور في الحقب التالية أبعده عن دلالاته الأولى، فإن المخطوطة التي سنتناولها الآن بالدراسة واضحة في تعيين معناه الأصلي، وهو أنهم صنف من صنوف الهندسة العسكرية⁽⁴⁾، وفي عهد السلطان محمود الثاني (1808 - 1839) ألغي هذا الصنف بصفة نهائية ضمن عملية إلغاء الجيش الإنكشاري كله⁽⁵⁾.

ويسمى المعجم العثماني⁽⁶⁾ البالطة فأساً، وهذا معقول، على أساس أن مهمتهم في حفر الخنادق تستدعي الفأس أكثر من البالطة، التي اشتقت منها أسماء وأفعال مختلفة، ف(البالطه صايي) هو (المعاون)، و(البالطه لامق) تعني القطع بالفأس، كما تعني الهدم والتخريب، ويظهر أن المعنى الأخير مأخوذ مما كان يكلف به البالطه جية أو البالطه جية من هدم جدران القلاع وتخريبها، أما (البالطه لق) فهي الغابة التي يحتطب منها، ومن معاني القوة والبأس التي تجمع بين هذه الألفاظ، اشتقت كلمة (البالطه أصمق) التي تعني التسلط.

(1) شمس الدين سامي: قاموس الأعلام، بالتركية، إستانبول ج2 ص1208.

(2) مرتضى نظمي زاده: كلشن خُلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، النجف 1971، ص203 و204،

وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج4 ص54 - 55.

(3) قاموس الأعلام ج2 ص129.

(4) من الواضح أن لا صلة مطلقاً بين البلطجية وبين ما تطور إليه معنى هذا اللفظ في العُقدتين الأخيرين في مصر وبعض البلاد العربية إلى مفهوم يتصل بالإرهاب والعنف؛ حيث عرف أحدهم البلطجية في موسوعة ويكيبيديا الحرة على النحو الآتي: «هي نوع من النشاط الإجرامي، يقوم من يمارسه بفرض السيطرة على فرد أو مجموعة، وإرهابهم وتخويفهم بالقوة عن طريق الاعتداء عليهم أو على آخرين، والتكيل بهم، وأحياناً قتلهم لغرض السرقة أو قمع الرأي».

(5) Boween Op.Cit P.1004

(6) محمد علي الأنسي: الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت 1320، ص105 - 106.



جندي عثماني مدجج بالسلاح

وقد ذكر الأمير عمر طوسون في كتابه عن الجيش المصري في عهد محمد علي أن رجال الهندسة يُكوّنون أربع أورطة⁽¹⁾، وكل أورطة منها ثمانية بلوكات⁽²⁾، واحد لوضع الألغام، والثاني لعمل الكباري والجسور، والستة الباقية يحملون البلط (بلطجيه)، وفضلاً عن أن هذه الأورط تقوم بإنشاء الحصون والاستحكامات والمعسكرات في أثناء الحروب، وفي حالة السلم، فإنهم كانوا يتولّون قطع الأشجار للإفادة منها فيما يحتاجه الجيش أيضاً، وربما الدولة بوجه عام، ومعنى هذا أن البلطجية كانوا يمثلون أغلبية المقاتلين في كل أورطة، وهذا يدل على أهميتهم في ذلك العصر. ونقل عن كلوت بك Antoine Barthelemy Clot في كتابه (نظرة عامة حول مصر) أن الجيش المصري كان في سنة 1831 يضم (الاي) من (حملة البلط) يتخذ من مدينة عكا مقراً له، ويبلغ عددهم (813) فرداً، و(أورطة) كاملة من حاملها تستقر في مدينة الإسكندرية، يبلغ عدد أفرادها (808) فرداً، بينما ينقل عن جول بلانات أن هذا الجيش كان يضم اثني عشر بلوكاً من البلطجية، وكل بلوك مع (الاي) للمشاة، وكان البلوك يتألف عند تأسيسه من 1200، لكن عدده انخفض، فيما بعد، ليصبح 700 فرداً.

(1) الأورطة هي الفرقة من الجيش.

(2) البلوك هو الفوج.



كلوت بك

وهذه المخطوطة، التي بين أيدينا، المعنونة (تعليم البلطجية) هي من نوع الكراريس العسكرية التي يصدرها أحد الصنوف في الجيش لهدف عملي محدد، هو تعليم الجنود في الصنف المذكور كيفية تنفيذ المهام العسكرية التي تعهد إليهم، ومن ثم يجب ألا نتوقع أن تحمل المخطوطة اسم مؤلفها؛ لأن من يتحمل مسؤولية تأليفها أو ترجمتها هو قيادة الصنف كلهم، لا مؤلف بذاته، ومما يتصل بهذا أن أسلوب الكراسه يأتي - عادة - بسيطاً مباشراً؛ لأن الغاية منه هي توصيل المعلومة العسكرية بأيسر سبيل، ومن المؤكد أنها كانت خاصة بالجيش المصري في عهد مؤسسه محمد علي باشا، وأنها أعدت من أجله أصلاً، فأسلوبها يشبه إلى حد كبير أسلوب الكتب العسكرية التي كانت تعد لخدمة صنوف هذا الجيش، وهي تبدأ بلفظ (تعليم) على نحو ما نجده في تلك الكتب.

والكتاب مُترجم؛ حيث ذكر مُترجمه إسمه صراحة بعد انتهاء آخر عبارة فيه، وهو أحمد صفي الدين العلمي⁽¹⁾، كما توجد عبارات وألفاظ في بعض المواضع تصحح لفظاً أو عبارة، كتبت بخط مختلف عادي، بينما شطب بالحبر على العبارات التي جرى تبديلها، مما دل على أن المترجم سَلَّم نص مُسوَّدة ترجمته إلى ناسخ حسن الخط فنسخها، ثم عاد إلى هذه النسخة فقابلها على مسودته، وأثبت أحياناً تعليقات

(1) الورقة 34 أ.

تصويبية عليها، ولم يذكر المترجم اللغة التي ترجم منها، والراجح أنه مُترجم من الفرنسية تحديداً؛ وذلك لاستعمال مؤلف الأصل وحدات المقياس المترية دون غيره من المقاييس، وهي المتر، والسنتو (يريد السنتيمتر) بوصفهما وحدتا قياس الأطوال، ومن المعلوم مقدار تأثير التقاليد والعلوم العسكرية الفرنسية على جيش محمد علي منذ أول العهد بتأسيسه، وكون كبار قادته كانوا فرنسيين، ومن غير المستبعد أن يكون الكتاب مترجماً عن التركية، بوصفها لغة وسيطة؛ وذلك لكثرة المصطلحات والنداءات التركية فيه⁽¹⁾، وثمة إشارة مهمة وردت فيه يفهم منها أن مؤلف الكتاب الأصلي كان فرنسياً عاش في أوائل القرن التاسع عشر؛ حيث جاء في المخطوطة: «وانما ينتج من التجارب التي أجريت في آلاي مدينة منتلبيران أن الوسطة الآتية التي أجراها رئيس أروطة المهندسين سنة 1232 يمكنه العمل بموجبها مع النجاح»⁽²⁾، فالمدنية كما يظهر من اسمها فرنسية، وتاريخ الحادثة هو سنة 1816م الموافقة للتاريخ الهجري المذكور.

وتتألف المخطوطة من 54 ورقة، ذات لونٍ داكنٍ يميل إلى الرمادي، مصري الصنع، رديء النوعية، بمقياس (25، 18×3، 5سم) في كل منها 21 سطرًا، وهي بخط نسخ معتاد، بمداد أسود، عدا عنوانات الدروس والأرقام فهي بمداد أحمر، مجلدة بالورق المقوى الخفيف، والمغلف بورق تغليف أخضر اللون، مموه باللونين الأبيض والأسود، وبكعب من جلد أحمر.

وليس للمخطوطة ورقة عنوان، ولكننا نجد في الورقة الأولى منها بسملة كتبت بخط الثلث الجميل، يليها عنوان بخط عريض واضح، هو (تعليم البطه جية)، والكلمة بالطبع

(1) رأى مفهرس المخطوطة أن المخطوطة مترجمة من اللغة التركية؛ وذلك «لشيوع الألفاظ التركية العثمانية الحربية فيها، فعمل مؤلفها كان أحد المهندسين العسكريين العثمانيين الذين اشتركوا في حصار الحصون في جهات أوربا الغربية (يقصد: الشرقية)، مثل بلغاريا ورومانيا والمجر ويوغسلافيا»، قاسم السامرائي: الفهرس الوصفي لبعض المخطوطات المحفوظة في مكتبة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، 1418هـ/1997م، ص 500 - 501، ونحن نعتقد أن شيوع الألفاظ التركية لا يقف دليلاً على أنه مترجم عن هذه اللغة تحديداً؛ لأن التركية كان في الوقت نفسه لغة التعليم العسكري في مصر؛ فشيوع مصطلحاتها في كتاب يُترجم عن الفرنسية إلى العربية كان أمراً ممكناً دائماً، ويكشف تتبع الألفاظ والمصطلحات الواردة في هذه المخطوطة عن أن كثيراً منها بغير التركية، عربية وعامية مصرية وغيرها، أما القول بأن المؤلف هو أحد المهندسين العسكريين العثمانيين الذين اشتركوا في حصار الحصون... إلخ فلم نجد دليلاً عليه.

(2) الورقة 31ب.

محرفة من كلمة (البطله جية)، ويليه نص الكتاب نفسه. كما تتقدم المخطوطة ورقة بيضاء كتب في ركنها الأيمن الأعلى عبارة، هي: (هذه مجموعة البطله جيه بالتمام والكمال)، وتحتها وعن يمينها ختم مدور باسم (مصطفى درويش)، وينتهي نص الكتاب في الورقة 34 بعبارة تقول: (معرفة خصوصية تصير تنظيم فدانها بواسطة خوابير خشب كبيرة، واللّه أعلم بالصواب)، ويعدها ترد عبارة تشير إلى اسم المترجم تقول: «صار مقابلة على يد مترجمه أحمد صفي الدين العلمي»⁽¹⁾، وتشغل الأوراق التالية، وهي المرقمات من 34 إلى 45 نص طويل كتب في أعلى الورقة الأولى منه: (في الشروع في المحاصرة)، وتحت (تابع) درس السادس عشر من تعليم البطله جية)، وهو يتألف من العناوانات الآتية:

1- في المخازن.

2- بيان الإحاطة على القلاع والمدن.

3- بيان معرفة كشف الحصون والقلاع.

4- بيان فتح الخنادق.

5- في التحصين.

وينتهي نص هذا المبحث (التابع) بعبارة بخط الناسخ نفسه تقول: (تمت الشروع بعون اللّه تعالى)، وقد حَمَلت هذه العبارة مفهرس المخطوطة إلى القول: «لعلها جزءاً من رسالة كبيرة تسمى الشروع، بيد أننا لم نجد بعد أية رسالة في فنون الحرب تحمل هذا العنوان أو جزءاً منه»، والذي نذهب إليه أن (تعليم البطلجية) كتاب مستقل تام، إلا أن الناسخ تصور عبارة (في الشروع في المحاصرة) الواردة في أول التابع عنواناً لرسالة مستقلة أخرى، فحتمها على ذلك النحو الذي يوحي بأنها عنوان عام للمخطوطة كلها.

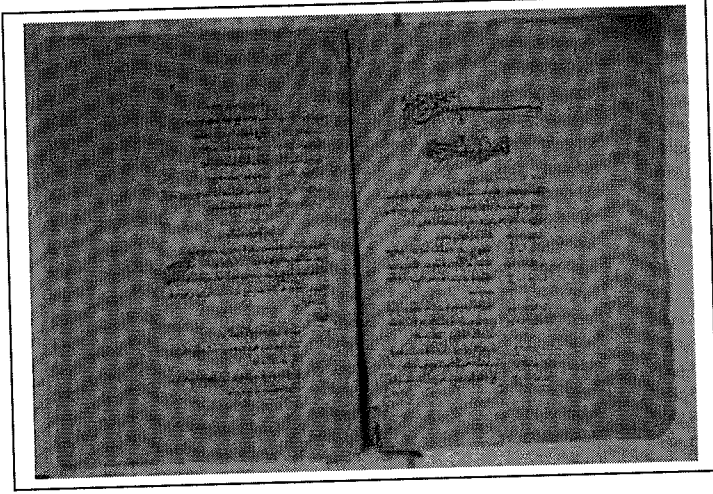
وتلي ذلك، في الأوراق العشر الأخيرة من المخطوط (55 - 54)، رسوم توضيحية سننتاولها فيما يلي من هذه الدراسة، وعند مقابلة عنوان المخطوطة على قائمة الكتب العسكرية المترجمة في عهد محمد علي باشا⁽²⁾ لم نجد له ذكراً، مما يغلب على الظن أنها لم تجد طريقها إلى الطبع، كسائر الكتب العسكرية الأخرى، لسبب لم نعرفه.

(1) الورقة 34 أ.

(2) ينظر جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، القاهرة

1951، الملحق الثاني.

كانت المخطوطة من مقتنيات مكتبة أحمد خيرى الخاصة بمصر، المسماة (روضة خيرى)، تحت العدد 328، ومنها آلت إلى مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، حيث حُفظت تحت العدد 1129، وصنفت على أنها من (الفنون الحربية)، وقد حصلنا على نسخة مصورة منها من خلال عونٍ مشكور قام به الإخوة في شبكة الألوكة الغراء بناءً على طلبنا، فجزاهم الله كل خير.



الصفحتان الأوليان من مخطوطة (تعليم البلطجية)

والكتاب عملي تعليمي بحت؛ إذ يبدأ الكاتب مباشرة في تعيين نطاقه وهدفه قائلاً: «القصْد من هذا التعليم إجراء أشغال الهجوم على القلاع، وتلك الأشغال هي تحت إدارة طائفة من المهندسين، والبلطه جيه هم المَنوْطون دون غيرهم بإجرائها».

ويحدد الكتاب صفة البلطه جيه بدقة، فهم فئَة محددة من منتسبي المجموعة التي يسميها (طائفة) أو (فرقة)، وليس جميعهم، وكل منهم يحمل رقماً تسلسلياً، حيث نقرأ: «يجري الفَحت (يريد: الحضر) البسيط بواسطة طائفة أو فرقة من البلطه جيه مركبة من ثمانية أنفار تحت إدارة واحد (صف ضابطان) رئيس الفرقة المذكورة، ومن ضابط ناظر الفَحت، والأربعة أنفار الذين يشتغلون في الفَحت يسمون بلطه جيه، والأربعة الآخرون يسمون خدامين أو يماغية؛ لأن يماغيتهم منحصرة في المساعدة في المناورات وتحضير المهمات، والبلطه جيه مُنمَرُون (أي مُرَقَمُون) من واحد إلى أربعة، بالابتداء من النفر الذي في الأول، والخدامين مُنمَرُون أيضاً، ولكن من شغل الطائفة كل واحد من الثمانية بالمناوبة».



محمد علي يستعرض جيشه

والبلطجي لا يقتصر في معداته على البلطة فحسب، كما يتصور البعض، وإنما هو - بحسب المخطوطة - مسلح بالبندقية ذات الحربة، وهو يحمي رأسه بلبس (الخوذة)، أما صدره فيغطيه بواقٍ يسميه (الزرد)، وهو لباس مكون من حلق الحديد تمنع عنه الإصابة بالرصاص أو نحوه، ويظهر، بحسب المخطوطة، أن حملَه للبلطة هو لغرض شق الأنفاق وتغطيتها بفروع الشجر، توصلًا لجدران الأسوار بغرض نسفها فحسب، وليس لأغراض قتالية بالضرورة، لا سيما بعد أن حمل معظم منتسبي الصنوف العسكرية السلاح الناري الخفيف ما داموا في ساحة المعركة، أما الزرد فهو فيما يبدو بقية من لباس المقاتلين في العصور السابقة، حينما كان يقي لابسَه من ضرر طعنات الرماح والسيوف، أما في عهد الكاتب، وهو عهد التوسع في استعمال الأسلحة النارية، فلم يعد ارتداؤه مُجدياً في أكثر الأحيان، ولكن يظهر أن ارتداؤها من قبل البلطجية بالذات كان لوجودهم في أماكن قريبة من أسوار القلاع، حيث يمكن أن يستعمل السلاح الأبيض في أي وقت.

إن أساس تعليم البلطجية هو في حفر (فحت كما تسميه المخطوطة) خندق باتجاه الهدف المراد نسفه، وتغطيته بأغصان الأشجار بعد تعديلها بالبلطات، وصفها بانتظام لتكون كالسقف له⁽¹⁾، ويجري وضع تخطيط كامل للنفق على الأرض، ثم يبدأ بإزاحة الأتربة من أرضه بواسطة أدوات حفر تشبه الجرافات يسميها (كريكات)، وفؤوس ذوات رأسين مدببين تسمى (قزمات)⁽²⁾ حتى يكون بعمق كاف لسير

(1) الورقة 6 ب.

(2) يوجد رسم للقزمة تحت الرقم 21 من الورقة 46 (تنظر هذه الصور في آخر هذه الدراسة).

البلطجية، بينما تُنقل الأتربة ومخلفات الحفر في سُبوت (جمع سُبْت، وهي السلة الكبيرة) حيث تنقل إلى خارج الخندق لتكون سترًا يحمي حركة العاملين فيه من قذائف الأعداء الذين في أعلى القلعة المراد نسف جدارها⁽¹⁾، وتفتح عن يمين الخندق وشماله فتحات يسميها (تقريجات)، تتيح للعاملين فرصة الخروج منه في أي وقت. وفي حالات معينة يحفر خندق آخر على نحو متصل بالأول، فيكونان ما يشبه الأنفاق التي تحفرها الفئران؛ ولذلك فهو يسميها (سكة الفأر)، ويتوخى البلطجية من هذه الأنفاق تحقيق اقتراب شديد من سور القلعة التي يجري اقتحامها حتى يتمكن (اللغمجية) من وضع الألغام في أقرب نقطة منها لنسف جدارها، وليست هذه الألغام إلا عبوات من البارود تُرص في نهاية النفق عند تلك النقطة، ولا يشترط أن يبدأ حفر الخندق من أبعد الأماكن عن القلعة، فهذا ما يضيع من الوقت والجهد الكثير، وإنما يمكن أن يبتدئ البلطجية بما يسميه المؤلف (الحفر البسيط)؛ أي: حفر خندق مكشوف غير عميق في الأماكن البعيدة عن مرمى الأعداء «على بُعد كافٍ من القلعة، بحيث إن النار لا يكون لها تأثير عظيم في المحاصرين، أو عندما يكونوا محفوفين بواسطة التراب، ولا يجرون هذا الشغل إلا في أثناء الليل فقط»⁽²⁾، ويصف المؤلف دور من يسميهم (الأنفار الشغالين) في هذا الحفر، فيذكر أن على الضباط المهندسين ترتيبهم، «وبيان ذلك أن الأنفار الشغالين من كل فرقة يكونوا مُصطفين على خط واحد، ومع كل واحد منهم فأس موضوع على مقدم الذراع الأيسر المنثني، وفي اليد اليسرى كريك، بحيث يكون الحديد إلى أعلى، وفي اليد اليمين (دمت رسم). وتكون البندقية في علاقتها، والسنجة في بيتها، والضباط المهندسون يوصلونهم في هذا الترتيب من محل التجمع إلى أحد نهايتي التخطيط»⁽³⁾، ويكون عمق الخندق متراً ونصف المتر.

وثمة نوع من الحفر السريع للخنادق يسميه (الفحت الطائر)، ويجري بأنهم «يضعون صفًا من السببات ملتصقة بعضها ببعض، بحيث إنه إذا امتلأت تلك السببات بسرعة، فإن الشغالة تكون معطية ومحمية من الصيلقوم ورسااص الثؤبانات»⁽⁴⁾، وهذا الشغل يصير تخطيطه في مبدأ الأمر بحبل يجرونه في أثناء الليل، وشغالة

(1) الورقة 24 ب.

(2) الورقة 16 أ.

(3) الورقة 20 أ.

كل فرقة تكون مرتبة في محل التجمع على صف واحد، ومع كل نفر كريك وفاس وسبت، والبنديقية في علاقتها، ولأجل حمل السبت يوضعونه على العنق»⁽¹⁾.

ويتناول المؤلف جانباً مهماً في حصار الحصون والمدن، وهو الجانب الاستخباري، موليماً إياه اهتماماً خاصاً، فيقول: «ولأجل كشف الحصون يساعدون بمعرفتها بواسطة الرسومات والخريطات التي يمكن وجودها بواسطة الإستفهامات (ويقصد بها الاستخبارات) التي يمكن تداركها من الناس المتحصنين بالحصن بواسطة الاستفهامات والأشخاص من النبلاء والعقلاء والمقوين على الوصول في الحصون، وبالجملة فإن كافة هذه المفروضات فإنها كافية لأجل معرفة الحصن التي يجرونها بتفهم ليلاً ونهاراً، أما في النهار يلزم أن (سَرَّ عسكراً) يتقدم نفسه نحو الحصن ويكون مُصطحباً بجملة قليلة من الضباط بحيث يكونون فداه (وراءه؟) غفير صغير مستور بالزرابي، أو في بعض الخنادق، وهذا النفر يكون محمياً بواسطة غفَر آخر أكثر عدداً من الغفر المذكور، ومتأخر عنه بشيء قليل، وأما في الليل فإنهم يذهبون في جملة عظيمة ويطوفون حول الحصن ويتصورون وضعه ثم يرجعون مع طلوع النهار ويخفون كافة ما كشفوه، وربما تكون الظلمة منعتهم عن معرفة شيء في الحصن المذكور، وهذه الوسائل الغرض منها تعيين خط القلعة التي يراد الهجوم عليها»⁽²⁾.

نطاق الكتاب ومحتواه:

حدد المؤلف نطاق الكتاب بالآتي: «القصود من هذا التعليم إجراء أشغال الهجوم على القلاع، وتلك الأشغال هي تحت إدارة طائفة من المهندسين، والبلطه جية هم المنوطون دون غيرهم بإجرائها».

وهو لا يسمى محتويات كتابه فصولاً، كما جرت عادة المؤلفين، وإنما (دروساً)، إشارة إلى أن هدفه هو تعليم الضباط ومنتسبي الصنف طرق القتال في ساحة المعركة، وبلغ عدد (الدروس) ستة عشر درساً، هي:

الدرس الأول في تشغيل مهمات الحصار.

الدرس الثاني القطع البسيط وهو فحّت سكة الفار العادية.

الدرس الثالث الفحّت الطائر السريع، وهو فحّت سكة الفار بموجبه.

(1) الورقة 8 أ.

(2) الورقة 36 ب.

الدرس الرابع الفتح المألن أو الحافظ، وهو فحت سكة الفار بموجبه أيضاً .
الدرس الخامس الفحت المركب، وهو فحت السكة المذكورة أيضاً .
الدرس السادس بيان المناورات التي يمكن إجراؤها في سلك الفار وقت التمشية
العارضية.

الدرس السابع اتصال الفحتين؛ أي: اجتماع سلك الفار بعضها ببعض .
الدرس الثامن تفريجات الفحوت؛ أي: المشي جهة اليمين واليسار .
الدرس التاسع فتح الفحوت (أي فتح الحفر)، وهو استخراج سكة الفار القريبة
من السكة العادية .

الدرس العاشر فرسان المحاصرة .

الدرس الحادي عشر تتويج السكة المغطية .

الدرس الثاني عشر النزول في الخندق السماوي (وهو الخندق المسقف) .

الدرس الثالث عشر النزول في الخندق الأرضي .

الدرس الرابع عشر النزول في السكة المغطية .

الدرس الخامس عشر المرور من الخندق الناشف أو المألن بالماء .

الدرس السادس عشر تصور الحصار وتشكيله .

ولا بد هنا أن تأتي بنماذج مما تضمنته هذه الدروس، ففي درس (الشروع في
المحاصرة) نراه يذكر أن هذا الشروع «يتوقف على جملة أحوال، ولكن في بعض
الأحيان يجرونه كالتصديق المطلوب لأجل نجارة (٤) جيشين أحدهما محاصرة، والآخر
محافظ وتحت الطلب، فالأول يكون مشغولاً بأعمال، والآخر يكشف محلات المرور،
ويقيم في المركز ويتحصن فيه، وبالجملة فإنه يقيم دائماً بين عساكر الأعداء والجيش
المحاصر، وإن هذا الجيش لا يتحول من محل إقامته المخصوص له وينفر الذخيرة (٤)
ويشتغل بتقديمها ويناط بالخدمات الأخرى، وبعد الشغل في الخندق بستة أو سبعة أيام
يمكن عند الاحتياج أن الجيش المحاصر يقوي عزم الجيش المحاصر وعند الطلب» .

ويوضح المؤلف كميات وأعداد مستلزمات فتح القلاع بدقة ملحوظة، فيقول في
بحث عنوانه (في المخازن): «لأجل محاصرة حصن متوسط يلزم له من المهمات
والأدوات ثمانمائة أو تسعمائة ألف كيلو من البارود، وستون ألف كلة كبيرة، وعشرون

ألف وستمائة عيارها من 8 إلى 12، وثمانين مدفع كبير من ضمنهم الأبوسات، وثلاثون أو خمسة وثلاثون عيارهم من 8 إلى 12، وعشرة أو عشرون عيارهم 8 لزوم المتاريس، وخمسة عشر، أو ستة عشر بمبة، وأربعون ألف قمبرة، وعشرة آلاف فتيل، ومائة وثمانون ألف رصاص، ومائة ألف شطفة، وخمسون ألف شوال، ومائة دوشمة مدافع كاملة، وستون دوشمة وهوان وأربعة وعشرون هواناً، وأربعة وعشرون مدفعاً صغيراً، وستون غنداقاً لزوم تصليح المدافع، وثلاثون غنداقاً لزوم تصليح الهوانات، وجملة عفاريت وسبا، وعربانات منقلات، وزخافات أي عربانات من غير عجل، وأنات من صفيح وأخشاب لزوم الأبانات وألواره زيادة ومايتان عربانات يد وجملة أفضاص وأربعون ألف من المهمات غير مهمات البلطجية والمانوره، وكذلك الحدادين والنقلة بالعربانات والصناعية يكونوا حاضرين، (الورقة 34ب).

وفي الدرس المعنون (بيان الإحاطة على المدن والقلاع) يوضح المؤلف مهام البلطه جيه في اختيار ميدان العمليات العسكرية التي يتطلبها الهدف المحدد، وهو فتح الحصن أو المدينة، ويلاحظ هنا ضخامة عدد الجيوش التي يجري تحريكها لمثل هذا الهدف فيقول: «يبحثون في بعد الأعداء من القلعة التي يريد الهجوم عليها، سواء كان بقوة شديدة أو بالحية (5)، وذلك أن أربعمائة ألف فارس أو خمسمائة تحت إدارة سر عسكر يمشون ليلاً ونهاراً فرسخاً أو فرسخين قبل الوصول إلى الحصن، وهناك يقيمون ويأخذون قياسه لأجل الوصول بشيء قليل إلى مرمى نار مدفع القلعة، ويمسكون الدرندنان، ويقسمون الفرسان إلى رباطات ويوزعونهم إلى أبواب الحصن والمدينة لأجل ضبط كافة من يقابلهم، ويأخذون مركز دائرها، وذلك بالإحاطة على جميع دائرها على قدر الإمكان، ففي ذلك الوقت ينتخب المهندسون الأراضي التي تصلح لإقامة الأوردي وأعمال المتاريس، وفي هذه العملية فإن الجيش المحاصر يمشي بحيث إنه يصل بسرعة إلى أمام الحصن أو المدينة، وفي هذا المحل يبينون لكل جيش محل إقامته، ثم يرسمون المتاريس، مع الاهتمام بوضع خط الطابور موازياً للمتاريس، أو في مسافة 20 متر إلى 200 متر»⁽¹⁾.

وفي الدرس المعنون (العبور من الخندق) يقول: «حينما يكون الخندق ناشفاً لا يمررون منه إلا بواسطة فحت عادي متجه من سكة النزول إلى أسفل شو الشرم، وإنما

لأجل أن يكون الشغل جيد التغطية يهتمون بدون تراخٍ في جعل الفحت عميقاً كما ينبغي في أول الشغل، وإن كان الخندق ملآن ماء تعمل قنطرة، إما بدمنات أو غيرها، وهو أصعب من عملية الحصار الصعبة جداً، وكذلك يجب أن يعمل تقريخ طوله من أربعة أمتار إلى خمسة من كل من جهتي النزول، وخلف كسوة الشو الخارجي لأجل حماية الشغالة، والتراب الخارج من فحت هذه التفاريخ يرمى في الخندق المقابل لسكة النزول يضعون فيه قاعدة القنطرة⁽¹⁾، ومن الواضح أن العبارة فيها من المصطلح ما يعسر فهمها إلا بفهم معناه أولاً، كما أن صياغتها وإن كانت عربية فإن ركة تغلب عليها.

مصطلحاته:

واجهت مترجم الكتاب الحاجة إلى مصطلحات مفهومة مقابلة للأصل الفرنسي، ولما كان المستفيدون من الكتاب ذوي خلفيات ثقافية مختلفة، عربية وتركية وعامية، فإن المصطلحات جاءت من أصول مختلفة هي أيضاً، ويخلو الكتاب من بيان أو جدول بمعاني المصطلحات، ولكن قسماً منها يمكن فهم معناه من خلال السياق نفسه، وقسم آخر يقرن بمعناه مباشرة، بينما تبقى ثمة مصطلحات غامضة المعنى، ويبدو أن شرحها كان منوطاً بالضباط والمعلمين الذين كانوا يعرفون تلك المعاني بالتأكيد، وفيما يأتي قائمة بعدد منها مع الإشارة إلى معانيها وأصولها:

قال: «يعملون التريزيب بطريقة تريزيب السبب العادي» فهي إذاً الحياكة، وربما تأتي بمعنى التثقيب، قال: «بعد غرس القوازيق يصير توضيبها بغرس رؤوسها في تريزيب وفتحها (فتحات؟)» الورقة 15		
ابوسات	ضرب من المدافع	
شروم	قال: «إن تصور الشروم والأقماع يحدث فيه بعض صعوبات»، ولم يتوضح معناها، الورقة 9	
سر يول	رأس الطريق، الورقة 26	تركية
عربانات	جمع عربانة، وهي العربية، الورقة 35.	تركية

(1) الورقة 30 أ.

عربية يد	عربية تدفع باليد، الورقة 26ب.	تركية- عربية
دريند	قال: «ويمسكون الدريندان ويقسمون الفرسان»، قلنا: وهو المضيق، والقلعة الصغيرة، الورقة 35ب	تركية من أصل فارسي
زحافات	قال: «عربات من غير عجل»، الورقة 135أ.	عربية
النتويج	قال: «أن تستعمل جميع الأتربة.. بدون أن يصير فقدما بالبشولات وتتويج الشروح وأقماع اللغم»، الورقة 9ب	عربية
الجرافة	أداة يجرف فيها التراب الناجم عن الحفر، الورقة 21ب	عربية
سَر عسكر	قائد الجيش	فارسية - عربية
أوردي	الجيش، الورقة 35ب	فارسية - تركية
الخروق	الفراغات	عربية
كمرات	وسائط يدحرج عليها السبب المحشى تراباً، قال: «لأجل صعوده على الكمرات إلى أعلى» الورقة 16أ، «توضع بالطه جية.. الكمرات من المنزلقان» الورقة 22أ	
شعبة فحت	أداة تشبه البلطة، الورقة 10أ	مصرية عامية
يدكجية	جنود من السياس	تركية
أقماع اللغم	الورقة 10أ	عربية
مشولة	مدقة، الورقة 5أ	مصرية عامية
قَزْمة	أداة حفر كالنفأس، لكنها ذات رأسين، رسمها في الشكل 18، ولكنه سماها «جنكلين فحت»، الورقة 11أ	

عامية مصرية قديمة	حفز، وردت في مواضع عديدة	فَحَت
	«هو الذي يشرعون في عملياته حالة كون اللغمجية مكشوفين كلية» الورقة 16أ	الفحت البسيط
عامية مصرية قديمة	فحتين (خندقين) أحدهما في جوار الآخر	الفحت المركب
مصرية عامية	ضرب من الحفر السريع، الورقة 7ب	الفحت الطائر
	هي حافة الخندق المقابلة للقلعة، الورقة 16أ	الشو الداخلي للخندق
	يظهر أنه عتبة صغيرة أمام السلم «الشو الصغير الذي مقداره 16 سنتو الموجود أمام السلم» الورقة 7ب	الشو الصغير
	قال: «إن مما يحتاجه فتح قلعة مائة ألف شطفة» ولم يتوضح معناها، الورقة 25أ	شطفة
عربية	إطلاق مدفع، الورقة 35أ	قُنْبُرَة
فارسية	كرة صماء مما كانت تطلقه المدافع	كُلّه
عربية، من درأ؛ أي: ستر	سواتر، الورقة 29ب	دروات
عربية	ساتر متحرك، الورقة 30أ	دروه متحركة
تركية وعربيتها (لقم)	الجنود المختصون بتعبئة الخنادق بالألغام، الورقة 16أ	اللغمجيه
عربية أصلها	أداة لكسح الأتربة تصنع من الحديد، مثبتة على	كريك

كرك	عمود من خشب، «في اليد اليسرى كريك بحيث يكون الحديد إلى أعلى»، الورقة 16	
	قال: «بحيث تكون الديجك من جهتهم» ولم يتوضح معناه.	الديجك
مصرية عامية	حفر، خندق مفعور؛ أي: محفور، الورقة 5ب	فحر
تركية	السلسلة، وردت «حبل واحد أو جنزير» الورقة 23ب	جنزير
	قوائم متباعدة عن بعضها البعض، الورقة 3ب	جمالان
عربية	الفرقة، وحدة عسكرية صغيرة	الطائفة
إنجليزية	مجموعة البلطه جية في الطائفة، تتركب من أربعة أنفار، الورقة 3ب	الورشه
عربية	الجنود من المقاتلين والشغالين	الأنفار
عربية	يبلغ عدد الأنفار الشغالة من 100 إلى 200	الأنفار الشغالة
عربية	الرباط من الجلد تعلق فيه البندقية على كتف الجندي	علاقة البندقية
تركية من أصل عربي	اللوح من الخشب	سقالة
	يظهر أنه السونكى، وهى حرية البندقية، قال: «والسنجة في بيتها»	سُنْجِه، ريما سيخه
	السلمة أو الدرجة، قال: «سلمتين من الدمث لأجل الصعود على قفا سطحى.. ويكون كل سلم مكون من دميتين»، الورقة 7ب، لكنه ذكر في موضع آخر الورقة 31 ما يفهم أنه نوع من الملاط فقال: «فرش من الدمث»، و«كل نوع من فروشات الدمث»	دمت

عربية بتركيب تركي	يمكن أن يكون جوانب الخندق، الورقة 6ب و7ب	قفا سطحي
عربية	بنادق	بُنْدُقَات
فارسية	ضرب من الإطلاقات النارية، قال: «إن الشغالة تكون مغطية ومحمية من الصلقوم ورسااص القربانات»، الورقة 18أ	الصلقوم
عربية	ضرب من الإطلاقات النارية، الورقة 18أ	رصاص القربانات
عربية	الورقة 9ب	أقماع الغم
	سياج السلم	الدرابزين
عربي بتركيب تركي	مساعدو الضباط، الورقة 8ب	صف ضابطان
	قال: «أن تستعمل جميع الأترية.. بدون أن يصير فقدها بالبشولات» الورقة 9ب، وقال: «يثبتها بواسطة حزم صغير أو بشولات تراب وحشيش»، الورقة 16أ	البشولات
عامية مصرية	مقلوب يحضر	يفحر
تركية	مساعدون، معاونون، قال: «يشغل في خدمات البلطجية واليماغية بالمناوبة» الورقة 10أ، و«كل بلطجي من الأنفار اليماغية»، الورقة 14أ	يماغية
تركية	ما يقابل كلمة خطاف الذي يعلق فيه الحبل ونحوه	شَنكل
فارسية	قال: «يقبض على الجنكل الموضوع على قفا سطحي»، وقال: «فإن البلطجي يدوره بواسطة جنكل التي تكون فيه الشعبة»، الورقة 12أ، و«تسهل هذه	جنكل

	العملية بدفع السبب المحشى قليلاً إلى الأمام بواسطة جناكـل» الورقة 17أ	
عربية	هى حافة الفأس التى يقطع بها، الورقة 12 أ	الشعبة
تركية	القطعة من الفحت (الخدق)، قال: «يخرج الشغالة من القطع الذى كانوا فيه جزءاً بعد جزء»، الورقة 18.	القطع
	نوع من السواتر، قال: «أنات من صفيح وخشب لزوم الإبانات»، ولم يتوضح المعنى بأكثر من هذا	أنات
من التركية جوال، وهو الزكية من الخيش	كيس من صوف، الورقة 17ب و22ب	شُوال
	يحتمل أنه حبل ثخين في كل من طرفيه عقدة	قابستان
عربية	فرجات عن يمين الخندق وساره، الورقة 15ب	تفريجات
عربية	وتد	خابور
	فتحات بين الشوالات لأجل الرمي، الورقة 24ب	مزاغل
تركية	مصلح الاسلحة النارية، قال: إن مما يستلزمه فتح قلعة «ثلاثون غنداقاً لزوم تصليح المدافع»، الورقة 35	غنداق
تركية	الحارس، الناظر، المحافظ	الديدبان
	يظهر أنها أسطوانات؛ لأنه يذكر أنها بطول 4 - 6متر، ويقطر 30,0 سنتو، الورقة 3ب	سجقات
تركية من (دوكوج)	مدقة	دوقماق
تركية	ربايا، الورقة 29ب	طوابى
عربية	مدفع هاون، الورقة 35أ	هوان

عربية	أداة في طقم البلطجية لم يتضح معناها، الورقة 11أ	مناولات
	قال: إن من طقم البلطجية «ثلاثة كمرات»، ولم يتضح معناها، الورقة 11أ والورقة 16أ	كمرات
فرنسية	البيان اليومي للحوادث، قال: «وهذه الرسومات ترفق بجرنال يذكر فيه كافة رسومات العملية اللازمة»، الورقة 34أ	جُرْنال
عربية	ممشى أو ممر منحدر، الورقة 22أ	مَزْلِقان

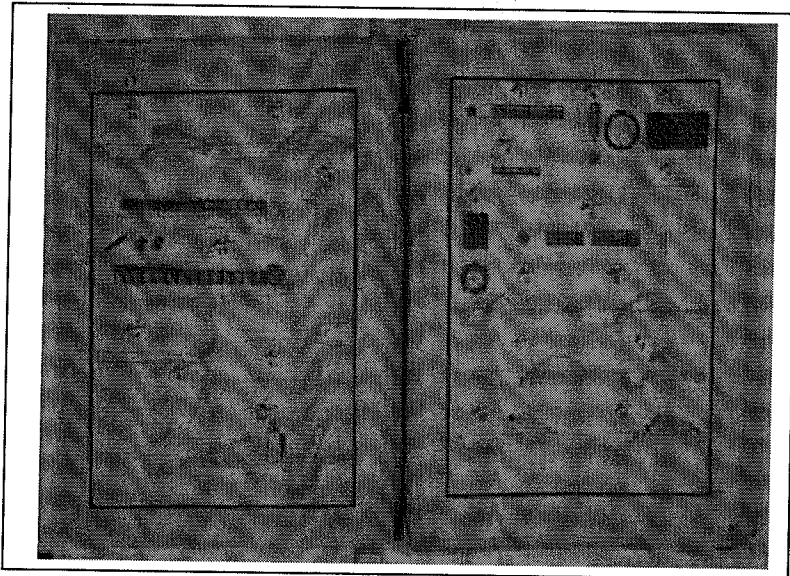
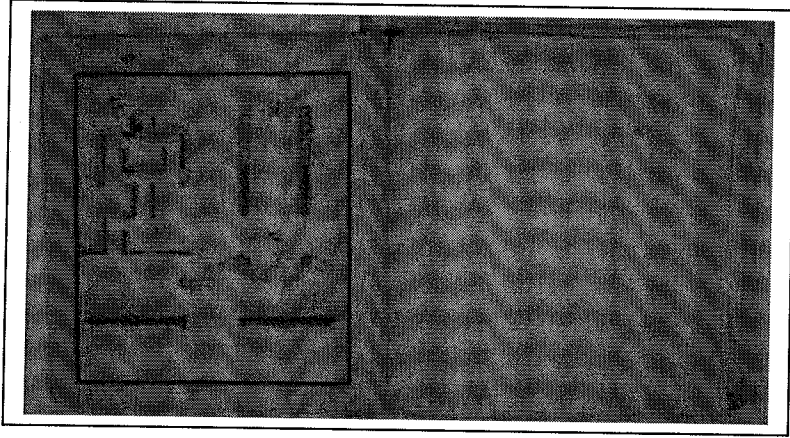
أسلوبه:

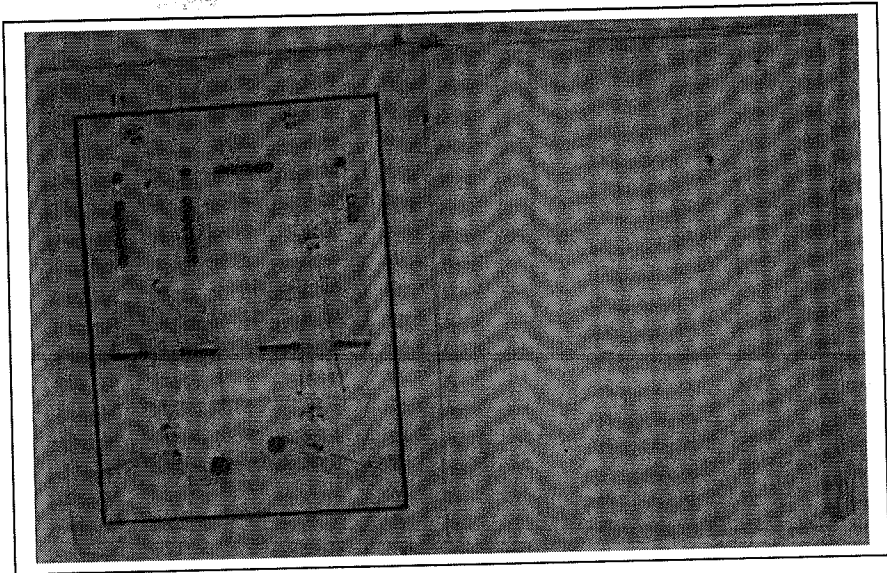
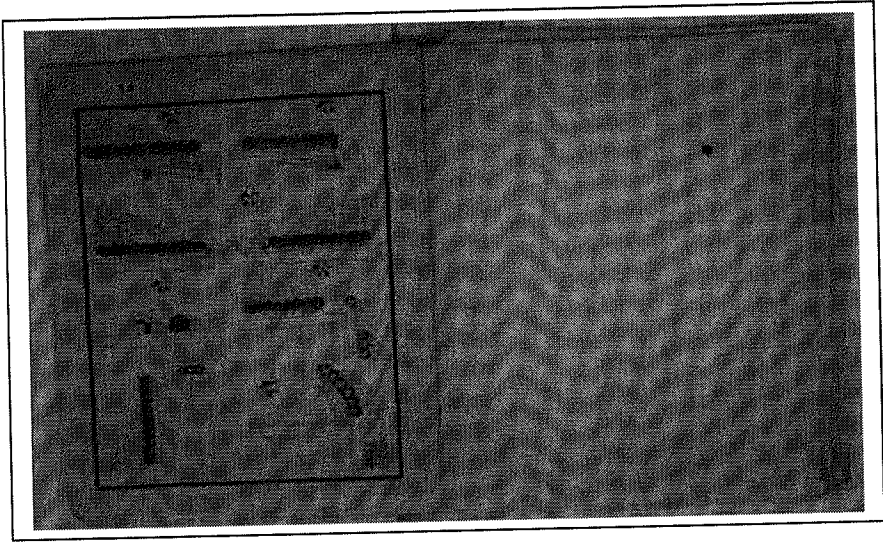
كتب المترجم هذا الكتاب بأسلوب مباشر واضح، أراد به إفهام قارئه بأيسر سبيل، لا سيما وهم عسكريون غير معنيين بفضول اللغة أصلاً، ومع ذلك فإن صياغة الكتاب جاءت عربية، وإن اعتورتها بعض الركة، فلا يكاد يلحظ القارئ أنه مترجم عن لغة أجنبية، ولولا عشرات المصطلحات والعبارات والنداءات التركية التي وردت في شياها لكان الكتاب يبدو عربياً من هذا الجانب أيضاً، ويظهر أن مراجعاً للكتاب، نرى أنه المترجم نفسه، قد عاد إلى الكتاب بعد أن نسخه ناسخٌ آخر، فصحح فيه عبارات وألفاظاً على نحو أكثر سلامة، من ذلك مثلاً أنه أبدل عبارة (عمليات الكشوفات) بـ: (عمليات الاستكشافات)، وهذه الاصطلاح هو الذي استمر استعماله فيما بعد وحتى اليوم، وأبدل عبارة: (إذ كان لا يوجد في الفحت نار يخشى منها إلا في اتجاه على الخط الذي يقتضي أن يصير عليه) بالعبارة: (إذ كان لا يخشى إلا من نار اتجاهها عمودي على اتجاه الفحت)، بل إنه غيرَ جملاً كاملةً بجملةٍ أخرى لا صلة لها بما كانت عليه، مثال ذلك أنه أبدل عبارة (الهجوم للتحصينات التي لها من قبل ذلك) بعبارة مختلفة هي (الهجوم على القلاع، ويلزم أيضاً أعمال الأشغال والمناورات اللازمة للتحصين التي لها من قبل ذلك).. وهكذا.

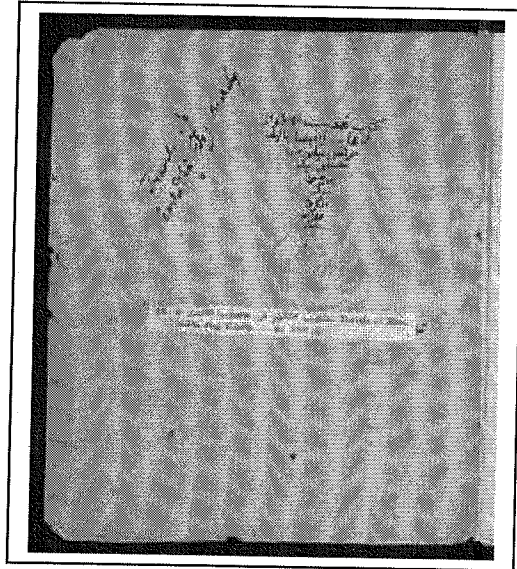
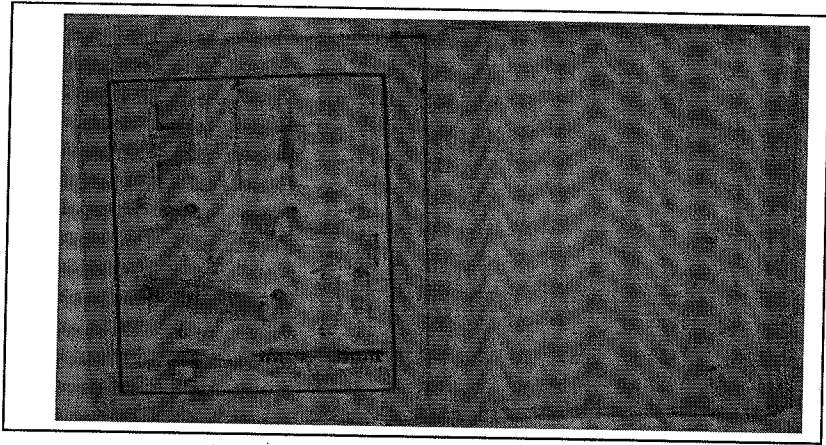
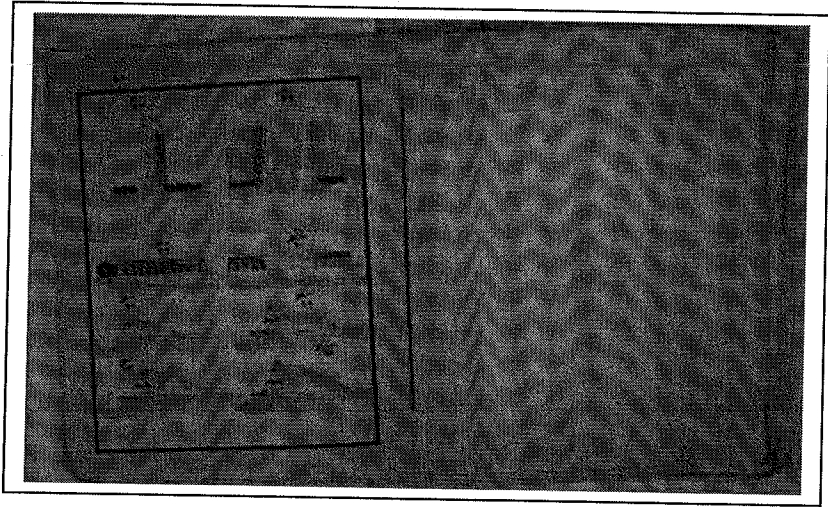
الرسوم التوضيحية:

أشرنا إلى أن المخطوطة احتوت على عددٍ من الرسوم التوضيحية، شغلت الأوراق العشر الأخيرة منها، وقد تميزت هذه الرسوم بالدقة البالغة، ففي كل ورقة توزع عددٌ منها يتراوح بين 5 و10 رسوم، أحيطت بإطار موحد الشكل، ورتبت على وفق ما أريد

توضيحه في متن الكتاب، فبلغ عددها 65 رسماً، ووضع عند كل رسم رقمٌ يدل على موضع الإحالة إليه في ذلك المتن، والرسوم جميعها مخططة بالحبر الأسود، استعمل في تنفيذها التخطيط والتظليل والتقيط، وخطت الخطوط المستقيمة باستخدام المسطرة، والدوائر والأقواس من خلال بركار أو منقلة، وتدلت دقتها على أن راسمها محترف له خبرة في إعداد مثل هذه الرسوم، وأنه استخدم في رسمها ريشة من نوع خاص يستجيب إلى هذا النوع من العمل، وتمثل الرسوم المذكورة مخططات لأدوات البلطجية من الفؤوس والبلطات والقزمات ومقاطع لخنادق مسقفة، وأخرى مكشوفة كلاً أو جزءاً، وكثبان من الأتربة التي كانت تستخدم كسواتر من القذائف، ومواد تسقيف، وحبال، وما إلى ذلك من لوازم مختلفة، وفيما يأتي هذه الرسوم.







ذيل في تاريخ مصر لمرتضى بك الدمشقي الكردي

مؤرخ سكت عن ذكره المؤرخون، بل لم يُشر إلى إسمه أحد، مع أنه ترك أثراً مهماً في تاريخ مصر، لا سيما القاهرة منها، في مرحلة حرجة من العصر العثماني. فلا نملك عنه إلا ما كتبه هو عن نفسه، فهو - كما سمي نفسه - مرتضى بيك بن مصطفى بيك بن حسن بيك الكردي الدمشقي، فهذا الاسم وحده يصرح بأنه كان كردياً انحدر جده إلى دمشق في زمن لم يحدده، وولد هو فيها حيث عاش - فيما يظهر - مرفقاً في بحبوحة من العيش، وورث عن أسرته لقب (بك) الذي يكتبه بشكل (بيك) كما يلفظ في البلاد العربية. وهذا اللقب اختص به بحسب نظام التيمار الاقطاعي العسكري بمن تولى إقطاعاً من الفرسان المعروفين باسم (السيباهية)، إلا أنه صار يُطلق على متولي المناصب العسكرية المهمة من غير الاقطاعيين. ثم أنه تعرض شاباً إلى أزمة عنيفة، لا نعرف تفاصيلها وأسبابها، ولكنها كانت بحسب ما قال سبباً في شيء كثير من الضيق والاحباط أصابه، فانفض من حوله أصدقاؤه وأحباؤه، وهجروا مجلسه، وخلا بيته، ونضبت موارده المالية فكثرت ديونه، وأحرجه دائنوه، وزادت أعباؤه، فلم يبق له من خيار إلا أن يترك وطنه، ويقصد وطناً آخر عسى أن يجد فيه من الفرص ما يدفع عنه ضيقه. يقول «لما قدر الله عليّ بهجر الوطن، وتزايدت عليّ المصائب والمحن، والكرب بي اشتد، وباب السرور دوني انسد، وضاق بي الحال، حتى قلاني الدون والعال، وأقفر المنزل، وأصبحت عن الأحباب في معزل، وعدت عند القريب كأني امرء غريب، وقد غاض مجلس أنسي، حتى صار بيتي حبسي، وخلا ما في الكيس، وتباين عني الجليس.. اجتمع عليّ ديون أعجزني قضاءؤها، وعسر عليّ أداؤها، فأحتشد بباب داري أرباب الديون، وتزاحم المطالبون، ولا زمني الغرماء، وأنكفوا عني الندماً.. فضاقت حيلتي، وزادت فكرتي، فانكروني الأصحاب والخلان، والأحباب والإخوان، والأهل والعشيرة والأوطان»⁽¹⁾. وجاءت حادثة قتل عم له غلى يد بعض الاعراب لتزيد من أزمته.

وأخيراً انعقدت نيته على السفر إلى مصر، فغادر دمشق في سنة 1127 وقصد مصر في رحلة طويلة استغرقت عدة أشهر، مع أن المسافة لم تكن تستحق تلك المدة،

(1) تهذيب الاطوار في عجائب الامصار، مخطوطة برلين، الورقة 3

فواضح أنه كان يقضي في بعض ما مر به من مدن وقتاً مديداً، لأسباب لم يشأ أن يفصح عن أكثرها، فكان مما مر به أو أقام: بلدات: داريا، وبيت سابر، والقُيَطرة، جسر بنات يعقوب، نين في مرج بني عامر، جنين، عَرَبية، جلعولية، الرملة، المجدل، غزة، العريش، بركة الحاج، ثم أنه دخل القاهرة، فسجّل إنبهاره بها، وبفضائل أهلها، وبهاء معالمها وفخامتها، ومنها السماجد والمدارس والمارستانات والرُبط والمقابر والقباب، فضلاً عن الآثار القديمة، وفي مقدمتها أهرام الجيزة. ولما كان في كل ذلك مفلساً «صفر اليدين» - على حد قوله- فإنه قصد الجامع الأزهر، حيث وجد فيه مجالاً للإقامة بما رُصد عليه من الأوقاف الجسيمة، ولطلب العلم بما وَجَدَه في من العلماء الكبار في كل مجال. فقال «ولم أزل أتردد الجامع الأزهر في المساء والصبح، وأحاول فيه كل دَرَس أنور، وأوضح من المصباح لأكتسب وأستزيد علماً نافعاً وفهماً»⁽¹⁾، وبعد ان قضى فيه مدة مجاوراً متعلماً، يغترف العلم من شيوخه، تاقت نفسه لطلب الوظائف، فتوسط لدى ابراهيم بك الدفتردار، أحد كبار أرياب المناصب، ليعمل في خدمة والي مصر عبيد باشا، وقد وصف مرتضى بك لقاءه بهذا الوالي وأثنى عليه، لا سيما بعد ان أحسن هذا استقباله ورضي باشتغاله في ديوانه، فكلفه بالسفر الى بلاد الصعيد ليجبي ما كان تفروضاً على أمراء تلك البلاد من كميات كبيرة من الغلال، وقد وُفق مرتضى في مهمته أيما توفيق، وتمكن من جلب تلك الغلال الوفيرة الى القاهرة، مسجلاً وفائع لقاءاته بأمراء تلك المناطق، ومنهم حسن بيك حاكم ولاية دجرجا، وأباز محمد بيك حاكم ولاية منفلوط، ومشايخ عرب الهوارة في الصعيد، ومنهم الامير حسن الاخميمي، والشيخ حمد بن ريان، والشيخ احمد بن همام⁽²⁾، فقدّمت شهادته تلك صورة حية لما كانت عليه بلادهم في عصره.

ثم أنه تقلب في المهام والوظائف، حتى صار في سلك الأغوات، كما ذكر هو نفسه في تضاعيف كتابه (الذيل) وهو الذي موضوع هذه الدراسة، والآغا مصطلح تركي كان يعني الضابط في قوات الانكشارية (الينكجيرية) خاصة، فيكون قد تطوَّع في هذه القوات طلباً لما يتمتع به منتسبوها من إمتيازات كما فعل كثير من شبان المدن والقصبات في عصره⁽³⁾، ومع ذلك فإنه لم يُبد تعاطفاً من أي نوع مع مُنتسبي هذه

(1) تهذيب الاطوار/ الورقة 70

(2) تهذيب الاطوار، الورقة 102

(3) ينظر د. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 2000،

القوات التي يسميها طائفة الينكجيرية. وقد ضمَّ، أو إنضم، الى جملة أغوات والي مصر محمد باشا، وهو آخر الولاة الذين أرخ لهم . قال «ثم بعد ذلك حضرة الوزير خرج إلى ديوان قايتباي وجلس لمصالح العباد، وجميع أغواته وأتباعه واقفون بين يديه على أقدامهم، وأنا الفقير من جملة أعوانه (كذا والراجع: أغواته)»⁽¹⁾.

ويفهم مما ساقه من أخبار الوالي المذكور أنه كان مقرباً منه، وربما كلفه من المهام ما لم يكلف أحداً به غيره. قال «حضر الوزير أرسل من طرفه ثلاث أعوات من أتباعه الذي يعتمد عليهم إلى منازل الأمراء المذكورين، ومن جملتهم الفقير، قد أرسلني إلى بيت أمير الحاج عبدالله بيك، وقال: بلغني أنه في منازلهم عسكرياً، إذهبوا واكشفوا المنازل واجلسوا هناك، ثم اعلموني ولا تأتوا إلى أن يأتيكم مني جواب. مهما أمرتكم به افعلوا، فذهب كل منا إلى ما أمروا به، فذهب الفقير إلى منزل عبدالله بيك، وكشف عليه، لم أر في المنزل غير أتباعه وبعض أنفار من خدم الخاصة»⁽²⁾. ودفع عن نفسه ما كان معتاداً مثله أن يفعله، وهو المشاركة في نهب منزل احد الأمراء المصادرين، فقال «لما أتوا هؤلاء الجماعة وتفتحت الأبواب قد أنتهب شيء كثير لأن الناس قد هجموا في المنزل من كل طرف، أما الفقير - ولله الحمد - ما أخذت من المنزل شيئاً يساوي درهماً واحداً، وتعففت عن ذلك لعلمي أن هذا المال ما دام لصاحبه، فكيف يدوم لي، وعاقبته في الدارين وخيمة»⁽³⁾.

ويظهر أنه كان موضع ثقة معاصريه، لأننا وجدنا أحد العلماء يقصده ليفسر له رؤيا رآها في المنام⁽⁴⁾، ولو كان متهماً في ذمته لما قصده ولا اطمأن إليه.

على أن مرتضى بك هذا لم يكن ضابطاً فحسب، وإنما كان متعلماً متابعاً لما كان يجري في زمانه من وقائع، شديد الاعتناء بتسجيل حوادثه أولاً بأول، ولاشك ان مصدر عنايته هذه كان تأثره الشديد بأحد مؤرخي عصره، وهو الشيخ يوسف افندي بن محمد ابي الحجاج، الملوي الشهير بابن الوكيل، وكان هذا عالماً أديباً من اهل القاهرة، له تصانيف عدة في الأدب، منها (تقرير العنديل على غصن الأندلس الرطيب) وقد اختصر فيه كتاب (نفع الطيب) و(أحسن المسالك لأخبار البرامك)،

(1) تحفة الاحباب، الذيل ص265

(2) نفسه ص 269

(3) نفسه ص270

(4) نفسه ص269

و(بغية المسامر وغنية المسافر)، على أن أهم مؤلفاته هو كتاب (تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب) الذي أرخ فيه لمصر من العصور القديمة حتى وفاته سنة 1131، وهو الكتاب الذي أعجب به مرتضى بك الكردي أيما إعجاب وتابع ما سجله فيه من حوادث أولاً بأول، حتى انه انبري لإكماله بنفس أسلوبه ومنهجه على نحو لا يكاد يختلف عنه إلا في أدنى الحدود⁽¹⁾.

وقد جمعت الصداقة الوطيدة بين الرجلين، حتى وصف مرتضى بك صديقه الملوي بـ«صديقنا وخليتنا» وترجم له بقوله «وممن تشرفنا بمجالسته، واكتسبنا من معاشرته، أكمل من في مصر، وقره هذا العصر، الأديب الأريب، والخليل الحبيب، مولانا يوسف أفندي الملوي، الواثق بجناب الإله القوي، الشهير بابن الوكيل، لا زال في حفظ المولى الجليل، وهو راضع ثدي الآداب وضمه، وحفظه في فكره السليم ولمه، واقتطف من كل فن أفضله، وترك كل شيء ما تدعه الناس وتبجله، مديد الباع، بسيط اليدين في معرفة الخلاف والإجماع، خبيراً بمباحث الجدل، واستخراج مسالك العلل، متبحراً في علوم اللغة والإعراب، مطالعاً علوم البلاغة والخطاب، محيطاً بقنون البديع، حافظاً للشواهد الشعرية، التي هي أبهى من زهر الربيع، شديد الرميّة سديد الإصابة...»⁽²⁾. ولا أدل على وفائه لصديقه من أنه نسخ كتاب صديقه المذكور، وهو (حفة الاحباب) على ضخامته حيث بلغ عدد أوراقه 241 ورقة كبيرة. وختمه بنص من عنده سجل فيه تاريخ وفاة صديقه بأخر خبر ساقه في كتابه، وهو «يوم الثلاثاء عشري شوال» من سنة 1131هـ، فقال «هذا آخر ما وجد بخط مؤلف هذا الكتاب وهو صديقنا وخليتنا المرحوم يوسف أفندي الملوي الشهير بابن الوكيل، تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه أعلى فراديس جناته بجاه سيدنا محمد وآله آمين».

ثم أنه استأنف كلامه بعد ذلك مباشرة معلناً عن قيامه بكتابة ذيل يكمل فيه كتاب صديقه فقال: «الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيقول العبد

(1) نشر كتاب (تحفة الاحباب) بتحقيق محمد الششتاوي، وصدر عن دار الافاق العربية في القاهرة سنة 1419هـ / 1999م، ويقع في 242 ص، ويحتل الذيل الذي كتبه مرتضى بك الكردي الصفحات التالية من 242 إلى 271 (الأوراق 358-403 من المخطوطة)، وثمة تعليقة تليه في اسطر قليلة فيها تنمة ولاية محمد باشا كتبها احمد فهمي رفاعة سنة 1142هـ / 1739م.

(2) مرتضى بك : تهذيب الاطوار في عجائب الأمصار، مخطوطة برلين، الورقة 91

الفقير، والعاجز الحقير، مرتضى بيك بن مصطفى بيك بن حسن بيك الكردي الدمشقي، غفر الله له ولوالديه، وأحسن إليهما وإليه ولسائر المسلمين أجمعين، أمين يارب العالمين: لما انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء مؤلف هذا الكتاب صديقنا وخيلنا يوسف افندي الملوحي الشهير بابن الوكيل، تغمده الله برحمته الواسعة، وسقى تربته شأبيب رحمته الهامعة: أردت أن أكتب ما حدث بعده من الحوادث والوقائع في مصر القاهرة ليكون ذيلاً لكتابه وتحفة لأحبابه، ولو كان هو في قياد الحياة، ما مات⁽¹⁾، لألّف منها مؤلفات، وسنذكر إن شاء الله تعالى بعض الحوادث والوقائع ونوردها بحسب الطاقة، أقول وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل»، والعبارات التي ساقها في هذا النص الإفتتاحي تدلّ على شدة وفائه ومحبته له. كما أن من الواضح ان إكمال كتابه المذكور بهذا الذيل كان بمبادرة تطوعية منه، لا تلبية لوصية مؤلف الاصل.

بدأ مرتضى الكردي تاريخه للقاهرة متمماً أخبار شوال من سنة 1131 إلا أنه عاد بعد أن تم تلك الأخبار فساق خبر وفاة أحد المشايخ في 27 رمضان من السنة نفسها، يظهر أن مؤلف الأصل الملوحي فاته أن يسجلها، لكنه استأنف بعدها الكتابة متمماً أخبار شوال، مبتدئاً من 27 منه، وحتى شهر ربيع الأول من سنة 1136هـ، أي أنه تناول حوادث نحو خمس سنين، بتفصيل غطى خمساً وأربعين ورقة من الأصل المخطوط.

مصادره

بالنظر لقصّر المدة التي أرخ لها، وكونه قد عاصرها جميعاً بل شارك - بحكم وظيفته العسكرية- في مجرياتها، فإنه اعتمد فيما سجله على شهادته الشخصية، وعلى شهادات بعض من كان قريباً منها، مثال ذلك أنه حينما تكلم على رجل سراج⁽²⁾ كان قد استطاع الهرب من منفاه في قبرص ليصل منها إلى دمياط، قال «وكان أهل الغليون (وهو ضرب من السفن) مرادهم يأتون إلى ثغر دمياط فحملوه في صحتهم إلى دمياط، فمدة فراقه من دمياط وعوده نحواً من عشرة أيام أو أقل، ثم خرج من الغليون متكرراً، وكنت الفقير يومئذ في بلدة فارسكور⁽³⁾ قريباً من ثغر دمياط أحصل إرز الميري من طرف حضرة الوزير المشار إليه، فأتى إلى عندنا هذا السراج، وأخبرنا بما حصل له، ثم بعد ذلك ذهب إلى مصر متكرراً⁽⁴⁾».

(1) يريد: لم يموت

(2) السراج هنا التابع والمولى.

(3) بلدة قديمة من أعمال دمياط

(4) ص 266

واعتمد ايضا على ما كان يطلع عليه، إطلاعا مباشراً او سماعاً، من الأوامر السلطانية المسماة (خط شريف) مما كان يرد إلى الولاة في مختلف الشؤون، فضلاً عن الأوامر التي كان يُصدرها الولاة أنفسهم، وفي الغالب فإنه كان يكتفي بتلخيص مضامين تلك الأوامر، ألا أنه نقل شيئاً من نصوصها أحياناً. من ذلك مثلاً قوله «وفي يوم السبت 16 محرم أبرز الباشا أمراً شريفاً قرئ بالديوان بقتل اسماعيل بيك امير الحاج، واسماعيل كتحدا جاويشان تابع ابواز بيك، وأظهر خطأ آخر بإمارة الحاج لمحمد بيك بن اسماعيل بيك الكبير دفتر دار مصر سابقاً».

ومنها تلخيصه (خطاً شريفاً) وصل الى والي مصر، مُوجّه الى أمراء الصناجق المؤثرين فيها، وهم قادة المماليك الكبار، في قوله «وفي 12 شعبان ورد جوخدار الوزير وصحبته خط شريف خطاباً الى أربع صناجق يقول فيه يوسف بيك قائم مقام، محمد بيك أمير الحاج، احمد بيك دفتر دارية الحزنة، احمد بيك الاعسر، إنكم تكونوا على أهبة، وتحفظوا البلد وتفرقوا للفقراء جوامكهم⁽¹⁾، وكذلك غلال الحرمين فإن مدة رجب باشا صارت تعلقكم تخرجوا من عهدتها وبواقي علي باشا عهدتكم الى أن يأتيكم رد جواب عرضكم صحبة محمد باشا مالك الختام سابقاً فإنه والي عليكم وإننا كما مُعَيَّن قبطان السابق إبراهيم باشا حين جاء عرض رجب باشا، فلما جاء عرضكم عيّننا محمد باشا صدر أعظم النشنجي من قلعة قنديا وأن يعطي محمد بيك أمير الحاج ثلاثين كيساً يستعين بها على الحج بحسب إنها رجب».

وقوله «في يوم الخميس 22 رمضان أبرز الباشا ثلاثة خطوط قرئت بالديوان على رأس الخاص والعام، أحدها مضمونه غلال الحرمين، والثاني مضمونه على أنكم تحاسبوا رجب باشا على وجه الحق إن طلع له شيء تعطوه له، وإن طلع عليه شيء تحاسبوا به محمد باشا يحاسبنا من الخزنة العامرة وترسلوه لنا على العجلة الى اعتابنا، والثالث مضمونه الذي نعلم به اهل مصر وصناجقها وأشرافها وعلمائها على انه سابقا ورد من رجب باشا عرض بمعرفتكم وخطوطكم وختومكم في حق اسماعيل بيك بأنه عاصي الله والسلطان وأنه مستحق الإزالة فأرسلنا لكم جواب عرضكم بالخروج من حقه لشهادتكم فيه بالفساد في الارض... الخ»⁽²⁾.

(1) الجوامك هي الرواتب

(2) ذكر هذا الخبر معاصره أحمد شلبي في كتابه أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبد الرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم، القاهرة 1987، ص 322 باختلافات يسيرة.

وقوله « وفي ثاني شوال اجتمعت الصناجق والأغوات عند الباشا في قرا ميدان⁽¹⁾، وقالوا له: أخبرنا أنه جاء صحبتك خط شريف بالعضو لأهل مصر، فأخبرنا بذلك لأنه يوم عيد ويوم جبر⁽²⁾ مبارك، فاقراه علينا لأجل ما تطمئن نحن والرعايا وأهل البلد يطمئنوا بالعضو⁽³⁾ وقد لخص الوالي لهم ذلك الأمر ومنه أخذ مؤرخنا مضمونه⁽⁴⁾

واقطف قطعة من أمر سلطاني يتعلق بمصادرة إثين من كبار الزعماء وهي «الذي نُعلم به محمد باشا وأعيان مصر، أنه باقى جهة أعيان مصر ألف وستون كيساً من بيع موجودات اسماعيل بيك الدفتردار واسماعيل كتحدا الجاويشية فلا بد من تحصيلهم وإرسالهم صحبة الخزينة العامرة⁽⁵⁾. فهذه النصوص تدل على تقديره للوثائق بوصفها المصدر الأساس للتاريخ، نصاً كانت أو تلخيصاً أو إشارة.

رتب مؤرخنا مادته التاريخية على وفق تعاقب الولاة، فهو يحرص على ذكر اسم الوالي، وتاريخ توليه الحكم، ومراسم استقباله، ثم يدرج بعدها ما حدث في عهده من حوادث، مرتباً إياها حسب السنين، والشهور، وأيام الشهر، ثم أيام الأسبوع، من ذلك قوله « وفي ثاني يوم الخميس 20 محرم»، و« في يوم الأحد 23 محرم» و« ليلة الاربعاء رابع صفر سنة 1133» وهكذا. وبعض ما أدرجه من حوادث استغرق فقرة أو فقرتين، بينما قد تطول روايته أحياناً، لا سيما فيما شهد عليه بنفسه، حتى يزيد على الصفحة أو الصفحتين. وكان يدرك أن في ما ساقه من حوادث من التفاصيل ما يزيد على ذلك بكثير، إذ صرَّح في مقدمته «ولو كان هو، يريد صديقه الميلوي، في قيد الحياة ما مات، لألف منها مؤلفات⁽⁶⁾».

الصياغة التاريخية

تشبه الصياغة التاريخية للكردى ما كانت عليه مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني، التي يمكن ملاحظتها فيما كتبه الشلبي في أوضح الإشارات، والمنوي في

(1) من معالم القاهرة البارزة في العهدين المملوكي والعثماني، عرف بميدان صلاح الدين، ويقع بين قلعة الجبل ومدرسة السلطان حسن ومسجد الرفاعي، وعرف في العهد العثماني بقره ميدان اي الميدان الاسود. عبدالرحمن زكي: موسوعة مدينة القاهرة، القاهرة، 1987، ص387

(2) في احمد شلبي: يوم خير.

(3) ذكر هذا الخبر أحمد شلبي ص325 باختلاف يسير.

(4) ص259

(5) ص262

(6) ص242

ومن ناحية أخرى فإننا وجدناه يُزيّن النص أحياناً بأبيات من الشعر تناسب المقام. بل أنه عمد مرة الى اختيار أبيات لشاعر مصري سماه «الأديب اللبيب» واللوزعي الأريب، الشيخ محمد القليطي الأزهري «تؤرخ لتولي أحد القضاة منصبه»⁽¹⁾.

اهمية الكتاب

الإطار السياسي

تناول الذيل الذي كتبه بقية من حوادث القاهرة في عهد الوالي علي باشا (تولاها من محرم 1130هـ/1717م، وأتم هو الحوادث التي جرت في أواخر ولايته من شوال 1131 وحتى 6 ذي القعدة من سنة 1132هـ)، ثم أتم حوادث عهدي الواليين التاليين، وهما رجب باشا (تولاها من 15 ذي القعدة من السنة المذكورة حتى 12 رمضان 1133هـ/ 1721م) ومحمد باشا (تولاها من 17 رمضان وحتى 1141هـ/ 1728م) وأرخ الكردي منها حتى شهر ربيع الأول سنة 1136هـ/ 1723م)، وتوقف بعد هذا التاريخ لسبب لا نعرفه.

أظهر مؤرخنا إحترامه للسلطة العثمانية في مصر، لا سيما وأنه كان نفسه أحد أدواتها، فامتدح السلطان العثماني، ملحقاً اسمه بالدعاء له، كقوله عن السلطان أحمد الثالث «حضرة مولانا السلطان، احمد خان، حفظه المنان»، و«حضرة السلطان نصره الرحمن»، وقوله عن والي مصر علي باشا «رزقه الله من الخير ما يشاء» والإشارة الى واليها محمد باشا بلفظ (حضرة) وأمثال ذلك من الألفاظ والعبارات التي قصد بها الاعلان عن إحترامه لأولئك الحكام.

اهتم - على نحو خاص- بتتبع علاقة مصر بالدولة العثمانية، من الناحيتين المالية والعسكرية، ولاحظ تدهور هذه العلاقة نتيجة ضعف أوجاقات (صنوف) الإنكشارية السبعة، وهي القوات الممثلة للدولة والحامية لسيادتها في البلاد، وأثر ذلك الضعف على موقف الولاة العثمانيين الذين كانوا يُعيّنون فيها، من قوات المماليك المتجنّز سلطاتها في مصر منذ أواخر عهد الأيوبيين وحتى تأسيس دولتهم بعد زال ذلك العهد، وهو يسميها بالصناجق، مقابل تسميته لزعامات الإنكشارية بالأغوات. وكان موفقاً في رصد الأزمة المتفاقمة بين المماليك وبين الوالي العثماني، وصعود شأن المماليك الى حد أن لم يبق للوالي العثماني إلا الرمز لا أكثر، ثم نشوب الصراعات بين زعامات المماليك نفسها.

وعُني بذكر مناصب الولاية السابقة قبل شغلهم مناصبهم في مصر، فقال عن رجب باشا أنه «كان محافظاً لقلعة حلب الشهباء»، وعن محمد باشا بأنه «صدر أعظم سابقاً».

كما أورد في أحيان عدة أسماء حكام البلاد المصرية، مسمىاً إياها (ولايات)، أو (نواحي)، منها حكام المنصورة، والشرقية، والغربية، والمنوفية، وجرجا، والبهنساوية وغير ذلك، مما يبقى ضوءاً على الإدارة في مصر عهد ذلك.

التاريخ الاجتماعي

تناول بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في القاهرة، ومنها سفر الحاج إلى مكة، وما كان يواجهه من مصاعب الطريق، وأهمها حوادث قطع الطريق من قبل الأعراب، ومظاهر الإحتفال باستقبال الحاج. وباستقبال الولاية المعينين وسائر المسؤولين، وما يلبسون، وما يخلعونه على الأمراء من نفيس الخلع، من ذلك قوله «ألبس الوزير علي باشا حمزة آغا المزبور قفطان الصنجدية»⁽¹⁾، وقوله واصفاً قدوم الوزير محمد باشا أنه «لبس جميع الأمراء أكرأاً في قصر الحلي، ولبس إسماعيل بيك كركأاً من السمور من جوخ أصفر»، والسمور ضرب غال من الفراء، وقوله «ولبسوا الضلما لمصطفى باشا أوضا باشا»، و(الضلما) هنا ضرب من الجوخ. وتطرق إلى ما يحيط بمواكب الولاية وممثلي السلطة من أبهة وتقاليد⁽²⁾، ومنها الإحتفال بالمناسبات الخاصة والعامة، والإعلان عن وفيات العلماء، وما إلى ذلك من المظاهر الاحتفالية التي كانت معروفة عهد ذلك.

وتناول بعض شؤون نقباء الأشراف، فأشار إلى أنه كان في وسع أشراف البلاد عزّل نقيبهم، وترشيح غيره لتولي هذا المنصب الرفيع، فذكر أنه «في يوم الخميس غرة رمضان عزلوا السيد ياسين نقيب الأشراف، وولوا السيد مصطفى الرفاعي»⁽³⁾

وقال «وفي يوم الاثنين 17 شوال أرسل الأشراف العرض الذي كتبوه من جهة عزل نقيب الأشراف السيد ياسين، وطلب نقيب آخر، وأرسلوه صحبة السيد بركات والسيد محمد الجاويشان في باب نقيب الأشراف في مصر»⁽¹⁾.

(1) ص 244

(2) ص 257

(3) ص 256

وتطرق إلى شؤون القضاة الذين كانت الدولة ترسلهم إلى مصر، ولاحظ أن بقاء القاضي في منصبه رهين- عملياً- بإرادة قادة فرق الانكشارية، فقال «وأرادوا عزل القاضي فلم ترض طائفة الينكجيرية، وقالوا: يكون ذلك علامة العصيان»⁽²⁾. ويظهر أن الصناجق، وهم قادة المماليك، كانوا لا يرون في القاضي إلا ممثلاً للسلطة العثمانية، حتى أنهم اجتمعوا «في بيت أمير الحاج على تنزيل الباشا هو والقاضي»⁽³⁾، وأظهر ضيقه من أحد القضاة المعينين لأنه انتقد على نحو حاد أهل بلاده فقال «وكذلك القاضي محمد كتخدا زاده بقول: أنا ما جئت إلى مصر إلا لأجدد لأهلها دينهم، فإنهم كفروا وارتدوا، ونعوذ بالله من قوله وما قال»⁽⁴⁾

وفضلاً عن ذلك، فإنه أشار إلى فئات عليا في المجتمع القاهري، يأتي في مقدمتهم الأشراف، والعلماء، والسادات البكرية، والسادات الوفائية.

ويحكم منصبه العسكري فقد أظهر معرفة واسعة بالتنظيمات العسكرية في مصر، سواء ما كان للينكجيرية او للمماليك، ولذا فقد حفل كتابه بأسماء المناصب العسكرية المختلفة، مثل الصناجق، وهم قادة المماليك، والصناجق المحمودية، نسبة الى أحد قادتهم، وطائفة السباهية، وهم الفرسان الإقطاعيون، والتفنكجية، والدلاة، وهم رجال المهام الصعبة، وطائفة كوكليان، وبلوك الكومالية، وكتخدا الداودية، وهم من الينكجيرية، وكتخدا الكدك، وهو رئيس اصحاب الوظائف العسكرية، والمهترخانة، وهي فرقة موسيقى الجيش، والقابجية وهم البوابون، ووظائف مثل: مالك الاختام، وكتخدا الوزير، ومقدم الطوائف، واغا المتفرقة، وأوجاق الجاوشية، وجاوشية الأبواب، واغاة المستحفظان، واميراخور كبير، وهو مدير الاسطبل، والعزب، وهم مشاة عساكر الآيات، والخاصكية، وهم خدم القصور، وكتخدا الجاوشية، والمطرجية، وهم سقاة الجيش، ومثل هذه المناصب والوظائف يلقي ضوءاً على التشكيلات العسكرية القائمة في مصر في ذلك العصر، وطبيعة علاقاتها بإدارة البلاد.

(1) ص 261

(2) ص 256

(3) ص 250

(4) بلدة قديمة من اعمال دمياط

ولم يفت مؤرخنا أن يذكر بعض وفيات أعلام القاهرة على وفق تواريخها، محمداً
إياها - غالباً- باليوم والشهر والسنة، من ذلك مثلاً قوله «وقبل هذا التاريخ توفى
عالم الحنفية ورئيسهم الشيخ أحمد الدقوسي في يوم الأحد 16 محرم سنة 1133،
والشيخ العمدة الحنفي السيد علي اسكندر مفتي الحنفية بالديار المصرية توفى 5
صفر سنة 1133

وقوله «وفى هذا التاريخ المذكور توفى الشريف عبدالكريم شريف مكة، ودفن في
قبة قايتباي. والشيخ عبدالوهاب الشنواني الشافعي يوم الخميس السابع والعشرين
من رمضان»⁽¹⁾.

وفى 25 رمضان يوم الاحد، توفى عالم الإسلام مفتي المالكية الشيخ عبدالوهاب
الصعيدي، وطلعوا له على المنارات، وكان له مشهد عجيب»⁽²⁾.

ولم يقتصر في وفياته على العلماء فحسب، وإنما تناول بعض كبار قادة
العسكر، من ذلك مثلاً قوله أنه «في 20 جمادى الآخر توفى علي كتخدا الداودية
باشب اختيار طائفة مستحفظان، والشيخ العمدة الشيخ محمد البرماوي الشافعي
ساكن الشيخونتين»⁽³⁾.

وأثنى على قاضي مصر أحمد أفندي الشهير بعثمان زاده، فقال انه «رفع عن
أهلها بقدمه العناء والعنصر، وسلك مع أهلها غاية السلوك حتى كان يحكم بالعدل
بين الغني والصلعوك»⁽⁴⁾.

التاريخ الاقتصادي

وفي الكتاب إشارات إلى الإدارة المالية في مصر، تتناول طريقة جباية الضرائب
عن البلاد المصرية، حيث كان أمراء المماليك يتولون هذه المهمة منذ أول الإدارة
العثمانية عن طريق موظفين يعرفون بالكُشَّاف، وقد أشار مؤرخنا الى بعض اولئك
الكُشَّاف في عهده، والأعمال المناطة بهم، والتزامهم تحصيل الضرائب من البلاد،

(1) ص244

(2) ص258

(3) ص254

(4) ص264

ومقادير بعضها . وكان لبسهم القفطان يمثل تقليداً يشير الى توليهم هذه الوظيفة . فقال مثلاً « وفي عاشر شوال لبس محمد بيك ابن المرحوم ابراهيم بيك قفطاناً على دجرجا⁽¹⁾، وأرسلوا الى أباطا بمنصب المنية⁽²⁾ ومنفلوط⁽³⁾ فأبى، وقال: أن كان من تضع عني من كشفها عشرة أكياس وسبعة آلاف أردب أخذهما، فأبى الوزير، وأرسل الى غيطاس بيك الاعور وألبسه قفطاناً على المنية ودجرجا ومنفلوط⁽⁴⁾ .

وأشار إلى عدد من ملتزمي القرى والبلدات في الريف، ومنها ملتزم بلدة فارسكور، وملتزم بلدة السنيلوين، وغير ذلك .

وعني مؤرخنا بذكر أسعار المواد الغذائية في سوق القاهرة، لا سيما الحنطة والفلول بوصفهما المحصولان الأساسيان في البلاد، فذكر انه لما «قدم رجب باشا على مصر واستبشرت الرعية من أهل مصر لأن القمح كان بثمانين فضة الأردب، والفلول كذلك، فصارت الغلال تنزل في سعرها الى أن بيع القمح الطيب الجيد بخمسة وثلاثين نصفاً او ستة وثلاثين أعلى السعر وما بعد بخمسة وعشرين، والفلول بثمانية وثلاثين فضة الى قدوم محمد باشا⁽⁵⁾ .

وشغلت الكميات الكبيرة من الغلال التي كان يتوجب على مصر إرسالها الى الحرمين الشريفين لاعانة فقرائها جانباً من اهتمامه، فقد تعين على بعض الملاك من قادة الممالك تصدير كميات محددة منها في كل عام لإرسالها الى هناك، فتناول أخبار إرسالها، وتأخرها، وكمياتها، وأسماء مصدريها . من ذلك قوله في بعض أخبار سنة 1133 « في يوم الخميس سادس شوال قرئ بالديوان ثلاثة خطوط، واحد بغلال مكة، والثاني بغلال المدينة التي هي الدشائش، وأن أهل المدينة أرسلوا عرضاً بهذا السبب من جهة الغلال التي هي مكسورة جهة فيطاس بيك المتوفى سنة 1127، ومن ابراهيم بيك أبو شنب، ومن جهة ابنه ابراهيم بيك، ومن جهة يوسف بيك الجزائر،

(1) هي جرجا وكانت مركز ولاية باسمها تمتد حتى بلاد النوبة وهي اليوم من محافظة سوهاج .

(2) مركز محافظة المنيا حالياً .

(3) من اعمال اسيوط .

(4) ص 363

(5) ص 260

وقدرها اثنان وعشرون ألف أردب لا بد من تحصيلهم وأرسالهم صُحبة الخشب في هذا العام، والثالث بالتوصية على أهل مكة والمدينة، وتشهيل غلاتهم ومرورهم على المعتاد»⁽¹⁾.

وتطرق الى العلاقة المالية مع الخزينة المركزية في الدولة، فمما ذكره في هذا الشأن ان الوالي حينما أراد سداد مبلغاً قدره ألف وستون كيساً الى الدولة العثمانية أمر الدفتردار ويوسف بيك بتدبير المبلغ، فاضطر هذان الى الاجتماع بالأمرء والإختيارية «فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا الالف وستين كيساً بلوصا»⁽²⁾ (اي بوليصات) الى التجار الكائنين في القسطنطينية»⁽³⁾ مما دل على أن دفع المال كان يجري من خلال تحويلات مالية او صكوك يدفعها التجار المصريون في القسطنطينية، لا أن تدفع نقداً، كما دل أيضاً عن حجم التعاملات المالية بين التجار في مصر والعاصمة العثمانية .

وتناثرت في الكتاب أسماء العملات التي كانت متداولة في مصر في عهده، ومنها (نصف فضة ديواني)⁽⁴⁾، و(العثماني) وهو الدرهم العثماني المعروف رسمياً باسم (آقجة) اي المبيضة بسبب غلبة الفضة عليها، وجمعها (عثامنة)⁽⁵⁾ وهو جمع غريب لم نجد مثله في المصادر المعاصرة، و(الزلاطات) جمع لكلمة (زولوطة) و(الإخشاوات) وهي من العملات الفضية، و(الكيس)⁽⁶⁾ و(الكيس الديواني)،⁽⁷⁾ و(الجنزلي) وهي عملة ذهبية قال « 6 آلاف ذهب جنزلي»⁽⁸⁾.

ونظراً لتعلق أمر منسوب مياه النيل بالحياة الاقتصادية عامة، فإنه عني - كأكثر المؤرخين المصريين- بمقياس النيل، ويسميه بحراً، فقال «وفي رمضان كان البحر

(1) ص 259

(2) ذكر معاصره أحمد شلبي ص 337 هذا الخبر في رواية مشابهة، إلا أن المبلغ فيها هو «السبعماية كيس».

(3) ص 262

(4) ص 246

(5) ص 251

(6) ص 252

(7) ص 250

(8) ص 251

زائداً، فتوقف 15 يوماً ولم يزد في تلك المدة قيراطاً واحداً ثم بعد ذلك صار يزيد قيراطين او ثلاثة»⁽¹⁾.

وأرخ وفاء النيل⁽²⁾، بحسب التقويمين الهجري والقبطي، والآخر هو المستعمل لدى زراع مصر، فقال «وفي يوم الخميس 6 شوال الموافق لعاشر مسرى [يقابل كانون الاول] وفا النيل المبارك وجبروه ثاني يوم الجمعة بعد أن اخذ الناس من الخوف ما أخذهم وتوقف عن الزيادة ثلاث مرات، في اول مرى 15 يوماً، والثاني 5، والثالث 3، وكانت ايام الزيادة الاخيرة فيها الوفاء والحمد لله»⁽³⁾.

وقال «وفي رابع شوال الموافق لرابع مسرى وفا النيل، وجبر ثاني يوم الوفاء».

وفي الكتاب اشارات إلى وقفيات رئيسة كان ينفق منها على جملة من أوجه الخير، منها (وقف الدشيثة)⁽⁴⁾ و(وقف الخاصكية) و(وقف المحمدية). وكان تولي إدارة هذه الأوقاف يجري بخط شريف من الدولة، وليس من ولاية مصر، قال «وأبقوا الدشيثة باسم مصطفى بيك لكونه معه بها خط شريف، وذلك في غرة ربيع الأول سنة 1133»⁽⁵⁾، ومثل ذلك قوله «منعت طائفة العزب علي بيك من التصرف في وقف الخاصكية لما تحققوا أنه لم يكن معه خط شريف وإن الذي معه فرمان الوزير»⁽⁶⁾.

معالم القاهرة

للمؤرخ مرتضى الكردي، كصديقه الملوي، خبرة واسعة بخطط القاهرة، فهو حريص على وصف المسرح الجغرافي الذي يدور فيه ما يصفه من حوادث، بما يتضمنه من حارات ومساجد وتكايا وقلاع وبرك وقصور وسائر المعالم الاخرى، فترددت في كتابه أسماء قصر الحلبي، حيث يُستقبل الولاة عادة، وباب النصر، والبركة، والجنبلاطية، وقصر يوسف، وباب الينكجيرية، وقره ميدان، والمولى خانه،

(1) ص 260

(2) يعني وفاء النيل أنه وفى بالمياه الكافية وقت فيضانه .

(3) ص 261

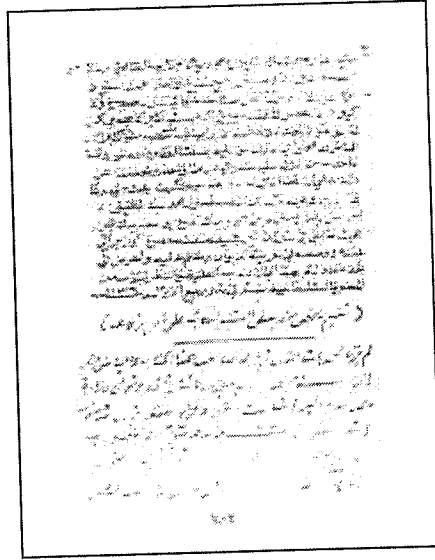
(4) هذه الاوقاف كانت تختص بالحبوب المطحونة التي يجري ارسالها إلى الحرمين منذ العصر المملوكي.

(5) ص 256

(6) ص 261

والرميلة، والمحمودية، ودرج الجماميز، وباب الجبل، والأزبكية، وقلعة الكلاب، وكوم الشيخ سلامة، ومعمل البارود في الأزبكية، وبيت أبو الشوارب، والعدلية، والصليبية، ودار الضرب، وجامع السلطان حسن، وغير ذلك. وتوقف عند خبر عمارة الجامع الأزهر فنذكر أنه «في يوم الخميس آخر يوم من رمضان سنة 1133هـ تم بناء الجامع الأزهر، وغسلوه وفرشوه بالحُصْر الجديدة ليلة العيد، وكانت مدة عمارته 151 يوماً، لأن ابتداء العمارة من 2 ربيع الآخر المكرم سنة 1133 وجملة المال الذي جاء من طرف السلطنة 46 كيساً ديوانياً، فلم تكف العمارة، وأتم بقية بنائه الامير إسماعيل بيك أميو الحاج من عنده 13 كيساً من السقف والابواب والمقاصير وترميم الفسقية، وعلوا الفسقية عن القديم قدر ذراع كامل، وبدلوا العمدان الخشب التي في بحرة الترك (يريد رواق الاتراك) بعمدان من الحجر، وصلوا فيه صلاة العيد»⁽¹⁾

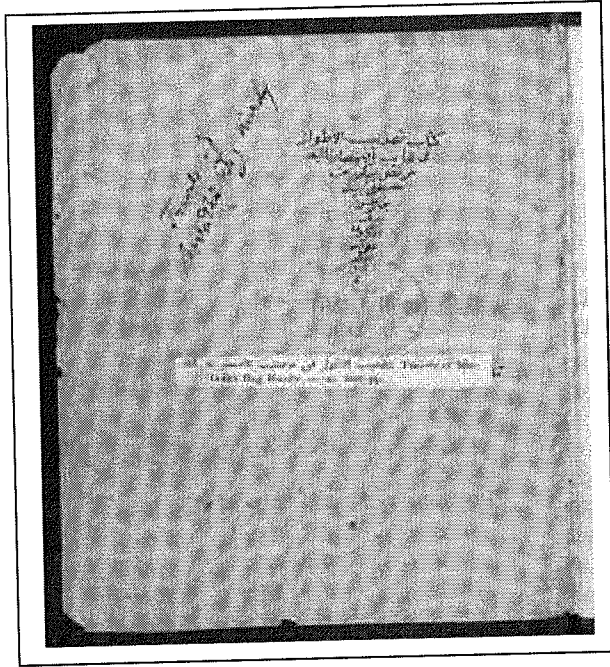
وقال في عمارة إحدى السقايات «وفي خامس رجب ابتدأ علي باشا - رزقه الله ما يشاء- في عمارة السبيل الذي في ديوان الغوري، وتم في آخر شعبان سنة 1132»⁽²⁾.



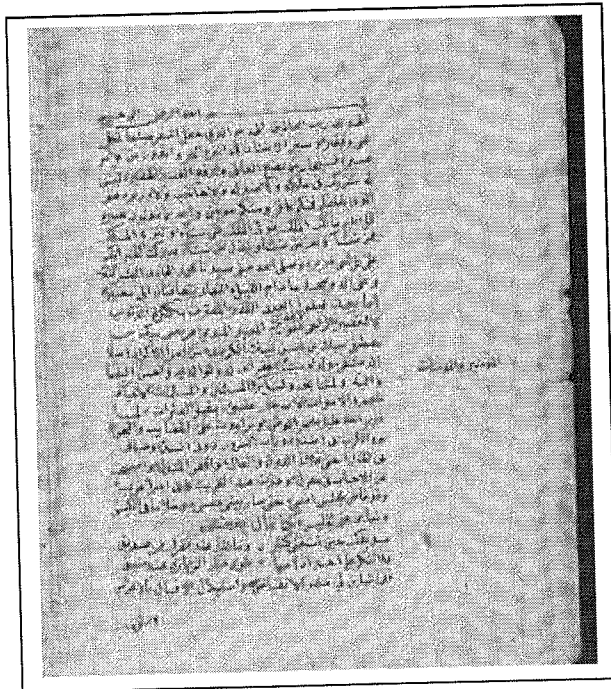
الورقة الاخيرة من المخطوط وهو بخط مرتضى الكردي

(1) ص 258

(2) ص 244



ورقة العنوان من مخطوطة (تهذيب الاطوار)



الورقة الاولى من مخطوطة (تهذيب الاطوار) لمرتضى بك

رحلة اللحافي البغدادي من بغداد إلى اسلامبول

سنة 1297هـ / 1879م

قام بهذه الرحلة في سنة 1297 هـ / 1879م، رجلٌ بغدادي سُمي نفسه (السيد أحمد أفندي اللحافي)، قاصداً إستانبول لشأن من شؤونه لم يشأ أن يذكره في رحلته، ومن المحتمل أنه أراد التوصل إلى بعض الوظائف الشرعية من خلال توسطه شيخ الإسلام في الدولة العثمانية؛ فإنه قصد بالزيارة، وتقرَّب إليه، على ما يفهم من كلامه.

وعلى الرغم من عدم وقوفنا على ترجمة له فإن في وسعنا أن نكون تصوراً عاماً لثقافته من خلال رحلته نفسها؛ إذ كان أبوه -كما يفهم من لقبه - ممن يمتهنُّ صناعة «اللحافان، جمع: لحاف» ببغداد، وإليها نُسب، وأنه كان معدوداً من «السادة»؛ أي: من أسرة تتنسب إلى آل البيت النبوي⁽¹⁾، وذكر في رحلته عن قرية (عين قباقيب) القريبة من دمشق أن هذه القرية كانت «محل كرامة أجدادنا»، مما يفهم منه أنها موطن أسرته الأول قبل أن تنزحَ منها إلى بغداد.

وقد نال قسطاً من التعليم أهله للتعرف على عدد من الشخصيات البارزة في مدينته، وشُغف بدراسة الإسطرلاب، وفنون (الهيئة) القديمة، حتى إنه كان يصطحب معه إسطرلاباً في رحلته، يستخدمه لإشباع هوايته في قياس ارتفاعات الأرض، ومن الراجح أنه عمل (مؤقتاً) في بعض مساجد بغداد، وهي مهنة كانت تختص بضبط أوقات الصلاة؛ فإن ولداً له اسمه عبدالحليم، كانت له اهتماماته نفسها، وعمل مؤقتاً في جامع السراي ببغداد⁽²⁾.

(1) ذكر لي المرحوم جواد بن السيد هبة الدين الشهرستاني (المتوفى في 4 آب 2005م) أن عبدالحليم بن أحمد اللحافاتي لم يكن يتحدث عن نسبه، وقد سأله بعض شيوخ عشيرة (العصامات) في مجلس السيد هبة الدين عن نسبه، فاكتفى بالقول: إنه (من بني آدم)؛ تواضعاً منه فيما يظهر، وذكر بعض من ترجم لولده عبدالحليم أنه ابن أحمد بن خلف، فأثبت اسم أبي السيد أحمد صاحب هذه الرحلة التي تقوم بنشرها، وأن نسبه يعود «إلى الصوفي المشهور بشر الحافي»، ينظر يونس إبراهيم السامرائي: تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر، بغداد 1402هـ / 1982م ص 242-243، هذا بينما تكشف المخطوطة أنه اللحافي، بإثبات اللام الثانية، نسبة إلى صناعة اللحف، وهكذا كان معروفاً لدى أهل بغداد في عصره.

(2) ولد عبدالحليم ببغداد سنة 1276هـ / 1859م ونال تعليماً جيداً في بغداد وإستانبول، مكَّنه من تولي القضاء في بعض المدن العراقية، وانتخب نائباً عن بغداد في مجلس النواب العراقي، وكان له شغف

سكن أحمد اللحاي في بيت كان يقع في محلة الميدان في بغداد، قرب مدخل شارع الرشيد اليوم؛ حيث كان له مجلس يحضره البغداديون، وقد ورث ابنه المذكور هذا المجلس، فلبث يُعقدُه كلَّ أسبوعٍ حتى وفاته.

وفيه من قصيدة أثبتتها بعضُ معاصريه في آخر كتاب رحلته، بعض اهتماماته الأخرى، وأبرزها الموسيقى، وربما الغناء أيضاً؛ فهو «بلبل الألحان»، وله أيضاً شعرٌ وُصف بأنه «ممتاز⁽¹⁾»، ولكن لم نَقفْ على شيء من هذا الشعر، ونحن نستكثره على الرجل؛ فإن لغته التي كتب بها رحلته وأسلوبه، وأفكاره، لا تدل على علو كعب في أي من تلك المجالات، كما لا تشير محاوراته مع معارفه، مما أثبتته في ثايات رحلته، على نباهة خاصة، أو دقة فكر.

وعلى الرغم من أنه عمل في أثناء إقامته بإستانبول مُدرِّساً في بعض مدارسها إلا أنه لم يكن معدوداً بين المدرِّسين المبرزين، فعمله ذلك لم يكن إلا بتوسط من شيخ الإسلام نفسه، ومعظم من التقى بهم في أثناء رحلته لم يتعرفوا عليه إلا بجهد، بل إنه اضطر إلى تعريفهم بنفسه أحياناً، ولسنا نعلم أنه كتب شيئاً غير تدوينه وقائع رحلته من بغداد إلى إستانبول، وحتى هذه تكاسل عن وضع مقدمة لها - كما ذكر ناسخ مخطوطتها السيد أحمد شمس الدين الألوسي - مما دفع بالأخير إلى القيام بهذه المهمة، وكتابة مقدمة مناسبة.

لم يحدّد اللحاي زمن قيامه برحلته، بيد أن من الميسور معرفة ذلك؛ فإنه أشار إلى لقائه بوالى دمشق مدحت باشا، ومن المعلوم أنه تولاهما سنة 1295 رومية 1297هـ / 1879 م، وصرح بأنه التقى بواليتها الجديد أحمد حمدي باشا، وقد تولاهما في ذلك العام.

وتكشف رحلة اللحاي عن الطريق المتخذ في أواخر القرن التاسع عشر للسفر إلى العاصمة العثمانية، مع تحديد لمراحل هذا الطريق ومحطاته، وذلك على النحو الآتي: السير براً من بغداد إلى بيروت، عن طريق: أبو غريب - الصقلاوية - الرمادي

بجمع الكتب، ومنها مخطوطات نادرة، أهديت بعد وفاته إلى مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد، وله مؤلّفات، منها: مجموعة سماها (مجموعة الحاي) و(عمدة الكتاب)، ورسالة في فن الوراق، وعمل مدرساً في جامع السراي ببغداد حتى وفاته سنة 1362هـ/1943م، وكان يحوز على إسطرلابات، منها ثلاثة من البرونز، محفوظة اليوم في المتحف العراقي؛ ينظر الدليل الرسمي للمملكة العراقية لسنة 1936 ص 901، الزركلي: الأعلام ج 3 ص 283، وهاشم الأعظمي: تاريخ جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة، ج 1، بغداد 1965، ص 185، ويونس السامرائي: تاريخ علماء بغداد ص 242.

(1) الرحلة، الورقة 14.

- هيت - جبّة - حديثة - الفحيمي - عنة - النهية - القائم - البوكمال - الصالحية - الميادين - الدير - تدمر - عين قباغب - سخنة - أبو الفوارس - القريتين - عطنة - جرود - دوما - دمشق - زحلة - بيروت، ثم الإبحار منها إلى إستانبول، مروراً بقبرص - رودس - أزمير - مضيق كالي بولي.

ويختلف هذا الطريق - وجه عام - عما كان يسلكه بعض البغداديين في سفرهم إلى إستانبول منذ عهد بعيد، حينما كانوا يجتازون جبال طوروس في مسالك عدة، فإنه - كما لاحظنا - سلك طريقاً صحراوياً مباشراً من البوكمال فدير الزور (عند الحدود العراقية السورية الحالية) ثم إلى دمشق، ومنها إلى بيروت حيث ركب سفينة، أو بالأحرى باخرة، أقلتّه إلى قبرص، ومنها إلى أزمير فإستانبول بحراً.

وليس من العسير توضيح أسباب هذا التغيير في الطريق، فتوفّر حدّ أدنى من الأمن، وتنامى سلطات المدن، وتحسّن السفن، واستقرار خطوط الملاحة البحرية - كانت كلها وراء أرجحية هذا الطريق لدى مسافري تلك العهود.

ومن ناحية أخرى فإن الرحلة تحفل بأسماء الأشخاص الذين التقى بهم المؤلّف أثناء رحلته، ومنهم ولاة وقادة عسكريون، وموظفون رسميون آخرون، وعلماء وأعيان وغيرهم، وهي لا تخلو من انطباعات شخصية عما مرّ به من معالم، وما لقيه من صعوبات.

والنسخة الوحيدة المعروفة اليوم من هذه الرحلة، تحتجّنها خزانة دار المخطوطات العراقية ببغداد، تحت العدد (3346)، وهي بخط السيد أحمد شمس الدين الألوسي، نقلها عن نسخة المؤلّف «التي أملاها وصنّفها» نقلاً حرفياً بما فيها «من إملاء وتحرير وإعراب وبناء وتقرير وتسطير»؛ ولذا لم يُصلح منها شيئاً من الأخطاء الإملائية والنحوية العديدة التي تحفل بها، بيد أنه أضاف عليها مقدمة من إنشائه «جرباً على العادة؛ لتكون عند ذوي الألباب مستجادة».

وكان لا بد لنا - عند نشرنا هذه الرحلة - أن نصلح من أخطائنا الظاهرة ما وسعنا إصلاحه، إلا أننا نبهنا إلى ذلك في مواضعه، ومنها استطرادات قليلة قد أخلّت بالسياق وأربكتّه، فحذفناها وأشرنا إلى ذلك أيضاً⁽¹⁾.

(1) كنا قد نوهنا بهذه الرحلة في كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط: 2 لندن 2009، ص 280-281؛ ونشرنا نصّها في مجلة المورد التي تصدرها وزارة الثقافة في بغداد،

نص الرحلة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، ومنحه عقلاً امتاز به عن سائر الحيوان، وعلمه ما لم يعلم، وفهمه ما لم يفهم، والصلاة والسلام على من أسرى به ليلاً إلى المسجد الأقصى، وعرج به إلى حظيرة القدس فكان قاب قوسين (أو أدنى)، ورأى من آياته الكبرى ما لا تكاد تحصي، فعاد منشرح الصدر قرير العين وعلى آله وأصحابه نجوم السائرين⁽¹⁾ إلى طريق الهدى، والمرشدين إلى سواء الطريق ما أظلم ليل، ولاح ضوءٌ صبح ويدا .

وبعد، فقد رأيت رحلة الفرد الذي ما تشى في مرآة الزمان لناظر، والأوحد الذي كلُّ لسانٍ عن سرِّ مناقبه؛ لما حازه من جم المآثر، ذي الذهن الواقد، المُجمع على فضله على رغم أنف الحُساد، الذي عزَّ عن شبيهه في الظاهر والخاص، حبيبنا وأتيسنا السيد أحمد أفندي اللحاي، أحد المدرسين المشار إليه في بغداد المحمية، بلغه الله كل أمنية، وذلك فيما جرى له وعند سفره إلى فُروق⁽²⁾، فكان الفرق بين رحلته وبين رحلة غيره من الفضلاء كفرق الصبح يروق؛ بيد أنه بعد أن أتمَّها، ورصعَ جيدها بلأليها⁽³⁾ ونظمها، ولم يحلَّها بدباجة، فهي كعروس لم تُزَّين بخضاب، ولا جُلِّيت عن منصة الأُنس كالفادة من الأتراب، فحلَّيْتُها بهذه الدباجة؛ ليروق حُسنها، ويعلوَ قدرها وشأنها، لدى من رام أن يكحلَّ ناظره بإثمد سوادها عند مطالعته لها، ويقف على ما أودع فيها من البلاغة وسكب العبارة فيزداد بها شغفاً ووَّهاً، فقال - لا فُضَّ فوه، ولا برح من يجفوه-

بسم الله الرحمن الرحيم

خرجنا يوم الخميس بكرة من النهار غُرَّة شعبان⁽⁴⁾ من الزوراء، فتوجهنا إلى الشام، مرفقين معنا خمسة أنفار من طرف الحكومة لمحافظةتنا، وكان معي عماد

المجلد 18 العدد 4/1989 ص203-215، وقد عدنا إلى تلك النشرة، فراجعناها ونقحناها، وأضفنا إليها تعليقات جديدة، وزدنا في مقدمتنا ملاحظات ما يوضح هوية مؤلفها، وغير ذلك.

(1) في الأصل: السادين.

(2) أحد أسماء مدينة القسطنطينية أو إسلامبول .

(3) في الأصل: بوالبها .

(4) الموافق 9 تموز سنة 1879م.

الدين يشيعنا، فبينما نحن سائرون نزلت عن مطيتي، وركبت يعفور⁽¹⁾ عبدالحليم⁽²⁾،
وعبدالحليم عماد الدين ركب مطيتي.

أبو غريب

فلما دَيننا⁽³⁾ من أرض أبو غريب⁽⁴⁾، رأى الجنود بطيخاً أخضر، وساروا إليه حتى
يجنوا منه للأكل، وهو معمول في الخدود، وجداول الماء تجري.

وأنا قلت لهم: تتحوا عن هذا الطريق، ولا يجوز لكم الأكل من هذا البطيخ، قالوا:
يا سيدنا، نبتاعه بالدرهم، فدخلت خيل الجنود في الجدول، وهربت مطية
عبدالحليم في جدول من الجدول، فوثب عبدالحليم عن ظهرها كأنه فهد، والجَمال
يقول: واجملي! واجملي! انكسر جملي، وأنا قلت له: على بالظمان، لا تخف ولا
تحزن؛ إن الله معنا، ثم نهضت المطية وخرجنا سالمين، غير أن الغرار⁽⁵⁾ الذي فيه
متاعنا، والخبز والسكر صار عجيباً، ثم ألقيناه، فأقبل عليه الجنود يأكلون منه،
ويقولون: يا سيدنا، هذا دقيق ملون بسكر، فقلت لهم: هنيئاً مريراً!

فبعدهما قضا وطهرهم بالعجل، ركبنا مطايانا وتوجهنا إلى مدير (أبو غريب)
محمد شواف زاده،⁽⁶⁾ فأتينا إليه، ونوَّخنا مطايانا بباب خيمته، فقابلنا بالترحيب
والتكريم والتبجيل، ومعه ولده عبدالرزاق، فقال لي: يا جدي، ما هذه الساعة المباركة
التي أتت بك؟ ثم قبلت بين عينيه، فكان جلوسنا عنده ست ساعات، ثم صلينا المغرب،
وودعت ولدي عبدالحليم، وعبدالرزاق ووالده محمد علي أفندي.

(1) اليعفور: الطيب، يريد به الجمل الذي كان يركبه ابنه.

(2) ولد ولده عبد الحليم في بغداد سنة 1276هـ / 1859م فيكون عمره في وقت قيام والده برحلته
هذه نحو عشرين سنة.

(3) الصواب: دنونا.

(4) أرض زراعية واسعة في غربي بغداد، ولا يعلم من هو أبو غريب هذا، ونرجح أن يكون صحيح
الاسم (أبو غريب) اسم لإحدى العشائر التي سكنت هناك، ومن المعالم الأثرية المهمة في هذه
المنطقة تل أثري يسمى بتل (العلمي)، يرقى إلى العصر البابلي القديم، وقد أنشئ في أرضه
سجن أبي غريب الشهير؛ كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد، 2004، ص128.

(5) جمع غرارة وهي القرية.

(6) هو محمد علي بن عبدالرزاق الشواف، الأسرة البغدادية الكرخية التي انحدرت من دير الزور في
القرن الثاني عشر للهجرة (18م)، نوه به السيد محمد سعيد الراوي في تضاعيف ترجمة أبيه؛
تاريخ الأسر العلمية في بغداد، بتحقيقنا، ط1، بغداد 1997 ص246.

الصقلاوية

وتوجهنا نحو الصقلاوية⁽¹⁾، فلما أتيناها نوّخنا مطايانا عند مدير التيل⁽²⁾ حيدر أفندي، فجلسنا مع حيدر أفندي برهة من الزمان، وإذا حسن بك قائمقام من أمراء العساكر⁽³⁾ المنصورة مُقبلٌ من الشام ودخل علينا، فلما رأته نهضت وقبّلت بين عينيه، فجلسنا معه مقدار ساعتين من الزمان، ثم نظر إلى ولدي محمد، وقال: ما هذا الشبل الذي معك؟ فقلت: هذا ولدي محمد أخو عبدالحليم.

عبور الفرات

وسرنا نحو الفرات، ثم أتينا الفرات، فقدموا لنا فُلُكًا حتى نعبّر نحو الشامية⁽⁴⁾، فلما أدخلنا مطايانا في الفُلُك، وإذا قوم من عشيرة⁽⁵⁾ الدليم يريدون أن يدخلوا⁽⁶⁾ معنا للعبور، والجنود ما رضوا أن يدخلوا معنا، وصارت منازعة بين الفريقين، الجنود يقولون: لا تدخلوا، وهم يقولون: ندخل، فأخذ⁽⁷⁾ الجنود أيديهم إلى سلاحهم، وكذلك القوم، وأنا أصلح بينهم⁽⁸⁾، وإذا عجوز شمطاء زلاء⁽⁹⁾، منطبق تقول: الفتنة من هذا الشويخ، فلما قالت هذا الكلام، وابنها كذلك تقوّه في هذا الكلام، وكان معنا خادم اسمه محمد جاويش متوجهاً إلى إستانبول، لما سمع الكلام من ابن العجوز، وكان في يده

(1) قرية تقع على نهر الفرات اتخذت في أواخر العصر العثماني مركزاً لوحدة إدارية باسم (الصقلاوية - الفلوجة)، ووصف الأب أنستاس ماري الكرملّي الصقلاوية في أثناء رحلة له سنة 1886م (1304هـ) بقوله: «هي قرية صغيرة، فيها قليل من الخضر، تزرع في بساتين صغار بلا أشجار، وبضعة أسواق، وهي مبنية على نهر الفرات على شكل الأزج»، وقال في الهامش «في الصقلاوية 249 نسمة، و45 داراً و3 خانات و4 قهاوي، وهي مديرية الحكم، ليس فيها جامع ألبتة، وفيها مركز للتلغراف، وبعض أهلها ينامون في دكاكينهم (مخطوط كان في مكتبة الدراسات العليا بآداب بغداد برقم 244، وهو اليوم في دار المخطوطات العراقية، الورقة 8).

(2) أي مدير التلغراف.

(3) في الأصل: عساكر.

(4) أي: الجانب الغربي من الفرات.

(5) في الأصل: عشيرت.

(6) في الأصل يدخلون، تدخلون.

(7) في الأصل: فأخذوا.

(8) في الأصل: بينهما.

(9) الزلاء: الخفيفة الوركين، أو هي القوس التي يزل السهم لسرعة خروجه، كناية عن سرعتها في

الكلام.

دَبُوس⁽¹⁾ فضربه تحت إبطه فأغى عليه، فسمع يوزباشى⁽²⁾ الجنود حيدر أغا، فقال: ياشيخ، ما هذا الأمر؟ فقلت: الجناية من الجنود، ثم بدّل الجنود، فقال⁽³⁾ القوم: جزنا⁽⁴⁾ عن دعوانا، ولو ألف رجل يموت لحسن كلام الشيخ، ورئيس القوم كان محمد الأعرج المعروف بالطوبال⁽⁵⁾، فبعد ما عبّرنا ركبنا مطايانا وتوجهنا الى الطوبال فنزلنا عنده، وبتنا ليلتنا، وكانت بئس الليلة؛ لأنه رجل دنيء ما يلتفت إلى حق⁽⁶⁾ الضيف.

الرمادي:

وتوجهنا نحو الرمادي⁽⁷⁾، ونزلنا عند قائم مقام الدليم أحمد أفندي⁽⁸⁾، فقام مستقبلاً لنا بالترحيب والتبجيل، وكان الوقت الشمس في رابعة النهار، فجلسنا معه، ثم أتاننا بغداء، فأكلنا وشرينا معه، فسمع بنا طه أفندي شواف زاده⁽⁹⁾ فقال: مرحباً بكم، فذهب بنا إلى بيته، فبتنا عنده تلك الليلة، فلما مضى ثلثاً الليل، قُدِّمت لنا مطايانا، وتوجهنا نحو هيت، وقد رفقوا معنا أربعة فرسان من طرف الحكومة، فبعد ما مضت ثلاث ساعات من النهار قال⁽¹⁰⁾ رئيس الفرسان علي أغا: أنتم تفوزون بهذه المفازة، ونحن نورد خيلنا ونتبعكم، فلما فارقتاهم وإذا رجل أعززي⁽¹¹⁾ راكب على

(1) هراوة فيها مسامير.

(2) اسم رتبة عسكرية عثمانية مركبة من بوز: مائة، باشي: رئيس، قائد، مقدم.

(3) في الأصل: فقالوا.

(4) عامية، بمعنى: تركنا.

(5) طوبال، تركية، وتعني: الأعرج.

(6) في الأصل: بحق.

(7) حينما مر اللحاي بالرمادي لم يكن قد مضى على إطلاق هذه التسمية غير أربع أو خمس سنين، فالرمادي مدينة حديثة سميت بهذا الاسم في عهد الوالي مدحت باشا (1869-1872م)، وكانت تسمى قبل ذلك قلعة الرمادي نسبة إلى تل الرماد الذي بنيت عليه، وهو تل أثري قديم لون الرماد، وهي اليوم مركز محافظة الأنبار في غربي العراق؛ فرحان الحديثي: تاريخ الحديثة 26/1.

(8) هو أحمد أنوري أفندي، أشارت إليه جريدة الزوراء في عددها 1063، المؤرخ في 10 محرم 1300هـ/1882م، بوصفه قائم مقام الدليم الأسبق.

(9) هو الشيخ طه بن عبدالرزاق الشواف، كان عالماً، تقلد قضاء البصرة مدة طويلة، وتولى التدريس في مدارس بغداد، وكان شاعراً أيضاً، توفي في 14 صفر سنة 1328هـ/1900م، ودفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير؛ إبراهيم الدروبي: البغداديون، بغداد 1958، 39.

(10) في الأصل: فقالوا.

(11) نسبة إلى عنزة، كما سيذكر المؤلف، القبيلة المعروفة.

يغزل، ويتكلم في الحيل⁽¹⁾ الشرعية، كل حيلة عملة المحكمة⁽²⁾ عندهم، وإذا برجل أتى إلى وقيل يدي، ولحيته كأنها عرض تسعين، فقال: يا سيدي، هل تعرفني من أنا؟ فقلت له: لا يا أخي، فقال: ابن سيد حديد، وسيد حديد كان خادماً في جامع المصرف⁽³⁾ في بغداد في محلة محمد خليل⁽⁴⁾.

الفحيمي:

وسرنا نحو الفحيمي⁽⁵⁾، فأتيناها صباحاً، فتوَّخنا مطايانا بباب الحصن، وكان ذلك اليوم عبوساً قمطيراً من شدة الحر والسموم، وقد قتل رجال كثر، فقضينا ذلك اليوم ولم نرْ مكروهاً.

النهاية

وسرنا نحو النهاية⁽⁶⁾ مع أربعة فرسان مرفقين معنا، فلما وصلنا النهاية، وهي كذلك حصن متخذ للجنود المحافظين لأبناء السبيل، ولم ننزل فيها.

القائم

فبقينا ليلنا سائرين حتى دخلنا القائم⁽⁷⁾، فنزلنا عند المدير السيد محمد سعيد أفندي نجل السيد عمر أفندي⁽⁸⁾ نقيب برصه⁽¹⁾، وجميلزاده⁽²⁾، وهو رجل كريم، حلو

(1) في الأصل: حيل.

(2) كذا في الأصل.

(3) مسجد لم يزل قائماً، قريب من شارع الخلفاء، شيده أحمد أفندي المصرف سنة 1227هـ/1812م، وكانت فيه بعض الحجر ومدرسة وخزانة كتب، محمود شكري الألوسي: مساجد بغداد وآثارها، بغداد 1341هـ، ص73.

(4) يقع هذا المسجد في طريق لا ينفذ، سمي بشارع المصرف نسبة إليه، وعد في بعض العهود من محلة البارودية، وليس فيها بين أيدينا من مصادر ما يشير إلى محلة بهذا الاسم، وورد في حاشية على كتاب العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، لعبد الحميد عبادة، بتحقيقنا، بغداد 2004، ص184، أن جامع المصرف يقع في زقاق، كان يسمى قبل إنشاء الجامع، بزقاق صالح در.

(5) تقع قرية الفحيمي في غرب مدينة حديثة، وهي تنسب إلى واد هناك.

(6) هي اليوم قرية تابعة لناحية العبيدي في قضاء القائم في محافظة الأنبار.

(7) كانت القائم في أواخر القرن التاسع عشر، تتألف من مخفر للشرطة وخان واسع اتخذ مركزاً لناحية، وهو يقع على ضفة الفرات اليمنى، وهي اليوم مدينة عامرة، تبعد القائم عن بغداد بنحو 420 كم، وترتبط بها نواحي العبيدي والرمانة والكرابلة.

(8) ورد اسمه في سالنامه بغداد لسنة 1299هـ، مديراً لناحية القائم.

الشمال، ذو عقل ودراية، ثم قال: يا سيدي، هذا المحل محلك، وأنا ذاهب للتعشير، وولدي مصطفى أفندي⁽³⁾ هو هنا، فهو مقيم بضيافتكم فكان الأمر كذلك.

البوكمال:

ثم بتنا ليلتنا، وخرجنا سائرين سحرًا نحو أبي الكمال⁽⁴⁾، فدخلناه وقت القيلولة، وإذا خارج البلدة سقيفة مبنية لأبناء السبيل، فوجهنا مطايانا نحو المضيف، فخرج رجل من نحو المضيف مرحبًا، فأخذ بخطام مطيتي، وقال: المنزل عندي، ونزلت عنده، وكان حاتمًا، وقبل هذا ذكرنا ياسين الذياب⁽⁵⁾ حاتمًا، فذاك يصرف بماله، وهذا كساب وهاب صفة حاتم، فصيح اللسان حلو الشمائل، قدّه كأنه عود بان، فلما جلسنا معه وبدأنا بالمنادمة، وإذا بقائم مقام أبي الكمال مع عبد الحكيم أفندي البغدادي فقال القائم مقام: يا مولانا، لأي شيء ما شرفتنا؟ فقلت له: المقام مقامك يا سيدي، ثم قضينا في راحة حتى انفلق الصبح.

الصالحية

وتوجهنا نحو الصالحية⁽⁶⁾ فأتيناها قبل الظهر، وقيلنا فيها وبردنا بالظهر.

الميادين

وتوجهنا سائرين نحو الميادين⁽⁷⁾، فبينما نحن سائرون في الفيّظ، وإذا بأسد له صولة، فجفّلت ونفرت الإبل منه، ولم تضبط أخطامها، والفرسان معنا غائرون⁽⁸⁾.

(1) في الهامش: بروسا.

(2) لم يذكر اسمه، واكتفى بذكر لقب أسرته، ونرجح أن يكون من آل جميل الأسرة البغدادية العريقة التي نزلت من بلاد الشام واستقرت في مدينة الحديثة على الفرات حيناً من الدهر؛ ينظر محمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ملحق للمحقق ص 399، وإبراهيم الدروبي: البغداديون ص 32.

(3) هو مصطفى وفي الجميل، وكان أديباً، توفي سنة 1324هـ/1906م؛ البغداديون ص 31.

(4) هكذا يكتبها المؤلف والمشهور (البوكمال)، وهي مدينة سورية على الجانب الأيمن لنهر الفرات، على الحدود السورية العراقية، ومركز منطقة البوكمال في محافظة دير الزور، تأسست عام 1864م بعد أن كانت قرية صغيرة تسمى النحامة.

(5) ينظر ما ذكره في حديثه عن بلدة هيت.

(6) بلدة على الفرات، إلى الشمال من البوكمال.

(7) مدينة على الفرات في جنوب دير الزور.

(8) يريد: هاجمون.

فزادها جفلاً ونفوراً، فلما سكنت الإبلُ وخيلُ الجنود، قلتُ لولدي: السلامة، وهو كذلك يقول: السلامة يا أبتى.

فلما وصلنا الميادين، استقبلنا «القائمقام» شاكراً أفندي بالترحيب والتبجيل، فأنزلنا في مكان داره - وكان خيرَ المنزلين - وجرتَ بيننا المناديات إلى المغرب، فلما جنَّ الليلُ قدّمتْ لنا مطايانا وسرنا نحو الدير.

الدير:

ثم سرّنا ليلنا كله، وكانت⁽¹⁾ الإبل تخفضنا طوراً، وترفعنا طوراً؛ لأن الأرض نجدٌ ووهاد، فلما انفلق الصبح أتينا الدير صباحاً، وأنخنا مطايانا بباب المتصرف السيد محمد على باشا ابن السيد شريف، فلما دخلتُ عليه قام على قدميه مرحباً، وقال لي: من أين القدوم يا مولى؟ فقلتُ له: من بغداد، فقال: مع من أتيت؟ فقلتُ له: أنا وولدي مع فرسان مرافقين معنا من مرحلة إلى مرحلة، فقال لي: إلى أين الذهاب؟ فقلتُ له: إلى القسطنطينية العظمى، قال: وعلى أي طريق تذهب، على⁽²⁾ طريق حلب أو على طريق الشام؟ فقلتُ له: على طريق الشام، فقال لي: أما الذهاب على طريق الشام، فلا يمكن السلوك فيه الآن؛ لأن الزمان قيظٌ وحر شديد، فقلتُ له: يا سيدي، لا بد أن أذهب من هذا الطريق، فأطرق برأسه⁽³⁾، ثم رفعه، وقال: على بابن هديب العكيلي، فأتى بابن هديب، فقال له: الشيخ يريد الذهاب على طريق (صخرة)، فقال: يا سيدي، بوجود همتمكم يمكن هذا، فالفرسان الذين⁽⁴⁾ نُركبهم معه يحملون الماء، ثم أمر بخمسة فرسان، فقال لهم: توصلوه إلى القريتين، وبعدما جلسنا معه خمس ساعات، قدّمتْ لنا مطايانا وركبناها، وتوجّهنا نحو الشام، وأرفق معنا إبلاً حاملة الماء لنا وللفرسان، وكان المسير ليلاً، فسرنا ليلتنا ونهارنا، وذهبوا مسرورين، فلما انقضى النهار ومد الليل أطنابه؛ أمر شيخ الحمل بالرحيل.

تدمر

فرحلنا سائرين في البيداء ليلنا مع نهارنا إلى أن أتينا تدمر، فأنخنا خارجها، فلما نظرتُ إليها فإذا هي بلدة عظيمة، ورأيتُ بعض دُورها خاوية على عروشها،

(1) في الأصل: وكان.

(2) في الأصل: إلى على.

(3) في الأصل: طرق راسه.

(4) في الأصل: الذي.

وبعضها قائمة على حالها، ونظرتُ إلى الأساطين؛ فإذا منها: صنف أبيض، وصنف أحمر، وصنف أزرق، وهي من الرخام.

يا لها من بلدة! وأكثر ما قال المؤرخون إنها لسليمان ابن داود، ثم أتى جار الله شيخ تدمر إليّ، وقال لي: «يا سيدي، أدعوك للمضيف حتى نتبرك فيك»، فذهبتُ معه للمضيف، وبتُ ليلتي في أرغد عيش، وكان فيها خطيباً، فقال لي: تبقى ههنا في رمضان حتى نستفيد منك، فقلت له: لا يمكنني يا أخي، فقال لي: «تشرّف⁽¹⁾ يا سيدي علينا بكم موعظة»، فكتبتُ له موعظات لأربع⁽²⁾ جمّع.

عين قباقب:

وأتينا إلى (عين قباقب)، وهي محل كرامة أجدادنا، فروينا مطايانا، وكذلك الفرسان أوردوا خيلهم، فمضينا سائرين أربع وعشرين ساعة.

صخرة:

وأتينا (صخرة)، ورأينا الحمل نائحاً هناك، ورأينا⁽³⁾ خيمة مضرورية خارج القرية، فأنحّتُ بباب الخيمة، وخرج من بابها⁽⁴⁾ رجلٌ مع خدامه، فإذا هو العثمان العكيلي شيخ الحمل، وبعدهما حيّانا بأحسن تحية أقبل⁽⁵⁾ الفرسان إليه يقبلون الأيدي، يقولون: هل ترخصنا وتمشي مع الحمل، أو نذهب معك إلى القريتين، فقلت لهم: لكم الرخصة: لأن بقيت أربع مراحل للابل، فهذه الأربع مراحل نسير مع الحمل، فقبلوا يديّ وذهبوا مسرورين.

أبو الفوارس:

ثم رحل الحمل وأناخ بأبي الفوارس، وهو بمسافة ساعة عن تدمر، فقمنا نحن وصلينا الصبح، وركبنا مطايانا وتوجهنا نحو أبي الفوارس، فلما وصلنا الحمل، رأينا⁽⁶⁾ الخيمة مضرورية حول البئر، وهذا المكان ذو آبار وقنّوات، وكذلك هذه، من آثار

(1) يريد: تفضل.

(2) في الأصل: أربع.

(3) في الأصل: فرأينا.

(4) في الأصل: باب.

(5) في الأصل: فأقبل.

(6) في الأصل: فرأينا.

سليمان، فمنها معطلة، ومنها غير معطلة يشرب⁽¹⁾ منها أبناء السبيل، وهذا المكان واقع بين جبلين، وهو مفازة يسمونه (الدوة)، وهو إلى القريتين بمسافة⁽²⁾ عشرين ساعة، وكل جبل فيه بعض العيون، يهطل منها الماء، لكن لا يخرج إلى مكان، وأنا أخذتُ الأسطرلاب لأزن⁽³⁾ بعض الأرض التي يخرج منها الماء، وهي قابلة للتعمير، لكنها محتاجة إلى قوة دولة.

القريتين:

ثم رحلنا نحو القريتين⁽⁴⁾، فسرنا يومنا وليلتنا، فلما وصلنا نزلنا عند شيخ القرية فيأض آغا، وهي قرية ذات أشجار وأثمار، فيها تفاح⁽⁵⁾، وكُمثرى لم أر مثله لا في بغداد ولا في الشام ولا في جميع الدنيا، ثم فارقنا الحمل وسار معنا فيأض آغا - وهو رجل جليل تتجب له النجائب - فشيئنا كم ساعة⁽⁶⁾، وودعنا وسيّر معنا فرساناً محافظين لنا.

سدوم وعطنة:

فسرنا سدوم، وهي بلدة قوم لوط، طولها ثلاث ساعات، وعرضها ساعتين، وبقرية قرية يقال لها «عطنة»، فقالوا لي: يا سيدي، نزل في هذه القرية للاستراحة؟ فقلت لهم: لا أنزل في هذه القرية؛ لأنها قرية قريبة من قرى الذين ظلموا، ألا نتأسى بالنبى - صلى الله عليه وسلم - لأنه في غزوة تبوك لما أتى إلى مدائن صالح، قال: ((لا تناموا فيها، ولا تجلسوا فيها، واذكروا الله؛ لأنها ديار الذين ظلموا))، ثم ألحوا على فأتيت شيخ القرية (مصطفى الغزال)، فأخنا مطاينا عند بابه، وهو مع بنت له خماسية يقبلها ويلعبها، فقلت له: ما هذا التقبيل! لعلها زوجة لك؟ قال: هذه بنتى، ثم رجعت رفقتى، وقالوا لي: ما هذا التقبيل؟ فقلت لهم: لعله تقبيل كرامة، لا يظن بالمسلم إلا هذا، ثم قلت لهم: اركبوا مطاياكم حتى نخرج من هذه القرية؛ لأنها بقرب قرية لوط.

(1) في الأصل: يشربون.

(2) في الأصل: وهو بمسافة.

(3) في الأصل: وزان، ووزن الأرض اصطلاحاً: قياس مستوى ارتفاعها.

(4) بلدة إلى الشمال الغربي من دمشق، كانت تعد من أعمال حمص، ذكر ياقوت أن بينها وبين تدمر

مرحلتين؛ معجم البلدان 336/4.

(5) في الأصل: تفاحاً.

(6) يريد: عدة ساعات.

جرود:

فركبنا مطايارنا حتى أتينا «جرود»⁽¹⁾، فنزلنا عند محمد أغا الجرودي، فلم يكن، بل كان نسيبه فارس أغا التصري، فقام بضيافتنا وكرامنا وأحسن مثنانا، وهو رجل كريم حاتمي الصفات، عنزي⁽²⁾ الشجاعة، ذو عقل ودراية، وجرت المنادمة بيننا إلى الصباح.

دوما:

وركبنا متوجهين نحو دمشق، فطال علينا المسير، فنزلنا دون دمشق في دوما⁽³⁾ عند القاضي الشيخ محمد سعيد أفندي، وهو سبط الجابي محمد أفندي، وهو يفصل بين الخصوم في دار الحكومة، فلما سمع بنا أتى مهرولاً، فحيانا بتحية القدوم، وجلسنا معه وجرت المنادمة بيننا، فقلتُ له: يا أخي، أسألك عن «محمد أفندي الجابي»، كيف حاله؟ فقال: هو جدي، فقمْتُ إليه، وقبلت بين عينيه، وقلتُ له: ذاك أخي، وابن ابن بنت أخي⁽⁴⁾! ثم رجعتُ الكلام عليه، وقلتُ له: ما حاله الآن؟ فقال لي: وهنَّ العظم منه، لكنه لم يكن بدعاء ربه شقياً، ثم أقمنا عنده تلك الليلة مع أناس من أهل الشام خارجين للنزهة، فلما انفلق الصبح سرنا إلى دمشق.

دمشق:

فدخلناها، ثم أتينا الصالحية، فأنخنا مطايارنا عند باب الوالي مدحت باشا⁽⁵⁾، فدخلتُ عليه، فقام على قدميه، وقال: أهلاً بالشيخ أحمد اللحاف، ثم سألتني على أي طريق سلكت، فقلتُ: سلكتُ⁽⁶⁾ طريق الشامية، وقلتُ: يا مولاي، كذبت كذبات على العرب؛ ترهيباً لهم، قلتُ لهم: الوزير مدحت باشا باعث علي، ثم ضربني على يدي تلطيفاً، وقال: لله درك من رجل داهية زمانه، فالتفتُ إلى ولدي، وقلتُ: يا بني، هذا تأويل رؤياي من قبل، قد جعلها ربي حقاً، فجرت المنادمة بيننا برهة من الزمان، ثم

(1) بلدة إلى الشمال الشرقي من دمشق، قرب سيدنايا.

(2) نسبة إلى عنزة، القبيلة العربية المعروفة.

(3) بلدة إلى الشمال من دمشق.

(4) كذا في الأصل: ولعله أراد: ابن بنت أخي.

(5) تولى دمشق سنة 1295 رومية / 1879 م، ولبث فيها سنة واحدة، وثماني أشهر؛ (صلاح الدين

المنجد: ولاية دمشق في العهد العثماني، دمشق 1949، 93)، وكان قد تولى - قبل ذلك - بغداد

كما هو معروف.

(6) هنا استطراد لا وجه له فحذفناه.

خَيْرِنِي، وقال لي: يا شيخ، أين تريد أن تُضَيَّفَ؟ هل تريد أن تضيف ههنا، أو في بيت سعيد باشا، أو في بيت المفتي؟ فقلت له: ضيافتى تكون عند «سعيد باشا»؛ لأن بيننا حقوقاً قديمة، فأتينا إلى دار سعيد باشا فجلسنا فيها، وكان الرجل يتنزّه في جنيئة له، فلما سمع بنا أتى مبادراً إلينا، ثم قال لي: يا مولاي، قدومك إلى نعمة غير مُرتقبة، الحمد لله الذي من⁽¹⁾ بقدومك علىّ، ثم قال لي: يا سيدي، الرخصة لاستقبال المشير الذي جاء من إستانبول، فقلت له: ومن يكون المشير؟ فقال: مشير العراق سابقاً حسين فوزي باشا، فزادني سروراً بقدومه، ثم أخذتُ استراحتي بُرْهَةً من الزمان، ثم ذهبت إليه فدخلتُ عليه في المقصورة، فوجدته جالساً مع أحمد أيوب باشا المشير⁽²⁾ السابق، فلما رآني قام ناهضاً على قدميه، وهو يرطن بالتركي، ومعناه بالعربي: أهلاً وسهلاً بقدومك علينا، فأجسنى عن يمينه وولدي جالس⁽³⁾، فقال: من هذا الغلام الذي معك؟ فقلت: هذا ولدي شقيق عبدالحليم، فقال: ما رأيتُه في بغداد، فقلت له: يا مولاي، هذا كنز مخفي؛ إذ وجد عبدالحليم اختفى، وإذا لم يوجد عبدالحليم ظهر، فضحك المشيران، ثم قال: إلى أين الذهاب؟ فقلت له: إلى القسطنطينية، فقال: صمّ رمضان ههنا، فقلت: أصوم في القسطنطينية، فقال أحمد أيوب باشا رطنة بالتركي معناها بالعربي: تريد أن تشتت رمضان، فقلت له: يا مولاي، هذا كلام أهل العراق قبلك، ثم قال لي المشير حسين فوزي باشا: كيف يكون ولدك عبدالحليم، وعلى أي حال يكون، وهو على هوسه القديم في نشر العلوم، فقلت له: بل يزيد على ذلك يا سيدي، فقال لي: اكتب له من لسانى لا يفتر عن سعيه، ثم قمت منه ذاهباً إلى دار الضيافة، وكان اليوم الجمعة أول رمضان⁽⁴⁾، ثم أخذتُ راحتي، ثم بعد بُرْهَةً من الزمان، وإذا بالشيخ عبدالقادر أفندي نجل المرحوم السيد مراد أفندي الكيلاني⁽⁵⁾ أتى إليّ فحيّاني بتحيةة القدوم، وسُررنا⁽¹⁾ بقُدومه غاية السرور،

(1) في الأصل: من الله.

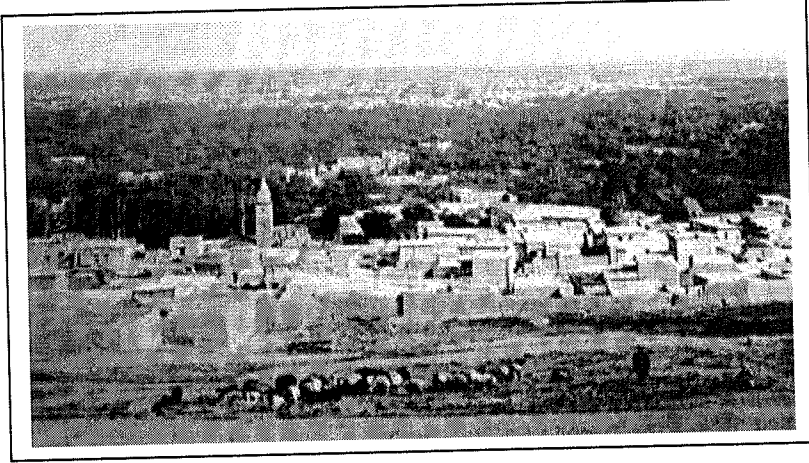
(2) في الأصل: شير.

(3) في الأصل: جالساً.

(4) ويوافق 7 آب سنة 1879م.

(5) هو السيد عبدالقادر بن السيد مراد الكيلاني النقيب، ترجم له الدروي، فقال إنه كان «من العلماء الأعلام، ومراجع الإسلام في مدينة السلام، له باع طويل في العلوم العقلية والنقلية، وله مشاركات في الفنون الغربية.. انتهت إليه رئاسة أسرته في عهده، انتخب عضواً في محكمة الاستئناف، وأجيز من قِبَل رئيس علماء الشام الشيخ عبدالغني الغنيمي الميداني، ثم درس في الحضرة الكيلانية مدة طويلة، وتخرج فيه جمع غفير من العلماء، توفى سنة 1315هـ/1897م»؛ البغداديون ص19.

واستأنسنا معه وقتاً من الزمان، فذهب إلى داره، وأنا ذهبتُ إلى الجامع⁽²⁾ الأموي فرأيتُ شيخاً على كرسي جالساً يعظ الناس، وهو يتكلم في قدوم رمضان.. ثم في اليوم الثالث ذهبنا إلى الشيخ مسلم الكزبري⁽³⁾، فدخلت فإذا هو جالس على كرسي، فجلست في الحلقة وهو يتكلم.. وفي اليوم الثامن أتيتُ إلى جامع الأموي فودعتهم فرداً فرداً، ودعوا لي بالسلامة، وقالوا: راشدأ مهادياً، ثم أتيت إلى دار ضيافتي، فأفطرت مع سعيد باشا، فلما مضى برهة من الليل ودعته، وذهبنا إلى العربة فركبنا فيها، وقلنا: بسم الله



صالحية دمشق في اوائل القرن العشرين

وودعنا أناسٌ من أهل الشام، وركب⁽⁴⁾ معنا؛ أربعة من النصارى، وهم خليل، وموسى، ومحب كرامة، ويوسف، فلما جلسنا وأخذنا بالمنادمة، فإذا كل واحد منهم أفلاطون زمانه، ثم قال لي: يا سيدي، ما هذا الغلام الذي معك؟ قلتُ: هذا ولدي. ثم قال موسى: لا شبه له بك. قلتُ له: بل هو ولدي، وأمه عرسى، فقال خليل: لا تتظر إلى سمرته (فإنما)، له شبه بالعينين والوجنتين والمنكبين، ثم قالوا لي: يا مولانا، من أي البلاد أنت، ومن تكون؟ قلتُ لهم: أنا عراقي، واسمى الشيخ أحمد اللحاي، ثم قالوا: إلى أين الذهاب؟ قلتُ لهم: متوجهاً إلى القسطنطينية العظمى والخلافة

(1) في الأصل: استرينا .

(2) في الأصل: جامع .

(3) هو الشيخ المحدث سليم بن عبدالرحمن الكزبري المتوفى سنة 1299هـ/1881م، من كبار علماء دمشق في علم الحديث في عصره، ونقيب أشرافها، له إجازات كثيرة في هذا العلم؛ ينظر عمر نشوقاتي: مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري الدمشقيين، وسيرهم، وإجازاتهم؛ دمشق 2007.

(4) في الأصل: وركبوا .

الكبرى، قال خليل: يا سيدي، كيف تسميها الخلافة الكبرى، و قد قال نبيكم - صلى الله عليه وسلم - الخلافة بعدي ثلاثون، ثم تكون إمارة أو ملكاً عضوضاً؟ فقلت له: الخلافة الكاملة ثلاثون، ثم رجع موسى إليه، وقال: صدق الشيخ وبالحق نطق.

زحلة:

ثم لما أتينا قريب (زحلة)⁽¹⁾ في جبل لبنان خرج الثلاثة إلى زحلة إلا موسى؛ فإنه بقي معنا إلى أن أتينا بيروت.

بيروت:

فلما أتيناها ونزلنا من العربة قبل يدي، وهو يقول: العذر من التقصير، محروساً راشداً مهدياً، فمشيتُ الخطا سائراً، وولدي على إثري، وإذا الناس يتحدثون⁽²⁾ بأن والي الشام الآن أتى، وقد نزل في دار عمر غزوة، فقلت لولدي: أين منزلنا يكون الليلة؟ فقال: الليلة نزل الخان. فتوجهنا نحو الخان المسمى (خان حمزة)⁽³⁾، فانفردنا بحجرة، ولم يناقشنا أحد بأجرة. ثم لما جلسنا قلت له: اذهب فابتع لنا فطوراً. فراح وابتاع لنا فطوراً وأتى، فلما أفطرنا حمدنا الله، ثم قلت له: يا بُنيِّ قُم نذهب إلى والي الشام حمدي باشا⁽⁴⁾، والدار النازل فيها قريبة من الخان؛ لأن معنا حقوقاً قديمة، فلما أتينا إليه دخلنا عليه، وهو قاعد على الطعام، فجلستُ ولم أسلم وأنا بهيئة السفر بألبسة رثة، ولم يعرّفني، فقال لي: تفضل إلى الطعام، فأشرتُ إليه بيدي إنى على كفاية حتى لا يعرّفني في أثناء تناول الطعام، ثم لما قضى وطره من الأكل والشرب، بدأ يغسل يديه، فلما قام من المغسل توجهتُ⁽⁵⁾ إليه وصافحتهُ وحييته بتحية، وهو لم

(1) في الأصل: رحلة.

(2) في الأصل: يتحدثون الناس.

(3) خان في بيروت يُنسب إلى مؤسسهِ حمزة سنو، وهو من أصل مغربي هاجرت أسرته (آل سنو) إلى لبنان، وقد توفّي «حمزة سنو» في بيروت عام 1840 م. ينظر موقع عائلة سنو.

<http://www.kadmous.org>

(4) هو أحمد حمدي باشا ولي الشام سنة 1292 رومية/1876، وفي سنة 1296 رومية/1880م؛ (ولاية دمشق 93)، وكان قد أقام ببغداد سنة 1286هـ/1869م، حين وجهت إليه رئاسة أركان الفيّلق السادس؛ (عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين 7/221، 223)، ويظهر أن تعرف المؤلف عليه كان في أثناء إقامته تلك.

(5) في الأصل: فتوجهت.

يعرفني، فقلتُ له: يا سيدي، لم تعرفني، فقال: مَنْ أنت؟ فقلت: أنا السيد الشيخ أحمد اللخايفي، فقال: واللّه شبّهت بك من عينك وأنت جالس، ثم بدأ بالترحيب وأجلسني عن يمينه، وجرتِ المناذمة بيننا، فقلتُ له: يا سيدي لمَ لمَ تعرفني؟ قال: يا سيدي مضى قرن من الزمان، لم أرك⁽¹⁾ على قول من قال: إن القرن ثلاثون سنة⁽²⁾، وأنت طعنتَ في سن الشيخوخة، وكانتُ رؤيتي لك وأنت كهل⁽³⁾ وودعنا، فبعد بُرّهة من الزمان توجّه إلى الشام، ونحن توجّهنا إلى الفلك المشحون المنسوب إلى «نمسة»، ورئيس الأول⁽⁴⁾ كان اسمه (بتروفج) ، وكان مسيحياً⁽⁵⁾، ذا عقل ودراية، لله دَرُهُ من رئيس، كان ذا⁽⁶⁾ عدالة عرفية، ثم لما رأني حيّاني بأحسن تحية، وكان معظماً لي ولولدي.

قبرس ورودس:

ثم بدأت السفينة بالمسير، فقلت: (بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) (هود: 41)؛ فسارت ليلتها ويومها حتى أتت (قبرس)، ثم رست محاذية إلى جزيرة قبرس، فبقيت راسية ثمان ساعات، ثم سار الفلك متوجّهاً نحو (لدس)⁽⁷⁾، فلما وصلنا بقي الفلك راسياً ساعتين.

أزمير:

ثم جرى الفلك، وتوجّهنا نحو أزمير، فلما وصلنا بقي الفلك راسياً يوماً وليلة، ثم خرجتُ منه إلى مدينة أزمير أنا ولدي نمشى في أزقتها، وننظر يميناً وشمالاً فإذا هي كأنها (بارس) محل⁽⁸⁾؛ لأنه يوجد فيها من جميع الملل، ثم بقينا نتخطى في أزقتها ساعتين، ثم رجعنا إلى الفلك ودخلنا فيه، وإذا بقاديين خانلي زاده حافظ محمد أفندي

(1) في الأصل: أراك.

(2) في الأصل: ثلاثين، وفي الحقيقة فإنه لم يكن مضى على إقامته ببغداد غير ست سنوات في أكثر تقدير.

(3) في الأصل: كهلاً.

(4) لعله يريد: ورئيسه الأول.

(5) في الأصل: مسيحي.

(6) في الأصل: ذو.

(7) لعلها: رودس، وهي جزيرة تقع في اليونان. بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا، في منتصف

المسافة بين جزر اليونان الرئيسية وقبرص.

(8) لم يتأكد لنا معنى هذه العبارة.

أزميرلى، رأيته داخلاً في الفلك، فنظرتُ إليه، فإذا هو ذو عقل ودراية، فسألته عن فنون كثيرة، فأجابني، ثم جرتُ بيننا مذاكرة في العلوم ونحن متوجهون نحو جزيرة مدلي⁽¹⁾ فأرست السفينة مقدار ساعتين.

جناق قلعة وكلي بولي:

ثم توجهنا نحو جنه قلعة⁽²⁾، وهي متخذة على حافتي⁽³⁾ البحر.

لله دُرٌّ من أسسها، وفيها مدافع عظام، ثم جرت السفينة نحو كلي بولي⁽⁴⁾، فلما أتت رست محاذية البلدة، وهذه البلدة مدفون فيها محمد أفندي اليازجي⁽⁵⁾ - تغمده الله بالرحمة - ثم تهيأنا - أنا وولدي - وتوجهنا نحو مرقده الشريف، فقرأنا الفاتحة، ثم رجعنا إلى الفلك.

القسطنطينية:

وجرى نحو القسطنطينية فوصلنا إليه صباح الاثنين السابع عشر من رمضان، ثم خرجنا⁽⁶⁾، ودخلنا القسطنطينية متوجهين نحو (أيه صوفية)، فلما أتيناها وضعنا متاعنا عند إمامها، وذهبنا نمشي في أزقة القسطنطينية حتى أتينا جامع (بايزيد)، فصلينا الظهر هناك، ثم ذهبنا إلى جامع السلمانية لنصلي العصر، فبعدما انقضت صلاة العصر - وكان في كل من أركانها الأربعة واعظ يعظ⁽⁷⁾ - توجهنا⁽⁸⁾ نحو الركن الشمالي لنسمع واعظه، وإذا بحقي أفندي من أمراء العسكرية، وقبل هذا كان في بغداد من

(1) جزيرة مقابلة لخليج أدرميد، إزاء الساحل الغربي للأناضول.

(2) كذا يكتبها المؤلف، والصحيح، «جناق قلعة»، حصن ضخم شامخ في مدخل المضيق المسمى باسمه، النافذ من البحر المتوسط إلى بحر مرمرة، وكان يسمى بالقلعة السلطانية، وتقع على الجزء الجنوبي من بحر مرمرة، ويصل بين أراضيها الموجودة في آسيا وأوروبا مضيق يحمل معها الاسم نفسه.

(3) في الأصل: حافتين.

(4) مدينة شهيرة على الساحل الأوربي لمضيق جناق قلعة (الدردينيل).

(5) هو الشيخ محمد ديجان اليازجي، من كبار الصوفية في عصره، من آثاره شرحه لفصوص ابن عربي، و(أنوار العاشقين) توفي سنة 855هـ/1451م.

(6) يريد: خرجنا من السفينة.

(7) في الأصل: في أركانها الأربعة كل واعظ يعظ.

(8) في الأصل: فتوجهنا.

المعلمين⁽¹⁾ في مكاتب⁽²⁾ الدولة العلية العثمانية، وكانت لنا معه رفقة وصحبة قديمة، فلما رآني قام على قدميه وقبّل يدي، وقبّلت ما بين عينيه، فقال لي: المنزل عندي، فقلت له: بل ذاهب إلى شيخ الإسلام، فقال: لا يمكن! يا سيدي، هذه الليلة ضيافتك عندي، وكانت داره في (أبي أيوب الأنصاري)⁽³⁾، ثم خرجنا متوجهين نحو أبي أيوب الأنصاري، فقال لي: يا سيدي نركب في الفلك؟ فقلت له: يا مولاي هذا اليوم خرجت من الفلك، ولا طاقة لي بالركوب في الفلك؛ لأن معي وجع رأس من الركوب في الفلك، فذهبتنا نمشي في الطريق، فأطبقت السماء بالسحاب، وأنزل الماء من المُنز كأفواه القرب، وكان الوقت قيقظاً، فقال حقي أفندي: نمضي إلى بيت أقارب جمال أفندي رئيس مكتب إعدادية بغداد، فذهبتنا إلى ذلك المنزل وخرج صاحب المنزل، وقال: الإفطار عندي. فقال حقي أفندي: لا يمكن، أعطانا (شمسيات) حتى نمضي إلى دارنا، فأتى إلينا بشمسيات، وذهبتنا إلى داره، فلما أتينا المنزل تجردنا⁽⁴⁾ من ثيابنا، وأتى إلينا بثياب لبسناها، فبتنا تلك الليلة بأرغد⁽⁵⁾ عيش ومسامرة، فلما انفلق الصبح أتى إلينا بماء فتوضأنا وصلينا.

ثم توجهنا نحو القسطنطينية، وهو مشيع⁽⁶⁾ لنا، حتى خرجنا عن دور الأيوبية⁽⁷⁾، ثم رجع عنا ونحن راجلون حتى دخلنا جامع بايزيد لنصلي العصر، وإذا بسيد سلمان أفندي نقيب الأشراف القادري⁽⁸⁾، فلما رآني توسّم⁽⁹⁾ فيّ، فقال: السيد أحمد؟ قلت: نعم، يا سيدي، فأقبل علىّ وعانقني، والناس في الجامع ألوف ينتظرون تقبيل أيديه، فأخذني وأجلسني بين يديه، وهو يسألني عن أحوالي ومجيئي، فقلت له: يا سيدي،

(1) في الأصل: معلمين.

(2) في الأصل: المكاتب.

(3) محلة شهيرة في القسطنطينية كانت تعد يومذاك من ضواحيها.

(4) في الأصل: فتجردنا.

(5) في الأصل: بأرغد.

(6) في الأصل: مشيعاً.

(7) محلة أبي أيوب الأنصاري التي تقدمت الإشارة إليها.

(8) هو السيد سلمان بن علي بن سلمان القادري، نقيب أشراف بغداد، ولد سنة 1250هـ/1834م، ودرس العلوم في المدرسة القادرية ببغداد، وتبوأ وظائف قضائية عدة، وفي سنة 1286هـ/1869م اختير نقيباً للأشراف، ومتمولياً للأوقاف القادرية، وتوفي سنة 1315هـ/1897م؛ محمد صالح السهروردي: لب الأبواب (بغداد 1933) 128، وإبراهيم الدروبي: البغداديون 6.

(9) في الأصل: فتوسّم.

بخير، والناس يقولون: ما هذا الصعلوك؟ يعظمه! ولم يلتفت إلى هؤلاء الوزراء والعلماء المنتظرين إلى تقبيل يديه، فقال لي: اذهب إلى منزلنا هذه الليلة، فقلت له: أبغى الذهاب إلى شيخ الإسلام⁽¹⁾ هذه الليلة، فقال: راشداً مهدياً، وبلغ السلام عليه. ثم ذهبت اهرع إلى نحو داره، فلما أتيت إلى داره دخلت⁽²⁾ على وزيره المسمى الآن (بكتخدا)، فقلت له: يا سيدي، أريد المواجهة مع شيخ الإسلام، فقال: بعد الإفطار، فلما آن وقت الإفطار قدموه لنا، فأتى إلى الإفطار بذاته شيخ الإسلام، وأقبل كل واحد منا يناوله⁽³⁾ الطعام، وهو ينظر إليّ ويظن أنني من المدعويين على هذه السفارة ويتوسم⁽⁴⁾ فيّ ولم يعرفني، فلما طعمنا انتشرنا عن السفارة، ثم بعدما توضئنا وتوضأ شيخ الإسلام، فلما أتم الوضوء أقبلت عليه مصافحاً له، فنظر إلى مستشاره وقال: ⁽⁵⁾ من يكون الأفندي، فقال له: من مدرسي⁽⁶⁾ بغداد السيد أحمد اللجائي، فقال لي: أهلاً بك، ثم قال: أتوا له بقهوة ودخان، فقلت له: يا سيدي، ما ابتليت بالدخان، ثم التفت إلى ولدي، وقال: ما هذا الغلام الذي معك؟ فقلت له: هذا ولدي وابن عرسي، فقال لي: أين أنت نازل؟ فقلت له: يا سيدي بين السماء والأرض، فقال: كل واحد منا بين السماء والأرض، فقلت له: يا سيدي أنتم لكم منازل، وأنا لم يكن لي منزل، فقال: ضيافتك عندي، فقلت له: يا سيدي لا يمكن؛ لأن الضيافة ثلاثة أيام، ثم التفت إلى درس وكيلي⁽⁷⁾ مصطفى أفندي - وكان جالساً عنده - فقال له: هيئ له مكاناً، فقال لي: في الخرقه الشريفة⁽⁸⁾ أو في اسكدار؟ فقلت له: لا يمكنني لأن المحل بعيد، ثم قال: في مدرسة إبراهيم باشا⁽¹⁾ فقلت له: نعم يا سيدي.

(1) وهو يومذاك الشيخ عرياني زاده أحمد أسعد أفندي، تولّى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية من سنة 1306 إلى 1293 هـ/ 1878 - 1889.

(2) في الأصل: فدخلت.

(3) في الأصل: يناول.

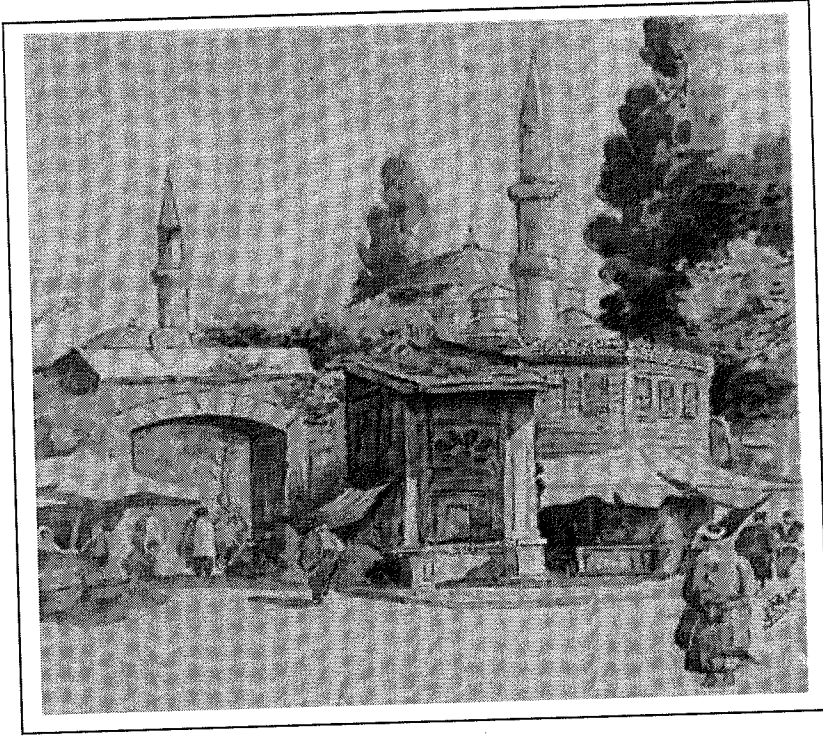
(4) في الأصل: يتسوم فيّ.

(5) في الأصل: فقال.

(6) في الأصل: مدرسين.

(7) أي وكيل الدرس، وهو الموظف المختص بالإشراف على شؤون التعليم الديني وكالة عن شيخ الإسلام الذي يرتبط به هذا النوع من التعليم آنذاك.

(8) هي ما كان يعرف بالبردة الشريفة الثانية، وكانت في مبنى قريب من جامع السلطان محمد الفاتح، يفتح للزيارة وللطعام وللمبيت، قال عبدالقادر آل أبي السعود المقدسي: «هذه البردة



مشهد من استانبول للرسام العراقي عبدالقادر الرسام سنة 1901

فانفردنا منها بحجرة فسكنا فيها أياماً، ثم سمع بنا الشيخ السيد أحمد بيا أفندي الموصلی، فأتى إلى فقال: يا سيدي، كيف تجلس هنا، وأنا في إستانبول، وما تنزل عندي؟ قلت له: يا سيدي، هذه مدرسة الإبراهيمية، قال لي: يا سيدي، التي أنا فيها كذلك إبراهيمية، ثم أمر بنقل متاعنا إلى التكية، وكان هجوعنا في الليل بالتكية فأقمنا في النهار في المدرسة، وأيام العطل نذهب إلى الأصدقاء، منهم صفوت باشا، ونزهت أفندي، والى باب المشيخة، وإلى رؤوف باشا وإلى أدرنة، وإلى قدري باشا صدر أعظم سابق⁽²⁾، وإلى منجم باشي الحاج كامل أفندي، وإلى نصيف باشا ناظر

- الناس يعتقدون أنها بردهته - صلى الله عليه وسلم - ويقال: إنها بردة سيدنا أويس القرني - رضي الله عنه؛ رحلة من نابلس إلى إستانبول، بتحقيقنا، منشورات دار الزمان/دمشق.
- (1) الراجح أنه يقصد دار الحديث التي أنشأها شهزاده باشي في إستانبول، وقد أضاف إليها إبراهيم باشا الداماد، الصدر الأعظم في عهد السلطان أحمد الثالث (1083-1149هـ/1673-1736م) مكتبة مهمة.
- (2) في الأصل: سابق صدر أعظم، وهو محمد قدري جناني باشا، تولى منصب الصدارة العظمى من 1 رجب 1297هـ/9 حزيران 1880 إلى 7 شوال 1297هـ/12 أيلول 1880م.

الأوقاف، وإلى درويش الحيدري، ومن أشبه ذلك⁽¹⁾، لا سيما سيدي الشيخ سيد سليمان أفندي الكيلاني، فمضت أيام، وأنا على هذا الدأب.

ثم [إن] سيدي سيد سلمان أفندي عزم عليّ على الرحيل إلى بغداد، فأتيتُ وودّعته وقلتُ له: راشدًا مهديًا، وكذلك ودّعتُ أخاه⁽²⁾ السيد أحمد أفندي، وكتب سرّه ملا حمادي أفندي، ففارقت وتوجهت إلى القسطنطينية العظمى فهطلت دموعي على خدي، فأتيتُ مكاني وجلست في غرفتي، وناديت⁽³⁾ ولدي السيد محمد، فقلت له: يا ولدي، آتني بماء، فنظر إليّ متغيّر اللون، وقال⁽⁴⁾: يا أبتى ما أصابك؟ فقلت له: يا ولدي، فراق سيدي السيد سلمان؟ فأتاني بماء ممزوج بسكّر، فقلت له: يا ولدي، أنا أمرت بماء، كيف تأتيني بماء ممزوج بسكّر؟ فقال لي: يا أبتى، لما رأيتك متغير اللون خرجتُ لآتي لك بالماء، فرأيت جمال أفندي الحكيم، فقلت له: إن أبي اعتراه عشق وصباة لمفارقة سيده سيد سلمان أفندي، فقال: أعطه ماءً ممزوجاً بسكّر، فلما أخذتُ الكأس من يد ولدي وأوردته على شفتي؛ لم يسغ لي الشراب، وكنتُ أتجرعه كشارب الحمم، وكان جالساً عن شمالي الشيخ محمد وهبي، وعن يميني الشيخ عبدالغني الطرابلسي⁽⁵⁾.

فصببتُ الكأس عن شمالي وناولته محمد وهبي، فأنشد الشيخ عبدالغني الطرابلسي:

صددت الكأس عنّا أمّ عمّرو

وكان الكأس مجرّاه اليمينا

ثم أتى أمير من العساكر المنصورة فأجلسني، واتكأتُ على شجرة شمسية، فرطن بالتركي بما معناه بالعربي: ما دهاك؟ فقلتُ له: لمرافقة سيدي سلمان أفندي، كذلك رطن بالتركي بما معناه: يحق لك ذلك، فنزل عن فرسه وأركبني، وقال لخادمه: اذهب به إلى القسطنطينية، ولم أثب عن صهوة الجواد، وكان الخادم يسندني حتى لا أسقط

(1) كذا في الأصل، يريد من أشباههم.

(2) في الأصل: أخيه.

(3) في الأصل: فناديت.

(4) في الأصل: فقال.

(5) هو الشيخ عبدالغني بن أحمد بن عبدالقادر الرفاعي الفاروقي الطرابلسي، المتوفى سنة

1301هـ/1883م.

عن الجواد، وأتى بي إلى المدرسة، فلما أنزلني أغمى عليّ، ثم اجتمع عليّ المدرسون⁽¹⁾ والطلبة، وجاء ولدي محمد، فقال: وأبتاه، فلما سمعتُ صوت محمد أتتني الإفاقة، ثم قالوا: اتتوا له بحكيم، فذهب إلى ملا حسن إلى باب سر عسكر⁽²⁾، وأخبر صفوت باشا بذلك، فبعث بالعربة وأركبُ فيها، فذهبتُ إلى دار صفوت باشا، وإذا بالحكيم واقف في الدار ينتظر مجيئي، فمدَّ الحكيم يده إلى يدي، ونظر إلى العرق الضارب، فقال: لم يكن فيه شيء إلا عشق وصبابة، فقال: ارقوه، وإذا بكريم أفندي، قال: صدق الطبيب؛ هي الصبابة، ومحبة لولده عبدالحليم، ففتحت عيني، ثم تكلم من هناك الحاج كامل أفندي مُنجمُ باشي، قال: بلغنا عنك [أنك] تقول: عاشق لسيدي سيد سلمان أفندي، فقلتُ له: نعم ذاك مجازي وهذا حقيقة، ثم قال محمد: أمس البارحة أتانا كتاب من تلقائه، فقال: اتتوني بالكتاب، ثم ناوله ولدي محمد الكتاب، فأخذت راحتي واندفع عني إعلان العشق، واللّه أعلم⁽³⁾.

(1) في الأصل: المدرسين.

(2) مصطلح تركي بمعنى قائد الجيش.

(3) في آخر المخطوط تعليقه للناسخ أحمد شمس الدين الألوسي؛ هي: (قد كتبتُ هذه الرحلة على نسخة المؤلف أعلاه، وصنفها ذو الفضل الوافي، والأدب الوافر الكافي، السيد أحمد أفندي اللحافي، كما عليه مسودة الأصل من إملاء وتحرير، وإعراب وبناء، وتقرير وتسطير، غير أنه - عليه الرحمة - لم يُعَوّنَ رحلته بديباج كأمثالها؛ جرياً على عادة نظائرها وأشكالها، وذلك إما كان سهواً منه وتكاسلاً، أو تسويقاً وتجاهلاً، وإني طالما سمعتُ منه يذكرها تبجحاً بها، وإلى ما حوله من اللطائف؛ مشيراً ومنبهاً، فأحبتُ أن أُعَوّنَها بديباجة؛ جرياً على العادة؛ لتكون عند ذوي الألباب مرغوبة مستجادة، وذكر أبياتاً في تقرّظها، فيها شطب وتعديل.

ورود حديقة الوزراء نص غير معروف عن تاريخ بغداد

مؤلف هذا الكتاب هو أبو الكمال مهذب الدين محمد سعيد بن عبد الله بن حسين بن ناصر الدين السويدي البغدادي الشافعي.

ينحدر من أسرة علمية شهيرة، عباسية المحدث، نزحت من بلدة الدور على دجلة في شمال سامراء فسكنت في إحدى محلات كرخ بغداد، وهي الأسرة السويديّة التي خرّجت العشرات من العلماء الكبار، ممن نبّه في مجالات علوم عصرهم في القرون الثلاثة الأخيرة، وكان لبعضهم آثارٌ مهمة في إطار تجديد تلك العلوم، وأكثرهم كان مؤلفاً، له مُصنّفات عدة اشتهرت في الآفاق، فأبوه الشيخ أبو البركات عبد الله بن ناصر الدين السويدي (1104-1174هـ/1692-1760م)، وهو أول من عُرف بهذا اللقب، كان علامة عصره ومُجدِّده، اقتحم طريقه في العلم بروح عصامية، فجاع وعمرى في سبيل التحصيل، وجاهد البرد والفقر من أجل الأخذ عن الشيوخ، وإتقان ما يأخذ عنهم. وتلقى تعليمه في مدارس بغداد والموصل، وأخذ عن علمائهما، حتى برز بين معاصريه وطار صيته، وقصده الطلبة من كل بلد يأخذون عنه ويتأثرون به. واشتهر بتمثيله الجانب العثماني في المؤتمر الذي عقده نادرشاه في صحراء النجف سنة 1156هـ/1743م، وتسجيله الدقيق لما دار فيه من محاورات. كما قام برحلة طويلة إلى الحج، مرّ فيها بالعديد من المدن في العراق وبلاد الشام والحجاز، والتقى في أثنائها بعدد جم من علماء عصره وأدبائه، وقد سجّل وقائع هذه الرحلة أيضاً في كتاب عنوانه (النفحة المسكية في الرحلة المكية)، فعبر الكتاب عن المدى الرفيع الذي بلغه أدب الرحلات عند العرب في العصر الحديث، بما اكتنزه من معلومات تاريخية ومشاهدات حية في مجالات علم الجغرافيا الطبيعية والبشرية وغيرها. وفضلاً عن ذلك فإنه ألف عدداً كثيراً أخرى في علوم القرآن والحديث وعلم الكلام والأخلاق والردود واللغة والنحو والبلاغة والتاريخ، وغير ذلك⁽¹⁾.

(1) إن أوسع ترجمة لحياته كتبها بنفسه في كتابه (النفحة المسكية في الرحلة المكية) بتحقيقنا، بيروت 2011، ص77-106، وينظر أيضاً محمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، القاهرة 1290هـ، ج3 ص86 وعثمان عصام الدين العمري: الروض النضر في تراجم أدباء القرن الثاني عشر، بغداد 1974، ج3 ص93 ومحمود شكري الألويسي: المسك

وأما أخوه الأكبر فهو عبد الرحمن أبو الخير (1134-1200هـ/1720-1786م)، الذي اشتهر بمؤلفاته الجمّة، وأبرزها كتابه (حديقة الزوراء في سيرة الزوراء)⁽¹⁾، وقد أرخ فيه لبغداد، بل أنحاء مختلفة من العراق، في عهد الواليين حسن باشا (1116-1136هـ/1704-1723م) وابنه أحمد باشا (1136-1147هـ/1723-1734)، وذيل عليه بكتاب آخر تناول فيه الحقبة الممتدة من 1186 إلى 1192هـ/1772-1778م)⁽²⁾. وقد سدّ الكتابان فراغاً كبيراً في معلوماتنا عن هذه الحقبة المهمة من تاريخ العراق، هذا عدا مؤلفاته الأخرى في مجالات الفقه والحكمة والعقائد والتصوف والنحو والبلاغة والأدب والشعر والفلك⁽³⁾.

ولمحمد سعيد أخوة آخرون، أصغر منه سنّاً، كلهم عُرف بالتدريس والتأليف، هم أبو الفتوح إبراهيم (ولد سنة 1146 ولم تعلم وفاته) وكان أديباً مُحدثاً، له آثار في علم الحديث⁽⁴⁾، وأبو المحامد أحمد (ولد سنة 1153 وتوفي سنة 1210هـ/1740-1795م)، وكان «عالماً يَعجَز عن علمه الواصفون»⁽⁵⁾، وله مؤلفات عدة في التصوف والردود والنحو⁽⁶⁾، وبنات، هن: أم العفاف سارة، وأم الخير رقية، وأم السعد صفية، وكُن

الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، الرياض 1982، وكتابتنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2009، ص153-155، وكتبتنا دراسة في سيرته ومؤلفاته في مقدمتنا لكتابه النفحة المسكية ص5-44.

(1) كان الدكتور صفاء خلوصي قد نشر قطعة من أوله تختص بسيرة حسن باشا (بغداد 1961،

128ص) ثم حققناه كاملاً ونشرناه (بغداد، مطبوعات المجمع العلمي 2003، 660 ص)

(2) حققنا هذا الكتاب ونشرناه بعنوان (تاريخ حوادث بغداد والبصرة) إذ لم يضع مؤلفه عليه عنواناً. (بغداد، الطبعة الأولى 1978 والطبعة الثانية 1987، 168ص).

(3) المرادي: سلك الدرر ج4 ص10 وإسماعيل البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين

والمصنفين، استانبول 1951، ج1/556 والآلوسي: المسك الأذفر ص131-135 وكاظم

الدجيلي: مجلة لغة العرب 2(بغداد 1912) ص280 وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في

العراق، بتحقيقنا، بغداد 2001 ج2 ص284 وتاريخ علم الفلك في العراق، بغداد 1963،

ص262 وعبد العزيز سليمان نوار: التاريخ في العراق بين التقليد والتجديد (ضمن كتاب

بحوث في التاريخ الحديث، القاهرة 1976، ص211) وكتابتنا: التاريخ والمؤرخون ص183-180.

(4) الروض النضر ج3 ص101 والمسك الأذفر ص136 والعزاوي: تاريخ الأدب العربي، ج2 ص131.

(5) المسك الأذفر ص135.

(6) تنظر في ترجمته المسك الأذفر ص135 وإسماعيل البغدادي: هدية العارفين ج1 ص182

وكتابه إيضاح المكنون ج2 ص635 وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي ج2 ص133 وعمر

رضا كحالة: معجم المؤلفين ج1 ص288.

متعلمات أو عالمات، وقد اشتهرت رُقيّة بالعلم حتى صارت تمنح عالمات عصرها الإجازات في فروع العلم المختلفة⁽¹⁾.

ولأربعة أجيال في الأقل، تعاقب في الأسرة أبناء اشتهروا في مجالات العلم والأدب⁽²⁾، ثم عرف بعضهم، ممن عاش في النصف الأول من القرن العشرين للميلاد بالعمل السياسي والوطني، فضلاً عن علوم اختصاصها.

وعلى الرغم من الشهرة العلمية الذائعة الصيت لأولئك العلماء، فإن حيواتهم لم تكن بعيدة عن أحداث عصرهم، إذ أنهم شاركوا مشاركة حقيقية في الحوادث التي عاشها وطنهم، لاسيما في أثناء الأزمات من كوارث بشرية وطبيعية، فكان لعبد الله السويدي مثلاً مشاركته في الدفاع عن بغداد أثناء حصار نادرشاه سنة 1145هـ/1732م، فقد خرج هو وعشيرته لصد المهاجمين وإفشال تعرضهم على سور الكرخ، وشارك بحماسة منقطعة النظير في معركة دفاع باسلة⁽³⁾، كما شارك في تداعيات تلك الحروب في تمثيله وحده الجانب العثماني في المؤتمر الذي نوهنا به من قبل.

وعبد الرحمن كان شاباً متحمساً تزعم أبناء الجانب الغربي من بغداد غير مرة، كلما تعرضت المدينة إلى خطر داهم، آخرها ما حدث سنة 1190هـ/1191هـ/1776م-1777م، حينما تصدى لمحاولة أفاق مجهول الأصل، يدعى عجم محمد التوصل إلى منصب ولاية بغداد، مقتدياً بأبيه، طارحاً عنه زي العلماء وهدوئهم، متقلداً سيفه، ليشرع في تنظيم مقاومة فعالة، وفي ترتيب خطط الدفاع كأبي قائد عسكري محنك⁽⁴⁾.

وقد أبدى كل منهم ما في وسعه من ضروب مشاركة أبناء مدينته في الحوادث العامة التي كانت تعصف بها بين حين وآخر، فضلاً عن مشاركتهم في الحياة الثقافية، ولذلك السبب، وغيره، كانت لهم صلات علمية واجتماعية واسعة مع علماء عصرهم في العراق والبلاد الإسلامية.

(1) النفحة المسكية ص 182.

(2) قال إبراهيم فصيح الحيدري «بيت السويدي وهو بيت الحديث والفضل، وقد نشأ فيهم رجال أجلمهم الشيخ عبدالرحمن السويدي مُحشّي تحفة ابن حجر». عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد بلا تاريخ، ص 93.

(3) المصدر نفسه ص 18.

(4) مقدمتنا لكتابه تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص 23 ولديوانه الذي حققناه بمشاركة الحاج وليد الأعظمي رحمه الله، بغداد 2000، ص 1-29.

فمؤلف هذا الكتاب إذن لم يكن بدعاً فيما شارك فيه، وشاهده، وسجل وقائعه بقلمه، وإنما اتباعاً والتزاماً بتقليد أسري يجمع بين العلم والتأليف والتدريس، وبين المشاركة، أو الزعامة، في الحياة العامة بكل ما يعنيه ذلك من أعباء ومسؤوليات.

وعلى الرغم من منزلته العلمية وقول مترجميه بأنه كان «مُشاراً له بالبنان، ممتازاً بين أقرانه بالفضل والعرفان»⁽¹⁾، فإن معلوماتنا عن مجريات حياته لا تتناسب مع تلك المنزلة، وسبب ذلك يكمن في أن مترجميه وهم من العلماء أيضاً، كانوا يأنفون عن ذكر مشاركة أمثالهم في الشؤون العامة، تصوّراً منهم أنه لا يليق بالعالم أن يشارك في غير أمور العلم والشرع، من درس وتدريس وإفتاء وتأليف، فجاءت تراجم هؤلاء فقيرة من جوانب كثيرة، بعيدة عن صخب الحياة الدائرة من حولهم، وكأنهم يعيشون في خارج الحياة نفسها. ويقف محمد سعيد أنموذجاً على اجفاف المؤرخين في الترجمة لأعلام عصرهم، إلا من المعلومات القليلة التي يختارون هم أن يبرزوها لقرائهم دون غيرها من المعلومات الأخرى، التي تكمل معالم صاحبها ودوره إنساناً مثقفاً متفاعلاً مع ما حوله، ولذا كان لزاماً علينا أن نكمل هذه المعلومات القليلة بما كشف عنه الكتاب الذي نشره اليوم، وما تناثر في كتابات أخيه عبد الرحمن وشعره، من جوانب غير معروفة من حياته، سكت عنها مترجموه.

وغاية ما تمدنا به هذه المصادر أنه ولد في بيت أبيه في بغداد سنة 1141هـ/1728م، وقد كناه أبوه بأبي السُّعود، كما كنى أبناءه الآخرين، جرياً على عادة العلماء في ذلك العصر، تفاؤلاً بمستقبله، وتأثر هو بتقاليد أسرته العلمية، فبدأ الدرس على يدي علماء مدينته، ثم ارتقى فيه مجالاته على يد أبيه، وهو العلامة الذي تُشَدُّ إليه الرحال، فنال منه الإجازة بالتدريس، كما نال مثلها من عالمين آخرين، هما الشيخ عبد القادر المكي الحارثي، والشيخ علي الأنصاري، وربما من غيرهم ممن لم تصلنا أسماؤهم.

وشاءت الأقدار أن تتعرض بغداد إلى حصارات قاسية ضربها عليها حاكم إيران عهد ذلك نادرشاه، وكان هو في الخامسة عشرة من عمره يوم حاصر نادر شاه بغداد سنة 1156هـ/1743م، وكان أخوه عبد الرحمن يتولى رعايته في غيبة أبيه، حتى أنهما اضطررا إلى مغادرة منزلهما في الجانب الغربي والنزوح إلى الجانب الشرقي حيث

(1) المسك الأذفر ص 131.

أقاما في حجرة في جامع الشيخ العاقولي، وهما في أكثر ما يكونا حينئذ إلى بيتهما القديم وجيرانهما هناك⁽¹⁾.

وكان محمد سعيد معجباً - كسائر أسرته - بوالي بغداد القوي أحمد باشا، وكان الأخير يُقدّر للأسرة خدماتها، لا سيما في أثناء الحصارات الماضية، وموقف عميدها في مؤتمر النجف، وهو ما كان يدفع ببعض الناس إلى أن يقصده كي يعرض له، بأسلوبه البليغ، طلبه إلى الوالي المذكور، حتى أنه مدحه بقصيدة مطولة «على لسان بعض الأصدقاء يستمنح الوزير بها حين أخنى عليه الدهر بكلّكته..»⁽²⁾، وشارك أخاه المذكور في نظم قصيدة في شكر الوالي ومدحه بمناسبة إهدائه فرساً إلى أبيه سنة 1159هـ/1746م⁽³⁾، ولم يكن يتجاوز آنذاك الثامنة عشر من عمره، مما دل على تفتح مبكر لمواهبه الأدبية.

أكمل محمد سعيد دراسته على أيدي علماء عصره، والراجح أنه عمل مدرساً في بعض مدارس بغداد، شأنه شأن أبيه وأخوته، وأظهر تفوقاً متميزاً في علم الفقه لأننا وجدناه يؤلف كتاباً مستقلاً في أحكام التقليد، ثم أنه أختير ليشغل إفتاء الحنفية في النجف وكربلاء، هذا مع أنه نفسه كان شافعيّاً وهكذا كان أبوه وأخوه الأكبر عبدالرحمن.

وحينما توفي والي بغداد والبصرة وتولى صهره، وأبرز مماليكه، سليمان باشا (أبو ليلة) الولاية من بعده، وكان يومذاك في البصرة سافر محمد سعيد إلى بغداد مستقلاً السفينة التي أقلت موكب زوجته عادلة خاتون بنت أحمد باشا وأختها عائشة خاتون وأتباعهما.

وفي بغداد شهد محمد سعيد جواً سياسياً مضطرباً، فسليمان باشا ماض لتولي السلطة، يؤيده زملاؤه من مماليك سيده السابق، وواليتها يسعى بكل سبيل إلى إقصائه عنها، وأهل بغداد منقسمين بين هذا وذاك، فكان أن انضم إلى جانب سليمان باشا، وحينما وصل فرمان تعيينه والياً، كان هو، وأخوه، من أوائل المهنتين.

اتسمت حياة محمد سعيد في أثناء ولاية سليمان باشا بالدعة والإستقرار، مشمولاً برعاية عادلة خانم زوجة الوالي والحاكمة الحقيقية للولاية، وكان من آثار

(1) ديوان السويدي ص12

(2) ديوان السويدي ص35

(3) ديوان السويدي ص60

ذلك الاستقرار أن تزوج، وهو في السابعة والعشرين من عمره، فتكفلت عاذلة خاتون بنفقات الزواج كله. يقول «وفي هذه تزوجت بأم أولادي الموجودين، وذلك سنة ثمانية وستين بعد المائة والألف، وأرسلت عاذلة خانم إليّ النقد، وما تحتاج العروس والعرس من كل شيء بالزيادة»⁽¹⁾.

وجاءت وفاة سليمان باشا سنة 1175هـ/1761م، لتبدد مظاهر الإستقرار، ليس على مستوى أسرة محمد سعيد فحسب، وإنما على مستوى العراق كله، فقد انفجر صراع عنيف بين نوابه (كثخداواته) السبعة، المرشّحين بحكم مناصبهم إلى شغل منصب الولاية، فكان «كل واحد من هؤلاء يتمنى من قلبه أن يكون هو الخلف لسليمان باشا»⁽²⁾، ووجد السويديون، ومنهم المؤلف، أنفسهم منحازين إلى أحدهم، وهو علي باشا، فالرجل كان هادئاً إذا قيس بالآخرين، وقد تعرّف إليه المؤلف في مقرّه حينما كان ضابطاً للحسكة (الديوانية) على نحو مباشر في أثناء بعض أسفاره. قال «وكان في ذلك الوقت أكبر من كثير من الوزراء غير وزير بغداد هيئة ونظاماً وعدداً وعدة واستعداداً، فألزمني بالبقاء والمكث عنده ثلاثة أيام...»⁽³⁾.

ويظهر أن أعجابه بشخصه، وما وقّر في قلبه من احترامه، أدى إلى مساندته في الوصول إلى السلطة بكل سبيل، بعد أن كاد علي باشا أن يبأس منها إثر معارضة خصومه. يقول «مضيتُ أنا وبعض المتعنيين من أهل الجانب الغربي، فرأيناه وأتباعه بلا أكل، ولا أحد يتجرأ أن يمضي اليهم ليبيعهم، ولا أحد من أتباعه يتجرأ ينزل إلى البلد يشري شيئاً، فأرسلنا إلى بيوتنا وبيوت معارفنا وأحابنا أن يأتوا لنا بكل ما لديهم من مأكول، حتى ما أعدّ كلّ لعشاء، وأهل بغداد يخبزون كل وقت خُبزاً قلماً يكفي يومين، فجاءوا لنا وقت صلاة المغرب بأطعمة كثيرة نفيسة تصلح له ولأتباعه، فأكل الكل وشبعوا، والباقي تصدّق به على الشحاذين، وبإيعناه عنا وعن كل أهل الجانب الغربي، أن له ما لنا وعليه ما علينا، ويحارب له أهل الجانب الشرقي كلهم. ففرح وعرف أنه صار باشا جديداً، فشكرنا وجئنا منه، فلما سمع بفعلنا أهل الجانب الشرقي انحلت عزميتهم، فأطاع أكثرهم في الليل، ومضوا إلى خدمته، وهو لم يَنَم تلك الليلة فرحاً»⁽⁴⁾.

(1) المخطوط الورقة 16ب.

(2) رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ص 133.

(3) المخطوط، الورقة 21ب.

(4) المخطوط، الورقة 19 أ.

لم يكن غريباً إذ أن يرفض محمد سعيد المشاركة الحملة النفسية والإعلامية التي قادها الكتّخداوات لعزله بعد نحو سنتين من توليه منصبه. وأنف، وأخوه، أن يضعاً ختميهما غيرهما من المدرسين وخطباء الجوامع على عريضة رفعت إلى الدولة تُلصق به من التهم ما يدعوها إلى عزله، قال «وختموا العرّض - أي العرضحال- حتى عند جميع المدرسين وخطباء الجوامع، وأنا وأخي اعتذرنا بضّيع خواتمنا، فختموا عند من تسمّى كإسمينا»⁽¹⁾.

ولا ندري على وجه التحديد موقف محمد سعيد من تولي عمر باشا السلطة، إثر اغتيال سلفه علي باشا، وكان عمر هذا شديداً بطاشاً، لكنه مع ذلك زوج عائشة خانم بنت أحمد باشا، وأخت عادلة خانم، صاحبة الأيدي البيض عليه، والراجح أن أعمال عمر باشا العنيفة، لاسيما ضد آل الشاوي، وهو الذين تربطه به صلوات الولاء والجيرة، وقتله عبد الله بك الشاوي، لم تُبق شيئاً من التقدير له. وها هو يصف الشاوي بالشهيد⁽²⁾، مما دل على إتهامه الباشا ضمناً بالظلم، وقد وَصّفه بأن لسانه وقت الغضب فحّاش⁽³⁾، وذكر في هذا الكتاب أنه لما نفى عمر باشا دفتر دار بغداد عثمان أفندي العمري إلى الحلة، وهو يضمّر له الإعدام، لم يجد حرجاً في أن يقصده بالزيارة متفقداً صحته، متعاطفاً معه فيما هو فيه من عنت⁽⁴⁾.

داهم الطاعون بغداد سنة 1186هـ/1772م، فاضطر وأخوه، إلى مغادرة بغداد والنزوح إلى الحلة، فالبصرة، وحينما أدرك الوباء تلك المدن أيضاً، تركها متوجهاً إلى الكويت، وهي القرين كما يسميها، حيث استقبله، وأخاه، أهلها استقبالا يليق بكرامتهما العلمية، وعاشا بين ظهرائهم أياماً هائلة بين وعظ وتدرّيس⁽⁵⁾، ولما انتهى الطاعون عاد الأخوان إلى البصرة، وإذا بأخيه يُصدع بأمر من والي بغداد بتولي منصبه الإفتاء والقضاء فيها، فاضطر لقبول هذا التكليف مرغماً، أما محمد سعيد فقد لزم أخاه ولبث في البصرة هو أيضاً، ولا ندري ماذا كان يفعل في هذه الأثناء إلا أن مرضاً أُمّ به جعله يكره الإقامة فيها.

(1) المخطوط، الورقة 21 أ.

(2) المخطوط، الورقة 25 ب.

(3) المخطوط الورقة 22 ب.

(4) المخطوط الورقة 22 أ.

(5) المخطوط الورقة 27 أ.

متعاطفاً مع هذا الوالي بعد عهد من الفوضى، لا سيما وأن بطولته سليمان باشا في دفاعه عن البصرة، وخبر أسرته في إيران على يد كريم خان الزند، تزيد من دواعي تأييده، وليس صعباً أن نجده يثني على صفاته وأنه «عامل الناس بالعدل لا الجور والإضرار»⁽¹⁾.

وفي المرة الثانية، غادر محمد سعيد بغداد سنة 1202هـ/1787م قاصداً الحج، فدخل حلب، ثم دمشق، وكان ذلك في غرة رجب من ذلك العام، ونزل في ضيافة صديقه الشيخ مفتي الشام المؤرخ محمد خليل المرادي (المتوفى سنة 1206هـ/1791م)، حيث قضى لديه أياماً هانئة رخيّة. وفي تلك الأيام قام، بتشجيع من المرادي، بتأليف هذا الكتاب كما سنذكر ذلك. وبلغ من إعجابه بصديقه المؤرخ الكبير أن نسب نفسه إليه وإلى مدينته حباً وولاءً، فقال في آخر كتابه أنه «البغدادي ثم الدمشقي ثم المرادي».

وانحدر من دمشق إلى مصر ليلتقي بعلمائها وليستجيزهم، وقصد القاهرة حيث التقى بالعلامة السيد مرتضى بن محمد الزبيدي مؤلف (تاج العروس في شرح القاموس)، فانتفع كلُّ بصاحبه، قال الزبيدي «عَمَرْنَا بفوائده وأمتعنا بصنوف موائده من كل فن غريب»، وقد أجازه السويدي بالرواية عن شيوخه النبل، وكذلك أجازه الزبيدي- بالمقابل- بكل مؤلفاته، ومنها (التاج) وشرح إحياء علوم الدين المسمى (إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين)، و(المقاصد العنديّة في المشاهد النقشبندية) وذلك في 10 ذي الحجة من سنة 1204هـ/1789⁽²⁾.

عاد محمد سعيد إلى بغداد بعد سنتين قضاهما في سفر وإقامة وترحال، وكان عمره قد تجاوز الستين عاماً، فاستقر في بيته حتى وفاته.

وذكروا أن وفاته جرت في سنة 1203هـ/1788م⁽³⁾، مع أنه لم يكن إذ ذاك في بغداد، لأن تاريخ تأليفه هذا الكتاب - الذي نقوم بنشره الآن- هو في سنة 1204هـ/1789م، وكان يومها في دمشق، وأن تاريخ إجازة الزبيدي له في القاهرة كانت في هذه السنة، ولا ندري تاريخ عودته إلى وطنه بعد هذا التاريخ على وجه التحديد، وثمة رواية تحدد وفاته في سنة 1213هـ/1798م، وأخرى تقول أنها حدثت سنة

(1) المخطوطة، الورقة 40 أ.

(2) نشر عز الدين علم الدين هذه الإجازة في مجلة المجمع العلمي السوري، المجلد 8، ص752.

(3) المسك الأذفر ص139 ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية، بتحقيقنا، بغداد، ط2.

2007 ص190.

1223هـ/1808م⁽¹⁾، ونحن لا نطمئن إلى هذه التواريخ جميعاً لأن المؤلف وعد في نهاية كتابه هذا أنه حينما يمن عليه الله بالعودة إلى وطنه فإنه سيحرر «ذيلاً مطوّلاً» للكتاب، ويرسله إلى صديقه الشيخ محمد خليل المرادي في دمشق، أي أنه كان يعد بتكملة الكتاب بما سيجد من حوادث جرت بعد توقفه عنه، لكنه لم يفعل، ولو كان حياً لفعل، وذلك للمنزلة الرفيعة والتقدير العميق الذي أبداه تجاه من وعدّه بذلك، ولكننا وجدنا ابنه الشيخ علي هو الذي يقوم بتلك المهمة فيؤلف كتاباً في تاريخ بغداد.

ونعلم أن وفاته حضرت وهو في داره في بغداد، لأنه دفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، حيث يسكن بالقرب منها. ومما يلفت النظر في هذه الترجمة، على قصرها، ما ذكره الألوسي من أنه كان «سلفي العقيدة»⁽²⁾، مع أن من مؤلفاته كتاباً في الطريقة النقشبندية، ويظهر أن الألوسي استند في رأيه على حفظه للحديث الشريف، وإنه «كان محدثاً عالماً متقناً، متقناً فيه»⁽³⁾، هذا مع أن كثيراً من معاصره من العلماء كان يجمع بين كونه محدثاً وبين إعجابه بالطريقة النقشبندية دون غيرها من الطرق، وذلك لأن هذه الطريقة، كما جدد قواعدها الشيخ خالد النقشبندي المعاصر له (توفي سنة 1242هـ/1728م)، كانت تؤكد على أتباعها ضرورة دراسة العلوم الشرعية، ومنها الحديث بوجه خاص، وقد انتمى إليها الكثير من العلماء لقدرتها على الجمع بين (جناحي الشريعة والطريقة) كما قيل.

أعقب محمد سعيد أبناء ذكوراً هم الشيخ حسين، والملا علي، وعبد الله، وأحسن تربيتهم وتعليمهم حتى وصفهم من عاصرهم «وكل من هؤلاء قد بلغ من الفضل مُنتهاه»⁽⁴⁾. وأبرز هؤلاء الشيخ علي، فقد كان «أعلم أهل مصره في عصره بالحديث»⁽⁵⁾، وله التأليف القيمة، لعل أبرزها (العقد الثمين في بيان مسائل الدين) الذي نقد فيه بدع عصره بجرأة ملحوظة، وألف كتاباً في تاريخ بغداد، «أحسن فيه وأجاد»⁽⁶⁾، متأسياً بعمه عبد الرحمن، وبأبيه كما سنذكر ذلك، وتوفي سنة 1237هـ/

(1) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، ص 507.

(2) المسك الأذفر ص 131.

(3) المصدر نفسه والصفحة.

(4) المسك الأذفر ص 139.

(5) المصدر نفسه ص 140.

(6) المسك الأذفر ص 140-146.

1821م⁽¹⁾. وعلي هذا هو والد المؤرخ الأديب محمد أمين السويدي، صاحب المؤلفات الكثيرة⁽²⁾، ومنها كتاب (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب) الذي نال الشهرة العريضة في عالم الأنساب⁽³⁾.

وله أيضاً بنت سماها عاتكة، زوّجها من ابن عمها محمد بن عبد الرحمن السويدي.

وقد ألف بعض المؤلفات، ذكر منها إسماعيل البغدادي⁽⁴⁾ كتاباً في الأدب سماه (درة الأبحار في علم الأشعار)، إضافة إلى كتابه (التقليد في أحكام التقليد) الذي ألفه من قبل.

كما أن له بعض القطع الشعرية التي دلت على رقة طبعه وعذوبة لفظه، ومنها تشطيره لقصيدة البُرْدَة الشهيرة، وقيل أنه لما نظمها برئ من آلام أصابته نتيجة سقوطه من سطح منزله⁵.

أمن تذكّر جيران بذي سلم أسلمت قلبك في سلم بلا سلم
وقل في صدق هذا الحال إنك قد مزجت دمعاً جرى من مقلّة بدمي
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة تشير ما في الحشا للوجد من ضم

(1) عثمان بن سند: مطالع السعود بطيب أخبارالوالي داود، ص268، ومختصره لمحمد أمين الحلواني ص47 وأبو الثناء الألويسي: غرائب الإغتراب ص15 والمسك الأذفر ص140-146 ونعمان الألويسي: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص27 وعلي علاء الدين الألويسي: الدر المنتثر ص140 وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع ص215 ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية ص164 وهدية العارفين ج1 ص773 [ومختصر] تذكرة الشعراء للشهراياني، بتحقيق الكرمللي، وكتابتنا: التاريخ والمؤرخون في العصر العثماني ص215-216 و .

Brockelmann, S.II., 782, 58

(2) ينظر عنه المسك الأذفر ص149-152 والدر المنتثر ص87 وهدية العارفين ج2 ص164 والدجيلي، مجلة لغة العرب (بغداد 1912) ص15 والعزاوي: تاريخ الأدب العربي ج2 ص48 وتاريخ علم الفلك في العراق ص268 والزركلي: الأعلام ج6 ص267 وبحثنا: محمد أمين السويدي دفين بريدة، في الجزء الاول من هذا الكتاب.

(3) طبع على الحجر ببغداد سنة 1280هـ، ثم أعيد طبعه في بومبي بالهند، على الحجر، سنة 1296هـ، وأعيد طبعه مراراً في القاهرة وفي بغداد بالتصوير.

(4) هدية العارفين ج2 ص138.

(5) المسك الأذفر ص138.

فأرعد الرعدُ من صوت الحداة دججاً وأومض البرق في الظلماء من إضم
ومن شعره يتشوق فيه إلى منزله في كرخ بغداد⁽¹⁾:

يا ليلة الكرخ عودي لي بذي سلم لا زال بدرُك مع ظلماك في سلم
أفدي سُويعَة بشر منك إذ رجعت كرائم المال من خيل ومن نَعَم
يا ليلة في أراضيك الشמוש سمّت إلى السما فمحت ما فيك من ظلم
جعلت ذكراك ذكرى كي أذكر ما بي مُذكّر تأنيث الجوى السقم
إن لم تعودي وإن العود أحمد في باقي البقا فبقائي فيه كالعدم
يا ليلة بحمي بغداد ذات حمى سقى أديمك هطّال من الديم
واشترك مع أخيه عبد الرحمن بنظم قصيدة واحدة، يحن فيه إلى أيام الصبا،
ويظهر تيرمه من دهره، بما فيه من ألم فراق وبعاد، وقد وضعنا شعره بين قوسين
كالآتي⁽²⁾:

وذات طرف ناعس	(يرمي بنبل من لهب)
كأنه سيفٌ إذا	(ما سلّ أراك العجب)
(من ذات ثغر باسم)	قد زانه ذاك الشنب
ويلي وكم أغرت بنا	(وكم رمتنا في نصب)
وكم لهجر أظهرت	(فكم لها فيه أرب)
يا ويح دهر كم له	(من حدثان ونوب)
(كنا بعيش راغد)	فهل لتفريق سبب
(آه لأيام مضت)	في الكرخ في تيك الصحب
(وكم قضينا مأرباً)	وكم نفينا من كُرب
تياً لدهر خاننا	(قد نالنا منه تعب)

(1) المصدر نفسه ص 138.

(2) ديوان عبد الرحمن السويدي، ص 182.

كَأَنَّهُ فِي غَفْلَةٍ (مُدُّ نَحْنُ كُنَّا فِي طَرْبِ)
 (يَا دَهْرُ يَكْفِينَا الَّذِي) (أَرَيْتَنَا مِنْهُ الْعَجَبِ)
 تَبَّتْ يَدَاكَ مِثْلَمَا (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبِ)

وله قصيدة نظمها بمناسبة تولية صديقه محمد خليل المرادي منصب الإفتاء في دمشق، منها⁽¹⁾:

دمشق الشام صار لها مَزِيدُ من الفرح الذي أبدأ يزيدُ
 وَسُرَّ الخلق إذ كل ترجأ مُنَاهُ وفوق الله يستفيد
 وذلك حيث في رمضان وافى ببشرى منصب الفتوى البريد
 لسيدنا الجليل خليل مجد مُرَادِي إن سئلت من المجيد
 فعمَّت جلقاً أفرأحُ وسابق عيدها غيدُ وعيد

أما داره التي طالما تغنى بها في الكرخ، وحن إليها في أثناء غيابه عنها، فقد ورثها عنه ابنه محمد أمين السويدي، ووصفت بأنها ذات طبقتين عليا وسفلى، فاتخذ ابنه المذكور من طبقتها العليا المطلة على الطريق، مجلساً يجلس فيه للتدريس «فغدت روضة من رياض العلوم، أغصان أشجارها مفتحة أنوار وأزهار الأدب فيها مبعث الأنوار»⁽²⁾. وحينما تضعع بنيانها جدد عمارتها فعرفت بمدرسة السويدي، ولبثت من مدارس الكرخ المشهورة حتى وفاة محمد أمين سنة 1246هـ/1830م.

هذا الكتاب

ذكرنا أن مصادر ترجمة السويدي نوّهت ببعض عنوانات مؤلفاته، ولم يكن بينها هذا الكتاب، فضلاً عن أنه لم يؤثر عنه أنه كان مؤرخاً، أو معنياً بالكتابة التاريخية بأي حال من الأحوال، إلى أن وقفنا على هذه المخطوطة في مكتبة جستر بتي في دبلن في أيرلندا، وهي تحمل العنوان المَطْوَلُ الآتي (ورود حديقة الوزراء بورود وزارة موالبيهم

(1) أثبت محمد خليل المرادي هذه القصيدة كاملة في كتابه (عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام)، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد، دمشق 1988، ص 187.

(2) السيد محمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، ص 493-495.

في الزوراء) وقد كتب في صدرها أنها من تأليف (الشيخ الفاضل المُفَنِّن⁽¹⁾ الشاعر الأديب أبي الكمال مهذب الدين سعيد بن عبد الله بن حسين بن ناصر الدين البغدادي الشافعي الشهير بابن السُوَيْدي - حفظه الله - وهو بخطه الشريف)، فعلمنا أنه لم يكن أقل من أخيه عناية بكتابة التاريخ، بل إن تميز عنه ببعض الجوانب.

وإذا كان أخوه عبد الرحمن قد كتب تاريخ العراق من خلال سيرة والييه القويين حسن باشا وأحمد باشا، فغطى بذلك حوادث السنين من 1116-1160هـ/1704-1747م، فإن ما أرادَه محمد سعيد هو تكملة الحوادث التي جرت على وطنه بعد وفاة أحمد باشا. وعنوان الكتاب نفسه يكشف عن الأطار الذي أرادَه له، ومع أن العنوان جاء مشابهاً لعنوان كتاب أخيه (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء) وفي الغالب فإنه تعمد ذلك، فإنه كشف به الإطار الذي أرادَه لكتابه، فالحديقة هي وطنه بغداد، والوزراء، هما والياها المذكورين، والذين وردوها من (مواليهم) هم مماليكهما الذين تولوا السلطة من بعدهما، وواضح أن العنوان جاء مُعبِراً عن مضمونه إلى حد كبير.

كتب المؤلف كتابه وهو بعيد عن وطنه، وهو أمر مكنه من أن يعبر عن رأيه في شخوص الحوادث التي كتب عنها بصدق نادر، لم يكن ليحصل لو أنه كتبه في كنف بعض ولايته أو أتباعهم، كما أنه كتبه لدوافع علمية بحثة، بتشجيع من مؤرخ دمشق الشهير محمد خليل المرادي، فلا مصلحة له مطلقاً فيما يكتبه عن أولئك الشخوص، ولا خوف عليه أو حرج إن ذكر من الحقائق ما أساء إليهم، ومن المؤكد أن المرادي لم يملك دافعاً لتشجيعه ضيفه إلا حب المعرفة التاريخية لا غير، مثلما فعل حينما شجّع صديقه عبد الرحمن الجبرتي في القاهرة أن يكتب تاريخ مصر، وقد جرت العادة أن يكتب مؤرخو العصر كتبهم أما نزولاً لرغبة ولاية ذلك العصر أو أمرائه أو أتباعهم، مثلما فعل أخوه عبد الرحمن حينما كتب تاريخ العراق بناء على طلب خديجة خانم بنت قره مصطفى باشا، وكتب عثمان بن سند (مطالع السُعود) بطلب من والي بغداد داود باشا، وكتب رسول حاوي الكركوكلي (دوجة الوزراء) بطلب منه أيضاً. أو - في الأقل - رغبة في إهدائه إلى ذاك الوالي أو هذا الأمير، تكسباً أو تقرُّباً، كما فعل ياسين العمري في معظم مؤلفاته التاريخية، أما أن تتاح الفرصة لمؤرخ أن يكتب ما يكتب لا عن رهبة أو رغبة، وإنما لاستجلاء الماضي، فهذا أمر نادر الحدوث فعلاً، ويزيد من القيمة العلمية للكتاب دون ريب.

(1) المفضل تقابل الفنان في لغتنا العصرية.

والكتاب بعد هذا يعتمد شهادة عيان مؤلفه، فهو لم يسجل غير الحوادث التي رآها بعينه⁽¹⁾، أو كان لصيقاً بمجرياتها، فلم يعتمد على روايات نقلها إليه آخرون، مهما كانوا، بل لم يتأثر بوجهات نظرهم لأنه لم يلتق بهم أصلاً في أثناء كتابته لتاريخه، اتباعاً لتوجيه محمد خليل المرادي، فقال «حيث لم يُمهني إلى مكاتبة من اعتمده في بغداد، ورَضِي من كَرَم طبعه الشريف بما يخطر في الفكر ويحضر في الفؤاد، فامتثلت أمره العالِي»⁽²⁾، والاستثناء الوحيدان في الكتاب كله رواية دقيقة وفريدة لحوار دار بين سيدتين عن سر لم يُعرَف، نقلتها له أخته رُفِيَّة، وهي سيدة عالمة مُحدِّثة، جديرة بالثقة، ورواية أخرى عما جرى في البصرة بعد مغادرته للعراق، نقلها إليه ابنه الوحيد مكاتبة، وقد صرَّح باسميهما بوصفهما مصدر تلك الروايتين، التزاماً بالأمانة العلمية.

ويختلف أسلوب محمد سعيد السويدي عن أسلوب أخيه، وأبيه من قبل، اختلافاً بيناً، ففي الوقت الذي كان هذان معنيان بتزويق عبارتهما باتخاذ السَّجْع، والمبالغة في الالتزام به، لم يشأ صاحبا أن يقيّد نفسه به، فكتب ما كتب دون سَجْع، فضلاً عن المحسنات البديعية التي اعتاد كتاب العصر على استعمالها، وهو لم يشغل نفسه باتخاذ الكلمات الحَوْشِيَّة، والمفردات الغريبة، إظهاراً لمُكنته في الأدب، كما فعل أبوه وأخوه وغيرهما من المؤرخين المعاصرين⁽³⁾، وإنما فضل أن يكتب بأسلوب سهل، يقرب أن يكون عامياً في بعض المواضع، لا تكلف فيه ولا صنعة. كما أنه لم يزين كلامه بأبيات من الشعر، له أو لغيره، كما هي عادة كتاب ذلك العصر، مع أنه نفسه كان

(1) من ذلك أنه حينما وصل محمد باشا التريائي إلى بغداد قادماً من الحلة وكان يقسم الميري، أي حصة الحكومة من الحاصل «كيفما كان» كان هو يرقب المشهد بنفسه قال «وأنا إذ ذاك فيها مع الواقفين على الأبراج، فوصل ضحى ونحن نراهم عياناً، ونزلوا غربي بغداد القديمة مقدار ساعة، مثل عمله في الحلة». الورقة 17. وحينما قدم (محضر) إلى بغداد بشأن سليمان باشا والي البصرة يعلن عن عزله، قال «ورأيتُه بعيني وسمع أذني يقول للناس جهراً»، ولما اجتمع هذا المحضر بأبيه عبد الله السويدي كان المؤلف ثالثهما. الورقة 13ب.

(2) المخطوط، الورقة 1ب.

(3) ظل استخدام السجع والمحسنات البديعية يمثل الأسلوب السائد في مجال كتابة التاريخ والسير، فضلاً عن استعمال الألفاظ الحوشية والتعبيرات المتكلفة، والأشعار التي تحتاج ألفاظها إلى شرح وبيان، ولم يجر التخفف من هذه المؤثرات الأدبية إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. التاريخ والمؤرخون العراقيون ص 66.

شاعراً جيداً، وله أشعار بمناسبة تاريخية شتى، ولكنه أراد لقلمه أن يسترسل في الحديث عن الحقبة التي يؤرخها دون قَطْعُه بأبيات أو قصائد مهما كان قائلها، متقيداً بتوجيه المرادي، قال «وأعفاني - حفظه الله- من ذكر ما قيل فيهم من مליح المديح»⁽¹⁾.

من الكتاب نسخة مخطوطة يتيمة بخط مؤلفها، كتبها سنة 1204هـ/1789م، تحتفظ بها اليوم مكتبة جِسترِتي في دبلن بإيرلندا، تحت العدد 3551، وتقع هذه النسخة في 44 ورقة، وهي بخط نسخ معتاد، في كل صفحة 23 سطراً، وفي كل سطر ما معدله 11-12 كلمة. وقد تبدو المخطوطة في أول وهلة في حال جيدة، إلا أن قراءة متمعنة فيها تظهر أن عيوباً كثيرة تَعْتَوِرُها، من ذلك أن المؤلف لم يعدها غير مسودة، فعاملها على هذا الأساس، حيث كُشِط، أو مسح، كلمات، أو أجزاء من سطور، بغية أن يكتب بديلاً أفضل في مواضعها، فكتب حيناً وأحجم، أو أجل ذلك، في أحيان أخرى، فظلت تلك المواضع بياضاً، أو حروفاً مطموسة فلا تُقرأ. ومع أنه كتب في الهوامش بعض الكلمات أو العبارات البديلة، إلا أنه استخدم حبراً باهتاً، أو رديئاً، ضاعت معه معالم تلك الكلمات والعبارات، حتى بات من الصعب قراءتها. ومن ناحية أخرى، فإنه كتب أحياناً كلمة صحيحة فوق أخرى أراد حذفها، لضيق المكان، فضاعت الكلمتان معاً، فلم تعد تقرأ، أو تقرأ ولكن بعُسر شديد. ثم أنه استعمل حبراً في كتابته زادت فيه نسبة الصمغ الذي يخلط عادة به لتثبيته، فما كان من الكلمات التي كتبت بهذا الحبر إلا أن التصقت بأمثالها في الصفحة المقابلة، فطمس بعض حروفها.

ومن المؤكد أن هذه النسخة لم تجد طريقها إلى بغداد، فقد أودعها - فيما يظهر- لدى صديقه ومُضَيِّفه بدمشق المؤرخ محمد خليل المرادي، والعبارة التي على ورقة العنوان وفيها الشاء الكثير عليه (الشيخ الفاضل المُفَنِّن الشاعر الأديب أبي الكمال مهذب الدين .. إلخ) هي بخط المرادي لا خطه، وفي آخرها ورقة مستقلة عليها تمليكات لإناس كلهم من الشاميين على ما يبدو⁽²⁾، آخرها مؤرخ في سنة 1250هـ/1834م⁽¹⁾.

(1) المخطوط، الورقة نفسها.

(2) في هذه الورقة ما يأتي:

-
- 1- بيتان من الشعر، نصهما:
في عام تسع بعد الألف والمائتين مع الثلاثين أجمعهم حجل (٩) يا زين
طلع خبر في دمشق يا زاكي الفرعين ظهر محمد حبيبي الهادي المهدين
نظر فيه وتأمل معانيه الحقير الفقير إلى الله تعالى السيد سليم بن المرحوم الحاج عبد الوهاب
بيك التزري (الترزي؟) غفر الله له وإلى والديه وإلى كل المسلمين أجمعين أمين 1250
- 2- بيتان عاميان غير واضحي المعنى.
- 3- تملك (جناب حضرة أخونا الأعز الأكرم حميد الشيخ سيد السيد أحمد جليبي الطاراني)
- 4- (جناب حضرة أخونا الأعز الأكرم المحترم سيدي السيد صالح السيد سليم جليبي)
- 5- جناب ..ليدي السيد سليم جليبي السايحة (1250)
- (1) حققنا هذا الكتاب وعلقنا عليه وصدر عن دار الزمان بدمشق سنة 2012.

قراءة في مخطوطة نزهة الادباء للسهروردي

نزهة الادباء في تراجم علماء ووزراء واشراف مدينة السلام الزوراء، عنوان لكتاب ضم تراجم نخبة من البغداديين الذي عاشوا في أخريات العصر العثماني، ألفه عالم بغدادي نابه، هو الشيخ محمد الأمين بن عبد الرحمن العباسي السهروردي، المتوفي سنة، وما زال الكتاب حبيس نسخة وحيدة بعضها بخط مؤلفه والبعض الاخر بخطوط اقارب له.

المؤلف

ترجم له الشيخ محمد صالح بن سليم السهروردي (1310-1376هـ/1893-1957م)، ترجمة ضافية أوردها في آخر النسخة الخطية من الكتاب، وهي:

هو الواثق بالله محمد الأمين أبو نافع، أحد أجلة علماء بغداد المشهورين في العلم والأدب والفضل، بن العلامة أبو الخير الناصر لدين الله عبد الرحمن بن العلامة اقضى قضاة بغداد، الشيخ العباسي الجليل محمد عبد المحسن السهروردي طريقة.

كان أتم أهل عصره ظرفاً، وأشفهم رفقاً ولطافة، له طبع كما راق نسيم السحر، وحسن منظر لا يقنع منه النظر. وقد رقت باللطف شمائله، وراقت لبصائر المجتلين خمائله، وكان شاعراً معجباً عارفاً لطيفاً منقياً، حسن المطارحة، ذا براعة ومهارة فائقة، كم له في ميدان مبارزة العلماء اليد الطولى، وفي المعميات القدر المعلى.

ولد -رحمة الله تعالى- في بغداد في محلة تحت التكية⁽¹⁾، إحدى محاليل⁽²⁾ جانب الرصافة، سنة الالف ومئتين واثنين وخمسين للهجرة⁽³⁾. وترى في حجر والديه تربية

(1) محلة قديمة عرفت في العصر العباسي بالمقتدية نسبة إلى مستحدثها الخليفة المقتدي بالله العباسي (467-487 هـ)، وربما شملت هذه المحلة جانباً من محلة قنبر علي أيضاً، ثم عرفت في العصور التالية بتحت التكية، نسبة إلى تكية قديمة كانت تقع في آخر محلة قنبر علي، فسميت المنطقة التي تلي هذه التكية بتحت التكية، أي ما دونها موقعاً، ومن معالم هذه المحلة مسجد حسب الله الذي كانت تحيط به بيوت أسرة المؤلف. عبد الحميد عبادة: العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، بتحقيقنا، بغداد 2005، ص 284 وكتابتنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد 2005، ص 37.

(2) المحاليل جمع محلة عند البغداديين.

(3) الموافق أولها 17 نيسان 1836م.

الأشراف والملوك، ثم قرأ القرآن الكريم وتأدب بأدبه على من اشتهر في بغداد من المُقرئين، ثم انتقل بطلب العلوم على العلامة الشيخ حبيب الكروي⁽¹⁾، ولازمه ملازمة الليل للنهار، حتى صار من المشار اليهم في العلوم العقلية والنقلية، كالفقه والحديث والتفسير والهيئة والمناظرة والحساب والهندسة والأدب والأصول والخط والإنشاء. ثم أجازته المومى إليه إجازة مطلقة كما هي العادة عند علماء بغداد. وقرأ أيضاً على الشيخ الداغستاني⁽²⁾، وعلى المُحدِّث الكبير داود النقشبندی⁽³⁾ وغيرهم. كان ذكياً سريع الانتقال، حاد الذهن، غزير المادة، عاقلاً ذا رصانة وتوعدة، قوى الحافظة. ثم أخذ علم التصوف على الشيخ داود المذكور، فأجازته هذا بكل ما أجزبه، وكان يُقدِّمه على جميع تلامذته، ويرفع له مكانه، وأخذ علم الخط على الشيخ حكيم الإسلام، ذي الفنون البديعة، والمقامات الرصيفة، المشهور بخلفة عبد الله⁽⁴⁾، فصار به عليه أشهر من نار على علم، بل أنه ابن مُقلِّد لحُسنه وبِداعه نظامه.

كان - رحمه الله تعالى - خطيباً محققاً ناثراً مبدعاً ناظماً مساجعاً حسن الصوت، وقد افتتن به كثير من الولاة حيث أنه يخيل للسامع أنه صوت داود عليه السلام، ذلق اللسان فصيحاً، ذريه، يسحر الناس بعباراته، ويفتتهم بإشاراته، لين العريكة، قوي الجنان، ثابت الإيمان، حافظ القرآن، سلامة القلب سجية له، وعظم الحلم من مقدمات صفاته.

كان - رحمه الله تعالى - أَعْيَرَ الناس على دينه، وأقواهم بالمدافعة عن كيانه. كريم النفس طيِّبها، طلق اليدين حتى ليبيذل جميع ما لديه، يقرئ الضيف ولا يخامرهم في مثل هذا أدنى حيف. كان كثير الاعتماد على الله تعالى، صبوراً في أعماله، وكان عظيم الأمانة، كربه الخيانة، سهلاً لمن لاينه، صعباً على من خاشنه. وكان - رحمه الله تعالى - موضع ثقة الولاة، محترم الجانب لدى الفضلاء، وكان بلبل المجالس، هزار الأندية والمدارس.

(1) عالم، محدث، توفي سنة 1295هـ / 1878م ترجم له المؤلف في هذا الكتاب.

(2) لم نقف على ترجمته، ولم يترجم له المؤلف ضمن أساتيدته في هذا الكتاب.

(3) من كبار علماء بغداد، ذو نزعة صوفية، وله مناظرات فكرية، توفي سنة 1299هـ / 1881م،

وله ترجمة مستقلة في كتابه هذا.

(4) عالم، مدرس، عارف بفنون الحكمة، توفي سنة 1280هـ / 1863م. ترجم له المؤلف في هذا

الكتاب.

وقد ألف كثيراً من الكتب العظيمة في شتى العلوم، غزيرة الفائدة، عظيمة العائدة، منها (إعراب القرآن الكريم) ومنها (المقصد لتلخيص ما في المرشد) و(القول الفرد في أسماء وفضائل أهل بدر) و(إعراب الأجرومية) و(حاشيته على شرح خالد الأزهرى). وله هذا المؤلف⁽¹⁾، وله ديوان خطب، وديوان شعر يدل على ما له من قريحة فياضة، وخیالاته سحرية،...⁽²⁾، وله الأقوال الحكمية، حلل فيه الأمثال وفوائدها. وله حواش على كثير من كتب الأصول والحديث، وله شرح أربعين حديثاً في الاختلاف، والتمسك بالفضائل⁽³⁾. هذا غير ما له من الرسائل والكتب التي خاطب بها بعض أمراء الهند وولاية الدولة العلية في بغداد وغيرها، فيما لو جمعت لخرجت كتاباً عظيماً جم الفائدة، وله تاريخ في آثار بغداد جاء فيه عن كل ماشاهده من الأربطة والمعاهد الدينية ورجالها، وما كانت عليه قبل ان تكون على ما هي عليه، وله تذيل على تاريخ حوادث بغداد لجدّه الأعلى القاضي الشيخ صلاح الدين، قاضي بلدة الدور وسر من رأى وحاكم إقطاعها⁽⁴⁾.

كان جده المذكور -رحمه الله تعالى- قد جمع فيه كل ما حدث أيام الولاية في العراق، وجرى عليهم، وخروج العشائر على الدولة، وظهور الثورات، وما جرى لهم من المظالم وغيرها في البلاد.

وكان - رحمه الله تعالى- عضواً في محكمة الإستئناف [في] بغداد، ثم صار حاكماً في سامراء، ثم نقل الى الكفل، وكان مدرساً واماماً وخطيباً في الحضرة السهروردية ببغداد، واماماً ومدرساً بجامع أبي النجيب السهروردي⁽⁵⁾ أيضاً، وكل ذلك بإرادات شاهانية سلطانية.

(1) يقصد كتاب (نزهة الأدباء) هذا.

(2) هنا كلمة غير واضحة.

(3) وله من المؤلفات، غير ما ذكر هنا، ما نوه به محمد صالح السهروردي في كتابه (لب الألباب، بغداد 1933 ص258): تفسير مُشكّل القرآن، ومجموعة في الأدب.

(4) في لب الألباب أن «هذا الكتاب استعاره بعض العلماء من الفاضل عبد المحسن أفندي أخي المترجم ليطلع على ما فيه وبقي عنده عدة شهور غير أنه بعدما راجعه المومى إليه وطلب إعادته إليه اعتذر.. وتوفي الكتاب بوفاته».

(5) هي المدرسة التي أسسها الشيخ أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله البكري السهروردي (المتوفى سنة 563هـ)، وتولى التدريس فيها في السنوات 545-547هـ وذلك قبل أن يتزهد، وينقطع مع جماعة من أصحابه إلى العبادة والتصوف في رباط له قريب. واستمر التدريس

وكان في جميع أدواره حكماً عدلاً لا يقول إلا فصلاً، ولا ينطق إلا صواباً، عَقدت فعالة على رأسه إكليل الإمارة، تجده مرة في تلك البلدة حاكماً، ومرة واعظاً زاجراً، يقلد المعتصم في حكمياته، والرشيد في عزمه وهيبته. كيف لا! وهو ابن بجدتها، وسيد عشائرها، غير أنه لما كان عربياً عريقاً في المجد والسؤدد، وله روح وثابة، يود إعادة الحكم الى بني العباس. وكان ناصر بعض شيوخ آل جربة من شمر سنجار، والجبور في أعالي الخابور، والبدرخانية⁽¹⁾ في ديار بكر، على بث هذه الفكرة في العراق، ولهم به صلة من أيام أبيه وجده عبد المحسن.

وكان قد وُشي به لدى الوالي تقي الدين باشا⁽²⁾ فعزله عن الأمر، وكفَّ يده من العمل في جهة سامراء، وعيَّنه في [ذي] الكفل سنة 1297 هجرية⁽³⁾، بدعوى أن الحكومة لم تجد أحزم منك، وأمضى سهماً، فكان منه الإجابة الى الطلب، وقد خاب مسعاه من كل وجه.

وكان -رحمه الله تعالى- السبب الوحيد في عمارة جامع الإمام أبي حنيفة، حيث أنه هو الذي رغب الوالي في عمارته. كما أنه هو الذي وضع خارطته بالشكل الحالي، وقد كانت عمارته تحت نظارته حتى تم على ما هو عليه اليوم⁽⁴⁾.

وقد كان ربع القامة، عريض الوجه مُدَوَّر، أحمر الوجنتين، كبير العينين أكحلها، أفتى الأنف، كث اللحية أبيضها، أسيل الخدين. يشبه بعمته هرون الرشيد، مُقَوَّس الحاجبين، يخلب القلوب منظره، وتأخذ بالألباب عبقريته ورشاقته، مُهاباً لا يلبث ان

في هذه المدرسة حتى العصر الحديث، واتخذ فيها مسجد، فصارت تعرف بمسجد أبي النجيب، أو نجيب الدين، وبعد توقف التدريس الديني فيها اتخذتها الأوقاف مدرسة متوسطة وثانوية تقوم هي بإدارتها، ثم ألغتها، واتخذتها دائرة لمديرية أوقاف بغداد، ثم أخلتها فشغلتها دوائر أخرى، وفي 2003م أعيد تعميمها كلياً ليشغلها بعض الأقسام العلمية التابعة لمؤسسة بيت الحكمة، بينما أضيفت بعض حجراتها إلى مبنى الإعدادية المركزية المجاور. كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي ص116-122 وخير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا، بغداد 2006 ص364، والعقد اللامع ص154.

(1) آل بدرخان أمراء بوتان، وهي جزيرة ابن عمر.

(2) الأصح في سنة 1298هـ لأن ولاية تقي الدين في بغداد، وهي الثانية، بدأت من 28 محرم 1298 إلى 4 رجب 1304هـ/3 كانون الأول 1880-25 آذار 1887م وقد ترجم لتقي الدين في هذا الكتاب.

(3) الموافق أولها 14 كانون الأول 1879م.

(4) هذه هي العمارة الشاملة التي أمر بها السلطان عبد العزيز، وتضمنت تجديد الجامع وتوسيعه، وقد شرع بها في سنة 1288هـ/1871م وتمت في سنة 1293هـ/1876م، في أيام جلوس السلطان عبد الحميد. محمد سعيد الراوي: خير الزاد، ص30-31.

يقف أمامه أحد، لا يغضب إلا لله، ولا يُحب إلا له وحده. راوية للحديث والشعر وأخبار العرب، سيما حوادث دول بني العباس -رحمهم الله تعالى وعفى عنهم- وكان لا يجلس فوقه أحد من أشرف بغداد، ويخشونه من كل وجه. وكان يجالس الندماء، وله مجلس أدب ومطارحة. وتخرّج به خلقٌ كثير، ويدخل على الولاة من دون إذن ولا حجاب.

أعقب ولدين من الذكور: المستكفي بالله محمد نافع، ونور الدين، غير أن الأول سلك مسلك الجندية، فصار قائداً في المدفعية، وسلك الثاني مسلك الكتابة في المحاكم، فصار رئيس كتاب محكمة البداة في بعقوبة وغيرها من البلاد، ومن الإناث السيدة حليلة والسيدة عطية والسيدة صفية والسيدة عائشة. ولما توفيت سنة 1312هـ⁽¹⁾ دفن في رواق مصلى جامع الشيخ شهاب الدين عمر، على الدكة، عند باب سلم المحفل⁽²⁾، وأقيمت له التعازي في بغداد، وراثه الشعراء، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

أهمية الكتاب

تتجلى أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه قدم لنا عدداً من تراجم أعلام عاش أغلبهم في بغداد في القرن التاسع عشر، ومنهم من عاش في القرن الثامن عشر أيضاً، والأكثر أهمية أن أولئك الأعلام لم يكونوا من العلماء فحسب، كما جرت عادة مؤلفي كتب التراجم في ذلك العصر، وإنما كانوا أيضاً من فنّات أخرى ندر أن ترجم لهم أحد، منهم اداريون وزعماء قبليون بل وموسيقيون وقراء مقام، وهذا التنوع الشديد في الأصول الاجتماعية لأولئك المترجمين، هو الذي كان سبباً في إطالة عنوان الكتاب على نحو ظاهر ليشمل «علماء ووزراء وأشرف ثم أدباء وأغنياء مدينة السلام الزوراء»⁽³⁾.

(1) يوافق أولها 4 تموز 1894م.

(2) أنشئ هذا الجامع عند مرقد الشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله البكري السهروردي (المتوفى سنة 632هـ، والمدفون في مقبرة باب أبرز عند باب الظفرية، وهو الباب الوسطاني اليوم)، ولا يُعلم تاريخ إنشائه على وجه التحديد، ولكن توجد كتابة أثرية على باب المرقد تشير إلى تجديده سنة 735هـ، ولا دليل على وجود الجامع في ذلك التاريخ. وقال السيد محمد سعيد الراوي واصفاً إياه «هو جامع قديم، رحب فناءه، واسع مصلاه، يقصده الناس في الجمع والأعياد للصلاة فيه، خصوصاً في أيام الربيع والخريف والشتاء، عند عدم الأحوال، وفيه مدرسة عند الباب في الطبقة العليا، مطلة على الصحراء، وفيه حجر لإقامة الفقراء، وعلى باب طاق، وفيه طارمة واقعة في الجهة الشمالية، وفيه سقاية يجيء إليها ماء دجلة من دجلة بكرد يستقي من دجلة..» خير الزاد ص 307-308.

(3) أجرينا اختصاراً جزئياً في هذا العنوان المطول، فحذفنا (ثم أدباء وأغنياء) فلفظ أدباء تكرر في مطلع العنوان (نزهة الأدباء) وأما (أغنياء) فلم يترجم المؤلف في كتابه أحداً على وفق غناه فحسب.

وفي أكثر هذه التراجم لا يقتصر المؤلف على تقديم المعلومات التقليدية المعتادة عن أصحابها، وإنما نراه يسعى لتقديم صورة متحركة مفعمة بالحيوية والمواقف من خلال نشاطاتها في مجتمعتها، لا سيما في ظل المتغيرات الجسيمة التي شهدتها بغداد، بل والعراق عامة، إثر انتهاء نظام المماليك وسقوط آخر ولاته داود باشا على يد الحملة العثمانية التي قادها علي رضا باشا اللاز، وما رافق هذا الحدث من عنف واضطراب، ترافقا مع كارثتي الغرق الدايم وفشو الطاعون الجارف في المدينة. وبعض أولئك الأعلام لم يترجم لهم أحد، ومن ثم يتخذ ما كتبه عنهم أهمية خاصة، وبعض آخر نجد لهم ترجمة في كتب العصر، لكن يبقى ما كتبه هو عنهم مفيد بسبب ما تضمنه من إشارات جديدة وملاحظات غير مسبقة.

وفي الكتاب فوائد جمة، تتجاوز ما يتضمنه من تراجم، فقد تطرق فيه مؤلفه إلى أمور شتى من الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في بغداد في خلال القرنين الأخيرين من عصر الدولة العثمانية في العراق، من ذلك أنه تضمن إشارات ذات شأن إلى معالم من خطط بغداد لم تكن تعرف من قبل، منها إشارته إلى بعض محلاتها وضواحيها، ومنها محلات: تكت التكية، والحيدرخانه، والمهدية، والصابونجية، والكولات، والفضل، والشيخ العاقولي، وبوب الشام، كما أشار إلى قلعتها الداخلية، وسراي ولاتها، وبعض ثكنات الجند فيها، وقلعة القرنينية، وما كان في أرضها من مبان عباسية. كما أنه نوه بسقاياتها، ومنها سقاية سري باشا في الميدان، وساقية حسين باشا السلاحدار، وتطرق إلى مساجدها، ومنها مساجد الحيدرخانه، وحسب الله، والشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ عمر السهروردي، ومعروف الكرخي، والوزير، وغيرها. ومن مدارسها: مدرسة الشيخ صندل، والسليمانية، والخاتون، ومن تكاياها: تكية البندنجي. ومن مؤسساتها ومعالمها القديمة الأخرى: أبواب وأسوار وسداد.

ومن الناحية الاجتماعية والسياسية، كشف الكتاب عن انتفاضات القبائل العربية ضد سلطات الولاة، لا سيما انتفاضات قبائل العبيد، والخزاعل، والمنتفق، والعقيل، وبيّن دوافعها، كما تناول أيضاً دور الإمارة البابانية في سياسة المماليك، بل دور الكرد عامة في التأثير على مجرى الأحداث في العراق عهد ذلك. والمؤلف، على الضد من أكثر مؤرخي المدن، شديد التعاطف مع هذه القبائل بيدي تفهما خاصاً لدوافع زعاماتها في تحدي السلطات، ولذلك نجده يترجم لنماذج من تلك الزعامات

على نحو يتسم بالاحترام. وفي المخطوطة اشارات أخرى إلى قبائل وأسر عديدة أخرى، منها المليّة، والجبور، والكروية، والقراغول، وحرب، والصلبية.

ومن جهة أخرى، قدم الكتاب تفاصيل مهمة عن التشكيلات العسكرية في العراق، النظامية منها كالينكجيرية، وغير النظامية كاللاوند، وأورد - عَرَضاً - أسماء عدد من المناصب العسكرية، مثل: الكتخدا، والأغوات، والتفنكجية، وغيرها. كما تحدث عن الأسلحة النارية التي استخدمتها القوات العسكرية وما أصابها من تطوير في ذلك العهد، من ذلك مثلاً قوله عن والي بغداد داود باشا «وهو الذي أمر أيضاً بجلب البنادق التي هي خلاف ما بأيدي العسكر، وكانت تعرف بالششيخان⁽¹⁾ وغيره من نوع أبي الفتيّل، و جلب من بلاد الافرنج المصانع والصناعات لعمل الأسلحة والتدريب».

وفي الجانب الاقتصادي، أورد المؤلف قائمة بأسعار السلع المختلفة في سوق بغداد، في أثناء الفوضى التي شهدتها بغداد في فترة فراغ السلطة إثر انهيار نظام المماليك، وأشار إلى بعض العملات المتداولة، منها: القرش، والقرش الرائج، والأوزان المستعملة في سوق بغداد، ومنها الوزنة، والأقة، والبشك، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة.

وتحدث عن الحياة السياسية في بغداد في عهد المماليك شبه المستقل، وفي خلال مرحلة انتقال السلطة إلى الحكم العثماني المباشر، ومواقف الزعامات المحلية، من العلماء، والأشراف، والتجار، من ذلك الانتقال، وما رافقه من عنف واضطهاد. وقد أبدى تعاطفاً واضحاً مع تلك الزعامات، يصل إلى حد الانتماء الكامل لمواقفها في صراعها ضد السلطة العثمانية المباشرة، وهو إن أبدى نوعاً من العطف على حكم داود باشا، آخر المماليك، فذلك لأنه كان يمثل نزوعاً مشروعاً نحو تحقيق شيء من الاستقلال عن تلك السلطة التي بدت أكثر عنفاً وظلماً منذ أول يوم استعادت فيه حكم بغداد سنة 1247هـ/1831م.

(1) الشيخخانة نوع من البنادق في سطح سبطانيتها الداخلي ستة خطوط طولاً تساعد على دفع القذيفة باتجاه الهدف، وهي تختلف عن البنادق القديمة بأنها مزودة بالزناد اللازم لالهاب البارود، على خلاف تلك البنادق ذات الفتيل عن أنها مزودة بالحربة (السونكي) غالباً، وقد استمر استعمال هذا النوع من البنادق حتى سنة 1840م، إذ بدأ استبدالها بالبندق ذات الكبسول. عبد الرحمن علي: تذكارات الشجعان في إصابة النشان، القاهرة 1288هـ، ص 92.

تناول الكتاب حقبة زمنية ترامت على قرنين، وقسم من هذه الحقبة، وهي التي شغلت القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد) كانت قريبة من عهد المؤلف، عاش أحداثها وعاصر شخوصها بنفسه، وقسم آخر أبعد زمناً، شغل معظم القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر)، وبينما اعتمد في المدة التي عاصرها على ملاحظاته المباشرة، والروايات التي سمعها بنفسه، فإنه عمد في المدة التي سبقت على الإفادة مما كتبه أبوه وجده من وثائق وكتب، بوصفها شهادات عيان لما حدث في ذلك العصر. ويأتي كتاب جده محمد عبد المحسن العباسي السهروردي، في تاريخ بغداد في مقدمة مصادره التي اعتمد عليها، وهو المعنون (تاريخ حوادث بغداد الجديدة) الذي ذيل فيه على ما دونته والده، ومن قبله جده الشيخ صلاح الدين، قاضي بلدة الدور وسر من رأى، وقد سماه (تذيل على تاريخ حوادث بغداد)، وتناول فيه «أيام الولاة في العراق، وما جرى عليهم. وخروج العشائر على الدولة، وظهور الثورات، وما جرى لهم من المظالم وغيرها في البلاد». وكتابه (الوقائع العراقية) وهو في الموضوع نفسه⁽¹⁾، وقد صرح هو بأنه «عولتُ على كثير من المواضيع التي جاءت في هذا الكتاب، عليه وعلى الكتب التي تبودلت بين جدي وبينه (يريد داود باشا) رحمهما الله تعالى». وميز بوضوح ما نقله عنه إذ نجده يقول «إنتهى من تاريخ جدنا العلامة الشيخ عبد المحسن». كما اعتمد على مؤلفات أبيه عبد الرحمن حلمي إذ نجده ينقل خبراً عن زيارة العالم المدني جمل الليل بغداد فيقول «هذا ما كتبه عنه والدي عليهما الرحمة والرضوان» وحينما تحدث عن الطاعون الذي داهم بغداد سنة 1247هـ/1831م قال «ذكر جدي العلامة في تاريخه (حوادث ووقائع بغداد) أنه بلغ يوماً عدد الأموات بالطاعون ما فوق العشرة ألف ميت، وكان يصل على كل ألف جنازة مرة واحدة»..

وموطن اهمية هذا المصدر أنه تضمن نصوص ما كان يرسله مؤلفه الى داود باشا من رسائل يصف فيها احوال بغداد بعد عزله عنها، وكان داود يعيش آنذاك معزولاً في استانبول، وبالطبع فإن تلك الرسائل كانت أشبه باليوميات التي تتحدث عما يجري في المدينة أولاً بأول، وقد سبق أن اعتمد عليها أبو المؤلف، وكان مؤرخاً أيضاً، وهو عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي في كتاب له لم يسمه، وسميناه

نحن (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة)⁽¹⁾، وهذا ما يفسر بعض أوجه التشابه بين ما كتبه مؤلف (نزهة الأدباء) وما كتبه والده المذكور، حينما يتحدث كل منهما عن الوقائع التي رافقت عزل داود ونفيه.

خطة الكتاب

رتب المؤلف تراجمه، وتبلغ نحواً من أربعين ترجمة، على وفق حروف الهجاء، لكنه اضطر إلى الخروج على هذا المنهج بسبب عدم وقوفه على تراجم تغطي جميع هذه الحروف، فوقع في شيء من الارتباك، وأخذ يرتب مترجميه تارة بحسب أسمائهم الأولى، وتارة بحسب ألقابهم، وأخرى بحسب كنانهم. وتختلف هذه التراجم من حيث وفرة التفاصيل أو قلتها، بحسب الدور الذي أدته في حوادث عصرها من جهة، وما يمتلكه عنها من معلومات من جهة أخرى. ومن الملاحظ أن السلطة لم تكن معياراً له في طول ترجمة صاحبها، صحيح أنه ترجم لعدد من الولاة، أبرزهم داود باشا، آخر المماليك، إلا أن سليمان بك الشاوي، وهو نائر تمرد على السلطة نال حظاً من الترجمة يزيد على أولئك الولاة طولاً ووفرة. ولم يُعن المؤلف كثيراً بتعيين تواريخ الحوادث في حياة من يترجم له، فهو يغفل أحياناً عن ذكر تواريخ وفيات مترجميه، فضلاً عن ولاداتهم، أو أن يتركها بياضاً بانتظار أن يثبتها فيما بعد لكنه لم يفعل، ومخطوطة الكتاب لا تعدو أن تكون مسودة له، وواضح أنه لم يخرجها إلى البياض.

وفيما يأتي قائمة بأسماء المترجمين

رقم الترجمة	اسم المترجم
	حرف الألف
1	الشيخ أحمد الحافظ
2	أحمد زكي باشا العمري
3	أسعد الحيدري
4	إسماعيل باشا

(1) طبع ببغداد سنة 1996، 144ص.

أمين الموصلى	5
حرف التاء	
تقى الدين باشا	6
تيمور الملى	7
حرف الثاء	
ثوينى السعدون	8
حرف الجيم	
جمل الليل	9
جميل	10
حرف الحاء	
حافظ باشا	11
حامد الأوسى	12
حبيب الكروى	13
حسن الزوزوجى زاده	14
حسن المهداوى	15
حرف الخاء	
خالد باشا اللاوندى	16
خزاعة العراق	17
خلفة عبد الله	18
خلفة عبد الله بن محمد	19
خليل المقدسى	20
حرف الدال	
داود النقشبندى	21

داود باشا	22
حرف الراء	
راشد السعدون	23
رباز المغنى	24
حرف السين	
سليمان الشاوى	25
حرف الصاد	
صبغة الله الزيارتى	26
صبغة الله الحيدرى	27
حرف العين	
عبد الباقي الألوسى	28
عبد الرحمن الألوسى	29
عبد الرحمن بن عبد المحسن العباسى	30
عبد السلام الشواف	31
عبد العزيز الشاوى	32
عبد الغفار الأخرس	33
عبد الغنى بن عبد المحسن العباسى	34
عبد القادر بن عبد المحسن العباسى	35
عبد الفتاح الشواف	36
عبد اللطيف الزهير	37
عبد الله بهاء الدين الألوسى	38
عبد الله السويدي	39
عثمان بن سند	40

عيسى البندنيجي	41
حرف القاف	
قاسم البياتي	42
قاسم الفواص	43
حرف اللام	
لطف الله كاتب الديوان	44
حرف الميم	
محمد أمين العمري	45
محمد سعيد الأخفش	46
محمد بن صالح العسائي	47
محمد صالح بن عبد المحسن العباسي	48
محمد بن عبد المحسن العباسي	49
محمود الألوسي	50
محمود النقيب	51
حرف النون	
نامق باشا	52
حرف الياء	
يحيى المزوري	53

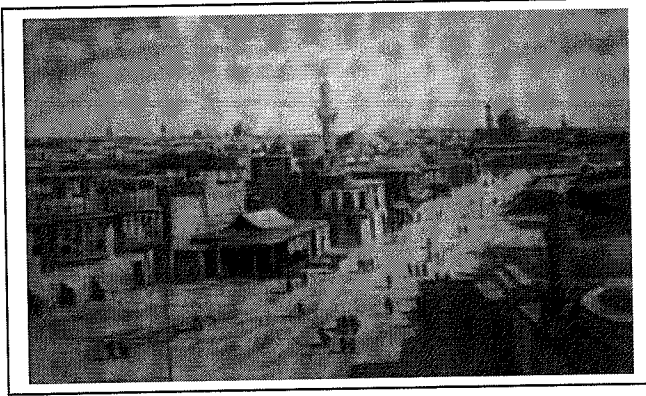
أسلوبه

أسلوب المؤلف خال غالباً من المحسنات والتكلف، إلا في المواضع التي يعتمد فيها الشئ على مترجم ما، فيأتي حينذاك بعبارات مسجوعة في وصف محاسن ذلك المترجم وإطراء مناقبه، أما في سرده للحوادث فهو سريع في العرض سرعة تدافع الأحداث نفسها، فلا تستطيع أن تضع فاصلة بين عباراته، أو أن تتوقف هنيهة بين كل جملة وأخرى، وإنما هي تتصل ببعضها لتعبر عما حدث وتصفه بسرعة ظاهرة.

وأسلوبه، في هذا، أقرب إلى أسلوب الصحفيين الذين ينقلون الخبر إلى قرائهم بصورة مباشرة غير عابئين بتزويق أسلوبهم أو تزيينه بشعر أو نحوه، باستثناء ألفاظ التفخيم التي يجزلها أحياناً على بعض مترجميه من العلماء، لا سيما من رجال أسرته. بل أننا نجده يتعمد التقليل من شأن بعض العلماء، بإظهار فقرهم الشديد، أو حاجتهم إلى عون أرباب السلطان، بالتقرب إلى هذا الوالي أو ذاك. وفي أحيان قليلة نجده يسمح لنفسه أن يطلق القلم في ثلب عالم لمجرد ضغينة يحملها في صدره ضده، أو ضد أسرته، هذا في حين نجده شديد الإعتداد برجال أسرته، يذكر ثراءهم وعلمهم ومكانتهم الإجتماعية الرفيعة كلما ترجم لأحد منهم.

مخطوطة الكتاب

تقع مخطوطة الكتاب في 160 ورقة، كل منها في 19x26 سم، كتبت بخطوط مختلفة، فالأوراق 1- 31 بخط ناسخ ليس هو المؤلف، والأوراق 31-93 بخط آخر، والأوراق 93-160 بخط ناسخ ثالث، ولا تفسير لهذا الأمر إلا أن يكون تلقاً أصاب القسم الأول من المخطوطة، والقسم الأخير منها، فأكمل اولهما واحد، وأكمل آخرهما آخر، نعتقد أنه الشيخ محمد صالح السهروردي، لمعرفة بخطه من آثار أخرى له اطلعنا عليها.



الشارع المؤدي الى الميدان ببغداد، في آخر الصورة حيث منتهي الشارع يظهر جامع الاحمدية (المشيد سنة 1211هـ) وعن اليمين، في مقدمة الصورة، جامع الازيك، بمئذنته الصغيرة، وتوجد وراء قلعة بغداد، وعن يسار الصورة جامع المرادية المقابل للقلعة

وواضح أن الأسطر الأولى من خطبة الكتاب ليست للمؤلف، فهي تبدأ بإطناب الثناء عليه من كاتب آخر، ولا نعرف هذا الكاتب، وعلى أية حال فهو ليس محمد صالح. وقد كتب في الورقة الأولى منه العبارة الآتية (لمؤلفه وجامعه اللوذعي الأديب، ذي الحسب الرفيع، والنسب المنيع، العلامة الكبير، واللغوي الشهير، صاحب التاريخ، ومؤلف إعراب القرآن الخطي، الواثق بالله، أبي نافع، محمد الأمين بن العلامة الشيخ عبدالرحمن العباسي ثم السهروردي المتوفى 1312 هـ) وفي الورقة الأخيرة عبارة ختامية تقول «وقد كمل والحمد لله إنشاء هذه التراجم في أوائل ذي الحجة سنة 1290 في المدرسة السهروردية، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين». وهي بخط يختلف عن خط عبارة العنوان المذكورة.

وتوجد في آخر المخطوط ترجمة للمؤلف في ست أوراق، بخط الشيخ محمد صالح السهروردي، والراجح أنها من إنشائه، يليها أرجوزة في 59 بيتاً، نظمها محمود بن الشيخ عبد الكريم المجموعي الخطيب في جامع الزبير بين العوام في بلدة الزبير، في نسب أسرة المؤلف، وقد فرغ منها في 15 من شهر رجب سنة 1361هـ/28 تموز 1942م.

وختاماً، فمن المؤكد أن الكتاب يمثل إضافة جديدة لمعلوماتنا عن تاريخ بغداد والعراق في القرنين الأخيرين من العصر العثماني⁽¹⁾.

(1) صدر هذا الكتاب عن دار الزمان- دمشق سنة 2016.

نزهة المشتاق في علماء العراق نص جديد في تاريخ العراق في القرن الثاني عشر للهجرة

نزهة المشتاق في علماء العراق كتاب ما زال مخطوطاً ألفه عالم عراقي جليل هو محمد بن عبد الغفور الرّحبي البغدادي من أهل المئة الثانية عشرة للهجرة (الثامنة عشرة للميلاد)، ترجم فيه لعدد من علماء العراق وأدبائه المعاصرين له، وأكثرهم ممن لم يُترجم لهم أحد.

المؤلف:

ومؤلف الكتاب هو كما سمّي نفسه في خطبته (أبو البركات محمد بن عبد الغفور الرّحبي)، فهو من آل الرّحبي الأسرة البغدادية القديمة⁽¹⁾ التي طالما خرّجت العديد من العلماء والأدباء، ومنهم من تولى مناصب القضاء والإفتاء، في بغداد وفي الحلة وفي البصرة، إبّان العصر العثماني، وكان أسلافها قد نزحوا من بلدة (الرّحبة)⁽²⁾ في بلاد الجزيرة، ووفدوا إلى بغداد في زمن غير محدد، حيث سكنوا في محلة باب الشيخ، قرب جامع السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وفي محلة السنك، إحدى محال الجانب الشرقي من بغداد، وكانت لهم في محلة باب الشيخ قصور ودور، ألقت محلة قائمة بذاتها نسبت إليهم فُعرفت بمحلة آل الرّحبي⁽³⁾، وفيها انعقدت مجالسهم الثقافية التي كان يؤمها أهل العلم والأدب لأجيال عدة، ومنهم من اختار السكنى في مدينة الموصل⁽⁴⁾، وفي قرية بُهرز

(1) ذكر المؤلف فيما يأتي من شعره أن أسرته تنتسب إلى الدوحة النبوية، وقد سجل عبد الحميد هذا نسبه على النحو الآتي: عبد الحميد بن عبد الله بن محمود بن عثمان بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد النافع الموسوي الحنفي المعروف بالرحبي، فهو من ذرية الإمام موسى الكاظم إذناً. كتابه (الزلزلة العظمى) في المكتبة القادرية. كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية، بغداد 1977، ج 2 ص 488.

(2) تقع الرحبة على بعد 5 كم جنوب مدينة الميادين التابعة لمحافظة دبر الزور.

(3) جاء في وقفية الحاج اسماعيل بن محمود أفندي الرّحبي المؤرخة في 20 جمادى الآخرة من سنة 1225هـ/1810م، أنه وقف دارين «في محلة آل رحبي زاده، وباغجة (حديقة) ملحقة بالدارين المذكورين». كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ط: 2 بغداد 2016، ص 61.

(4) كتابنا: الآثار الخطية ج 1 ص 88 اسم ل أحد المالكين هو محمد بن الحاج عبدالرحمن الرّحبي اصلا الشافعي مذهبا الموصلية مسكنا والخاتوني مولدا سنة 1100هـ/1688م.

من أعمال مدينة بعقوبا⁽¹⁾. ومنهم من تولى الإفتاء في الحلة، مثل محمد الرحبي، وإفتاء الشافعية في البصرة، مثل الشيخ علي بن الشيخ محمد الرحبي⁽²⁾، وعثمان الرحبي⁽³⁾، ومن علمائهم المؤرخ محمود بن عثمان بن محمد الرحبي (توفي بعد 1162هـ/1748م) مؤلف كتاب (بهجة الإخوان في ذكر الوزير سليمان)⁽⁴⁾، والعلامة الشيخ عبد العزيز بن محمد الرحبي البغدادي (توفي سنة 1184هـ/1770م) مؤلف كتاب (فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على كتاب الخراج) وهو شرح كتاب الخراج لأبي يوسف⁽⁵⁾، ومنهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن الرحبي (توفي سنة 1197هـ/1782م)، الذي عدّه العلامة عبد الله السويدي من شيوخه⁽⁶⁾ وكان مؤرخاً كتب في موضوعين مهمين هما (تاريخ قضاة بغداد) و(تاريخ نساء بغداد)⁽⁷⁾. ومنهم أيضاً عبد الرحمن الرحبي، و خليل بن محمد الرحبي، وعبد الغفور الرحبي، والد المؤلف، والملا ياسين بن عبد القادر الرحبي، وعبد الكريم بن محمود الرحبي، وعبد الكريم بن الشيخ محمد الرحبي، والحاج إسماعيل بن محمود الرحبي، وعمر أفندي بن محمود

- (1) إبراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، ص 136.
- (2) محمد سعيد السويدي: ورود حديقة الوزراء، بتحقيقنا، دمشق 2012، وعثمان عصام الدين العمري: الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، بغداد 1975، ج 3 ص 79.
- (3) الروض النضر ج 3 ص 88.
- (4) يتضمن ترجمة الوزير أحمد باشا بن حسن باشا (1136-1147هـ/1723-1734م) وألفه باسم الوزير سليمان باشا أول ولاية المماليك (1162-1175هـ/1749-1761م). منه نسخة بخطه في مكتبة المتحف البريطاني، وقد حققناه وصدر عن دار الزمان بدمشق 1915.
- (5) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ج 1 ص 585. وقد نشر ببغداد بتحقيق الدكتور أحمد الكبيسي.
- (6) النفحة المسكية في الرحلة المكية، بتحقيقنا، ط 2، بيروت 1911، ص 99. وقد كتب اسمه في حاشية تمليك له على إحدى مخطوطات المكتبة القادرية ببغداد على النحو الآتي: محمد بن الحاج عبد الرحمن الرحبي أصلاً الشافعي مذهباً الموصلية مسكناً والخاتوني مولداً سنة 1100هـ/1688م ولم تتأكد لنا هوية الخاتونية التي ولد فيها. الآثار الخطية ج 1، بغداد 1973، ص 88.
- (7) آل هذان الكتابان مع كتب أخرى إلى عبد القادر الرحبي الذي كان مقيماً في بهرز، قرب بعقوبا، وبذلنا مساع حثيثة في أوائل السبعينات من القرن الماضي لمقابلته والاطلاع على الكتابين، إلا أن جهودنا فشلت، بسب تركه بهرز والانتقال إلى بغداد سراً لظرف ألم به، ثم علمنا أن كتبه تفرقت في غيبته ولم يعلم مصيرها. كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط 2، لندن 2009، ص 176-177.

الرحبي، وعبد السلام الرحبي⁽¹⁾، وعبد الفتاح الرحبي، وإبراهيم الرحبي، وبكر بن الشيخ محمد الرحبي، وكان عالماً له (الحواشي السنوية في شرح ألفاظ الآجرومية) و(تحفة المبتدي وتذكرة المنتهي)⁽²⁾، ويوسف الرحبي وولده جواد بن ملا يوسف بن شيخلي بكر⁽³⁾، وقاضي البصرة عبد الحميد بن عبد الله بن محمود الرحبي (توفي سنة 1247هـ/1831م)⁽⁴⁾، وله رسائل مهمة في أصول الفقه⁽⁵⁾، وعبد الحافظ الرحبي القاضي في الأحساء سنة 1282هـ/1864م⁽⁶⁾ وغيرهم ممن عاش في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (18، 19م) وغيرهم. «وكلهم علماء أعلام»⁽⁷⁾. وترجم الأديب عثمان عصام الدين العمري (المتوفى سنة 1186هـ/1772م) لطائفة من أدباء هذه الأسرة تحت عنوان «بيت الفضلاء الرحبية»⁽⁸⁾، وقال السيد إبراهيم فصيح الحيدري (المتوفى سنة 1300هـ/1882م) «هو بيت علم، وقد نشأ فيهم رجال أجلاء»⁽⁹⁾.

لم يُترجم مؤلف الكتاب لنفسه في كتابه، ربما تواضعاً منه، ولكنه ترجم لأبيه عبدالغفور ترجمة ضافية، فقال «هذا المولى ربيب أدب وكمال، وفخر ومجد وأفضال، في ميدان العلوم سابق طلق عنانه، كأنما حُشر الصواب بين بيانه وبنانه، مجمع البحرين، العلم والأدب، وملتقى الفخرين الحسب والنسب، فاق بكل فن، أبناء العصر والزمن، فكَم كَشَف مُشْكَلاً وَحَلَّ مُعْضِلاً، بلسان طلق فصيح، وميدان فضل فسيح، جوهرة خلته لا يشوبها عَرَض، حميد النجدة في كل عرض، يجري على لسانه ما ينطق الدهر باستحسانه، حَسَنَ المحاضرة، وأرف المناظرة، سامي القدر، عالي الذكر،

(1) استخرجنا هذه الأسماء من سجلات الوقفيات المحفوظة في وزارة الأوقاف (ديوان الوقف السني الآن)، وينظر الملحق الذي أضفناه إلى كتاب عبد الرحمن حلمي السهروردي، بتحقيقنا، بغداد 1996، ص 127-128.

(2) كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج 3، بغداد 1979، ص 309 و 312.

(3) ورد اسمهما مالكين لكتب في المكتبة القادرية، الآثار الخطية ج 3 ص 312.

(4) كتابنا: الآثار الخطية ج 2، بغداد 1976، ص 488.

(5) من مؤلفاته (لباب المنار) و(زجاجة الأنوار في كشف لباب المنار) وكلاهما في المكتبة القادرية، الآثار الخطية ج 5 ص 124، 125.

(6) الآثار الخطية ج 1 ص 188.

(7) الدرربي: البغداديون ص 136.

(8) الروض النضر ج 3 ص 79.

(9) إبراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد بلا تاريخ، ص 92.

متوقد كالقمر ليلة البدر، إلى عزمة تلين قسوة الدهر الأبى، ويُتلى حديثها كما يُتلى الحديث النبوي، وهمّة تتأطح الأفلاك، وتشامخ السّماك، وهو كالبدر في التمام، وليديّه في الجود آثار الغمام، بثبات يستخف بالجبال الرواسي، وأنس يلين القلب القاسي، وإعلان بالصدق وإظهار للحق، يقول الحق ولو على نفسه، ويدحض الباطل ولو أرسله إلى رمسه، بقلب أسد، ورأي مُسدّد، وذكاء إياس، وفصاحة قس وحفظ ابن عباس، وأنا لا أرض لهذا المولى إلا التوحّد، ولا أقبل له إلا التقرّد، فإذا قلت: فاضل، فقد ساواه في الفضل سواه، أو قلت: ماجد، فقد شاركه في المجد ما عداه، وأما وصفه فلا يحيط به طرسي، ويقصر دونه نفسي، وفي ما ذكرتُ ففي الحقيقة واصلتُ نفسي، لأنه سبب حياتي الفانية، وتتبعها حياتي الباقية، لا أعد من الفضل ما كثر لديّ وما قل إلاّ منه ابتداؤه، وإليه انتهاؤه، وكنت له أطوع من قلّمه لكلمه، ومن بنانه لبيانه، وما ملتُ عن نفحه ولا تتحيّت، من حين دبيت إلى أن التحيّت، لأسعد في آخرتي ودنياي، ومماتي ومحياتي. وكان -رحمه الله تعالى- حريصاً على فائدة يلقياها إليّ، أو عائدة يجري نفعها عليّ، حتى علمني القريض وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء، وفي آخر عمره، ومنتهى أمره، عبثت به أيدي الأواء والمصائب، وأخنى عليه الدهر ونابه بأعظم النوائب، واجتاحه بقتل ولده، وقطع حشاشة كبده، وجور بعض الملوك والخوادم، يمنعهم القصاص، ولم يزل يئنّ أنين الثكلى، ويرفع الشكوى إلى المولى، وكان من جملة وصاياه أن يقتل، بساعة قبل أن وافاه الأجل، وعن هذه الدنيا الدنية ارتحل، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه دار القرار⁽¹⁾. وقد ساق له أبيات من قصيدة جميلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. وقال أن «له في القريض باع طويل»⁽²⁾.

فهذه الترجمة، على ما حشد فيها من ضروب البلاغة، تشهد على البيئة الأدبية التي نما فيها مؤلف الكتاب وربى، والرعاية الفائقة التي حظي بها من أبيه الأديب المثقف، مع وجود أخوة له لم يذكر أسماءهم، ولم يصفهم، عدا إشارته إلى أخ له قتل لأسباب غامضة سكت عن ذكرها، ويظهر أن قتله كان على يد بعض الولاة أو خواصهم، ربما لأمر سياسي، أو لشأن يتصل بمنافسة على بعض الأمور، ومن ثم لم يلق القاتل ما يستحقه من عقاب يشفي غليل أبيه المكوم.

(1) المخطوط، الورقة 209.

(2) المخطوط، الورقة 209، وقد ترجم عثمان عصام الدين العمري لعبد الغفور هذا في الروض النضر ج3 ص86 ترجمة أدبية وأطنب في الثناء عليه.

وللمؤلف قصيدة أوردها في كتابه تكشف عن جانب من شخصيته، منها قوله⁽¹⁾:

أطوي الفيأ في لأطوي شقّة السّفَر

وأنحر البيد بالأنضاء والسهر

وامتطي العزم مُهراً سابقاً طلقاً

يحط ما فره في موقع البصر

أغرّ أدهمّ مفتول الأكارع لا

يثنيه عن قصده شيء سوى القدر

مُضمّرٌ سابح حجل سوابقه

يسابق الريح سباق لدى الظفر

أعلوه في جحفل طلق الجنان من

الشّهْب الدراري ملء السهل والذمر؟

وإني من عمود الصبح معترض

سُمّر الرماح وترسي دارة القمر

ومنها مفتخراً:

وإني أنا من فرع الهداة إلى

سبل المكارم تجب نخبة البشر

وفيهم المجد المفصل والمجد المؤثّل والع

لم الموطّد بالقرآن والزُّبر

ومقتدى الخلق في طولٍ وفي شرفٍ

أكفّهم قد حكاها صيّب المطر

لا يدرك الواصف المُطري مدائحهم

(1) المخطوط، الورقة 39-40 .

لذاك قد قلتُ فيهم قول مختصر

وان لي همّة في جنبها صَغُرَتْ

شُمُّ الرواسي تَسْري وهي لم تَسْرِ

لا غَرَوِ إني أنا الرحيبي من أُسْدٍ

أضحوا نجوم الهدى للبدو والحضر

والقصيدة تشهد بأنه كان، فضلاً عن أدبه، فارساً محارباً، وشجاعاً مقاتلاً، له في الحرب صَوْلَات وجَوْلَات، له فرسٌ يعلوها، وجحفل يصحبه، وخنجر وسيف يتمنطق به، ورمح يحمله، يطوي الفيا في ليلاً، ويركب الصعب في نيل العُلا، طلباً لعز ضائع، يستودع أفلاداً له، ولا يقيم في دار الهوان، وتأبى همته صحبة الجاهل، معتزلاً بأصله السامي ونبل محتده. ولا ندري عن أي هدف كان يسعى إلا أن يكون طلباً لثأر أخيه، أو دفعاً لضرر أصاب أسرته لسبب يتعلق بجور بعض الولاة، مما نوه به في ترجمة أبيه.

وفي قصيدة له «في ذم الزمان وأبنائه، وغدره لأرباب الفضائل وجفائه» نظمها في عنفوان شبابه، أنه كان له عهد ذاك ولد اسمه خليل، له من العمر ست سنين، يحفظ لامية العجم «ليتعلم منها مكارم الأخلاق والشيم»، ولكن سرعان ما دهمته خطوب قصر عندها العقل، وحدثته نفسه بمفارقة وطنه ورهطه، وامتناء البيد، وأن أعداءه وان كانت لهم رياسة إلا أنه كان «لهم دون الورى جهل»، وأنه فضل أن «يطلب العلياء» على الإقامة بين ظهرانيتهم، وقد ختم قصيدته بالفخر بعشيرته وحسبه⁽¹⁾. فالقصيدة إذن تتصل في غايتها مع سابقتها وإن تزيدنا معلومة عن ولده خليل.

ويروي المؤلف في مقدمة كتابه قصته مع الأدب، وكيف شغف به، وتتبعه في الدفاتر، وفي صدور الأدباء، فنذكر أن أولع به منذ صغره، إذ قال «إني منذ عرفت نفسي، وميَّرت يومي من أمسي، مَوْلِعٌ باقتناص الأبقار من الأدكار، بالأصال والأبكار، باذلاً وسَعَّ الجد، راكباً مطايا الجد، أنفق نقد عمري في سلم فوائده، وأجري حلية

(1) المخطوط، الورقة 87.

الجد في اقتناص شوارده، أنشد ضالته في الكتب والمجامع، وأملاً بفرائده أصداف المسامع..»⁽¹⁾.

وقد امتدح الأديب عثمان عصام الدين العمري مواهبه الأدبية بقوله «إمام محراب العلوم، ومالك أزمة الحجا والفهوم، أرفع أهل النصوص، وأبرع أهل العموم والخصوص.. وهو الآن مشكاة العلم والكمال، ومصباح المعارف والأفضال، وقمر الدجى في ظلام الليال»⁽²⁾.

والمؤلف بعد هذا شاعر، تتناثر في الكتاب أبيات وقطع شعرية من نظمه، من ذلك قوله⁽³⁾:

العلم أحسن مصحوب ومدّخر
وخير مال مدى الأيام يكتسبُ
فصاحب العلم مأمونٌ ومحتشمٌ
والمال كم زال في ذل ولا عجبُ
وقوله⁽⁴⁾:

وحبيب أطال هجريَ عمدا
وسقاني صبيرا كؤوس المدام
وجفاني وصدّاً بالصدّ عني
ورماني بالبُعد دون الأنام
ليته أبدلَ الصُدودَ بوصلٍ
وسقاني من ثغره البسّام
وقوله⁽⁵⁾:

(1) المخطوط، الورقة 5 ب و6.

(2) الروض النضر ج 3 ص 90.

(3) المخطوط، الورقة 26.

(4) المخطوط، الورقة 30.

(5) المخطوط، الورقة 36.

فكرتُ ليلة وصلها في صدّها
فجّرت بقايا أدمعي كالعندم
وعلمتُ أني لا أطيق فراقها
وعَضَضْتُ كَفِّي عَضَّةَ الْمُتَدَمِّمِ
وظفقتُ أمسح أدمعي في جيدها
من عادة الكافور إمساك الدم
وقوله في مطلع قصيدة:

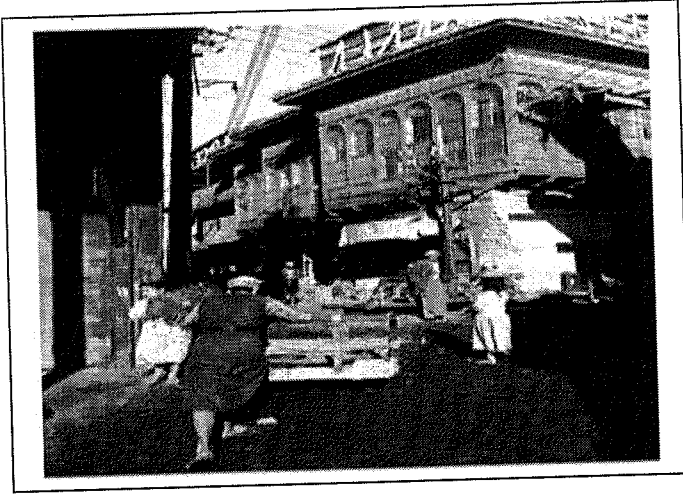
ألا يا نسيمَ البان والشيح والرند
لقد زدتنني شجواً وهيَّجتَ ما عندي
وأجّجتَ ناراً في الحشى بعد ما خَبَّتْ
وأظهرتَ سرّاً كان خافٍ من الوجدِ
وجددتَ عهداً بالعذيب وبارق
وأنشبت قلباً كان خالٍ من الودِ

وهو لم يُشر إلى أنه ينقل شعره من ديوان جمعه، وإنما كان يصرح بأن كان ينظم أشعاره غالباً في أثناء تأليفه الكتاب، وحتى قصيدته في الفخر بنفسه لم يذكر من أين نقلها من مجاميعه.

والمأمل للكتاب تلوح له قدرة المؤلف في تأليفه، ووفرة اطلاعه على مصادر عصره الأدبية، وعلى مؤلفات السابقين ودواوينهم، كما يظهر له أيضاً أنه كان عالماً في علوم شتى، أبرزها علم التفسير، وأن له رسالة، أو أكثر، في هذا العلم، أثبت منها في كتابه رسالة مستقلة في تفسير سورة الفاتحة.

وكانت وفاته -رحمه الله- بعد سنة 1175هـ / 1671م⁽¹⁾.

(1) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، الترجمة العربية، قم 2008، ج 7 ص 407.



احدى درابين محلة باب الشيخ - بغداد 1935

سبب تأليفه:

لم يؤلف الرحبي كتابه هذا تلبية لطلب أحد معاصريه، وإنما استجابة لرغبته في جمع تراجم أدباء عصره في كتاب شامل لأعمالهم الأدبية مع نماذج من أشعارهم، وكان هذا النمط من التأليف شائعاً لدى أدباء عصره، وما سبقه، على ما سيأتي بيانه بعد قليل.

وكانت فكرة تأليف كتاب في هذا الإطار تلوح في ذهنه منذ مدة سبقت تأليفه إياه، إذ قال «وكثيراً ما عن لي [أن] أوّلف كتاباً يشتمل على فرائد مسائل العلوم، وعقود محاسن المنثور والمنظوم». إلا أن شواغل الحياة، وما أكثرها، كانت تحول دون تحقيق تلك الفكرة، وفي ذلك يقول «يصدني عن ذلك حوادث دهر تستفرغ صبر الجليد، وصروف أيام يشيب بوقائعها رأس الوليد، ومقاساة الشدائد والمحن، ومعاودة الدهر والوطن».

ثم أنه انصرف، رغم همومه وخطوبه، إلى تقليب طرّفه «في رياض الدفاتر»، حتى اجتمع لديه كتاباً «تسجد الأقلام في طرسه لأنه للعلم والأدب جامع»، مسمىاً إياه (نزهة المشتاق في علماء العراق).

وبعد أن فرغ من تأليفه، لم يجد من يستحق أن يهديه إليه من ولاية العراق، ويظهر أن علاقته السيئة بهم -مما ظهر لنا من قبل- كانت السبب وراء هذا الموقف، ففكر في إهدائه إياه إلى الصدر الأعظم في الدولة العثمانية الوزير محمد راغب باشا، وكان هذا الوزير أديباً عالمياً عرف بمؤلفاته المهمة⁽¹⁾، وقد طار صيته بسبب ذلك في

(1) ولد محمد راغب باشا سنة 1110 هـ/1698م، في استانبول وفيها تعلم، وكتب النثر البليغ ونظم، عين بمنصب رئيس الكُتّاب في سنة 1153 هـ/سنة 1741م، واستمر في عمله حتى

الترجمة يقرن بينها وبين أبيات أخرى لشعراء آخرين من عصور مختلفة، عالجوا موضوعها نفسه، على نحو يجعل مباحثه تقرب من أن تكون ضرباً من الأدب المقارن، من ذلك أنه حينما أورد قصيدة للأديب عبد الله الفخري، كاتب ديوان الإنشاء في عصره، جزأها إلى قطع عديدة، وقارن بين كل قطعة بالعديد مما أورده في معناها شعراء العربية، بضمنهم نفسه، فكان من بين أولئك الشعراء ابن قلانس، والقاضي، والنصير الحمامي، وابن عبد الحديد، وصدر الدين، وشرف الدين المقدسي، وابن رشيق، والصابي، والمتوكل الليثي، والبولاني، وامرؤ القيس، وابن الرومي، ومجنون ليلى، والتهامي، وابن حمديس، والبهاء زهير، وابن الساعاتي، والصفدي، وذو الرياستين، وشرف الدين عيسى الناسخ، وصفي الدين الحلبي، والوزير المغربي، وابن نباتة، وابن رشيق، وأبو الحسين الجزار، وابن زيدون، والقيسراني، وبعض الأندلسيين، ومهيار الديلمي، والطغرائي، والسراج الوراق، والصفدي، وابن المعتز، وأبو نواس، وابن عبد المجيد، ومحمد بن غالب، والمعري، والقاضي الحشيشي، وابن الجهم، وأبو تمام، وحمديس الصقلي، وأبو فراس، وابن الفارض، وعبد الصمد، وشهاب الدين محمود، وعبد الرحمن الحلبي، وغيرهم ممن لم يسمهم واكتفى بقوله أنهم «بعض الشعراء»، وهكذا الأمر مع جميع من أورد لهم نماذج من أشعارهم.

يبلغ عدد من ترجم له 23 ترجمة هي:

- 1- صبغة الله أفندي الحيدري
- 2- عبد الله أفندي الفخري
- 3- محمد أسعد الفخري
- 4- فخري أفندي الفخري
- 5- عثمان أفندي العمري
- 6- حيدر أفندي بن صبغة الله الحيدري
- 7- ياسين أفندي مفتي الحنفية
- 8- عبد الله السويدي
- 9- عبد الرحمن السويدي
- 10- علي أفندي مفتي الشافعية

- 11- عبد الكريم الرحبي مفتي الشافعية
- 12- عبد الغفور أفندي الرحبي
- 13- عثمان أفندي الرحبي
- 14- عبد العزيز أفندي الرحبي
- 15- بكر أفندي الرحبي
- 16- عبد السلام أفندي الرحبي
- 17- عبد الجليل الرحبي
- 18- عبد اللطيف أفندي الرحبي
- 19- عبد الستار أفندي الرحبي
- 20- حسين أفندي الرحبي
- 21- محمود أفندي الرحبي
- 22- محمود أفندي الرحبي مفتي الحلة
- 23- محمد سعيد أفندي الرحبي

والتراجم العشر الأولى هي لأعلام بارزين في العراق، اثنان منهم من آل الحيدري والأسرة العلمية الكردية المنحدرة من قرية (ماوران) قرب اربيل في منتصف القرن الثاني عشر للهجرة (18م)، واثنان من آل السويدي الأسرة العباسية المنحدرة من قرية الدور في شمال بغداد في مطلع ذلك القرن، وثلاثة من آل الفخري، وواحد من آل العمري، وهما الأسرتان اللتان انحدرتا من الموصل في منتصف القرن المذكور، واثنان لم يتحدد منحدرهم، أما التراجم الأخرى فهي جميعاً لأعلام أسرة الرحبي، وواضح أن المؤلف استقصى جميعهم في عهده، حتى أنه ترجم لمن كان شاباً ما زال في طلب العلم، وأكثر هؤلاء انفرد بالترجمة له، ومن هنا تأتي أهمية هذه التراجم.

تفاوتت هذه التراجم طولاً وقصراً بحسب مكانة صاحبها لا بحسب قربه من المؤلف، فبينما توسع في تراجم الآخرين حتى بلغت العشرات من الصفحات، مثال ذلك ترجمته لصبغة الله الحيدري حيث جاءت في نحو خمس عشرة ورقة، وبلغت ترجمة عبد الله الفخري نحو عشرين ورقة، وترجمة محمد اسعد الفخري تسع ورقات، وترجمة عثمان العمري نحو خمس وعشرين ورقة، لم تتجاوز ترجمة أبيه

الزاهرة، والبُرْدُ المُحْبَرُ، والعقدُ المُجَوَّهَرُ، وهو ملازمُ الدرسِ على الفاضلِ النحريرِ، والشافعي الصغير، أستاذُ الكلِّ في الكلِّ، بحرُ المعارفِ والفضلِ، صبغةُ اللهِ أفندي، أدام اللهُ ظله، وأعلى في الدارينِ محله⁽¹⁾، فهذه التراجم تكاد تكون مجرد صورة قلمية يرسمها المؤلف لمن يترجم له، لا أن تكون ترجمة حقيقية له، والدليل على ذلك ابتسارها الشديد واقتصارها على معلومة وحيدة ربما كان لها بعض فائدة في التعرف على حياة المترجم، وأما سائرُها فهو أماديح وعبارات ثناء. والطريقة التي اتبعها في عرض كل ترجمة أن يفتتحها بأبيات في مدح صفات المترجم، يظهر أنها من نظمه، قبل أن يبدأ في عرض الترجمة نفسها. على أنه على الرغم من ذلك فإن التراجم حوت فوائد تاريخية مختلفة، كقوله في ترجمة بكر أفندي الرحبي أنه «كان ملازماً للتدريس في حضرة القطب الرباني والهيكل الصمداني، جامع الإشارات والمعاني، الشيخ عبد القادر الكيلاني»، وأن له «مؤلفات سديدة وتعليقات» و«مصنفات»⁽²⁾. وقوله في ترجمة عبد الجليل الرحبي إلى أنه قصد حضرموت بحرّاً حيث التقى بشيخها السيد عبد الله الحداد، وبلغ من تأثره بمنهجه الروحي أنه «لما رجع إلى الأوطان، ترك الأهل والإخوان، والأحباب والخلان، وأخذ العيال والأولاد، وقصد تلك البلاد، واشتغل بالأعمال الصالحة والطاعات، واستغرق أوقاته بالعبادات»⁽³⁾. وقوله في ترجمة عبد الستار الرحبي أنه «سكن في آخر عمره البصرة الفيحاء، حتى انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء»⁽⁴⁾، وقوله في ترجمة محمود الرحبي أنه كان مفتياً على المذهب الشافعي»⁽⁵⁾. وفي ترجمة سَمِيٍّ له محمود، أنه «مفتي الحلة الفيحاء» وقوله عن عثمان أفندي الرحبي أنه «كان قد ولي الإفتاء في الحلة الفيحاء حتى سكن دار البقاء»⁽⁶⁾، وقوله في ترجمة عبد الكريم الرحبي أنه «في آخر عمره ولي الإفتاء للشافعية»⁽⁷⁾، وقوله عن عبد العزيز أفندي الرحبي أن له تأليفات في سائر العلوم فائقة، وتحقيقات راقية، مع اشتغاله في التدريس والإفادة، وتردد الطلبة عليه

(1) المخطوط، الورقة 262.

(2) المخطوط، الورقة 234.

(3) المخطوط، الورقة 241.

(4) المخطوط، الورقة 248.

(5) المخطوط، الورقة 256.

(6) المخطوط، الورقة 214.

(7) المخطوط، الورقة 240.

للإستفادة، لكن له مدة تتوف على عشرين سنة قد لازم البيت واعتزل عن أهل الدنيا.. الخ»⁽¹⁾، كما أنه أثبت له نصوصاً كاملة لرسائل مهمة في بعض العلوم، نُوهنا بها من قبل، وهذه الرسائل لم تعرف من قبل. وأثبت في ترجمته عبد الله الفخري منظومة مطولة في وصف حصار نادرشاه للموصل سنة 1156هـ/1743م فقال «ومن بديع نظم صاحب الترجمة.. ما نظمه في وقائع نادرشاه وما نتج منها ومحاصرته للحدباء ورحيله عنها وعدم نيله منها ما أراد، ولم يحصل له مُتمناه ومُراد، إذ هي محروسة بعين عناية الملك المتعال، والأُ فهي وقعة تشيب لها الأطفال، وتذك الجبال، وتذهب العقول، وتحير الفحول، وقى الله شرها، وبرد حرها، ودفع ضرها، فألف هذا الفاضل الذي فاق الأوائل هذه الأرجوزة، وجعلها ميدان تلك الوقعة والحروب والنوائب...»⁽²⁾، وتقع المنظومة، أو ما اثبتته منها، في 72 بيتاً. ورسالة للأخير كتبها إلى شريف مكة المكرمة الشريف مساعد يهنيه، ويعزيه بوفاة أخيه مسعود⁽³⁾.

ومنها القصيدة التي أشار فيها إلى المعركة التي خاضها والي بغداد الوزير أحمد باشا (1136-1147هـ/1723-1734م) ضد صقر الشيبب، شيخ قبيلة قشعم النازلة على الفرات الجنوبي، سنة 1152هـ/1739م⁽⁴⁾، مفتتحاً إياها بقوله «هو الوزير ابن الوزير، العادم الأشباه والنظير، المرحوم المغفور أحمد باشا، .. وذلك حين تكلف الإغارة بنفسه، وكادت تؤدي من حر الهجير والقيض إلى حتف أنفه.. فشن الغارة، وأجج نفع الفلا وأثاره، على الطائفة المسماة بال قشعم، وشيخها إذ ذاك صقر الشيبب، الليث الغشمشم، فغضب من العسكر وخيلهم ناس كثير، واشتد الخطب بهم من شدة وقد الهجير، وضل كثير من الجند إذ أخذوا خلاف طريق العدو طريقاً، وهو مع فئة قليلة وقعوا بالعدو، ونصرهم الله عليهم، فريقاً يقتلون ويأسرون فريقاً»، وتقع القصيدة، أو ما انتخبه منها، في 23 بيتاً، وصف فيها المعركة وأرخها⁽⁵⁾.

(1) المخطوط، الورقة 219.

(2) المخطوط، الورقة 40.

(3) المخطوط، الورقة 27-47.

(4) ينظر عبد الرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بتحقيقنا، بغداد 2002، ص436-440 وياسين العمري: الدر المكنون في المآثر الخالية من القرون، الورقة 541، نسخة المتحف البريطاني، ورسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى نورس، بيروت بلا تاريخ، ص47.

(5) المخطوط، الورقة 51، 52.

المخطوط:

توجد مخطوطة الكتاب بخط مؤلفه في مكتبة راغب باشا باستانبول، وأولها «الحمد لله الذي قصرت غاية العقول عن حقيقة ذاته، وكلت أذهان الفحول عن الوصول إلى إدراك بعض كمالاته...». وخطها نسخ جيد مما كان شائعاً لدى نساخ عصره، وفي كل صفحة 26 سطراً، في كل سطر ما بين 8-10 كلمة، وهي تقع تحت العدد 1050 ويبلغ مجموع أوراقها 263 ورقة، وعلى بعض أوراقها كلمات أو عبارات سقطت عند تبييض مؤلفه الكتاب فأضافها فيما بعد، وفي المركز الوطني للمخطوطات ببغداد نسخة مصورة من هذا المخطوط تقع في ثلاثة مجلدات تحت الأعداد 9420 و9421 و9422، وفي خزانة نسخة مصورة منها، ومنه نسخة في المدينة المنورة في 716 ورقة، تحت العدد 262⁽¹⁾، وأخرى كانت لدى سليمان بن صالح الدخيل، صاحب جريدة (الرياض) المتوفى سنة 1945، نشر قسماً منها في مجلة (اليقين) البغدادية الصادرة سنة 1340-1341. ونسختان في مركز الملك فيصل للبحوث في السعودية تحت العددين 104385 و46676⁽²⁾ وكانت في خزانتي جامع الفضل وجامع القبلاية ببغداد نسختان من كتاب عنوانه (تراجم أدياء العراق)⁽³⁾ لعله هذا الكتاب، ولم يعلم مصيرهما الآن.

والكتاب بعد هذا جدير بالتحقيق، فهو يمثل درة من درر الأدب والتاريخ في عصره، ويكشف عن صفحة مهمة من صحائف الثقافة في العراق في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، وفيه من الفوائد والشذرات التاريخية ما يستحق العناية والاهتمام.

(1) عمر رضا كحالة: المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة، دمشق 1393هـ، ص 86.

(2) موقع ملتقى أهل الحديث.

(3) نعمان خير الدين الألويسي: فهرست مكاتب بغداد الموقوفة، بتحقيقنا، ديوان الوقف السني

ببغداد 2012.

البراقى في مخطوطاته

البراقى واحدة من أربع محلات كانت تتألف منها مدينة النجف في القرون المتأخرة، عرفت قديماً باسم (البُرْكة) لوجود مستقى للماء فيها⁽¹⁾، ثم اشتهرت باسم (البراقى)⁽²⁾ لنزول آل البراقى فيها في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة (18م)، وأولهم السيد إسماعيل بن زين العابدين (أو زين الدين) بن محمد المعروف بالبراقى وكان قد رحل إليها من نواحي بغداد لطلب العلم في مدارسها فيما يظهر⁽³⁾.

وفي موطن الأسرة الجديد، ولد لإسماعيل هذا ولد سماه حسين، ويظهر أن تسميته جرت لمناسبة نزول الأسرة قرب المشهد الحسيني، وشاء القدر أن يلقى حسين هذا حتفه قتلاً في هجوم شنته القوات السعودية سنة 1220هـ⁽⁴⁾، تحت أسوار مدينته في أثناء دفاعه عنها⁽⁵⁾، وكان لحسين ولد اسمه أحمد، وقد امتهن، كأبناء أسرته، التجارة، ولذا فإنه لم يشتهر بالعلم ولم يعرف به⁽⁶⁾، وحين أنجب الأخير ولداً سماه حسيناً، على اسم جده، وعرف تحبباً - كما يبدو - بحسُون، ولازمه هذا الاسم طيلة حياته.

ولد السيد حسون⁽⁷⁾ في بيت أبيه، في محلة البراقى⁽¹⁾، سنة 1261 أو 1262هـ/1845-1846م، ويظهر أنه تلقى شيئاً من مبادئ علوم العربية، إلا أن

(1) أنظر جعفر محبوبية: ماضي النجف وحاضرها، جذ، النجف 1378هـ/1958م، ص25.
(2) بضم أوله وتخفيف ثانيه، ولم نجد وجه تلقيه بهذا الاسم، فالبراقى كما في معجم اللغة، دابة يركبها الأنبياء - عليهم السلام - مشتقة من البرق، وقيل غرس جبريل، ودابة ركبها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج، سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه.
(3) أنظر عن نسبه: عدنان السيد عيسى القابجي النجفي: المجموعة المشجرة في الأنساب المطهرة، مخطوط، الورقة 49، وقد تفضل بنقله إلى السيد كاظم محمد علي شكر، فله مني كل شكر وثناء.
(4) ذكر لي ذلك حفيده السيد حسين بن علي (المولود سنة 1900) في دار في النجف في 12/20/1992م.

(5) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، 1954، ص169.
(6) علي الهاشمي الخطيب: مقدمة كتاب (الدرة البهية) للبراقى، النجف 1389هـ/1970م، ص5.
(7) ترجم له الشيخ محمد رضا الشبيبي في مجلة الاعتدال النجفية ج1 ص 113-117 وأعيد نشر الترجمة في مقدمة تاريخ الكوفة للبراقى ص2-7، وهي أوسع ترجمة له، وكان الشبيبي قد عاصر، في شبابه، البراقى، واختلف إلى داره في النجف، وترجم له أيضاً السيد محسن الأمين العاملي في أعيان الشيعة ج1 ق2 (دمشق 1367هـ/1947م) ص42-46، وقد عاصره أيضاً والتقى به، ولكن أغلب ما كتبه عنه منقول من مقالة الشبيبي المتقدمة، وله ترجمة في

ذلك لم يصل الى حد أخذه العلم على أيدي العلماء وفقاً للطريقة المنهجية السائدة في عصره، وإنما كان يختلف، يافعاً، الى مجالس أهل العلم، وقد اشتهرت النجف عهد ذلك بكثرة مجالسها الثقافية وروعة تقاليدها وغنى ما يلقي فيها من علم وأدب، ومالت نفسه ميلاً فطرياً إلى ما كان يسمعه من أولئك الشيوخ من أخبار وذكريات ماضية، وأدرك قيمة تلك الاخبار والذكريات بوصفها تمثل مواد تاريخية ذات شأن، فشرع يسجلها في دفاتر خاصة⁽²⁾، ولم يكتف بدور متلقياً للخبر، وإنما مضى لاستيضاح محدثيه بالأسئلة المعدة، ليزيده الجواب فهماً لتفاصيل الحدث، وهو يقرب مما نعرفه اليوم بأسلوب (المقابلات الشخصية)⁽³⁾.

بيد أن هذا الأسلوب لم يغنه عن اتباع وسائل البحث الأخرى، إذ شرع بمطالعة الكتب، والبحث في بطونها عن كل شاردة يمكن أن تشيع اهتماماته التأريخية، وقد جمع بخطه في هذه المدة من حياته، عدداً من المجموعات، التي تضم مدوناته مما سمعه أو قرأه من مواد تاريخية متنوعة، وكانت كتابة المجموعات في تلك الحقبة تعد

آقا بزرك : أعلام الشيعة ج 1 ق 2 (وعنوانه: نقباء البشر في القرن الرابع عشر) النجف 1375هـ/1967م ص523-526 وآقا بزرك: مصفى المقال في مصنفى علم الرجال (طهران 1378هـ/1959م) ص139، ومحمد هادي الأميني: معجم رجال الفكر والأدب في النجف (النجف 1384هـ/ 1964م) ص62، ومحمد رضا كحالة: معجم المؤلفين ج 3 ص309، والزركلي: الأعلام ج 2 ص252، وكتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، الطبعة الثانية، دار الوراق لندن (2009) ص361-366.

(1) تقع هذه الدار في عقد ابو عجينة المتفرع من شارع الصادق، مقابل سوق المسابك، وهي في هيأتها الأصلية واسعة تتألف من عدد من الأواوين والحجرات، إلا أنها قسمت بين الورثة في عهد تال، لتغدو عدة دور.

(2) ثمة دفتر من هذه الدفاتر بعنوان (مجموعة أخبار وتاريخ) في مكتبة محمد حسين آل كاشف الغطاء في النجف، وسيأتي الكلام عليه فيما بعد، وذكر الشيبيني أن من محاسن الاتفاق أنه عمراً طويلاً (عاش نحو 91 سنة قمرية) وسبق له الاشتغال بالتدوين والتقييد منذ مراعاته، فعضمت مجموعة ما أحصاه من الوقائع التاريخية التي رافقت أيامه، عذا ما استخرجه من بطون الدفاتر والآثار.

(3) نوه الشيبيني بطريقته هذه إذ قال أنه «استفاد مما يدور على ألسنتهم غير ما يتقدم إلى السؤال عنه بنفسه، وذكر الأمين أن البراقي اجتمع به في صحن الإمام علي (ع) وأنه جاء يسأله عن قصيدة له ليدونها في تاريخه «وهو يدل على مزيد اعتناؤه بضبط الحوادث» (أعيان الشيعة ج 25 ص43).

نمطاً مبكراً من أنماط الكتابة التاريخية، وهي تضم - في الغالب- أخباراً وتراجم، قد تكون مهمة في حد ذاتها، ولكن دونما سياق زمني أو مكاني محدد⁽¹⁾.

ومن الراجح أن تكون مدينته النجف أول محور لاهتماماته، وهو الذي طالما شغف بآثاره، وتتبع ما جرى عليها من حوادث، وحضر مجالسها، والتقى بعلمائها ووجوهها، فألف في تاريخها ثلاثة كتب، شفعها برابع في تراجم مشاهير علمائها، ثم تنوعت محاور اهتماماته، وتعددت مشاريع بحثه، وتوافقاً مع هذا التنوع، أخذت مطالعاته في الكتب تتخذ شكل البحث المنظم، فأخذ يستعير الكتب، وأكثرها مخطوطات، من خزائن أصحابها في مدينته. وكان يستخرج منها مواد تاريخية مهمة، ضمت جملة من المصادر الخطية المفيدة، بعضها نادر في بابه، استعان بها على إنجاز مشاريعه العلمية.

وساعدته رغبته في الترحال على تحقيق هدفين، أولهما أنه كان يقتني أو يستسخ خلالها كل ما تصل إليه يده من مصادر ومعلومات، ويُقيّد كل ما يصل إلى سمعه من روايات يراها مفيدة، وثانيهما أنه كان يتقصد التطواف في المدن والقرى التي تدخل في نطاق بحثه أو اهتماماته، فيشاهد آثارها، ويطبّق على تلك الآثار الشاحصة معطيات قراءاته الكثيرة، فيتابع مجرى هذا النهر المندرس هنا، ويقف عند تل أثري هناك، وقد توصل بهذا الأسلوب العلمي إلى معلومات للصحة فيها نصيب كبير.

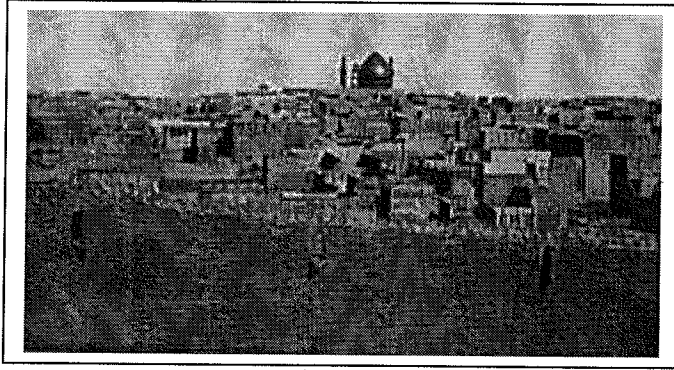
بيد أن رهافة حسّه الشديدة، التي بلغت حد استشعار نبض حياة الماضين في الحجارة الصماء، والأجر البالي، كانت في الوقت نفسه سبب متاعبه، فقد سجل لنا العلامة محمد رضا الشبيبي، وكان قد التقى به في صغره، أنه كان يضيق بملامح التغيير الذي أخذ يطرأ على مجتمعه إبان ذلك العهد، وهو تغيير سببه، بالدرجة الأولى، كثرة الوافدين على النجف من الغرباء، الذين يحملون من القيم ما يختلف عن قيم مجتمع المدينة العربي الأصيل⁽²⁾، فلم يكن إلا أن غادر النجف سنة 1320هـ/

(1) انظر كتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2016، ص361-

(2) الشبيبي: مقدمته لتاريخ الكوفة ص5.

1902م، وكان يومذاك يناهز الستين، إلى قرية صغيرة من قرى الحيرة تسمى (اللهيات)⁽¹⁾، نسبة إلى عشيرة اللهيات القاطنة هناك⁽²⁾، وهم أخوال أولاده⁽³⁾، ومن الممكن أن يكون من أسباب هذه الهجرة انتشار الوباء في النجف في مدينته آنذاك، فقد وجدنا عدداً من العلماء والفضلاء يتركون النجف للإقامة في المناطق المحيطة بها، لا سيما الحيرة وقرائها، إبان الحقبة نفسها، وكانت هذه المناطق معروفة بازدهارها ووفرة غلاتها ووجود فرص جمة للزراعة فيها.

أقام البراقبي بين ظهراي أصهاره من (اللهيات) وأخذ يستغل، وأولاده، مزرعة له هناك، متحملاً لضعف العيش ومفارقة الإخوان، على أن يحيا في وسط لم يعد يرضيه. وفي هذه المزرعة تفرغ البراقبي للبحث والتأليف، تعينه على ذلك مكتبته الغنية بما اقتناه واستنسخه من الكتب، وما التقطه واختصره من المعلومات التي حوتها دفاتره العديدة، فوضع عدداً مهماً من المؤلفات أكثرها في مجال التاريخ، أو لها تعلق به، ولبت مشتغلاً بذلك إلى أن لقي ربه في العاشر من رجب أو من شعبان سنة 1332هـ (4 حزيران أو 5 تموز 1914م) فنقل جثمانه إلى النجف، مشياً من محبيه وعارفي فضله، ودفن في سرداب داره بمحلة البراق، معقباً خمسة من الذكور، وأربعاً من الإناث، ومجموعة كبيرة من مؤلفاته وكتبه، فضلاً عن ثناء الناس وتقديرهم، مما ظل ذكره يتردد في مجالس النجف ومحافلها جيلاً بعد جيل.



مدينة النجف سنة 1914

- (1) تبعد اللهيات عن الحيرة بنحو كيلومتر واحد/
(2) اللهيات عشيرة لها فروع عدة وأكثرهم زراع وأصحاب نخيل وأراض في ضواحي الحلة. مهدي القزويني: أنساب القبائل العراقية، هامش ص121 (النجف الطبعة الثانية).
(3) عن حفيده السيد حسين بن علي.

مؤلفاته

ألف البراقي جملة وافرة من الكتب، زاد عددها على ثمانين مجلداً، وكان يُطالع عليها طالبو العلم والباحثين، بل يسمح لهم أن ينقلوا منها، وأن يلخصوها، أو ينقلوها كلها. وقد ذكر الشيبيني أنه قصد في مزرعته، قبل سنة واحدة من وفاته «لمشاركة كتبه التي لم يسبق لنا الإطلاع عليها».

في تواريخ المدن:

1- اليتيمة (أو الدرة) الغروية و(التحفة النجفية) في الارض المباركة الزكية، نسخة منه في مكتبة سيد الشهداء في كربلاء برقم 21، وأخرى لدى حميد مجيد الشعرباف في النجف، بخط المؤلف، وفي مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف، في 407ص، وفي مكتبة محمد علي اليعقوبي في النجف، نوه بها حمود الساعدي (العراق وعشائره، النجف 1990) ص 241، وقد لخصه الشيخ محمد بن عبود الكوفي (المتوفى سنة 1360هـ/1941م) تلخيصاً مستوفياً في كتاب له سماه (نزهة الغري) (طبع سنة 1371هـ/1956م) عن نسخة خطية كانت لدى السيد عبد الحسين سادن الحضرة الحسينية، وجاء هذا الملخص في 22 صفحة من الكتاب المذكور⁽¹⁾. وكان البراقي قد ألحق بكتابه هذا كتاباً جعله كالذيل له سماه (قرة العين قي من عمّر قبر أبي الحسنين). نسخة بخطه في مكتبة الشيخ محمد رضا الشيبيني، وتقع في 190 ص⁽²⁾، وقف عليها الدكتور حسين علي محفوظ. ووضع عبد الله بن محسن بن باقر بن علي السبزواري الأصفهاني كتاباً سماه (لؤلؤ الكشف في تاريخ النجف) فرغ منه سنة 1322هـ/1904م. ذكر جعفر محبوبية (ماضي النجف وحاضرها ج 1 ص 3) أنه ترجمة لكتاب (اليتيمة الغروية) الآتي.

2- رسالة صفري في تاريخ النجف. وهو غير الكتاب المتقدم كانت منها نسخة لدى السيد عبد الحسين المذكور، ذكر ذلك الكوفي ولم يرها بنفسه⁽³⁾.

3- رسالة كبرى في تاريخ النجف. وهي غير الكتابين المتقدمين، كانت منها نسخة لدى السيد عبد الحسين المذكور، نوه بها الكوفي أيضاً⁽¹⁾.

(1) من ص 59 إلى ص 75.

(2) آقا بزرك: الذريعة ج 17، طهران 1387هـ/1947م، ص 74.

(3) نزهة الغري ص 59.

4- بُراقية السيرة في تحديد الحيرة. فيه فصول عن تاريخ الحيرة وآثارها القديمة. نوّه به الشيبيني وآقا بزرك⁽²⁾.

5- الدرّة المضية في تاريخ الحنّانة والثوية. رسالة في تحقيق هذين الموضوعين، فرغ من تأليفها سنة 1325هـ/1907م. نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف، برقم (ت6/736) وتقع في 59 ص.

6- رسالة أخرى في تحقيق هذين الموضوعين.

7- الحسرة الدائمة للزفّرات في عدد الهواشم الذين أصيبوا في الغاضريات. نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف، تقع في 81 ص، فرغ منها في نهار الأربعاء 17 ربيع الثاني سنة 1316هـ/1898م، وهي ضمن مجموعة برقم (828).

8- الدرّة البهية والروضة المضية في تاريخ الروضة الحسينية المسماة بكريلاء والغاضرية ونينوى وعمورية والحراء الجليلة. وهو تنمة لكتابه (الحسرة الدائمة). قال في أوله أنه ذكر فيه «أرض كربلاء وما فيها لتكون خاتمة لما جمعناه»، بحث فيه في قدّم كربلاء وفضلها وفضل قبر الحسين (ع) وحرّمه ومشهده، وما مرّ على هذا المشهد من حوادث، وما لحقه من أعمال التعمير والتوسيع، وألحق به معجماً صغيراً بأسماء أرض كربلاء، نسخة بخط المؤلف، فرغ منها في 12 ربيع الثاني سنة 1316هـ/1898م، في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 36 مجاميع. وتقع في 104 صفحة، ومنه نسخة في مكتبة الشيخ ودّاي العطية في الديوانية، وطبع الكتاب بتحقيق السيد علي الهاشمي الخطيب، المطبعة الحيدرية، النجف، سنة 1389هـ/1970م، 87 ص.

9- البقعة البهية. وهو تاريخ مختصر للنجف، نوّه به في مقدمة (عقود اللؤلؤ والمرجان).

10- عقود اللؤلؤ والعُقَيان في تحديد أرض كوفان ومن سكن فيها من القبائل والعُريان. رسالة في معنى اسم الكوفة وتحديد منطقتها ومن نزل فيها، وأنها راها. قال أنه اختصره من كتابه (البقعة البهية). نسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء

(1) المصدر نفسه ص59.

(2) مقدمة تاريخ الكوفة ص6 ونقباء البشر ج1 ق2 ص521.

في النجف برقم 559 في 63 ص، حققه حسن عيسى الحكيم وعلي عبد الحسين المظفر، 90 ص، بلا بيانات طبع.

11- تاريخ قُم. ألفه في الأصل أحد معاصري صاحب بن عباد سنة 378هـ. ونقله إلى الفارسية الحسن بن علي بن الحسن القُمي سنة 865هـ، ولقدان الأصل العربي لهذا الكتاب، فقد اختار البراقي أهم أبواب هذه الترجمة فنقله إلى العربية، وهو الباب الثالث الذي يختص بذكر الطالبين الذين جاءوا إلى قم من ولد الحسين (ع)، ومن ولد محمد بن الحنفية، وضم إليه من الباب الرابع (ذكر العرب من آل سهل الأشعريين النازلين بقم). وقد فرغ من ترجمة ما انتخبه منه في 8 ربيع الثاني سنة 1317هـ/1907م. وهو مخطوطة بخط مؤلفه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 6/734، وتقع في 78 ص. وقد اتخذ السيد عبد الحلیم عبد الكريم المدني من تحقيقها رسالة للماجستير بإشرافنا، في معهد التاريخ العربي في بغداد سنة 1994.

12- الجوهرة الزاهرة في فضل كربلاء ومن حلَّ فيها من الذرية الطاهرة، وله عنوان آخر هو (الجوهرة الشعشعانية والثمرة الجنية في فضل كربلاء والفاضرية ومن حلَّ فيهما من الذرية)، مخطوط منه نسخة بخط المؤلف في خزنة الشيخ محمد علي اليعقوبي بالنجف، وقف عليها آقا بزرك⁽¹⁾. وفي مكتبة السيد عبدالرزاق الوهاب آل طعمة مخطوط بعنوان (الجواهر الزاهرة والفواكه المثمرة) للبراقي أيضاً. ومن المحتمل أن يكون نسخة من هذا الكتاب⁽²⁾.

في الأنساب:

13- كشف النقاب في فضل السادة الأنجاب. نوه به الشيبيني والامين⁽³⁾.

14- كشف الأستار في أولاد خديجة من النبي المختار. وكان قد سماه أولاً: الثمر المجتبي من خديجة الكبرى في ذرية محمد المصطفى، ثم غيره بالعنوان المذكور، وقال في أوله «إني لما نظرت إلى التواريخ ورأيت كثرة الاختلاف في أولاد النبي (ص) أحببت أن أذكر فيهم رسالة على سبيل الاختصار وأثبت فيها ما كان مثبتاً في كتب السير

(1) الذريعة ج5، طهران 1363هـ/1943م، ص239، ونقباء الشرج1، ق2، ص526.

(2) سلمان هادي آل طعمة: تراث كربلاء، بيروت 1983، ص235.

(3) مقدمة تاريخ الكوفة ص6، وأعيان ج25 ص44.

والأخبار». نسخة بخط المؤلف، فرغ منها في 17 من شهر ذي الحجة سنة 1225هـ/1908م، في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء في النجف برقم 22 متنوعة.

15- السيرة البراقية في رد صاحب التحفة العنبرية. والتحفة العنبرية في نسب خير البرية، للنسابة أبي الفضل محمد الكاظم بن أبي الفتوح الأوسط بن سليمان، من مشاهير أئمة الزيدية (عاش في القرن السابع للهجرة) في الأنساب، صحح فيه بعض الأبحاث الواردة فيه، وعلق على بعض فصوله، وذكر في آخره فصولاً في تاريخ الكوفة، مقتطفاً ذلك من كتابه المستقل في (تاريخ الكوفة) وذكر بعدها فوائد رتبها على حروف المفجم تتعلق بأصحاب النبي (ص)، اقتطفها من رجال السيد محسن الأعرجي. نسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 7- أنساب.

16- معدن الأنوار في نسب النبي وآله الأطهار. نسخة بخط المؤلف لدى الشيخ جعفر الحكيم النجفي في الشنافية، فرغ منه سنة 1307هـ/1890م. ويقع في 847 ص⁽¹⁾.

في الحوليات:

17- بهجة المؤمنين في أحوال الأولين والآخرين. وهو تاريخ عام انتهى به إلى أيامه، ويقع في أربع مجلدات ضخام، نوه به الشيبيني وآقا بزرك⁽²⁾.

18- قلائد الدر والمرجان فيما جرى في السنين من طوارق الحدثان. وهو تاريخ عام على السنين، في مجلد كبير، في مكتبة وداي العطية في الشامية، ونوه بهذه النسخة حمود الساعدي، ونقل منه (العراق وعشائره، النجف 1990) وذكر السيد محسن الأمين أن للبراقى كتاباً في التاريخ إلى سنة 1318هـ/1908م، ونسخة مخرومة، من سنة 131هـ إلى 449هـ، والمجلد الأول منه موجود عند السيد حسن الصدر في الكاظمية، وتوجد نسخة منه في خراسان، ولا نعلم ما إذا كان هو (قلائد الدر والمرجان) المذكور أم غيره.

في التراجم:

19- ترجمة الشيخ المفيد أبي عبدالله محمد بن محمد النعمان المتوفى سنة

413هـ⁽¹⁾.

(1) الذريعة ج21، طهران 1393هـ/1973م، ص220.
(2) مقدمة تاريخ الكوفة ص6، والذريعة ج3 ص164.

- 20- منبع الشرف في مشاهير علماء النجف. ذكر الشيبلي أنه فقد في حياته⁽²⁾.
- 21- إكسير المقال في مشاهير في الرجال. نوه به الشيبلي وأقا بزرك.
- 22- هتك الحجاب. رسالة في زواج السيدة أم كلثوم. نسخة بخط المؤلف في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم (828)، فرغ منها في 25 ربيع الثاني 1316هـ/ 1906م.
- 23- رسالة في ترجمة السيدة زينب الكبرى. نسخة بخط المؤلف في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء بالنجف، برقم (828)، وتقع في 30 ص.
- 24- كتاب في قريش وأحوالهم.
- 25- كتاب في بني أمية وأحوالهم⁽³⁾.
- 26- مختصر مقاتل الطالبين. نسخة بخط المؤلف في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء.
- 27- مختصر الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية. فرغ منه في 23 جمادى الأولى 1319هـ/ 1909م. نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم (761).

موضوعات مختلفة:

- 28- مجموعة أخبار وتاريخ. نسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء بخط المؤلف سنة 1313هـ/ 1895م برقم 847، وتقع في 467 ص.
- 29- النخبة الجليلة في أحوال الوهابية. فيه تاريخ ظهورهم ووقائعهم في العراق. نسخة بخطه في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 693 (علم الكلام والعقائد) وتقع في 167 ص، وأخرى في مكتبة محمد علي اليعقوبي بالنجف⁽⁴⁾.
- 30- تغيير الأحكام فيمن عبد الأصنام.

(1) الذريعة ج4 ص 166 ونقباء البشر ص526 وأعيان ج25 ص 45.
(2) مقدمة تاريخ الكوفة ص6.
(3) الأرقام 17- 19 من مقدمة تاريخ الكوفة ص 6-7، ونقباء البشر ص526 وأعيان ج25 ص45.
(4) نقباء البشر ص527:

31- الهاوية في تاريخ يزيد بن معاوية.

وفيما عدا مؤلفاته الكثيرة، فإنه استنسخ بخطه طائفة حسنة من الكتب التي يدور أكثرها في مجال التاريخ والأنساب. ونوعية هذه الكتب وأحجامها يدلان على مبلغ الجهد الذي كان يبذله في تتبع مظانها، وفي صبره على نسخها، ودقته في عمله ذلك، فمن الآثار التي نسخها بخطه، نذكر:

1- كتاب بحر الأنساب. وهو مشجّر كبير في أنساب العرب، غير معروف المؤلف، كتب سنة 607هـ، وقد نسخ البراقى هذا الكتاب عن نسخة رآها في الكاظمية سنة 1321هـ/1903م، وأتعب نفسه في تصحيحها ومقابلتها على الأصل. وآلت هذه النسخة إلى خزانة السيد أبي محمد الحسي الصدر الكاظمي على ما يذكر آقا بزرك⁽¹⁾.

2- سبك الذهب في شبك النسب. لمحمد بن القاسم الديباجي الحلبي المتوفى سنة 776هـ، 1374م⁽²⁾. نسخها عن نسخة تاريخها سنة 972هـ/1564م، وتوجد نسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء.

3- المجدي في أنساب الطالبين. للسيد الشريف نجم الدين علي بن أبي الفنائم العمري (كان حياً سنة 443هـ/1051م)، نسخه البراقى سنة 1324هـ/1906م، وآلت هذه النسخة إلى مكتبة الشيخ محمد السماوي في النجف⁽³⁾.

4- الدر السلوك لأحمد بن الحر. نسخه سنة 1317هـ وتوجد هذه النسخة في مكتبة محمد حسين كاشف الغطاء برقم 745.

5- تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب وحسب الأئمة الأطهار لضاامن من شذقم (كان حياً سنة 1068هـ/1658م). وتوجد نسخته في مكتبة كاشف الغطاء برقم 695.

6- سر السلسلة العلوية. نسخه سنة 1313هـ/1895م، وهو في مكتبة كاشف الغطاء ضمن المجموعة المرقمة 733.

7- تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر، نسخه سنة 1323هـ/1905م، وهو في مكتبة كائف الغطاء أيضاً برقم 7433.

(1) الذريعة ج3 ص 377.

(2) الذريعة ج12، طهران 1380، ص133، ونقباء البشر ص 527.

(3) الذريعة ج20 ص2.

8- المسامرات والمحاضرات لمحيي الدين ابن عربي. نسخه سنة 1314هـ/1906م. في مكتبة كاشف الغطاء أيضاً.

9- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لأحمد بن علي، ابن عتبة (المتوفى سنة 828هـ/1425م). مجلد رأيته لدى حفيده السيد حسين بن علي في النجف، سقط شيء من أوله وآخره.

10- الصحيفة السجادية. كتبه بخط النسخ، مؤطر بمداد أحمر، وكتب عنواناته بخط الإجازة، ولم نتيقن من أنه بخطه، ولكنه موجود لدى حفيده السيد حسين بن علي، وقد أخبرنا أنه بخطه.

11- كامل الزيارة. لابن بابويه القمي، ورسائل أخرى، مجموعة بخطه رأيتها لدى حفيده السيد حسين بن علي.

12- كتاب الأنساب، ويُعرف بلب الألباب، لأبي الحسن الفتوني (توفي 1138هـ) نسخه البراقى نسختين، آلت أولاهما إلى مكتبة السيد حسن الصدر في الكاظمية، وآلت الأخرى إلى مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء في النجف⁽¹⁾.

13- الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية. تأليف حميد بن أحمد الهمداني. نسخه سنة 1325هـ/1907م. وتقع هذه النسخة في جزأين، في أولهما فهرس. وهي في دار المحفوظات العراقية برقم 1867 وتقع في 380 ص⁽²⁾.

وغير ذلك كثير مما تفرق في خزائن الكتب الخاصة والعامة في النجف وكربلاء والكاظمية وغيرها من المدن والقصبات.

وذكر الشيخ محمد رضا الشيبلي أن ورثة البراقى⁽³⁾ وهم يجهلون قيمة الاحتفاظ بالآثار، حملوا كتبه، وبينها مؤلفاته، ومعظمها بخط يده، ليُنَادى عليها في سوق الكتب في النجف، وذلك في شوال سنة 1333هـ/1914م فكان ذلك آخر العهد بها. والظاهر أن ما رآه الشيبلي لم يمثل كل مؤلفات البراقى، وإنما بقيت لدى أبنائه جملة كبيرة

(1) جعفر محبوبية: ماضي النجف وحاضرها، ج2 ص48.

(2) أسامة النقشبندى وظمياء عباس: مخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي، بغداد 1981، ص152.

(3) أكد لي حفيده السيد حسين بن علي أن الذي باع كتبه هو الشيخ عباس بن الشيخ جعفر الحكيم وليس ورثته.

منها، فقد ذكر لي الأستاذ علي نعمة الحلو أنه رأى مجموعة من مؤلفات البراقي المخطوطة لدى حفيد له اسمه صاحب السيد موسى سلمان، في داره الكائنة في مدينة الحيرة، وكانت تشغل (زنبيلين) كبيرين، وذلك عند زيارته له سنة 1979.

أسلوبه

ولقد انتقد مترجمو البراقي ضعف أسلوبه، وقلة بضاعته من علوم العربية، إلا أننا لم نجد ما يؤيد هذا الرأي، في أكثر مؤلفاته التي وقفنا عليها، فأسلوبه واضح ومعتاد، وموفٍ بالغرض، كما أن خطه ظل يحتفظ بقوته حتى ما قبل وفاته بسنوات معدودات، أي وهو يناهز الثمانينات من عمره.

ويبقى أن نسجل له أنه كان مؤرخاً محترفاً بطبعه، اختص بالتاريخ وحده، وهو أمر نادر في بيئاته وعصره، إذ كان التاريخ لا يُعد في أفضل الفروض، إلا إكمالاً لصورة الرجل العالم، واهتماماً ثانوياً على هامش اهتماماته العلمية الرئيسية. وفي هذا يقول الشيببي «كان جلُّ هممه مصروفاً إلى التاريخ، فلذلك استقل به واختص فيه، ولم يشارك في شيء سواه من العلوم والفنون، إلهم إلا في علمي الأنساب والرجال لإتصالهما بذلك الفن، فقد ضرب إليهما مؤرخنا بعرق عريق»⁽¹⁾. وقال السيد محسن الأمين «كان له ولوع شديد بتدوين التاريخ والبحث والتقيب عن الأخبار والآثار والحوادث»، وذكر حادثة تشير إلى شدة ضبطه للحوادث⁽²⁾. وقال الشيخ آقا بزرك «فهو الوحيد الذي صرف همه لتاريخ العراق وقضى فيه عمره، فلا غرو إذا لقبناه بمؤرخ العراق، فقد خلف مادة تاريخية غزيرة هي نتيجة حياته وثمره أتعابه وخلاصة تتبعاته»⁽³⁾.

تاريخه لمدينة الكوفة

كان لبيئة البراقي دور مهم في توجيه اهتماماته التاريخية، ففي زمانه كانت مدينته النجف قد دخلت عهداً جديداً من التوسع والعمران نتيجة لكثرة الوافدين إليها والمستقرين فيها، لا سيما من طلبة العلوم الدينية الذين يقصدونها من أماكن بعيدة غالباً، كما شهدت أيضاً استتباب حد أدنى من الأمن نتيجة لتعاظم سلطة المدن في العراق آنذاك، وغلبتها على ما حولها من ريف وبادية، ومن ثم انفتاح المدينة على ما

(1) مقدمة تاريخ الكوفة ص 7.

(2) الأمين: أعيان ج 25، ص 42.

(3) نقباء البشر ج 2 ق 1 ص 525.

حولها من مناطق، ومن تلك المناطق ما كان يحتفظ بآثار حضارات قديمة بادت، ومدن زاهرة اندثرت، ومجاري أنهار اندرست، وقبور تبعثرت، فكان ذلك يقدم مادة جديدة للمؤرخ ومحفزاً جدياً للعناية بما هو خارج عن نطاق أسوار مدينته.

ويمكننا أن نعد البراقى أول مؤرخ نجفي، بل عراقي، خرج باهتماماته التاريخية من إطار أسوار النجف القديمة، إلى فضائها الرحيب، ليؤرخ لتلك المدن الدائرة التي استطاع الإطلاع على آثارها، وفي تقديرنا فإن خروجه من ذلك النطاق كان في حقيقته خروجاً ذهنياً قبل أن يكون مادياً، فلم تعد النجف - في نظره - أسواراً قديمة مهلهلة، وبيوتاً ضيقة متراسة، وإنما عدت، كما دلت عنوانات كتبه نفسها، محوراً رئيساً لنطاق إقليمي واسع يشمل ما حول أسوارها من مدن وقصور وأديرة وأنهار وتلال وغير ذلك، مما تحفل بذكره كتب التاريخ والبلدان والتراجم وغيرها، فكان أن أفرد كتاباً عن مدينة الحيرة، وآخر في تحقيق موضعي الحنانة والثوية، وكتاباً في تاريخ كربلاء تطرق فيه إلى مواضع حولها، هي الغاضرية ونيوى وعمورية والحراء وغير ذلك من المواضع التاريخية.

وكانت مدينة الكوفة التاريخية واحدة من المواضع التي استأثرت باهتمام البراقى وجهده، وفي الواقع فإنه كان أول مؤرخ عراقي فعل ذلك⁽¹⁾، وتلك ماثرة تسجل له بكل تأكيد، أما لم لم يسبقه أحد في ذلك الاهتمام، فلأن مدينة الكوفة نفسها أمست منذ القرن الثامن للهجرة (14م) نسياً منسياً، فقد اندثرت مبانيها، وضاعت معالمها، واندرست حدودها، ولم يبق منها إلا مسجدها الأثري الشهير يقاوم عوادي الدهر وحده⁽²⁾، بينما فقدت المدينة التي كانت أول عاصمة إسلامية في العراق كل وظائفها

(1) يمكن أن نشير هنا إلى أن للسيد محمد مهدي بن السيد مرتضى بحر العلوم (1155-1212هـ/1742-1797م) رسالة في فضل مسجد الكوفة نوه بها البراقى قس مصادره (تاريخ الكوفة، طبعة أولى، النجف 1356هـ/ص82) ولم تصلنا هذه الرسالة، ومن الواضح أنها تدخل ضمن كتب الفضائل، وهي المعنية بفضائل مواقع بذاتها، وليس في كتب التاريخ.

(2) حدد البراقى نفسه في تاريخ الكوفة هذا القرن تاريخاً لخراب الكوفة، وثمة أدلة وقرائن عديدة ترجح هذا التحديد، وفي الواقع فإن بعض ملامح الخراب بدأت تبين منذ أواخر العصر الفباسي، فهذا ابن جبير لاحظ أن الخراب قد استولى على أكثرها، فالعامر منها أكثر من الفامر، ونقل ابن بطوطة هذا القول، وقال ان الخراب استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدت إليها، وخاصة أن لا سور عليها يحميها، وقد شمل الخراب أكثر مسجد الكوفة التاريخي نفسه.

القديمة، السياسية والإجتماعية والثقافية، ليغدو مسجدها مجرد محطة لاستراحة المسافرين الذين يقصدون النجف لشؤون من الشؤون. ولم يكن هذا الأمر بكاف لحت الباحثين للإهتمام بها، حتى إذا ما كادت شمس القرن الثالث عشر للهجرة (19م) أن تغيب، حتى أخذت ملامح العمران تبدو ظاهرة حوالي مسجدها، وعند ضفة نهرها، مؤلفة بلدة جديدة آخذة بالنمو والإتساع، لتشغل مواضع لم تكن حتى وقت قريب إلاً مزارع وكتباناً متفرقة⁽¹⁾، فذكرت الناس - من ثم- بأهمية هذه المواضع، ليس لما تمثله في ذلك العهد، وإنما لم تضمه من ذكريات تاريخية حفلت بذكرها الكتب، وكان أحد هؤلاء الناس مؤرخنا البراقى، إذ شرع بتتبع أخبارها، وتقصي أخبارها في مختلف المصادر والمطان، بقصد كتابة تاريخ شامل لها، يُذكر أبناء عصره بما لهذه المدينة من ماض تالد، ومجد رفيع.

ويستدل من قائمة مؤلفات البراقى التاريخية أنه خصَّ مدينة الكوفة بكتابين عنها، أسبقهما تأليفاً كتابه الذي سماه (البقعة البهية فيما ورد من مبدأ الكوفة الزكية)⁽²⁾. ومن المؤسف أنه لم يصلنا هذا الكتاب لنعلم طبيعة محتواه ومنهجه والحقب التي يؤرخ لها، ولنا أن نفهم من عنوانه انه اختص بتاريخ نشوء الكوفة وتكونها، إلا أن وصفه الكتاب في أول كتابه الثاني قلائد الدر والمرجان (المطبوع باسم تاريخ الكوفة) يدل على أنه كان أكثر سعة في تناول تاريخ المدينة. وأنه لم يقتصر في تاريخها على مرحلة محددة من مراحلها المبكرة، حيث قال «ذكرت فيه فضل الكوفة وفضل مسجد سهيل، وما ورد فيهما وأعمالهما وغير ذلك من تحديدها وبنائها ونزول القبائل فيها وخرابها»⁽³⁾.

وقوله «وخرابها» يدل على أنه لم يتوقف في تاريخها عند عصر تأسيسها، أو العصر الأموي والعباسي في أكثر تقدير، وإنما استمر في ذلك التاريخ حتى ما بعد سقوط الدولة العباسية، وهي الحقبة التي ولع بالبحث فيها، ولو وجد هذا الكتاب

(1) تاريخ الكوفة ص 457.

(2) قال آغا بزرك في نقباء البشر ج 1 ق 2 ص 526 أن البراقى ذكر أنه اختصر كتاب عقد اللؤلؤ والمرجان من كتابه البقعة البهية وقد استنتج ذلك من قول البراقى في مقدمة كتاب عقد اللؤلؤ والمرجان أنه بعدما فرغ من تأليف البقعة الزكية أحب أن يذكر فيها رسالة مختصرة نافعة من نظر فيها.

(3) تاريخ الكوفة ص 1.

لأفادنا في توضيح الظروف التي أدت إلى خراب الكوفة واندثار معالمها، وتبيين أسباب نزوح أهلها منها، وهذه بلا شك من الأمور المهمة للباحث في تاريخ العراق العمراني والاجتماعي والإقتصادي إبان القرون المتأخرة.

أما الكتاب الثاني، فهو الذي سماه (عقود اللؤلؤ والمرجان في تحديد أرض كوفان ومن سكن فيها من القبائل والعربان). وقد وصفه الشببي بقوله «وهو من أمتع آثاره ومن أوعى ما كتب عن الكوفة، وقد ألمّ فيه بتاريخها القديم والحديث إلى أواخر أيامه»⁽¹⁾. وكان حظ هذا الكتاب أحسن من سابقه، فقد وصلت مخطوطته إلى يد أديب نجفي مهتم بتاريخ مدينته، هو السيد محمد صادق بن حسن آل بحر العلوم، فسعى إلى نشره، بعد إضافة فصول عدة لم ترد في الأصل، ونشر فعلاً، بطبعتين، الأولى سنة 1356هـ/1337م، في 457 صفحة، والثانية سنة 1379هـ/1960م في 448 صفحة، وتولت طبع كليهما المطبعة الحيدرية في النجف باسم (تاريخ الكوفة).

لم يأت المطبوع ممثلاً للمخطوط، كما تقتضي ذلك قواعد التحقيق عادة، ذلك أن ناشره لم يميز بين تعليقاته وإضافاته الشخصية، وبين المتن، بل أدرج أغلب ما لديه من إضافات في المتن مباشرة، حتى بات من الصعب أن يميز قارئ بين الإضافة والأصل، إلا بطبيعة المواد التاريخية نفسها، أو نوع ما استند إليه من مصادر. وقد نبه الشيخ محمد رضا المظفر (المتوفى سنة 1383هـ/1953م) إلى هذه المسألة في مقدمته للكتاب، إذ قال أنه «زاد فيه زيادة ذات شأن يُذكر فيشكر، ونقحه تنقيحاً زاد في جماله وقيمته التاريخية حتى أصبح كتاباً مشتركاً بينهما، وإذا كان قد نسبته إلى مؤلفه الأصلي، فلأجل الإعتراف بفضل المتقدم وابتكاره للموضوع الذي كان أساساً متيناً بنى عليه هذا الكتاب فخرج وافياً بالعرض، وتعرف تصرفاته وزياداته على الأكثر في أواسط الكتاب وأواخره إذ تشم أن الأسلوب قد تغير بما لم يتفق له مؤلف في عصر السيد البراقي، ويتجلى ذلك لك عندما تقرأ المنقول عن المؤلفات التي طبعت، أو عن المقالات التي أنشئت بعد البراقي بسنين كثيرة»⁽²⁾. ومن الموضوعات التي أضافها الناشر، على ما لاحظ الشيخ المظفر، «معجم أسماء الكوفة وقراها ومحلاتها وما يتعلق بها من النواحي والبقاع والديارات والقصور» ويشغل الصفحات 134-170،

(1) مقدمته لتاريخ الكوفة ص6.

(2) مقدمته لتاريخ الكوفة ص12.

و«معجم نقبائها وقضاتها وولاتها وتاريخ حوادثها وفتتها»، ويشمل أكثر الصفحات من 134 إلى 441، فتكون هذه الإضافات نحو ثلثي الكتاب المطبوع.

وعلى الرغم من أن الناشر أعاد كتابة نص البراقي أحياناً، فإن في وسعنا تحديد الأجزاء الأصلية من الكتاب، وتشمل معظم الصفحات 1- 130، وذلك أن المؤلف كان يميز أقواله بقوله «قال البراقي»، على نحو ما كان يفعله الأقدمون⁽¹⁾، وبذلك فإنه منحنا الفرصة للتعرف على الأجزاء التي تؤلف الكتاب في شكله الأول قبل أن تمسه يد التغيير والإضافة.

وإذ كنا لا نملك نسخة من كتابه الأول في تاريخ الكوفة، وهو الذي عنونه البقعة البهية، فإنه ليس في وسعه - بالطبع - المقارنة بين الكتابين، ومعرفة ما تميز به كتابه الأخير من معلومات وموضوعات جديدة. ومن الواضح أن كليهما يبحث في موضوع واحد، فإذا كان الأول يتناول تأسيس الكوفة ومن سكنها من القبائل ثم خرابها، فإن هذه المباحث هي نفسها التي تؤلف مادة كتابه الأخير، باستثناء تاريخ خرابها، فإنه لم يتناوله في شيء، وإن كان قد تحدث عن ظهور بلدة الكوفة الحديثة في زمانه على خرائب المدينة الدائرة القديمة، وليس ببعيد أن يكون البراقي قد فصل في كتابه الأخير ما أوجزه في كتابه الأول، وزاد عليه معلومات جديدة استجدت لديه، وآراء خططية استقرت عنده، ولكن ضمن إطار كتابه (البقعة البهية). ومما يقوي هذا الاحتمال عنوان الكتاب نفسه، على ما ساقه الشيببي، فهو (البقعة البهية مختصر في تاريخ الكوفة الزكية)، فالإختصار إذاً سمة الكتاب، أما قلائد الدر والمرجان فهو - كما وصفه الشيببي - «من أمتع آثاره، ومن أوعى ما كتب عن الكوفة»، وليس في هذا الوصف ما يشتم منه سمة الإختصار بأي حال.

منهجه:

ذكر مترجمو البراقي انه كان في منهجه جامعاً أكثر منه مؤلفاً⁽²⁾، وهذا - في تقديري - مظهر عمله لا حقيقته، فقدرة الرجل كانت تكمن في طريقة انتقائه النصوص الخاصة بموضوعه، وانتخاب الروايات المتصلة به، وحرصها في سياق

(1) وهذا ما فعله في كتبه الأخرى التي وقفنا عليها.

(2) الشيببي: مقدمة تاريخ الكوفة ص3.

مقصود، بحيث يصل بالقارئ إلى تكوين فكرة عامة. وربما حملت كثرة فصول الكتاب قارئه على الظن بأنه ليس تاريخاً لمدينة بقدر ما هو موسوعة مصغرة، جمعت مواد متنوعة، أراد بها مؤلفها أن يستغني قراؤها عن مراجعة الكتب التي استقيت منها. بيد أن تحليلاً لمصمون الكتاب يكشف أن هدف مؤلفه الأول بم يكن إلا تنبيه قراء زمانه إلى أهمية الكوفة وعظم شأنها، تلك الأهمية التي غابت بغياب الكوفة طيلة خمسة قرون قبله، وما جمعه من نصوص لم يكن سوى انتخاب منظم لروايات مختلفة، لكنها تخدم هذا الهدف رأساً.

ويمكننا تقسيم تاريخ الكوفة، في أصله الذي وضعه البراقبي، على ثلاثة محاور رئيسية، كالآتي:

أ- المحور الأول: يتناول تاريخ مسجد الكوفة، فضله، قدمه، تأسيسه، تحديد مقاماته، قبلته، فضل الصلاة والاعتكاف فيه، أبوابه، وما شهدته من توسعة وتعمير.

ب- المحور الثاني : يبحث في بقية معالم الكوفة، مما ورد خبره في المصادر التاريخية، أو مما ظل موجوداً إلى أيامه، فتطرق فيه إلى مساجدها القديمة، وإلى عدد من قبور الشهداء والصالحين وغيرهم في أرضها، مثل قبر مسلم بن عقيل، وقبر هانئ بن عروة، وميثم التمار بن أبي عبيد الثقفي، وبعض المعالم الأخرى.

ت- المحور الثالث: ويتناول بعض خطط الكوفة، مثل حدودها، وتخطيطها، وتقسيمها، وأسواقها، وأنهارها المدرسة.

فهذه الخطة - كما ترى- تكاد أن تكون متكاملة، بوصفها تحقق هدف المؤلف من كتابه، ولكنها ليست كذلك إذا ما أريد بها أن تحقق هدفاً آخر، أو أن تكون خطة لكتاب شامل، يستعرض حضارتها، ونشاطاتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وما إلى ذلك من شؤون.

ولقد عني البراقبي في كتابه هذا، كما في أكثر كتبه الأخرى، بالمتابعة الميدانية لآثار المدن والمواضع التي يختارها موضوعات لكتابه، ومعنى ذلك أنه لم يكتف باختيار النصوص التاريخية من بطون الكتب، وإنما مضى فتأمل مُعطيات تلك النصوص، وعيّن ما تشير إليه، من مواضع معروفة في زمانه، ثم استدل بما هو معروف أو شاخص لتحديد مواقع ما ضاع أثره واندرس، وتعيين المواضع البائدة بحسب تسميات

الأمكنة الحديثة، فأثبت بذلك قدرته فيما يعرف بعلم الخطط، وهو دراسة المدن القديمة عن طريق الاستدلال بمواضعها المعروفة على ما هو غير معروف منها. وتلك - في تقديرنا - مزية مهمة تسجل له، إذ لم نعلم أن أحداً من مؤرخي مدينته، قد سبقه إليها. وقد لاحظ الشببي أن كان «مطبوعاً على التتقيب عن تاريخ العراق وآثاره القديمة»، وأنه من ثم «أزاح الستار عن حقيقة كثير من القبور والمزارات المنتشرة في قرى السواد»⁽¹⁾.

ووفقاً لهذا المنهج العلمي السليم، فإنه اجتهد في تحقيق، أو تحديد، مواضع كثيرة. من ذلك مثلاً أنه علق على ما شاهده الرحالة المغربي ابن بطوطة في مسجد الكوفة من آثار كثيرة بقوله: «ان ابن بطوطة شاهد آثاراً كثيرة وفي زماننا هذا ليس لها عين ولا أثر». ويبحث في حقيقة المحراب الذي ذكر ابن بطوطة أنه محراب أمير المؤمنين بأنه المحراب الموجود الآن الذي بجانب المنبر المبني بالجص والحجارة». واجتهد في تحديد موضع الزاوية التي أشار إليها ابن بطوطة بأن فيها مسجداً صغيراً «يذكر أنه الموضع الذي فار منه التور» فقال «يشير إلى الزاوية الغربية، وهي الآن حجرة كبيرة، فعلى كلامه يكون منها فار التور». وكان ابن بطوطة قد ذكر أنه في ظهر المسجد بيت يزعمون أنه بيت نوح، ويأزائه بيت يزعمون أنه متعبد إدريس، فاستدل البراقبي بذلك على أن «بيت نوح ملاصق للزاوية الغربية. ويتصل بالباب الذي ذكرنا أنه مقام نوح الذي بجانب المنبر، وهو الباب الذي يدخل منه الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى المسجد، أما متعبد إدريس فليس له الآن عين ولا أثر». وذكر ابن بطوطة أنه موضع إنشاء سفينة نوح، وفي آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب والبيت الذي عُسل فيه « فاستدل البراقبي بهذا على أن الفضاء هو الموجود ما بين بيت أمير المؤمنين وبيت نوح الذي هو ملاصق للحائط القبلي»⁽²⁾.

وأرخ البراقبي لمساجد الكوفة، فعد منها ثمانية عشر مسجداً، عدا مسجدها الكبير، منها مسجد السهلة، ومسجد بني ظفر، ومسجد غني، ومسجد جعفي، ومسجد الحمراء، ومسجد ثقيف الأشعث، ومسجد جوهر البجلي، ومسجد سماك بن

(1) مقدمته لتاريخ الكوفة ص3.

(2) تاريخ الكوفة ص17.

مخرمة، ومسجد شيث بن ربيعي، ومسجد ثيم، ومسجد بني السيد، ومسجد بني عبدالله بن رازم، وغيرها. ولم يكتف بإيراد ما ورد في الكتب عنها، وإنما سعى إلى تحديد مواضعها، وما بقي من آثارها، فقال عن مسجد الأشعث أنه «بقي منه حائط قبلته ومنارته»⁽¹⁾. وذكر أن مسجد سماك بن مخرمة «بالموضع الذي فيه الحدادون قريب منه»، وأن مسجد الحمراء «هو بمحلة النجار». وقال عن المسجد الذي بقرب القنطرة الجديدة «لا يبعد أن يكون موضع القنطرة الجديدة من الجانب الشرقي هو الآن قريب من معبر الجسر المعروف بعبرة البازول محاذاً للبلستان الراجعة إلى آل السيد رضا الرفيعي سدنة الحرم العلوي إلى القصر الذي بني فيها»⁽²⁾.

ونوه بأسماء عدد من العلويين الذين دفنوا في الكوفة ونواحيها، وحقق قبور بعضهم، وحدد مواضع قبور بعض آخر، فنقل مثلاً أن إبراهيم أحمر العين بن عبدالله المحض (المقتول سنة 145هـ) دفن بباخمرا من أعمال الكوفة. ويحث في موضع هذا القبر، حتى انتهى إلى القول بأنه «القبر الذي بقرب قرية أبو قوارير، وأهلها اليوم مكارية من الرماحية يدفنون موتاهم بقبره، أو القبر الذي في العذار بقرب الحلة السببية وهو الأشبه»⁽³⁾. وكان الحسين بن الحسن من ذرية الإمام موسى الكاظم (ع) قد «قتل بطريق قصر ابن هبيرة» فاجتهد هو في تحديد هذا المكان، حيث قال «أي إلى جنب الهاشمية في العذار»⁽⁴⁾. وتوصل إلى أن صاحب القبر المعروف بالنبي عيسى، الكائن على مسافة ثلاثة أميال عن قرية الشنافية، هو عيسى بن زيد مئتم الأشبال تحديداً، وذكر شيئاً من تاريخ عمارة هذا القبر في زمانه. كما توصل عن طريق الإستدلال الخِططي وحده إلى أن المكان المعروف في تاريخ الكوفة بالكناسة «هي الآن فيها مقام زيد بن علي، وهو مكان دفنه وحرقة، وهو عن قرية الكفل على بعد خمسة أميال»⁽⁵⁾. وأن قصر الإمارة كان يقع خارج مسجد الكوفة، من جهة قبلته، وليس بداخل المسجد، كما كان يتصور بعض أهل زمانه. فقال «ووضح من هذا أن دار أمير

(1) المصدر نفسه ص44.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه ص54.

(4) المصدر نفسه ص56.

(5) المصدر نفسه ص15.

المؤمنين (ع) يخرج الخارج منها ويدخل المسجد ولو كان موضعها من المسجد لما اتخذه أمير المؤمنين (ع) مسكناً، وأن هذا البيت بيت أمير المؤمنين لا ريب»⁽¹⁾.

ونتيجة لدراسة البراقي الخططية، فقد توصل إلى تحديد منطقة الكوفة في العصور الإسلامية، وفقاً للمواضع الماثلة في عهده، ونعتقد أنه أول من فعل ذلك، إذ قال في تعيين حدودها «أحد حدودها خندق الكوفة المعروف بكري سعد، فالحد الآخر القاضي الذي هو بقرب القائم إلى أن يصل قريباً من القرية المعروفة بالشنافية، والحد الآخر الفرات الذي هو ممتد من الديوانية إلى الحسكة إلى القرية المعروفة اليوم بأبو قوارير، وهي منزل الرماحية، والحد الرابع قرى العذار التي هي من نواحي الحلة السيفية»⁽²⁾.

وبغض النظر عن دقة هذا التحديد أو ذلك (فذلك أمر يحتمل الاجتهاد) فإن نتائج كهذه التي ذكرنا لا يمكن أن تكون إلا باطلاع واسع، وزيارات، أو جولات، عدة إلى المنطقة، وحسن نظر واستدلال.

(1) المصدر نفسه ص 16

(2) المصدر نفسه ص 111.

آراء الكشناوي في العلوم السرية

هو، كما سُمي نفسه، محمد بن محمد، الفلاني، الأشعري، المالكي (توفي سنة 1154هـ/1741م)⁽¹⁾، عالم سوداني⁽²⁾، عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة، وكان معنياً، على نحو عجيب، بتتبع كتب السحر والطلسمات وما يتصل بها، ومن المؤكد أنه كان واسع الخبرة فيها، ممارساً لأكثر فنونها، وقد صنّف فيها جملة من الكتب، هي:

- 1- بهجة الآفاق وإيضاح اللبس والاعلاق في علم الحروف والأوقاف.
 - 2- الدرر واليواقيت في شرح الدر والدرياق لعبد الرحمن الجرجاني.
 - 3- كتاب (الدر المنظوم) وهو موضوع هذا البحث.
 - 4- رحلة تتضمن ما حصل له في أسفاره.
- وله فضلاً عن ذلك كتب في المنطق والنحو والتراجم.

ويعد الكتاب الذي سماه (الدر المنظوم و خلاصة السر المكتوم في السحر والطلاسم والنجوم) أبرز مؤلفاته⁽³⁾.

يذكر الكشناوي أنه ألف كتابه هذا في أثناء مجاورته في مكة سنة 1141هـ/1728م، وذلك حين اقترح عليه أحد العلماء الذين لهم باع طويل في تلك الفنون، هو الشيخ يونس بن محمد السوداني الحوساوي الكناوي (الكشناوي) أن يقوم بتلخيص كتاب كان الكشناوي يمتلكه، عنوانه (السر المكتوم) يجمع «لأكثر الفوائد النجومية والطلسمية والسحرية والنيرنجية بأنواعها السُمّية وغيرها»، فبدأ بتلخيصه بأن حذف الزوائد والمكررات، بل زاد عليه أن «فكّ مكفلات عباراته الشبيهة بالألفاظ». ويظهر أنه أعاد ترتيبه على نمط جديد ارتضاه، مرتباً إياه على مقدمة وخمسة مقاصد وخاتمة. ولم يكن الأصل على هذا الترتيب، وغير بعيد أن يكون الكتاب كله من وضع الكشناوي،

(1) ترجم له باختصار الجبرتي في عجائب الآثار ج1 ص159 والبغدادي: هدية العارفين ج2 ص325 و Brockelman. II.p.366

وأضاف مترجموه إلى ألقابه (الدانركوي السوداني).

(2) يقصد بالسودان، في التراث الجغرافي العربي، بلاد السودان الغربي، التي تشمل في عصرنا هذا: بلاد مالي والسنغال ونايجيريا.

(3) طبع في مجلدين، في مطبعة مصطفى البابي الحلبي في القاهرة سنة 1381هـ/1961م.

ولكنه عدّ نفسه مختصراً له، تخلصاً من مسؤولية ما ورد فيه من أفكار وآراء وتجارب وعبارات قد لا ترضي جمهور القراء.

يطلق الكشناوي على المعارف الثلاث: الطلسمات، والسحر، والتنجيم، مصطلحاً واحداً، هو (العلوم السرية)، ويرر تعلم هذه العلوم بالمبررات الآتية:

1- إن المتصرفين فيه يقدرّون على تحصيل جميع ما أرادوه من الأمور، كعلاج الأمراض الصعبة البرء، التي يعجز عنها الأطباء، مثل المفلوجين والمجدومين، وكإزالة العشق.. الخ

2- إن صاحبه يقوى على قهر الخصوم من غير ممارسة وحروب «وتعريض النفس للقتل».

3- إن صاحبه قد يصير بحيث «تخبره الأرواح بالحوادث التي ستقع قبل وقوعها، ليملكه الاحتراز عن جميع المضار».

4- إن صاحبه يقدر على إنقاذ المظلومين من أيدي الظلمة الجبابة».

5- إن صاحبه «يقدر على رؤية الأشياء المتباعدة والتصرف بها».

والأمثلة والشواهد التي أتى بها لتأكيد هذه المبررات تدل على أن أغلبها يدخل ضمن نطاق علم الباراسايكولوجي الحديث، فعلاج الأمراض الجسدية يدخل في مجال استخدام ظاهرة الإشفاء Therapeutic touch، كواحدة من ظواهر القدرة الفائقة extra-sensory perception وعلاج الأمراض النفسية، أو السيطرة على الرغبات الكامنة، يدخل في مجال الإيحاء، سواء أكان في حالة اليقظة أو النوم الإيحائي (المغناطيسي) Hypnosis. والقدرة على قهر الخصوم، متأتية من إمكان التأثير تخاطرياً telepathy على تصرفات الناس وسلوكهم، وكذلك التأثير على شعورهم وصحتهم بل حتى قتلهم بواسطة قوى نفسية خارقة، ومن مسافات بعيدة (Psychokinesis أو ربما حرقهم Pyrokinesis أما القدرة على التنبؤ Precognition، ورؤية الأشياء البعيدة، فنعتقد بأنها لم تكن بعيدة عن تجاوز حازمي الزمان والمكان لبعض المتؤمنين مغناطيسياً Clairvoyancy فما ساقه من شواهد يؤيد ذلك.

وعلى الرغم من تقارب مفاهيم الطلسم والسحر والنجوم، فإننا سنقتصر هنا على مفهومه للسحر بالذات، نظراً لأهمية آرائه في تحديد هذا المفهوم ونطاقه وشروطه.

يقدم الكشناوي عدة تعريفات للسحر، ولكنه يعلن أن أشملها لفنونه أنه «علم

يستفاد من حصول ملكة نفسانية يُقَدَّر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية». ويمكن إعادة كتابه هذا التعريف على النحو الآتي: إنه علم القدرات الفائقة التي يقدر بها على إتيان أفعال غير معتادة بوسائل غير فيزيائية. وهذا التعريف - كما نرى - يقرب به إلى أن يكون داخلاً في نطاق علم الباراسايكولوجي فعلاً.

ويقسم الكشناوي القدرة النفسية التي يقدر بها على ذلك إلى قسمين:

1- قوة فطرية تحصل للإنسان من غير اكتساب، و«الذين يمتلكونها لا يُتعبون أنفسهم في تحصيل قوانين هذا العلم وأركان شرائطه»، ولكن يمكن لمن يحرزها أن يُنمِّيها، أو يشحذها، بشيء من التدريب الذي يفصله.

2- قوة مكتسبة. وتكون بخمس وسائل:

أولاً: الرياضة الروحية القائمة على الزهد بالملاذ الدنيوية.

ثانياً: تنقية القلب من الأفكار الرديئة (أي التأمل والتركيز).

ثالثاً: مراعاة حال الغذاء كمية وكيفية (أي اتباع نظام غذائي خاص يقوم على أساس نباتي).

رابعاً: استخدام أنواع معينة من العطور، والألوان، والموسيقى، للمساعدة على العمل.

خامساً: إحكام العلاقة بالأرواح الفلكية (أي الاتصال بأرواح مطلقة ثابتة، أو جان).

ويعد الكشناوي الوسيلة الأخيرة أفضل الوسائل وأهمها، والظاهر أنها تمثل عنده جوهر العمل السحري ومعنى نجاحه، ولذا فإنه يقسمها إلى أربعة أنواع، بحسب ما دلت عليه تجارب الأمم، وعلى النحو الآتي:

1- التدريب على التركيز في تلك الأرواح، ولا بأس باستخدام أشكال ترمز إليها، كوسيلة تساعد على التركيز نفسه، وهذا ما يسمسه طريقة الكلدانيين.

2- عمل أسباب مناسبة للفرض المطلوب، مثل التماثيل والعُقد التي تُعقد وينفث عليها، والكتب التي تكتب وتدفن في الأرض، أو تطرح في الماء، أو تعلق في الهواء، أو تحرق في النار، هذا مع رُقَى وأدخنة تطلق في أوقات مختارة، وهذا ما يسميه بطريقة النبط.

3- الوقوف والتضرع إلى روحانية إلى روحانية الكواكب وسيلة لتسخيرها، وهذا ما يسميه طريقة اليونانيين القدماء.

4- الإعتقاد على ذكر أسماء مجهولة المعاني، كأنها أقسام (جمع قسم أو يمين) وعزائم، بترتيب خاص، كأنهم يخاطبون بها حاضراً، لاعتقادهم أن هذه الآثار إنما

تصدر عن الجن، ويدعون في تلك الأقسام أنها تُسخر ملائكة قاهرة للجن. وطريقة
تحصيل تلك الأسماء والأقسام أما بالوحي إلى بعض الأنبياء، أو بالإلهام، أو بالمنامات
الصادقة، وهي ما يسميه طريقة العبرانيين والنبط والعرب.

وتتحدد الطرق الموصلة إلى تسخير الأرواح في ثلاثة أنواع، هي:

أ- الإستخدام. وهو أعلى الأنواع.

ب- الإستنزال. وتبرز الفائدة منه في كشف الأمور الغائبة، من سرقة أو تهمة، أو
علاج المصاب بالجان.

ج- الإستحضار، وهو أدنى الأنواع، وغاية نفعه - كما يرى - كشف الأمور الغائبة،
كالمنهوم (أي معرفة المتهم بفعلة ما). وطريقته إذا كان في البقطة يتوسط بتلبس الروح
ببدن منفعل، كالصبي أو المرأة، بأن يتشخص المتهم وترسم صورته في المرآة، أو يحصل
للصبي حالة تشبه حالة النوم، بحيث يغيب عن حواسه، وينطق في تلك الحالة باسم
المتهم. وهذا هو عين ما عرف بالتتويم المغناطيسي.

وإذا كان الكشناوي قد أشار إلى أن من فوائد ما سماه بالسحر علاج الأمراض
الجسدية والنفسية، وأن (الإستحضار) هو واحد من أهم ما يدخل في نطاق السحر،
فلنا أن نقول أن إدخال إنسان ما في «حالة تشبه حالة النوم بحيث يغيب عن حواسه»
(وهو التتويم المغناطيسي نفسه) كان يعد الوسيلة المعتمدة في تلك المعالجات، وهذا
يعني أن التتويم لم يكن يستخدم لأغراض مثل إيجاد المتهم، أو الإخبار عن المغيبات
فحسب، وإنما كان يستعمل أيضاً لعلاج المريض الذي يعاني اضطراباً في نفسيته،
فتجتاحه رغبات جامحة، أو تؤثر في سلوكه رغبات مكبوتة، تماماً كما يفعل بعض
النفسانيين في الوقت الحاضر.

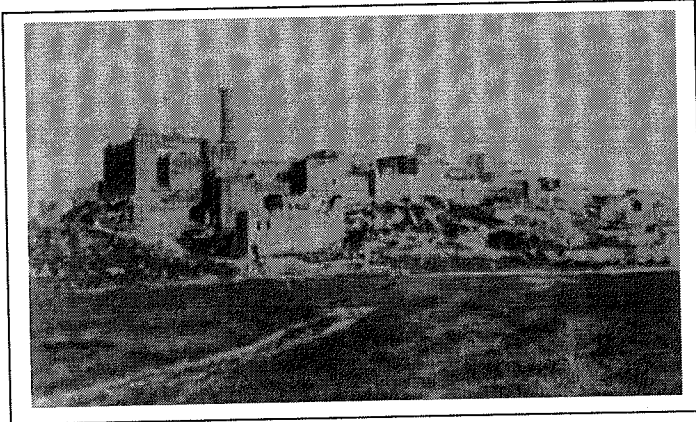
بقي لنا أن نقول: أن تفسير الكشناوي لظاهرة تجاوز النوم (بفتح الواو) لحاجزي
الزمان والمكان، يقوم على أساس (تلبس) قوة (مطلقة) لجسده (النسبي)، وهو ما
يسميه تلبس الروح (قوة علوية، أرواح فلكية، جن) ببدين منفعل (مستجيب للتلبس).

ويأتي هذا التفسير متساوفاً مع نظرة الكشناوي العامة للعلوم السرية كلها، وهي
نظرة تقوم على أن غاية هذه العلوم، هي إحداث اتصال بين نسبي (الإنسان) ومطلق
(أياً كان اسم هذا المطلق)، ثم السعي للسيطرة على نتائج ذلك الاتصال، وتسخير
لأغراض مختلفة تخدم الإنسان وتلبي مطالبه في هذا الكون.

رسالة في غلاء الموصل سنة 1297هـ/1878م

كان التذبذب الشديد بين حالتي الغلاء والرخص في أسواق الموصل يمثل انعكاساً مباشراً لطبيعة المواسم الزراعية لريف المدينة، حيث تتحكم فيها -بصفة أساسية- التغيرات المناخية المستمرة، فمنطقة كالموصل، تعتمد في ري حقولها على مياه الأمطار وحدها تقريباً، كان لابد من أن يتأثر إنتاجها الزراعي بكل ما يطرأ من تغير مناخي أو بيئي. وكان من المتوقع دائماً أن يؤدي تعرض المنطقة إلى حالة جفاف، أو أن يتأخر هطول الأمطار، فيؤدي إلى تلف المحاصيل الزراعية وأغلبها من الحبوب. بيد أن الجفاف لم يكن المسؤول الأوحده عن هذا التلف، بل قد تكون كثرة الأمطار نفسها، وتجاوزها القدر الملائم، سبباً في تلف الزرع، أو أن يؤدي البرد الشديد، الذي تتعرض له الموصل أحياناً، إلى تلف جانب كبير من المحصول، وربما ساهمت أسراب الجراد المندفعة إلى المنطقة من مواطنها الصحراوية في الجزيرة العربية، إلى أكل الحاصل، فتتفاقم الأزمة، ويعم ضررها مجتمع المدينة بأكمله.

ومن ناحية أخرى فإن للعوامل البشرية أثرها على إقتصاد مدينة تعتمد في جانب من نشاطها على التجارة، فانقطاع الطرق بسبب التمرد أو النزاعات الداخلية بين العشائر وسلطات المدن المجاورة، كان يؤدي أيضاً إلى قلة المعروض من سلعة ما، ومن ثم إلى ارتفاع حاد في أسعارها.



جامع النبي يونس في الموصل

صورة قديمة

وتكشف دراسة النصوص التاريخية التي سجلها المؤرخون⁽¹⁾ عن ظاهرة الغلاء في مدينتهم ابان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، عن تكرار هذه الظاهرة، بصفة كلية أو جزئية، في أوقات متقاربة للغاية، وربما استمرت مع اختلاف في أسبابها، عدة سنوات، وذلك ما يمكن توضيحه في الجدول الآتي:

سنة الغلاء	أسبابه	مدته
1192هـ/1778م	إنقطاع المطر	(٦)(٢)
1197هـ/1782م	إنقطاع المطر	3 اشهر ⁽³⁾
1199هـ/1784م	انقطاع المطر	- (4)
1200هـ/1785م	انقطاع المطر	سنة كاملة ⁽⁵⁾
1206هـ/1791م	انقطاع المطر	(٦)(٦)
1209هـ/1794م	الجراد- البرد- كثرة الامطار	4 اشهر ⁽⁷⁾
1210هـ/1795م	الجراد	سنة كاملة ⁽⁸⁾
1211هـ/1796م	البرد	موسم ⁽⁹⁾
1213هـ/1798م	انقطاع الطرق	(٦)(10)
1214هـ/1799م	الجراد	موسم ⁽¹⁾

- (1) ان ابرز المؤرخين الموصليين اهتماماً بهذه الظاهرة (وغيرها من الظواهر غير السياسية) هو المؤرخ ياسين بن خير الله الخطيب العمري المتوفى بعد سنة 1236هـ/1252م، لا سيما في كتبه:
 أ- الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، مخطوط.
 ب- الآثار الجليلة في الحوادث الارضية. وقد انتخب زبدته داود الجليبي ونشرنا هذه الزبدة بعنوان «زبدة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية» النجف 1974.
 ج- غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، نشره محمد صديق الجليلي (الموصل 1940).

(2) الزبدة ص 144

(3) الزبدة ص 152

(4) الدر المكنون، حوادث 1199.

(5) الزبدة ص 155.

(6) غرائب الاثر ص 26

(7) الزبدة ص 177

(8) غرائب ص 40.

(9) غرائب ص 41.

(10) غرائب ص 48.

1215هـ/1800م	انقطاع الطرق	(٤) ⁽²⁾
1219هـ/1804م	انقطاع الطرق	(٤) ⁽³⁾
1824م	الجفاف- الجراد	(4)
1826م	الجفاف	(٥)

وقد علّمت خبرات الفرد الموصلية أن يعتمد إلى خزن كميات كبيرة تزيد عن حاجته العادية من الحبوب والمنتجات الزراعية الأخرى، في كل موسم زراعي، تلافياً لما قد يواجهه في أزمات الموسم القادم وبالطبع، فإن هذا التخزين الدائم من شأنه التخفيف من حدة الأسعار في بعض المواد بازاء الطلب عليها بيد أن حدود الأزمات لم تكن مما يمكن السيطرة عليه دائماً، ففي حالة تلف المحصول، لأي سبب من الأسباب المختلفة، سنتين متتاليتين، تتجاوز الأزمة القدرات المتاحة للمدينة، وتجعلها على حافة مجاعة حقيقية، مع ما يترتب عليها من مأس اجتماعية محتملة، فإذا ما تكررت مثل هذه الحالة في أوقات متقاربة- كما يوضح الجدول- أدى ذلك إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية- الاجتماعية، وامتداد أثرها إلى الحياة السياسية نفسها .

وقد أثارت ظاهرة الغلاء الفادح اهتمام المؤرخ الموصلية ابان القرنين الأخيرين، فسجل ارتفاع اسعار بعض المواد الرئيسية في سنوات الغلاء. لكنه سكت عن تسجيل أسعارها في السنوات العادية بوصفها تمثل أمراً معروفاً من قبل معاصريه. ففي سبيل المثال، ذكر المؤرخ الموصلية ياسين بن خير الله العمري أن الغلاء الذي داهم مدينته سنة 1192هـ/1778م أدى إلى أن تباع الوزنة ونصف من الحنطة بثمانية دراهم، والوزنتان من الشعير بثمانية دراهم⁽⁶⁾، وانه في سنة 1200هـ/1785م بيع الرطل من الحنطة بدرهمين وبدرهم ونصف، والشعير الرطل بدرهم وأكثر، ورطل الملح بدرهم، والدهن بخمسة دراهم، والقطن بدرهمين وأكثر⁽⁷⁾، وان سنة 1206هـ/1791م شهدت ارتفاع سعر الحنطة إلى ريال لكل وزنيتين، ومثله لكل أربع

(1) غرائب ص 46.

(2) غرائب ص 54.

(3) غرائب ص 67.

(4) Budge. W. By Nile and Tigris, 11,P.38

(5) المصدر نفسه.

(6) زبدة ص 144 والدرهم هنا هو الدرهم العثماني المسمى آقجة.

(7) زبدة 155.

وزنات من الشعير⁽¹⁾ بيد أن المؤرخ نفسه، لم يحدد لقرائه أسعار هذه المواد في السنوات السابقة، أو اللاحقة، لتعلم نسبة الارتفاع الذي حصل بشأن كل مادة، هذا فضلاً عن استخدامه أنواعاً مختلفة من العملة التي كانت مستعملة في أسواق الموصل آنذاك، مما يزيد من صعوبة تحليل معطياته من الأرقام المذكورة.

وكان من توفيقه تعالى، أننا وقفنا على رسالة مهمة لم تتشر بعد⁽²⁾، من شأنها أن تلقي ضوءاً ساطعاً على الإرتفاع السريع للأسعار في سوق الموصل إبان النصف الاخير من القرن التاسع عشر، ومن المؤكد أن هذا الضوء يمكن أن يفيد الباحث في توضيح أبعاد هذه الظاهرة في الحقب التاريخية السابقة بوجه عام. وعلى الرغم مما يعوزنا من معلومات عن مؤلف هذه الرسالة، وطبيعة ثقافته، فإنه يكفي أن يكون المؤلف الوحيد بين أكثر من ثلاثمائة وثمانين مؤلفاً عراقياً³، عُنا بكتابة التاريخ، أو تسجيل أحداث عصرهم في الأقل، أفرد للظاهرة الاقتصادية رسالة خاصة بها، ولقد اكتفى المؤلف في توضيح هويته بأن صرح في آخر رسالته بأنها (لمحرره محيي الدين) ومن المحتمل أن تكون هذه كنيته لاغير، وبذا يكون اسمه قد غاب بصفة نهائية. وعلى أية حال، فإنه صرح بموصليته، ويظهر أنه كان أدبياً له شيء من النظم، فقد ختم رسالته ببيتين من نظمه في رثاء الموصل بمناسبة ما أصابها من غلاء فقال:⁽⁴⁾

ولما رأيتُ ما حلَّ بأهل الموصل - وأنا منهم - وما همُّ

عليه من سوء الحال على سبيل الرثاء، فقلتُ كما

رأيتُ وبالله اعتصمت:

فاضتْ مدامُ عيني ببيكائي أسفاً على ما حلَّ في الحدباء

عمرنا هذا فما أعظمه أرخوه عام قحط والغلاء

(1) غرائب الأثر 26

(2) عثرنا على هذه الرسالة بين مجموعة من (الكشاكيل) والأوراق التي كان يحتفظ بها السيد الحاج إبراهيم ونه في بغداد، وقد تفضل بالسماح لنا بتصويرها. وينظر عن آل ونة في بغداد بحثنا المعنون (خليل ونه سيرته - رحلته - آثاره) في الجزء الاول من هذا الكتاب.

(3) استندنا في هذا الإحصاء على معطيات كاتبنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2009.

(4) المخطوطة الورقة 10 - 11.

والبيت الأخير يتضمن تاريخ الغلاء بحساب الجُمَّل، وهو سنة 1297هـ/1878م⁽¹⁾ ويوافق هذا التاريخ ما سجله، في رسالته نفسها، كما سيأتي.

والرسالة بعد هذا بخط مؤلفها، وهو خط نسخ معتاد فيه بعض الإختزال، مما يظهر أن صاحبه اعتاد على أعمال السوق، من تسجيل ومسك دفاتر، وهو ما يتفق مع كلامه عما أصابه من خسارة نتيجة انخفاض قيمة النقود المتداولة في سوق الموصل. وتقع الرسالة في 11 صفحة، بمقياس 12×20 سم، وفي كل منها 14 سطراً تقريباً، وهي خلو من العنوان.

وتقدم الرسالة أسعار عدد كبير من المواد الغذائية «من الغلال والخضروات والبقاليات واللحوم في حال رخصها وعدم غلائها، وذلك من أواسط سنة ست وتسعين ومايتين وألف (التي) فيها الترقى والتزايد إلى ساعة التاريخ» أي إلى تاريخ كتابة هذه الرسالة.



سوق في الموصل 1916

استخدم المؤلف، في تحديده مقادير المواد المختلفة الأوزان الآتية:

(1) ثمة قصيدتان بالسريانية، في وصف هذا الغلاء والقحط الذي أصاب الموصل سنة 1897 ضمن مجموعة خطية في خزانة الرهبانية الكلدانية في بغداد، احدهما للراهب كوريال داود اللقوشي، والآخرى لكاتب غير معروف.

8	-	1.5	نخالة حنطة منخل
6	-	2 أوقية	دقيق ارز منخل
30	-	الحقة	خبز حنطة
15	-	الحقة	خبز شعير

ثانياً: البقالية

المادة	الوزن	أسعار الرخص بالقرش	أسعار الغلاء بالقرش
عسل	المن	40	150
حلو	المن	5	65
طحينية	المن	5	120
زبيب أحمر	المن	5	40
زبيب أسود	المن	15	80
تمر قَوْصَرَه ⁽¹⁾	المن	5	100
تمر قصب ⁽²⁾	المن	5	100
تين هوى	المن	10	65
تين سنجار	المن	10	75
جوز	المن	5	104
لوز	المن	6	150
قَيْسِي (المشمش)	المن	5	65
حبة خضرا (مال سعرد)	المن	40	55
بُطْم	المن	5	75
فستق	المن	7	65

(1) القَوْصَرَة وعاء من قصب يحفظ فيه التمر بعد كبسه، وتعرف أيضا باسم (خصاف).

(2) القسب هو التمر المجفف يتفتت في الفم.

55	20	المن	بندق
55	15	المن	قضامي
40	6	المن	سسى
52	2	المن	ملح
45	6	المن	سماق
50	10	المن	حب رمان
55	8	المن	حصرم
	8		رمان حلو
55	4	المن	رمان حامض
50	6	المن	نومي حلو
50	6	المن	نومي حامض
45	20	المن	انجاص ماردين
-	20	المن	قمر الدين
-	2	المن	بلوط
55	2	المن	كسب
80	20	المن	حلاوة راشية
220	40	المن	دهن غنم
200	20	المن	توتون

ثالثاً- الخضروات

المادة	الوزن	أسعار الرخص بالقرش	اسعار الغلاء بالقرش
بصل	الوزنة	2	25
الشلجم	الوزنة	2	12
شوندَر	الوزنة	-	25
سلق	الوزنة	-	25

جَزْر	الوزنة	-	25
فجل	الوزنة	-	12
كرفس	الوزنة	4	40
قرع	الوزنة	1	22
كعُوب	الوزنة	2	15

رابعاً - اللحوم

المادة	الوزن	اسعار الرخص بالقرش	اسعار الغلاء بالقرش
لحم غنم	اوقية	1	12
لحم بقر	اوقية	-	8
لحم جمل	اوقية	-	4
لحم القيمة	اوقية	4	-
شحم	اوقية	4	140
سمك	اوقية	2	6
معلق	-	-	5
رأس وكرش	-	-	10
غنم	-	-	40
رأس وكرش	-	-	المعلق 15 المصارين 6
بقر	-	بارة	8
معلق بقر	-	4	15
ومصارين	المن	20	175
بيضة	اوقية	-	لبن غنم 7
دجاجة	المن	25	180
إلية غنم	المن	40	140
شيريح	-	1	4
لبن	-	2.5 بارة	2
زيت	الوزنة	-	5
شمع	الحمل	10	50
مصارين	-	-	2
غنم	-	-	-
قرية الماء	-	-	-

تظهر هذه الجداول أن ارتفاع الأسعار كان يتخذ شكلاً عاماً يشمل جميع المواد الزراعية والحيوانية بلا استثناء، المنتجة في الموصل أو المجلوبة من الولايات الأخرى على حد سواء، إلا أن الغلاء في الحبوب (وهي منتوجات الموصل غالباً) يكون أشد، حتى يصل في محصول الحنطة ثلاثين ضعفاً، وفي الشعير إلى 99 ضعفاً، وفي الذرة مثل ذلك، وفي العدس إلى 52 ضعفاً، وفي الحمص إلى 23 ضعفاً، بل يصل في التبن، وهو مجرد ناتج ثانوي عن عملية الحصاد، إلى 75 ضعفاً، بيد أن الأسعار تقل نسبياً في السلع الأخرى، وبخاصة في الفواكه المجلوبة من خارج الموصل كالتمر والتين والقيسي والنومي (الليمون) والإنجاص. الخ مما يدل على أن الأزمة كانت في حقيقتها زراعية، تتعلق بحالة الجفاف التي أضرت بمحاصيل الموصل، أكثر منها أزمة تجارة ومواصلات، إلا أنها سرعان ما انعكست -بعد شهور قليلة- على هذا المجال أيضاً كما سيأتي.



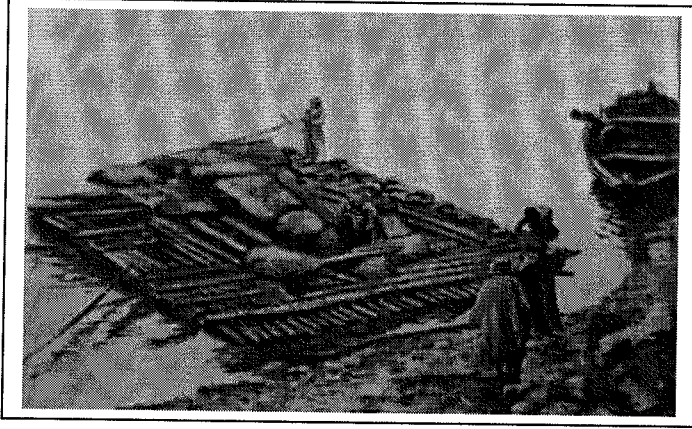
سوق قديم في الموصل

أسباب الغلاء

ويوضح مؤلف الرسالة أسباب الغلاء الذي داهم الموصل، على هذا النحو، فإذا بها أسباب طبيعية يمكن إجمالها بالآتي:

- 1- قلة وقوع الامطار
 - 2- كثرة الحر
 - 3- الوخامة أيام الحصاد
 - 4- البرد الذي يهلك دواب النقل والماشية
- وأسباب بشرية، هي:

- 1- إمتناع الولايات المجاورة عن تصدير كميات كبيرة من الحبوب، تعويضاً عن نقصها الشديد في سوق الموصل.
- 2- الخفض المفاجئ لسعر العملة
- 3- فرض إتاوات غير قانونية على قوافل التجارة.
- 4- توقف حركة نقل السلع بسبب البرد الشديد وتجمد نهر دجلة مما يؤدي إلى تعطل وسائل النقل النهري.



الكلك وسيلة قديمة للنقل النهري

يقول: «وسبب وقوع هذا الغلاء العظيم الذي لم يُسمع بوقوع مثله فيما مضى في الكثير من السنين، قلة وقوع الأمطار زمان الربيع، وكثرة الحر والوخامة أيام الحصاد، فحصل للزرع الشطف⁽¹⁾ وقلة الحنطة والشعير فقلت أثمانهما، وازداد سعرهما في بلد الموصل في ذلك (ان) غلال الموصل لازال يذهبون بها إلى هذين البلدين، خصوصاً إذا احتاجوا إلى ذلك، فمَنع شراء الذخائر من ديار بكر واليها [في] ذلك اليوم عزت باشا، وكذلك منع الشراء من بغداد واليها في ذلك الوقت عبد الرحمن باشا⁽²⁾ حذراً على أهل بلديهما من الإحتياج، فترقت⁽³⁾ قيم الغلال، وكذا البقالية وما أشبهما في الموصل، وضجت العامة، واستمدوا من الدولة أن يحرروا إلى والي ديار بكر كتاباً حتى يعطي

(1) الشطف: لفظة آرامية تعني تعرض الزروع الى لفة هواء تضر بها .

(2) تولى عبد الرحمن باشا ولاية بغداد مرتين، الاولى من 16 رمضان 1292 الى 23 ربيع الاول 1294

هـ والثانية، وهي التي يعينها المؤلف، من 12 ربيع الاخر 1296 الى غرة ذي الحجة 1297هـ

(3) ترقّت : تصاعدت

الرخصة في شراء الغلال وتسييرها وجلبها إلى هذا الطرف، فمنع الوالي من ذلك⁽¹⁾. فاشتد الأمر على الأهالي واضطربوا غاية الاضطراب، فاستغاثوا بالدولة ثانياً، فكررت الدولة الأمر على الوالي الموما اليه فتعلل، وبعده اظهر الامتثال في الظاهر فأعطى الرخصة، ثم في الخفية أمر على الغلال التي اشتراها أهل الموصل وسيرتها من يقف على طريق الماء من الرعايا، حتى إذا مرّت بها أخذوها ولم يتركوها تصل إلى الموصل، فغظم الخطب على أهل الموصل وضاق الخناق، وآل بهم الأمر إلى أن أكلوا الدم والجيف والميتة، واستجدوا من الدولة واستغاثوا بها واستجلبوا الأمر منها إلى عزت باشا وكرروا الطلب، فلما أعطى الوالي الرخصة في المكيل، وتكثرت أهل الموصل الغلال، وأتوا بها إلى شاطئ دجلة، اشتد البرد ونزل الثلج حتى جمد هنالك الماء، ووقفت الكلكات عن السير، فجنحت الناس إلى دواب نقلية فلم يتيسر لهم ذلك لأن الجمال والخيل والبغال قد وقع فيها ذلك موت عظيم والباقي لا قدرة له على الحمل من قلة العلف وقلة العشب. والى ذلك الوقت من بغداد أيضاً ما جلب شيء، وفي هذا الاثناء أيضاً حصل موت عظيم في الأغنام بحيث لم يسلم منها إلا القليل، واستمر الحال على هذا المنوال، و[مات]⁽²⁾ الناس من الجوع، وباعوا [كل ما]⁽³⁾ ما ملكوه حتى باع البعض أولاده.

وفي هذه الأثناء، ورد الأمر السلطاني بتتيزيل المسكوكات، حتى أن البعض صار الغرش في نصف الغرش، فليتأمل الناظر في حال ما قاسته أهالي الموصل⁽⁴⁾. مثلاً من كان عنده غرض قيمته أربعمائة غرش وفي هذه الايام باعه في مائتين، وصاح الدلال على الدراهم ونزلت، فصارت المائتين مائة فشري وزنة حنطة، فمثل هذا الفقير صارت وزنة حنطته بأربعماية غرش فكيف حال هذه الأقوام ساعدهم الله وكشف عنهم هذا الامر الجسيم، ولهذا تفرقت الأهالي شذر مذر، وذهبوا إلى كل جهة، ودام الحال كذلك إلى أواخر شهر شباط من هذه السنة، فجاءت الأمطار العظيمة ونبت العشب، وقدمت الكلكات من أطراف ديار بكر محملة بالحنطة. وعملت أهل الموصل قُرُنات⁽⁵⁾ للخبز وباعوه على الناس، واستمروا على ذلك، إلا أن الغلاء باقى على حاله.

(1) الاصح قوله: فمنع الوالي ذلك

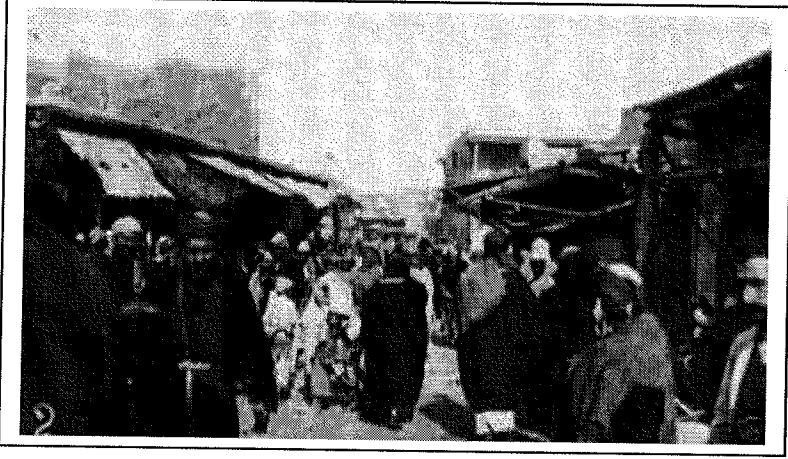
(2) في الاصل: موت

(3) في الاصل: كلما

(4) في العبارة ركة ظاهرة، وهو يشير الى تخفيض سعر صرف القرش في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، نتيجة لخفض نسبة الفضة فيه.

(5) قُرُنات، يريد أفران، جمع فرن.

وفي هذه الاثناء قدمت الجمالة بالتمر والأرز من بغداد وباعوه بأغلى ما يكون حيث أن فرحان باشا شيخ شمر⁽¹⁾ يأخذ من كل قافلة مرّت به النصف، فامتعت التجار عن الجلب ولولا ذلك لباعوه رخيصاً .



سوق قديم في الموصل



صف من الدكاكين في الموصل قديماً

(1) هو فرحان باشا بن صفوق، شيخ مشايخ شمر الجرية في العراق، ارسل، اثر اغتيال ابيه: الى استانبول حيث درس هناك، وعندما عاد بعد سنوات تسلم مشيخة شمر ومنح لقب (باشا) واتخذ من قلعة قرب قضاء الشرفاط، على دجلة، مستقراً له. وفي عهده انقسمت شمر الجرية الى قسمين، أحدهما تبعه، والآخر تبع أخاه عبد الكريم الذي كان اميل الى المحافظة على تقاليد القبيلة البدوية، وكانت وفاته ببغداد سنة 1905 ودفن في مقبرة الشيخ معروف.

مخطوطة كلدانية في المكتبة القادرية!

ليس غريباً أن تجد مخطوطة كتبها كاهن أو راهب في مكتبة ملحقة بإحدى الكنائس أو الأديرة، فهذا ما يتوقعه كل أحد، لكن الغريب حقاً أن تجد مخطوطة تضم عدة كتب ألفها أو وضعها آباء للكنيسة في مكتبة للمخطوطات الإسلامية ملحقة بمسجد أو زاوية مثلاً. هنا علينا أن نتساءل: كيف وصلت هذه المخطوطة، ولماذا وصلت، ومن هو المستفيد منها في هذا المكان؟ ولنقترب من الموضوع أكثر، فالمكتبة القادرية الملحقة بجامعة السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني في بغداد واحدة من أهم المكتبات الإسلامية ليس في بغداد وحدها، وإنما في العراق كله، لما ضمته من كتب متنوعة في مختلف حقول المعرفة الإسلامية، وأهم ما تحويه هذه المكتبة خزانة نادرة إحتوت على مجموعة كبيرة من أكثر المخطوطات قيمة وأهمية، وهي بالطبع تبحث في العلوم الإسلامية أيضاً، آلت إليها من مصادر شتى، فبعضها أهدى إليها مباشرة، وبعضها الآخر آل إليها من خزائن كتب موقوفة، أعيد وقفها على المكتبة بعد إندثار تلك الخزائن، ومنها ما تولى القائمون على المكتبة نسخَه من أقطار العالم الإسلامي، خصيصاً لها في عهود متعاقبة. وقد كان لي شرف إعداد فهرس وصفي شامل لمخطوطات المكتبة في سبعينات القرن الماضي، صدر في خمسة مجلدات كبيرة في السنوات 1974-1980.

ولقد لفتَ نظري في أثناء إعداد هذا الفهرس وجود مجموعة خطية كلدانية تضم أكثر من كتاب واحد، تتناول موضوعات مسيحية بحتة، فتفحصتُ المجموعة عسى أن أجد في ثناياها، أو في أولها، ما يشير إلى طريقة انتقالها إلى المكتبة شراءً أو إهداءً أو نسخاً، فلم أجد شيئاً من ذلك، فسألت السيد أمين المكتبة والقائمين عليها عن ذلك، فلم يكن لديهم جواب على سؤالي ولا الزمن الذي وصلت فيه المخطوطة إلى هذه المكتبة، فهذه المخطوطات ترقى إلى عهود بعيدة، وقد آلت من مصادر متنوعة للغاية، وحينما سُجلت في خمسينات القرن الماضي لم يكن ممكناً تسجيل مصدر كل مخطوطة منها لعدم تسجيله في حينه⁽¹⁾.

(1) عن تاريخ هذه المكتبة ومصادر مخطوطاتها يُنظر كتابنا الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج1، بغداد 1974، ص23-30.

وعلى أية حال فقد قدرنا أن مسلماً قد وقع على هذه المخطوطة في مكان ما، ربما في الموصل أو في بغداد، فلم يجد مكاناً يحفظها فيه، من احتمالات النهب والتعدي عهد ذلك، غير هذه المكتبة، فأهداها إليها⁽¹⁾.

تحتوي المجموعة الخطية على ثلاثة كتب كُتبت جميعاً بخط النسخ، عدا العنوانات، فبخط الثلث، وصفحاتها مجدولة، أي مؤطرة، بمداد أسود كما جرت العادة في المخطوطات المهمة. ولحسن الحظ كتب ناسخها اسمه الصريح في آخرها، وهو بطرس بن أنطون بشارة، وقد فعل ذلك «لأجل الكاهن خوري أندراوس بن خوري يوسف هندي ببغداد» وفرغ منها في يوم الجمعة 3 أيلول سنة 1830م، على عهد البابا بيوس الثامن، والبطيريك مار يوحنا، فالإشارة هنا إلى ثلاث شخصيات متعاصرة، أولها الكاهن أندراوس، وهو ابن البطيريك يوسف الخامس هندي بطيريك آمد على الكلدان (تولى البطيريكية من سنة 1804 إلى أن توفى سنة 1828)، وثانيهم البابا بيوس الثامن، واسمه كزافييه كاستيليوني، أسقف مونتانتو، فكردينال، وقد تقلد الحبرية عشرين شهراً، بين سنة 1829 وسنة 1830، وثالثهم: مار يوحنا، وهو يوحنا هرمزد، بطيريك الكلدان من سنة 1830 إلى وفاته سنة 1837، وهو آخر من تولى البطيريكية من أسرة (أبونا) الوراثة، وقد أصبح مقرها في عهده مدينة الموصل⁽²⁾.

ومقياس المجموعة هو 30,5 × 20,5 سم.

أما الكتب التي تتألف منها فهي:

1- مختارات من الأناجيل.

(1) ومما تحتفظ به هذه المكتبة مجموعة خطية مصورة أصلها في المكتبة الفاتيكانية في روما، أهداها السفير البابوي في بغداد إلى السيد يوسف الكيلاني، متولي الأوقاف القادرية، بتاريخ 23 آذار 1968، ومنه انتقلت إلى المكتبة القادرية، وهي اليوم محفوظة فيها تحت العدد 673، وتتضمن المجموعة رسالتين هما 1- رسالة في خواص فاتحة الكتاب، تأليف الشيخ عبد القادر الكيلاني 2- مختصر في علم الدين، له أيضاً. والسفير المذكور هو المونسنيور بيران (1966- 1970) وكان أول سفير للفاتيكان في بغداد، حيث تم التمثيل الدبلوماسي بين الطرفين سنة 1966، وقبل هذا التاريخ كان يمثل الفاتيكان قاصد رسولي، وآخر من شغل هذا المنصب قبل تبادل السفراء، أرماند اسطيفان دوشبلا، رئيس أساقفة اللاتين في بغداد، وقد شغل القصادة الرسولية من 1948 إلى 1966.

(2) كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975، ص 339.

وهي مما يتلوه المسيحيون قي الكنائس، إختارها ورتبها على حسب أيام السنة مار يوسف [أوغسطين] الخامس [هندي]، بطريرك بابل على الكلدان (هكذا كان يلقب، مع أن مقر كرسيه البطريركي آنذاك في ديار بكر، وقد تولاه من سنة 1757 إلى 1781م)، ويشير الكتاب وحده إلى نزعة مبكرة لإتخاذ هذا اللقب التاريخي في وقت لم يكن للكلدان تلك الكثافة والثقل في بغداد⁽¹⁾، ومن المعلوم أن انتقال البطريركية إلى بغداد جرى بعد قرنين كاملين (وبالتحديد سنة 1958).

وأول هذه المختارات «يوم عيد (خرم) من بشارة مار متي في ذلك الزمان خرج يسوع من الهيكل».

وآخرها «ومن حلف بالأسماء فهو يحلف بكرسي الله وبالجالس فوقه».

الأوراق 1- 59

2- كلندار

وهي لائحة بالفصول والشهور والأيام وأعياد السنة ومناسباتها بحسب طقس طابفة الكلدان (الكنيسة الكلدانية).

أولها «شهر كانون الأول، أيامه واحد وثلاثون يوماً، ساعات نهاره تسع ساعات، وساعات ليله خمس عشرة ساعة، اليوم الأول منه صوم الميلاد».

وآخرها «هو ذكر أن ماري أوكين الطوبايي ورفقت الإثنين والسبعين».

الأوراق 55- 57

29 سطرأ

3- حساب معرفة السنين وعيد الفصح

وهي لائحة بأيام الأسبوع التي تكون أعياداً للفصح ومناسبات للصيام، وتشمل السنين من 1831 إلى 1851م. وبما أن هذه المدة تتجاوز تاريخ نسخ المخطوطة نفسها فمن الراجح أن الناسح أضاف إليها بعد فراغه منها مناسبات العقدين التاليين.

(1) كان بطريرك ديار بكر يسمى إلى توحيد الكنيسة الكلدانية تحت رئاسته، إلا أن وفاته سنة 1828م حالت دون ذلك، وجرى تعيين يوحنا هرمزد مطراناً على الموصل، وفي 1830 أقرت روما يوحنا هرمزد بطريركاً عاماً وحيداً على الكنيسة الكلدانية برمتها. أوجين تسييران: خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية، ترجمه عن الفرنسية سليمان الصائغ، الموصل 1939، ص132 ويوسف غنيمية: بطاركة الكلدان، مجلة النجم ج3 (1930) ص97.

أولها «آدم 7339 المسيح 1831 قاعدة القدس 38 بارامون الميلاد الاربعاء جمع
الدينح 8»

وأخرها «الفصح 8 نيسان، صوم الرسل 35، عيدهم الجمعة»

الاوراق 57-58

29 سطرا

والمجموعة المخطوطة بعد هذا، محفوظة في المكتبة تحت العدد 1418

السيد علوان السامرائي رائد صناعة السلاح في السعودية بحسب تقرير سري

ثمة رجال أغفل ذكرهم التاريخ، وسكت عنهم الرواة، فلم يعرف الناس عنهم شيئاً، وبات خبرهم نسياً منسياً، وإذا بوثيقة تظهر، أو نص يُنشر، تكشف فجأة عن أولئك الرجال المجهولين، ويوضح مدى تأثيرهم في حوادث عصرهم، وما قاموا به من مهم الأعمال.

والسيد علوان السامرائي أنموذج واضح على أولئك الرجال الذين نسيهم التاريخ، وكان يمكن أن يكون حديثه مطويماً، لولا أن وقفنا على بعض جوانب حياته المفعمة بالحوادث في وثيقة مهمة بعث بها نائب القائم بأعمال المفوضية الملكية العراقية من جدة إلى وزارة الخارجية العراقية بتاريخ الثامن من آب سنة 1932. وعلى الرغم من قلة المعلومات التي أوردتها هذه الوثيقة، وسكوته عن كثير من التفاصيل، فإننا نستطيع أن نتلمس، من خلال المعلومات المتاحة، أهمية الرجل، وجسامة الحوادث التي شارك فيها، والعلاقات التي وصلت بينه وبين الشخصيات البارزة في عصره. وعلى أية حال، فإن الوثيقة شجعتنا على المضي في تتبع أخبار الرجل، وتسقط المعلومات عنه، وتصحيح ما ورد في الوثيقة نفسها أحياناً، حتى تكاملت عندنا صورة ذلك العراقي النابه، فإذا به أحد رواد الصناعة العسكرية في الشرق العربي، إبان الثلث الأول من القرن الماضي.

وتصرح الوثيقة بأن اسم السيد علوان الكامل، هو علوان بن السيد بن السيد محمود بن الشيخ أمين السامرائي، والذي نعرفه أن جده الشيخ أمين كان أحد صلحاء عصره في سامراء، وهو ابن يوسف الحلبي الذي قدم إلى بغداد رفقة والي حلب علي رضا باشا اللاز سنة 1831م، ويوسف هذا هو ابن نعمان بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن محمد بن عثمان بن عبد الله الشريف، وكانت أسرته تعد إحدى أعرق أسر السادة الأشراف في حلب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد).

وبحسب معلوماتنا المستمدة مما تحتفظ به أسرته من وثائق في بغداد، فإنه تزوج من ابنة عمه الحاجة خديجة بنت الحاج صالح الشيخ أمين، وأنه أنجب منها من

الذكور لظفي وعبد الجبار، والأخير هو والد الدكتور فائق السامرائي، ومن الإناث: فخرية ولطفية.

أقام السيد علوان في البصرة مدةً من الزمن قبل ذهابه إلى الحجاز، وكان عماء السيد أحمد، والسيد علي، ولدا الشيخ أمين، قد قاوما البريطانيين في أثناء احتلالهم العراق، فتم نفيهما إلى مدينة (كانه) في الهند، مما أدى إلى أن يصادر البريطانيون بعض أموال السيد أحمد في البصرة، كما صادروا أموال السيد علي في مدينة العمارة في جنوبي العراق.

وتفيد الوثيقة أن السيد علوان كان مقيماً في الحجاز خلال حكم الدولة العثمانية، وأنه حارب في صفوف قواتها في حربها على القوات السعودية الزاحفة على الحجاز، أما معلوماتنا فتشير إلى أنه حارب في صفوف قوات الشريف حسين بن علي ضد تقدم القوات المذكورة. وتوه الوثيقة بأنه اتصف بالقوة وشدة المراس، وأنه عرف بفتكه بأعدائه والتتكيل بهم، ولا تشير الوثيقة إلى تفاصيل أخرى عنه في تلك المرحلة من حياة السيد علوان، والظاهر أنه استقر بعد ذلك في الحجاز، ولم يغادره حتى بعد دخول القوات السعودية إليه، إثر انهيار حكومة الهاشميين وانسحابها منه نهائياً. وأغلب الظن أنه حظي باحترام النظام الجديد، بسبب طبيعة ما كان يؤديه من عمل تحتاجه البلاد، فقد تخصص السيد علوان بإصلاح الأسلحة النارية، التالفة منها والمعطوبة.

ثم أنه أنشأ معملًا في مكة لهذا الغرض، وقد بلغ هذا المعمل حداً كبيراً من سعة الإنتاج، حتى وصل عدد قطع السلاح التي أصلحها لحساب الحكومة وحدها نحو 14000 قطعة. ومن الواضح أن إصلاح هذا العدد الكبير من الأسلحة، كان يقتضي التصنيع الناجح لأعداد ضخمة من أجزاء الأسلحة التالفة، بما يعنيه ذلك من أعمال صهر وصب في القوالب الخاصة بها، وهذا ما كان يضعه في طليعة الصناعيين العرب في تلك الحقبة، وربما كان العراقي الوحيد الذي أنشأ مصنعاً للسلاح في خارج وطنه في ذلك العهد.

وتغاضى الملك عبد العزيز آل سعود عن ماضي السيد علوان السامرائي المعادي للسعوديين، بل أنه قربه منه، وقد شهد الشيخ يوسف ياسين، أحد موظفي الخارجية السعودية في الثلاثينات، للقنصل العام العراقي بأنه كثيراً ما كان يرى الملك عبد

العزیز یمازح السید علوان، ویزکره بما کان یقوم به فی أثناء مشارکته فی الحرب علی السعودیین، بل أنه کان یکن له احتراماً خاصاً. وقد عد من وجهاء العراقیین فی الحجاز، لاسیما بعد أن تزوج الشیخ علی العماری⁽¹⁾، مدیر شرطة جدة، من ابنته فخریة.

ویبدو أن أمراً ما أدى إلى تنقلب الأمور علی السید علوان، ففي أحد أيام شهر تموز من سنة 1932م، أوقفته شرطة جدة بحجة أنها عثرت علی بعض البنادق فی مخزنه، مع أن مهنة الرجل هی تصنع السلاح وإصلاحه، وهو یتولی ذلك للحكومة علناً، وأن الأخيرة كانت مدینة له بقيمة إصلاحه آلاف القطع من السلاح. ویری نائب القائم بأعمال المفوضیة، وهو مُعد التقرير، أن سبب توقيفه هو مراجعته للمفوضیة العراقیة فی جدة بین حین وآخر، وهذا الأمر «محرم بعرف الحكومة المحلیة». والظاهر أنه کان متهماً بالتعاون مع سلطات المفوضیة من حیث تزویدها بالمعلومات السیاسیة والعسکریة، وهی المعلومات التي كانت السلطات المحلیة ترى انها ذات طابع سري یتوجب کتمانہ.

ونقرأ فی التقرير⁽²⁾ المؤرخ فی 8 مایس 1932 تفاصيل عن السید علوان السامرائی وما تعرض له من السلطة آنذاك، حیث یشیر الی «رجل سوري لم أعرف به (الضمیر لکاتب التقرير) یدعی خالد الحکیم⁽³⁾» أنه «یشتری لحكومة الملك عبد العزیز السلاح من بولونیا، و السلاح قديم وعندما یصل الی مكة یقال (خرب

(1) یذكر التقرير المؤرخ فی 8 مایس 1932 المحفوظ فی المركز الوطنی للوثائق فی بغداد، ملفات البلاط الملكي، الملفة 749، الوثیقة رقم 3، الی أن علی المذكور (ویسمیه العماری) کان معاوناً لقائمقام جدة، وأنه نسیب السید علوان السامرائی، وأنه أنشأ له قصرأ «خارج سور جدة بعدة آلاف من الجنیهاة» وقد تملکته الحكومة وجعلته قصرأ ملكیا باسم (القصر الاخضر) مما دعا بصاحبه الی المطالبة بتعویض قدره (11000) جنیه.

(2) المركز الوطنی للوثائق فی بغداد، الملفة 749، الوثیقة نفسها. وقد نشرنا نصوص هذه الوثائق فی کتابنا: المملكة العربیة السعودیة بین الحربین العالمیتین، فی تقارير القنصلیة العراقیة فی جدة، دار دجلة، عمان 2005.

(3) هو خالد بن یاسین الحکیم، ولد فی حمص سنة 1878، وتعلم بالاسنانة، والتحق بثورة الشریف حسین، ثم یابنه فیصیل فی سوريا، وبعد سقوط الحكومة العربیة، التحق بالملك عبد العزیز آل سعود، وصار من أقرب مستشاریه، ثم تویف بدمشق سنة 1944. الزرکلی: الاعلام، الطبعة 15، 2002، ج 2 ص 300.

وتصدى في الطريق) فيحضر السيد علوان السامرائي العراقي المتخصص باصلاح الأسلحة ويدعى لتعميرها، فيؤسس المعمل اللازم ويجلب الأدوات الضرورية وينفق لذلك مبالغ طائلة ويزود نجد بـ(12000) بندقية في العام الماضي، وعند الإنتهاء يحتلون المعمل باسم الحكومة ويقال له (إرسل الكشف ننظر به بعدين) وهكذا خرج هذا البائس صفر اليدين بعد أن أنفق من ماله ما يساوي ثلاثة الاف جنيه».

واجه السيد علوان، نتيجة عمله هذا، إحدى ثلاث عقوبات، إما الإعدام، أو النفي، أو الجلد بالسوط، ولذا فقد بادرت المفوضية العراقية في جدة إلى التدخل في الأمر، ومفاتيحة الشيخ يوسف ياسين بشأنه⁽¹⁾، والسعي لإصدار جواز سفر عراقي له إظهاراً لعراقيته، للحيلولة دون مواجهته إحدى تلك العقوبات الفادحة.

ومن المؤسف أن تقارير المفوضية العراقية التالية خلت من الإشارة إلى حياة هذا العراقي، فلا نعلم مصيره بعد ذلك التاريخ، وعلى أية حال، فإننا نعلم، بناءً على معلومات أحفاده، أنه توفي في الحجاز، وأنه دُفن فيه، أما أولاده فقد عادوا إلى العراق، ولهم اليوم أحفاد يعيشون في بغداد وسامراء.

(1) من كبار موظفي حكومة الملك عبد العزيز، سوري، ولد في اللاذقية، ونال تعليماً رصيناً في مدارسها الدينية والرسومية، والتحق أولاً بالأمير عبد الله بن الحسين، ثم انضم إلى الملك عبد العزيز آل سعود، ونال ثقته، فتولى منصب رئيس الشعبة السياسية في ديوانه، ثم وكيلاً لوزارة الخارجية، وأصدر جريدة (أم القرى) الرسمية، وتوفي في الدمام سنة 1962. الأعلام ج8 ص 252

في التصوف

مساهمة في التفسير السياسي للظاهرة الصوفية

مقدمة

هذه أفكار أردنا بها المساهمة في تفسير العلاقة المعقدة التي وصّلت بين التصوف، كظاهرة روحية، وبين الواقع السياسي (وبضمنه الاجتماعي والإقتصادي) وذلك من خلال تتبع ثلاثة مسارات، أولها المسار التاريخي، وثانيها المسار الفكري، وثالثهما: المسار الصوفي، بوصف هذه المسارات تمثل خطوطاً متوازية هي نتاج التفاعل بين الفكر والواقع، وبكلمة أخرى فإن هدف هذه الورقة هو توجيه نظرة جديدة إلى الفكر الصوفي تضعه بين غيره من العلوم التاريخية وليدة التفاعل بين الفكرة والواقع، وليس فكراً مجرداً تأملياً هائماً.

أولاً: نظرة في تطور الواقع السياسي للدولة الإسلامية

1- بدأ المجتمع حياته السياسية حراً

كانت المجتمعات الإسلامية في أول نشوء الدولة مجتمعات حرة، تعترف للفرد منه بحقوق كثيرة، أهمها حرية تقرير السياسة ونقدها، والوقوف ضدها، وحرية التعلم، وحرية التفكير عموماً.. الخ، وكانت هذه الحرية من صفات المجتمعات القبليّة السابقة، الذي هو أقرب بطبيعة الحال إلى مجتمع الإنسان البدائي الأول، واعترافه بفردية، بطابع من الفوضوية القديمة.

2- الحرية السياسية تؤدي إلى الثورة الدائمة على الواقع، ولا تعترف بأية قيمة مطلقة له

ولم يكن المجتمع يعترف لذلك بوجود أية سلطة مطلقة، ولا بأية قيمة مطلقة، ولم يكن يستطيع- بحكم حريته شبه التامة- أن يرى في الواقع أمراً مفروضاً، أو حقيقة مطلقة (يُضطر) إلى قبولها، فكان دائم الثورة على السلطة، وهذا ما يفسر الثورات العديدة التي قامت في القرن الأول للهجرة. لقد كانت نظرتهم إلى الواقع أنه أمر متغير، نسبي، وأن الواقع لا يمكن أن يكون ثابتاً، ولهذا فإنه لا يمكن أن يطابق الحقيقة، ولا يمكن أن يكون هو نفسه حقيقة، ذلك أن الحقيقة- على نقيضه- مطلقة لا تتغير.

3- تطور الدولة وتعقدتها التدريجي أدى إلى فقدان المجتمع حريته الأولى

أدى تطور الدولة وتنوع مهامها ونموها إلى زيادة إحكام هيمنتها على المجتمع، وذلك بسلبها حريته القديمة تدريجياً، لقاء ما تكفله له من نظام، واستقرار في الملكية،

وأمان عام. وبعد أن كان الدين وسيلة للثورة على الدولة في العصر الأموي، اتخذته الدولة، منذ أوائل العصر العباسي، وسيلة لتثبيت سلطانها، وركناً من أركانها، فصار من يخرج على الدولة يُعدّ خارجاً على الدين، وبعد أن كانت المساجد أماكن للإحتجاج على الدولة، أضحت دور إعلام تابعة لها. وفي القرن الثالث حاولت الدولة (متمثلة في خلافة المأمون) فرض عقائد معينة على المجتمع، وهي التي عرفت بفتنة خلق القرآن. وفي القرن الخامس والسادس ضمت الدولة - وهي ماضية في نموها وتعقدها - العلم إلى جملة وسائلها وأركانها، فأنشأت المدارس، وهيمنت على التدريس، وعلى مناهجه ومصادره (بعد أن كان حراً تماماً)، وهكذا كان المجتمع يفقد حريته السابقة (التمثلة في نظرتة النسبية المتغيرة إلى الواقع، التي تدفعه إلى تغييره) تدريجياً، ليحل محلها الولاء والإيمان بالدولة (التمثل في نظرتة المطلقة للواقع، بوصفه حقاً لا يمكن تغييره).

4- فقدان المجتمع حريته تدريجياً يقترن بتبريره لواقعه، مهما كان سيئاً، على أساس أنه ضرورة

وهكذا نجد أن الواقع السياسي الإسلامي كان يتغير - بتطور الدولة - من واقع متغير نسبي، إلى واقع ثابت مطلق، وتغيرت نظرة الناس إلى الحق على أساس أنه أمر يمكن التوصل إليه وتطبيقه في الواقع، طالما تمتع المجتمع بإرادة الاختيار، الحرية، تغييرت إلى أن اعتبار الحق هو الواقع نفسه، وأن المجتمع (مضطر) لقبول ذلك الواقع لأنه حق. ولسوف نرى كيف اعترف الفكر الإسلامي بهذه الضرورة، وكيف أن الفكر الصوفي وقف الموقف نفسه منها، وذلك في مرحلة معينة من مراحل تطورها.

وعليه فإننا نخلص مما تقدم كله إلى أن تطور الواقع السياسي الإسلامي كان يمثل إنتقالاً تدريجياً من القيم المتغيرة، الحرة، النبوية، إلى القيم المثابتة، غير الحرة (الضرورة)، المطلقة.

ثانياً: نظرة في تطور نظرية الحكم، أو الفكر السياسي

1- بدأ الفكر السياسي - كالواقع السياسي - حراً

كان الفكر السياسي في أول نشوء الدولة الإسلامية فكراً حراً بسيطاً، يرى كل فريق أنه من الممكن الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها عن طريق الثورة وتغيير الواقع، وذلك أن الأخير ليس إلا واقعاً نسبياً متغيراً بطبيعة زمانه ومكانه، وهذا يفسر كثرة

الأحزاب الثائرة، والجماعات السياسية، في أوائل عصر الدولة، حتى ضربت رقماً قياسيًّا في كثرتها، وتفرعاتها، وانشقاتها، وتعدد وجهات نظرها، وهو أمر طبيعي طالما آمن الإنسان بحرية إرادته، وأنه (مُخَيَّر) في أن يرضخ للشر، أو أن ينتصر للحق، بمحض إرادته الحرة وحدها.

2- تطور الدولة الإسلامية اقترن بتطور نظرية عصمة الأمة

لما كان الواقع السياسي الإسلامي - كغيره - دائم الحركة والتغير (للسبب المذكورة)، وكانت الدولة التي بدأت بالاستقرار والنمو تحتاج إلى واقع ثابت، مستقر، تقوم عليه، وإلى قيم ثابتة مطلقة، تدعم وجودها، ولم يكن في السوابق الإسلامية الأولى ما يمكن أن يكون حقيقة مطلقة (منذ أن نفت الخلافة عن نفسها المعرفة اللاهوتية)، فقد بدأت في التطور تلك الفكرة القديمة القائلة بأن للأمة الحق في تغيير واقعها، إلى نظرية متكاملة مفادها أن الحق يمكن أن يكون دائماً مع الأمة، وطالما كانت الأمة موجودة فعلاً في الواقع، فإن الحق إذن هو الواقع نفسه. وبمعنى آخر، فقد تحولت النظرة المتغيرة، النسبية، للواقع، إلى نظرة إليه بوصفه واقعاً ثابتاً (وواقعياً)، وهو حق لأنه حدث بإرادة العقل الكلي للأمة (بجميع عقول أفرادها، أي يجمعها).

وهكذا تكاملت لدينا نظرية (عصمة إجماع الأمة). ولما كان إجماع الأمة عملياً غير ممكن، فقد كان الإجماع (بمفهومه النظري الواسع) يمثل رضا الأمة عموماً، وهذا الرضا هو من إرادة الله الحتمية، لأنها تمثل حقاً مطلقاً.

بدأت النظرية السياسية الإسلامية تفقد تدريجياً قوة التقرير وتغيير الواقع، إلى أن تصبح مُبررة له، ومُكرّسة، ومضى الفقهاء يفسرون كل السوابق السياسية الماضية على أساس أنها تمت بإرادة الأمة وبرضاها، التي هي من إرادة الله المطلقة، وإنما لذلك تمثل (ضرورة حتمية) لا مفر منها، ولا اعتراض عليها إذ (لا اعتراض على حكم الله)، وأمسى ذلك المبنى الجليل من النظم السياسية تسويغاً (بعدياً) للوقائع التاريخية السابقة التي أقرها الإجماع.

3- النظرية السياسية الإسلامية تعترف تدريجياً بالضرورة الحتمية

أمست النظرية السياسية الإسلامية مجرد مبررة لواقع الحكم، واعتراف بضرورته الحتمية، وهذا ما نراه جلياً في فكر الماوردي السياسي، حين اضطر إلى

إكساء كثير من الحوادث السياسية (حتى التي تخالف الدين) بصبغة دينية مطلقة ثابتة، ولكنه لما أعيته الحيل في تبرير إمارة الاستيلاء، وهي تنازل الخلافة عن سلطاتها للأمرء الذين حازوا سلطتهم بالقوة (لأن مخالفتها للخلافة الدينية جليّة) نجده يُقر صراحة بحكم الضرورة الحتمية إذ يقول (إن الضرورة تُسقط ما أعوز من شروط المُكَنَة) منتهياً إلى أن الخوف من الإضرار بالمصالح العامة (السياسية) يُسوّغ التخلف من الشروط الدينية، وبمعنى آخر فإنه اعترف بأن للضرورة (من الحق) ما يُسوّغ مخالفة القواعد الشرعية.

وهكذا كان تطور الفكر السياسي الإسلامي لأن يكون فكر تبرير (مطلق) لا فكر تقرير، وتغيير (نسبي)، واعترافه لذلك بالضرورة، وبأحقيتها، بوصفها من إرادة الأمة المستمّدة من إرادة الله، وبإلغائه التدريجي لإرادة الاختيار الحرة، فكان ذلك كله ما أوقعه في تناقض كبير فيما بعد.

4- سقوط الحكم الإسلامي يُحدث فجوة في التفكير السياسي

كان للجمود الذي تملك واقع الحكم الإسلامي (وما تضمنه من واقع اجتماعي واقتصادي)، وإيمان الناس بأن واقعهم السيئ ما هو إلا حقيقة ثابتة مطلقة، أي أنه إرادة إلهية لا يمكن تغييرها، الدور الأساس في شيخوخة الحكم، وبطء تحركه لمعالجة الأوضاع المادية السيئة، فلما سقط الحكم الإسلامي في المشرق على يد المغول وأعقابهم، وسقط في المغرب على يد القوى الأوربية، وقعت النظرية السياسية في تناقض كبير، فإن الفقهاء الذين كانوا يبررون كل سابقة تاريخية على أساس أنها ضرورة، وهي لذلك من إرادة الله فلا مجال للإعتراض عليها، واجهوا - عند سقوط الحكم الإسلامي على يد غير المسلمين- التناقض الآتي:

كيف يمكن التوفيق بين سقوط حكم الإسلام، وبين أن يكون ذلك السقوط من إرادة الله؟ وكان الجواب أسرع مما يُتوقع، حيث برّر الفقهاء تخلي الله عن حكم المسلمين بأنه عقاب لهم، وأن مجيء المغول مثلاً لم يكن إلا من إرادة الله، وهو لذلك لم يكن إلا حقاً، وقد تم برضا الأمة نفسها، التي ترضى بحكم الله (والنصوص التي ترد في أثناء أخبار سقوط بغداد حافلة ومؤيدة لهذي المعنى). وهكذا تطورت النظرية السياسية إلى أن وصلت إلى نقطة فلسفية خطيرة، وهي أن الخير حق والشر (كسقوط الخلافة مثلاً ومآسي الاحتلال) هو أيضاً حق، وكلاهما يمثلان ضرورة

أرادها الله، وإذن فلا فرق بين الخير والشر على المستوى السياسي، وإنه مهما يكن في الواقع من شرور وسيئات، فهو حق، لا مجال لتغييره أو تبديله، أو حتى الاعتراض عليه.

لنقف عند هذه النتيجة الخطيرة، وهي تبرير النظرية السياسية الإسلامية للشر بأنه ضرورة حتمية، وأنه حق مطلق، مثله مثل الخير تماماً، لنتتبعها في الفكر الصوفي.

ثالثاً: نظرة في تطور الفكر الصوفي

يصعب التمييز عند البحث في نشأة التصوف، بينه وبين نشأة الزهد (وقد أدى هذا التشابه في النشأة إلى إرجاع بعض الباحثين، كزكي مبارك، التصوف إلى عهود سابقة)، وإن هذا الاتحاد في البداية يدلنا بوضوح على أن التصوف نشأ كرد فعل عنيف على الواقع السيئ، ولهذا فقد كان التصوف في المراحل الأولى من التاريخ الإسلامي يمثل حركة مناوئة للواقع السياسي للمجتمع والدولة، إذ احتقر ذلك الواقع بصراحة، ونادى بأن الحقيقة ليست في ذلك الواقع لأن الحقيقة مطلقة (كل شيء خلا الله باطل)، بينما ذلك الواقع نسبي، يتغير، ويزول، وأن الدولة لا تمثل الحق، وإنما يستطيع الإنسان الوصول عليه والاتحاد معه بنفسه عن طريق وقوفه ضد الواقع، وتجرده من نوازه ومغرياته، لذلك فقد كان الفكر الصوفي في عهده الأول - عهد الجنيد ومعروف والسقطي والحلاج وغيرهم - يمثل ثورة الإنسان على الواقع الذي يؤمن بحرية إرادته في تغييره، ولذلك وقف النظام السياسي ضد التصوف واضطهد بعض المتصوفة بقسوة بالغة.

وهكذا نجد أن التصوف وقف نفس الموقف الثائر الذي وقفه من قبل الفكر السياسي، في تقريره للواقع، وإيمانه بحرية الإرادة في تغييره.

5- التصوف يسير في نفس مسار الفكر السياسي من قبل فيعترف بالضرورة

وكلما بررت النظرية السياسية الواقع، وعدته ضرورة لا محيص عنها، كان التصوف يأخذ في تطوره نفس المجرى، فمنذ القرن الخامس للهجرة هدأت ثورة الصوفية، وأخذ موقفها من الواقع السيئ يتحول من رد الفعل إلى قبوله وتبريره، فخفت أصوات من قال بأن الحقيقة المطلقة ليست في الواقع المتغير، وأنه يمكن تغيير الواقع للوصول إلى تلك الحقيقة المنشودة، ولم نعد نسمع تلك الأصوات التي دعت إلى

نيز الواقع باعتباره شراً لا بد من محاربتته بالإرادة الحرة للإنسان، وبدأت تحل محلها أصوات تدعو إلى أن الإنسان مُسَيَّرٌ في إرادة عامة، وهو مضطر لقبولها، وأن ما يحدث في الواقع ليس إلا نتيجة لتلك الإرادة، ولذلك فإن الحقيقة تكمن في الواقع ذاته، وفيما أحدثته الأمة عليه من مؤسسات (وبالطبع فإن الدولة أبرزها وأهمها)، وهكذا بدأ الصوفية - هم أيضاً - يضيفون الحق على الواقع السياسي وبيروونه بإخلاص مُتَّناه، حتى إذا ما جاءت نهاية القرن السادس للهجرة، كان التصوف قد غدا من أركان حكم الخلفاء، لا سيما الخليفة الناصر لدين الله العباسي، الذي أراد شد مفاصل الدولة به.

إن هذا التكريس الصوفي للواقع هو الذي دفع بصوفية متأخرين إلى إعلان مقاومتهم لمن يريد تغيير النظام السياسي، كما فعل الشعراي مثلاً، بل صار «حفظ النظام ومراعاة المصلحة العامة.. وتحريم الخروج على الإمام» قاعدة من قواعد التصوف المهمة (أحمد زروق: قواعد التصوف).

6- سقوط الحكم الإسلامي يحدث فجوة وتناقض في الفكر الصوفي هو أيضاً

ومثلما أحدث سقوط الحكم الإسلامي فجوة وتناقضاً في بناء النظرية السياسية الإسلامية، أحدث هذا السقوط هزة كبيرة في الفكر الصوفي أيضاً، ذلك أن تبرير الصوفية للواقع باعتباره حقاً، أدى إلى الوقوع في التناقض الآتي: ما دام الواقع السياسي المادي يمثل حقيقة مطلقة، وما دامت هذه الحقيقة هي إرادة الله، فكيف التوفيق بين سقوط هذا الواقع = الحق، وبين أن تكون تلك النهاية من صنع الله؟

ومثلما قدمت النظرية السياسية الجواب السريع على هذا السؤال المحرج، مجتازة ما يثيره من تناقض على ما سبق ذكره، حطت النظرية الصوفية الخطوة نفسها، فذهبت إلى أن سقوط الحكم الإسلامي، على ما نتج عنه من شرور، فإنه يمثل إرادة الله، وهو لذلك حق مطلق لا يمكن تغييره والإعتراض عليه. وكما أن الخير ضروري لهذا العالم، فإن الشر ضروري أيضاً، وأن هذه الضرورة حتمية، إذ هي تمثل حقاً مطلقاً، الذي هو الله تعالى، لأنه طالما كان الله نفسه حق، فإن كلاً من الخير والشر يمثل وجهاً من أوجه الله، أي أنهما الله ذاته. وهكذا تبلورت لدينا في هذا الاتجاه نظرية (وحدة الوجود) الذي حمل لواءها ابن عربي، فحين يقول ابن عربي «فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها» يعلم أن من هذه «الأشياء» (في الواقع) ما هو

شر، كما أن فيها ما هو خير، وحين يقول «وقد ثبت عند المحققين أنه ما في الوجود إلا الله، ونحن وإن كنا موجودين، فإنما كان وجودنا به» يعلم أن من بين هؤلاء «الموجودين» (في الواقع «من هم من الأشرار ومن هم من الأخيار، وهو حينما يتوصل إلى أن «حقيقة الموجودات واحدة»، يعني أنه لا فرق بين الموجودات الخيرة والموجودات الشريرة، فإنها جميعاً تمثل حقيقة مطلقة واحدة، هي الله تعالى.

وبهذا يبرر لنا الصوفي ابن عربي الشر بأنه ضرورة إلهية، وهو لذلك حق مطلق لا سبيل لدفعه، وهو بهذا أيضاً وصل بالنظرية الصوفية إلى المنعطف نفسه الذي وصلت إليها النظرية السياسية الإسلامية.

هذه هي الخطوة الخطيرة التي خطاها ابن عربي في تطوير نظرية (وحدة الوجود) الصوفية، إلا أن ابن عربي لم يستطع حل المُعضلة الأخيرة التي تبقت نتيجة ذلك التناقض الذي أدى إليه تدهور الواقع السياسي الواضح، وهي: كيفية التوفيق بين نظرية وحدة الوجود التي أنضجتها الظروف التاريخية وصيرتها إلى ما صارت إليه، وبين الفكرة الإلهية القديمة، القائلة بوجود خير قائم بذاته، وشر قائم بذاته، وأن على الإنسان أن يختار بإرادته الحرة (التي سيُحاسب عليها) بينهما لينال بعدئذ ثوابه إن اختار خيراً، وعقابه إن اختار شراً.

7- التطور الأخير في النظرية الصوفية جاء تبريراً آخر للواقع

كان الانحطاط السريع الذي دبَّ في جسم النظام السياسي الإسلامي في القرنين السابع والثامن للهجرة، يوجب تبريراً أقوى لأسباب ذلك الانحطاط، وكانت فكرة وجود الجنة والنار، كنتيجة لوجود الخير والشر، وما يوجبان من وجود إرادة اختيار حرة، تشكك دائماً في تبرير الشر على أنه يمثل إرادة إلهية ضرورية مطلقة، لهذا فقد ظهر في الميدان صوفي آخر طوّر ما تركه ابن عربي من الفكر الصوفي، متوصلاً إلى أنه كما لا يوجد فرق بين الخير والشر، فإنه لا فرق أيضاً بين نعيم الجنة وعذاب النار، وكان ذلك الصوفي هو الشيخ عبد الكريم الجيلي (المتوفى سنة 832هـ) الذي رفع أكبر مشكلة كانت تعترض القائلين بوحدة الوجود، أعني مشكلة العقاب والثواب، حين ذكر بأن جميع الناس مهتدون، في أحوال الطاعة وفي أحوال العصيان، وقرر بأن الله تعالى يسمى المُضِل كما يسمى الهادي «فالطائع متحقق بصفة الهداية، والعاصي متحقق بصفة الضلال، وكلاهما أمام الحق سواء»، وما إرادتنا المخلوقة -

في رأيه- إلا «عين إرادة الحق سبحانه وتعالى»، وهي «عين الإرادة القديمة». ويحاول الجيلي جاهداً التوصل إلى أن النار لا تختلف بعذابها عن نعيم الجنة، فمما يقول «إن لأهل النار لذة فيها تشبه لذة المحاربة والمضاربة، وهم عارفون أنهم يتألمون بذلك، ولكن الربوبية الكامنة التي هي النفس تحملهم على حوض ذلك، ثم أن لهم لذة أخرى تشبه لذة من به جَرَبَ فيحْكُهُ.. ولهم لذة أخرى تشبه لذة الجاهل المستغني برأيه ولو أخطأ.. الخ» (كتابه: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل).

والواقع أن الجيلي مضطر إلى أن يصل بالنظرية الصوفية إلى هذه النقطة، فهو في تفسيره لعذاب النار على هذا النحو، فإنه يُوفق بين كون الواقع السياسي (بكل ما فيه من شرور) حقاً مطلقاً، وبين فكرة الثواب والعقاب، ويرفع ما بينهما من تناقض أخير.

خاتمة:

تتضح لنا، مما تقدم، الصلة الوثيقة بين الفكر الصوفي من جهة، وبين الواقع السياسي والفكر السياسي من جهة أخرى، وأنه ليست هناك أية (تجربة روحية) منفصلة عن الواقع، بل أن التصوف كله كان تفاعلاً بين الفكر والواقع السياسي، كل منهما رسم طريق الثاني وحدد اتجاهه، وإن دراسة التصوف كمعرفة تأملية محضة دون دراسة واقعه التاريخي أمر غير مجد.

عبد الكريم الجيلي

حياته ورحلاته ومصطلحاته

هو الشيخ عبد الكريم الملقب بقطب الدين، وبغيف الدين على ما جاء في صدر بعض رسائله، ابن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، أو الجيلاني. وقد صرَّح بأصله ونسبه حين قال في إشارة عارضة أوردتها في كتابه (قاب قوسين) أنه: عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الكيلاني نسباً، البغدادي أصلاً، الربيعي عربياً، الصوفي حَسَباً. وقال الحاج خليفة أنه ابن سبط السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني الحسني المتوفى ببغداد سنة 5611هـ/1165م⁽¹⁾. ورغم ما توضحه هذه النصوص فإن في الأمر ما يستدعي المناقشة. وأول ما يثير التساؤل هنا أنه لُقِّب نفسه بالكيلاني، على خلاف شهرته المعروفة بالجيلي، وثمة فرق بين النسبتين، فالكيلاني، أو الجيلاني، هو المنسوب الى جيلان⁽²⁾. ومنها قدم الشيخ عبد القادر الكيلاني إلى بغداد، أما الجيلي، فمنسوب إلى بلدة الجيل من أعمال بغداد تحت المدائن، كان يسكنها أهل جيلان الوافدين على العراق⁽³⁾. وإشارة الجيلي إلى انه ببغدادي أصلاً، ربما رجَّحت أن يكون من هذه البلدة، القريبة من بغداد، وأما أنه لُقِّب نفسه بالكيلاني، فلأنه أراد نسبه الى السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وليس الى تلك البلدة، وسبب هذا الترجيح أنه يمثل الجيل الثالث بعد جده الكيلاني، ومعنى هذا انه لم يكن حديث عهد ببغداد ليعيش في بلدة جيل المذكورة، وجدَّه نفسه لم يعيش بها وإنما اختار أن يقيم في محلة باب الأزج من محلات الجانب الشرقي منها، وفي هذه المحلة كانت مدرسة القاضي المُخرَّمي التي تحوَّلت الى مدرسة باسمه وفيها دُفِن⁽⁴⁾.

(1) كشف الظنون، استانبول 1947، ص 1525.

(2) جيلان اسم معرب من كيلان، وهي بلاد تقع على الساحل الجنوبي لبحر قزوين، ينتمي أهلها إلى الكادوسيين من الشعوب التركية، وكلمة جيلان تعني (أرض الجبال)، وكانت قديماً تسمى الديلم، ويسمى سكانها الديلمة. وكان العرب يسمون هذه البلاد مع محافظة مازندران بمنطقة طبرستان، فتح العرب المسلمون جيلان في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وسكنت فيها جالية عربية كبيرة، وتذكر مصادر سيرة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، أنه حسني الأب، حسيني الام. وجيلان اليوم محافظة في شمالي ايران، مركزها مدينة رشت.

(3) يراجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة (جيل) و(جيلان) والسمعاني: الأنساب، مادة جيلي وجيلاني.

(4) كتابنا مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد 1966، ص 140-154

وفيهما أيضاً عاش أبناؤه، فالمعقول أن ذريته كانت تسكن هي أيضاً في هذه المحلة تحديداً. وقد كان دقيقاً حينما ذكر لفظ (نسباً) بعد هذا اللقب، ولفظ (أصلاً) بعد لقبه الآخر (البغدادى)، فبغداد هي مكان ولادته، ومحل نشأته، أما الكيلاني فهي نسبة الى جده فحسب. ومن المهم هنا أن نذكر أن نص الحاج خليفة على كونه ابن سبط الشيخ الكيلاني، ينبغي أن لا يفهم- كما فهمه كل ما أورد هذا النص- بأنه حفيد مباشر لبنت الشيخ، وذلك لان تصريحه بأسماء خمسة آباء له، يدل على انه الحفيد الثامن للشيخ الكيلاني، من بنت له، لم تذكر المصادر اسمها⁽¹⁾. وهذا ما يُعززه حساب الأجيال، إذ اتفق النسابون على أن الجيل من الناس ما تراوح بين ثلاثين سنة وأربعين، والمدة بين وفاة الشيخ الكيلاني وولادة عبد الكريم تبلغ نحو قرنين من الزمن، وهي مدة زمنية تتناسب مع عدد أولئك الآباء تماماً. أما قوله بأنه (ربيعي عربياً) فهو مصطلح غير واضح الدلالة لدى النسابين، لاسيما بعد تصريحه الأول بنسبه، ولا معنى له إلا بأن جدته، ابنة الشيخ الكيلاني، كانت زوجة لرجل من ربيعة، إحدى قبائل العرب المشهورة⁽²⁾.

أما تاريخ مولده فمُحدّد تماماً، وهو محرم من سنة 767هـ/1356م، وذلك أنه نُوه به في قصيدته التي سماها (النادرات العينية) حيث قال:

ففي أول الشهر المحرم حُرمة ظهوري وبالسعد العطار طالع
لستين من سبع على سبعمائة من الهجرة الغرّاً سَقَّتني المراضع

ويقع هذا التاريخ في عهد تسلط المغول الجلائريين على مُقدّرات العراق، وهذا العهد اتسم بالاضطراب الشامل⁽³⁾، وفقدان الاستقرار السياسي، واختلال الأحوال الأمنية، وتعرّض البلاد إلى غزوات خارجية، أخطرها وأشدها وبالأغزوة تيمولنك في نهاية القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد)، فكان هذا الظرف، فضلاً عن تراث

-
- (1) كان للشيخ عبد القادر الجيلاني بنات كثيرات، قيل إنهن بلغن 22، هذا عدا الذكور.
(2) ذهب بعضهم إلى انه (فارسي)، (د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، القاهرة 2003) ولم نملك أي دليل أو قرينة تؤيد ذلك المذهب، فالرجل بغدادي المولد، وهو ابن سبط السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، الحسيني القرشي النسب، وقد صرح هو بنسبته إلى قبيلة ربيعة العربية، وإن كان قد تعلم الفارسية ففي رحلة له إلى المشرق وإقامة محدودة هناك.
(3) يقع هذا التاريخ في المدة التي اتخذ فيها الجلائريون تبريز عاصمة لهم، فانحدرت بذلك الأهمية السياسية والإدارية لبغداد، وكان يحكم بغداد في السنة التي شهدت ولادة الجيلي، أمير جلائري يدعى سلمان شاه خازن (766-769هـ/1367-1367م). كتابنا: الاسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في العهود المتأخرة، في بغداد 1992، ص 34.

الأسرة الصوفي، من العوامل المهمة التي دفعت بعبد الكريم إلى الالتجاء إلى عالم التصوف، حيث وجد فيه ما كانت تصبو إليه نفسه من السمو الروحي عن اضطراب العالم المادي الذي كانت حوادثه، بل نوائبه، تموج من حوله.

مكابدات صوفية

وجد الجيلي في نفسه، منذ طفولته وصباه، نزوعاً ملحوظاً نحو التسامي عما حوله من أحوال الدنيا وشواغلها، فقال في قصيدته المذكورة:

وَمُنْ كُنْتُ طِفْلاً فَالْمَعَانِي تَطْلُبُنِي وَتَأْتَفُ نَفْسِي كُلُّ مَا هُوَ وَاضِعٌ

ولا تُسَعِفُنَا المِصَادِرُ بِشَيْءٍ عَنِ طَبِيعَةِ اِهْتِمَامَاتِهِ العِلْمِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ فِي هَذِهِ المَرِحَلَةِ مِنْ حَيَاتِهِ، فلا ندري ما إذا انتظم في إحدى مدارس بغداد الشهيرة لدراسة العلوم الشرعية، كما هي عادة النابهين من أترابه، كما لا نعرف أسماء من تتلمذ على أيديهم من العلماء، وما قرأه من كتب العلوم السائدة في عهده، كما أنه لم يحدثنا عن هذا في أي من كُتُبِهِ، ولا يعني إهماله الحديث عن هذه الجوانب -على أهميتها- من حياته، أنه لم يتلقَّ العلم على نحو ما كان معروفاً في ذلك العهد، لأن المستوى اللغوي والأدبي والفكري والعلمي العالي، الذي بدت عليه مؤلفاته الكثيرة، يكشف عن دراسته الرصينة لعلوم العصر، والظاهر أن سكوته عن كل ذلك، كان لانصرافه الكامل إلى علم التصوف الذي شغف به عما سواه.

ولما كان لا بد للمريد من توجيه وإرشاد، فقد انخرط الجيلي في خدمة مشايخ الصوفية في عهده، وسلك طريقتهم، فشاهد ما شاء أن يشاهد من تجاربهم ورياضاتهم الروحية، وقد تأثر بها، وتأكد له أنها الطريق الوحيد للتوصل إلى الحقيقة في هذا العالم، أنظر إلى قوله في شرحه قصيدة صوفية «ولقد حصَل لي -بحمد الله- من ذلك كله نصيبٌ وافر، وعايَنتُ في أثناء الخدمة أحوال القوم (يعني الصوفية)، وجمعتُ بين الخبر والمشاهدة، فإني كنت مصدقاً بكل ما كنت أسمعُه من أحوال القوم ولا أنطلبه، وإنما مقصودي محض العبودية، وكنت أسمع المشايخ في كتبهم يقولون: لا بد للشيخ في الطريق، وهو وإن كان أعز من الكبريت الأحمر، لكن من صدق في الطلب ظفره الله بالاجتماع به، فكنت عاضاً على هذه الوصية بالنواجذ، ملازماً للأدب المذكورة عن المشايخ في أثناء الليل وأطراف النهار»⁽¹⁾.

(1) شرح قصيدة صوفية، مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد، غير مرقم الصفحات.

إلا أن خدمة المشايخ، والرغبة الصادقة في العبودية، لم تكن لترضي طموح الشاب عبد الكريم، وهو الذي كان يطمح إلى الوصول إلى لب الحقيقة وجوهرها، حيث «الفتح العظيم» على حد تعبيره.

رحلاته

وفي نهايات القرن الثامن للهجرة، سافر الجيلي إلى مكة حاجاً، وكان ما زال عهد ذلك شاباً يافعاً، وفي أثناء أدائه مناسكه، أو بعدها، التقى بالشيخ الصوفي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، المتوفى سنة 806هـ⁽¹⁾، فأخذ عنه آداب الطريقة، وتلقى منه الأذكار الصوفية بوقت قصير لا يزيد على سبعة أيام «حصّلت له فيها الجذبّة المطلوبة»، فكان لقاؤه بالجبرتي حاسماً في حياته الروحية المقبلة، فإننا نجده يشد الرحال، بعده إلى زبيد في اليمن، وهي موطن الشيخ الجبرتي، سنة 779هـ/1377م، حيث التحق به وبمريدين له هناك، منهم: الشيخ شهاب الدين أحمد الرداد، قال واصفاً بعض مكابذاته هناك «ولقد كنت غرقت في هذا البحر الغزير، وكاد يهلكني موجه في قعره الخطير، وأنا يومئذ في سماع في بيت أختنا الشيخ العارف شهاب الدين أحمد الرداد، وكان شيخنا أستاذ الدنيا القطب الكامل والمحقق الفاضل، ابو معروف شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي حاضراً يومئذ في السماع⁽²⁾، فنادت بأعلى صوتي: اللهم أعوذ بك من العلم المهلك، أدركني ياسيدي أدرك!، فكان يراعيني الشيخ في نفس السماع مراعاة من له على الأمر اطلاع، فنقلني ببركته إلى المعراج القويم الذي هو الصراط المستقيم⁽³⁾».

طوّف الجيلي في بلاد عدة، أخذاً من كبار الصوفية فيها، حيث وجدناه يقصد بلاد الهند، فيكون فيها سنة 790هـ/1387م، ويظهر أن ارتحاله إلى الهند كان صُحبةً لشيخه إسماعيل الجبرتي الذي نُفي إليها عهد ذلك بسبب اختلافات فكرية⁽⁴⁾. وقد

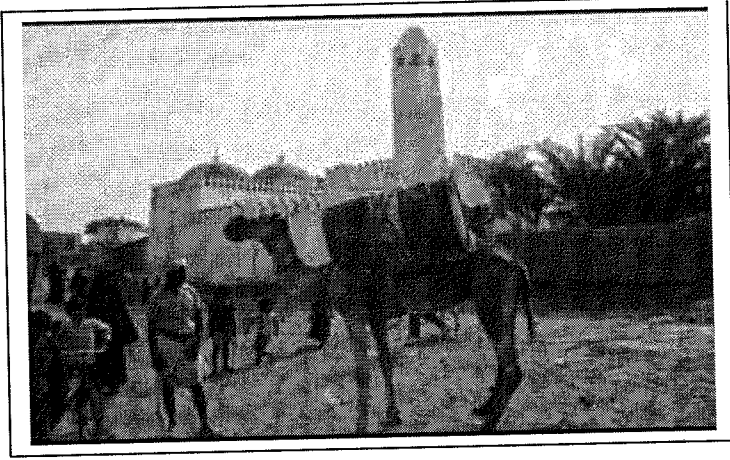
(1) هو إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي العقيلي الجبرتي ثم الزبيدي الشافعي، فقيه مقرئ محدث، اشتغل بالعلوم ثم تصوف ونسبت إليه كرامات، وله مدرسة تنسب إليه في زبيد جددت عمارتها سنة 909هـ، ابن الديبع الشيباني الزبيدي: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق محمد عيسى صالحية، الكويت 1983.

(2) في الأصل: السماء.

(3) الإنسان الكامل ج3 ص39

(4) السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج2 ص283.

أشار هو الى تعرضه إلى تجربة غريبة في بلدة تسمى (كوشي) في تلك السنة. ثم أنه ارتحل إلى بخارى، حيث التقى هناك سنة 791هـ/1388م بالشيخ الخواجة بهاء الدين محمد بن محمد الشاه نقشبند الأوسي البخاري (المتوفى في السنة المذكورة)، أحد كبار صوفية عصره، والذي نسبت إليه الطريقة النقشبندية فيما بعد، فتعلم منه فوائد، وأفاد من تجاربه، وجرت له «أمور بعد ذلك وأحوال لا يمكن التعبير عنها».



مسجد الجبرتي في زبيد

وزار بلاد فارس، وتعلم اللغة الفارسية هناك، بدلالة أنه كتب بها رسالة صغيرة سماها (جنة المعارف وغاية المرید والمعارف)⁽¹⁾، وقيل أنه تعلم الهندية أيضاً في أثناء إقامته في الهند، وألف بها، ولم نتيقن من صحة هذه الأقوال، فهو غادر بغداد شاباً، وإقاماته في تلك البلاد كانت قصيرة، ربما أقصر من أن يتقن خلالها لغتين، فضلاً عن أن يؤلف بهما، وواضح ان عنوان الكتاب المذكور هو بالعربية لا بالفارسية. كما قيل أنه احاط بالتراث اليوناني⁽²⁾، ولم نجد في كتبه جميعاً ما يفهم منه ذلك⁽³⁾.

ولم تمض إلا سنوات، حتى عاد الشيخ الجيلي إلى زبيد في اليمن، حيث أقام ثانية عند شيخه شرف الدين إسماعيل الشيخ الجبرتي، وكانت زبيد قد تحولت بسبب هذا الشيخ إلى مركز صوفي فريد، يقصده المتصوفة من البلدان البعيدة، وصار

(1) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، القاهرة 1988، ص 14.

(2) www.chrib.net مقال بتوقيع (الكوثري)

(3) الإشارة الوحيدة في هذا الصدد إشارات في (الإنسان الكامل) بأفلاطون، ودفاعه عنه، وقوله: «رأيت له مكانة لم أرها إلا لأحد من الأولياء».

مسجد الشيخ الجبرتي مدرسة صوفية قائمة بذاتها، يقصدها المريدون، ويعقدون في جبانته (مقبرته) مجالس السماع⁽¹⁾، وهم يتحلّقون حوله، ويتدارسون الفكر الصوفي كما انتهى على يد أكابر شيوخه، وأهمهم الشيخ محيي الدين ابن العربي، وقد بلغ من رواج أفكار الأخير أن كتبه كانت تباع وتشتري بالأسواق⁽²⁾، فلم يكن غريباً أن عرف الجيلي بـ (محيي الدين الثاني)⁽³⁾.

وقد نوه الجيلي بعدد من المتصوفة الذين التقى بهم في زيب، منهم «الأخ العارف الرياني.. عماد الدين يحيى بن أبي القاسم التونسي المغربي، سبط الرداد، والشيخ العارف جمال الدين الملقب بالمجنون، والشيخ حسن أبي السرور، والاخ الفقيه أحمد الجبائي» الذي كان يحضر معه مجالس السماع في مسجد الجبرتي، والفقيه أحمد الحيايبي⁽⁴⁾، وكلهم كان متأثراً بمدرسة ابن عربي الفكرية، إلا أن أحداً منهم لم يبلغ شهرة الجيلي، ولم تكن له مثل تأليفه الكثيرة. وأشار إلى لقائه بالصوفي أبو الغيث ابن جميل، وأنه أعجب به إعجاباً شديداً، ونقل خبر هذا اللقاء من ترجم له من المحدثين⁽⁵⁾، مع ان ابن جميل توفى سنة 651هـ/1253م، أي قبل أن يولد الجيلي بأكثر من قرن كامل.

بلغ الجيلي شأواً بعيداً في عالم التصوف، فتعمّق فيه، وخبر لُجّته، وكانت له فيه مكابدات جمّة، ومجاهدات كثيرة، معتزلاً الدنيا، مستغرقاً في نشوة (الفناء)، نافذاً - بحسب اصطلاحه- من التعدد الى التفرّد، ومن الكثرة إلى التوحّد. قال واصفاً إحدى تلك الحالات «غيبني وارد الوقت عن الأكوان، وأخرجني بالكلية عن عالم الحدّثان، فأشهدني صفاتي، وأوجدني ذاتي، ثم نقلني مني إليّ في أطوار كثيرة هي لي عندي ولدي، فلما قمتُ على صراطي المستقيم، وحفظت شروط ذلك العهد القديم، وضعتُ أحد القدمين في حضرة العين، والآخري في عالم الأين (يعني انه عرف حقائق الاشياء كلها دون تحدد بزمان او مكان)، ففتح لي الأفق الأعلى ذلك الباب، فولجتُ في عالمي، وعقدت حوأي بأدمي»⁽⁶⁾. وقد استغرقت تلك المكابدات المدة بين سنتي

(1) الكهف والرقيم، تحقيق عاصم الكيالي، ص27.

(2) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي ص29.

(3) هكذا كتب على رخامة قديمة كانت قد ثبتت على قبره في بغداد.

(4) الكهف والرقيم ص27.

(5) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي ص 29.

(6) سبب الاسباب والكنز لمن ايقن واستجاب، مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد.

792هـ/1393م و803هـ/1400م، عدا زمن ارتحل خلاله إلى مكة سنة 799هـ/1396م. وقد أشار إلى أنه اجتمع ببعض أهل مكة في آخر تلك السنة حيث تذاكر معهم في (الاسم الأعظم)، وساق كلاماً من حوار جرى في الموضوع⁽¹⁾.

وتبرز لنا أهمية هذه المدة من حياته، من غنى تجاربه الروحية فيها، ومما تتأثر أحياناً في كتبه من إشارات إلى تلك التجارب، فما هو يقول «أقمت فيه بزييد شهر ربيع الأول من سنة ثمانمائة (1397م) من الهجرة النبوية، فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والأولياء والملائكة العاملين والمقربين وملائكة التسخير، ورأيت روحانيات الموجودات جميعاً، وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه في الأزل إلى الأبد، وتحققت بعلوم إلهية لا يسع الكون أن نذكرها فيه»⁽²⁾.

ولأسباب لا نعلمها، غادر الجيلي زييد إلى القاهرة سنة 803هـ/1400م، حيث أقام هناك مدة سنة أو شهوراً منها، فقد جاء في الورقة الأخيرة من كتاب له سماه (آداب السياسة بالعدل)، وهو بخطه، أنه فرغ من إملائه وتسويده «لساعتين بقيتا من نهار الأربعاء سلخ رجب.. أحد شهور سنة ثلاث وثمانمائة.. بخط مؤلفه.. عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم الجيلاني الصوفي - لطف الله تعالى به- بالقاهرة المحروسة»⁽³⁾. والغريب أن ساعة الفراغ من هذا الكتاب، هي نفسها التي أتم فيها تأليف كتاب آخر له إذ جاء في آخر مخطوطته (غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الإستماع) أنه «فرغ من كتبها وتسويدها لساعتين بقيتا من نهار الأربعاء سلخ رجب سنة 803هـ بالقاهرة المحروسة»⁽⁴⁾. ولا نظن أن الجيلي أخطأ بتكرار التاريخ مرتين، كل مرة في آخر مخطوطة له، وإنما أراد شيئاً له تعلق بعالم الأرواح.

ولم تمض إلا مدة قليلة، حتى وجدنا الجيلي قد غادر القاهرة عائداً إلى زييد، ففي كتاب له عنوانه (الكاملات الإلهية في الصفات المحمدية) ذكر أنه «إبتدأ تأليفه في أول ربيع الأول سنة 803 وفرغ من كتابته صبح يوم الاثنين الثامن والعشرين من شوال سنة 805 بمحروسة زييد»⁽⁵⁾، ثم أنه غادر زييد إلى صنعاء، لأمر لم يبينه، فكان فيها سنة 805هـ⁽¹⁾.

(1) الإنسان الكامل ج1 ص58.

(2) الإنسان الكامل ج2 ص97.

(3) الزركلي: الاعلام ج4 ص175.

(4) فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة المصرية، القاهرة 1305هـ، ج2 ص127.

(5) المصدر نفسه والصفحة.

بيد أن مدة مكوثه في زبيد لم تطل هذه المرة، فقد توفي في شيخه إسماعيل الجبرتي بعد عام واحد من ذلك التاريخ، وبذا عاد الجيلي إلى القاهرة ليستقر فيها ولو إلى حين. وفي الواقع فإن استقراره بمصر كان يمثل مرحلة جديدة من حياته، لها صفاتها ومميزاتها الخاصة، فهو هنا في أواخر العقد الرابع من عمره، قد خبر لجة الحياة، ونال ما نال في الغوص في عالم الروح والحقيقة، واتصل -كما صرح علناً- بالحق، وعرف حقائق الموجودات وكانت له تجليات، لذلك فإن إقامته بمصر قد هيأت له الفرصة لتأمل ما مر به من تجارب، وتسجيلها في كتب، فشرع يؤلف كتبه بنفس قوي، وقدرة بالغة على وصف ما شاهده من كشف ومعرفة، تدل على ذلك وفرة مؤلفاته التي صرح فيها أنه ألفها بالقاهرة، إضافة إلى وجود عدد من كتبه ورسائله التي بخطه محفوظة في مكتبات هذه المدينة.

ولا علم لنا بالمدة التي أقام فيها الجيلي في القاهرة، وما إذا كان قد عرج على بلدان أخرى زائراً لها، أو مقيماً فيها، مع أننا نلمح من خلال سطور كتابه (الإنسان الكامل) كثرة سياحاته ومشاهداته ورحلاته في مختلف الأماكن والبلدان. من ذلك ما وصف به بعض المدن والاجناس والبحار، كوصفه لـ(البحر الأخضر) حيث يذكر أنه «ليس فيه حوت، ومن يركبه يموت، رأيته وعلى ساحته مدينة مطمئنة أمينة .. ثم أني رأيت أهلها مشغوفين بركوب هذا البحر، ومتعلقين بحب هذا الأمر.. الخ»⁽²⁾. ومثله حديثه عن (البحر الأحمر)، إذ يقول فيه «رأيت على ساحل هذا البحر رجالاً مؤمنين ليس لهم عبادة إلا تقريب الخلق إلى الحق، قد جُبلوا على ذلك، فمن عاشرهم أو صاحبهم عرّف الله بقدر معاشرتهم.. وليس في هذا البحر من السكان سوى دوابه والحيتان»⁽³⁾.

كما أنه وصف ما سماه (البحر التتن) بقوله «صعب المسالك، قريب المهالك، هو طريق السالكين ومنهج السائرين، يروم المرور كل أحدٍ عليه، ولا يصل إلا العباد إليه، لونه أشهب، وكونه أغيب.. رائحة حيتانه كالبالغال والجمال تحمل الكل وأعباء الأثقال إلى بلد الدر الأنفس.. وأكثر مراكب المسلمين تبتلعها قروش هذا البحر.. ورأيت سكان هذا البحر سليمي الاعتقاد، سالمين بحسن الظن من فتن الإنقياد»⁽⁴⁾. ومع أنه حمل

(1) شرح مشكلات الفتوحات، نقلاً من الغنيمي، مقدمته لكتاب المناظر الإلهية ص13.

(2) الإنسان الكامل ج2 ص118.

(3) المصدر نفسه ج2 ص117.

(4) المصدر نفسه ج2 ص114.

وصفه هذه الأماكن بُعداً روحياً، بل استخدمها إشارات لمعان صوفية، فإن ذلك لا يجب ان يدفعنا إلى القول بأن الوصف كان محض خيال، لأن الرجل سافر فعلاً إلى أماكن عدة كما تشهد سيرته، وكثرة تردد ألفاظ مثل (البحر) و (ركوب البحر) و (البحر العميق) و (الغور الأعماق) و (الأمواج المتلاطمة) و (سفينة من ألواح) و (المراكب كثيرة العطب) و (أهوال البحر) و (طيب رائحة البحر) و (الاستدلال بالكواكب في البحر) و (ومرسى المراكب) و (الغرق والإنكسار) وغيرها، تؤكد سلوكه البحر كثيراً في رحلاته، وألفاظ مثل (البغال) و (الجمال) و (الدرب) و (المفازة) و (الجبل) و (القفار) و (تيهات القفار) وغيرها تدل على سلوكه طرق البر أيضاً، وفي كلتا الحالتين فإنه كان جواباً كثير الأسفار.

وفاته ومدفنه

ثمة اختلاف شديد في تاريخ وفاته، فذهب الحاج خليفة إلى أنه توفي بعد سنة 805هـ، وحدد يوسف إليان سركيس وفاته بأنها حدثت سنة 805 نفسها، ولا نستبعد أنه نقل ذلك الحاج خليفة بحذف (بعد) أو سقوطها، بينما ذكر إسماعيل باشا البغدادي⁽¹⁾، وتابعه في ذلك المستشرق الانكليزي رنيكلسون⁽²⁾، أنه توفي سنة 820، وحدد يوسف زيدان وفاته في سنة 826هـ ومثله ما جاء في الموسوعة الصوفية⁽³⁾، بينما حدد كل من ماسنيون⁽⁴⁾، وبروكلمان⁽⁵⁾، والزركلي⁽⁶⁾، وكحالة⁽⁷⁾ وآخرون وفاته بسنة 832هـ، ولم يذكر أحد من هؤلاء سبباً واحداً لاختيار ما أورده من تاريخ.

وثمة رواية للحسين بن الأهدل اليميني (المتوفى سنة 855هـ)، في مخطوطته (كشف الغطا) أشار فيها إلى أنه التقى بمن سماه (عبد الكريم الجيلاني العجمي)، في بلدة (أبيات حسين) في اليمن، وأنه توفي في هذه البلدة، وفيها دفن في تربة الشيخ

(1) هدية العارفين في أسماء المؤلفين ج1 ص728.

(2) دائرة المعارف الاسلامية ج5 ص67.

(3) د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية ص141.

(4) ماسنيون: الإنسان الكامل وأصالته النشورية، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ضمن كتابه (الإنسان الكامل) ص111.

(5) Brock.,II.P.284

(6) الأعلام ج4 ص175.

(7) معجم المؤلفين ج5 ص313.

إبراهيم الجيلي⁽¹⁾، واذ وقف الدكتور نجاح الغنيمي على هذه الرواية، فإنه قطع بأن عبد الكريم العجمي هذا هو نفسه الشيخ عبد الكريم الجيلي البغدادي، وعليه فإنه حدد تاريخ وفاته بأنها حدثت ما بين سنة 805 وسنة 829، اعتماداً على المدة التي استغرقها هذا المؤرخ في كتابة مخطوطته المذكورة، ونحن نرى أن هذا الرأي لا يستند إلى ما يدعمه، لأنه لم يثبت أن الجيلي العجمي اليمني الذي ترجم له، هو نفسه الجيلي البغدادي، وهو ما سنناقشه بعد قليل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الغنيمي ذكر بأن آخر تاريخ أثبتته الجيلي في مؤلفاته هو سنة 805هـ، وهو هنا يقصد كتابه (حقيقة الحقائق)، مع أن هذا التاريخ لم يكن الأخير، لأننا وجدنا في آخر كتابه (حقيقة اليقين وزلفة التمكين) أنه فرغ من تأليفه سنة 815هـ، فهل أنه هو نفسه الجيلي البغدادي الشهير، أم أنه ثمة خلط بين الشخصيتين؟ لنناقش الأمر إذاً:

لم يذكر ابن الأهدل أسم أبي عبد الكريم الجيلاني العجمي، وأشار إلى أنه توفي في (أبيات حسين) في تربة (إبراهيم الجيلي)، وسياق الرواية لا يفهم منه مطلقاً أن يكون إبراهيم الجيلي هو أبا عبد الكريم، لأنه لو كان الأمر كذلك لقال أنه دفن في تربة أبيه، فواضح أنه غيره، وبذا فإننا نستنتج وجود عدد من الجيلانيين في زيد. وقد حاول د. الغنيمي جاهداً أن يجد صلة بُنوة بين الرجلين فلم يستطع، وانتهى إلى القول أن الأمر يدعو إلى الحيرة، وأنه «يشككنا في صلته بإبراهيم بحيث يمكن أن يكونا شخصين غريبين عن بعضهما تماماً»⁽²⁾. ولكنه مع ذلك الخلط بين الجيليين عبد الكريم اليمني، والبغدادي، بوصفهما واحداً، عين تاريخ الوفاة المذكور.

وقف الغنيمي على ترجمة لإبراهيم الجيلي، دفين (أبيات حسين) الذي افترض أنه أب لعبد الكريم، في كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي اليمني، تشير إلى أنه بدأ حياته (مفلوتاً) أي جندياً بسيطاً في جيش السلطان الرسولي في اليمن، قبل أن يتزهد ويتصوف، هذا مع أن عبد الكريم الجيلي المؤلف كان بغدادياً، ولد في بغداد، وأسرته منها، كما تقدم بنا، وأبوه كان من ذرية السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، ولم يكن دفين أبيات حسين كذلك. ومما يلفت النظر أن الدكتور الغنيمي، وهو الذي أفرغ جهده في دراسة تراث الجيلي، قد أكد بغداديته ونسبته إلى ربيعة، مستنداً إلى تصريح

(1) د. نجاح محمود الغنيمي، مقدمته لكتاب المناظر الإلهية للجيلي، القاهرة 1987، ص 14.

(2) مقدمة كتاب المناظر الإلهية.

الجيلي نفسه، ثم عاد فناقض ما أكده بقوله « كل الدلائل تشير إلى ان الجيلي ولد ونشأ وتوفي في اليمن»⁽¹⁾. نعم! لقد قضى في اليمن سنوات من حياته، ولكن ذلك لا يقدح في أنه كان وافداً إليها لا من أهلها. وهنا لا بد أن نلاحظ أن ابن الأهدل أطلق على عبد الكريم الجيلي اليمني، لقب (العجمي)⁽²⁾، مع أن سميّه البغدادي كان عربياً، من قبيلة ربيعة، كما مر بنا هذا أيضاً.

إن الخلط بين الشخصيتين، أو الدمج بينهما، ضيع فرصة الافادة من الشاهد التذكاري المهم الموجود على قبر عبد الكريم الجيلي في بغداد، في مسألة تعيين تاريخ وفاته. وكان الغنيمي قد ذكر بأن المستشرق الفرنسي ماسنيون قد نوه بوجود قبر لعبد الكريم الجيلي في بغداد، ولم يُقدّم تفسيراً لهذا الامر، ورآى يوسف زيدان ان القبر مجرد (مقام) له «فعادةً ما نجد لمشاهير الصوفية أكثر من مقام يعتقد الناس مع مرور الزمن انه مدفون فيه»⁽³⁾. وواضح أن كلا الباحثين لم يطلعا على هذا القبر ولو إطلاعاً عليه لما تجاوزا أهميته على نحو ما فعلا.

وقبره هذا موجود الارض المرقمة 197 الكائنة في الزقاق الجنوبي المسمى (طَرْف حجّي فتحي) المتفرع من شارع سيد سلطان علي بشرفي بغداد⁽⁴⁾، وكان حوله حتى اوائل القرن الماضي مسجد عامر، وصفه السيد محمود شكري الآلوسي بقوله: «هذا مسجد من مساجد بغداد القديمة العهد، قريب من مسجد السيد سلطان علي، فيه مصلى واسع، وعليه قبة، وساحة المسجد فسيحة، وفيه حجر وبيوت، وفي وسطه جُنيّة فيها نخيل وأشجار، يجد الداخل فيه انشراحاً وارتياحاً، وعبد الكريم الجيلي هذا من اكابر الصوفية، له مؤلفات كثيرة في علم التصوف، ومرقده في هذا المسجد يزار، وفيه إمام ومؤذن وخادم، وإدارة الأوقاف السلطانية هي القائمة بأمره»⁽⁵⁾. ومثل ذلك ما كتبه السيد محمد سعيد الراوي الغدادي اذ قال: «هذا من المساجد القديمة، منسوب الى عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، أحد أئمة الصوفية وأكابرهم، وكان على

(1) المصدر نفسه.

(2) كشف الغطاء عن حقائق التوحيد، الورقة 184 نقلاً من مقدمة كتاب المناظر الإلهية ص15.

(3) عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية ص25.

(4) ورقمه بحسب الترقيم الجديد 16 زقاق 63 محلة 104.

(5) مساجد دار السلام بغداد، مخطوط، وقد اختصر الشيخ محمد بهجة الاثري هذا النص في تهذيبه لمساجد بغداد المذكور، بغداد 1341، ص 79.

مذهب ابن العربي، وهو صاحب كتاب الإنسان الكامل في معرفة الاواخر والأوائل. وله مؤلفات غير هذا الكتاب في التصوف، منها كتاب (الكلمات) وكتاب (الناموس الاعظم) وغير ذلك⁽¹⁾. كما اشار اليه عبادة في كتابه (العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع) الذي ألفه في اوائل القرن العشرين⁽²⁾.

وقد نُقِضَ هذا المسجد القديم في خمسينيات القرن العشرين، لاسباب فنية تتعلق بتداعي مبناه، ولم يبق منه اليوم غير القبر الذي يقع داخل قبة حديثة البناء، ارتفاعها نحو متر ونصف المتر، وعرضها نحو نصف متر، عليها لوحة قديمة من الرخام، تأكلت بعض كلماتها وحروفها، فيها اربعة اسطر بخط النسخ، تشير الى اسم صاحبه وتاريخ وفاته، نحتت بشكل بارز جميل⁽³⁾. ونص هذه السطور:

«هذا مرقد الشريف العالم العارف (ال) الرياني والغوث الصمداني الجامع للمعاني الملقب من الله بمحيي الدين الثاني السيد الأجل الشيخ عبد الكريم قُدُس سره ونور ضريحه، وكان انتقاله في شهور سنة اثنتين و (كلمتان متاكلتان غير واضحتين) بعد الهجرة».

وقد نقل ماسنيون هذا النص في أوائل القرن الماضي.

وبما ان لفظ (اثنتين) يقع في مرتبة الاحاد من تاريخ وفاته، تأكد لنا ان التاريخ لاينطبق الا على العدد 832، فهو اذن تاريخ وفاته، ويكون قد عاش خمساً وستون سنة.

وهناك قطعة قديمة أخرى من الرخام أيضاً، داخل القبة، تكسرت أطرافها، وتأكلت بعض ألفاظها، وكانت مدفونة في التراب الذي يعلو حفرة الرفاة، فاخرجناها عند زيارتنا للمكان في صيف سنة 1966، وأزحنا ما عليها من أتربة، وها نحن نثبت منها ما استطعنا قراءته:

(.....الشيخ..... الرياني الغوث عبد الكريم الصمداني.....
فقراءه واصحابه محمد الفاني سنة.....)

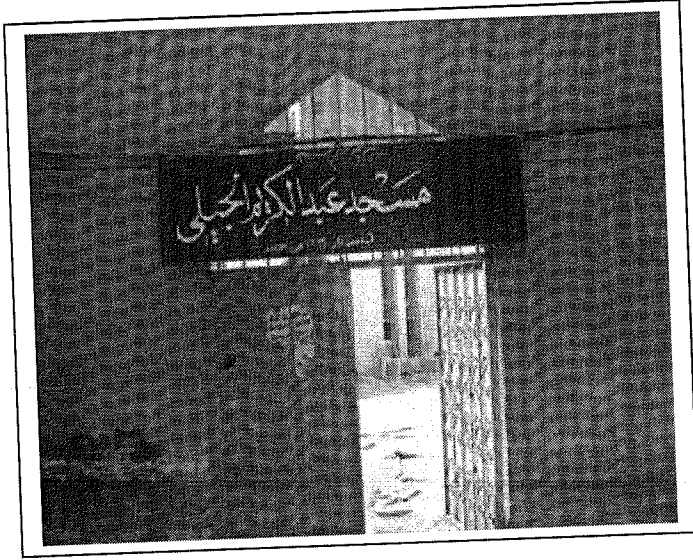
(1) خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، بتحقيقنا ديوان الوقف السني، بغداد 2006، ص187-189.

(2) العقد اللامع، بتحقيقنا، بغداد 2004، ص405.

(3) ولا وجود لهذه الكتابة اليوم.

ولا ندري من هو محمد هذا، وما هي صلته بالدفين الجيلي، والراجح ان يكون احد «فقرائه وأصحابه»، قام بتعمير القبر، وربما المسجد، في زمان تال غير محدد، بسبب تآكل تاريخه.

فالنصان مؤرخان صريحان يشيران الى أنهما كتبا ليكونا على قبر، وهما منـ ثمـ ليسا مما يوضع في (المقامات) التذكارية عادة، وقدّم الشاهدين البالغ، يدل على أنها وضعا في زمن متقدم، ربما كان قريباً من زمن دفن من كُتبت لأجله. ومن المؤسف أن هذه الكتابة الاثرية التي نقلنا نصها في الستينات من القرن الماضي أزيلت منذ زمن ولم يبق لها أثر اليوم.



مسجد عبد الكريم الجبلي المجدد حيث قبره

مؤلفاته

صنف الجبلي عدداً كبيراً من الكتب جميعها في التصوف، وقد ضمنها أفكاره التي تدور جميعاً في نطاق نظرية (وحدة الوجود)، حيث اتخذ من هذه النظرية منطلقاً لفهم كل النصوص التي وردت في القرآن الكريم، وفي الحديث القدسي، والحديث النبوي، وفي عبارات الصوفية المتقدمين، بل كانت المفتاح الذي بواسطته سبّر (حقائق الأشياء) كما يقول، وخرج باكتشافات سنعرض لها بعد قليل، ولذا فإن أسلوبه في الكتابة جاء متوافقاً مع هذه الفكرة، فلا تكاد تميز بين وحدة العبارة ووحدة الفصل ووحدة الكتاب كله، فالكلام يأتي متدفقاً بقوة، لا مسافات بين كل

فقرة وأخرى، وفصل وأخر. ونظريته في وحدة الوجود تبقى مسيطرة على كل صفحات الكتاب حتى آخر كلمة فيه، وهي تزداد وضوحاً في كل عبارة، وتكاد تتجلى من وراء كل لفظ.

فمن مؤلفاته:

1- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، وهو من أجل كتبه المعروفة وأشهرها، وسنتحدث عنه فيما يأتي.

2- الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم. أو: الكهف والرقيم الكاشف عن أسرار بسم الله الرحمن الرحيم. أوله «الحمد لله الكامن في كنه ذاته...» وقال عنه «ألفته إجابة لسؤال أخ عارف ريباني، ذي الفهم الثاقب، عماد الدين يحيى بن ابي القاسم التونسي المغربي سبط الحسين بن علي»⁽¹⁾. منه نُسخ خطية في دار الكتب المصرية تحت الاعداد 208 / 2676، و 67/56 و 74 و 23803 ب⁽²⁾، وفي مكتبة جامعة الملك فيصل بعدد 136 وثم نسخ أخرى في برايل بهولندا ودمشق وكمبرج والقاهرة وتونس نوه بها بروكلمان⁽³⁾، وقد طبع في حيدر آباد الدكن سنة 1312 هـ، وفي القاهرة سنة 1326 هـ وفي مكتبة بن أيده من مكتبات ولاته، برقم 5ب/ و⁽⁴⁾، وحققه د.عاصم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية سنة 2008.

3- مراتب الوجود وبيان حقيقة إبتداء كل موجود، ويُسمى كتاب (الأربعين). جمع فيه أصول تلك المراتب في أربعين مرتبة على حسب شهوده وعلمه، وأولها مرتبة العماء المطلق وآخرها مرتبة الإنسان الكامل. وأوله «الحمد لله الذي اعطى مراتب الوجود حقها على التمام والكمال»⁽⁵⁾ فظهر فيها بما علمه لها من الحسن والجمال والثبوت والزوال والميل والإعتدال». وهو شبيه بالانسان الكامل في معظم فصوله لكنه مختصر. وقد نظمه الشيخ غرس الدين محمد الأشعري الوفائي، ثم شرح هذه المنظومة بعضهم، وسماه (القرى الروحي الممدود للأضياف الواردين من مراتب الوجود). من الكتاب نسختان في مكتبة الأوقاف ببغداد، الأولى بعدد 12244 والثانية

(1) كشف الظنون ص1525.

(2) فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة المصرية ج2 ص108 و 115 و 119.

(3) Brock., S,II,284

(4) أحمد ولد محمد يحيى: فهرس مخطوطات نعمة وولاته، لندن 2003، ص236.

(5) في كشف الظنون ان اوله: حمداً من الحامد للحامد.

بعدد 7071⁽¹⁾. وتوجد منه أربع نسخ في دار الكتب المصرية، الأولى ضمن مجموعة بعدد 2447 / 202، والثانية بعدد 6442 / 303، والثالثة بعدد 2670⁽²⁾، وثم نسخ في الموصل⁽³⁾، وفي الفاتيكان وحيدر آباد وشهيد علي ورضا ورامبور وسباط، نوه بوجودها بروكلمان. وطبعت مكتبة الجندي بمصر هذا الكتاب، وحققه د.عاصم الكيالي، ونشره ملحقاً بكتاب (الكهف والرقيم) المتقدم.

4- مسامرة الحبيب ومسامرة الصحيح. أشار اليه الجيلي في (الإنسان الكامل) عند حديثه عن موسى ويوشع بن نون.

5- الخضم الزاخر والكنز الفاخر، وهو تفسير صوفي للقرآن. ذكره البغدادي. والظاهر أنه ألفه بعد (الإنسان الكامل) لأنه ذكر فيه ما نصه «وأرجو أن يُؤذن لي أن أكتب للقرآن تفسيراً يكون فيه بيان ما أوضح الله فيه من الأسرار المستغرية عن العقول، فيحصل به تمام الوعد الإلهي في الصفات المحمدية. رتبه على أربعة ابواب، الباب الاول في معرفة أن محمداً (ص) هو النسبة بين الله وعبد، الثاني في معرفة ما لله من الأسماء والصفات، الثالث في معرفة اتصاف محمد بالصفات الإلهية، الرابع في معرفة ما في الإنسان من الأمور الكمالية». ابتداءً في تأليفه في أول ربيع الأول سنة 803 هـ، وفرغ من كتبه صبح يوم الإثنين 28 من شوال سنة 805 بمحروسة زبيد⁽⁴⁾. منه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة عددها 360 / 18454⁽⁵⁾، ونسخ أخرى في الرباط وبريل ودمشق والموصل نوه بها بروكلمان.

7- حقائق المناظر، وهو كتاب المناظر الإلهية، ويسمى أيضاً (كتاب الآفات). أوله «الحمد لله ذي المناظر العلية والمحاضر السنية». منه نسخة في دار الكتب المصرية، تاريخها سنة 988 هـ، وهي بعدد 23803⁽⁶⁾. حققه د. نجاح محمود الغنيمي، دار المنار. 1987.

(1) انظر وصف الاولى في فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ج2، بغداد 1974، ص490، واما الثانية فلم تفهرس.

(2) فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة المصرية ج2 ص45 و 115 و 125 و 134.

(3) داود الجليبي : مخطوطات الموصل ص 123.

(4) فهرست الكتب العربية ج2 ص127.

(5) المصدر نفسه والصفحة.

(6) هؤاد سيد : فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية، القسم الأول، مصر 1961، ص281.

8- النوادِر (النادرَات) العينية في البوادِر الغيبية. وهي قصيدة عينية فقي 533 بيتاً⁽¹⁾، أو 534 بيتاً⁽²⁾، تدور في نطاق نظرية (الإنسان الكامل)، وذكر قسماً منها في كتابه (الإنسان الكامل)⁽³⁾. وللقصيدة عنوان آخر في بعض المخطوطات، هو (الدرّة أو الدرر) العينية في الشواهد (أو البوادِر) الغيبية.

أولها:

فؤاد به شمسُ المحبة طالع وليس لنجم العذل فيه مواقع

منها نسخة في مكتبة المتحف البريطاني⁽⁴⁾، ونسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة بعدد 190/2658⁽⁵⁾، ونسخة جيدة في دار الكتب الظاهرية بدمشق بعدد 6169⁽⁶⁾، وفي الخزانة العامة في الرباط تحت العدد 1019، وفي الخزانة الصباحية بسلا تحت العدد 4/484، ونسختان في مؤسسة عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء تحت العددين 280 و 14/527. وثم نسخ أخرى نوه بها بروكلمان في خزائن لايبزك وكمبرج والمتحف البريطاني، وقد شرح القصيدة عدد من كبار الصوفية، منهم الشيخ عبد الغني النابلسي (المتوفى سنة 1143 هـ) بعنوان (المعارف الغيبية في العينية الجيلية)، ونسخة منه بخطه محفوظة في دار الكتب الظاهرية، تحت العدد 9118⁽⁷⁾. وتوجد نسخة أخرى من الشرح في مكتبة الغازي خسرو بك في سيراغيفو بعدد 747/3357⁽⁸⁾. ونالت القصيدة وشرحها شهرة في القرون التالية، حتى عدت من النصوص المهمة في (العلوم الإلهية)، ومن أعز ما يمتلكه الصوفية من كتب⁽⁹⁾. قد نشرت القصيدة محققة ومرفقة بشرح النابلسي لها بعناية يوسف زيدان، دار الامين بالقاهرة 1998 و 1999.

(1) كشف الظنون ص 740.

(2) عبد اللطيف الطيباوي: التصوف الإسلامي العربي، مصر 1928، 96.

(3) انظر مثلاً ج 1 ص 90.

(4) الطيباوي: المصدر السابق ص 96.

(5) فهرست الكتب العربية ج 2 ص 111.

(6) عزة حسن: فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الشعر، دمشق 1964، ص 341 و 377.

(7) المصدر نفسه ص 377.

(8) قاسم دوبراجا: فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة خسرو بك في سراييفو، ج 1 ص 493.

(9) رحلة طه الكردي الباليساني: بتحقيقنا، أربيل 2007، 54.

9- حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق. ذكر أنه يتألف من ثلاثين جزءاً، وطبع من هذه الأجزاء كتاب (النقطة) وهو أول الأجزاء الثلاثين. توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية بعدد 2260/192، تم نسخها سنة 1159هـ⁽¹⁾، وأخرى في لايبزك بعدد 249.

10- غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الإستماع. بحث فيه مسائل السماع لدى الصوفية وآدابه، ورتبه على مقدمة وثلاثة أبواب، وجعل المقدمة في الكلام على شيم أهل الطريقة، والباب الأول في مائة كلمة مما يتداوله الفصحاء، من نظم الشعر وفواصل النثر وشرحها، والباب الثاني في عدة قصائد شرح فيها كيفية السماع لأهل الاستماع، والباب الثالث في ذكر جمل من المقدمات وكيفية اختلافها في أرباب الدرجات. فرغ من كتابته وتسويده في نهار الأربعاء سلخ رجب سنة 803 هـ بالقاهرة. توجد منه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية بعدد 360/18454⁽²⁾، ونسخة أخرى في كتبخانة أسعد أفندي في استانبول ضمن مجموعة عددها 3672⁽³⁾، وتوجد نسخ أخرى أشار إليها بروكلمان في الرباط ورامبور.

11- سبب الأسباب والكنز لمن أيقن الحساب (واستجاب). أوله «حمداً لله لصفاته، وتوحيداً لذاته، فهو الواحد لا عن التوحيد، والمحمود قبل الحمد والتحميد». نسخة منه في مكتبة الأوقاف ببغداد تاريخها سنة 1262 هـ ضمن مجموعة بعدد 6491⁽⁴⁾

12- آداب السياسة بالعدل. فرغ منه في رجب سنة 803 هـ بالقاهرة. منه نسخة بخطه في دار الكتب المصرية بعدد 4300 أدب، وثمة نسخ أخرى في كمبردج ورامبور أشار إليها بروكلمان.

13- الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي (صلى الله عليه وسلم). أشار إليه في شرح مشكلات الفتوح المكية ص 79 و 89 و 195 ويقع في أربعين جزء، لكل جزء موضوعه وعنوانه، وأكثر هذه الموضوعات في شرح أحاديث قدسية، وقد فُقد أكثر أجزاء الكتاب، ومن الأجزاء المتبقية: الجزء التاسع وعنوانه (لوامع البرق

(1) فهرست الكتب العربية ج 2 ص 112.

(2) المصدر نفسه ج 2 ص 127.

(3) دفتر كتبخانة أسعد أفندي ص 545.

(4) فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف ج 2 ص 420.

الموهن في معنى ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن⁽¹⁾. نسخة منه في كتبخانة أسعد أفندي باستانبول تحت العدد 1665. وقطعة من ضمن مخطوطة في موقع مخطوطات طوكيو أشير إليها في الموقع almudad.4umer.com والجزء العاشر، وعنوانه (قاب قوسين وملتقى الناموسين). ومنه نسخة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة بعدد 2447/202، وتاريخها سنة 1114هـ⁽²⁾. ويقراً على الموقع islamic-sufism.com والجزء الحادي عشر، وعنوانه (كتاب النور المتمكن في معنى قوله: المؤمن مرآة المؤمن). منه نسخة في دار الكتب المصرية ضمن المجموعة آفة الذكر، تاريخها سنة 1114هـ. والجزء الثاني عشر، وعنوانه (نسيم السحرا لصفات خير البشر). نسخة منه في مكتبة جامعة الإسكندرية، في 44 ورقة، برقم 45 من مجموعة الأميرة فائزة⁽³⁾. ونسخة منه في 7 أوراق، في حضرموت⁽⁴⁾. وقد طبعته مطبعة الجندي بمصر. وله كتاب كالشرح له، سماه (لسان القدر بكتاب نسمة السحر). منه نسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة بعدد 2676/308، تاريخها سنة 1135هـ⁽⁵⁾. حققه احمد فريد المزيدي، القاهرة 2000. ويمكن مشاهدته على موقع (حان الألحان).

14- شرح مشكلات الفتوح المكية وفتح الأبواب المغلقات من العلوم الدينية. وهو شرح صوفي للأبواب العشرة من الكتاب 559 من كتاب الفتوحات لأبن عربي. قال في أوله: «أما بعد، فإنه لما كان العلم بالله تعالى، أعظم العلوم قدراً، وأرفعها فخراً، وأدقها معنى، وأجلها سرّاً.. وكانت الفتوحات المكية التي ألفها الولي الكبير والقطب الأعظم.. ابن عربي الحاتمي الطائي المغربي الأندلسي.. أعظم الكتب المصنفة في هذا العلم نفعاً.. الخ». منه نسخة في مكتبة الاوقاف ببغداد تحت العدد 7074 تاريخها سنة 1129⁽⁶⁾، وفي المكتبة الازهرية بالقاهرة وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق بعدد 9118، وفي مكتبة بلدية الإسكندرية بعدد 6301 د/تصوف، وفي مكتبة جامعة الاسكندرية

(1) البغدادي: هدية العارفين ج 1 ص 610.

(2) دفتر كتبخانة أسعد أفندي ص 98.

(3) يوسف زيدان: فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية، القاهرة 1994، ج 2 ص 385.

(4) المصدر نفسه ص 23.

(5) فهرست الكتب العربية ج 2 ص 45.

(6) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف ج 2 ص 434.

في 45 ورقة، في مكتبة جامعة الإسكندرية برقم 45 من مجموعة الأميرة فائزة⁽¹⁾، وفي المعهد الأحمدى في طنطا بعدد ح22، ع732، حققه عثمان يحيى، ثم يوسف زيدان. ويقرأ على موقع دار الايمان Daraleman.Org .

15- حقيقة اليقين وزُلفة التمكين وعمارَة الدين. فرغ من تأليفه سنة 815هـ، منه نسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة عددها 2676/208⁽²⁾. وفي مكتبة بلدية الإسكندرية بعدد 3893ح/ت، ونسخة في مكتبة الاوقاف في بغداد ضمن مجموعة تحت العدد 7071⁽³⁾. ونشر على الموقع almuada.4umer.com .

16- الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأسرار، شرح فيه رسالة (الأنوار) للشيخ محي الدين ابن عربي، وهي تبحث في كيفية السلوك الى الله تعالى والوقوف بين يديه. أوله «أحمدُ الله الذي نورَ قلوب العارفين بنبراس معرفته»⁽⁴⁾.

17- السّفَر (الإسفار) القريب نتيجة السفر الغريب. شرح فيه كتاب (الإسفار عن نتائج الاسفار) للشيخ ابن عربي. أوله «الحمد لله الذي خلق الانسان، وعلمه البيان، وجعله نسخة كاملة»، تحدث فيه عن سفر الإنسان عن طريق استحضار الطرائق من ظاهره إلى باطنه، ثم تفتح السموات السبع على الترتيب، بحسب الركوع والسجود بكل صلاة. منه نسخة في دار الكتب المصرية تحت عدد 178، وفي مكتبة جامعة القاهرة تحت العدد 15699.

18- الكنز المكتوم والحاوي على سر التوحيد المجهول المعلوم. ذكره البغدادي⁽⁵⁾.

19- كشف الغايات في شرح ما اكتتفت عليه التجليات. وهو في شرح (التجليات الإلهية) للشيخ ابن عربي، وتناول فيه تجليات بعض أسماء الله وصفاته وافعاله. منه نسخة في رامبور نوه بها بروكلمان. وفي المكتبة الوطنية بباريس نسخة منه ذكر انها لمؤلف مجهول، وهي للجيلي، حققه محمد عبد الكريم النمري مع تعليقات إسماعيل بن سودكين، دار الكتب العلمية. 2008.

(1) يوسف زيدان: فهرس مكتبة جامعة الإسكندرية ج2 ص68.

(2) فهرست الكتب العربية ج2 ص119.

(3) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف ج2 ص354.

(4) إسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون ج1 ص79.

(5) هدية العارفين ج1 ص610.

- 20- الغايات معرفة معاني الآيات المتشابهات. ذكره البغدادي⁽¹⁾.
- 21- قطب العجائب وفلك الغرائب. وصفه الجيلي بما يفهم منه أنه جاء مكملاً
موضحاً لمعاني كتاب (الإنسان الكامل)⁽²⁾. نوه به في كتابه (شرح مشكلات الفتوحات
المكية) ص 89 و 90.
- 22- شرح لطيف على منظومة في التصوف نظمها محمد بن عبدالدائم المعروف
بابن بنت الميلى المتوفى سنة 797هـ مطلعها:
- مَنْ ذاق طعم شراب القوم يدرية ومَنْ دَرَاه غدا بالروح يشريه
- منه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت العدد 7074⁽³⁾.
- 23- الحالي المكين. منه نسخ في خزانة ولي الدين في القاهرة، نوه بها بروكلمان.
- 24- المناظر الإلهية. يحتوى على 101 منظر، من المناظر النورانية التي شاهدها
الجيلي في خلوته بربه، منه نسخ في حيدر آباد والقاهرة ودمشق، اشار عليها
بروكلمان. وطبعته مكتبة الجندي بمصر سنة 1962، وحققه د. نجاح محمود الغنيمي،
دار المنار 1987، ود. عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية في بيروت. 2004.
- 25- منازل (منزل) المنازل في معنى التقريبات بالفوائد النوافل. منه نسخة في
الخزانة الاصفية في حيدر آباد الدكن بعدد 1902 اشار اليها بروكلمان ايضاً.
- 26- عيون الحقائق في كل مايحصل (تحصل) من علم الطرائق. منه نسخة في
المكتبة الوطنية بباريس بالعدد 2595.
- 27- روضة الواعظين. منه نسخة في خزانة قليج علي باشا في استانبول بعدد 701.
- 28- شرح أسماء الخلوة. نوه به بروكلمان.
- 29- عقيدة الأكابر المقتبسة من الأحزاب والصلوات. منه نسخة في طرابلس نوه
بها بروكلمان.
- 30- القصيدة الوحيدة. منها نسخة في حيدر آباد، أشار اليها بروكلمان ايضاً.

(1) المصدر نفسه والصفحة.

(2) الإنسان الكامل ج 1 ص 17.

(3) اسعد طلس: الكشاف عن خزائن كتب الاوقاف ص 228.

- 31- إنسان عين الجود ووجود عين الانسان الموجود. اشار اليه في شرحه للفتوحات ص 131 و 160
- 32- جنة المعارف و غاية المريد والمعارف. رسالة أشار إليها في كتابه (الكمالات الإلهية).
- 33- كشف الستور عن مخدرات النور.
- 34- أمهات المعارف. نسخة في مكتبة الازهر تحت الرقم 964/تصوف.
- 35- رسائل السبعات. وهو الشرح الثالث الاخير الذي وضعه الجيلي على مؤلفات ابن عربي. نسخة منه في مكتبة لايبزيك.
- 36- الوجود المطلق.
- 37- بحر الحدوث والحدث والقدم وموجود الوجود والعدم.
- 38- رسالة الأغرّب من العجالة لمن نظر وتعجب وتجنّب عن التعرض والتعصب في بيان ديباجة عنقاء مغرب وشمس المغرب للشيخ الشهير بابن العربي - قدس الله سره الاغلب- مع قارورة قلبه والقالب. نوه به بروكلمان 283/2 ومنه نسخة تاريخها 1299 هـ في مكتبة جامعة الاسكندرية تحت العدد 17 من مجموعة الاميرة فائزة.
- 39- الملكة الريانية المودعة في النشأة الانسانية. أحال اليه في كتابه (مراتب الوجود).
- 40- قطب العجائب وفلك الغرائب. ذكره في كتبه (مراتب الوجود) و (حقيقة الحقائق) و (سر النور المتمكن)⁽¹⁾.
- 41- شرح وراء الكونين . نوه به بروكلمان 283/2 ومنه نسخة كتبت سنة 1299 في مكتبة جامعة الاسكندرية في ست اوراق، ضمن مجموعة الاميرة فائزة، برقم 17.
- 42- الكمالات الإلهية والصفات المحمدية. منه نسخة في مكتبة خاصة في تريم بحضرموت⁽²⁾.

كتابه (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل)

كتاب في جزأين، منه نسخ خطية عديدة في مكتبات شتى، منها اربع في دار الكتب المصرية، الأولى تاريخها 1271 بعدد 2486/18، والثالثة تاريخها 1013 هـ

(1) الغنيمي، مقدمة لكتاب المناظر الإلهية ص 14.

(2) عبد الله الحبشي: فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت، المركز اليمني للأبحاث الثقافية 1975.

بعدد 6774/56، والرابعة تاريخها 1284 هـ بعدد 2670/202⁽¹⁾. وتوجد منه عدة نسخ في خزائن كتب استانبول، منها نسخة في كتبخانة ايا صوفيا⁽²⁾، ونسخة في كتبخانة ولي الدين عددها 1634⁽³⁾، ونسخة في كتب خانة دركملي بابا بعدد 343⁽⁴⁾، ونسخة في كتبخانة قليج علي باشا بعدد 574⁽⁵⁾، واخرى في مكتبة اسعد أفندي بعدد 205⁽⁶⁾، وثلاث نسخ في مكتبة نور عثمانية تحت الاعداد 2264 و 2276 و 2277⁽⁷⁾، وفي مكتبة الاوقاف ببغداد نسختان بالعدد 4814 و 4909⁽⁸⁾، وفي مكتبة الاوقاف بالموصل تحت العدد 7/1⁽⁹⁾، وفي مكتبات موصلية أخرى⁽¹⁰⁾. وفي كتبخانة كجرات تحت العددين 560 و 561، ونوه بروكلمان بنسخ أخرى في خزائن شهيد علي وفيض الله وسليم باستانبول، وفي خزائن بريل في هولندا والوطنية ببيريس والاصفية بالهند⁽¹¹⁾، وثلاث نسخ في الخزانة الملكية في الرباط في المغرب تحت الأعداد 197، 633، 9948. وفي خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشدية في المغرب، تحت العدد 13/276⁽¹²⁾ وفي خزانة المسجد الأعظم بوزان تحت العدد 498⁽¹³⁾. وقد طبع الكتاب بمصر غير مرة دونما تحقيق، وأفضل طبعاته تلك التي تولتها مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بالقاهرة سنة 1956، فقد عهد بتصحيحها الى لجنة التصحيح في المطبعة المذكورة، وهي التي اعتمدها في هذا البحث. وقد ترجم

- (1) فهرست الكتب العربية ج2 ص67 و 111 و 115.
- (2) دفتر كتبخانة ايا صوفية، استانبول 1304، ص99.
- (3) دفتر كتبخانة ولي الدين، استانبول 1304، ص91.
- (4) دفتر كتبخانة دوكملي، استانبول 1310، ص26.
- (5) قليج علي باشا كتبخانة سي، استانبول 1311، ص40.
- (6) دفتر كتبخانة اسعد أفندي، استانبول، ص79.
- (7) نور عثمانية كتبخانة سنده، استانبول، ص128.
- (8) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف ج2 ص315 و 316.
- (9) سالم عبد الرزاق احمد: فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة بالموصل، الموصل 1982، ج1 ص71.
- (10) داود الجلي: مخطوطات الموصل ص52 و 143.

(11) Brock.,s.,II,283

- (12) حميد لحيمر: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشدية، الرباط 2009، ج4 ص989
- (13) بدر العمراني ومحمد سعيد الغازي: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة المسجد الأعظم بوزان، الرباط ج1 ص528

المستشرق رينولد نيكلسون قسماً منه الى الانكليزية سنة 1921، ولخص فكرته الاساسية في مقالته (الإنسان الكامل) في دائرة المعارف الإسلامية.

يتألف الكتاب من ثلاثة وستين باباً، عدا المقدمة، أوله «الحمد لمن قام بحق حمده، فتجلى في كل كمال استحققه وأقتضاه، وحصر بنقطة حال جلاله حروف الجمال واستوفاه، سمع حمد نفسه بما اثى عليه المعبود، فهو الحامد والحمد والمحمود حقيقة الوجود». وكان الجيلي شديد الاعتزاز بهذا الكتاب، إذ يقول عنه: «هذا كتاب لم يأت بمثله الزمان، ولم يسمح بشكله الأوان، فافهمه وتأمله، فالسعيد ابن السعيد من قرأه وحصله...». ويروي قصة وضعه، ومعاناته في تأليفه، بقوله: «كنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح، وأيدت مسأله بالخبر الصحيح، وسميته بالإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ولكني بعد أن شرعت في التأليف، وأخذت في البيان والتعريف، خطر في خاطر إن أترك هذا الأمر الخاطر، إجلالاً لمسائل التحقيق، وإقلالاً لما أوتيت من التدقيق، فجمعت همتي على تفريقه، وشرعت في تشتيته وتمزيقه، حتى دثرته فاندثر، وفرقته شذر مذر... فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه والغازه، ووعدني بعموم الانتفاع، فقلت: طوعاً للأمر المطاع، وشرعت في تأليفه متكلاً على الحق...»⁽¹⁾.

وإذ كنا قد أطلعنا - إطلاعاً مباشراً - على معظم مؤلفات الجيلي المحفوظة في القاهرة وبغداد والاسكندرية، فضلاً عما طبع منها، وما نشر منها على الأنترنت، فإننا نستطيع القول بأن كتاب (الإنسان الكامل) يمثل واسطة عقدها بلا جدال، فقد حوي بين دفتيه جميع أفكار الجيلي التي توزعت في سائر مؤلفاته الأخرى، بحيث يصعب القول أنه ترك فكرة أو رأياً في كتاب ولم يدرجه، على نحو ما، في إنسانه الكامل هذا، بل يمكن القول انه قصد، في كتابه المذكور، أن يقدم لقارئه خلاصة مكثفة لكل تجاربه الفكرية والروحية منذ أن سلك طريق التصوف. وإشاراته الى بعض مؤلفاته الأخرى تدل على أنه لم يكتب الكتاب إلا بعد أن كانت له تجارب مهمة ومنتوعة في عالم التأليف أيضاً.

ولقد ذكرنا أن الجيلي تأثر تأثراً عميقاً بشيخه اسماعيل الجبرتي، ولما كان هذا «داعية لمقالة ابن عربي»⁽²⁾، فقد تأثر الجبرتي بآراء ابن عربي (توفي سنة 638هـ)، بل

(1) الانسان الكامل ج 1 ص 4.

(2) السخاوي: الضوء اللامع ج 2 ص 282.

وعلى الرغم من كثرة هذه المصطلحات فإن الجيلي لا ينسى أحدا منها، فهو يستخدمها مقترنة بدلالاتها في مواضعها مرة بعد مرة، ولا يقتصر هذا على كتاب واحد وإنما في سائر كتبه على كثرتها، مما يبعث على الظن، بأنه كان يسجل المصطلحات المتعددة في ورقة، ليلجأ إليها كلما اقتضى الأمر ذلك، أو أنه كان يتمتع بذاكرة قوية تعينه في التوصل إلى الغاية نفسها.

على أنه في أحيان أخرى يخرج عن هذه القاعدة، فيأتي للمصطلح الواحد بدلالات تختلف عما أورده في المرة، أو المرات السابقة، كل بحسب السياق الذي يستخدمها فيه، وهي ظاهرة لا ينفرد بها وحده وإنما يمكن تتبعها لدى متصوفة آخرين أيضاً، وتعد من الظواهر الملازمة للنص الصوفي بخلاف نصوص العلوم الأخرى، التي يعبر فيها المصطلح عن دلالة واحدة غالباً. ولا يمكن أن نفسر هذا الأمر بضعف في دراية المؤلف الصوفي أو في ذاكرته، وإنما في طبيعة المعرفة الصوفية نفسها، التي تقوم على تنوع التجارب الذاتية كما أشرنا من قبل، فهو يضطر غالباً إلى اضافة دلالات جديدة على المصطلح بحسب تنوع هذه التجربة وغناها وتعدد مراحلها، وهكذا فلا يمكن فهم الاختلافات، وإن كانت جزئية، في هذه الدلالات إلا بفهم سياق النص كله، بل بفهم معمق لموضوعه⁽¹⁾. وفي هذا يرى أحد الباحثين أن «العمل الصوفي في النهاية هو عمل فني مفعم بالرموز والإيحاءات والتلويحات التي لا تنكشف إلا بضرب من التذوق والاستشفاف»⁽²⁾.

ويبدو أن كثرة ابتكار، أو استعمال، المصطلحات لدى الجيلي، أدت به إلى ضعف العلاقة بين لفظه ودلالته، أو إلى انقطاعه عنه أحياناً، مثال ذلك اصطلاحه على الحياة بأنها (إمام الأئمة)، وعلى الكرسي ب(العقل الكلي)، وأن (الوئدية) المرتبة الثانية من مراتب الاستخلاف، وأن (الإرزاق) تجل فيضي على قدر حكمي، مع أنه لا علاقة لفظية بين الرزق وبين هذا المعنى، وأن (الأئمة) الصفات النفسية، ولا صلة بين اللفظ ومعناه، وهكذا.

ويصرح الجيلي أنه يتعذر عليه الكلام دون استخدام الاصطلاح، فيقول «لابد لنا التتزل في الكلام على قدر العبارة المصطلحة عند الصوفية»⁽³⁾، لكنه يميز الجيلي بين

(1) ينظر الكاشاني: الاصطلاحات الصوفية، ص 11 من المقدمة ورفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، بيروت 1999، المقدمة.

(2) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، ص 54.

(3) الإنسان الكامل ص 11.

ما ابتكره من مصطلح، وبين ما استخدمه من مصطلحات لمتصوفة سابقين، فيقول عن الأخيرة أنها «المعبر عنها»، أو «التي عبر عنها القوم» أو «عبرت عنها الطائفة»، و«يسميه المحققون». وعلى أية حال فإن قدرة الجيلي على ابتكار المصطلح وعلى استخدامه أيضاً تبدو جلية بالقياس إلى قدرات غيره من المؤلفين، فمصطلح (الأحدية) مثلاً، عند الكاشاني هو «اعتبارها مع إسقاط الجميع»⁽¹⁾، بينما هو عند الجيلي «درجة إلى الحق تضمحل فيها العلوم وتُحَى فيها الرسوم»، ومصطلح الإحسان عند الكاشاني هو «يتحقق بالعبودية على مشاهدة الحضرة الربوبية بنور البصيرة»⁽²⁾ بينما هو عند الجيلي «اتحاد البصر والبصيرة»، فانظر إلى الفرق في الوضوح وجودة التعبير.

ومن غير اليسير استخراج مصطلحات الجيلي من مؤلفاته كلها، فهذه المؤلفات كثيرة قد تتجاوز الأربعين، وبعضها مفقود، ولذلك فإننا عمدنا إلى جملة من مؤلفاته المهمة، التي تميزت بتنوع موضوعاتها، لاسيما كتابه الشهير (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل)، وقد اعتمده هو فأحال عليه في كتبه الأخرى، فاستخرجناها من هذه المؤلفات، وهي:

الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل. طبعة محمد علي صبيح، القاهرة، 1345هـ، رمزنا إليه بالحرف (أ)

نسيم السحر، تحقيق بدوي طه علام، رمزنا إليه بالحرفين (نس)
مراتب الوجود وحقيقة كل موجود. تحقيق بدوي طه علام، رمزنا إليه بالحرفين (مر)
قاب قوسين وملتقى الناموسين، رمزنا إليه بالحرفين (قا)
حقيقة اليقين وزلفة التمكين، مخطوط في مكتبة جامعة الإسكندرية، رمزنا إليه بالحرف (ح)

المنظر الإلهية ومخاطر إجمال العلوم اللدنية، رمزنا إليه بالحرف (م)
لوامع البرق الموهن في معنى ما زسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن، رمزنا إليه بالحرف (ل)

(1) الاصطلاحات الصوفية ص59.

(2) المصدر نفسه ص52.

كتاب النقطة الموسوم حقيقة الحقائق، رمزنا إليه بالحرف (ن)

الكمالات الالهية رمزنا إليه بالحرفين (كم)

ورتبنا ما استخرجناه من مصطلح بحسب حروف الهجاء، فاستوى معجماً
جديداً في هذا المجال الدقيق من مجالات المعرفة الصوفية، يمكن أن يكون عوناً
للباحثين في فهم النص الصوفي وفي تحقيقه أيضاً، والله تعالى من وراء القصد .

-ج-

• الإبهام: تجلّ إلهي يُشهدك الحق تعالى فيه أسراره المودعة في مخلوقاته
ويطلعك على تداخل الأسماء والصفات (ا).

• اتباع الحق: أن تتسبب إليه ما يستحقه من الكمالات وتزهه عما لا يليق

بكبريائه (م)

• أثر الخلافة: نفوذ الأمر بالتعرف في الأكوان (أ)

• إثينية الباء: بروز الحق لنفسه في ترتيب ذاته الخلقية (ق)

• الإجابة: موافقة الإرادة الإلهية لسؤال العبد سواء تقدم حصوله أو تأخر (كم)

• الإجلال: أن يتعرف الحق للعبد بما ليس يعرفه من العظمة والعزة فيجمله

ويجهد أن يقدره حق قدرته فيعجز ثم يؤيده فيقدره حق قدرته (ل)

• الإجمال الكلي: أن يريك الحق تعالى كليات الأمور (م)

• الإجمال: إرجاع أفعال العبد إلى الحق تعالى، فينسبها إليه سبحانه بعين ما

كان ينسبها إلى نفسه (أ).

• الإجمال: أن يجد العبد عقله عين العلم الإلهي وروحه عين الحياة الرحمانية

السارية في الموجودات كلها ومخيلته عين إرادة الحق ومصورته عين القدرة الإلهية

وبصيرته عين السمع الإلهي وحديث نفسه عين الكلام (ل)

• الأحدية: المرتبة الثالثة من مراتب الوجود، الأحدية: درجة إلى الحق تضمحل

فيها العلوم وتتحنى فيها الرسوم (ق)

• الإحسان: اتحاد البصر والبصيرة، فيشهدك الحق تعالى أنوار عظمته

الساطعة على الوجود (أ)

- الإحسان: أن يأخذك الحق تعالى أنوار عظمته ساطعة على الوجود فيأخذك الصعق (م)
- الإخبار: أن يعرف الله عبده بالواقعات الصادرة في الأكوان عند حلولها وبعده لا قبله من غير أن يحصل من العبد استشراف إلى علم ذلك (ل)
- الإذلال: تجل إلهي من حيث البطون والإستثار في الموجودات فتتزل لرجوعها إلى أنفسها (كم)
- الإرادة: الروح الممتزجة بالجسم (مر)
- الإرزاق: تجل فيضي على قدر حكمي (كم)
- الأركان الأربعة: النار، الهواء، الماء، التراب (أ)
- الأرواح الثلاثة: أصل الحرف الألفي (ن)
- الأرواح الفعلية: الملائكة المهيمنة، عالم الحدوث، عالم المعاني (مر)
- استغفر الله: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل يستتر فيه وجود العبد فيغفر ذات العبد أي يسترها بذاته فلا يشهد في الوجود إلا الله وحده (ق)
- الاستواء: أن يستوي إتصاف العبد بصفات الله تعالى واتصافه بصفات نفسه (م)
- الإستيلاء: استيلاء الصفات الإلهية والأسماء الذاتية على سائر العبد بأن يتحقق جسمه الذي هو هيكله بما هو متحقق به في روحه. استيلاء حكم الحق تعالى على العبد فلا يبقى لبشريته أثر (أ)
- اسم الله تعالى: قطب رحي العالم (م)
- الاسم المحيط: كل اسم له سدنة يشملها حكمه (كم)
- الأسماء الجمالية: المرتبة العاشرة من مراتب الوجود (مر)
- الأسماء الحسنى: أسماء الإحصاء التي تعرف به إلينا من الأسماء والصفات فيما يتجلى بها على عبده (أ) (ق)
- الأسماء الذاتية المقيدة: أسماء تقييد معنى الوصفية من وجه على أنها أسماء ذاتية فهي سبعة: الرحمن، الواحد، الفرد، الوتر، الصمد، القدوس، الدور (كم)

- الأسماء الذاتية: أسماء مستأثرة عنده في غيبية لم يدخرها سبحانه وتعالى تجلياً على عباده وإنما لكون درايتهم لا يمكنها معرفة ذلك (كم)
- الأسماء الفعلية: المرتبة الحادية عشرة من مراتب الوجود (مر)
- الأسماء المُستأثرة: أسماء لله يتجلى بها على من شاء من عباده، فهي مستأثرة عنده لا يعلمها إلا هو، ويعلمها من شاء من عباده (ق)
- الأسماء المستأثرة: الأسماء والصفات التي لم يتعرف إلينا بها، وهي له، يتجلى بها على من يشاء من عباده (أ).
- الأسماء النفسية: الحي، العليم، المرید، القادر، السميع، البصير، العليم (كم)
- الإغاثة: سرعة إجابة سؤال كل مضطر بإيصاله إلى المضطر إليه على ما تستحقه قابليته (كم)
- الأفلاك: الصفات الذاتية أو الإسمية أو الفعلية (م)
- الأقدار: جريان القدرة في الأشياء، وجريانها في أفعال الموجودات (م)
- الألف الأصلية: مظهر الحق تعالى، مظهر العناصر (ن)
- الإلهام: إنعدام الأعيان الثابتة بالكلية (م)
- الألوهية: الظهور الصرف (مر)
- الإلوهية: المرتبة الخامسة من مراتب الوجود، المرتبة الشاملة لمراتب الوجود، أعلاها وأسفلها (ق)
- الألوهية: تجليات الحق بالأسماء الذاتية والنفسية والوصفية والعقلية في مجلى واحد (كم)
- الألوهية: حضرة جمع الجمع، الحضرة الأكملية، مرتبة المراتب (مر)
- الألوهية: الظهور الصرف، منشأ الكثر والوجودية، حضرة التعيينات الإلهية، حضرة جمع الجمع، مرتبة المراتب (مر)
- إمام الأئمة: الحياة (مر)
- الإمامية: الغوثية الصغرى. المرتبة الثانية من مراتب الاستخلاف (ل)

• إنباء الحق: أن تتسبب إليه ما يستحقه من الكمالات وتزهره عما لا يليق بكبريائه تعالى (أ)

• الإنسان الكبير: العالم الموجود تحت العرش من عالم المعنى وعالم الجبروت (ن)

• الإنسان: العالم الصغير (ق)

• أهل التجلي: الواصلون (أ)

• أهل الحضائر: عباد تجلى الله عليهم بتجليات متعينة فأكسبتهم تلك التجليات معارف آداب الدخول في الحضرات، فإذا أراد أحدهم دخول حضرة الحق تعالى استحضر تلك المعارف وتآدب بأدائها (أ)(م)

• أهل الحضائر: نوع من العارفين يخرجون عن محاضرتهم الإلهية لمصالحهم الخلقية فإذا فرغوا منها رجعوا إلى أمر الله تعالى ودخلوا حضرة الحق تعالى (م)

• أهل الخلع: هم الذين يشربون الصرف، وهم أهل عين التسنيم، وهو الكافور يخرج منه لأهل المواهب (أ)

• أهل المجالسة: الحافون بالعرش

• أهل المواهب: الذين يشربون من الممزوج (تنظر هذه المادة) (أ) (م)

• الأوصاف السبعة النفسية: الإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام (ق)

• الإيمان: تجل يدرك به سائر العلوم والأسرار، ويصل إلى سائر المقامات

العلوية، ويقطع به المنازل بنفس واحد (أ) (م)

• الإيمان: نور الله (م)

• الأئمة: الصفات النفسية (مر)

-ب-

• الباء: العرش، النفس الناطقة المسماة من بعض وجوهها بالقلب الذي وسع الله تعالى (ك)

• الباصرة: الروح الإنسانية (ل)

• الباطل: العدم المحض، غير الله تعالى (كم)

• الباطن: الحقيقة (ن)

• البداية: تجل على قلب العبد يعيده إلى المحل العلمي الإلهي الذي بدأ منه إلى العالم العيني. أن لا يكون للعبد في العالم العيني وجود البتة، بل يفنى سائر وجوده ويضمحل تركيبه ويذهب في الزاهبين فيرجع إلى المحل العلي، فلا يكون موجوداً إلا في علم الله وحده (أ) (م).

• البديلية: المرتبة الرابعة من مراتب الاستخلاف (ل)

• البراءة: تجل إلهي اختراعي يظهر الله فيه الأشياء على حسب مراده (كم)

• البَسْطُ: أن يعطى العبد أزمة المعاني فيقودها إلى حيث القلوب المصطفات

حيثما أراد الحق (ل)

• البَسْطُ: تجل رحماني به انتشر في الوجود ما كان منطوياً في العلم الإلهي (كم)

• البشائر- النوع الأكمل: أن يكشف الله تعالى لك أولاً عما أودعك من أسراره

عن طريق المكالمة أو المحادثة أو المخاطبة أو المسامرة (م)

• البشائر- النوع المتوسط: الإخبار الإلهي للعبد من غير أن يكشف له عن سره

الموعود به له (م).

• البشائر- النوع الثالث: ما يرد عليك من البشارة بطريق مخاطبات الملائكة أو

مقام تراه أو يرى لك أو بتصريح ولي (م)

• البَصْرُ: تجلي علم الحق من حيث مرتبة معلوماته له (كم)

• البعث: تجلي الكثرة وتعين الذات باسم الغيرية وظهور الصفات المعنوية

بالمظاهر الصورية، الظهور بعد البطون (كم)

• البهت: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجلٍ يذهب فيه لبه ويزيل عقله

وتتعدم فيه معارفه (أ) (ق)

-ت-

• التاج: عدم التاهي. إشارة إلى ماهية الذات التي لا نهاية لها (أ)

• التأنيس: أن يعرف الله عز وجل عبده بإقباله عليه وتدانیه إليه ويكشف له

عن أسراره المودوعة ليأنس بها فيرجع إلى جنابه ويقيم عتد بابه (ل)

• التجلي الأحدي: حقيقة صرافة الذات (مر)

- التجلي الأقدس: حقيقة تلك الروح المتجلية بأطوارها إلى تقلبات هذا القلب المتقلب (ل)
- التجلي الرحماني: أن يستولي حكم الحق تعالى على العبد فلا يبقى لبشريته أثر (م)
- تجلي الفتق: الكشف عن تداخل العلوم والمعلومات بعضها في بعض، فتري المسألة الواحدة المعقولة في ضد ما يقال بعينها في ضده (أ)
- التجلي: ثمرة التخلي (ن)
- تجليات المراتب الإلهية: التجلي الذاتي المخصوص الأقدس إلى سدرة المنتهى (م)
- تجليات المعنى: التجليات الإلهية (ق)
- تجلي عدمي: التجلي الذاتي للذات في الذات، التجلي المخصوص (ن)
- التذلي: أن يعرف الله تعالى وليه بأسرار الرجوع إلى العبودية ومناقبها وحصول استيعاب الكمال بذلك المعنى فيتدلى وينزل إلى العبودية المحضنة (ل)
- التزندق: تجلي الحق تعالى على الولي بتجلي مخصص يظهر أثره عليه بحكم الغلبة، فيزندقه كل من يراه أو يسمع به أو يعلمه في تلك الحالة (أ) (م)
- التصوف: التخلق بالأخلاق الإلهية (م)
- التعالي: أن يعرف الله سبحانه وتعالى وليه بمدارج القربى (ل)
- التعليم: تأديب الحق تعالى عباده بأنواع الأدب (أ) (م)
- التقريد: الإنفراد بحقائق الكمالات الإلهية (أ) (م)
- التفصيل الجزئي: العلم بحقائق الأشياء كما هي عليه (أ) (م)
- التقرب: أن يساير الحق تعالى عبده بأنواع المسامرات والمحاضرات والمحادثات مما لا يستطيع هذا الكون انشاؤه (ل)
- التقوى: عين العبادة (ن)
- التقييد: إعطاء الحقائق حقها (أ)
- التقييد: عدم الوقوع في تجل إلا ويظهر على هيكله أثر ما هو فيه

• التكميل: أن يتجلى النبي (ص) على العبد حينما يعجز عن تحقيقه بمقام الكمال المطلق (ل)

• التلاشي: التخلي لورود التجلي، فالموصول فان، والمفصول باق (أ)

• التلامت: تجلي الحق تعالى على العبد بتجل بتغرب في أحوال العبد على الخلق، مما يوجب ملامتهم عليه (أ) (م)

• التلوين: الإتصاف، هو من لوازم الخلق لا من صفات الحق، غلبة حكم صفة في كل زمان (م)

• التلوين: هو مشهد ذاتي تتلون فيه بمعاني الأسماء والصفات، فيغلب عليه في كل زمان صفة، فتكون في لون غير ما كنت عليه قبل (أ)

• التمكين: تجلي الحق تعالى للعبد بذاته من حضراته، فيتصف حينئذ بأسمائه وصفاته (أ) (م)

• التنزيه الذاتي: سليك الشيء عن ذلك الشيء من صفاته بوجه من الوجوه (كم)

• التنزيه الصفاتي: سليك الشيء عن لا تقتضيه صفاته (كم)

• التكرير: تجلي الله تعالى على عباده بالأسماء والصفات المستأثرة عنده، فيعرفه العبد بها (أ)

-ج-

• الجلال: تجلي الحق تعالى على العبد بصفات القهر والكبرياء والقدرة والعظمة والجبروت (م)

• الجلال: حقيقة المجد الصرف المطلق الذي لا يختص بنسبة ولا باعتبار بل من كل الوجوه، ويكل الاعتبار، ولكل النسب (كم)

• الجمال: تنوع تجليات الحق تعالى في منظر الحال، فتارة بتجلى باللطف وتارة بالرحمة وتارة بالفضل وأمثال ذلك (م)

• الجوهر البسيط: الجوهر بعد انحلال التركيب، الجزء الذي لا يتجزأ

• الجوهر الفرد: الجوهر قبل التركيب (مر)

- الجوهر المركب: الجوهر بعد التركيب (مر)
- الجوهر: ذات قابلة للإنصال غير قابلة للإفتراق (مر)

-ح-

- الحب: الواسطة الأولى لوجود الموجودات. محمد صلى الله عليه وسلم (أ)
- الحرف: العين الثابتة في العلم الإلهي لا تسمى كلمات وسميت حروفاً (أ)
- الحروف الظلامية: الحروف ت ج د ز ف ش ت ث خ ذ ض ط غ (ك)
- الحروف العاليات: صور المعلومات الإلهية (ن)
- الحروف النورانية: الحروف: أ ه ح ط ي ك ل م ق س ع ص ق ر (ك)
- الحَسَب: تجل إلهي يظهر المجد الباذخ، والكمال الشامخ على أنه من مقتضيات الذات الإلهية لذاتها لا لاعتبار ألوهية أو ربوبية (كم)
- حضرة الأسماء الجليلية: المرتبة التاسعة من مراتب الوجود (مر)
- الحفظ: الكلاءة الإلهية لآثار الأسماء والصفات بحيث لا يمنع بعضها بعضاً من إظهار الأثر، فإن لله أسماء متضادة فلو لم يمنع بعضها من بعض لطمس أنوار بعضها بعضاً، ولانعدمت الأسماء للمتضاده بأسره (كم).
- حق اليقين: الإتيان بالتجليات الإلهية منك فيك بلا واسطة اسم أو فعل بل بذاتك من غير تشبيه ولا حلول ومن نوع من النقائص (م)
- حق اليقين: الإتيان بتجليات الله الصفاتية والأسمائية والذاتية منك فيك بلا واسطة اسم أو فعل بل بذاتك في ذاتك لذاتك (أ)
- الحق: الذي في مقابلة الباطل، لأن اليقين إذا ظهر في أمر زال خلافه (كم)
- الحق: العلم والعالم والمعلوم، الشاهد والمشهود، الوجود المحض (كم)
- الحق: تمييز الذات الإلهية بصفات الكمال عن الذات الخلقية (كم)، الذات الموصوفة الممتازة عن صفات الأكوان (كم)، الذات الظاهرة في الملابس الكونية بما هي الأكوان عليه، وهذا هو الحق المخلوق به (كم)
- الحقائق: أصول الشرائع (أ) (م)

- الحقيقة المحمدية: قاب قوسين أو أدنى (مر)، العلم المطلق، العشق المجرد عن شبه العاشق والمعشوق، الشأن الصرف (مر)
 - حقيقة اليقين: إعطاء كل حق إلهي حقه مما يتصف العبد من أسماء الله تعالى وصفاته (أ)
 - حقيقة حق اليقين: إعطاء كل حق إلهي حقه مما يتصف به العبد من أسماء الله تعالى وصفاته (م)
 - الحكم: مقتضيات صفاته في الوجود (كم)
 - الحكمة: إظهار القدرة تحت ملابس الأسباب بوضع كل شيء موضعه من الترتيب اللائق بالعلم الإلهي، وأعطى كل حقيقة في الوقت المخصوص ما تقتضيه من الظهور والبطون والتعالي والتسفل والنقص والكمال والتقديم والتأخير والإيجاد والإعدام والتقليل والتكثير (كم)
 - الحلم: تجل إلهي بما اقتضته أسماء الرحمة في العصاة لا بما اقتضته فيهم أسماء النعمة (كم)
 - الحمد لله: أن يتجلى الله على العبد بتجل يحمد الله فيه نفسه بنفسه عن العبد، وحمده لنفسه تجليه فيما يستحقه من الكمالات الإلهية والشؤون الذاتية والمقتضيات الصفاتية وإعطاء كل شيء حقه (ق)
- خ-
- خاطر الأول: السبب الأول، خاطر إلهي لا يكون إلا حقاً (م)
 - الخالقية: تجل إلهي يعين ما سوى الله فيه بالوجود التام، بعد أن كان محكوماً عليه بالعدم التام (كم)
 - الخبرة: المعرفة التفصيلية الإحاطية الشمولية باعتبار عدم احتجاب المعلوم عن العالم به (كم)
 - الخفض: تجل رباني فيه تظهر عزة الربوبية فيلحق الخفض بالربوب (كم)
 - خلع العذار: تجلي الحق تعالى على العبد بتجل يقتضي حقيقة ذلك التجلي منه أن يتحدى به، فيظهر منه شطحات (م)
 - خلعة الولي الكامل: صفة إلهية يتلبس بها ويكون الأغلب على حاله (أ)

- الخلق: مظاهر الأسماء والصفات وذلك عين تجليه لنفسه بنفسه (كم)
- الخيال: برزح بين الروح والحسد (مر)

- د -

• دائرة العين الصغرى: دائرة تتفتح حول عينه، فيرى فيها المحسوسات من وراء كثائف الحجب الحسية أشخاصاً معينة فلا تحجبه الجدارات ولا البعد ولا شيء من ذلك كله (أ)

• دائرة العين الصغرى: كشف يرى فيه العبد المحسوسات من وراء كثائف الحجب الحسية (م)

• دائرة العين الكبرى: دائرة يرى العبد فيها البرزخ والملكوت وعالم الأرواح، ويطلع على الجنان والنيران وأنواع النعيم والعذاب (أ) (م)

- ذ -

- الذات الإلهية الساذج: منقطع الإشارات بمجهول الغيب (مر)
- الذات الإلهية: الغيب المطلق، المرتبة الأولى من مراتب الوجود، غيب الغيب (مر)
- الذات الساذج: المرتبة الأولى من مراتب الوجود (ق)
- الذات: حقيقة حقائق الوجود (ن)

- ر -

- الربوبية: المرتبة السابعة المقتضية لوجود المربوب (ق)
- الربية: تجليات الحق بالإسمية والفعلية معاً في تجل واحد (كم)
- الرجوع إلى الله: الرجوع إلى المحتد الأصلي (م)
- الرحمانية: الوجود الساري، المرتبة الخامسة من مراتب الوجود (مر)
- الرحمانية: تجليات الحق بالأسماء الوصفية والفعلية والنفسية في مشهد واحد (كم)

• الرفع : تجل كماله يظهر فيه الحق سبحانه وتعالى بما يستحقه من الكمالات التي تنتهي فيتعين استحقاقه بالرفع دون خلقه (كم)

• رفع العذار: ضيق الحياة الدنيا بتجلي الحقائق الإلهية التي يتحدى بها الولي
فلا يسعها إلا الدار الآخرة (م)

• الرقيبية: عبارة عن دوام شهوده لذاته (كم)

• الروح الأعظم: النفس الكلية، اللوح المحفوظ، الإمام المبين، إمام الكتاب، أم
الكتاب (مر)

• الروح الأمين: الكتاب المبين (ن)

• الروح المحمدية: العقل الأول (أ)

• الروح المحمدية: العقل الأول، مظهر الذات في الوجود (أ) (قا)

• الروح المطلق: مقدم كافة الملائكة المقربين (ن)

-س-

• سبحان الله: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل يتعشق فيه حضرة التنزيه
ويتعشق بها فلا يدخل عليه الكون ولا يلحق به نقص ولا ينتمي إليه تحديد ولا حصر (ق)
• ستر الحال بالحال: التلبس بملابس أحوال العوام فلا يظهر على هياكلهم
المظهرة أثر مما في بواطنهم بحال (م)

• الستر: أن يغفر الله بذاته ذات العبد فلا يشهد في الوجود إلا الله وحده (ق)

• الستر: تجل على العبد تستتر عنه سائر العوالم الكونية، فلا يعلم للأكوان علماً،

• السحق: الفناء الذاتي (أ)

• سدرة المنتهى: تجليات المراتب الإلهية (أ) (م)

• سدرة المنتهى: جميع صورته من لطيفة وكثيفة وعوالمه كلها (أ)

• سدرة المنتهى: فناء الأوصاف الكونية من ذواتهم ببقاء الأوصاف الإلهية

واتصافهم بها (ق)

• السذاجة الذاتية: الأحدية (ق)

• سر الوقفة بين مقامين: تمييز العارف بها ما قد مضى ويعرف بها أدب المقام (م)

• السرير: المرتبة الرحمانية التي هي في المكانة الإلهية (أ)

- السكران: من لا وقفة له (أ)
- السكران: من لا وقفة له بين مقامين (م)
- سماء الدنيا: الحس (أ)
- سماعه تعالى: تجلي علمه في الأشياء من حيث مسموعيتها لأنه سبحانه يسمع منها ما علمه من نفسه (كم)
- السيار في الذهاب إلى الله تعالى: هو الذي يقطع مقامات الطريق مع البطء في الطريق، والمكث فيه بحكم العائق الماسك له (أ)
- السيار: قطع مقامات الطريق (م)
- السيارون في الله: الأفراد الواصلون إلى الله تعالى (أ)
- السيارون في الله: الأفراد الواصلون إلى الله تعالى (م)
- السير: تجاوز المقامات وقطعها بغير مكث في شيء منها بحكم العائق، مع البطء في الطريق (أ) (م)

- ش -

- الشرائع: أصول الشرائع لمعرفة الحقائق (م)
- الشكر: تجل إلهي يثني فيه على نفسه بما يقابل إحسانه على عباده (كم)
- الشم: تجل يعلم به من العلم الخاص بالله على قدر قوة قابليته، وذلك بطريق الوجدان والشم، فهو ليس عياناً ولا كشافاً إلا على سبيل الإيجاز (أ)
- الشهادة الإلهية: الكثرة التعيينية الظهورية، سواء كانت كثرة الأسماء والصفات أو كثرة الأثر، التي عين المخلوقات (كم)
- الشهادة: التعيين والظهور (كم)
- الشهادة: الظهور الإلهي بجميع المظاهر، حقيقة كانت أو خلقية، مع قبول جميع النسب والإضافات والأحوال والشؤون التي تلحق بأوصاف الحق وأوصاف الحق (كم)
- الشهود: أن يشهدك الله تعالى ظهوره في سائر مخلوقاته، وهو أول المناظر الحقيقية (أ)

- الشهيد: من فتكت به سبّحات الجمال والجلال فأفنته عنه فهو مقتول في حركة صدمات التجليات أخرس لا ينطق، أعمى لا يبصر، ميت لا يحيى (أ)(م)

- ص -

- الصديقية: وعودك حقائق الأسماء الإلهية والصفات الربانية منك فيك كما كشف الله تعالى علماً وعياناً وتحقيقاً (أ)(م)
- الصراط المستقيم: صراط الله الذي هو تنوعات تجليه في ذاته لذاته (م)
- الصفاء الإلهي: السحق ثم المحق (م)
- صفة الإلهية: إعطاء الحقائق حقها من العدم والحدوث والحقيقة والخلقية والكمال والنقص بالقسطاس العدل (ل)
- الصور الروحانية، صور مخلوقة من نور جمال الله تعالى (ل)
- الصورة الرحمانية: مظهر الجمال المطلق (ل)
- الصوفي: من صفا من كدورات البشرية بأسماء الحق وصفاته وذاته فهو مصفى مما سوى الحق تعالى (أ)(م)

- ط -

- الطبيعة المحمدية: المرتبة الثامنة من مراتب الوجود (مر)
- الطرف الأدنى الصوري: الأفعال الحسية الصالحة المشهودة، والصور الحسية الموجودة، والأشكال اللطيفة، والأماكن العلية المنيفة (أ)
- الطرف الأعلى المعنوي: التخلق بالصفات الإلهية (أ)
- الطريقة: منهج يذهب فيه العبد إلى ربه، فالسلوك والسفر من لوازم أحكام العبد (أ)
- الطيار: هو الذي يتجاوز المقامات ويقطع منازل المنازل والتعرفات الإلهية من غير عائق ولا مانع (أ)(م)

- ظ -

- الظاهر: المجاز (ن)

- العارفون: الذين عرفوا الذات بالأسماء والصفات (كم)
- عالم الإمكان: برزخ بين وجود القديم ووجود الحديث (مر)
- عالم الحقائق: المرتبة الثامنة والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- العالم الصغير: الإنسان (ق)
- عالم الصور: المرتبة السادسة والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- العالم الغيبي البرزخي: العالم الذي يمكن شهادته وظهوره (ق)
- العالم الغيبي: العالم الذي لا يتصور شهادته وظهوره أبداً (ق)
- عالم المعاني: المرتبة السابعة والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- العالم: الإنسان الكبير (ق)
- العائق: ما يقطع السير بغير مكث في شيء (م)
- العبودية الحقّة: إعطاء الأسماء الإلهية حقائقها بإظهار آثارها على هيكله (م)
- العبودية: رجوع العبد من الحق إلى الخلق بالحق وقد تمكن من التصرف بحقائق مقتضيات الأسماء والصفات (أ) (م)
- العدل: نفي الظلم وعدم الميل مع جهة على أخرى (كم)
- عدم الاستقرار: الاستيلاء (انظر هذه المادة)
- العدم: الخلق والوجود، الحق (مر)
- عرش الربوبية: حقائق الأسماء والصفات (كم)
- عرش الرحمن: الربوبية النافذة في حث الوجود المطلق بأحدية الوجود الساري فيه فيتجلى فيه جمالا وجلالاً بالبسط والقبض والعطاء والمنع والإيجاد والإعدام (أ) (ق)
- عرش الرحمن: العالم (مر)
- العرش العظيم: الحقيقة الرحمانية (أ)
- عرش الله: القلب (م)

- العرش: الجسم الكلي، العالم الكبير (ق)
- العرش: الجسم الكلي، المرتبة الخامسة عشر من مراتب الوجود (مر)
- العرش: المرتبة الثامنة من مراتب الوجود (ق)
- العرش: محل استواء الرحمن (ق)
- العزة: تجل ذاتي في مظهر المكانة الإلهية (كم)
- العظمة: تجل إلهي بشمول الكمالات الإلهية تجلياً لا يطيقه غيره للمقتضى الذاتي، فإن هذا التجلي مما اقتضته الذات لذاتها (كم)
- العقل الأول: أول التنزلات الإلهية الخلقية، مرتبة متوسطة بين الحق والخلق، المرتبة الثالثة عشر من مراتب الوجود (مر)
- العقل الفعال: عقل أوجد الله بواسطته الأركان الأربعة: النار، الهواء، الماء، التراب.
- العقل الكلي: الظهور الكمالي بالمعنى الأسمائي (أ)
- العقل الكلي: العقل الثاني (أ)
- العقل الكلي: حقيقة روح كل نبي وولي كامل (أ)
- العقل الكلي: مظهر الصفات، العرش، العقل الثاني، الظهور الكمالي بالمعنى الأسمائي (قا)
- العقل: القلم (قا)
- العقل: القلم الأعلى، الفكر، الروح المحمدي (مر)
- العلامة: أن يقع عند المخاطب أن كلام الحق على الفور والسرعة (ل)
- علم الأقدار: الكشف عن إجراء القدرة في الأشياء.
- العلم الإلقائي: علم يلقيه الله في قلب العبد كما يشاء وعلى حسب ما يريد (ن)
- علم الحضرة النفسية: شؤون المقتضيات والنسب والظهور والبطون والأولية والأخرية (م)
- العلم الكسبي: علم يحصل للعبد بالمنازلات، علم الأذواق (ن)
- علم اليقين: معرفة الله الخاصة الذوقية التي يمنحها من شاء من عباده.

- علم اليقين: معرفة الله الخاصة الذوقية التي يمنحها من شاء من عباده (م)
- العلم: تجل إلهي إدراكي فيه أجد الله أعيان الحقائق على حسب ما اقتضاه ذلك التجلي بعلمه تعالى بالأشياء على حسب ما اقتضاه شأنه القديم (كم)
- العلوم اللدنية: حقائق العالم التي تشهد لها من الغيب الإلهي في الكينونة العلمية من حيث أعيانها الثابتة (م)
- العلوم: أعيان ثابتة قائمة مشهودة بحقائقها إجمالاً وتفصيلاً سمعاً وعياناً (م)
- العَمَاء: الكنه الذاتي (ق)
- العنيدية: حضرة العلم الإلهي (ق)
- العنيدية: عبارة عن حضرة العلم الإلهي (أ)
- عين الخلافة: كل فرد من أفراد النوع الإنساني خليفة الله في العالم لأنه يتصف بصفاته، وذاته من نور ذاته (أ)
- عين اليقين: تجليات الله تعالى الصفائية والأسمائية والذاتية بحكم الوجدان والإطلاع التفصيلي (أ)

-غ-

- الغاية: تجل على العبد يرى فيه ما لا يدركه، ويجد فيه ما لا يعرفه، ويعرف ما لا يراه فيفوته الضبط، ولا يستقر عنده وجود ولا علم ولا رواية ولا رؤية ولا إدراك (أ) (م)

- الغُفر: تجل إلهي يقني فيه على نفسه بما يقابل إحسانه على عباده (كم)
- الغيب: الاستتار والبطون (كم)

-ف-

- الفتح: تجل وجودي إيجادي به يتعين تفصيلاً ما انبهم من إجمال الوجود منحة وجوداً.
- الفتق: الكشف عن تداخل العلوم والمعلومات بعضها في بعض، ما يطرأ على محل الرتق، ولا يكون الفتق والرتق إلا لمن هو دون مرتبة الكمال (م)
- الفصال: أعلى من الوصال، هو التجلي بمقتضيات التجلي (أ)

- فلك الأثير: المرتبة الرابعة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- الفلك الأطاس: فلك وجودي عيني يدور تحت الكرسي وفوق بقية الأفلاك (مر)
- الفلك الأطلس: المرتبة الخامسة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك الأفلاك: الفلك المكوكب ومنطقة البروج فيه جميع الكواكب الثابتة والسيارة ملا خلا السبعة الكواكب (مر)
- فلك البروج: المرتبة السادسة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك التراب: المرتبة السابعة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الجوهر البسيط: المرتبة التاسعة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الشمس: المرتبة التاسعة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك العناصر: المرتبة الرابعة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك الغرض اللازم: المرتبة الثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- فلك القمر: المرتبة الثالثة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الماء: المرتبة السادسة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- الفلك المأثور: الكرة الهوائية (مر)
- الفلك المتأثر: الكرة الترابية (مر)
- فلك المريخ: المرتبة الثامنة عشر من مراتب الوجود (ق)
- الفلك المستأثر: الكرة المائية (مر)
- فلك المولدات: المرتبة الثامنة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك الهواء: المرتبة الخامسة والعشرون من مراتب الوجود (ق)
- فلك زحل: المرتبة السابعة عشر من مراتب الوجود (ق)
- فلك عطارد: المرتبة العشرون من مراتب الوجود (ق)
- الفناء الذاتي: اضمحلال الذات والفناء عن الصفات والنوعت والأفعال والآثار. تلاشي الوجود وانعدام التركيب (أ) (م)

• الفناء عن الفناء: مرحلة تلي الفناء عن الذات، وفيه يكون مشهدك في الله مشهده فيه (أ)

• الفناء من الفناء: تحقق المحق والطمس والمحو والأندام (م)

-ق-

• قاب قوسين: التجلي الذاتي المخصوص الأقدس (أ)
• قاب قوسين: مجمع قوسي الدائرة الوجودية، أحد قوسيهما يسمى بالواجب، والآخر يسمى بالممكن (ل)

• القبض: أن يقبض العبد من كل جهة لا يدري من أي جهة قبض عليه
• القبض: ظهور التجلي الواحدي فلا يبقى للأشياء ظهور لحكم قبض الواحدي لها
• القدوسية: التجلي الأقدس الأول المنزه عن حكم المظاهر الخلقية (كم)
• القرآنية: تعقلك ما يستحقه الإله من أوصاف الألوهيات (ق)
• القرية: أن يتجلى الله تعالى على عبده بتجل يستقدر به على إظهار آثار الأسماء والصفات فيظهر على هيكله كل عضو بما يستحقه (م)

• القطبية: الغوثية الكبرى. المرتبة الأولى من مراتب الاستخلاف (ل)

• القلب: عرش الله (م)

• القلم الأعلى: العقل الأول (ق)

• القلم الأعلى: المرتبة التاسعة من مراتب الوجود (ق)

• القلم الأعلى: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل علمي فيه يحكم الولي على الموجودات بما تقتضيه صفات الحق تعالى فيها من الاقتضاءات المختلفة (ق)

• القلم الأعلى: نور مخلوق من حضرة اقتضاءات الأسماء والصفات (أ)

• القلم الأعلى: نور مخلوق من حضرة اقتضاءات الأسماء والصفات لظهور الأثر (أ) (ق)

• قنطرة الحقيقة: المجاز (ن)

• القهر: تجل واحد لا يبق لكون معه أثراً (كم)

- المحل العلمي: أن لا يكون العبد موجوداً إلا في علم الله وحده، لا يعلمه غير الله تعالى، ولا يعلم هو نفسه، ولا يعلمه غيره (م)
- محمد صلى الله عليه وسلم: صورة القلم المسمى العقل الأول (أ)
- المخابرة: أن يكشف للعبد عن حقيقة النفس فيطلع على أن البشرية لا تفنى بالكلية وأن لابد من بقية حقيقة النفس البشرية فيرجع بذلك إلى مقام العجز (ل)
- المخاطبة: السماع من جهة على لسان الخلق مع العلم بأن الله هو المتكلم. سماع العبد مخاطبات الحق على السنة المخلوقات، حكمة إلهية (أ) (م)
- المراقبة: شهود العبد بقلبه لحضرة الحق تعالى (أ) (م)
- المركبات الروحانية: مركبات أجزاؤها مركبة من العالم الروحي، وكل جزء منها أمر خكري (مر)
- المركبات السمعية: أن تسمع الكلمة التي تتركب من حروف كثيرة شيئاً واحداً وكذلك الألحان المسموعة من الأوتار (مر)
- المركبات العلمية: صور المعلومات في العلم (مر)
- المركبات العينية: الأعراض التي تتواتر وتتوارد على الجوهر (مر)
- المركبات النورانية: الأجزاء الفلكية المعبر عنها بالكواكب (مر)
- المركبات: المرتبة الحادية والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- المسامرة: أن يسمع العبد من قلبه كلاماً يعلم أن الله هو المتكلم به ضرورة. سماع كلام الله تعالى في قلب العبد من غير جهة (أ) (م).
- المسامرة: أن يكشف للعبد عن الكمال الإلهي فينظر بحراً لا ساحل له فيؤيد بالروح الأبدية (ل)
- المسامرة: خروج الحق تعالى للعبد درجاً يقرأ فيه ما سطرته يدي القدرة للعبد في الأزل يقرأ سابقته حرفاً حرفاً ويعلم مجمله وتفصيله (أ).
- المسامرة: مسامرة العبد للحق تعالى في جميع ما علمه فيه من صفاته (م)
- المشاركة: أن يعرف الله عبده بما يشفع في العالم من الأمور التي قد قضى الله سبحانه وتعالى في الوجود قبل وقوعها (ل)

- المشاهدة: المراقبة (كم)
- المشهد الأحدي الذاتي: مشهد لا وجود للخلق في ذلك المشهد (ق)
- المشهد الذاتي: ينظر الله فيه إلى مرتبة من ذاته سماها خلقاً مرتبة على ترتيب ذاته (ق)
- المطلق: من أطلقه الله تعالى في تجلياته فلم يتقيد مع الله باسم ولا صفة، بل هو مع الله تعالى بكل أسمائه وصفاته (أ) (م).
- المظهر الكمالي: عين الأسماء والصفات الإلهية المحيطة بالوجود أعلاه وأسفله (أ)
- المعارف: تجلي الله تعالى على عباده في الأسماء والصفات التي تعرف بها إليهم، فإذا تجلى بها عرفه عباده (أ) (ق)
- المعاني الكمالية: الأسماء والصفات (ح)
- المعرفة: تجليات سائر الأسماء والصفات (ق)
- المعنى: منظر مخصوص من التجلي لواجب الوجود الظاهر بمعاني الكلام في سائر صور الوجود (ق)
- معية الحق: عين الوجود (ل)
- المعية: عدم مفارقة العبد الحق، فلا ثمة فراق ولا وصول، فهو مع الله أينما كان العبد (أ)
- المعية: يتجلى الحق تعالى على العبد فلا يفارق الحق (ق)
- المغفرة: تجل إلهي يظهر فيه الجمال المطلق من غير تقييد فينكشف عند ذلك أنه تعالى هو الفاعل لأفعال العباد، وأن أفعالهم كلها كانت مليحة لأنها أفعاله (كم)
- مقام التمكين: أول مقامات الوصول عند الكمل وعلى الحقيقة (م)
- مقام الحب: مقام يلي مقام الخلة (م)
- مقام الخلة: مقام يلي مقام القرية (م)
- مقام العبودية المحضة: مقام يلي مقام الحب (م)

- مقام القربة: مقام فوق مقام التمكين (م)
- المكاملة: كلام الحق تعالى يسمعه العبد بسمع الله تعالى، فيكون مع الكلام بكلية جسده وقلبه. سمع العبد الكلام من كل جهة فلا يتقيد سماعه بجهة دون أخرى (أ) (م)

- الملامتية: المحققون الذين يسترون الحال بحال (أ)
- الملائكة المهيمين: أنوار مجردة خلقهم الله تعالى من نور أسمائه وصفاته (أ)
- الملائكة المهيمين: أنوار مجردة خلقهم الله تعالى من نور أسمائه وصفاته (ق)
- الملكية: تجليات الحق بالأسماء الفعلية كلها في مظهر واحد (كم)
- الممزوج: الكافور ممزوج منه لأهل المواهب (م)
- من أنا: أن يتجلى الحق تعالى بتجل يكشف فيه عن حقيقة الذات المقدسة فلا يرى العبد إلا ذات نفسه بذهوله عن الحيطة وشهوده الحق تعالى ووجوده في أنية العبد (ق)
- من أنت: أن يتجلى الحق تعالى على العارف بتجل يكشف له عن حقيقة ذات العارف (ق)

- منازل المنازلات: المراقبة والتجلي وشهود (م)
- المناظر الإلهية: محاضر جمال العلوم اللدنية. الملائكة المهيمين: أنوار مجردة خلقهم الله تعالى من نور أسمائه وصفاته (م) (ق)
- المناظر: ما يوجد بين كل اثنين من المقامات (م)
- المنصة الكبرى: الرفرف.
- منظر عين اليقين: شهود تجليات الله تعالى الصفاتية والأسمائية والذاتية بحكم الوجدان والإطلاع التفصيلي (م)

- الميم المحمدي: محل النقطة وظهورها (ن)

-ن-

- النباتات: المرتبة الثانية والثلاثون من مراتب الوجود (ق)
- النجابة: المرتبة السادسة من مراتب الاستخلاف (ل)

• النجوم: العينين.

النذائر: إطلاع العبد على تقلبات القلوب وما تقتضيه كل تقليبة من البعد من الله تعالى (م)

• النقابة: المرتبة الخامسة من مراتب الاستخلاف (ل)

• النقطة الأولى: روح الله تعالى (ن)

• نقطة الباء: الكنز المخفي (ك)

• نقطة الباء: غيب الهوية (ك)

• النقطة البيضاء: المقام المحمدي (ن)

• النقطة الثالثة: الروح الأمين (ن)

• النقطة الثانية: الروح القدس (ن)

• النقطة: حقيقة حقائق الحروف (ن)

• نهاية العبد : رجوعه إلى العجز الكلي عن أداء حقوق الكمال (م)

• نهاية العبد : رجوعه إلى العجز الكلي (أ)

• النهاية: الرجوع إلى البداية، لأن العبد مخلوق من العدم (ق)

• النهاية: أن يتجلى الله على قلب العبد بتجل يعرف منه قدر الله تعالى فيشتم

من رائحة الكمالات الإلهية (أ) (م)

- ه -

• الهباء: المرتبة الثالثة عشر من مراتب الوجود (ق)

• الهباء: مكان حكمي لا وجودي أوجد الله العالم به، مكان العالم (مر)

• الهداية: أن يشهد العبد المعاني والأحكام صوراً وجودية عينية (م)

• الهداية: تجلي الله تعالى على قلب عبده بتجل يقيمه في سنن صراط الله

فيتصف بما وصف الله به (م)

• الهداية: شهود المعاني والأحكام صوراً وجودية عينية (أ)

• الهمة: القدرة الإلهية الداخلة فيك (ل)

- الهوية الإلهية: غيبوية الصفات الكمالية في بطون الذات الأقدسية (ن)
- الهيبة: أن يتعالى الحق بعد التداني فتظهر عزته وعظمته وكبريائه وجبروته (ل)
- الهيمنة: التجلي الإلهي الإطلاعي التصريفي بحكم الاستقلال والتصريف والشمول والإطلاع (كم)

- الهولي: المرتبة الثانية عشر من مراتب الوجود (ق)
- الهولي: حضرة التشكيل والتصوير، المرتبة التاسعة عشر من مراتب الوجود (مر)

-9-

- الواحدية: التنزل الثاني، العين الثابتة، حضرة الجمع والوجود، حضرة الأسماء والصفات (مر)

- الواحدية: العين الثابتة (مر)
- الواحدية: المرتبة الرابعة من مراتب الوجود (ق)
- الواحدية: أول تنزلات الذات في الأسماء والصفات (ق)
- الواحدية: حضرة الجمع والوجود (مر)، حضرة الأسماء والصفات (مر)
- الواحدية: منشأ السوية (مر)
- وإن من شيء إلا عنده خزائنه: أن يتجلى الله تعالى على العبد بتجل يكشف له فيه عن مفاتيح الغيب التي أودعها الله تعالى إلى الإنسان الكامل (ق)
- الوندية: المرتبة الثانية من مراتب الاستخلاف (ل)
- الوجود الساري: الرحمانية، المرتبة الخامسة من مراتب الوجود (مر)
- الوجود المطلق: التجلي الأول، الأحدية، أول التنزلات الذاتية (مر)
- الوجود المطلق: الله (كم)
- الوجود المطلق: حقيقة الحقائق لأنه غير مقيد أو منسوب إلى جهة حقيقية أو جهة خلقية (ن)

- الوجود: تجلي الحق تعالى بأعيان المظاهر، فيكون عين الظاهر وعين المظهر (أ)

- الوحدة: سلب الحق تعالى العالم ما ألبسهم من حلل الدعاوى الكاذبة المشعرة بوجود موجود سواه (م)
- الود: التوجه الإرادي الحبي، لا لئلة بل لمقتضى الذات، فلولا المحبة ما كان هذا الظهور، ولولا الظهور بما عرف الله تعالى (كم)
- الوصال: التلاشي (م)
- الوصال: دوام الوصلة بلا انقطاع ولا فتور (م)
- الوصال: دوام الوصلة بلا انقطاع ولا فتور. هو لحق العبد بالله تعالى. هو التلاشي (أ) (أنظر هذه المادة)
- الوصال: لحوق العبد بالله تعالى (م)
- الوقفة بين المقامين: دليل على قوة سير العارف، فإن من لا وقفة له سكران بخمار المقام الذي خرج عنه (أ)
- الوقفة: الوقوف بين يدي الله تعالى في منظر بين المناظر، أما صحواً وأما سكرأً (أ) (م)
- الوقوف مع المراسم: هو سريان الولي في أفلاك الأسماء والصفات إلى أن يقف عند مقتضى كل اسم وصفة بما هي عليه من الذات المقدسة (أ) (م)
- الوقوف: الوقفة بين مقامين (م)
- الولاية: المرتبة السابعة من مراتب الاستخلاف (ل)
- الولي: من يستولي حكم الحق عليه فلا يبقي لبشريته أثر (م)
- الوهب: تجل جودي على مقتضى إيجادي بتصرف إيرادي على نسق علمي، وهو ثاني التجليات الفيضية (كم)

للتوسع في موضوعه جيلان العراق وجيلان الطبرستان أنظر كتاب
جغرافية الباز الأشهب للدكتور جمال الدين الكيلاني تقديم الدكتور
عماد عبد السلام رؤوف

الفهارس

1- الأعلام

- أباز حسن بك 518
 إبراهيم احمر العين بن عبدالله المحض 633
 إبراهيم اغا النفطجي 379, 376
 إبراهيم اغا كتخداي جاويشان 112
 إبراهيم اغا محضر باشي 348
 إبراهيم الدروبي 27-31, 48, 82, 105,
 114, 117, 145, 156, 325, 366, 477, 482,
 483, 543, 547, 557, 561
 إبراهيم الرحبي 597
 إبراهيم الرواف 38
 إبراهيم السامرائي 114, 537
 إبراهيم السهراني الجراحي 214
 إبراهيم إمام جامع النعمانية 259
 إبراهيم باشا الداماد 559
 إبراهيم باشا بن محمد علي باشا 207, 209
 إبراهيم بك أبو شنب 532
 إبراهيم بك الدفتردار 518
 إبراهيم بك المميز 28, 107
 إبراهيم بك قبطان سابق 522
 إبراهيم بكتاش اليتيم 47
 إبراهيم بن سليمان بن محمد 222
 إبراهيم بن عبدالله السويدي 564
 إبراهيم بن علي الطرسوسي 368
 إبراهيم بن محمد بن دقماق 476
 إبراهيم بن محمد قاضي بغداد 366
 إبراهيم خان موصلو 291
 إبراهيم سليمان العاملي 87, 644
 إبراهيم سيف الدين الكيلاني 27
 إبراهيم فضيح الحيدري 19, 40, 119,
 342, 565, 595, 597
 إبراهيم قره ماني 315
 إبراهيم نديم 16
 إبراهيم ونة 641
 إبراهيم، الحاج 332
 ابن الجهم 608
 ابن الديبع الشيباني الزبيدي 674
 ابن الصابوني 127
 ابن الغملاس 43
 ابن الفارض 608
 ابن القفطي 144
 ابن المعمار البغدادي 51
 ابن النديم 471
 ابن الوردي 131
 ابن انجب الساعي 126, 144, 99
 ابن بابويه القمي 625
 ابن بطوطة 627, 632
 ابن جبير 627
 ابن حجر 318
 ابن سينا 476
 ابن طباطبا الطقطقي 12, 141
 ابن عربي، محيي الدين 669, 676, 694, 689
 ابن نباتة 608
 ابن هديب العكلي 548
 ابواسحق الشيرازي 462
 أبو الحسن الفتوني 624
 أبو الحسن بن علي الدامغاني 125
 أبو الحسين الجزار 608
 أبو السعود الأسكوبي 315, 316
 أبو الهدى الصيادي 50
 أبو الوفاء ابن عقيل 140
 أبو بكر الباجه جي 133, 481
 أبو بكر الشنواني 221
 أبو بكر المفتي الكركوكلي 473
 أبو بكر بن السيد اسماعيل القادري 348
 أبو بكر بن رمضان الموصللي 348
 أبو تمام 492, 608
 أبو جعفر ابن الصباغ 125

- أحمد باشا بن حسن باشا، والي بغداد 39،
79، 102، 149، 165، 491، 564، 567، 613
- أحمد بيا الموصلبي 559
- أحمد بك آل صيغة الله الحيدري 347
- أحمد بك بن صالح بك 347
- أحمد بك قائممقام دفتردار الخزينة 522
- أحمد بن عبد الله السويدي 564
- أحمد بن علي ابن عنبة 625
- أحمد بن علي بن سوار البغدادي 475
- أحمد بن محمد الحلبي 475
- أحمد بن محمد الحموي 476
- أحمد بن محمد الخالدي 297
- أحمد بن محمد النحاس 475
- أحمد بن محمد امين بن عبدالعال 220
- أحمد بن يوسف عكبر البغدادي 129
- أحمد بن همام 518
- أحمد توفيق باشا، المشير 486
- أحمد تيمور باشا 477
- أحمد جودت 305
- أحمد حسيب مومه زاده 110، 111
- أحمد حمدي باشا والي دمشق 538، 554
- أحمد خطيب الأعظمية 28
- أحمد زكي باشا العمري 589
- أحمد سوسة، الدكتور 478
- أحمد شلبي 522، 528، 532
- أحمد شمس الدين الألوسي 538، 539، 561
- أحمد شهاب الدين الرداد 674
- أحمد شوقي منين 308
- أحمد صفي الدين العلمي 498
- أحمد ظاهر حنفي زاده 471
- أحمد عبدالرحيم مصطفى، الدكتور 52، 192،
227
- أحمد فريد المزيدي 688
- أحمد فهمي 520
- أحمد ولد يحيى 684
- أبو حنيفة، الامام 346، 473، 478
- أبو يوسف، الإمام 346
- أحمد ابن الشرمساحي 129
- أحمد اسعد عرياني زاده 557
- أحمد اغا اسي 377
- أحمد اغا بن إسماعيل اغا 373
- أحمد اغا بن عثمان آغا 260
- أحمد اغا بن محمد آغا الكتخدا 111، 370
- أحمد آغا جاوش كهية سي 260
- أحمد آغا بن عبد الله الأندروني 346
- أحمد أفندي خليفة الرزنامه جي 330
- أحمد أفندي الطبجلي 379
- أحمد أفندي المثرف 516
- أحمد أفندي المصرف 21، 211
- أحمد أفندي النائب 39، 45
- أحمد أفندي بن زين الدين 337
- أحمد أفندي بن محمد أفندي 309، 312
- أحمد أفندي بن مصطفى أفندي 260، 261
- أحمد أفندي خطيب الامام الاعظم 340
- أحمد أفندي عثمان زاده، قاضي مصر 530
- أحمد الأورفلي 341
- أحمد الثالث 536، 559
- أحمد الحافظ 589
- أحمد الدقدوسي الحنفي 530
- أحمد الرفاعي 50
- أحمد السعيد سليمان 52
- أحمد السيد عثمان الخطيب 29
- أحمد الكبيسي، الدكتور 596
- أحمد الكيلاني 27
- أحمد للحاجي 551، 554، 537، 538، 553
- أحمد النائب 19
- أحمد انوري أفندي 543
- أحمد باشا البوشناق 486
- أحمد باشا الكجك 302
- أحمد باشا الكهية 376

- أحمد أفندي الزندي 21
 ادريس، شريف مكة 297
 أرسلان باشا الديوه جي 342
 ارمان اسطيفان 654
 اسامة غاندي 215
 اسبريمة بنت يوسف 167
 اسحاق اليهودي 374
 اسد رستم 297
 اسعد افندي الدوري 139
 أسعد أفندي الموصللي 29
 اسعد الحيدري 589
 اسعد طلّس، الدكتور 690
 اسكندر اسطيفان 30
 اسماء بنت علي المزين 115
 أسماء خانم بنت عبدالرحمن الروزيهاني 488، 162
 اسماعيل بن مصطفى الانوري، الخطاط 103
 إسماعيل اغا من المماليك 373
 إسماعيل افندي الموصللي 481
 اسماعيل افندي النائب 348
 اسماعيل افندي مفتي الحنفية ببغداد 19، 359، 313
 اسماعيل البغدادي 564
 اسماعيل الحموي المفتي 366
 اسماعيل باشا البغدادي 220، 471، 477
 إسماعيل باشا الجليلي، والي الموصل 169
 اسماعيل باشا العباسي 589
 اسماعيل باشا والي بغداد 215
 إسماعيل بن ابراهيم الجبرتي 673، 674، 693، 678
 اسماعيل بن زين العابدين اليراق 615
 اسماعيل بن سودكين 989
 اسماعيل بن محمود الرحبي 595
 اسماعيل بن مصطفى الموصللي 47
 اسماعيل كتحدا الجاويشية 523
 إسماعيل كهية 20
 اسمه خاتون بنت سعد الله الجليلي 183
 أسمى بنت الحاج أحمد النعلجي 167
 أسمى بنت عباس 166
 أسمى خاتون بنت داود 162
 آسية بنت الحاج إسماعيل 119
 آسيه خاتون بنت سليمان اغا 171
 آقا بزرگ 616، 619، 623، 624، 628
 أم كلثوم خاتون بنت أحمد أفندي 142
 أمة الله خاتون 353، 355
 أمة الله خانم بنت محمد صالح الشبخلي 16
 امجد الزهاوي 28، 334، 337
 أمّنة بنت الحاج إبراهيم التكريتي 167
 أمّنة بنت جاسم بن مهدي 167
 أمّنة بنت محمد النجار 165
 أمّنة بنت ولي بن بابا 161، 165
 أمّنة خاتون بنت عبدالوهاب اغا بن رضوان اغا 165
 أموش بنت علي بن خلف 161
 أمونة بن محمد بن حمام 166
 أمونة بنت إلياس 166
 أمونة بنت محمد بك 123
 أمونة خاتون بنت إبراهيم 162
 أميمة خاتون بنت عبدالرحمن جليبي الباجه جي 163
 امين اغا الجادرجي 354
 امين الحلواني 83
 أمين المميز 23، 32، 101،
 امين الموصللي 190
 أمينة خانم بنت عبدالقادر بك بن رستم بك 162
 أنستاس ماري الكرمللي 30، 92، 237، 306، 238، 352، 461، 472، 487، 642
 أنور الناصري 487
 أنور شاؤول 30

- أوجين تسييران 655
أورخان، السلطان 345
أوليا جلبي 50، 60، 61
أويس القرني 559
أيوب بن السيد أمين الأدهمي 256، 348
باب بشير زوجة المستعصم بالله 128
بتروفج 555
بدر العمراني 692
بدوي طه علام 701
بروكلمان 685، 687، 690، 691، 602، 692، 693
بسام عبدالوهاب الجابي 698
بشار عواد معروف، الدكتور 292، 375
بشر الحايي 537
بشير اسكندر، الدكتور 253
بشير اغا 111، 342
بطرس بن انطون بشارة 654
بكتاش أفندي 19
بكر اغا عجمي زاده 260
بكر بن محمد الرحيبي 597، 609
بكرهية 21
بنفشة خاتون 98، 99، 125
بهاء الدين العاملي 315
البهاء زهير 608
بهية بنت أمين بنت عبدالرحمن 161
بهية خانم بنت عبدالقادر بن مراد الكيلاني 164
بوون 52، 58، 60، 192، 232
بيران، المونسنيور 654
بيوس الثامن، البابا 654
تاجة خانم بنت أحمد أفندي 162
نازلي خاتون بنت عبدالغني 121
تايلر 209
تنش السلجوقي، السلطان 485
تركان خاتون الجلالية 124
تضي الدين باشا، والي بغداد 190
توفيق بن الحاج محمد 157
تيمور الملي 190
ثويني السعدون 190
الجاربردي 323
جاكسون 67
جب 58، 60، 132، 237
جبره أصفر 23
جرجي زيدان 487
جعفر الحكيم النجفي 622
جعفر باشا 302
جعفر محبوبية 615، 624
جعفر خياط 425
جلال الحنفي 62
جمال أفندي الحكيم 560
جمال الدين الشيال، الدكتور 500
جمعة الكركوكلي الدباغ 42
جمال الليل 190
جموغة بنت عنبر 165
جميل الطائي 34
جميل العظم 477
جميل صدقي الزهاوي 29
الجنيد البغدادي 667
جواد السياهبوش 30
جواد بن دلي فتحي 375
جواد بن ملا فتحي 160
جواد بن هبة الدين الشهرستاني 537
جواد بن يوسف الرحيبي 597
جومرد القصاب 50
الحاج خليفة 671
حاجية خاتون بنت محمد 11
حافظ باشا، والي بغداد 590
حامد الالوسي 590
حبش بن جمعة 201
حبيب اغا بن عبدالله 370

- حبيب الكروي 590
حبيب الهرمزي 333
حبيب بك الشاوي 307، 313، 343
حبيب بك تقلا 421
حبيب بن عبدالله الشاوي 307
حببية بنت محمد 162، 165
حسام كاتي 320
حسن افندي بن حسين الرحبي 257
حسن افندي طرنقجي زاده 476
حسن الإخميمي 518
حسن الزوجي 590
حسن الزبياري 320
حسن الزبياري 320
حسن الصدر 625
حسن العباسي النبهاني 471
حسن الكوله 28
حسن باشا بن محمد باشا الصوقلي، والي بغداد 486
حسن باشا المملوكي، والي بغداد 305
حسن باشا المملوكي، والي بغداد 305
حسن باشا فاتح همدان 359
حسن باشا والي بغداد، فاتح همذان 39، 79، 564
حسن بك (باشا) الجليلي 173، 179، 180
حسن بك بن صالح بك 347
الحسن بن الحسن 633
حسن بن علي بن طوغان الحائري 296
حسن توتونجي 355
حسن سالم الكيلاني 27
حسن عيسى الحكيم، اكتور 621
حسن كراوي، الملا 355
حسنة بنت الحاج حسين 122
حسنى بنت عبدالله 101
حسيت اغا بن الحاج يوسف
حسين اغا بن الحاج حسن 256
حسين اغا بن الحاج صادق 184
حسين آغا رئيس البوابين 111
حسين افندي الرحبي 609
حسين افندي بن عبدالله الغرابي 342، 372
حسين الراوي 25
حسين الكاشفي 318
حسين المهداوي 590
حسين النجم الطائي 30
حسين الهندي 216
حسين باشا الجليلي، الحاج، والي الموصل 173، 192، 193، 202، 203
حسين باشا السلاحدار 341
حسين باشا القازيقي 202
الحسين بن الأهدل 679
حسين بن علي البراقي 615-634
الحسين بن علي، شريف مكة 658
حسين بن محمد سعيد السويدي 573
حسين بن منصور الاوزجندي 368
حسين جلي رواف 47
حسين جلي قصار زاده 258
حسين خيوكة 340
حسين رفة 15
حسين علي محفوظ، الدكتور 12، 31، 619
حسين فوزي 138
حسين فوزي باشا، مشير العراق 542
الحسين، شريف مكة 302
حصاة خانم آل الزبيق 160
حصاة خانم بنت عبدالله جليبي الزبيق 160،
حليل الموصللي 331
حليمة بنت عبدالله افندي 161، 162
حليمة بنت محمد أمين السهروردي 585
حمادي افندي، كاتب سر 560
حمد الحمود شيخ الخزاعل 212
حمديس الصقلي 608

- حمرة خاتون زوجة الحاج حسين باشا الجليلي 173، 183
- حمود بن الحاج يونس الموصلبي 47
- حمود الساعدي 213، 619
- حمود بن السيد علي 256
- حموش اغا بن الحاج يوسف 348
- حميد لحيمر 692
- حنيفة بنت خضر اغا 16
- حوى خاتون بنت عثمان افندي 133
- حيدر بن صبغة الله الحيدري 608
- خاتون بلاسم 100
- خالد اغا الكتخدا 379
- خالد الازهري 320
- خالد الحكيم 659
- خالد النقشبندي، مولانا 43، 482
- خالد باشا اللاوندي 590
- خانة بنت جمعة 91، 93
- خبيب بك الشاوي 313
- خديجة بنت الحاج صالح الشيخ أمين 657
- خديجة بنت السيد عيسى 160، 162، 164، 160
- خديجة بنت خليل بن أمين جلبي 163
- خديجة بنت سليمان باشا 257
- خديجة بنت هداوي بن جاسم 163
- خديجة خاتون آل شريف جلبي 115
- خديجة خاتون بنت صادق آغا 183
- خديجة خاتون بنت عبدالله 40، 41
- خديجة خاتون بنت نعمان اغا 184
- خديجة خانم بنت قره مصطفى باشا 577
- خضر بك 313
- خضر بك بن عبدالله جلبي 307
- خضر بك بن عبدالله جلبي 307
- خضر بن عباس العجاج 29
- خلفة عبدالله محمد 590
- خليل افندي الدهفري 17، 21
- خليل المقدسي 590
- خليل الموصلبي 331
- خليل اينالجبك 233، 233
- خليل بن علي البصير 604
- خليل بن محمد البستاني 39، 45
- خليل بن محمد الرحبي 596
- خليل رشدي قاضي بغداد 44، 46
- خليل عرموش 358
- خليل غرموش 376
- خمارتكين بن عبدالله 485
- خميسة بنت بيبة 256
- خميسة بنت عبدالله 161
- خير الدين الرملي 54، 220، 335، 368، 659، 260، 574، 574
- خير الدين الزركلي 659، 574، 579
- داود اغا بن ملا سليمان الجوريه جي 47
- داود الجلبي، الدكتور 92، 177، 178، 179، 182، 640
- داود السعدي 488
- داود النقشبندي 590
- داود باشا، والي بغداد 42، 62، 97، 82، 99، 351، 352، 353، 358، 367، 472، 473، 374، 377، 587، 589، 590
- داود بركات 209
- داود سمره 30
- داود ضياء الدين الكيلاني 27
- درويش آغا القائم مقام 21، 28، 259، 372
- درويش افندي امام الأعظمية 257
- درويش افندي امام عتبة الأعظمية 313
- درويش افندي بن حمزة جلبي 260
- درويش الحيدري 560
- درويش بك بن الحاج احمد بك 377
- درويشة بنت جاسم بن مهدي 162
- دولة بنت فتحي 185

- دومنيكو لانزا 62، 63، 9، 101، 185، 191،
 192، 201
 ذياب البلبوص 91
 رابعة بنت أبي العباس أحمد بن المستعصم
 بالله 130
 رابعة خاتون بنت اسماعيل باشا الجليلي
 169، 176، 177
 رازقية بنت عبدالرزاق 161
 رازقية بنت محمد آغا 161
 راشد السعدون 591
 رائف ابو بكر 81
 رباز المغني 591
 رباط خوري بنت منصور 142
 ربيع بن محمد الكوفي 130
 رجب باشا 522
 رجب ياشا محافظ حلب 526
 رحمة الله الجبيهه جي 21
 رحمة بنت الحاج أمين بن خضير 114
 رحمة بنت جواد بن إبراهيم 161
 رحمة بنت عبدالكريم جليبي 116
 رحمة خاتون بنت بكر 165
 رسول بن أحمد الشوكي 488
 رسول حاوي الكركوكلي 305
 رسول حاوي الكركوكلي 82، 205، 246،
 305، 488، 568، 577
 رشيد حلمي بن معروف الأنكرلي 480
 رضا الطالباي 29
 رضا محسن القرشي 544
 رضوان آغا 17
 رضي الدين ابن الصدر شرف الدين الشيباني
 292، 294، 295
 رفعت بك ينكجري آغا سي 28
 رفعت مرهون الصفار 35
 رفيق العجم 699، 700
 رقوشة بنت مصطفى 161
 رقوشة خاتون بنت محمد 164
 رقية خاتون بنت محمد افندي ابن المصرف
 175
 روبين بطاط 30
 روسو 62
 روفائيل بيداويد 63، 95، 192
 رؤوف باشا والي ادرنة 559
 رياض عبدالحميد 576
 زبيدة زوج الرشيد، 95
 زمرد خاتون 47، 140، 141، 481
 زمزم خاتون بنت علي الكيلاني 163، 380
 زمزم خاتون بنت محمد آغا 165
 زهرا خانم بنت أحمد آغا 166
 زهرة بنت حسين بن حسن 165
 زهرة بنت طاهر بن معروف 166
 زهرة خاتون بنت عبدالله 166
 زهو بنت حسين بن علو 163
 زهوة بنت السيد يوسف 162
 زهوة بنت عبد الوهاب المزراقجي 161
 زهير الشايب 58
 زين احمد النقشبندي العبابيلي 349، 350
 زين الدين القادري 380
 زين الدين، الدكتور 172
 زين عبدالله النقشبندي 13
 زينب بنت الحاج ابراهيم 375
 زينب بنت محمد 257
 زينب خاتون بنت الحاج يونس اغا 182
 زينب خاتون بنت عبدالله 161، 174
 سارة خاتون بنت سليمان باشا
 ساسون خضوري 30
 سالم عبدالرزاق أحمد 182
 سبط ابن الجوزي 124، 127
 السخاوي 674، 693، 693
 سراج الدين النهرقلي 129
 السري السقطي 667

- سعد الدين التفتازاني 323
سعد الدين بن أحمد بن مصطفى البصير 177
سعد بن أمين الموصلی 488
سعید افندی النقشبندی 488
سعید البقال 23
سعید الديوه جي 57، 161، 170، 174، 177،
177، 190، 195، 196، 206، 214
سعید باشا والي بغداد 48، 80، 82، 351،
370، 472، 552، 553
سعید بن عبدالقادر 487
سعیدة بنت عبد الله 161
سكران البعقوبي 50
سكنة بنت الشيخ صالح بن مهدي 165
سكنة بنت علي 166
سكنة بنت باقي آغا 167
سكنة بنت عبدالواحد 256
سكنة بنت محمد 154
سلطنة بنت موسى 163
سلمان افندي بن علي القادري 560، 561
سلمان افندي بن السيد عبد الله افندي 347
سلمان الفارسي، الصحابي 53
سلمان الكيلاني 27
سلمان بن علي القادري 557
سلمان شاه خازن، حاكم بغداد 672
سلمان هادي آل طعمة 621
سليم بن عبدالرحمن الكزيري 553
سليم بن عبدالوهاب بك الترتزي 579
سليم جلي السايحة 579
سليم طه التكريتي 67
سليمان آغا الخزنه دار 63
سليمان آغا بن خضر بك 260
سليمان آغا خزنه دار بغداد 352
سليمان الجوربه جي 15
سليمان الشاوي 591
سليمان الصائغ 216، 655
سليمان الفخري 379
سليمان باشا ابو ليلة، والي بغداد 100،
106، 117، 145، 151، 305، 306، 351،
371، 567، 596، 578
سليمان باشا الصغير 371
سليمان باشا الكبير، والي بغداد 79، 80،
83، 86، 121، 155، 303، 305، 306، 307،
309، 310، 311، 330، 334، 335، 326،
327، 338، 339، 370، 371، 377، 379، 479،
483، 488، 571، 572
سليمان بك الشاوي 306، 307، 312، 313
سليمان بك الفخري 355
سليمان بن داود 549
سليمان بن صالح الدخيل 614
سليمان فائق 37، 28، 118، 124، 247، 305
سليمان فائق بك 305
سنان بن ثابت بن قرة الحراني 144
سنبط ابن قنينو الاريلي 126
سهيل صابان 226، 495
سهيل صابان 518
سيمون الذمي ولد شمعون 372
شابرول 58
شاكر افندي، قائممقام الميادين 548
شاكر جابر البغدادي 33
شاهلبنی شمس الضحی الأيوبية 130
شبيب بن علي 545
شرف الدين المقدسي 608
شرف الدين داود الجيلي 130
شرف الدين عيسى الناسخ 608
شفيقة بنت مصطفى بك 161
شفيقة خاتون بنت عبد الله 261
شكر، الشيخ 29
شمس الدين السكرجي 484
شمس الدين سامي 497
شهاب الدين النجفي المرعشي 471

- صاحب السيد موسى سلمان 626
 صاحب بن عباد 621
 صادق الفحام 491
 صادق بك بن سليمان باشا 377
 صادق بك بن سليمان باشا الكبير 109، 342
 صالح اغا بن عبيد اغا ال عبد الجليل 348
 صالح الجوادى 177
 صالح السيد سليم جليبي 579
 صالح بك بن سليمان باشا 377
 صالح بك بن سليمان باشا الكبير 121
 صالح سعداوي 250
 صالح قحطان 30
 صالح محيي الدين الرملي 220
 صالحة بنت السيد عيسى 167
 صالحة بنت علي البندنجي 143
 صالحة خاتون بنت عبدالقادر الرحبي 131
 صبغة الله الحيدري 133، 591
 صبغة الله الزياتي 591
 صديقة بنت أحمد بكر 176
 صفاء خلوصي، الدكتور 564
 صفوت باشا 561
 صفي الدين الحلي 608
 صفية بنت محمد أمين السهروردي 585
 صفية خاتون بنت عبدالله 123
 صفية خاتون بنت محمد أفندي آل جميل 160
 صفية خاتون بنت يوسف بن مصطفى 162
 سقر الشبيب القشعمي 613
 صلاح الدين المنجد 551
 صلوحة بنت عبد خيوكة 162
 ضامن بن شدقم 624
 طارق الحمداني، الدكتور 131
 طاهر جليبي آل الراضي 28
 طه أفندي خطيب الامام الأعظم 347
 طه الخطيب 259
 طه السنوي 486
 طه بن عبدالرزاق الشواف 543
 طه بن يحيى الباليساني 686، 193
 طيبة بنت إبراهيم 162
 عائكة خاتون بنت علي الكيلاني 134
 عائكة خاتون بنت عمر افندي 164
 عادللة خاتون بنت احمد باشا 106، 107،
 119، 132، 567، 569
 عادللة خاتون بنت عبدالفتاح باشا الجليلي
 178
 عادللة خاتون بنت سعدالله الجليلي 183
 عادللة خاتون بنت عبدالرحمن 182
 عادللة خاتون بنت عناية الله اغا 120
 عارف حكمت 471
 عاصم الكيالي 690
 عاي بن محمد البسطامي 475
 عائشة بنت أرناؤوط 165
 عائشة بنت المستنجد الفيروزي 141
 عائشة بنت عبدالقادر 116
 عائشة بنت محمد الباجه جي 120، 481
 عائشة بنت محمد أمين السهروردي 585
 عائشة بنت معروف اغا 219، 162
 عائشة خاتون بنت احمد باشا 119، 567،
 568، 569
 عائشة خاتون بنت سليمان باشا الجليلي
 171، 179
 عائشة خاتون بنت شاهين آغا 260
 عائشة خاتون بنت فضلي 256
 عائشة خاتون بنت محمود ال نظمي 165
 عباس آغا بن هاشم آغا 260
 عباس العزاوي 13، 58، 71، 63، 69، 89، 92،
 93، 307، 337، 495، 564، 574، 615
 عباس بن جعفر الحكيم 625
 عباس بن رجب البغدادي 99، 100، 102،
 137، 237، 334، 479، 481
 عباس بن عمر 260

- عبد الرحمن أفندي نقيب الأشراف 27، 247،
313، 259
- عبد الرحمن الأعظمي 20
- عبد الرحمن الألوسي 591
- عبد الرحمن الأورفلي 21
- عبد الرحمن الباجه جي 481
- عبد الرحمن الحلبي 608
- عبد الرحمن الرافعي 210
- عبد الرحمن الراوي 478
- عبد الرحمن الرواف 38
- عبد الرحمن الزبير 29
- عبد الرحمن السهروردي 377
- عبد الرحمن السويدي 65، 215، 246، 247،
305، 373، 564، 566، 577، 608، 613
- عبد الرحمن بدوي، الدكتور 679
- عبد الرحمن بن عبد العلي السكري 467
- عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي 125
- عبد الرحمن بن محمد الاعظمي 48
- عبد الرحمن بن ملا مصطفى 348
- عبد الرحمن جلبي الباجه جي 120
- عبد الرحمن حلمي بن محمد عبد المحسن
السهروردي 13، 18، 24، 35، 39، 47، 48،
64، 208، 587، 591
- عبد الرحمن علي 587
- عبد الرحيم 522، 528
- عبد الرزاق ابن الفوطي 484
- عبد الرزاق الشبخلي 16، 48
- عبد الرزاق الصانع 38
- عبد الرزاق الكاشاني 699، 700
- عبد السلام الرحيبي 597، 609
- عبد السلام الشواف 591
- عبد السلام المفتي المارديني 59
- عبد العزيز آل سعود 657، 660
- عبد العزيز الدوري، الدكتور 49، 52
- عبد العزيز العلي 39
- عباس حلمي 421، الخديوي
- عباس حلمي القصاب 297
- عبد الجليل الرحيبي 612
- عبد الحافظ الرحيبي 597
- عبد الحميد بن عبد الله الرحيبي 597
- عبد الحميد عبادة 42، 99، 114، 119، 145،
147، 207
- عبد الرحمن ابن الجوزي 98
- عبد الرحمن الأعظمي 16
- عبد الرحمن البناء 155
- عبد الرحمن السويدي 307
- عبد الرحمن حلمي السهروردي 597
- عبد الرحمن زكي 523
- عبد الغني الفنيمي الميداني 552
- عبد الفتاح الشواف 591
- عبد الفتاح بن عبد الله مفتي بغداد 45
- عبد اللطيف الزهير 591
- عبد الله بهاء الدين الألوسي 591
- عبد المهدي بن الحاج قنبر 256
- عبد المؤمن دده 344
- عبد الباقي الألوسي 591
- عبد الجبار آل الشيخ أمين السامرائي 678
- عبد الحق بن عبد الرحمن اليزدي 458
- عبد الحلیم بن احمد الحافاتي (اللحائي)
28، 537، 541، 552، 561
- عبد الحميد الأتروشي 29
- عبد الحميد الأول، السلطان 63، 118
- عبد الحميد الثاني، السلطان 477، 584، 651
- عبد الحميد الدهان 158
- عبد الحميد الضاحي 28
- عبد الحميد بن عبد الله الرحيبي 595
- عبد الحميد عبادة 324، 334، 479، 487،
488، 573، 682، 574
- عبد الرحمن ابو الفرج بن الجوزي 491
- عبد الرحمن أفندي 340

- عبدالعزیز المطیر 28
عبدالعزیز بك الشاوی 83، 591
عبدالعزیز بن عبدالرحمن الرحبی 596، 606، 609، 612
عبدالعزیز سلیمان نوار، الدكتور 564
عبدالعزیز، السلطان 483، 584
عبدالغفار الاخرس 591
عبدالغفور أفندي 340
عبدالغفور الرحبی 596، 609
عبدالغفور المشاهدي 28، 30
عبدالغني آل جمیل 160، 207
عبدالغني النابلسي 686
عبدالغني بن أحمد بن عبدالقادر الرفاعي الطرابلسي 560
عبدالغني بن عبدالمحسن العباسي 591
عبدالغني شندالة 104
عبدالفتاح الرحبی 597
عبدالفتاح باشا الجليلي 201، 278
عبدالقادر آغا أمرالبحرية 487
عبدالقادر ال ابي السعود المقدسي 557
عبدالقادر الرسام 559
عبدالقادر السليمانی 334
عبدالقادر السليمانی 334
عبدالقادر الشهراباني 83، 306، 348، 348، 351، 472، 574
عبدالقادر الكيلاني 654، 671، 672
عبدالقادر المكي الحارثي 566
عبدالقادر المميز 107
عبدالقادر بن صبغة الله الحيدري 41، 45
عبدالقادر بن عبد المحسن العباسي 591
عبدالقادر بن مراد الكيلاني 552
عبدالقادر بن يوسف قدری 368
عبدالقاهر بن عبدالرزاق 138
عبدالكريم الجيلاني العجمي 679، 680
- عبدالكريم بن ابراهيم الجيلي 6، 671، 679، 680-702
عبدالكريم بن سبتي 212، 213، 215، 216، 217
عبدالكريم بن صفوق الجريا 632
عبدالكريم بن محمد الرحبی 596، 611، 612
عبدالكريم شريف مكة 530
عبداللطيف الرحبی 609
عبداللطيف الطيباوي، الدكتور 686
عبدالله آغا بن سليمان آغا 339
عبدالله أفندي الراوي 313، 340
عبدالله أفندي بن محمود أفندي مفتي الحلة 257
عبدالله أفندي كليدار الإمام الأغظم 257، 259
عبدالله الجبوري 472، 491
عبدالله الحبشي 691
عبدالله الخياط 29
عبدالله الربيعي 19
عبدالله الزرقلوني 42
عبدالله السويدي 145، 478، 487، 563، 591، 608
عبدالله الشخلي 29
عبدالله الصغير 104
عبدالله الفاضل 544
عبدالله الفخري 195، 206، 608، 213
عبدالله اليهودي 356
عبدالله باشا، والي بغداد 77، 80، 373، 571
عبدالله بك الشاوي 306
عبدالله بك دفتردار بغداد 306، 311
عبدالله بك، أمير الحاج 519
عبدالله بن الحسين، الأمير 660
عبدالله بن شهيد 256
عبدالله بن صالح آل خنين 122
عبدالله بن فتح الله الغياثي 131
عبدالله بن محسن بن باقر السبزواري 619

- عزرة مناخيم دانيال 30
عزير آغا 28
عزير آغا بن عبد الله 356
عزير الكردي 171
عصمت بينارق 250
عطا ملك الجويني، حاكم العراق 130
عطية بنت محمد المعروف 167
عطية بنت محمد أمين السهروردي 585
عطية بنت محمود آغا 158
عطية خانم بنت درويش الحيدري 488
عقبة بن عامر 338
علاء الجليل الرحبي 609
علوان السامرائي 655-660
علوش أفندي 21
علي أسكندر مفتي الحنفية بمصر 530
علي أفندي الكمرنجي 111
علي أفندي بن مراد أفندي 372
علي أفندي شيخ زاده 316، 317
علي أفندي مفتي الشافعية 608
علي الانصاري 566
علي البندنجي 143
علي الحساوي 43
علي الخصي 210
علي العمارة 659
علي الكيلاني 27
علي الموصللي 256
علي الهاشمي الخطيب 615، 620
علي باشا جانبولاد 300
علي باشا والي بغداد 79، 88، 333، 484
علي باشا والي مصر 536
علي بن ابراهيم الحلبي 476
علي بن الحاج عبد الله القرغولي 375
علي بن حسن الأعرج 492
علي بن عبد المؤمن السكرجي 484
علي بن عبد الله الباجه جي 257
عبد الله بن محمد سعيد السويدي 573
عبد الله بن مرتضى المفتي 19، 24
عبد الله بن ناصر الدين السويدي 563
عبد الله جليبي بن الحاج يوسف الأعظمي 258
عبد المجيد الخادمي 50
عبد الملك بن مروان 463
عبد المنعم الحنفي، الدكتور 679
عبد المنعم خليل 368
عبد النبي اليهودي 373
عبد الوهاب أفندي الصعيدي 530
عبد الوهاب المميز 107
عبد الوهاب النائب 137، 488
عبد الوهاب بن عبدالفتاح بن حجازي 137
عبد الوهاب بن مصطفى آغا 47
عبد ي باشا، والي مصر 518
عبودة بنت درويش 164
عبودة خاتون بنت محمد جواد الغرابي 164
عثمان آغا بن خضير الاعظمي 374
عثمان الثالث، السلطان 604
عثمان الخطيب الموصللي 491
عثمان الرحبي 596، 609
عثمان بن عفان، الخليفة 671
عثمان بن سند البصري الوائلي 62، 83، 305، 577
عثمان بن علي عصام الدين العمري 195، 305، 351، 463، 574، 591، 597، 598
عثمان يحيى 610، 607، 608
عثمان يحيى 689
عجم محمد 373، 565، 571
عدنان احمد العزاوي، الدكتور 80، 82
عدي بن مسافر 214
عرب علي آغا 63
عزالدين علم الدين 572
عزة حسن 686
عزرا صراف باشي 23

- علي بن عبد الله، شهاب الدين 130
علي بن محمد الرحبي 596
علي بن محمد سعيد السويدي 573
علي جلبي بن خليل جلبي ال عبد الجليل جلبي 87
علي رضا باشا اللاظ 377
علي رضا باشا والي بغداد 64، 71، 72،
118، 207، 209، 210، 657
علي عبد الحسين المظفر 621
علي علاء الدين الالوسي 47
علي علاء الدين عبد المؤمن السكرجي 333
علي كاقل الحسين 30
علي نعمة الحلو 626
علي هادي المهداوي 152
عليوي بن حميد ابو خشوت 91
عماد احمد الجواهري، الدكتور 250، 251
عماد الدين بن صلاح الدين الايوبي 466
عمر اغا الجيبه جي 21
عمر اغا طويق زاده 376
عمر افندي بن محمود الرحبي 596
عمر الدباغ الموصللي 47
عمر باشا، والي بغداد 110، 305، 306، 373،
569
عمر بن الخطاب، الخليفة 462
عمر رضا كحالة 614، 616، 564، 679
عمر شهاب الدين السهروردي 356
عمر طوسون 497
عمران بن عسكر 82
عهدي البغدادي 607
عيسى اسكندر المعلوف 197
عيسى القابجي النجفي 615
عيسى بن مصطفى بن محمد العطار 374
عيسى صفاء الدين البندنجي 28، 592
عيشة بنت حسين آغا 161
عيطاس بك الأعور 531
عيفان بن صالح البناء 157
غانم بن محمد البغدادي 54، 60
عباس العزاوي 554
عبدالله بك بن احمد باشا الكهية 376
عبد اللطيف بن أجمداغا 373
عبد المجيد محمود 375
فارس الدباغ 42
فارس بن درويش 261
فاروق صنع الله العمري 907
فاسم البياتي 592
فاطمة بنت بكتاش 333
فاطمة بن السيد أحمد أفندي 161
فاطمة بنت الحاج ابراهيم 375
فاطمة بنت الخاج حمودي 165
فاطمة بنت السيد هاشم 166، 167
فاطمة بنت حمودي 161
فاطمة بنت سيد حسين 161، 167
فاطمة بنت محمد العكلي 261
فاطمة بنت محمد جواد الغرابي 164
فاطمة بنت وحيد آغا 186
فاطمة خاتون بنت احمد بك 157
فاطمة خاتون بنت بكتاش بن ولي 155، 112،
333
فاطمة خاتون بنت عبد الله 165
فاطمة خاتون بنت محمد 176
فاطمة خاتون زوج عجيمي زاده بكر 259
فاطمة خانم بنت حسين باشا 165
فالترهنتس 81، 83، 463، 644
فائق السامرائي، الدكتور 678
فتاح صادق الموصللي 47
فتح الله القادري 193، 194، 196، 197، 198،
199، 204
فتحي الموصللي 15

- فتحية خاتون بنت عبدالفتاح باشا الجليلي 178، 170
 فتحية خاتون بنت عبيدآغا 182
 فخر الدين أبو إسحاق البغدادي 129
 فخر الدين بن قرقماز المعني 297، 298، 300، 301
 فخر الدين محمد ابن النوقاني 127
 فخري افندي الفخري 608، 610
 فرحان الجديشي 543
 فرحان باشا بن صفوق 652
 فرحة بنت فاضل بن خلف 161
 فردناند توتل 60
 فردوس خاتون بنت يحيى باشا الجليلي 173، 179، 180
 فرديناند دي مدتشي 300
 فضلة بنت عبدالله 165
 فضولي البغدادي 343
 فطومة بنت قاسم 167
 فطومة بنت مصطفى 164
 فطيم بنت خالد 164
 فؤاد افرام البستاني 297
 فؤاد سيد 685
 فياض بن سلمان 257
 فيصل الأول، الملك 484، 688
 فيض الله افندي قاضي بغداد 306، 310
 فيلكس جونز 62
 فيليب آيرلند 425
 قاسم البكرجي 491
 قاسم الفواص 28، 592
 قاسم القيسي 139
 قاسم دوبراجا 686
 قبالن نصطقي باشا 359
 القسطلاني 466
 قيس عبدالقادر الشبخلي 34
 كاتب جليبي الرومي، الحاج خليفة 473
 كاظم الجنابي، الدكتور 487
 كاظم الدجيلي 30، 574، 564
 كاظم محمد علي شكر 615
 كاميل 209
 كامل افندي منجم باشي 559
 كامل العسلي 81
 كتشنر 424
 كريم خان الزند 571
 كزافييه كاستليونو 654
 كسرى الأول 462
 كلثوم بنت سلمان بن موسى 165
 كلثوم بنت ماجد 260
 كلرخ خاتون 103
 كلوت بك 497، 498
 كلي بنت علي 157، 166
 كمال الدين الطائي 138
 كوتولوف 67
 كوريال داود الاقوشي 643
 لطف الله آغا 259
 لطف الله افندي 83، 311
 لطف الله بن عبدالله الخزندار 472
 لطف الله كاتب الديوان 472، 592
 لطفلي آل الشيخ أمين السامرائي 657
 لطيفة بنت قدوري بن علاوي 167
 أمنة بنت إبراهيم التكريتي 372
 ليكلاما 150
 ليلى خاتون بنت جواد 145
 ماردين 305
 ماسنيون 65، 679، 681
 ماه جين بنت عبدالله 355
 ماهية خانم بنت علي آل الشهيد 162
 المتنبى 492
 المتوكل الليثي 608
 مثيلة بنت عبداللطيف الصراف 186
 مجاهد الدين قيماز 196

- محمد الدين شقير الواعظ 130
 محب الدين الطبري 464
 محبوبة خاتون 358
 محبوبة خاتون بنت عبدالله 167 116
 محسن الامين العاملي 621، 615
 محسن بن حسين بن ابي ندى 298، 297
 محسن بن محمد ابن مهنا الخزعلي 212
 محمد أبو فحل 300
 محمد أسعد افندي 72
 محمد أسعد الفخري 609، 608
 محمد اغا الجرودي 551
 محمد اغا بن حسين اغا الخرمثلي 372
 محمد آغا كشيح زاده 118
 محمد أفندي المارديني 305
 محمد افندي اليازجي 556، 555
 محمد افندي خزينه كاتبي 59
 محمد آل جميل 493، 337
 محمد آل دباغ 177
 محمد الارضروملي 471
 محمد الاشعري الوفائي، غرس الدين 684
 محمد الاعرج، طوبال 543
 محمد الأعظمي 48، 45
 محمد البرماوي 530
 محمد الجاويشان 527
 محمد الجليلي 170
 محمد الحسيني الصدر الكاظمي 624
 محمد الخطيب ينيكجيري أفنديسي 259
 محمد الراشد 695
 محمد الرواف 38
 محمد السراج 172
 محمد الششتاوي 521
 محمد العشاري 48
 محمد الفاتح، السلطان 496
 محمد القزلي 139
 محمد القليطي 524
 محمد الكاظم بن أبي الفتوح 621
 محمد امين ابراهيم اليتيم 47
 محمد أمين اغا الأعرج 356
 محمد امين اغا الطوبال 375
 محمد امين افندي الزند 375
 محمد امين افندي بن عبدالسلام افندي
 مفتي الشافعية 347
 محمد أمين افندي مفتي الشافعية 340
 محمد أمين السهروردي 306
 محمد أمين السهروردي 306، 72
 محمد امين السويدي 48، 473، 492
 محمد أمين الطبقي 484
 محمد أمين العمري 57، 60، 170، 171،
 177، 190، 205، 591
 محمد أمين الكردي المعنوي 29
 محمد أمين المحبي 43، 57، 220
 محمد أمين باشا الجليلي، والي الموصل
 170، 171، 181، 205
 محمد أمين بن محمود افندي مفاي الشافعية
 347
 محمد باشا الجليلي، والي الموصل 170
 محمد باشا الداغستاني 29
 محمد باشا الديار بكري 28
 محمد باشا اينجه بيرقدار 217
 محمد باشا بالطه جي 497
 محمد باشا نشانجي صدر أعظم 522
 محمد باشا والي مصر 526
 محمد باشا، والي الموصل 521
 محمد بت قره باجق 357
 محمد بدران 211
 محمد بك بن ابراهيم بك 531
 محمد بك بن إسماعيل بك دفاردار 522
 محمد بك بن عبدالله بن شاوي 83، 86
 محمد بك دفتردار بغداد 376
 محمد بن أحمد الأحسائي 43

- محمد جميل افندي بن عبد الجليل 257
 محمد جواد السياهيوش 12
 محمد حسين ال كاشف الغطاء
 محمد خلوصي الناصري 100
 محمد خليل المرادي 563, 572, 575, 604
 محمد خورشيد 66
 محمد درويش بن عزيز 28
 محمد راغب باشا 602, 606
 محمد رشيد باشا الكوزلكي، والي بغداد 157
 محمد رضا الشبيبي 615, 617, 619, 620, 622, 623, 625, 630
 محمد رضا المظفر 629
 محمد رفيع بن حسين قاضي بغداد 44
 محمد رؤوف الشبخلي 103
 محمد رؤوف العطار 291, 338
 محمد سعيد افندي الرحيبي 609
 محمد سعيد افندي المصرف 82, 85
 محمد سعيد افندي بن السيد عمر افندي 546
 محمد سعيد افندي بن عبد الجليل 257
 محمد سعيد افندي قاضي الحلة 90
 محمد سعيد الاخفش 592
 محمد سعيد الحاج سعودي 101
 محمد سعيد الدباغ 45
 محمد سعيد الراوي 24, 42, 43, 72, 100,
 101, 107, 119, 122, 145, 156, 160, 337,
 472, 477, 478, 479, 482, 486, 574,
 584, 641, 692
 محمد سعيد الرحيبي 611
 محمد سعيد السويدي 307, 334, 337, 563,
 566, 569, 570, 571, 572, 577, 578, 596
 محمد سعيد القشطيني 101
 محمد سعيد المفتي 17, 19, 24, 71
 محمد سعيد افندي، قاضي دوما 551
 محمد سلمان حسن، الدكتور 77
 محمد شوكت باشا 441
 محمد بن أحمد الطبقجلي 482
 محمد بن أحمد اللحائي 542
 محمد بن أحمد بدر الدين العيني 472
 محمد بن إدريس الشافعي 478
 محمد بن الحسن الشيباني 346
 محمد بن الحنفية 621
 محمد بن جعفر، عز الدين البصري 130
 محمد بن حمد العسائي 133
 محمد بن حميد ابو خشوت 91
 محمد بن داود السراج 212
 محمد بن داود بن محمد، ابن السبتي 212
 محمد بن درويش شوشه جي 48
 محمد بن سعيد الديبثي 99
 محمد بن صالح العسائي 592
 محمد بن عبدالدائم ابن بنت الميلىق 690
 محمد بن عبدالرحمن الرحيبي 595
 محمد بن عبدالرحمن الرواف 38, 39, 46
 محمد بن عبدالغفور الرحيبي 206, 595
 محمد بن عبداللطيف 38
 محمد بن عبد الله التمرتاشي 225, 233, 235
 محمد بن عبد الله الغزوي 368
 محمد بن عثمان البغاددة 43
 محمد بن عثمان الحرياوي 375
 محمد بن عثمان الرحيبي 596
 محمد بن علي الحصقكي 368
 محمد بن محمد الفلالي الاشعري 636
 محمد بن محمد النعمان، الشيخ المفيد 622
 محمد بن محمد، بهاء الدين نقشبند 675
 محمد بن ناصر العبودي 38
 محمد بن يحيى الفيروزابادي 475
 محمد بهجة الأثري 26, 100, 119, 477, 681
 محمد تقي الدين الفاسي 297
 محمد توفيق، الخديوي 422
 محمد جليبي الباجه جي 120
 محمد جليبي الرواف 44, 45

- محمد صالح أفندي نائب الحلة 40
 محمد صالح السهروردي 307، 557
 محمد صالح بك بن عبدالرحمن باشا 111
 محمد صالح بن عبد المحسن العباسي 307، 485، 592، 593، 594
 محمد صديق الجليلي، الدكتور 640
 محمد عبدالكريم النمري 989
 محمد عبدالمحسن السهروردي 587
 محمد عبدالمطلب، الدكتور 696
 محمد علي الانسي 235، 497
 محمد علي باشا 500
 محمد علي باشا بن محمد شريف 548
 محمد علي بن بشارة النجفي 607
 محمد علي بن عبدالرزاق الشواف 541
 محمد عيسى صالحية 674
 محمد فريد بك 72
 محمد فؤاد كويرلي 51، 54
 محمد فيضي الزهاوي 334، 484
 محمد قدري جناني باشا، الصدر الاعظم
 محمد كتحدا زاده قاضي مصر 528
 محمد مطيع الحافظ 576
 محمد منجد الحزماوي 239
 محمد مهدي آل بحر العلوم 627
 محمد نافع السهروردي 585
 محمد نجيب الارمنازي 571، 247، 571
 محمد نور الدين ابن العربي 129
 محمد هادي الاميني 616
 محمد هاشم قاضي بغداد 338، 339
 محمد وهبي 560
 محمد سعيد الكيلاني، النقيب 17
 محمود افندي مفتي الشافعية ببغداد 313
 محمود افندي مفتي الشافعية ببغداد 313
 محمود افندي الرحبي 609
 محمود الأورفلي 30
 محمود الثاني، السلطان 257
 محمود الجليلي، الدكتور 170
 محمود النقيب 592
 محمود باشا الجليلي 170
 محمود بك متولي جامع المحمودين 171
 محمود بن أحمد بن موسى 457
 محمود بن عبدالجليل الخضري 175
 محمود بن عبدالكريم 372
 محمود بن عبدالكريم المجموعي 594
 محمود بن عبدالله، ابو الشتاء الألوسي 25، 478، 479، 487، 574، 592
 محمود بن عثمان الرحبي 596، 612
 محمود حسام الكيلاني 27
 محمود حسين الأمين، الدكتور 192
 محمود شكري الالوسي 47، 100، 107، 105، 116، 133، 165، 475، 479، 482، 484، 546، 563، 590، 681
 محمود كهية 30
 محمود آغا طويجي 259
 محيي الدين ابن الجوزي 129
 محيي الدين الكيلاني 27
 محيي الدين بن صبغة الله الحيدري 41، 45
 مخدوم شاه، إيكجي 131
 مدحت باشا، والي بغداد 155، 251، 484، 485، 538، 551
 مدلج الصغير بن ظاهر بن أحمد الرحبي 116
 مراد الرابع، السلطان 32، 484
 مراد باشا، والي بغداد 486
 مراد بك بن الحاج حسين باشا الجليلي 204
 مرتضى الزبيدي 572
 مرتضى بك الكردي 6، 517، 534، 535، 536
 مرتضى نظمي زاده 309، 487، 495، 520، 521
 مرتضى نقيب كربلاء 343
 مرجان، امين الدين 373، 477
 مرزا جان 346

- مصطفى جواد ، الدكتور 51، 99، 126، 127،
483، 478
- مصطفى درويش 500
- مصطفى سميكه 258
- مصطفى طوبي 308
- مصطفى طوبي 308
- مصطفى قبلان باشا، والي بغداد 485
- المظفر بن علي ابن جهير، الوزير 124
- المتعضد بالله العباسي 144
- معروف اغا السلاحدار 370
- معروف اغا السلاحدار 370
- معروف الرصافي 28
- معروف الكرخي 667
- ملا باشي علي أكبر 195
- ملج الصغير بن ظاهر الرحبي 373
- الملك غازي، الملك 484
- ملكشاه السلجوقي، السلطان 124
- مناحيم دانيال 30
- منصور القطان 60
- منصور بن سيد الكيلاني 469
- منيرة خانم بنت عبد فتاح بن حبيب اغا
166، 162
- منيفة بنت السيد أحمد أفندي 161
- مهدي الشماع 40، 54
- مهدي القزويني 618
- موسى الرواف 38
- موسى بك شاوي زاده 260
- موسى بن حسن القبي 220
- موسى شرف الدين الألوسي 27
- موسى كاظم نورس 305
- موسى كاظم نورس 37، 82، 305، 246، 613
- ميخائيل عواد 247
- مير بصري 30
- ميرزا جان 320
- ميرزا جان 320
- مریم بن الحاج عبدالله نعمة 167
- مریم بنت أحمد أفندي 184
- مریم بنت شيخو بن عبدالله 166
- مریم بنت غريب 161، 343
- مریم بنت محمد الباجه جي 120
- مریم خاتون بنت إبراهيم بك بن نجيب بك
176
- مریم خاتون بنت أحمد باشا الجليلي 175، 176
- مریم خاتون بنت عبدالله 41
- مریم خاتون بنت محمد باشا الجليلي 175
- مریم خان بن محمد جان 161، 166
- مریم خانم بنت عبدالقادر أربيلي 162
- المستضيء بالله العباسي 98، 125، 140،
141، 341، 481
- المستعصم بالله العباسي 128، 129
- المستجد بالله العباسي 141
- المستنصر بالله العباسي 141
- مصطاف بن ملا حسن 257
- مصطفى آغا 15
- مصطفى آغا بن عبدالله 261
- مصطفى اغا عربه جي باشي 259
- مصطفى الخليل 17
- مصطفى الخليل 376
- مصطفى الرفاعي ، نقيب الأشراف بمصر
527
- مصطفى الصباغ 177
- مصطفى العلقبند 131، 259
- مصطفى الغزال 550
- مصطفى بك الربيعي 351
- مصطفى بك الربيعي 370
- مصطفى بن أحمد 355
- مصطفى بن خليل 377
- مصطفى بن عبدالله، الحاج خليفة 471
- مصطفى بن محمود 372
- مصطفى جاوش بن إبراهيم 488

- نابي خاتون 371
 نابي خاتون بنت عبد الله 155، 134
 نابي هاتون ام سعيد باشا 370
 نادرشاه 169، 173، 193، 199، 200، 205، 206، 561، 565، 566، 613
 نازنده خاتون بنت مصطفى 156
 الناصر لدين الله العباسي 141، 352، 481، 668
 نافعة خانم بنت محمد رشيد باشا الكوزلكي 157
 نامق باشا ، والي بغداد 592
 نائلة خاتون بنت عبدالرحيم اغا 138
 نائلة خاتون بنت عناية الله اغا 120
 نجاتي اقطاش 250
 نجاح محمود الغنيمي 685، 780، 690
 نجم الدسن علي بن أبي الفنائم العمري 624
 نجم الدين الواعظ 133
 نجم بن محمد 90
 نجو بنت الحاج عبد القادر 167
 نجيب الارمنازي 134
 نجيب الربيعي 370
 نزهت افندي والي باب المشيخة 559
 نشعة بنت مال الله الجميلي 167
 نصير الدين الطوسي 320
 نصير الدين الطوسي 320
 نعمان اغا 155
 نعمان افندي القائم مقام 21، 28
 نعمان بك الشاوي 374
 نعمان بك بن سليمان باشا الجليلي 172، 178
 نعمان بن ابراهيم 256
 نعمان خير الدين الألوسي 5، 98، 477، 478، 480
 نعيم زلخة 30
 نفيسة القشطيني 100
 نوبار باشا 421
 نوح الحديشي، الملا 487
 نوح النبي ع 53
 نوح بن مصطفى الحنفي 475
 نوري الشيرواني 29
 نوري خاتون بنت مصطفى 165
 نورية بنت يوسف بن علي 161
 نيبور 148، 151، 153، 192، 195
 نيقولا زياده 48
 نيقولا سيوفي 54، 170، 171، 172، 174، 176، 181، 214
 نيكلسون 679، 693
 هاشم الاعظمي 122، 124، 483
 هاشم الأعظمي 538
 هاشم بن عبد مناف 469
 هاشم بن محمد درويش 260
 هاشم خضير الجنابي 216
 هبة الدين الشهرستاني 537
 هيبه الله خاتون بنت عبدالرحمن افندي 158، 175
 والية الصفو 176
 وفا خاتون 371
 وفا خاتون الجلثرية 99، 100، 131،
 ولي افندي الكركوكلي 305
 ولي افندي الكركوكلي 305
 وليد عبدالكريم الاعظمي 103، 483، 565
 وهيبه بنت هليل 176
 وولف، السير 421
 الياس عيسى 23
 ياسين اغا بن محضر اغا 374
 ياسين افندي مفتي الحنفية 608
 ياسين الذياب 544
 ياسين الذياب 547
 ياسين العمري 305
 ياسين العمري 379
 ياسين المفتي 19، 24
 ياسين باسا نقيب اشرف مصر 527
 ياسين بن خلف بن عبد الله 379

- ياسين بن خيرالله العمري 37، 63، 170، 171،
173، 190، 193، 205، 215، 305، 412، 577،
641، 640، 613
- أبو صيدا 362، 363
أبو قوارير 634
أبو الفوارس 539، 549
أبيات حسين في اليمن 679، 680
أدرنة 437، 441
أربيل 363، 381، 609، 686
الأردن 460
أرض بتي سعد 381
استانبول 305، 46، 305، 437، 444، 472،
495، 605، 671، 688، 690، 692
أسكلة السيد حسين بن الملا محمد 378
الاسكندرية 497
اسكندرية بابل 381
اصبهان 605
الإعدادية العسكرية ببغداد 461
اعدادية الكرخ للبنين 487
الإعدادية المركزية ببغداد 440
الأعظمية 337، 355، 379
الأناضول 438
أوزون كوبري 443
ايران 460، 571، 572، 671
ايوان الساعات في المستنصرية 372
ايوان الطب في المستنصرية 485
باب الإمام الأغظم 342، 343
باب السلطان 343
باب الكمرك 241
باب الماء 374
باب المعظم 343
بحر قزوين 671
البدرية ببغداد، محلة 478
برايل 684، 685
بريدة 574
بريطانيا 545، 466
بستان ال السيد رضا الرفيعي 633
- يحيى المزوري 17، 592
يحيى باشا الجليلي 180، 209، 210، 212
يحيى بن ابي القاسم التونسي 684
يعقوب سرقيس 30
يلقوت 550
يلماز أوزتونا 495
يوحنا هرمزد 654
يوسف الخامس هندي، البطيريك
يوسف الرحبي 597
يوسف الكبير 30
يوسف الكيلاني 654
يوسف النصراني 370
يوسف الياسين 657
يوسف اليان سرقيس 679
يوسف اندراوس بن الخوري
يوسف باشا سنان باشا 342
يوسف بك الجزائر 432
يوسف بك بن داود باشا 356
يوسف بك بن داود باشا 358
يوسف بك قائممقام مصر 522
يوسف بن محمد أبو الحجاج الملوي 519
يوسف بن نعمان بن عبدالرحمن السامرائي
657
يوسف بن يحيى المنجم 144
يوسف جبره 23
يوسف زيدان، الدكتور 67، 676، 688، 689
يوسف غنيمة 655
يوسف كركوش الحلبي 91
يوسف هندي 654
يوسف ياسين 660

- 593, 376, 359, 304 جامع الأحمدية
 593 جامع الأزليك
 488 الجامع الأزهر
 374, 304, 204 جامع الأصفية
 584, 353, 313 جامع الإمام الأعظم
 304 جامع الحاج أمين الباجه جي
 360, 359, 370, 353 جامع الحيدر خانه
 586, 493, 452, 436, 377, 374, 368, 366
 جامع الخفافين 341 وينظر: جامع الصاغة،
 مسجد الحظائر
 377, 305 جامع الخلفاء
 594 جامع الزبير بن العوام
 304, 681 جامع السيد سلطان علي
 586, 486 جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني
 341 جامع الشيخ عمر السهروردي
 375 جامع الصاغة
 343, 342 جامع العادلية الصغير
 342, 304 جامع العادلية الكبير
 567 جامع العاقولي
 487, 310 جامع الفضل
 377, 372, 359, 357, 310 جامع القبلاية
 485
 305 جامع القصر
 593, 357 جامع المرادية وينظر: المدرسة
 المرجانية
 3 جامع المرجانية
 204 جامع المصرف
 639 جامع النبي يونس
 340, 333 جامع النعمانية
 491, 486, 485, 374, 369, 356 جامع الوزير
 379 جامع الوفاية
 376 جامع بابا كركر
 335, 309, 305 جامع جديد حسن باشا
 377, 365 جامع حبيب العجمي
 311, 304 جامع حسين باشا
 379 بستان الحاج صالح
 343 بستان الصرافية
 479, 355 بستان الفصر في الاعظمية
 379, 355 بستان الملا رجب في الاعظمية
 355 بستان سليمان بك الفخري
 356 بستان عمران بن محمد
 567, 565, 481, 377, 310, 305 البصرة
 612, 578, 572, 571, 568
 بعقوبة 596, 585
 بغداد تكرر ورودها في معظم صفحات الكتاب
 670 بلاد الديلم
 635 بلاد السودان الغربي
 499 بلغاريا
 443, 437 بلغراد
 478, 462 بنديجين وتنظر: مندلي
 698 بنغازي
 451 بني سويف
 586 بوب الشام
 574 بومبي
 478 بوهريز
 380 بيارى الشطيطة
 485, 440 بيت الحكمة الحديث في بغداد
 613, 596, 497, 465, 368, 305 بيروت
 700, 690
 379 التاجيات
 672 تبريز
 691 تريم
 451 تزميت
 451 تفليس
 344, 305 تكية البكتاشية في كريلاء
 380 تلول بخش
 437 التيرول
 379 الثعالبية
 467 الثكنة الشمالية
 333 جامع ابي النجيب السهروردي

- الخالص 337, 356, 362, 363, 478
 خان أسما عيل آغا بن وهيب 376
 خان الأبريسم 375
 خان الأورثمة 375
 خان الباجه جي 481
 خان التتن 341
 خان التمر 375
 خان الدوكمه 356
 خان الزاوية 478
 خان الزرور 375, 376
 خان الزوار 357
 خان الصاغة 342
 خان الكمرك 356
 خان اليهود 356
 خان بكر 356
 خان جفان، جفاله 342, 360, 370, 375
 خان سليمان باشا الكبير 305
 خان عبد الله اليهودي 375
 خان مرجان 375, 478
 خاتقين 478
 خراسان 622
 خرائب وقف آل دراج في كربلاء 343
 خرنابات 488
 الخزانه الاصفية 690
 خزانه الرهبانية الكلدانية ببغداد 643
 خزانه الزاوية الحمزاوية العياشيه 692
 الخزانه الملكيه بالرياض 692
 خزانه دوكملي 692
 خزانه قليج علي باشا 690
 الخليلات 478
 دار التربية الإسلامية 328
 دار السلطنة السلجوقية 343
 دار الشفاء 377
 دار الضباط الأعوان 440
 دار الطب المستنصرية 372
 جامع خضربك 304
 جامع عاتكة خاتون 304
 جامع علي افندي 372
 جامع عمر السهروردي 304
 جامع قمرية 343, 487
 جامع مراد باشا 486
 جامع مرجان 480 وينظر: المدرسة المرجانية
 جامع منور خاتون 204
 جامع نعمان الباجه جي 304
 جدة 660
 جزيرة بغداد السياحية 379
 جسر الشهداء (جسر المأمون) 486
 جمرين 478
 جناق قلعة 437, 442
 جيزان 379
 جيزاني (قرية) 356
 جيل 671
 جيلان 671
 الحجاز 439, 463, 563
 حديقة السيد أحمد آغا 341
 حديقة العيوازية 342, 343
 حديقة محمد غياث في كربلاء 343
 الحسكة 568, 634
 خشخشية 356
 حضرموت 612, 688, 691
 حظائر الشوك 341
 حلب 437, 439, 444, 657, 570
 الحلة 356, 461, 586, 596, 612, 634
 حماة 376
 حمص 659
 الحميرة 381
 الحنانه والثوية 620
 حيدرآباد 684, 690
 الحيرة 618, 620
 الخاتونية 596

- 594 الزبير
 363 الزعفرانية
 زقاق طرف حجي فتحي 681
 381 زنكباد
 478 ساحة النهضة
 ساقية الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي
 355, 342
 660 593, 657 سامراء
 333 سراي الحكم
 378 سراي الخارج
 سراي بغداد 586, 341, 333, 306
 سراييفو 686
 سرنديب 605
 سقاية جامع الشيخ عمر 342, 341
 سقاية سري باشا 586
 السنغال 635
 سوريا 466, 439, 438
 سوق السراجين 361
 سوق الاطرقجية 372, 356, 361, 360
 سوق الأمشاطيين 478
 سوق البزازسن 378, 376, 375, 371, 358, 379
 سوق البزازين 341
 سوق البزازين 372
 سوق البقالخانة 373
 سوق البلطجية 376
 سوق التمر 361
 سوق الجبوقحية 356
 السوق الجديد (المجاور للمرجانية) 477
 سوق الحيدرخانه 357, 356, 354, 353
 370, 369, 362, 360
 سوق الخفافين 378, 374, 361
 سوق الخياطين 372
 سوق الدفتردار 377
 سوق الدقاقين 378
- 688, 686 دار الكتب الظاهرية
 685, 684, 477, 453 دار الكتب المصرية
 691, 688 / 687
 625 دار المخطوطات العراقية
 377 دائرة المحاكم المدنية
 567 دبلن
 363 الدجيل
 381, 380 دجيل، مقاطعة
 374, 373 درب الزنجير
 373 درب السلسلة ينظر: درب الزنجير
 442, 437 الدردنيل
 377 الدفترخانه
 378 الدقاقخانه
 661 الدمام
 570 دمشق
 570, 467, 466, 465, 438, 306 دمشق
 695, 685, 659, 614, 596, 572, 477
 380 دوب النخالة
 587, 563 الدور
 651, 650 دولاب نبعية في الأعظمية
 381 ديار بكر
 467, 465 دير الزور
 478 ديلتاوه
 682, 614, 386, 385 ديوان الوقف السني
 634, 620, 568 الديوانية
 334 رابطة العلماء ببغداد
 440, 438 راوة
 687, 685, 308 الرباط
 595 الرحبة
 671 رشت
 634 الرماحية
 499 رومانيا
 564, 499, 37 الرياض
 678, 677, 673 زييد

- سوق الدنكجية 360, 361, 372
سوق الريحانيين 373, 477
سوق الزنجير 360
سوق السراجين 374, 485
سوق السراي 485
سوق السريرجية 377
سوق السلطان 376
السوق السلطاني 342
سوق الشعربافية 361, 375
سوق الشورجة 360, 361, 362, 377
سوق الصاغة 361, 373
سوق الصرافين 478
سوق الصياغين 370, 375
سوق العجمي 378
سوق العطارين 361, 374
سوق القبلاية 361, 362, 377
سوق القبوقجية 337, 361, 374
سوق القزازين 337
سوق القوندرجية 375
سوق الكبابجية 371, 377
سوق المرجانية 360, 361
سوق الميدان 362, 376
سوق الهرج 371, 372, 377, 485
سوق الوفاية 361
سوق باب الاغا العتيق 378
سوق بكر 361, 375
سوق خان بكر 356
سوق دانيال 342
سوق رأس الجسر الغربي 362
سوق رأس القرية 361, 374
سوق صبايغ الال 377
سوق قاضي الحاجات 360
سوق قطني 356
سوهاج 531
السويس 465, 570
- شارع الخلفاء 372 وينظر: شارع الملكة عالية
شارع الرشيد 369, 436 وينظر الشارع انعام
شارع السموعل 478
شارع السيد سلطان علي 681
الشارع العام 353
شارع المأمون 343
شارع المتبي 370
شارع الملكة عالية 372
شارع النهر 343, 374
شارع المستنصر 374
الشام 442, 543
شريعة المصبغة 377, 478
شريعة الميدان 341
شطيط سيد مصطفى وسلطان 380
الشفافية 622, 633
صربستان 443, 437
صنعاء 677
صوقابي (باب الماء) 374
صيда 570
الصين 605
طبرستان 460
طبرية 460
طرابلس 690
طريق ينكجه 342
طهران 619
طوكيو 688
عانة 605
عبرة البازول 633
العدار (قرى) 633, 634
العقار التتشي 486
عقد المصطنع 371
عقرقوف 478
علوة عمراغا 377
علوة محمد الطاهر خليل 376
العيينة 37

قهوة محمود أفندي بن ملا محمد ينكجري	الفاضرية 621
أفندي 370	الغرابية 380
قهوة وقف جامع الصاغة 341	غزة 442, 437
الكاظمية 625	الفاثيكان 685, 654
كانه في الهند 658	فارس 461
كربلاء 305, 343, 481, 467, 621, 619	الفريجات 379, 362
الكرخ 37, 563, 565	الفصر الأخضر بمكة 659
كري سعد 634	القاطون 478
كفري 381	القاهرة 368, 477, 451, 466, 500, 570
الكل 633	574, 605, 635, 675, 677, 678, 680
كليبولي 442, 438	686, 692, 701
كمبردج 686	قبر عبدالكريم الجيلي 782, 283, 676
الكمرك ببغداد 341, 633	قبر محمد الفضل 487
كناسة الكوفة 633	قبر محمد بن ابي القاسم، قاضي الخافقين 371
كوت العمارة 310	القدس 570
كوتاهية 440, 438	قرارة 380
كوشي 675	قرش ياخا 37، وينظر: الكرخ
الكوفة 626/627, 629, 634	القرنتينة 586
الكويت 568, 673	قره تبة 381, 363
اللاذقية 660	القشلة الخامسة والثلاثون 357, 376
لامبور 687	القشلة ببغداد 441
لاييزك 686, 687, 474	قصة الإمام الأعظم 362, 378 وينظر: الاعظمية
اللجمة، قرية 380	قصر ابن هبيرة 633
لندن 375, 596, 616, 640	قصر الامارة في الكوفة 633
اللهيبات 618	القصر الملكي ببغداد 484
ليدن 474	القصيم 37, 38
ماردين 305, 310	قلعة بغداد 376, 486
مالي 635	قم 621
ماوران 609	قناة السويس 442, 437
المتحف البريطاني 613	قهوة أحمد الأورظلي 341
المجر 443, 449	قهوة المصبغة 376
المجلس النيابي 484	قهوة حسن العجمي 370
المجمع العلمي العراقي 342	قهوة سارة خاتون 372
المحكمة الشرعية 343, 385	قهوة سوق الحيدر خانة 354
المحكمة العسكرية الخاصة ببغداد 484	قهوة عباس أفندي 355

- المدرسة السليمانية 305-310, 333, 340.
 348, 349, 359, 485, 493, 586
 المدرسة السهروردية 594
 مدرسة الشيخ صندل 586
 مدرسة الصنائع 440, 484
 المدرسة الطبقلية 482
 المدرسة الطيرسية بالقاهرة 452
 المدرسة العادلية 493
 المدرسة العلية 484, 493
 المدرسة العمرية ببغداد 487
 المدرسة الغرابية 304
 مدرسة القاضي المخرمي 671
 المدرسة القبلانية 493
 المدرسة المرادية 468
 المدرسة المرجانية 373, 477, 479, 480
 المدرسة المستنصرية 341, 372, 347, 479,
 481, 485
 المدرسة المعزية بالقاهرة 452
 مدرسة المهندسخانة 41, 440
 المدرسة الوفاية 371
 مدرسة جامع الفضل 492
 مدرسة جامع جديد حسن باشا 311, 337
 مدرسة جامع حسين باشا 493
 مدرسة عاتكة خاتون 304
 مدرسة نائلة خاتون 304
 مدرسة هيبه خاتون 304
 مرأب الرصافي 343, 372
 مرقد حبيب العجمي 357, 364, 377
 مركز الملك فيصل للبحوث 614
 المركز الوطني للوثائق ببغداد 659
 مزرع احمد افندي الطبقلية 379
 مستشفى الولادة في الكرخ 343
 مسجد أبي النجيب السهروردي 584
 مسجد الجبرتي في زبيد 675
 مسجد الحظائر 481
- محلة ال الرحبي 595
 محلة البراق في النجف 615
 محلة الحلبة ببغداد 478
 محلة الحيدر خانة 356, 357, 586
 محلة السنك 595
 محلة الصابونجية 586
 محلة الصباغين 379
 محلة العاقولية 378, 586
 محلة العلوازية 343
 محلة الفضل 586
 محلة الكولات 586
 محلة المهديا 586
 محلة الميدان 386
 محلة باب الأزج 671
 محلة باب الاغا 377
 محلة باب الاغا الجديد 378
 محلة باب الشيخ 595, 603
 محلة تحت التكة 586
 محلة جامع عطا 480
 محلة خان التمر 375
 محلة خضر الياس 343, 478
 محلة راس القرية 343
 محلة عباس أفندي 355
 محلة قصر عيسى 478
 محلة نجيب الدين السهروردي 340
 المحمودية 363, 381
 مدرسة ابي النجيب السهروردي 440
 المدرسة الأحمديا 493
 المدرسة الاعدادية 340
 مدرسة الإمام ابي حنيفة 483
 المدرسة التتشية 485
 مدرسة الحاج حسن ببغداد 440
 المدرسة الداوودية 304, 353, 354, 356,
 356, 357, 356
 المدرسة الرشدية العسكرية 340

- مكتبة الامام محمد بن سعود 499, 501
 مكتبة الاوقاف بالموصل 692
 مكتبة الأوقاف ببغداد 309, 473, 673, 483
 485, 676, 684, 687, 688 / 692
 مكتبة الجندي بمصر 685
 المكتبة العامة في بغداد 494
 مكتبة الغازي خسرو بك 686
 المكتبة الفاتيكانيّة 654
 المكتبة القادريّة 595, 594, 597, 663
 مكتبة المتحف البريطاني 596, 686
 مكتبة المتحف العراقي 472, 473
 المكتبة الوطنية في باريس 689, 690
 مكتبة ايا صوفيا 692
 مكتبة جامع الإمام أبي حنيفة 483
 مكتبة جامعة الاسكندرية 688, 889, 691, 701
 مكتبة جامعة القاهرة 689
 مكتبة جامعة الملك فيصل 684
 مكتبة جستر بيتي 567
 مكتبة راغب 614
 مكتبة ساباط 685
 مكتبة سيد الشهداء 619
 مكتبة شهيد علي 685
 مكتبة عبدالرزاق الوهاب آل طعمة 621
 مكتبة محمد السماوي 624
 مكتبة محمد علي اليعقوبي 619, 623
 مكتبة نور عثمانية 692
 مكتبة وداي العطية 620
 مكتبة ولي افندي 692
 مكتبي رامبور 685
 مكتلة اسعد افندي 687, 688
 منتلبران 498
 مندلي 373
 الموصل 310, 379, 563, 594, 639, 643
 648, 650, 651, 652, 654, 785
 المولا خانه 374
- مسجد الحمراء 632
 مسجد الحيدرخانه 359, وينظر: جامع الحيدرخانه
 مسجد الرحبي 373
 مسجد السليمانية 349
 مسجد السهلة 632
 مسجد الشيخ محمد الطيار 342
 مسجد القنطرة الجديدة 633
 مسجد الكوفة 633, 627, 631
 مسجد بني السادة 633
 مسجد بني ظفر 632
 مسجد ثقيف 632
 مسجد ثيم 633
 مسجد جعفي 632
 مسجد جوير البجلي 632
 مسجد حسب الله 586
 مسجد سماك مخرمة 633
 مسجد شيت بن ربيعي 632
 مسجد عبدالكريم الجيلي ببغداد 681, 682
 مسجد غني 632
 مسجد الرواف 38, 39
 مشرعة الإبريين 478
 مشرعة الصباغين 376
 المشهد الحسيني 615
 المصيفة 361, 376
 مصر 439, 459, 466, 467, 496, 522, 527, 604, 688
 مطبعة عيسى البابي 692
 مقبرة باب ابرز 371
 المفوضية العراقية في جدة 660
 مقام زيد بن علي 633
 مقبرة الشيخ معروف 439, 651
 المقدادية 381
 مكة المكرمة 459, 657, 674, 677
 مكتبة احمد خيرى الخاصة 500
 المكتبة الازهرية 688, 691

3- المصطلحات	الميادين 595
ابريسم خانه 59	الميدان ببغداد 377، 593
احتساب اغا سي 58	نابلس 570
اردب 466، 468، 468، 531	النادي العسكري ببغداد 440
استفهامات ، بمعنى استخبارات 503	الناصرية 442
اسطوات 53	الناصرية (قرب الزعفرانية) 380
اسكلة 224	نايجيريا 635
اسكيجيلر 61	نجد 439، 660
اصبع 469	النجف 345، 499، 563، 567، 615، 617،
اطرقجية 61	618، 627، 628، 640، 618، 619، 621،
افجة 74، 154، 158، 245، 532	622، 625
اقماع اللغم 508، 511	نهر أبودبس 381
اكمكجية 67	نهر ابي عوسج 381
انات 512	نهر الحمر 379
اوجاغ الانكشارية 63	نهر الخالص 381
اوقبة استانبول 644	نهر الرحي 381
اوقية 244، 468	نهر الصخرية 380
ايتمكجية 376	نهر العلي 380
بابوج 224	نهر بني سعد 380
باره 43، 92، 362، 364	نهر جرجيس 380
بازار باشي 225	نهر جمالية بلد 381
باغجة 92	نهر عيسى 478
باقورة 225	نهر غواضر 381
الباليوز 257	نهر قصب 379
بريد 468	الهاشمية، قرية 364، 381، 633
بشولات 511	ههب 488
بلانجية 61	الهند 439، 657، 674
بلطجية 6، 495-502	هور الجيبه جي 363
بلوص 532	هور الغرق 342، 343
بندق 225	هولنده 684
بوليصات 532	وزارة الأوقاف 385
بويه خانه 59، 73	يافا 570
بياري 225	اليمن 605، 673، 681
بير 50، 61	يوغوسلافيا 499
بيوراولدي 69، 75، 226، 306	

خراج المقاسمة 229	تال 83
خرده فروشيه 341	تتويج 508
خزندار 472	تذاكر 69
خفريه 229	ترجمان 226
خلفه 54	تغار 87
خلو 330	تفاليس (ضرب من السكة) 92
خلوة 330	تفريجات 412
خميسية 330	تمويت بمعنى اطفاء 90
خندق سماوي 504	تيمار 292
خونداقجية 61	تيماري 226
دانق 463, 462, 460	جاووش الكنائس 227
درايزين 511	جبيقجية 61, 374
دريند 507	جدرزند 354
الدريندان 506	جرصن 227
درجة رمليه 330	جرنال 513
درهم 459, 465, 468	جريب 469
درهم طبري 466	جمالان 510
دزداريه 230	الجنزلي 532
دساتير العمل 57	جنزير 510
دست 331	جنكل 511
دشيشة (معونة إلى الحجاز) 532	جوخجية 61
الدفتراخاقاني 250	جوخدار 227
دفتردار 331	جوربجية 227
دمت 410	جوق بمعنى كمية 88, 89
دنك 101	حاكم سياسي 228
دنكجية 61, 372	حاكورة 228
دورات 509	حبة 458, 460
دونم 82	حضت 501
دياس 331	حضت طائر 503 / 509
الديجات 510	حضر بسيط 4503
ديديبان 512	حق حطب 229
ديوانخانه 40	حقة 645
ذراع 469	الحمل 644, 648
ذراع الكرياس 81, 83	حوش الاخور 40
رسم الميدان 69, 74, 75	خابور 512

صنف 49-68، 69	رطل 458، 463، 464، 466 / 465
ضلما (نسبج) 527	رفس 81
ضيرة 233	روماني 331
طائقة مستحفظان 530	زر محبوب (سكة) 256، 261
طباخة 234	زعيم 331
عاقول 234	سباهي 292، 331
عريانات 507	سبزلاتنجية 61
عربية 236، 508	سجفات 412
عرضحال 60، 61 / 72، 75، 341	سربول 507
عرق 466	سقالة 510
عريف بروازي 234	سكك 88، 90
عصوية 234 \	سمور (فراء) 527
علوفة 235	سنجة 510
عوارض سلطانية 235	سوباشي 132
عونة 235	سونكي 587
العيارون 52	شاكردية 50، 54
عيدية (ضريبة) 74، 236	شد 51
عين الشوشي الكبير (ضرب من القروش)	شروم 507
92	شسشخان، بنادق 587
غرش رومي 345	شطار 52
غرش شامي 345	شطفة 509
غرش عين 345	شعريفية 61
غلة دار 236	شعرة (مقياس طول) 469
غليون، غالليون 236، 521	شغالة 510
فاخورة 236	شنكل 411
فتح المنجل 236	الشو الصغير 509
فتوة 50	شوال 232، 512
فحت البسيط 509	شوشة بمعنى رأس 92
فحت المركب 509	شيخ الاصناف السبعة 60
فحت سكة الفار 504، 405	صاع 459، 460، 478، 663
فجر 510	الصاغة 179
فرسخ 468	الصانع 55
فرسية (قماش) 237	الصحاحيف 61
فريكة 237	صف ضابطان 501
فضة (عملة) 531	صلقوم 511

كياالة 239	فلس 364
كيجه جية 112	قباستان 511
كيس 532	قائممقام 372
كيس ديواني 532	قبوجيلر قبوسي 111
كيلة 468	قدح 468
لحافة 239	قدم 469
لغم، لقم 205	قرش 237 (وينظر: غرش)
لغمجية 509, 503	قرش أسدي 238
مارس (أداة للغرس) 239	قرش بغدادي رائج 43, 46, 90, 364, 382
مال طنطور 240	قرش رائج 363, 645
مباشرة 241	قرش رومي (وينظر: غرش رومي) 92, 257,
مبطخة 241	472, 262, 262
متسلم ماردين 59	قرش صاغ 36, 43, 46, 92, 121,
مقال 460, 459, 458	قرصية 238
مجدية 241	قزما 508, 502
مد 468, 459	قصابخخانه 69, 73, 75
مديسة 241	قطعة مصرية 238
مرتفق 242	قفا سطحي 511
مزلقان 513	قفظان الصنجقية 527
مساقي (فلاح) 91	قللغ 134
مسحاة 88, 90	قنبرة 509
المشعلجي 112	قنواتي 238
مصرف، مصرفخانه 82	قهوجية 238
مغارسة 81-94	قواسية 239
مكتا 466	قيرخانه 59
مكتوبي 473	كتخدا 53, 54, 68
من 648-645, 644	كرخان الخبز 376, 377
مناولات 513	كرخان الخبز 376, 377
المهترخانه 196	كردار 239
مومخانه 69, 73, 74, 75	كريكات 502
ميقاتي 241	كسر الفدان 239
ميل 469	كلة 509, 506
الميل الهاشمي 469	كله خانه 113
ميمية 241	كمرات 409, 513
نصف فضة ديواني 532	كهيه = كتخدا

368	وبية	232	نقد سلطاني
63	ويوده	340	نيمكار
232	ياظجية	512	هوان (مدفع)
508	يدكجية	510, 644-648	وزنة
411	يماعية	242	وقف أرصادي
59	يمك كارخانه	242	وقف أهلي
		242	وكس

المحتويات

5	مقدمة
9	دراسات اجتماعية
11	بيوتات بغداد في دراسات المؤرخين المحدثين
37	آل الرواف في بغداد
49	نظام الأصناف في العراق إبان العصر العثماني
69	ضرائب صنف القصابين في العراق في القرن التاسع عشر. دراسة في وثائق جديدة
77	صور من العلاقات الزراعية في العراق في القرن الثامن عشر. دراسة في وثائق تاريخية جديدة
95	من تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد
169	من تاريخ الخدمات النسوية العامة في الموصل
189	دور الجماهير في صمود الموصل سنة 1156هـ/1743م
207	أضواء على انتفاضة الموصل المنسية سنة 1839
219	ألفاظ حضارية من فلسطين في القرن السابع عشر
243	وثائق وسجلات
245	واقع الوثائق العثمانية في بغداد
291	قرية القاطع المندثرة في ديالى في وثيقة وقفية
297	وثيقة تكشف عن مشروع رحلة الأمير فخر الدين السرية إلى مكة
302	وقفيات سليمان باشا الكبير، أنموذجاً لوقف الكتب في بغداد
351	وقفية داود باشا، نص وتحقيق
385	أسماء ومعالم غير إسلامية في وثائق وقفية بغدادية
399	من داود باشا إلى نقيب كربلاء
405	من كتخدا بغداد ألى أمير المنتفق
413	آراء بشارة تقلا السياسية في رسائله السرية

425	جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد
437	من مفكرة ضابط عراقي في الحرب العالمية الأولى 437
449	قراءات في تراث مخطوط
451	الإيضاح والتبيان في المكيال والميزان
471	نسخة غير معروفة من كشف الظنون يختصرها بغدادى من القرن الثالث عشر للهجرة
477	أول محاولة لفهرسة المخطوطات في العراق
495	مخطوطة (تعليم البلطجية)
517	ذيل في تاريخ مصر لمرتضى بك الدمشقى الكردي
537	رحلة للحاج في البغدادى من بغداد إلى اسلامبول سنة 1287هـ/1879م
613	ورود حديقة الزوراء نص غير معروف في تاريخ بغداد
581	قراءة في مخطوطة نزهة الأدباء للسهروردي
595	نزهة المشتاق في علماء العراق نص جديد في تاريخ العراق في القرن الثاني عشر للهجرة
615	البراقى في مخطوطاته
635	آراء الكشناوى في العلوم السرية
639	رسالة في غلاء الموصل سنة 1291هـ/1878م
653	مخطوطة كلدانية في المكتبة القادرية
657	السيد علوان السامرائى رائد صناعة السلاح في السعودية بحسب تقرير سرى
661	في التصوف
663	مساهمة في التفسير السياسى للظاهرة الصوقية
671	عبدالكريم الجبلى حياته وزحلاته ومصطلحاته
729	الفهارس